أخبار المبرد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على جميع الأنبياء والمرسلين .

أما بعد فقد قضيت شهوراً طوالا فى تحقيق الجزء الأول من كتاب الكامل ، وكان لابدّ أن أصدّر هذا الجزء بمقدمة أتحدث فيها عن شخصية المبرّد مؤلف الكتاب ، فكنت أتصيّد الفرص للتعرّف إلى روح ذلك المؤلف العظيم ، ولكن الحظ لم يكن يسعفنى بما أريد .

ثم اتفق أن تفضلت وزارة المعارف العراقية فدعتنى لتدريس الأدب العربىّ فى دار المعلمين العالية فى بغداد ، المدينة التاريخية التى تعلم فيها المبرد ، فأحسست وأنا أتأهب للسفر إلى وطن ذلك المؤلف أن صورته اقتربت منى كل الاقتراب ، وما هى إلا ليال راجعت فيها ما كتبه عنه السيوطى وياقوت ، حتى رأيتنى قادراً على تقديم أخباره إلى القراء فى صورة تشوق الناظرين .



ولد أبو العباس المبرد ـ محمد بن يزيد ـ بالبصرة يوم الاثنين غداة عيد الأضحى سنة عشر ومائتين ، وكان فى صباه رائع الجمال[1] ، ثم رحل إلى بغداد فأخذ عن أبى عمر الجرمى وأبى عثمان المازنى وأبى حاتم السجستانى . وما زالت همته تسمو به حتى صار إمام العربية فى بغداد .

وكان مع شهرته باللغة والنحو والتصريف شاعراً أديبا ، على نُدْرَةِ ما يتفق ذلك للنحاة واللغويين .

حكى جعفر بن محمد قال : قلت لأبى عبد الله الدينورى : لم يَأْبَى ثعلب الاجتماع بالمبرد؟ فقال لأن المبرد حَسَنُ العبارة، حُلْوُ الإشارة، فصيح اللسان، ظاهر البيان ، وثعلب مَذْهَبُهُ مذهبُ المعلمين ، فإذا اجتمعا فى محفل حُكِم للمبرّد على الظاهر إلى أن يُعرف بالباطن[2]

وقد حفظتْ للمبرد أشعار منها هذه الأبيات :

حَبَّــذَا مَاءُ الْعَنَاقِيــدِ بِرِيقِ الْغَانِيَاتِ
بِهِمَا يَنْبُتُ لَحْمِي وَدَمِي أَيَّ نَبَاتِ
أَيُّهَا الطَّالِبُ شَيْئاً مِنْ لَذِيذِ الشَّهَوَاتِ
كُلْ بِمَاءِ الْمُزْنِ تُفَّا حَ خُـدُودِ الْغَانِيَاتِ

وقد أُثِر عن مجالسه كثير من طريف الأحاديث . حدث محمد بن عبد الله الكاتب قال : كنت يوما عند المبرّد فأنشدنا :

(١) انظر بغية الوعاة ص ١١٦ وزهر الآداب ج ٣ ص ١٤٦ (٢) ياقوت ج ٧ ص ١٤١

جِسْمِي مَعِي غَيْرَ أَنَّ الرُّوحَ عِنْدَكُمُ ... فَالْجِسْمُ فى غُرْبَةٍ وَالرُّوحُ فى وَطَنِ
فَلْيَعْجَبِ النَّاسُ مِنِّى أَنَّ لِى بَدَنًا ... لاَ رُوحَ فِيهِ وَلى رُوحٌ بِلاَ بَدَنِ

ثم قال : ما أظن أن الشعراء قالوا أحسن من هذا ، قلت : ولا قول الأخرق ؟ قال : هيه ! قلت الذى يقول :

فَارَقْتُكُمْ وَحَيِيتُ بَعْدَكُمُ ... مَا هٰكَذَا كَانَ الَّذِى يَجِبُ
فَالْآنَ أَلْقَى النَّاسَ مُعْتَذِرًا ... مِنْ أَنْ أَعِيشَ وَأَنْتُمُ غُيَّبُ

قال : ولا هذا . قلت ولا قول خالد الكاتب :

رُوحَانِ لى رُوحٌ تَضَمَّنَهَا ... بَلَدٌ وَأُخْرَى حَازَهَا بَلَدُ
وَأَظُنُّ غَائِبَتِى كَشَاهِدَتِى ... بِمَكَانِهَا تَجِدُ الَّذِى أَجِدُ

قال : ولا هذا . قلت : أنت إذا هويت شيئا ملت إليه ، ولم تعدل إلى غيره ، قال : لا ، ولكنه الحق ، فأتيت ثعلبا فأخبرته ، فقال ثعلب : ألا أنشدته :

غَابُوا فَصَارَ الْجِسْمُ مِنْ بَعْدِهِمْ ... مَا تَنْظُرُ الْعَيْنُ لَهُ فَيَّا
بِأَيِّ وَجْهٍ أَتَلَقَّاهُمُ ... إِذَا رَأَوْنِى بَعْدَهُمْ حَيَّا
يَا خَجْلَتِى مِنْهُمْ وَمِنْ قَوْلِهِمْ ... مَا ضَرَّكَ الْفَقْدُ لَنَا شَيَّا

قال : وأتيت إبراهيم الحربى فأخبرته فقال ألا أنشدته :

يَا حيائى مِمَّنْ أُحِبُّ إِذَا مَا ... قُلْتُ بَعْدَ الْفِرَاقِ إِنِّى حَيِيتُ
لَوْ صَدَقْتُ الْهَوَى حَبِيباً عَلَى الصِّحَّةِ ... لَمَّا نَأَى لَكُنْتُ أَمُوتُ

قال فرجعت إلى المبرد فقال : أستغفر الله ! إلاّ هذين البيتين ! يعني بيتى إبراهيم[1] ، وحدث الرواة أن المبرد كان يستجيد هذين البيتين :

(١) ياقوت ج ١ ص ٤٢ — ٤٣

وَلِى كَبِدٌ مَقْرُوحَةٌ مَنْ يَبِيعُنِى ... بِهَا كَبِدًا لَيْسَتْ بِذَاتِ قُرُوحِ
أَبَاهَا عَلَىَّ النَّاسُ لَا يَشْتَرُونَهَا ... وَمَنْ يَشْتَرِى ذَا عِلَّةٍ بِصَحِيحِ

قال صاحب البدائع : وسأقضى بقية عمرى فى التغنى بهذين البيتين !

وحدث المبرد قال : لما وصل المأمون إلى بغداد، قال ليحيى بن أكثم : وددت لو أنى وجدت رجلا مثل الأصمعى ممن عرف أخبار العرب وأيامها وأشعارها ، فيصحبنى كما صحب الأصمعى الرشيد ! فقال له يحيى : ههنا شيخ يعرف هذه الأخبار يقال له عتاب بن ورقاء من بنى شيبان، قال:فابعث لنا فيه، فحضر ، فقال له يحيى: إن أمير المؤمنين يرغب فى حضورك مجلسه ومحادثته ، فقال : أنا شيخ كبير ، ولا طاقة لى ، لأنه ذهب منى الأطيبان ، فقال له المأمون : لا بدّ من ذلك ! فقال الشيخ : فاسمع ماحضرنى ، وقال اقتضابا :

أَبَعْدَ سِتِّينَ أَصْبُو ... وَالشَّيْبُ لِلْمَرْءِ حَرْبُ
شَيْبٌ وَسِنٌّ وَإِثْمٌ ... أَمْرٌ لَعَمْرُكَ صَعْبُ
يَا ابْنَ الْإِمَامِ فَهَلَّا ... أَيَّامَ عُودِى رَطْبُ
وَإِذْ مَشِيبِى قَلِيلٌ ... وَمَنْهَلُ الْعَيْشِ عَذْبُ
فَالْآنَ لَمَّا رَأَى بِى ... عَوَاذِلِى مَا أَحَبُّوا
آلَيْتُ أَشْرَبُ رَاحًا ... مَا حَجَّ لِلَّهِ رَكْبُ

فقال المأمون: ينبغى أن تكتب هذه الأبيات بالذهب ، وأعفى الشيخ وأمر له بجائزة[1] .

---

(١) ياقوت ص ١٤ ج ٥

ورواية هذا الحديث تشهد بما كان عند المبرد من أدب النفس .

ومن الشواهد على إحساس المبرد بمعانى الأدب والحياة ، ما حدّث به فقال : قال لى المازنى بلغنى أنك تنصرف من مجلسنا فتصير إلى مواضع المجانين والمعالجين ، فما معنى ذلك ؟ فقلت : أعزك الله تعالى إن لهم طرائف من الكلام ، قال: فأخبرنى بأعجب ما رأيت من المجانين ، [قال] فقلت: صرت يوما إليهم ، فمررت على شيخ منهم وهو جالس على حصير قصب ، فجاوزته إلى غيره، فقال : سبحان الله ! أين السلام؟ مَنِ المجنون؟ أنا أو أنت؟ فاستحييت منه ، وقلت : السلام عليك ورحمة الله وبركاته ! فقال : لو كنت ابتدأت لأوجبت علينا حسن الرد ، على أنا نصرف سوء أدبك إلى أحسن جهاته من العذر ، لأنه كان يقال إن للداخل على القوم دَهْشَةً ، اجلس أعزك الله تعالى عندنا ! وأومأ إلى موضع من الحصير ، فجلست إلى ناحية منه أسترعى مخاطبته، فقال لى وقد رأى محبرتى : أرى معك آلة رجلين أرجو أن لا تكون أحدهما أصحاب الحديث الأغثاث ، أو الأدباء أصحاب النحو والشعر ! قلت : الأدباء! قال: أتعرف أبا عثمان المازنى ؟ قلت : نعم! قال: أتعرف الذى يقول فيه

وَفَتًى مِنْ مَازِنٍ أُسْتَاذِ أَهْلِ الْبَصْرَهْ
أُمُّـــهُ مَعْرِفَةٌ وَأَبُوهُ نَكِرَهْ

فقلت : لا أعرفه ! فقال: أتعرف غلامًا له قد نَبَغَ فى هذا العصر معه ، له ذهنٌ وحفظٌ وقد برّز فى النحو يعرف بالمبرد ؟ فقلت: أنا والله الخبير به ! قال فهل

أنشدك شيئا من شعره ؟ قلت: لاأحسبه يحسن قول الشعر! فقال: ياسبحان الله ! أليس هو القائل :

حَبَّذَا مَاءُ الْعَنَاقِيـــدِ بِرِيقِ الغَانِيَاتِ
بِهِمَا يَنْبُتُ لَحمِي وَدَمِي أَيَّ نَبَاتِ
أَيُّهَا الطَّالِبُ شَيْئًا مِنْ لَذِيذِ الشَّهَوَاتِ
كُلْ بِمَاءِ الْمُزْنِ تُفَّا حَ خُدُودِ الْغَانِيَاتِ

قلت سمعته ينشد هذا فى مجلس أنس ! فقال ياسبحان الله ! ألا تستحى أن يُنْشَدَ مِثْلُ هذا حَوْلَ الكعبة ! إلى آخر الحديث[1] .

فهذه القصة تبين بعض خصائص المبرد فى فهم العقليات الأدبيه وتفصح عن رأيه فى أهل الحديث !

ومما يدل على التفات المبرد إلى الأدب ماحدث به فقال : سمعت المازنى يقول : قرأ الرياشى علىّ كتاب سيبويه ، فاستفدت منه أكثر مما استفاد منى . يعنى أنه أفاده لغته وشعره وأفاده هو النحو[2] .

---

(١) ارجع إليه ص ١٤١ ج ٧ ياقوت (٢) ص ٢٨٥ ج ٤



وشهرة المبرد باللغة أضافت إليه طائفة من النوادر ، فقد حدثوا أنه ورد الدينور زائراً لعيسى بن ماهان ، فأول ما دخل عليه وقضى سلامه قال له عيسى : أيها الشيخ ! ما الشاة المجثمة التي نهى النبي صلى الله عليهِ وسلم عن أكل لحمها ؟ فقال : هي الشاة القليلة اللبن مثل اللجبة، فقال : هل من شاهد؟ فقال : نعم قول الراجز :

لَمْ يَبْقَ مِنْ آلِ الْحُمَيْدِ نَسَمَهْ   إلاَّ عُنَيْزٌ لجبـــــةٌ مُجَثَّمَهْ

فاذا بالحاجب يستأذن لأبي حنيفة الدينوري ، فلما دخل قال له : أيها الشيخ ! ما الشاة المجثمة التي نهينا عن أكل لحمها ؟ فقال : هي التي جثمت على ركبها وذبحت من خلف قفاها . فقال : كيف تقول وهذا شيخ العراق — يعني المبرد — يقول هي مثل اللجبة وهي القليلة اللبن ، وأنشده البيت ، فقال الدينوري : أَيْمَانُ البيعة تلزم أبا حنيفة إن كان هذا التفسير سمعه هذا الشيخ أوقرأه ، وإن كان البيت إلا لساعته هذه! فقال المبرد : صدق الشيخ أبوحنيفة! فإنني أنِفْت أنْ أرد عليك من العراق ، وذِكري ماقد شاع فأول ماتسألني عنه لاأعرفه[1] ! !

ونظير هذا ما حدّث المفجع البصري قال : كان المبرد لكثرة حفظه للغة وغريبها يُتّهم بالوضع فيها ، فتواضعنا على مسألة نسأله عنها لا أصل لها لننظر ماذا يجيب ، وكنا قبل ذلك تمارينا في عروض بيت الشاعر :

---

(١) ياقوت ج ١ ص ١٢٦

أَبَا مُنْذِرٍ أفْنَيْتَ فَاسْتَبْقِ بَعْضَنَا   حَنَانَيْكَ بَعْضُ الشَّرِّ أهْوَنُ مِنْ بَعْضِ

فقال البعض : هو من البحر الفلانى ، وقال آخرون : هو من البحر الفلانى ، وتردد على أفواهنا من تقطيعه « ق بعضا » ثم ذهبنا إلى المبرد فقلنا له : أيدك الله تعالى ، ما القِبَعْضُ عند العرب ؟ فقال : هو القطن ، وفى ذلك يقول الشاعر :

☆ كأنّ سِنَامَهَا حُشِىَ القِبَعْضَا ☆

قال فقلت لأصحابى : ترون الجواب والشاهد ، فإن كان صحيحا فهو عجب وإن كان مُخْتَلَقًا على البديهة فهو أعجب (١) ! !



والظاهر أن الخصومة بينه وبين ثعلب كان لها دَخْلٌ فى افتعال مثل هذه الأقاويل ، وهى خصومة لم تكن بين شخصين ، وانما كانت بين فرقتين فرقة البصريين وفرقة الكوفيين .

ومن شواهد هذه الخصومة ماحدث العجوزى قال : صرت إلى المبرد مع القاسم والحسن ابنى عبيد الله بن سليمان بن وهب ، فقال لى القاسم : سَلْهُ عن شىء من الشعر ، فقلت ما تقول أعزك الله فى قول أوس :

وَغَــيَّرَهَا عَنْ وَصْلِهَا الشَّيْبُ إنَّهُ   شَفِيعٌ إلَى بِيضِ الخُدُورِ مُدَرَّبُ

فقال بعد تمكث وتمهل وتمطق : يريد أن النساء أنسن به فصرن لا يستترن منه . ثم صرنا إلى أبى العباس ثعلب ، فلما غص المجلس سألته عن البيت ،

---

(١) ص ١٣٨ ج ٧ ياقوت .

فقال قال لنا ابن الأعرابي إن الهاء في ه إنه للشباب ، وإن لم يجر له ذكر لأنه عُلِم . والتفتّ إلى الحسن والقاسم وقلت أين صاحبنا من صاحبكم[1] !

وحدّث علي بن سليمان الأخفش قال : كنت يوما بحضرة ثعلب فأسرعت القيام قبل انقضاء المجلس فقال : إلى أين ؟ ما أراك تصبر عن مجلس الخلدى ! يعنى المبرد ، فقلت له : لى حاجة ! فقال لى : إنى أراه يقدم البحترى على أبى تمام . فاذا أتيته فقل له ما معنى قول أبى تمام :

أَ آلِفَةَ النَّحِيبِ كَمِ افْتِرَاقٍ أَظَلَّ فَكَانَ دَاعِيَةَ اجْتِمَاعِ

فقال أبو الحسن فلما صرت إلى أبى العباس المبرد سألته عنه فقال : معنى هذا أن المتحابين العاشقين قد يتصارمان ويتهاجران إدْلالاً لا عَزْمًا على القطيعة ، فاذا حان الرحيل وأحسّا بالفراق تراجعا إلى الودّ ، وتلاقيا خوف الفراق ، وأن يطول العهد بالالتقاء بعده ، فيكون الفراق حينئذ سببا للاجتماع ، كما قال الآخر :

مُتِّعَا بِالْفِرَاقِ يَوْمَ الْفِرَاقِ مُسْتَجِيرَيْنِ بِالْبُكَا وَالْعِنَاقِ
كَمْ أَسَرَّا هَوَاهُمَا حَذَرَ النَّا سِ وَكَمْ كَاتَمَا غَلِيلَ اشْتِيَاقِ
فَأَظَلَّ الْفِرَاقُ فَالْتَقَيَا فِيـــهِ فِرَاقًا أَتَاهُمَا بِاتِّفَاقِ
كَيْفَ أَدْعُو عَلَى الْفِرَاقِ بِحَتْفٍ وَغَدَاةَ الْفِرَاقِ كَانَ التَّلَاقِي

قال فلما عدت إلى ثعلب سألنى عنـــه ، فأعدت عليه الجواب والأبيات فقال : ما أشدّ تمويهه ! ما صنع شيئا ، إنما معنى البيت أن الانسان قد

(1) ياقوت ج ٢ ص ١٣٨

يفارق محبوبه رجاء أن يغنم في سفره فيعود إلى محبوبه مستغنيا عن التصرف فيطول اجتماعه معه، ألا تراه يقول في البيت الثاني :

وَلَيْسَتْ فَرْحَـةُ الْأَوْبَاتِ إِلَّا ... لِمَوْقُـوفٍ عَلَى تَرَحِ الْوَدَاعِ

وهذا نظير قول الآخر، بل منه أخذ أبو تمام :

وَأَطْلُبُ بُعْدَ الدَّارِ عَنْكُمْ لِتَقْرُبُوا ... وَتَسْكُبُ عَيْنَايَ الدُّمُوعَ لِتَجْمُدَا[1]

والخصومة بين المبرد وثعلب كانت عنيفة جدا، حدث الخطيب قال : كان بين المبرد وثعلب منافرات كثيرة، والناس مختلفون في تفضيل كل واحد منهما على صاحبه، قال : وجاء رجل إلى ثعلب فقال له : يا أبا العباس، قد هجاك المبرد، فقال بماذا ؟ فأنشده :

أُقْسِمُ بِالْمُبْتَسِمِ الْعَـذْبِ ... وَمُشْتَكَى الصَّبِّ إِلَى الصَّبِّ

لَوْ أَخَذَ النَّحْوَ عَنِ الرَّبِّ ... مَا زَادَهُ إِلَّا عَمَى الْقَلْبِ

فقال أنشدني من أنشده أبو عمرو بن العلاء :

يَشْتِمُنِي عَبْدُ بَنِي مِسْمَعٍ ... فَصُنْتُ عَنْهُ النَّفْسَ وَالْعِرْضَا

وَلَمْ أُجِبْهُ لِاحْتِقَارِي لَهُ ... مَنْ ذَا يَعَضُّ الْكَلْبَ إِنْ عَضَّا[2]

وبلغ المبرد أن ثعلبا يهجوه فقال :

رُبَّ مَنْ يَعْنِيهِ حَالِي ... وَهْوَ لَا يَجْرِي بِبَالِي

قَلْبُهُ مَلْآنُ مِنِّي ... وَفُؤَادِي مِنْهُ خَالِي[3]

وتعصب أحمد بن عبد السلام للمبرد فقال يفضله على ثعلب :

---

(١) ياقوت ج ٢ ص ١٤٧، ١٤٨ (٢) ياقوت ج ٢ ص ١٤٩
(٣) ج ٧ ص ١٤٣

رَأيْتُ مُحمَّدَ بْنَ يَزِيدَ يَسْمُو   إلَى الْخَيْرَاتِ فِى جَاهٍ وَقَدْرِ
جَلِيسُ خَلائِفٍ وَغَذِىُّ مُلْكٍ   وَأعْلَمُ مَنْ رَأيْتُ بِكُلِّ أمْرِ
وَفِتْيَانِيَّةُ الظُّرَفاءِ فِيهِ   وَأبَّهَةُ الْكَبِيرِ بِغَيْرِ كِبْرِ
فَيَنْثُرُ إنْ أجَالَ الْفِكْرَ دُرًّا   وَيَنْثُرُ لُؤْلُؤًا مِنْ غَيْرِ فِكْرِ
وَكَانَ الشِّعْرُ قَدْ أوْدَى فَأحْيَا   أبُو الْعَبَّاسِ دَاثِرَ كُلِّ شِعْرِ
وَقَالُوا ثَعْلَبٌ رَجُلٌ عَلِيمٌ   وَأيْنَ النَّجْمُ مِنْ شَمْسٍ وَبَدْرِ
وَقَالُوا ثَعْلَبٌ يُفْتِى وَيُمْلِى   وَأيْنَ الثَّعْلُبَانُ مِنَ الْهِزَبْرِ

وما زالت الخصومة تشتد بين هذين الرجلين حتى ضُربتْ بها الأمثال فقال بعض الشعراء :

كَفَى حَزَنًا أنَّا جَمِيعًا بِبَلْدَةٍ   وَيَجْمَعُنَا فِى أرْضِهَا شَرُّ مَشْهَدِ
وَكُلٌّ لِكُلٍّ مُخْلِصُ الْوُدِّ وَامِقٌ   وَلَكِنَّهُ فِى جَانِبٍ عَنْهُ مُفْرَدِ
نَرُوحُ وَنَغْدُو لا تَزَاوُرَ بَيْنَنَا   وَلَيْسَ بِمَضْرُوبٍ لَنَا يَوْمُ مَوْعِدِ
فَأبْدَانُنَا فِى بَلْدَةٍ وَالْتِقَاؤُنَا   عَسِيرٌ كَلُقْيَا ثَعْلَبٍ وَالْمُبَرِّدِ

ومع ذلك كان مفهوما أنهما من الآيات فى الأدب والبيان،فقال بعض الشعراء :

أيَا طَالِبَ الْعِلْمِ لاَ تَجْهَلَنْ   وَعُذْ بِالْمُبَرِّدِ أوْ ثَعْلَبِ
تَجِدْ عِنْدَ هٰذَيْنِ عِلْمَ الْوَرَى   فَلاَ تَكُ كَالْجَمَلِ الأجْرَبِ
عُلُومُ الْخَلاَئِقِ مَقْرُونَةٌ   بِهٰذَيْنِ فِى الشَّرْقِ وَالْمَغْرِبِ

ولما مات المبرد قال ابن العلاف :

ذَهَبَ الْمُبَرِّدُ وَانْقَضَتْ أَيَّامُهُ ... وَلَيَذْهَبَنْ إِثْرَ الْمُبَرِّدِ ثَعْلَبُ

بَيْتٌ مِنَ الآدَابِ أَصْبَحَ نِصْفُهُ ... خَرِبًا وَبَاقِي نِصْفِهِ سَيُخَرَّبُ

فَابْكُوا لِمَا سَلَبَ الزَّمَانُ وَوَطِّنُوا ... لِلدَّهْرِ أَنْفُسَكُمْ عَلَى مَا يَسْلِبُ

وَتَزَوَّدُوا مِنْ ثَعْلَبٍ فَبِكَأْسِ مَا ... شَرِبَ الْمُبَرِّدُ عَنْ قَرِيبٍ يَشْرَبُ

أُوصِيكُمُ أَنْ تَكْتُبُوا أَنْفَاسَهُ ... إِنْ كَانَتِ الْأَنْفَاسُ مِمَّا يُكْتَبُ



هذا وقد كان فى النية أن نستقصى أخبار المبرد، ونتحدث بالتفصيل عن أخباره اللغوية والأدبية ومنزلة « الكامل » بين كتب الآداب ، ولكن المكان المخصص لهذه المقدمة ضاق عن المراد ، فلم يبق إلا أن نقول كلمة قصيرة عن شرح الجزء الأول .

تلقينا شرح كتاب الكامل عن أستاذنا وصاحب الفضل علينا سيد بن على المرصفى ، وهو أفضل رجل عرفناه فى الأزهر الشريف ، وقد سمعنا عنه شرح الكامل مرتين ، مرة فى دروسه التى واظبنا عليها سبع سنين ، ومرة عند طبع (رغبة الآمل من كتاب الكامل) وكنا نعاونه على التصحيح .

وقد اعتمدنا على شرحه كل الاعتماد ، فليس لنا من فضل إلا اختصار ما فى شرحه المطوّل ، ولم يتفق لنا الابتكار إلا فى مواطن قليلة جدّا ، فان رآنا القارىء نصحح بعض أغلاط الشيخ المرصفى رحمه الله فليذكر أننا لم نصل إلى مؤاخذته إلا بفضل ما أخذنا عنه من أصول اللغة والبيان .

وكنت أحب أن أتحدث هنا عن الشيخ المرصفى ، ولكنى فصلت أخباره فى الطبعة الثانية من كتاب البدائع ، ومثلى يكره الحديث المعاد .

أيها القارئ !

أقدم إليك الجزء الأول من الكامل ، راجيا أن تذكرنى بالخير حين تشهد ما تمتاز به هذه الطبعة من الرونق والرواء .

محمد زكى عبد السلام مبارك

المفتش فى وزارة المعارف

مصر الجديدة فى ٩ شعبان سنة ١٣٥٦
١٤ أكتوبر سنة ١٩٣٧

الكامل

في اللغة والأدب والنحو والتصريف

تأليف

الإمام أبي العباس المبرّد

الكامل

في اللغة والأدب والنحو والتصريف

تأليف

الإمام أبي العباس المبرد

بتحقيق

الدكتور زكي مبارك

الطبعة الأولى

١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ م / ٧٢٦

مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

حدثنا أبو بكر[١] محمد بن عمر بن عبد العزيز قال حدثنا أبو عثمان سعيد بن جابر[٢] قال حدثنا أبو الحسن عليّ بن سليمان الأخفش[٣] قراءةً عليه قال قرئ لى هذا الكتاب على أبى العباس محمد بن يزيد المُبرّد :

الحمد لله حمدًا كثيرًا يَبْلُغُ رضاه ، ويوجب مَزيده ، ويُجِيرُ من سَخَطِهِ ، وصلى الله على محمد خاتَمِ النبيين ، ورسول رب العالمين ، صلاة تامة زاكية ، تُؤَدِّى حقه ، وتُزْلِفُه عند ربه[٤] .

قال أبو العباس : هذا كتاب ألَّفناه يجمع ضروبا من الآداب ، ما بين كلام منثور ، وشِعْرٍ مَرْصوف[٥] ، ومَثَلٍ سائر ، وموعظة بالغة ، واختيار من خُطبة شريفة ، ورسالة بليغة .

والنِّيَّةُ أن نُفَسِّرَ كل ما وقع فى هذا الكتاب من كلام غريب ، أو معنى

---

(١) هو ابن القوطية الأندلسى المتوفى سنة ٣٦٧ . (٢) توفى سنة ٣٢٧ .

(٣) هو الأخفش الأصغر المتوفى سنة ٣١٥ ، أما الأخفش الأكبر فهو عبد الحميد بن عبد المجيد أحد أساتذة سيبويه ، وأول من فسر الشعر بيتاً بيتاً ، وكان الناس من قبله يسوقون القصيدة ثم يفسرونها بعد ذلك ، كما فى بغية الوعاة ، وأما الأخفش الأوسط ، فهو سعيد بن مسعدة أحد تلامذة سيبويه .

(٤) تزلفه : تقربه . (٥) مرصوف : وصل بعضه ببعض كما ترصف الحجارة .

مُسْتَغْلِقٍ . وأن نشرح ما يَعْرِضُ فيه من الإعْراب شرحا شافياً ، حتى يكون هذا الكتاب بنفسه مكتفياً ، وعن أن يُرْجَعَ إلى أحد فى تفسيره مستغنياً . وبالله التوفيقُ والحول والقوة ، وإليه مَفْزَعُنا فى دَرْكِ كل طَلِبَة[1] والتوفيق لما فيه صلاح أمورنا مِنْ عَمَلٍ بطاعته ، وعَقْدٍ برضاه[2] ، وقولٍ صادقٍ يرفعه عملٌ صالح ، إنه على كل شىء قدير .



قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأنصار فى كلام جَرَى :

« إنكم لَتَكْثُرُونَ عِنْدَ الْفَزَعِ ، وتَقِلُّونَ عِنْدَ الطَّمَعِ » .

الفزع فى كلام العرب على وجهين : أحدهما ما تستعمله العامة تريد به الذُّعْرَ ، والآخر الاستنجاد والاستصراخ[3] ، من ذلك قول سَلامة بن جَنْدَلٍ :

كُنَّا إذَا مَا أَتَانَا صَارِخٌ فَزِعٌ ... كَانَ الصُّرَاخُ لَهُ قَرْعَ الظَّنَابِيبِ[4]

يقول : إذا أتانا مُسْتَغِيثٌ كانت إغاثته الجِدَّ فى نُصرته ، يقال قَرَعَ لذلك الأمر ظُنْبُوبه إذا جدَّ فيه ولم يَفْتُرْ ، ويُشْتَقُّ من هذا المعنى أن يقع « فَزِعَ » فى معنى أغاث ، كما قال الكَلْحَبَةُ اليَرْبوعىّ :

(قال أبو الحسن : الكلحبة[5] لقبه ، واسمه هُبَيْرَةُ ، وهو من بنى عَرِينِ

---

(١) المفزع : الملجأ ، والطلبة الغرض المطلوب . (٢) وعقد برضاه : العقد الضمير ، وقرأ الشيخ المرصفى : وعقد برضاه ، والمعنى عنده : ضمير معقود برضاه . (٣) الاستصراخ : طلب الاغاثة . (٤) قصيدة سلامة بن جندل هى إحدى المفضليات ، والمطلع :

أودى الشباب حميداً ذو التعاجيب ... أودى وذلك شأو غير مطلوب

(٥) الكلحبة فى الأصل : صوت النار .

ابن يَرْبوع ، والنسب إليه عَرِينِيّ ، وكثير من الناس يقول عُرَنِيّ . ولا يَدْرِي[1] ، وعُرَيْنَةُ من اليَمَنِ . قال جرير يهجو عَرِين بن يربوع :

عَرِينٌ من عُرَيْنَةَ لَيْسَ مِنَّا ... بَرِئْتُ إلى عُرَيْنَةَ مِنْ عَرِينِ)[2]

فَقُلْتُ لِكَأْسٍ أَلْجِمِيهَا فَإِنَّمَا ... حَلَلْتُ الكَثِيبَ مِن زَرُودَ لِأَفْزَعا

يقول لأُغيث ، وَكَأْسٌ اسم جارية ، وإنما أمرها بإلجام فرسه ليغيث ، والظُّنْبُوب مُقَدَّمُ عَظْمِ الساق .



وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أُخْبِرُكُمْ بأَحَبِّكُمْ إلَيَّ وأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجَالِسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا المُوَطَّئُونَ أَكْنَافًا الَّذِينَ يَأْلَفُونَ ويُؤْلَفُونَ ، أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَبْغَضِكُمْ إلَيَّ وَأَبْعَدِكُمْ مِنِّي مَجَالِسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ الثَّرْثَارُونَ الْمُتَفَيْهِقُونَ » .

قوله صلى الله عليه وسلم الموطئون أكنافا مَثَلٌ ، وحقيقتُهُ أن التوطئة هي التذليل والتمهيد ، يقال دابة وَطِيءٌ يافتى ، وهو الذى لا يُحَرِّكُ راكِبَهُ في مَسيره ، وفِراش وَطِيءٌ إذا كان وَثِيرًا لا يُؤْذِي جَنْبَ النائم عليه ، فأراد القائل بقوله مُوَطَّأُ الأكناف أن ناحيته يتمكَّنُ فيها صاحبُها غير مُؤْذًى ، ولا نابٍ به موضعُه .

قال أبو العباس : حدثنى العباس بن الفَرَجِ الرِّيَاشِيُّ[3] قال حدثنى

(١) بيان ذلك أن ياء فعيل تثبت فى النسب إذا صحت لامه .

(٢) هذا آخر الكلام المعترض الذى ساقه الأخفش .

(٣) مات مقتولا سنة ٢٥٧ يوم دخل الزنج البصرة .

الأَصْمَعِىُّ(١) قال قيل لأعرابى وهو المُنْتَجِعُ بن نَبْهان : ما السَّمَيْدَعُ ؟ فقال : السيد المُوَطَّأُ الأكناف .

وتأويل الأكناف الجوانب . يقال فى المثل : فلانٌ فى كنف فلانٍ كما يقال فلان فى ظل فلان ، وفى ذَرَى فلانٍ ، وفى ناحية فلان ، وفى حَيِّزِ فلان . وقوله صلى الله عليه وسلم « الثرثارون » يعنى الذين يُكْثِرُون الكلام تَكَلُّفاً وتَجاوُزاً ، وخروجًا عن الحق . وأصل هذه اللفظة من العين الواسعة من عيون الماء يقال عَيْنٌ ثَرْثارةٌ ، وكان يقال لنهر بعينه الثّرْثارُ ، وإنما سمى به لكثرة مائه . قال الأَخْطَلُ (واسمه غِياثُ بن غَوْثٍ يُكْنَى أبا مالك ، ويلقب بِدَوْبَلٍ ، وَالدَّوْبَلُ الخنزير(٢)) :

لَعَمْرِى لَقَدْ لاَقَتْ سُلَيْمٌ وَعَامِرٌ ... عَلَى جَانِبِ الثَّرْثَارِ رَاغِيَةَ الْبَكْرِ

قوله « راغية البكر » أراد أن بَكْرَ ثمود رغا فيهم فأُهْلِكُوا ، فضربته العرب مَثلاً ، وأكثرت فيه ، قال عَلْقَمَةُ بن عَبَدَةَ الْفَحْلُ :

رَغَا فَوْقَهُمْ سَقْبُ السَّمَاءِ فَدَاحِضٌ ... بِشِكَّتِهِ لَمْ يُسْتَلَبْ وَسَلِيبُ(٣)

(قال أبو الحسن الداحض الساقط ، والداحض أيضاً الزالق) وكذلك إذا لم تُضَعّف الثاء فقلتَ عينٌ ثَرَّةٌ فإنما معناها غزيرة واسعة ، قال عَنْتَرَةُ :

جَادَتْ عَلَيْهَا كُلُّ عَيْنٍ ثَرَّةٍ ... فَتَرَكْنَ كُلَّ حَدِيقَةٍ كَالدِّرْهَمِ

---

(١) الأصمعى : هو عبد الملك بن قريب المتوفى بالبصرة سنة ٢١٦ . (٢) وفيه قال جرير :

بكى دوبل لا يرقئُ الله دمعه ... ألا إنما يبكى من الذل دوبل

وكانت وفاة الأخطل سنة ٩٠ . (٣) الشكة : اسم لما يلبس من السلاح .

قال أبو العباس : وليست الثرة عند النحويين البصريين من لفظة الثَّرْثَارَةِ ، ولكنها فى معناها ، ويجب أن يكون من الثَّرةِ ثَرَّارَةٌ . وقوله صلى الله عليه وسلم « المتفيهقون » إنما هو بمنزلة قوله الثرثارون توكيد له ، ومُتَفَيْهِقٌ مُتَفَيْعِلٌ ، من قولهم فَهِقَ الغَدِيرُ يَفْهَقُ إذا امتلأ ماء فلم يكن فيه موضع مَزِيدٍ ، كما قال الأعشى :

نَفَى الذَّمَّ عَنْ رَهْطِ المُحَلَّقِ جَفْنَةٌ كَجَابِيَةِ الشَّيْخِ الْعِرَاقِيِّ تَفْهَقُ

كذا يُنْشِدُهُ أهل البصرة ، وتأويله عندهم أن العراقىّ إذا تَمَكَّنَ من الماء ملأ جَابِيَتَهُ لأنه حَضَرِىّ فلا يعرف مواقع الماء ولا مَحَالَّهُ .

قال أبو العباس : وسمعت أعرابية تُنْشِدُ (قال أبو الحسن هى أمُّ الهَيْثَمِ الكلاَبِيَّةُ من ولد المحلَّق وهى راوية أهل الكوفة) كجابية السَّيْحِ تريد النهر الذى يجرى على جابيته ، فماؤها لا ينقطع ، لأن النهر يَمُدُّهُ .

ومثل قول البصريين فيما ذَكَرُوا به « العراقِيّ الشيخ » قولُ الشاعر (قال أبو الحسن هو ذو الرُّمَّة[1]) .

لَهَا ذَنَبٌ ضَافٍ وذِفْرَى أَسِيلَةٌ وَخَدٌّ كِمَرْآةِ الغَرِيبَةِ أَسْجَحُ[2]

يقول إن الغريبة لا ناصح لها فى وجهها، لبعدها عن أهلها، فِمرْآتُها أبدًا مَجْلُوَّةٌ، لفرط حاجتها إليها .

وتصديقُ ما فسَّرناه من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يريد

---

(١) توفى ذو الرمة سنة ١١٧ . (٢) الذفرى : الموضع الذى يعرق من البعير خلف الأذن . والأسيلة الرقيقة ، والأسجح من السجاحة وهى اللين .

الصدقَ فى المَنْطِق ، والقصدَ ، وتركُ مالا يُحْتاجُ إليه ، قولُهُ لجرير بن عبد الله البَجَلِى[1] (يا جَرِيرُ إذا قلت فأوجز ، وإذا بَلَغْتَ حاجتك فلا تتكلف) .



قال أبو العباس : ومما يُؤْثَرُ من حكيم الأخبار ، وبارع الآداب ، ما حُدِّثنا به عن عبد الرحمن بن عَوْفٍ[2] وهو أنه قال : دخلت يوما على أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه فى عِلَّتِهِ التى مات فيها ، فقلت له : أراك بارئاً يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أَمَا إِنِّى على ذلك لَشَدِيدُ الْوَجَعِ ، ولَمَا لقيتُ مِنْكُمْ يَا مَعْشَرَ المُهَاجِرِينَ أَشَدُّ عَلَىَّ مِنْ وَجَعِى ، إِنِّى وَلَّيْتُ أموركم خيرَكم فى نفسى ، فكلُّكم وَرِمَ أَنْفُهُ أن يكون له الأمر من دونه ، والله لَتَتَّخِذُنَّ نَضَائِدَ الدِّيبَاجِ ، وسُتُورَ الحَرِير ، وَلَتَأْلَمُنَّ النَّوْمَ على الصُّوفِ الأذْرَبِىِّ[3] كما يَأْلَمُ أحدُكم النوم على حَسَكِ السَّعْدان ، والذى نفسى بيده لَأَن يُقَدَّمَ أحدُكم فَتُضْرَبَ عُنُقُهُ فى غَيْرِ حَدٍّ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَخُوضَ غَمَرَاتِ الدّنيا ، يا هادىَ الطَّريق جُرْتَ ، إنما هو والله الفَجْرُ ، أو البَجْرُ . فقلتُ : خَفِّضْ عليك يا خليفةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن هذا يَهِيضُك إلى ما بك ، فوالله ما زِلْتَ صَالِحًا مُصْلِحًا ، لاَ تَأْسَ على شىء فاتك من أمر الدنيا ، ولقد تَخَلَّيْتَ بالأمر وحدك فما رأيتَ إلا خيراً .

(١) صحابى جليل كان يقربه رسول الله . وكان فائق الجمال ، ومن أجل ذلك كان يسميه عمر ابن الخطاب يوسف هذه الأمة . وكان يقول ماحجبنى رسول الله منذ أسلمت ، ولا رآنى إلا تبسم .
(٢) عبد الرحمن بن عوف أحد أغنياء الصحابة ، وله حديث طويل فصلناه فى الجزء الثانى من كتاب (التصوف الإسلامى) .
(٣) هـذا يدل على أن الصوف اللين المصقول عرفه الناس منذ زمن بعيد ، وهو غير الصوف الخشن الذى كان يلبسه الرهبان والنساك والذى نسب إليه الصوفية .

قوله نضائد الديباج واحدتها نَضِيدةٌ ، وهى الوسادة ، وما يُنْضَدُ من المتاع ، قال الراجز :

وقَرَّبَتْ خُدَّامُهَا الوَسَائِدَا حَتَّى إذَا مَا عَلَوا النَّضَائِدا

☆ سَبَّحْتُ رَبِّى قَائِمًا وَقاعِدا ☆

وقد تسمى العرب جماعة ذلك النَّضَدَ ، والمعنى واحد ، إنما هو ما نُضِدَ فى البيت من متاع ، قال النابغة :

☆ ورَفَّعتْهُ إلى السَّجْفَيْنِ فالنَّضَدِ ☆

ويقال نَضَدْتُ المتاع إذا ضممت بعضه إلى بعض فهذا أصله . قال الله تبارك وتعالى «لها طَلْعٌ نَضِيدٌ» وقال عزّوجل « فِى سِدْرٍ مَخْضُودٍ ، وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ » ويقال نَضَدْتُ اللَّبِنَ على الميت . وقوله على الصوف الأذربى فهذا منسوب إلى أذْرَبِيجانَ ، وكذلك تقول العرب ، قال الشمَّاخ :

تَذَكَّرْتُهَا وَهْنًا وَقَدْ حَالَ دُونَهَا قُرَى أَذْرَبِيجانَ المَسَالِحِ والجالِ[1]

وقوله « على حَسَكِ السَّعْدانِ » فالسعدان نَبْتٌ كثير الْحَسَك تأكله الإبل فتسمن عليه ، ويغذوها غذاءً لا يوجد فى غيره ، فمن أمثال العرب « مَرْعًى ولا كَالسَّعْدانِ » تفضيلاً له ، قال النابغة :

الْوَاهِبُ الْمِائة الأبْكَارَ زَيَّنَهَا سَعْدَانُ تُوضِحَ فى أوبارها اللِّبَدُ

ويروى فى بعض الحديث أنه يُؤْمَرُ بالكافر يوم القيامة فَيُسْحَبُ على السَّعْدان ، والله أعلم بذلك .

---

(١) المسالح : مواضع المخافة وهى الثغور ، والمفرد مسلحة ، والجال : موضع بأذربيجان ، وهـذا البيت من كلمة قالها الشاعر فى وصف غارة شهدها بسنجال من قرى أذربيجان .

(قال أبو الحسن: السَّعْدان نبت كثير الشوك ، كما ذكر أبو العباس ، ولا ساق له ، إنما هو مُنْفَرِشٌ على وجه الأرض . حدثنا أبو العباس أحمد ابن يحيي الشَّيْبانيّ عن ابن الأعرابي قال: قيل لرجل من أهل البادية ، وخرج عنها : أترجع إلى البادية ؟ فقال : أمّا مادام السَّعْدانُ مُسْتَلْقِياً فلا ، يريد أنه لا يرجع إلى البادية أبداً كما أن السعدان لا يزول عن الاستلقاء أبداً ، وقال أبو على البَصير واسمه الفَضْل بن جعفر - وإن لم يكن بحُجَّة ، ولكنه أجاد فذكرْنا شِعْرَهُ هٰذَا لِجَوْدته لا للاحتجاج به - يمدح عُبَيْدَ الله بن يحيي ابن خاقان و له فقال :

يا وُزَراءَ السلطانِ أنتم وآلُ خاقانِ
كَبَعْضِ ما رَوَيْنَا في سالفات الأزمانِ
ماءٌ ولا كَصَدَّاء مَرْعًى ولا كالسَّعْدانِ

وهذه الأمثال ثلاثة منها قولهم مَرَعًى ولا كالسَّعدان ، وفَتًى ولا كمالِكٍ ، وماء ولا كَصَدَّاء ، تُضْرَبُ هذه الأمثال للشيء الذى فيه فَضْلٌ وغيره أفضلُ منه كقولهم مامن طامَّةٍ إلا فوقها طامَّةٌ ، أى مامن داهيةٍ إلا وفوقها داهيةٌ ، ويقال : طَما الماءُ وطَمَّ إذا ارتفع وزاد ومالك الذى ذكروا هو مالك ابن نُوَيْرَةَ أخو مُتَمِّمِ بن نُوَيْرَةَ[1] ، وصَدَّاءٌ يُعَدٌّ ، وبعضهم يقول صُدًّى ،

(١) متمم بن نويرة هو أشعر الناس جميعاً فى الرثاء ، وأبياته فى أخيه مالك لم يقل مثلها أحد فى مشرق ولا مغرب :

لقد لامنى عند القبور على البكا رفيقى لتذراف الدموع السوافك
فقال أتبكى كل قبر رأيته لقبر ثوى بين اللوى فالدكادك
فقلت له إن الشجى يبعث الشجى فدعنى فهذا كله قبر مالك

فيضم أوله ويَقْصُرُ ، فأمّا أبو العباس محمد بن يزيد ، فإنه قال لم أسمع من من أصحابنا إلا صَدْءاء يَافتى ، وهواسم لماء، معرفةٌ، وهما همزتان بينهما ألف ، والألِف لا تكون إلا ساكنة ، كأنك قلت صَدْعاع يا هذا) .

وقوله إنما هو والله الفجر أو البَجْرُ[1] يقول إن انتظرتَ حتى يُضِيء لك الفجرُ الطريقَ أبصرتَ قَصْدَك ، وإن خَبَطْتَ الظَّلْماء ، وركبتَ العَشْواء ، هَجَما بك على المكروه ، وضَرَبَ ذلك مَثَلاً لغَمَرات الدنيا ، وتحييرها أهلها . وقوله يَهِيضُكَ مأخوذ من قولهم هِيضَ العَظْمُ إذا جُبِرَ ثم أصابه شيء يُعْنِتُهُ فآذاه فكسره ثانية ، أو لم يَكْسِرْهُ ، وأكثر ما يستعمل في كَسْرِهِ ثانيةً ، ويقال عظم مَهِيضٌ ، وَجَناح مَهِيضٌ في هذا المعنى . ثم يشتق لغير ذلك ، وأصله ماذكرت لك، فمن ذلك قول عمر بن عبدالعزيز رحمه الله لما كَسَرَ يزيد ابن المُهَلَّب سجْنه وهَرَبَ ، فكتب إليه : لَوْ عَلِمْتُ أنَّكَ تَبْقَى مَا فَعَلْتُ وَلٰكِنَّكَ مَسْمُومٌ وَلم أكُنْ لِأَضَعَ يَدِى فى يَدِ ابن عاتكة (هو يزيدُ ابن عبد المَلِك بن مَرْوانَ وأمه عاتكة بنت يزيد بن مُعاوية ولّى المُلْكَ بعد عمر ابن عبد العزيز ، ولا يُعْلَمُ أَحَدٌ أعْرَقُ فى الخلافة منه) فقال عمر « اللّهُمَّ إنَّهُ قَدْ هَاضَنِى فَهِضْهُ » فهذا معناه .

وقوله فكلّكم وَرِمَ أنفُهُ ، يقول امتلأ من ذلك غَضَباً ، وذكر أنفه دون السائر كما يقال فلان شامخ بأنفه ، يريد رافع رأسه ، وهذا يكون من الغضب كما قال الشاعر :

☆ ولا يُهَاجُ إذا ما أنفُهُ وَرِمَا ☆

(١) البجر هو الشر أو الأمر العظيم .

أى لاَ يُكَلِّمُ عند الغضب ، ويقال للمائل برأسه كِبْرًا : مُتَشَاوِسٌ ، وثَانِى عِطْفِه وثانِى جِيدِهِ ، إنما هذا كله من الكِبْرِياء . قال الله عز وجل « ثَانِىَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ » وقال الشَّمَّاخُ (يهجو الرُّبَيْعَ بن عِلْبَاء السُّلَمِىَّ) :

نُبِّئْتُ أَنْ رُبَيْعًا أَنْ رَعَى إِبِلاً ... يُهْدِى إِلَىَّ خَنَاهُ ثَانِىَ الجِيدِ

وقوله أراكَ بارِئًا يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون من بَرِئْتُ من المرض وبَرَأْتُ ، كلاهما يقال ، فمن قال بَرِئْتُ قال أَبْرَأُ يا فتى لا غير ، ومن قال بَرَأْتُ . قال فى المضارع أَبْرَأُ وَأَبْرُؤُ يا فتى ، مِثْلَ فَرَغَ يَفْرَغَ وَيفْرُغُ ، والآية تُقْرَأ على وجهين « سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلاَنِ » وسَنَفْرَغُ والمصدر فيهما البُرْءُ يا فتى .

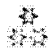


ومما روى لنا عنه رضى الله عنه حيث عَهِدَ عند موته وهو :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما عَهِدَ به أبو بكر خليفةُ محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم عند آخر عَهْدِهِ بالدنيا ، وأولِ عَهْدِهِ بالآخرة ، فى الحال التى يُؤْمِنُ فيها الكافر ، ويَتَّقِى فيها الفاجر ، إنى أستعملتُ عليكم عمر بن الخطاب فإن بَرَّ وعَدَلَ فذلك عِلْمِى به ، ورأيى فيه ، وإن جار وبَدَّلَ فلا عِلْمَ لى بالغيب والخيرَ أَرَدْتُ ، وَلِكُلِّ أمْرِئٍ مَا أَكْتَسَبَ ، وَسَيَعْلَمُ الذين ظلموا أَىَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ » .

نُصِبَ أىّ بقوله يَنْقَلِبون ولا يكون نَصْبها بسيعلم لأن حروف الاستفهام إذا كانت أسماءً أمتنعت مما قبلها كما يمتنع ما بعد الألف من أن يَعْمَلَ فيه

ما قبله ، وذلك نحو قولك « علمتُ زيداً منطلقاً » فإن أدخلتَ الألف قلتَ « علمتُ أزيدٌ منطلقٌ أم لا » فأيٌّ بمنزلة زيدٍ الواقع بعد الألف . ألا ترى أن معناها : أذا أم ذا . وقال الله عزّ وجل « لِنَعْلَمَ أيُّ الحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا » لأن معناها : أهذا أم هذا ؟ وقال تعالى : « فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا » على ما فسرتُ لك ، وتقولُ أَعْلَمُ أَيُّهُمْ ضَرَبَ زَيْدًا ، وأَعْلَمُ أَيَّهُمْ ضرب زيدٌ، تنصب أيًّا بِضَرَبَ لأن زيدا فاعل، فإنما هذا لما بعده ، وكذلك ما أضيف إلى اسم من هذه الأسماء المُسْتَفْهَم بها نحو « قد علمتُ غلامُ أيِّهِمْ في الدار ، وقد عرفتُ غُلامُ مَنْ في الدار ، وقد علمتُ غلامَ مَنْ ضربتَ » فتنصبه بضربتَ فعلى هذا مَجْرَى الباب .

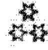


ومما يُؤْثَرُ من هذه الآداب ويُقَدَّم قَولُ عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في أول خُطْبَة خَطَبها ، حدثنا العُتْبِيُّ قال لم أرَ أقلَّ منها في اللفظ ، ولا أكثر في المعنى ، حَمِدَ الله وأثنى عليه وهو أهله ، وصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال :

« أيها الناس ، إنَّهُ وَاللهِ مَا فيكُمْ أَحَدٌ أَقْوَى عِنْدِي مِنَ الضَّعِيفِ حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ لَهُ ، وَلاَ أَضْعَفُ عِنْدِي مِنَ الْقَوِيِّ حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُ » .

ثم نزل . وإنما حَسُنَ هذا القولُ مع ما يستحقه من قِبَلِ الاختيار بما عَضَدَهُ به من الفعل المشاكل له .

(قال أبو الحسن : قد رَوَيْنَا هذه الخطبة التى عزاها إلى عمر بن الخطاب عن أبى بكر رضى الله عنهما ، وهو الصحيح) .



قال أبو العباس ومن ذلك رسالته فى القضاء إلى أبى موسى الأشعرىّ وهى التى جَمَعَ فيها جُمَلَ الأحكام ، واختصرها بأجود الكلام ، وجَعَل الناسُ بعده يتخذونها إمامًا ، ولا يَجِدُ مُحِقٌّ عنها مَعْدِلا ، ولا ظالمٌ عن حدودها مَحِيصاً ، وهى :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قَيْسٍ ، سلامٌ عليك ، أما بعد فإن القَضَاء فَرِيضَةٌ مُحْكَمَةٌ ، وسُنَّةٌ مُتَّبَعَةٌ ، فافْهَمْ إذا أدْلِىَ إليْكَ ، فإنه لاَ يَنْفَعُ تَكَلُّمٌ بحقٍّ لاَ نفاذ له ، آسِ بَيْنَ النَّاسِ فى وَجْهِكَ ، وعَدْلك ، ومَجْلِسِك ، حتَّى لا يَطْمَعَ شريفٌ فى حَيْفك ، ولا يَيْأَسَ ضعيفٌ من عدلك ، البيِّنَةُ على مَنِ ادَّعَى ، واليمين على من أنكر ، والصلح جائز بين المسلمين ، إلاَّ صُلْحًا أحَلَّ حَرَامًا أَوْ حَرَّمَ حَلاَلاً ، لا يمنعنَّك قَضَاءٌ قضيتَهُ اليومَ فَرَاجَعْتَ فيه عَقْلَكَ ، وهُدِيتَ فيه لِرُشْدك ، أن تَرْجِعَ إلى الحق ، فإن الحق قديمٌ ، ومراجعةُ الحق خير من التمادى فى الباطل ، الفَهْمَ الفَهْمَ فيما تَلَجْلَجَ فى صدرك مما ليس فى كتاب وَلاَ سُنَّةٍ ، ثم اعْرِفْ الأَشْبَاهَ وَالأَمْثَالَ ، فَقِسِ الأمُور عند ذلك ، واعْمِدْ إلى أقربها إلى الله ، وأشبهها بالحق ، واجْعَلْ لِمِنِ ادَّعَى حَقًّا غائباً أو بينةً أَمَداً ينتهى إليه ، فإن أحضر بينته أخذتَ له بحقه ، وإلاَّ اسْتَحْلَلْتَ عليه القضيةَ فإنه أنْفى

للشك ، وأَجْلَى للعمى . المسلمون عُدُولٌ بعضُهم على بعض إلاَّ مَجْلودًا فى حدٍّ أو مُجرَّبًا عليه شهادةُ زُورٍ ، أو ظَنِيناً فى ولاء ، أو نَسَبٍ ، فإن الله تَوَلَّى منكم السرائر ، ودَرَأ بالبينات والأيمان ، وإياك والغَلَقَ ، والضَّجَرَ ، والتَّأذِّى بالخصوم ، والتَّنَكُّرَ عند الخصومات ، فإن الحق فى مواطن الحق يُعْظِمُ الله به الأجر ، ويُحْسِنُ به الذُّخْرَ ، فمن صَحَّتْ نِيَّتُهُ ، وأَقْبَلَ على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس ، ومن تَخَلَّقَ للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شانَهُ الله ، فما ظنك بثواب عند الله عزّ وجل فى عاجِلِ رزقه وخزائن رحمته ، والسلام . »

قال أبو العباس : قوله آس بين الناس فى وجهك وعدلك ومجلسك ، يقول : سَوِّ بينهم ، وتقديره اجعل بعضهم أُسْوَةَ بعضٍ ، والتَّأَسِّى من ذا أن يَرَى ذُو البَلاء مَنْ به مِثلُ بَلائه ، فيكونَ قد ساواه فيه فيُسَكِّنَ ذلك من وَجْدِهِ ، قالت الخَنْسَاء :

فَلَوْلاَ كَثْرَةُ الْبَاكِينَ حَوْلِى ... عَلَى إخْوَانِهِمْ لَقَتَلْتُ نَفْسِى
وَمَا يَبْكُونَ مِثْلَ أَخِى وَلٰكِنْ ... أُعَزِّى النَّفْسَ عَنْهُ بِالتَّأَسِّى
يُذَكِّرُنِى طُلُوعُ الشَّمْسِ صَخْرًا ... وَأَذْكُرُهُ لِكُلِّ غُرُوبِ شَمْسِ

تقول أذكره فى أوّل النهار للغارَة ، وفى آخره للضِّيفان . وتَمَثَّلَ مُصْعَبُ ابن الزُّبَيْرِ يومَ قُتِلَ بهذا البيت :

وَإنَّ الأُلَى بِالطَّفِّ مِنْ آلِ هَاشِمٍ ... تَآسَوْا فَسَنُّوا لِلْكِرَامِ التَّآسِيَا(١)

(١) الطف : اسم موضع .

وقوله حتى لا يَطْمَعَ شريفٌ فى حَيْفك يقول فى مَيْلك معه لشرفه ، وقوله فيما تَلَجْلَجَ فى صدرك يقول تَرَدَّدَ ، وأصل ذلك المُضْغَةُ والأُكْلَةُ يُرَدِّدُها الرجلُ فى فِيهِ فلا تزال تتردد إلى أن يُسِيغَها أو يَقْذِفَها ، والكلمة يرددها الرجل إلى أن يَصِلَها بأخرى ، يقال لِلْعَيِيِّ لَجْلاَجٌ ، وقد يكون من الآفة تَعْتَرِى اللسان . قال زُهَيْرٌ :

تُلَجْلِجُ مُضْغَةً فِيهَا أَنِيضٌ أَصَلَّتْ فَهِيَ تَحْتَ الكَشْحِ دَاءُ

وقوله أنيضٌ أى لم تَنْضَجْ ، ومن أمثال العرب « الحقُّ أَبْلَجُ والباطل لَجْلَجٌ » أى يتردد فيه صاحبه فلا يصيب مَخْرَجًا ، وقوله أو ظَنِينًا فى وَلاءٍ ، أو نسب ، فهو المُتَّهَمُ وأصله مَظْنُون ، وهى ظننت التى تتعدى إلى مفعول واحد ، تقول ظننت بزيد ، وظننت زيدًا أى اتَّهَمْتُ ، ومن ذلك قول الشاعر ، وأَحْسَبُهُ عبد الرحمن بن حَسَّان :

فَلاَ وَيَمِينِ اللّٰهِ مَا عَنْ جِنَايَةٍ هُجِرْتُ وَلٰكِنَّ الظَّنِينَ ظَنِينُ

وفى بعض المَصَاحف « وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ » وإنما قال عمر رضى الله عنه ذلك لِمَا جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم « مَلْعون مَلْعون من انْتَمَى إلى غير أبيه ، أو ادَّعَى إلى غير مَوَاليه » فلما كانت معه الإقامةُ على هذا لم يره للشهادة موضعاً ، وقوله وَدَرأَ بالبينات والأيمان إنما هو دَفَعَ ، من ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « ادْرَءُوا الْحُدُودَ بِالشُّبُهَاتِ » وقال الله عز وجل « قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ المَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ » وقال « فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا » أى تَدَافَعْتُمْ .

وأما قوله وإياكَ والغَلَقَ والضّجَرَ فإنه ضيقُ الصدر، وقلة الصبر، يقال في سوء الخُلُقِ رجل غَلِقٌ، وأصل ذلك من قولهم أُغْلِقَ عليه أمرُهُ إذا لم يَتَّضِح ولم ينفتح، من ذلك قولهم غَلِقَ: الرّهْنُ أى لم يوجد له تخلُّصٌ، وأغْلَقْتُ البابَ من هذا، قال زُهَيْرٌ:

وَفارَقَتْكَ بِرَهْنٍ لاَ فَكَاكَ لَهُ　　يَوْمَ الْوَدَاعِ فَأَمْسَى الرَّهْنُ قَدْ غَلِقَا

وقوله ومن تَخَلَّقَ للناس يقول أظْهَرَ للناس فى خُلُقِهِ خلافَ نيته، وقوله تَخَلَّقَ يريد أظْهَرَ خُلُقاً مثل تَجَمَّلَ يريد أظهر جَمالا وتَصَنَّعَ، وكذلك تَجَبَّرَ إنما تأويله الاظهار أى أظهر جَبَرِيَّةً (وإن شئت جَبَرُوَّة، وإن شئت جَبَروتاً، وإن شئت جَبَرُوتَى، ومن كلام العرب على هذا الوزن رَهَبُوتَى خير لك من رَحَمُوتَى، أى لأَنْ تُرْهَبَ خيرٌ لك من أن تُرْحَمَ[1]). قال أبو العباس وأنْشَدونا عن أبى زيد (الشعر لسالم بن وابِصَةَ الْأَسَدِىِّ):

يا أيها المُتَحَلِّى غَيْرَ شيمَتِهِ　　(وَمِنْ سَجِيَّتِهِ الْإِدْغَالُ وَالْمَلَقُ

دَعِ التَّخَلُّقَ يَبْعُدْ عَنْكَ أَوَّلُهُ)　　إِنَّ التَّخَلُّقَ يَأْتِى دُونَهُ الْخُلُقُ

وَلاَ يُؤَاتِيكَ فِيما نَابَ مِنْ حَدَثٍ　　إِلاَّ أَخُو ثِقَةٍ فَانْظُرْ بِمَنْ تَثِقُ

قال وأنْشَدَتْنِى أُمُّ الْهَيْثَمِ الكِلاَبِيَّةُ:

وَمَنْ يَتَّخِذْ خِيماً سِوَى خِيمِ نَفْسِهِ　　يَدَعْهُ وَيَغْلِبْهُ عَلَى النَّفْسِ خِيمُهَا

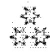
---

(١) تذكر دائماً أن ما يقع بين قوسين هو فى الأغلب من كلام الأخفش.

وقال ذو الإصبع العَدْوَانِيُّ (ذو الإصبع اسمه حُرْثَانُ بن الحَارِثِ بْنِ مُحَرِّثٍ ، وقيل له ذو الإصبع لأن أفعى نَهَشَتْ إصبعه) :

كُلُّ امْرِئٍ رَاجِعٌ يَوْمًا لِشِيمَتِهِ ... وَإِنْ تَمَتَّعَ أَخْــلاقًا إِلَى حِينِ

وأما قوله ثواب فاشتقاقه من ثابَ يَثُوبُ إذا رَجَع وتأويله ما يَثُوبُ إليك من مُكافأة الله وفضله .



وكتب عثمان بن عَفَّان إلى علىّ بن أبى طالب رضى الله عنهما حين أُحيطَ به :

« أما بعد : فإنه قد جاوزَ المـاءُ الزُّبَى ، وبَلَغَ الحزامُ الطُّبْيَيْنِ ، وتجاوزَ الأمرُ بى قَدْرَهُ ، وطَمِعَ فِيَّ من لا يَدْفَعُ عن نفسه :

فَإِنْ كُنتُ مَأْكُولاً فَكُنْ خَيْرَ آكِلٍ ... وَإِلاَّ فَأَدْرِكْنِى وَلَمَّا أُمَزَّقِ »

قوله قد جاوز المـاء الزبى ، فالزُّبْيَةُ مَصيدة الأسد ، ولا تُتَّخَذُ إلا فى قُلَّةٍ ، أو رَابيةٍ ، أو هضْبَةٍ . قال الراجز :

(فَأَنْتَ وَالأَمْرُ الَّذِى قَدْ كِيدَا) ... كَاللَّذْ تَزَبَّى زُبْيَةً فَاصْطِيدَا

وقال الطِّرِمَّاحُ :

يَاطَيِّئَ السَّهْلِ وَالأجْبَالِ مَوْعِدُكُمْ ... كَمُبْتَغِي الصَّيْدِ أَعْلَى زُبْيَةِ الأَسَدِ

(ويروى : فى عِرِّيسَةِ الأَسَدِ) وتقول العرب قد عَلاَ المـاءُ الزُّبَى ، وقد بَلَغَ السِّكِّينُ العَظْمَ ، وبَلَغَ الحِزامُ الطُّبْيَيْنِ ، وقد انقطع السَّلَى فى البطن ، فالسَّلَى من المرأةِ والشاةِ ما يَلْتَفُّ فيه الولدُ فى البطن . قال العَجَّاجُ :

☆ فَقَدْ عَلاَ المَاءُ الزُّبَى فَلاَ غِيَرْ ☆

أى قد جَلَّ الأمرُ عن أن يُغيَّرَ ويُصْلَحَ . وقوله: وبلغ الحزام الطبيين ، فإن السِّباع والخيل يقال لمواضع الأَخْلاف منها أَطْباء يا فتى ، واحدها طُبْىٌ كما يقال فى الظِّلْف والْخُفِّ خِلْفٌ ، هذا مكانُ هذا ، فإذا بلغ الحزامُ الطبيين فقد انتهى فى المكروه ، ومثل هذا من أمثالهم : التقَتْ حلْقَتَا البِطَان ، ويقولون التقتْ حلْقتا البطان والحَقَبُ ، ويقال حَقِبَ البعيرُ إذا صار الحزامُ فى الحَقَب . قال الشاعر : (قال أبو بكر هو الوليدُ بن يَزيدَ بن عبد المَلِك ، وأوله :

سُلَيْمَى تِلْكَ فى الْعِيرِ ... قِفِى إنْ شِئْتِ أَوْ سِيرِى
فَلَمَّا أَنْ بَدَا الصُّبْحُ ... بِأَصْـــوَاتِ الْعَصَافِيرِ
خَرَجْـــنَا نَبْتَغِي الصَّيْدَ ... بِأَمْـــثَالِ الْيَعَافِيرِ
إِذَا مَا حَقَبٌ جَالَ ... شَـــدَدْنَاهُ بِتَصْدِيرِ
(زَجَرْنَا الْعِيسَ فَارْمَدَّتْ ... بِإِهْـــدَابٍ وَتَشْمِيرِ)

وقال أَوْس بن حَجَرٍ :

وَازْدَحَمَتْ حَلْقَتَا الْبِطَانِ بِأَقْوَا ... مٍ وَطَارَتْ نُفُوسُهُم جَـــزَعَا

وتَمَثُّلُهُ بالبيتِ يشاكِلُ قولَ القائل :

فَإِنْ أَكُ مَقْتُولاً فَكُنْ أَنْتَ قَاتِلِي ... فَبَعْضُ مَنَايَا الْقَوْمِ أَكْرَمُ مِنْ بَعْضِ



ويروى عن قَنْبَرٍ مَوْلى علىّ بن أبي طالب رضى الله عنه أنه قال: دخلتُ مع علىّ بن أبي طالب على عثمان بن عَفَّان رضى الله عنهما فأحَبَّا الخَلْوَةَ ، فأَوْمأ إلىّ علىٌّ بالتَنَحِّى فتَنَحَّيْتُ غيْرَ بَعيدٍ ، فَجَعَلَ عثمانُ يعاتب عليًّا وعلىٌّ مُطْرِقٌ، فأَقْبَلَ عليه عثمانُ فقال : ما بالك لا تقول ؟ فقال : إن قلتُ لم أقل إلا ما تَكْرَهُ ، وليس لك عندى إلا ما تُحِبُّ .

تأويل ذلك : إن قلتُ اعْتَدَدْتُ عليك بمثل ما اعتددتَ به علَىَّ فَلَذَعَك عِتابى ، وعَقْدى ألاَّ أَفْعلَ ـ وإن كنتُ عاتباً ـ إلا ما تُحِبُّ .



وَتَحَدَّثَ ابن عائشة فى إسناد ذكره أن عليا رضى الله عنه انتهى إليه أن خيلا لمعاوية وردت الأَنْبار فَقَتلوا عاملا له يقال له حَسَّانُ بن حسان ، فخرج مُغْضَباً يَجُرُّ ثوبَهُ حتى أتى النُّخَيْلَةَ ، وأُتبعه الناس فرَقِىَ رَبَاوَةً من الأرض ، فَحَمِدَ الله وأثنى عليه ، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

أما بعد فإن الجهادَ بابٌ من أبواب الجنة ، فَمَنْ تركه رَغْبَةً عنه أَلْبَسَهُ اللهُ الذُّلَّ ، وسِيماَ الخَسْفِ ، ودُيِّثَ بالصَّغار ، وقد دعوتكم إلى حَرْب هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً ، وسرًّا وإعْلاناً ، وقلتُ لكم اغزوهم من قبل أن يَغْزُوكم ، فوالذى نفسى بيده ما غُزِىَ قومٌ قَطُّ فى عُقْرِ دارهم إلاّ ذَلُّوا ، فتخاذلتم ، وَتوَاكَلْتُمْ ، وثَقُلَ عليكم قولى ، واتخذتموه وراءكم ظِهْرِيًّا، حتى شُنَّتْ عليكم الغاراتُ . هذا أخو غامدٍ قد وَرَدَتْ خَيْلُهُ الأنبار ، وقتَلوا حَسَّان بن حَسَّان،

ورجالاً منهم كثيراً ونساء ، والذى نفسى بيده لقد بلغنى أنه كان يُدْخَلُ على المرأة المُسْلمة والمُعاهِدة ، فتُنْتَزَعُ أحجالهما ورُعُثُهُمَا ، ثم انصرفوا مَوْفُورين لم يُكْلَمْ منهم أحدٌ كَلْماً ، فلو أن امْرَأً مسلماً مات من دون هذا أسَفا ما كان عندى فيه مَلُومًا ، بل كان به عندى جَدِيراً ، يا عَجبا كلَّ العَجَب ، عَجَبٌ يُميت القلب، وَيَشْغَل الفهْمَ ، ويُكْثِر الأحزان، من تَضَافُرِ هؤلاء القوم على باطلهم ، وفَشَلِكُمْ عن حقكم ، حتى أصبحتم غَرَضًا تُرْمَوْنَ ولا تَرْمُونَ ، وَيغارُ عليكم ولا تُغيرونَ ، ويُعْصَى اللهُ عزّ وجل فيكم وتَرْضَوْنَ . إذا قلتُ لكم أغزوهم فى الشتاء قلتم هذا أَوَانُ قُرٍّ وصِرٍّ ، وإن قلتُ لكم أُغْزُوهم فى الصيف قلتم هذه حَمَارَّةُ القَيْظِ أنظِرْنَا يَنْصَرِم الحَرُّ عنا ، فإذا كنتم من الحر والبرد تَفِرُّون ، فأنتم والله من السَّيْفِ أفَرُّ يا أشْباهَ الرجال ولا رجال ، ويا طَغَامَ الأحْلام ، ويا عُقُولَ ربَّاتِ الحِجالِ ، والله لقد أفسدتم عَلَيَّ رأيى بالْعِصْيان ، ولقد ملأتم جَوْفِى غَيْظًا حتى قالت قُرَيْشٌ : ابن أبى طالب رجل شجاع ، ولكن لا رَأْىَ له فى الحرب . لله دَرُّهُمْ ومَنْ ذا يكونُ أعلَم بها منى ، أو أشدَّ لها مِراساً ، فوالله لقد نَهَضْتُ فيها ، وما بَلَغْتُ الْعِشْرين ، ولقد نَيَّفْتُ اليوم على الستين ، ولكن لا رأى لمن لا يُطاع ـ يقولها ثلاثا ـ فقام إليه رجل ومعه أخوه (الرجل وأخوهُ يُعرفان بِابْنَىْ عَفِيفٍ من الأنصار) ، فقال يا أمير المؤمنين : أنا وأخى هذا كما قال الله تعالى « رَبِّ إنّى لاَ أمْلكُ إلاَّ نَفْسى وأخى » فَمُرْنَا بأمرك ، فوالله لنَنْتَهِيَنَّ إليه ، ولو حال بيننا وبينه جَمْرُ الغَضَى ، وشَوْكُ القَتَادِ ، فَدَعا لهما بخير ، ثم قال لهما : وأين تقَعَانِ مما أريد . ثم نَزَلَ .

قال أبو العباس قوله سِيما الخَسْفِ . قال هكذا حدّثوناه ، وأظنه سِيمَ الخَسْفَ يا هذا، من قول الله عزّ وجل « يَسُومُونَكُمْ سُوءَ العذابِ » ومعنى قوله سِيما الخسفِ تأويله عَلامَةٌ ، هذا أصل ذا . قال الله عزّ وجل : « سِيَاهُمْ فى وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ » ، وقال عز وجلّ : « يُعْرَفُ المُجْرِمُونَ بِسِيَاهُمْ » .

وقال أبو عبيدة فى قوله عز وجل « مُسَوِّمِينَ » قال : مُعْلِمِينَ واشتقاقه من السِّيَا التى ذكرنا ، ومن قال : مُسَوَّمِينَ ، فإنما أراد مُرْسَلِينَ: من الإبل السائمة : أى المُرْسَلَةِ فى مراعيها ، وإنما أخذ هذا من التفسير ، وقال المفسرون فى قوله تعالى: (والخَيْلِ المُسَوَّمَةِ) القولين جميعاً من العلامة والارسال ، وأما قوله عز وجل : (حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ مُسَوَّمَةً عِنْدَ ربك) فلم يقولوا فيه إلا قولاً واحداً . قالوا : مُعْلَمَةً ، وكان عليها أمثالُ الخَوَاتيم ، ومن قال سِيا قَصَر ، ويقال فى هذا المعنى سِيمِياء ، ممدود ، قال الشاعر : (وهو ابن عَنْقاء الفَزَارِىُّ فى عُمَيْلَةَ الفَزَارِىِّ) :

غُـلامٌ رَمَاهُ الله بالحُسْنِ يَافِعاً ... لَهُ سِيمِياءُ لاَ تَشُقُّ عَلَى الْبَصَرْ
(كأَنَّ الثُّرَيَّا عُلِّقَتْ فِى جَبِينِهِ ... وَفِى أَنْفِهِ الشِّعْرَى وَفِى جِيدِهِ الْقَمَرْ)

وقوله : وقتَلُوا حَسَّانَ بن حَسَّان من أخذَ حَسَّاناً من الحُسْنِ صَرَفَهُ لأن وزنه فَعَّالٌ فالنون منه فى موضع الدال من حَمَّادٍ ، ومن أخَذَهُ من الحَسِّ لم يَصْرِفْهُ لأنه حينئذ فَعْلانُ فلا ينصرف فى المعرفة ، وينصرف فى النكرة ، لأنه لَيْسَتْ لَهُ فَعْلَى فهو بمنزلة سَعْدانٍ وسرْحانٍ .

وقوله : دُيِّثَ بالصَّغار ، تأويله ذُلِّلَ ، يقال للبعير إذا ذَلَّلَتْهُ الرياضةُ بعير مُدَيَّثٌ أي مذلل .

وقوله : فى عُقْرِ دارهم ، أى فى أصل دارهم والعُقْرُ الأصل ، ومِنْ ثَمَّ قيل : لفلان عَقار ، أى أصل مال ، ويروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : مَنْ بَاعَ داراً أَوْ عَقَاراً فلم يَرْدُدْ ثَمَنَهُ فى مثله فذلك مال قَمِنٌ أَلَّا يُبارَكَ له فيه ، وقوله قَمَنٌ يريد خَليقٌ ، ويقال أيضاً قَمِن وقَمِنٌ (قال أبو الحسن : من قال قَمَنٌ لم يُثَنِّ ولم يَجْمَعْ[1] ، ومَنْ قال قَمِنٌ وقَمِينٌ ثَنَّى وجَمَعَ) ويقال للرجل إذا اتخذ ضَيْعَةً ، أو دارًا تَأَثَّلَ فلانٌ أى اتَّخَذَ أصلَ مالٍ .

وقوله وتَوَاكَلتم : إنما هو مشتق من وَكَلْتُ الأمرَ إليكَ ووَكَلْتَهُ أنت إلىَّ أى لم يَتَوَلَّهُ واحدٌ منا دون صاحبه ولكن أحالَ به كلُّ واحدٍ منا على الآخر ، ومن ذلك قول الحُطَيْئَةِ :

فَلَأْيًا قَصَرْتَ الطَّرْفَ عَنْهُمْ بِجَسْرَةٍ أَمُونٍ إذَا وَاكَلْتَهَا لا تُوَاكِلُ

وقوله : « وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا » أى رميتم به وراء ظهوركم أى لم تلتفتوا إليه ، ويقال فى المَثَل : لا تَجْعَلْ حاجتى منك بظَهْرٍ ، أى لا تطرَحها غير ناظر إليها .

وقوله : حتى شُنَّتْ عليكم الغاراتُ يقول صُبَّتْ ، يقال شَنَنْتُ الماءَ على رأسه : أى صَبَبْتَهُ ، وشَنَنْتُ الشراب فى الإناء أى صَبَبْتُهُ ، ومن كلام العرب : فلما لَقِيَ فلانٌ فلانا شَنَّهُ السيفَ ، أى صبَّهُ عليه صَبًّا .

وقوله : هذا أخو غامدٍ ، فهو رجل مشهور من أصحاب معاوية من بنى

(١) أى لأنه أراد المصدر ، فيقال : هما قمن ، وهم قمن .

غامد بن نَصْر بن الأَزْد بن الغَوْث ، وفى هذه القبيلة يقول القائل :

أَلَا هَلْ أَتَاهَا عَلَى نَأْيِهَا   بِمَا فَضَحَتْ قَوْمَهَا غامِدُ

تَمَنَّيْتُمُ مِائَتَيْ فَارِسٍ   فَرَدَّ كُمْ فَارِسٌ وَاحِــدُ

(هُوَ رَبِيعَةُ بْنُ مُكَدَّمٍ)

فَلَيْتَ لَنَا بِارْتِبَاطِ الْخُيُو   لِ ضَأْنًا لَهَا حَالِبٌ قَاعِدُ

وقوله : فَتُنْتَزَعُ أحجالُهُما ، يعنى الخَلاخيل ، واحدها حِجْل ، ومن هذا قيل للدابة مُحَجَّلٌ ، ويقال للقيد حِجْل لأنه يقع فى ذلك الموضع ، قال جَرِيرٌ : يُعَيِّر الفَرَزْدَقَ حين قَيَدَّ نَفسه ، وأقسم ألا يَحُلَّها حتى يَحْفَظَ القرآن ، فلما هاجَى جرير البَعيثَ هجا الفرزدقُ جريراً مَعُونَةً للبعيث وذَبًّا عن عَشِيرَتِه ، فقال جرير :

وَلَمَّا اتَّقَى الْقَيْنُ الْعِرَاقِيُّ بِاسْتِهِ   فَرَغْتُ إلى الْعَبْدِ الْمُقَيَّدِ فِى الْحِجْلِ

(يعنى بقوله : ولما اتقى القين العراقى باسته البعيثَ ، وسَمَّاهُ القينَ لأنه من رَهْطِ الفرزدق) ومعنى فرغت عَمَدْتُ . قال الله عزّ وجل : سَنَفْرُغُ لكم أيُّها الثَّقَلان . أى سَنَعْمِدُ (تَمِيمٌ تقول فَرَغَ يَفْرَغُ فَرَاغًا ، وأهل العالية وهم قُرَيْشٌ ، ومَنْ والاها يقولون فَرَغَ يَفْرُغُ فُرُوغًا) وقوله : ورُعُثُهُمَا الواحدة رَعْثَةٌ ، وجمعها رِعاثٌ ، وجمع الجمع رُعُثٌ ، وهى الشُّنُوف .

وقوله : ثم انصرفوا مَوْفورين من الوَفْرِ ، أى لم يُنَلْ أحدٌ منهم بأن يُرْزَأَ فى بَدَنٍ ولا مالٍ ، يقال فلانٌ مَوْفور ، وفلان ذو وفْرٍ : أى ذو مال ، ويكون مَوْفوراً فى بدنه إذا ذكرما أصيب به غيرُه فى بدنه . قال حاتم الطائىُّ :

وَقَدْ عَلِمَ الْأَقْوَامُ لَوْ أَنَّ حَاتِمًا ... أَرَادَ ثَرَاءَ الْمَالِ كَانَ لَهُ وَفْرُ

ويروى : أمسَى له وَفْر.

وقوله : لم يُكْلَمْ أحد منهم كَلْماً : يقول لم يُخْدَشْ أحدٌ منهم خَدْشاً ، وكلُّ جُرْحٍ صَغُرَ أو كَبُر فهو كَلْمٌ . قال جرير :

تَوَاصَتْ مِنْ تَكَرُّمِهَا قُرَيْشٌ ... بِرَدِّ الْخَيْلِ دَامِيَةَ الْكُلُومِ

وقوله : مات من دون هذا أسَفاً ، يقول تحسُّرًا ، فهذا موضع ذا ، وقد يكون الأسَفُ الغضبَ . قال الله عزّ وجل : « فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ » والأَسِيفُ يكون الأجيرَ ، ويكون الأسيرَ ، فقد قيل فى بيت الأعْشَى :

أَرَى رَجُلاً مِنْهُمْ أَسِيفاً كَأَنَّمَا ... يَضُمُّ إِلَى كَشْحَيْهِ كَفًّا مُخَضَّبَا

المشهور أنه من التأسف لقطع يده ، وقيل بل هو أسير قد كُبِلَتْ يَدُهُ ، ويقال قد جرَحهَا الغُلُّ ، والقول الأول هو المُجْتَمَعُ عليه ، ويقال فى معنى أسيفٍ عَسِيفٌ أيضاً .

وقوله من تَضَافُرِ هؤلاء القوم على باطلهم ، يقول من تَعَاوُنِهِمْ وتَظَاهُرِهِمْ

وقوله : وفَشِلِكُمْ عن حقكم ، يقال : فَشِلَ فلانٌ عن كذا إذا هابه فنَكَلَ عنه ، وامتنع من المُضِيِّ فيه .

وقوله قلتم هذا أوانُ قُرٍّ وصِرٍّ فالصِّرُّ شدة البرد ، قال الله عزّ وجل : « كَمَثَلِ رِيحٍ فيها صِرٌّ » .

وقوله : هذه حَمَارَّةُ القَيْظِ فالقَيْظُ الصيف ، وحَمَارَّتُهُ اشتداد حره واحْتِدامُهُ ، وحَمَارَّةٌ مما لا يجوز أن يحتج عليه ببيت شِعْرٍ لأن كل ما كان

فيه من الحروف التقاء ساكنين لا يقع في وَزْنِ الشعر إلا في ضَرْبٍ منه يقال له المُتَقَارِبُ فإنه جُوِّزَ فيه على بُعْدِ التقاءِ الساكنين ، وهو قوله :

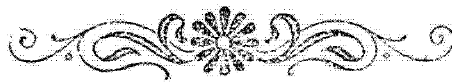
فَذَاكَ القِصَاصُ وَكَانَ التَّقا ... صُّ فَرْضاً وَحَتْماً عَلَى المُسْلِمِينَا

ولو قال وكان القصاص فرضاً كان أجود وأحسن ، ولكن قد أجازوا هذا في في هذه العَرُوض ، ولا نظير له في غيرها من الأعاريض .

وقوله : ويا طَغَامَ الأحلامِ فمجازُ الطَّغامِ عند العرب مَنْ لا عَقل له ، ولا معرفة عنده ، وكانوا يقولون طَغامُ أهلِ الشأم كما قال :

(إذَا مَا كَانَ مِثْلُهُمْ رِجَامًا) ... فَمَا فَضْلُ اللَّبِيبِ عَلَى الطَّغَامِ

وقوله : ويا عقولَ رَبَّاتِ الحِجال يَنْسُبُهُمْ إلى ضَعْفِ النساء وهو السائر في كلام العرب . قال الله تعالى يذكر البنات : (أَوَمَنْ يُنَشَّأُ في الحِلْيَةِ وَهُوَ في الخِصامِ غَيْرُ مُبِينٍ) .



باب

قال أبو العباس : من كلام العرب : الاختصار المُفْهِمُ ، والاطناب المُفَخِّمُ وقد يقع الايماء إلى الشيء فيُغْنِي عند ذوى الألباب عن كشفه ، كما قيل لَمْحَةٌ دَالّةٌ ، وقد يُضْطَرُّ الشاعرُ المُفْلِقُ ، والخطيبُ المِصْقَعُ ، والكاتب البليغ ، فيقع فى كلام أحدهم المعنى المُسْتَغْلِق ، واللفظ المُسْتَكْرَهُ ، فإن انعطفتْ عليه جَنْبتا الكلامِ غطَّتَا على عوارِهِ ، وسَتَرتا من شَيْنِه ، وإن شاء قائل أن يقول بل الكلام القبيح فى الكلام الحَسَنِ أظهرُ ، ومجاورته له أشهر ، كان ذلك له ، ولكن يغتفر السيئ للحَسَن ، والبعيد للقريب .

فمن ألفاظ العرب البَيِّنَةِ القريبةِ المُفْهِمَةِ الحَسَنَةِ الوصفِ الجميلةِ الرَّصْفِ قول الحُطَيْئَةِ :

وَذَاكَ فَتًى إِنْ تَأْتِهِ فِي صَنِيعَةٍ ... إِلَى مَالِهِ لَا تَأْتِهِ بِشَفِيعِ

وكذلك قول عَنْتَرَةَ :

يُخْبِرْكِ مَنْ شَهِدَ الْوَقِيعَةَ أَنَّنِي ... أَغْشَى الْوَغَى وَأَعِفُّ عِنْدَ الْمَغْنَمِ

وكما قال زُهَيْرٌ :

عَلَى مُكْثِرِيهِمْ حَقُّ مَنْ يَعْتَرِيهِمُ ... وَعِنْدَ الْمُقِلِّينَ السَّمَاحَةُ وَالْبَذْلُ

ومما وقع كالايماء قولُ الفرزدق :

ضَرَبَتْ عَلَيْكَ الْعَنْكَبُوتُ بِنَسْجِهَا ... وَقَضَى عَلَيْكَ بِهِ الْكِتَابُ الْمُنْزَلُ

فتأويل هذا أن بيت جرير فى العرب كالبيت الواهى الضعيف ، فقال وقضى عليك به الكتابُ المنزل يريد به قول الله تبارك وتعالى « وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ » .

ومن كلامه المُسْتَحْسَنِ قولُهُ لجرير :

فَهَلْ ضَرْبَةُ الرُّومِيِّ جَاعِلَةٌ لَكُمْ ... أَبًا عَنْ كُلَيْبٍ أَوْ أَبًا مِثْلَ دَارِمِ

ومن أقبح الضرورة ، وأهْجَنِ الألفاظِ ، وأبْعَدِ المعانى قوله :

وَمَا مِثْلُهُ فِى النَّاسِ إِلاَّ مُمَلَّكاً ... أَبُو أُمِّهِ حَىٌّ أَبُوهُ يُقَارِبُهْ

مَدَحَ بهذا الشعر إبراهيم بن هشام بن إسمٰعيل بن هشام بن المُغيرة بن عبد الله بن عمر بن مَخْزومٍ وهو خال هشام بن عبد الملك فقال وما مِثْلُه فى الناس إلا مُمَلَّكا يعنى بالمُمَلَّكِ هشامًا ، أبو أمّ ذلك المُملَّكِ أبو هذا الممدوح ، ولو كان هذا الكلام على وجهه لكان قبيحاً ، وكان يكون إذا وَضَعَ الكلامَ فى مَوْضعه أن يقول : وما مثله فى الناس حَيٌّ يقاربه إلا مُمَلَّكٌ أبو أمِّ هذا المُمَلَّك أبو هذا الممدوح ، فدَلَّ على أنه خاله بهذا اللفظ البعيد وهَجَّنَهُ بمَا أوقع فيه من التقديم والتأخير حتى كأن هذا الشعر لم يجتمع فى صدر رجل واحد مع قوله حيث يقول :

تَصَرَّمَ مِنِّى وُدُّ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ ... وَمَا كَادَ مِنِّى وُدُّهُمْ يَتَصَرَّمُ

قَوَارِصُ تَأْتِينِى وَيَحْتَقِرُونَهَا ... وَقَدْ يَمْلَأُ الْقَطْرُ الإِنَاءَ فَيَفْعَمُ

(القارِصة الكلمة المؤذية) وكأنه لم يقع ذلك الكلام لمن يقول :

وَالشَّيْبُ يَنْهَضُ فِي السَّوَادِ كَأَنَّهُ ... لَيْلٌ يَصِيحُ بِجَانِبَيْهِ نَهَارُ

فهذا أوْضَحُ معنًى ، وأعْرَبُ لفظٍ ، وأقْرَبُ مأْخَذٍ .

وليس لِقِدَم العَهْدِ يُفَضَّلُ القائلُ ، ولا لحدثانِ عَهْدٍ يُهْتَضَمُ المصيب ، ولكن يُعْطَى كلٌّ ما يستحق ، ألا ترى كيف يفضل قول عُمارَةَ على قرب عهده :

تَبَجَّحْتُمْ سُخْطِي فَغَيَّرَ بَجْحَكُمْ ... نَخِيلَةُ نَفْسٍ كَانَ نُصْحًا ضَمِيرُهَا

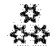
وَلَنْ يُلْبِثَ التَّخْشِينُ نَفْسًا كَرِيمَةً ... عَرِيكَتُهَا أَنْ يَسْتَمِرَّ مَرِيرُهَا

وَمَا النَّفْسُ إِلاَّ نُطْفَةٌ بِقَرَارَةٍ ... إِذَا لَمْ تُكَدَّرْ كَانَ صَفْوًا غَدِيرُهَا

فهذا كلام واضح ، وقول عَذْبٌ ، وكذلك قوله أيضاً :

بَنِي دَارِمٍ إِنْ يَفْنَ عُمْرِى فَقَدْ مَضَى ... حَيَاتِي لَكُمْ مِنِّي ثَنَاءٌ مُخَلَّدُ

بَدَأْتُمْ فَأَحْسَنْتُمْ فَأَثْنَيْتُ جَاهِدًا ... وَإِنْ عُدْتُمُ أَثْنَيْتُ وَالعَوْدُ أَحْمَدُ



ومما يُفَضَّلُ لتَخَلُّصِهِ مِنَ التَّكَلُّف ، وسلامته من التَّزَيُّدِ ، وبُعْدِهِ من الاستعانة قولُ أبي حَيَّةَ النُّمَيْرِيّ :

رَمَتْنِي وَسِتْرُ اللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا ... عَشِيَّةَ أَرْآمِ الْكِنَاسِ رَمِيمُ

(قيل في سِتْرِ الله الإسلامُ ، وقيل فيه إنه الشَّيْبُ ، وقيل ماحَرَّمَ الله عليهما) .

أَلاَ رُبَّ يَوْمٍ لَوْ رَمَتْنِي رَمَيْتُهَا ... وَلَكِنَّ عَهْدِى بِالنِّضَالِ قَدِيمُ

(يَرَى النَّاسُ أَنِّي قَدْ سَلَوْتُ وَإِنَّنِي ... لَمَرْمِيُّ أَحْنَاءِ الضُّلُوعِ سَقِيمُ

يقول رَمَتْنِي بطَرْفها وأصابَتْنِي بمَحَاسنها ولو كنتُ شابا لرَمَيْتُ كما رُميتُ ،

وَفَتَنْتُ كما فُتِنْتُ ، ولكن قد تَطَاوَلَ عَهْدِي بالشّباب ، فهذا كلام واضح

(قال أبو الحسن أنْشَدَنا أبو العباس أحمد بن يحيى البيتين عن عبد الله ابن شَبِيبٍ ورَوَى ✲ عَشِيَّةَ أَحْجَارِ الْكِنَاسِ رَمِيمُ ✲ وزاد فيه :

رَمِيمُ الَّتِي قالَتْ لِجَارَاتِ بَيْتِهَا ضَمِنْتُ لَكُمْ أَنْ لاَ يَزَالَ يَهِيمُ

الكِناس والمَكنِسُ الموضع الذى تأوى إليه الظِّباء ، وجمع الكِناس كُنُسٌ وجمع المَكْنِس مَكَانِس ، ورَميم اسم جارية مأخوذ من العظام الرَّميم ، وهى البالية ، وكذلك الرِّمَّةُ والرُّمَّةُ القطعة البالية من الحبل ، وكل ما اشتق من هذا فاليه يَرْجِعُ) .



قال أبو العباس : وأما ما ذكرناه من الاستعانة ، فهو أن يُدْخِلَ فى الكلام ما لاحاجة بالمستمع إليه ليُصَحِّحَ به نَظْماً أو وَزْناً إن كان فى شِعر ، أو ليتذكر به ما بعده إن كان فى كلام منثور ، كنحو ما تَسْمَعُهُ فى كثير من كلام العامة مثل قولهم : أَلَسْتَ تَسْمَعُ ؟ أَفَهِمْتَ ؟ أين أنتَ ؟ وما أشبه هذا ، وربما تَشَاغَلَ العَيِيُّ بِفَتْلِ إصبعه ، ومَسِّ لِحْيَتِهِ ، وغير ذلك من بدنه ، وربما تَنَحْنَحَ ، وقد قال الشاعر يَعِيبُ بعضَ الخُطَباء فى شعر :

مَلِيءٌ بِبُهْرٍ وَالْتِفَاتٍ وَسُعْلَةٍ وَمَسْحَةِ عُثْنُونٍ وفَتْلِ الْأَصَابِعِ

وقال رجل من الخَوارج يصف خَطيباً منهم بالْجُبْنِ ، وأنه مُجِيدٌ لولا أن الرُّعْبَ أَذْهَلَهُ :

نَحْنَحَ زَيْدٌ وَسَعَلْ لَمَّا رأى وَقْعَ الْأَسَلْ

وَيْامَهِ إذَا ارْتَجَلْ ثُمَّ أَطَالَ وَاحْتَفَلْ

(وقال رجل يصف رجلا من إياد بالعِيّ، وكان أبوه خطيباً وخالُهُ:

جَمَعْتَ صُنُوفَ الْعِيِّ مِنْ كُلِّ وِجْهَةٍ وَكُنْتَ مَلِيئاً بِالْبَلَاغَةِ مِنْ كَثَبْ
أَبُوكَ مُعَمٌّ فِي الْكَلَامِ وَمُخْوَلٌ[1] وَخَالُكَ وَثَّابُ الْجَرَاثِيمِ[2] فِي الْخُطَبْ)

ومما يشاكل هذا المعنى، ويُجانِسُ هذا المذهب، ما كان من خالد بن عبد الله الْقَسْرِيِّ فإنه كان متقدّما فى الخَطَابةِ ومُتَنَاهِياً فى البلاغة. فخرج عليه المُغيرةُ بن سَعيد بالكوفة فى عشرين رجلاً فَطَعْطَوا به[3]، فقال خالد: أطعِمونى ماء، وهو على المنبر، فعُيِّرَ بذلك، فكَتَبَ به هِشامٌ إليه فى رسالة يُوَبِّخُهُ فيها، وسنذكرها فى موضعها إن شاء الله، وعَيَّرَهُ يحيى بن نَوْفَلٍ فقال:

لِأَعْلَاجٍ[4] ثَمَانِيَةٍ وَعَبْدٍ لَئِيمِ الْأَصْلِ فِي عَدَدٍ يَسِيرِ
هَتَفْتَ بِكُلِّ صَوْتِكَ أَطْعِمُونِي شَرَابًا ثُمَّ بُلْتَ عَلَى السَّرِيرِ

فهذا عارضٌ[5]، وقال آخر يُعَيِّرُهُ:

بَلَّ الْمَنَابِرَ مِنْ خَوْفٍ وَمِنْ وَهَلٍ[6] وَاسْتَطْعَمَ الْمَاءَ لَمَّا جَدَّ فِي الْهَرَبِ
وَأَلْحَنُ النَّاسِ كُلِّ النَّاسِ قَاطِبَةً وَكَانَ يُولَعُ بِالتَّشْدِيقِ فِي الْخُطَبِ

ومما يُسْتَحْسَنُ لَفْظُهُ، ويُسْتَغْرَبُ معناه، ويُحْمَدُ اخْتِصارُهُ، قولُ أعرابيّ مِنْ بنى كِلَابٍ:

فَمَنْ يَكُ لَمْ يَغْرَضْ فَإِنِّي وَنَاقَتِي بِحَجْرٍ إِلَى أَهْلِ الْحِمَى غَرِضَانِ

---

(١) معم ومخول: كريم الأعمام والأخوال. (٢) الجراثيم: الأماكن العالية، والمراد شريفات المعانى. (٣) عطعطوا: من العطعطة، وهى اختلاف الأصوات واختلاطها فى الحرب.

(٤) الأعلاج: من غلظت أبدانهم من الكفار. (٥) أى طارئ عليه لا يقدح فى اقتداره الخلى عطابة. (٦) الوهل: الفزع.

(هَوَىَ نَاقَتِي خَلْفِي وَقُدَّامِيَ الْهَوَى وَإِنِّي وَإِيَّاها لَمُخْتَلِفَانِ)
تَحِنُّ فَتُبْدِي ما بِهَا مِنْ صَبَابَةٍ وَأُخْفِي الَّذِي لَوْلاَ الْأُسَى لَقَضَانِي

(أنشد صاعِدٌ بعدها زيادةً فيهما :

فَيَا كَبِدَيْنَا أَجْمِلاَ قَدْ وَجَدْتُمَا بِأَهْلِ الْحِمَى مَالَمْ يَجِدْ كَبِدَانِ
إِذَا كَبِدَانَا خَافَتَا وَشْكَ نِيَّةٍ وَعَاجِلَ بَيْنٍ ظَلَّتَا تَجِبَانِ[1])

يريد لقَضَى عَلَيَّ ، فأخرجه لفصاحته وعلمه بجوهر الكلام أَحْسَنَ مُخْرَجٍ . قال الله عزّ وجل : « وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ » والمعنى إذا كالوا لهم أو وزَنُوا لهم ، ألا تَرَى أنّ أول الآية : « الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ » فهؤلاء أخذوا منهم ثم أعطوهم ، وقال الله تبارك وتعالى : « وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقَاتِنَا » أى من قومه ، وقال الشاعر (هُوَ أَعْشَى طَرُودٍ وَاسْمُهُ إِيَاسُ بن عامر) :

أَمَرْتُكَ الْخَيْرَ فَافْعَلْ مَا أُمِرْتَ بِهِ فَقَدْ تَرَكْتُكَ ذَا مَالٍ وَذَا نَشَبِ

أى أمرتُكَ بالخير ، ومن ذا قول الفرزدق :

وَمِنَّا الَّذِي اُخْتِيرَ الرِّجَالَ سَمَاحَةً وَجُودًا إِذَا هَبَّ الرِّيَاحُ الزَّعَازِعُ

أى من الرجال ، فهذا الكلام الفصيح .

وتقول العرب : أَقَمْتُ ثلاثًا ما أَذُوقُهُنَّ طعامًا ولا شرابًا : أى ما أذوقُ فيهنَّ ، وقال الشاعر :

---

(١) تجبان : تخفقان ، والمصدر الوجيب .

وَيَوْمًا شَهِدْنَاهُ سُلَيْمًا وَعَامِرًا[١]   قَلِيلاً سِوَى الطَّعْنِ النِّهَالِ نَوَافِلُه[٢]

قال أبو الحسن قوله : لم يَغْرَضْ ، أى لم يَشْتَقْ ، يقال : غَرِضْتُ إلى لقائك ، وحَنَنْتُ إلى لقائك ، وعَطِشْتُ إلى لقائك ، وجُعْتُ إلى لقائك : أى اشْتَقْتُ ، أخبرنا بذلك أبو العباس أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابى ، وأنْشَدَنا عنه :

مَنَ ذَا رَسُولٌ نَاصِحٌ فَمُبَلِّغٌ   عَنِّى عُلَيَّةَ غَيْرَ قَوْلِ الْكَاذِبِ

أَنِّى غَرِضْتُ إِلَى تَنَاصُفِ وَجْهِهَا   غَرَضَ الْمُحِبِّ إِلَى الْحَبِيبِ الْغَائِبِ

التناصُفُ الحُسْنُ . وأما قوله : لقَضَانِى فإنما يريد لَقَضَى علىَّ الموتَ ، كما قال الله تبارك وتعالى : « فَلَمَّا قَضَيْنا عَلَيْهِ المَوْتَ » فالموتُ فى النية وهو معلوم بمنزلة ما نَطَقْتَ به . فلهذا ناسب هذا قولَهُ عزّ وجل : « وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ » وكذلك قولَهُ تعالى : « كَالُوهُمْ » فالشىء المَكِيلُ معلوم ، فهو بمنزلة ما ذُكِرَ فى اللفظ ، ولا يجوز مررت زيداً ، وأنت تريد مررت بزيد ، لأنه لا يتعدى إلا بحرف جر ، وذلك أنه فعل الفاعل فى نفسه ، وليس فيه دليل على المفعول ، وليس هذا بمنزلة ما يَتَعَدَّى إلى مفعولين ، فيتعدى إلى أحدهما بحرف جَرّ ، وإلى الآخر بنفسه ، لأن قولك اخْتَرْتُ الرجالَ زيداً ، قدْعُلِمَ بذِكْرِكَ زيداً أن حرف الجر محذوف من الأوّل ، فأما قول الشاعر ، وهو جرير ، وإنْشادُ أهل الكوفة له ، وهو قوله :

تَمُرُّونَ الدِّيَارَ وَلَمْ تَعُوجُوا   كَلاَمُكُمُ عَلَيَّ إِذًا حَرَامُ

---

(١) شهدناه : أى شهدنا فيه . (٢) يرى الشيخ المرصفى أن صواب الرواية (سوى طعن النهال) بحذف الألف واللام ، والنهال الرماح العطاش تروى بالدماء ، والنوافل الغنائم وهى مرفوعة بقليلا .

وروايةُ بعضِهم له «أَتمْضُونَ الدِّيارَ» فليسا بشيء لما ذَكَرْتُ لك ، والسماع الصحيح ، والقياس المُطَّرِدُ ، لا تَعْتَرِضُ عليه الرِّوايةُ الشاذةُ . أخبرنا أبو العباس محمد بن يَزِيدَ قال قرأت على عُمارَةَ بن عَقِيل بن بلال بن جَرِيرٍ :

* مَرَرْتُمْ بِالدِّيارِ وَلَمْ تَعُوجُوا *

فهذا يدُلُّكَ على أن الرواية مُغَيَّرةٌ ، فأما قولهم : أقمت ثلاثاً ما أذوقهن طعاما ولا شرابا ، وقولُ الراجز :

قَدْ صَبَّحَتْ صَبَّحَها السَّلامُ[1] بِكَبِدٍ خَالَطَهَا سَنَامُ

* فى ساعةٍ يُحَبُّهَا الطَّعَامُ *

يريد فى ساعة يُحَبُّ فيها الطَّعَامُ ، وكذلك الأوّل معناه ما أذوقُ فيهنَّ ، فليس هذا عندى من باب قوله جَلَّ وعَلاَ « وَاُخْتَارَ مُوسٰى قَوْمَهُ » إلا فى الحذف فقط ، وذلك أن ضمير الظَّرْف تجعله العربُ مفعولاً على السَّعَةِ ، كقولهم يَوْمُ الجمعة سِرْتُهُ ، ومكانُكُمْ قمْتُهُ ، وشَهْرُ رمضان صُمْتُهُ ، فهذا يُشَبَّهُ فى السَّعَةِ بقولك زيدٌ ضربتُهُ وما أشبهه ، فهذا بَيِّنٌ[2]) .



قال أبو العباس : ومما يُسْتَحْسَنُ وَيُسْتَجادُ قول أعرابىّ من بنى سَعْد ابن زيد مَناةَ بن تميم ، وكان مُمْلَكاً[3] ، فنزل به أضياف ، فقام إلى الرحَى فطحن لهم ، فَمَرَّتْ به زوجتُهُ فى نِسْوَةٍ ، فقالتْ لهنَّ : أهذا بَعْلِى ؟ فأُعْلِمَ بذلك فقال (قال أبو الحسن أخبرنا به عن أبى مُحَلِّمٍ له يعنى السَّعْدِىَّ) :

---

(١) صبحت أنت بالتصبيح وهو الفطور . (٢) هذا نهاية كلام ابن القوطية .

(٣) مملكا : اسم مفعول من أملكه المرأة : زوّجه إياها .

تَقُولُ وَصَكَّتْ صَدْرَها بيَمِينِهَا أَبَعْلِيَ هٰذَا بِالرَّحَى الْمُتَقَاعِسُ
فَقُلْتُ لَهَا لاَ تَعْجَبِي وَتَبيَّنِي بَلاَئِى إِذَا الْتَفَّتْ عَلَيَّ الْفَوَارِسُ
أَلَسْتُ أَرُدُّ الْقِرْنَ يَرْكَبُ رَدْعَهُ وَفِيهِ سِنَانٌ ذُو غِرَارَيْنِ يَابِسُ
إِذَا هابَ أَقْوَامٌ تَجَشَّمْتُ هَوْلَ مَا يَهَابُ حُمَيَّاهُ الْأَلَدُّ الْمُدَاعِسُ
لَعَمْرُ أَبِيكِ الْخَيْرِ إِنِّى لَخَادِمٌ لِضَيْفِي وَإِنِّى إِنْ رَكِبْتُ لَفَارِسُ

قوله الْمُتَقاعِسُ إنما هو الذى يُخْرِجُ صَدْرَه وَيُدْخِلُ ظهره ، ويقال عِزَّةٌ قَعْسَاء ، وإنما هذا مَثَلٌ ، أى لا تَضَعُ ظهرَها إلى الأرض ، وقوله بالرحى المتقاعس لو أراد الذى يَتَقَاعَسُ بالرحى لم يَجُزْ ، لأن قوله بالرحى من صلة الذى، والصلة من تمام الموصول ، فلو قدمها قبله لكان لحناً وخطأً فاحشاً ، وكان كَمَنْ جَعَلَ آخر الاسم قبل أوله ، ولكنه جَعَلَ المتقاعسَ اسما على وجهه ، وجعل قوله بالرحى تَبْييناً بمنزلة لَكَ التى تَقَعُ بعد قولك سقْياً ، وبمنزلة بكَ التى تقع بعد مَرْحَباً، فإن قَدَّمْتَهَا قبل سَقْياً وَمَرْحَباً فذلك جَيِّدٌ بالغ، تقول بك مرحباً وأهلا، وتقول لك حَمْدًا، ولزيدٍ سَقْياً، فأما قولُ الله عزّ وجل «وأنا على ذٰلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ » وكذلك « وقَاسَمَهُمَا إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ » فيكون تفسيره على وجهين أحدهما أن يكون : وأنا ناصحٌ لكما ، وأنا شاهد على ذلكم ، ثم جعل من الشاهدين ولَمِن الناصحين تفسيراً لشاهدٍ وناصح ، ويكون على ما فسرنا يراد به التبيين فلا يدخل فى الصلة ، ويكون على مذهب المازنى . وقال أبو العباس : وهو الذى أختار ، على أن الألف واللام للتعريف لا على معنى الذى ، ألا ترى أنك تقول نِعْمَ القائم زيدٌ ، ولا يجوز نِعْمَ الذى قامَ زيد ، وإنما هو بمنزلة قولك نِعْمَ الرجلُ زيدٌ ، وهذا الذى

شرحناه متصلٌ فى هذا الباب كُلِّهِ مُطَّرِدٌ على القياس ، وقوله :

* أَلَسْتُ أَرُدُّ القِرْنَ يَرْكَبُ رَدْعَهُ * فإنما اشتقاقه من السهم يقال ارتَدَعَ السهم إذا رجع النَّصْلُ متأخرا فى السِّنْخِ(١) ، ويقال ركب البعيرُ رَدْعَهُ إذا سقط ، فدخلت عُنُقُهُ فى جوفه ، فالكلام مُشْتَقٌّ بعضُه من بعض ، ومُبَيِّنٌ بعضُه بعضاً ، فيقال من هذا فى المَثَلِ ذهب فلانٌ فى حاجتى فارتَدَعَ عنها أى رجع ، وكذلك : فلان لا يَرتَدِعُ عن قبيح ، والأصل ما ذكرتُ لك أوّلاً .

ومثل هذا قولهم فلانٌ على الدّابة ، وعلى الجبل ، أى فوق كل واحد منهما ، ثم تقول فلانٌ عليه دَيْنٌ تمثيلاً ، وكذلك رَكِبَهُ دَيْنٌ ، وإنما يريد أن الدَّيْنَ علاه وقَهَرَهُ ، وكذلك فلان على الكوفة إذا كان والياً عليها ، وكذلك : عَلاَ فلانٌ القومَ ، إذا علاهم بأمره وقهرهم ، أو جُعِلَ فى هذا الموضع .

وقوله : * وَفِيهِ سِنَانٌ ذُو غِرَارَيْنِ يَابِسُ * فالغِرار هاهنا الحَدُّ وللغرار مواضع .

قال أبو العباس : وحدثنى الرِّيَاشِيُّ فى إسنادٍ له قال قال جَبْرُ بن حبيبٍ ، وذكر الراعى أخطأ الأَعْوَرُ قال ولم يَعْلَمْ الحاكى عنه أن الراعى كان أعوَرَ إلا مِنْ هذا الخبر فى قوله :

فَصَادَفَ سَهْمُهُ أَحْجَارَ قُفٍّ(٢) كَسَرْنَ الْعَيْرَ مِنْهُ وَالْغِرَارَا(٣)

وجَبْرُ بن حبيب هو المخطئ لأن الغرار ههنا هو الحدّ ، وذهب جَبْرٌ إلى أنه المثالُ ، وقد يكون المثالَ وليس ذلك بمانعه من أن يَحْتَمِلَ مَعَانِيَ ، يقال بَنَوْا

---

(١) السنخ : الأصل ، وهو هنا طرف الرمح . (٢) القف : حجارة غاصٌّ بعضها ببعض .
(٣) العير : ما نتأ فى وسط النصل .

بيوتَهُمْ على غِرارٍ واحد أى على مثالٍ واحد ، كما قال عمرو بن أحمر الباهِلِيُّ :

وَضَعْنَ وَكُلُّهُنَّ عَلَى غِرَارٍ هِجَانَ اللَّوْنِ[١] قَدْ وَسَقَتْ جَنِينا[٢]

(الرواية عن أبى العباس وضَعْنَ بفتح الضاد والواو والصحيح وُضِعْنَ بضم الواو وكسر الضاد) .

ويقال لِسُوقِنَا دِرَّةٌ وَغِرَارٌ أى نَفَاقٌ وَكَسَادٌ ، فهذا معنى آخر ، وإنما تأويل الغرار فى هذا المعنى الأخير أنه شىء بعد شىء ، ومن هذا غارَّ الطائرُ فَرْخَهُ ، لأنه إنما يعطيه شيئاً بعد شىء ، وكذلك غارَّتِ الناقةُ فى الحَلَبِ ، ويقال من هذا ما نِمْتُ إلا غِراراً[٣] . قال الشاعر :

ما أَذُوقُ النَّوْمَ إلاَّ غِرَاراً مِثْلَ حَسْوِ الطَّيْرِ مَاءَ الثِّمَادِ[٤]

فَكَشَفَ فى هذا البيت معنى الغرار وأوضحه .

وقوله : ☆ يَهَابُ حُمَيَّاهُ الْأَلَدُّ الْمُدَاعِسُ ☆ فأصل الحُمَيَّا إنما هى صَدْمَةُ الشىء ، يقال فلان حامى الحَمَيَّا ، ويقال صَدَمَتْهُ حُمَيَّا الكأس . يراد بذلك سَوْرَتُهَا .

وقوله الألدّ فأصله الشديد الخصومة ، يقال خَصْمٌ أَلَدُّ : أى لا ينثنى عن خصمه . قال الله عزّ وجل : « وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا » كما قال « بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ » وقال مُهَلْهِلٌ :

إِنَّ تَحْتَ الْأَحْجَارِ حَزْمًا وَجُوداً وَخَصِيمًا أَلَدَّ ذَا مِعْلَاقِ

ويروى مِغْلاق ، فمن رَوَى ذلك فتأويله أنه يُغْلِقُ الحُجَّةَ على الخصم ، ومن

---

(١) هجان اللون : المراد بيض اللون . (٢) وسقت : حملت . (٣) أى قليلا .

(٤) حسا الطائر الماء : أخذه بفيه ، والثماد : اسم للماء القليل .

قال ذا مِعْلاق ، فإنما يريد أنه إذا عَلِقَ خصمًا لم يَتَخَلَّصْ منه ، وجعل السَّعْدِيُّ الألدَّ الذى لا ينثنى عن الحرب تشبيها بذلك ، والمداعِسُ المُطَاعن يقال دَعَسَهُ بالرمح إذا طَعَنَهُ : قال عُمَيْرُ بن الحُبَابِ السُّلَمِيُّ :

أَنَا عُمَيْرٌ وَأَبُو المُغَلِّسْ وَبِالْقَنَاةِ مَازِنِيٌّ مِدْعَسْ

(قال أبو الحسن تأويل قوله أى قول السعدى: ☆ أَبَعْلِيَ هٰذَا بِالرَّحَى المُتَقَاعِسُ ☆ بالرحى تبيين ولم يوضحه ، فإن تقدير ما كان من هذا الضرب أنه إذا قال: أبعلى هذا بالرحى المتقاعسُ ، فإن المتقاعِسَ يدل على أن تقاعُسًا وَقَعَ، فكأنه قال وَقَعَ التقَاعُسُ بالرحى ، ولم يرد أَنْ يُعْمِلَ المتقاعِسَ فى قوله بالرحى ، لأنه فى الصِّلَةِ ، والصلةُ من الموصول بمنزلة الدال من زيد أو الياء ، فكما لا يجوز أن يتقدم حروفُ الاسم بعضُها على بعض ، لم يجز أن تتقدَّم الصلةُ على الموصول، فأما قول الله عزّ وجل « وقَاسَمَهُمَا إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ » وكذلك « وَأَنَا عَلَى ذٰلِكُمْ من الشَّاهِدِينَ » فإنه يكون على التبيين الذى قدَّمنا ذِكْرَهُ وهو قول البصريين أجمعين ، إلا أن أبا عُمَرَ الجَرْمِىّ[1] أجاز أن يُجْعَلَ لكما، وعلى ذلكم مُعَلَّقين بشيئين محذوفين دلَّ عليهما من الناصحين ومن الشاهدين ، لأن من مُبَعِّضَةٌ ، فكأنه قال والله أعلم : وقَاسَمَهُمَا إنى ناصحٌ لكما من الناصحين ، وأنا شاهد على ذلكم من الشاهدين ، وأما اختياره وذِكْرُهُ أنه قولُ المازنىّ، وجَعْلُهُ الألف واللام للعهد مِثْلَهُمَا فى الرجل وما أشبهه ، فإن هذا القول غير مَرْضِىٍّ عندى، لأنك إذا قلتَ نِعْمَ القائمُ زيدٌ، فجعلتَ الألف واللام كالألف واللام الداخلتين على مالم يؤخذ من الفعل كالإنسان والفرس وما أشبهه، فإنه

---

(١) نسبة إلى بنى جرم لأنه مولاهم ، وهو من نحاة البصرة مات سنة ٢٢٥

إذا كان هكذا دخل فى باب الأسماء الجامدة ، وهى التى لم تؤخذ من أمثلة الفعل، وامتنع من أن يعمل مُؤَخَّراً إلا على حِيلَة و وَجْهٍ بعيدٍ من التبيين الذى ذَكَرْنَا ، وإذا كان فى التأخيرِ لا يَعْمَلُ بنفسه فكيف يَعْمَلُ إذا تقدّم عليه الظَّرْفُ ؟ وهذا مستحيل لا وَجْهَ له ، وأما إنشاده:

٭ لَا أَذُوقُ النَّوْمَ إلاَّ غِرَارًا ٭ فإن هذه أبيات أربعة أنْشِدْنَاها عن الزِّيَادِيّ[1] ، وَذُكِرَ أنه كان يستحسنها ، وهى لأعرابىّ قال :

مَا لِعَيْنِي كُحِلَتْ بِالسُّهَادِ ... وَلِجَنْبِي نَابِيًا عَنْ وِسَادِي

لاَ أَذُوقُ النَّوْمَ إلاَّ غِرَارًا ... مِثْلَ حَسْوِ الطَّيْرِ مَاءَ الثِّمَادِ

أَبْتَغِي إِصْلَاحَ سُعْدَى بِجُهْدِي ... وَهْيَ تَسْعَى جُهْدَهَا فى فَسَادِي

فَتَتَارَكْنَا عَلَى غَيْرِ شَيْءٍ ... رُبَّمَا أَفْسَدَ طُولُ التَّمَادِي

وأما إنشاده : ٭ وَضَعْنَ وَكُلُّهُنَّ على غِرَارٍ ٭ فإن البيت لِعَمْرِو بن أحمر ابن العَمَرَّدِ الباهِلِيّ).

٭

قال أبو العباس : ومن سَهْلِ الشِّعْرِ وَحَسَنِهِ قول طُخَيْم بن أبى الطَّخْماء الأَسَدِيّ يمدح قوما من أهل الحِيرَةِ[2] من بنى امرئ القَيْسِ بن زَيْدِ مناة ابن تميم ثم من رَهْطِ عَدِيِّ بن زيد العِبادِيّ[3] قال :

كَأَنْ لَمْ يَكُنْ يَوْمٌ بِزُورَةَ صَالِحٌ[4] ... وَبِالْقَصْرِ ظِلٌّ دَائِمٌ وَصَدِيقُ

---

(١) نسبة إلى زياد الذى استلحقه معاوية بن أبى سفيان ، مات سنة ٢٤٩

(٢) الحيرة : بلد قديم بظاهر الكوفة ، وللشريف الرضى قصيدة رائية فى بكاء سكانه القدماء .

(٣) نسبة إلى العباد ، وهم قبائل شتى اجتمعوا على النصرانية بالحيرة .

(٤) زورة : موضع بين الكوفة والشام .

وَلَمْ أَرِدِ الْبَطْحَاء يَمْزُجُ مَاءَهَا ... شَرَابٌ مِنَ الْبَرُّوقَتَيْنِ عَتِيقُ(١)

مَعِي كُلُّ فَضْفَاضِ الْقَمِيصِ كَأَنَّهُ ... إِذَا مَا سَرَتْ فِيهِ الْمُدَامُ فَنِيقُ

بَنُو السِّمْطِ وَالْحُدَّاء كُلُّ سَمَيْدَعٍ ... لَهُ فِي الْعُرُوقِ الصَّالِحَاتِ عُرُوقُ(٢)

وَإِنِّي وَإِنْ كَانُوا نَصَارَى أُحِبُّهُمْ ... وَيَرْتَاحُ قَلْبِي نَحْوَهُمْ وَيَتُوقُ

قال أبو العباس : أَنْشَدَنِي هذا الشِّعْرَ أبو مُحَلِّمٍ ، ثم أَنْشَدَنِيهِ رجلٌ نصراني يُكْنَى أبا يَحْيَى ، شاعرٌ من هؤلاء القوم الذين مُدِحُوا به ، وَذَكَرَ أنه يَذْكُرُ طُخَيْماً وهو يَتَرَدَّدُ إليهم ويَظَلُّ عندهم ، قال هذا النصراني وهو رجل من بني الحُدَّاء ، قال أَذْكُرُهُ وأنا صغير جِداًّ ، والسلطانُ يطلبه لقوله :

* له في العروق الصالحات عروق *

يقول : أتقول هذا لقَوْمٍ من النصارى ؟ وكان هذا النصراني قد قارَبَ مائة سنة فيما ذُكِرَ .

وقوله معي كل فضفاض القميص يريد أن قميصه ذو فُضولٍ ، وإنما يقصد إلى ما فيه من الخُيَلاَء ، كما قال زُهَيْرٌ :

يَجُرُّونَ الذُّيُولَ وَقَدْ تَمَشَّتْ ... حُمَيَّا الْكَأْسِ فِيهِمْ وَالْغِنَاءِ

ويقال إن تأويل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (فَضْلُ الإِزارِ في النار) إنما أراد معنى الخُيَلاَء ، وقال الشاعر :

وَلاَ يُنْسِينِيَ الْحَدَثَانُ عِرْضِي ... وَلاَ أُرْخِي مِنَ الْمَرَحِ الإِزَارَا(٣)

وقد رُوِيَ عن النبي صلى اللّه عليه وسلم أنه قال لأبي تَمِيمَةَ الهُجَيْمِيِّ

---

(١) في ياقوت : بروقتين ، بواوين ، وهو موضع قرب الكوفة .

(٢) بنو السمط والحدّاء : رهطان من النصارى . (٣) المرح : التبختر والاختيال .

(إِيَّاكَ وَالمَخِيلَةَ) فقال : يا رسول الله نَحْنُ قَوْمٌ عَرَبٌ ، فما المَخِيلَةُ ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : سَبْلُ الإزارِ . والحَدِيثُ يَعْرِضُ لما يَجْرِى فى الحَدِيثِ قَبْلَهُ ، وإن لم يكن من بابه ، ولكن يُذْكَرُ بِهِ .

قال أبو العباس : رُوِىَ لنا أَنَّ رَجُلاً من الصالحين كان عند إبراهيم ابن هشام[1] ، فأنشدَ إبراهيمُ قولَ الشاعر :

إِذْ أَنْتِ فِينا لِمَنْ يَنْهاكِ عَاصِيَةٌ ... وَإِذْ أَجُرُّ إِلَيْكُمْ سادِراً رَسَنِى[2]

فقام ذلك الرجل (هو ابن أبى عَتِيقٍ) فَرَمَى بشِقٍّ رِدائِهِ ، وأَقْبَلَ يَسْحَبُهُ حتى خرج من المجلس ، ثم رجع على تلك الحال فجلس . فقال له إبراهيم ابن هشام : ما بكَ ؟ فقال : إِنِّى كنتُ سمعتُ هذا الشعر فاستحسنته فآلَيْتُ أَلاَّ أَسْمَعَهُ إلاَّ جَرَرْتُ رِدَائى كما تَرَى كما سَحَبَ هذا الرجل رَسَنَهُ .

وأما الفَنِيقُ فإنه الفَحْلُ[3] ، وإنما أراد[4] خَطَرَانَهُ بِذَنَبِهِ من الخُيَلاَءِ ، فشَبَّهَ الرجلَ من هؤلاء إذا انْتَشَى بالفحل ، وهو إذا خَطَرَ ضَرَبَ بذَنَبِهِ يَمْنَةً وشَأْمَةً ، قال ذو الرُّمَّةِ :

وَقَرَّبْنَ بِالزُّرْقِ[5] الجَمائِلَ بَعْدَمَا[6] ... تَقَوَّبَ عَنْ غِرْبَانِ أَوْرَاكِها الخَطْرُ[7]

---

(١) خال هشام بن عبد الملك . (٢) قبل هذا البيت .

سقياً لربعك من ربع بذى سلم ... وللزمان به إذ ذاك من زمن

(٣) الفحل المودع للفحلة لا يركب ولا يهان لكرامته على أهله .

(٤) الضمير عائد على طخيم صاحب الأبيات القافية . (٥) الزرق : رمال بالدهناء .

(٦) الجمائل : جمع جمل . وقيل جمع جمالة ، وهى جماعة الابل إذا كانت كلها ذكورا .

(٧) يريد تقوبت غربان أوراكها عن الخطر . ففى البيت قلب ، والمتقوب : من تقلع عن جلده الجرب



ومِنْ حَسَنِ الشعر وما يَقرُبُ مَأْخَذُهُ قولُ مُخَيِّسِ بن أرْطاةَ الأعْرَجِيِّ، وَالأعْرَجُ الحارثُ بن كَعْب بن سَعْد بن زيد مَنَاةَ بن تميم لرجل من بنى حَنيفَةَ يقال له يَحْيَىٰ ، وكان يَصِيرُ إلى امرأة فى قرية من قُرَى اليمامةِ يقال لها بَقْعَاء : (قال أبو الحسن: أَنْشِدْتُهُ عن الرِّيَاشِيِّ نَقْعَاء ، وسألت رجلاً من أهل اليمامة فَصِيحاً من بنى حنيفة عن هذا ، فقال ما أعرفه إلا بَقْعَاء بالباء) :

عَرَضْتُ نَصِيحَةً مِنِّى لِيحْيَى ... فقَالَ غَشَشْتَنِى وَالنُّصْحُ مُرُّ
وَمَا بِى أَنْ أَكُونَ أَعِيبُ يَحْيَىٰ ... وَيَحْيَىٰ طاهِرُ الْأَخْلَاقِ بَرُّ
وَلٰكِنْ قَدْ أَتَانِى أَنَّ يَحْيَىٰ ... يُقَالُ عَلَيْهِ فِى بَقْعَاءَ شَرُّ
فَقُلْتُ لَهُ تَجَنَّبْ كُلَّ شَىْءٍ ... يُعَابُ عَلَيْكَ إِنَّ الحُرَّ حُرُّ

فهذا كلام ليس فيه فَضْلٌ عن معناه .

وقوله : إن الحر حر إنما تأويله أن الحُرَّ على الأخلاق التى عُهِدَتْ فى الأحرار ، ومثلُ ذلك : ☆ أَنَا أَبُو النَّجْمِ وَشِعْرِى شِعْرِى ☆

أَىْ شِعْرِى كما بَلَغَكَ وكما كُنْتَ تَعْهَدُ ، وكذلك قولهم : النَّاسُ النَّاسُ أى الناس كما كنت تَعْهَدُهُمْ (قال أبو الحسن : ومنه قول الله عزّ وجل : « فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ») .

وقوله : فقلتُ له تَجَنَّبْ كل شىء يعاب عليك كقول عمرو بن العاص لمعاوية حين وَصَفَ عَبْدَ المَلِكِ بن مَرْوان فقال : آخِذٌ بثلاث ، تاركٌ لثلاث ، آخِذٌ بقلوب الرجال إذا حَدَّثَ ، وبِحُسْنِ الاستماع إذا حُدِّثَ ، وبأَيسَرِ

الأمرين عليه إذا خُولِفَ ، تاركٌ لِلْمِرَاء ، تاركٌ لمقارَبَة اللئيم ، تاركٌ لما يُعْتَذَرُ منه ، كقوله :

.... تَجَنَّبْ كُلَّ شَيْءٍ يُعَابُ عَلَيْكَ إِنَّ الحُرَّ حُرٌّ



ومما يُسْتَحْسَنُ إنشاده من الشعر لصحة معناه ، وجزالة لفظه ، وكثرة تَرَدُّدِ ضَرْبِهِ من المعانى بين الناس ، قولُ ابن مَيَّادَةَ لرِيَاحِ بن عثمان ابن حَيَّانَ المُرِّىِّ ، من مُرَّة غَطَفَانَ ، وكلاهما من مُرَّةِ غَطَفَانَ ، يقوله فى فتنة محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن ، وكان أشار عليه بأن يَعْتَزِلَ القومَ فلم يفعل فَقُتِلَ ، فقال ابن مَيَّادَةَ :

أَمَرْتُكَ يَا رِيَاحُ بِأَمْرِ حَزْمٍ فَقُلْتَ هَشِيمَةٌ مِنْ أَهْلِ نَجْدِ

نَهَيْتُكَ عَنْ رِجَالٍ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَى مَحْبُوكَةِ الْأَصْلَابِ جُرْدِ

وَوَجْداً مَا وَجَدْتُ عَلَى رِيَاحٍ وَمَا أَغْنَيْتُ شَيْئاً غَيْرَ وَجْدِى

فقوله : (فقلت هَشِيمَةٌ من أهل نجد) تأويله ضَعَفَةٌ ، وأصل الهشيم النَّبْتُ إذا وَلَّى وَجَفَّ وتكسّر ، فَذَرَتْهُ الرِّياحُ يميناً وشِمالاً . قال الله تعالى : « فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ » والنَّجْدُ أعالى الأرض .

وقوله : * عَلَى مَحْبُوكَةِ الْأَصْلَابِ جُرْدِ * فالمَحْبُوكُ الذى فيه طَرَائق[1] واحدها حِباكٌ ، والجماعة حُبُكٌ[2] يقال لطرائق الماء حُبُكٌ[3] ،

---

(١) قال الشيخ المرصفى : والصواب أن يقول : فالمحبوك الذى أحكم خلقه من حبكت الثوب إذا أحكمت نسجه ، يريد أن أصلاب الخيل موثقة مدمجة ، ثم يقول : والمحبوك أيضا الذى فيه طرائق ، فيكون معنى ثانياً للكلمة .

(٢) ويقال أيضا للواحد : حبيكة والجمع حبائك . (٣) أى الماء الساكن حين تحركه الريح .

وكذلك الطرائق التى على جَنَاح الطائر[1] من ذلك قول الله تبارك وتعالى : « وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ » .

قال أبو الحسن : ابن مَيَّادَةَ اسمه الرَّمّاحُ وأمه مَيَّادَة وأبوه أبْرَدُ ، وكان عَاقًّا بأمه ، ولها يقول :

أَعْرَنْزِمِى مَيَّادَ لِلْقَوَافِى   وَاُسْتَمِعِيهِنَّ وَلاَ تَخَافِى

☆ سَتَجِدِينَ اُبْنَكِ ذَا قِذَافِ ☆

وأصل الِاعْرِنْزَام : التَّجَمُّعُ والتَّقَبُّضُ ، يقول : اُسْتَعِدِّى لها وتَهَيَّئِى .

وأنْشَدَنَا أبو العباس محمد بن يَزِيدَ له :

وَنَوَاعِمٍ قَدْ قُلْنَ يَوْمَ تَرَحُّلِى   قَوْلَ المُجِدِّ وَهُنَّ كَالْمُزَّاحِ

يا لَيْتَنَا مِنْ غَيْرِ أمْرٍ فَادِحٍ   طَلَعَتْ عَلَيْنَا الْعِيسُ بِالرَّمَّاحِ

فى أبيات له يعنى نَفْسَه . قال أبو الحسن ، وتمام الأبيات :

بَيْنَا كَذَاكَ رَأَيْنَنِى مُتَعَصِّبًا   بِالْخَزِّ فَوْقَ جُلاَلَةٍ[2] سِرْدَاحِ[3]

فِيهِنَّ صَفْرَاءُ المَعَاصِمِ[4] طَفْلَةٌ[5]   بَيْضَاءُ مِثْلُ غَرِيضَةِ التُّفَّاحِ[6]

رَيَّشْنَ حِينَ أرَدْنَ أنْ يَرْمِينَنِى   نَبْلاً بِلاَ رِيشٍ وَلاَ بِقِدَاحِ

وَنَظَرْنَ مِنْ خَلَلِ السُّتُورِ بِأعْيُنٍ   مَرْضَى مُخَالِطُهَا السَّقَامُ صِحَاحِ

⁂

قال أبو العباس : ثم نَذْكُرُ من كلام الحكماء وأمثالهم وآدابهم صَدْرًا ، ثم نعود إلى المُقَطَّعاتِ إن شاء الله .

---

(١) يعنون بها الخطوط السود التى على الجناح .

(٢) الجلالة : الناقة الضخمة . (٣) السرداح والسرداحة : الناقة الطويلة .

(٤) من التضمخ بالزعفران . (٥) الطفلة بفتح الطاء : الناعمة . (٦) الغريض : الطرى .

يروى عن ابن عمر أنه كان يقول : إنّا مَعْشَرَ قريشٍ كنا نَعُدُّ الْجُودَ والْحِلْمَ السُّؤْدَدَ ، ونَعُدُّ العفافَ وإصْلاحَ المالِ المُرُوءَةَ .

قال الأَحْنَفُ بن قَيْسٍ : كثرةُ الضحكِ تُذْهِبُ الْهَيْبَةَ ، وكثرةُ المزْحِ تُذْهِبُ المُرُوءَةَ ، ومن لَزِمَ شيئاً عُرِفَ به .

وقيل لعَبْد المَلِكِ بن مَرْوانَ : ما المُرُوءةُ ، فقال مُوَالاةُ الأَكْفاء ، ومَدَاجاةُ الأَعْدَاء .

وتأويل المُدَاجاةِ : المُدَاراةُ . أي لا تُظْهِرْ لهم ما عندك من العداوة ، وأصله من الدُّجى ، وهو ما أَلْبَسَكَ الليلُ من ظلمته .

وقيل لمعاوية : ما المُرُوءَةُ ؟ فقال : احتمال الجَرِيرَةِ ، وإصْلاحُ أمْرِ الْعَشِيرةِ ، فقيل له : وما النُّبْلُ ؟ فقال: الحِلْمُ عند الغضب، والعَفْوُ عند القُدْرة.

وكان أَبو سُفْيَان إذا نزل به جارٌ قال له : ياهذا ، إنك قد اُخترتنى جاراً ، واخترتَ دارى داراً ، فجِنَايَةُ يَدِكَ علىَّ دونَكَ ، وإن جَنَتْ عليك يَدٌ فاحْتَكِمْ علىَّ حُكْمَ الصبيِّ على أهله .

وذلك أن الصبي قد يَطْلُبُ ما لايوجد إلاّ بعيداً ، ويطلب مالا يكون أَلْبَتَّةَ ، قال الشاعر (هُوَ الأَعْرَجُ المَعْنِيُّ) :

وَلاَ تحْكُمَا حُكْمَ الصَّبِيِّ فَإِنَّهُ ... كَثِيرٌ عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ مَجَاهِلُه (١)

ويروى أن معاوية بن أبي سفيان لما نَصَبَ يَزِيدَ لِوِلايةِ العَهْدِ أَقْعَدَهُ فى قُبَّةٍ حمراء ، فَجَعَلَ الناسُ يُسَلِّمُونَ على معاوية ، ثم يميلون إلى يزيد ، حتى جاء

(١) المجاهل : كالمحاسن والملامح ، جمع ليس له واحد .

رجل ففعل ذلك ، ثم رجع إلى معاوية ، فقال : يا أمير المؤمنين ، اعْلَمْ أنك لو لم تُوَلِّ هذا أمورَ المسلمين لَأَضَعْتَهَا ـ والأَحْنَفُ جالس ـ فقال له معاوية : ما بالُكَ لا تقولُ يا أبا بَحْرٍ ، فقال : أخاف الله إن كَذَبْتُ ، وأخافُكُمْ إن صَدَقْتُ . فقال : جزاكَ الله عن الطاعة خيراً ، وَأَمَرَ له بألوفٍ ، فلما خرج الأحنفُ لَقِيَهُ الرجلُ بالباب . فقال : يا أبا بَحْرٍ ، إني لَأَعْلَمُ أن شَرَّ مَنْ خَلَقَ اللهُ هذا وابْنُهُ ، ولكنهم قد اسْتَوْثَقُوا من هذه الأموال بالأبواب والأَقْفَالِ ، فَلَسْنَا نَطْمَعُ في استخراجها إلا بما سمعتَ ، فقال له الأحنف : ياهذا أَمْسِكْ ، فإن ذا الوجهين خَلِيقٌ ألّا يكونَ عند الله وجيهاً .



وقال رجل يهجو بلال بن البَعِيرِ المحارِبِيَّ (الشاعرُ الرَّمَّاحُ بن مَيَّادَةَ) :

يقولون أَبْنَاءُ الْبَعِيرِ وَمَا لَهُ ... سَنَامٌ وَلَا فِي ذِرْوَةِ الْمَجْدِ غَارِبُ
أَرَادَتْ وَذَا كُمْ مِنْ سَفَاهَةِ رَأْيِهَا ... لِأَهْجُوهَا لَمَّا هَجَتْنِي مُحَارِبُ[1]
مَعَاذَ إِلَهِي إِنَّنِي بِعَشِيرَتِي ... وَنَفْسِيَ عَنْ ذَاكَ الْمَقَامِ لَرَاغِبُ

وقال أبو الطَّمَحَانِ الْقَيْنِيُّ (اسمه حَنْظَلَةُ بن الشَّرْقِيِّ، وَالطَّمَحَانُ فَعَلَانٌ من طَمَحَ بأنفه وبصره إذا تَكَبَّرَ ، وَالْقَيْنُ الحَدَّادُ ، وكلُّ صانعٍ قَيْنٌ ، والْقَيْنُ أيضاً موضع القَيْدِ من البعير) :

وَإِنِّي مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ هُمُ هُمُ ... إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ قَامَ صَاحِبُهْ
نُجُومُ سَمَاءٍ كُلَّمَا غَارَ كَوْكَبٌ ... بَدَا كَوْكَبٌ تَأْوِي إِلَيْهِ كَوَاكِبُهْ

---

(١) وفي رواية أخرى :

أظنت سفاها من سفاهة رأيها ... أن اهجوها لما هجتني محارب

أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ دُجَى اللَّيْلِ حَتَّى نَظَّمَ الْجِزْعَ ثَاقِبُهْ
وَمَا زَالَ مِنْهُمْ حَيْثُ كَانُوا مُسَوَّدٌ تَسِيرُ الْمَنَايَا حَيْثُ سَارَتْ كَتَائِبُهْ

وقال إياس بن الوَليد يمدح قومه :

إِنِّى وَجَدِّكَ مِنْ قَوْمٍ إِذَا طَلَبُوا بَعْدَ النَّسِيئَةِ دَيْنًا أَحْسَنُوا الطَّلَبَا(1)
لَا تَحْسَبُوا هَجْمَ أَبْيَاتِى عَلَانِيَةً وَلَا اسْتِلَابَ سِلَاحِي ذَاهِبًا لَعِبَا
تَبْقَى الْمَعَايِرُ بَعْدَ الْقَوْمِ بَاقِيَةً وَيَذْهَبُ الْمَالُ فِيمَا كَانَ قَدْ ذَهَبَا

وقال آخر :

لَيْسُوا لِعَمْرٍو غَيْرَ تَأْشِيبِ نِسْبَةٍ(2) وَلٰكِنَّ عَمْرًا غَيَّبَتْهُ الْمَقَابِرُ(3)
إِذَا عُيِّرُوا قَالُوا مَقَادِيرُ قُدِّرَتْ وَمَا الْعَارُ إِلَّا مَا تَجُرُّ الْمَقَادِرُ

وقال رجل من بنى نَهْشَلِ بن دَارِمٍ :

إِذَا مَوْلَاكَ كَانَ عَلَيْكَ عَوْنًا(4) أَتَاكَ الْقَوْمُ بِالْعَجَبِ الْعَجِيبِ
فَلَا تَخْنَعْ إِلَيْهِ وَلَا تُرِدْهُ وَرَامِ بِرَأْسِــهِ عُرْضَ الْجَبُوبِ
فَمَا لِشَآفَةٍ مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ إِذَا وَلَّى صَدِيقُكَ مِنْ طَبِيبِ

قوله : ورام برأسه عرض الجبوب ، يريد الأرضَ ، وهو اسم من أسمائها ، أنشدنى التَّوَّزِيُّ لرجل من بنى مُرَّةَ يَرْثِى ابنه :

بُنَيَّ عَلَى عَيْــنِى وَقَلْبِى مَكَانُهُ ثَوَى بَيْنَ أَحْجَارٍ وَرَهْنَ جَبُوبِ

وقوله فما لشآفة يقول لبُغْضٍ ، يقال شَئِفْتُ الرجلَ أَشْأَفُهُ شَآفَةً وَشَأْفًا مثل

---

(1) النسيئة : تأخير الدين .

(2) التأشيب : أصله من الأشب ، وهو شدة التفاف الشجر .

(3) أى لو كان حيا لنفى نسبتهم إليه . (4) مولاك : ابن عمك .

شَعْفاً ، وقد يقال فى هذا المعنى شَنِفْتُهُ . قال الراجز :

لَمَّا رَأَتْنِى أُمُّ عَمْرٍو صَدَفَتْ   وَمَنَعَتْنِى خَيْرَهَا وَشَنِفَتْ

وقال آخر :   * وَلَمْ تُدَاوِ غُلَّةَ الْقَلْبِ الشَّنِفْ *

وقال نَبْهَانُ بن عَكِّىٍّ العَبْشَمِىُّ :

يُقِرُّ بعَيْنِى أَنْ أَرَى مَنْ مَكَانُهُ   ذُرَا عَقِدَاتِ الْأَبْرَقِ الْمُتَقَاوِدِ

وَأَنْ أَرِدَ المَاءَ الَّذِى شَرِبَتْ بِهِ   سُلَيْمَى وَقَدْ مَلَّ السُّرَى كُلُّ وَاجِدِ

وَأُلْصِقَ أَحْشَائِى بِبَرْدِ تُرَابِهِ   وَإِنْ كَانَ مَخْلُوطًا بِسُمِّ الْأَسَاوِدِ

قوله ذُرَا عَقِدات ، فالذِّرْوةُ من كل شىء أعلاه، فَذُرْوَةُ السنام أعلاه، وَذُرْوَةُ المَجْدِ أَرْفعُهُ وأسناه ، ويقال فلان فى ذُرْوة قَوْمِهِ إذا كان فى الموضع الرفيع منهم ، وأما قول لَبِيدٍ :

مُدْمِنٌ يَجْلُو بِأَطْرَافِ الذُّرَا   دَنَسَ الْأَسْؤُقِ عَنْ عَضْبٍ أَفَلّ

فإنما يقول هذا رجل يُعَرْقِبُ الإبل لِيَنْحَرَها ثم يمسح ذُرَا أَسْنِمَتِهَا بسيفه ، لِيَجْلُو مَا عليه من دم الأسؤق .

وقوله عَضْب أى قاطع ، ومن ذلك رجل عَضْبُ اللسانِ ، وجعله أَفَلَّ لكثرة ما يُقَارِعُ به الحُروبَ كما قال النابغةُ :

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ   بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ

وقوله عَقِدات فهو ما انْعَقَدَ وَصَلُبَ من الرمل ، الواحدة عَقِدَةٌ ، والجمع عَقِدٌ وأَعْقادٌ أيضاً وَعَقِدَاتٌ ، قال ذو الرُّمَّة لِهِلَالِ بن أَحْوَزَ المازِنىِّ يمدحه :

رَفَعْتَ مَجْدَ تَمِيمٍ يا هِلَالُ لَهَا   رَفْعَ الطِّرَافِ عَلَى الْعَلْيَاءِ بِالْعَمَدِ

حَتَّى نِسَاءِ تَمِيمٍ وَهِيَ نَازِحَةٌ   بِقُلَّةِ الحَزْنِ فَالصَّمَّانِ فَالْعَقَدِ
لَوْ يَسْتَطِعْنَ إِذَا ضَافَتْكَ مُجْحِفَةٌ   وَقَيْنَكَ المَوْتَ بِالآبَاءِ وَالْوَلَدِ

وقوله الأبرق فالأُبْرَقُ حجارة يَخْلِطُها رَمْلٌ وطين ، يقال لتلك بُرْقَةٌ ، وأبْرَقُ، وَبَرْقاء، يافتى، كما يقال الأَمْعَزُ والمَعْزَاء، وهي الأرض الكثيرة الحصباء، ومثل ذلك الأَبْطَحُ وَالْبَطْحاء ، وهو ما انْبَطَحَ من الأرض . فمن قال أبْرَقُ فإنما أراد المكان ، ومن قال بَرْقاء فإنما أراد البقعة .

وقوله المتقاود يريد المنقاد المستقيم ، ومن ذلك قولهم قُدْتُهُ أى جرَرْتُهُ على استقامة ، وكذلك طريق مُنْقاد ، وفلان قائد الجيش ، قال حاتم بن عبد الله الطائى يضرب هذا مثلا :

إِنَّ الْكَرِيمَ مَنْ تَلَفَّتَ حَوْلَهُ   وَإِنَّ اللَّئِيمَ دَائِمُ الطَّرْفِ أَقْوَدُ(١)

وقوله : ولو كان مخلوطًا بسمّ الأساود يريد جمع أَسْوَدَ سالخٍ(٢) ، وجَمَعَهُ على أساود ، لأنه يجرى مَجْرَى الأسماء . وما كان من باب أَفْعَلَ اسْماً فجَمْعُهُ على أفاعِلَ، نحو أفْكَل وأفاكِلَ(٣)، والأَكْبَرِ وَالأَكابِرِ، وكذلك كلُّ ماسَمَّيْتَ به رجلا ، تقول أَحْمَدُ وأحامِدُ، وأَسْلَمُ وأسالِمُ ، فإن كان نعتا فَجَمْعُهُ على فُعْلٍ نحو أَحْمَرَ وحُمْرٍ ، وأَصْفَرَ وصُفْرٍ ، ولكن أَسْوَدَ إذا عَنَيْتَ به الحيةَ ، وأَدْهَم إذا عَنَيْتَ به القَيْدَ ، وأَبْطَحَ إذا عنيت به المكان المُنْبَطِح ، وأَبْرَق إذا عنيت

---

(١) رواية الديوان :

فمنهم جواد قد تلفت حوله   ومنهم لئيم دائم الطرف أقود

(٢) سالخ : لأنه يسلخ جلده كل عام ، وهو من أخبث الحيات .

(٣) الأفكل : اسم لرعدة من برد أو خوف .

به المكان ، مُضارِعَةٌ للاسماء ، لأنها تدل على ذات الشيء ، وإن كانت في الأصل نعتاً ، تقول في جمعها الأَباطِح والأَبارِق والأَدَاهِم والأَسَاوِد ، فإن أرَدْتَ نعتاً مَحْضاً يَتْبَعُ المنعوت قلت مررت بثياب سُودٍ ، وبخَيْلٍ دُهْمٍ ، وكل ما أشْبَهَ هذا فهذا مَجْرَاه ، قال جريرٌ :

هُوَ القَيْنُ وَابْنُ القَيْنِ لا قَيْنَ مِثْلُهُ ... لِفَطْحِ المَساحِي أو لِجَدْلِ الأَدَاهِمِ(١)

وقال الأَشْهَبُ بن رُمَيْلَةَ (قال أبو الحسن رُمَيْلَةُ اسم أُمِّهِ) :

أُسُودُ شَرًى لاقَتْ أُسُودَ خَفِيَّةٍ ... تَسَاقَوْا عَلَى حَرْدٍ دِمَاءَ الأَسَاوِدِ

قوله على حرد يقول على قَصْدٍ . فأما قولُ الله عز وجل :

« وغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قادِرِينَ » ، فإن فيه قولين : أحدهما ما ذَكَرْنا من القصد . قال الشاعر :

قَدْ جاءَ سَيْلٌ جاءَ مِنْ أَمْرِ اللَّهْ ... يَحْرُدُ حَرْدَ الجَنَّةِ المُغِلَّهْ

(قال أبو حاتم هذه صنعة(٢) مَنْ لا أحْسَنَ اللهُ ذِكْرَهُ - يعني قَطَرِيّاً(٣))

وقالوا على حَرْدٍ : أي على مَنْعٍ من قولهم حارَدَتِ السنةُ إذا مَنَعَتْ قَطْرَهَا ، وحاردت الناقة إذا مَنَعَتْ دَرَّهَا .

(قال أبو الحسن رواية أبي العباس يُقِرُّ بعيني يريد يُقِرُّ عيني ثم أتى بالباء توكيداً ، وقال لنا هكذا سمعته ، ويقال أقَرَّ الله عينَهُ يُقِرُّها ، وَقَرَّتْ عينُهُ تَقَرُّ ، وقَرَرْتُ بالمكان أقِرُّ ، وقال الأصمعي : قَرَّتْ عينُهُ من القُرِّ وهو البَرْدُ : أي جَمَدَتْ فلم تدمع ، وهو بحِذاء سَخِنَتْ عينُهُ ، وأجْوَدُ مما رَوَى

---

(١) المساحي : واحدتها مسحاة ، وهي المجرفة من حديد يسحى بها الطين عن وجه الأرض .

(٢) يريد حذف الألف في لفظ الجلالة . (٣) قطري بن الفجاءة أحد شعراء الخوارج .

عندى يَقَرُّ بعينى ، وهو الأصل . والباء فى موضعها غيرُ مؤكدة . وقال أبوالعباس : الذى رَوَيْتُ: وقد مَلَّ السُّرَى كُلُّ واحد ، وهو المنفرد فى السير المُتَوَحِّدُ به ، ورَوَى غيره كلُّ وَاجِدٍ ، أى عاشق ورُوِىَ أيضاً كل واخِدٍ ، وهو من الوَخْد والوَخَدَانِ . وهو السير الشديد . والوَخْدُ المصدرُ ، والوَخَدانُ الأسم) .

٭٭٭

قال أبو العباس : وقال القَتَّالُ الكِلَابِيُّ ، واسمه عُبَيْدُ بن مَضْرَحِيّ :

أَنَا ابْنُ أَسْمَاءَ أَعْمَامِى لَهَا وَأَبِى[1] إِذَا تَرَامَى بَنُو الْإِمْوَانِ بِالْعَارِ
لَا أَرْضِعُ الدَّهْرَ إِلَّا ثَدْىَ وَاضِحَةٍ لِوَاضِحِ الخَدِّ يَحْمِى حَوْزَةَ الجَارِ
مِنْ آلِ سُفْيَانَ أَوْ وَرْقَاءَ يَمْنَعُهَا تَحْتَ الْعَجَاجَةِ ضَرْبٌ غَيْرُ عُوَّارِ
يَا لَيْتَنِى وَالْمُـــنَى لَيْسَتْ بِنَافِعَةٍ لِمَالِكٍ أَوْ لِحِصْنٍ أَوْ لِسَيَّارِ
طِوَالُ أَنْضِيَةِ الْأَعْنَاقِ لَمْ يَجِدُوا رِيحَ الْإِمَاءِ إِذَا رَاحَتْ بِأَزْفَارِ

قوله إذا ترامى بنو الإموان بالعار ، فالْإِمْوَانُ جمع أَمَةٍ ، وأصل أَمَةٍ فَعَلَةٌ متحركة العين ، وليس شىء من الأسماء على حرفين إلا وقد سقط منه حرف يُسْتَدَلُّ عليه بجمعه ، أو بتثنيته أو بفعل إن كان مشتقًّا منه . لأن أقل الأصول ثلاثة أحرف ، ولا يَلْحَقُ التصغيرُ ما كان أقلَّ منها ، فأَمَةٌ قد علمنا أن الذاهب منها واو بقولهم إِمْوَان ، كما علمنا أن الذاهب من أبٍ وأخٍ الواو بقولهم أَبَوَانِ وأَخَوَانِ ، وعلمنا أن أمة فَعَلَةٌ متحركة بقولهم فى الجميع آمٍ ، فوزن هذا أَفْعُلٌ[2] ، كما قالوا أَكَمَةٌ وآكُمٌ ، ولا تكون فَعْلَةٌ على أفعلٍ ، ثم قالوا

(١) أسماء أصلها وسماء : من الوسامة ، فهى على وزن فعلاء . (٢) فيكون الأصل : أأمو ، قلبت الضمة كسرة ، وقلبت الواو ياء ، وأعلت إعلال قاض ، وقلبت الهمزة الثانية مدة .

إمْوانٌ كما قالوا فى المذكَر الذى هو منقوص مثله إخْوانٌ ، واستوى المذكر والمؤنث لأن الهاء زائدة كما اسْتَوَيَا فى فَعْل الساكن العين ، تقول كَلْبٌ وكِلاب . وكَعْبٌ وكِعابٌ ، كما تقول فى المؤنث طَلْحَةٌ وطِلاحٌ ، وجَفْنَةٌ وجفان وصَحْفَةٌ وصِحافٌ ، ونظير ذلك من غير المعتل وَرَلٌ(١) ووِرْلانٌ ، وَبَرَقٌ ، وبِرْقانٌ وَخرَبٌ وَخِرْبانٌ ، وهو ذَكَرُ الحُبارَى والبَرَقُ الحَمَلُ ، ومن أنشد امْوَانٌ فقد غلط . لأنه يَحْتَجُّ بقولهم حَمَلٌ وحُمْلانٌ ، وفَلَقٌ وفُلْقانٌ ، وهذا إنما يحمل على ما كان معتلاً مِثْلُهُ نحو أخ وإخْوانٍ ، وقد رَوَى أبو زيد أُخْوان ، فإلى هذا ذهبوا . والقياس المطرد لا تَعْتَرِضُ عليه الرِّوايةُ الضعيفةُ .

وقوله : لا أرْضِعُ الدَّهْرَ فهذا على لغته ، لأن قيْسًا تقول رَضَعَ يَرْضِعُ ، وأهل الحجاز يقولون رَضِعَ يَرْضَعُ ، وينشدون بيت عبد الله بن هَمّامٍ السَّلُولِيِّ على ، وجهين وهو :

إذَا نَصبُوا لِلْقَوْلِ قالُوا فَأَحْسَنُوا وَلٰكِنَّ حُسْنَ القَوْلِ خالَفَهُ الْفِعْلُ

وَذَمُّوا لَنا الدُّنْيا وَهُمْ يَرْضِعُونَها أَفاوِيقَ حَتَّى ما يَدُرُّ لَها ثُعْلُ(٢)

وبعضهم يقول يَرْضَعُونَها ، وقوله لا أرْضِعُ الدهر إلا ثَدْيَ واضحة يقول إنما تُرْضِعُنِى أمِّى ، وليست غير كريمة ، كما قال الأعْشَى :

يَا خَيْرَ مَنْ يَرْكَبُ المَطِيَّ وَلاَ يَشْرَبُ كَأْساً بِكَفِّ مَنْ بَخِلاَ

يقول إنما تَشْرَبُ بكفك ، ولسْتَ ببخيل ، ومثْلُ هذا قولُ التَّمِيمِيِّ لِنَجْدَةَ ابن عامرٍ الحَنَفِيِّ الخارجيِّ :

---

(١) الورل : دابة طويلة الذنب على خلقة الضب .

(٢) الثعل : خلف زائد صغير فى أخلاف الناقة ، وضرع الشاة لا يدر من اللبن شيئا .

مَتَى تَلْقَ الحَرِيشَ حَرِيشَ سَعْدٍ وَعَبَادًا يَقُودُ الدَّارِعِينَا
تَبَيَّنْ أَنَّ أُمَّكَ لَمْ تَوَرَّكْ[1] وَلَمْ تُرْضِعْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَا

وقوله واضحة أى خالصة فى نَسَبِها، وليستْ بأَمَةٍ وهذا توكيد لبيته الأول، وقد أنشد بعضهم (لواضح الجَدِّ) والمعنى قريب.

وقوله: يَحْمِى حَوْزَةَ الجار أى ما يَحُوزُهُ، يقال فلان مانع لحَوْزَتِهِ: أى لما صار فى حَيِّزِهِ. ويُرْوَى عن علىّ بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه أنه قال: للأَزْدِ أَرْبَعٌ ليست لِحَيٍّ: بَذْلٌ لما ملَكَتْ أيديهم، ومَنْعٌ لحَوْزَتِهِمْ. وحَيٌّ عِمَارَةٌ[2] لا يحتاجون إلى غيرهم، وشُجْعانٌ لا يَجْبُنُونَ.

(وقولُه: لِمالِكٍ، أو لِحِصْنٍ، أو لِسَيَّار، فهؤلاء بيت فَزَارَةَ، وبُيُوتاتُ العَرَبِ فى الجاهلية ثلاثة، فبيتُ تَميمٍ بنو عبد الله بن دارِمٍ. ومَرْكَزُهُ بنو زُرَارَةَ. وبيتُ قَيْسٍ بنو فَزَارَةَ ومَرْكَزُهُ بنو بَدْرٍ، وبيت بَكْر بن وائِلٍ بنو شَيْبان ومَرْكَزُهُ بنو ذى الجَدَّيْنِ.

(وقوله: طِوالُ أَنْضِيَةِ الأَعْناقِ فالنَّضِىُّ مُرَكَّبُ النَّصْلِ فى السِّنْخِ، وَضَرَبَهُ مَثَلاً، وإنما أراد طِوال الأعناق، كما قال الأعشى:

الْوَاطِئِينَ عَلَى صُدُورِ نِعَالِهِمْ يَمْشُونَ فى الدَّفَئِيِّ وَالْأَبْرَادِ[3]

يريد السُّودَدَ والنِّعْمَةَ وَلَمْ يَخْصُصِ الصدورَ، وإنما أراد النعال كلها، وقال الشاعر (هُوَ الشَّمَرْدَلُ بْنُ شُرَيْكٍ الْيَرْبُوعِيُّ عَنِ ابْنِ قُتَيْبَةَ):

يُشَبَّهُونَ مُلُوكًا فِى تَجِلَّتِهِمْ وَطُولِ أَنْضِيَةِ الْأَعْنَاقِ وَاللِّمَمِ

---

(١) أى لم تحملك على وركها. (٢) عمارة بفتح العين وكسرها: أى يقومون بأمورهم.
(٣) الدفئى: نوع من الأبراد.

إذَا بَدَا المِسْكُ يَنْدَى فِي مَفَارِقِهِمْ رَاحُوا كَأَنَّهُمُ مَرْضَى مِنَ الْكَرَمِ

(قال أبو الحسن : وغيره يَرْوِي يُشَبِّهُونَ قُرَيْشًا فى تجلتهم) .

وقوله بأزفار : فالزِّفْرُ الحِمْلُ ويُضْرَبُ مَثَلاً لارجل فيقال إنه لَزُفَر . أى حَمَّالٌ للأثقال . ويقال أتَى حِمْلَهُ فازْدَفَرَهُ ، قال أبو قُحافَةَ أعْشَى باهِلَةَ :

أَخُو رَغَائِبَ يُعْطِيهَا وَيُسْئَلُهَا يَأْبَى الظُّلَامَةَ مِنْهُ النَّوْفَلُ الزُّفَرُ

وإنما يريده بعينه كقولك لئن لَقِيتَ فلانا ليَلْقَيَنَّكَ منه الأسَدُ .

وقوله النَّوْفَلُ من قولهم إنه لذو فَضْلٍ وَنَوَافِلَ .

وقال رجل من بنى عَبْسٍ (قال أبو الحسن يقوله لعُرْوَةَ بن الوَرْدِ) .

لا تَشْتُمَنِّى يا بن وَرْدٍ فإنَّنِى تَعُودُ عَلَى مَالِي الْحُقُوقُ الْعَوَائِدُ

وَمَنْ يُؤْثِرِ الحَقَّ النَّؤُوبَ تَكُنْ بِهِ خَصَاصَةُ جِسْمٍ وَهُوَ طَيَّانُ مَاجِدُ

وَإِنِّى امْرُؤٌ عَافِى إنَائِىَ شِرْكَةٌ وَأَنْتَ امْرُؤٌ عَافِى إنَائِكَ وَاحِدُ

أُقَسِّمُ جِسْمِى فِى جُسُومٍ كَثِيرَةٍ وَأَحْسُو قَرَاحَ المَاءِ وَالمَاءُ بَارِدُ

قوله النؤوب يريد الذى يَنُوبُهُ وكلُّ واو انْضَمَّتْ لغير عِلَّةٍ فأنتَ فى همزها وتركِها بالخيار، تقول فى جَمْعِ دارٍ أدْؤُرٌ ، وإن شئتَ لم تهْمِزْ ، وكذلك النَّؤُوب والقَؤُولُ لانضمام الواو ، فأمَّا الواو الثانية فإنها ساكنة وقبلها ضمة ، وهى مَدَّةٌ فلا يُعْتَدُّ بها ، ولو التقتْ واوانِ فى أوّل كلمةٍ ، وليستْ إحداهما مَدَّةً لم يكن بُدٌّ مِنْ هَمْزِ الأولى ، تقول فى تصغير واصِلٍ وواقِدٍ أُوَيْصِلٌ وأُوَيْقِدٌ لا بُدَّ من ذلك ، فأما وُجُوهٌ فإن شئت هَمَزْتَ فقلت أُجوهٌ ، وإن شئتَ لم تَهْمِزْ ، قال الله عزّ وجل : «وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ» والأصل وُقِّتَتْ ، ولوكان فى

غير القرآن لجاز إظهار الواو ان شئت[1] . وقوله تعالى : « مَا وُورِيَ عَنْهُمَا » الواو الثانية مَدَّةٌ فلا يُعْتَدُّ بها ، ولو كان فى غير القرآن لجاز الهمز لا نضمام الواو .

وقولى إذا انضمت من غير علة ، فالعلة أن تكون ضمتها إعرابا نحو هذا غَزْوٌ يا فتى ودَلْوٌ كما ترى . فهذا مما لا يجوز هَمْزُهُ لأن الضمة للإعراب فليستْ بلازمة ، أو تَنْضَمُّ لالتقاء الساكنين ، فذلك أيضاً غير لازم ، فلا يجوز همزه نحو اخْشَوُا الرجل « وَلَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ، وَلَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ » ومَنْ هَمَزَ من هذا شيئاً فقد أخطأ .



وقال رجل من بنى تَميمٍ :

أَلْبَانُ إِبْلِ تَعِلَّةَ بْنِ مُسَافِرٍ ... ما دَامَ يَمْلِكُهَا عَلَىَّ حَرَامُ
وَطَعَامُ عِمْرَانَ بْنِ أَوْفَى مِثْلُهَا ... مَا دَامَ يَسْلُكُ فِي الْبُطُونِ طَعَامُ
إِنَّ الَّذِينَ يَسُوغُ فِي أَعْنَاقِهِمْ ... زَادٌ يُمَنُّ عَلَيْهِمُ لَلِئَامُ
لَعَنَ الْإِلٰهُ تَعِلَّةَ بْنَ مُسَافِرٍ ... لَعْنًا يُشَنُّ عَلَيْهِ مِنْ قُدَّامُ

وهذا كلام فصيح جدًّا .

قوله يسوغ فى أعناقهم يريد حُلُوقَهُمْ لأن العُنُقَ يحيط بالحَلْقِ ، ويُشْبِهُ هذا فى الاتساع فى الفصاحة لا فى المعنى قول القُطَامِيِّ[2] :

(١) قال الشيخ المرصفى : بها قرأ أبو عمرو فضم الواو وشدد القاف، وبها قرأ عمرو بن عبيد أيضا
(٢) بضم القاف وفتحها .

لَمْ تَرَ قَوْمًا هُمُ شَرٌّ لِإِخْوَتِهِمْ   مِنَّا عَشِيَّةَ يَجْرِى بِالدَّمِ الْوَادِى

نَقْرِيهِمُ لَهْذَمِيَّاتٍ نَقُدُّ بِهَا   مَا كَانَ خَاطَ عَلَيْهِمْ كُلُّ زَرَّادِ

لأن الخياطة تضمُّ خرقَ القميص ، والسَّرْدَ يضم حلقَ الدِّرْعِ ، فضَرَبَهُ ، مَثَلاً فجَعَلَهُ خياطةً (قال أبو الحسن رَوَى أبو العباس :

﴿ وطعام عمران بن أوفى مثلها ﴾

ردّ الهاء والألف على الألبان ، وهذا لا نظر فيه ، ورَوَى أيضاً مِثْلُهُ لأن الألبان تجرى مَجْرَى اللبن ، فحَمَلَهُ على المعنى ، وقد يجوز أن تُجْعَلَ الألبانُ جَمْعاً فتُذَكَّرَ لتذكير الجمع ، ورُوِىَ أيضاً .

﴿ مادامَ يَسْلُكُ فى الْحلوقِ طعامُ ﴾

ورَوَى الفرَّاء فى هذا الشِّعْرِ :

﴿ إنَّ الذين يَسُوغُ فى أَحْلاقِهِمْ ﴾

وإنما كان ينبغى أن يكون فى أَحْلُقِهِمْ كقولك فَلْسٌ وأفْلُسٌ ، وما أشبهه ، ولكنه شَبَّهَ باب فَعْلٍ بباب فَعَلٍ ، كما قالوا زَنْدٌ وأَزْنَادٌ ، وفَرْخٌ وأفْرَاخٌ . قال الحُطَيْئَةُ لِعُمَرَ[1] رحمه الله تعالى :

مَا ذَا تَقُولُ لِأَفْرَاخٍ بِذِى مَرَخٍ   حُمْرِ الْحَوَاصِلِ لا ماءٌ وَلا شَجَرُ

ففعلوا هذا تشبيهاً بباب فَعَلٍ كما شَبَّهُوا فَعَلاً بِفَعْلٍ فى الجمع ، فقالوا : جَبَلٌ وأَجْبُلٌ ، وزَمَنٌ وأزْمُنٌ ، كما قال :

إِنِّى لَأَكْنِى بِأَجْبَالٍ عَنَ اَجْبُلِهَا   وَبِاسْمِ أَوْدِيَةٍ حُبًّا لِوَادِيهَا

---

(١) وكان هجا الزبرقان بن بدر فاستعدى عليه عمر بن الخطاب فحبسه .

فَأَتَى به على الأصل ، وتشبيهاً بغيره على ما أخبرتُك ، وقال ذو الرُّمَّة :

أَمَنْزِلَتَيْ مَيٍّ سَـلَامٌ عَلَيْكُما هَلِ الْأَزْمُنُ اللَّائِي مَضَيْنَ رَوَاجِعُ

والباب أزمان كما قال رُؤْبَةُ :

أَزْمَانَ لا أَدْرِي وَإِنْ سَأَلْتِ مَا فَرْقُ بَيْنَ جُمْعَةٍ وَسَبْتِ

ورَوَى أبو العباس : البيتَ الأخير مُقَوًّى ، وجَعَلَهُ نكرة . وهو قوله من قُدَّامٍ ، كما تقول جئتك من قَبْلٍ ، ومن بَعْدٍ ، ومن عَلٍ ، وما أشبهه ، كما قرأ بعضهم « لِلّٰهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلٍ ومِنْ بَعْدٍ » ، كما تقول أوّلاً وآخِراً . ورواه الفراء من قُدَّامُ ، وجعله معرفة[1] ، وأجراه مُجْرَى الغايات[2] ، نحو قَبْلُ وبَعْدُ ، كما قال طَرَفَةُ بن العَبْدِ :

ثُمَّ تَفْرِي اللُّجْمَ مِنْ تَعْدَائِهَا فَهْيَ مِنْ تَحْتُ مُشِيحَاتُ الحُزُمْ

وكما قال عُتَيٌّ[3] بن مَالِكٍ العُقَيْلِيُّ ، أنشده الفراء أيضاً :

إِذَا أَنَا لَمْ أُومَنْ عَلَيْكَ وَلَمْ يَكُنْ لِقَاؤُكَ إِلَّا مِنْ وَرَاءُ وَرَاءُ

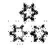
فهذا الضرب مما وقع معرفة على غير جِهَةِ التعريف ، وجِهَةُ التعريف أن يكون مُعَرَّفًا بنفسه ، كزيد وعمرو ، أو يكون مُعَرَّفًا بالألف واللام ، أو بالإضافة ، فهذه جهة التعريف ، وهذا الضرب إنما هو مُعَرَّفٌ بالمعنى ، فلذلك بُنِيَ إِذْ خَرَجَ من الباب ، ويُرْوَى لَغْنًا يُسَنُّ عليه بالسين ، ويُسَنُّ وَيُشَنُّ واحد ، أي يُصَبُّ إلا أن بعضهم قال : السَّنُّ الصَّبُّ على جهة واحدة ، وقالوا

---

(١) بإضافته إلى محذوف يعلمه المخاطب .

(٢) أي الكلمات التي جعلت غاية بعد حذف المضاف إليه . (٣) شاعر جاهلي .

يقال: شَنَنْتُ عليه الماء، وسَنَنْتُهُ، وَسَنَنْتُ عليه الدِّرْعَ لاغير، وقالوا شَنَنْتُ عليه الغارَةَ لاغير(١) » .



قال أبو العباس وقال القُطامِيُّ :

فَمَنْ تَكُنِ الحَضارَةُ أَعْجَبَتْهُ ... فَأَيَّ رِجالِ بادِيَةٍ تَرَانا

وَمَنْ رَبَطَ الْجِحَاشَ فَإِنَّ فِينا ... قَنًا سُلُباً وَأَفْرَاساً حِسَانا(٢)

وَكُنَّ إِذَا أَغَرْنَ عَلَى قَبِيلٍ(٣) ... فَأَعْوَزَهُنَّ نَهْبٌ حَيْثُ كَانَا

أَغَرْنَ مِنَ الضِّبابِ عَلَى حِلَالٍ(٤) ... وَضَبَّةَ إِنَّهُ مَنْ حَانَ حَانَا

وَأَحْيَانًا عَلَى بَكْرٍ أَخِينَا(٥) ... إِذَا مَا لَمْ نَجِدْ إِلَّا أَخَانَا

قوله الحَضَارَةُ يريد الأمْصارَ ، وتقول العرب فلانٌ بادٍ وفلانٌ حاضِرٌ ، وفى الحديث : ولا يَبِيعَنَّ حاضِرٌ لبادٍ ، وتأويلُ ذلك أن البادى يَنْدَمُ وقد عرَفَ أسْعار مامَعَهُ وما مِقْدارُ رِبْحِهِ ، فإذا جاءه الحاضِرُ عرَّفَهُ سُنَّةَ البَلَدِ ، فَأَغْلَى على الناس ، ومِثْلُ ذلك النهى عن تَلَقِّى الجَلَبِ(٦) ، ومثله : دَعُوا عِبادَ اللهِ يُصِبْ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ، ويقال حَيٌّ حِلَالٌ إذا كانوا مُتَجَاوِرِينَ مُقِيمين ، وأنشد الأصمعى :

أَقَوْمٌ يَبْعَثُونَ الْعِيرَ نَجْرًا ... أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمْ حَيٌّ حِلَالُ

(١) انتهى كلام ابن القوطية .

(٢) القنا السلب : الرماح الطوال . (٣) القبيل : الجماعة من الناس .

(٤) اسم علم، وكذلك ضبة . (٥) بكر بن وائل .

(٦) أى المجلوب .

باب

قيل لمعاوية: ما النُّبْلُ؟ فقال: الحِلْمُ عند الغضب، والعفْوُ عند القدرة. ويُرْوَى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ألاَ أُخْبِرُكُمْ بِشِرارِكُمْ؟ قالوا بلَى. قال: منْ أَكَلَ وَحْدَهُ، ومَنَعَ رِفْدَهُ، وضَرَبَ عَبْدَهُ؛ أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذٰلِكُمْ؟ مَنْ لا يُقيلُ عَثْرَةً، وَلا يَقْبَلُ مَعْذِرَةً، وَلا يَغْفِرُ ذَنْباً؛ أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِشَرٍّ من ذٰلكُمْ: مَن يُبْغِضُ الناسَ وَيُبْغِضُونَهُ. ويُرْوَى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: المُسْلمون تتَكافأُ دِماؤُهُمْ وَيَسْعى بِذِمَّتِهِمْ أَدْناهُمْ، وهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِواهُمْ، والمَرْءُ كَثِيرٌ بأَخيهِ.

قوله صلى الله عليه وسلم: تتَكافأُ دماؤُهم، من قولك فلان كُفْءٌ لفلان، أى عَدِيلُهُ، وموضوع بحذائه. قال الله عزّ وجل: «وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ» ويقال: فلان كِفاءُ فلانٍ، وكَفِيءُ فلانٍ، وكُفْءُ فلان.

ويروى أن الفرَزْدَق بَلَغَهُ أَنَّ رجلاً من الحَبِطَاتِ بن عَمْرو بن تميم خَطَبَ امرأة من بنى دارمِ بن مالك بن حَنْظَلَةَ بن مالك بن زيد مَناةَ بن تميم، فقال الفرزدق:

بَنُو دَارِمٍ أَكْفاؤُهُمْ آلُ مِسْمَعٍ ... وَتَنْكِحُ فى أَكْفائِها الحَبِطَاتُ

فآلُ مِسْمَعٍ بيت بَكْرِ بن وائِلٍ فى الإسلام، وهم من بنى قَيْسِ بن ثَعْلَبَةَ

ابن عُكابةَ بن صَعْب بن عليّ بن بكر بن وائل ، والحبطات[1] هم بنو الحارث ابن عمرو بن تميم ، فقوله أكفاؤهم إنما هو جمع كُفْء يا فتى . فقال رجل من الحَبطات يجيبُه :

أمَا كَانَ عَبَّادٌ كَفِيئًا لِدَارِمٍ ۞ بَلَى وَلأَبْيَاتٍ بِهَا الحُجُرَاتُ

يعني بني هاشم[2] ، من قول الله عز وجل : « إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الحُجُرَاتِ » .

وقال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه : مَنْ لانَتْ كَلِمَتُهُ وَجَبَتْ مَحَبَّتُهُ . وقال : قيمَةُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يُحْسِنُ .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ثلاثٌ يُثْبِتْنَ لكَ الْوُدَّ في صَدْرِ أخيك : أنْ تَبْدَأَهُ بالسَّلام ، وتُوَسِّعَ له في المجلس ، وتَدْعُوَهُ بأحَبِّ الأسماء إليه .

وقال : كَفَى بِالمَرْءِ غَيًّا أن تكون فيه خَلَّةٌ من ثلاثٍ : أن يَعِيبَ شيئًا ثم يأتِيَ مِثْلَهُ ، أو يَبْدُوَ لَهُ من أخيه ما يَخْفَى عليه من نَفْسه ، أو يُؤْذِيَ جَليسه فيما لا يَعْنيه .

وقال عبد الله بن العباس لبعض اليمانيةِ : لكم من السماء نَجْمُها ، ومن الكَعْبَةِ رُكْنُها ، ومن السُّيوفِ صَمِيمُها ، يعني سُهَيْلاً من النجوم ، والرُّكْنَ اليَمانى ، وصَمْصَامَةَ عمرو بن مَعْدِى كَرِبَ .

ويروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال يومًا : مَنْ أجْوَدُ العربِ ؟

---

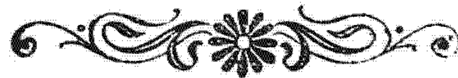
(١) تفتح الباء عند النسب إلى الحبط بكسرها ، وهو الحارث أكل شيئاً انتفخت به بطنه فسمى بذلك.

(٢) يريد أن الأبيات أبيات بنى هاشم ، أما الحجرات فهى بيوت الرسول .

فقيل له : حاتم . قال : فمن شاعرها ؟ قيل : امرؤ القيس بن حُجْر . قال : فمن فارسها ؟ قيل : عمرو بن معدى كرب . قال : فأى سيوفها أمضى ؟ قيل : الصمصامة .

وقال معاوية بن أبى سفيان للأحنف بن قيس ، وجارية بن قدامة ، ورجال من بنى سعد معهما كلامًا أحفظهم . فردوا عليه جوابا مُقْذِعا ، وابنة قرظة فى بيت يقرب منه ، فسمعت ذلك . فلما خرجوا قالت : يا أمير المؤمنين ، لقد سمعت من هؤلاء الأجلاف كلاما تلقوك به فلم تنكر ، فكدت أخرج إليهم فأسطو بهم . فقال لها معاوية : إن مضر كاهل العرب ، وتميما كاهل مضر ، وسعدًا كاهل تميم ، وهؤلاء كاهل سعد .

وكان معاوية يقول : إنى لا أحمل السيف على من لا سيف معه . وإن لم تكن إلا كلمة يشتفى بها مشتف جعلتها تحت قدمى ، ودبر أذنى[1] (المُقْذِع الذى فيه إقذاع ، وهو السيء من القول) .



(١) دبر أذنى : أى خلف أذنى ، والدّبر هنا بفتح الدال .

باب

قال أبو العباس : قال رجل أحْسِبُهُ من بنى سَعْد يرثى رجلا :

وَمُخْتَصَرِ المَنَافِعِ أَرْيَحِيٍّ[1] نَبِيـــلٍ فى مَعَاوِزَةٍ طِوَالِ
عَزِيزٍ عِزَّةً فى غَيْرِ فُحْشٍ ذَلِيلٍ لِلذَّلِيلِ مِنَ المَوَالِى
جَعَلْتُ وِسَادَهُ إِحْدَى يَدَيْهِ وَتَحْتَ جَمَائِهِ خَشَبَاتُ ضَالِ[2]
وَرِثْتُ سِلاَحَهُ وَوَرِثْتُ ذَوْداً وَحُزْناً دَائِماً أُخْرَى اللَّيَالِى

قوله أرْيَحِىّ : هو الذى يَرْتاح للمَعْروف أى يَخِفُّ له ، ويقال أخَذَتْ فلاناً أرْيَحِيَّةٌ أى خِفَّةٌ وحركة لفعل المعروف . والمَعاوِزُ الثياب التى يَتَبَذَّلُ فيها الرجل ، وهى دون الثياب التى يَتَجَمَّلُ بها ، واحدها مِعْوَزٌ ، قال الشَّمَّاخُ فى نعت القَوْس :

إِذَا سَقَطَ الأَنْدَاءُ صِينَتْ وَأُشْعِرَتْ[3] حَبِيرًا وَلَمْ تُدْرَجْ عَلَيْهَا المَعَاوِزُ

وقوله فى مَعَاوِزَةٍ : فزاد الهاء فإنما يُفْعَلُ ذلك لتحقيق التأنيث ، لأن كل جَمْعٍ مؤنثٌ ، كما تقول فى جمع صَيْقَلٍ صَيَاقِل وصَيَاقِلَة ، وكذلك جَوَارِب وجَوَارِبَة ، إلا أن أكثر الأعجمى يختص بالهاء ، وهو فى العربىّ جيّدٌ ، وفى العَجَمِىِّ أكثر استعمالا نحو المَوَازِجَةِ ، فإن كان منسوبًا كان البابُ فيه إثباتَ الهاء ، وتَرْكُها جائزٌ نحو : المَهالِبَةِ ، والمَسامِعَةِ ، والمَنَاذِرَةِ ، والأَحَامِرَةِ ،

---

(١) مختصر المنافع : يقدم الحاضر ولا يتكلف شيئاً ، كذلك فسره الشيخ المرصفى ، وقد يكون المراد أنه حاضر النفع فلا يخيب سائلوه . (٢) يرى الشيخ المرصفى أن الصواب « وفوق جمائه »
(٣) أشعرت : ألبست الشعار ، وهو الثوب الذى يلى الجسد.

وقالوا السَّبَابِجَة[1] لأنه قد اجتمع فيه النَّسَبُ والعُجْمَةُ . وقوله تحت جَمَائه يعنى شخصه ، والضال السِّدْرُ البَرِّىُّ . وما كان من السِّدْرِ على الأنهار فليس بِضَالٍ . ولكن يقال له عُبْرِىٌّ . قال ذو الرُّمَّةِ :

قَطَعْتُ إذا تَجَوَّبَتِ الْعَوَاطِى[2] ضُرُوبَ السِّدْرِ عُبْرِيًّا وضالا

وقوله : وَرِثْتُ سِلاحه ووَرِثْتُ ذَوْدًا . يصف قُرْبَ نَسَبِه منه . والذَّوْدُ : القطعة من الإبل . وأكثر ما يُستعمل ذلك فى الإناث . ويجوز فى السائر . ومنه قولهم : الذَّوْدُ إلى الذَّوْدِ إبلٌ ، ثم قال :

* وَحُزْنًا دَائِمًا أُخْرَى اللَّيَالِى *

كما قال الأول ، وغُبِطَ بميراثٍ وَرِثَهُ من أحد أهله :

يَقُولُ جَزْءٌ وَلَمْ يَقُلْ جَلَلاَ إِنِّى تَرَوَّحْتُ نَاعِمًا جَــذِلاَ

إِنْ كُنْتَ أَزْنَنْتَنِى بِهَا كَذِبًا جَــزْءُ فَلاَقَيْتَ مِثْلَهَا عَجِلاَ

أُغْبَطُ أَنْ ارْزَأَ الْـكِرَامَ وَأَنْ أُورَثَ ذَوْدًا شَصَائِصًا نَبَلاَ

قوله : ولم يقل جللا : أى صغيراً ، والجَلَلُ يكون للصغير ، ويكون للكبير . من ذلك قوله : * كُلُّ شَىْءٍ مَا خَلاَ اللّهَ جَلَلْ *

أى صغير ، وقال لبيدٌ فى الكبير :

وَأَرَى أَرْبَدَ قَدْ فَارَقَنِى وَمِنَ الْأَرْزَاءِ رُزْءٌ ذُو جَلَلْ

وقوله شصائصاً : يعنى حقيرةً دَمِيمَةً[3] . وزعم التَّوَّزِىُّ أنّ النَّبلَ من الأضداد، يكون للجليل والحقير، واحْتَجَّ بهذا البيت الذى ذكرناه قال يريد ههنا الحقيرة

---

(١) هم قوم من السند نزلوا البصرة فكانوا بها شرطة وحراس سجون .

(٢) العواطى : الظباء تمد أعناقها إلى الشجر (٣) الشصائص جمع شصوص وهى الناقة التى قل لبنها

وقوله أَزْنَنْتَنِي : أي قَرَفْتَنِي ونَسَبْتَنِي إليه(١) ، يقال فلان يُزَنُّ بكذا . وكذا . أي يُسَمَّى به . ويُنْسَبُ إليه . قال امْرُؤُ القَيْسِ بن حُجْرٍ :

كَذَبْتِ لَقَدْ أُصْبِي عَلَى المَرْءِ عِرْسَهُ ... وَأَمْنَعُ عِرْسِي أَنْ يُزَنَّ بِهَا الخَالِي

وفي معنى قوله ورثت سلاحه قولُ الشاعر :

يَفْرَحُ الْوَارِثُ بِالْمَالِ إِذَا ... وَرِثَ المَالَ وَيَبْكِي إِنْ غَضِبْ

ومثله قول نعامةَ الفَزَارِيِّ :

* يَا حَبَّذَا التُّرَاثُ لَوْلاَ الذِّلَّهْ *



وقال جَمِيلُ بن مَعْمَرٍ :

مَا صَائِبٌ مِنْ نَابِلٍ قَذَفَتْ بِهِ(٢) ... يَدٌ وَمُمَرُّ العُقْدَتَيْنِ وَثِيـقُ

لَهُ مِنْ خَوَافِي النَّسْرِ حُمٌّ نَظَائِرٌ ... وَنَصْلٌ كَنَصْلِ الزَّاعِبِيِّ فَتِيقُ

عَلَى نَبْعَةٍ زَوْرَاءَ أَيْمَا خِطَامُهَا ... فَمَتْنٌ وَأَيْمَا عُودُهَا فَعَتِيـقُ

بِأَوْشَكَ قَتْلاً مِنْكِ يَوْمَ رَمَيْتِنِي ... نَوَافِذَ لَمْ تُعْلَمْ لَهُنَّ خُرُوقُ

كَأَنْ لَمْ نُحَارِبْ يَا بُثَيْنُ لَوَ انَّهَا ... تَكَشَّفُ غُمَّاهَا وَأَنْتِ صَدِيقُ

قوله ما صائب يريد قاصداً يقال : صابَ يَصُوبُ إِذَا قَصَدَ ، ومن ذلك قوله تعالى : « أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ » وقد قالوا النازلُ(٣) والقَصْدُ أَحْكَمُ ، كما قال بِشْرُ بن أبي خازمٍ الأسديُّ :

---

(١) من قولهم : فلان يزنّ بكذا ، أي يتهم به .

(٢) النابل : صاحب النبل ، كما يقال تامر ولابن ، لصاحب التمر واللبن . (٣) أي في تفسير الصائب.

تُؤَمِّلُ أَنْ أَؤُوبَ لَهَا بِغُنْمٍ ... وَلَمْ تَعْلَمْ بِأَنَّ السَّهْمَ صَابَا

(صَدْرُ البيت عن أبى الحسن) وقوله وُمُرٌّ العُقْدتين يعنى وَتَرًا . والمُمَرُّ الشديد الفَتْلِ . وقوله من (خَوَافِى النَّسْرِ حُمٌّ نَظَائرُ) يريد ريش السهم ، والحُمُّ : السُّودُ ، وذلك أخْلَصُهُ وأجْوَدُهُ ، وجَعَلها نظائر فى مقاديرها ، لأنه أقْصَدُ لِلسَّهْمِ . وإذا كانت الريشات بَطْنُ الواحدةِ منها إلى ظهر الأخرى فهو الذى يُخْتار . وهو الذى يقال له اللُّؤَامُ ، وإنما أُخِذَ من قولهم مُلْتَئِمٌ ، وإن كان ظهرُ الواحدة إلى ظهر الأُخرى ، وبَطْنُها إلى بطن الأُخرى ، فذلك مكروه ، يقال له اللُّغَابُ .

وقوله : كنصل الزاعبى ، شَبَّهَ نَصْلَ السَّهْمِ بِنَصْلِ الرُّمْحِ الزَّاعِبِىِّ ، وهو منسوب إلى رجل من الخَزْرَجِ يقال له زاعِبٌ كان يَعْمَلُ الأَسِنَّةَ ، هذا قول قوم ، وأما الأصمعى فكان يقول : الزَّاعِبىُّ هو الذى إذا هُزَّ فكأنَّ كُعُوبَهُ يَجْرِى بعضُها فى بعضٍ ، لِلِينِهِ وتَثَنِّيه[1] ، يقال مَرَّ يَزْعَبُ بِحِمْلِهِ إذا مَرَّ به مَرًّا سَهْلاً .

وقوله فتيق : يعنى حَدًّا رقيقاً ، يقال فَتِيقُ الشَّفْرَتَيْنِ ، وتأويله أنه يَفْتُقُ ما عُمِدَ به له ، وفَعِيلٌ يقع اسما للفاعل ، ويقع المفعول ، فأمّا الفاعل فَمِثْلُ رَحِيم وَعَلِيمٍ وَحَكِيمٍ وَشَهِيدٍ ، وأما ما كان للمفعول فنحو جَرِيحٍ وقَتِيلٍ وصَرِيع .

وقوله زَوْرَاء : يريد مُعْوَجَّةً ، وكلّما كانت القَوْسُ أشَدَّ انعطافا كان سَهْمُها أَمْضَى .

---

(١) وعلى ذلك تكون الياء فيه للمبالغة لا للنسب .

وقوله على نَبْعَةٍ : يعنى قَوْساً ، وأَكْرَمُ القِسِيِّ ما كان من النَّبْع .

وقوله أَيْمَا : يريد أَمَّا ، واستثقل التضعيف فأَبْدَلَ الياء من إحدى الميمين، ويُنْشَدُ بيتُ ابن أبي رَبِيعَةَ :

رَأَتْ رَجُلاً أَيْمَا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ فَيَضْحَى وَأَيْمَا بِالْعَشِيِّ فَيَخْصَرُ

وهذا يقع ، وإنما بابه[1] أن تكون قبل المضاعف كَسْرَةٌ فيما يكون على فِعَّال فيكرهون التضعيف والكَسْرَ ، فيُبْدِلون من المُضَعَّف الأول الياءَ للكسرة ، وذلك قولهم دِينارٌ وقِيرَاطٌ ودِيوانٌ وما أشبه ذلك ، فإن زالت الكَسْرَة وانفصل أحد الحرفين من الآخر رَجَعَ التضعيفُ ، فقلت دَنَانير وقَرَاريط ودَوَاوِين ، وكذلك إن صَغَّرْتَ قلتَ قُرَيْرِيطٌ ودُنَيْنِيرٌ .

وقوله وأَيْمَا عُودُها فعَتِيق : يصف كَرَمَ هذه القوس وعِتْقَها ، ويُحْمَدُ منها أن تُتْرَكَ ولِحَاؤُهَا عليها بعد القطع حتى تشرب ماءه ، كما قال الشَّمَّاخُ :

فَظَّعَهَا حَوْلَيْنِ مَاءَ لِحَائِهَا وَيَنْظُرُ مِنْهَا أَيُّهَا هُوَ غَامِزُ

مَظَّعَهَا : شَرَّبَهَا (قوله فظعها حولين أى تَرَكَهَا فى الظل حولين حتى تَشْرَبَ ماء اللِّحاء ، يقال تَمَظَّعَ الرجلُ الظلَّ : إذا تَحَوَّلَ من مكان إلى مكان) .

وقوله : بأَوْشَكَ قتلا منك ، يقول بأسرع ، يقال أمْرٌ وشِيكٌ أى سريع ، ويقال : يُوشِكُ فلانٌ أن يفعل كذا وكذا : أى يقاربُ ذلك ، ويُوشِكُ يفعل كذا بطرح أنْ ، كل ذلك جيِّدٌ[2] . قال الشاعر (هو أُمَيَّةُ بن أبى الصَّلْت) :

يُوشِكُ مَنْ فَرَّ مِنْ مَنِيَّتِهِ فِى بَعْضِ غِرَّاتِهِ يُوَافِقُهَا
مَنْ لَمْ يَمُتْ عَبْطَةً يَمُتْ هَرَمًا لِلْمَوْتِ كَأْسٌ فَالْمَرْءُ ذَائِقُهَا

(١) أى قياسه المطرد . (٢) والأجود إثبات أن .

(قال أبو الحسن : هذه الأبيات أربعة . وهي لرجل من الْخَوارج قتَلَهُ الْحَجَّاجُ ، أوّلها :

مَا رَغْبَةُ النَّفْسِ فِي الْحَيَاةِ وَإِنْ   عَاشَتْ قَلِيلاً فَالْمَوْتُ لاَحِقُها

وَأَيْقَنَتْ أَنَّها تَعُودُ كَمَا   كَانَ بَرَاها بِالْأَمْسِ خَالِقُهَا)

قوله : عَبْطة ، أى شابًّا، يقال اعْتُبِطَ الرجلُ : إذا مات شابًّا من غير مرض[1] ، وأصل العبيط : الطَّرِيُّ من كل شيء .

وقوله : نَوَافِذ لم تُعْلم لهن خروق : معنى طَرِيفٌ . وقد أخذه أبو حَيَّة منه فكشفه فى أبيات مختارة ، وهى : (اسم أبي حَيَّة : الْهَيْثَمُ بن الرَّبِيع) :

وَإِنَّ دَمًا ـ لَوْ تَعْلَمِينَ ـ جَنَيْتِهِ   عَلَى الْحَيِّ جَانِى مِثْلِهِ غَيْرُ سَالِمِ

أَمَا إِنَّهُ لَوْ كَانَ غَيْرُكِ أَرْقَلَتْ   إِلَيْهِ الْقَنَا بِالرَّاعِفَاتِ اللَّهَاذِمِ[2]

وَلٰكِنْ لَعَمْرُ اللّٰهِ مَا طَلَّ مُسْلِماً   كَغُرِّ الثَّنَايَا وَاضِحَاتِ الْمَلاَغِمِ

إِذَا هُنَّ سَاقَطْنَ الْحَدِيثَ كَأَنَّهُ   سِقَاطُ حَصَى الْمَرْجَانِ مِنْ سِلْكِ نَاظِمِ

رَمَيْنَ فَأَقْصَدْنَ الْقُلُوبَ فَلَمْ نَجِدْ[3]   دَمًا مَائِراً إِلاَّ جَوًى فِى الْحَيَازِمِ

(الكاف فى قوله : كَغُرِّ فاعلةٌ بقوله طل[4] ، ومنه قول الأعشى :

أَتَنْتَهُونَ وَلَنْ يَنْهَى ذَوِى شَطَطٍ   كَالطَّعْنِ يَذْهَبُ فِيهِ الزَّيْتُ وَالْفُتُلُ

وقول امْرِئِ القَيْسِ :

وَإِنَّكَ لَمْ يَفْخَرْ عَلَيْكَ كَفَاخِرٍ   ضَعِيفٍ وَلَمْ يَغْلِبْكَ مِثْلُ مُغَلَّبِ

---

(١) وذلك مجاز من قولهم عبط الناقة إذا نحرها وهى سمينة فتية ليس بها داء ولا كسر .

(٢) اللهاذم : القواطع ، والمفرد لهذم على وزن جعفر .

(٣) من قولهم : قصد الرجل أى طعنه فلم يخطئ مقاتله .

(٤) وعلى ذلك تكون الكاف اسما .

(قال أبو الحسن : وأول هذه الأبيات المختارة أنْشَدَناهُ غيْرُهُ :

خَبَّرَكِ الْوَاشُونَ أَنْ لَنْ أُحِبَّكُمْ   بَلَى وَسُتُورِ اللهِ ذَاتِ المَحارِمِ
أَصُدُّ وما الصَّدُّ الَّذِى تَعْلَمِينَهُ   شِفَاءٌ لَنَا إِلاَّ اجْتِرَاعَ الْعَلاقِمِ[1]
حَيَاءً وَبُقْيَا أَنْ تَشِيعَ نَمِيمَةٌ   بِنَا وَبِكُمْ أُفٍّ لِأَهْلِ النَّمَائِمِ)

قال أبو العباس : فهذا مأخوذ من ذلك .

وقوله : ولكن لعَمْرُ الله ما طَلَّ مسلماً ، يقول ما طَلَّ دمَهُ ، يقال دَمٌ مَطْلولٌ : إذا مَضَى هَدَرًا ، كما قال الراجز :

* بِغَيْرِ عَقْلٍ وَدَمٍ مَطْلُولِ *

وحدثنى التَّوَّزِىُّ قال : قال يَحْيَى بن يَعْمَرَ لرجل نازَعَتْه امرأته عنده « آنْ طالبَتْكَ بِثَمَنِ شَكْرِها وَشَبْرِكَ أَنْشَأْتَ تَطُلُّها وَتَضْهَلُها؟ » قوله : ثمن شكرها ، فإنما يعنى الرَّضاعَ ، والشَّبْرُ : النكاح ، والشَّكْرُ الفَرْجُ ، وقوله أنشأت تطلُّها ، أى تَسْعَى فى بطلان حقها ، وقوله تضهلها : أى تعطيها الشىء بعىء ، يقد الشال بَرْضَهُولٌ إذا كان ماؤها يَخْرُجُ من جِرابها شيئاً بعد شىء ، وجِرابُها جوانبُها ، وإنما يَغْزُرُ ماؤها إذا خرج من قَرَارتها فتَعْظُمُ جَمَّتُها .

وقوله : واضحات الملاغم ، يريد العَوَارِض[2] . قال الفَرَزْدَقُ :

سَقَتْهَا خُرُوقٌ فى المَسَامِعِ لَمْ تَكُنْ   عِلاَطًا وَلاَ مَخْبُوطَةً فى المَلاَغِمِ

يقول : عَلِمَ أربابُ الماء لِمَنْ هِىَ فَسَقاها ما سمعوه من ذكر أصحابها لِعِزِّهِمْ ومَنَعَتِهِمْ ، ولم تَحْتَجْ أن تكون بها سِمَةٌ ، والعِلاَطُ : وَسْمٌ فى العُنُقِ ، والخِبَاطُ فى الوجه .

---

(١) الاجتراع : الابتلاع ، والعلاقم : واحدها العلقم جمع العلقمة ، وهى القطعة من الحنظل.
(٢) وهى مايبدو من الفم عند الضحك .

باب

قال بعض الحكماء : مَنْ أدَّبَ ولَدَهُ صغيراً سُرَّ به كبيراً .

وكان يقال : مَنْ أدَّبَ ولده أرْغَمَ حَاسِدَهُ .

وقال رجل لعَبْدِ المَلِكِ بن مَرْوان : إني أريد أن أسِرَّ إليك شيئاً ، فقال عبد المَلِكِ لأصحابه : إذا شئتم . فَنَهَضُوا . فأراد الرجلُ الكلامَ ، فقال له عَبْدُ الملك : قِفْ لا تَمْدَحْني ، فأنا أعْلَمُ بنفسي منك . ولا تَكْذِبْني ، فإنه لا رأيَ لِمَكْذُوبٍ[1] ، ولا تَغْتَبْ عندي أحداً .

فقال الرجل : يا أمير المؤمنين أفتأذن لي في الانصراف ؟ قال له : إذا شئت .

وقال بعض الحكماء : ثلاثٌ لا غُرْبَةَ معهنّ : مجانبةُ الرِّيَبِ ، وحُسْنُ الأدَبِ ، وكَفُّ الأذى .

وقال عمرو بن العاص لِدِهْقانِ[2] نَهْرِ تِيرَى[3] : بِمَ يَنْبُلُ الرجلُ عندكم ؟ فقال : بترك الكَذِب : فإنه لا يَشْرُفُ إلا مَنْ يُوثَقُ بقوله ، وبقيامِهِ بأمر أهْلِهِ : فإنه لا يَنْبُلُ مَنْ يحتاجُ أهلُهُ إلى غيره ، وبمجانبة الرِّيَبِ : فإنه لا يعزُّ مَنْ لا يُؤْمَنُ أن لا يُصادَفَ على سَوْأة ، وبالقيام بحاجات الناس : فإنه مَنْ رُجِيَ الفَرَجُ لَدَيْهِ كَثُرتْ غاشيَتُهُ[4] .

---

(١) أصل المثل : ليس لمكذوب رأى . (٢) الدهقان — بكسر الدال وضمها — زعيم فلاحي العجم ، ويطلق على رئيس الإقليم ، والجمع دهاقين ودهاقنة .

(٣) نهر تيرى : بلد بناحية الأهواز . (٤) الغاشية : هم الذين يغشون أبواب الكرماء .

وقال بَزَرْجُمهرُ : مَنْ كَثُرَ أدَبُهُ كَثُرَ شَرَفُهُ وإن كان قَبْلُ وَضِيعاً ، وبَعُدَ صِيتُهُ وإن كان خَامِلاً . وسادَ وإن كان غريباً . وكَثُرَت الحاجةُ إليه وإن كان مُقتِراً .

وكان يقال : عَلَيْكُمْ بِالأدب ، فإنه صاحبٌ فى السَّفرِ ، ومُؤْنِسٌ فى الوحدة ، وجَمالٌ فى المَحْفِلِ ، وسَبَبٌ إلى طَلَب الحاجة .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : من أفضل ما أُعْطِيَتْهُ العربُ الأبياتُ يُقَدِّمُهَا الرجلُ أمامَ حاجَتِهِ : فَيَسْتَعْطِفُ بها الكريم ، ويستنزل بها اللئيم .

وكان شُعْبَةُ بن الحجاج ، أو سِمَاكُ بن حَرْبٍ (قال أبو الحسن هو سِمَاكٌ بلا شك) إذا كانت له إلى أمير حاجةٌ أستنزله بأبيات يقولها فيه .

وقال بعض الملوك لبعض وُزَرَائِهِ ــ وأراد مِحْنَتَهُ ــ : ما خَيْرُ ما يُرْزَقُهُ العبدُ ؟ قال : عَقْلٌ يعيش به . قال : فإنْ عَدِمَهُ ؟ قال : فَأَدَبٌ يتحلَّى به . قال : فإنْ عَدِمَهُ ؟ قال : فمالٌ يستره . قال : فإن عَدِمَهُ ؟ قال : فصاعِقَةٌ تُحْرِقُهُ ، فتُرِيحُ منه العبادَ والبلادَ .

وقيل لرجل من ملوك العجم : متى يكونُ الْعِلْمُ شرًّا من عدمه ؟ قال: إذا كَثُرَ الأدبُ ، ونقَصَت القَرِيحةُ .

وقال أرْدَشِيرُ : مَنْ لم يكن عَقْلُهُ أغْلَبَ خِلالِ الخير عليه ، كان حَتْفُهُ فى أغلب خلال الخير عليه .

وقال محمد بن علىّ بن عبد الله بن العباس ، وذكر رجلاً من أهله : إنى

لأكره أن يكون لِعِلْمِهِ فَضْلٌ على عقله ، كما أكره أن يكون للسانه فضلٌ على عامه .

وقال محمد بن عليّ بن الحسين : جميع التَّعايُشِ والتَّناصُفِ والتَّعاشُرِ في ملْءِ مِكْيالٍ ثلثاه فِطْنَةٌ ، وثلث تغافُلٌ . فلم يجعلْ لغير الفِطْنَةِ نَصِيباً من الخير ، ولا حَظًّا في الصَّلاح ، لأن الإنسان لا يتغافل إلا عن شيء قد عَرَفَهُ وفَطِنَ به[1] .

باب

قال رجل[2] من بني عبد الله بن غَطَفان ، وجاورَ في طيئ وهو خائف :

جَزَى اللهُ خَيْرًا طَيِّئًا مِنْ عَشِيرَةٍ   وَمِنْ صاحِبٍ تَلْقَاهُمُ كُلَّ مَجْمَعِ

هُمُ خَلَطُونِي بِالنُّفُوسِ وَدَافَعُوا   وَرَائِي بِرُكْنٍ ذِي مَنَاكِبَ مِدْفَعِ

وَقَالُوا تَعَلَّمْ أَنَّ مَالَكَ إِنْ يُصَبْ   نُفِدْكَ وَإِنْ تُحْبَسْ نُزُرْكَ وَنَشْفَعِ

وقال رجل من بني سَلامانَ بن سَعْد هُذَيْم من قُضَاعَةَ ، وَجاوَرَ فِي طَيِّئٍ :

كَأَنَّ الْجَارَ فِي شَمَجَى بْنِ جَرْمٍ   لَهُ نَعْمَاءُ أَوْ نَسَبٌ قَرِيبُ

يُحَاطُ ذِمَارُهُ وَيُذَبُّ عَنْهُ[3]   وَيَحْمِي سَرْحَهُ أَنْفٌ غَضُوبُ[4]

أَلِفْتُ مَسَاكِنَ الْجَبَلَيْنِ إِنِّي   رَأَيْتُ الْغَوْثَ يَأْلَفُهَا الْغَرِيبُ

(الجبلان : سَلْمَى وأَجَأٌ ، وهُمَا لِطَيِّئٍ ، وَالغَوْثُ قبيلة من طيئ .

---

(١) ويقال أيضا : فطن إليه ، وفطن له .

(٢) نسبه أبو تمام في حماسته الصغرى إلى ابن دارة ، وهو سالم بن مسافع .

(٣) الذمار : ما لزمك حفظه من أهل ومال . (٤) السرح : مايسام في المرعى من الأنعام.



وأنشدني عبد الوهاب بن جَنْبَةَ الغَنَوِيُّ لعُبَيْدِ بن العَرَنْدَسِ الكِلَابِيِّ يصف قومًا نزلَ بهم :

هَيْنُونَ لَيْنُونَ[1] أَيْسَارٌ ذَوُو يَسَرٍ ... سُوَّاسُ مَكْرُمَةٍ أَبْنَاءُ أَيْسَارِ

لَا يَنْطِقُونَ عَلَى الْعَمْيَاءِ إِنْ نَطَقُوا ... وَلَا يُمَارُونَ إِنْ مَارَوْا بِإِكْثَارِ

مَنْ تَلْقَ مِنْهُمْ تَقُلْ لَاقَيْتُ سَيِّدَهُمْ ... مِثْلَ النُّجُومِ الَّتِي يَسْرِي بِهَا السَّارِي



(قال أبو الحسن حدَّثنا أبو العباس أحمد بن يحيى قال حُدِّثْتُ عن أبي الفَضْل العبَّاس بن الفَرَجِ الرِّيَاشِيِّ قال : قَصَدَ رجل من الشعراء ثلاثةَ إخوةٍ من غَنِيٍّ ، وكانوا مُقَالِّينَ ، فامتدحهم ، فجعلوا له عليهم في كل سنة ذَوْدًا ، فكان يأتي فيأخذ الذَّوْدَ ، والشِّعْرُ الذي امتدحهم به قوله :

يَا دَارُ بَيْنَ كُلَيَّاتٍ[2] وَأَظْفَارِ ... وَالْحَمَّتَيْنِ سَقَاكِ اللَّهُ مِنْ دَارِ

عَلَى تَقَادُمِ مَا قَدْ مَرَّ مِنْ عُصُرٍ ... مَعَ الَّذِي مَرَّ مِنْ رِيحٍ وَأَمْطَارِ

عَنَّا غَنِيتِ بِذَاتِ الرِّمْثِ مِنْ أَجَلِي ... وَالْعَهْدُ مِنْكِ قَدِيمٌ مُنْذُ أَعْصَارِ

أراد أنَّي فقلب الهمزة عينا :

وَقَدْ نَرَى بِكِ وَالْأَيَّامُ جَامِعَةٌ ... بِيضًا عَقَائِلَ مِنْ عِينٍ وَأَبْكَارِ

فِيهِنَّ عَثْمَةُ لَا يَمْلَلْنَ عِشْرَتَهَا ... وَلَا عَلِمْنَ لَهَا يَوْمًا بِأَسْرَارِ

---

(١) يرى ابن الأعرابي أن العرب تمدح بهاتين الكلمتين مخففتين وتذم بهما مشددتين ، وغيره يجعلهما بمعنى واحد . (٢) جمع كلية مصغر كلوة ، وهي : اسم واد قريب من نجد وأظفار موضع لبني فزارة بنجد ، والحمتين هما حمتا الثوير ، وذكر بعض الناس أنهما جبلان .

إذْ يَحْسِبُ النَّاسُ أَنْ قَدْ نِلْتَ نَائِلَهَا ... قِدْمًا وَأَنْتَ عَلَيْهَا عَاتِبٌ زَارِي(١)

بَلْ أَيُّهَا الرَّاكِبُ الْمُفْنِي شَبِيبَتَهُ ... يَبْكِي عَلَى ذَاتِ خَلْخَالٍ وَأَسْوَارِ

خَبِّرْ ثَنَاءَ بَنِي عَمْرٍو فَإِنَّهُمُ ... أُولُو فُضُولٍ(٢) وَأَنْفَالٍ(٣) وَأَخْطَارِ(٤)

هَيْنُونَ لَيْنُونَ أَيْسَارٌ ذَوُو كَرَمٍ ... سُوَّاسُ مَكْرُمَةٍ أَبْنَاءُ أَيْسَارِ

فِيهِمْ وَمِنْهُمْ يُعَدُّ الْمَجْدُ مُتَّلِدًا(٥) ... وَلَا يُعَدُّ نَثَا خِزْيٍ وَلَا عَارِ

لَا يَظْعَنُونَ عَلَى الْعَمْيَاءِ إِنْ ظَعَنُوا(٦) ... وَلَا يُمَارُونَ إِنْ مَارَوْا بِإِكْثَارِ

وَإِنْ تَلَيَّنْتَهُمْ(٧) لَانُوا وَإِنْ شُهِمُوا(٨) ... كَشَفْتَ أَذْمَارَ حَرْبٍ غَيْرَ أَغْمَارِ

إِنْ يُسْأَلُوا الْعُرْفَ يُعْطُوهُ وَإِنْ جُهِدُوا ... فَالْجُهْدُ يَكْشِفُ مِنْهُمْ طِيبَ أَخْبَارِ

مَنْ تَلْقَ مِنْهُمْ تَقُلْ لَاقَيْتُ سَيِّدَهُمْ ... مِثْلَ النُّجُومِ الَّتِي يَسْرِي بِهَا السَّارِي)



قال أبو العباس: وكان قوم نزلوا ببني الْعَنْبَرِ بن عَمْرِو بن تَمِيمٍ، والقومُ من بني ضَبَّةَ، فَأُغِيرَ عليهم، فاستغاثوا جيرانهم فلم يُغِيثُوهُمْ، وجعلوا يُدَافِعونهم حتى خافوا فَوْتَهَا، فاستغاثوا ببني مازن بن مالك بن عمرو بن تميم، فَرَكِبُوا فَرَدُّوها عليهم، فقال الْمُكَعْبَرُ الضَّبِّيُّ في ذلك (اسمه حُرَيْثُ بن عَفُوظٍ).

أَبْلِغْ طَرِيفًا حَيْثُ شَطَّتْ بِهَا النَّوَى ... فَلَيْسَ لِدَهْرِ الطَّالِبِينَ فَنَاءُ

كُسَالَى إِذَا لَاقَيْتَهُمْ غَيْرَ مَنْطِقٍ ... يُلَهَّى بِهِ الْمَحْرُوبُ وَهْوَ عَنَاءُ

---

(١) من زرى عليه: إذا عابه.

(٢) الفضول: جمع فضل، وهو ضد النقص. (٣) والأنفال: جمع نفل بالتحريك، وهو العطية.

(٤) جمع خطر بالتحريك، وهو رفعة المنزلة. (٥) المتلد: القديم.

(٦) المراد أنهم لايسيرون في ضلال. (٧) أي تلينت لهم. (٨) شهموا: ذعروا وخافوا.

وَإِنِّي لَأَرْجُوكُمْ عَلَى بُطْءِ سَعْيِكُمْ   كَمَا فِي بُطُونِ الْحَامِلَاتِ رَجَاءُ
أُخَبِّرُ مَنْ لَاقَيْتُ أَنْ قَدْ وَفَيْتُمُ   وَلَوْ شِئْتُ قَالَ الْمُخْبِرُونَ أَسَاءُوا
فَهَلَّا سَعَيْتُمُ سَعْيَ أُسْرَةِ مَالِكٍ   وَهَلْ كُفَلَائِي فِي الْوَفَاءِ سَوَاءُ
كَأَنَّ دَنَانِيرًا عَلَى قَسِمَاتِهِمْ   وَإِنْ كَانَ قَدْ شَفَّ الْوُجُوهَ لِقَاءُ
لَهُمْ أَذْرُعٌ بَادٍ نَوَاشِرُ لَحْمِهَا   وَبَعْضُ الرِّجَالِ فِي الْحُرُوبِ غُثَاءُ

قوله : حيث شَطَّتْ بها النَّوَى ، معنى شَطَّتْ: تباعَدَتْ ، يقال أشَطَّ فلانٌ فى الحُكْمِ : إذا عَدَلَ عنه متباعداً ، قال الله تعالى : فاحْكُمْ بيننا بالْحَقِّ ولا تُشْطِطْ ، وقال الأحْوَص[(١)] :

أَلَا يَالقَوْمِي قَدْ أَشَطَّتْ عَوَاذِلِي   وَيَزْعُمْنَ أَنْ أَوْدَى بِحَقِّيَ بَاطِلِي
وَيَلْحَيْنَنِي فِى اللَّهْوِ أَلَّا أُحِبَّهُ   وَلِلَّهْوِ دَاعٍ دَائِبٌ غَيْرُ غَافِلِ

والنَّوَى: البُعْدُ، ويقال شَطَّتْ بِهِمْ نِيَّةٌ قَذَفٌ، أى رِحْلَةٌ بعيدة ، قال الشاعر: * وَصَحْصَحَانٍ قَذَفٍ كَالتُّرْسِ * وليس بمأخوذ من نأَيت فى اللفظ ولكنه مثله فى المعنى .

وقوله : * فَلَيْسَ لِدَهْرِ الطَّالِبِينَ فَنَاءُ * يقول : الطالب فى إِثْرِ طَلِبتِهِ أبداً .

وَيُرْوَى أن رجلاً من قُرَيْشٍ بَعَثَ إلى رجل منهم وكان أَخَذَ له غلامًا : يا هذا، إن الرجل ينام على الثُّكْلِ ، ولا ينام على الحَرَبِ ، فإمَّا رَدَدْتَهُ ، و إما عَرَضْتُ اسمك على الله فى كل يوم وليلة خمس مرات[(٢)] .

---

(١) هو عبد الله بن محمد من شعراء العصر الأموى ، ولقب بالأحوص لضيق فى مؤخر عينه ، وكانت وفاته سنة ١٠٥ هـ . (٢) المعنى أنه يدعو عليه فى أعقاب الصلوات .

ومن أمثال العرب لا ينام إلا مَن أَثْأَرَ . ويقال لِمَن أدرك ثأراً نبيلا أصاب ثأراً مُنيمًا ، وأنشد :

تَقُولُ لِيَ ابْنَةُ الْبَكْرِيِّ عَمْرٍو لَعَلَّكَ لَسْتَ بِالثَّأْرِ الْمُنِيمِ

وقوله :

وَإِنِّي لَأَرْجُوكُمْ عَلَى بُطْءِ سَعْيِكُمْ كَمَا فِي بُطُونِ الْحَامِلَاتِ رَجَاءُ

يقول : هذا رَجاءٌ غيرُ صادقٍ ولا موقوفٍ عليه ، كما أن هذه الحَوامل لا يُعْلَمُ مافى بطونها وليس بِمَيْئُوسٍ منه ، وإنما يَتَهَكَّمُ بهم وهو يَعْلَمُ أن سَعْيَهُمْ غير كائن ، ألا تراه يقول :

أُخَبِّرُ مَنْ لَاقَيْتُ أَنْ قَدْ وَفَيْتُمُ وَلَوْ شِئْتُ قَالَ الْمُخْبِرُونَ أَسَاءُوا

وقوله : « كَأَنَّ دَنَانِيرًا عَلَى قَسِمَاتِهِمْ » زعم أبو عبيدة أن القَسِمات مَجارى الدُّمُوع ، واحدتها قَسِمَة ، وقال الأصْمَعِيُّ : القَسِماتُ أعالى الوجه ولم يُبَيِّنْهُ بأكثر من هذا ، وقول أبي عبيدة مَشْرُوحٌ ، ويقال من هذا رجل قَسِيمٌ ، ورجل مُقَسَّمٌ ، ووجه قَسِيمٌ ومُقَسَّمٌ ، قال الشاعر :

وَيَوْمًا تُوَافِينَا بِوَجْهٍ مُقَسَّمٍ كَأَنْ ظَبْيَةً تَعْطُو إِلَى وَارِقِ السَّلَمْ

قوله : تعطو أى تتناول ، يقال عَطَا يَعْطُو : إذا تَناوَلَ ، وأعْطيتُهُ أنا أى ناولته ، قال امْرُؤُ القَيْس :

وَتَعْطُو بِرَخْصٍ (١) غَيْرِ شَثْنٍ (٢) كَأَنَّهُ أَسَارِيعُ ظَبْيٍ (٣) أَوْ مَسَاوِيكُ إِسْحِلِ (٤)

---

(١) الرخص : اللين الناعم . (٢) الشثن : الغليظ الخشن .

(٣) ظبي : اسم رملة ، والأساريع دود مفصل الألوان بياضاً وحمرة تشبه به أصابع النساء .

(٤) الاسحل : شجر يستاك بعيدانه ، والمفرد إسحلة .

والسَّلَمُ شجر بعينه كثير الشوك، فإذا أرادوا أن يحتطبوهُ شَدّوه ، ثم قطعوه، فمن ذلك قولُ الحَجَّاج : « وَاللهِ لَأَحْزِمَنَّكُمْ حَزْمَ السَّلَمَةِ ، وَلَأَضْرِبَنَّكُمْ ضَرْبَ غَرَائِبِ الْإِبِلِ(١) » .

قال : وحدثني التَّوَّزِيُّ عن أبي زيد قال : سمعت العرب تُنْشِدُ هذا البيتَ فتنصب الظَّبْيَةَ وترفعها وتخفضها ، قال أبو العباس : أما رفعها فعلى الضمير يريد كأنَّها ظَبْيَةٌ ، وهذا شرط أنّ وكأنّ إذا خُفِّفَتَا إنما هو على حذف الضمير وعلى هذا قوله تعالى : « عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى » وهذا الباب قد شرحناه في الكتاب المُقْتَضَب في باب إنّ وأنّ بجميع عِلَلِهِ ، ومَنْ نَصَبَ فعلى غير ضمير ، وعَمَلُها مخففةً عَمَلُها مُثَقَّلَةً لأنها تَعْمَلُ لشَبَهِها بالفعل ، فإذا خُفِّفَتْ عَمِلَتْ عَمَلَ الفعل المحذوف(٢)، كقولك : لم يَكُ زيدٌ منطلقاً ، فالفعل إذا حذف يَعْمَلُ عَمَلَهُ تامًّا ، فيصير التقدير كأنْ ظَبْيَةً تَعْطُو إلى وارِقِ السَّلَمِ هذه المرأةُ ، وحَذَفَ الخبر لما تقدم من ذكره ، ومن قال كأنْ ظَبْيَةٍ جَعَلَ أن زائدةً ، وأَعْمَلَ الكاف أراد كظبية، وزاد أنْ كما تزيدُها في قولك : لَمَّا أنْ جاء زيدٌ كَلَّمْتُهُ ، ووالله أنْ لو جئتَني لأعطيتك ، وقوله :

☆ لَهُمْ أَذْرُعٌ بَادٍ نَوَاشِرُ لَحْمِها ☆ فكلُّ شيء كان على فِعَالٍ من المؤنث فَجَمْعُهُ أَفْعُلٌ ، وكذلك فُعَالٌ ، تقول: ذِرَاعٌ وأَذْرُعٌ ، وكُرَاعٌ وأَكْرُعٌ ، لأنهما مؤنثتان ، ومن أنَّثَ اللسانَ قال أَلْسُنٌ، ومن ذَكَّرَهُ قال أَلْسِنَةٌ ، وشِمَالٌ وأَشْمُلٌ ، كما قال (هو أبو النَّجْمِ العِجْلِيُّ) ☆ يَأْتِي لهَا مِنْ أَيْمُنٍ وَأَشْمُلِ ☆

---

(١) أي الابل الغريبة التي تدخل مع الابل عند ورود الماء فيطردها الرعاة .

(٢) أي الذي حذف منه حرف .

فأما المذكر فعلى أفعِلَةٍ في أدنى العدد وفُعُلٍ في الكثير. يقال حِمارٌ وأحمِرةٌ وحُمُرٌ، وفِراشٌ وأفرِشةٌ وفُرُشٌ. والنَّواشِرُ: ما يظهر من العُرُوق في ظهر الذِّراعِ مما يُدانِي المِعْصَمَ. وذلك الموضع يقال له أسَلَةُ الذِّراع، قال زُهَيْرٌ:

وَدَارٌ لَهَا بِالرَّقْمَتَيْنِ كَأَنَّها ... مَرَاجِعُ وَشْمٍ في نَوَاشِرِ مِعْصَمِ

وقوله: * وَبَعْضُ الرِّجَالِ في الحُرُوبِ غُثَاءٌ * فالغُثَاءُ: ما يَبِسَ من البَقْلِ حتى يصير حُطَاما، وينتهيَ في اليُبْسِ فيَسْوَدَّ، فيقال له: غُثاءٌ وهَشِيمٌ ودِنْدِنٌ وثِنٌّ، على قَدْرِ اختلاف أجناسه، ويقال له الدرِينُ. قال الله عز وجل: « فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى » وقال « فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ » . وقال الشاعر يصف سحابا (هو ابن مَيَّادَةَ. وقبله:

سَحَائِبُ لَا مِنْ صَيِّفٍ[1] ذِي صَوَاعِقٍ ... وَلَا مُحْرِقَاتٍ مَاؤُهُنَّ حَمِيمُ)

إِذَا مَا هَبَطْنَ الْأَرْضَ قَدْ مَاتَ عُودُهَا ... بَكَيْنَ بِهَا حَتَّى يَعِيشَ هَشِيمُ

وقال الراجز: * تَكْفِي الْفَصِيلَ أُكْلَةٌ مِنْ ثِنِّ * وقد يقال للشيء الذي لا خير فيه: هذا غُثاءٌ، أي قد صار كذلك الذي وصفناه، ويُضْرَبُ هذا مَثَلًا للكلام الذي لا وَجْهَ له، وقال رجل أحسَبُهُ تَمِيمِيًّا (هو الفَرَزْدَقُ):

لَوْ لَمْ يُفَارِقْنِي عَطِيَّةُ لَمْ أَهُنْ ... وَلَمْ أُعْطِ أَعْدَائِي الَّذِي كُنْتُ أَمْنَعُ

شُجَاعٌ إِذَا لَاقَى وَرَامٍ إِذَا رَمَى ... وَهَادٍ إِذَا مَا أَظْلَمَ اللَّيْلُ مِصْدَعُ

سَأَبْكِيكَ حَتَّى تُنْفِدَ الْعَيْنُ مَاءَهَا ... وَيَشْفِيَ مِنِّي الدَّمْعُ مَا أَتَوَجَّعُ

أحسَنُ الإنشادَيْنِ عندي لَمْ أهِنْ، يأخذه مِنْ وهَنَ يَهِنُ، لأنه إذا قال لم

---

(١) الصيف: المطر الذي يأتي في الصيف، وفي رواية « صيب » .

أهُنْ فهو من الهَوَانِ ، ومن قال : لم أهِنْ فإنما هو من الضَّعْفِ ، وهو أشبه بقوله : ☆ وَلَمْ أُعْطِ أَعْدَائِى الَّذِى كُنْتُ أَمْنَعُ ☆ والآخر غير بعيد ، يقول لم أَهُنْ على أعدائى ، وإذا قال لم أهِنْ فالأصل لم أَوْهِنْ ، ولكنَّ الواوَ إذا كانت فى موضع الفاء من الفِعْلِ ، وكان ذلك الفعل على يَفْعِلُ ، فالواو محذوفة . وإنما تُحْذَفُ الواو لوقوعها بين ياء وكسرة ، وتصير حروف المُضَارَعة الباقيةُ تابعةً للياء، لئلا يَخْتَلِفَ البابُ، وهى التاء من قولك تَفْعِلُ إذا عَنَيْتَ مخاطباً أو مؤنثاً غائباً ، نحو أنت تَعِدُ وهى تَعِدُ ، والهمزة إذا عنيت نفسك نحو أنا أعِدُ ، والنون إذا أخبَرْتَ عن نَفْسِكَ ومعك غَيْرُكَ ، نحو نَحْنُ نَعِدُ ، فإن قال قائل : إنما هذا لأن الفعل المتعدى تحذف منه الواو ، فإن كان غيرَ مُتَعَدٍّ ثبتت ، فقد قال أقْبَحَ قولٍ ، لأن التَّعَدِّىَ أو غيرَ التعدى لا يُحْدِثُ فى أنْفُسِ الأفعال شيئاً ، ولو كان كما يقول لأثْبَتَّ الواوَ فى وَهَنَ يَهِنُ، لأنك لا تقول : وَهَنْتُ زيداً ، وكذلك وَرِمَ يَرِمُ ، ووَكَفَ البيتُ يَكِفُ ، ووَنَمَ الذُّبابُ يَنِمُ ، وهذا أكثر من أن يُحْصَى ، فإن لم تكن بعد الواو كسرةٌ لم تُحْذَفْ، نحو وَحِلَ يَوْحَلُ، ووَجِلَ يَوْجَلُ ، ووَجِعَ الرجلُ يَوْجَعُ ، وقد يجوز يِيْجَعُ وَيَاجَعُ ويِيجَعُ لما نذكره إذا جرَى ذِكْرُ هذه المفتوحة إن شاء الله ، فأما الحذف فلا يكون فيها ، فإن قال قائل : فما بالُ يَطَأُ ويَسَعُ حذفتْ منهما الواوُ ، ومثلهما ثَبَتَتْ فيه الواوُ ، فإنما ذلك لأنه كان فَعِلَ يَفْعِلُ مثل وَلِيَ يَلِي ، ووَرِمَ يَرِمُ ، فَفَتَحَتْهُ الهمزةُ والعينُ ، والأصل الكسر ، فإنما حذفت الواو مما يَلْزَمُ فى الأصل ، ألا ترى أنك تقول : وَلَغَ السَّبُعُ يَلَغَ فهذا فَعَلَ يَفْعَلُ

والأصل يَفعِلُ ، ولكن فَتَحَتْهُ الغينُ ، لأن حروف الحَلْق تفْتَحُ ما كان على يَفْعِلُ ويَفْعُلُ ، ولولا ذلك لم تقع فعَلَ يَفعَلُ . وحروفُ الحَلْق ستة : الهمزة والهاء ، والعين والغين ، والحاء والخاء ، وهُنَّ يُفتَحْنَ إذا كُنَّ فى موضع العين واللام ، فأما العين فنحو سَأَلَ يسْأَلُ وذَهَبَ يذْهَبُ . وأما اللام فمثل قرَأَ يَقْرَأُ ، وَصَنَعَ يَصْنَعُ ، وسائر هذا الباب على ما وَصَفْتُ لك .

وقوله : ✲ وَهَادٍ إِذَا مَا أَظْلَمَ اللَّيْلُ مِصْدَعُ ✲ فتأويل مِصْدَع أى ماضٍ فى الأمر . قال الله عز وجلّ : « فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ » ويقال : أحْزَمُ الناس مَنْ إذا وَضَحَ له الأمْرُ صَدَعَ به . وقال أعرابىّ يمدح سَوَّار بن عبد الله القاضى ، وَسَوَّارٌ أحد بنى العَنْبَر بن عمْرو بن تَمِيم :

وَأَوْقَفُ عِنْدَ الْأَمْرِ مَالَمْ يَضِحْ لَهُ وَأَمْضَى إِذَا ما شَكَّ مَنْ كَانَ مَاضِيا

فاسْتَجْمَعَ فى هذا المَدْح زَكَانَةَ الحَزْمِ ، وإمْضاء العَزْمِ ، ومثله قول النابغة الجَعْدِىّ :

أَبَى لِى الْبَلَاءُ وَأَنِّى امْرُؤٌ إِذَا مَا تَبَيَّنْتُ لَمْ أَرْتَبِ



ومن أمثال العرب السائرة الجَيِّدَةِ « رَوِّ تَحْزُمْ ، فإذا اسْتَوْضَحْتَ فاعْزِمْ » ومن أمثالهم « قد أَحْزُمُ لَوْ أَعْزِمُ » وإنما يكون هذا بعد التَّوَقُّفِ والتَّبَيُّنِ ، فقد قال الشَّعْبِىُّ : أصابَ مُتَأَمِّلٌ أو كاد ، وأخطأَ مُسْتَعْجِلٌ أو كاد .

وَمثل قوله : ✲ وَيَشْفِى مِنِّى الدَّمْعُ مَا أَتَوَجَّعُ ✲ قولُ الفَرَزْدَقِ :

أَلَمْ تَرَ أَنِّى يَوْمَ جَوِّ سُوَيْقَةٍ بَكَيْتُ فَنَادَتْنِى هُنَيْدَةُ مَالِيَا
فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الْبُكَاءَ لَرَاحَةٌ بِهِ يَشْتَفِى مَنْ ظَنَّ أَنْ لَا تَلَاقِيَا

(قال أبو الحسن ويتلو هذين البيتين مما يُسْتَحْسَنُ :

قَعِيدَكُمَا اللّٰهَ الَّذِى أَنْتُمَا لَهُ أَلَمْ تَسْمَعَا بِالْبَيْضَتَيْنِ الْمُنَادِيَا
حَبِيبٌ دَعَا وَالرَّمْلُ بَيْنِى وَبَيْنَهُ فَأَسْمَعَنِى سَقْياً لِذَلِكَ دَاعِيَا

يقال : قَعِيدَكَ اللّٰهَ ، وَقِعْدَكَ اللّٰهَ ، وَنَشْدَكَ اللّٰهَ : أى سألتُكَ بالله ، كما قال مُتَمِّمُ بن نُوَيْرَةَ ، وهو من بنى يَرْبُوعٍ :

قَعِيدَكِ أَلَّا تُسْمِعِينِى مَلَامَةً وَلَا تَنْكَئِى قَرْحَ الْفُؤَادِ فَيَيْجَعَا

ويروى فَقِعْدَكِ أَلَّا تُسْمِعِينِى ، والبيضتان موضع معروف)

قال أبو العباس ، وقال أبو بَكْر بن عَيَّاشٍ : نَزَلَتْ بِى مصيبةٌ أَوْجَعَتْنِى ، فذَكَرْتُ قول ذِى الرُّمَّةِ .

لَعَلَّ انْحِدَارَ الدَّمْعِ يُعْقِبُ رَاحَةً مِنَ الْوَجْدِ أَوْ يَشْفِى نَجِىَّ الْبَلَابِلِ

فَخَلَوْتُ ، فَبَكَيْتُ ، فَسَلَوْتُ .

وقال نَضْلَةُ السُّلَمِىُّ فى يومِ غَوْلٍ ، وكَانَ حقيرًا دَمِيمًا ، وكَان ذا نَجْدَةٍ وَبَأْسٍ :

أَلَمْ تَسَلِ الْفَوَارِسُ يَوْمَ غَوْلٍ بِنَضْلَةَ وَهْوَ مَوْتُورٌ مُشِيحُ
رَأَوْهُ فَازْدَرَوْهُ وَهْوَ حُرٌّ وَيَنْفَعُ أَهْلَهُ الرَّجُلُ الْقَبِيحُ
فَشَدَّ عَلَيْهِمُ بِالسَّيْفِ صَلْتاً كَمَا عَضَّ الشَّبَا الْفَرَسُ الْجَمُوحُ
فَأَطْلَقَ غُلَّ صَاحِبِهِ وَأَرْدَى قَتِيلاً مِنْهُمُ وَنَجَا جَرِيحُ

وَلَمْ يَخْشَــوْا مَصَالَتَهُ عَلَيْهِمْ   وَتَحْتَ الرَّغْوَةِ اللَّبَنُ الصَّرِيحُ

قوله: وهو مَوْتور مُشِيحُ، فالمُشِيحُ الحاملُ الجادُّ ، يقال: أشاحَ يُشِيحُ إذا حَمَلَ، وأنشدنى التَّوَّزِىُّ قال أنشدنى أبو زَيْدٍ (وهو لأبى العِيال الهُذَلِىِّ) :

مُشِيحٌ فَوْقَ شِيحَانٍ   يَشُــدُّ كَأَنَّهُ كَلِبُ

قال شِيحان اسم فرسه (قال أبو الحسن ويروى « شَيْحان » بفتح الشين، وحقه على رواية أبى زيد أن لا يَنْصَرِفَ لأنه فَعْلان ، فالألف والنون زائدتان . وهو معرفة ، فضَارَعَ عَطْشان وما جَرَى مَجْرَاه ، وإنما اضْطُرَّ فصَرَفَهُ) ، وقال ابن الإطْنَابَةِ ، واسمه عمرو :

وَإِجْشَامِى[1] عَلَى المَكْرُوهِ نَفْسِى   وَضَرْبِى هَامَةَ الْبَطَلِ المُشِيحِ

ويقال فى هذا المعنى : رجل شِيحٌ كما يقال ناقة نِقْضٌ إذا كانتْ هَزِيلا[2] ، قال أبو ذُؤَيْبٍ . ٭ وَشَايَحْتَ قَبْلَ الْيَوْمِ إِنَّكَ شِيحُ ٭ وقوله بالسيف صَلْتاً يقول مُنْتَضًى ، ورجل صَلْتُ الجَبِينِ إذا كان نَقِيَّهُ ، وقوله « كما عَضَّ الشَّبَا » يريد حَدَّ اللجامِ ، وشَبا كُلِّ شىء حَدُّهُ ، وقوله « وَأَرْدَى » أى أهلكَ ، يقال رَدِىَ يَرْدَى إذا هَلَكَ ، والردى الهلاكُ ، قال الله عزّ وجل : « وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى » قيل فيه قولان : أحدهما إذا تَرَدَّى فى النار ، والآخر إذا مات ، وهو تَفَعَّلَ من الرَّدَى.

وقوله : ٭ وَلَمْ يَخْشَوْا مَصَالَتَهُ عَلَيْهِمْ ٭ فهى مَفْعَلَةٌ من صالَ يَصُولُ ، ويقالُ صالَ البعيرُ إذا عَضَّ .

---

(١) مصدر أجشمه الأمر : كلفه إياه .   (٢) يريد أن « شيح » تشبه « نقض » من حيث الوزن ، وإن كانت الأولى بمعنى فاعل والثانية بمعنى مفعول .

وقيل للمغيرةِ بن شُعْبَةَ: إنَّ بوَّابكَ يأْذَنُ لأصحابه قبل أصحابك، فقال: إن المَعْرِفة لتنْفعُ عند الكلب العقُورِ، والجَملِ الصَّئُولِ، فكيف بالرجُلِ الكريم؟

وقوله: * وَتحْتَ الرَّغْوَةِ اللَّبنُ الصَّرِيحُ * يقول إذا رأيت الرَّغْوةَ وهو ما يَرْغُو كالجلدة فى أعْلَى اللَّبَنِ لم تدْرِ ما تحتها، فربما صادفْتَ اللبنَ الصَّريح إذا كشَفْتَها: أى أنَّهُمْ رأَوْنِى فازْدرَوْنِى لِدَمامَتِى، فلما كشفُوا عنى وَجَدُوا غير ما رأوا. والصَّريح المَحْضُ الخالص، من ذلك قولهم عرَبِىٌّ صَرِيحٌ أى خالص، ومَوْلًى صَرِيحٌ.

ومن أمثال العرب: «إنه ليُسِرُّ حَسْواً فى ارْتِغاءٍ» ومعنى ذلك أنه يُوهِمُكَ أنه يأخذ بِفِيهِ تلك الجلدةَ عن اللبن ليُصْلِحَهُ لك، وإنما يَحْسُو من تحتها، يُضْرَبُ هذا المَثَلُ لمن يُرِيكَ أنه يُعِينُكَ، وإنما يجْتَرُّ النفعَ إلى نفسه.

وقال أعرابى خُبِّرْتُ أنه من بنى سَعْدٍ، وقد تَمثَّلَ بهذا الشِّعْرِ الْخُنَّوْتُ وهو تَوْبَةُ بن مُضَرِّسٍ، أحد بنى مالك بن سَعْد بن زيد مَناة بن تَميم، فى خلاف الدَّمامة:

وَلَمَّا الْتَقَى الصَّفَّانِ وَاخْتَلَفَ الْقَنا نِهالاً وَأَسْبَابُ المَنَايَا نِهَالُهَا
تَبَيَّنَ لِى أَنَّ الْقَمَاءَةَ ذِلَّةٌ وَأَنَّ أَشِدَّاءَ الرِّجَالِ طِوَالُهَا
دَعَوْا يَا لَسَعْدٍ وَانْتَمَيْنَا لِطَيِّءٍ أُسُودُ الشَّرَى إِقْدَامُهَا وَنِزَالُهَا

قوله نِهالاً، يريد أنها قد وَرَدَتِ الدَّمَ مرة ولم تُثَنِّ، وذلك أن الناهل الذى يَشْرَبُ أوّل شَرْبَةٍ، فإذا شَرِبَ ثانية فهو عَالٌّ، يقال سقاه عَلاًّ بعد نَهَلٍ وعَلَلاً

بَعْدَ نَهَلٍ ، وفى المثل : سُمْتُهُ سَوْمَ عَالَّةٍ إذا عَرَضْتَ عليه عَرْضاً يستحيي من أن يُقبَلَ معه ، والعالّةُ لاحاجة بها إلى الشُّرْبِ ، وإنما يُعْرَضُ عليها تعزيرا . قال : * وَأَسْبَابُ المَنَايَا نِهَالُهَا * أى أول ما يقع منها يكون سبباً لما بعده . وأنشدنى غير واحد : * وَأَنَّ أَشِدَّاءَ الرِّجَالِ طِيالُهَا * وليس هذا بالجَيِّدِ ، وإنما قَلَبَ الواو ياءً لوقوعها بين كسرة وألف كقولهم : ثِيابٌ ، وحِياضٌ ، وسِياطٌ ، والواحد : ثَوْبٌ ، وحَوْضٌ وسَوْطٌ ، وهذا جيد ، لسكون الواو فى الواحد ؛ فأما فى مثل طِوَالٍ ، فإنما يجوز على التشبيه بهذا ، وليس بجيد لِتَحَرُّكِ الواو فى الواحد ، وأنشدنى مَسْعود بن بِشْرٍ المازِنِىُّ :

لَهُمْ أَوْجُهٌ بِيضٌ حِسَانٌ وَأَذْرُعٌ ... طِيَالٌ وَمِنْ سِيمَا المُلُوكِ نِجَارُ

ومجاز هذا فى النحو على ما وصَفْتُ لك .

والعرب تَمْدَحُ بالطول ، وتَضَعُ من القِصَرِ ، فلا يَذْكره منهم إلا مُحْتَجٌّ عن نفسه ، ولا يَمْدَحُ به غَيْرَهُ ، قال عَنْتَرَةُ :

بَطَلٌ كَأَنَّ ثِيَابَهُ فى سَرْحَةٍ ... يُحْذَى نِعالَ السِّبْتِ لَيْسَ بِتَوْأَمِ [1]

يقول : لم يُشَارَكْ فى الرَّحِمِ ، وقال جَرِيرٌ :

تَعالَوْا فَفَاتُونَا [2] فَفِى الحُكْمِ مَقْنَعٌ ... إِلَى الغُرِّ مِنْ أَهْلِ البِطَاحِ الأَكَارِمِ

فَإِنِّى لَأَرْضَى عَبْدَ شَمْسٍ وَمَا قَضَتْ ... وَأَرْضَى الطِّوَالَ البِيضَ مِنْ آلِ هَاشِمِ

وقال حَسّان بن ثابت :

(١) السبت بالكسر : الجلد المدبوغ بالقرظ ، وكانت تصنع منه نعال يلبسها أهل الترف .
(٢) فاتونا : أمر من المفاتاة وهى المحاكمة .

وَقَدْ كُنَّا نَقُولُ إِذَا رَأَيْنَا لِذِى جِسْمٍ يُمَدُّ وَذِى بَيَانِ
كَأَنَّكَ أَيُّهَا الْمُعْطَى بَيَانًا وَجِسْمًا مِنْ بَنِى عَبْدِ الْمَدَانِ[1]



ويقال إن علىّ بن عبد الله بن العباس بن عبد المُطَّلِب كان إلى مَنْكِبِ عبد الله . وكَانَ عبدُ الله إلى مَنْكب العَبَّاسِ ، وكان العباسُ إلى مَنْكِبِ عبد المُطَّلِبِ . وحدثنى التَّوَّزِىُّ قال : طافَ علىٌّ بن عبد الله بالبيت ، وهناك عجوزٌ قَدِيمَةٌ ، وعلىٌّ قد فَرَعَ الناسَ ، كأنه راكِبٌ والناسُ مُشاةٌ ، فقالتْ : مَنْ هذا الذى فَرَعَ الناسَ ؟ فقيل علىٌّ بن عبد الله بن العباس ، فقالت : لا إِلٰه إلا الله ، إن الناس لَيُرْذَلُونَ ، عَهْدِى بالعباس يَطُوفُ بهذا البيت كأنه فُسْطاطٌ أبيضُ[2] .

وحدثنى علىٌّ بن القاسم بن علىّ بن سُلَيمان بن علىّ بن عبد الله بن العباس قال : كَانَ يُقال صارَ شَبَهُ علىّ بن عبد الله فى عِظَمِ الْأَجْسام فى الْعَلِيَّيْنِ، يعنى علىّ بن أمير المؤمنين المَهْدِى المنسوبَ إلى أُمِّهِ رَيْطَةَ ، وعلىّ بن سليمان ابن علىّ .

ويُرْوَى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو الْأُسْوَةُ والْقُدْوَةُ كان فوق الرَّبْعَةِ[3] ، ولم يكن بالطويل المُشَذَّبِ[4] ، وكَانَ إذا مَشَى مع

---

(١) بنو عبد المدان كانوا مضرب المثل فى الشرف ، قال الشاعر :

ولو أنى بليت بهاشمى خئولتــه بنو عبد المدان
لهان علىّ ما ألقى ولـكن تعالوا فانظروا بمن ابتلانى

(٢) المراد بالفسطاط : البناء المرتفع . (٣) الربعة : هو المربوع الخلق ، الذى ليس بالطويل ولا القصير

(٤) المشذب : هو المفرط فى الطول وهو تشبيه بالشجرة التى تشذب فروعها فتطول .

الطِّوَالِ طالَهُمْ ، ولم يختلف أهل الحِكْمَةِ وَالنَّظرِ من العَرَبِ وَالعَجَمِ أن الكمال فى الاعتدال ، ولا يقال غير هذا عن حَكِيمٍ . وأبْيَنُ مافيه ما اختاره الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم !

وقد يقال : الكَيْسُ فى القِصَرِ ، وقد قيل فى خبر قَصِيرٍ وكَيْدِهِ ومَكْرِهِ ما قد سارَ بِهِ المَثَلُ ، واستغنى عن الإعادة .

وحدّثنى العباس بن الفَرَجِ الرِّياشِيُّ قال: حدثنى أبو عثمان المازنى قال: كان أعرابى يختلف إلى مُغَنِّيَةٍ لآل سليمان، فأشرفتْ عليه ذات مرَّةٍ، فأوْمأتْ إليه بيدها إيماءَ عائبٍ له بالقِصَرِ ، فأنشأ يقول :

يا جَعْفَرُ يا جَعْفَرُ يا جَعْفَرُ ... إنْ أكُ رِبْعَةً فَأَنْتِ أقْصَرُ

أوْ أكُ ذا شَيْبٍ فَأَنْتِ أكْبَرُ ... غرَّكِ سِرْبَالٌ عَلَيْكِ أحْمَرُ

ومِقْنَعٌ(١) مِنَ الحَرِيرِ أصْفَرُ ... وَتَحْتَ ذَاكِ سَوْأَةٌ لَوْ تُذْكَرُ



(قال أبو الحسن أنْشَدَنى أبو العباس محمد بن الحسن الْوَرَّاقُ الشِّعْرَ الذى فيه قولُهُ : ☆ وَلَمَّا الْتَقَى الصَّفَّانِ واختلف الْقَنَا ☆ بتمامه ، وهو شِعْرٌ مُخْتَارٌ لرجل من طيِّئٍ ، ويدل على ذلك ما تَسْمَعُهُ فى الشعر ، وهو قوله :

جَمَعْنَا لَهُمْ مِنْ حَيِّ غَوْثٍ وَمَالِكٍ ... كَتَائِبَ يُرْدِى الْمُقْرِفِينَ نَكَالُهَا

لَهُمْ عَجُزٌ بِالْحَزْنِ فالرَّمْلِ فاللِّوَى ... وَقَدْ جَاوَزَتْ حَيَّ جَدِيسَ رِعَالُهَا

وَتَحْتَ نُحُورِ الخَيْلِ حَرْشَفُ رَجْلَةٍ ... تُتَاحُ لِحَبَّاتِ الْقُلُوبِ نِبَالُهَا

(١) المقنع : ماتغطى به المرأة رأسها وتستر محاسنها به.

أَبَى لَهُمُ أَنْ يَعْرِفُوا الضَّيْمَ أَنَّهُمْ ... بَنُو نَاتِقٍ كَانَتْ كَثِيرًا عِيَالُهَا

فَلَمَّا أَتَيْنَا السَّفْحَ مِنْ بَطْنِ حَائِلٍ ... بِحَيْثُ تَنَاصَى طَلْحُهَا وَسَيَالُهَا

دَعَــوْا لِنِزَارٍ وَانْتَمَيْنَا لِطَيِّئٍ ... كَأُسْـدِ الشَّرَى إِقْدَامُهَا وَنِزَالُهَا

فَلَمَّا الْتَقَيْنَا بَيَّنَ السَّيْفُ فِيهِمُ ... لِسَائِلَةٍ عَنَّا حَفِيٍّ سُــؤَالُهَا

وَلَمَّا عَصَيْنَا بِالرِّمَاحِ تَضَلَّعَتْ ... صُــدُورُ الْقَنَا مِنْهُمْ وَعَلَّتْ نِهَالُهَا

وَلَمَّا تَدَانَوْا بِالسُّيُوفِ تَقَطَّعَتْ ... وَسَائِلُ كَانَتْ قَبْلُ سِلْمًا حِبَالُهَا

فَوَلَّوْا وَأَطْرَافُ الرِّمَاحِ عَلَيْهِمُ ... قَوَادِمُ مَرْبُوعَاتُهَا وَطِوَالُهَا

الكتائب: جمع كَتيبةٍ، سميت كَتيبةً لاجتماعها، وانضمام بعضها إلى بعض، يقال تَكتَّب القومُ إذا تَضامُّوا، ومنه أُخِذَ الكِتابُ لانضمام حروفه، ولذلك قالوا بَغْلة مَكْتوبة إذا شُدَّ حياؤها وضُمَّ. ويردى يُهْلِكُ، يقال رَدِيَ الرجلُ إذا هَلَكَ، والرَّدى: الهَلاكُ، والإرْدَاءُ: الإِهْلاكُ. والمُقْرِفونَ الذين دخلوا فى الفَساد والعَيْثِ، وهو فى الأصل الهُجْنةُ، يقال فرس مُقْرِفٌ إذا كان هَجيناً، ثم يَشيعُ فى الفساد. والعَجُزُ مُؤَخَّرُ العَسْكَرِ هٰهنا، وهو مستعار. والحَزْنُ ماخَشُنَ من الأرض وغَلُظَ. واللِّوَى مُسْتَدَقُّ الرَّمْلة حيث ينقطع، يقال أَلْوَيْتُمْ فانزلوا: أى صِرْتُمْ إلى آخر الرملة، وهو اللوى، وجَديس قبيلة معروفة، فلذلك لم يَصْرِفها، والرِّعالُ: الجماعات المتفرقة، واحدها رَعْلَةٌ، والحَرْشَفُ نبت يكثر فى البادية، وإنما شَبَّهَ النَّبْلَ به فى الكثرة، والرَّجْلَةُ الرَّجَّالةُ، وتُتاح تُقَدَّرُ، يقال أتاحَ اللهُ له كذا وكذا: أى قدَّرَ له، والنِّبالُ جمع نَبْلٍ، والناتِقُ: الوَلُودُ، فإذا أسْرَفَتْ فى ذلك وكثر ولدها جِدًّا قيل مِنْتاقٌ، والسَّفْحُ:

أصل الجبل من الوادى . وحائل : موضع . وتَناصَى : تَقابَلَ وتَقَرَّبَ حتى يَعْلَقَ هذا بهذا ، وهذا بهذا عند هبوب الرياح ، يقال تَناصَى الرجلان نِصاءً وتَناصِياً إذا اقتتلا ، فَأَخَذَ كلٌّ واحدٍ منهما بناصية صاحبِهِ ، والطَّلْحُ والسَّيال ضربان من الشجر معروفان ، وانْتَمَى ونَمَى انْتَسَبَ ، والشَّرَى موضع كثير السباع ، وإنما يريد كإقْدام أُسْدِ الشَّرَى إقْدامُها ، ثم حَذَفَ لعلم السامع . وعَصَيْنَا جعلنا الرماح كالعِصِيِّ . والعَلَلُ : الشُّرْب الثانى ، والنَّهَلُ الأول ، يريد إنَّا أَعَدْناها إلى الطعن مرة بعد أخرى . وقوادم ذاتُ إقْدامٍ ، فجاء به على الأصل ، كما قال: * يَخْرُجْنَ مِنْ أَجْوَازِ لَيْلٍ غاضِ * أى مُغْضٍ ، فجاء به على الأصل ، وهو كثير . والمَرْبوعات المُعْتَدِلةُ التى لم تَبْلُغْ أن تكون رُمْحاً ، وهو رَفْعٌ كأنه قيل له ما هى ؟ فقال : هى مربوعاتها وطِوالُها ، ولو خَفَضَ وجَعَلَهُ بدل البعض من الكل لكان حَسَنا ، وكان يكون مُقْوًى ، ولكن هكذا أَنْشَدَناهُ مرفوعًا على التقدير الذى ذكرناه[1]) .

---

(١) ابن القوطية هو الذى ذكر القصيدة وأتبعها بالشرح .

باب

قال أبو العباس : حُدِّثْتُ أن صَبِرةَ بن شَيْمانَ الحُدَّانِيَّ(١) دخل على معاوية والوُفودُ عنده ، فتكلَّموا فأكثروا ، فقام صَبِرَةُ فقال :

يا أميرَ المؤمنين إنَّا حَيُّ فِعالٍ ، ولَسْنا بِحَيِّ مَقالٍ ، ونحن بأدْنَى فِعالنا عند أحسن مقالهم . فقال صَدَقْتَ .

وحُدِّثْتُ أن أبا بكر رضى الله عنه ، ولَّى يَزِيدَ بن أبى سفيان رُبْعاً من أرباع الشأم ، فرَقِىَ المِنْبَرَ فتكلَّمَ فأُرْتِجَ عليه(٢) ، فاسْتَأْنَفَ فأُرْتِجَ عليه، فقطع الخطبة ، فقال :

سَيَجْعَلُ اللهُ بعد عُسْرٍ يُسْرًا ، وبعد عِيٍّ بياناً ، وأنتم إلى أميرٍ فعَّالٍ أحْوَجُ منكم إلى أميرٍ قوَّالٍ .

فَبلغَ كلامُهُ عمرو بن العاص ، فقال : هُنَّ مُخْرِجاتِى من الشأم ، استحساناً لكلامه .

وقال عثمان بن عَفَّانَ رضى الله عنه لعامر بن عَبْدِ قَيْسٍ العَنْبَرِيِّ ورآه ظاهرَ الأعْرابِيَّة : يا أعرابيُّ أين ربك ؟ فقال بِالْمِرصادِ !

وقال قائل لعلىّ بن أبى طالب رضى الله عنه: أين كان ربُّنا قبل أن يَخْلُقَ السمواتِ والأرضَ ؟ فقال علىٌّ: أينَ سُؤالٌ عن مكانٍ ، وكان اللهُ ولا مَكانَ .

وحُدِّثْتُ أن راهبين دخلا البَصْرَةَ من ناحية الشام ، فنظرا إلى الحسن

---

(١) نسبة إلى حدان بن شمس . (٢) أرتج عليه : احتبس قوله فلم ينطق .

البصرى ، فقال أحدهما لصاحبه : مِلْ بنا إلى هذا الذى كأنّ سَمْتَه سَمْتُ المَسيح ، فعدَلاَ إليه ، فألفياهُ مُفْتَرِشاً بذَقَنِهِ ظاهرَ كفِّهِ ، وهو يقول : يا عجباً لقوم قد أُمِرُوا بالزاد ، وأُوذِنُوا بالرحيل ، وأقام أوّلهم على آخرهم ، فليت شِعْرِى ما الذى ينتظرون ؟!

وَنَظَرَ الحَسَنُ إلى الناس فى مُصَلَّى البَصْرَة يضحكون ويلعبون فى يوم عيد ، فقال الحسنُ : إن الله جَعَلَ الصوم مِضْماراً لعباده لِيَسْتَبِقُوا إلى طاعته . فَسَبَقَ أقوامٌ ففازوا ، وتَخَلَّفَ آخرون فخابوا ، ولَعَمْرِى لو كُشِفَ الغطاء لَشُغِلَ مُحْسِنٌ بإحسانه ، ومُسِيءٌ بإساءته عن تَجْدِيد ثوب ، أو تَرْطِيل شَعَرٍ .

قوله «ترطيل شعر» إنما هو تليينُ الشَّعَرِ بالدُّهْنِ وما أشبهه ، ويقال للرجل إذا كان فيه لِينٌ وتوضيع رجل رَطْلٌ ، والذى يُوزَنُ به ويُكالُ يقال له رِطْلٌ بكسر الراء .

وكان الحسن يقول : اُجْعَلِ الدنيا كالْقَنْطرةِ تَجُوزُ عليها ولا تَعْمُرُها .

قوله القنطرة : يعنى هذه المَعْقُودة المعروفة عند الناس ، والعرب تُسَمِّى كل أَزَجٍ[1] قنطرة . قال طَرَفَةُ بن العَبْدِ :

كَقَنْطَرَةِ الرُّومِىِّ أَقْسَمَ رَبُّهَا   لَتُكْتَنَفَا حَتَّى تَشَادَ بِقَرْمَدِ

قوله : حتى تشاد ، يقول تُطْلَى ، وكلُّ شىء طَلَيْتَ به البناء من جِصٍّ ، أو جَيَّارٍ وهو الكِلْسُ ، فهو الشِّيد ، يقال دار مُشَيَّدَةٌ ، وقَصْرٌ مَشِيدٌ ، قال الله عزّ وجل : « وَلَوْ كُنْتُمْ فى بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ » ، وقال الشَّمَّاخُ :

---

(١) الأزج : البناء المتد .

لا تَحْسِبَنِّى وَإِنْ كُنْتُ امْرَأً غُمُرًا   كَحَيَّةِ المَاءِ بَيْنَ الطِّينِ وَالشِّيدِ

وقال عَدِىُّ بن زيد العِبادِىّ :

شَادَهُ مَرْمَرًا وَجَلَّلَهُ كِلْـــساً فَلِلطَّيْرِ فى ذُرَاهُ وُكُورُ

والمُقَرْمَدُ : المطلىُّ أيضاً ، فمن ثَمَّ قال حتى تُشاد بقَرْمَدِ فى معنى حتى تُطْلَى ،
ومن ذلك قول النابغة :   * رَابِى المَجَسَّةِ بِالْعَبِيرِ مُقَرْمَدِ *

وقال الحسن : تَلْقَى أحَدَهُمْ أبيضَ بضًّا يَمْلَخُ فى الباطل مَلخاً يَنْفُضُ مِذْرَوَيْهِ، ويَضْرِبُ أَصْدَرَيْهِ يقول ها أنا ذا فاعْرِفونى . قد عَرَفْناكَ ، فَمَقَتَكَ الله ، ومَقَتَكَ الصالحون .

قوله : أبيض بضا ، فالبضُّ الرقيقُ اللون ، الذى يُؤَثِّرُ فيه كلُّ شىء .

وفى الحديث أن معاوية قَدِمَ على عمر بن الخَطَّاب رضى الله عنه من الشأم وهو أبَضُّ الناسِ ، فَضَرَبَ عُمَرُ بيده على عَضُدِهِ ، فَأَقْلَعَ عن مثل الشِّراب ، أو مثل الشِّراكِ ، فقال هذا واللهِ لِتَشَاغُلِكَ بالحَمَّاماتِ ، وذَوُو الحاجاتِ تُقَطَّعُ أَنفُسُهُمْ حَسَرَاتٍ على بابك .

وقال حُمَيْدُ بن ثَوْرٍ الهِلاَلِىُّ :

مُنَعَّمَةٌ بَيْضَاءُ لَوْ دَبَّ مُحْوِلٌ   عَلَى جِلْدِهَا بَضَّتْ مَدَارِجُهُ دَمَا

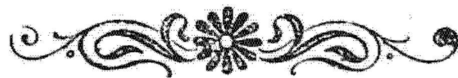
وقوله : يَمْلَخُ فى الباطل مَلْخاً يقول: يَمُرُّ مَرًّا سريعاً ، يقال بَكْرَةٌ مَلُوخٌ إذا كانت سَهْلَة المَرِّ .

وقوله : يَضْرِبُ أَصْدَرَيْهِ وَأَزْدَرَيْهِ ، فإنما يقال ذلك للفارغ ، يقال جاء فلانٌ يَضْرِبُ أَصْدَرَيْهِ وَأَزْدَرَيْهِ ، ولا يُتَكَلَّمُ منه بواحد ، ويقال فلانٌ

يَنفُضُ مِذْرَوَيْهِ. وهما ناحيتاه ، وإنما يوصف بالخُيَلاء ، قال عَنْتَرَةُ :

أَحَوْلِي تَنفُضُ أُسْتُكَ مِذْرَوَيْهَا   لِتَقْتُلَنِي فَهَا أَنَا ذَا عُمَارَا

ولا واحد لهما ، ولو أُفْرِدَتْ لقلتَ في التثنية مِذْرَيانِ . لأن ذوات الواو إذا وقعَتْ فيهنَّ الواو رابعةً رَجَعَتْ إلى الياء . كما تقول في مَلْهًى مَلْهيانِ . وهو من لَهَوْتُ ، وفي مَغْزًى مَغْزَيانِ ، وهو من غَزَوْتُ ، وإنما فعلتَ ذلك لأن فِعْلَهُ تَرْجِعُ فيه الواوُ إلى الياء إذا كانتْ رابعةً فصاعِدًا ، نحو غزوت . فإذا أَدْخَلْتَ فيه الألف قلتَ أَغْزَيْتُ ، وكذلك غازَيْتُ واُسْتَغْزَيْتُ ، وإنما وجب هـذا لانقلابها في المضارع نحو يُغْزِي ، ويَسْتَغْزِي ، ويُغازِي ، وإنما انقلبتْ لانكسار ما قبلها ؛ فإن قال قائلٌ فما بالُ يَتَرَجَّى ويَتَغَازَى يكونان بالياء نحو : هُما يَتَغازَيانِ ويَتَرَجّيانِ ، فإنما ذلك لأنهما في الأصل رَجَّى يُرَجِّي ، وغازَى يُغازِي ، ثم لَحِقَتْ التاء بعد ثَبات الياء ، والدليلُ على ذلك أن التاء إنما تَلْحَقُهُ على معناه . فقولك مِذْرَوانِ لا واحد له لما أَعْلَمْتُكَ ، وثَبات الواوِ دليلٌ على أن أحدهما لا يُفْرَدُ من الآخر ، فلذلك جاء على أصله .



باب

قال أبو العباس : قال يزيد بن الصَّقيلِ الْعُقَيْلِيُّ ، وكان يَسْرِقُ الإبل ، ثم تاب ، وقُتِل فى سبيل الله :

أَلَا قُلْ لِأَرْبابِ المَخائِضِ أَهْمِلُوا ... فقَدْ تابَ مِمّا تَعْلَمُونَ يَزِيدُ
وَإِنَّ امْرَأً يَنْجُو مِنَ النَّارِ بَعْدَ ما ... تَزَوَّدَ مِنْ أَعْمالِها لَسَعِيدُ

وفى هذا الشِّعر :

إِذَا مَا المَنَايَا أَخْطَأَتْكَ وَصادَفَتْ ... حَمِيمَكَ فَاعْلَمْ أَنَّها سَتَعُودُ

قوله : ألا قُلْ لأرباب المخائض ، فإن الناقة إذا لَقِحَتْ قيل لها خَلِفَةٌ ، وللجميع مخاضٌ ، وهذا جَمْعٌ على غير واحده ، إنما هو بمنزلة امرأةٍ ونِساء ، ثم جَمَعَ الجَمْعَ فقال مَخائض ، كقولك فى رِسالةٍ رَسائلُ ، وكما تقول فى قوم أقوام، فتَجْمَعُ الاسم الذى هو للجَمْع ، وكذلك أعْراب وأعاريبُ ، وأنعامٌ وأناعيم .

وقوله أَهْمِلُوا: أى اسْرَحُوا إبِلكُمْ ، والهَمَلُ: ما كان غير مَحْظور، وهو السُّدَى ، ويُرْوَى فى مِثْلِ قوله :

إِذَا مَا المَنَايَا أَخْطَأَتْكَ وَصادَفَتْ ... حَمِيمَكَ . . . .

عن بعض الصالحين (هو محمد بن الحَنَفِيَّةِ) أنه كان يقول إذا مات له جار أو حَمِيمٌ : أَوْلَى لِى ، كِدْتُ وَاللهِ أكونُ السَّوادَ الْمُخْتَرَمَ .

وقال ابن حَبْناءَ التميمى :

أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ حَالٍ تُزَيِّنُ لِى ... لَوْمَ الْعَشِيرَةِ أَوْ تُدْنِى مِنَ النَّارِ

لاَ أَقْرَبُ الْبَيْتَ أَحْبُو مِنْ مُؤَخَّرِهِ ... وَلاَ أُكَسِّرُ فِى ابْنِ الْعَمِّ أَظْفَارِى

إِنْ يَحْجُبِ اللهُ أَبْصَارًا أُرَاقِبُهَا ... فَقَدْ يَرَى اللهُ حَالَ الْمُدْلِجِ السَّارِى

قوله لا أقرب البيت أحبو من مؤخره. يقول لا آتيه لِرِيبةٍ. ومِثْلُ ذلك قولُ الشاعر: (وهو عَقِيلُ بن عُلَّفَةَ)

وَلَسْتُ بِصَادِرٍ مِنْ بَيْتِ جَارِى ... كَفِعْلِ الْعَـــيْرِ غَمَّرَهُ الْوُرُودُ

يقول لا أخْرُجُ خُروجَ الخائف. لأنه إنما يقال تَغَمَّرَ الشارب إذا لم يَرْوَ، ويقال للقَدَحِ الصغير الغُمَرُ من هذا، وقوله:

* ولا أكسِّر فى ابن العم أظفارى * يقول لا أغتابه، وهذا مَثَلٌ كما قال الحُطَيْئَةُ:

مَلُّوا قِرَاهُ وَهَرَّتْهُ كِلاَبُهُمُ ... وَجَرَّحُوهُ بِأَنْيَابٍ وَأَضْرَاسِ

وقوله * فقد يرى الله حال المدلج السارى * فالمُدْلِجُ الذى يسير من أول الليل يقال أَدْلَجْتُ: أى سِرْتُ من أول الليل، وادَّلَجْتُ: أى سرت فى السَّحَر، قال زُهَيْرٌ: * بَكَرْنَ بُكُورًا وَادَّلَجْنَ بِسُحْرَةٍ * والسُّرَى لا يكون إلا سير الليل. قال الله عز وجل: «فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ» مِنْ قولك أَسْرَيْتُ. وهى اللغة القُرَشِيَّةُ، وغيرُهُمْ من العرب يقول سَرَيْتُ، وقد جاءت هذه اللغة فى القرآن، قال الله عزّ وجل: «وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ» فهذا من سَرَى، ولو كان من أسْرَى لكان يُسْرِى كما قال «هو لَبِيدُ بن رَبِيعةَ»:

فَبَاتَ وَأَسْرَى الْقَوْمُ آخِرَ لَيْلِهِمْ ... وَمَا كَانَ وَقَّافًا بِغَيْرِ مُعَصَّرِ

والمُعصَّرُ المَلْجَأُ، والسارى إنما هو من قولك سَرَى، كقولك قَضَى فهو قاضٍ،

ومن أسْرَى يقال للفاعل ، مُسْرٍ كما تقول أعْطَى فهو مُعْطٍ ، كما قال الْأَخْطَلُ :

نَازَعْتُهُمْ طَيِّبَ الرَّاحِ الشَّمُولِ وَقَدْ صَاحَ الدَّجَاجُ وَحَانَتْ وَقْعَةُ السَّارِى[1]

والدجاج هٰهنا : الديُوك ، يريد وَقْتَ السَّحَرِ ، لأنه يقال للديك: هذا دَجاجةٌ ، فإن أردت الأنثى قلت هذه ، وكذلك هذا بقرة ، وهذا بَطَّةٌ ، وهذا حَمامةٌ إذا أردت الذكر ، ولهذا باب يُذْكَرُ فيه إن شاء الله . قال جَريرٌ :

لَمَّا تَذَكَّرْتُ بِالدَّيْرَيْنِ أَرَّقَنِي صَوْتُ الدَّجَاجِ وَقَرْعٌ بِالنَّوَاقِيسِ

(قال أبو الحسن : أنشدنا أبو العباس أحمد بن يحيى الأبيات الرائيَّةَ المتقدمة بتمامها على ما أذكره لك عن أبى عبد الله بن الأعرابى، وهى لأحد ابْنَىْ حَبْناء ، أحْسبُهُ صَخْرا ، وهما من بنى تميم . وكانا من الأَزارِقَةِ . قال:

إِنِّى هَزِئْتُ مِنُ أُمِّ الْغَمْرِ إِذْ هَزِئَتْ بِشَيْبِ رَأْسِى وَمَا بِالشَّيْبِ مِنْ عَارِ

مَا شَقْوَةُ الْمَرْءِ بِالْإِقْتَارِ يُقْتِرُهُ وَلَا سَعَادَتُهُ يَوْمًا بِإِكْثَارِ

يُقْتِرُهُ الهاء تعود على الإقْتار

إِنَّ الشَّقِيَّ الَّذِى فِى النَّارِ مَنْزِلُهُ وَالْفَوْزَ فَوْزُ الَّذِى يَنْجُو مِنَ النَّارِ

أَعُوذُ بِاللّٰهِ مِنْ أَمْرٍ يُزَيِّنُ لِى لَوْمَ الْعَشِيرَةِ أَوْ يُدْنِى مِنَ الْعَارِ

وَخَيْرِ دُنْيَا يُنَسِّى شَرَّ آخِرَةٍ وَسَوْفَ يُنْبِئُنِى الْجَبَّارُ أَخْبَارِى

ثم يتفقان بَعْدُ فى الرواية ، وكان ربما أنْشَدَنا : ✲ إِنِّى هَزَأْتُ مِنُ أُمِّ الغَمْرِ ✲

قال أبو العباس : وقال أعرابى من بنى الحارث بن كَعْبٍ :

رَعَمْتُ لِسَلْمَى بَوَّ صَيْمٍ وَإِنَّنِى قَدِيمًا لَآبِى الضَّيْمِ وَابْنُ أُبَاةِ

فَقَدْ وَقَّفَتْنِى بَيْنَ شَكٍّ وَشُبْهَةٍ وَمَا كُنْتُ وَقَّافًا عَلَى الشُّبُهَاتِ

(١) وقعة السارى : نومته .

فَيَا بَعْلَ سَلْمَى كَمْ وَكَمْ بِأَذَاتِهَا   عَدِمْتُكَ مِنْ بَعْلٍ تُطِيلُ أَذَاتِي
بِنَفْسِي حَبِيبٌ حَالَ بَابُكَ دُونَهُ   تَقَطَّعُ نَفْسِي دُونَهُ حَسَرَاتِ
وَوَاللهِ لَوْلَا أَنْ تُسَاءَ لَرُعْتُهُ   بِمَا لَيْسَ بِالْمَأْمُونِ مِنْ فَتَكَاتِي

قوله رَئِمْتُ لِسَلْمَى بَوَّضَيْمٍ فإنما هذا مَثَلٌ، وأصله أن الناقة إذا أَلْقَتْ سَقْبَهَا فَخِيفَ انقطاع لبنها أخذوا جِلْدَ حُوَارٍ فَحَشَوْهُ تِبْنًا، ولَطَخُوهُ بشيء من سَلاها، ثم حَشَوْا أنفها بِخِرْقَةٍ، فَتَجِدُ لذلك كَرْبًا، ويقال للخرقة التي تُجْعَلُ في أنفها الغِمامةُ، ثم تُسَلُّ تلك الخرقة من أنفها فتجد رَوْحًا، وتَرَى ذلك البَوَّ تحتها. وهو جلد الحُوار المَحْشُوُّ فَتَرْأَمُهُ، فإن دَرَّتْ عليه قيل ناقة دَرُورٌ، وتَرْأَمُهُ تَشُمُّهُ، ويقال في هذا المعنى ناقة ظَؤُورٌ، فيُنْتَفَعُ بلبنها، ويقال ناقة رائِمٌ ورَؤُومٌ إذا كانت تَرْأَمُ ولدها أو بَوَّها، فإن رَئِمَتْ ولم تَدُرَّ عليه فتلك الْعَلُوقُ، ولا خير عندها.

وأنشدونا عن أبي عمرو وكان يقرأ « ثم كان عاقبةُ الذينَ أساءوا السُّوأى » على فُعْلَى (الشِّعْرُ لأُفْنُونٍ التَّغْلَبِيِّ) :

أَنَّى جَزَوْا عَامِراً سُوأَى بِفِعْلِهِمُ   أَمْ كَيْفَ يَجْزُونَنِي السُّوأَى مِنَ الحَسَنِ
أَمْ كَيْفَ يَنْفَعُ مَا تُعْطِي الْعَلُوقُ بِهِ   رِئْمَانَ أَنْفٍ إِذَا مَا ضُنَّ بِاللَّبَنِ

فقوله رئِمتُ لسلمى بَوَّضيم : أي أقمتُ لها على الضَّيْمِ، ويقال فلان رَؤُومٌ للضَّيْمِ إذا كان ذليلاً راضياً بالخَسْفِ، وقال أعرابي أحْسَبُهُ تميميًّا :

وَدَاهِيَةٍ دَاهَى بِهَا الْقَوْمَ مُفْلِقٌ   شَدِيدٌ بِعُورَانِ الْكَلَامِ أَرُومُهَا
أَصَخْتُ لَهَا حَتَّى إِذَا مَا وَعَيْتُهَا   رَمَيْتُ بِأُخْرَى يَسْتَدِيرُ أَمِيمُهَا

تَرَى الْقَوْمَ مِنْهَا مُطْرِقِينَ كَأَنَّمَا   تَسَاقَوْا عُقَاراً لاَ يَبِلُّ سَلِيمُهَا
فَلَمْ تَلْقَنِي فَهًّا وَلَمْ تَلْقَ حُجَّتِي   مُلَجْلَجَةً أَبْغِي لَهَا مَنْ يُقِيمُهَا

قوله وداهية يعنى حُجَّةً داهى بها القوم مُفْلِقٌ، يريد عجيبة، والفِلْقُ اسم من أسماء الدواهى، ويقال فَلْقٌ فى هذا المعنى، ويقال داهية فَلِيقٌ، وجاء القوم بالفَليق. وهذا مشهور كثير فى الكلام، ومنه قول خَلَفِ الأحمرِ:

* مَوْتُ الْإِمَامِ فِلْقَةٌ مِنَ الْفِلَقِ * وأنْشَدَنى مُنْشِدٌ:

(إذَا عَرَضَتْ دَاوِيَّةٌ مُدْلَهِمَّةٌ)   وَغَرَّدَ حَادِيهَا فَرَيْنَ بِنَا فَلْقَا

بفتح الفاء. وقوله شديدٌ بعُوران الكلام، العَوْراء هى القبيحة، قال حاتم ابن عبد الله الطائىُّ:

وَعَوْرَاءَ قَدْ أَعْرَضْتُ عَنْهَا فَلَمْ تَضِرْ   وَذِى أَوَدٍ قَوَّمْتُــــــهُ فَتَقَوَّمَا

وأَزُومُهَا إمْساكُهَا، يقال أَزِمَ به إذا عَضَّ به فأمْسَكه بين ثَنِيَّتَيْهِ.

وفى الحديث أن أبا بكر رضى الله عنه قال فى يوم أُحُدٍ: فَنَظَرْتُ إلى حَلْقَةٍ من دِرْعٍ قد نَشِبَتْ فى جَبِينِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، فانْكَبَبْتُ لأَنْزِعَهَا، فَأَقْسَمَ عَلَىَّ أبو عبيدةَ، فأَزَمَ بها أبو عبيدة بثَنِيَّتَيْهِ، فَجَذَبها جَذْبًا رَفيقًا، فانتزعها، وسَقَطَتْ ثَنِيَّتُهُ، ثم نَظَرْتُ إلى أخرى فأرَدْتُهَا فَأَقْسَمَ عَلَىَّ أبو عبيدة، ففعل فيها مافعل فى الأولى، وكان مُشفِقاً من تحريكها، لئلا يُؤْذِىَ بذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فكان أبو عبيدةَ أَهْتَمَ.

وقوله: فَأَزَمَ بها، يقال: أَزَمَ يَأْزِمُ، وأَزِمَ يَأْزَمُ، وقوله: أَصَخْتُ لها: يقول استَمَعْتُ لها، قال العَبْدِيُّ (وهو المُثَقِّبُ):

يُصِيخُ لِلنَّبْأَةِ أَسْمَاعَــهُ إِصاخَةَ النَّاشِدِ لِلْمُنْشِدِ

والإصاخةُ : الِاسْتماع ، والناشد: الطالب ، والمنشد: المُعَرِّفُ، يقال : نَشَدْتُ الضالةَ أَنْشُدُها نِشْدَانًا : إذا طلبتها ، وأَنْشَدْتُها: إذا عَرَّفتها ، وَالنَّبْأَةُ: الصوت، قال ذو الرُّمَّة :

وَقَدْ تَوَجَّسَ رِكْزًا مُقْفِرٌ نَدُسٌ بِنَبْأَةِ الصَّوْتِ مَا فِي سَمْعِهِ كَذِبُ

وقوله : حتى إذا ما وَعَيْتُها ، يقول : جَمَعْتُها فى سمعى ، يقال : وَعَيْتُ العِلْمَ ، وَأَوْعَيْتُ المَتاع فى الوعاء ، قال الله عزّ وجل : « وَجَمَعَ فَأَوْعَى » وقال الشاعر (عَبِيدُ بْنُ الأَبْرَص) :

الْخَيْرُ يَبْقَى وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ بِهِ وَالشَّرُّ أَخْبَثُ مَا أَوْعَيْتَ مِنْ زَادِ

وقوله : رَمَيْتُ بأخرى ، يستدير أَمِيمُهَا ، يريد يستدير من الدُّوار ، ويقال فى هذا المعنى يستديم ، ومنه سميت الدُّوَّامَةُ ، وفى الحديث « كرِهَ البول فى الماء الدائم » لأنه كالمستدير فى موضعه . قال جرير :

عَوَى الشُّعَرَاءُ بَعْضُهُمُ لِبَعْضٍ عَلَيَّ فَقَدْ أَصابَهُمُ انْتِقَامُ

إِذَا أَرْسَلْتُ صَاعِقَةً عَلَيْهِم رَأَوْا أُخْرَى تَحَرَّقُ فَاسْتَدَامُوا

وقوله أميمها : يريد المأموم بها، يقال :أَمِيمٌ وَمَأموم ،كقولك قَتِيلٌ ومقتولٌ ، وجريح ومَجْروح ، ويقال : للشَّجَّةِ التى قد وَصَلَتْ إلى أُمِّ الدماغ ، وأُمُّ الدماغ : جُلَيْدَةٌ رقيقة تُحيط بالدِّماغ ، فإذا وُصِلَ إلى تلك فالشَّجَّةُ آمَّةٌ ومَأْمومة . قال الشاعر :

يَمُجُّ مَأْمُومَةً فِى قَعْرِهَا لَجَفٌ ... فَاسْتُ الطَّبِيبِ قَذَاهَا كَالْمَغَارِيدِ

المغاريد : صغارٌ مِن الْكَمْأَةِ .

وقوله فى قعرها لجف : أى تَقَلُّعٌ ، يقال : تَلَجَّفَتِ البئر : إذا انقلع طيُّها من أسفلها ، ولَجَّفَ القومُ مِكْيالهم : إذا وَسَّعوه من أسفله ، وقوله تَسَاقَوْا عُقارًا : يريد كأنهم سُكارى لما نالهم من تلك الحُجَّةِ ، والْعُقارُ : اسم من أسماء الخمر ، وإنما سميت عُقارًا لِمُعاقَرَتِها الدَّنَّ .

وقوله ما يَبِلُّ يقال : بَلَّ وأَبَلَّ من مرضه ، وكذلك اسْتَبَلَّ ، والسَّلِيمُ الْمَلْسوع ، وقيل له سَليم على جهة التَّفؤُّل ، كما يقال للمَهْلَكَة مَفازَةٌ ، وللغراب الأَعْوَرُ على الطِّيَرَةِ منه لِصِحَّةِ بَصَرِهِ . وقوله : فلم تلفنى فَهًّا يقول ضَعيفًا ، يقال فَهَّ فلانٌ عن حُجَّتِهِ إذا ضَعُفَ عنها ، ويقال رجل مُفَهَّهٌ إذا كان عاجزاً ، وقوله مُلَجْلَجَةً ، وهو أن يُرَدِّدَها فى فيه ، وقد مضى تفسيره .



وقال رجل يُكْنَى أبا مَخْزوم من بنى نَهْشَلِ بن دارِمٍ : (هو بَشامة ابن حَزْنٍ النَّهْشَلِىُّ عن أبى رِياش) :

إِنَّا بَنِى نَهْشَلٍ لاَ نَدَّعِى لِأَبٍ ... عَنْـهُ وَلاَ هُوَ بِالْأَبْنَاءِ يَشْرِينَا

إِنْ تُبْتَدَرْ غَايَةٌ يَوْمًا لِمَكْرُمَةٍ ... تَلْقَ السَّوَابِقَ مِنَّا وَالْمُصَلِّينَا

وَلَيْسَ يَهْلِكُ مِنَّا سَيِّدٌ أَبَدًا ... إِلاَّ افْتَلَيْنَا غُـلاَمًا سَيِّدًا فِينَا

إِنِّى لَمِنْ مَعْشَرٍ أَفْنَى أَوَائِلَهُمْ ... قِيلُ الْكُمَاةِ أَلاَ أَيْنَ الْمُحَامُونَا ؟

لَوْ كَانَ فِى الْأَلْفِ مِنَّا وَاحِدٌ فَدَعَوْا ... مَنْ فَارِسٌ خَالَهُمْ إِيَّاهُ يَعْنُونَا

وَلاَ تَرَاهُمْ وَإِنْ جَلَّتْ رَزِيَّتُهُمْ   مَعَ الْبُكَاةِ عَلَى مَنْ مَاتَ يَبْكُونَا
إِنَّا لَنُرْخِصُ يَوْمَ الرَّوْعِ أَنْفُسَنَا   وَلَوْ نُسَامُ بِهَا فِي الْأَمْنِ أُغْلِينَا
إِذَا الْكُمَاةُ تَنَحَّوْا أَنْ يَنَالَهُمُ   حَدُّ الظُّبَاتِ وَصَلْنَاهَا بِأَيْدِينَا
فَرْضٌ عَلَى مُكْثِرِينَا نَيْلُ بَذْلِهِمُ   وَالْجُودُ وَالْبَذْلُ فِي طَبْعِ الْمُقِلِّينَا
إِنِّي وَمَنْ كَأَبِي يَحْيَى وَعِتْرَتِهِ   لاَ فَخْرَ إِلاَّ لَنَا أَمْ مَنْ يُوَازِينَا

قوله إنا بنى نهشل : يعنى نَهْشَلَ بن دارِم بن مالك بن حَنْظَلَةَ بن مالك بن زَيْدِ مَنَاةَ بن تَمِيمٍ ، ومن قال إنَّا بَنُو نَهْشَلٍ ، فقد خَبَّرَكَ ، وجَعَلَ بنو خبرإنَّ ، ومن قال بنى ، فإنما جَعَلَ الخبرَ

إِنْ تُبْتَدَرْ غَايَةٌ يوما لِمَكْرُمَةٍ   تَلْقَ السوابق منا والمصلينا

ونَصَبَ بَنِي عَلَى فِعْلٍ مضمر الاختصاص ، وهذا أَمْدَحُ ، ومثله :

* نَحْنُ بَنِي ضَبَّةَ أَصْحَابُ الْجَمَلْ * أراد نحن أصحاب الجمل . ثم أبان مَنْ يَخْتَصُّ بهذا ، فقال أعنى بنى ضبة ، وقرأ عيسى بن عمر « وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ » أراد وامرأتُهُ « فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ » ثم عَرَّفَها بحَمَّالة الحطب ، وقوله عز وجل : « وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاَةَ » بعد قوله : « لَٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ » إنما هو على هذا، وهو أبلغ فى التعريف، وسَنَشْرَحُهُ على حقيقة الشرح فى موضعه إن شاء الله .

وأكثر العرب يُنْشِدُ (هو لِعَمْرِو بن الأَهْتَمِ المِنْقَرِيِّ) :

إِنَّا بَنِي مِنْقَرٍ قَوْمٌ ذَوُو حَسَبٍ   فِينَا سَرَاةُ بَنِي سَعْدٍ وَنَادِيهَا

وقرأ بعض القراء : « فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ » . وقوله : يَشْرِينا ، يريد يَبِيعُنَا ، يقال : شَرَاه يَشْرِيه إذا باعه ، فهذه المعروفة ، قال الله عزّ وجل :

« وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ » وقال ابن مُفَرِّغ الحِمْيَرِيُّ :

شَرَيْتُ بُرْدًا وَلَوْلَا مَا تَكَنَّفَنِي مِنَ الحَوَادِثِ مَا فَارَقْتُهُ أَبَدَا
(يَا بُرْدُ ما مَسَّنَا دَهْرٌ أَضَرَّ بِنَا مِنْ قَبْلِ هٰذَا وَلَا بِعْنَا لَهُ وَلَدَا)

ويكون شَرَيْتُ فى معنى اشْتَرَيْتُ ، وهو من الأضداد ، وأنشدنى التَّوَّزِيُّ :

اشْرُوا لها خَاتِنًا وَابْغُوا لِخَتْنَتِهَا مَوَاسِيًا أَرْبَعًا فِيهِنَّ تَذْكِيرُ

(كان ابن جابر يروى لِخُنْتَتِهَا ، ويقول : الخُنْثُ العَفَلُ) وقوله : تلق السوابق منا والمصلينا . فالمُصَلِّى الذى فى إِثْرِ السابق ، وإنما سُمِّىَ مصليا لأنه مع صَلَوَىِ السابق ، وهما عِرْقان فى الرِّدْف ، قال الشاعر :

تَرَكْتُ الرُّمْحَ يَعْمَلُ فى صَلَاهُ كَأَنَّ سِنَانَهُ خُرْطُومُ نَسْرِ

وقوله : إلا افتلينا غلاما سيداً فينا . مأخوذ من قولهم : فَلَوْتُ الفَلُوَّ يافتى إذا أخذته عن أمه ، قال الأعشى :

مُلْمِعٍ لَاعَةِ الْفُؤَادِ إِلَى جَحْـــشٍ فَلَاهُ عَنْهَا فَبِئْسَ الْفَالِى

وأخذ هذا المعنى من قول أبى الطَّمَحَان الْقَيْنِيِّ :

☆ إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ قَامَ صَاحِبُهُ ☆ وقوله :

لَوْ كَانَ فِى الْأَلْفِ مِنَّا وَاحِدٌ فَدَعَوْا مَنْ فَارِسٌ خَالَهُمْ إِيَّاهُ يَعْنُونَا

مأخوذ من قول طَرَفَةَ بن العَبْدِ :

إِذَا الْقَوْمُ قَالُوا مَنْ فَتًى خِلْتُ أَنَّنِى عُنِيتُ فَلَمْ أَكْسَلْ وَلَمْ أَتَبَلَّدِ

ومن قول مُتَمِّمِ بن نُوَيْرَةَ :

إِذَا القَوْمُ قَالُوا مَنْ فَتًى لِعَظِيمَةٍ فَمَا كُلُّهُمْ يُدْعَى وَلٰكِنَّهُ الْفَتَى

وقوله : حَدُّ الظُبات ، فالظُّبَةُ الحَدُّ بعينه ، يقال أصابته ظُبَةُ السيف . وظُبَةُ النَّصْلِ ، وجمعه ظُباتٌ ، وأراد بالظُّبَةِ هاهنا موضع المَضْرِب من السيف .

وأخذ هذا المعنى من قول كعب بن مالك بن أبى كعب الأنصارى :

نَصِلُ السُّيُوفَ إذَا قَصُرْنَ بِخَطْوِنَا ... قُدُمًا وَنُلْحِقُهَا إذَا لَمْ تَلْحَقِ

وقوله : إنا لَنُرْخِصُ يوم الرَّوْعِ أنْفُسنا ، أخذه من قول الهَمْدانِىّ . وهو الأَجْدَعُ أبو مَسْروق بن الأجدع الفقيه :

لَقَدْ عَلِمَتْ نِسْوَانُ هَمْدَانَ أَنَّنِى ... لَهُنَّ غَدَاةَ الرَّوْعِ غَيْرُ خَذُولِ

وَأَبْذُلُ فِى الهَيْجَاءِ وَجْهِى وَإِنَّنِى ... لَهُ فِى سِوَى الْهَيْجَاءِ غَيْرُ بَذُولِ

ومن القَتَّالِ الكِلاَبِىّ حيث يقول :

أَنَا ابْنُ الأكْرَمِينَ بَنِى قُشَيْرٍ ... وَأَخْوَالِى الْكِرَامُ بَنُو كِلاَبِ

نُعَرِّضُ لِلطِّعَانِ إذَا الْتَقَيْنَا ... وُجُوهاً لا تُعَرَّضُ لِلسِّبَابِ

باب

قال أبو العباس : قال عُمَرُ بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه : ثلاثٌ مَنْ كنَّ فيه فقد كَمَلَ : مَنْ لم يُخْرِجْهُ غَضَبُهُ عن طاعة الله ، ولم يستنزله رضاه إلى معصية الله ، وإذا قَدَرَ عفا وَكَفَّ .

وقال الحسن : نِعَمُ الله أكثرُ مِنْ أَنْ تُشْكَرَ الا ما أعانَ عليه ، وذُنوبُ ابن آدم أكثر من أَنْ يَسْلَمَ منها إلا ما عفا الله عنه . وقال عمر ابن ذرّ ، ودخل على ابنه وهو يَجُود بنفسه فقال : يا بُنَيَّ ، إنه ما علينا من موتك غضاضةٌ ، ولا بنا إلى أحد سوى الله حاجةٌ . فاما قَضَى وصَلَّى عليه وواراه ، وَقَفَ على قبره ، فقال :

يا ذَرُّ إنه قد شَغَلَنا الحُزْنُ لك عن الحزن عليك ، لأنّا لا نَدْرِى مَا قُلْتَ ، ولا ما قِيلَ لك ، اللّهم إنى قد وَهَبْتُ له مَا قَصَّرَ فيه مما افترضْتَ عليه من حق ، فَهَبْ له ما قَصَّرَ فيه من حقك ، واجعل ثوابى عليه له ، وزِدْنِى من فَضْلك ، إنّى إليك من الراغبين.

وسُئِلَ : ما بَلَغَ من بِرِّهِ بك ؟ فقال ما مَشَى معى بِنَهارٍ قطُّ إلاَّ قدَّمَنِي ، ولا بليل إلاَّ تقدَّمَنِي ، ولا رَقِىَ سَطْحاً وأنا تحته .

وماتت بنت عمٍّ للمنصور فَحَضَرَ جِنازتها ، وجلس لدفنها ، وأقبل أبو دُلامَةَ الشاعر(١) ، فقال له المنصور : ويحكَ ! ما أعْدَدْتَ لهذا اليوم ؟

(١) هو زند بن الجون مولى بنى أسد .

فقال : يا أمير المؤمنين ، ابْنَة عَمِّك هذه التى وارَيْتَها قُبَيْلُ ! قال : فَضَحِكَ المنصور حتى استغرب .

ودخل لَبَطَةُ بن الفرزدق على أبيه وهو محبوس فى سجن مالك ابن المُنْذِرِ بن الجارود ، ومالكٌ عامِلٌ على البصرة لخالد بن عبد الله القَسْرِىِّ ، فقال : يا أبَتِ ، هذا عُمَرُ بن يزيد الأُسَيْدِىُّ ضُرِبَ آنِفاً أَلْفَ سَوْطٍ فمات ، فَشُدَّ على حمار . فقال الفَرَزْدَقُ : كأنك والله يا بُنىَّ بمثل هذا الحديث قد تُحُدِّثَ به عن أبيك ، والحَسَنُ إذ ذاك عند محبوس له ، فقال يا أبا فِراسٍ : ما عندك إن كان ذاك ؟ فقال : والله يا أبا سعيد لَلّهُ أحبُّ إلىَّ من سَمْعِى وبَصَرِى ، ومن مالى وولدى ، ومن أهلى وعَشِيرتى ، أفتراهُ يَخْذُلُنِى ؟ فقال الحسن : لا .

وكان عمر بن يزيد الأُسَيْدِىُّ شريفاً ، حدثنى التَّوَّزِىُّ عن أبى عُبَيْدَةَ قال : كان رجلُ أهلِ البَصْرَةِ عُمَرَ بن يزيد الأُسَيْدِىُّ ، ورجلُ أهل الشام عمرَ بن هُبَيْرَةَ الفَزَارِىَّ ، ورجلُ أهل الكوفة بلالَ بن أبى بُرْدَةَ بن أبى موسى الأشعرى ، فقيل ذلك لعمر بن عبد العزيز ، فقال أَجَلْ ، لَولاَ خِبٌّ فى بلالٍ ، فقال بلالٌ لَمَّا بلغه ذلك : رَمَتْنِى بدائِها وانْسَلَّتْ ! وقتله مالك ابن المُنْذِرِ تَعَصُّباً فيما تذكره المُضَرِيَّةُ ، فلما دُخِلَ بمالك على هشام أَقبَلَ على أصحابه ، فقال : أما رأيتم عمر بن يزيد ؟ أمَا إنى ما تَمَنَّيْتُ أن تكون أمى ولَدَتْ رجلاً من العرب غَيْرَهُ ، ثم قال لمالك : قَتَلْتَ والله خيراً منك حَسَباً ونَسَباً ، ودِيناً ، وعَقِباً ، فقال : وكيف يا أمير المؤمنين ، أَلَسْتُ ابن المنذر

أبن الجارود ، وابن مالك بن مِسْمَعٍ ؟ ـ وكان جَدَّهُ أبا أمِّه ـ وجعل عمر والسِّياطُ تأخذه ينادى يا هِشَامَاهُ ! فى ذلك يقول الفَرَزْدَقُ :

أَلَمْ يَكُ مَقْتَلُ الْعَبْدِيِّ ظُلْماً أَبَا حَفْصٍ مِنَ الْـكُبَرِ الْعِظَامْ
قَتِيلُ جَمَاعَةٍ فِي غَيْرِ حَقٍّ يُقَطَّعُ وَهْوَ يَدْعُو يا هِشَامْ



وَالْتقى الحَسَنُ وَالفرزدق فى جِنازةٍ ، فقال الفرزدق للحسن : أتدرى مايقول الناس ياأبا سعيد ؟ قال: ومايقولون ؟ قال يقولون: اجتمع فى هذه الجِنازة خيرُ الناس وشرُّ الناس! فقال الحسن: كَلاَّ، لَسْتُ بخيرهم، ولَسْتَ بشرهم، ولكن ما أعْدَدْتَ لهذا اليوم ؟ فقال : شهادة أن لا إله إلا اللّٰه منذ ستين سنة، وخَمْسَ نَجَائِبَ لا يُدْرَكْنَ . يعنى الصلواتِ الخمسَ ، فيزعم بعض التَّمِيمِيَّة أنه رُئِىَ فى النوم ، فقيل له ما صَنَعَ بك رَبُّكَ ؟ فقال غَفَرَ لى . فقيل له بأىِّ شىء ؟ فقال بالكلمة التى نازعنى فيها الحسنُ .

وحدثنى العباس بن الفَرَجِ الرِّيَاشِيُّ فى إسنادٍ له ذَكَرَهُ قال : كان الفرزدق يَخْرُجُ من منزله فيرى بنى تميم والمَصاحِفُ فى حُجُورهم فيُسَرُّ بذلك ، ويَجْذَلُ به . ويقول : إِيهِ فِدًا لكم أبى وأمّى ، كذا واللّٰه كان آباؤكم .

قال أبوالحسن : إنما هو فِداءٌ لكم فمن فَتَحَ قَصَرَ لاغير ، ومن كسَرَ مَدَّ، لكنه قَصَرَ الممدود على هذه الرواية .

قال أبو العباس ونظر إليه أبو هُرَيْرَةَ الدَّوْسِيُّ ، فقال له : مَهْما فَعَلْتَ

فَقَنَّطكَ الناسُ ، فلا تقنط من رحمة الله ، ثم نظر إلى قدميه فقال : إنى أرى لك قَدَمَيْن لطيفتين فابْتَغِ لهما مَوْقِعاً صالحًا يوم القيامة .

يقال : قَنِطَ يَقْنَطُ ، وقَنَطَ يَقْنِطُ ، وكلاهما فصيح ، فاقرأ بأيهما شئت ، وكذلك نَقِمَ يَنْقَمُ ، وَنَقَمَ يَنْقِمُ .

والفرزدق يقول فى آخر عُمْرِهِ حين تَعَلَّقَ بِأَسْتار الكعبة ، وعاهَدَ اللهَ أن لا يَكْذِبَ ، ولا يَشْتِمَ مُسْلِماً :

أَلَمْ تَرَنِى عاهَدْتُ رَبِّى وَإِنَّنِى لَبَيْنَ رِتَاجٍ قَائِمًا وَمَقَامِ
عَلَى حَلْفَةٍ لاَ أَشْتِمُ الدَّهْرَ مُسْلِماً وَلاَ خَارِجًا مِنْ فِىَّ زُورُ كَلَامِ

وفى هذا الشعر :

أَطَعْتُكَ يَا إِبْلِيسُ تِسْعِينَ حِجَّةً فَلَمَّا انْقَضَى عُمْرِى وَتَمَّ تَمَامِى
رَجَعْتُ إِلَى رَبِّى وَأَيْقَنْتُ أَنَّنِى مُلَاقٍ لِأَيَّامِ الْمَنُونِ حِمَامِى

قوله : لَبين رِتاج ، فالرِّتاجُ : غَلَقُ الباب ، ويقال باب مُرْتَجٌ : أى مُغْلَقٌ ، ويقال : أُرْتِجَ على فلان : أى أُغْلِقَ عليه الكلامُ ، وقولُ العامة أُرْتُجَّ عليه : ليس بشىء ، إلا أن التَّوَّزِىَّ حدثنى عن أبى عُبَيْدَةَ . قال يقال : أُرْتُجَّ عليه ، ومعناه وَقَعَ فى رَجَّةٍ ، أى فى اختلاط ، وهذا معنى بعيد جدًّا . وقوله : ولا خارجاً إنما وَضَعَ اسم الفاعل فى موضع المصدر ، أراد لا أشْتِمُ الدهر مُسْلماً ، ولا يَخْرُجُ خروجاً من فِىَّ زُورُ كلامٍ ، لأنه على ذا أقْسَمَ ، والمصدر يقع فى موضع اسم الفاعل ، يقال ماءٌ غَوْرٌ : أى غائر ، كما قال الله عزّ وجل : « إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا » ، ويقال رجل عَدْلٌ : أى عادل ، ويوم غَمٌّ : أى غامٌّ ،

وهذا كثير جداً ، فعلى هذا جاء المصدر على فاعِلٍ كما جاء اسم الفاعل على المصدر، يقال قُمْ قائماً فيوضع فى موضع قولك قُمْ قياماً ، وجاء من المصدر على لفظ فاعلٍ حروفٌ منها فُلِجَ فالِجًا ، وعُوفِىَ عافِيَةً ، وأَحْرُفٌ سوى ذلك يسيرة ، وجاء على مَفْعول نحو رجل ليس له مَعْقول ، وخذ مَيْسُورَهُ ، ودَعْ مَعْسورَهُ ، لدخول المفعول على المصدر ، يقال رجل رضاً : أى مَرْضِىٌّ ، وهذا درهم ضَرْبُ الأمير : أى مَضْرُوبٌ ؛ وهذه دراهم وزن سَبْعةٍ . أى مَوْزونةٌ ، وكان عيسى بن عمر يقول : إنما قوله لا أشْتِمُ حال ، فأراد عاهدت ربى فى هذه الحال وأنا غير شاتمٍ ، ولا خارج من فِىَّ زُورُ كلامٍ ، ولم يَذْكُر الذى عاهَدَ عليه .

وقال الفرزدق فى أيام نُسْكِهِ :

أَخافُ وَرَاءَ الْقَبْرِ إِنْ لَمْ يُعافِنِى ... أَشَدَّ مِنَ الْقَبْرِ الْتِهَابًا وَأَضْيَقَا
إِذَا قَادَنِى يَوْمَ الْقِيامَةِ قَائِدٌ ... عَنِيفٌ وَسَوَّاقٌ يَسُوقُ الْفَرَزْدَقَا
لَقَدْ خَابَ مِنْ أَوْلَادِ آدَمَ مَنْ مَشَى ... إِلَى النَّارِ مَغْلُولَ الْقِلَادَةِ مُوثَقَا
إِذَا شَرِبُوا فِيهَا الْحَمِيمَ رَأَيْتَهُمْ ... يَذُوبُونَ مِنْ حَرِّ الْحَمِيمِ تَمَزُّقَا

وحدثنى بعض أصحابنا عن الأَصْمَعِىِّ عن المُعْتَمِرِ بن سليمان عن أبى مَخْزومٍ عن أبى شَفْقَلٍ راويةِ الفرزدق[1] ، قال: قال لى الفرزدق يوما : اُمض بنا إلى حَلْقَةِ الحَسَن ، فإنِّى أريد أن اطلِّق النَّوارَ ، فقلتُ : إنى أخاف عليك أن تَتْبَعَها نَفْسُكَ ، ويَشْهَدَ عليك الحسنُ وأصحابه ، فقال : امْضِ بنا ، فجئنا حتى

---

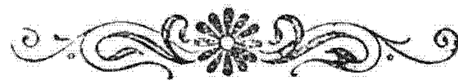
(١) وفى شفقل يقول الفرزدق :

أبو شفقل شيخ عن الحق جائر ... بباب الهدى والرشد غير بصير

وقفْنا على الحسن ، فقال : كيف أصْبَحْتَ يا أبا سعيدٍ ؟ فقال : بخيرٍ ، كيف أصبحتَ يا أبا فِراسٍ ؟ ، قال : تَعلَمُنَّ أن النَّوَار مني طالق ثلاثاً . فقال الحسنُ وأصحابه : قد سمعنا ، قال : فانطلقا ، قال : فقال لي الفرزدق : يا هذا ، إن في قلبي من النَّوار شيئاً ، فقلت قد حَذَّرْتُكَ ، فقال :

نَدِمْتُ نَدَامَةَ الْكُسَعِيِّ لَمَّا ... غَدَتْ مِنِّي مُطَلَّقَةً نَوَارُ
وَكُنْتُ كَفَاقِئٍ عَيْنَيْهِ عَمْداً ... فَأَصْبَحَ لاَ يُضِيءُ لَهُ النَّهَارُ
وَمَا فَارَقْتُهَا شِبَعاً وَلَكِنْ ... رَأَيْتُ الزُّهْدَ يَأْخُذُ مَا يُعَارُ
وَكَانَتْ جَنَّتِي فَخَرَجْتُ مِنْهَا ... كَآدَمَ حِينَ أَخْرَجَهُ الضِّرَارُ
وَلَوْ أَنِّي مَلَكْتُ يَدِي وَنَفْسِي ... لَكَانَ عَلَيَّ لِلْقَدَرِ الخِيَارُ

قال الأصمعي : ما روى المعتمر هذا الشعر إلا من أجل هذا البيت .



باب

قال لَقِيطُ بن زُرارَة :

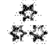
شَرِبْتُ الخمْرَ حَتّى خِلتُ أَنّى ... أَبُو قَابُوسَ أَوْ عَبْدُ المَدَانِ
أُمَشِّى فى بَنِى عُدُس بْنِ زَيْدٍ ... رَخِيَّ البَالِ مُنْطَلِقَ اللِّسَانِ

وحدثنى أبو عثمان المازنى قال : أُسِرَ رجلٌ يوم الحسين بن علىٍّ رضى الله عنه ، فأُتِىَ به يَزيدُ بن معاوية ، فقال له: أليس أبوك القائل :

أُرَجِّلُ جُمَّتِى وَأَجُرُّ ذَيْلِى ... وَتَحْمِلُ شِكَّتِى أُفُقٌ كُمَيْتُ
أُمَشِّى فِى سَرَاةِ بَنِى غُطَيْفٍ ... إِذَا مَا سَامَنِى ضَيْمٌ أَبَيْتُ

قال : بَلَى ، فأَمَرَ به فقُتِلَ .

قال أبو العباس : ونُمِيَ إلىَّ أن معاوية وَلَّى كَثيرَ بن شِهاب المَذْحِجِىَّ خُراسانَ فاختانَ مالاً كثيراً ، ثم هَرَبَ ، فاسْتَتَرَ عند هانِئ بن عُرْوَةَ المُرادِىِّ ، فبلغ ذلك معاويةَ ، فنَذَرَ دم هانئ ، فخرج هانئ فكان فى جِوَارِ معاوية ، ثم حَضَرَ مجلسَهُ ، ومعاويةُ لا يَعْرِفُهُ ، فلما نَهَضَ الناس ثَبَتَ مكانه ، فسأله معاوية عن أمره ، فقال: أنا هانِئُ بن عُرْوَةَ ، فقال إن هذا اليومَ ليس بيومٍ يقولُ فيه أبوكَ :أُرَجِّلُ جُمَّتِى ، الشِّعْرَ ، فقال له هانئ : أنا اليومَ أَعَزُّ منى ذلك اليومَ ، فقالَ له : بِمَ ذَاكَ ؟ فقال : بالإسلام يا أميرَ المؤمنين ، فقال له : أين كَثِيرُ بن شِهابٍ؟ ، قال عندى فى عَسْكَرِكَ يا أميرَ المؤمنين ، فقال له معاوية: انْظُرْ إلى ما اختانه ، فَخُذْ منه بَعْضاً ، وسَوِّغْهُ بَعْضاً .



وقال أعرابىّ :

وَلَقَدْ شَرِبْتُ الرَّاحَ حَتَّى خِلْتُنِى ... لَمَّا خَرَجْتُ أَجُرُّ فَضْلَ الْمِئْزَرِ
قَابُوسَ أَوْ عَمْرَو بْنَ هِنْدٍ ماثِلاً ... يُجْبَى لَهُ ما دُونَ دَارَةِ قَيْصَرِ

وقال آخر :

شَرِبْنَا مِنَ الدَّاذِىِّ[1] حَتَّى كَأَنَّنَا ... مُلُوكٌ لَهُمْ بَرُّ الْعِرَاقَيْنِ وَالْبَحْرُ
فَلَمَّا انْجَلَتْ شَمْسُ النَّهَارِ رَأَيْتَنَا ... تَوَلَّى الْغِنَى عَنَّا وَعَاوَدَنَا الْفَقْرُ

وقال آخر ، وهو عبد الرحمن بن الحكم :

وَكَأْسٍ تَرَى بَيْنَ الإِنَاءِ وَبَيْنَهَا ... قَذَى الْعَيْنِ قَدْ نَازَعْتُ أُمَّ أَبَانِ[2]
تَرَى شَارِبَيْهَا حِينَ يَعْتَوِرَانِهَا ... يَمِيلانِ أَحْيَانًا وَيَعْتَدِلانِ
فَمَا ظَنُّ ذَا الْوَاشِي بِأَرْوَعَ ماجِدٍ ... وَبَدَّاءَ[3] خَوْدٍ حِينَ يَلْتَقِيَانِ[4]

وقال آخر :

دَعَتْنِي أَخَاهَا أُمُّ عَمْرٍو وَلَمْ أَكُنْ ... أَخَاهَا وَلَمْ أَرْضَعْ لَهَا بِلِبَانِ
دَعَتْنِي أَخَاهَا بَعْدَ ما كَانَ بَيْنَنَا ... مِنَ الأَمْرِ ما لا يَفْعَلُ الأَخَوَانِ

وقال آخر (أنشده أبو علىّ لأمّ ضَيْغَمٍ الْبَلَوِيَّةِ[5]) :

فَبِتْنَا فُوَيْقَ الْحَيِّ لا نَحْنُ مِنْهُمُ ... وَلا نَحْنُ بِالأَعْدَاءِ مُخْتَلِطَانِ

---

(١) الداذى: اسم نبت يوضع حبه على الشراب ، والياء فيه ليست للنسب .
(٢) يريد أنها صافية ، حتى أنك لترى فى نواحيها مايشبه فى دقته قذى العين .
(٣) البداء : بادية المحاسن . (٤) والخود الناعمة .
(٥) نسبة إلى بلىّ على وزن غنىّ ، وهى قبيلة من قضاعة .

وَبَاتَ بَقِينَا سَاقِطَ الطَّلِّ وَالنَّدَى مِنَ اللَّيْلِ بُرْدَا يُمْنَةٍ عَطِرَانِ
نُعَدِّى بِذِكْرِ اللَّهِ فِي ذَاتِ بَيْنِنَا إِذَا كَانَ قَلْبَانَا بِنَا يَرِدَانِ

قال أبو الحسن : وزادني فيه غيرُ أبي العباس :

وَنَصْدُرُ عَنْ زِيِّ الْعَفَافِ وَرُبَّمَا نَقَعْنَا غَلِيلَ النَّفْسِ بِالرَّشَفَانِ

قال أبو العباس : نُعَدِّى أى نَصْرِفُ الشر بذكر الله ، يقال فَعَدِّ عما تَرَى ، أى فانْصَرِفْ عنه إلى غيره ، ويقال : لا يَعْدُوَنَّكَ هذا الحديثُ : أى لا يتجاوزَنَّكَ إلى غيرك .

قال أبو العباس : وقال رجل من قُرَيْشٍ :

مَنْ تَقْرَعِ الْكَأْسُ اللَّئِيمَةُ سِنَّهُ فَلَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ يُسِيءَ وَيَجْهَلَا
وَلَمْ أَرَ مَطْلُوبًا أَخَسَّ غَنِيمَةً وَأَوْضَعَ لِلْأَشْرَافِ مِنْهَا وَأَخْمَلَا
وَأَجْدَرَ أَنْ تَلْقَى كَرِيمًا يَذُمُّهَا وَيَشْرَبُهَا حَتَّى يَخِرَّ مُجَدَّلَا(١)
فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِى أَخَبْلٌ أَصَابَهُمْ أَمِ الْعَيْشُ فِيهَا لَمْ يُلَاقُوهُ أَشْكَلَا

وقال آخر :

إِذَا صَدَمَتْنِى الْكَأْسُ أَبْدَتْ مَحَاسِنِى وَلَمْ يَخْشَ نَدْمَانِى أَذَاتِى وَلَا بُخْلِى
وَلَسْتُ بِفَحَّاشٍ عَلَيْهِ وَإِنْ أَسَا وَمَا شَكْلُ مَنْ آذَى نَدَامَاهُ مِنْ شَكْلِى

وقال آخر :

كُلْ هَنِيئًا وَمَا شَرِبْتَ مَرِيئًا ثُمَّ قُمْ صَاغِرًا فَغَيْرُ كَرِيمِ
لَا أُحِبُّ النَّدِيمَ يُومِضُ بِالْعَيْنِ إِذَا مَا انْتَشَى لِعِرْسِ النَّدِيمِ

---

(١) مجدل : مصروع على الجدالة : وهى الأرض .

الإيماضُ: تفتُّحُ البَرْقِ ولَمْحُهُ. يقال أَوْمَضَتِ المرأةُ إذا ابْتَسَمَتْ، وإنما ذلك تشبيه لِلَمْعِ ثَنَاياها بِتَبَسُّمِ البرق، فأراد أنه فتح عينَهُ ثم غمّضها بغَمْزٍ.

وقال حسَّان بن ثابت[1]:

كَأَنَّ سَبِيئَةً مِنْ بَيْتِ رَأْسٍ ... يَكُونُ مِزَاجَهَا عَسَلٌ وَمَاءُ

إِذَا مَا الأَشْرِبَاتُ ذُكِرْنَ يَوْمًا ... فَهُنَّ لِطَيِّبِ الرَّاحِ الْفِدَاءُ

نُوَلِّيهَا المَلَامَةَ إِنْ أَلَمْنَا ... إِذَا مَا كَانَ مَغْثٌ أَوْ لِحَاءُ

وَنَشْرَبُهَا فَتَتْرُكُنَا مُلُوكًا ... وَأُسْدًا مَا يُنَهْنِهُنَا اللِّقَاءُ

المَغْثُ: المُمَاغَثَةُ باليد، واللِّحاء: المُلاحاة باللسان، يقول: يَعْتَذِرُ المسيء بأن يقول: كنتُ سَكْرانَ فيُعْذَرُ، وقوله كأنَّ سَبِيئةً، يقال سَبَأْتُهَا: إذا اشتريتها سِبَاءً يعني الخمرَ، والسابِئُ: الخمَّارُ. وقوله: من بيت رأسٍ، يعني موضعاً: كما يقال حارثُ الجَوْلانِ.

(١) انظر الظروف التي قيلت فيها هذه القصيدة في كتاب (المدائح النبوية في الأدب العربي).

باب

قال أبو العاس : قال الْأَحْنَفُ بن قَيْسٍ : ألا أدُلُّكُمْ على المَحْمَدَةِ بلا مَرْزِئَةٍ ؟ الخُلُقُ السَّجِيحُ[1] ، والكَفُّ عن القَبِيح ، ألا أخْبِرُكُمْ بأَدْوَإِ الداء ؟ ، الخُلُقُ الدَّنِيءُ . واللسان البَذِيءُ .

وقال الأحنف : ثلاثٌ فِيَّ ما أقولُهُنَّ إلا ليَعْتَبِرَ مُعْتَبِرٌ ، ما دَخلت بين اثنين حتى يُدْخِلانى بينهما ، ولا أتيتُ بابَ أحد من هؤلاء مالم أُدْعَ إليه ، يعنى السُّلْطانَ ، ولا حَلَلْتُ حُبْوَتى إلى ما يَقُومُ إليه الناسُ .

تَكْسِر الحاء وتضمها إذا أردتَ الاسم ، وتفتحها إذا أردتَ المَصْدر ، أنشدنى عُمارةُ بن عَقِيلٍ لجَرِيرٍ :

قُتِلَ الزُّبَيْرُ وَأَنْتَ عاقِدُ حُبْوَةٍ ... قُبْحاً لِحُبْوَتِكَ الَّتِي لَمْ تُحْلَلِ

ويقال فى جمع حِبْوَةٍ : حِباً وحُباً مقصوران .

وقال عُبَيْدُالله بن عبد الله بن عُتْبَةَ : ما أحْسَنَ الحَسَنات فى آثار السَّيِّئات ، وأقْبَحَ السيئاتِ فى آثار الحَسَنات ! ، وأقْبَحُ من ذا وأحْسَنُ من ذاكَ السَّيِّئاتُ فى آثار السيئات ، والحَسَناتُ فى آثار الحسناتِ .

والعرَبُ تَلُفُّ الخبرين المختلفين ، ثم تَرْمى بتفسيرهما جُمْلَةً ، ثِقَةً بأن السامع يَرُدُّ إلى كلٍّ خَبَرَهُ ، وقال الله عز وجل : « وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ » .

---

(١) السهل .

وقال رجل لِسَلْمِ بن نَوْفَلٍ: ما أَرْخَصَ السُّودَدَ فيكم! فقال سَلْمٌ: أَمّا نحْنُ فلا نُسَوِّدُ إلاّ مَنْ بذَلَ لنا مالَهُ، وأَوْطَأَنا عِرْضَه(١) وامْتَهَنَ فى حاجتنا نفسه. فقال الرجل: إن السُّودَدَ فيكم لَغالٍ.

ولِسَلْمٍ يقول القائل:

يُسَـــوَّدُ أقْوَامٌ وَلَيْسُوا بِسَادَةٍ بَلِ السَّيِّدُ المَعْرُوفُ سَلْمُ بْنُ نَوْفَلِ

قال معاوية لعَرَابَةَ بن أَوْس بن قَيْظِيٍّ الأَنْصارِيِّ: بِمَ سُدْتَ قومك؟ فقال: لَسْتُ بسيدهم ولكنّى رجلٌ منهم. فعَزَم عليه فقال: أَعْطَيْتُ فى نائبتهم، وحَلُمْتُ عن سَفِيهِهِمْ، وشَدَدْتُ على يَدَىْ حَليمهم، فمَنْ فَعَلَ منهم مِثْلَ فِعْلى فهو مِثْلِى، ومن قَصَّرَ عنه فأنا أفضلُ منه، ومن تجاوزه فهو أفضل منى.

وكان سَبَبُ ارتفاع عَرابة أنه قَدِمَ من سَفر، فجَمَعَهُ الطريقُ والشَّمَّاخَ ابنَ ضِرارٍ المُرِّيَّ، فتحادثا فقال له عَرَابةُ: ما الذى أَقْدَمَك المدينة؟ قال: قَدِمْتُ لِأَمْتارَ منها، فَمَلأَ له عَرابةُ رَوَاحِلَهُ بُرًّا وتمرا، وأتحفه بغير ذلك، فقال الشَّماخُ:

رَأَيْتَ عَرَابَةَ الأَوْسِىَّ يَسْمُو إِلَى الخَـــيْرَاتِ مُنْقَطِعَ القَرِينِ
إِذَا ما رَايَةٌ رُفِعَتْ لِمَجْـــدٍ تَلَقَّاهَا عَـــرَابَةُ بِالْيَمِينِ
إِذَا بَلَّغْتِنِى وَحَمَلْتِ رَحْـــلِى عَـــرَابَةَ فاشْرَقِى بِدَمِ الْوَتِينِ
ومِثْلُ سَرَاةِ قَوْمِكَ لم يُجَارَوْا إِلَى رُبُعِ الرِّهَانِ وَلاَ الثَّمِينِ

---

(١) كناية عن احتمال المكروه.

قوله: تَلَقَّاها عَرابةُ باليمين. قال أصحاب المعانى : معناه بالقوّة، وقالوا مثلَ ذلك فى قول الله عزّ وجل « وَالسَّمٰوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بيمينه » ، وقد أَحْسَنَ كلَّ الإِحْسانِ فى قوله :

إِذَا بَلَّغْتِنِي وَحَمَلْتِ رَحْلِي   عَرَابَةَ فَاشْرَقِي بِدَمِ الْوَتِينِ

يقول : لَسْتُ أَحتاج إلى أن أَرْحَلَ إلى غيره ، وقد عاب بعضُ الرُّواةِ قولَهُ « فاشرقى بدم الوتين » وقال : كان ينبغى أن يَنْظُرَ لها مع استغنائه عنها ، فقد قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم للأنصارية المأسورة بمكة وقد نَجَتْ على ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله ، إِنّى نَذَرْتُ إِنْ نَجَوْتُ عليها أن أنحرَها . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لَبِئْسَ ما جَزَيْتِها ، ، وقالَ « لا نَذْرَ فى معصية ، ولا نذر للإنسان فى غير ملكه » .

ومما لم يُعَبْ فى هذا المعنى قول عبد الله بن رَواحةَ الأنصاريّ لما أَمَّرَه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعد زَيد وجَعْفرٍ على جَيْش مُؤْتَةَ(١) :

إِذَا بَلغْتِنِي وحَمَلْتِ رَحْلِي   مَسِيرَةَ أَرْبَعٍ بَعْدَ الْحِساءِ
فَشَأْنَكِ فَأَنْعَمِي وَخَلَاكِ ذَمٌّ   وَلَا أَرْجِعْ إِلَى أَهْلِي وَرَائِى

الحِساءُ : جمع حِسْيٍ ، وهو موضع رَمْلٍ تحته صَلابَةٌ ، فإذا مَطَرَت السماء على ذلك الرمل نزل الماء، فمنعَتْهُ الصَّلابةُ أن يَغيضَ، ومَنَعَ الرملُ السَّمائمَ أن تُنَشِّفَهُ ، فإذا بحِثَ ذلك الرملُ أصيب الماء ، يقال حِسْيٌ وَأَحْساء وحساء ممدودة ، وقوله « ولا أرجعْ إلى أهلى ورائى » مجزوم لأنه دعاء، فقوله « لا » هى الجازمة له،

---

(١) مؤتة : اسم قرية بالشام .

ومعناه : اللهم لاأَرْجِـعْ ، كما تقول زيد لا يَغْفِرِ الله له ، فهذا الدعاء يَنْجَزِمُ بما يَنْجَزِمُ به الأمر والنهى ، كما تقول : زيد لِيَقُمْ، وزيد لا يَبْرَحْ .

وقد اتَّبَعَ ذو الرُّمَّةِ الشَّمَّاخَ فى قوله :

إِذَا ابْنَ أَبِى مُوسَى بِلالاً بَلَغْتِهِ ... فَقَامَ بِفَأْسٍ بَيْنَ وِصْلَيْكِ جازِرُ

الوصل : المَفْصِلُ بما عليه من اللحم ، يقال قَطَعَ اللهُ أوصاله ، ويقال : وِصْلٌ ، وكِسْرٌ ، وجِدْلٌ ، فى معنى واحد .

باب

قال أبو العباس : أنشدنى التَّوَّزِىُّ لرجل من رُجَّازِ بنى تميم فى وَقْعة الجُفْرة(١) .

نَحْنُ ضَرَبْنَا الْأَزْدَ بِالْعِرَاقِ ... والحَىَّ مِنْ رَبِيعَةَ الْمُرَّاق

وَابْنَ سُهَيْلٍ قائِدَ النِّفَاقِ(٢) ... بِلاَ مَعُونَاتٍ وَلاَ أَرْزَاق

إِلاَّ بَقَايَا كَرَمِ الْأَعْرَاقِ ... لِشِدَّةِ الخَشْيَةِ وَالْإِشْفَاقِ

* مِنَ المَخَازِى وَالحَدِيثِ الْبَاقِى *

الأَعْرَاقُ : جمع عِرْقٍ ، يقال فلان كريم العِرْقِ ولئيم العرق أى الأَصْلِ .

وقال آخر يَصِفُ ابنه :

أَعْرِفُ مِنْهُ قِلَّةَ النُّعَاسِ ... وخِفَّةً فى رَأْسِهِ مِنْ رَاسِى

* كَيْفَ تَرَيْنَ عِنْدَهُ مِرَاسِى *

---

(١) الجفرة : موضع بناحية البصرة .

(٢) يرى الشيخ المرصفى أن الصواب « ابن أسيد » بفتح الهمزة وكسر السين .

يخاطب أمَّ ابنه ، فقوله أعرف منه قلة النعاس : أى الذَّكاء والحركة .

وكان عبد المَلِكِ بن مَرْوانَ يقول لِمُؤَدِّبِ ولده : عَلِّمْهُمُ العَوْمَ ، وهَذِّبْهُمْ بقلة النوم . وكذا قال أبو كَبِيرٍ الْهُذَلِيُّ :

فَأَتَتْ بِهِ حُوشَ الجَنانِ[1] مُبَطَّنًا ... سُهُدًا إِذَا مَا نَامَ لَيْلُ الهَوْجَلِ

وقال الآخر :

فَجَاءَتْ بِهِ حُوشَ الْفُؤَادِ مُسَهَّدًا ... وَأَفْضَلُ أَوْلَادِ الرِّجَالِ المُسَهَّدُ

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ عَيْنَيَّ تَنامانِ وَلَا يَنامُ قَلْبِي » .

وقال عُرْوَةُ بن الوَرْدِ العَبْسِيُّ ، وهو عُرْوَةُ الصَّعاليك[2] :

لَحَا اللهُ صُعْلُوكًا إِذَا جَنَّ لَيْلُهُ ... مُصافِي الْمُشاشِ آلِفًا كُلَّ مَجْزَرِ

(يَعُدُّ الْغِنَى مِنْ نَفْسِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ ... أَصابَ قِرَاهَا مِنْ صَدِيقٍ مُيَسَّرِ)

يَنامُ ثَقِيــلًا ثُمَّ يُصْبِحُ قاعِدًا ... يَحُتُّ الحَصَى عَنْ جَنْبِهِ الْمُتَعَفِّرِ

يُعِينُ نِساءَ الحَيِّ ما يَسْتَعِنَّهُ ... فَيُضْحِي طَلِيحًا كَالْبَعِيرِ المُحَسَّرِ

وَلٰكِنَّ صُعْلُوكًا صَفِيحَةُ وَجْهِهِ ... كَضَوْءِ سِرَاجِ الْقَابِسِ الْمُتَنَوِّرِ

مُطِلًّا عَلَى أَعْدَائِهِ يَزْجُرُونَهُ ... بِسَاحَتِهِمْ زَجْرَ المَنِيحِ الْمُشَهَّرِ

وَإِنْ بَعُدُوا لَا يَأْمَنُونَ اقْتِرَابَهُ ... تَشَوُّفَ أَهْلِ الْغَائِبِ الْمُتَنَظَّرِ

فَذٰلِكَ إِنْ يَلْقَ المَنِيَّةَ يَلْقَهَا ... حَمِيدًا وَإِنْ يَسْتَغْنِ يَوْمًا فَأَجْدِرِ

(يُرِيحُ عَلَيَّ اللَّيْلَ أَضْيَافَ ماجِدٍ ... كَرِيمٍ وَمَالِي سَارِحًا مالُ مُقْتِرِ

---

(١) حوش الجنان : حديد القلب ، كأنه من الحوش وهم حيٌّ من الجن . والمبطن : الضامر البطن .

(٢) هم الفقراء .

قال أبو الحسن: كذا أنشده، فذلكَ لأنه لم يَرْوِ أوّلَ الشِّعر، والصواب كسر الكاف. لأنه يخاطب امرأةً. ألا تراه قال:

أَقِلِّي عَلَيَّ اللَّوْمَ يا ابْنَةَ مَالِكٍ   وَنَامِي وَإِنْ لَمْ تَشْتَهِي ذَاكِ فاسْهَرِى)

قوله ☆ يَحُتُّ الحَصَى عَنْ جَنْبِهِ المُتَعَفِّرِ ☆ يريد المُتَتَرِّبَ وَالعفْرُ والعَفَرُ أُسمان للتراب، من ذلك قولهم: عَفَرَ الله خدَّهُ. ويقال للظَّبْيَة عَفْراء إذا كانت يَضْرِبُ بياضُها إلى حُمْرة، وكذلك الكَثِيبُ الأعْفَرُ.

وقوله كالبعير الحسير: هو المُعْيِي، يقال جَمَلٌ حَسِيرٌ وناقة حَسِيرٌ، قال الله عزّ وجل «يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ».

وقوله: ☆ وَإِنْ بَعُدُوا لاَ يَأْمَنُونَ اقْتِرَابَهُ ☆ على التقديم والتأخير، أراد: لا يأمَنون اقترابه وإن بعدوا، وهذا حسن فى الإعْراب إذا كان الفعل الأول فى المجازاة ماضياً، كما قال زُهَيْرٌ:

وَإِنْ أَتَاهُ خَلِيلٌ يَوْمَ مَسْئَلَةٍ   يَقُولُ لاَ غَائِبٌ مَالِي وَلاَ حَرِمُ

فإن كان الفعلُ الأوّل مجزوما لم يَجُزْ رفع الثانى إلا ضرورة، فسيبويه يذهب إلى أنه على التقديم والتأخير، وهو عندى على إرادة الفاء. لِعِلَّةٍ تَلْزَمُهُ فى مذهبه، نذكرها فى باب المجازاة إذا جرى فى هذا الكتاب إن شاء الله تعالى، فمن ذلك قوله:

يَا أَقْرَعُ بْنَ حَابِسٍ يَا أَقْرَعُ   إِنَّكَ إِنْ يُصْرَعْ أَخُوكَ تُصْرَعُ

أراد سيبويه إنك تُصْرَعُ إن يُصْرَعْ أخوكَ، وهو عندى على قوله إن يُصْرَعْ أخوكَ فأنت تُصْرَعُ يافتى، ونَسْتَقْصِي هذا فى بابه إن شاء الله تعالى.

وقوله : ☆ كَيْفَ تَرَيْنَ عِنْدهُ مِرَاسِى ☆ يقول للمرأة عَزَزْتُكِ على شَبَهِهِ ، ويقال: أَنْجَبُ الأولاد ولدُ الفاركِ ، وذلك لأنها تُبْغِضُ زوجَها ، فيَسْبِقُها بمائه ، فيَخْرُجُ الشَّبَهُ إليه، فيخرج الولد مُذْكرًا. وكان بعض الحكماء يقول : إذا أردت أن تَطْلبَ ولد المرأة فأَغْضِبْها ، ثم قَعْ عليها ، فإنك تَسْبِقُها بالماء ، وكذلك ولد الفَزِعَةِ ، كما قال أبو كَبِيرٍ الهُذَلِىُّ :

مِمَّنْ حَمَلْنَ بِهِ وَهُنَّ عَوَاقِدٌ ... حُبُكَ النِّطَاقِ فَشَبَّ غَيْرَ مُهَبَّلِ

(المهبل الكثير اللحم ، ومُهَبَّلٌ غير مَدْعُوٍّ عليه بالهَبَلِ) .

حَمَلَتْ بِهِ فِى لَيْلَةٍ مَزْؤُودَةٍ ... كَرْهاً وَعَقْدُ نِطَاقِهَا لَمْ يُحْلَلِ

مزؤودة ذات زُؤْدٍ ، وهو الفَزَعُ ، فمن نصب مزؤودة فإنما أراد المرأة ، ومن خفض فإنه أراد الليلةَ ، وجعل الليلة ذات فَزَعٍ ، لأنه يُفْزَعُ فيها، قال الله عزّ وجل : « بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ » والمعنى : بل مَكْرُكُم فى الليل والنهار؛ وقال جرير :

لَقَدْ لُمْتِنَا يَا أُمَّ غَيْلاَنَ فِى السُّرَى ... وَنِمْتِ وَمَا لَيْلُ المَطِىِّ بِنَائِمِ

وقال آخر[1] : ☆ فَنَامَ لَيْلِى وَتَجَلَّى هَمِّى ☆ وهذا الرجزُ ضدُّ ما قال الآخر فى ولده ، فإنه أقر بأن امرأته غَلَبَتْهُ على شَبَهِهِ ، وذلك قوله :

وَاللهِ مَا أَشْبَهَنِى عِصَامُ ... لاَ خُلُقٌ مِنْهُ وَلاَ قَوَامُ

☆ نِمْتُ وَعِرْقُ الخَالِ لاَ يَنَامُ ☆

يقول : عَزَّتْنِى[2] أُمُّهُ على الشَّبَهِ ، فذهبتْ به إلى أخواله ، وقال آخر :

---

(١) هو رؤبة بن العجاج ، وصدر البيت : ☆ حارث قد فرّجت عنى غمى ☆ يخاطب الحارث بن سليم . (٢) غلبتنى .

لقد بَعَثْتُ صاحِباً من العَجَمْ   بَيْنَ ذَوِى الْأَحْلاَمِ وَالْبِيضِ اللِّمَمْ
☆ كَانَ أَبُوهُ غَائِباً حَتَّى فُطِمْ ☆

يقول: لم يُسْقَ غَيْلاً، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « هَمَمْتُ أَنْ أَنْهَى أُمَّتِى عَنِ الْغِيلَةِ، حتى عَلِمْتُ أن فَارِسَ والرُّومَ تفعل ذلك بأولادها. فلا تَضِيرُ أولادَها » والغيلة أن تُرْضِعَ المرأةُ وهى حامل، أو تُرْضِعَ وهى تُغْشَى، ويَزْعُمُ أهلُ الطِّبِّ من العرب والعجم أن ذلك اللَّبَنَ داء، وقالت أُمُّ تأَبَّطَ شَرًّا[1]: والله ما حَمَلْتُهُ تُضْعاً ـ ووُضْعاً أيضاً ـ ولا وَضَعْتُهُ يَتْناً، ولا سَقَيْتُهُ غَيْلاً، ولا أَبَتُّهُ مَئِقاً. وقال الأصمعى: ولا أَبَتُّهُ على مَأَقَةٍ. قولها: ما حملته تُضْعاً، يقال إذا حملت المرأة عند مَقْبِلِ الحيض: حَمَلَتْهُ وُضْعاً وتُضْعاً، وإذا خرجتْ رِجْلا المولود من قَبْل رأسه قيلَ: وَضَعَتْهُ يَتْناً، قال الشاعر:

فَجَاءتْ بِهِ يَتْناً يَجُرُّ مَشِيمَةً[2]   تُسَابِقُ رِجْلاهُ هُنَاكَ الْأَنَامِلَا

ويقال للرجل إذا قَلَبَ الشيء عن جهته جاء به يَتْناً. قال عيسى بن عمر: سألت ذا الرُّمَّةِ عن مسئلة، فقال لى: أَتَعْرِفُ الْيَتْنَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قال: فَمَسْئَلَتُكَ هذه يَتْنٌ. قال: وكنت قد قلبت الكلام، والغَيْلُ ما فسرناه، وأما قولها: ولا أَبَتُّهُ مَئِقاً، تقول: لم أَبِتْهُ مَغِيظاً. وذلك أن الخَرْقاء تُبِيتُ ولدها جائعاً مَغْمُوماً، لحاجته إلى الرضاع، ثم تحركه فى مَهْده، حتى يغلبه الدُّوارُ فيُنَوِّمَهُ؛ والكَيِّسةُ تُشْبِعُهُ وتُغَنِّيهِ فى مَهْده، فيَسْرِى ذلك الفَرَحُ فى بدنه من الشِّبَعِ، كما سَرَى ذلك الغَمُّ والجوع فى بدن الآخر. ومن أمثال العرب: أنا تَئِقٌ وصاحبى مَئِقٌ فكيف نَتَّفِقُ؟ التَّئِقُ: المملوء غيظا وغضباً، والمئق: القليل الاحتمال، فلا يقع الاتفاق

(١) واسمها أميمة، إحدى نساء بنى القين. (٢) المشيمة مايكون فيه الولد.

باب

قال أبو العباس: قال ابن عباس رضي الله عنهما : لا يُزَهِّدَنَّكَ في المعروف كُفْرُ مَنْ كفره ، فإنه يَشْكُرُكَ عليه مَنْ لم تَصْطَنِعْهُ إليه[1] :

وأُنْشِد عبدُ الله بن جعفر قولَ الشاعر :

إنَّ الصَّنِيعَةَ لَا تَكُونُ صَنِيعَةً ... حَتَّى تُصِيبَ بِهَا طَرِيقَ المَصْنَعِ

فقال: هذا رجل يريد أن يُبَخِّلَ الناسَ ، أَمْطِرِ المعروف مَطَرًا ، فإن صادف موضعًا فهو الذى قَصَدْتَ له ، وإلا كنتَ أَحَقَّ به .

(قال أبو الحسن الأخفش : حدثنا المبرد في غير الكامل قال : قال الحَسَن والحُسَيْنُ رضوان الله عليهما لعبد الله بن جَعْفَرٍ : إنك قد أَسْرَفْتَ في بَذْلِ المال. قال : بأبي أنتما وأُمِّي، إن الله عوَّدَني أن يُفْضِلَ عليَّ ، وعوَّدْتُهُ أن أُفْضِلَ على عباده ، فأخاف أن أَقْطَعَ العادَةَ فيَقْطَعَ عني) .

ومَرَّ يَزِيدُ بن المُهَلَّبِ بأعرابية في خروجه من سِجْنِ عمر بن عبد العزيز يريد البَصْرة ، فقَرَتْهُ عنزًا، فقبلها ، وقال لأبنه معاوية : ما معك من النفقة ؟ فقال: ثماني مائةِ دينارٍ، قال: فادْفَعْهَا إليها، قال له ابنه: إنك تريد الرجالَ، ولا يكونُ الرجالُ إلا بالمال ، وهذه يُرْضِيها اليسير ، وهي بَعْدُ لا تعرِفُكَ . فقال له : إن كانت ترضى باليسير ، فأنا لا أرضى إلا بالكثير ، وإن كانت لا تعرفني فأنا أعرف نفسي ، أُدْفَعْها إليها .

(١) وهو الله عز شأنه .



وزعم الأصمعى أن حَرْبًا كانت بالبادية ، ثم اتصلت بالبصرة . فتفاقم الأمر فيها ، ثم مُشِيَ بين الناس بالصُّلْح ، فاجتمعوا فى المسجد الجامع . قال : فَبُعِثْتُ وأنا غلام إلى ضِرار بن القَعْقاع من بنى دارم، فاستأذنتُ عليه . فأَذِنَ لى ، فدخلتُ، فإذا به فى شَمْلَةٍ يَخْلِطُ بَزْرًا لِعَنْزٍ له حَلُوبٍ ، فَخَبَّرْتُه بمُجْتَمعِ القوم . فَأَمْهَلَ حتى أكلتِ العنز ، ثم غَسَلَ الصَّحْفَة وصاح : يا جارية غَدِّينا ، قال : فأتته بزيت وتمر ، قال : فدعانى فَقَذِرْتُه أن آكُلَ معه ، حتى إذا قضى من أكله حاجةً ، وَثَبَ إلى طينٍ مُلْقًى فى الدار، فغسَل به يَدَهُ ، ثم صاح : يا جارية ، أسقينى ماء . فأتته بماء ، فَشَرِبَهُ ، ومسح فَضْلَهُ على وجهه ، ثم قال : الحمد لله ، ماءِ الفُراتِ ، بتمر البصرة ، بزيت الشام ، متى نُؤَدِّى شُكْرَ هذه النِّعَم ! ثم قال : ياجارية ، علىَّ بِرِدائى ، فأتته بِرداءٍ عَدَنِىٍّ، فارْتَدَى به على تلك الشَّمْلَةِ . قال الأصمعى : فتجافَيْتُ عنه استقباحًا لِزِيِّهِ ، فلما دخل المسجد صلى ركعتين، ثم مشى إلى القوم ، فلم تَبْقَ حُبْوَةٌ إلا حُلَّتْ إعظامًا له ، ثم جلس ، فتَحَمَّلَ جميعَ ما كان بين الأحياء فى ماله وانصرف .



وحدثنى أبو عثمان بكر بن محمد المازِنىُّ عن أبى عبيدة قال : لما أتى زيادُ ابن عمرو المِرْبَدَ ، فى عَقِبِ قتل مسعود بن عمرو العَتَكِىِّ ، جَعَلَ فى المَيْمَنَةِ بَكْرَ بن وائل ، وفى المَيْسَرَةِ عبد القَيْسِ ، وهم لُكَيْزُ بن أفْصَى بن دُعْمِىِّ

ابن جَدِيلَةَ بن أسَد بن رَبيعة ، وكان زياد بن عمرو العَتَكيُّ في القَلْبِ ، فبلغ ذلك الأَحْنَفَ ، فقال : هذا غلام حَدَثٌ ، شَأْنُهُ الشُّهْرَةُ ، وليس يُبَالِي أين قَذَفَ بنفسه ، فَنَدَبَ أصحابَهُ ، فجاءه حارِثَةُ بن بَدْرٍ الغُدانِيُّ ، وقد اجتمعت بنو تميم ، فلما طلع قال : قُوموا إلى سيِّدكم ، ثم أجلسه فناظَرَهُ ، فجعلوا سَعْدًا والرِّبَابَ في القَلْبِ ، ورئيسُهُمْ عَبْسُ بن طَلْقٍ الطَّعانُ ، المعروف بأخي كَهْمَسٍ ، وهو أحَدُ بَني صريم بن يَرْبوع ، فَجُعِلَ في القلْبِ بحذاءِ الأَزْدِ ، وجُعِلَ حارثةُ بن بَدْرٍ في بني حَنْظَلَةَ بحِذاء بَكْرِ بن وَائِلٍ ، وجُعِلَتْ عمرو ابن تميم بحذاء عَبْدِ القَيْس ، فذلك حيثُ يقول حارثةُ بن بَدْرٍ للأحْنف :

سَيَكْفِيكَ عَبْسٌ أخُو كَهْمَسٍ ... مُقَارَعَةَ الْأَزْدِ بِالْمِرْبَدِ
وَتَكْفيكَ عَمْرٌو عَلَى رِسْلِهَا ... لُكَيْزَ بنَ أفْصَى وَما عَدَّدُوا
وَنَكْفِيكَ بَكْرًا إذَا أقْبَلَتْ ... بِضَرْبٍ يَشِيبُ لَهُ الْأَمْرَدُ

فلما تواقفوا بَعَثَ إليهم الأَحْنَفُ : يا مَعْشَرَ الأَزْدِ ورَبيعةَ من أهل البصرة ، أنتم والله أحَبُّ إلينا من تَميمِ الكوفة ، وأنتم جِيرانُنَا في الدار ، ويَدُنا على العَدُوِّ ، وأنتم بدأتمونا بالأمْس ، ووطِئْتُمْ حَرِيمَنا ، وحَرَّقْتُمْ علينا ، فدَفَعْنا عن أنفسنا ، ولا حاجة لنا في الشر ما أصَبْنا في الخير مَسْلَكاً ، فتيَمَّمُوا بنا طريقةً قاصدةً(١) . فوجَّهَ إليه زِياد بن عمرو : تخَيَّرْ خَلَّةً من ثلاثٍ : إن شئت فانْزِلْ أنتَ وقومُك على حُكْمنا ، وإن شئتَ نَخَلِّ لنا عن البصرة

---

(١) أي مستقيمة عادلة .

وأَرْحَلْ أنت وقومُك إلى حيث شئتم ، وإلا فدُوا[1] قَتْلانا ، وأَهْدُروا دِماءَكُمْ ، وليُودَ مسعودٌ دِيَةَ المُشْعَرَة .

قال أبو العباس: وتأويل قوله «دِية المشعرة» يريد أمْرَ الملوك في الجاهلية. وكان الرجلُ إذا قُتِلَ وهو من أهل بيت المَمْلَكة وُدِيَ عشرَ دِياتٍ .

فبَعَثَ إليه الأحنفُ : سنختارُ ، فانصرفوا في يومكم . فهَزَّ القومُ راياتِهِمْ وانصرفوا، فلما كان الغَدُ بعث إليهم: إنكم خيرتمونا خِلالاً ليس فيها خيارٌ، أما النزول على حُكْمكم فكيف يكون والكَلْمُ يَقْطُرُ دمًا ؟ وأما ترك ديارنا فهو أخو القتْلِ ، قال الله تعالى عز وجل : « وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيارِكُمْ ما فَعَلُوهُ إلاَّ قليلٌ » ولكنَّ الثالثةَ إنما هي حَمْلٌ على المال ، فنحن نُبْطِلُ دماءنا ، ونَدِي قَتْلاكم ، وإنما مسعودٌ رجل من المسلمين ، وقد أذْهَبَ اللهُ أمر الجاهلية .

فاجتمع القوم على أن يَقِفُوا أمر مسعود، ويُغْمَدَ السيفُ، ويُودَى سائرُ القتْلى من الأَزْدِ ورَبيعةَ ، فتَضَمَّنَ ذلك الأحنفُ ، ودَفَعَ إياسَ بن قتادة المُجاشِعِيَّ رهينةً حتى يُؤَدَّى هذا المالُ، فرَضِيَ به القومُ، ففَخَرَ بذلك الفرزدقُ فقال :

وَمِنَّا الَّذِى أَعْطَى يَدَيْهِ رَهِينَةً ... لِغَارَىْ مَعَدٍّ يَوْمَ ضَرْبِ الجَمَاجِمِ
عَشِيَّةَ سَالَ الْمِرْبَدَانِ كِلاَهُمَا ... عَجَاجَةَ مَوْتٍ بِالسُّيُوفِ الصَّوَارِمِ
هُنَالِكَ لَوْ تَبْغِى كُلَيْبًا وَجَدْتَهَا ... أَذَلَّ مِنَ الْقِرْدَانِ تَحْتَ الْمَنَاسِمِ

(قال أبو الحسن وكان أبو العباس ربما رواه : لغازى مَعَدٍّ) ويقال إن

(١) من الدية ، تقول : ودى القتيل يديه ، إذا أعطى قومه الدية .

تَمِيماً فى ذلك الوقت مع باديتها وحُلَفائها من الأَساوِرَةِ والزُّطِّ ، والسَّبَابِجَةِ وغيرهم كانوا زُهاء سبعين ألفاً ، ففى ذلك يقول جَرِير :

سَائِلْ ذَوِى يَمَنٍ وَرَهْطَ مُحَرِّقٍ   وَالْأَزْدَ إِذْ نَدَبُوا لَنَا مَسْعُودَا

فَأَتَاهُمُ سَبْعُونَ أَلْفَ مُدَجَّجٍ   مُتَسَرْبِلِينَ يَلَامِقاً وَحَدِيدَا

قال الأحنفُ بن قيس: فكَثُرَتْ علىّ الدِّياتُ، فلم أَجِدْها فى حاضرة تميم، فخرجتُ نحو يَبْرِينَ ، فسألتُ عن المقصود هناك، فأُرْشِدْتُ إلى قُبَّةٍ ، فإذا شيخٌ جالس بفنائها ، مُؤْتَزِرٌ بشَمْلَةٍ ، مُحْتَبٍ بحبل ، فسلّمْتُ عليه ، وانتسبت له ، فقال : ما فَعَلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقلت : تُوُفِّىَ صلوات الله عليه ! قال فما فَعَلَ عُمَرُ بن الخطاب الذى كان يَحْفَظُ العرب ويَحُوطُها ؟ فقلت له : مات رحمه الله تعالى ! قال فأىُّ خَيْرٍ فى حاضرتكم بعدهما ؟ قال فذكرتُ له الدِّياتِ التى لزمَتْنا للأَزْدِ ورَبيعةَ . قال : فقال لى : أَقِمْ ، فإذا راعٍ قد أَراحَ أَلْفَ بعير ، فقال : خُذْها ، ثم أراحَ عليه آخرُ مثلَها ، فقال خُذْها ، فقلت لا أحتاج إليها ، قال : فانصرفت بالألف عنه ، ووالله ما أدرى من هو الى الساعة .

قوله «المَناسِم» واحدها مَنْسِمٌ ، وهو ظُفُرُ البعير فى مُقَدَّمِ الخفّ ، وهو من البعير كالسُّنْبُكِ من الفرَس .

وقوله ✲ عشية سالَ المربدانِ كلاهما ✲ يريد المِرْبَدَ وما يليه مما جرى مَجْراه ، والعرب تفعل هذا فى الشيئين إذا جرَيَا فى باب واحد ، قال الفرزدق :

أَخَذْنَا بِآفاقِ السَّماءِ عَلَيْكُمُ   لَنَا قَمَرَاهَا وَالنُّجُومُ الطَّوَالِعُ

يريد الشمس والقمر ، لأنهما قد اجتمعا فى قولك النَّيِّرانِ ، وغُلِّبَ الاسم

المُذَكَّرُ، وإنما يُؤْثَرُ في مثل هذا الخِفَّةُ . وقالوا «العُمَرانِ» لأبي بَكْرٍ وعُمَرَ، فإن قال قائل : إنما هو عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز، فلم يُصِبْ. لأن أهل الجَمَل نادَوْا بِعَلِيٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه : أَعْطِنا سُنَّةَ العُمَرَيْنْ . فإن قال قائل: فَلِمَ لَمْ يقولوا أَبَوَيْ بكرٍ وأبو بكر أفضلهما؟ فلأنّ عمر اسم مفرد ، وإنما طلبوا الخفة ، وأنشدني التَّوَّزِيُّ عن أبي عُبَيْدَةَ لجرير :

وَمَا لِتَغْلِبَ إِنْ عَدَّدْا مَسَاعِيَهُمْ ... نَجْمٌ يُضِيءُ وَلاَ شَمْسٌ وَلاَ قَمَرُ

ما كانَ يَرْضَى رَسُولُ اللهِ فِعْلَهُمُ ... وَالْعُمَرَانِ أَبُو بَكْرٍ وَلاَ عُمَرُ

هكذا أَنْشَدَنيهِ : (إنما قال هكذا أنشدنيه لأن غير التَّوَّزِيِّ يرويه : والطَّيِّبانِ أبو بكر ولا عمر) وقال آخر (هو حُمَيْدٌ الأَرْقَطُ) :

* قَدْنِيَ مِنْ نَصْرِ الْخُبَيْبَيْنِ قَدِي * يريد عبد الله ومُصْعَبًا ابني الزُّبَيْرِ، وإنما أبو خُبَيْبٍ عبد الله ، وقرأ بعضُ القُرَّاءِ(١) سَلامٌ على إِلْيَاسِينَ ، فجمعهم على لفظ إِلْيَاسَ ، ومن ذا قولُ العرب: المَسامِعَةُ ، والمَهالِبَةُ ، والمَناذِرَةُ ، فجمعهم على اسم الأب ، والمُشْعَرَةُ: اسم لِقَتْلى الملوك خاصَّةً ،كانوا يُكْبِرُونَ أن يقولوا قُتِلَ فلانٌ، فيقولون أُشْعِرَ فلانٌ من إشعار البُدْنِ ، ويروى أن رجلا قال : حضرتُ المَوْقِفَ مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فصاح به صائح: ياخليفة رسول الله ، ثم قال يا أمير المؤمنين ، فقال رجلٌ من خَلْفِي دعاه باسم مَيِّتٍ مات ، والله أمير المؤمنين ، فالْتَفَتُّ فإذا رجل من بني لِهْبٍ، وهم من بني نَصْرِ ابن الأَزْدِ ، وهم أَزْجَرُ قوم ، قال كُثَيِّرٌ :

---

(١) هو عبد الله بن كثير .

سَأَلتُ أَخَا لِهْبٍ لِيَزْجُرَ زَجْرَةً وَقَدْ صَارَ زَجْرُ الْعَالَمِينَ إِلَى لِهْبِ

قال : فلما وقفنا لرمى الجمار إذا حَصاةٌ قد صَكَّتْ صَلْعَةَ عمر فَأَدْمَتْهُ ، فقال قائل: أُشْعِرَ والله أمير المؤمنين لا يَقِفُ هذا المَوْقِفَ أبداً ، فالْتفَتُّ فإذا بذلك اللِّهْبِيِّ بعينه ، فَقُتِلَ عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه قبل الحَوْل .

باب

قال أبو العباس : أنشدنى رجل من أصحابنا من بنى سَعْدٍ ، قال: أنشدنى أعرابى فى قصيدة ذى الرُّمَّةِ :

أَلاَ يَا أُسْلَمِي يَا دَارَ مَيَّ عَلَى الْبِلَى وَلاَ زَالَ مُنْهَلاً بِجَرْعَائِكِ الْقَطْرُ

بيتين لم تأتِ بهما الرُّواةُ وهما :

رَأَيْتُ غُرَابًا سَاقِطًا فَوْقَ قَضْبَةٍ مِنَ الْقَضْبِ لَمْ يَنْبُتْ لَهَا وَرَقٌ نَضْرُ

فَقُلْتُ غُرَابٌ لِاغْتِرَابٍ وَقَضْبَةٌ لِقَضْبِ النَّوى ، هَذِى الْعِيَافَةُ وَالزجْرُ

وقال آخر : (قال أبو الحسن هو جَحْدَرٌ العُكْلِيُّ ، وكان لِصًّا) :

وَقِدْمًا هَاجَنِي فَازْدَدْتُ شَوْقًا بُكَاءُ حَمَامَتَيْنِ تَجَاوَبَانِ

(وقِدْما عن أبى الحسن) :

تَجَاوَبَتَا بِلَحْنٍ أَعْجَمِيٍّ عَلَى عُودَيْنِ مِنْ غَرَبٍ وَبَانِ

فَكَانَ الْبَانُ أَنْ بَانَتْ سُلَيْمَي وَفِي الْغَرَبِ اغْتِرَابٌ غَيْرُ دَانِ

وأنشدنى أبو مُحَلِّمٍ لرجل من ولد طَلَبَةَ بن قَيْسِ بن عاصِمٍ :

وَكُنْتُ إِذَا خَاصَمْتُ خَصْماً كَبَبْتُهُ ... عَلَى الْوَجْهِ حَتَّى خَاصَمَتْنِي الدَّرَاهِمُ
فَلَمَّا تَنَازَعْنَا الخُصُومَةَ غُلِّبَتْ ... عَلَيَّ وَقَالُوا قُمْ فَإِنَّكَ ظَالِمُ

وقرأت على أبى الفَضْل العباس بن الفَرَج الرِّيَاشِيِّ ، عن أبى زيد الأنصارى :

وَلَقَدْ بَغَيْتُ المَالَ مِنْ مَبْغَاتِهِ ... وَالمَالُ وَجْهٌ لِلْفَتَى مَعْرُوضُ
طَلَبَ الْغِنَى عَنْ صَاحِبٍ لِيُحِبَّنِي ... إِنَّ الْفَقِيرَ إِلَى الْغَنِيِّ بَغِيضُ

وقال آخر أَنْشَدَنِيهِ التَّوَّزِيُّ عن أبى زيد :

وَصَاحِبٍ نَبَّهْتُهُ لِيَنْهَضَا ... إِذَا الْكَرَى فِى عَيْنِهِ تَمَضْمَضَا
فَقَامَ عَجْلَانَ وَمَا تَأَرَّضَا ... يَمْسَحُ بِالْكَفَّيْنِ وَجْهاً أَبْيَضَا

قوله : أى وما تأرضا : أى لم يلزم الأرض ، وأنشدنى التَّوَّزِيُّ عن أبى زيد الأنصارى (قال أبو الحسن هو شَبِيبُ ابن البَرْصاء) :

لَقَدْ عَلِمَتْ أُمُّ الصَّبِيَّيْنِ أَنَّنِى ... إِلَى الضَّيْفِ قَوَّامُ السِّنَاتِ خَرُوجُ
إِذَا المُرْغِثُ العَوْجَاءُ بَاتَ يَعُزُّهَا ... عَلَى ضَرْعِهَا ذُو تُومَتَيْنِ لَهُوجُ
وَإِنِّى لَأُغْلِى اللَّحْمَ نِيًّا وَإِنَّنِى ... لِمَمَّنْ يُهِينُ اللَّحْمَ وَهْوَ نَضِيجُ

قوله : قَوَّامُ السِّنات يريد سريع الانتباه ، والسِّنَةُ شدة النُّعاس وليس بالنوم بعينه قال الله عز وجل «لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ» وقال ابن الرِّقاع العامِلِيُّ :

لَوْلَا الْحَيَاءُ وَأَنَّ رَأْسِى قَدْ عَسَا ... فِيهِ الْمَشِيبُ لَزُرْتُ أُمَّ القَاسِمِ
وَكَأَنَّهَا بَيْنَ النِّسَاءِ أَعَارَهَا ... عَيْنَيْهِ أَحْوَرُ مِنْ جَآذِرِ عَاسِمِ (١)
وَسْنَانُ أَقْصَدَهُ النُّعَاسُ فَرَنَّقَتْ ... فِى عَيْنِهِ سِنَةٌ وَلَيْسَ بِنَائِمِ

---

(١) عاسم : رملة لبنى سعد ، وفى رواية أخرى (جاسم) وهى قرية بالشام .

معنى رنقت تهيأت، يقال رَنَّقَ النَّسْرُ: إذا مَدَّ جناحيه ليطير، قال ذو الرُّمَّةِ:

(إِذَا ضَرَبَتْهُ الرِّيحُ رَنَّقَ فَوْقَنَا)　　عَلَى حَدِّ قَوْسَيْنَا كَمَا رَنَّقَ النَّسْرُ

وقوله المُرْغِثُ: يعنى الَّتِى تُرْضِعُ تُرْغِثُ ولدها، ويقال لها رَغُوثٌ، قال طَرَفَةُ:

لَيْتَ لَنَا مَكَانَ الْمَلِكِ عَمْرٍو　　رَغُوثًا حَوْلَ قُبَّتِنَا تَخُورُ

وقوله يَعُزُّها: أى يَغْلِبها، وقال الله عز وجل: «وَعَزَّنِى فِى الْخِطَابِ» يقول غَلَبنى فى المُخَاطَبَةِ، وأصله من قوله كان أَعَزَّ مِنِّى فيها، ومن أمثال العرب: «مَن عَزَّ بَزَّ»، وتأويله: من غَلَبَ اسْتَلَبَ، وقال زُهَيْرٌ:

☆ وَعَزَّتْهُ يَدَاهُ وَكَاهِلُهُ ☆ يقول: كان ذلك أَعَزَّ ما فيه، ويقال: لَهِجَ الفَصِيلُ فهو لَهُوجٌ، إذا لَزِمَ الضَّرْعَ، ويقال رجل مُلْهِجٌ: إذا لَهِجَتْ فِصالُهُ، فيَتَّخِذُ خِلالًا، فيَشُدُّه على الضَّرْعِ، أو على أنف الفَصيل، فإذا جاء لِيَرْضَعَ أَوْجَعها بالخِلال، فضَرَحَتْهُ عنها برجلها، قال الشَّمَّاخُ يصف الحمار:

رَعَى بَارِضَ الْوَسْمِيِّ حَتَّى كَأَنَّمَا　　يَرَى بِسَفَا الْبُهْمَى أَخِلَّةَ مُلْهِجِ

البارِضُ: أوَّلُ ما يَبْدُو من النبت، والبُهْمَى: يشبه السُّنْبُلَ، يقول: فهو لما اعتاد هذا المَرْعَى اللَّدْنَ اسْتَخْشَنَ البُهْمَى، وسَفاها: شوكُها، فيقول: كأنه مَخْلول عن البهمى، أى يراها كالأَخِلَّةِ، وقوله «ذو تُومتين»: فالتُّومةُ فى الأصل الحَبَّةُ، ولكنها فى هذا الموضع التى تُعَلَّقُ فى الأُذن (وقوله الحبة إنما معناه من حَبَّاتِ النَّظْم) وكالبيت الأخير قوله:

وَإِنِّى لَأُغْلِى لَحْمَهَا وَهْىَ حَيَّةٌ　　وَيَرْخُصُ عِنْدِى لَحْمُهَا حِينَ تُذْبَحُ
بِذَا فَانْدُبِينِى وَامْدَحِينِى فَإِنَّنِى　　فَتًى تَعْتَرِيهِ هِزَّةٌ حِينَ يُمْدَحُ

باب

قيل لعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى : أىُّ الجهادِ أفضلُ ؟ فقال جِهادُكَ هوَاكَ .

وقال رجل من الحكماء . اعْصِ النساءَ وهواكَ واصْنَعْ ما شئتَ .

وقال محمدِ بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم : مالَكَ من عَيْشك إلا لذّةٌ تَزْدَلِفُ بك إلى حِمامِكَ ، وَتُقَرِّبُكَ من يومك ، فَأَيّةُ أُكْلَةٍ ليس معها غَصَصٌ أَوْ شُرْبَةٍ لَيْسَ مَعَهَا شَرَقٌ ، فتأمَّلْ أمرَكَ فكأنَّك قد صِرْتَ الحبيبَ المفقود ، والخَيَالَ المُخْتَرَمَ ، أهلُ الدنيا أهلُ سَفَرٍ لا يَحُلُّونَ عَقْدَ رحالهم إلا فى غيرها .

قوله : تَزْدَلِفُ بك إلى حمامك ، يقول تُقَرِّبكَ ولذلك سميت المُزْدَلِفَةُ وقوله عز وجل « وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ » إنما هى ساعات يَقْرُبُ بعضُها من بعض ، قال العجَّاجُ :

نَاجٍ طَوَاهُ الْأَيْنُ مِمَّا وَجَفَا   طَيَّ اللَّيَالِي زُلَفًا فَزُلَفَا

* سَمَاوَةَ الْهِلَالِ حَتَّى احْقَوْقَفَا *

نَاجٍ سريع ، والأَيْنُ : الإعْياء ، والوَجِيفُ : ضَرْبٌ من السَّيْر ، ونَصَبَ طَيَّ الليالى لأنه مصدر من قوله طواه الأيْنُ ، وليس بهذا الفعل ، ولكنَّ تقديره طواه الأيْنُ طيًّا مثل طَيِّ الليالى ، كما تقول زيد يشرب شُرْبَ الإبل ، إنما

التقدير يشرب شربًا مثل شرب الإبل ، فمثلَ نعت ، ولكن إذا حذفتَ المضاف استغنى بأن الظاهر يُبيِّنُهُ وقام ما أُضيف إليه مَقامه فى الإعْراب ، من ذلك قول الله تبارك تعالى « وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ » نصب لأنه كان واسأل أهلَ القريةِ ، وتقول بنو فلانٍ يَطَؤُهُمُ الطريقُ تريد أهلَ الطريق ، فحذفتَ أهلُ فرفعتَ الطريقَ لأنه فى موضع مرفوع ، فعلى هذا فقِسْ إن شاء الله .

وقوله : سماوة الهلال إنما هو أعلاه ، ونَصَبَ سماوة بطيّ يريد طواه الأيْنُ كما طوَتِ الليالى سَماوةَ الهلال ، والشاهد على أنه يريد أعلاه قولُ طُفَيْلٍ :

سَماوَتُهُ أَسْمَالُ بُرْدٍ مُحَبَّرٍ ... وَسائِرُهُ مِنْ أَتْحَمِيٍّ مُشَرْعَبِ

ويروى مُعَصَّب، وإنما سماوته من قولك سَماءٍ ، فاعلم ، فإذا وقع الاعراب على الهاء أظهرتَ ما تَبْنيهِ على التأنيث على أصله ، فإن كان من الياء أظهرتَ الياء ، وإن كان من الواو أظهرت فيه الواو ، تقول شَقاوةٌ لأنها من الشِّقْوةِ ، وتقول هذه امرأة سَقَّايَةٌ ، إذا أردتَ البناء على غير تذكير ، فإن بنيته على التذكير قَلَبْتَ الياء والواو همزتين لأن الاعراب عليهما يقَعُ ، فقلت سَقَّاءٍ وغَزَّاءٍ يا فتى ، فإن أنَّثْتَ قلت سَقَّاءَةٌ وَغَزَّاءَةٌ ، والأَجْوَدُ فيما كان له تذكير الهمزُ[(١)] ، وفيما لم يكن له تذكير الإظهار[(٢)] ، وإنما السماء من الواو ، لأن الأصل سَمَا يَسْمُو إذا ارتفع ، وسماء كُلِّ شَيْءٍ سَقْفُهُ .

---

(١) نحو سقاء وسقاءة ومشاء ومشاءة ودعاء ودعاءة . (٢) نحو عظاية وصلاية وعباية .

وقوله : حتى احْقَوْقفا ، يريد اعْوَجَّ ، وإنما هو افْعَوْعَلَ من الحِقْفِ . والحِقْفُ النَقَا من الرَّمْلِ يَعْوَجّ ويَدِقُّ ، قال الله عزّ وجل « إذْ أنْذرَ قَوْمَهُ بالأحْقافِ[١] » أى بموضع هو هكذا .

وقال رجل لعلىّ بن أبى طالب رضى الله عنه وهو فى خُطْبَةٍ : يا أمير المؤمنين ، صِفْ لنا الدنيا ، فقال : ما أصِفُ من دارٍ أوّلها عَنَاء ، وآخرها فَنَاء ، فى حَلالِها حِسابٌ ، وفى حَرامِها عِقابٌ ، مَنْ صَحّ فيها أمِنَ ، ومَنْ مَرِضَ فيها نَدِمَ ، ومن اسْتَغْنَى فيها فُتِنَ ، ومن افْتَقَرَ فيها حَزِنَ .

وقال الرَّبيعُ بن زِيادٍ الحارِثِيُّ : كنتُ عاملاً لأبى موسى الأشْعَرِىّ على البَحْرَيْن[٢] فكَتَبَ إليه عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه يأمره بالقُدوم عليه هو وعُمَّالُهُ ، وأن يَسْتَخْلِفُوا جميعاً ، قال فلما قَدِمْنا أتيت يَرْفَأ[٣] فقلت : يا يَرْفَأُ ، مُسْتَرْشِدٌ وابن سَبيل ، أىُّ الهَيْآت أحبُّ إلى أمير المؤمنين أن يَرَى فيها عُمّالَهُ ؟ فأوْمَأَ إلىّ بالخُشونة ، فاتّخَذْتُ خُفَّيْنِ مُطارَقَيْنِ ، ولَبِسْتُ جُبَّةَ صوف ، ولثْتُ عمامتى على رأسى ، فدخلنا على عمر فَصَفَّنا بين يديه فَصَعَّدَ فينا وصَوّبَ[٤] فلم تأخُذْ عينُهُ أحداً غيرى ، فدعانى فقال مَنْ أنتَ ؟ قلتُ الرَّبيعُ بن زِيادٍ الحارثىّ ، قال وما تَوَلّى من أعمالنا ؟ قلتُ البحْرَيْن ، قال : كَمْ تَرْتَزِقُ ؟ قلتُ : ألفاً ، قال : كثيرٌ ، فما تَصْنَعُ به ؟ قُلْتُ : أتقوَّتُ

---

(١) هى رمال مشرفة على البحر بالشحر من اليمن ، وهى مساكن عاد .

(٢) البحرين: اسم جامع للبلاد التى تقع على ساحل بحر الهند بين البصرة.قال الأزهرى : وإنما ثنوا البحرين لأن فى ناحية قراها بحيرة قدرها ثلاثة أميال فى مثلها لايغيض ماؤها.

(٣) هو مولى عمر بن الخطاب . (٤) نظر إلى الأسفل .

منه شيئاً ، وأعود به على أقارِبَ لى . فما فَضَلَ عنهم فعلى فُقَرَاءِ المسلمين ، قال فلا بأسَ ، ارْجِعْ إلى موضعك ، فرجعتُ إلى موضعى من الصَّفِّ ، فَصَعَّدَ فينا وَصَوَّبَ ، فلم تقع عينه إلا علىَّ ، فدعانى ، فقال : كَمْ سِنُّكَ ؟ قلتُ : خمس وأربعون سنةً ، قال : الآن حين اُسْتَحْكَمْتَ ، ثم دعا بالطعام وأصحابى حَدِيثٌ عهدهم بِلَيِّنِ العيش ، وقد تَجَوَّعْتُ له فأُتِىَ بخبز وأَكْسار بعير . فجعل أصحابى يَعافون ذلك ، وجعلت آكُلُ فأُجِيدُ ، فجعلتُ أنْظُرُ إليه يَلْحَظُنى من بينهم ، ثم سَبَقتْ منى كلمةٌ تَمَنَّيْتُ أنى سُخْتُ فى الأرض ، فقلت: يا أميرَ المؤمنين ، إن الناس يحتاجون إلى صلاحك فلو عَمَدْتَ إلى أَلْيَنَ من هذا، فزجرَنى ، ثم قال: كيف قلتَ ؟ فقلتُ : أقول ياأميرَ المؤمنين أن تنظر إلى قُوتك من الطَّحِينِ ، فيُخْبَزَ لك قبل إرادتك إياه بيوم ، ويُطْبَخَ لك اللحمُ كذلك ، فتُؤْتَى بالخبز لَيِّناً ، واللحم غَرِيضاً . فسكَّنَ من غَرْبِهِ ، وقال أهاهنا غُرْتَ ؟ قلتُ : نعم ، فقال : يا رَبِيعُ إنا لو نشاء ملأنا هذه الرِّحابَ من صَلائِقَ ، وسَبائِكَ وصِنابٍ ، ولكنى رأيت الله عز وجل نَعَى على قوم شَهَواتِهِمْ ، فقال : « أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيا » ، ثم أمَرَ أبا موسى بإقرارى ، وأن يَسْتَبْدِلَ بأصحابى .

قوله : فَلَثُّتُها على رأسى يقول أدَرْتُ بعضَها على بعضٍ على غير استواء يقال : رجلٌ أَلْوَثُ إذا كان شديداً ، وذلك من اللَّوْثِ ، ورجل أَلْوَثُ إذا كان أهْوَجَ ، وهو مأخوذ من اللُّوثةِ . وحدثنى عبد الصَّمَدِ بن المُعَذَّلِ(١)

---

(١) شاعر ذهب أكثر شعره ، ولم تبق الا نتف ذكرها صاحب زهر الآداب .

قال : سئل الأَصْمَعِيُّ عن المجنون المسمى قَيْسَ بن مُعاذٍ ، فَثَبَّتَهُ وقال : لم يكن مجنونًا ، ولكن كانت به لُوثة كلُوثةِ أبي حَيَّةَ الشاعر .

وقيل للأشعثِ بن قَيْس بن مَعْديكَرِبَ الكِنْدِيِّ : بِمَ كنتم تعرفون السُّودَدَ في الصبيّ منكم ؟ قال : إذا كان مَلْوثَ الأزرةِ ، طويلَ الغُرْلة ، سائلَ الغُرَّةِ ، كأنَّ به لُوثةً ، فلَسْنا نَشُكُّ في سُودَدِهِ .

وقوله : تُؤْتَى باللحم غَريضًا يقول طَرِيًا ، يقال : لحم غَرِيض ، وشِواء غَريض ، يُرَاد به الطَّرَاءِ . قال الغَسّانِيُّ : (هو السَّمَوْءَلُ) :

إِذَا مَا فَاتَنِي لَحْمٌ غَرِيضٌ ضَرَبْتُ ذِرَاعَ بَكْرِي فاشْتَوَيْتُ

وقوله صَلائق : فمعناه ما عُمِلَ بالنار طبخًا وشيًا ، يقال : صَلَقْتُ الجَنْبَ إذا شَوَيْتَهُ ، وصَلَقْتُ اللحم إذا طبختَه على وجهه ، وقوله سَبائك يريد ما يُسْبَكُ من الدقيق فيؤخذ خالصه يريد الحُوّارَى[1] ، وكانت العرب تُسَمِّي الرُّقاقَ السَّبائك وأصله ما ذكرنا ، والصِّناب صِباغٌ يُتَّخَذُ من الخَرْدَلِ والزبيب ، ومن ذلك قيل للفرس[2] صِنابِيٌّ إذا كان في ذلك اللونِ .

وكان جَرير اشترى جارية من رجل يقال له زيد من أهل اليمامة ففَرِكَتْ جريرًا[3] ، وجعلت تحنُّ إلى زيد ، فقال جَرير :

تُكَلِّفُنِي مَعِيشَةَ آلِ زَيْدٍ وَمَنْ لِي بِالمُرَقَّقِ وَالصِّنَابِ
وَقالَتْ لا تَضُمُّ كَضَمِّ زَيْدٍ وَمَا ضَمِّي وَلَيْسَ مَعِي شَبابِي

فقال الفَرَزْدَقُ يُجيبه :

فَإِنْ تَفْرَكْكَ عِلْجَةُ[4] آلِ زَيْدٍ وَيُعْوِزْكَ المُرَقَّقُ وَالصِّنَابُ

(١) اسم لما ينقى من لباب البر . (٢) وللإبل وسائر الدواب .
(٣) فركته بكسر الراء : أبغضته والمصدر الفرك بفتح الفاء وكسرها ، ولم يسمع أبو عبيدة هذه الكلمة في غير الزوجين : (٤) مؤنث العلج ، وهو الغليظ من كفار العجم .

فقدْمًا كَانَ عَيْشُ أبيكَ مُرًّا   يَعيشُ بِمَا تَعيشُ بِهِ الْكِلاَبُ

وأما قوله : أكسار بعير ، فإن الكِسْرَ والجِدْلَ والوِصْلَ : العظْمُ ينفصِلُ بما عليه من اللحم[1] ، وأما قوله : نَعَى على قوم فمعناه أنه عابهم بها ووبَّخَهُمْ .

قال أبو عبيدة : اجتمع المُكاظيُّون[2] على أن فُرْسانَ العرب ثلاثةٌ ، ففارسُ تميمٍ عُتَيْبَةُ بن الحارث بن شِهاب أحدُ بنى ثَعْلَبَةَ بن يَرْبوع ابن حَنْظَلَةَ صيَّادُ الفوارس وسمُّ الفُرْسان ، وفارسُ قيسٍ عامرُ بن الطُّفَيْلِ ابن مالك بن جعْفر بن كِلابٍ ، وفارسُ ربيعةَ بِسْطامُ بن قيسٍ بن مسعود ابن قيس بن خالد أحدُ بنى شَيْبان بن ثَعْلَبَةَ بن عُكابَةَ بن صَعب بن علىّ ابن بَكْر بن وائلٍ ، قال : ثم اختلفوا فيهم حتى نَعَوْا عليهم سَقَطاتِهِم[3]

وأما قوله : أههنا غُرْتَ ، يقول : ذَهبْتَ ، يقال غارَ الرجلُ إذا أتَى الغَوْرَ وناحيَتَهُ مما انخفض من الأرض ، وأَنْجَدَ إذا أَتَى نَجْدًا وناحيَتَهُ مما ارتفع فى الأرض ، ولا يقال أغار ، إنما يقال : غارَ وأَنْجَدَ ، وبيتُ الأعْشى يُنْشَدُ على هذا :

نَبِيٌّ يَرَى مَالاَ تَرَوْنَ وَذِكْرُهُ   لَعَمْرِى غَارَ فى الْبِلَادِ وَأَنْجَدَا[4]

وقوله : سكن من غَرْبِهِ ، يقول من حَدِّهِ ، وكذلك يقول فى كل شيء فى السَّيْف والسَّهْمِ والرجل وغير ذلك ، وقوله خفين مطارَقَيْن تأويله مُطْبَقَيْنِ يقال طارَقْتُ نَعْلى إذا أَطْبَقْتها ، ومن قال طَرَقْتُ أو أطْرَقْتُ فقد أخطأ ،

---

(١) الأفضل أن يقال بما عليه من قليل اللحم .

(٢) هم الذين كان من عادتهم الذهاب كل عام إلى عكاظ. (٣) والمشهورون تعد عليهم الزلات.

(٤) انظر موقف الأعشى فى كتاب « المدائح النبوية فى الأدب العربى » .

ويقال لكل ما ضُوعِف قد طُورِق ، قال ذو الرُّمَّة (يَصِفُ صَقْرًا) :

طِرَاقُ الْخَوَافِي وَاقِعٌ فَوْقَ رِيعَةٍ ندى لَيْلِهِ في رِيشِهِ يَتَرَقْرَقُ

قوله رِيعةٍ موضعُ ارتفاعٍ قال الله عزّ وجل : « أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ » وهو جمع رِيعةٍ . وقال الشَّمَّاخُ :

تَعِنُّ لَهُ بِمَذْنَبِ كُلِّ وَادٍ إِذَا مَا الْغَيْثُ أَخْضَلَ كُلَّ رِيعِ



قال أبو العباس وحدثني العباس بن الفَرَج الرِّيَاشيُّ عن الأصمعيِّ قال : قال عَدِيُّ بن الفُضَيْلِ خرجت إلى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أستحفره بِئْرًا بالعَذْبة ، فقال لي : وأين العَذْبة ؟ فقلت على ليلتين من البصرة . فتأسَّف ألا يكونَ بمثل هذا الموضع ماء ، فأحْفَرَني ، واشترط عليَّ أن أوَّلَ شاربٍ ابنُ السَّبيلِ ، قال فَحَضَرْتُهُ في جُمْعة وهو يَخْطُبُ فسمعتُه وهو يقول .

يأيها الناس ، إنكم مَيِّتُون ، ثم إنكم مبْعوثون ، ثم إنكم مُحَاسَبونَ ، فلَعَمْرِي لئن كنتم صادقين لقد قَصَّرْتُمْ ، ولئن كنتم كاذبين لقد هَلَكْتُمْ أيها الناس إنه من يُقَدَّرْ له رِزْقٌ برأس جبل أو بِحَضِيض أرض يأْتِهِ ، فاتقوا الله وأجْمِلُوا في الطَّلَبِ .

قال فأَقَمْتُ عنده شهراً ما بي إلا استماع كلامه .

قوله بحَضيض : يعني المُسْتَقَر من الأرض إذا انْحَدَرَ عن الجبل ، ولا يقال حَضيضٌ إلا بِحَضْرةِ جبلٍ ، يقال حَضِيضُ الجبلِ ، ويُطْرَحُ الجبلُ فيُسْتَغْنَى

عنه لأن هذا لا يكون إلا له ، ومن ذلك قول امْرِئ القَيْسِ :

* نَظَرْتُ إليْهِ قَائِمًا بِالْحَضِيضِ(١) *



وقال علىٌّ بن أبى طالب رضى الله عنه: يا اُبن آدم ، لا تَحْمِلْ هَمَّ يومِك الذى لم يَأْتِ عَلَى يومك الذى أنتَ فيه ، فإنه إنْ يَعْلَمْ مِنْ أجَلِكَ يَاتِ فيه رزقك ، واعلم أنك لا تَكْسِبُ من المال شيئاً فوق قُوتِكَ إلا كنتَ خازناً لغيرك فيه .

ويروى للنابغة : (هذا من شعر أَوْسِ بن حَجَرٍ مُثْبَتٌ فيه فى كلمة لم يَعْرِفْها الأصمعى) :

وَلَسْتُ بِخَابِئٍ أَبَدًا طَعَامًا   حِذَارَ غَدٍ لِكُلِّ غَدٍ طَعَامُ

ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من كان آمنا فى سَرْبِهِ ، مُعافًى فى بَدَنِهِ ، عنده قُوتُ يَوْمِهِ ، كان كَمَنْ حِيزَتْ له الدنيا بِحَذَافِيرِها . (كذا وقعتْ الرواية بفتح السين عن أبى العباس والصواب كسرها وإنما السَّرْبُ بفتح السين المال الراعى) قوله صلى الله عليه وسلم : فى سربه يقول : فى مَسْلكه ، يقال فلان واسعُ السَّرْبِ ، وخَلِىُّ السَّرْب ، يريد المَسَالِكَ والمَذَاهِبَ ، وإنما هو مثلٌ مضروب للصدر والقلب ، يقال خَلِّ سَرْبَهُ : أى طريقه حتى يَذْهَبَ حيث شاء ، ويقال ذلك للإبل لأنها تَنْسَرِبُ فى الطُّرُقات ، ويقال سَرِّبْ علىَّ الإبلَ أى أرْسِلْها شيئاً بعد شىء ، فإذا قلت

---

(١) رواية الديوان « نزلت إليه » .

سِرْبٌ بكسر السين ، فإنما هو قَطِيعٌ من ظِباء ، أو بقر ، أو شاء ، أو نساء ، أو قَطًا ، قال امْرُؤُ القَيْس :

فَعَنَّ لَنا سِرْبٌ كَأَنَّ نِعَاجَــهُ(١) عَذَارَى دُوَارٍ فِى المُلاَءِ المُذَيَّلِ

دُوارٌ نُسُكٌ يَنْسُكُونَ عنده فى الجاهلية ، ودُوَّارٌ ما استدار من الرمل ، ودَوَّارٌ سِجْنُ اليَمامةِ . قال بعض اللُّصوص (واسمه جَحْدَرٌ) :

كَانَتْ مَنَازِلُنَا الَّتِى كُنَّا بِهَا شَتَّى فَأَلَّفَ بيننا دَوَّارُ

وقال عُمَرُ بن أبى ربيعةَ :

فَلَمْ تَرَ عَيْنِى مِثْلَ سِرْبٍ رَأَيْتُهُ خَرَجْنَ عَلَيْنَا مِنْ زُقَاقِ ابْنِ وَاقِفِ

وكان الحسن يقول : ليس العَجَبُ ممن عَطِبَ كيفَ عطِبَ ، إنما العَجَبُ مِمَّنْ نجا كيف نجا .



وكان الحجاج بن يوسف يقول على المِنْبَرِ : أيها الناس ، اقْدَعُوا هذه الأنْفُسَ فإنها أسْأَلُ شىءٍ إذا أُعْطِيَتْ ، وأمْنَعُ شىء إذا سُئِلَتْ ، فَرَحِمَ الله امرأً جَعَلَ لنفسه خِطامًا وزمامًا(٢) فقادها بخطامها إلى طاعة الله ، وعطفها بزمامها عن معصية الله ، فإنى رأيت الصَّبْرَ عن محارم الله أيْسَرَ من الصبر على عذابه .

قوله : اقدعوا يقول امْنَعُوا ، يقال قَدَعْتُهُ عن كذا : أى منعته عنه ، ومنه قول الشَّمَّاخ :

---

(١) النعاج : جمع نعجة ، وهى البقرة الوحشية. (٢) الخطام : حبل من ليف أو شعر أو كتان يثنى طرفه على مخطم البعير ليقاد به ، والزمام : حبل دقيق يجعل فى أنفه .

إِذَا مَا اسْتَافَهُنَّ ضَرَبْنَ مِنْهُ ... مَكَانَ الرُّمْحِ مِنْ أَنْفِ الْقَدُوعِ

قوله: استافهنّ يعنى حِماراً يَسْتافُ أُتُنًا، يقول يَرْمَحْنَهُ إذا اشْتَمَّهُنَّ، والسَّوْفُ الشَّمُّ، وقوله «مكان الرمح من أنفِ القَدُوع» يريد بالقَدُوع المقدوع، وهذا من الأضداد، يقال طريق رَكُوبٌ إذا كان يُرْكَبُ، ورجل رَكُوبٌ للدوابِّ إذا كان يَرْكَبُها، ويقال: ناقة رَغُوثٌ إذا كانت تُرْضِعُ، وحُوَارٌ رَغُوثٌ إذا كَانَ يَرْضَعُ، ومثل هذا كثير، يقال شاة حَلُوبٌ إذا كانت تُحْلَبُ، ورجل حَلُوبٌ إذا كَانَ يَحْلُبُ الشاةَ، والقَدُوعُ هاهنا البعير الذى يُقْدَعُ وهو أن يريد الناقةَ الكريمةَ ولا يكون كريمًا فَيُضْرَبُ أَنْفُهُ بالرُّمْح حتى يَرْجِع يقال قَدَعْتُهُ، وقَدَعْتُ أنفه، ويروى أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم لما خَطَبَ خَدِيجَةَ بنت خُوَيْلِدِ بن أَسَدِ بن عَبْدِ العُزَّى بن قُصَيٍّ ذُكِر لِوَرَقَةَ ابن نَوْفَلٍ فقال: محمد بن عبد الله يخطب خَدِيجة بنتَ خُوَيْلِدٍ؟ الفَحْلُ لا يُقْدَعُ أنفه(١).

وكان الحجاج يقول: إنَّ امرأً أَتَتْ عليه ساعةٌ من عُمْرِهِ لم يَذْكُرْ فيها ربه، أو يستغفرْ من ذنبه، أو يُفَكِّرْ فى مَعاده، لَجَدِيرٌ أن تطول حَسْرَتُهُ يوم القيامة.

---

(١) ويروى: لايقرع أنفه، من القرع وهوالضرب، والمعنى أنه كفء كريم لايردّ

باب

قال أبو العباس: أنشدني عُمارةُ بن عَقيلٍ لنفسه يَحُضُّ بني كَعْب وبني كِلابٍ ابني رَبيعةَ بن عامر بن صَعْصَعة بن معاوية بن بَكْرِ بن هَوازِنَ على بني نُمَيْرِ بن عامر بن صعصعة، وبينهم مُطالَباتٌ وتِراتٌ[1]. وكانت بنو نُمَيْرٍ أعداءَ عُمارةَ فكان يَحُضُّ عليهم السلطانَ، ويُغْرِى بهم إخْوَتَهُمْ، ويُحارِبهم في عَشيرتِه، فقال:

رَأَيْنا كُمَا يا ابْنَيْ رَبيعةَ خُرْتُمَا[2] ... لِعَضِّ الْحُرُوبِ وَالْعَدِيدُ كَثِيرُ[3]
وَصَدَّقْتُمَا قَوْلَ الْفَرَزْدَقِ فِيكُمَا ... وَكَذَّبْتُمَا مَا كَانَ قَالَ جَرِيرُ
أَصَابَتْ نُمَيْرٌ مِنْكُمُ فَوْقَ قَدْرِهَا ... فَكُلُّ نُمَيْرِيٍّ بِذَاكَ أَمِيرُ
فَإِنْ تَفْخَرُوا بِمَا مَضَى مِنْ قَدِيمِكُمْ ... فَقَدْ هُدِمَتْ مَدَائِنٌ وَقُصُورُ
رَمَتْهَا مَجَانِيقُ الْعَدُوِّ فَقُوِّضَتْ ... مَدَائِنُ مِنْهَا كَالْجِبَالِ وَسُورُ
وَشَيَّدَهَا الْأَمْلَاكُ كِسْرَى وَهُرْمُزٌ ... وَآلُ هِرَقْلٍ حِقْبَةً وَنَضِيرُ[4]
فَإِنْ تَعْمُرُوا الْمَجْدَ الْقَدِيمَ فَلَمْ يَزَلْ ... لَكُمْ فِي مُضِرَّاتِ الْحُرُوبِ ضَرِيرُ
خَبَطْتُمْ لُيُوثَ الشَّأْمِ حَتَّى تَنَاذَرَتْ ... حِمَاكُمْ وَحَتَّى لَا يَهِرُّ عَقُورُ

---

(١) التراث: جمع ترة على وزن عدة، وهى الجناية بقتل حميم أو سبى أهل أوسلب مال .

(٢) من خار يخور إذا ضعف .

(٣) وفى رواية ثانية * وعردتما والحرب ذات هرير * والتعريد النكوص والاحجام ، والرواية الثانية أجود لولا الاقواء . (٤) نضير : أخو قريظة ، وهما حيان من يهود خيبر .

فَكَيْفَ بِأَكْنافِ الشَّرِيفِ تُصِيبُكُمْ
ثَعَالِبُ يَبْحَثْنَ الحَصَى وَأُبُورُ

قوله * فقد هُدِّمَتْ مدائن وقصور * مثلٌ، يريد أنَّ مَجْدَكم الذي بناه آباؤكم متى لم تَعْمُرُوه بأفعالكم خَرِبَ وَذَهَبَ، وهذا كما قال عبد الله بن مُعاوية ابن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب :

لَسْنا وَإِنْ كَرُمَتْ أَوائِلُنا ... يَوْمًا عَلَى الأَحْسابِ نَتَّكِلُ
نَبْنِي كَما كانَتْ أَوَائِلُنَا ... تَبْنِي وَنَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلُوا

وكما قال الآخر :

أَلْهَى بَنِي جُشَمٍ عَنْ كُلِّ مَكْرُمَةٍ ... قَصِيدَةٌ قَالَهَا عَمْرُو بْنُ كُلْثُومِ
يُفَاخِرُونَ بِهَا مُذْ كَانَ أَوَّلُهُمْ ... يَا لَلرِّجَالِ لِفَخْرٍ غَيْرِ مَسْئُومِ
إِنَّ الْقَدِيمَ إِذَا مَا ضَاعَ آخِرُهُ ... كَسَاعِدٍ فَلَّهُ الْأَيَّامُ مَحْطُومِ

وكما قال عامر بن الطُّفَيْل العامريّ :

إِنِّي وَإِنْ كُنْتُ ٱبْنَ فارِسِ عامِرٍ ... وَفِي السِّرِّ مِنْهَا وَالصَّرِيحِ الْمُهَذَّبِ
فَمَا سَوَّدَتْنِي عامِرٌ عَنْ وِرَاثَةٍ ... أَبَى ٱللهُ أَنْ أَسْمُو بِأُمٍّ وَلاَ أَبِ
وَلٰكِنَّنِي أَحْمِي حِمَاهَا وَأَتَّقِي ... أَذَاهَا وَأَرْمِي مَنْ رَمَاهَا بِمَقْنَبِ

(قال أبو الحسن : أنشدني هذه الأبيات محمد بن الحسن المعروف بابن الحَرُونِ ويكنى أبا عبد الله لعامر بن الطفيل العامريّ ، قال أبو الحسن ، قال الأصمعي: وكان عامر بن الطفيل يُلقَّبُ مُحَبِّرًا ، لِحُسْنِ شِعْرِهِ ، وأوّلها :

تَقُولُ ٱبْنَةُ الْعَمْرِيِّ مَالَكَ بَعْدَ ما ... أَرَاكَ صَحِيحاً كالسَّلِيمِ الْمُعَذَّبِ
فَقُلْتُ لَهَا هَمِّي الَّذِي تَعلَمِينَهُ ... مِنَ الثَّأْرِ فِي حَيَّيْ زُبَيْدٍ وَأَرْحَبِ

إنَ أُغزُ زُبيْدًا أغزُ قوْمًا أعِزَّةً ... مُرَكَّبُهُمْ فى الحَيِّ خَيْرُ مُرَكَّبِ
وَإنْ أَغْزُ حَيَّىْ خَثْعمٍ فَدِمَاؤُهُمْ ... شِفاءٌ وَخَـــيْرُ الثَّأْرِ لِلْمُتَأَوِّبِ
فَمَا أَدْرَكَ الْأَوْتَارَ مِثْلُ مُحَقِّقٍ ... بِأَجْرَدَ طَاوٍ كالْعَسِيبِ الْمُشَذَّبِ
وَأَسْمَرَ خَطِّىٍّ وَأَبْيَضَ بَاتِرٍ ... وَزَغْفٍ دِلَاصٍ كالْغَدِيرِ الْمُثَوَّبِ
سِلَاحُ امْرِىءٍ قَدْ يَعْلَمُ النَّاسُ أَنَّهُ ... طَلُوبٌ لِثَارَاتِ الرِّجَالِ مُطَلَّبِ

ثم أتى بإنشاد أبى العباس على وجهه ، إلا أنه روى (مَنْ رَماهَا بِمَنْكِبِ[1]) السليم الملدوغ ، وقيل له : سَليم تفؤُّلاً له بالسلامة[2] ، وزُبَيْدٌ وأَرْحَبُ حيَّانِ من اليمن ، والثأر ما يكون لك عند من أصاب حَميمك من التِّرَةِ ، ومن قال ثار فقد أخطأ ، والمتأوب الذى يأتيك لطلب ثاره عندك ، يقال : آبَ يئوبُ إذا رَجَعَ ، والتأْوِيبُ فى غير هذا السير فى النهار بلا تَوَقُّفٍ . والأوتار والأحْقادُ واحدها وِتْرٌ وحِقْدٌ ، والأَجْرَدُ الفرس الْمُتَحَسِّرُ الشَّعَر ، والأجرد الضامر أيضاً ، والعسيب السَّعَفَةُ ، والمُشَذَّبُ الطويل الذى قد أُخِذَ ما عليه من العُقَدِ والسُّلَّاءِ والخُوص ، ومنه قيل للطويل المُعَرَّقِ مُشَذَّب ، وخَطِّىٌّ رمح منسوب إلى الخَطِّ ، وهى جزيرة بالبَحْرَيْنِ ، يقال إنها تُنْبِتُ عصَى الرِّماح ، وقال الأصمعى : ليستْ بها رِماح ، ولـكن سفينة كانت وقعتْ إليها فيها رِماحٌ ، وارْفِئَتْ بها فى بعض السنين المتقدمة ، فقيل لتلك الرماح الخَطِيَّةُ ، ثم عَمَّ كلَّ رُمْحٍ هذا النَّسَبُ إلى اليوم ، والزغف الدرع الرقيقة النسج ، والمثوّب الذى تُصَفِّقُهُ الرياح فَيَذْهَبُ ويجىء ، وهو من ثابَ

---

(١) المنكب : مجتمع عظم العضد والـكتف .

(٢) كما سموا الفلاة المهلـكة مفازة ، وكما سموا رباط الـكسر جبيرة .

يَثُوبُ إذا رَجَعَ ، وإنما سُمِّيَ الغَدِيرُ غَدِيراً لأن السيل غادَرَهُ : أى تركه) .

قال أبو العباس وقوله ✡ لكم فى مُضِرَّاتِ الحروب ضَرِير ✡ يقال رجل ذو ضَرِيرٍ إذا كان ذا مشقة على العَدُوِّ ، وقال مُهَلْهِلُ بن ربيعة التَّغْلَبِيُّ :

قَتِيلٌ مَا قَتِيلُ المَرْءِ عَمْرٍو ... وَهَمَّامُ بْنُ مُرَّةَ ذُو ضَرِيرِ

(ما زائدة وفيها معنى التعظيم) وقوله : خبطتم ليوث الشام يريد ما كان من نَصْرِ بن شَبَثٍ العُقَيْلِيِّ وهو عُقَيْلُ بن كَعْبِ بن ربيعة ، وقوله : أُبور جمع وَبْرٍ(١) وإذا انضمت الواو من غير علة فهمزها جائز وقد ذكرنا ذلك قبلُ ، وقال عُمارة أيضاً لهم أنْشَدَنيه :

أَلَا لِلّهِ دَرُّ الْحَيِّ كَعْبٍ ... ذَوِي الْعَدَدِ الْمُضَاعَفِ وَالْخُيُولِ

أَمَا فِيهِمْ كَرِيمٌ مِثْـــلُ نَصْرٍ ... يُوَرِّعُ عَنْهُمُ سَـــنَنَ الْفُحُولِ

تَنَوَّخُـــهُمْ نُمَيْرٌ كُلَّ يَوْمٍ ... كَفِعْلِ أَخِي الْعَزَازَةِ بِالذَّلِيلِ

وَلَيْسُوا مِثْلَ عُشْرِهِمُ وَلٰـكِنْ ... يَضِيعُ الْقَوْمُ مِنْ قِبَلِ الْمَقُولِ

فَأَيْنَ فَوَارِسُ السَّامَاتِ مِنْهُمْ ... وَجَعْدَةُ وَالْحَرِيشُ ذَوُو الْفُضُولِ

وَأَيْنَ عُـــبَادَةُ الخَشْنَاءِ مِنْهُمْ ... إِذَا مَا ضَاقَ مُطَّلَعُ السَّبِيلِ

قوله : ✡ أَلَا لِلّهِ دَرُّ الحَيِّ كَعْبٍ ✡ يريد كعب بن ربيعة بن عامر أبن صَعْصَعَةَ بن معاوية بن بكر بن هَوَازن بن منصور بن عِكْرِمَةَ بن خَصَفَةَ أبن قَيْسِ بن عَيْلانَ بن مُضَرَ ، وقوله : ✡ أَمَا فِيهِمْ كَرِيمٌ مِثْلُ نَصْرٍ ✡ يعنى نصر بن شَبَثٍ أحد بنى عُقَيْلِ بن كَعْب بن رَبِيعةَ ،

(١) دويبة طحلاء اللون ليس لها ذنب ، وهى على قدر السنور .

وقوله : * يُوَرِّعُ عَنْهُمْ سَنَنَ الْفُحُولِ * هو مَثَلٌ ضَرَبَهُ فجعلهم لامساكهم عن الحرب بمنزلة النُّوق التى يَقْرَعُها الفحْل ، ويُوَرِّعُ يَكُفُّ ، ويَمْنعُ ويَدْفعُ ، والوَرَعُ فى الدين إنما هو الكَفُّ عن أخذ الحرام ، وجاء فى الحديث : « لا تَنْظروا إلى صومه ، ولا إلى صلاته ، ولكن انظروا إلى وَرَعِهِ إذا أشْفَى » ومعناه إذا أشرف على الدينار والدرهم ، والسَّنَنُ القَصْدُ ، ثم أبان ذلك بقوله : تَنَوَّخُهُمْ نُمَيْرٌ كُلَّ يوم ، يقال سانَ الفحلُ الناقة فتَنَوَّخها ، وذلك إذا ركبها من غير أن تُوَطَّأَ له ، ولكن يَعْتَرِضُها اعْتراضاً . وتقول العرب إن ذلك أكرم النِّتاج ، وذلك لأن الولد يخرج صَلِيبا مُذَكَّراً ، ويقال لذلك الحَمْلِ الذى يقع من التَّنَوُّخ والاعتراض يَعارَةٌ وعِراضٌ ، يقال حَمَلَتْهُ عراضاً ، وحملْته يَعارَةً يا فتى . قال الراعى :

قَلائِصَ لاَ يُلْقَحْنَ إلاَّ يَعارَةً عِراضاً وَلاَ يُشْرَيْنَ إلاَّ غَوالِيَا

وقال الطِّرِمَّاحُ :

سَوْفَ تُدْنِيكَ مِنْ لَمِيسَ سَبَنْدَا ةٌ أمَارَتْ بِالْبَوْلِ مَاءَ الْكِرَاضِ

نَضَّجَتْهُ عِشْرِينَ يَوْمًا وَنِيلَتْ حِينَ نِيلَتْ يَعارَةً فى عِراضِ

قوله : سَبَنْداةٌ فهى الجَريئةُ الصَّدْرِ ، يقال للجَرىءِ الصدرِ سَبَنْتاةٌ وَسَبَنْداةٌ ، وأصل ذلك فى النَّمِرِ ، وزعم الأَصْمَعِيُّ أن الكِراضَ حَلَقُ الرَّحِمِ ، قال ولم أسْمَعْهُ إلا فى هذا الشِّعْرِ ، وقوله : نَضَّجَتْهُ عشرين يوما ، إنما هو أن تزيد بعد الحول من حيث حَمَلَتْ أياما نحو الذى عَدَّ فلا يخرج الولد إلا مُحْكَما ، قال الحُطَيْئَةُ :

لِأَدْمَاءَ مِنْهَا كَالسَّفِينَةِ نَضَّجَتْ ... بِهِ الحَوْلَ حَتَّى زَادَ شَهْرًا عَدِيدُهَا

والعَزَازَةُ العِزُّ ، والمَصَادر تقع على فَعَالَةٍ للمبالغة ، يقال : عَزَّ عِزًّا وعزَازةً ، كما يقال : الشَرَاسةُ ، والصَّرامَةُ . قال اللّٰه تعالى : « قالَ يا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ » ، وفي موضع آخر : « لَيْسَ بِي ضَلاَلَةٌ » ، وقوله : فَأَيْنَ فَوَارِس السَّلَمات ، يريد بنى سَلَمَةَ الْخَيْرِ ، وبنى سَلَمَةَ الشر أَبْنَيْ قُشَيْرِ بن كعب ، وجَمَعَ لأنه يريد الحَيَّ أَجْمَعَ ، كما تقول المَهَالبَةُ والمَسَامِعَةُ ، فتجمعهم على اسم الأب على المُهَلَّبِ ومِسْمَعٍ ، وكذلك المَناذرةُ ، وقد مرت الحجة في هذا ، وجَعْدَةُ ابن كَعْبٍ ، والحَرِيشُ بن كعب ، و بنو عُبادة من بنى عُقَيْلِ بن كَعْبٍ ، وقال الخَشْناء يريد القبيلة ، وذكرها بالخشونة على الأَعْداء .



ويروى أن معاوية بن أبي سُفْيان رحمه الله تعالى قال لِدَغْفَلِ ابن حَنْظَلَةَ النَّسَّابةِ : ما تقول في بني عامر بن صَعْصَعَةَ ؟ فقال : أعناق ظِباءٍ ، وأعْجازُ نساءٍ ، قال : فما تقول في بني تميمٍ ؟ قال : حَجَرٌ أَخْشَنُ إن صادَمْتَهُ آذاكَ ، وإن تَرَكْتَهُ تركك ، قال : فما تقول في اليمن ؟ قال : سَيِّدٌ وأَنْوَكُ .

قال أبو العباس : وأنشدني عُمارةُ لنفسه ، وسبب هذا الشعر الذي نذكره أن رجلا من بني تميم يُكْنَى أبا سَعْدٍ كان منقطعاً إلى أبي نصر ابن حُمَيْدٍ الطائيِّ ، ثم أحد بني نَبْهانَ ، وكان أبو نصر والياً على العرب ، وكتب أبو سعد إلى عُمارة يأمره أن يَضَعَ يده في يد أبي نصر ، فقال عُمارة :

دَعَانِى أَبُو سَعْدٍ وَأَهْدَى نَصِيحَةً ... إِلَىّ وَمِمَّا أَنْ تَغُــرَّ النَّصَائِحُ

(مما بمعنى رُبَّمَا) :

لِأَجْزَرَ لَحْمِى كَلْبَ نَبْهَانَ كَالَّذِى ... دَعَا الْقَاسِطِىَّ حَتْفُهُ وَهْوَ نَازِحُ

أَوِ الْبُرْجُمِىَّ حِينَ أَهْدَاهُ حَيْنُهُ ... لِنَارٍ عَلَيْهَا مُــوقِدَانِ وَذَابِحُ

وَرَأْىُ أَبِى سَعْدٍ وَإِنْ كَانَ حَازِمًا ... بَصِيراً وَإِنْ ضَاقَتْ عَلَيْهِ الْمَسَارِحُ

أَعَارَ بِهِ مَلْعُونَ نَبْهَانَ سَــيْفَهُ ... عَلَى قَوْمِهِ وَالْقَوْلُ عَافٍ وَجَارِحُ

وَنَصْرُ الْفَتَى فِى الْحَرْبِ أَعْدَاءَ قَوْمِهِ ... عَلَى قَوْمِهِ الْمَرْءِ ذِى الطَّعْمِ فَاضِحُ

قوله : ✲ لِأَجْزَرَ لَحْمِى كَلْبَ نَبْهَانَ ✲ أى لأكون جَزَرَةً له ، والجَزَرَةُ : البَدَنَةُ تُنْحَرُ ، يقال أَجْزَرْتُ فلاناً وتركتُ فلاناً جَزَراً . قال عَنْتَرَةُ الْعَبْسِىُّ :

إِنْ تَشْتِمَا عِرْضِى فَإِنَّ أَبَاكُمَا ... جَزَرُ السِّبَاعِ وَكُلِّ نَسْرٍ قَشْعَمِ

وقوله : « كالذى دعا القاسطىَّ حَتْفُهُ وهو نازح » فهذا رجل من النَّمِرِ ابن قاسِطٍ خرج يبتغى قَرَظًا من بُعْدٍ فَنَهَشَتْهُ حَيَّةٌ فمات فهو أحد القارِظَيْنِ ، والقارِظُ الأول من عَنَزَةَ كان خرج مع ابن عَمٍّ له فى طلب القَرَظِ فقتله ابن عمه ، لأنه كان يريد ابنته فمنعه منها ، قال أبو خِرَاشٍ الهُذَلِىُّ : (الصحيح أن الشعر لأبى ذُؤَيْبٍ) :

وَحَتَّى يَؤُوبَ الْقَارِظَانِ كِلَاهُمَا ... وَيُنْشَرَ فِى الْقَتْلَى كُلَيْبٌ لِوَائِلِ

وقوله : « كالذى دعا القاسطى حتفه » الهاء فى حتفه ترجع على الذى ،

وتقديره كالسبب الذى دعا القاسطيَّ حَتْفُهُ ، وقوله : « أو البُرْجُمِيَّ » فهذا رجل من البَرَاجِمِ وهم بنو مالك بن حَنْظَلَة كان عمرو بن هِنْدٍ لما قَتَلَ بنى دارمٍ بأُوارَةَ ، وكان سببُ ذلك أن أخاه أسْعَدَ بن المُنْذِرِ ، وكان مُسْتَرْضَعًا فى بنى دارمٍ فى حِجْرِ حاجب بن زُرَارَةَ بن عُدَسَ بن زيد بن عبد الله بن دارمٍ انصرف ذاتَ يوم من صَيْدِهِ وبه نَبيذٌ ، فَعَبِثَ كما تَعْبَثُ الملوك ، فرماه رجل من بنى دارم بسهم فقتله (رَمَى ناقةً بسهم فقتلها ، والرجلُ الذى قتله سُوَيْدُ ابن رَبيعةَ بن زيد بن عبد الله بن دارمٍ) ففى ذلك يقول القائل ، وهو عمرو ابن مِلْقَطٍ الطائى لعمرو بن هند :

فَاقْتُلْ زُرَارَةَ لاَ أَرَى ... فى القَوْمِ أَوْفَى مِنْ زُرَارَهْ

فغزاهم عمرو بن هند ، فقتلهم يوم القُصَيْبَةِ ويوم أُوارَةَ ، ففى ذلك يقول الأعْشَى :

وَتَكُونُ فى الشَّرَفِ المُوا ... زِىِّ مِنْقَرًا وَبَنِى زُرَارَهْ

أَبْنَاءَ قَوْمٍ قُتِّلُوا ... يَوْمَ القُصَيْبَةِ وَالأُوَارَهْ

ثم أقْسَمَ عمرو بن هند ليُحَرِّقَنَّ منهم مائة ، فبذلك سُمِّيَ مُحَرِّقًا ، فأَخَذَ تسعة وتسعين رجلا فَتَقذفهُمْ فى النار ، ثم أراد أن يُبِرَّ قَسَمَهُ بعجوز منهم لتَكْمُلَ بها العِدَّةُ ، فلما أمَرَ بها قالت العجوز (على ماذكَرَ أصحابُ الأَخْبار اسمها الحمراء بنت نَضْلَةَ) ألا فَتًى يَفْدِى هذه العجوز بنفسه ؟ ثم قالت : هيهات صارت الفِتْيانُ حُمَمًا ! وَمَرَّ وافدُ البَراجِمِ وهو الذى ذَكَرْنا فاشْتَمَّ رائحة اللحم فظن أن المَلِكَ يتخذ طعاما فَعَرَّجَ إليه فأُتِىَ به إليه ، فقال له : مَنْ أنت ؟ فقال :

أبيْتَ اللَّعْنَ ! أنا وافد البراجم ، فقال عمرو : إن الشّقِيَّ وافدُ البراجمِ ، ثم أمَرَ به فقُذِفَ فى النار ، ففى ذلك يقول جرير يُعَيِّرُ الفرزْدَقَ :

أَيْنَ الَّذِينَ بِنَارِ عَمْرٍو حُرِّقُوا   أَمْ أَيْنَ أَسْعَدُ فِيكُمُ الْمُسْتَرْضَعُ

وقال أيضاً :

وَأَخْزَاكُمْ عَمْرٌو كَمَا قَدْ خَزِيتُمُ   وَأَدْرَكَ عَمَّارًا شَقِيُّ الْبَرَاجِمِ

وقال الطِّرِمَّاحُ :

وَدَارِمٌ قَدْ قَذَفْنَا مِنْهُمُ مِائَةً   فِى جَاحِمِ النَّارِ إِذْ يَنْزُونَ بِالْخُدَدِ[1]

يَنْزُونَ بِالْمُشْتَوَى مِنْهَا وَيُوقِدُهَا   عَمْرٌو وَلَوْلَا شُحُومُ الْقَوْمِ لَمْ تَقِدِ

ولذلك عُيِّرَتْ بنو تميم بحب الطعام ، يعنى لطمع البُرْجُمِىِّ فى الأكل . قال يزيد بن عمرو بن الصَّعِق أحد بنى عمرو بن كلاب :

أَلَا أَبْلِغْ لَدَيْكَ بَنِى تَمِيمٍ   بِآيَةِ مَا يُحِبُّونَ الطَّعَامَا

وقال آخر : (ذكر ابْنُ حَبِيبٍ أن هذا الشعر لأبى مُهَوِّشٍ الفَقْعَسِىِّ ، وذكر دِعْبِلٌ أنه لأبى المُهَوِّسِ الأَسَدِىِّ) :

إِذَا مَا مَاتَ مَيْتٌ مِنْ تَمِيمٍ   فَسَرَّكَ أَنْ يَعِيشَ فَجِئْ بِزَادِ

بِخُبْزٍ أَوْ بِتَمْرٍ أَوْ بِلَحْمٍ   أَوِ الشَّىْءِ الْمُلَفَّفِ فِى الْبِجَادِ

تَرَاهُ يُنَقِّبُ الْبَطْحَاءَ حَوْلًا   لِيَأْكُلَ رَأْسَ لُقْمَانَ بْنِ عَادِ

وقوله : « لِلْمَرْءِ ذِى الطَّعْمِ » يعنى الراجع إلى عقل ، يقال فلان ليس بذى

---

(١) أصله الخد ، ففك الإدغام للقافية ، وهو كالأخدود : حفرة مستطيلة فى الأرض .

طَعْمٍ ، وفلان ليس بذى نَزَلٍ ، أى ليس بذى عقل ، ولا معرفةٍ ، وإنما يقال هذا طعام ليس له نَزَلٌ إذا لم يكن ذا رَيْعٍ ، ومَنْ قال نُزُلٌ فى هذا المعنى فقد أخطأ .



وقال أعرابى يَهْجُو قوما من طَيِّءٍ :

وَلَمَّا أَنْ رَأَيْتُ بَنِى جُوَيْنٍ جُلُوساً لَيْسَ بَيْنَهُمُ جَلِيسُ
يَئِسْتُ مِنَ الَّتِى أَقْبَلْتُ أَبْغِى لَدَيْهِمْ إِنَّنِى رَجُلٌ يَئُوسُ
إِذَا مَا قُلْتُ أَيُّهُمُ لِأَىٍّ تَشَابَهَتِ الْمَنَاكِبُ وَالرُّؤُوسُ

قوله : « جلوساً » ليس بينهم جليس ، يقول هؤلاء قوم لا يَنْتَجِعُ الناسُ معروفهم فليس فيهم غيرهم ، وهذا من أقبح الهجاء .

ومن أمثال العرب : « سَمْنُهُمْ فى أَدِيمِهِمْ » ، ومعناه فى مَأْدومهم ، وقيل : أديم ومأدوم ، مثل قَتِيلٍ ومَقْتولٍ ، وتقول الحكماء : من كَثُرَ خيره كثر زائره .

وقال المُهَلَّبُ بن أبى صُفْرة لبنيه : يا بَنِىَّ إذا غدا عليكم الرجل وراحَ مُسَلِّماً ، فكفى بذلك تقاضيا .

وقال الآخر :

أَرُوحُ لِتَسْلِيمٍ عَلَيْكَ وَأَغْتَدِى وَحَسْبُكَ بِالتَّسْلِيمِ مِنِّى تَقَاضِيا
كَفَى بِطِلَابِ الْمَرْءِ مَا لَا يَنَالُهُ عَنَاءً وَبِالْيَأْسِ الْمُصَرِّحِ نَاهِيا

(وربما قال أبو العباس : هو مُصَرَّحٌ بكسر الراء . قال أبو الحسن : والكسر أجود) .



ومن أحسن المدح قول زُهَيْرٍ :

قَدْ جَعَلَ الطَّالِبُونَ الْخَيْرَ فى هَرِمٍ وَالسَّائِلُونَ إِلَى أَبْوَابِهِ طُرُقَا

وقال رُؤْبَةُ : (ليس لرؤبة ، وهو لابن أبى نُخَيْلَةَ[1]) :

☆ إِنَّ النَدَى حَيْثُ تَرَى الضِّغَاطا ☆

وقال آخر :

يَزْدَحِمُ الناس عَلَى بَابِهِ وَالْمَشْرَبُ الْعَذْبُ كَثِيرُ الزِّحَامِ

وقال أَشْجَعُ فى محمد بن منصور :

عَلَى بَابِ ابْنِ مَنْصُورٍ عَلامَاتٌ مِنَ الْبَذْلِ
جَمَاعَاتٌ وَحَسْبُ الْبَا بِ نُبْلاً كَثْرَةُ الْأَهْلِ

وقوله : ☆ تَشَابَهَتِ المَنَاكِبُ وَالرُّؤُوسُ ☆ إنما ضربه مَثَلاً للأخْلاق والأفعال : أى ليس فيهم مُفَضَّلٌ ، ويقال إن الأَضْبَطَ[2] بن قُرَيْعِ بنِ عوْف ابن كَعْبِ بن سَعْدِ بن زَيْدِ مَناةَ بن تَميم آذَتْهُ عشيرتُهُ من بنى سَعْدٍ فخرج عنهم فَجَعَلَ لا يُجاوِر قومًا إلا آذَوْهُ فقال : « أَيْنَمَا أَذْهَبْ أَلْقَ سَعْدًا » ، أى أفِرُّ من الأذى إلى مثله .

(١) قال الشيخ المرصفى : الصواب « لأبى نخيلة » .وهو اسمه لا كنيته ، شاعر راجز من مخضرمى الدولتين . (٢) شاعر جاهلى .

باب

قال أبو العباس قال أبو إدريس الخَوْلانيّ : المَساجِدُ مَجالِسُ الْكِرام .

وقيل للأحْنف بن قَيْس أحد بنى مُرّةَ بن عُبَيْدِ بن الحارثِ بن كَعْبِ ابن سَعْد : أىُّ المجالس أطْيَبُ ؟ فقال : ما سافر فيه البصر ، واتَّدَعَ فيه البَدَنُ .

اتَّدَعَ : افتعل من التَّوْديع[1] ، والأصل اوْتَدَعَ فتقْلِبُ الواو ياء لانكسار ما قبلها ، وهذا القول مذهب أهل الحجاز يقولون ايتزَرَ[2] ياتَزِرُ ، وهو رجل مُوتَزِرٌ ، والأجود أن تقلب ما كان أصله الواو والياء فى باب افْتَعَلَ تاء وتُدْغِمَها فى التاء من افْتَعَلَ ، فتقول اتَّدَعَ يَتَّدِعُ وهو مُتَّدِعٌ ، ومُتَّزِرٌ ، ومُتَّعِدٌ من الوَعْدِ . ومُتَّئِسٌ من اليأس ، تكون الياء كالواو لأنها إن أُظْهِرَتْ انقلبت على حركة ما قبلها فصارت كالواو ، وتكونانِ واوين عند الضمة نحو مُوعِدٍ ومُوتَعِدٍ ومُوئِسٍ ومُوتَئِسٍ ، وياءين للكسرة ، والواو قد تُقْلَبُ إلى التاء ولا تاء بعدها نحو تُراثٍ ، من وَرِثْتُ ، وتُجاهٍ من الوَجْهِ ، وتُكَأَةٍ[3] وإنما ذلك كَراهيَة الضمة فى الواو وأقربُ حروف الزوائد والبَدَلِ منها التاء فقُلِبَتْ إليها ، وقد تُقْلَبُ للبدل فى غير ضم ، نحو هذا أَتْقى من هذا

---

(١) يريد الوداعة .

(٢) قال الشيخ المرصفى : هذا خطأ صراح . فإن العرب أجمع إنما تبدل من مهموز الفاء الماضى والأمر فقط لاجتماع الهمزتين فى أوليهما فالصواب أن يمثل من المثال فيقول : ايتعد ياتعد فهو موتعد وايتسر ياتسر فهو موتسر . (٣) أصلها وكأة على وزن همزة .

وضربته حتى أَتْكَأْتُهُ(١) فلما كانت بعدها تاء افْتَعَلَ كَانَ الوجهُ القلبَ ليقع الإِدغام ، وقد فسرنا هذا على غاية الاستقصاء فى الكتاب المُقْتَضَب .



وقيل المُهَلَّبِ بن أبى صُفْرَةَ : ماخَيْرُ المجالس ؟ فقال : ما بَعُدَ فيه مَدَى الطَّرْفِ ، وكَثُرَتْ فيه فائدةُ الجليس .

ويروى عن لُقْمان الحكيم أنه قال لابنه : يا بُنَىَّ إذا أتيتَ مجلسَ قوم فارْمِهِمْ بسَهْمِ الإسلام ، ثم اجلس . فإن أفاضوا فى ذكر الله فَأَجِلْ سَهْمَكَ مع سِهامهم ، وإن أفاضوا فى غيره فَخَلِّهِمْ وانْهَضْ .

قوله : فارمهم بسهم الإسلام يعنى السَّلام ، وقوله فَأَجِلْ سهمك مع سهامهم ، يعنى أُدْخُلْ معهم فى أمرهم ، فَضَرَبَهُ مَثَلاً من دخول الرجل فى قِدَاحِ المَيْسَرِ .

وقال وهْبُ بن عبد منافِ بن زُهْرَةَ جَدّ رسول ٱللّٰه صلى ٱللّٰه عليه وسلم لِأُمِّهِ :

وَإِذَا أَتَيْتَ جَمَاعَةً فى مَجْلِسٍ ... فَٱخْتَرْ مَجَالِسَهُمْ وَلَمَّا تَقْعُدِ
وَدَعِ الغُوَاةَ الجَاهِلِينَ وَجَهْلَهُمْ ... وَإِلَى الَّذِينَ يُذَكِّرُونَكَ فَاعْمِدِ

وقال ٱبن عباس رحمه ٱللّٰه : لِجَلِيسِى علىَّ ثلاثٌ أن أَرْمِيَهُ بِطَرْفى إذا أقبل ، وأُوَسِّعَ له إذا جلس ، وَأُصْغِيَ إليه إذا حَدَّثَ .

---

(١) أى ألقيته على هيئة المتكئ ، أو على جانبه الأيسر .

وكان القَعْقَاعُ بن شَوْرٍ أحد بنى عمرو بن شَيْبان بن ذُهْل بن ثَعْلَبَةَ أبن عُكابَةَ بن صَعْب بن علىّ بن بَكْرِ بن وائلٍ إذا جالسه جَلِيسٌ فَعَرَّفَهُ بالقَصْد إليه جَعَلَ له نصيباً فى ماله ، وأعانَهُ على عَدُوِّهِ ، وَشَفَعَ له فى حاجته وغدا إليه بعد المجالسة شاكراً له ، حتى شُهِرَ بذلك ، وفيه يقول القائل :

وَكُنْتُ جَلِيسَ قَعْقَاعِ بن شَوْرٍ ... وَلاَ يَشْقَى بِقَعْقَاعٍ جَلِيسُ
ضَحُوكُ السِّنِّ إنْ أَمَرُوا بِخَيْرٍ ... وَعِنْدَ السُّوءِ مِطْرَاقٌ عَبُوسُ

وحدثنى التَّوَّزِىُّ أن رجلا جالَسَ قوما من بنى مَخْزُوم بن يَقَظَةَ بن مُرَّةَ أبن كَعْب بن لُؤَىِّ بن غالب بن فِهْرِ بن مالِكِ بن النَّضْرِ بن كِنانَةَ ، فأساءوا عِشْرَتَهُ ، وَسَعَوْا به إلى معاوية ، فقال :

شَقِيتُ بِكُمْ وَكُنْتُ لَكُمْ جَلِيساً ... فَلَسْتُ جَلِيسَ قَعْقَاعِ بْنِ شَوْرِ
وَمِنْ جَهْلٍ أَبُو جَهْلٍ أَخُوكُمْ ... غَزَا بَدْرًا بِمِجْمَرَةٍ وَتَوْرِ(١)

نَسَبَهُ إلى التَّوْضيع(٢) كقول عُتْبَةَ بن رَبِيعَةَ بن عَبْدِ شمس بن عبد مَناف لِحَكِيم بنِ حِزام(٣) لما بلغه قول أبى جَهْل بن هشام : أُنْتَفَخَ واللهِ سَحْرُهُ وَنَحْرُهُ ، سَيَعْلَمُ مُصَفِّرُ أُسْتِهِ مَنِ أُنْتَفَخَ سَحْرُهُ اليومَ .



وقال رجل من بنى مَخْزوم للأحوص بن محمد بن عبد ٱلله بن عاصم ابن ثابت بن أبى الأَفْلَحِ الأنصارِىِّ لِيُؤْذِيَهُ أتعرِفُ الذى يقول :

(١) التور : إناء يبل فيه نحو العود والمسك . (٢) أى التخنيث .
(٣) هو ابن عم خديجة أم المؤمنين .

ذَهبَتْ قُرَيْشٌ بِالْمَكَارِمِ كُلِّهَا   وَاللُّؤْمُ تَحْتَ عَمائِمِ الْأَنْصَارِ

فقال الأَحْوَصُ : لا أَدْرِى ، ولكِنِّى أَعْرِفُ الذى يقول :

النَّاسُ كَنَّوْهُ أَبَا حَكَمٍ   وَاللهُ كَنَّاهُ أَبَا جَهْلِ

أَبْقَتْ رِيَاسَتُهُ لِأُسْرَتِهِ   لُؤْمَ الفُرُوعِ وَدِقَّةَ الْأَصْلِ

وهذا الشعر لِحَسانَ بن ثابت ، والبيت الذى أنشده المخزومى للأَخْطَلِ ، وكان يَزِيدُ بن معاوية عَتَبَ على قوم من الأنصار ، فأَمَرَ كَعْبَ بْنَ جُعَيْلٍ التَّغْلَبِيَّ بهجائهم ، فقال له كَعْبٌ : أَأَهْجُو الأنصار ؟ أَرَادِّى أنت إلى الكُفْرِ بعد الإسلام ؟ ولكنى أَدُلُّكَ على غلام من الحَىِّ نَصْرَانِىٍّ كأَنَّ لسانَهُ لسانُ ثَوْرٍ : يعنى الأَخْطَلَ ، قال فلما قال هذا البيت دخلَ النُّعْمانُ ابن بَشِيرِ بن سَعْدٍ الأنصارىُّ على معاوية فَحَسَرَ عمامته عن رأسه ، ثم قال : يا معاوية ، أَتَرَى لُؤْمًا ؟ فقال : ما أرى إلا كَرَمًا ، فقال النعمان :

مُعَاوِىَ إِنْ لاتُعْطِنَا الْحَقَّ تَعْتَرِفْ   لِحَىِّ الْأَزْدِ مَسْدُولاً عَلَيْهَا الْعَمَائِمُ (١)

أَيَشْتِمُنَا عَبْدُ الْأَرَاقِمِ ضَلَّةً   فَمَاذَا الَّذِى تُجْدِى عَلَيْكَ الأَرَاقِمُ

فَمَالِىَ ثَأْرٌ دُونَ قَطْعِ لِسَانِهِ   فَدُونَكَ مَنْ تُرْضِيهِ عَنْهُ الدَّرَاهِمُ

وكان الأحنف بن قيس يقول : لا تزال العرب عَرَبًا ما لَبِسَت العمائِمَ ، وتَقَلَّدَتِ السيوف ، ولم تَعْدُدِ الحِلْمَ ذُلًّا ، ولا التَّوَاهُبَ فيما بينها ضَعَةً .

وقالوا فى تأويل قوله : « مَا لَبِسَت الْعَمَائِمَ » يقول : ماحافظت على زِيِّهَا ، وقوله : « وتقلدت السيوف » يريد الامتناع من الضَّيْمِ ، وقوله : « ولم تعدد

(١) يريد شيوخ الأزد .

الحلم ذلا » يقول : ما عرَفتْ موضع الحلم ، وتأويل ذلك : أن الرجل إذا أغْضَى للسلطان ، أو أغْضَى عن الجواب وهو مأسورٌ ، لم يُقلْ حَلُمَ ، وإنما يقال حَلُمَ إذا ترَكَ أن يقول الشيء لصاحبه مُنْتَصِرًا ، ولا يخاف عاقبة يكْرَهُهَا . فهذا الحلم المَحْضُ ، فإذا لم يفعل ذلك ورأى أن ترْكَهُ الحِلْمَ ذُلٌّ فهو خطأ وسَفَهٌ . وقوله : « ولم تر التواهب بينها ضَعَةً » نحوٌ من هذا وهو أن يَهَبَ الرجلُ من حقه مالا يُسْتَكْرَهُ عليه، وكان يقال : « أَحْيُوا المعروف بإماتته » وتأويل ذلك : أن الرجل إذا امْتَنَّ بمعروفه كَدَّرَهُ ، وقيل : « المِنَّةُ تَهْدِمُ الصَّنِيعة » .

وكان يقال : كتمان المعروف من المُنْعَمِ عليه كفرٌ وذكره من المُنْعِمِ تكدير له .

وقال قَيْسُ بن عاصم : يا بنى تميم ، اصْحَبُوا مَنْ يذكر إحسانكم إليه ، ويَنْسَى أيَادِيَهُ إليكم .

باب

قال أبو العباس : قال عبد المَلِكِ بن مَرْوان لأُسَيْلِمَ بن الأحْنف الأسَدِىّ ما أحسنُ ما مُدِحْتَ به ؟ فاستعفاه فأبى أن يُعْفِيَهُ وهو معه على سريره . فلما أبى إلا أن يُخْبِرَهُ ، قال قول القائل :

أَلاَ أيُّها الرَّكْبُ المُخِبُّونَ(١) هَلْ لَكُمْ ... بِسَيِّدِ أهْلِ الشَّامِ تَحْبُوا(٢) وتَرْجِعُوا

مِنَ النَّفَرِ البِيضِ الَّذِينَ إذَا اعْتَزَوْا ... وَهَابَ الرِّجَالُ حَلْقَةَ البَابِ قَعْقَعُوا(٣)

إذَا النَّفَرُ السُّودُ اليَمَانُونَ نَمْنَمُوا ... لَهُ حَوْكَ بُرْدَيْهِ أجَادُوا وَأوْسَعُوا

جَلاَ المِسْكُ وَالحَمَّامُ وَالبِيضُ كَالدُّمَى ... وَفَرْقُ المَدَارَى رَأْسَهُ فَهْوَ أنْزَعُ(٤)

فقال له عبد الملك : ما قال أخو الأوْسِ أحسنُ مما قيل لك (قال أبو الحسن هو أبو قَيْسِ بن الأسْلَتِ) :

قَدْ حَصَّتِ البَيْضَةُ رَأْسِي فَمَا ... أطْعَمُ نَوْمًا غَيْرَ تَهْجَاعِ



وحُدِّثْتُ أن كُثَيِّرًا كان يقول : لَوَدِدْتُ أنى كنتُ سبقتُ الأَسْوَدَ ، أو العبدَ الأسودَ ، إلى هذين البيتين ، يعنى نُصَيْبًا فى قوله :

مِنَ النَّفَرِ البِيضِ الَّذِينَ إذَا انْتَجَوْا ... أَقَرَّتْ لِنَجْوَاهُمْ لُؤَىُّ بْنُ غَالِبِ

---

(١) المخبون : الذين تخب بهم دوابهم ، من الخبب وهو سرعة العدو .

(٢) من الحباء وهو العطاء . (٣) من القعقعة : وهى الصوت ، والمراد أنهم لا يتهيبون لقاء الناس

(٤) من النزع بالتحريك : وهو انحسار الشعر من أعلا الجبين .

يُحَيَّوْنَ بَسَّامِينَ طَوْرًا وَتَارَةً ... يُحَيَّوْنَ عَبَّاسِينَ شُوسَ الحَوَاجِبِ[1]

والمختار من الشعر الأول قوله :

مِنَ النَّفَرِ الْبِيضِ الَّذِينَ إِذَا اعْتَزَوْا ... وَهَابَ الرِّجَالُ حَلْقَةَ الْبَابِ قَعْقَعُوا

يخبر بجلالتهم ومعرفتهم بأقدارهم ، وثقتهم بأن مثلهم لا يُرَدُّ ، وقد قال جرير للتيم خلاف هذا وهو قوله :

قَوْمٌ إِذَا احْتَضَرَ الْمُلُوكَ وُفُودُهُمْ ... نُتِفَتْ شَوَارِبُهُمْ عَلَى الْأَبْوَابِ

وحُدِّثْتُ أن جريراً كان يقول : وَدِدْتُ أن هذا البيت من شعر هذا العبد كان لى بكذا وكذا بيتاً من شعرى ، يعنى قول نُصَيْبٍ :

بِزَيْنَبَ أَلْمِمْ قَبْلَ أَنْ يَرْحَلَ الرَّكْبُ ... وَقُلْ إِنْ تَمَلِّينَا فَمَا مَلَّكِ الْقَلْبُ

وأما قول نُصَيْبٍ :

أَهِيمُ بِدَعْدٍ مَا حَيِيتُ وَإِنْ أَمُتْ ... أُوَكِّلْ بِدَعْدٍ مَنْ يَهِيمُ بِهَا بَعْدِى

فلم تَجِدِ الرُّواةُ ولا مَنْ يفهم جواهر الكلام له مَذْهباً حَسَناً ، وقد ذكر عبد الملك ذلك لجلسائِهِ فكلٌّ عابَهُ ، فقال عبد الملك : فلو كان إليكم كيف كنتم قائلين ؟ فقال رجل منهم كنت أقول :

أَهِيمُ بِدَعْدٍ مَا حَيِيتُ وَإِنْ أَمُتْ ... فَوَا حَزَنَا مَنْ ذَا يَهِيمُ بِهَا بَعْدِى

فقال عبد الملك : مَا قلتَ والله أَسْوَأُ مما قاله ، فقيل له : فكيف كنتَ قائلا فى ذلك يا أمير المؤمنين ؟ فقال كنتُ أقول :

أَهِيمُ بِدَعْدٍ مَا حَيِيتُ فَإِنْ أَمُتْ ... فَلَا صَلَحَتْ دَعْدٌ لِذِى خُلَّةٍ بَعْدِى

فقالوا أنت والله أشْعَرُ الثلاثة يا أمير المؤمنين .

(١) المراد شوس العيون ، والشوس : جمع أشوس ، وهو من ينظر بمؤخر عينه ميلا رأسه تيها أو تغيظا .



وقد فُضِّلَ نُصَيْبٌ على الفَرَزْدَق فى مَوْقِفِهِ عند سليمان بن عبد الملك ، وذلك أنهما حَضَرَا، فقال سليمانُ للفرزدق : أَنْشِدْنى ، وإنما أراد أن يُنْشِدَهُ مَدْحاً له فأنشده :

وَرَكْبٍ كَأَنَّ الرِّيحَ تَطْلُبُ عِنْدَهُمْ ... لَهَا تِرَةً(١) مِنْ جَذْبِهَا بِالْعَصَائِبِ(٢)

سَرَوْا يَخْبِطُونَ الرِّيحَ وَهِيَ تَلُفُّهُمْ ... إِلَى شُعَبِ الأَكْوَارِ(٣) ذَاتِ الحَقَائِبِ(٤)

إِذَا آنَسُوا نَاراً يَقُولُونَ لَيْتَهَا ... وَقَدْ خَصِرَتْ أَيْدِيهِمُ نَارُ غَالِبِ(٥)

فأعرض سليمان كالمُغْضَبِ ، فقال نصيب : يا أمير المؤمنين ، ألا أُنْشِدُكَ فى رَوِيِّها ما لعله لا يَتَّضِعُ عنها ، فقال هاتِ فأنشده :

أَقُولُ لِرَكْبٍ صَادِرِينَ لَقِيتُهُمْ ... قَفَاذَاتِ أَوْشَالٍ(٦) وَمَوْلاَكَ(٧) قَارِبُ(٨)

قِفُوا خَبِّرُونِى عَنْ سُلَيْمَانَ إِنَّنِى ... لِمَعْرُوفِهِ مِنْ أَهْلِ وَدَّانَ(٩) طَالِبُ

فَعَاجُوا(١٠) فَأَثْنَوْا بِالَّذِى أَنْتَ أَهْلُهُ ... وَلَوْ سَكَتُوا أَثْنَتْ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ

وهذا فى باب المدح حسن ومتجاوِزٌ ومُبْتَدَعٌ لم يُسْبَقْ إليه ، على أن الشاعر وهو أخو هَمْدَانَ قد قال فى عَصْرِهِ فى غير المدح :

(١) الترة : الثأر . (٢) هى العمائم . (٣) الأكوار : الرحال ، مفردها كور بالضم .
(٤) هى هنا حقائب الزاد .
(٥) من الخصر بالتحريك : وهو البرد. (٦) يريد خلف بقعة ذات مياه ، والأوشال : جمع وشل بالتحريك وهو ماء يتحلب من جبل أو صخر . (٧) يريد نفسه . (٨) أى طالب الماء .
(٩) قرية قريبة من الجحفة. (١٠) عطفوا إبلهم عليه .

يَمُرُّونَ بِالدَّهْنَا خِفَافًا عِيَابُهُمْ وَيَخْرُجْنَ مِنْ دَارِينَ بُجْرَ الْحَقَائِبِ
عَلَى حِينِ أَلْهَى النَّاسَ جُلُّ أُمُورِهِمْ فَنَدْلاً زُرَيْقُ الْمَالَ نَدْلَ الثَّعَالِبِ

وليس شِعْرُ نُصَيْبٍ هذا الذى ذكرناه فى المدح بأجود من قول الفرزدق فى الفخر ، وإنما يُفاضَلُ بين الشيئين إذا تناسبا .

وقد قال سليمان للفرزدق حين أنشده نصيب : كيف تُراهُ ، قال : هو أشعر أهل جِلْدتهِ ، فقام الفرزدق وهو يقول :

وَخَيْرُ الشِّعْرِ أَشْرَفُهُ رِجَالاً وَشَرُّ الشِّعْرِ مَا قَالَ الْعَبِيدُ

ثم نرجع إلى تفسير الشعر ، قوله : ٭ يَمُرُّونَ بِالدَّهْنَا خِفَافًا عِيَابُهُمْ ٭ يعنى قومًا تجاراً ، وقد قالوا إنما ذَكَرَ لُصُوصاً ، والأول أثْبَتُ ، وذلك أن دارين سُوقٌ من أسواق العرب ، وقوله : « بُجْرَ الْحَقَائِبِ » يقول عِظام ويقال للرجل إذا انْدلَقَتْ سُرَّتُهُ فنَتَأَتْ متقدمة رجل أَبْجَرُ ، ويقال لها البُجْرَةُ والبَجَرَةُ ، وفُعْلَةٌ وَفَعَلَةٌ تقعان فى الشىء ، يقال قُلْفَةٌ وقَلَفَةٌ وصُلْعَةٌ وصَلَعَةٌ ، ومثل هذا كثير ، وقوله : « على حين ألهى الناس » إن شئتَ خفضتَ حين وإن شئت نصبته ، أما الخفض فلأنه مخفوض ، وهو اسم منصرف ، وأما الفتح فلإضافتك إياه إلى شىء غير مُعْرَبٍ فبنيته على الفتح ، لأن المضاف والمضاف إليه اسم واحد فبنيته من أجل ذلك ، ولو كان الذى أضفته إليه معربا لم يكن إلا مخفوضاً ، وما كان سوى ذلك فهو لحن ، تقول : جئتك على حينِ زيد وَجِئْتُكَ فى حِينِ إِمْرَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وكذا قولُ النابغة :

عَلَى حِينِ عَاتَبْتُ الْمَشِيبَ عَلَى الصِّبَا وَقُلْتُ أَلَمَّا أَصْحُ وَالشَّيْبُ وَازِعُ

إن شئت فتحت حين ، وإن شئت خفضت ، لأنه مضاف إلى فعل غير متمكن ، وكذلك قولهم يَوْمَئِذٍ. تقول عجبت من يوم عبد الله لا يكون غيره، فإذا أضفتهُ إلى إذٍ ، فإن شئت فتحتَ على ما ذكرتُ لك في حين . وإن شئت خفضتَ لِمَا كان يستحقه اليومُ من التَّمَكُّنِ قبل الإضافة . تقرأ إن شئتَ « من عذاب يَوْمِئِذٍ » وإن شئت « من عذاب يَوْمَئِذٍ » على ما وصفتُ لك ، ومن خفض بالإضافة قال : سِيرَ بزيدٍ يَوْمُئِذٍ . فأعربته في موضع الرفع ، كما فعلتَ به في الخفض ، ومن قال مِنْ خِزْيِ يَوْمَئِذٍ فبناه قال سِيرَ بزيدٍ يَوْمَئِذٍ ، يكون على حالة واحدة لأنه مبنيّ ، كما تقول دُفِعَ إلى زيد خمسةَ عَشَرَ دِرْهماً ، وكما قال الله عز وجل : « عليها تِسْعَةَ عَشَرَ » وأما قوله : ☆ فَنَدْلاً زُرَيْقُ المَالَ نَدْلَ الثعالب ☆ فزُرَيْقُ قبيلة ، وقوله نَدْلاً مصدر يقول أنْدُلِي نَدْلاً يا زُرَيْقُ المَالَ ، والنَّدْلُ أن تَجْذِبَهُ جَذْباً . يقال : نَدَلَ الرجلُ الدَّلْوَ نَدْلاً إذا كان يَجْذِبُها مملوءة من البئر ، فنصب نَدْلاً بفعل مضمر وهو أنْدُلِي ، وهذا في الأمر ، تقول ضَرْباً زيداً ، وشَتْماً عبدَ الله ، لأن الأمر لا يكون إلا بفعل ، فكان الفعلُ فيه أقوى، فلذلك أضمرته ، ودل المصدر على الفعل المضمر ، ولو كان خبراً لم يجز فيه الإضمارُ ، لأن الخبر يكون بالفعل وغيره ، والأمر لا يكون إلا بالفعل ، قال الله عز وجل : « فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ » فكان في موضع اُضْرِبوا ، حتى كأن القائل قال : فاضربوا ، ألا تَرَى أنه ذكر بعده الفعل مَحْضاً في قوله « حتى إذا أثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الوَثَاقَ » ولو نَوَّنَ مُنَوِّنٌ في غير القرآن

لَنَصَبَ الرقاب ، وكذلك كل موضع هو بالفعل أوْلَى ، وقوله : ندل الثعالب يريد سرعةَ الثعالب ، يقال فى المَثَلِ : « أَ كْسَبُ من ثعْلَبٍ » ، وأما قول نُصَيْبٍ ☆ وَلَوْ سَكَتُوا أَثْنَتْ عَلَيْكَ الحَقَائِبُ ☆ فإنما يريد أنهم يرجعون مملوءةً حقائبهم من رِفْدِهِ ، فقد أَثْنَتْ عليه الحقائب قبل أن يقولوا ، فأمّا قول الْأَعْشَى :

وَإِنَّ عِتَاقَ الْعِيسِ سَوْفَ يَزُورُكُمْ ثَنَاءٌ عَلَى أَعْجَازِهِنَّ مُعَلَّقُ

فإنما أراد المدح الذى يُحْدَيْنَ به ، والحادى من ورائها ، كما أن الهادى أمامها ، وأما قول أبى وَجْزَةَ :

رَاحَتْ بِستِّينَ وَسْقاً فِى حَقِيبَتِهَا ماحَمَلَتْ حَمْلَهَا الْأَدْنَى وَلاَ السَّدَدَا

فإنما أراد ما يوجب ستين وَسْقاً ، لا أن الناقة حَمَلَتْ ستين وَسْقاً . وكَانَ من حديث ذلك أن أبا وَجْزَةَ السَّلَمِيَّ المعروف بالسَّعْدِيِّ ، لنزوله فيهم ، ومحالفته إياهم ، كَانَ شَخَصَ إلى المدينة يريد آل الزُّبَيْرِ ، وَشَخَصَ أبو زيد الأسلميُّ يريد إبراهيمَ بن هشام بن إسْمعيل بن هشام بن الْمُغيرة بن عبد الله بن عُمَرَ بن مَخْزُومٍ وهو والى المدينة ، فاصْطَحَبا ، فقال أبو وجزة : هَلُمَّ فلْنَشْتَرِكْ فيما نُصيبه، فقال أبو زيد الأسلميُّ كَلاَّ أنا أَمْدَحُ الملوك ، وأنت تمدح السُّوَقَ(١) ، فلما دخلا المدينة صار أبو زيد إلى إبراهيم بن هشام فأنشده :

☆ يا ابْنَ هِشَامٍ يا أَخَا الْكِرَامِ ☆

فقال إبراهيم ، وإنما أنا أخوهم ، وكأنِّى لَسْتُ منهم ، ثم أَمَرَ به فَضُرِبَ

(١) بفتح الواو : جمع السوقة بضم السين ممدودة ، وهى من الناس من لم يكن ذاسلطان .

بالسياط ، وامْتَدَحَ أبو وَجْزَةَ آل الزُّبَيْرِ فكتبوا إليه بستين وَسْقًا من تمر وقالوا هى لك عندنا فى كل سنةٍ ، فانْصَرَفا . فقال أبو زيد :

مَدَحْتُ عُرُوقًا لِلنَّدَى مَصَّتِ الثَّرَى حَدِيثًا فَلَمْ تَهْمُمْ بِأَنْ تَتَرَعْرَعا
نَقَائِذَ بُؤْسٍ ذَاقَتِ الْفَقْرَ وَالْغِنَى وحَلَبَتِ الأيَّامَ وَالدَّهْرَ أضْرُعا
سَقاها ذَوُو الأرْحامِ سَجْلاً عَلَى الظَّما وَقَدْ كَرَبَتْ أعْناقُها أنْ تَقَطَّعا
بِفَضْلِ سِجالٍ لَوْ سَقَوْا مَنْ مَشَى بِها عَلَى الأرْضِ أرْوَاهُمْ جَمِيعا وَأشْبَعا
فَضَمَّتْ بِأيْدِيهَا عَلَى فَضْلِ مائِها مِنَ الرِّيِّ لَمَّا أوْشَكَتْ أنْ تَضَلَّعا
وَزَهَّدَها أنْ تَفْعَلَ الْخَيْرَ فى الْغِنَى مُقَاساتُها مِنْ قَبْلِهِ الْفَقْرَ جُوَّعا

وقال أبو وجزة :

رَاحَتْ رَوَاحًا قَلُوصِى وَهْىَ حَامِدَةٌ آلَ الزُّبَيْرِ وَلَمْ تَعْدِلْ بِهِمْ أحَدا
رَاحَتْ بِسِتِّينَ وَسْقًا فى حَقِيبَتِها ما حَمَلَتْ حَمْلَها الأدْنَى وَلا السَّدَدا
مَا إنْ رَأيْتُ قَلُوصًا قَبْلَها حَمَلَتْ سِتِّينَ وَسْقًا ولا جَابَتْ بِهِ بَلَدا
ذَاكَ الْقِرَى لا قِرَى قَوْمٍ رَأيْتُهُمُ يَقْرُونَ ضَيْفَهُمُ الْمَلْوِيَّةَ الْجُدُدَا

أما قول أبى زيد لإبراهيم : « مدحتُ عروقًا للندى مصت الثرى حديثًا » فإنما عَنَى أن إبراهيم وأخاه محمدًا ، إنما تَطعَّما بالعيش ، ودخلا فى النِّعمة ، وخرجا من حدّ السُّوَقِ إلى حدّ الملوك حديثًا ، وذلك بهشام بن عبد الملك لأنهما كانا خالَيْهِ ، فإنما وَلاَّهُمَا عن خُمُولٍ ، وقوله : فلم تهمم بأن تترعرعا ، فإنما

هذا مَثَلٌ : يقال فلان يَهْتَزُّ للنَّدَى ، ويرتاح لفعل الخير ، كما قال مُتَمِّمُ ابن نُوَيْرَةَ :

تَرَاهُ كَنَصْلِ السَّيْفِ يَهْتَزُّ لِلنَّدَى ... إِذَا لَمْ تَجِدْ عند امْرِئِ السَّوْءِ مَطْمَعَا

وتأويل ذلك أنه يتحرك تَحَرُّكَ سُرُورٍ لفعل الخير .

قال أبو العباس وأنشدنى التَّوَّزِيُّ لأبى رباطٍ يقول لابنه :

رَأَيْتُ رِبَاطًا حِينَ تَمَّ شَبَابُهُ ... وَوَلَّى شَبَابِي لَيْسَ فِي بِرِّهِ عَتْبُ

إِذَا كَانَ أَوْلَادُ الرِّجَالِ مَرَارَةً ... فَأَنْتَ الْحَلَالُ الْحُلْوُ وَالْبَارِدُ الْعَذْبُ

لَنَا جَانِبٌ مِنْهُ أَنِيقٌ وَجَانِبٌ ... شَدِيدٌ عَلَى الْأَعْدَاءِ مَرْكَبُهُ صَعْبُ(١)

وَتَأْخُذُهُ عِنْدَ الْمَكَارِمِ هِزَّةٌ ... كَمَا اهْتَزَّ تَحْتَ الْبَارِحِ الْغُصْنُ الرَّطْبُ



قال وحدثنى على بن عبد الله قال حدثنى العُتْبِيُّ قال أَشْرَفَ عمر بن هُبَيْرَةَ الفزارِيُّ من قصره يومًا فإذا هو بأعرابى يُرَقِّصُ جَمَلَهُ الآلُ(٢) فقال لحاجبه إن أرادنى هذا فَأَوْصِلْهُ إِلَيَّ . فلما دنا الأعرابىُّ سأله ، فقال قصدتُ الأمير فَأَدْخَلَهُ إليه . فلما مَثَلَ بين يديه قال له عمر : ما خَطْبُكَ ؟ فقال الأعرابى :

أَصْلَحَكَ اللهُ قَلَّ مَا بِيَدِي ... فَمَا أُطِيقُ الْعِيَالَ إِذْ كَثُرُوا

أَلَحَّ دَهْرٌ أَنْحَى بِكَلْكَلِهِ ... فَأَرْسَلُونِي إِلَيْكَ وَانْتَظَرُوا

رَجَوْكَ لِلدَّهْرِ أَنْ تَكُونَ لَهُمْ ... غَيْثَ سَحَابٍ إِنْ خَانَهُمْ مَطَرُ

---

(١) وفى رواية أخرى :

لنا جانب منه دميث وجانب ... إذا رامه الأعداء ممتنع صعب

(٢) الآل : ماتراه فى الضحى كالماء بين السماء والأرض .

قال فأخذتْ عمرَ الأرْيَحيةُ فجعَلَ يهْتزُّ فى مجلسه . ثم قال : أرسلوك إلىَّ وانتظروا ؟ إذًا والله لا تجلسُ حتى ترجِعَ إليهم غانمًا . فأمَرَ له بألف دينار وردَّهُ على بعيره .

قال أبو العباس : وحدثنى أبو إسحٰق إسمٰعيل بن إسحٰق القاضى أن الخبر لِمَعْن بن زائدة وصح ذلك عندى .

وقوله : نقائذ بؤس ، واحدتها نقيذَة . وتأويله أنهم أُنْقِذوا من بُؤْسٍ ، يقال للرجل والمرأة ذلك على لفظ واحد ، تقول هذا نقيذةُ بُؤْسٍ تقع الهاء للمبالغة لأن أصله كالمصدر ، كقولك زيد مَكْرُمَةٌ لأهله . وزيد كريمةُ قومه ، أى يَحُلُّ محَلَّ العقدة الكريمة . والخصْلة الكريمة .

وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكْرَمَ جرير بن عبد الله البَجَلِىَّ لما وَرَدَ عليه فبسط له رِداءه . وعمَّمه بيده . وقال : إذا أتاكم كريمةُ قومٍ فأكْرِموهُ . هكذا روى فُصَحاءُ أصحاب الحديث .

وقد قال صلى الله عليه وسلم قبل ورُوده عليه : يَطْلُعُ عليكم من هذا الفجِّ خيْرُ ذى يَمَنٍ عليه مَسْحَةُ مُلْكٍ .

وقال صَخْرُ بن عمرو بن الشَّريد يعنى معاويةَ أخاه وكان قتله هاشم ودُرَيْدٌ ابنا حَرْمَلَةَ المُرِّيَّانِ من غطَفان فقيل لصخر اهْجُهُمْ ، فقال : ما بينى وبينهم أَقْذَعُ من الهجاء ، ولو لم أُمْسِكْ عن هجائهم إلا صَوْنًا لنفسى عن الخَنَا لفعلت ، ثم قال :

وَعَاذِلَةٍ هَبَّتْ بِلَيْلٍ تَلومُــــنِى ... أَلَا لَا تَلُومِينِى كَفَى اللَّوْمَ مَا بِيَا

تقولُ ألا تهجُو فوارسَ هاشمٍ ... ومالىَ إذْ أهجُـــوهمُ ثُمَّ ماليا
أبى الشتمَ أنّى قدْ أصابُوا كريمتى ... وأنْ ليسَ إهداءُ الخَنا منْ شماليا
(إذا ذُكرَ الإخوانُ رقرقتُ عبرةً ... وحَيَّيْتُ رَسْمًا عِنْـــدَ لَيَّةَ ثاوِيا
إذا ما امْرُؤٌ أهدَى لِميْتٍ تحيةً ... فحيَّاكَ ربُّ العَرْشِ عَنّى مُعاوِيا
وهوَّنَ وجْدِى أنّنى لمْ أقُلْ لهُ ... كذَبْتَ ولمْ أبْخَلْ عليْهِ بِماليا

قال الأخفش وأنشدنى الأحْوَلُ : ✡ ومالىَ أنْ أهجُوهمُ ثُمَّ ماليا) ✡
وتقول العرب للرجل راويةٌ ونسَّابةٌ فتزيد الهاء المبالغة ، وكذلك علاَّمةٌ ،
وقد تلزمُ الهاءُ فى الاسم فتقع للمذكر والمؤنث على لفظ واحد ، نحو رَبْعَةٍ
ويَفعَةٍ وصَرورةٍ[1] وهذا كثير لا تُنْزَعُ الهاءُ منه . فأما راوية وعلامة ونسَّابة
فحذف الهاء جائز فيه ، ولا يَبْلُغُ فى المبالغة ما تبلُغُهُ الهاءُ ، وقوله :
✡ وحَلَبتِ الأيامَ والدَّهرَ أضْرُعَا ✡ فإنه مَثَلٌ يقال للرجل المُجرِّبِ للأمور
فلان قد حلَبَ الدَّهْرَ أشْطُرَهُ أى قد قاسى الشِّدَّةَ والرَّخاءَ وتصرَّفَ فى الفقر
والغنى ، كما قال القائل :

قدْ عِشتُ فى الناسِ أطْوارًا على طُرُقٍ ... شتَّى وقاسَيْتُ فِيها اللِّينَ والفَظَعا
كُلاًّ بلوتُ فلا النَّعْماءُ تُبطِرُنى ... ولا تخشَّعْتُ منْ لأوائِها جزَعا
لا يَمْلأُ الهَوْلُ صَدْرِى قبلَ موْقِعِهِ ... ولا أضيـــقُ بهِ ذرْعًا إذا وَقعا

ومعنى قوله : أشْطُرَهُ ، فإنما يريد خُلوفَهُ يقال : حَلَبْتُها شَطْرًا بعد شَطْرٍ ،
وأصل هذا من التنَصُّفِ لأن كل خِلْفٍ عَدِيلٌ لصاحبه ، وللشَّطْرِ وجهان

---

(١) هو الذى لم يحج أو لم يتزوج ، وأصلها من الصر وهو الحبس والمنع .

فى كلام العرب فأحدهما النصف كما ذكرنا ، من ذلك قولهم شاطرْتُك مالى . والوجه الآخر القَصْدُ، يقال خُذْ شَطْرَ زيدٍ : أى قصده . قال ألله عز وجل : « فوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المَسْجِدِ الحَرَامِ » أى قصده « وَحَيْثُ ما كُنْتُمْ فوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ » قال أبو العباس . وأنشدنى التَّوَّزِىّ عن أبى عُبيدة قولَ الشاعر :

إنَّ الْعَسِيرَ بِها دَاءٌ مُخامِرُها فَشَطْرَها نَظَرُ الْعَيْنَيْنِ مَحْسُورِ

يريد ناحيتها وقصدها . والعَسِير التى تَعْسِرُ بذنبها إذا حَمَلَتْ : أى تَشيلُهُ وترفعه ، ومنه سمى ألذَّنَبُ عوْسَرًا . أى تضرب بذنبها . ومعنى ذلك أنه ظهر من جَهْدها وسُوء حالها ما أطيلَ معه النظر إليها حتى تحسرَ العينان ، والحَسِير : المُعْيِى . وفى القرآن « يَنْقَلِبْ إليكَ البَصَرُ خاسِئًا وهو حسيرٌ » وقوله : * سَقَاهَا ذَوُو الْأَرْحَامِ سَجْلاً عَلَى الظَّما * فالسَّجْلُ فى الأصل ألدَّلْوُ ، وإنما ضربه مَثَلاً لِما فاضَ عليها من نَدَى أقاربها . فقال : للدلو . وهى مؤنثة سَجْلٌ وذَنُوبٌ ، وهما مُذَكَّران . والغَرْبُ مذكر وهو الدلو العظيمة ، ويقال فلان يُساجِلُ فلانا : أى يُخْرِجُ من الشرف مثل ما يُخْرِجُ الآخر ، وأصل المُساجلة أن يَسْتَقِىَ ساقيان ، فيُخْرِجَ كلٌّ واحدٍ منهما فى سَجْلِهِ مثلَ ما يُخْرِجُ الآخَرُ ، فأيُّهما نَكَلَ فقد غُلِبَ ، فضربته العرب مثلا للمفاخرة والمساماة ، وبَيَّنَ ذلك الفَضْلُ بن العباس بن عُتْبَةَ بن أبى لَهَبٍ فى قوله :

مَنْ يُسَاجِلْنِى يُسَاجِلْ ماجدًا يَمْلَأُ الدَّلْوَ إلَى عَقْدِ الْكَرَبْ

ويقال إن الفرَزْدَقَ مَرَّ بالفضْل وهو يَسْتَقِى ، ويُنْشِدُ هذا الشعر فَسَرا الفرزدقُ

ثيابه عنده ، ثم قال : أنا أساجلُكَ ، ثِقَةً منه بنَسَبه ، فقيل له : هذا الفَضْلُ ابن العباس بن عتبة بن أبى لهب فردّ الفرزدق ثيابه عليه ، ثم قال : ما يُساجلك إلا مَنْ عضَّ بأيْرِ أبيه ! يقال سَرَا ثوبَهُ وَنَضَا ثوبه فى معنى واحد : إذا نزعه ، ويقال : سَرَى عليه الهَمُّ إذا أتى ليلا ، وأنشد :

سَرى هَمِّى وَهمُّ المَرْءِ يَسْرِى ‏ ‏ (وَغارَ النَّجْمُ إلاَّ قِيدَ فِتْرِ

البيت لعُرْوَةَ بن أُذَيْنَةَ اللَّيْثِيّ شيخ مالك بن أنسٍ) ، وسَرَى هَمُّهُ إذا ذهب عنه :

والمواضَخَةُ مثل المُساجلة ، قال العَجَّاجُ :

* تُوَاضِخُ التَّقْرِيبَ قِلْوًا مِخْلَجًا * أى تُخْرِجُ من العَدْو مثل مايُخْرِجُ ، قال الله عز وجل على مَخْرَجِ كلام العرب وأمثالهم : « فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ » وأصل الذَّنوب الدَّلْوُ كما ذكرتُ لك .

وقال عَلْقَمَةُ بن عَبَدَةَ للحارث بن أبى شَمِرٍ الغَسَّانِيّ : (قال أبو الحسن غير أبى العباس يقول شِمْرٌ وبعضهم يقول شَمْرٌ) وكان أخوه أسيرا عنده ، وهو شَأْسُ بن عَبَدَةَ أسَرَهُ فى وقعة عين أُباغَ[1] (قال أبو الحسن غيره يقول إباغَ) فى الوقعة التى كانت بينه وبين المُنْذِرِ بن ماء السَّماء فى كلمةٍ له مَدَحَهُ فيها :

وَفى كُلِّ حَيٍّ قَدْ خَبَطْتَ بِنِعْمَةٍ ‏ ‏ فَحُقَّ لِشَأْسٍ مِنْ نَدَاكَ ذَنُوبُ

فقال المَلِكُ : نعم وَأَذْنِبَةٌ .

---

(١) اسم واد وراء الأنبار على طريق الفرات إلى الشام ، وفيه يقول الحماسى :

بعين أُباغ قاسمنا المنايا ‏ ‏ فكان قسيمها خير القسيم

وقوله : وقد كَرَبَتْ أعناقُها أن تَقَطَّعا . يقول سُقِيَتْ هذا السَّجْل وقد دَنَتْ أعناقُها من أن تَقَطَّعَ عطشا . وكَرَبَ في معنى المقاربة . يقال كاد يفعلُ ذلك ، وجَعَلَ يفعلُ ذلك ، وكَرَبَ يفعلُ ذلك . أي دنا من ذلك . ويقال : جاء زيد والخيلُ كارِبَتُهُ . أي قد دنَتْ منه وقرُبَتْ . فأما أخذَ يفعلُ ، وجَعَلَ يفعلُ ، فمعناهما أنه قد صار يفعل ، ولا تقع بعد واحدة منهما أَنْ فأما كاد وكرب فأنْ لا تُستَعْمَلُ بعد واحدة منهما إلا أن يَضْطَرَّ شاعرٌ . قال الله عز وجل : « إذا أخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا » أي لم يقرُبْ من رؤيتها . وإيضاحه لم يرها ولم يَكَدْ . وكذلك : « يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ » ، وكذلك : « كَادَ تَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ » بغير أنْ . ومن أمثال العرب : كادَ النَّعامُ يطير . وكاد العَروسُ يكون أميرًا . وكاد المُنتعِلُ يكون راكبًا . وقد اضْطُرَّ الشاعرُ فأدْخَلَ أن بعد كاد . كما أدخلها هذا بعد كَرَبَ . فقال : ☆ وَقَدْ كَرَبَتْ أَعْنَاقُهَا أَنْ تَقَطَّعَا ☆

وقال رُؤْبَةُ : ☆ قَدْ كَادَ مِنْ طُولِ الْبِلَى أَنْ يَمْصَحَا[1] ☆ فكاد بمنزلة كَرَبَ في الإعمال والمعنى . قال الشاعر :

أَغِثْنِي غِيَاثًا يَا سُلَيْمَانُ إِنَّنِي ... سَبَقْتُ إِلَيْكَ الْمَوْتَ وَالْمَوْتُ كَارِبِي

خَشْيَةَ جَوْرٍ مِنْ أَمِيرٍ مُسَلَّطٍ ... وَرَهْطِي وَمَا عَادَاكَ مِثْلُ الْأَقَارِبِ

وقوله لَمَّا أَوْشَكَتْ أَنْ تَضَلَّعَا يقول لما قارَبَتْ ذلك . والوَشِيكُ[2] القريب من الشيء ، والسريع إليه ، يقال يُوشِكُ فلانٌ أن يفعل كذا وكذا ، والماضي

(١) يمصح : يدرس ، ومصحت الدار تمصح مصوحا : درست وبليت .
(٢) هذا من وشك - بالضم - بمعنى سرع ، وليس من أوشك .

منه أَوْشَكَ ، ووقعتْ بأنْ وهو أجود ، وبغير أنْ كما كان ذلك فى لَعَلَّ ، تقول لعلَّ زيداً يقوم فهذه الجيدةُ ، قال الله عزّ وجل : « لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ، ولَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ، وَلَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا » وقال مُتَمِّمُ بن نُوَيْرَةَ :

لَعَلَّكَ يَوْمًا أَنْ تُلِمَّ مُلِمَّةٌ   عَلَيْكَ مِنَ اللَّائِى يَدَعْنَكَ أَجْدَعَا

وعَسَى الأجودُ فيها أن تُسْتَعْمَلَ بأنْ ، كقولك عسى زيد أن يقوم ، كما قال الله عزّ وجل « فَعَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ » وقال جلَّ ثناؤه « عَسَى اللهُ أن يتوب عليهم » ويجوز طَرْحُ أنْ وليس بالوجه الجيد ، قال هُدْبَةُ :

عَسَى الْكَرْبُ الَّذِى أَمْسَيْتَ فِيهِ   يَكُونُ وَرَاءَهُ فَرَجٌ قَرِيبُ

وقال آخر[1] :

عَسَى اللهُ يُغْنِى عَنْ بِلَادِ ابْنِ قَادِرٍ[2]   بِمُنْهَمِرٍ جَوْنِ الرَّبَابِ سَكُوبِ

وحروف المُقَارَبة لها باب قد ذكرناها فيه على مقاييسها فى الكتاب المُقْتَضَب بغاية الاستقصاء . وقوله : أن تَضَلَّعَا ، معناه أن تمتلئ ، وأصله أن الطعام والشراب يَبْلُغَانِ الأَضْلَاعَ فيَكْظَّانِها[3] ، كذلك قال الأصمعى فى قولهم : أَكَلَ حتى تَضَلَّعَ ، وأما قول أبى وَجْزَةَ راحتْ بسِتِّينَ وَسْقًا فالوَسْقُ خمسة أَقْفِزَةٍ بمُلْجَمِ[4] البَصْرَةِ ، وفى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم « ليس فيما دونَ خَمْسةِ أَوْسُقٍ صَدَقَةٌ » ، فما كان أقل من خمسة وعشرين قفيزا بالقفيز الذى

---

(١) هو سماعة بن أشول .

(٢) كذا أنشده الجوهرى ، وغلطه ابن برى ، والصواب عنده « بلاد ابن قارب » وبعضهم رواه « تلاد ابن قارب » والتلاد : المال الموروث .

(٣) من الكظة وهى الامتلاء .   (٤) ملجم على وزن مكرم: مكيال لأهل البصرة .

وصفنا وهو نصف القفيز البَغْدَادىّ فى أرض الصدقة فلا صدقة فيه ، وإنما أراد أنه أخَذَ الكتابَ بهذه الأوْسُق ، فلذلك قال :

مَا إنْ رَأَيْتُ قَلُوصاً قبْلَها حَمَلَتْ ستِّينَ وَسْقا ولاَ جَابَتْ بهِ بَلَدَا

وأما قوله : ☆ يَقْرُونَ ضَيْفَهُمُ الْمَلْوِيَةَ الجُدُدَا ☆ فإنما أراد السياط . وجمع جَديدٍ جُدُدٌ ، وكذلك باب فَعيلٍ الذى هو اسم ، أو مضارع للاسم . نحو قَضِيبٍ وقُضُبٍ . ورَغِيف ورُغُف . وكذلك سَرِيرٌ وسُرُرٌ ، وجَديدٌ وجُدُدٌ ، لأنه يَجْرِى مَجْرَى الأسماء . وجَرِيرٌ وجُرُرٌ فما كان من المضاعف جاز فيه خاصةً أن تُبْدَلَ من ضمته فتحةٌ لأن التضعيف مُسْتَثْقَلٌ . والفتحة أخفُّ من الضمة . فيجوز أن يُمالَ إليها استخفافاً . فيقال : جُدَدٌ وسُرَرٌ . ولا يجوز هذا فى مثل قَضِيبٍ لأنه ليس بمضاعَف . وقد قرأ بعضُ القُرَّاء : « عَلَى سُرَرٍ مَوْضونَةٍ » . ويقال للسوط : الأصْبَحِىُّ يُنْسَبُ إلى ذى أصْبَحَ الحِمْيَرِىِّ ، وكان أوّلَ من اتّخذ هذه السِّياطَ التى يُعاقِبُ بها السلطانُ . ويقال له العِرْفاصُ والقَطِيعُ ، وقال الشَّمّاخُ : ☆ تَـكادُ تَطِيرُ مَنْ رَأَى الْقَطِيعِ ☆
وقال الصَّلَتانُ(١) العبْدِىُّ :

أَرَى أُمَّةً شَهَرَتْ سَيْفَهَا وَقَدْ زِيدَ فى سَوْطِها الأَصْبَحِىُّ

وقال الراعى(٢) :

أَخَذُوا الْعَرِيفَ فَقَطَّعُوا حَيْزُومَهُ(٣) بِالْأَصْبَحِيَّةِ قائماً مَغْلُولاَ

وقال الراجز : ☆ حَتَّى تَرَدَّى طَرَفُ الْعِرْفاصِ ☆ وقوله: ولاَجابَتْ به بَلَدَا ،

---

(١) لقب قثم بن خبية . (٢) يشكو إلى عبد الملك جور السعاة . (٣) الحيزوم : الصدر .

يقول ولا قطعتُ به ، يقال : جُبْتُ البلاد ، قال اللهُ عزّ وجل : « وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ(١) » ويقال رجل جَوَّابٌ جَوَّالٌ . وأَنْشَدَنى علىُّ ابن عبد الله قال أنشدنى القَحْذَمِىُّ :

مَا مَنْ أَتَتْ مِنْ دُونِ مَوْلِدِهِ خَمْسُونَ بِالمَعْذُورِ بِالْجَهْلِ
فَإِذَا مَضَتْ خَمْسُونَ عَنْ رَجُلٍ تَرَكَ الصِّبَا وَمَشَى عَلَى رِسْلِ

وأَمَرَ مُصْعَبُ بن الزُّبَيْرِ رجلا من بنى أَسَدِ بن خُزَيْمَةَ بقتل مُرَّةَ بن مُحْكَانَ السَّعْدِيِّ . فقال مُرَّةُ فى ذلك :

بَنِى أَسَدٍ إِنْ تَقْتُلُونِى تُحَارِبُوا تَمِيماً إِذَا الحَرْبُ العَوَانُ اشْمَعَلَّتِ
وَلَسْتُ وَإِنْ كَانَتْ إِلَىَّ حَبِيبَةً بِبَاكٍ عَلَى الدُّنْيَا إِذَا مَا تَوَلَّتِ

قوله : إذا الحرب العوان فهى التى تكون بعد حَرْبٍ قد كانت قبلها ، وكذلك أصل العوان فى المرأة إنما هى التى قد تزوجت ، ثم عاودتْ فخرجتْ عن حدِّ البِكْرِ . وقول الله عز وجل فى كتابه العزيز : « لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ » هو تمام الكلام ، ثم استأنف فقال : « عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ » والفارضُ هاهنا المسنّة ، والبِكْرُ الصغيرة ، ويقال لهاةٌ فارضٌ : أى واسعة ، وفَرْضُ القَوْسِ موضع مَعْقِدِ الْوَتَرِ ، وكل حَزٍّ فَرْضٌ ، والفُرْضَةُ مُتَطَرَّقٌ إلى النَّهْرِ . قال الراجز : ٭ لَهَا زِجَاجٌ وَلَهَاةٌ فَارِضُ ٭ وقوله اشْمَعَلَّتْ : إنما هو ثارتْ فأسرعتْ ، قال الشَّمَّاخُ :

رُبَّ ابْنِ عَمٍّ لِسُلَيْمَى مُشْمَعِلّْ أَرْوَعَ فِى السَّفَرِ وَفِى الحَىِّ غَزِلْ
٭ طَبَّاخِ سَاعَاتِ الْكَرَى زَادَ الْكَسِلْ ٭

---

(١) قال الفراء : خرقوه فاتخذوا منه بيوتا ، من الجوب وهو الخرق والنقب.

وقوله ☆ ولَسْتُ وإن كانتْ إلىّ حبيبة بباكٍ على الدنيا ☆ إنما هو على التقديم والتأخير ، أراد ولست بباكٍ على الدنيا ، وإن كانت إلىّ حبيبة ، ولولا هذا التقدير لم يجز أن يُضْمَر قبل الذِّكْر ، ومثله :

إنْ تَلْقَ يوْمًا عَلَى عِلاَّتِهِ هَرِمًا   تَلْقَ السماحَةَ منْهُ وَالنَدى خُلُقا

وكذلك قول حَسَّان بن ثابت :

قَدْ ثَكِلَتْ أُمُّهُ مَنْ كُنْت واحِدَهُ   أوْ كَانَ مُنْتَشِبا فى بُرْثُن الأسد

يقول من كنت واحده قد ثَكِلَتْ أُمُّهُ ، وكذلك قوله :

شَرَّ يَوْمَيْهَا وَأَخْزَاهُ لَهَا   رَكِبتْ هِنْدُ بِحِدْجٍ جَمَلا

يقول ركبت هند بِحِدْجٍ جَملاً فى شَرِّ يَوْمَيْها . وقال رجل من مُزَيْنَة :

خَليلَىَّ بِالْبَوْبَاةِ عُوجَا فَلاَ أرَى   بِها مَنْزِلاً إلاَّ جديبَ الْمُقيَّد

نَذُقْ بَرْدَ نَجْدٍ بعْدَ مَا لَعِبَتْ بِنا   تِهامَـــةُ فى حَمَّامِهَا الْمُتَوقّد

قوله : بالبوباة ، فهى الْمُتَّسَعُ من الأرض ، وبعضهم يقول هى المَوْماة بعينها قلبت الميم باء لأنهما من الشَّفَةِ ، ومثلُ ذلك كثير يقولون ما أُسْمَكَ وبا أُسْمِكَ ويقولون ضَرْبَةُ لازمٍ ولازِبٍ ، ويقولون هذا ظَأْمِى وظَأْبِى يعنون السِّلْف (قال أبو الحسن الجيّدُ سِلفٌ ، وما قال ليس بممتنع) ويقولون زُكْبَةُ سَوْءٍ وزُكْمَةُ سَوْءٍ : أى وَلَدُ سَوْءٍ ، ويقولون عَجْمُ الذَّنَب ، وعَجْبُ الذَّنَب ، ويقولون رجل أخْرَمُ وأخْرَبُ وهذا كثير ، وقال عُمَرُ بن أبى رَبيعة :

عُوجا نُحَيِّي الطَّلَلَ الْمُحْوِلاَ[1]   والرَّبْعَ مِنْ أَسْماءَ وَالمَنْزِلاَ

---

(١) الذى أتى عليه الحول .

بِجَانِبِ الْبَوْبَاةِ لَمْ يَعْدُهُ ... تَقَادُمُ الْعَهْدِ بِأَنْ يُؤْهَلَا

وقوله : إلا جَدِيبَ الْمُقَيَّدِ ، يقال : بلد جَدْبٌ وجَدِيبٌ ، وخَصْبٌ وخَصِيبٌ ، والأصل فى النعت خَصِيبٌ ومُخْصِبٌ ، وجَدِيبٌ ومُجْدِبٌ ، والخَصْبُ والجَدْبُ إنما هما ماحلَّ فيه . وقيل : خَصِيبٌ وأنت تريد مُخْصِبٌ ، وجَدِيبٌ وأنت تريد مُجْدِبٌ ، كقولك عذاب أليمٌ وأنت تريد مُؤْلِمٌ . قال ذو الرمة :

وَنَرْفَعُ مِنْ صُدُورِ شَمَرْدَلَاتٍ ... يَصُكُّ وُجُوهَهَا وَهَجٌ أَلِيمُ

ويقال رجل سَمِيع : أى مُسْمِعٌ . قال عَمْرُو بن مَعْدِيكرب :

أَمِنْ رَيْحَانَةَ الدَّاعِي السَّمِيعُ ... يُؤَرِّقُنِى وَأَصْحَابِى هُجُوعُ

وأما قوله : الْمُقَيَّدُ ، فهو موضع التقييد ، وكل مَصْدَرٍ زيدت الميمُ فى أوله إذا جاوزْتَ الفعل من ذوات الثلاثة ، فهو على وزن المَفْعُول ، وكذلك إذا أردتَ اسم الزمان ، واسم المكان ، تقول أَدْخَلْتُ زيداً مُدْخَلاً كريمًا ، وسَرَّحْتُهُ مُسَرَّحًا حسنًا ، واستخرجتُ الشيء مُسْتَخْرَجًا ، قال جرير :

أَلَمْ تَعْلَمْ مُسَرَّحِيَ الْقَوَافِى ... فَلَا عِيًّا بِهِنَّ وَلَا اجْتِلَابَا

أى تَسْرِيحِي ، وقال عز وجل : « وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا » ويقال قمتُ مَقاما ، وأقمتُ مُقامًا ، وقال عز وجل : « إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا » أى موضع إقامة . وقال الشاعر (حُمَيْدُ بن ثَوْرٍ الهلاليّ :

تَطُولُ الْقِصَارَ وَالطِّوَالُ يَطُلْنَهَا ... فَمَنْ يَرَهَا لَا يَنْسَهَا ما تَكَلَّمَا)

وَمَا هِيَ إِلَّا فِى إِزَارٍ وَعِلْقَةٍ ... مُغَارَ ابْنِ هَمَّامٍ عَلَى حَيِّ خَثْعَمَا

يريد زمنَ إغارةِ ابن هَمَّامٍ ، وأما قوله : نَذُقْ بَرْدَ نَجْدٍ ، فذاك لأن نجدًا مرتفعةٌ وتهامةُ غَوْرٌ منخفض ، فنَجْدٌ باردة .



ويروى عن الأصْمَعِىِّ أنه قال : هَجَمَ علىَّ شهرُ رمضان وأنا بمكة . فخرجتُ إلى الطائف لِأَصُومَ بها هَرَبًا من حرِّ مكة . فلقينى أعرابى فقلت له : أين تريد ؟ فقال : أريد هذا البلد المبارك لأصوم هذا الشهر المبارك فيه . فقلت له : أما تخاف الحرّ ؟ فقال : من الحرّ أفِرُّ .

وهذا الكلام نظير كلام الرَّبيع بن خُثَيْمٍ ، فإن رجلا قال له — وقد صَلَّى ليلةً حتى أصبح — أتْعَبْتَ نفسك ، فقال : راحتَها أطلبُ . إنّ أفْرَهَ العَبيد(١) أكْيَسُهُمْ .

ونظير هذا الكلام قولُ رَوْح بن حاتم بن قَبيصة بن المُهَلَّبِ — ونظر إليه رجل واقفاً بباب المنصور فى الشمس — فقال : قد طال وُقوفك فى الشمس ؟ فقال رَوْحٌ : ليطول وقوفى فى الظل .

ومثله من الشعر قوله : (قال أبو الحسن هو عُرْوَةُ بنُ الوَرْدِ العَبْسِىُّ).

تَقُولُ سُلَيْمَى لَوْ أَقَمْتَ بِأَرْضِنَا ... وَلَمْ تَدْرِ أَنِّى لِلْمَقَامِ أُطَوِّفُ

(لَعَلَّ الَّذِى خَوَّفْتِنَا مِنْ وَرَائِنَا ... سَيُدْرِكُهُ مِنْ بَعْدِنَا الْمُتَخَلِّفُ(٢))

ويروى لَسَرَّنا ، وقال آخر :

سَأَطْلُبُ بُعْدَ الدَّارِ مِنْكُمْ لِتَقْرُبُوا ... وَتَسْكُبُ عَيْنَاىَ الدُّمُوعَ لِتَجْمُدَا

---

(١) أى أنشطهم ، من الفراهة وهى النشاط ، والفعل من باب كرم . (٢) رواية الديوان :

أرى أم حسان الغداة تلومنى ... تخوفنى الأعداء والنفس أخوف

لعل الذى خوّفتنا من أمامنا ... يصادفه فى أهله المتخلف

وهذا معنى كثير حسن جميل ، وقال حَبيبُ بن أَوْس الطائِيُّ :

أَآلِفَةَ النَّحِيبِ كَمِ افْتِرَاقٍ   أَجَدَّ فَكانَ دَاعِيَةَ اجْتِماعِ
وَلَيْسَتْ فَرْحَةُ الأَوْبَاتِ إِلاَّ   لِمَوْقُوفٍ عَلَى تَرَحِ الْوَدَاعِ

وقال رجل واُعْتَلَّ فى غُرْبَةٍ فتذَكَّرَ أهله :

لوْ أَنَّ سَلْمَى أَبْصَرَتْ تَخَدُّدِى   وَدِقَّةً فى عَظْمِ ساقِي وَيَدِى
وَبُعْدَ أَهْلِى وَجَفاءَ عُوَّدِى   عَضَّتْ مِنَ الْوَجْدِ بِأَطْرَافِ الْيَدِ

قوله : أبصرت تخدُّدى ، يريد ما حَدَثَ فى جسمه من النُّحول ، وأصل الخَدِّ ما شَقَقْتَهُ فى الأرض ، قال الشَّمَّاخُ :

فَقُلْتُ لَهُمْ خُدُّوا لَهُ بِرِماحِكُمْ   بِطامِسَةِ الأَعْلامِ خَفَّاقَةِ الآلِ

ويقال للشيخ : قد تَخَدَّدَ ، يراد قد تَشَنَّجَ جِلْدُهُ ، وقال اللّٰه عزَّ وجل : « قُتِلَ أَصْحابُ الأُخْدُودِ » . وقيل فى التفسير : هؤلاء قوم خَدُّوا أخاديدَ فى الأرض ، وأشعلوا فيها نيرانًا لِحَرَّقوا بها المؤمنين ، وقوله : عَضَّتْ من الْوَجْدِ بأطراف اليد . فإن الحَزين ، والمَغيظ . والنادِمَ ، والمُتأَسِّف يَعَضُّ أطراف أصابعه جزعًا ، قال اللّٰه عز وجل : « عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنامِلَ مِنَ الْغَيْظِ » وفى مثل ما ذكرنا من تَخَدُّدِ لحم الشيخ ، يقول القائل :

(ذَهَبَ الشَّبابُ فَلاَ شَبابَ جُمانا[١]   وَكَأَنَّ ما قَدْ كَانَ لَمْ يَكُ كَانَا
وَطَوَيْتُ كَفِّى يَاجُمانُ عَلَى الْعَصَا   وَكَفَى جُمانَ بِطَيِّهَا حَدَثانَا)
يَا مَنْ لِشَيْخٍ قَدْ تَخَدَّدَ لَحْمُهُ   أَفْنَى ثَلاَثَ عَمائِمٍ أَلْوانَا

---

(١) مرخم : جمانة .

(ألوانا صفة لثلاث على المعنى كأنه قال مختلفات) :

سَوْدَاءَ حالِكَةً وَسَحْقَ مُفَوَّفٍ ... وَأَجَدَّ لَوْنًا بَعْدَ ذَاكَ هِجَانَا

(صَحِبَ الزَّمانَ على اخْتِلافِ فُنُونِهِ ... فأراهُ مِنْهُ كَرَاهَةً وَهَوَانَا

قَصَرَ اللَّيالِى خَطْوَهُ فَتَدَانَى ... وَحَنَوْنَ قَائِمَ صُلْبِهِ فَتَحَانَى

وَالمَوْتُ يَأْتِى بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ ... وَكَأَنَّمَا يُعْنَى بِذَاكَ سِوَانَا

قوله : أفنى ثلاثَ عمائمٍ ألوانا ، يعنى أن شعره كان أسود ، ثم حدث فيه شيب مع السواد . فذلك قوله : مُفوَّفٌ . والتَّفْوِيفُ : التنقيش ، وإنما أخذ من الفُوف ، وهى النكتة البيضاء التى تحْدُثُ فى أظفار الأحْداث ، وسميت بذلك لشَبَهها بشجرة . يقال لها الفُوفَةُ[1] وجمعها فُوفٌ . والسَّحْقُ : الخَلَقُ . يقال عنده : سَحْقُ ثوبٍ[2] ، وجَرْدُ ثوْبٍ ، وسَمَلُ ثوب ، وقوله أجَدَّ : أى اسْتَجَدَّ لونا ، والهجان الأبيضُ . وهى العمامة الثالثة ، يعنى حيث شَمِلَهُ الشيب.

---

(١) قال الشيخ المرصفى : كيف تشبه النكتة البيضاء بشجرة ؟ على أن اللغة لا تعرف شجرة اسمها الفوفة ، وقد فسرها الجوهرى قال : هى الحبة البيضاء فى باطن النواة التى تنبت منها النخلة .

(٢) من إضافة الصفة للموصوف .

باب

قال أبو العباس : من أمثال العرب : لم يَذْهَبْ من مالك ما وعَظَك . يقول إذا ذهب من مالك شيء فحَذَّرَكَ أن يَحُلَّ بك مِثْلُهُ فتأديبهُ إياكَ عِوضٌ من ذهابه .

ومن أمثالهم : رُبَّ عَجَلَةٍ تَهَبُ رَيْثا . وتأويله أن الرجل يَعْمَلُ العمل فلا يُحْكِمُهُ للاستعجال به فيحتاج إلى أن يعود فينقضه ثم يستأنف ، والرَّيْثُ الإبْطاء ، وراثَ عليه أمْرُهُ إذا تأخر .

ومن أمثال العرب : عَشِّ ولا تَغْتَرَّ . وأصل ذلك أن يَمُرَّ صاحبُ الإبل بالأرض المُكْلِئَةِ ، فيقول : أدعُ أنْ أُعَشِّيَ إبلي منها حتى أرِدَ على أخرى ، ولا يَدْرِي ما الذي يَرِدُ عليه ، وقريب منه قولهم : أن تَرِدَ الماءَ بماءٍ أَكْيَسُ . وتأويله أن يَمُرَّ الرجل بالماء فلا يَحْمِلَ منه اتِّكالاً على ماء آخر يصير إليه ، فيقال له : أن تَحْمِلَ معكَ ماءً أَحْزَمُ لك ، فإن أصبتَ ماء آخر لم يضرك ، فإن لم تَحْمِلْ نخفقتَ من الماء عَطِبْتَ .

ومن أمثالهم : قد أَحْزِمُ لو أعْزِمُ ، يقول : أعْرِفُ وجه الحَزْمِ فإن عَزَمْتُ فأمضيتُ الرأي فأنا حازِمٌ ، وإن تركت الصواب وأنا أراه وضَيَّعْتُ العَزْمَ لم ينفعني حَزْمي ، ومثله قول النابغة الجَعْدي :

أَبَى لِي الْبَلَاءَ وَأَنِّي امْرُؤٌ إِذَا مَا تَبَيَّنْتُ لَمْ أَرْتَبِ

وقال أعرابي يمدح سَوَّارَ بن عبد الله :

وَأَوْقَفُ عِنْدَ الْأَمْرِ مَا لَمْ يَضِحْ لَهُ   وَأَمْضَى إِذَا مَا شَكَّ مَنْ كَانَ مَاضِيَا

فالذي يُحْمَدُ إمْضاء ماتبين رُشْدُهُ ، فأما الإقدام على الغَرَرِ[1] ورُكوب الأمر على الخَطَرِ ، فليس بمحمود عند ذوي الألباب ، وقد يتحسَّنُ بمثله الفُتَّاكُ ، كما قال (هو سَعْدُ بن ناشِبٍ المازنيُّ عن الرِّياشيِّ وغيره) :

عَلَيْكُمْ بِدَارِي فَاهْدِمُوهَا فَإِنَّهَا   تُرَاثُ كَرِيمٍ لَا يَخَافُ الْعَوَاقِبَا

إِذَا هَمَّ أَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزْمَهُ   وَأَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِ الْعَوَاقِبِ جَانِبَا

وَلَمْ يَسْتَشِرْ فِي رَأْيِهِ غَيْرَ نَفْسِهِ   وَلَمْ يَرْضَ إِلَّا قَائِمَ السَّيْفِ صَاحِبَا

فهذا شأن الفُتَّاكِ ، وقال الآخر :

غُلَامٌ إِذَا مَا هَمَّ بِالْفَتْكِ لَمْ يُبَلْ   أَلَامَتْ قَلِيلاً أَمْ كَثِيراً عَوَاذِلُهْ

وقال آخر :

وَمَا الْعَجْزُ إِلَّا أَنْ تُشَاوِرَ عَاجِزاً   وَمَا الْحَزْمُ إِلَّا أَنْ تَهُمَّ فَتَفْعَلَا

فأما قول عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه : مَنْ أَكْثَرَ الفِكْرَةَ في العَواقِبِ لم يَشْجُعْ ، فتأويله أنه من فَكَّرَ في ظَفَرِ قِرْنِهِ به ، وعُلُوِّهِ عليه ، لم يُقْدِمْ ، وإنما كان الْحَزْمُ عند عليٍّ رضى الله عنه أن يَحْظُرَ أمرَ الدين ثم لا يُفَكِّرَ في الموت ، وقد قيل له : أتقتل أهل الشام بالغداة ، وتَظْهَر بالعَشِيِّ في إزارٍ ورِدَاءٍ ؟ فقال : أبا الموتِ أُخَوَّفُ ؟ والله ما أبالى أسَقَطْتُ على الموت ، أم سَقَطَ الموتُ عليَّ .

---

(١) هو التغرير بالنفس ، وتعريضها للهلاك .

وقال للحسن ابنِهِ : لاَ تَبْدَأْ بدعاء إلى مُبارَزَةٍ ، فإن دُعيتَ إليها فأَجِبْ، فإنَّ طالبها باغ والباغي مَصْرُوع .

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يَلْتَفُّ في كِسائِهِ وينام ناحية المسجد ، فلما وَرَدَ الْمَرْزُبانُ عليه (كذا وقعت الرواية المَرْزُبان ، والصواب الهُرْمُزَان ، وكان صاحبَ تُسْتَرَ) جعلوا يسألون عنه ، فيقال : مَرَّ هاهنا آنِفًا ، فيَصْغُرُ في قلب المَرْزُبان إذ رآه كبعض السُّوَق ، حتى أُنتهى إليه ، وهو نائم في ناحية المسجد ، فقال المَرْزُبان : هذا والله الْمُلْكُ الهنيء . يقول لا يحتاج إلى أَحْرَاسٍ ولا عُدَدٍ ، فلما جلس عمر امتلأ قلبُ العِلْج منه هَيْبةً لما رأى عنده من الجِدِّ والاجتهاد ، وأُلْبِسَ من هَيْبةِ التقوى .



وقال الكَلْبِي : قال لى خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كُرْزٍ القَسْرِيُّ : ما تَعُدُّون السُّودَد ؟ فقلتُ : أما في الجاهلية فالرِّياسة، وأما في الإسلام فالولاية، وخَيْرٌ من ذا وذاك التَّقْوى ، فقال لى : صَدَقْتَ كان أبى يقول: لم يُدْرِك الأولُ الشَّرَفَ إلا بالفعل ، ولا يدركه الآخِرُ إلا بما أدركَ به الأولُ ، قال فقلتُ : صدقَ أبوكَ ، ساد الأَحْنَفُ بحلمه ، وساد مالك بن مِسْمَعٍ بمحبة العَشيرة له ، وساد قُتَيْبَةُ بدهائه ، وساد المُهَلَّبُ بجميع هذه الخِلال ، فقال لى : صدقتَ ، كان أبى يقول : خيرُ الناسِ للناس خيرهم لنفسه ، وذلك أنه إذا كان كذلك أتَّقَى على نفسه من السَّرَق لئلا يُقْطَعَ ، ومن القَتْل لئلا يُقادَ ، ومن الزنا لئلا يُحَدَّ ، فَسَلِمَ الناس منه بإتقائه على نفسه .

قال أبو العباس : وكان عبد اللّٰه بن يزيد أبو خالد من عقلاء الرجال ، قال له عبد الملك يومًا : ما مالُكَ ؟ فقال : شيئان لا عَيْلَةَ عليَّ معهما ، الرضا عن اللّٰه ، والغِنى عن الناس . فلما نَهَضَ من بين يديه قيل له : هَلاَّ خَبَّرْتَه بمقدار مالِكَ ؟ فقال : لم يَعْدُ أن يكون قليلا فيَحْقِرَنى ، أو كثيراً فيَحْسُدَنى .

وقال رسول الله صلى اللّٰه عليه وسلم : مَنْ سَرَّهُ أن يكون أعزَّ الناسِ فَلْيَتَّقِ اللّٰه ، ومن سَرَّهُ أن يكون أغْنَى الناسِ فلْيَكُنْ بما فى يد الله أوْثقَ منه بما فى يده ، ومَنْ سَرَّهُ أن يكون أقْوَى الناسِ فليتوكل على اللّٰه .

وقال علىّ بن أبى طالب رضى اللّٰه عنه : مَنْ سَرَّهُ الغِنى بلا مال . والعِزّ بلا سُلْطانٍ ، والكثرة بلاعَشيرةٍ ، فلْيَخْرُجْ من ذُلِّ معصية الله إلى عزّ طاعته ، فإنه واجد ذلك كله .

وخَطَبَ رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم ذاتَ يوم فَحَمِدَ اللّٰه بما هو أهْلُهُ ثم أقْبَلَ على الناس ، فقال : أيها الناس إن لكم مَعالِمَ فانْتَهُوا إلى مَعالِمِكُمْ . وإن لكم نِهايةً فانتهوا إلى نهايتكم ، فإن العبد بين مَخافَتَيْنِ : أجَلٌ قد مضى لا يَدْرِى ما اللّٰه فاعِلٌ فيه، وأجَلٌ باق لايَدْرِى ما اللّٰهُ قاضٍ فيه ، فَلْيَأْخُذِ العبدُ من نفسه لنفسه ، ومن دنياه لآخرته ، ومن الشّبيبة قبل الكِبَرِ ، ومن الحياة قبل المماتِ ، فوالذى نفسُ محمد بيَدِهِ ما بعد الموت من مُسْتَعْتَبٍ ، ولا بعد الدنيا من دار إلا الجَنةُ أو النارُ .

وقال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم أمرنى ربى بتسع : الإخلاصُ فى السِّرِّ والعَلانِيةِ ، والعَدْلُ فى الغَضب والرِّضا ، والقَصْدُ فى الفقر والغنى ،

وأن أعْفُوَ عمن ظلمني ، وأصِلَ من قَطَعَني ، وأُعْطِيَ مَنْ حَرَمَني ، وأن يكون نُطْقِي ذِكراً ، وصَمْتِي فِكْرًا ، ونَظَرِي عِبْرَةً .

⁂

وحُدِّثْتُ أنه الْتَقَى حَكِيمانِ ، فقال أحدهما للآخر إني لَأُحِبُّكَ في اللهِ ، فقال له الآخر : لو علمتَ مني ما أعْلَمُهُ من نفسي لأَبْغَضْتَنِي في اللهِ ، فقال له صاحبه لو عَلِمْتُ منك ما تَعْلَمُهُ من نَفْسِك ، لكان لي فيما أعْلَمُهُ من نفسي شُغْلٌ .

وكان مالِكُ بن دِينارٍ يقول : جاهدوا أهْواءَكُمْ كما تُجاهدون أعْداءكم .

وكان يقول : ما أَشَدَّ فطامَ الكبير .

وقيل لعمر بن عبد العزيز : أيُّ الجهادِ أفضلُ ؟ فقال : جهادُكَ هَواكَ .

وكان الحسن يقول : حادِثوا هذه القلوبَ ، فإنها سريعة الدُّثور ، واقْدَعُوا هذه الأنْفُسَ ، فإنها طُلَعةٌ ، وإنكم إلاَّ تَقْدَعوها تَنْزِعْ بكم إلى شَرِّ غاية .

قوله : حادثوا مَثَلٌ ، ومعناه اجْلُوا واشْحَذُوا ، تقول العرب : حادَثَ فلانٌ سَيْفَهُ إذا جلاه وشَحَذَهُ ، وقال زَيْدُ الْخَيْلِ :

وَقَدْ عَلِمَتْ سَلاَمَةُ أَنَّ سَيْفِي … كَرِيهٌ كُلَّمَا دُعِيَتْ نَزَالِ
أُحادِثُهُ بِصَقْلٍ كُلَّ يَوْمٍ … وَأَعْجُمُهُ بِهَامَاتِ الرِّجَالِ

قوله أَعْجُمُهُ بهامَاتِ الرِّجالِ : أي أَعَضُّهُ ، يقال عَجَمَهُ إذا عَضَّهُ ، والدثور الدُّروسُ ، يقال : دَثَرَ الرَّبْعُ إذا انْمَحى ، ومعناه تَعَهَّدُوها بالفِكْرِ والذِّكْرِ وقوله : فإنها طُلَعَةٌ ، يقول كثيرة التَّشَوُّفِ والتَّنَزِّي إلى ما ليس لها ، وأنشد الأَصْمَعِيُّ :

وَلاَ تَملَّيتِ مِنْ مَالٍ وَلاَ عُمُرٍ إلاَّ بِمَا سَاءَ نَفْسَ الحَاسِدِ الطُّلَعَهْ

(الرواية الصحيحة بكسر التاء لا غير لأنه يخاطب امرأة تقدم ذكرها فى الشعر يدعو عليها) قال ويقال للجارية إذا كانت تُبْرِزُ وجهها لِتُرِىَ حُسْنَها ثم تُخْفيه لتُوهِمَ الحَيَاء : خُبَأَةٌ طُلَعَةٌ .

وكان عمر بن عبد العزيز رحمه اللّٰه يقول : أيها الناس إنما خُلِقْتُمْ للأبَدِ ولكنكم تُنْقلون من دارٍ إلى دارٍ . ويروى عن المَسِيحِ صلواتُ اللّٰه عليه وسلامه أنه كان يقول : إن احتجتم إلى النَّاس فكلُوا قَصْدًا وامْشوا جانبا .

ولَمَّا اُحْتُضِرَ قَيْسُ بن عاصِمٍ قال لبنيه : يا بَنِيَّ احفظوا عنى ثلاثا ، فلا أَحَدَ أَنْصَحُ لكم منى ، إذا أنا مِتُّ فَسَوِّدوا كِبارَكم ، ولا تُسَوِّدوا صِغارَكم ، فيُحَقِّرَ الناسُ كبارَكم ، وتَهونوا عليهم ، وعَلَيْكُمْ بِحِفْظِ المالِ فإنه مَنْبَهَةٌ للكريم ، ويُسْتَغْنَى به عن اللئيم ، وإياكم والمَسْأَلة فإنها أَخِرُ كَسْبِ الرجل (أَخِرُ بقصر الهمزة لا غير ، ومن رواه بالمد أخطأ ، ومعنى أَخِرُ أَدْنَى وأَرْذَلُ) .

باب

قال أبو العباس : أُنْشِدْتُ لرجل من الأعْراب يَرْثى رجلا منهم :

فَلَوْ كَانَ شَيْخاً قَدْ لَبِسْنَا شَبَابَهُ وَلٰكِنَّهُ لَمْ يَعْدُ أَنْ طَرَّ شَارِبُهْ
وَقَاكَ الرَّدَى مَنْ وَدَّ أَنَّ ابْنَ عَمِّهِ يُرَى مُقْتِرًا أَوْ أَنَّهُ ذَلَّ جَانِبُهْ

وقال الآخر : (حسَّانُ بن ثابتٍ) لامرأته :

فَإِمَّا هَلَكْتُ فَلَا تَنْكِحِى ظَلُومَ الْعَشِيرَةِ حَسَّادَهَا
يَرَى مَجْدَهُ ثَلْبَ أَعْرَاضِهَا لَدَيْهِ وَيُبْغِضُ مَنْ سَادَهَا

وقال آخر : (قال أبو الحسن هو ليَزيدَ بن حَبْناء أو لصَخْرِ بن حَبْناء : يقوله لأخيه) :

لَحَا اللهُ أَكْبَانَا زِنَادًا وَشَرَّنَا وَأَيْسَرَنَا عَنْ عِرْضِ وَالِدِهِ ذَبَّا
رَأَيْتُكَ لَمَّا نِلْتَ مَالاً وَمَسَّنَا زَمَانٌ تَرَى فى حَدِّ أَنْيَابِهِ شَغْبَا
جَعَلْتَ لَنَا ذَنْبًا لِتَمْنَعَ نَائِلاً فَأَمْسِكْ وَلَا تَجْعَلْ غِنَاكَ لَنَا ذَنْبَا

قوله : أكبانا زناداً ، الزِّنادُ التى تُقْدَحُ بها النار ، ويقال ، أَوْرَى القادِحُ إذا خرجتْ له النارُ ، وأكْبَى إذا أَخْفَقَ منها ، هذا أصله يُضْرَبُ للرجل الذى يَنْبَعِثُ الخيرُ على يديه ، ويُضْرَبُ الإكْباءُ للذى يمتنعُ الخيرُ على يديه ، قال الأعشى :

وَزَنْدُكَ خَيْرُ زِنَادِ الْمُلُو كِ صَادَفَ مِنْهُنَّ مَرْخٌ عَفَارَا
وَلَوْ بِتَّ تَقْدَحُ فى ظُلْمَةٍ صَفَاةً بِنَبْعٍ لَأَوْرَيْتَ نَارَا

والمَرْخُ والعَفار شجر تُسْرِعُ فيه النار ، ومن أمثالهم : في كُلِّ شَجَرٍ نارٌ ، واسْتَمْجَدَ المَرْخُ والعَفارُ ، واسْتَمْجَدَ : اسْتَكْثَرَ ، يقال : أَمْجَدْتُهُ سَبًّا ، وَأَمْجَدْتُهُ ذَمًّا ، إذا أكثرتَ من ذلك ، ومن أمثالهم : أَرْخ يديك واسْتَرْخ ، إنَّ الزِّنادَ من مَرْخ . ويقال : رجل ذو شَغْبٍ إذا كان يَشْغَبُ على خصمه ، ضربه مَثَلاً للزمان الذى يَهِرُّ على أربابه ، أى يَمَسُّهُمْ بالفقر والجَدْبِ . وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب :

رَأَيْتُ فُضَيْلاً كَانَ شَيْئًا مُلَفَّفًا ... فَكَشَّفَهُ التَّمْحِيصُ حتى بَدَا لِيا
أَأَنْتَ أَخِي مَالَمْ تَكُنْ لِي حَاجَةٌ ... فَإِنْ عَرَضَتْ أَيْقَنْتُ أَنْ لاَ أَخَا لِيا
فَلاَ زَادَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَمَا ... بَلَوْتُكَ فى الْحَاجَاتِ إلاَّ تَمَادِيَا
فَلَسْتُ بِرَاءٍ عَيْبَ ذِي الْوُدِّ كُلَّهُ ... وَلاَ بَعْضَ مَا فِيهِ إذَا كُنْتُ رَاضِيَا
فَعَيْنُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ ... وَلَكِنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبْدِى المَسَاوِيَا
كِلاَنَا غَنِىٌّ عَنْ أَخِيهِ حَيَاتَهُ ... وَنَحْنُ إِذَا مُتْنَا أَشَدُّ تَغَانِيَا

قوله : كان شيئاً ملففاً يقول : كان أمراً مُغَطًّى ، والتمحيص الاختبار ، يقال : أدخلتُ الذَّهَبَ فى النار فَمَحَّصْتُهُ : أى خرج عنه ما لم يكن منه ، وخلص الذهبُ ، قال الله عزّ وجل : « وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ » ويقال : مُحِّصَ فلانٌ من ذنوبه ، وقوله :

* أَأَنْتَ أَخِي مَالَمْ تَكُنْ لِي حَاجَةٌ * تقرير وليس باستفهام ، ولكنَّ معناه إنى قد بَلَوْتُكَ تُظْهِرُ الإخاء فإذا بدت الحاجة لم أرَ من إخائك شيئاً قال الله عزّ وجل : « أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ »

إنما هو توبيخ وليس باستفهام ، وهو جل وعزّ العالِمُ بأنَّ عيسى لم يَقُلْهُ ، وقد ذكرنا التقرير الواقع بلفظ الاستفهام في موضعه من الكتاب المُقْتَضَب مُسْتَقْصًى ، ونذكر منه جملة في هذا الكتاب إن شاء اللّٰه تعالى .



وقال عليّ بن أبي طالب رضي اللّٰه عنه : ثلاثةٌ لا يُعْرَفون إلا في ثلاثٍ ، لا يُعْرَفُ الشُّجاعُ إلا في الحَرْبِ ، ولا الحَليمُ إلا عند الغضبِ ، ولا الصَّديقُ إلا عند الحاجة .

وقال عبد اللّٰه بن معاوية أيضاً (ذكر دِعْبِلٌ في أخبار الشُّعَراءِ له أن هذا الشعر لعبد الله بن الزَّبِيرِ الأَسَدِيِّ) :

أَنَّى يَكُونُ أَخَا أَوْ ذَا مُحافَظَةٍ ... مَنْ كُنْتَ في غَيْبِهِ مُسْتَشْعِرًا وَجِلاَ
إِذَا تَغَيَّبَ لَمْ تَبْرَحْ تَظُنُّ بِهِ ... سُوءًا وَتَسْأَلُ عَمَّا قالَ أَوْ فَعَلاَ

وقال آخر :

سَأَشْكُرُ عَمْرًا ما تَرَاخَتْ مَنِيَّتِي ... أَيَادِيَ لَمْ تُمْنَنْ وَإِنْ هِيَ جَلَّتِ
فَتًى غَيْرُ مَحْجُوبِ الْغِنَى عَنْ صَدِيقِهِ ... وَلاَ مُظْهِرُ الشَّكْوَى إِذَا النَّعْلُ زَلَّتِ
رَأَى خَلَّتِي مِنْ حَيْثُ يَخْفَى مَكَانُهَا ... فَكَانَتْ قَذَى عَيْنَيْهِ حَتَّى تَجَلَّتِ

وتمثل عليٌّ بن أبي طالب رضي اللّٰه عنه في طَلْحَة بن عُبَيْد الله رضي اللّٰه عنه :

فَتًى كانَ يُدْنِيهِ الْغِنَى مِنْ صَدِيقِهِ ... إِذَا مَا هُوَ اُسْتَغْنَى وَيُبْعِدُهُ الْفَقْرُ
فَتًى لاَ يَعُدُّ المَالَ رَبًّا وَلاَ تُرَى ... بِهِ جَفْوَةٌ إِنْ نَالَ مَالاً وَلاَ كِبْرُ

فَتًى كَانَ يُعْطِي السَّيْفَ فِى الرَّوْعِ حَقَّهُ ... إِذَا ثَوَّبَ الدَّاعِى وَتَشْقَى بِهِ الْجُزْرُ

وَهَوَّنَ وَجْدِى أَنَّنِى سَوْفَ أَغْتَدِى ... عَلَى إِثْرِهِ يَوْمًا وَإِنْ نَفَسَ الْعُمْرُ

(قال أبو الحسن : بعضهم يقول هو للأُبَيْرِدِ الرِّيَاحِىِّ . وبعد البيت الثالث :

فَلَا يُبْعِدَنْكَ اللّهُ إِمَّا تَرَكْتَنَا ... حَمِيدًا وَأَوْدَى بَعْدَكَ الْمَجْدُ وَالْفَخْرُ)



قال أبو العباس : حدثنى التَّوَّزِىُّ قال : حدثنى محمد بن عبَّاد بن حبيب ابن المُهَلَّبِ أحْسِبُهُ عن أبيه . قال : لما انقضى يوم الجَمَلِ ، خرج علىٌّ بن أبى طالبٍ رضى الله عنه فى ليلة ذلك اليوم ومعه قَنْبَرٌ وفى يده مَشْعَلَةٌ من نار يَتَصَفَّحُ القَتْلَى حتى وقف على رجلٍ ، قال التَّوَّزِىُّ فقلتُ : أهو طَلْحةُ ؟ قال نعم ، فلما وقف عليه قال : أَعْزِزْ عَلَىَّ أبا محمدٍ أَنْ أراكَ مُعَفَّرًا تحت نُجُوم السماء وفى بطون الأَوْدِيَة ، شَفَيْتُ نفسى وقتلتُ مَعْشَرِى ، إلى الله أَشْكُو عُجَرِى وبُجَرِى .

قوله مُعَفَّرًا : أى مُلْصَقَ الوجهِ بالتراب ، ويقال للتراب العَفَرُ والعَفْرُ ، يقال ما مَشَى عَلَى عَفْرِ الترابِ مِثْلُ فلانٍ . وقوله إلى الله أشكو عُجَرِى وبُجَرِى يقول ما أُسِرُّ من أمرى ، قال الأصمعى : وهو قولٌ سائرٌ فى أمثال العرب : لَقِىَ فلانٌ فلانًا فَأَبَثَّهُ عُجَرَهُ وبُجَرَهُ .

وقال النَّمِرُ بن تَوْلَبٍ : (كل نَمِرٍ فى العرب كالنَّمِرِ بن قاسِطٍ وغيره مَكْسُور النون مجزوم الميم إلا النَّمِرَ بن تَوْلَبٍ عن ابن دُرَيْدٍ ، قال أبو حاتم يقال النَّمْرُ بفتح النون وتسكين الميم ولا يقال النَّمِرُ) :

تَدَارَكَ مَا قَبْلَ الشَّبَابِ وَبَعْدَهُ حَــوَادِثُ أَيَّامٍ تَمُرُّ وَأَغْفَلُ
يَسُرُّ الْفَتَى طُولُ السَّلَامَةِ وَالْبَقَا فَكَيْفَ يَرَى طُولَ السَّلَامَةِ يَفْعَلُ
يَرُدُّ الْفَــتَى بَعْدَ اعْتِدَالٍ وَصِحَّةٍ يَنُوءُ إِذَا رَامَ الْقِيَامَ وَيُحْمَلُ

قصر البقاء ضرورة ، وللشاعر إذا اضْطُرَّ أن يَقْصُرَ الممدود ، وليس له أن يَمُدَّ المقصور ، وذلك أن الممدود قبل آخره ألف زائدة ، فإذا احتاج حذفها لأنها ألف زائدة ، فإذا حذفها ردَّ الشيء إلى أصله ، فلو مدَّ المقصور لكان زائداً في الشيء ما ليس منه ، قال الشاعر ، وهو يَزيدُ بن عمرو بن الصَّعِق :

فَرَغْتُمْ لِتَمْرِينِ السِّيَاطِ وَأَنْتُمُ يُشَنَّ عَلَيْكُمْ بِالْفِنَا كُلُّ مَرْبَعِ

فقصر الفِناء ، وهو ممدود . وقال الطِّرِمَّاحُ :

وَأَخْرَجَ أُمُّهُ لِسَوَاسِ سَلْمَى لِمَعْفُورِ الضَّرَا ضَرِمِ الْجَنِينِ

قوله وأخْرَجَ : يعنى رَماداً ، والأَخْرَجُ الذى فى لونه سواد و بياض ، يقال نَعامةٌ خَرْجاء ، وقوله لسواس سامى ، فإنَّ أَجأ وسَلْمَى جبلا طَيِّئ ، وسَواسُ سَلْمَى الموضع الذى بِحَضْرَةِ سَلْمَى ، يقال هذا من سُوس فُلانٍ ، ومن تُوس فلانٍ : أى من طَبْعِه ، وأُمُّهُ يعنى الشجرةَ التى هى أصله ، وقوله لمعفور الضَّرا فالضَّراء ما واراك من شجرٍ خاصَّةً ، والخَمَرُ ما واراك من شىء ، والمعفور ما سقط من النار من الزَّنْدِ ، وقوله ضرم الجنين يقول مُشْتَعِلٌ ، والجنين ما لم يَظْهَرْ بَعْدُ ، يقال لِلْقَبْرِ جَنَنٌ ، والجَنينُ الذى فى بطن أمه ، والمِجَنُّ التُّرسُ لأنه يَسْتُرُكَ ، والمجنون المُغَطَّى العقلِ ، ويسمى الجِنُّ جِنًّا لاختفائهم ، وتُسَمَّى الدُّرُوعُ : الجُنَنُ لأنها تستر من كان فيها وقَصَرَ الضَّراءَ وهو ممدود ، ومثل هذا كثير

فى الشعر جدًّا ، وقوله : ينوء إذا رام القيام ، يقول يَنْهَضُ فى تثاقُلٍ ، قال اُلله عزَّ وجل : « مَا إِنَّ مَفاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ » ، والمعنى أن العُصْبَةَ تَنُوء بالمفاتيح ، ولشرح هذا موضع آخر ، وقال آخر : (لعَمْرِو بن قَمِيئَةَ) :

عَلَى الرَّاحَتَيْنِ مَرَّةً وَعَلَى الْعَصَا أَنُوءُ ثَلاثًا بَعْدَهُنَّ قِيَامِى

ويُرْوَى عن رسول اُلله صلى اُلله عليه وسلم أنه قال : كَفَى بالسَّلامةِ داءً . وقال حُمَيْدُ بن ثَوْرٍ الهِلالِىُّ :

أَرَى بَصَرِى قَدْ رَابَنِى بَعْدَ صِحَّةٍ وَحَسْبُكَ دَاءً أَنْ تَصِحَّ وَتَسْلَمَا

وَلاَ يَلْبَثُ العَصْرَانِ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ إِذَا طَلَبَا أَنْ يُدْرِكَا مَا تَيَمَّمَا

وقال أبو حَيَّةَ النُّمَيْرِى :

أَلاَ حَيِّ مِنْ أَجْلِ الحَبِيبِ المَغَانِيَا لَبِسْنَ الْبِلَى مِمَّا لَبِسْنَ اللَّيَالِيَا

إِذَا مَا تَقَاضَى الْمَرْءَ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ تَقَاضَاهُ شَىْءٌ لاَ يَمَلُّ التَّقَاضِيَا

وقال بعض شعراء الجاهلية :

كَانَتْ قَنَاتِى لاَ تَلِينُ لِغَامِزٍ فَأَلاَنَهَا الْإِصْبَاحُ وَالْإِمْسَاءُ

وَدَعَوْتُ رَبِّى فى السَّلاَمَةِ جَاهِدًا لِيُصِحَّنِى فَإِذَا السَّلاَمَةُ دَاءُ

وقال عَنْتَرَةُ بن شَدَّادٍ :

فَمَا أَوْهَى مِرَاسُ الْحَرْبِ رُكْنِى وَلٰكِنْ مَا تَقَادَمَ مِنْ زَمَانِى

ومن أمثال العرب إذا طال عمر الرجل أن يقولوا : لقد أَكَلَ عليه الدَّهْرُ وشَرِبَ ، إنما يريدون أنه أَكَلَ هو وشرب دَهْرًا طويلاً ، قال الجَعْدِىُّ :

(كَمْ رَأَيْنَا مِنْ أُنَاسٍ هَلَكُوا) أَكَلَ الدَّهْرُ عَلَيْهِم وَشَرِبْ

والعرب تقول : نَهَارُكَ صائم ، وليلك قائم : أى أنت قائم فى هذا وصائم فى ذاك ، كما قال الله عزّ وجل : « بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ » والمعنى والله أعلم بل مَكْرُكُمْ فى الليل والنهار ، وقالَ جرير :

لَقَدْ لُمْتِنَا يا امَّ غَيْلانَ فى السُّرَى ‏ وَنِمْتِ وَمَا لَيْلُ المَطِىِّ بِنَائِمِ

وقال الفرزدقُ :

تُبَكِّى عَلَى المَنْتُوفِ بَكْرُ بْنُ وَائِلٍ ‏ وَتَنْهَى عَنِ ابْنَىْ مِسْمَعٍ مَنْ بَكَاهُمَا

غُلامَانِ شَبَّا فى الحُرُوبِ وَأَدْرَكَا ‏ كِرَامَ المَسَاعِى قَبْلَ وَصْلِ لِحَاهُمَا

وابنا مِسْمَعٍ كان قتلهما معاوية بن يزيد بن المُهَلَّبِ مع عَدِىِّ بن أَرْطاةَ لما أتاه خبر قتل أبيه ، وكان ابنا مسمع ممن خالف على يزيد بن المهلب ، والمَنْتُوف كان مَوْلًى لبنى قَيْسِ بن ثَعْلَبَةَ بن عُكابة ، وابنا مِسْمَعٍ من بنى قَيْسِ ابن ثعلبة ، وكان المنتوف كالخليفة ليزيد بن المهلب ، وفى ذلك يقول جرير :

وَالأَزْدُ قد جَعَلُوا المَنْتُوفَ قائِدَهُمْ ‏ فَقَتَّلَتْهُمْ جُنُودُ اللهِ وَانْتُتِفُوا

وتمام شعر الفرزدق :

ولو قُتِلاَ مَنْ جِذْمِ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ[1] ‏ لَكَانَ عَلَى النَّاعِى شَدِيدًا بُكَاهُمَا

وَلَوْ كَانَ حَيًّا مَالِكٌ وَابْنُ مَالِكٍ ‏ إِذًا أَوْقَدَا نَارَيْنِ يَعْلُو سَنَاهُمَا

السَّنا : ضوء النار ، وهو مقصور ، قال الله عز وجل : « يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصارِ » والسَّناء من الشرف ممدود ، قال حَسَّانُ بن ثابتٍ :

وَإِنَّكَ خَيْرُ عُثْمَانَ بْنِ عَمْرٍو ‏ وَأَسْنَاهَا إِذَا ذُكِرَ السَّنَاء

---

(١) الجذم بالكسر : الأصل ، وهذه الرواية تنفى نسبهما عن بكر بن وائل ، ورواية الديوان :
ولو أصبحا من غير بكر بن وائل ‏ لكان على الجانى ثقيلا دماهما

والبكاء يمد ويُقْصَرُ ، فَمَنْ مَدَّ فإنما جعله كسائر الأصواتِ ، ولا يكون المصدر فى معنى الصوت مَضْموم الأول إلا ممدودا ، لأنه يكون على فُعالٍ ، وَقَلَّمَا يكون المصدر على فُعَلٍ ، وقد جاء فى حروف نحو الهُدَى والسُّرَى وما أشبهه وهو يسير ، فأما الممدود فنحو : العُوَاء ، والدُّعاء ، والرُّغاء ، والثُّغاء ، فكذلك البُكاء ، ونظيره من الصحيح الصُّراخُ والنُّباحُ ، ومن قَصَرَ فإنما جعل البكاء كالحُزْن ، وقد قال حَسَّانُ فَقَصَرَ وَمَدَّ :

بَكَتْ عَيْنِي وحُقَّ لَهَا بُكاهَا ... وَمَا يُغْنِي الْبُكاءُ وَلاَ الْعَوِيلُ

وقال جرير :

قالُوا نَصِيبَكَ مِنْ أَجْرٍ فَقُلْتُ لَهُمْ ... كَيْفَ الْعَزاءُ وَقَدْ فارَقْتُ أَشْبالِي
هٰـــذَا سَوادَةُ يَجْلُو مُقْلَتَيْ لَحِمٍ ... بَازٍ يُصَرْصِرُ فَوْقَ المَرْقَبِ الْعَالِي
فارَقْتُهُ حِينَ غَضَّ الدَّهْرُ مِنْ بَصَرِى ... وَحِينَ صِرْتُ كَعَظْمِ الرِّمَّةِ الْبالِي

(نصيبَك بالنصب لاغير لأنه مفعول باضمار فعل ، تقديره احْفَظْ نصيبَكَ ، أو أَحْرُزْ نصيبك) قوله : يجلو مقلتى لَحِم ، شَبَّهَ مُقْلَتَيْهِ بِمُقْلَتَي البازى ، ويقال طائرٌ لَحِمٌ من هذا ، وقوله يُصَرْصِرُ : يعنى يُصَوِّتُ ، يقال : صَرْصَرَ البازى ، والصَّقْرُ ، وما كان مِنْ سِباع الطير ، ويقال : صَرْصَرَ العُصْفورُ وأحْسِبُهُ مستعارًا لأن الأصل فيه أن يستعمل فى الجوارح من الطير ، قال جرير :

☆ بَازٍ يُصَرْصِرُ بِالسَّهْبَى[1] قَطًا جُونَا ☆

وقال آخر : ☆ كَمَا صَرْصَرَ الْعُصْفُورُ فى الرُّطَبِ الثَّعْدِ ☆

(١) السهبى بفتح السين : بلد من أعلا بلاد تميم .

وأنشدنى عُمارةُ : باز يُصَعْصِعُ وهو أصح (قال أبو الحسن يُصَعْصِعُ وهو الصواب ، ولكن هكذا وقع فى كتابه ويُصَرْصِرُ لا يتعدَّى) وقوله كعظم الرِّمَّةِ : فهى البالية الذاهبة ، والرَّميمُ : مشتق من الرِّمّةِ ، وإنما هو فَعيلٌ وفِعْلَةٌ وليس بجمع له واحد .



ومما كَفرَتْ به الفقهاء الحَجَّاجَ بن يوسف قولُهُ ، والناس يَطوفون بقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومِنْبَرِهِ ، وإن شئت قلت يُطيفون ، قال أبو زيد تقول العرب : طُفْتُ وأَطَفْتُ به ، وَدُرْتُ وأدَرْتُ به ، ويقال : حَدَقَ وَأَحْدَقَ . قال الأَخْطَلُ :

أَلْمُنْعِمُونَ بَنُو حَرْبٍ وَقَدْ حَدَقَتْ ... بِيَ المَنِيَّةُ وَاسْتَبْطَأْتُ أَنْصَارِى

إنما يَطوفونَ بأعْوادٍ ورِمَّةٍ[1] .

ومن أمثال العرب : «لَوْلاَ أن تُضيِّعَ الفِتْيانُ الذِّمَّةَ لَخبَّرْتُها بما تَجِدُ الإبلُ فى الرِّمَّةِ» يقول : لولا أن تَدَعَ الأحْداثُ التَّمَسُّكَ بالوفاء ، والرِّعايةَ للحُرْمةِ لأعلمتها أن الإبل تتناول العظم البالى وهو أقل الأشياء فتجدُ له لَذَّةً .

ومثل بيت جَريرٍ الأخير قول أبى الشَّغْبِ يرثى ابنه شَغْباً :

قَدْ كَانَ شَغْبٌ لَوَانَّ اللهَ عَمَّـرَهُ ... عِزًّا تُزَادُ بِهِ فِي عِزِّهَا مُضَرُ

لَيْتَ الجِبَالَ تَدَاعَتْ قَبْلَ مَصْرَعِهِ ... دَكًّا فَلَمْ يَبْقَ مِنْ أَحْجَارِهَا حَجَرُ

فَارَقْتُ شَغْباً وَقَدْ قَوَّسْتُ مِنْ كِبَرٍ ... بِئْسَ الْحَلِيفَانِ طُولُ الْحُزْنِ وَالْكِبَرُ[2]

---

(١) هذه كلة الحجاج ، وما قبلها استطراد من المؤلف .

(٢) ويروى : لبئست الخلتان الثكل والكبر .

قوله قوّست يقول انحنيتُ كالقوس ، قال امْرُؤُ القَيْس :

أَرَاهُنَّ لاَ يُحْبِبْنَ مَنْ قَلَّ مَالُهُ ... وَلاَ مَنْ رَأَيْنَ الشَّيْبَ فِيهِ وَقَوَّسَا

وقال سليمان بن قَتَّةَ : يرثى الحسين بن علىّ بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهما :

مَرَرْتُ عَلَى أَبْيَاتِ آلِ مُحَمَّدٍ ... فَلَمْ أَرَهَا كَعَهْدِهَا يَوْمَ حُلَّتِ

فَلاَ يُبْعِدِ اللهُ الدِّيَارَ وَأَهْلَهَا ... وَإِنْ أَصْبَحَتْ مِنْ أَهْلِهَا قَدْ تَخَلَّتِ

وَإِنَّ قَتِيلَ الطَّفِّ مِنْ آلِ هَاشِمٍ (١) ... أَذَلَّ رِقَابَ الْمُسْلِمِينَ فَذَلَّتِ

وَكَانُوا رَجَاءً ثُمَّ صَارُوا رَزِيَّةً ... فَقَدْ عَظُمَتْ تِلْكَ الرَّزَايَا وَجَلَّتِ

وَعِنْدَ غَنِيٍّ (٢) قَطْرَةٌ مِنْ دِمَائِنَا ... سَنَجْزِيهِمُ يَوْمًا بِهَا حَيْثُ حَلَّتِ

إِذَا افْتَقَرَتْ قَيْسٌ جَبَرْنَا فَقِيرَهَا ... وَتَقْتُلُنَا قَيْسٌ إِذَا النَّعْلُ زَلَّتِ

وسليمان بن قَتَّةَ : رجل من بنى تَيْمِ بن مُرَّةَ بن كَعْبِ بن لُؤَيٍّ ، وكان منقطعاً إلى بنى هاشمٍ .

وقال الفَرَزْدَقُ يرثى ابْنَيْهِ :

بِفِي الشَّامِتِينَ التُّرْبُ أَنْ كَانَ مَسَّنِي ... رَزِيَّةُ شِبْلَيْ مُخْدِرٍ (٣) فِي الضَّرَاغِمِ

وَمَا أَحَدٌ كَانَ الْمَنَايَا وَرَاءَهُ ... وَلَوْ عَاشَ أَيَّامًا طِوَالاً بِسَالِمِ

أَرَى كُلَّ حَيٍّ مَا تَزَالُ طَلِيعَةً ... عَلَيْهِ الْمَنَايَا مِنْ ثَنَايَا الْمَخَارِمِ

يُذَكِّرُنِي ابْنَيَّ السِّمَاكَانِ (٤) مَوْهِنًا (٥) ... إِذَا ارْتَفَعَا فَوْقَ النُّجُومِ الْعَوَاتِمِ

---

(١) الطف : أرض بضاحية الكوفة .

(٢) اسم قبيلة . (٣) مخدر : لزم خدره : أى عرينه .

(٤) السماكان : كوكبان أحدهما اسمه الرامح والآخر اسمه الأعزل .

(٥) الموهن والوهن : اسم لنصف الليل .

وَقَدْ رُزِئَ الْأَقْوَامُ قَبْلِي بَنِيهِمُ ... وَإِخْوَانَهُمْ فاقْنَىْ حَيَاءَ الْكَرَائِمِ
وَمَاتَ أَبِي وَالْمُنْذِرَانِ كِلَاهُمَا ... وَعَمْرُو بْنُ كُلْثُومٍ شِهَابُ الْأَرَاقِمِ
وَقَدْ كَانَ مَاتَ الْأَقْرَعَانِ وَحَاجِبٌ ... وَعَمْرُو أَبُو عَمْرٍو وَقَيْسُ بْنُ عَاصِمِ
وَقَدْ مَاتَ بِسْطَامُ بْنُ قَيْسِ بْنِ خَالِدٍ ... وَمَاتَ أَبُو غَسَّانَ شَيْخُ اللَّهَازِمِ
وَقَدْ مَاتَ خَيْرَاهُمْ فَلَمْ يُهْلِكَاهُمُ ... عَشِيَّةَ بَانَا رَهْطِ كَعْبٍ وَحَاتِمِ
فَمَا أَبْنَاكِ إِلَّا مِنْ بَنِي النَّاسِ فاصْبِرِي ... فَلَنْ يَرْجِعَ الْمَوْتَى حَنِينُ الْمَآتِمِ

وأنشدنى التَّوَّزِىُّ عن أبى زيد خَنِينُ المآتم بالخاء معجمة (الخَنين : بالخاء صوت من الخَيشوم) قوله ما تزال طليعة يريد طالِعةً ، والثَّنايا جمع ثَنِيَّةٍ ، وهى الطَّرِيقُ فى الجبل ، من ذلك (الشعر لسُحَيْم بن وَثِيلٍ الرِّياحِىّ) :

أَنَا ابْنُ جَلَا وَطَلَّاعُ الثَّنَايَا ... مَتَى أَضَعِ الْعِمَامَةَ تَعْرِفُونِي

والمَخارِمُ : جمع مَخْرِمٍ ، وهو مُنْقَطَعُ أنف الجبل ، وقوله : فوق النجوم العوَاتِمِ ، يعنى المتأخرة ، يقال فلان يأتينا ولا يُعتِّمُ : أى لا يتأخر ، وعَتَمَةٌ اسم للوقت ، فلذلك سميت الصلاةُ بذلك الوقتِ ، وكل صلاة مضافةٌ إلى وقتها تقول صلاةُ الغَداةِ ، وصلاةُ الظهرِ ، وصلاةُ العصرِ . وأما قولك الصلاةُ الأولى فالأولى نعت لها إذ كانت أوَّلَ ما صُلِّىَ ، وقيل أوَّلَ ما أُظْهِرَ ، وقوله : فاقْنَىْ حَياءَ الكرائم يقول فالزَمِى ، وأصل القِنْيَةِ المالُ اللازمُ ، تقول اُقْتَنَى فلانٌ مالاً إذا اتَّخَذَ أصل مالٍ ، وقيل فى قول الله عز وجل : « وأنه هو أغْنَى وأقْنَى » أى جَعَلَ لهم أصل مال ، وأنشد أبو عبيدة (الشعر لأبى المُثَلَّم الهُذَلِىّ يرثى صَخْرًا) :

لَوْ كَانَ لِلدَّهْرِ عِزٌّ يَطْمَئِنُّ بِهِ(١) لَـكَانَ لِلدَّهْرِ صَخْرٌ مَالَ قُنْيَانِ

والكَرائم جمع كَرِيمة ، والاسم من فعيلةٍ والنعتُ يجمعان على فَعائِلَ ، فالاسم نحو : صَحيفةٍ وصحائفَ ، وسفينةٍ وسَفائنَ ، والنعت نحو : عقيلةٍ وعَقائلَ ، وكَرِيمةٍ وكَرائمَ . وقوله ومات أبى ، يريد التأسى بالأشراف ، وأبوه غالِبُ بن صَعْصَعَةَ بن ناجيةَ بن عِقال بن محمد بن سُفْيان بن مُجاشِع ، وكان أبوه شريفاً وأجداده إلى حيث انْتَهَوْا ، ولكل واحد منهم قصة يطول الكتاب بذكرها . والمُنْذران : المُنْذِرُ بن المنذر بن ماء السماء اللَّخْمِىُّ يريد الابن والأب . وعمرو بن كلثوم التَّغْلَبِىُّ قاتل عمرو بن هند وكان أحَدَ أشراف العرب وفُتَّاكِهِمْ وشعرائهم ، والأراقِمُ : قبيلة من بنى تَغْلِبَ بنتِ وائل من بنى جُشَمَ بن بَكْرٍ . وزعم أهل العلم أنهم إنما سُمُّوا الأراقم لأن عُيونهم شُبِّهَتْ بعيون الحَيَّاتِ ، والأراقم واحدها أرْقَمْ ، فكانوا معروفين بهذا ، قال الفرزدق يرُدُّ على جَرير فى هجائه له وللأخْطَل :

إنَّ الأرَاقِمَ لَنْ يَنالَ قَدِيمَهَا كَلْبٌ عَوَى مُتَهَتِّمُ الأسْنانِ

وجعله شِهابًا لهم لنوره وبَهائه وضِيائه ، تقول العرب إنما فلانٌ نَجْمُ أهلِهِ ، وكذلك قالت الخَنْساء ✲ كَأَنَّهُ عَلَمٌ فى رَأْسِهِ نَارُ ✲ والأقرعان : الأقْرَعُ ابن حابسٍ وابنه الأقْرَعُ من بنى مُجاشِعِ بن دارِمٍ ، وكان الأقْرَعُ فى صدر الإسلام سَيِّدَ خِنْدِفَ ، وكان مَحَلُّهُ فيها محلَّ عُيَيْنةَ بن حِصْنٍ فى قَيْسٍ . وحاجِبُ بن زُرارةَ بن عُدَسَ سَيِّدُ بنى تَميم فى الجاهلية غير مُدافَعٍ ، وعمرو

---

(١) الرواية : لوكان للدهر مال عند متلده .

أبو عمرو ، يريد عمرو بن عُدَسَ وكان شريفاً ، وكان ابنه عمرو شريفاً ، قتل يوم جَبَلَةَ قتلته بنو عامر بن صَعْصَعَة ، وقتلوا لَقيطَ بن زُرارَةَ ، وكان الذى وَلِىَ قتله عُمارة الوَهَّاب العَبْسى ، وينسب إلى بنى عامر ، لأن بنى عَبْسٍ كانوا فيهم مع قَيْسِ بن زُهَيْرٍ ، وعُمارةُ هذا هو الذى كان يقال له دالِقٌ . وقتله شِرْحافٌ الضَّبِّىُّ ، ولذلك يقول الفرزدق :

وَهُنَّ بِشِرْحَافٍ تَدَارَكْنَ دَالِقاً عُمَارَةَ عَبْسٍ بَعْدَ مَا جَنَحَ الْعَصْرُ

وزعم أبو عبيدة : أن فاطمة بنت الخُرْشُبِ الأَنْمارِيَّةَ ، أُرِيَتْ فى منامها قائلا يقول : أعشرة هُدَرَةٌ أحبُّ إليكِ أم ثلاثةٌ كعشرة (هدرة بالدال غير معجمة ، قال أبو الحسن : هم السُّقَّاط من الناس) : فلم تقل شيئاً ، فعاد لها الليلة الثانية فلم تَقُلْ شيئاً ، ثم قَصَّتْ ذلك على زوجها فقال إن عاد لك الثالثة فقولى ثلاثة كعشرة ، وزَوْجُها زيادُ بن عبد الله بن ناشِبٍ العبسى ، فلما عاد لها قالت ثلاثة كعشرة ، فولدتهم كلهم غايَةً ، وَلَدَتْ رَبيعَ الْحُفَّاظِ ، وعُمارةَ الوَهَّاب ، وأَنَسَ الفوارِسِ ، وهى إحدى المُنْجِباتِ من العرب ، وَأَسَرُوا حاجباً فذلك حيث يقول جرير يُعَيِّرُ الفرزدق ويُعْلِمُهُ فخر قيْسٍ عليه :

تُحَضِّضُ يَاابْنَ الْقَيْنِ قَيْسًا لِيَجْعَلُوا لِقَوْمِكَ يَوْمًا مِثْلَ يَوْمِ الْأَرَاقِمِ

كَأَنَّكَ لَمْ تَشْهَدْ لَقِيطًا وَحَاجِباً وَعَمْرَو بْنَ عَمْرٍو إِذْ دَعَوْا يالَ دَارِمِ

وَلَمْ تَشْهَدِ الجَوْنَيْنِ وَالشِّعْبَ ذَا الصَّفَا وَشَدَّاتِ قَيْسٍ يَوْمَ دَيْرِ الجَمَاجِمِ (١)

الجَوْنانِ : معاويةُ وحَسَّانُ ابنا الجَوْنِ الكِنْدِيَّانِ أُسِرَا فى ذلك اليوم ، فَقُتِلَ

(١) هو دير بظاهر الكوفة ، أضيف إلى الجماجم وهى الأقداح من الخشب لأنها كانت تعمل فيه .

حسان ، وفُودِىَ معاويةُ بسبب يطول ذكره ، والشِّعْبُ : شِعْبُ جَبَلة .
وقوله : وشدات قيس يوم دير الجماجم . هذا فى الإسلام ، يعنى وَقْعة الحجّاج ابن يوسف بن الحَكَم بن أبى عَقِيل الثقفىِّ بعبد الرحمن بن محمد الأشعث ابن قَيْس بن مَعْديكَرِبَ الكِنْدِىِّ بدير الجماجم ، وقوله : وقد مات بِسْطام ابن قيس بن خالد ، يعنى الشَّيْبانِىَّ . وهو فارس بَكْر بن وائل . وابن سيدها . وقتل بالحَسَنِ . وهو جبَلٌ (كذا وقعت الرواية بالحسن وهو جبل بالجيم . والصحيح حَبْلٌ بالحاء . قال ابن سراج رحمه الله تعالى : الحَسَنُ والحُسَيْنُ حَبْلا رَمْلٍ) قتله عاصم بن خَلِيفة الضَّبِّىُّ ، وكان عاصِمٌ أسلم فى أيام عثمان رحمه الله . فكان يقف ببابه فيستأذن عليه ، فيقول عاصم بن خليفة الضبى قاتلُ بِسْطامِ ابن قَيْسٍ بالباب (قال أبو الحسن الوجه عندى فى بسطام أن لا ينصرف لأنه أعجمى) وكان سببُ قتله إياه أن بِسْطامًا أغارَ على بنى ضَبَّةَ ، وكان معه حازٍ[1] (قال أبو الحسن حازٍ بالزاى زاجرٌ) يَحْزُوله ، فقال له بِسْطامٌ إنى سمعت قائلا يقول :

☆ اُلدَّلْوُ تأْتِى الغَرَبَ[2] المَزِلَّه[3] ☆ فقال الحازى فهلاَّ قُلْتَ :

☆ ثُمَّ تَعُودُ بَادِنًا مُبْتَلَّهْ ☆ قال ما قلت فاكْتَسَحَ إبلَهُمْ فتنادَوْا واتَّبَعوهُ فنظرتْ أم عاصم إليه، وهو يَقَعُ[4] حديدةً له ، أى يُحِدُّها ، والمِيقَعةُ المِطْرَقةُ ، فقالت له : ما تَصْنَعُ بهذه ؟ وكان عاصم مَنْقوصا[5] ، فقال لها : أقتل بها

---

(١) اسمه نقيذ بالتصغير . (٢) الغرب : الماء الذى يقطر من الدلو بين البئر والحوض .
(٣) المزلة : بفتح الزاى وكسرها موضع الزلل ، يريد أن الأمر يأتى على غير وجهه .
(٤) يقع الحديدة يحدها ، وكذلك وقع السيف والمدية . (٥) ضعيف الرأى والعقل .

بِسْطامَ بن قيسٍ فَنَهَرَتْهُ ، وقالت : إسْتُ أُمّكَ أَضْيَقُ من ذاك ! فنظر إلى فَرَسٍ لِعَمّهِ مُوثَقةٍ إلى شجرة فاعْرَوْراها ، أى ركبها عُرْيًا ، ثم أقبل بها الريح ، فنظر بسطام إلى الخيل قد لحِقَتْهُ ، فجعل يَطْعَنُ الإبل فى أعجازها فصاحت به بنو ضَبّةَ يا بسطام ما هذا السَّفَهُ ؟ دَعْها إمّا لنا وإمّا لك ، وانْحَطَّ عليه عاصمٌ فطعَنَهُ فرمى به على الألاءةِ ، وهى شجرة ليست بعظيمة ، وكان بسطام نَصْرانيًا ، وكان مَقْتَلُهُ بعد مَبْعَثِ النبى صلى الله عليه وسلم ، فأراد أخوه الرجوع إلى القوم ، فصاح به بسطامٌ أنا حنيفٌ إن رَجَعْتَ ، ففى ذلك يقول ابن عَنَمة الضّبّىّ ، وكان فى بنى شيبان :

خَرَّ على الألاءةِ لم يُوَسَّدْ ‏ ‏ ‏ كأنَّ جبينَهُ سَيْفٌ صَقِيلُ

ولما قُتِلَ بسطام لم يَبْقَ فى بَكْرِ بن وائلٍ بيتٌ إلا هُجِمَ ، أى هُدِمَ ، وقوله : ومات أبو غَسّان شيخ اللهازم . يعنى مالكَ بن مِسْمَع بن شَيْبان بن شهاب أَحَدَ بنى قَيْسِ بن ثَعْلَبةَ ، وإليه تُنْسَبُ المسامِعةُ ، وكان سيد بَكْرِ بن وائلٍ فى الإسلام ، وهو الذى قال لعُبَيْدِ الله بن زياد بن ظَبْيان أحد بنى تَيْم اللاتِ ابن ثَعْلَبَةَ ، وكان حين حَدَثَ أمْرُ مسعود بن عمرو المَعْنِىّ من الأزْدِ فلم يُعْلِمْهُ به ، فقال له عبيد الله ، وهو أحد فُتّاكِ العرب ، وهو قاتل مُصْعَب ابن الزبير ، أيكونُ مثل هذا الحَدَث ولا تُعْلِمُنى به ؟ لهَمَمْتُ أن أُضْرِمَ دارك عليك ناراً ، فقال له مالك : اُسكتْ أبا مَطَرٍ ، فواللهِ إنّ فى كِنانتى سَهْمٌ أنا أَوْثَقُ به منى بكَ ، فقال له عبيد الله : أوَ أنا فى كِنانَتِكَ ؟ فوالله لو قعدتُ فيها لطُلْتُها ، ولو قمتُ فيها لخَرَقْتُها ، فقال له مالك — وأعجبه ما سمع

منه ـ : أَكْثَرَ اللهُ فى العشيرة مِثْلَكَ ! قال : لقد سألتَ ربك شَطَطًا ! وفى مالك بن مِسْمَع يقال :

إِذَا مَا خَشِينَا مِنْ أَمِيرٍ ظُلاَمَةً ... دَعَوْنَا أَبَا غَسَّانَ يَوْمًا فَعَسْكَرَا

قوله : وقد مات خيراهم ، تثنيةٌ كقولك مات أَحْمَرَاهُمْ ، ولم يَخْرُجْ مَخْرَج النعتِ ، ألا ترى أنك تقول هذا أَحْمَرُ القوم ، إذا أردتَ هذا الأحمر الذى للقوم ، فإذا أردتَ الذى يَفْضُلُهُمْ فى باب الحمرة ، قلتَ هذا أَشَدُّهُمْ حمرةً ، ولم تقل هذا أحمرهُم ، وكذلك خيراهم ، وإنما أردتَ هذا خيرُهم ثم ثَنَّيْتَ ، أى هذا الخير الذى هو فيهم ، وقوله : عَشِيَّةَ بانا ، مردود على قوله خيراهم . وقوله : رَهْطِ كعب وحاتم ، إنما خفضتَ رهطا لأنه بدل من هم التى أضفْتَ إليها الخيرين ، والتقدير وقد مات خَيْرَا رهطا كعبٍ وحاتم ، فلم يُهْلكاهم عشية بانا ، فأما كَعْبٌ فهو كعب بن مَامَةَ الإيادىُّ ، وكان أحدَ أجواد العرب الذى آثَرَ على نفسه ، وكان مسافرًا ورفيقُهُ رجل من النَّمِرِ بن قاسِطٍ فَقَلَّ عليهما الماءُ فتَصَافناهُ ، والتَّصافُنُ : أن يُطْرَحَ فى الإناء حَجَرٌ (هذا الحجر الذى يُقْسَمُ به الماء يقال له : المَقْلَةُ بفتح الميم[1]) ثم يُصَبَّ فيه من الماء ما يَغْمُرُهُ لئلا يتغابنوا وكذلك كل شىء وُقِفَ عَلَى كَيْلِهِ أو وزْنِهِ ، والأصل ما ذكرنا ، فجعل النَّمَرِىُّ يشرب نصيبه ، فإذا أَخَذَ كعبٌ نصيبه قال اسْقِ أخاك النَّمَرِىَّ ، فيُؤْثِرُهُ حتى جُهِدَ كعبٌ ، ورُفعتْ له أعلام الماء ، فقيل له : رِدْ كَعْبُ ، ولا وُرودَ به ، فمات عطشًا ، ففى ذلك يقول أبو دُوادٍ الإيادِىُّ :

(١) وتسمى أيضا حصاة القسم .

أَوْفَى عَلَى المَاءِ كَعْبٌ ثُمَّ قِيلَ لَهُ ... رِدْ كَعْبُ إِنَّكَ وَرَّادٌ فَمَا وَرَدَا

فَضُرِبَ به المَثَلُ ، فقال جَرِيرٌ في كَلِمَتِهِ التي مَدَحَ فيها عُمَرَ بن عبد العَزِيزِ :

يَعُودُ الْفَضْلُ مِنْكَ عَلَى قُرَيْشٍ ... وَتَفْرُجُ عَنْهُمُ الْكُرَبَ الشِّدَادَا

وَقَدْ أَمَّنْتَ وَحْشَهُمُ بِرِفْقٍ ... وَيُعْيِي النَّاسَ وَحْشُكَ أَنْ تُصَادَا

وَتَبْنِي المَجْدَ يَا عُمَرُ بْنَ لَيْلَى ... وَتَكْفِي المُمْحِلَ السَّنَةَ الجَمَادَا

وَتَدْعُو اللهَ مُجْتَهِدًا لِيَرْضَى ... وَتَذْكُرُ فِي رَعِيَّتِكَ المَعَادَا

وَمَا كَعْبُ بْنُ مَامَةَ وَابْنُ سُعْدَى ... بِأَجْوَدَ مِنْكَ يَا عُمَرُ الجَوَادَا

تَعَوَّدْ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ إِنِّي ... رَأَيْتُ المَرْءَ يَلْزَمُ مَا اسْتَعَادَا

هذا كعب بن مامة الذي ذكرناه ، وأما ابن سُعْدَى فهو أَوْسُ بن حارِثَةَ ابن لأْمٍ الطائيُّ ، وكان سيدا مُقَدَّمًا ، فوَفَدَ هو وحاتمُ بن عبد اللهِ الطائيُّ على عَمْرِو بن هند ، وأبوه المُنْذِرُ بن المنذر بن ماء السماء فدعا أَوْسًا فقال له : أأنت أفضلُ أم حاتمٌ ؟ فقال : أَبَيْتَ اللَّعْنَ لو ملكني حاتم وولدي ولُحْمَتِي لوَهَبَنا في غداةٍ واحدةٍ ، ثُمَّ دعا حاتمًا فقال له : أنت أفضلُ أم أوْسٌ ؟ فقال: أَبَيْتَ اللَّعْنَ إنما ذُكِرْتُ بأوسٍ ، ولَأَحَدُ وَلَدِهِ أفضلُ مني .



وكَانَ النُّعْمانُ بن المُنْذِرِ دعا بِحُلَّة وعنده وُفُودُ العربِ من كلِّ حَيٍّ فقال احْضُروا في غَدٍ فإني مُلْبِسٌ هذه الحُلَّةَ أَكْرَمَكُمْ ، فحضر القوم جميعاً إلا أوساً ، فقيل له : لِمَ تخلَّفْتَ ؟ فقال إن كان المراد غيري فأَجْمَلُ الأشياء أن لا أكون حاضرًا ، وإن كنتُ أنا المراد فسأُطْلَبُ ويُعْرَفُ مكاني ، فلما

جاس النعمان لم ير أوسا ، فقال : اذهبوا إلى أوس ، فقولوا له احْضُرْ آمنا مما خِفْتَ ، فحضر فأُلبِسَ الحلة . فحسده قوم من أهله فقالوا للحُطَيْئة : أَهْجُهُ ولك ثلثمائة ناقة ، فقال الحطيئة كيفَ أهجو رجلاً لا أرى فى بيتى أثاثاً ولا مالاً إلا من عنده ، ثم قال :

كَيْفَ الْهِجَاءُ وَمَا تَنْفَكُّ صَالِحَةٌ   مِنْ آلِ لَأْمٍ بِظَهْرِ الْغَيْبِ تَأْتِينِى

فقال لهم بِشْرُ بن أبى خازم أحدُ بنى أَسَد بن خُزَيْمة : أنا أهجوه لكم. فأخذ الإبل وفعل . فأغار أوس على الإبل فاكتسحها ، فجعل لا يستجير حيًّا إلا قال : قد أجرْتُكَ إلا من أوس . وكان فى هجائه إياه قد ذكر أُمَّهُ فأُتِىَ به فدخل أَوْسٌ على أُمِّهِ فقال : قد أُتينا ببِشْرٍ الهاجى لك ولى ، فما تَرَيْنَ فيه : فقالت له : أَوَ تُطيعُنى فيه ؟ قال : نعم ، قالت أرى أن تَرُدَّ عليه ماله ، وتَعْفُوَ عنه ، وتَحْبُوَهُ ، وأفعلُ مثل ذلك ، فإنه لا يَغْسِلُ هجاءَهُ إلا مَدْحُهُ ، فخرج إليه فقال : إن أمى سُعْدَى التى كنتَ تهجوها قد أمرتْ فيك بكذا وكذا ، فقال : لا جَرَمَ والله ، لا مَدَحْتُ أحداً حتى أموتَ غَيْرَكَ ، ففيه يقول :

إِلَى أَوْسِ بْنَ حَارِثَةَ بْنِ لَأْمٍ   لِيَقْضِىَ حَاجَتِى فِيمَنْ قَضَاهَا
وَمَا وَطِئَ الثَّرَى مِثْلُ ابْنِ سُعْدَى   وَلَا لَبِسَ النِّعَالَ وَلَا احْتَذَاهَا



وأما حاتِمٌ الذى ذكره الفَرَزْدَقُ فهو حاتم بن عبد الله الطائىُّ جَوَادُ العرب ، وقد كان الفرزدق صافَنَ رجلاً من بنى العَنْبَرِ بن عمرو بن تميم

إداوةً(١) فى وقتٍ فرامَهُ الْعَنْبَرِىُّ وسامه أن يُؤْثِرهُ ، وكانَ الفرزدق جَواداً فلم تَطِبْ نفسُه عن نفسه ، فقال الفرزدق :

فَلمَّا تَصافَنَّا الْإِدَاوَةَ أَجْهَشَتْ إِلَىَّ غُضُونُ الْعَنْبَرِىِّ الْجُرَاضِمِ
فَجَاءَ بِجُلْمُودٍ لَهُ مِثْلِ رَأْسِهِ لِيَشْرَبَ مَاءَ الْقَوْمِ بَيْنَ الصَّرَائِمِ
عَلَى سَاعَةٍ لَوْ أَنَّ فِى الْقَوْمِ حَاتِمًا عَلَى جُودِهِ ضَنَّتْ بِهِ نَفْسُ حَاتِمِ

قوله : أَجْهَشَتْ فهو التَّسَرُّعُ وما تراه فى فَحْواه من مُقاربة الشىء ، يقال أَجْهَشَ بالبكاء ، والغُضون : التكسر فى الجلد ، والجُراضم الأحمر الممتلئ ، وقوله ليشرب ماء القوم بين الصرائم ، فهى جمع صَريمةٍ وهى الرملة التى تنقطع من مُعْظَم الرمل ، وقوله صَريمةٌ يريد مصرومةً ، والصَّرْمُ : القطع ، وأنشد الأَصْمَعِىُّ :

فَبَاتَ يَقُولُ أَصْبِحْ لَيْلُ حَتَّى تَجَلَّى عَنْ صَرِيمَتِهِ الظَّلَامُ

يعنى ثَوْرًا وصَريمته رَمْلته التى هو فيها ، وقال المفسرون فى قول الله عز وجل « فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ » قولين ، قال قوم : كالليل المُظْلِمِ ، وقال قوم : كالنهار المضىء : أى بيضاء لاشىء فيها ، فهو من الأضداد ، ويقال لكَ سَوادُ الأرض وبياضُها ، أى عامرها وغامرُها ، فهذا ما يُحْتَجُّ به لأصحاب القول الأخير ، ويحتج لأصحاب القول الأوّل فى السواد بقول الله عز وجل : « فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى » وإنما سُمِّىَ السواد سوادًا لعمارتِهِ ، وكل خُضْرةٍ عند العرب سَوادٌ ، ويروى :

---

(١) الاداوة : اناء صغير من جلد يتخذ للماء . وجمعه أداوى ، كمطايا ، على غير قياس .

عَلَى سَاعَةٍ لَوْ أَنَّ فى الْقَوْمِ حَاتِمًا   عَلَى جُودِهِ مَاجَادَ بِالْمَاءِ حَاتِمِ

جَعل حاتِمِ تبييناً للهاء فى جوده ، وهو الذى يسميه البصريون البدل ، أراد على جود حاتم .

باب

قال أبو العباس : كان يقال: إذا رَغِبْتَ فى المكارم فاجْتَنِبِ المحارمَ .

وكان يقال : أَنْعَمُ الناس عيشاً مَنْ عاش غيره فى عيشه .

وقيل فى المثل السائر : من كان فى وَطَنٍ فَلْيُوَطِّنْ غيره وطنه ، ليَرْتَعَ فى وَطَنِ غيره فى غربته .

قال: وانتبه معاوية من رَقْدةٍ له ، فأَنْبَهَ عمرو بن العاص ، فقال له عمرو : ما بقى من لَذَّتِكَ يا أمير المؤمنين ؟ قال : عَيْنٌ خرَّارةٌ[1] فى أرض خوَّارة[2] ، وعينٌ ساهرةٌ لعين نائمةٍ ، فما بقى من لذتك يا أبا عبد الله ؟ قال : أن أَبِيتَ مُعَرِّساً بعقيلةٍ من عَقائل العرب ، ثم نَبَّها وَرْدان[3] ، فقال له معاوية : ما بقى من لذتك ؟ فقال : الإفضالُ على الإخوان ، فقال له معاوية : اسكتْ ، فأنا أحقُّ بها منك ، فقال له : قد أمْكَنَكَ فافْعَلْ .

ويروى أن عمرًا لما سُئل قال : أنْ أسْتَتِمَّ بناء مَدينتى بمصر ، وأنَّ

(١) جارية . (٢) سهلة لينة .

(٣) هو مولى عمرو بن العاص واليه ينسب سوق وردان وهو قرية بمصر .

وَرْدانَ لما سُئِلَ قال : أن ألْقى كريمًا قادرًا فى عَقِبِ إحسانٍ كان منى إليه ، وأن معاوية سئل عن الباقى من لذته فقال : مُحادَثةُ الرجال .

ويروى عن عبد المَلِكِ أنه قال وقد سئل عن الباقى من لذته فقال : مُحادَثةُ الإخوان فى الليالى القُمْرِ [١] على الكُثْبانِ العُفْرِ [٢] .

وقال سليمان بن عبد الملك : قد أكلنا الطَّيِّبَ ولَبِسْنا اللَّيِّنَ ، وركبنا الفارِهَ ، وامْتَطَيْنا العَذْراء ، فلم يَبْقَ من لَذَّتى إلا صديقٌ أطْرَحُ بينى وبينه مَئُونَةَ التَّحفُّظِ .

وقال رجل لرجل من قريش إنى والله ما أَمَلُّ الحديثَ ، قال إنما يُمَلُّ العَتيقُ [٣] .

وقال المُهَلَّبُ بن أبى صُفْرَةَ : العيش كلُّه فى الجليس المُمْتِع .

وقال معاوية : الدنيا بحذافيرها الخَفْضُ والدَّعَةُ .

وقال يزيد بن المهلب : ما يَسُرُّنى أنى كُفيتُ أمْرَ الدنيا كلَّه ، قيل له : ولِمَ أيُّها الأميرُ ؟ قال : أكْرَهُ عادةَ العجْزِ .

ويروى عن بعض الصالحين أنه قال : لو أنزل الله كتابا أنه مُعَذِّبٌ رجلاً واحداً لخِفْتُ أن أكونَهُ ، أو أنه راحِمٌ رجلا واحداً لرَجَوْتُ أن أكونه ، ولو علمت أنه مُعَذِّبى لا مَحالةَ ما ازْدَدْتُ إلاّ اجتهادًا لئلا أرْجِعَ على نفسى بلائمةٍ .

ويروى أن عمر بن عبد العزيز كان يدخل إليه سالم مَوْلَى بنى مَخْزُومٍ ،

---

(١) جمع قمراء . (٢) جمع أعفر ، وهو الرمل الأحمر . (٣) هو القديم وجمعه عتاق .

وقالوا بل زيادٌ وكان عمر أراد شراءه وعتقه ، فأعتقه موَاليه ، وكان عمر يسميه أخى فى الله ، فكان إذا دخل وعُمرُ فى صدر مجلسه تنحّى عن الصَّدْر ، فيقال له فى ذلك فيقول : إذا دخَلَ عليك مَنْ لا ترَى لك عليه فضْلاً فلا تأخُذْ عليه شرَفَ المجلس . وهمَّ السِّراجُ ليلةً بأن يخْمُدَ فوثَبَ إليه رجاء بنُ حَيْوَة ليُصلِحه فأقسَمَ عليْه عمرُ فجلَسَ ، ثم قام عمر فأصلحه . فقال لهُ رَجاءٌ : أتقوم يا أمير المؤمنين ؟ قال : قمتُ وأنا عمر بن عبد العزيز . ورجعتُ وأنا عمر ابن عبد العزيز .

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : لا ترْفعونى فوْق قدْرى ، فتقولوا فىّ ما قالت النصارى فى المسيح . فإن الله اتّخذنى عبداً قبل أن يتّخذنى رسولاً .

ودخل مَسْلمةُ بن عبد الملك على عمر بن عبد العزيز فى مَرْضَتِهِ التى مات فيها، فقال : ألاَ توصى يا أمير المؤمنين . قال : فيمَ أُوصِى ؟ فوالله إنْ لى من مالٍ ، فقال : هذه مائة ألف فمُرْ فيها بما أحْبَبْتَ ، فقال : أوَتقْبَلُ ؟ قال : نعم . قال : ترُدُّ على من أُخِذَتْ منه ظلماً ، فبكى مَسْلَمةُ ، ثم قال : يرحمك الله ، لقد ألَنْتَ منا قلوبًا قاسية . وأبقيتَ لنا فى الصالحين ذكْرًا .

وقيل لعلىّ بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم : إنَّكَ مِنْ أبَرِّ الناس بأمِّك ، ولسْنا نراك تأكل مع أمِّكَ فى صَحْفةٍ ، فقال : أخاف أن تَسْبقَ يدى إلى ما قد سَبَقَتْ عينُها إليه فأكون قد عَقَقْتُها .

وقيل لعمر بن ذَرّ ـ حيث نُظِرَ إلى تعزِّيهِ عن ابنه ـ : كيف كان برُّهُ بك ؟ فقال : ما مشيت بنهارمعه قَطُّ إلا مَشَى خَلْفى ، ولا بليل إلا مشى أمامى ، ولا رَقِىَ سَطحاً ، وأنا تحته .



وقال أبو المِخَشِّ: كانت لى أُبنةٌ تجلِسُ معى على المائدة فتُبْرِزُ كَفًّا كأنها طَلْعَةٌ (١) فى ذِراعٍ كأنها جُمّارةٌ (٢) فلا تقع عينُها على أُكْلةٍ نفيسة إلا خصَّتنى بها، فزوّجتُها، وصار يجلس معى على المائدة ابنٌ لى فيُبْرِزُ كفا كأنها كِرْنافةٌ، فى ذِراعٍ كأنها كَرَبةٌ، فوالله إن تَسْبِقُ عينى إلى لُقْمةٍ طَيِّبةٍ إلا سَبَقتْ يده إليها.

وقال الأصمعى: قيل لأبى المِخَشِّ، أَمَا كان لك ابن؟ فقال المِخَشُّ، وما كان المِخَشُّ؟ كان والله أَشْدَقَ خُرْطُمانيًّا إذا تكلم سال لُعابُهُ كأنما ينظر من قَلْتَيْنِ (٣)، وكأنَّ تَرْقُوَتَهُ بُوانٌ أو خالفةٌ، وكأنَّ مُشاشَ مَنْكِبَيْهِ كِرْكِرةُ جَمَلٍ، فقأ اللهُ عَيْنَيَّ هاتين إنْ كنتُ رأيتُ بهما أحْسَنَ منه قبله ولا بعده.

قوله: بوان أو خالفة، فهما عمودان من عُمُدِ البيت، البوانُ فى مُقدَّمِهِ والخالفةُ فى مُؤَخَّرِهِ، والكِرْنافةُ: طَرَفُ الكَرَبةِ العريض الذى يتصل بالنخلة كأنه كَتِفٌ.

حدثنى بهذا الحديث العباسُ بن الفَرَجِ الرِّياشِيُّ عن الأَصْمَعِيِّ، وحدثنى عمن حدثه قال: مَرَّ بنا أعرابى يَنْشُدُ ابنا له، فقلنا صِفْهُ، فقال: دُنَيْنِيرٌ، قلنا لم نَرَهُ، فلم نَلْبَثْ أن جاء بجُعَلٍ على عُنُقِهِ، فقلنا: لو سألتَ عن هذا لأَرْشَدْناكَ، ما زال مُنْذُ اليوم بين أيدينا.

---

(١) هى نور النخل، وهو وعاؤه الذى ينشق عنه.

(٢) هى شحمة النخلة. (٣) مثنى قلت، وهو نقرة مستديرة فى أرض صلبة.

وأنشدنى مُنْشِدٌ وأنشدنى الرِّياشىُّ أحد البيتين :

نعم ضَجِيعُ الْفَتَى إذَا بَرَدَ اللَّيْلُ سُحَيْرًا وَقَرْقَفَ الصَّرِدُ
زَيَّنَها اللّهُ فى الفُؤَادِ كَمَا زُيِّنَ فِى عَيْنِ والِدٍ وَلَدُ

وقالت أمّ ثَوابٍ الهِزَّانيّة من عَنَزَةَ بن أَسَدِ بن رَبِيعةَ بن نِزار تعنى ابنها :

رَبَّيْتُهُ وهْوَ مِثْلُ الفَرْخِ أعْظَمُهُ(١) أُمُّ الطَّعامِ تَرَى فى رِيشِهِ زَغَبا
حَتَّى إذَا آضَ كالفُحَّالِ شَذَّبَهُ أَبَّارُهُ وَنَفَى عَنْ مَتْنِهِ الكَرَبا
أَنْشا يُخَرِّقُ أثوابى ويَضْرِبُنى أبَعْدَ سِتِّينَ عِنْدِى يَبْتَغِى الأدَبا
إنِّى لأُبْصِرُ فى تَرْجِيلِ لِمَّتِهِ(٢) وَخَطِّ لِحْيَتِهِ فى وَجْهِهِ عَجَبا
قالَتْ لَهُ عِرْسُهُ يَوْمًا لِتُسْمِعَنِى رِفْقًا فإنَّ لَنا فى أُمِّنا أَرَبا
وَلَوْ رَأَتْنِىَ فى نارٍ مُسَعَّرَةٍ مِنَ الجَحِيمِ لَزَادَتْ فَوْقَها حَطَبا

قوله أبّاره : فهو الذى يُصْلِحُهُ ، يقال : أَبَرْتُ النخل ، وأَبَرْتُهُ خفيفةً ، إذا لَقَّحْتَهُ .



ويروى أن مالك بن العَجْلانِ ، أو غيره من الأنصار كان يُتْحِفُ أبا جُبَيْلَةَ المَلِكَ(٣) حيث نزل بهم بتمرٍ من نخلةٍ لهم شَرِيفةٍ ، فغاب يوما فقال أبو جُبَيْلَةَ إن مالكا كان يُقَوِّتُ علينا جَنَى هذه النخلة فَجُدُّوها ، فجاء مالك وقد جُدَّتْ ، فقال مَنْ سَعَى على عَذْقِ(٤) المَلِكِ فَجَدَّهُ فأعلموهُ أن المَلِكَ أَمَرَ بذلك ، فجاء حتى وقف عليه ، فقال :

(١) أى أكبر أعضائه . (٢) الترجيل : التسريح ، واللمة : شعر الرأس الذى يلم بالمنكب .
(٣) من ملوك غسان . (٤) العذق : اسم للنخلة عند أهل الحجاز .

جَدَدْتَ جَنَى نَخْلَتِى ظَالِمًا ... وكان الثِّمَارُ لِمَنْ قَدْ أَبَرْ

فلما دخل النبىُّ صلى الله عليه وسلم المدينةَ أَطْرَفُوه بهذا الحديث ، فقال صلى الله عليه وسلم : الثمرُ لمن أَبَرَ ، إلا أن يَشْتَرِطَهُ المشترى .

والفُحَّالُ فَحْلُ النخل[1] . ولا يقال لشىء من الفحول فُحَّالٌ غيره ، وأنشدنى المازنىُّ :

يَطُفْنَ بفُحَّالٍ كأَنَّ ضِبَابَهُ ... بُطُونُ المَوَالِى يَوْمَ عِيدٍ تَغَدَّتِ

وضِبابُهُ : طَلْعُهُ ، وآضَ : عاد ورَجَع ، وقولها شَذَّبَهُ ، تقول : قَطَعَ عنه الكَرَبَ والعَثَاكيل[2] ، وكلُّ مُشَذَّب مقطوعٌ ، ويقال للرجل الطويل النحيف مُشَذَّبٌ يُشَبَّهُ بالجِذْعِ المحذوف عنه الكَرَبُ ، وأصل التَّشْذِيب : القَطْعُ ، وقال الفَرَزْدَقُ :

عَضَّتْ سُيُوفُ تَمِيمٍ حِينَ أَغْضَبَهَا ... رَأْسَ ابْنِ عَجْلَى فَأَضْحَى رَأْسُهُ شذبا

أراد عَضَّتْ سيوفُ تميمٍ رأسَ ابنِ عَجْلَى حين أغضبها ، وابْنُ عَجْلَى عبد الله ابن خازمٍ السُّلَمِىُّ ، وأمه عَجْلَى ، وكانت سوداء ، وهو أحد غِرْبانِ العرب فى الإسلام .

وسئل المُهَلَّبُ : من أَشْجَعُ الناس ؟ فقال : عَبَّادُ بن حصين ، وعمرو ابن عُبَيْدِ الله بن مَعْمَرٍ ، والمُغيرةُ بن المُهَلَّبِ ، فقيل له : فأين ابن الزُّبَيْر ، وابن خازمٍ ، وعُمَيْرُ بن الحُبابِ . فقال : إنما سُئِلْتُ عن الإِنْسِ ولم أُسْأَلْ عن الجِنِّ .

---

(١) أى الذكر من النخل .

(٢) هى الشماريخ والواحد عثكول على وزن عصفور .

باب

روى شعبة عن واقد بن محمد عن ابن أبي مُلَيْكة عن القاسم بن محمد قال : قالت عائشة رضى الله عنها : مَنْ أرْضى اللهَ بإسْخاطِ الناس كفاه الله ما بينه وبين الناس ، ومَنْ أرْضى الناسَ بإسخاط الله وَكَلَهُ اللهُ إلى الناس ، ومَنْ أصْلَحَ سَرِيرته أصْلَحَ اللهُ علانيته .

ويروى أن الحسن بن زيد لما وَلِيَ المدينة قال لابن هَرْمة : إنى لستُ كَمَنْ باع لك دِينَهُ رَجاء مَدْحِكَ . أو خوفَ ذمِّكَ . قد أفادنى الله بولادة نبيه المَمادِحَ ، وجنّبنى المَقابِحَ . وإنَّ من حقِّه علىَّ ألاّ أُغْضِيَ على تقصير فى حقه ، وأنا أُقْسِمُ بالله لئن أُتيتُ بك سَكْرانَ لأَضْرِبَنَّكَ حَدَّيْنِ : حدًّا للخمْر وحدًّا للسكر ، ولأَزِيدَنَّ لموضع حُرْمَتِكَ بى . فَلْيَكُنْ تَرْكُكَ لها لله تُعَنْ عليه ، ولا تَدَعْها للناس فتُوكَلَ إليهم . فنهَضَ ابن هَرْمة وهو يقول :

نَهَانِى ابْنُ الرسولِ عَنِ الْمُدَامِ ... وأَدَّبَـنى بِآدَابِ الْـكِرَامِ
وَقالَ لِىَ اصْطَبِرْ عَنْهَا وَدَعْها ... لِخَوْفِ اللهِ لا خَوْفِ الْأَنامِ
وَكَيْفَ تَصَبُّرِى عَنْهَا وحُبِّى ... لَهَا حُبٌّ تَمَكَّنَ فى عِظامِى
أَرَى طِيبَ الحَلَالِ علىَّ خُبْثًا ... وَطِيبَ النَّفْسِ فى خُبْثِ الحَرَامِ

وقال الحسن لمُطَرِّفِ بن عبد الله بن الشِّخِّيرِ الحَرَشِىِّ : يامُطَرِّفُ ، عِظْ أصحابك فقال مُطَرِّفٌ : إِنى أخاف أن أقول ما لا أَفْعَلُ ، فقال الحسن : يرحمك الله ،

وأيُّنا يفعل ما يقول ؟ لَوَدَّ الشيطانُ أنه ظَفِرَ بهذه منكم ، فلم يأمُرْ أحدٌ بمعروف ، ولم ينْهَ عن مُنْكَرٍ .

وقال مُطَرِّفُ بن عبد الله لابنه : يا عبد الله ، العِلْمُ أفضلُ من العمل ، والحَسَنَةُ بين السيئتين، وشَرُّ السَّيرِ الحَقْحَقَةُ .

قوله : الحسنة بين السيئتين يقول : الحقُّ بين فعل المُقصِّرِ والغالى، ومن كلامهم : خَيْرُ الأمورِ أوساطُها ، وقوله : وشَرُّ السيرِ الحقحقة ، وهو أن يَسْتَفْرِغَ المسافر جُهْدَ ظهره[1] ، فيقطعَهُ فيُهْلِكَ ظهرَهُ ولا يَبْلُغَ حاجته ، يقال حَقْحَقَ السيرَ إذا فعل ذلك ، وقال الراجز :

☆ وَأُنْبَتَّ فِعلَ السَّائِرِ المُحَقْحِقِ ☆

(فِعلَ بالنصب الروايةُ الصحيحة لأنه مصدر معنى) .



وحُدِّثْتُ أن الحسن لَقِيَ سابِقَ الحاج ، وقد أَسْرَعَ فجعل يُومِئُ إليه بأصبعه فعلَ الغازلة[2] وهو يقول : خَرْقاءُ وَجَدَتْ صوفًا ، وهذا مَثَلٌ من أمثال العرب يضربونه للرجل الأحمق الذى يَجِدُ مالا كثيرًا فَيَعيثُ فيه ، وشَبيهٌ بهذا المثل قوله : عَبْدٌ وخَلاً فى يديه[3] .

ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : إن هذا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلْ فيه برِفْقٍ ، ولا تُبَغِّضْ إلى نفسك عبادة ربك ، فإن المُنْبَتَّ لا أرضًا قطعَ ، ولا ظَهْرًا أبقَى .

---

(١) أى مطيته . (٢) أى يشير بالسبابة مع الابهام كما تفعل الغازلة وهى تسحب الفتلة .
(٣) الخلا: هو الرطب من الحشيش ، وهذا المثال يضرب للئيم الذى يجد مالا فيفسد فيه .

قوله : متين ، المتين الشديد ، قال الله عزّ وجل : « وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ » وقوله : فأوغل فيه برفق ، يقول ادخل فيه ، هذا أصل الوُغول ، ويقال مشتقاً من هذا للرجل الذي يأتي شرابَ القومِ من غير أن يُدْعَى إليه واغِلٌ ، ومعناهُ أنه وَغَلَ في القوم وليس منهم . قال امْرُؤُ الْقَيْسِ :

حَلَّتْ لِيَ الْخَمْرُ وَكُنْتُ امْرأً عَنْ شُرْبِهَا فِي شُغُلٍ شاغِلِ

فَالْيَوْمَ أُسْقَى غَيْرَ مُسْتَحْقِبٍ[1] إِثْمًا مِنَ اللّٰهِ وَلَا وَاغِلِ

والمُنْبَتُّ مثل المُحَقْحِقِ ، واشتقاقه من الانقطاع . يقال انْبَتَّ فلانٌ من فلان أي انقطع منه ، وبَتَّ الله ما بينهم أي قَطَعَ ، قال محمد بن نُمَيْرٍ :

تَوَاعَــدَ لِلْبَيْنِ الْخَلِيطُ لِيَنْبَتُّوا وَقَالُوا لِراعِي الذَّوْدِ مَوعِدُكَ السَّبْتُ

وَفِي النَّفْسِ حَاجَاتٌ إِلَيْهِمْ كَثِيرَةٌ وَمَوْعِدُها فِي السَّبْتِ لَو قَدْ دَنَا الْوَقْتُ

(روى الأخفش البيت الأخير ويروى :

☆ أَلَا قَرَّبَ الْحَيُّ الْجِمالَ لِيَنْبَتُّوا ☆)

وحُدِّثْتُ أن ابْنَ السَّمَّاكِ[2] كان يقول : إذا فَعَلْتَ الحسنةَ فافْرَحْ بها واسْتَقِلَّها ، فإنك إذا استقللتها زِدْتَ عليها ، وإذا فَرِحْتَ بها عُدتَ إليها .

ويروى عن أُوَيْسٍ القَرَنِيِّ أنه قال : إنّ حقوق الله لم تَتْرُكْ عند مسلم درهماً .

---

(١) المستحقب : الذي يحمل الشيء في الحقيبة .
(٢) ناسك فصيح ، تحدثنا عن أدبه في كتاب « التصوف الاسلامي » .

ودخل يَزِيدُ بن عُمَرَ بن هُبَيْرَةَ على أمير المؤمنين المَنْصور فقال : يا أمير المؤمنين ، تَوَسَّعْ تَوَسُّعاً قُرَشِيًّا ، ولا تَضِقْ ضيقاً حِجازِيًّا .

ويروى أنه دَخَل عليه يومًا فقال له المنصورُ حَدِّثْنا ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن سُلْطانَكُمْ حَديثٌ ، وإمارَتَكُمْ جَديدةٌ ، فأذيقوا الناسَ حَلاوةَ عَدْلِها ، وجَنِّبوهُمْ مَرارةَ جَوْرِها ، فوالله يا أمير المؤمنين لقد مَحَضْتُ لك النَّصيحة .

ثم نَهَضَ فنَهَضَ معه سبعمائة من قَيْسٍ فأَتْأَرَهُ المنصور بَصَرَهُ ، ثم قال لا يَعِزُّ مُلْكٌ يكون فيه مِثْلُ هذا .

قوله : مَحَضْتُ لك النصيحة يقول أخلصت لك ، وأصل هذا من اللبن ، والمَحْضُ منه الخالص الذى لا يَشوبُهُ شيء ، وأنشد الأَصْمَعِيُّ :

امْتَحَضَا وَسَقَّيَانِي ضَيْحاً   وَقَدْ كَفَيْتُ صاحِبِيَّ المَيْحَا

(الميح طلب الشيء هاهنا وهاهنا) ، ويقال حَسَبٌ مَحْضٌ ، وقوله أتأره بصره يقول أتبعه بصره ، وحَدَّدَ إليه النَّظَرَ ، وأنشد الأصمعى (وهو للكُمَيْتِ بن زَيْدٍ) :

مَا زِلْتُ أَرْمُقُهُمْ وَالآلُ يَرْفَعُهُمْ   حَتَّى اسْمَدَرَّ(١) بِطَرْفِ العَيْنِ إِتْآرِي



ويروى عن أسماء بن خارجةَ أنه قال : لا أُشاتِمُ رجلا ، ولا أَرُدُّ سائلا ، فإنما هو كريم أَسُدُّ خَلَّتَهُ ، أو لئيم أشترى عِرْضى منه .

---

(١) الميم زائدة ، وهو من سدر بصره لم يكد يبصر .

ويروى عن الأَحْنف بن قَيْسٍ أنه قال : ما شاتَمْتُ رجلاً مُذْ كنتُ رجلا ، ولا زَحَمتْ رُكْبتاى رُكْبَتَيْه ، وإذا لم أَصِلْ مُجْتَدِىَ حتى يَنْتَحَ جَبِينُهُ عَرقًا كما يَنْتَحُ الحَميتُ ، فوالله ما وصَلْتُهُ[(١)] .

قوله : مُجْتَدِىَّ يريد الذى يأتيه يطلب فضله ، يقال اجتداه يَجْتَديه ، واُعْتفاه يَعْتَفِيه ، واعتراه يَعْتريه ، واعْتَرَّهُ يَعْتَرُّه ، ، وعراه يَعْرُوه إذا قصده يَتَعَرَّضُ لنائله . وأصل ذاك مأخوذ من الجَدَى مقصور . وهو المطر العامّ النافع ، يقال : أصابَتْنا مَطْرةٌ كانت جَدًى على الأرض ، فهذا الاسم . فإذا أردتَ المصدر قلت فلان كثير الجَداء ممدود ، كما تقول كثير الغناء عنك ممدود ، هذا المصدر ، فإذا أردتَ الاسم الذى هو خلاف الفقر قلت الغِنى بكسر أوله ، وقَصَرْتَ[(٢)] . قال خُفافُ بن نُدْبَةَ يمدح أبا بكر الصديق رضى الله عنه :

لَيْسَ لِشَيْءٍ غَيْرَ تَقْوَى جَدَاءْ ... وَكُلُّ شَيْءٍ عُمْرُهُ لِلْفَنَاءْ

إنَّ أَبَا بَكْرٍ هُوَ الْغَيْثُ إِذْ ... لَمْ تَشْمَلِ الْأَرْضَ سَحَابٌ بِمَاءْ

تَاللهِ لاَ يُدْرِكُ أَيَّامَهُ ... ذُو طُرَّةٍ حافٍ وَلَا ذُو حِذَاءْ

مَنْ يَسْعَ كَىْ يُدْرِكَ أَيَّامَهُ ... يَجْتَهِدِ الشَّدَّ بِأَرْضٍ فَضَاءْ

وهذا من طريف الشعْر لأنه ممدود فهو بالمد الذى فيه من عَروض السّريع الأولى ، وبيته فى العَروض :

---

(١) المراد أنه يبادر إلى اجابة سائله فلا يحوجه إلى أن يسيل عرقه من الحياء .

(٢) قال الشيخ المرصفى : هذا خطأ من أبى العباس ، وذلك أن الجداء والغناء عنك ليسا مصدرين لجدا يجدو ، ولا غنى ضد افتقر ، وانما هما اسمان من أجدى عنك وأغنى عنك فلان إذا ناب عنك وأجزأ عنك .

أَزْمانَ سَلْمى لا يَرَى مِثْلَهَا الرَّا ءُونَ فى شَامٍ وَلاَ فى عِرَاقْ

ثم نرجع إلى تأويل قول الأَحْنَفِ،قوله:حتى يَنْتَحَ جَبِينُهُ ، فهو مثل الرَّشْحِ. وحدثنى أبو عثمان المازنىُّ فى إسناد له ذَكَرَهُ قال : قال رُؤْبَةُ بن العَجَّاج : خرجتُ مع أبى نريد سليمان بن عبد الملك . فلما صِرْنا فى الطريق أُهْدِيَ لنا جَنْبٌ من لحم(١) عليه كَرافِئُ الشحم ، وخَرِيطةٌ(٢) من كَمْأَةٍ ، ووَطْبٌ من لبن . فطبخنا هذا بهذا فما زالتْ ذِفْرَيايَ(٣) تَنْتَحَانِ منه إلى أن رجعتُ ، وقوله : الحميت ، فالحميتُ والزِّقُّ اسمان له ، وإذا زُفِّتَ أو كان مَرْبُوبًا فهو الوطب ، وإذا لم يكن مربوبًا ولا مُزَفَّتًا فهو سِقاءٌ ونِحْىٌ ، والوَطْبُ يكون للبن والسمن ، والسِّقاء يكون للبن والماء .

قالت هِنْدُ بنت عُتْبةَ لأبى سُفْيان بن حَرْبٍ لما رجع مُسْلِماً من عند النبى صلى الله عليه وسلم إلى مكة فى ليلة الفتح فصاح : يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، أَلاَ إنِّى قد أسْلَمْتُ فأَسْلِموا ، فإنَّ محمداً قد أتاكم بما لا قِبَلَ لكم به ، فأخذتْ هند رأسه ، وقالت : بئس طَليعةُ القومِ أنتَ ، والله ما خُدِشْتَ خَدْشاً ، يا أهل مكة عليكم الحَميتَ الدَّسِمَ فاقتلوه .

وأما قول رُؤْبَةَ كَرافِئُ الشحم يريد طبقات الشحم . وأصل ذلك فى السحاب إذا رَكِبَ بعضُهُ بعضاً ، يقال له كِرْفِئٌ والجميع كَرافِئُ (قال أبو الحسن الأخفش : واحد الكَرافِئِ كِرْفِئَةٌ ، وهاء التأنيث إذا جُمِعَتْ جمع التكسير حُذِفَتْ لأنها زائدة بمنزلة اسم ضُمَّ إلى اسم، وأحْسِبُ أن أبا العباس لم يَسْمَعِ الواحدَ من هذا فقاسه والعرب تَجْتَرِئُ على حذف هاء التأنيث

---

(١) أى شق لحم . (٢) هى مثل الكيس وتكون من جلد .

(٣) مثنى ذفرى ، وهى العظم الشاخص خلف الأذن .

إذا احتاجت إلى ذلك، وليس هذا موضع حاجة إذا كانت قد اسْتُعْمِلَتْ الواحدةُ بالهاء، ونظير هذا قولهم ما فى السماء كِرْفِئَةٌ، وما فى السماء قُذْعملةٌ وَقُذْعُمِيلَةٌ، وما فى السماء طُخْرُبَةٌ وطِخْرِبَةٌ، وما فى السماء قِرْطَعْبَةٌ، وما فى السماء كَنَهْوَرَةٌ، وهى القطعة من السحاب العظيمة كالجبل وما أشبهه).

باب

قال أبو العباس: قال حَسَّانُ بن ثابت يهجو مُسافِعَ بن عياض التَّيْمِيّ من تَيْمِ بن مُرَّةَ بن كَعْبِ بن لُؤَيٍّ رَهْطِ أبى بكر الصِّدِّيق رضى الله عنه:

لَوْ كُنْتَ مِنْ هَاشِمٍ أَوْ مِنْ بَنِى أَسَدٍ ... أَوْ عَبْدِ شَمْسٍ أَوِ اصْحَابِ اللِّوَا الصِّيدِ

أَوْ مِنْ بَنِى نَوْفَلٍ أَوْ رَهْطِ مُطَّلِبٍ ... لِلَّهِ دَرُّكَ[1] لَمْ تَهْمُمْ بِتَهْدِيدِى

أَوْ فِى الذُّؤَابَةِ مِنْ قَوْمٍ ذَوِى حَسَبٍ ... لَمْ تُصْبِحِ الْيَوْمَ نِكْساً ثَانِىَ الْجِيدِ[2]

أَوْ مِنْ بَنِى زُهْرَةَ الْأَخْيَارِ قَدْ عُلِمُوا ... أَوْ مِنْ بَنِى جُمَحَ الْبِيضِ الْمَنَاجِيدِ

أَوْ فِى السَّرَارَةِ مِنْ تَيْمٍ رَضِيتُ بِهِمْ ... أَوْ مِنْ بَنِى خَلَفِ الْخُضْرِ الْجَلَاعِيدِ

يَا آلَ تَيْمٍ أَلَا تَنْهَوْا سَفِيهَكُمُ ... قَبْلَ الْقِذَافِ بِقَوْلٍ كَالْجَلَامِيدِ[3]

لَوْلَا الرَّسُولُ فَإِنِّى لَسْتُ عَاصِيَهُ ... حَتَّى يُغَيِّبَنِى فى الرَّمْسِ مَلْحُودِى

---

(١) هى هنا عبارة تهكم. (٢) رواية الديوان: مائل العود.

(٣) الرواية: بأمثال الجلاميد.

وَصاحِبُ الْغارِ إِنِّى سَوْفَ أَحْفَظُهُ   وَطَلحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ ذِى الْجُودِ

لَقَدْ رَمَيْتُ بِها شَنْعاء فاضِحَـــةً   يَظَلُّ مِنْها صَحِيحُ الْقَوْمِ كالْمُودِى

قوله : لو كنتَ من هاشمٍ يريد هاشم بن عَبْدِ مَناف بن قُصَيّ بن كِلاب ابن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَىّ بن غالب بن فِهْرِ بن مالك بن النَّضْرِ بن كنانة ، والنَّضْرُ أبو قُرَيْشٍ ، ومن كان من بنى كنانة لم يَلِدْهُ النَّضْرُ فليس بقُرَشِيّ . وبنو أسد بن عبد العُزَّى بن قُصَىّ . وعبد شمس بن عبد مَناف بن قُصَىّ . وأصحاب اللواء بنو عَبْدِ الدار بن قُصَىّ ، واللواء ممدود إذا أردتَ به لواءَ الأمير . ولكنه احتاج إليه فقَصَرَهُ ، وقد بيَّنَّا جواز ذلك ، فأما اللِّوَى من الرمل فمقصور . قال امْرُؤُ القَيْسِ :

* بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ[1] * كذا يرويه الأصمعى وهذه أصح الروايات .

وقوله أو من بنى نوفل فهو نَوْفَلُ بن عبد مَنافِ بن قُصَىّ . والمُطَّلِبُ الذى ذكره هو ابن عبد مَناف بن قُصَىّ ، وقوله لم تُصْبِح اليوم نِكْساً ، فالنِّكْسُ الدَّنِيء المُقَصِّرُ[2] ويقول بعضهم إن أصل ذلك فى السِّهام ، وذلك أن السَّهْمَ إذا ارْتَدَعَ[3] أو نالته آفة نُكِسَ فى الكِنانة[4] ليُعْرَفَ من غيره قال الحُطَيْئَةُ :

---

(١) فى نسخة الشيخ المرصفى : وحومل ، وبنى على ذلك أن رواية الأصمعى بالواو لا بالفاء ، وتعليله أن « بين » إنما تضاف لمتعدد ، ثم قال انه رأى العطف بالفاء مع بين فى كثير من شعر العرب . (٢) يريد المقصر عن النجدة والكرم .

(٣) أى أصاب الهدف وانكسر عوده . (٤) أى جعل أعلاه أسفله .

قَدْ نَاضَلُوكَ فَأَبْدَوْا مِنْ كِنَانَتِهِمْ مَجْدًا تَلِيدًا وَنَبْلاً غَيْرَ أَنْكَاسِ

قوله : مجداً تليداً قالوا نواصي الفرسان[1] الذين كان يُمَنّ عليهم . وقوله ثانى الجيدِ قد مرّ تفسيره فى قول الله عز وجل : « ثانِىَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عن سَبيلِ اللهِ » وقوله أو من بنى زُهْرَةَ ، فهو زُهْرَةُ بن كِلاب بن مُرَّةَ . ويُرْوَى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : خُلِقْتُ من خير حَيَّيْنِ مِنْ هاشِمٍ وزُهْرَةَ . وبنو جُمَح بن عمرو بن هُصَيْصِ بن كَعْب بن لُؤَيّ .

وقوله : المناجيد مَفاعيل من النَّجْدة والواحد مِنْجاذ . وإنما يقال ذلك فى تكثير الفعل كما تقول رجلٌ مِطْعانٌ بالرُّمْحِ ومِطْعامٌ للطعام ، وقوله : أو فى السرارة من تَيْمٍ رضيتُ بهم ، يقول فى الصَّميم منهم والمَوْضِعِ المَرْضِيّ ، وأصل ذلك فى التُّرْبةِ ، تقول العرب: إذا غَرَسْتَ فاغْرِسْ فى سَرارةِ الوادى، ويقال فلانٌ فى سِرِّ قومه ، والسُّرَّةُ مثل ذلك ، قال القُرَشِيُّ :

هَلاَّ سَأَلْتِ عَنِ الَّذِينَ تَبَطَّحُوا كَرَمَ الْبِطَاحِ وخَيْرَ سُرَّةِ وَادِ
وَعَنِ الَّذِينَ أَبَوْا فَلَمْ يُسْتَكْرَهُوا أَنْ يَنْزِلُوا الْوَلَجَاتِ مِنْ أَجْيَادِ
يُخْبِرْكِ أَهْلُ الْعِلْمِ أَنَّ بُيُوتَنَا مِنْهَا بِخَيْرِ مَضَارِبِ الْأَوْتَادِ

وقوله : أو من بنى خَلَفِ الخُضْرِ ، فإنه حَذَفَ التنوين لا لتقاء السا كنين ، وليس بالوَجْه ، وإنما يُحْذَفُ من الحرف لالتقاء السا كنين حروفُ المَدِّ واللين ، وهى الألف المفتوح ما قبلها ، والياء المكسور ما قبلها ، والواو المضموم ما قبلها ، نحو قولك هذا قفَا الرجلِ ، وقاضِى الرجلِ ، ويَغْزُو

(١) أى شعور النواصى .

القومُ ، فأما التنوين فجاز هذا فيه لأنه نون فى اللفظ ، والنون تُدْغَمُ فى الياء والواو ، وتزاد كما تزاد حروفُ المَدِّ واللينِ ، ويُبْدَلُ بعضُها من بعض ، فتقول رأيتُ زَيْدًا فتُبْدِلُ الألف من التنوين ، وتقول فى النسب إلى صَنْعاء[1] وبَهْراء[2] صَنعانِيٌّ وبَهْرانِيٌّ ، فتُبْدِلُ النونَ من ألف التأنيث ، وهذه جُمْلَةٌ وتفسيرها كثير ، فلذلك حُذِفَ ، ومثل هذا من الشعر :

عَمْرُو الَّذِى هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ ورجالُ مَكَّةَ مُسْنِتُونَ عِجافُ[3]

(صوابه عَمْرُو الْعُلَى) وقال آخر :

حُمَيْــــــدُ الَّذِى أَمَجٌ دارُهُ أَخُو الخَمْرِ ذُو الشَّيْبَةِ الْأَصْلَعُ

وقرأ بعض القُرَّاء « قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدُ اللهُ الصَّمَدُ » وسمعتُ عُمارةَ بن عَقيلٍ يَقْرَأُ « وَلَا اللَّيْلُ سابِقُ النَّهارَ وَكُلٌّ فى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ » ، فقلتُ ما تريد ؟ فقال : سابقٌ النهارَ ، وقوله : أو أُصحاب اللوا ، خَفَّفَ الهمزةَ ، وتُخَفَّفُ إذا كان قبلها ساكنٌ ، فتُطْرَحُ حركتها على الساكن وتُحْذَفُ كقولك مَنَ أبوكَ ، وقوله عز وجل : « الَّذِى يُخْرِجُ الخَبَ فى السموات والأرض » وخَلَفٌ الذى ذكره من بنى جُمَح بن عَمْرو بن هُصَيْصِ بن كَعْبِ بن لُؤَيٍّ ، وقوله : الخُضْرِ الجَلَاعيد ، يقال فيه قولان : أحدهما أنه يريد سوادَ جلودهم كما قال الفَضْل بن العبَّاس بن عُتْبة بن أبى لَهَبٍ :

---

(١) قصبة اليمن . (٢) قبيلة باليمن .

(٣) صواب الرواية :

عمرو العلا هشم الثريد لقومه قوم بمكة مسنتين عجاف

وقبله : كانت قريش بيضة فتفقأت فالمح خالصه لعبد مناف

الخالطين فقيرهم بغنيهم والظاعنين لرحلة الايلاف

والرائشين وليس يوجد رائش والقائلين هلم للأضياف

وَأَنَا الْأَخْضَرُ مَنْ يَعْرِفُنِي أَخْضَرُ الْجِلْدَةِ فِي بَيْتِ الْعَرَبْ

فهذا هو القول الأول . وقال آخرون شبههم فى جُودهم بالبحور[١] ، وقوله : الجلاعيد، يريد الشِّدادَ الصِّلابَ واحدهم جَلْعَدٌ ، وزاد الياء للحاجة ، وهذا جمعٌ يجيء كثيراً ، وذلك أنه موضع تلزمه الكسرة ، فَتُشْبَعُ فتصير ياءً ، يقال فى خاتَمٍ خواتيمُ ، وفى دانِقٍ دوانيقُ ، وفى طابَقٍ طوابيقُ ، قال الفَرَزْدَقُ :

تَنْفِي يَدَاهَا الْحَصَى فِي كُلِّ هَاجِرَةٍ نَفْيَ الدَّرَاهِيمِ تَنْقَادُ الصَّيَارِيفِ

وقوله : قبل القذاف يريد المُقاذَفَةَ ، وهذه تكون من اثنين فما فوقهما نحو المُقاتَلَةِ والمُشاتَمَةِ ، فباب فاعَلْتُ إنما هو للاثنين فصاعداً ، نحو قاتَلْتُ وضارَبْتُ ، وقد تكون الألف زائدة[٢] فى فاعَلْتُ فتُبْنَى للواحد ، كما زيدت الهمزةُ أوَّلاً فى أفْعَلْتُ فتكون للواحد نحو عاقَبْتُ اللِّصَّ ، وعافاه الله ، وطارَقْتُ نَعْلى .

وقوله: وصاحب الغار، يعنى أبابَكْرٍ رضى الله عنه لمصاحبته النبيَّ صلى الله عليه وسلم فى الغار ، وهذا مشهور لا يحتاج إلى تفسير . وطلحة بن عبيد الله ذو الجود ، نسبه إلى الجود لأنه كان من أَجْوَدِ قُرَيْشٍ ، وحدَّثنى التَّوَّزِيُّ قال : كان يقال لطلحة بن عبيد الله ، طَلْحة الطَّلَحاتِ ، وطَلْحَةُ الْخَيْرِ ، وطَلْحَةُ الجودِ .

وذكر التَّوَّزِيُّ عن الأَصْمَعِيِّ أنه باع ضَيْعَةً له بخمسة عشر ألف درهم فَقَسَمَها فى الأَطْباقِ[٣] ، وفى بعض الحديث أنه مَنَعَهُ أن يَخْرُجَ إلى المسجد

(١) لما يرى من لون الخضرة فى مياهها .
(٢) أى لا تدل على المشاركة فى الفعل وان دلت على التأكيد .
(٣) أى فى جماعات الناس والمفرد طبق بالتحريك ، وهم أيضا الأجانب ، فى حديث ابن مسعود فى أشراط الساعة : توصل الأطباق وتقطع الأرحام .

أن نُفَقِّ له بين ثوبين(١) .

وحدثني المُثنّى في إسنادٍ ذَكَرَهُ قال : دعا طَلْحَةُ بن عبيد الله أبا بكر وعمر وعثمان رحمة الله عليهم ، فأبطأ عنه الغُلامُ بشيء أراده ، فقال طلحةُ يا غلامُ ، فقال الغلامُ : لبَّيكَ ! فقال طلحة : لا لبَّيْكَ ! فقال أبو بكر : ما يَسُرُّني أني قُلْتُها ، وأنَّ لي الدنيا وما فيها ، وقال عمر : ما يَسُرُّني أني قُلْتُها ولي نصف الدنيا ، وقال عثمان : ما يسرني أني قلتها وأنَّ لي حُمْرَ النَّعَمِ ، قال : وصَمَتَ عليها أبو محمد ، فلما خرجوا من عنده باع ضَيْعَةً بخمسة عشر ألف درْهَمٍ فتصدق بثَمَنِها .

وقوله : * يَظَلُّ مِنْهَا صَحِيحُ الْقَوْمِ كَالْمُودَى * فالمودى في هذا الموضع الهالك ، والمودى موضع آخر يكون فيه القويَّ الجادَّ حدَّثني بذلك التَّوَّزِيُّ في كتاب الأضداد ، وأنشدني .

* مُودُونَ يَحْمُونَ السَّبِيلَ السَّابِلاَ * (المُؤْدِي بالهمز : التامُّ الأَداةِ والسِّلاحِ ، وبغير الهمز الهالكُ) وقال رجل من العرب :

خَلِيلَيَّ عُـــوجَا بَارَكَ اللهُ فِيكُمَا ... عَلَى قَبْرِ أُهْبَانٍ سَقَتْهُ الرَّوَاعِدُ
فَذَاكَ الْفَتَى كُلُّ الْفَتَى كَانَ بَيْنَهُ ... وَبَيْنَ الْمُزَجَّى نَفْنَفٌ مُتَبَاعِدُ
إِذَا نَازَعَ الْقَوْمُ الْأَحَادِيثَ لَمْ يَكُنْ ... عَيِيًّا وَلاَ عِبْئاً عَلَى مَنْ يُقَاعِـــدُ

قوله: على قَبْرِ أُهْبانٍ ، فهذا اسم عَلَمٌ كزيد وعمرو واشتقاقه من وَهَبَ يَهَبُ وهَمَزَ الواوَ لانضمامها كقوله تعالى « وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ » فهو فُعِّلَتْ من الوَقْتِ ، وقد مضى تفسير همز الواو إذا انْضَمَّتْ ، وهو لا ينصرف في المعرفة

(١) أي ضم أحدهما إلى الآخر .

وينصرف فى النكرة ، وكل شىء لاينصرف فصَرْفُهُ فى الشعر جائز لأن أصله كان الصَّرْفَ فاما احتيج إليه رُدَّ إلى أصله . فهذا قولُ البصريين . وزعم قوم أن كل شىء [لا ينصرف فَصَرْفُهُ فى الشعر جائز إلا أفعلَ الذى معه منكَ نحو أفْضَل منك وأكرمَ منكَ . وزعم الخليل ، وعليه أصحابه ، أن هذا إذا كانت معه منك بمنزلة أحْمَرَ ، لأنه إنما كَمَلَ أنْ يكون نعتًا بمنك . وأحْمَرُ لا يحتاجُ إليها ، فهو مع منْكَ بمنزلة أحْمَرَ وحْدَهُ ، قال والدليل على أن منك ليست بمانعته من الصرف أنه إذا زال عن بنا أفْعَلَ انْصَرَفَ نحو قولك مررتُ بخَيْرٍ منك وشَرٍّ منك ، فلوكانت منكَ هى المانعة لَمَنَعَتْ هاهنا فهذا قولٌ بَيِّنٌ جدًّا .

وقوله : المُزَجَّى ، فهو الضعيف . يقال : زَجَّى فلان حاجتى : أى خَفَّ عليه تعْجيلُها ، والمُزْجاةُ من البضائع اليَسيرةُ الخفيفة المَحْمل ، والنَّفْنَفُ وجمعه النَّفانِفُ كُلُّ ما كان بين شيئين عالٍ ومنخفضٍ ، قال ذو الرُّمَّةِ :

(تَرَى قُرْطَهَا فِى وَاضِحِ اللِّيتِ مُشْرِفًا عَلَى هَــــلَكٍ) فى نَفْنَفٍ يَتطَوَّحُ

وقوله: ولا عِبْئًا عَلَى من يقاعِدُ ، فالعِبْءُ الثِّقْلُ يقال حَمَل عِبْئًا ثقيلاً ، ووَكَّدَهُ بقوله ثقيلاً ، ولو لم يقله لم يَحْتَجْ إليه ، وقال آخر يذكر ابنه :

أَلاَ يَا سُمَيَّــــةُ شُبِّى الْوَقُودَا لَعَلَّ اللَّــــيَالِى تُؤَدِّى يَزِيدَا
فَنَفْسِى فِدَاؤُكَ مِنْ غائبٍ إِذَا ما المَسَارِحُ كَانَتْ جَلِيدَا
كَفَانِى الَّذِى كُنْتُ أَسْعَى لَهُ فَصَارَ أَبًا لِى وَصِرْتُ الوَلِيدَا

قوله : شُبِّى يقال شَبَبْتُ النارَ والحربَ إذا أوْقَدْتَهما يقال شَبَّ يَشُبُّ شَبًّا ،

قال الأَعْشَى :

تُشَبُّ لِمَقْرُورَيْنِ يَصْطَلِيَانِهَا وَبَاتَ عَلَى النَّارِ النَّدَى والمُحَلَّقُ

وقوله : إذا ما المسارح كانت جليداً فالمسارحُ الطُّرُقُ التى يَسْرَحون فيها ، واحدها مَسْرَحٌ ، والجَليدُ يقع من السماء ، وهو نَدًى فيه جُمُودٌ ، فتَبْيَضُّ له الأرض ، وهو دون الثَّلْجِ ، يقال له : الجَليدُ والضَّريبُ ، والسَّقيطُ والصَّقيعُ[1] وقالوا فى قوله : ✡ رِجْلاَ عُقَابٍ يَوْمَ دَجْنٍ تُضْرَبُ ✡ أى يصيبها الضَّريبُ

وقوله : وكنتُ الوَليدَ فالوليد الصغير وجمعه وِلْدانٌ وهو فى القرآن (قوله عزّ وجل : « يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ » ونظير وَليدٍ ووِلْدانٍ ظَليمٌ وظِلْمانٌ وقَضيبٌ وقِضْبانٌ[2] وباب فُعالٍ فِعْلانٌ نحو عِقْبانٍ وذِبّانٍ وغِرْبانٍ .

وقولهم : أمْرٌ لا يُنادَى وَليدُهُ يقال فيه قولان متقاربان ، فأحدهما أنه لا يُدْعَى له الصِّغارُ ، والوجه الآخر لأصحاب المعانى يقولون ليس فيه وَليدٌ فيُدْعَى ، ونظير ذلك قول النابغة الجَعْدِيِّ :

سَبَقْتُ صِيَاحَ فَرَارِيجِها وَصَوْتَ نَوَاقِيسَ لَمْ تُضْرَبِ

أى لَيْسَتْ ثَمَّ[3] ، ولكنَّ هذا من أوقاتها ، وقالت أخت طَرَفَةَ بن العَبْدِ :

عَدَدْنَا لَهُ سِتًّا وَعِشْرِينَ حِجَّةً فَلَمَّا تَوَافَاهَا[4] اسْتَوَى سَيِّدًا ضَخْمَا

---

(١) استعملت العرب من هذه الأسماء أفعالا مبنية للمجهول، فقالوا: جلدت الأرض وضربت وصقعت إذا أصابها ذلك ، وقالوا : أجلد القوم وأضربوا وأصقعوا إذا أصابهم ذلك ، ولم يستعملوا من السقيط فعلا .

(٢) بكسر الأول منهما وضمه ، والضم هو المطرد فى فعلان جمع فعيل .

(٣) يريد ليست هناك نواقيس فتضرب .

(٤) أى أكملها .

فُجِعْنَا بِهِ لَمَّا رَجَوْنَا إِيَابَهُ ... عَلَى خَيْرِ حالٍ لا وَلِيدًا وَلَا قَحْمَا

الوليد ما ذكرنا ، والقَحْمُ الرجل المتناهى سِنًّا . ويقال ذلك فى البعير قَحْمٌ وَقَحْرٌ وَمُقْلَحِمٌ ، ويقال للبعير خاصَّةً قُحارية بوزن قُراسِيَة ، وأنشد الأصمعىّ :

رَأَيْنَ قَحْمًا شابَ وَاقْلَحَمَّا ... طالَ عَلَيْهِ الدَّهْرُ فَاسْلَهَمَّا

المُسْلَهِمُّ الضامر ، وقال آخر لابنه يرثيه :

وَمِنْ عَجَبٍ أَنْ بِتَّ مُسْتَشْعِرَ الثَّرَى[1] ... وَبِتُّ بِمَا زَوَّدْتَنِى مُتَمَتِّعَا

وَلَوْ أَنَّنِى أَنْصَفْتُكَ الْوُدَّ لَمْ أَبِتْ ... خِلَافَكَ حَتَّى نَنْطَوِى فِى الثَّرَى مَعَا

وقال إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن يرثى أخاه محمدًا :

أَبَا المَنَازِلِ يَا عُبْرَ[2] الْفَوَارِسِ مَنْ ... يُفْجَعْ بِمِثْلِكَ فِى الدُّنْيَا فَقَدْ فُجِعَا

اللهُ يَعْلَمُ أَنِّى لَوْ خَشِيتُهُمُ ... أَوْ آنَسَ القَلْبُ مِنْ خَوْفٍ لَهُمْ فَزَعَا

لَمْ يَقْتُلُوكَ وَلَمْ أُسْلِمْ أَخِى لَهُمُ ... حَتَّى نَعِيشَ جَمِيعًا أَوْ نَمُوتَ مَعَا

قوله : يا عُبْرَ الفوارس ، يصفه بالقوة منهم وعليهم كما يقال ناقة عُبْرُ الهَوَاجِرِ وعُبْرُ السُّرَى ، وقوله * أو آنس القلب من خوف لهم فزعًا * يقول أحسّ ، وأصل الإيناس فى العين ، يقال : آنَسْتُ شخصًا : أى أبصَرْتُهُ من بُعْدٍ ، وفى كتاب الله عزّ وجل : « آنَسَ مِنْ جانِبِ الطُّورِ نارًا » وقال مُتَمِّم ابن نُوَيْرَةَ (يرثى أخاه) :

وَقالُوا أَتَبْكِى كُلَّ قَبْرٍ رَأَيْتَهُ ... لِمَيْتٍ ثَوَى بَيْنَ اللِّوَى فَالدَّكَادِكِ

---

(١) استشعر الثرى : لبسه كالشعار ، وهو مايلى شعر الجسد من الثياب .

(٢) عبر — مثلث العين — يستوى فيه المذكر والمؤنث والمفرد والجمع ، يقال جمل وناقة وجمال ونوق عبر أسفار : إذا كانت قوية .

فَقُلْتُ لَهُمْ إِنَّ الْأَسَى يَبْعَثُ الْأَسَى ... ذَرُونِى فَهٰذَا كُلُّهُ قَبْرُ مالِكِ

الأَسَى : الحُزْنُ ، وقد مرّ تفسيره وقال على بن عبد الله بن العباس بن عبد المُطَّلِبِ رحمه الله :

أَبِى الْعَبَّاسُ قَرْمُ بَنِى قُصَىٍّ ... وَأَخْوالِى الْمُلُوكُ بَنُو وَلِيعَهْ

هُمُ مَنَعُوا ذِمارِى يَوْمَ جاءَتْ ... كَتَائِبُ مُسْرِفٍ وَبَنُو اللَّكِيعَهْ

أَرادَ بِىَ الَّتِى لا عِزَّ فِيهَا ... فَحَالَتْ دُونَهُ أَيْدٍ مَنِيعَهْ

قوله : بنو وليعة فهم أخواله من كِنْدَةَ وأُمُّهُ زُرْعَةُ بنت مِشْرَحٍ الكِنْدِيَّةُ ، ثم أَحَدُ بنى وَلِيعةَ ، وقوله : كتائبُ مُسْرِفٍ ، يعنى مسلم بن عُقْبَةَ المُرِّىِّ صاحبَ الحَرّةِ ، وأهلُ الحجاز يسمونه مسرفا ، وكان أراد أَهْلَ المدينة جميعاً على أن يبايعوا يَزيدَ بن معاوية على أن كل واحد منهم عَبْدٌ قِنٌّ له إلا علىَّ ابنَ الحُسَيْنِ ، فقال حُصَيْنُ بن نُمَيْرٍ السَّكُونِىُّ من كِنْدَةَ : ولا يُبايِعُ ابْنُ أختنا علىُّ بن عبد الله إلاَّ على ما يُبايِعُ عليه علىُّ بن الحسين على أنه ابن عَمِّ أمير المؤمنين ، وإلا فالحَرْبُ بيننا ، فأُعْفِىَ علىُّ بن عبد الله ، وقُبِلَ منه ما أراد ، فقال هذا الشِّعْرَ لذلك .

وقوله : بنو اللكيعه ، فهى اللئيمة ، ويقال فى النداء للئيم : يالُكَعَ ، وللأنثى يالَكاعِ ، لأنه موضع معرفة كما يقال يا فُسَقُ ويا خُبَثُ ، فإن لم ترد أن تَعْدِلَهُ عن جهته قلتَ للرجل : يا أَلْكَعُ ، وللأنثى يا لَكْعاءُ ، وهذا موضع لا تقع فيه النَّكِرَةُ ، وقد جاء فى الحديث ـ والأصل ما ذكرتُ لك : ـ لا تَقوم الساعةُ حتى يَلِى أمورَ الناس لُكَعُ بن لُكَعٍ . فهذا كناية

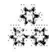
عن اللئيم بن اللئيم ، وهذا بمنزلة عمر ينصرف فى النكرة ، ولا ينصرف فى المعرفة ، ولَـكاعِ يُبْنَى على الكسر ، وسنشرح باب فَعالِ للمؤنث على وُجوهه الخمسة عند أول ما يَجْرِى من ذكره إن شاء الله ، وقد اضْطُرَّ الحُطَيْئَةُ فَذَكَرَ لَـكاعِ فى غير النِّداء ، فقال يهجو امرأته :

أُطَوِّفُ مَا أُطَوِّفُ ثُمَّ آوِى   إلَى بَيْتٍ قَعِيـــدَتُهُ لَـكَاعِ

قَعيدةُ البيتِ رَبَّةُ البيت ، وإنما قيل قعيدة لقعودها وملازمتها ، ويقال للفرس قُعْدَةٌ من هذا ، وهو الذى يَرْتبطه صاحبُهُ فلا يُفارِقه ، قال الجُعْفِىّ :

لَـكِنْ قَعِيدَةُ بَيْتِنَا مَجْفُوَّةٌ   بَادٍ جَنَاجِنُ صَدْرِها وَلَهَا غِنَى

الجَناجِنُ: مايظهر عند الهُزالِ من أطراف ضُلوع الصدر واحدها جِنْجِنٌ .



وقال هشام أخو ذى الرُّمَّةِ(١) :

تَعَزَّيْتُ عَنْ أَوْفَى بِغَيْلاَنَ بَعْدَهُ   عَزَاءً وَجَفْنُ الْعَـــيْنِ بِالْمَاءِ مُتْرَعُ

وَلَمْ تُنْسِنِى أَوْفَى الْمُصِيبَاتُ بَعْدَهُ   وَلَـكِنَّ نَكْءَ الْقَرْحِ بِالْقَرْحِ أَوْجَعُ

غَيْلانُ : هو ذو الرُّمَّةِ ، وكان هِشامٌ من عُقَلاءِ الرجال .

حدثنى العباس بن الفَرَجِ فى إسناد ذكره يَعْزوه إلى رجل أراد سَفرًا فقال قال لى هِشامُ بن عُقْبةَ : إنَّ لـكل رُفْقةٍ كَلْباً يَشْرَكُهُمْ فى فَضْلة الزادِ

---

(١) قبل هذين البيتين :

نعى الركب أوفى حين آبت ركابهم   لعمرى لقد جاءوا بشر فأوجعوا

نعوا باسق الأخلاق لا يخلفونه   تـكاد الجبال الصم منـه تصدع

وَيَهُرُّ دونهم ، فإن قدرتَ ألا تكونَ كلبَ الرُّفقه فافعلْ ، وإيَّاكَ وتأخيرَ الصَّلاةِ عن وقتها ، فإنك مُصَلِّيها لا مَحالَةَ ، فَصَلِّها وهى تُقْبَلُ منك .

وقال حسَّانُ بن ثابت الأنصاريُّ :

تَقُولُ شَعْثاءُ لَوْ صَحَوْتَ عَنِ الْـ ـكَأْسِ لأَصْبَحْتَ مُثْرِيَ الْعَدَدِ

(هى امرأته وهو اسمها) :

أَهْوَى حَدِيثَ النَّدْمانِ[1] فى فَلَقِ الصُّـ ـبْحِ وَصَوْتَ الْمُسامِرِ الْغَرِدِ

لاَ أَخْدِشُ الْخَدْشَ بِالْجَلِيسِ وَلاَ يَخْشَى نَدِيمِى إذا انْتَشَيْتُ يَدِى

يَأْبَى لِىَ السَّيْفُ وَاللِّسانُ وَقَوْ مٌ لَمْ يُضَامُوا كَلِبْدَةِ الْأَسَدِ

لِبْدَةُ الأسد : ما يتطارَقُ[2] مِنْ شعرِهِ بين كَتِفَيْهِ ، ويقال أَسَدٌ ذو لِبْدَةٍ وَذو لِبَدٍ .



وحدثنى عُمارةُ قال : مرض جريرٌ مَرْضَةً شديدةً ، فعادَهُ قَيْسٌ فقال :

نَفْسِي الْفِداءُ لِقَوْمٍ زَيَّنُوا حَسَبِي وَإِنْ مَرِضْتُ فَهُمْ أَهْلِي وَعُوَّادِي

لَوْ خِفْتُ لَيْثاً أَبا شِبْلَيْنِ ذَا لِبَدٍ ما أَسْلَمُونِى لِلَيْثِ الْغَابَةِ الْعَادِى

إِنْ تَجْرِ طَيْرٌ بِأَمْرٍ فِيـهِ عَافِيَةٌ أَوْ بِالرَّحِيلِ فَقَدْ أَحْسَنْتُمُ زَادِى

وقال عبد الرحمن بن حسَّان بن ثابت بن الْمُنْذِرِ بن حَرَامٍ ، وهو يُهاجِي عبد الرحمن بن الحَكَمِ بن أبى العاصى بن أُمَيَّةَ بن عبد شَمْسٍ :

---

(١) الندمان: بفتح النون هو النديم وجمعه ندامى وندام . (٢) يتراكب بعضه فوق بعض .

فأمّا قَوْلُكَ الْخُلَفاءُ مِـــنّا ... فَهُمْ مَنَعُوا وَرِيدَكَ مِنْ وِدَاجِ[1]
وَلَوْلاهُمْ لَـكُنْتَ كَحُوتِ بَحْرٍ ... هَوَى فى مُظْلِمِ الْغَمَرَاتِ داجِى
وَكُنْتَ أَذَلَّ مِنْ وَتِدٍ بِقاعٍ ... يُشَجِّجُ رَأْسَهُ بِالْفِهْرِ[2] واجِى[3]

فكتب مُعاويةُ إلى مَرْوانَ أن يُؤَدِّبَهُما وكانا قد تقاذفا ، فضَرَبَ عبدَ الرحمن ابن حسان ثمانين ، وضَرَبَ أخاه عشرين . فقيل لعبد الرحمن بن حسان : قد أمْكَنَكَ فى مَرْوانَ ما تريد ، فأشِدْ بذكره ، وارْفَعْهُ إلى مُعاوية . فقال إذًا والله لا أَفْعَلُ وقد حدَّنى كما تُحَدُّ الرجالُ الأحرارُ ، وجَعَلَ أخاه كنصف عبد . فأوْجَعَهُ بهذا القول .



ويروى أن عبد الرحمن بن حَسَّان لَسَعَهُ زُنْبورٌ فجاء أباه يبكى ، فقال له : مالك ؟ فقال : لسعنى طائر كأنه مُلْتَفٌّ فى بُرْدَىْ حِبَرَةٍ[4] . قال : قلت والله الشعرَ[5] . ويروى أن معلّمه عاقب الصِّبْيان على ذَنْبٍ وأراده بالعقوبة ، فقال :

اللهُ يَعْلَمُ أَنِّى كُنْتُ مُنْتَبِذًا ... فى دَارِ حَسَّانَ أَصْطَادُ الْيَعَاسِيبا

وأعْرَقُ قومٍ كانوا فى الشعر آلُ حَسَّانَ فإنهم يَعْتَدُّون ستةً فى نَسَقٍ كلهم

(١) الوداج مصدر ودجه: أى قطع ودجه ، والمراد أنهم منعوا وريده من القطع . (٢) الحجر
(٣) أصله واجئ بالهمز من الوجء ، وهو الدق والضرب .
(٤) ضرب من ثياب اليمن ذو حمرة تضرب إلى سواد .
(٥) أراد أصل الشعر وهو جودة الخيال .

شاعرٌ ، وهم سَعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بن المُنذِر بن حرام ، و بعد هؤلاء في الوقت آلُ أبي حَفْصة فإنهم أهل بيت كلُّهم شاعرٌ يتوارثونه كابرًا عن كابرٍ .

ويروى أن ابنة لابن الرقاع وقف بباب أبيها قوم يسألون عنه ، فقالت: ما تريدون إليه ؟ فقالوا : جئنا لنُهاجيَهُ ، فقالتْ وهي صَبيَّةٌ :

تَجَمَّعْتُمُ مِنْ كُلِّ أوْبٍ وَوِجْهَةٍ عَلَى وَاحِدٍ لاَ زِلْتُمُ قِرْنَ وَاحِدِ

فهذه بلغت بطبعها على صِغَرِها مَبْلَغَ الْأَعْشَى في قَلْب هذا المعنى حيث يقول لِهَوْذَةَ بن علي :

يَرَى جَمْعَ مَا دُونَ الثَّلاَثِينَ قُصْرَةً وَيَعْدُو عَلَى جَمْعِ الثَّلاَثِينَ وَاحِدَا

باب

قال أبو العباس قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : علِّموا أولادكم العَوْمَ والرِّماية ، ومُروهم فليثِبُوا على الخيل وَثْبًا . ورَوُّوهُمْ ما يَجْمُلُ من الشِّعْر .

وفى حديث آخر : وخَيْرُ الخُلُقِ للمرأة المِغْزَلُ .

ويروى عن الشَّعْبِيِّ أنه قال : قال عبد الله بن العباس قال لى أبى : يا بُنَىَّ إنى أرى أميرَ المؤمنين قد اخْتَصَّكَ دون مَنْ ترى من المهاجرين والأنصار ، فاحْفَظْ عنى ثلاثًا : لا يُجَرِّبَنَّ عليكَ كَذِبًا ، ولا تَغْتَبْ عنده مسلمًا ، ولا تُفْشِيَنَّ له سِرًّا ، قال فقلتُ له : يا أَبَهْ ، كُلُّ واحدةٍ منها خيرٌ من ألف ، فقال : كلُّ واحدة منها خيرٌ من عشرة آلاف .

وحدثنى العباس بن الفَرَج فى إسناد ذكره قال : نُظِرَ إلى عمرو ابن العاصى على بَغْلةٍ قد شَمِطَ[1] وَجْهُها هَرَمًا فقيل له : أَتَرْكَبُ هذه وأنت على أَكْرَمِ ناخِرةٍ[2] بمصر ؟ فقال لا مَلَلَ عندى لدابتى ما حَمَلَتْ رجْلىّ ، ولا لامرأتى ما أَحْسَنَتْ عِشْرتى ، ولا لصديقى ما حَفِظَ سِرِّى ، إن المَلَلَ من كَوَاذب الأَخْلاق .

قوله : على أكرم ناخرة يريد الخيل ، يقال للواحد ناخرٌ ، وقيل : ناخِرَةٌ يراد جماعةٌ كما تقول رجل بَغَّالٌ وحَمَّارٌ ، والجماعة البَغَّالةُ والحَمَّارةُ ، وكذلك

(١) أى ابيض . (٢) النخير : صوت يمد فى خياشيم الأنف ، والمراد أنه سيد البلاد .

تقول أتتني عُصْبَةٌ نَبِيلَةٌ ، وقبيلة شَرِيفَةٌ ، والواحد نَبِيلٌ وشَرِيف .

وشاوَرَ مُعاوِيَة عَمْرًا فى أمر عبد الله بن هاشم بن عُتْبَةَ بن مالك بن أبي وَقاص ، وكان هاشم بن عُتْبَةَ أحَدَ فُرْسان عليّ رضى الله عنه (وهو المِرْقالُ) فأُتِيَ بابنه مُعاوية ، فشاور عَمْرًا فيه ، فقال : أرى أن تقتله ، فقال له معاوية : إني لم أرَ فى العَفْو إلا خَيْرًا ، فمضى عمرو مُغْضَبا ، وكتب إليه :

أمَرْتُكَ أمْرًا حازِمًا فَعَصَيْتَنِي   وَكَانَ مِنَ التَّوْفِيقِ قَتْلُ ابْنُ هاشِمِ
ألَيْسَ أبُوهُ يا مُعاوِيَةُ الذِي   أعانَ عَلَيْنا يَوْمَ حَزِّ الْغَلاصِمِ (١)
فَقَتَّلَنا حَتَّى جَرَى مِنْ دِمائِنا   بِصِفِّينَ أمْثالُ الْبُحُورِ الخَضارِمِ
وَهٰذَا ابْنُهُ وَالمَرْءُ يُشْبِهُ عِيصَهُ(٢)   وَيُوشِكُ أنْ تُلْقَى بِهِ جِدَّ نادِمِ

فبعث معاوية بأبياته إلى عبد الله بن هاشم ، فكتب إليه عبد الله بن هاشم :

مُعاوِيَ إنَّ المَرْءَ عَمْرًا أبَتْ لَهُ   ضَغِينَةُ خِبٍّ غِشُّها غَيْرُ نائِمِ (٣)
يَرَى لَكَ قَتْلِي يا ابْنَ هِنْدٍ وَإنَّما   تَرَى ما يَرَى عَمْرٌو مُلُوكُ الأعاجِمِ
عَلَى أنَّهُمْ لا يَقْتُلُونَ أسِيرَهُمْ   إذا كانَ مِنْهُ بَيْعَةٌ لِلْمُسالِمِ
فَإنْ تَعْفُ عَنِّي تَعْفُ عَنْ ذِي قَرابَةٍ   وَإنْ تَرَ قَتْلِي تَسْتَحِلَّ مَحارِمِي

فَصَفَحَ عنه .

وقال عمرو لعائشة رحمها الله : لوَدِدْتُ أنكِ كنتِ قُتِلْتِ يوم الجَمَلِ ! فقالت : وَلِمَ لا أبالَكَ ؟ فقال : كُنْتِ تَمُوتينَ بأجَلِكِ وتدْخُلينَ الجنةَ ، ونَجْعَلُكِ أكبرَ التشنيع على عليٍّ .

---

(١) جمع الغلصمة وهى رأس الحلقوم . (٢) العيص : الأصل .
(٣) الخب : الخداع الخبيث.

وحدثنى العباس بن الفرج الرِّياشىُّ فى إسنادٍ ذكره آخره ابن عباس قال : دخلت على عمرو بن العاص وقد احْتُضِرَ فدخل عليه عبد الله بن عمرو فقال له يا عبد الله خُذْ ذلك الصُّنْدوقَ . فقال لا حاجة لى فيه . قال إنه مملوء مالاً . قال : لا حاجة لى به . فقال عمرو : ليته مملوء بعرًا ! قال فقلت يا أبا عبد الله : إنك كنتَ تقول أشتهى أن أرى عاقلاً يموت حتى أسألَهُ كيف يجدُ فكيف تجدُكَ ؟ قال: أجد السماء كأنها مُطْبَقَةٌ على الأرض ، وأنا بينهما، وأرانى كأنما أتنفَّسُ من خرْتِ إبْرَةٍ ، ثم قال : اللهم خُذْ منى حتى ترْضى ، ثم رفع يديه . فقال : اللهم أمَرْتَ فعصَيْنا . ونَهَيْتَ فرَكِبْنا . فلا برىءٌ فأعْتذر ولا قوىٌّ فأنتصر ، ولكن لا إلٰه إلا اللّٰه ثلاثا . ثم فاظ .

وقد روينا هذا الخبر من غير ناحية الرِّياشِىِّ بأتم من هـذا ، ولكن اقتصرنا على هذا لثقةِ إسناده .

قوله : من خَرْتِ إبرة ، يعنى من ثَقْبِ إبرةٍ ، يقال للدليل خِرِّيتٌ . وزعم الأصمعى أنه أريد به أنه يَهْتدى لمثل خَرْتِ الإبرة ، وقوله : فاظ ، أى مات ، يقال : فاظ ، وفاد ، وفَطَسَ ، وفازَ ، وفوَّزَ كل ذلك فى معنى الموت ، ولا يقال فاض بالضاد إلا للاناء ، قال رؤبة :

* لاَ يدْفِنُونَ مِنْهُمُ مَنْ فَاظَا *

وقال ابن جُرَيْجٍ :

* أمَا رَأيْتَ المَيْتَ حِينَ فَوْظِهِ *

ومَنْ قال ذلك للنفْس قال فاضَتْ نَفْسُهُ شبَّهها بالاناء .

وحدثنى أبو عثمان المازنىُّ أحْسِبُهُ عن أبى زيد قال : كل العرب يقولون فاضَتْ نفسه إلا بَنِى ضَبَّة فإنهم يقولون فاظَتْ نفسه . وإنما الكلام الصحيح فاظ بالظاء إذا مات .



وفى الحديث أن امرأة سَلاَّمِ بن أبى الحُقَيْقِ قالت : فاظ ، وإله يهودَ .

وحدثنى مسعود بن بِشْرٍ قال قال زِيادٌ : الإمْرةُ تُذْهِبُ الحَفيظةَ ، وقد كانت من قوم إلىَّ هَناتٌ جعلتُها تحت قَدَمى ، ودَبْرَ أُذُنى ، فلو بلغنى أن أحدكم قد أخذه السِّلُّ من بُغْضِى ماهتَكْتُ له سِتْرًا ، ولا كَشَفْتُ له قِناعًا ، حتى يُبْدِىَ لى عن صَفْحتِهِ ، فإذا فعل لم أُناظِرْهُ .

وسمع زِيادٌ رجلاً يَسُبُّ الزمانَ فقال : لو كان يدرى ما الزمانُ لَضَرَبْتُ عُنُقَهُ ، إن الزمان هو السلطان .

وفى عَهْدِ أزْدَشِيرَ : وقد قال الأولون مِنَّا عَدْلُ السلطان أنفعُ لِلرَّعِيَّة من خِصْبِ الزمان .

وقال المُهَلَّبُ بن أبى صُفْرَةَ لِبَنِيه : إذا وَلِيتُمْ فَلِينُوا للمُحسِنِ واشتدوا على المُرِيب ، فإن الناس للسُّلْطان أهْيَبُ منهم للقرآن .

وقال عثمان بن عَفَّانَ رضى الله عنه : إن الله لَيَزَعُ بالسلطان ما لا يَزَعُ بالقرآن .

قوله : يَزَعُ أى يَكُفُّ يقال وَزَعَ يَزَعُ إذا كف ، وكان أصله يَزِعُ مثل يَعِدُ فذهبت الواو لوقوعها بين ياء وكسرة واتَّبَعَتْ حروفُ المضارعة

الياء لئلا يختلف الباب ، وهى الهمزة ، والنون ، والتاء . والياء نحو أعِدُ ، ونَعِدُ ، وتَعِدُ ، ويَعِدُ ، ولكن انفتحت فى يَزَعُ من أجل العين لأن حروف الحلق إذا كُنَّ فى موضع عين الفعل أو لامه فُتِحْنَ فى الفعل الذى ماضيه فَعَلَ ، وإن وقعت الواو مما هى فيه فاء فى يَفْعَلُ المفتوحة العين فى الأصل صَحَّ الفِعْلُ ، نحو : وَحِلَ يَوْحَلُ ، وَوَجِلَ يَوْجَلُ . ويجوز فى هذه المفتوحة ياحَلُ وياجَلُ ويِيْحَلُ ويِيْجَلُ ، وكل هذا كراهية للواو بعد الياء ، تقول وزَعْتُهُ كففته ، وأوزعته حملته على ركوب الشيء وهيأته ، وهو من الله عزَّ وجل توفيق . ويقال أوْزَعَكَ الله شكره ، أى وفقك الله لذلك .



وقال الحسن(١) مرةً : ما حاجة هؤلاء السلاطين إلى الشُّرَطِ؟ فلما ولِى القضاء كَثُرَ عليه الناس فقال : لا بُدَّ للناس من وزَعةٍ .

وخَطَبَ الحَجَّاجُ بن يوسف ذات يومٍ يوم جمعة ، فلما توَسَّطَ كلامَهُ سمع تكبيراً عالياً من ناحية السوق فقطع خطبته التى كان فيها ثم قال : يا أهل العِراق ، ويا أهل الشِّقاقِ ، ويا أهل النفاق ، وسَيِّئِى الأخْلاقِ ، يابنى اللَّكِيعة ، وعَبيدَ العصَا ، وأولادَ الإماء ، إنى لأسْمعُ تكبيرا ما يُرادُ اللهُ به ، إنما يراد به الشيطانُ ، وإن مَثَلى ومَثَلكُمْ قولُ ابن بَرَّاقَةَ الهَمْدانِىِّ :

وَكُنْتُ إذا قَوْمٌ رَمَوْنِى رَمَيْتُهُمْ   فَهَلْ أنا فى ذا يَالَ هَمْدانَ ظَالِمُ
مَتَى تَجْمَعِ القَلْبَ الذَّكِىَّ وَصارِمًا   وَأنْفًا حَمِيًّا تَجْتَنِبْكَ المَظالِمُ

(١) يريد الحسن بن الحسن البصرى .

ثم نزل فصَلّى بهم. قوله : يا أهل الشقاق ، فالمشاقَّةُ المعاداة ، وأصله أن يَرْكَبَ ما يَشُقّ عليه ، ويُرْكَبَ منه مثلُ ذلك ، والنفاق : أن يُسِرَّ خلافَ ما يُبْدِي هذا أصله ، وإنما أُخِذَ من النافقاء ، وهو أحد أبواب جِحَرةِ اليَرْبوع ، وذلك أنه أخفاها ، فإنما يَظْهَرُ من غيره ، ولجُحْرِه أربعةُ أبواب: النافقاء والراهطاء والدامّاء والسابياء وكلُّها ممدودة . ويقال للسابياء القاصعاء ، وإنما قيل له السابياء لأنه لا يَنْفُذُهُ فيَبْقى بينه وبين إنفاذه هَنَةٌ من الأرض رقيقة ، وأُخِذَ من سابياء الولد . وهى الجلدة الرقيقة التى يخرج فيها الولد من بطن أمه . قال الأخطلُ يَضْرِبُ ذلك مَثَلاً ليَرْبوعِ بن حَنْظَلَةَ(١) لأنه سُمِّيَ باليربوع :

تُسَدُّ القاصِعاء عليك حَتّى   تُنَفِّقَ(٢) أو تموتَ بها هُزالا

والعرب تزعم أنه ليس من ضَبٍّ إلا وفى جُحْرِهِ عقربٌ ، فهو لا يأكل ولد العقرب ، وهى لا تضربه ، فهى مُسالِمَةٌ له ، وهو مُسالِمٌ لها ، وأنشد :

وأَخْدَعُ من ضَبٍّ إذا خاف حارِشًا(٣)   أَعَدَّ له عِنْـــدَ الذُّنابة عَقْرَبا

(كلها بالمد ، ويقال بالقصر ، ويقال أيضا فيها على وزن فُعَلَةٍ نُفَقَـةٌ ورُهَطَةٌ ودُمَمَةٌ وقُصَـــعَةٌ . وحكى ابن القُوطِيَّةِ فى المقصور والممدود له الرُّهَطاء كالراهِطاء ، والنُّفَقاء كالنافِقاء ، والقُصَعاء كالقاصِعاء . وحكى أيضا زيادةً فقال : العانِقاء جُحْرُ الأَرنب واليربوع ، والغابياء أيضا من جِحَرةِ اليَرْبوع ، وأما قول أبى العباس فى السابياء ، فهو ممـا قد رُدَّ عليه فيه ، وقد تبعه ابن وَلّادٍ ، وكلاهما غير مصيب ، وإنمـا السابياء وعاءٌ فيه ماءٌ صاف

---

(١) جد جرير الأكبر . (٢) أى تخرج من النافقاء .

(٣) الحارش صائد الضباب .

يَخْرُجُ مع الولد ، وهو الفَقْءُ ، وليس يخرج الولد فيه . وقال الكُمَيْتُ :

وَفَقَأْ فيها الغَيْثُ من سابيائِهِ[1]

دَوالِحَ[2] وافقَأْنَ النُّجومُ[3] البَواجِسا[4]

فشبَّهَ ماء الغيث بماء السابياء ، وإنما الجلدة التي يكون فيها الولد الغِرْسُ ، وقد تبع ابنُ القُوطية أبا العباس في السابياء في أنه من أسماء جِحَرةِ اليربوع ، وذلك غلط) .

وقوله : بنو اللكيعة يريد اللئيمة ، وقد مرَّ تفسير هذا في موضعه ، قال ابن قَيْسِ الرُّقَيَّاتِ يذكر قتل مُصْعَبِ بن الزُّبَيْرِ :

إن الرَّزِيَّةَ يَوْمَ مَسْكِنَ[5] والمُصيبةَ والفَجيعَهْ

بابن الحَوارِيِّ الذي[6] لَمْ يَعْدُهُ أَهْلُ الوَقيعَهْ

غَدَرَتْ به مُضَرُ العِرا ق وأمْكَنَتْ مِنْهُ رَبِيعَهْ

فأَصَبْتِ وِتْرَكِ يا رَبِيعَ وكُنْتِ سامعةً مُطيعَهْ

يا لَهْفَ لو كانَتْ له بالطَّفِّ يَوْمَ الطَّفِّ شِيعَهْ

أو لم يَخونوا عَهْدَهُ أهلُ العِراقِ بَنُو اللَّكيعَهْ

لَوَجَدْتُمُوهُ حينَ يَغْضَبُ لا يُعَرِّجُ بالمَضيعَهْ[7]

---

(١) فقأ : شقق ، وكذلك تفقأت السحابة : تشققت ونزل منها مطر كثير .

(٢) هي السحائب المثقلات بالماء ، والمفرد دالحة ، ويقال أيضا سحابة دلوح .

(٣) هي هنا الأنواء . (٤) أي التي ينبجس منها الماء ويتفجر .

(٥) اسم موضع بالقرب من بغداد . (٦) الحواري : هو الناصر ، والمراد هنا الزبير بن العوام .

(٧) الرواية :

لوجدتموه حين يد لج لا يعرس بالمضيعه

والتعريس : النزول في آخر الليل . والمضيعة : المكان الذي يضيع فيه من ينزل به .

وقوله : عبيد العصا ، يريد أنهم لا ينقادون إلا بالاذلال ، كما قال ابن مُفَرِّغٍ الحِمْيَرِىُّ :

وَالْعَبْـــدُ يُقْرَعُ بالعصَا والحُرُّ تكفيه المَلامَهْ

وقال جرير يهجو التَّيْمَ :

ألاَ إنَّما تَيْمٌ لعَمْرٍو ومالك عَبيدُ العصا لم يَرْجُ عِتْقًا قطينُها



وخَطَبَ النّاس عبدُ الرحمن بن محمد بن الأشعث بالمِرْبَدِ عنـد ظهور أمر الحَجّاجِ عليه ، فقال : أيها الناس ، إنه لم يبق من عَدُوِّكُمْ إلا كما يَبْقَى من ذَنَبِ الوَزَغَةِ تَضْرِبُ به يمينا وشمالا فلا تَلْبَثُ أن تموت . فسمعهُ رجل من بنى قُشَيْرِ بن كَعْبِ بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعَةَ فقال : قَبَّحَ اللهُ هـذا ، يأمر أصحابه بقلة الاحتراس من عدوهم ، ويَعِدُهُمُ الغُرورَ .

ورَوَت الرُّواةُ أن الحَجّاجَ لما أخَذَ رأسَ ابن الأشعث وَجَّهَ به إلى عبد المَلِكِ بن مَرْوان مع عِرار بن عَمْرو بن شَأْسٍ الأَسَدِىِّ ، وكان أسود دميما ، فلما وَرَدَ به عليه جَعَلَ عبدُ الملك لا يسأل عن شىء من أمر الوَقيعة إلاَّ أَنْبَأَهُ به عِرارٌ فى أصح لفظ ، وأَشْبَعِ قولٍ ، وَأَجْزَإِ اختصارٍ ، فشفاه من الخبر ومَلأَ أُذُنَهُ صوابًا ، وعبد الملك لا يعرفه ، وقد اقْتَحَمَتْهُ[1] عينه حيث رآه ، فقال عبد الملك متمثلاً :

---

(١) ازدرته .

أَرَادَتْ عِرَاراً بِالْهَوَانِ وَمَنْ يُرِدْ ... لَعَمْرِى عِرَارًا بِالْهَوَانِ فَقَدْ ظَلَمْ

وَإِنَّ عِرَاراً إِنْ يَكُنْ غَيْرَ وَاضِحٍ ... فَإِنِّى أُحِبُّ الْجَوْنَ ذَا الْمَنْكِبِ الْعَمَمْ

فقال له عِرارٌ : أتعرِفُنى يا أمير المؤمنين ؟ قال : لا ، قال : فأنا والله عرار ! فزاده فى سُروره ، وأضعفَ له الجائزة .



وكتب صاحبُ اليمن إلى عبد الملكِ بن مَرْوانَ فى وقت محاربته ابنَ الأشْعَث : إنى قد وَجَّهْتُ إلى أمير المؤمنين بجارية اشتريتها بمال عظيم وَلَمْ يُرَ مِثْلُها قطُّ ، فلما دُخِلَ بها عليه رأى وجهاً جميلاً ، وخَلْقاً نبيلاً . فألقى إليها قضيباً كان فى يده ، فنكسَتْ لتأخذه فرأى منها جسْمًا بهَرَهُ . فلما هَمَّ بها أعْلَمَهُ الآذِنُ أن رسول الحَجّاج بالباب . فأذِنَ له ونحَّى الجارية ، فأعطاه كتابًا من عبد الرحمن فيه سطور أربعة يقول فيها :

سائِلْ مُجاوِرَ جَرْمٍ هَلْ جَنَيْتُ لَهَا ... حَرْبًا تُزَيِّلُ بَيْنَ الْجِيرَةِ الْخُلُطِ

وهَلْ سَمَوْتُ بِجَرَّارٍ لَهُ لَجَبٌ ... جَمِّ الصَّوَاهِلِ بَيْنَ الْجَمِّ وَالْفُرُطِ

وَهَلْ تَرَكْتُ نِسَاءَ الْحَيِّ ضَاحِيَةً ... فِى سَاحَةِ الدَّارِ يَسْتَوْقِدْنَ بِالْغُبُطِ

وتحتها (بيت آخر على غير الرَّوِىِّ من الأبيات الأُول وهو) :

قَتَلَ الْمُلُوكَ وَسَارَ تَحْتَ لِوَائِهِ ... شَجَرُ الْعُرَى وَعَرَاعِرُ الْأَقْوَامِ

قال فكتب إليه عبد الملك كتابا ، وجعل فى طَيِّهِ جوابا لابن الأشْعث :

مَا بَالُ مَنْ أَسْعَى لِأَجْبُرَ عَظْمَهُ ... حِفَاظًا وَيَنْوِى مِنْ سَفَاهَتِهِ كَسْرِى

أَظُنُّ خُطُوبَ الدَّهْرِ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ ... سَتَحْمِلُهُمْ مِنِّى عَلَى مَرْكَبٍ وَعْرِ
وَإِنِّى وَإِيَّاهُمْ كَمَنْ نَبَّهَ القَطَا ... وَلَوْ لَمْ تُنَبَّهْ بَاتَتِ الطَّيْرُ لَا تَسْرِى
أَنَاةً وَحِلْمًا وَانْتِظَارًا بِهِمْ غَدًا ... فَمَا أَنَا بِالْوَانِى وَلَا الضَّرَعِ الْغُمْرِ

ويُنْشِدُ بلفانى ، ثم بات يُقلِّبُ كَفَّ الجارية ويقول : ما أفدْتُ فائدةً أَحبَّ إليَّ منك . فتقول : فما بالكَ يا أمير المؤمنين ، وما يمنعك ؟ فقال : يمنعنى ما قاله الأخْطَلُ لأنى إن خرجتُ منه كنتُ ألأمَ العرَبِ :

قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا شَدُّوا مَآزِرَهُمْ ... دُونَ النِّسَاءِ وَلَوْ بَاتَتْ بِأَطْهَارِ

فما إليكِ سَبيلٌ أو يحكُمَ الله بينى وبين عدوِّ الرحمن بن الأشعثِ . فلم يَقْرَبْها حتى قُتِلَ عبدُ الرحمن .

قوله : فرأى منها جسمًا بَهَرَهُ ، يقال بَهَرَ الليلُ إذا سَدَّ الأُفُقَ بظلمته ، وبَهَرَ القمرُ إذا ملأ الأرض ببهائِهِ ، ومن ثَمَّ قيل للقمر الباهِرُ ، أنشدنى المازنىُّ لرجل من بنى الحارث بن كَعْبٍ :

وَالْقَمَرِ الْبَاهِرِ السَّمَاءَ لَقَدْ ... زُرْنَا هِلَالًا بِجَحْفَلٍ لَجِبِ
تَسْمَعُ زَجْرَ الْكُمَاةِ بَيْنَهُمُ ... قَدِّمْ وَأَخِّرْ وَأَرْحِبِي[1] وَهَبِي[2]
مِنْ كُلِّ هُدَّاءَةٍ[3] كَعَالِيَةِ الرُّ ... مْحِ[4] أَمُونٍ[5] وَشَيْظَمٍ[6] سَلِبِ[7]

وقال طُفَيْلٌ الغَنَوِىُّ يَصِفُ كيف تُزْجَرُ الخيلُ فَجَمَعَهُ فى بيت واحد :

---

(١) أرحبي ، من أرحبت الشيء إذا وسعته .
(٢) هبي بفتح الهاء ويقال هاب بكسر الباء ، وكلاهما زجر للخيل .
(٣) هي الفرس الضامر ذكرا وأنثى . (٤) عالية الرمح سنانه .
(٥) أمون : وثيقة الخلق . (٦) الشيظم : الشديد من الخيل .
(٧) السلب بكسر اللام : هو الطويل .

وَقِيل اقْدِمِي وَاقْدِمْ وَأَخٍّ وَاخِّرِي ... وَها وَهلاً وَاُضْبُرْ وقادعُها هَبِي

(قال أبو الحسن وأَجِّ) ومن زَجْرِ الخيل أيضا هَقِبْ وهقَطْ ، وأنشدنى أبو عثمان المازنى :

لَمَّا سَمِعْتُ زَجْرَهُمْ هقِط ... عَلِمْتُ أنَّ فارِسًا مُنْحط

(قال الفراء هِقِطْ بالكسر والفتح ويروى مُخْتَطْ بدل مُنْحطْ) وقوله : بين الجمِّ والفُرُط ، هما موضعان بأعيانهما . وقوله : فى ساحة الدار يستوقدن بالغبط يقال فيه قولان متقاربان أحدهما أنهنَّ قد يَئِسْنَ من الرحيل فجعلن مَرَا كِبَهُنَّ حَطَبًا ، هذا قول الأصمعى ، وقال غيره بل قد منعهنَّ الخوفُ من الاحتطاب ، والغَبِيطُ من مَرَا كب النساء[1] وكذلك الحِدْجُ قال امْرُؤُ القَيْس :

تَقُولُ وَقَدْ مَالَ الْغَبِيطُ بِنا مَعًا ... عَقَرْتَ بَعِيرِى يا اُمْرَأَ الْقَيْسِ فانْزِلِ

فَأَعْلَمَكَ أن الغَبِيطَ لها ، والمَحامِلُ إنما أوَّلُ مَن اتخذها الحَجَّاجُ ففى ذلك يقول الراجز :

أَوَّلُ عَبْدٍ عمِلَ المَحامِلا ... أَخْزَاهُ رَبِّى عاجِلاً وَآجِلاَ

وقوله : شجر العُرا ، فالعُرا : نبت بعينه إن ضُمَّ العَيْنُ ، والعَراء ممدودًا وَجْهُ الأرضِ ، قال الله عزّ وجل « لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ » وقال الهُذَلِيُّ :

رَفَعْتُ رِجْلاً مَا أَخافُ عِثارَهَا ... وَنَبَذْتُ بِالْبَلَدِ الْعَرَاءِ ثِيَابِى

وهذا التفسير والإنشاد عن أبى عبيدة ، وقوله : دون النساء ولو باتَتْ

---

(١) وهو الرحل يشد عليه الهودج .

بأطهار ، معناه أنه يجتنبها فى طُهْرها ، وهو الوقت الذى يستقيم له غِشْيانُها فيه ، وأهل الحجاز يَرَوْنَ الأقْراءَ الطُّهْرَ ، وأهلُ العراق يَرَوْنها الحيضَ ، وأهلُ المدينة يجعلون عِدَدَ النساءِ الأطهارَ . ويَحْتَجُّونَ بقول الأعْشَى :

وَفى كُلِّ عامٍ أنْتَ جاشِمُ غَزْوَةٍ ... تَشُـدُّ لأقْصاها عَزِيمَ عَزائِـكَا

مُوَرِّثَةً مَالاً وَفى الحَىِّ رِفْعَةً ... لِمَا ضاعَ فِيها مِنْ قُرُوءِ نِسائِـكَا

وقوله : ولو باتتْ بأطهار . فـ«لو» أصلها فى الكلام أن تَدُلَّ على وقوع الشىء لوقوع غيره . تقول لو جئتنى لأعْطَيْتُكَ ، ولو كان زيدٌ هناك لضربْتُهُ ، ثم تتَّسِعُ فتصير فى معنى « إنْ » الواقعة لِلجزاء تقول أنتَ لا تُكْرِمُنِى ولو أكْرَمْتُكَ ، تريد وإنْ أكرمتُك ، قال الله عزّ وجل : « وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ » فأما قوله عز وجلّ : « فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَباً وَلَوِ افْتَدَى بِهِ » فإن تأويله عند أهل اللغة لا يُقْبَلُ بِهِ أن يتبرَّأَ وهو مقيم على الكفر ولا يُقْبَلُ إن افْتَدَى به ، فـ«لو» فى معنى «إنْ» وإنما مَنَعَ «لَوْ» أن تكون من حروف المُجازاة فتَجْزِمَ كما تَجْزِمُ « إنْ » أنَّ حروفَ المجازاة إنما تقع لما لم يَقَعْ ، ويصير الماضى معها فى معنى المستقبل . تقول إن جئتنى أعْطَيْتُكَ ، وإن قَعَدْتَ عنى زُرْتُكَ ، فهذا لم يقع وإن كان لفظه لفظ الماضى لِمَا أحْدَثَتْهُ فيه « إنْ » وكذا مَتَى أتيتنى أتيتك « ولَوْ » تقع فى معنى الماضى تقول لو جئتنى أمْسِ لصادَفْتَنى ، ولو رَكِبْتَ إلىّ أمْسِ لألْفَيْتَنِى ، فلذلك خَرَجَتْ من حروف الجَزاء ، فإذا أدخلتَ معها «لا» صار معناها أن الفعل يمتنع لوجود غيره ، فهذا خلافُ ذلك

المعنى ، ولا تقع إلا على الأسماء ، ويقع الخبر محذوفاً لأنه لا يقع فيها الاسم إلا وخبره مدلول عليه ، فاسْتُغْنِيَ عن ذكره ، لذلك تقول لَوْلا عَبْدُ الله لضربْتُكَ ، والمعنى في هذا المكان من قرابتك ، أو صداقتك ، أو نحو ذلك ، فهذا معناها في هذا الموضع ، ولها موضع آخر تكون فيه على غير هذا المعنى ، وهي لَوْلا التي تقع في معنى هَلاَّ التي للتَّحْضِيض . ومن ذلك قوله : « لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا » . أي هَلاَّ ، وقال تعالى : « لَوْلا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ » فهذه لا يليها إلا الفعل لأنها للأمر والتحضيض مُظْهَرًا أو مُضْمَرًا كما قال : (نُسِبَ لجرير[1] . وقيل للأَشْهَب بن رُمَيْلَة) :

تَعُدُّونَ عَقْرَ النِّيبِ أَفْضَلَ مَجْدِكُمْ ... بَنِي ضَوْطَرَى لَوْلا الْكَمِيَّ الْمُقَنَّعَا

أي هَلاَّ تَعُدُّونَ الكَمِيَّ المقنعا ، ولَوْلاَ الأولى لا يليها إلا الاسم على ما ذكرتُ لك ولا بُدَّ في جوابها من اللام أو معنى اللام تقول لولا زَيْدٌ فعلت ، والمعنى لَفَعَلْتُ ، وزعم سيبويه أن زيداً من حَديث لولا واللامَ والفعلَ حديثٌ مُعَلَّقٌ بحديث لولا ، وتأويله أنه للشرط الذي وجب من أجلها وامتنع لحال الاسم بعدها ، و« لَوْ » بغير « لا » لا يليها إلا الفعل مضمراً أو مظهراً لأنها تُشارِكُ حروف الجزاء في ابتداء الفعل وجَوابِهِ ، تقول لو جِئْتَني لأعْطَيْتُكَ فهذا ظهور الفعل وإضماره ، قوله عزّ وجل : « قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي » والمعنى والله أعلم لو تملكون أنتم فهذا الذي رَفَعَ أنتم

---

(١) وهو من قصيدة يهجو بها الفرزدق .

ولما أُضْمِرَ ظهر بعده ما يُفَسِّرُهُ ، ومثلُ ذلك (لَوْ ذَاتُ سِوَارٍ لَطَمَتْنِى) أراد لَوْ لَطَمَتْنِى ذاتُ سِوارٍ . ومثله (قول المُتَلَمِّس) :

وَلَوْ غَيْرُ أَخْوَالِى أَرَادُوا نَقِيصَتِى   جَعَلْتُ لَهُمْ فَوْقَ الْعَرَانِينِ مِيسَمًا[١]

وكذلك قول جَرير :

لَوْ غَيْرَكُمْ عَلِقَ الزُّبَيْرُ بِحَبْلِهِ   أَدَّى الْجِوَارَ إِلَى بَنِى الْعَوَّامِ

فنَصَبَ بفعل مضمر يُفَسِّرُهُ ما بعده لأنه للفعل، وهو فى التمثيل: لو عَلِقَ الزبيرُ غيرَكُمْ ، وكذلك كلُّ شيء للفعل نحو : الاستفهام ، والأمر ، والنهى ، وحروف الفعل نحو: إذْ وسَوْف (كذا وقع هنا إذ وسوف ولم يذكر سيبويه مع سوف إلاَّ قَدْ وهو الصحيح) وهذا مشروح فى الكتاب المُقْتَضَب على حقيقة الشرح .

وأما قوله : وعَرَاعِرُ الأقوام ، فمعناه رُءوسُ الأقوام الواحد عُرْعُرَةٌ وعُرْعُرَةُ كُلِّ شَيْءٍ أعلاه ، ومن ذلك كتاب يَزيد بن المُهَلَّب[٢] إلى الحَجَّاج ابن يوسف[٣] : وإن العَدُوَّ نزل بعُرْعُرَةِ الجبل ، ونَزَلْنا بالحَضيض ! فقال الحجاج : ليس هذا من كلام يَزيد ، فَمَنْ هناكَ ؟ قيل : يَحْيَى بن يَعْمُرَ[٤] ، فكتب إلى يَزيدَ أن يُشْخِصَهُ إليه .



وزعم التَّوَّزِىُّ قال : قال الحجاج ليَحْيَى بن يَعْمُرَ يوما أتَسْمَعُنِى أَلْحَنُ

(١) الميسم آلة يكوى بها (٢) والى خراسان .
(٣) يخبره بفتح قلعة نيزك سنة أربع وثمانين .
(٤) يقال إنه أول من نقط المصحف ، وكانت وفاته سنة عشرين ومائة .

قال : الأميرُ أفْصَحُ من ذلك ، قال : فأعاد عليه القول وأَقْسَمَ عليه . فقال يحيي : نعم تجعل أنَّ مكان إنَّ ، فقال له : ارْحَلْ عنى ولا تُجاوِرْنى .

قال أبو العباس : هذا على أن يزيد لم تُؤْخَذ عليه زَلّةٌ فى لفظ إلا واحدةٌ ، فانه قال على المِنْبَرِ ، وذَكَرَ عَبْدَ الحميد بن عبد الرحمن بن زَيْدِ ابن الخَطّاب .فقال: هذه الضَّبُعَةُ العَرْجاء. فاشْتُدّتْ عليه لَحْناً، لأن الأنثى إنما يقال لها الضَّبُعُ ، ويقال للذكر الضِّبْعانُ ، فاذا جُمِعَ قيل ضِبْعان ، وإنما جمع على التأنيث دون التذكير ، والباب على خلاف ذلك ، لأن التأنيث لا زيادة فيـــه ، وفى التذكير زيادة الألف والنون ، فثُنِّىَ على الأصل ، وأصل التأنيث : أن يكون زائدًا على بناء التذكير لأنه منه يَخْرُجُ ، مثل قائم وقائمة وكريم وكريمة ، فمن حيث قُلْتَ للذكر والأنثى فى التثنية كريمانِ على حذف الزيادة قلت ضِبْعان ، وتقول له ابنان إذا أردتَ له ابنٌ وابْنَةٌ ، ولا تقول فى الدار رجلان إذا أردتَ رجلاً وامرأةً ، إلا على قول من قال للأنثى رَجُلَةٌ فقد جاء ذلك ، قال الشاعر :

كُلُّ جارٍ ظَلَّ مُغْتَبِطاً غَـــيْرَ جِيرانِى بَنِى جَبَلَهْ
خَـــرَّقُوا جَيْبَ فَتاتِهِمُ لَمْ يُبالوا حُرْمَةَ الرَّجُلَهْ

ولا يقال للناقة والجَمَلِ جَملانِ ، ولا يقال للبقرة والثَّوْرِ ثَوْرانِ ، لاختلاف الاسمين ، إنما يكون ذلك فيما ذكرنا إلا فى قول من قال للأنثى ثَوْرَةٌ .

قال الشاعر :

جَزَى اللهُ فِيهَا الْأَعْوَرَيْنِ مَلاَمَةً وَعَبْدَةَ ثَفْرَ الثَّوْرَةِ الْمُتَضاجِمِ

(قال أبو الحسن : المتضاجم المُتَّسِعُ) .

باب

قال أبو العباس قال الراعي :

وَمُرْسِلٍ وَرَسُولٍ غَيْرِ مُتَّهَمٍ ... وَحاجةٍ غَيْرِ مُزْجاةٍ مِنَ الحَاجِ
طاوَعْتُهُ بَعْدَ ما طالَ النَّجِيُّ بِنَا ... وَظَنَّ أَنِّي عَلَيْهِ غَيْرُ مُنْعاجِ
مَا زَالَ يَفْتَحُ أَبْوَابًا وَيُغْلِقُهَا ... دُونِي وَأَفْتَحُ بَابًا بَعْدَ إِرْتاجِ
حَتَّى أَضَاءَ سِرَاجٌ دُونَهُ بَقَرٌ ... حُمْرُ الأَنَامِلِ عِينٌ طَرْفُهَا سَاجِي (١)
يَا نُعْمَهَا لَيْلَةً حَتَّى تَخَوَّنَهَا ... دَاعٍ دَعَا فِي فُرُوعِ الصُّبْحِ شَحَّاجِ
لَمَّا دَعَا الدَّعْوَةَ الأُولَى فَأَسْمَعَنِي ... أَخَذْتُ بُرْدَيَّ وَاسْتَمْرَرْتُ أَدْرَاجِي

قوله : وحاجة غير مزجاة من الحاج . المُزْجاةُ: اليَسيرةُ الخفيفة المَحْمِلِ ، قال الله عز وجل : « وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ » والحاج جمعُ حاجةٍ ، وتقديره فَعَلَة وفَعَلٌ ، كما تقول هامَةٌ وهامٌ وساعةٌ وساعٌ ، قال القَطَّامِيُّ :

وَكُنَّا كَالحَرِيقِ أَصَابَ غَابًا ... فَيَخْبُو سَاعَةً وَيَشُبُّ سَاعَا

فإذا أردتَ أدْنَى العَدَد قلتَ ساعاتٌ ، فأما قولهم في جمع حاجةٍ حَوائجُ فليس من كلام العرب على كثرته على ألسنة المُوَلَّدِينَ ولا قياسَ له (٢) ، ويقال

---

(١) رواية الآمدي : حور العيون ملاح طرفها ساجي . وبعده :

يكشرن للهو واللذات عن برد ... تكشف البرق عن ذي لجة داجي
كأنما نظرت دوني بأعينها ... عين الصريمة أوغزلان فرتاج

وفرتاج بكسر فسكون : اسم ماء لبني أسد .

(٢) ومع ذلك وردت في الكلام الفصيح .

فى قلبى منك حَوْجاء : أى حاجةٌ ، ولو جُمِعَ على هذا المكان الجمع حَوَاج يافتى ، وأصله حَوَاجِيُّ يافتى ، ولكنْ مثلُ هذا يُخَفَّفُ ، كما تقول فى صحراء صحَارٍ يافتى ، وأصله صَحارِيُّ .

وقوله : طاوعته بعد ماطال النَجِيُّ بنا ، يريد المناجاة ، فأخرجه على فعيل ونظيره من المَصادر : الصَّهيلُ ، والنَّهيقُ ، والشَّحيجُ ، ويقال : شَبَّ الفرسُ شَبيباً ، ولذلك كان النَّجِيُّ يقع على الواحد والجماعة نعتًا ، كما تقول امرأة عَدْلٌ ورجل عَدلٌ وقوم عَدلٌ لأنه مصدر ، قال الله عز وجل : « وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا » أى مُناجياً ، وقال للجماعة : « فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا » أى متناجين

وقوله مُنْعاج : أى منعطف ، تقول عُجْتُ عليه : أى عَرَّجْتُ عليه ، وعُجْتُ إليه أعِيج : أى عَوَّلْتُ عليه ، وقوله بعد إرْتاج : أى بعد إغْلاقٍ ، يقال : أرْتَجْتُ البابَ إرْتاجًا ، أى أغْلَقْتُهُ إغْلاقًا ، ويقال: لِغَلَق الباب الرِّتاجُ ، ويقال للرجل إذا امتنع عليه الكلام أُرْتِجَ عليه .

وقوله : أضاء سِراجٌ دونه بقَرٌ ، يعنى نساءً ، والعربُ تَكْنى عن المرأة بالبقرة والنَّعْجة ، قال الله عزّ وجلّ : « إِنَّ هٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً » ، وقال الأعْشَى :

فَرَمَيْتُ غَفْلَةَ عَيْنِهِ عَنْ شاتِهِ فَأَصَبْتُ حَبَّةَ قَلْبِهَا وَطِحالَهَا

وقوله : عِينٌ ، إنما هو جمع عَيْناء وهى الواسعة العَيْنِ ، وتقديره فُعْلٌ ، ولكن كُسِرَت العينُ لتَصِحَّ الياءُ ، ونحو ذلك بَيْضاء وبِيضٌ ، وتقديره حَمْراء وحُمْرٌ ، ولو كان من ذوات الواو لكان مضموما على أصل الباب ، لأنه

لا إخْلال فيه تقول : سَوْداء وسُودٌ ، وعَوْراء وعُورٌ ، وقوله : طرفها ساج ولم يقل أطرافها لأن تقديرها تقدير المصدر من طَرَفْتُ طَرْفًا ، قال الله عزّ وجل : « خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ » لأن السَمْعَ فى الأصل مصدر قال جَرِير :

إِنَّ الْعُيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا مَرَضٌ قَتَلْنَنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيِينَ قَتْــــلاَنَا

وقوله ساج : أى ساكن ، قال الله عزّ وجل : « وَالضُّحَىٰ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَا[1] » ، وقال جرير :

وَلَقَدْ رَمَيْنَكَ يَوْمَ رُحْنَ بِأَعْيُنٍ يَقْتُلْنَ مِنْ خَلَلِ السُّتُورِ سَوَاجِ

وقال الراجز :

يَا حَبَّذَا الْقَمْرَاءُ وَاللَّيْلُ السَّاجْ وَطُرُقٌ مِثْلُ مُــــلاءِ النَّسَّاجْ

وقوله حتى تَخَوّنها : أى تَنَقَّصها[2] يقال تَخَوَّنَنى السَفَرُ : أى تَنَقَّصنى ، والداعى المُؤَذِّنُ ، وقوله : شَحَّاج ، إنما هو استعارة فى شدة الصوت وأصله للبغل ، والعرب تستعير من بَعْضٍ لبَعْضٍ ، قال العَجّاج يَنْعَتُ حِماراً :

كَأَنَّ فِي فِيهِ إِذَا مَاشَحَجَا عُوداً دُوَيْنَ اللَّهَوَاتِ مُولَجَا

وقال جَرِير :

إِنَّ الْغُرَابَ بِمَا كَرِهْتُ لَمُولَعٌ بِنَوَى الْأَحِبَّةِ دَائِمُ التَّشْحَاجِ

وقوله : واسْتَمْرَرْتُ أدْراجى : أى فَرَجَعْتُ من حيث جئتُ، تقول العرب :

---

(١) سجا الليل امتد ظلامه . (٢) قال ذو الرمة .

لا بل هو الشوق من دار تخونها مرا سحاب ومرا بارح ترب

رجع فلان أدْراجَهُ، ورَجَعَ في حافِرتِهِ، ورَجَعَ عَوْدَهُ على بَدْئِهِ، وإن شئتَ رفعت فقلت رَجَعَ عَوْدُهُ على بَدْئِهِ، أما الرفع فعلى قولك: رجع وعَوْدُهُ على بدئه: أي وهذه حالُهُ. والنصب على وجهين: أحدهما أن يكون مفعولاً كقولك رَدَّ عَوْدَهُ على بدئه. والوجه الآخر أن يكون حالاً في قول سيبويه لأن معناه رجع ناقضاً مجيئَهُ، ووُضِعَ هذا في موضعه كما تقول كلّمْتُهُ فاهُ إلى فِيَّ: أي مُشافَهَةً، وبايعته يَدًا بيدٍ: أي نَقْدًا، وقد يجوز أن تقول فُوهُ إلى فِيَّ: أي وهذه حالُهُ، ومَنْ نَصَبَ فمعناه في هذه الحال. فأما بايعته يَدًا بيدٍ فلا يكون فيه إلا النصب، لأنك لستَ تريد بايعته ويدٌ بيدٍ كما كنت تريد في الأول، وإنما تريد النَّقْدَ، ولا تُبالي أقريباً كان أم بعيداً.



وقال أعرابي:

شَكَوْتُ فقالَتْ كُلَّ هٰذَا تَبَرُّمًا ... بِحُبِّي أَرَاحَ اللهُ قَلْبَكَ مِنْ حُبِّي
فَلَمَّا كَتَمْتُ الْحُبَّ قَالَتْ لَشَدَّمَا ... صَبَرْتَ وَمَا هٰذَا بِفِعْلِ شَجِي الْقَلْبِ
وَأَدْنُو فَتُقْصِيـــــنِي فَأَبْعُدُ طَالِبًا ... رِضَاهَا فَتَعْتَدُّ التَّبَاعُدَ مِنْ ذَنْبِي
فَشَكْوَايَ تُؤْذِيهَا وَصَبْرِي يَسُوءُهَا ... وَتَجْزَعُ مِنْ بُعْدِي وَتَنْفِرُ مِنْ قُرْبِي
فَيَا قَوْمِ هَـــلْ مِنْ حِيلَةٍ تَعْرِفُونَهَا ... أَشِيرُوا بِهَا وَاسْتَوْجِبُوا الشُّكْرَ مِنْ رَبِّي

قوله: كُلَّ هذا تَبَرُّمًا، مردود على كلامه كأنها تقول له أشكوتني كُلَّ هذا تَبَرُّمًا، ولو رَفَعَ كُلاًّ لكان جَيِّدًا يكون كلُّ هذا مبتدأ وتَبَرُّمٌ خبره، وشجي مخفف الياء، ومن شدَّدها، فقد أخطأ[1]، والمَثَلُ: وَيْلٌ للشَّجِي من

(١) ومع هذا فقد ورد في الكلام الفصيح.

الْخَلِيّ . الياء فى الشَّجِى مخففة ، وفى الْخَلِيّ مثقلة ، وقياسه أنك إذا قلت فَعِلَ يَفْعَلُ فَعَلاً ، فالاسم منه على فَعِلٍ نحو : فَرِقَ يَفْرَقُ فَرَقًا فهو فَرِق ، وحَذِرَ يَحْذَرُ حَذَرًا فهو حَذِرٌ ، وبَطِرَ يَبْطَرُ بَطَرًا ، فهو بَطِرٌ ، فعلى هذا شَجِيَ يَشْجَى شَجًى ، فهو شَجٍ يافتى ، كما تقول هَوِيَ يَهْوَى هَوًى فهو هَوٍ يافتى.

وقوله : فيا قوم هل من حيلة تعرفونها ، موضع تَعرفونها خَفْضٌ لأنه نعت للحيلة وليس بجواب ، ولو كان هاهنا شرط يوجِبُ جوابًا لانْجَزَمَ ، تقول ائتنى بدابة أرْكَبُها ، أى بدابةٍ مَرْكوبةٍ ، فإذا أردتَ معنى فإنك إن أتيتنى بدابة رَكِبْتُها قلت أرْكَبْها لأنه جواب الأمر ، كما أن الأول جواب الاستفهام ، وفى القرآن : « خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا » . أى مُطَهِّرَةً لهم ، وكذلك : « أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا » أى كائنةً لنا عِيدًا ، وفى الجواب : « فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا » . أى إنْ تُركوا خاضُوا ولَعبوا ، وأما قوله عزّ وجل : « فَذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ » فإنما هو فَذَرْهُمْ فى هذه الحال لأنهم كانوا يَلْعبون ، وكذلك : « وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ » إنما هو ولا تَمْنُنْ مُسْتَكْثِرًا ، فمعنى ذا هل من حيلة معروفة عندكم . وقال أعرابى أنْشَدَنيهِ أبو العاليةِ :

أَلَا تَسْأَلُ المَكِّيَّ ذَا الْعِلْمِ مَا الَّذِى ... يَحِلُّ مِنَ التَّقْبِيلِ فِى رَمَضَانِ

فَقَالَ لِىَ المَكِّىُّ أَمَّا لِزَوْجَةٍ ... فَسَبْعٌ وَأَمَّا خُلَّةٍ فَثَمَانِى

قوله خُلّةٍ يريد ذاتِ خلة[1] ، ويكون سَمَّاها بالمصدر كما قالت الخنساء :

---

(١) الخلة : هى الحب العفيف .

☆ فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارُ ☆ ويجوز أن تكون نعتَتْها بالمصدر لكثرته منها ، ويجوز أن تكون أرادتْ ذاتُ إقْبال وإدْبار ، فحذفت المضاف وأقامت المضاف إليه مُقامه ، كما قال عز وجل : « وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ » فجائز أن يكون برُّ مَنْ آمَنَ بالله ، وجائز أن يكون لكنَّ ذا البِرّ مَنْ آمَنَ بالله ، والمعنى يؤول إلى شيء واحد .

وفى هـذا الشعر عيب وهو الذى يسميه النحويون العَطْفَ على عامِلَيْن[1] ، وذلك أنه عطف خُلَّةً على اللام الخافضة لزوجة ، وعطف ثمانياً على سبع ، ويلزم[2] مَنْ قال هذا أن يقول مَرَّ عبدُ الله بزيدٍ وعمرٌو خالدٍ ففيه هذا القُبْحُ ، وقد قرأ بعضُ القُرَّاء وليس بجائزٍ عندنا « وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ » فجعَلَ آياتٍ فى موضع نصب وخَفَضَهَا لتاء الجميع فحَمَلَها على إنَّ وعَطَفَهَا بالواو ، وعَطَفَ اخْتِلافاً على فى[3] ولا أرى ذا فى القرآن جائزا لأنه ليس بموضع ضرورة ، وأنشد سيبويه لعَدِيّ ابن زَيْدٍ العبادىّ (الصحيح أنه لأبى دُواد الإيادِىّ) .

أَكُلَّ امْرِئٍ تَحْسَبِينَ امْرَأً وَنَارٍ تَوَقَّدُ بِاللَّيْلِ نَارَا

---

(١) الصواب على معمولى عاملين .

(٢) قال الشيخ المرصفى: لايلزمه ذلك لأنه اشترط أن لايكون فاصل بين العاطف والمعطوف المجرور كما فى البيت ، وفى نحو قولهم : فى الدار زيد والحجرة عمرو ، ولهذا امتنع عند من جوزه قولك : دخل زيد إلى عمرو وبكر خالد ، و إن زيدا فى الدار وعمراً الحجرة ، ومثل ذلك مر عبد الله بزيد وعمرو خالد للفصل بين نائب الجار وهو العاطف والمعطوف المجرور .

(٣) أى على مخفوض فى .

فَعَطَفَ على أمْرِئٍ ، وعلى المنصوب الأول (قال أبو الحسن وفيه عيب آخر أنّ أمَّا ليستْ من العطف فى شىء ؛ وقد أجْرَى خُلَّةً بعدها مُجْراها بعد حروف العطف حَمْلاً على المعنى فكأنه قال لزوجة كذا ونُخلَّة كذا) وقوله أمَّا لزوجة فهذه مفتوحة ، وهى التى تحتاج إلى جزاء ، ومعناها إذا قُلْتَ أمَّا زيدٌ فمنطلقٌ مَهْمَا يَكُنْ من شىء فزيد مُنْطَلِقٌ ، وكذلك « فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلاَ تَقْهَرْ » إنما هى مَهْما يَكُنْ من شىء فلا تقهرِ اليتيم ، وتُكْسَرُ إذا كانت فى معنى أو ويلزمها التكرير ، تقول ضربتُ إمَّا زيداً وإمَّا عَمْراً فمعناه ضربت زيداً أو عمراً ، وكذلك « إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا » وكذلك « إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ . وَإِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا » وإنما كَرَّرْتها لأنك إذا قلتَ ضربت زيداً أو عمراً ، أو قلت اُضْرِبْ زيداً أو عمراً فقد ابتدأتَ بذكر الأول ، وليس عند السامع أنك تُرِيدُ غير الأول ، ثم جئتَ بالشك ، أو بالتخيير ، وإذا قلتَ ضربتُ إمَّا زيداً وإما عمرًا ، واضْرِبْ إمَّا زيداً وإمَّا عمرًا ، فقد وَضَعْتَ كلامك بالابتداء على التخيير ، أو على الشك ، وإذا قلت ضربتُ إمَّا زيداً ، وإمَّا عمراً ، فالأولى وَقَعتْ لِبِنْيَةِ الكلام عليها ، والثانية للعطف[1] لأنك تَعْدِلُ بين الأول والثانى ، فإنما تُكْسَرُ فى هذا الموضع . وزعم سيبويه أنها إن ضُمَّتْ إليها « ما » فإن اضْطُرَّ شاعر فحذف « ما » جازله ذلك لأنه الأصل ، وأنشد فى مِصْداقِ ذلك (هو دُرَيْدُ بن الصِّمَّةِ الجُشَمىُّ) :

لَقَدْ كَذَبَتْكَ نَفْسُكَ فَاكْذِبَنْهَا   فَإِنْ جَزَعًا وَإِنْ إِجْمَالَ صَبْرِ

---

(١) قال الشيخ المرصفى : الصواب أنها ليست للعطف لملازمتها العاطف وهو لايدخل على مثله .

ويجوز فى غير هذا الموضع أن تقع إمّا مكسورةً ، ولكن (ما) لا تكون لازمة ، ولكن تكون زائدة فى (إنْ) التى هى للجزاء كما تزاد فى سائر الكلام نحو : أيْنَ تكُنْ أكُنْ ، وأيْنما تكُنْ أكُنْ ، وكذلك متى تأتنى آتِكَ ، ومتى ما تأتنى آتِكَ ، فتقول إنْ تأتنى آتِكَ ، وإمّا تأتنى آتِكَ ، تُدْغِمُ النون فى الميم لاجتماعهما فى الغُنّة ، وسنذكر الادغام فى موضع نُفْرِدُهُ به إن شاء الله ، كما قال امْرُؤُ القَيْس :

فَإمّا تَرَيْــــنِى لا أُغَمِّضُ ساعةً   مِنَ اللَّيْلِ إلاّ أنْ أُكِبَّ فَأنْعَسَا
فَيا رُبَّ مَكْرُوبٍ كَرَرْتُ وَرَاءَهُ   وَطاعَنْتُ عَنْهُ الخَيْلَ حَتَّى تنفَّسَا

وفى القرآن « فَإمّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أحَدًا » ، وقال : « وَإمّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوها » فأنت فى زيادة (ما) بالخيار فى جميع حروف الجزاء ، إلا فى حرفين ، فإنّ (ما) لا بُدَّ منها لِعِلّةٍ نذكرها إذا أفردنا بابًا للجزاء إن شاء الله ، والحرفان : حَيْثُما تكُنْ أكُنْ ، كما قال الشاعر :

حَيْــــثُما تَسْتَقِمْ يُقَدِّرْ لَكَ   اللهُ نَجاحًا فى غابِرِ الأزْمانِ

والحرف الثانى (إذ ما) كما قال العَبّاسُ بن مِرْداس:

إذْ مَا أتَيْتَ عَلَى الرَّسُولِ فقُلْ لَهُ   حَقًّا عَلَيْكَ إذا اطْمَأنَّ المَجْلِسُ

لا يكون الجزاء فى حيث وإذ إلاّ بما . وأنشدنى أبو العالية :

سَلِ المُفْتِىَ المَكِّىَّ هَلْ فى تَزاوُرٍ   وَنَظْرَةِ مُشْتاقِ الفُؤادِ جُناحُ
فَقالَ مَعاذَ اللهِ أنْ يُذْهِبَ التُّقَى   تَلاصُقُ أكْبادٍ بِهِنَّ جِراحُ

(وأُنْشِدَ لبعض العرب المُحْدَثين :

تَلاَصَقْنا وَلَيْسَ بِنَا فُسُوقٌ وَلَمْ يَرِدِ الحَرَامَ بِنَا اللُّصُوقُ
وَلٰكِنَّ التَّبَاعُدَ طَالَ حَتَّى تَوَقَّدَ فِى الضُّلُوعِ لَهُ حَرِيق
فَلَمَّا أَنْ أُتِيحَ لَنَا التَّلاَقِى تعانَقْنَا كما اُعْتَنِقَ الصَّدِيقُ
وَهَلْ حَرَجًا تَرَاهُ أَوْ حَرَامًا مَشُوقٌ ضَمَّهُ كَلِفٌ مَشُوقُ

وأنْشَدَنِى غيره :

وَما هَجَرَتْكِ النَّفْسُ يا مَىّ أَنَّها قَلَتْكِ وَلاَ أَنْ قَلَّ مِنْكِ نَصِيبُهَا
وَلٰكِنَّهُمْ يا أَمْلَحَ النَّاسِ أُولِعُوا بِقَوْلٍ إِذَا ماجِئْتُ هٰذَا حَبِيبُهَا

أنها فى موضع نصب ، وكان التقدير لأنها ، فلما حذفت اللام وصلَ الفعلُ فَعَمِلَ ، تقول : جئتُك أَنَّكَ تُحِبُّ الخير ، فمعناه لأنك ، وكذلك أتيتك أن تأمُرَ لى بشيء : أى لأن ، وتقديره فى النصب أنّ أنْ الخفيفة والفعل مصدر نحو أريد أن تقوم يافتى ، أى قيامك ، وأنّ الثقيلة واسمها وخبرها مصدر ، تقول بلغنى أنَّك منطلق ، أى انطلاقك ، فاذا قلت جئتك أنك تريد الخير ، فمعناه إرادتك الخير : أى مجيئى لأنك تريد الخير إرادةً يافتى ، كما قال الشاعر (هو حاتِمٌ الطائىُّ) :

وَأَغْفِرُ عَوْرَاءَ الْكَرِيمِ ادّخارَهُ وَأُعْرِضُ عَنْ ذَمِّ اللَّئِيمِ تَكَرُّما

قوله : ﴿ وَأَغْفِرُ عَوْرَاءَ الْكَرِيمِ ادّخارهُ ﴾

أى أَدَّخِرُه ادّخاراً وأضافه إليه ، كما تقول اُدّخاراً له ، وكذلك قوله تكرما إنما أراد لِتَكَرُّم ، فأخرجه مُخْرَجَ أتَكَرَّمُ تَكَرُّما ، وأنشدنى أبو العالية

(قيل إن الشعر لِعُرْوَةَ بْنِ أُذَيْنَةَ[1]) :

مازِلْتُ أَبْغِى الْحَىَّ أَتْبَعُ ظِلَّهُمْ حتى دُفِعْتُ إلى رَبِيبَةِ هَوْدَجِ
قالَتْ وَعَيْشِ أَبِى وَأَكْبَرِ إخْوَتِى لَأُنَبِّهَنَّ الْحَىَّ إِنْ لَمْ تَخْرُجِ
فَخَرَجْتُ خِيفَةَ قَوْلِهَا فَتَبَسَّمَتْ فَعَلِمْتُ أَنَّ يَمِينَها لَمْ تَحْرَجِ
فَلَثَمْتُ فاهاَ آخِذًا بِقُرُونِهَا شُرْبَ النَّزِيفِ بِبَرْدِ ماءِ الحَشْرَجِ

وزاد فيها الجاحِظُ عَمْرو بن بَحْرٍ :

وتَناوَلَتْ رَأْسِى لِتَعْرِفَ مَسَّهُ بِمُخَضَّبِ الْأَطْرافِ غَيْرِ مُشَنَّجِ[2]

تقول العرب : هوْدَجٌ ، وبنو سَعد بن زيد مَناةَ ومَنْ وَلِيَهُمْ يقولون فَوْدَجٌ ، وقوله : فعلمت أن يَمينها لم تَحْرَجِ، يقول لم تَضِقْ عليها ، يقال: حَرِجَ يَحْرَجُ إذا دخل فى مَضِيق ، والحَرَجَةَ : الشجر الملتفُّ المُتضايقُ ما بينه ، قال الله عزَّ وجل : « فَلاَ يَكُنْ فى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ » وقال تعالى : « يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرِجًا » وَقُرِئَ حَرَجًا ، فمن قال حَرِجًا أراد التوكيد للضَيِّق ، كأنه قال ضَيِّقٌ شديد الضيق ، ومن قال حَرَجًا جعله مصدرا مثل قولك ضُيِّقَ ضيقاً ، وقوله : ببرد ماء الحَشْرَجِ ، فهو الماء الجارى على الحجارة ،

---

(١) قال الشيخ المرصفى : ويروى لعمر بن أبى ربيعة ، ونسبه ابن عساكر فى تاريخه لجميل بن معمر ، وزاد بعد البيت الأول :

فدنوت مختفيا أَلَمّ ببيتها حتى ولجت إلى خفىّ المولج

قال صاحب البدائع : وهذا المذهب أشبه بمذاهب ابن أبى ربيعة فى التشبيب .

(٢) من التشنج وهو التقبض .



وقال قَيْسُ بن مُعاذٍ أحد بنى عُقَيْلِ بن كَعْب بن رَبيعةَ بن عامر ابن صَعْصَعَةَ وهو المجنون ، وحدثنى عبد الصَّمَدِ بن المُعَذَّلِ قال : سمعت الأصْمَعِيَّ يُثْبِتُه ويقول لم يكن مجنونا إنما كانت به لُوثَةٌ كلُوثة أبى حَيَّة (النُّمَيْرِى) وهو من أشْعَرِ الناسِ ومن شعره :

وَلَمْ أرَ لَيْلَى بَعْدَ مَوْقِفِ ساعَةٍ ... بِبَطْنِ مِنًى تَرْمِى جِمارَ المُحَصَّبِ[1]

وَيُبْدِى الحَصَا مِنْها إذَا قَذَفَتْ بِهِ ... مِنَ البُرْدِ أطْرافَ البَنانِ المُخَضَّبِ

فَأَصْبَحْتُ مِنْ لَيْلَى الغَدَاةَ كَناظِرٍ ... مَعَ الصُّبْحِ فى أعْقابِ نَجْمٍ مُغَرِّبِ

ألاَ إنَّما غادَرْتِ يا أُمَّ مالِكٍ ... صَدًى أيْنَما تَذْهَبْ بِهِ الرِّيحُ يَذْهَبِ[2]

هذا البيت من أعجب ما قيل فى النحافة ، ومما يُسْتَظْرَفُ فى هذا الباب قول عُمَرَ بن أبى رَبيعة :

رَأَتْ رَجُلاً أمَّا إذَا الشَّمْسُ عارَضَتْ ... فَيَضْحَى وَأَمَّا بِالعَشِىِّ فَيَخْصَرُ

أخَا سَفَرٍ جَوَّابَ أرْضٍ تَقَاذَفَتْ ... بِهِ فَلَوَاتٌ فَهْوَ أشْعَثُ أغْبَرُ

قَلِيلاً عَلَى ظَهْرِ المَطِيَّةِ ظِلُّهُ ... سِوَى مَا نَفَى عَنْهُ الرِّدَاءُ المُحَبَّرُ

ومن هذا الباب قول القائل (هو قَيْسُ بن مُعاذٍ مجنونُ بنى عامرٍ[3] الذى تقدم ذكره لابن الأبرش[4]) :

---

(١) المحصب: موضع رمى الجمار فى منى .

(٢) الصدى ، هو الصوت الذى يرده عليك الهواء إذا صحت فى جبل أو مكان مرتفع .

(٣) المشهور أن مجنون بنى عامر اسمه قيس بن الملوح .

(٤) يعنى أن ابن الأبرش هو القائل بأن المجنون هو قيس بن معاذ .

فَأَصْبَحْتُ فِي أَقْصَى الْبُيُوتِ يَعُدْنَنِي بَقِيَّةَ مَا أَبْقَيْنَ نَصْلاً يَمَانِيَا

(بقية بدل من الياء فى يَعُدْنَنِى : بدل الاشتمال

تَجَمَّعْنَ مِنْ شَتَّى ثَلاَثٌ وَأَرْبَعٌ وَوَاحِدَةٌ حَتَّى كَمَلْنَ ثَمَانِيَا)

يَعُدْنَ مَرِيضاً هُنَّ هَيَّجْنَ مَا بِهِ أَلاَ إِنَّمَا بَعْضُ الْعَوَائِدِ دَائِيَا

وفى هذا الباب أشياء كثيرة تأتى فى موضعها إن شاء الله تعالى ، ومن الافراطِ فيه قولُهُ :

فَلَوْ أَنَّ مَا أَبْقَيْتِ مِنِّى مُعَلَّقٌ بِعُودِ ثُمَامٍ مَا تَأَوَّدَ عُودُهَا[1]

(الثُّمام نبت ضعيف واحدته ثُمَامةٌ) وهذا متجاوز كقول القائل :

﴿ وَيَمْنَعُهَا مِنْ أَنْ تَطِيرَ زِمَامُهَا ﴾ وأحْسَنُ الشِّعْرِ ما قارَبَ فيه

القائل إذا شبَّه ، وأحسنُ منه ما أصاب به الحقيقة ونبَّهَ فيه بِفِطْنته عَلَى مايخفى عن غيره وساقه برصْفٍ قويٍّ واختصار قريب . قال قيس بن معاذ :

وَأَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الْجُلُوسِ[2] لَعَلَّنِي أُحَدِّثُ عَنْكِ النَّفْسَ فِي السِّرِّ خَالِيَا

وَإِنِّي لأَسْتَغْشِي وَمَا بِيَ نَعْسَةٌ لَعَلَّ خَيَالاً مِنْكِ يَلْقَى خَيَالِيَا

وفى هذا الشعر :

أَشَوْقاً وَلَمَّا تَمْضِ لِي غَيْرُ لَيْلَةٍ رُوَيْدَ الْهَوَى حَتَّى يَغِبَّ لَيَالِيَا

هذا من أجود الكلام وأوضحِهِ معنى .

ويُسْتَحْسَنُ لذى الرُّمَّةِ قوله فى مثل هذا المعنى :

---

(١) للشعراء مذاهب طريفة فى وصف النحول والذبول ، وقد فصلناها تفصيلا فى كتاب مدامع العشاق) .

(٢) رواية الديوان (من بين البيوت) .

أُحِبُّ المَكَانَ الْقَفْرَ مِنْ أَجْلِ أَنَّنِي ... بِهِ أَتَغَنَّى بِاسْمِهَا غَيْرَ مُعْجَمِ

وأنشدنى ابن عائشة لبعض القُرَشِيِّينَ :

وَقَفُوا ثَلاَثَ مِنًى بِمَنْزِلِ غِبْطَةٍ ... وَهُمُ عَلَى غَرَضٍ هُنَالِكَ مَاهُمُ

مُتَجَاوِرِينَ بِغَيْرِ دَارِ إِقَامَةٍ ... لَوْ قَدْ أَجَدَّ تَفَرُّقٌ لَمْ يَنْدَمُوا[1]

(يعنى طواف الوَداع ، وقوله ثلاث منى أراد أيام النَّفْر[2] وأخرجه على الليالى وقوله لم يَنْدَموا لأنهم يرجعون إلى أوطانهم) :

وَلَهُنَّ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ لُبَانَةٌ ... وَالرُّكْنُ يَعْرِفُهُنَّ لَوْ يَتَكَلَّمُ

لَوْ كَانَ حَيًّا قَبْلَهُنَّ ظَعَائِنًا ... حَيَّا الحَطِيمُ وُجُوهَهُنَّ وَزَمْزَمُ

وَكَأَنَّهُنَّ وَقَدْ صَدَرْنَ لَوَاغِبًا ... بَيْضٌ بِأَفْنِيَةِ المَقَامِ مُرَكَّمُ

اللاغِبُ المُعْيِي ، قال الله عز وجل : « وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ » والمُرَكَّمُ الذى بعضه على بعض ، والمرأة تُشَبَّهُ ببيضة النعامة كما تُشَبَّهُ بالدرة ، قال الله عزّ وجل : « كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ » والمكنون المصون ، والمُكَنُّ المستور ، يقال : أكْنَنْتُ السِّرَّ ، قال الله عزّ وجل : « أَوْ أَكْنَنْتُمْ فى أَنْفُسِكُمْ » وقال أبو دَهْبَل[3] ، وأكثر الناس يرويه لعبد الرحمن بن حَسَّان ابن ثابتٍ الأنصاريّ) :

وَهْيَ زَهْرَاءُ مِثْلُ لُؤْلُؤَةِ الْغَوَّا ... صِ مِيزَتْ مِنْ جَوْهَرٍ مَكْنُونِ

وقال ابن الرُّقيات :

---

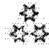
(١) من قولهم : أجد الرجل فى أمره إذا بلغ فيه جده وهو اجتهاده .

(٢) قال الشيخ المرصفى : الصواب أيام التشريق فان اليوم الأول بعد يوم النحر يسمى يوم القرّ ، لأن الناس تقر فيه بمنى ثم يوم النفر الأول ثم يوم النفر الثانى .

(٣) هو وهب بن زمعة من شعراء العصر الأموى .

واضِحٌ لَوْنُهَا كَبَيْضَةِ أُدْحِيٍّ   لَهَا فى النِّسَاءِ خَلْقٌ عَمِيمُ

العميم التام ، والأُدْحِيُّ موضع بيض النعامة خاصة ، وشِعْرُ عبد الرحمن هذا شعر مأثور مشهور عنه .



وروى بعض الرواة أن أبا دَهْبَلٍ الجُمَحِيَّ كان تقيًّا وكان جميلاً ، فقفل من الغزْو ذاتَ مَرَّةٍ فمرَّ بدِمَشْقَ فدعَتْهُ امْرَأَةٌ إلى أن يقرأَ لها كتابًا ، وقالتْ إنَّ صاحِبَتَهُ فى هَذَا القصر ،وهى تُحِبُّ أن تَسْمعَ مافيه ، فلما دخلتْ به بَرَزَتْ له امْرَأَةٌ جميلةٌ ، وقالت له : إنما احْتَلْتُ لك بالكتاب حتى أدْخَلْتُكَ . فقال لها : أما الحَرامُ فلا سبيل إليه ، قالت : فَلَسْتَ تُرادُ حرامًا ، فتزوَّجته وأقام عندها دَهْرًا حتى نُعِيَ بالمدينة ، ففى ذلك يقول وقد استأذنها ليُلِمَّ بأَهْلِهِ ، ثم يعودَ ، فجاء وقد اقتُسِمَ ميراثُهُ ، فلما هَمَّ بالعود إليها نُعِيَتْ له ، فهذا ما رُوِيَ من هذا الوجه ، والذى كأنه إجماع الناس أنه لعبد الرحمن ابن حسان ، وهو فى بنت معاوية[1] (بن أبى سُفْيان) :

صَاحِ حَيَّا الْإِلٰهُ أهْلاً وَداراً   عِنْدَ أَصْلِ الْقَنَاةِ مِنْ جَيْرُون[2]

عَنْ يَسَارِى إذا دَخَلْتُ مِنَ الْبا   بِ وَإِنْ كُنْتُ خارجًا فَيَمِينِى

فَبِتِلْكَ ارْتُهِنْتُ بِالشَّأْمِ حَتَّى   ظَنَّ أَهْلِى مُرَجَّمَاتِ الظُّنُونِ

وَهْىَ زَهْرَاءُ مِثْلُ لُؤْلُؤَةِ الْغَوَّا   صِ مِيزَتْ مِنْ جَوْهَرٍ مَكْنُونِ

---

(١) اسمها رملة . قال الشيخ المرصفى : وهذا على ما روى كان السبب فى أمر يزيد بن معاوية الأخطل بهجاء الأنصار .

(٢) هو باب دمشق ، أو هو حصن بدمشق بناه رجل من الجبابرة يقال له جيرون .

وَإِذَا مَا نَسَبْتَهَا لَمْ تَجِدْهَا فِي سَنَاءٍ مِنَ الْمَكَارِمِ دُونِ

ثُمَّ خَاصَرْتُهَا إِلَى الْقُبَّةِ الْخَضْرَاءِ تَمْشِي فِي مَرْمَرٍ مَسْنُونِ[1]

تَجْعَلُ الْمِسْكَ وَالْيَلَنْجُوجَ[2] وَالنَّدَّ صِلَاءً لَهَا عَلَى الْكَانُونِ

قُبَّةٌ مِنْ مَرَاجِلٍ[3] ضَرَبَتْهَا عِنْدَ بَرْدِ الشِّتَاءِ فِي قَيْطُونِ

المسنون: المصبوب على استواء، والمَرَاجِلُ: ثياب مِنْ ثياب الْيَمَنِ، قال العَجَّاجُ:

☆ بِشِيَةٍ كَشِيَةِ الْمُرَجَّلِ ☆ والقيطون البيت في جوف بيت.

وقال آخر:

وَأَبْصَرْتُ سُعْدَى بَيْنَ ثَوْبَيْ مَرَاجِلٍ وَأَثْوَابِ عَصْبٍ مِنْ مُهَلْهَلَةِ الْيَمَنْ

ويروى أن يزيد بن معاوية قال لمعاوية: أما سَمِعْتَ قول عبد الرحمن ابن حسان في ابنتك؟ قال وما الذي قال؟ قال قال:

وَهِيَ زَهْرَاءُ مِثْلُ لُؤْلُؤَةِ الْغَوَّاصِ مِيزَتْ مِنْ جَوْهَرٍ مَكْنُونِ

قال معاوية صدق، فقال يزيد وقال:

وَإِذَا مَا نَسَبْتَهَا لَمْ تَجِدْهَا فِي سَنَاءٍ مِنَ الْمَكَارِمِ دُونِ

قال معاوية صدق، فقال يزيد إنه قال:

ثُمَّ خَاصَرْتُهَا إِلَى الْقُبَّةِ الْخَضْرَاءِ تَمْشِي فِي مَرْمَرٍ مَسْنُونِ

قال معاوية كذب[4]:

---

(١) في مرمر: أي على مرمر.

(٢) اليلنجوج: هو العود يتبخر به. (٣) أي قبة عليها صور المراجل.

(٤) ويروى أن معاوية ذكر الأبيات لأبي دهبل فقال: والله يا أمير المؤمنين ماقلت هذا، وإنما قيل على لساني، فقال معاوية: أما من جهتي فلا خوف عليك، وإنما أكره لك جوار يزيد وأخاف عليك وثباته فإن له سورة الشباب وأنفة الملوك. فهرب أبو دهبل إلى مكة.

باب

قال أبو العباس : حدثنى مسعود بن بِشْر ، قال حدثنى محمد بن حَرْب ، قال أتى عبدُ الله بن الزُّبَيْرِ بن عبد المُطَّلِبِ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فكساه حُلَّةً وَأَقْعَدَهُ إلى جانبه ، ثم قال إنه ابنُ أُمِّى ، وكان أبوه يَرْحَمُنى (الزبير أخو عبد الله بن عبد المطلب شقيقُه) . وأنشدنى مسعود قال أنشدنى طاهرُ بن علىّ بن سُلَيْمَانَ ، قال أنشدنى منصور بن المَهْدِىِّ لرجل من بنى ضَبَّةَ بن أُدٍّ يقوله لبنى تميم بنِ مُرّ بن أُدّ :

أَبَنِى تَمِيمٍ إِنَّنِى أنا عَمُّكُمْ　　لا تُحْرَمُنَّ نَصِيحَةَ الأَعمام

إنى أرى سَبَبَ الفَناء وإنما　　سَبَبُ الفَناء قَطيعةُ الأَرْحَامِ

فَتَدَارَكُوا بِأَبِى وَأُمِّى أَنْتُمُ　　أَرْحَامَكُمْ برواجِحِ الأَحْلام

(كذا أَنْشَدَ أرحامكم ويروى أحسابكم) ، وَيُرْوَى أنه لما أتى عَبْدَ الله ابنَ الزُّبَيْرِ خَبَرُ قَتْلِ مُصْعَب بن الزبير خَطَبَ الناسَ فَحَمِدَ الله وأثْنَى عليه ، ثم قال: إنه أتانا خبر قتل المصعب فسُرِرْنا به ، واكْتَأَبنا له ، فأما السُّرورُ فأما قُدِّرَ له من الشهادةِ ، وحِيزَ له من الثواب ، وأما الكَآبَةُ فلَوْعَةٌ يَجِدُها الحَمِيمُ عند فِراق حَمِيمِهِ ، وإنا والله ما نموتُ حَبَجًا كَمِيتةِ آلِ أبى العاصى ، إنما نموتُ والله قَتْلاً بالرِّماح ، وقَعْصًا تحت ظِلالِ السُّيوف ، فإن يَهْلِكِ المُصْعَبُ فإن فى آل الزبير منه خَلَفاً .

قوله: حَبَجًا، يقال حَبِجَ بَطْنُهُ: إذا انتفخ، وكذلك حَبِطَ بطنه، والمُقْعَصُ المقتول، واللَّوْعةُ: الحُرْقةُ، يقال لاع يلاع لَوْعَةً يا فتى فهو لائعٌ، ويقال لاعٍ يا فتى على القَلْبِ، وأنشد أبو زيد:

ولا فَرِحٍ بخَـيرٍ إن أتاهُ ... ولا جَزِعٍ من الحَدَثانِ لاعِى[1]



قال: وحدثنى مسعود بن بِشْرٍ فى إسناد ذكره، قال قال زياد لحاجبه: يا عَجْلانُ إنى وَلَّيْتُكَ هذا الباب، وعَزَلْتُكَ عن أربعة، عزلتك عن هذا المنادِى إذا دعا للصلاة فلا سَبيلَ لك عليه، وعن طارِقِ اللّيلِ فَشَرٌّ ما جاء به ولو جاء بخير ما كنتُ من حاجته، وعن رسول صاحب الثغر فإن إبْطاء ساعةٍ يُفْسِدُ تدبير سنة، وعن هذا الطبَّاخِ إذا فرَغ من طعامه.

قال وحدثنى مسعود قال قال زياد: يُعْجِبُنى من الرجل إذا سِيمَ[2] خُطَّةَ الضَّيْمِ أن يقول «لا» بِمِلْءِ فيهِ، وإذا أَتَى نادِىَ قومٍ عَلِمَ ايْنَ ينبغى لمثله أن يَجْلِسَ فَجَلَسَ، وإذا ركب دابة حملها على ما تُحِبُّ ولم يَبْعَثْها إلى ما تَكْرَه.

وَكُتِبَ إلى جعفر بن يحي: إن صاحب الطريق[3] قد اشْتَطَّ فيما يطلب من الأموال، فوَقَّعَ جَعْفَرٌ: هذا رجل منقطع عن السلطان وبين ذُؤْبانِ

---

(١) قبل هذا البيت:

وقد ترك الفوارس يوم حِسى ... غلاما غير مناع المتاع

والحسى اسم ماء وكان به يوم من أيام العرب.

(٢) من سامه الأمر سوما: كلفه إياه، وفى القرآن (يسومونكم سوء العذاب).

(٣) هو الذى يحفظ مواضع المخافة من اللصوص وقطاع الطريق.

الْعَرَبِ بحيثُ الْعَدَدُ والعُدَّةُ ، والقُلُوبُ القاسية والأنوف الْحَمِيَّةُ ، فَلْيُمْدَد من المال بما يَسْتَصْلِحُ به مَنْ مَعَهُ لِيَدْفَعَ به عَدُوَّهُ ، فإن نفقاتِ الحروب يُسْتَظْهَرُ لها ، ولا يُسْتَظْهَرُ عليها[1] .



وَأَكْثَرَ الناسُ شَكِيَّةَ عامل فَوَقَّعَ إليه في قِصَّتهم : ياهذا قد كَثُرَ شاكوك ، وقَلَّ حامدوك[2] فإمَّا عَدَلْتَ ، وإما اعْتَزَلْتَ .

وزعم الجاحظ قال : قال ثُمامة بن أَشْرَسَ النُّمَيْرِي : ما رأيت رجلا أبلغَ من جعفر بن يحيي والمأمونِ .

وقال مُوَيْسُ بن عِمرانَ : مارأيتُ رجلا أبلَغَ من يَحْيي بن خالد، وأيوبَ ابن جَعْفَرٍ .

وقال جعفرُ بن يحيي لِكُتَّابِهِ : إنْ قَدَرْتُمْ أن تكون كُتُبُكُمْ كلها تَوْقيعاتٍ فافعلوا .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لوتَكَاشَفْتُم ما تَدَافَنْتُم ، يقول : لوعَلِمَ بعضُكم سَريرةَ بعضٍ لاستثقل تَشْييعَهُ وَدَفْنَهُ .

وقال عليه الصلاة والسلام : أُجْتَنِبوا القُعود على الطُرُقات . إلاَّ أن تَضْمَنوا أربعاً : رَدَّ السَّلام ، وَغَضَّ الأَبْصارِ ، وَإرْشَادَ الضالّ ، وَعَوْنَ الضعيف .

وقالت هِنْدُ بنت عُتْبَةَ : إنما النساء أَغْلاَلٌ، فليختر الرجلُ غُلاًّ لِيَدِهِ .

(١) أى يستعان لها ولا يستعان عليها .

(٢) فى بعض الروايات : وقلَّ شاكروك .

وذَكرتْ هند بنت المُهَلَّبِ بن أبى صُفْرَةَ النساء فقالت : ما زُيِّنَّ بشىء كأدَبٍ بارعٍ تحته لُبٌّ ظاهر .

وقالت هند بنت المُهَلَّبِ بن أبى صُفْرَةَ أيضاً : إذا رأيتم النِعَمَ مُسْتَدِرَّةً فبادروا بالشُكْرِ قبل حُلول الزَّوال .

وقال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم : اُفْصِلُوا بين حَديثكم بالاستغفار .

وقال عمر بن عبد العزيز رحمه اللّٰه : قَيِّدوا النِعَمَ بالشكر ، وقَيِّدوا العِلْمَ بالكتاب .

وقال على بن أبى طالب رضوان اللّٰه عليه : العَجَبُ لِمَنْ يَهْلِكُ والنَّجاةُ معه ، فقيل ما هى يا أمير المؤمنين ؟ قال الاستغفار .

وقال الخليل بن أحمد[1] : كُنْ على مُدارسة مافى قلبك أَحْرَصَ منكَ على حفظ مافى كُتُبِكَ .

وقال ابن أحمد - يعنى الخليلَ : اُجْعَلْ ما فى كُتُبِكَ رأس مال ، وما فى صَدْرِكَ للنفقة .

وقيل لِنَصْرِ بن سَيَّار : إن فلانا لا يكتب ، فقال تلك الزَّمانةُ الخَفِيَّةُ .

وقال نصر بن سيار[2] : لولا أن عمر بن هُبَيْرَةَ[3] كان بَدوِيًّا ما ضَبَطَ أعمال العراق ، وهو لا يكتب .

وفادى رسولُ اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم مَنْ رأى فِداءهُ من أَسْرَى بَدْرٍ

---

(١) هو الامام اللغوى صاحب كتاب العين، ومؤسس علم العروض.

(٢) ولى خراسان لهشام بن عبد الملك . (٣) ولى العراق ليزيد بن عبد الملك .

فَمَنْ لم يكن له فِداء أَمَرَهُ أن يُعَلِّمَ عشرة من المسلمين الكتابة ، فَفَشَت الكتابة بالمدينة .



ومن أمثال العرب: خير العلم ماحُوضِرَ به. يقول: ماحُفِظَ فكان للمذاكرة.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تَزَالُ أُمَّتِى صالحا أَمْرُها ما لم تَرَ الْفَيْءَ مَغْنَماً ، والصدقة مَغْرَمًا .

وقال علىٌّ بن أبى طالب رضى الله عنه : يأتى على الناس زمان لا يُقَرَّبُ فيه إلا الماحِلُ ، ولا يُظَرَّفُ فيه إلا الفاجرُ ، ولا يُضَعَّفُ فيه إلا الْمُنْصِفُ . يتخذون الْفَيْءَ مَغْنَماً ، والصدقة مَغْرَمًا ، وصِلة الرحمِ مَنًّا ، والعبادة استطالةً على الناس ، فعند ذلك يكون سلطانُ النساء ، ومُشاوَرَةُ الإماء ، وإمارةُ الصبيان : (الماحل : الواشى ، يقال مَحَلَ فلان بفلان: إذا وشَى به ومَكَرَ) .



ويروى عن محمد بن الْمُنْتَشِرِ بن الأَجْدَعِ الْهَمدانىّ ، قال : دَفَعَ إلىَّ الحجاج أزاد مَرْدَ بن الْهِربذِ وأمرنى أن أستخرج منه وأُغَلِّظَ عليه ، فلما انطلقتُ به قال لى : يا محمد ، إن لك شَرَفًا ودِيناً ، وإنى لا أُعْطى على الْقَسْرِ شيئاً فَاسْتأْدِنى(١) وارفُقْ بى ، قال ففعلتُ فَأَدَّى إلىّ فى أسبوع خمسمائة ألف ، قال فبلغ ذلك الحجاج فأغضبه ، وانتزعه من يَدَىَّ ، ودفعهُ إلى رجل كان يتولى له العَذابَ ، فَدَقَّ يديه ورجليه ، ولم يُعْطِهِمْ شيئاً ، قال محمد

---

(١) يريد : اطلب منى الأداء .

ابن المنتشر: فإنى لأمُرُّ يوما فى السوق إذا صائحٌ بى: يا محمد! فالتفتُّ فإذا به معرَّضاً على حمار مدقوقَ اليدين والرجلين، فخفتُ الحجاج إنْ أتيته، وتذمَّمْتُ منه[1] فملْتُ إليـــه، فقال لى إنك وليتَ منى ما ولىَ هؤلاء فأحسنْتَ، وإنهم صنعوا بى ما ترى ولم أُعطهم شيئاً، وههنا خمسمائة ألف عند فلان فخذها فهى لك، قال: فقلت له: ما كنت لآخذ منك على معروفى أجرًا، ولا لأَرْزَأَكَ على هذه الحال شيئاً، قال فأما إذْ أبيْتَ فاسمع أُحَدِّثْكَ: حدثنى بعضُ أهل دينك عن نبيك صلى الله عليه وسلم أنه قال: إذا رضى الله عن قوم أمطَرَهُمُ المطر فى وقته، وجعَلَ المالَ فى سُمَحائهم، واستَعْمَلَ عليهم خيارهم. وإذا سَخِط عليهم أُستعمل عليهم شِرارهم، وجعل المالَ عند بُخلائهم، وأمطرهم المطر فى غير حِينِهِ. قال فانصرفت فما وضعتُ ثوبى حتى أتانى رسولُ الحجاج فأمرنى بالمسير إليه فألفيته جالسًا على فُرُشِهِ والسيفُ مُنْتَضًى فى يده، فقال لى: أُدْنُ، فدنَوْتُ شيئاً، ثم قال: أُدْنُ، فدَنَوْتُ شيئاً، ثم صاح الثالثة: أُدْنُ لا أبالك! فقلت: مابى إلى الدُّنُوِّ من حاجة. وفى يد الأمير ما أرى! فأضحكَ الله سِنَّهُ، وأغمدَ سيفَهُ عنى، فقال لى: أُجْلِسْ، ما كان من حديث الخبيث؟ فقلتُ له: أيها الأمير، والله ماغشَشْتُكَ مُنْذُ استنصحتنى، ولا كَذَبْتُكَ منذ اسْتَخْبَرْتَنى، ولا خُنْتُكَ منذ ائتمنتنى. ثم حدثتهُ الحديث، فلما صِرْتُ إلى ذكر الرجل الذى المالُ عنده أعْرَضَ عنى بوجهِهِ، وأومأ إلىّ بيده، وقال لاتُسَمِّهِ، ثم قال إن للخبيث نفساً، وقد سمع الأحاديثَ.

---

(١) يعنى أنه استحيا منه.



ويقال كان الحجاج إذا استغرب ضحكا[1] والى بين الاستغفار، وكان إذا صعد المنبر تلفع بمطرفه[2] ثم تكلم رويدا فلا يكاد يسمع ثم يتزيد في الكلام، حتى يخرج يده من مطرفه، ويزجر الزجرة فيفزع بها أقصى من في المسجد، وكان يطعم في كل يوم على ألف مائدة على كل مائدة ثريد وجنب من شواء وسمكة طرية، ويطاف به في محفة على تلك الموائد ليتفقد أمور الناس، وعلى كل مائدة عشرة، ثم يقول: يا أهل الشأم، اكسروا الخبز لئلا يعاد عليكم، وكان له ساقيان أحدهما يسقى الماء والعسل، والآخر يسقى اللبن.

ويروى أن ليلى الأخيلية قدمت عليه فأنشدته:

إذا ورد الحجاج أرضا مريضة تتبع أقصى دائها فشفاها

شفاها من الداء العقام الذى بها غلام إذا هز القناة ثناها

(العقام بالفتح والضم، والضم أفصح) فقال لها لا تقولى: غلام، قولى: همام، ثم قال لها أي نسائى أحب إليك أن أنزلك عندها الليلة؟ قالت: ومن نساؤك أيها الأمير؟ قال أم الجلاس بنت سعيد بن العاصى الأموية، وهند بنت أسماء بن خارجة الفزارية، وهند بنت المهلب بن أبى صفرة العتكية، فقالت: القيسية[3] أحب إلى. فلما كان الغد دخلت عليه فقال: يا غلام أعطها خمسمائة، فقالت: أيها الأمير، اجعلها أدما، فقال قائل: إنما أمر لك

(١) أى إذا بالغ فى الضحك حتى بدت غروب أسنانه.

(٢) المطرف: رداء من خز. (٣) تريد هند بنت أسماء.

بشاء ، قالت : الأمير أكْرَمُ من ذلك ، فجعلها إبلا إناثا استحياء ، وإنما كان أمَرَ لها بشاءٍ أوّلا . والأُدْمُ : البيض من الإبل وهى أكرمها .

ويروى عن بعض الفقهاء (هو الشَّعْبِىُّ) قال : دعانى الحجاج فسألنى عن الفَرِيضةِ المُخَمَّسَةِ[1] وهى أمٌّ وجَدٌّ وأخت[2] فقال لى : ماقال فيها الصِّدِّيق رحمه الله ؟ قلتُ أعْطَى الأمَّ الثلث والجدَّ ما بقى[3] لأنه كان يراه أبا[4] ، قال فما قال فيها أميرُ المؤمنين ؟ يعنى عثمان رحمه الله ، قلت : جعل المال بينهم أثلاثا[5] قال فما قال فيها ابن مسعود ؟ قال قلتُ أعْطَى الاختَ النصف والأم ثلث ما بقى والجد الثلثين[6] لأنه كان لا يُفَضِّلُ أمًّا على جدّ ، قال فما قال فيها زيد بن ثابت ؟ قال قلتُ أعْطَى الأم الثلث وجعل ما بقى بين الأخت والجد[7] للذكر مثل حظ الأنثيين ، لأنه كان يجعل الجدّ كأحد الإخوة إلى الثلاثة ، قال فَزَمَّ بأنفه[8] ثم قال : فما قال فيها أبو تُرابٍ[9] ؟ قال قلت أعْطَى الأم الثلث والأخت النصف والجد السدس ، فأطرق ساعة ثم رفع رأسه فقال : فانه المرْءُ يُرْغَبُ عن قوله[10] .

وجلس الحجاج يوما يأكل ومعه جماعة على المائدة منهم محمد بن عُمَيْرِ ابن عُطارِدِ بن حاجِبِ بن زُرارَةَ ، وحَجَّارُ بن أَبْجَرَ بن بُجَيْرِ العِجْلِىُّ فأقبل فى وسَطِ

---

(١) أى التى اختلف فيها خمسة من الصحابة .

(٢) لأبوين أو لأب . (٣) ولا شىء للأخت ، وهذا مذهب أبى حنيفة .

(٤) فيسقط الإخوة . (٥) فلم يفضل الجد على الأخت .

(٦) فالمسئلة من ستة ، ثلاثة للأخت وسهم للأم وسهمان للجد .

(٧) وهذا مذهب الأئمة الثلاثة . (٨) شمخ وتكبر .

(٩) هى كنية أمير المؤمنين على بن أبى طالب .

(١٠) نقل الشيخ المرصفى فى شرحه أن إمام الحرمين يرى أن رأى علىّ فى مسألة الجد أنق المذاهب

من الطعام على محمد بن عُمَيْر بن عُطارِد فقال : يا محمد ، أيدعوك قُتَيْبَةُ بن مُسْلِم إلى نُصْرتى يوم رُسْتُقْباذ[١] فتقول:هذا أمر لا ناقة لى فيه ولا جمل ؟ لا جعل الله لك فيه ناقة ولا جملا ، يا حَرَسِىُّ خُذْ بيده وَجَرِّدْ سيفك فاضرب عُنُقَهُ ، فنظر إلىَّ حَجَّارُ بن أَبْجَرَ وهو يتبسم فدخلته العَصَبِيَّةُ ، وكَان مكانُ حَجَّار من رَبيعة كمكان محمد بن عمير من مُضَرَ ، وأتى الخَبَّازُ بفُرْنِيَة[٢] فقال:اجْعَلْها مما يلى محمداً فإن اللبن يعجبه ، يا حَرَسِىُّ شِمْ سيفك وَانْصَرِفْ .

وكان محمدٌ شريفاً ، وله يقول الشاعر :

عَلِمَ القبائلُ من مَعَدٍّ وغيرِها أنَّ الجوادَ محمدُ بن عُطارِدِ

وذُكِرَتْ بنو دارِمٍ يوما بحضرة عبد المَلِك ، فقالوا : قوم لهم حظٌّ ، فقال عبد الملك : أتقولون ذلك وقد مَضَى منهم لَقيطُ بن زُرارةَ ولا عقبَ له ، ومَضَى القعقاع بن معبد بن زرارة ولا عقب له ، ومضى محمد بن عُمَيْرِ بن عُطارِد ولا عَقِبَ له ، والله لا تَنْسَى العربُ هؤلاء الثلاثة أبداً .

قوله : شِمْ سيفك ، يقول : اغْمِدْهُ ، ويقال : شِمْتُ السيفَ: إذا سَلَلْتَهُ وهو من الأضداد ، ويقال : شِمْتُ البرقَ إذا نظرتَ من أىِّ ناحية يأتى .

قال الأعْشَى :

فقلتُ للشَّرْبِ فى دُرْنَى وقد ثَمِلوا شِيمُوا وكيفَ يَشيمُ الشاربُ الثَّمِلُ

وقال الفرَزْدَقُ :

بأيدى رِجالٍ لم يَشِيموا سُيوفَهُمْ ولم تَكْثُرِ القَتْلَى بها حين سُلَّت

وهذا البيت طريف عند أصحاب المعانى ، وتأويله لم يَشيموا : لم يَغْمِدُوا ، ولم

---

(١) بلدة بفارس . (٢) هى خبزة تروى لبنا وسكرا وسمنا ثم تشوى .

تكثر القتلى ، أى لم يغمدوا سيوفهم إلا وقد كثرت القتلى حين سُلَّت[١] .



وحدثنى الحسن بن رجاء قال قَدِمَ علينا علىٌّ بن جَبَلَةَ إلى عَسْكَرِ الحَسَنِ ابن سَهْلٍ والمأمون هناك بانيا[٢] على خديجة بنت الحسن بن سهل المعروفة ببُورانَ ، فقال الحسن ونحن إذ ذاك نُجْرِى على[٣] نَيِّفٍ وسبعين ألف مَلاَّحٍ وكان الحسن بن سهل يَسْهَرُ مــع المأمون وكان المأمون يَتَصَبَّحُ فيجلس الحسن للناس إلى وقت انتباهه ، فلما وَرَدَ عَلِيٌّ قلت قد تَرَى شُغْلَ الأمير ، قال إذن لا أضيعَ معك ، قلتُ أجلْ ، فدخلتُ على الحسن بن سهل فى وقت ظهوره فأعلمته مكانه ، فقال ألا تَرَى ما نحن فيه ؟ قلتُ لَسْتَ بمشغول عن الأمر له ، فقال يُعْطَى عشرةَ آلاف درهمٍ إلى أن نتفرَّغَ له ، فأعلمت ذلك علىَّ بن جَبَلَةَ ، فقال فى كلمة له :

أَعْطَيْتَنى ياولِىَّ الحق مُبْتَدِئًا   عطِيَّةً كافَأَتْ مَدْحى ولم تَرَنى

ما شِمْتُ بَرْقَكَ حتى نِلْتُ رَيِّقَهُ   كأَنَّمَا كُنْتَ بالجَدْوَى تُبادِرُنى

---

(١) يريد أن الواو فى قوله (ولم تكثر القتلى) للحال ، فمعناه لم يغمدوها والقتلى بها لم تكثر ، وإنما يغمدونها بعد أن تكثر القتلى بها .

(٢) من بنى على أهله : دخل بها ، وذلك مجاز ، أصله أن المعرس كان يبنى على أهله خباء .

(٣) نجرى عليهم : نعطيهم .

باب

قال أبو العباس قال المُفَضَّـــلُ بن المُهلَّبِ بن أبى صُفْرَةَ (يَصِفُ الشجاعة والنَّجْدَة).

هل الجودُ إلاّ أن نجودَ بأنْفُسٍ　　على كلِّ ماضى الشَّفْرَتَيْنِ قَضيبِ

وما خيْرُ عَيْشٍ بعد قتل محمدٍ　　وبَعْدَ يَزِيدَ والحَرُونِ حبيبِ

ومَنْ هَرَّ أطرافَ القَنا خَشْيَةَ الرَّدى　　فليس لِمَجْدٍ صالحٍ بكسوبِ

وما هِيَ إلا رَقْدَةٌ تُورِثُ العُلى　　لِرَهْطِكَ ما حَنَّتْ رَوَائِمُ نِيبِ

قوله ومن هرَّ أطراف القنا خشية الردى يقول مَنْ كَرِهَ. قال عَنْتَرَةُ بن شدَّادٍ:

حَلَفْتُ لهم والخيلُ تَرْدى بنا مَعاً　　نفارقُهُمْ حـــتى يَهِرُّوا العَواليا

عَوالىَ زُرْقاً من رماحِ رُدَيْنَةٍ　　هَرِيرَ الـكلاب يَتَّقِينَ الأفاعيا

والردى: الهلاك، وأكثر مايستعمل فى الموت، يقال رَدِىَ يَرْدَى رَدًى. قال الله عز وجل: «وما يُغْنِي عنه مالُهُ إذا تَرَدَّى» وهو تَفَعَّلَ مِنَ الرَّدَى فى أحد التفسيرين، وقيل إذا تردى فى النار: أى إذا سقط فيها، وقوله الحَرُون، فإن حَبيب بن المُهَلَّبِ كان ربما انهزم عنه أصحابه فلا يَرِيمُ[1] مكانه، فكان يُلَقَّبُ الحَرونَ[2]، وقوله: وما هى إلا رقدة تورث العلى. فهذا مأخوذ من قول أخيه يزيد بن المهلب، وذلك أنه قال فى يوم العَقْرِ. وهو اليوم الذى قُتِلَ فيه: قَاتَلَ اللهُ ابنَ الأَشْعَثِ، ما كان عليه لو غَمَّضَ عينيه

---

(١) لايبرح. (٢) وهو مستعار من وصف الخيل.

ساعة للموت ، ولم يكن قَتيلَ نَفْسِهِ . وذلك أن ابن الأشعث قام فى الليل ، وهو فى سطح للبول ، فزعموا أنه رَدَّى نفسهُ ، وغير أهل هـذا القول يقولون : بل سقط منه بِسِنَةِ النوم ، وقوله : تورث العلى لرهطك ، فالمعنى تورث العلى رهطَكَ ، وهذه اللام تزاد فى المفعول على معنى زيادتها فى الإضافة ، تقول : هذا ضاربٌ زيداً ، وهذا ضاربٌ لزيدٍ لأنها لاتُغَيِّرُ معنى الإضافة إذا قلت : هذا ضاربُ زيد وضاربٌ له ، وفى القرآن : « وأُمِرْتُ لأَنْ أَكونَ أول المسلمين » . وكذلك : « إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ » . ويقول النحويون فى قوله تعالى : « قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ » . إنما هو رَدِفَكُمْ ، والنِّيبُ جمع نابٍ وهى المُسِنَّةُ من الإبل ، وتقديرها فُعْلٌ ساكِنَةٌ ، وَأُبْدِلَتْ من الضمة كسرةٌ لِتَصِحَّ الياء ، كما قلتَ فى أَبْيَضَ بِيضٌ ، وإنما هو مثل أحمر وحُمْرٍ ، وكذلك أَشْيَبُ وشِيبٌ ، فتقدير نابٍ ونيبٍ إذا جاء على فَعَلٍ وفُعْلٍ تقدير أَسَدٍ وأُسْدٍ ، ووَثَنٍ ووُثْنٍ ، ونابٌ تقديرها فَعَلٌ ، وإنما انقلبت الياء ألفاً فسكنت ، وإنما تنقلب إذا كانت قبلها فتحة وكانت فى موضع حركة ، والرّوائم قد مضى تفسيرها(١) .



وأنشدنى الزِّيادِىُّ قال أنشدنى أبو زيد ، قال نَظَرَ شَيخٌ من الأعْرَاب إلى امرأته تَتَصَنَّعُ وهى عجوز فقال :

---

(١) وهى العاطفات على أولادها ، والمفرد رائم .

عجوزٌ تُرَجِّى أن تكون فَتِــيَّةً | وقد لُحِبَ الجَنْبانِ واحْدَوْدَبَ الظَّهْرُ
تَدُسُّ إلى العَطَّارِ سـلعةَ بيتِها | وهَلْ يُصْلِحُ العطارُ ما أَفْسَدَ الدَّهْرُ

(قال أبو الحسن وزادنى غير أبى العباس فى شعر هذا الأعرابى :

وما غَرَّنى إلاّ خِضابٌ بِكَفِّها | وكُحْلٌ بعينيها وأثوابُها الصُّفْرُ
وجاءوا بها قبل المُحاق[1] بليلة | فكان مُحاقًا كلّه ذلك الشهرُ)

قال فقالت له امرأته :

أَلَمْ تَرَ أنّ النابَ تُحْلَبُ عُلْبَةً | وَيُتْرَكُ ثِلْبٌ لاضِرابٌ ولا ظَهْرُ

قال ثم استغاثت بالنساء ، وطَلَبَ الرجالَ ، فإذا هم خُلوفٌ[2] فاجتمع النساء عليه فضَرَبْنَهُ ، وقوله : قد لُحِبَ الجنبان ، يقول قَلَّ لحمهما ، يقال بعير مَلْحوبٌ وقد لُحِبَ مثل عُرِقَ ، وقوله : تَدُسُّ إلى العطار سلعة بيتها ، يريد السويقَ[3] والدقيقَ ، وما أشبه ذلك ، وكل عَرْضٍ[4] فالعرب تقول له سِلْعة ، أنشدنى عُمارةُ بن عَقيلٍ شعرًا يمدح به خالد بن يزيد بن مَزْيدٍ الشيبانىّ ويَذُمُّ تميم ابن خُزَيمةَ بن حازمٍ النَهْشَلِىَّ :

أَأَتْرُكُ إنْ قَلَّتْ دَراهِمُ خالدٍ | زيارَتَهُ إنِّى إذًا لَلَئِـيمُ
وَقَدْ يُسْلِعُ المَرْءُ اللَئيمَ اصْطِناعُهُ | وَيعْتَلُّ نَقْدُ المَرْءِ وَهْوَ كَرِيمُ

---

(١) المحاق مثلث الميم ، وهو آخر الشهر أو ثلاث ليال من آخره .

(٢) أى غائبون عن الحى .

(٣) طعام يتخذ من الحنطة والشعير .

(٤) هو ما سوى الدراهم والدنانير والجمع عروض ، وقيل : العروض الأمتعة التى لا يدخلها كيل ولا وزن ولا يكون حيوانا ولا عقارا .

(مَنْ رَفَعَ المرء نصب اصطناعه ، ومن نصب المرء رفع اصطناعه ، وأما على تفسير أبي العباس فبنصب اصطناعه لا غير :

فَتًى وَاسِطٌ[1] فِي ابْنَيْ نِزَارٍ مُحَبَّبٌ ... إِلَى ابْنَيْ نِزَارٍ فِي الخُطُوبِ عَمِيمُ

فَلَيْتَ بِبُرْدَيْهِ لَنَا كَانَ خَالِدٌ ... وَكَانَ لِبَكْرٍ فِي الثَّرَاءِ تَمِيمُ

فَيُصْبِحَ فِينَا سَابِقٌ مُتَمَهِّلٌ ... أَغَرُّ وَفِي بَكْرٍ أَغَمُّ بَهِيمُ

قوله: وقد يُسْلِعُ المَرْءَ اللئيمَ اصطناعه . أي يُكْثِرُ سِلْعَتُهُ لاصطناعه ، وقوله: أغم بهيم ، فالغَمَمُ كثرة شعر الوجه والقفا ، قال هُدْبَةُ بن خَشْرَمٍ العُذْرِيُّ :

فَلاَ تَنْكِحِي إِنْ فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا ... أَغَمَّ القَفَا وَالوَجْهُ لَيْسَ بِأَنْزَعَا

والعرب تَكْرَهُ الغَمَمَ، والبَهِيمُ: الذي لا يَخْلِطُ لونَهُ غيرُهُ من أيِّ لون كَانَ، وقولها: ألم تر أن الناب تحلب علبة، تقول فيها منفعة على حال ، والعُلْبَةُ : إناء لهم من جلود يَحْلُبون فيه ، من ذلك قوله :

لَمْ تَتَقَنَّعْ بِفَضْلِ مِئْزَرِهَا ... دَعْدٌ وَلَمْ تُغْذَ دَعْدُ بِالعُلَبِ

ومن أمثال العرب : قد تُحْلَبُ الضَّجُورُ العُلْبَةَ ، يضربون ذلك للرجل البخيل الذى لا يزال يُنال منه الشيء القليل ، والضجور : الناقة السيئة الخُلُق إنما تُحْلَبُ حين تَطْلُعُ عليها الشمس فتطيب نفسها ، والثِّلْبُ الذى قد انتهى فى السنِّ من الأبل ، وقال آخر :

لَمْ أَرَ مِثْلَ الفَقْرِ أَوْضَعَ لِلْفَتَى ... وَلَمْ أَرَ مِثْلَ المَالِ أَرْفَعَ لِلرَّذْلِ

وَلَمْ أَرَ عِزًّا لاِمْرِئٍ كَعَشِيرَةٍ ... وَلَمْ أَرَ ذُلاًّ مِثْلَ نَأْيٍ عَنِ الأَصْلِ

---

(١) واسط : شريف .

وَلَمْ أَرَ مِنْ عُدْمٍ أَضَرَّ عَلَى امْرِىءٍ   إِذَا عَاشَ بَيْنَ النَّاسِ مِنْ عَدَمِ الْعَقْلِ

وقال آخر :

لَعَمْرِى لَقَوْمُ الْمَرْءِ خَيْرُ بَقِيَّةٍ   عَلَيْهِ وَإِنْ عَالَوْا بِهِ كُلَّ مَرْكَبِ
مِنَ الْجَانِبِ الْأَقْصَى وَإِنْ كانَ ذَا غِنًى   جَزِيلٍ وَلَمْ يُخْبِرْكَ مِثْلُ مُجَرِّبِ
(وَإِنْ خَبَّرَتْكَ النَّفْسُ أَنَّكَ قَادِرٌ   عَلَى مَا حَوَتْ أَيْدِى الرِّجالِ فَكَذِّبِ)
إِذَا كُنْتَ فِى قَوْمٍ عِدًا لَسْتَ مِنْهُمُ   فَكُلْ مَا عُلِفْتَ مِنْ خَبِيثٍ وَطَيِّبِ

العِدَا الغرباء فى هذا الموضع ، ويقال للأعداء عِدًا ، والعُداةُ الأعْداء لا غير .

وقال أعرابى من باهِلَةَ :

سَأُعْمِلُ نَصَّ الْعِيسِ حَتَّى يَكُفَّنِى   غِنَى الْمَالِ يَوْمًا أَوْ غِنَى الْحَدَثَانِ
فَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ يُرَى لَهَا   عَلَى الْمَرْءِ ذِى الْعَلْيَاءِ مَسُّ هَوَانِ
مَتَى يَتَكَلَّمْ يُلْغَ حُكْمُ مَقَالِهِ   وَإِنْ لَمْ يَقُلْ قَالُوا عَدِيمُ بَيَانِ
كَأَنَّ الْغِنَى فِى أَهْلِهِ بُورِكَ الْغِنَى   بِغَيْرِ لِسَانٍ نَاطِقٌ بِلِسَانِ

ونظير هذا الشعر ما حُدِّثْنا به فى أمر حارِثَةَ بن بَدْرٍ الغُدَانِىِّ، فإنا حُدِّثنا عن حارثة بن بدر ، وكان رَجُلَ بَنِى تَمِيمٍ فى وقته ، وكان قد غَلَبَ على زِيادٍ ، وكان الشراب قد غَلَبَ عليه ، فقيل لزِيادٍ إن هذا قد غَلَبَ عليك وهو مُسْتَهْتَرٌ[1] بالشراب ، فقال زياد : كيف لى باطِّراحِ رجلٍ هو يُسايرُنى مُنْذُ دخلتُ العِراق لم يَصْكُكْ رِكابِىَّ رِكَابُهُ ، ولا تَقَدَّمَنى فنظرتُ إلى قفاه ، ولا تأخَّرَ عنى فَلَوَيْتُ عُنُقِى إليه ، ولا أَخَذَ علىَّ الشمسَ فى شتاءٍ قطُّ ، ولا

(١) مستهتر : مولع .

الرَّوْحَ فى صيف قَطُّ ، ولا سألته عن علم إلا ظننتُ أنه لم يُحْسِنْ غيره . فلما مات زِيادٌ جفاه عبيدالله ، فقال له حارثة : أيها الأمير ماهذا الجفاء مع معرفتك بالحال عند أبى المغيرة(١) ، فقال له عبيد الله : إن أبا المغيرة كان قد بَرَع بُرُوعا لا يلحقه معه عيب ، وأنا حَدَثٌ وإنما أُنْسَبُ إلى مَنْ يَغْلِبُ علىّ ، وأنت رجل تديم الشراب ، فمتى قَرَّبْتُكَ فظهرتْ رائحةُ الشراب منك لم آمَنْ أن يُظَنَّ بى ، فَدَعِ النَّبيذَ وكُنْ أوَّلَ داخلٍ علىَّ وآخر خارج عنى ، فقال له حارثة : أنا لا أَدَعُهُ لمن يملك ضَرِّى ونَفْعِي ، أفأدعه للحال عندك ؟ قال فاخْتَرْ من عملى ما شئتَ ، قال تُوَلِّينى رامَ هُرْمُزَ ، فإنها أرض عَذاةٌ(٢) وسُرَّقَ فإن بها شرابًا وُصِفَ لى ، فوَلَّاهُ إياهما ، فلما خرج شيَّعَهُ الناس ، فقال أنسُ ابن أبى أُنَيْسٍ :

أَحارِ بْنَ بَدْرٍ قَدْ وَلِيتَ إِمارَةً ... فَكُنْ جُرَذاً فِيهَا تَخُونُ وَتَسْرِقُ(٣)

وَلاَ تَحْقِرَنْ يَا حارِ شَيْئاً وَجَدْتَهُ ... فَحظُّكَ مِنْ مُلْكِ الْعِراقَيْنِ سُرَّقُ

وَباهِ تَمِيماً بِالْغِنَى إِنَّ لِلْغِنَى ... لِسَاناً بِهِ الْمَرْءُ الْهَيُوبَةُ يَنْطِقُ

فَإِنَّ جَمِيعَ النَّاسِ إِمَّا مُكَذِّبٌ ... يَقُولُ بِمَا يَهْوَى وَإِمَّا مُصَدِّقُ

يَقُولُونَ أَقْوالاً وَلاَ يَعْلَمُونَها ... وَلَوْ قِيلَ هَاتُوا حَقِّقُوا لَمْ يُحَقِّقُوا

ورَثَى حارثةُ بن بدرٍ زيادا ، وكان زياد مات(٤) بالكوفة ، ودفن بالثَّوِيَّةِ فقال :

صَلَّى الْإِلٰهُ عَلَى قَبْرٍ وَطَهَّرَهُ ... عِنْدَ الثَّوِيَّةِ يَسْفِي فَوْقَهُ الْمُورُ

---

(١) أبو المغيرة كنية زياد . (٢) عذاة : طيبة التربة .

(٣) الجرذ: هو الذكر من الفأر، أو هو الكبير منه.

(٤) سنة ثلاث وخمسين وهو والى العراق لمعاوية .

زَفَّتْ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ نَعْشَ سَيِّدِها فَثَمَّ كُلُّ التُّقَى وَالْبِرِّ مَقْبُورُ
أَبَا الْمُغِيرَةِ وَالدُّنْيَا مُفَجِّعَةٌ وَإِنَّ مَنْ غَرَّتِ الدُّنْيَا لَمَغْرُورُ
قَدْ كَانَ عِنْدَكَ بِالْمَعْرُوفِ مَعْرِفَةٌ وَكَانَ عِنْدَكَ لِلنَّكْرَاءِ تَنْكِيرُ
وَكُنْتَ تَغْشَى وَتُعْطِي الْمَالَ مِنْ سَعَةٍ إِنْ كَانَ بَيْتُكَ أَضْحَى وَهْوَ مَهْجُورُ
النَّاسُ بَعْدَكَ قَدْ خَفَّتْ حُلُومُهُمُ كَأَنَّمَا نَفَخَتْ فِيهَا الْأَعَاصِيرُ

ونظير هذا قول مُهَلْهِلٍ يرثى أخاه كُلَيْبًا ، وكان كُلَيْبٌ إذا جلس لم يُرْفَعْ بحضرته صوت ، ولم يَسْتَبَّ بفنائِهِ اثنان :

ذَهَبَ الْخِيَارُ مِنَ الْمَعَاشِرِ كُلِّهِمْ(١) وَاسْتَبَّ بَعْدَكَ يَا كُلَيْبُ الْمَجْلِسُ
وَتَقَاوَلُوا فِى أَمْرِ كُلِّ عَظِيمَةٍ لَوْ كُنْتَ حَاضِرَ أَمْرِهِمْ لَمْ يَنْبِسُوا

قول حارثة : الثُّوَيَّةُ ، فهى بناحية الكوفة ، ومن قال الثُّوَيَّة : فهو تصغير الثَّوِيَّةِ ، وكل ياء اتَّصَلَتْ بها ياء أخرى فوقعت مُعْتَلَّةً طَرَفًا فى التصغير فوَلِيَتْها ياء التصغير(٢) فهى محذوفةٌ ، وذلك قولك فى عَطاء عُطَىٌّ ، وكان الأصل عُطَيِّىٌ(٣) كما تقول فى سحاب سُحَيِّبٌ ، ولكنها تحذف لاعتلالها ، واجتماع ياءين معها ، وتقول فى تصغير أحْوَى أُحَىٌّ فى قول من قال فى أسْوَدَ أُسَيِّدٌ ، وهو الوجه الجيد ، لأن الياء الساكنة إذا كانت بعدها واو متحركة قلبَتْها ياء كقولك أيام والأصل أيْوامٌ ، وكذلك سيد والأصل

---

(١) رواية أبى تمام : أنبئت أن النار بعدك أوقدت .
(٢) الصواب : فوليت ياء التصغير .
(٣) بثلاث ياءات : الأولى ياء التصغير والثانية ياء العوض من الألف الزائدة والثالثة ياء العوض من لام الكلمة فتحذف الثالثة ويجعل الاعراب على الثانية .

سَيْوِدٌ ، ومن قال فى تصغير أسود أُسَيْوِدُ ، فهو جائز وليس كالأول ، قال فى تصغير أَحْوَى أُحَيْوِ يا فتى ، فتثبت الياء لأنه ليس فيها ما يمنعها من اجتماع اليا آت ، ومن قال أُسَيْوِدُ ، فإنما أظهر الواو لأنها كانت فى التكبير متحركةً ، ولا تقول فى عَجوز إلا عُجَيِّزٌ لأنها ساكنة ، وإنما يجوز هذا على بُعْدٍ إذا كانت الواو فى موضع العين من الفعل ، أو ملحقة بالعين نحو واو جَدْوَلٍ ، وإنما استجازوا إظهارها فى التصغير للتشبيه بالجمع لأن ما جاوز الثلاثة فتصغيره على مثال جمعه ، ألا تراهم يقولون فى الجمع أَساود وَجَدَاول ، فهذا على التشبيه بهذا ، فإن كانت الواو فى موضع اللام كانت منقلبة على كل حال ، تقول فى غَزْوةٍ غُزَيَّةٌ ، وفى عُرْوةٍ عُرَيَّةٌ ، فهذا شرح صالح فى هذا الموضع ، وهو مُسْتقصًى فى الكتاب المقتضب .

وقوله : يسفى فوقه المور ، فمعناه أن الريح تَسْفيه ، وجعل الفعل للمُور وهو التراب ، وتقول سَقاكَ الله الغَيْثَ ، ثم يجوز أن تجعل الفعل للغيث ، فتقول : سَقاكَ الغيثُ يا فتى ، وقال عَلْقَمةُ بن عَبَدَةَ :

سَقَاكَ يَمَانٍ ذُو حَبِيٍّ وَعارِضٌ   تَرُوحُ بِهِ جُنْحَ الْعَشِيِّ جَنُوبُ

وقوله : زفت إليه قريش نعش سيدها ، يقال : زَفَفْتُ السَّريرَ ، وزَفَفْتُ العَروسَ ، وحدثنى أبو عثمان المازنى قال حدثنى الزِّيادىّ قال سمعت قوما من العرب يقولون : أَزْفَفْتُ العروس وهى لغة ، وقوله : نَعْشَ سيدها يريد موضعه من النَّسَبِ لأنه نَسَبَهُ إلى أبى سُفْيان[1] ، وكان رئيس قريش قبل

(١) أى أن سيادته إنما كانت من انتسابه لأبى سفيان .

مَبْعَثِ النبي صلى الله عليه وسلم وله يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : كلُّ الصَّيْدِ فى بَطْنِ الفَرا . وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يَفْرُشُ فِرَاشًا فى بيته فى وقت خلافته فلا يَجْلِسُ عليه إلا العَبَّاسُ بن عبد المطَّلِبِ وأبو سفيان بن حَرْبٍ ، ويقول : هذا عَمُّ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وهذا شيخ قريش . وكان حَرْبُ بن أُمَيَّةَ رئيسَ قريش يوم الفِجَار ، فكان آلُ حَرْبٍ إذا ركبوا فى قومهم من بنى أُمَيَّةَ قُدِّمُوا فى المَوَاكِبِ . وأُخْلِيَتْ لهم صُدور المجالس ، إلاَّ رَهْط عثمان رضى الله عنه ، فإن التقديم لهم فى الإسلام بعثمان . وكان أبو سفيان صاحبَ العير يوم بَدْرٍ ، وصاحبَ الجيش يوم أُحُدٍ ، وفى يوم الخَنْدَقِ ، وإليه كانت تَنْظُرُ قريش فى يوم فتح مكة ، وجَعَلَ له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه مَنْ دَخَلَ فى داره فهو آمِنٌ فى حديث مشهور . وقوله : كأنما نَفَخَتْ فيها الأعاصير ، هذا مَثَلٌ ، وإنما يراد خفة الحُلوم . والإعْصارُ فيما ذكر أبو عبيدة: ريح تَهُبُّ بشدة فيما بين السماء والأرض ومن أمثال العرب : إن كُنْتَ رِيحًا فقد لاقيتَ إعصارًا ، يُضْرَبُ للرجل يكون جَلْدًا فيُصادِفُ مَنْ هو أجلَدُ منه . قال الله عزّ وجل : « فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ » .

وقول رسولِ الله صلى الله عليه وسلم : كُلُّ الصَّيْدِ فى بَطْنِ الفَرا ، يعنى الحمارَ الوحشيَّ . وذلك أن أجلَّ شيء يصيدُه الصائدُ الحمارُ الوحشِيُّ ، فإذا ظَفِرَ به ، فكأنه قد ظفر بجملة الصيد ، والعرب تختلف فيه فبعضهم يَهْمِزُهُ فيقول هذا فَرَأٌ كما ترى وهو الأكثر ، وبعضهم لا يهمزه ، ومن أمثالهم :

أَنْكَحْنا الفَرَا فَسَنَرى : أى زَوَّجْنا مَنْ لا خير فيه فسنعلم كيف العاقبةُ ، وجَمْعُهُ فى القولين جميعاً فِراءٌ كما ترى ، ونظيره : جَمَلٌ ، وَجِمَالٌ ، وَجَبَلٌ ، وجِبالٌ . قال الشاعر :

بِضَرْبٍ كَآذَانِ الْفِرَاءِ فُضُولُهُ وَطَعْنٍ كَإِيزَاغِ المَخَاضِ تبُورُهَا

الايزاغُ : دَفْعُ الناقة ببولها ، يقال : أَوْزَغَتْ به إيزاغا ، وأَزْغَلَتْ به إِزْغالاً ، وذلك حين تَلْقَحُ ، فعند ذلك يقال لها : خَلِفَةٌ ، وللجميع المَخاضُ وقد مرّ هذا ، والبَوْرُ: أن تُعْرَضَ على الفحل لِيُعْلَمَ أهى حامل أم حائل ؟ وقال ضابِئُ بن الحارث البُرْجُمِيُّ (من السجن) :

وَمَنْ يَكُ أَمْسَى بِالْمَدِينَةِ رَحْلُهُ فَإِنِّى وَقَيَّارًا بِهَا لَغَرِيبُ
وَمَا عَاجِلَاتُ الطَّيْرِ تُدْنِى مِنَ الْفَتَى نَجَاحًا وَلَا عَنْ رَيْثِهِنَّ يَخِيبُ
وَرُبَّ أُمُورٍ لَا تَضِيرُكَ ضَيْرَةً وَلِلْقَلْبِ مِنْ مَخْشَاتِهِنَّ وَجِيبُ
وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يُوَطِّنُ نَفْسَهُ عَلَى نَائِبَاتِ الدَّهْرِ حِينَ تَنُوبُ

قوله: فإنى وقياراً بها لغريب ، أراد فإنى لغريب بها وقياراً ، ولو رفع لكان جيداً ، تقول إن زيداً منطلقٌ وَعَمْراً وَعَمْرٌو ، فمن قال عمراً فإنما رَدَّهُ على زيد ، ومن قال عمرو فله وجهان من الاعراب : أحدهما جيد ، والآخر جائز ، فأما الجيد فأن تَحْمِلَ عمراً على الموضع ، لأنك إذا قلت إن زيداً منطلق فمعناه زيد منطلق فَرَدَدْتَهُ على الموضع ، ومثل هذا لَسْتُ بقائم ولا قاعداً ، والباء زائدةٌ ، لأن المعنى لستُ قائماً ولا قاعداً ، ويقرأ على وجهين « إِنَّ اللهَ بَرِىءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ » وَرَسُولَهُ والوجه الآخر أن يكون معطوفاً

على المضمر فى الخبر ، فإن قلت إن زيداً منطلق هو وعمرو حَسُنَ العطف لأن المضمر المرفوع إنما يَحْسُنُ العطف عليه إذا أ كَّدْتَهُ ، كما قال الله تعالى: « اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا . وَاسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ » وإنما قَبُحَ العطفُ عليه بغير تأكيد لأنه لا يخلو من أن يكون مُسْتَكِنًّا فى الفعل بغير علامة ، أو فى الاسم الذى يَجْرِى مَجْرَى الفعل . نحو إن زيدا ذهب وإن زَيدا ذاهِبٌ فلا علامة له ، أو تكونَ له علامةٌ يتغير لها الفعل عما كان عليه نحو ضَرَبْتُ ، سَكَّنْتَ الباء التى هى لام الفعل من أجل الضمير لأن الفعل والفاعل لا يَنْفَكُّ أحدُهما عن صاحبه فهما كالشيء الواحد[1] . ولكنَّ المنصوبَ يَجوزُ العطفُ عليه ، ويَحْسُن بلا تأكيد ، لأنه لا يُغَيِّرُ الفعل إذْ كَانَ الفعل قد يقع ولا مفعول فيه ، نحو ضَرَبْتُكَ وزيداً ، فأما قول الله عز وجل : « لَوْ شَاءَاللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا » ، فإنما يَحْسُنُ بغير توكيد لأن (لا) صارت عوضاً والشاعر إذا احتاج أجراه بلا توكيد لاحتمال الشعر مالا يَحْسُنُ فى الكلام ، قال عمر بن أبى رَبيعة :

قُلْتُ إِذْ أَقْبَلَتْ وَزُهْرٌ[2] تَهَادَى ... كَنِعَاجِ المَلاَ تَعَسَّفْنَ رَمْــلاَ

وقال جرير :

وَرَجا الْأُخَيْطِلُ مِنْ سَفَاهَةِ رَأْيِهِ ... مَا لَمْ يَكُنْ وَأَبٌ[3] لَهُ لِيَنالاَ

---

(١) قال الشيخ المرصفى : يريد أن الضمير المتصل المرفوع إنما قبح العطف عليه لأنه كالجزء من الكلمة لا ينفك عنها فلو عطف عليه كان مثل العطف على جزء الكلمة .

(٢) جمع زهراء ، والمذكر أزهر ، والزهراء : المرأة المشرقة البياض .

(٣) عطف «أب» على الضمير المستتر فى (يكن) كما عطفت (زهر) على الضمير المستتر فى (أقبلت).

فهذا كثير . فأما النعت إذا قلتَ إنَّ زيداً يقومُ العاقلَ فأنت مخير إن شئت قلتَ العاقلَ فجعلته نعتاً لزيد ، أو نصبته على المَدْح وهو باضمار أعنى ، وإن شئتَ رفعتَ على أن تُبْدِلَهُ من المضمر فى الفعل ، وإن شئتَ كان على قَطْعٍ وابتداءٍ ، كأنك قلتَ إنَّ زيدا قام ، فقيل مَنْ هو ؟ فقلتَ : العاقلُ ، كما قال الله عزّ وجل : « قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذٰلِكُمُ النَّارُ » أى هو النارُ والآية تُقْرأ على وجهين على ما فسَّرْنا : « قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ » وعَلَّامَ الغيوب .

وقوله : ☆ وَمَا عَاجِلَاتُ الطَّيْرِ تُدْنِى مِنْ الْفَتَى نَجَاحًا ☆ يقول إذا لم تَعْجَلْ له طَيْرٌ سانِحَةٌ فليس ذلك بمُبْعِدٍ خيرا عنه ، ولا إذا أَبْطَأَتْ خابَ ، فعاجلها لا يأتيه بخير ، وآجلها لا يَدْفَعُهُ عنه ، إنما له ما قُدِّرَ له ، والعرب تَزْجُرُ على السَّانِحِ[1] وتَتَبَرَّكُ به ، وتَكْرَهُ البارِحَ وتَتَشاءم به ، والسانِحُ : ما أراكَ مَيَاسِرَهُ فأَمْكَنَ الصائدَ ، والبارحُ : ما أراكَ مَيَامِنَهُ فلم يُمْكِنِ الصائدَ إلا أن يَنْحَرِفَ له ، وقد قال الشاعر :

لَا يَعْلَمُ الْمَرْءُ لَيْلًا مَا يُصَبِّحُهُ　　إِلَّا كَوَاذِبَ مِمَّا يُخْبِرُ الْفَالُ
وَالْفَالُ وَالزَّجْرُ وَالْكُهَّانُ كُلُّهُمُ　　مُضَلَّلُونَ وَدُونَ الْغَيْبِ أَقْفَالُ

وقوله :

وَرُبَّ أُمُورٍ لَا تَضِيرُكَ ضَيْرَةً　　وَلِلْقَلْبِ مِنْ مَخْشَاتِهِنَّ[2] وَجِيبُ[3]

فإن العرب تقول ضارَهُ يَضِيرُهُ ضَيْرَةً ، ولا ضَيْرَ عليه ، وضَرَّهُ يَضُرُّهُ ، ولا

(١) فعل زجر يتعدى بنفسه ، فتعديته بعلى خروج على الأصل .
(٢) المخشاة مصدر خشى .　(٣) الوجيب : خفقان القلب واضطرابه .

ضَرَرَ عليه ، ويقال : أصابه ضُرٌّ ، وأصابه ضَرٌّ بمعنى ، والضَّرُّ مصدر ، والضُّرُّ[1] اسم ، وقد يكون الضُّرُّ من المرض ، والضَّرُّ عامًّا ، وهذا معنى حَسَنٌ[2] ، وقد قال أحد المُحْدَثِينَ ، وهو إسماعيل بن القاسم أبو العَتاهِيَةِ :

وَقَدْ يَهْلِكُ الإنْسَانُ مِنْ بَابِ أَمْنِهِ وَيَنْجُو بِإِذْنِ اللهِ مِنْ حَيْثُ يَحْذَرُ

وقال الله عزّ وجل: «فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا»

وقال رجل لمعاوية : واللهِ لقد بايَعْتُكَ وأنا كارِهٌ ، فقال معاوية : قد جعَلَ اللهُ في الكُرْهِ خيرًا كثيرًا .

وقوله :

وَلاَ خَيْرَ فِيمَنْ لاَ يُوَطِّنُ نَفْسَهُ عَلَى نَائِبَاتِ الدَّهْرِ حِينَ تَنُوبُ

نظيره قولُ كُثَيِّرٍ :

أَقُولُ لَهَا[3] يَا عَزَّ كُلُّ مُصِيبَةٍ إِذَا وُطِّنَتْ يَوْمًا لَهَا النَّفْسُ ذَلَّتِ

وكان عبد الملك بن مَرْوانَ يقول : لو كان قال هذا البيْتَ في صِفَةِ الحَرْبِ لكان أشْعَرَ الناس .

وحكى عن بعض الصالحين أنّ ابنًا له مات فلم يُرَ بِهِ جَزَعٌ ، فقيل له في ذلك ، فقال : هذا أمر كنا نَتَوَقَّعُهُ ، فلما وَقَعَ لم نُنْكِرْهُ .

---

(١) أوهما لغتان ، كما قيل شهد بالفتح وشهد بالضم .

(٢) يريد معنى البيت . (٣) الرواية : فقلت لها .

باب

قال أبو العباس : وجَّهَ علىٌّ بن أبى طالب رضى الله عنه جَرِيرَ بن عبدالله البجَلِيَّ إلى معاوية رحمه الله يأخُذُهُ بالبَيْعةِ له ، فقال له : إنَّ حَوْلى مَنْ تَرَى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار ، ولكنّى اُخْتَرْتُكَ لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكَ : خَيْرُ ذى يَمَنٍ ، أئتِ مُعاوِيةَ فَخُذْهُ بالبَيْعةِ ، فقال جَرِيرٌ : والله يا أمير المؤمنين ما أدَّخِرُكَ من نُصْرتى شيئاً ، وما أطْمَعُ لك فى مُعاوِيةَ ، فقال علىٌّ رضى الله عنه : إنما قَصْدى حُجَّةٌ أُقيمُها عليه ، فلما أتاه جَرِيرٌ دافَعَهُ مُعاويةُ ، فقال له جَرِيرٌ : إنَّ المُنافِقَ لا يُصَلِّى حتى لا يَجِدَ من الصلاة بُدًّا ، ولا أحْسَبُكَ تُبايِعُ حتى لا تَجِدَ من البَيْعةِ بُدًّا ! فقال له معاوية إنها ليست بخَدْعةِ الصَّبِىِّ عن اللَّبَنِ[1] إنه أمْرٌ له ما بعده ، فأبْلِعْنِى ريقى ، فناظَرَ عَمْرًا فطالت المناظرة بينهما وألَحَّ عليه جرير ، فقال له معاوية : ألقاكَ بالفَصْلِ فى أوّل مَجْلِسٍ إن شاء الله تعالى ، ثم كتب لعمرو بمصر طُعمةً[2] ، وكَتَبَ عليه : ولا يَنْقُضُ شَرْطٌ طاعةً[3] ، فقال عمرو يا غلامُ اكْتُبْ : ولا تَنْقُضُ طاعةٌ شَرْطًا[4] ، فلما اجتمع له أمْرُهُ رَفَعَ عَقيرتَهُ[5] يُنْشِدُ لِيُسْمِعَ جَرِيرًا :

---

(١) أى منعه عن اللبن بشىء يتلهى به . (٢) يريد أنه ولاه مصر .
(٣) معنى ذلك أنه إذا أراد معاوية أن يرجع عن إعطائه مصر لم يكن لعمرو أن يرجع عن طاعته
(٤) يريد بذلك منعه من أن يغدر به .
(٥) العقيرة : الصوت ، ويقال ان الأصل فيها أن رجلا عقرت رجله فوضع العقيرة على الصحيحة وبكى عليها بأعلى صوته ، فقيل لكل من رفع صوته رفع عقيرته .

تطَاوَلَ لَيْلِى وَاعْتَرَتْنِى وَساوِسِى ... لِآتٍ أَتَى بالتُّرَّهاتِ(١) الْبَسَابِسِ(٢)

أَتانِى جَرِيرٌ وَالْحَوادِثُ جَمَّةٌ ... بِتِلْكَ الَّتِى فِيهَا اجْتِدَاعُ الْمَعاطِسِ

أُكَايِدُهُ وَالسَّيْفُ بَيْنِى وَبَيْنَهُ ... وَلَسْتُ لِأَثْوَابِ الدَّنِىِّ بِلَابِسِ

إِنِ الشَّأْمُ أَعْطَتْ طَاعَةً يَمَنِيَّةً ... تَوَاصَفَهَا أَشْيَاخُهَا فِى الْمَجَالِسِ

فَإِنْ يَفْعَلُوا أَصْدِمْ عَلِيًّا بِجَبْهَةٍ ... تَفُتُّ عَلَيْهِ كُلَّ رَطْبٍ وَيَابِسِ

(الجَبْهَةُ جماعة الخيل)

وَإِنِّى لَأَرْجُو خَيْرَ مَا نَالَ نَائِلٌ ... وَمَا أَنَا مِنْ مُلْكِ الْعِرَاقِ بِيائِسِ

وكتب إلى علىٍّ رضى الله عنه: بسم الله الرحمن الرحيم من مُعاوية بن صَخْرٍ إلى علىّ بن أبى طالب، أما بعد: فلَعَمْرِى لَوْ بايعَكَ القومُ الذين بايعوكَ وأنت بَرِىءٌ من دم عثمان كنتَ كأبى بَكْرٍ وعمر وعثمان رضى الله عنهم أجمعين، ولكن أغْرَيْتَ بعثمان المهاجرين، وخَذَّلْتَ عنه الأنصارَ، فأطاعكَ الجاهلُ وقَوِىَ بك الضعيفُ، وقد أبَى أهلُ الشأم إلاَّ قِتالَكَ حتى تَدْفَعَ إليهم قَتَلَةَ عثمان، فإن فعلتَ كانت شُورَى بين المسلمين، ولعَمْرِى ما حُجَّتُكَ علَىَّ كَحُجَّتِكَ على طَلْحَةَ والزُّبَيْر. لأنهما بايَعاكَ ولم أُبايِعْكَ، وما حُجَّتُكَ على أهل الشأم كَحُجَّتِكَ على أهل البصرة لأن أهل البصرة أطاعوكَ ولم يُطِعْكَ أهلُ الشأم. وأما شَرَفُكَ فى الإسلام، وقرابَتُكَ من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعك من قريش فلَسْتُ أدْفَعُهُ. ثم كتَبَ إليه فى آخر الكتاب بشعر كَعْبِ بن جُعَيْلٍ، وهو:

---

(١) التُّرَّهات: الأباطيل. (٢) البسابس القفار، وهو يصف الأباطيل بالاتساع.

أَرَى الشَّأْمَ تَكْرَهُ مُلْكَ الْعِرَاقِ ... وَأَهْلَ الْعِرَاقِ لَهُمْ كَارِهِينَا
وَكُلًّا لِصَاحِبِهِ مُبْغِضًا ... يَرَى كُلُّ مَا كَانَ مِنْ ذَاكَ دِينَا
إِذَا مَا رَمَوْنَا رَمَيْنَاهُمُ ... وَدِنَّاهُمُ مِثْلَ ما يُقْرِضُونَا
فَقَالُوا عَلِيٌّ إِمَامٌ لَنَا ... فَقُلْنَا رَضِينَا ابْنَ هِنْدٍ رَضِينَا
وَقَالُوا نَرَى أَنْ تَدِينُوا لَهُ ... فَقُلْنَا أَلَا لَا نَرَى أَنْ نَدِينَا
وَمِنْ دُونِ ذَلِكَ خَرْطُ الْقَتَادِ ... وَضَرْبٌ وَطَعْنٌ يُقِرُّ الْعُيُونَا

وأحسن الروايتين : يَفُضُّ الشؤُونَا ، وفى آخر هذا الشعر ذَمٌّ لعلىّ بن أبى طالب رضى الله عنه أمْسَكْنا عن ذكره .

قوله : ولكنَّك أغْرَيْت بعثمان المهاجرين ، فهو من الإِغْرَاء وهو التحضيض عليه ، يقال أغْرَيْتُهُ به ، وآسَدْتُهُ عليه ، وآسَدْتُ الكلبَ على الصيد أُوسِدُهُ إيساداً ، ومن قال أشْلَيْتُ الكلب فى معنى أغْرَيْتُ فقد أخطأ ، إنما أشْلَيْتُهُ دعوتُهُ إلىّ ، وآسَدْتُه أغْرَيْتُهُ ، وقول ابن جُعَيْلٍ : وأهلَ العراق لهم كارهينا ، محمول على أرى ، ومن قال وأهلُ العراق لهم كارهونا فالرفع من وجهين : أحدهما قطعٌ وابتداء ، ثم عطفَ جملة عَلَى جملة بالواو ، ولم يحمله على أرى ، ولكن كقولك كان زيدٌ منطلقاً وعمرٌو منطلقٌ الساعةَ ، خَبَّرْتَ بخبر بعد خبر ، والوجه الآخر أن تكون الواو وما بعدها حالا ، فيكون معناها إذ ، كما تقول رأيت زيداً قائماً وعمرو منطلق تريد إذْ عَمْرو منطلق ، وهذه الآية تُحْمَلُ على هذا المعنى ، وهو قول الله عزّ وجل : « يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ » ، والمعنى والله أعلم : إذ طائفةٌ فى هذه

الحال ، وكذلك قراءة من قرأ : « وَلَوْ أَنَّ مَا فِى الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ » ، أى والبَحْرُ هذه حاله ، ومن قرأ والبحْرَ فعلى أنَّ . وقوله : ودِنَّاهُمْ مثل ما يقرضونا ، يقول جزيناهم ، وقال المفسرون فى قوله عز وجل : « مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ » . قالُوا يومُ الجَزَاء والحساب ، ومن أمثال العرب : كما تَدينُ تُدانُ ، وأنشد أبو عبيدة (الشعر ليَزِيدَ بن الصَّعِق الكلابىِّ وله خبر[1]) :

وَأَعْلَمْ وَأَيْقِنْ أَنَّ مُلْكَكَ زَائِلٌ ... وَاعْلَمْ بِأَنَّ كَمَا تَدِينُ تُدَانُ

وللدين مواضع منها ما ذكرنا ، ومنها الطاعة ودِينُ الإسلام ، من ذلك يقال فلان فى دِين فلانٍ : أى فى طاعته ، ويقال كانت مكة بلدًا لَقاحًا : أى لم يكونوا فى دين مَلِكٍ ، وقال زُهَيْرٌ :

لَئِنْ حَلَلْتَ بِجَوٍّ فى بَنِى أَسَدٍ ... فى دِينِ عَمْرٍو وحالَتْ بَيْنَنَا فَدَكُ

فهذا يريد فى طاعة عمرو بن هند ، والدينُ العادَةُ ، يقال ما زال هذا دينى ودَأْبى وعادتى ودَيْدَنِى وإجْرِيَّاىَ ، قال المُثقِّبُ العَبْدِىُّ :

تَقُولُ إِذَا دَرَأْتُ لَهَا وَضِينِى ... أَهٰذَا دِينُهُ أَبَدًا وَدِينِى

أَكُلَّ الدَّهْرِ حَلٌّ وَارْتِحَالٌ ... أَمَا تُبْقِى عَلَىَّ وَمَا تَقِينِى

وقال الكُمَيْتُ بن زَيْدٍ :

عَلَى ذَاكَ إِجْرِيَّاىَ[2] وَهْىَ ضَرِيبَتِى ... وَإِنْ أَجْلَبُوا[3] طُرًّا عَلَىَّ وَأَحْلَبُوا[4]

---

(١) المراد أن لهذا البيت قصة طواها المؤلف .

(٢) الإجريا والإجرياء : العادة . (٣) أجلبوا : صاحوا .

(٤) أحلبوا : اجتمعوا وتألبوا ، وهـذا البيت من قصيدة طويلة يجد القارئ نقدها وتحليلها فى كتاب (المدائح النبوية) .

وقوله : فقلنا رضينا ابن هند رضينا ، يعنى معاوية بن أبى سُفْيانَ ، وأُمُّهُ هِنْد بنت عُتْبةَ بن رَبيعة بن عَبْدِ شَمْسِ بن عبد مَناف .

وقوله : أن تَدينوا له ، أى أن تطيعوه وتَدْخلوا فى دينه . أى فى طاعته:

وقوله : ومن دون ذلك خَرْطُ القَتاد ، فهذا مَثَلٌ من أمثال العرب ، والقَتادُ : شُجَيْرَةٌ شاكةٌ غليظةُ أصولِ الشَّوْكِ ، فلذلك يُضْرَبُ خَرْطُهُ مَثَلاً فى الأمر الشديد ، لأنه غاية الجَهْدِ ، ومن قال يَفُضُّ الشؤونا فيَفُضُّ يُفرِّق ، تقول فَضَضْتُ عليه المالَ ، والشؤون واحدها شَأْنٌ ، وهى مَوَاصِلُ قَبائل الرأس ، وذلك أن للرأس أربع قَبائل : أى قِطَعٌ مَشْعوبُ بعضُها إلى بعض ، فموضع شُعَبِها يقال له الشؤون واحدها شَأْنٌ ، وزعم الأصمعى قال يقال إن مَجارى الدموع منها ، فلذلك يقال استهَلَّتْ شُؤونه ، وأنشد قول أوْسِ ابن حَجَرٍ :

لا تَحْزُنِينى بِالْفِرَاقِ فَإِنَّنِى لا تَسْتَهِلُّ مِنَ الْفِرَاقِ شُؤُونِى

وَمَنْ قال يُقِرُّ العيونا ، ففيه قولان أحدهما للأصمعى وكان يقول لا يجوز غيره ، يقال قَرَّتْ عينُه وأقَرَّها اللهُ ، وقال إنما هو بَرَدَتْ مِنَ القُرِّ ، وهو خلاف قولهم سَخِنَتْ عينه وأسخنها الله ، وغيره يقول قَرَّتْ هَدَأَتْ ، وأقَرَّها الله أهْدَأها اللهُ ، وهذا قول حسن جميل ، والأول أغرب وأطْرَفُ.

فكتب إليه[1] أمير المؤمنين علىُّ بن أبى طالب رضى الله عنه جوابَ هذه الرسالة : بسم الله الرحمن الرحيم من على بن أبى طالب إلى مُعاوية

(١) رجع المؤلف إلى الحديث بعد أن انتهى من شرح خطاب معاوية .

ابن صَخْرٍ ، أما بعد : فإنه أتانى منك كتابُ امرئٍ ليس له بَصَرٌ يهديه ، ولا قائدٌ يُرْشِدُهُ ، دعاه الهوى فأجابه ، وقادَهُ فاتَّبعه[1] زَعَمْتَ أنك إنما أفْسَدَ عليك بَيْعتى خطيئتى فى عثمان ، ولَعَمْرِى ما كنتُ إلا رجلا من المهاجرين أوْرَدْتُ كما أوردوا ، وأصْدَرْتُ كما أصْدروا ، وما كان الله ليَجْمَعَهُمْ على ضلال ، ولا لِيَضْرِبَهُمْ بالعَمى ، وبعد فما أنت وعثمانُ[2] إنما أنْتَ رجل من بنى أُمَيَّةَ ، وبنو عثمان أوْلَى بمطالبة دمه ، فإن زعمتَ أنك أقوى على ذلك ، فادْخُلْ فيما دَخَلَ فيه المسلمون ، ثم حاكِمِ القومَ إلىَّ . وأما تمييزك بينك وبين طَلْحَة والزُّبَيْرِ وأهل الشأم وأهل البَصْرةِ ، فلعمرى ما الأمْرُ فيما هناكَ إلا سَواء ، لأنها بيْعةٌ شاملة ، لا يُسْتَثْنى فيها الخيارُ ، ولا يُسْتأنفُ فيها النَّظَرُ ، وأما شرفى فى الإسلام ، وقرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وموضعى من قُرَيْشٍ ، فلعمرى لو استَطَعْتَ دَفْعَهُ لدفعتَهُ .

ثم دعا النَّجاشِيَّ[3] أحد بنى الحارث بن كعب فقال له : إن ابن جُعَيْلٍ شاعرُ أهل الشأم ، وأنت شاعِرُ أهل العراق ، فأجِبِ الرجلَ ، فقال : يا أمير المؤمنين أسْمِعْنِى قوله ، قال : إذًا أُسْمِعَكَ شِعْرَ شاعِرٍ ، فقال النجاشى يجيبه :

دَعًا يَا مُعَاوِىَ مَا لَنْ يَكُونَا ... فَقَدْ حَقَّقَ اللهُ مَا تَحْذَرُونَا
أَتَاكُمْ عَلِيٌّ بِأَهْلِ الْعِرَاقِ ... وَأَهْلِ الْحِجَازِ فَمَا تَصْنَعُونَا

وبعد هذا ما نُمْسِك عنه .

---

(١) الرواية : وقاده الضلال فاتبعه . (٢) سيتكلم المؤلف عن وجه الرفع فى عثمان .
(٣) اسمه : قيس بن عمرو .

قوله : ليس له بَصَرٌ يهديه ، فمعناه يقوده ، والهادى : هو الذى يتقدمُ فَيَدُلُّ ، والحادى : الذى يتأخر فيسوق ، والعُنُقُ يُسَمَّى الهادِىَ لتقدمه ، قال الأعشى :

إِذَا كَانَ هَادِى الْفَتَى فِى الْبِلاَ ... دِ صَدْرَ الْقَنَاةِ أَطَاعَ الْأَمِيرَا

يصف أنه قد عَمِى فإنما تَهْدِيه عصًا ، ألا تراه يقول :

وَهَابَ الْعِثَارَ إِذَا مَا مَشَى ... وَخَالَ السُّهُولَةَ وَعْثًا وَعُوراً

وقال القُطامِى :

إِنِّى وَإِنْ كَانَ قَوْمِى لَيْسَ بَيْنَهُمُ ... وَبَيْنَ قَوْمِكَ إِلاَّ ضَرْبَةُ الْهَادِى

وقال أيضاً :

قَرَّبْنَ يَقْصُرْنَ مِنْ بُزْلٍ مُخَيَّسَةٍ ... وَمِنْ عِرَابٍ بَعِيدَاتٍ مِنَ الْحَادِى

وقوله : ولا قائدٌ يُرْشِدُهُ ، قد أبان به الأولَ ، وقوله : دعاه الهَوى ، فالهوى من هَوِيتُ مقصور ، وتقديره فَعَلٌ ، فانقلبت الياء ألفاً ، فلذلك كان مقصورًا ، وإنما كان كذلك لأنك تقول هَوِىَ يَهْوَى ، كما تقول فَرِقَ يَفْرَقُ وهُو هَوٍ ، كما تقول هُوَ فَرِقٌ كما ترى ، وكان المصدر على فَعَلٍ بمنزلة الفَرَقِ والحَذَرِ والبَطَرِ ، لأن الوزن واحد فى الفعل واسم الفاعل ، فأما الهَواء من الجَوِّ فممدود ، يَدُلُّكَ على ذلك جمعه إذا قلت أَهْوِيَةٌ ، لأن أَفْعِلَةً إنما تكون جمع : فَعالٍ وفِعالٍ وفَعولٍ وفَعيلٍ ، كما تقول قَذَالٌ وَأَقْذِلَةٌ وحمار وأَحْمِرَةٌ فهواء كذلك ، والمقصور جمعه أهْواء فاعلم ، لأنه على فَعَلٍ وجمع فَعَلٍ أفعالٌ ، كما تقول : جَمَل وأجمال وقَتَب وأقْتاب ، قال

الله عز وجل : « وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ » ، وقوله هذا هَوَاءٌ يا فتى فى صفة الرجل إنما هو ذَمٌّ ، يقول لا قَلْبَ له ، قال الله عز وجل : « وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ » أى خالية ، وقال زُهَيْرٌ :

كَأَنَّ الرَّحْلَ مِنْهَا فَوْقَ صَعْلٍ ... مِنَ الظِّلْمَانِ جُؤْجُؤُهُ هَوَاءُ

وهذا من هَوَاءِ الجَوِّ . قال الهُذَلِيُّ :

هَوَاءٌ مِثْلُ بَعْلِكِ مُسْتَمِيتٌ ... عَلَى مَا فِى وِعَائِكِ كَالْخَيالِ

وكل واو مكسورة وقعت أوّلا فهمزها جائز يُنْشَدُ على ما فى إعائِكَ ، ويقال وِسادَةٌ وإِسادَةٌ ، ووِشاحٌ وإِشاحٌ .

وأما قوله : فما أنتَ وعثمانُ ، فالرفع فيه الوجه لأنه عَطَفَ اُسما ظاهرا على اسم مضمر منفصل وأجراه مُجْرَاهُ وليس ههنا فِعْلٌ فَيُحْمَلَ على المفعول ، فكأنه قال : فما أنت وما عثمانُ ، هذا تقديره فى العربية ، ومعناه لَسْتَ منه فى شيء ، قد ذكر سيبويه رحمه اللّٰه النصب وجوّزه جوازاً حسناً وَجَعَلَهُ مفعولا معه وأضمر كان من أجل الِاُستفهام ، فتقديره عنده ما كنتَ وفلاناً ، وهذا الشعر كما أَصِفُ لكَ يُنْشَدُ :

وَأَنْتَ امْرُؤٌ من أهل نَجْدٍ وأهْلُنا ... تَهامٍ وما النَّجْدِيُّ وَالْمُتَغَوِّرُ

وكذلك قوله (هو زِيادٌ الأَعْجَمُ[1]) .

تُكَلِّفُنِي سَوِيقَ الْكَرْمِ جَرْمٌ ... وَمَا جَرْمٌ وما ذاكَ السَّوِيقُ[2]

(١) هو زياد بن جابر بن عمرو ، مولى قيس ، وكان ينزل باصطخر فغلبت العجمة على لسانه فلقب بالأعجم . وهو شاعر أموى .

(٢) سويق الكرم : هو الخمر ، وهو يستكثر شربه على قبيلة جرم .

فإن كان الأول مضمراً متصلا كان النصبُ لِئَلاَّ يُحْمَلَ ظاهر على مضمر ، تقول مالَكَ وزيداً ، وذلك أنه أَضْمَرَ الفِعْلَ ، فكأنه قال فى التقدير ومُلابَسَتَكَ زيداً ، وفى النحو تقديره مع زيد ، وإنما صَلَحَ الإضمار لأن المعنى عليه إذا قلتَ مالَكَ وزيداً ، فإنما تنهاه عن ملابسته ، إذ لم يجز وزيدٍ[1] وأضْمَرْتَ لأن حروف الاستفهام للأفعال ، فلو كان الفعل ظاهراً لكان على غيرِ إضمار ، نحو قولك ما زِلْتُ وعَبْدَ اللّٰه حتى فَعَلَ ، لأنه ليس يريد ما زِلْتُ وما زال عبدُ اللّٰه ، ولكنه أراد مازلتُ بعبد اللّٰه ، فكان المفعول مخفوضا بالباء ، فلما زال ما يَخْفِضُهُ وَصَلَ الفعلُ إليه فنصبه ، كما قال تعالى « واختار موسى قَوْمَهُ سبعين رجلا » فالواو فى معنى مع ، وليست بخافضة ، فكان ما بعدها على الموضع ، فعلى هذا يُنْشَدُ هذا الشعرُ (هو لِمِسْكينٍ الدارِمِيِّ[2]) .

فَمَا لَكَ والتَلَدُّدَ[3] حَوْلَ نَجْدٍ وقد غَصَّتْ[4] تِهامةُ بالرجال

ولو قلتَ ما شأنُكَ وزيداً ، لاختير النصب لأن زيداً لا يلتبس بالشأن ، لأن المعطوف على الشيء أبداً فى مِثْلِ حاله ، ولو قلت ما شأنُكَ وشأنُ زيد لرفعتَ ، لأن الشأن يعطف على الشأن ، وهذه الآيةُ تُفَسَّرُ على وجهين من الإعراب : أحدهما هذا ، وهو الأجود فيها ، وهو قوله عز وجل « فأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ » فالمعنى واللّٰه أعلم مَعَ شركائكم ، لأنك تقول

---

(١) لأن عطفه على المضمر المجرور بدون اعادة الجارّ قبيح .

(٢) هو ربيعة بن عامر بن أنيف ــ بالتصغير ــ شاعر أموى ، ومسكين لقب غلب عليه .

(٣) التلدد : هو التلفت فى حيرة . (٤) ضاقت .

جَمَعْتُ قومى ، وَأَجْمَعْتُ أمرى ، ويجوز أن يكون لَمَّا أَدْخَلَ الشركاء مع الأمر حَمَله على مِثْلِ لفظه لأن المعنى يَرْجِعُ إلى شىء واحد ، فيكون كقوله (هو عبد الله بن الزِّبَعْرَى) :

يَا لَيْتَ زَوْجَكِ قَدْ غَدَا مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمْحًا[1]

وقال آخر :

☆ شَرَّابُ أَلْبَانٍ وَتَمْرٍ وَأَقِطْ ☆

وهذا بَيِّنٌ .



ويروى أن عبد الله بن يَزِيدَ بن مُعاوية أتى أخاه خالداً ، فقال : يا أخى لقد هَمَمْتُ اليومَ أن أَفْتِكَ بالوليد بن عبد المَلِكِ ، فقال له خالد : بئس والله ما هَمَمْتَ به فى ابن أمير المؤمنين ، ووَلِيِّ عَهْدِ المسلمين ، فقال : إن خيلى مَرَّتْ به فَعَبِثَ بها وَأَصْغَرَنى ، فقال له خالد : أنا أكفيك ، فدخل خالد على عبد الملك والْوَلِيدُ عنده ، فقال : ياأمير المؤمنين ، الْوَلِيدُ ابن أمير المؤمنين ، ووَلِيُّ عَهْدِ المسلمين ، مَرَّتْ به خيل ابن عمه عبد الله بن يزيد فَعَبِثَ بها وأصغره ، وعبدُ المَلِكِ مُطرِقٌ ، فرفع رأسه ، فقال : « إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ » ، فقال خالد : « وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا[2] مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا[3] فِيهَا

(١) أى ومعتقلا رمحا .

(٢) أى أمرناهم بالطاعة وفعل الخير . (٣) أى خالفوا أمر الله وخرجوا عن طاعته .

فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا » ، فقال عبد الملك : أفى عبد الله تُكَلِّمنى ؟ والله لقد دَخَلَ عَلَىَّ فما أقام لِسانَهُ لَحْنًا ! فقال له خالد : أفعلى الوليد تُعَوِّلُ ؟ فقال عبد الملك : إن كان الْوَلِيدُ يَلْحَنُ فإن أخاه سُلَيْمَانُ ، فقال له خالد : وإن كان عبد الله يلحن فإن أخاه خالد ، فقال له الوليد : اُسْكُتْ يا خالد ، فوالله ما تُعَدُّ فى العِير ولا فى النَّفِيرِ ، فقال خالد : اُسْمع يا أمير المؤمنين ، ثم أَقْبَلَ عليه وقال : وَيْحَكَ فَمَنِ العِيرُ والنَّفِيرُ غَيْرِى ؟ جَدِّى أبو سُفْيَان صاحبُ العِير ، وجَدِّى عُتْبَةُ بن رَبِيعةَ صاحبُ النَّفِيرِ ، ولكن لو قلتَ : غُنَيْمَاتٌ ، وحُبَيْلَاتٌ ، والطائفُ ، ورَحِمَ اللهُ عثمان لقلنا صدقتَ !

أما قوله : فى العِير فهى عِيرُ قُرَيْشٍ الَّتِى أَقْبَلَ بها أبو سفيان من الشأم فَنَهَدَ[1] إِلَيْهَا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وَنَدَبَ إليها المسلمين ، وقال : لَعَلَّ اللهَ يُنَفِّلُكُمُوها ؛ فكانت وَقْعَةُ بَدْرٍ ، وساحَلَ[2] أبو سُفيانَ بالعِيرِ ، فكانت الغنيمةُ ببدر ، كما قال الله عزَّ وجل : « وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ » أى غَيْرَ الحَرْبِ ، فلما ظَفِرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بأهل بدر ، قال المسلمون: انْهَدْ بِنا يارسول الله إلى العير، فقال العباس رحمه الله : إنما وعَدَكُمُ اللهُ إِحْدَى الطائفتين .

وأما النفير فَمَنْ نَفَرَ من قريشٍ لِيَدْفَعَ عن العير فجاءوا فكانت وقعةُ

---

(١) نهد : نهض . (٢) ساحل : أتى بالعير ساحل البحر .

بَدْرٍ، وكان شيخُ القوم عُتْبَةَ بنَ رَبيعة بن عبد شَمْسٍ، وهو جَدُّ خالد بن قبل جَدَّتِهِ هِنْدٍ أُمِّ معاوية بنت عُتْبةَ، ومن أمثال العرب :

لَسْتَ فى العِيرِ يَوْمَ يَحْدُونَ بالعِيرِ ولا فى النَّفِيرِ يَوْمَ النَّفِيرِ

ثم اتَّسَعَ هذا المَثَلُ حتى صار يقال لِمَنْ لا يَصْلُحُ لخير ولا لشر ولا يُحْفَلُ به : لا فى العير، ولا فى النفير .

وقوله : غنيمات، وحبيلات يعنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أَطْرَدَ الحَكَمَ بن أبى العاصى بن أُمَيَّةَ (١) ، وهو جَدُّ عبد الملك ابن مَرْوَانَ لَجَأَ إلى الطائف ، فكان يَرْعَى غُنَيْمَاتٍ ويأوى إلى حُبَيْلَةٍ ، وهى الكَرْمة .

وقوله : رحم الله عثمان : أى لِرَدِّهِ إيَّاهُ ، وقولنا أطرده : أى جعله طَريداً ، وطَرَدَهُ : نَحَّاهُ ، كما تقول حَمِدْتُهُ : أى شكرته ، وَأَحْمَدْتُهُ : أى صادفته محموداً ، وكان عثمان رحمه الله استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رَدِّهِ متى أَفْضَى الأمرُ إليه ، رَوَى ذلك الفقهاء .

(١) يروى أنه كان يستخفى ويتسمع أسرار رسول الله إلى أصحابه فيفشيها إلى كبار المشركين ورؤساء المنافقين .

باب

قال أبو العباس : قال رجلٌ من بنى أسَد بن خُزَيْمَةَ يمدح يحيى بن حيان أخا النَّخَعِ (١) بن عمرو بن عُلَةَ بن جَلْدِ بن مَذْحِجٍ ، وهو مالكٌ :

أَلاَ جَعَلَ اللهُ اليمانين كُلَّهُمْ ... فِدًى لِفَتَى الْفِتْيَانِ يَحْيَى بن حَيَّان

وَلَوْلاَ عُرَيْقٌ فِيَّ مِنْ عَصَبِيَّةٍ ... لَقُلْتُ وألفاً من مَعَدِّ بن عَدْنان

ولكنَّ نَفْسِي لم تَطِبْ بعشيرتى ... وطابَتْ له نفسى بأبناءِ قَحْطان

وهذا من التَّعَصُّبِ المُفْرِطِ . وحدثنى شيخ من الْأَزْدِ ثقةٌ عن رجل منهم أنه كان يطوف بالبيت ، وهو يدعو لأبيه ، فقيل له : ألا تدعو لأمك ؟ فقال : إنها تَميميَّةٌ .

وسُمِعَ رجلٌ يطوف بالبيت ، وهو يدعو لِأُمِّهِ ، ولا يذكر أباه فمُوتِبَ ، فقال : هذه ضَعيفةٌ ، وأبى رجل يحتال لنفسه .

وحدثنى المازنى عمن حدثه قال : رأيت رجلا يطوف بالبيت ، وَأُمُّهُ على عُنُقه ، وهو يقول :

أَحْمِلُ أُمِّى وهِىَ الْحَمَّالَهْ ... تُرْضِعُنى الدِّرَّةَ والعُلالَهْ

* ولا يُجازَى وَالِدٌ فَعالَهْ *

قوله : الدرة ، فهو اسم ما يَدُرُّ من ثَدْيَيْها ، ابتداءً كان ذلك ، أو غير ذلك ،

(١) لقب تلقب به يوم انتخع عن قومه وبعد عن أرضهم .

والعُلالَةُ لا تكون إلا بَعْدُ ، يقال عَلَّهُ يَعُلُّهُ وَيَعِلُّه عَلاًّ ، والاسم العَلالَةُ .
وكلُّ شيء كان على فَعَلْتُ من المدغم ، فمضارعه إذا كان متعدّيا إلى مفعول يكون على يَفْعُلُ ، نَحْوَ رَدَّهُ يَرُدُّه ، وشَجَّهُ يَشُجُّهُ ، وفَرَّهُ يَفُرُّهُ ، فإذا قلت : فَرَّ يَفِرُّ ، فإنما ذلك لأنه غير مُتعدٍّ إلى مفعول ، ولكن تقول : فَرَرْتُ الدابةَ أفُرُّهُ ، وجاء فَعَلَ يَفْعِلُ من المتعدى فى ثلاثة أحرف[1] يقال : عَلَّهُ يَعُلُّه وَيَعِلُّهُ ، وَهَرَّهُ يَهُرُّه وَيَهِرُّهُ : إذا كرهه ، ويقال : أَحَبَّهُ يُحِبُّهُ . وجاء حَبَّهُ يَحِبُّهُ ، ولا يكون فيه يَفْعُلُ ، قال الشاعر :

لَعَمْرُكَ إنَّنِي وطِلابَ مِصْرٍ ... لَكَالْمُزْدادِ مِمَّا حَبَّ بُعْدَا

وقال آخر :

وأُقْسِمُ لولا تَمْرُهُ ما حَبَبْتُهُ ... وكَانَ عِياضٌ منه أَدْنَى ومُشْرِقُ

وقرأ أبو رجاء العُطَارِدِي[2] « فَاتَّبِعُونِي يَحِبَّكُمُ اللهُ » فَفَعَلَ فى هذا شيئين أحدهما أنه جاء به من حَبَبْتُ ، والآخر أنه أَدْغَمَ فى موضع الجزم ، وهو مذهب تَمِيمٍ ، وقَيْسٍ ، وَأَسَدٍ . وَجَمَاعَةٌ من العرب يقولون : رُدُّ يافتى ، يدْغِمونَ ، ويُحَرِّكونَ الدال الثانية لالتقاء الساكنين فيُتْبِعُونَ الضَّمَّةَ الضمةَ ، ومنهم من يفتح لالتقاء الساكنين ، فيقول : رُدَّ ، يافتى ، لأن الفتح أخف الحركات ، ومنهم من يقول رُدِّ يافتى فَيَكْسِرُ لأن حق التقاء الساكنين الكسرُ ، فإذا كان الفعل مكسوراً ففيه وجهان ، تقول : فِرَّ

---

(١) قال الشيخ المرصفى : يزاد عليه : بث الخبر يبثه ، وثه يثه ، ونمّ الحديث ينمه ، وبت الحبل يبته ، وشده يشده ، وشج رأسه يشجه .

(٢) اسمه عمران بن عبد الله أو ابن ملحان — بكسر فسكون — .

يافتى للاتباع وللأصل فى التقاء الساكنين ، وتَفْتَحُ لأن الفتح أخف الحركَات ، وإذا كَان مفتوحا فالفتح للاتباع ، ولأنه أخفُّ الحركَاتِ ، والكسرُ على أصل التقاء الساكنين ، نحو عَضَّ يافتى وعَضِّ يافتى ، فإذا لَقِيَتْهُ ألف ولام فالأجود الكسر من أجل ما بعده ، وهى لام المعرفة ، نحو .

فَغُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ من نُمَيْرٍ (فلا كَعْباً بَلَغْتَ ولا كِلابا)

ومنهم مَنْ يُجْرِيه مُجْرى الأوّل فتقع لام المعرفة بعد انقضاء الحركة فى الأوّل فيقول (هو جرير) :

ذُمَّ المَنازِلَ بعد مَنْزِلَةِ اللِّوى وَالْعَيْشَ بَعْدَ أولئك الأيامِ

ومن كان من شأنه أن يَتْبَعَ أو يَكْسِرَ فعلى ذلك ، ومما جاء فى القرآن على لغة من يكسر قولُهُ عز وجل « وَمَنْ يُشَاقِّ اللّهَ فَإِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ » وأما أهل الحجاز فيُجْرونه على القياس الأصلى ، فيقولون : أُرْدُدْ واغْضُضْ ، ويقولون : أفرِرْ من زيد واعْضَضْ ، لما سكن الثانى ظهر التضعيف لأنه لا يلتقى ساكنان ، وكل ذلك من قولهم وقول التميميين قياس مُطَّرِدٌ بَيِّنٌ ، وقد شرحناه فى الكتاب المُقْتَضَبِ على حقيقة الشرح .



وقال الآخر :

إذا ضَيَّقْتَ أَمْرًا ضاقَ جدًّا وَإنْ هَوَّنْتَ مَاقد عَزَّهانا
فَلاَ تَهْلِكْ لِشَىْءٍ فاتَ يَأْسَا فَكَمْ أَمْرٍ تَصَعَّبَ ثم لانا
سأصْبِرُ من رَفيقٍ إنْ جَفانى على كُلِّ الأَذَى إلا الهَوانا

فإنَّ المرءَ يَجْزَعُ فى خَلاَءٍ   وإنْ حَضَرَ الجماعةَ أنْ يُهانا

وقال آخر أحْسِبُهُ من لُصوص بنى سَعْد (قال أبو الحسن هو عُبَيْدُ بن أيُّوبَ العَنْبَرِيُّ[1] ، وأنشد هذا الشعر ثعلب) :

فإنِّى وتَرْكِى الإنْسَ من بعد حُبِّهِمْ   وَصَبْرِى عَمَّنْ كُنْتُ ما إنْ أُزايِلُه

لَكالصَّقْرِ جَلَّى بعد ما صادَ قِنْيةً   قديرًا ومَشْويًّا عَبيطًا خَرادِلُه

أهابوا به فازدادَ بُعْدًا وصَدَّهُ   عن القُرْبِ منهم ضَوْءُ بَرْقٍ ووابِلُه

ألَمْ تَرَنِى صاحَبْتُ صَفْراءَ نَبْعَةً   لها رَبَذِىٌّ لَمْ تُفَلَّلْ مَعابِلُه

وطال احْتِضانى السيفَ حتى كأنما   يُلاطُ بكَشْحِي جَفْنُهُ وَحَمائِلُه

أخو فَلَواتٍ صاحَبَ الجِنَّ وانتَحى   عن الإنْسِ حتى قد تَقَضَّتْ وسائِلُه

له نَسَبُ الإنْسِيِّ يُعْرَفُ نَجْرُهُ   وللجِنِّ منه شَكْلُهُ وشَمائِلُه

قوله : وصَبْرِى عَمَّنْ كُنْتُ مَا إنْ أزايله ، إن زائدة ، وهى تُزاد مُغيِّرةً للإعراب ، وتزاد توكيداً ، وهذا موضع ذلك ، فالموضع الذى تُغَيِّرُ فيه الإعراب هو وقوعها بعد ما الحجازية ، تقول ما زيدٌ أخاك ، وما هذا بَشَرًا ، فإذا أدْخَلْتَ إنْ هذه بطل النصب بدخولها ، فقلت : ما إنْ زيدٌ منطلق ، قال الشاعر (هو فَرْوةُ بن مُسَيْكٍ المُرادِىُّ) :

وما إنْ طِبُّنَا جُبْنٌ ولكن   مَنايانا ودَوْلَةُ آخَرينا

فزعم سيبويه أنها مَنَعَتْ (ما) العَمَلَ كما منعت ما إنَّ الثقيلة أن تنصب ، تقول إن زيداً منطلق ، فإذا أدخلتَ (ما) صارت من حروف الابتداء ،

---

(١) نسبة إلى العنبر بن عمرو بن تميم .

ووقع بعدها المبتدأ وخبره والأفعال ، نحو إنما زيد أخوك « وإنما يَخْشَى اللّهَ مِنْ عبادِهِ العُلَماءُ » ولولا (ما) لم يقع الفعل بعد إنَّ لأن إنَّ بمنزلة الفعل ، ولا يلي فِعلٌ فِعلاً لأنه لا يَعملُ فيه ، فأما كان يقوم زيدٌ ، وكادَ تَزِيغُ قُلوبُ فَرِيقٍ منهم ، ففي كان وكاد فاعلان مكْنيَّان(١) .

و(ما) تُزاد على ضربين، فأحدهما أن يكون دخولها في الكلام كإلغائها، نحو « فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللّهِ لِنْتَ لَهُم » أي فبرحمة، وكذلك : « مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا ». وكذلك : « مَثَلاً مَا بَعُوضَةً » . وتَدْخُلُ لتغيير اللفظ ، فتُوجِبُ في الشيء مالولا هي لم يقع ، نحو رُبَّمَا يَنْطَلِقُ زيد وَ « رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا » ولولا ما لم تقعْ رُبَّ على الأفعال لأنها من عوامل الأسماء ، وكذلك جِئْتُ بعد ما قام زيد ، كما قال المَرَّارُ (هو المَرَّار(٢) الفَقْعَسِي) :

أَعَلاَقَةً(٣) امَّ الْوُلَيِّدِ بَعْدَ مَا أَفْنَانُ رَأْسِكَ كالثغَام المُخْلِسِ

فلولا (ما) لم يقع بعدها إلا اسم واحد ، وكان مخفوضا باضافة بعد إليه ، تقول جئتك بَعْدَ زيدٍ .

وقوله : كالصَّقرِ جَلَّى ، تأويل التجَلِّي أن يكون يُحِسُّ شَيْئًا فيَتَشَوَّفُ إليه ، فهذا معنى جَلَّى ، قال العجاج :

☆ تَجَلِّيَ البازِي إذا البازِي كَسَرْ ☆

أي نَظَرَ ، ويقال تَجَلَّى فلانٌ فلانةَ تَجَلِّياً ، واجتلاها اجْتلاءً ، أي نظرَ إليها وتأملها ، والأصل واحد .

---

(١) يعبر عنهما بضمير الشأن . (٢) على وزن شداد ، واسمه سعيد بن حبيب .
(٣) الهمزة للانكار، والعلاقه بالفتح: الحب .

وقوله: قَدِيرًا ، هو ما يُطْبَخ فى القِدْرِ ، يقال قَدِير ومَقْدور كقولك : قَتيلٌ ومَقْتولٌ ، وقوله عبيطًا خَرَادِلهُ ، فالعَبيط الطَرِىُّ[1] يقال لحم عبيط إذا كان طَرِيًّا ، وكذلك دَمٌ عَبيطٌ ، ويقال اعْتَبَطَ فلانٌ بكْرَتَهُ إذا نَحرَها شابّةً من غير عِلَّةٍ ، وكذلك اعتُبِطَ فلان إذا مات شابا ، قال أُمَيَّةُ (بن أبى الصَّلْتِ : الصحيح أنه لرجل من الخوارج عن الأصمعى) :

مَنْ لم يَمُتْ عَبْطَةً يَمُتْ هَرَمًا   لِلْمَوْتِ كَأْسٌ فالمَرْءُ ذائِقُها

وحدثنى الزِّيادى إبراهيم بن سُفْيان بن سليمان بن أبى بكر بن عبد الرحمن بن زِيادٍ ، قال تَحَدَّثَ رجل من الأَعْرابِ قال نزلت برجل من طَيِّءٍ ، فَنَحَرَ لى ناقةً فأَكلتُ منها ، فلما كان الغد نحر أخرى ، فقلتُ : إنَّ عندكَ من اللحم ما يُغْنِى وَيَكْفِى ، فقال : إنى واللهِ لا أُطْعِمُ ضيفى إلا لحما عَبيطاً ، قال وَفَعَلَ ذلك فى اليوم الثالث ، وفى كل ذلك آكل شيئاً ، ويأْكل الطائىُّ أَكْلَ جماعةٍ ، ثم نُؤْتَى باللبن فَأَشْرَبُ شيئاً ، وَيَشْرَبُ عامَّةَ الوَطْبِ[2] ، فلما كان فى اليوم الثالث ارْتَقَبْتُ غَفْلَتَهُ فاضْطَجَعَ ، فلما امتلأ نوما اسْتَقْتُ قَطيعاً من إِبلِهِ فَأَقْبَلْتُهُ الفَجَّ[3] فانتبه ، وَاخْتَصَرَ علىَّ الطريقَ حتى وقف لى فى مَضيقٍ منه ، فَأَلْقَمَ وَتَرَهُ فُوقَ سَهْمِهِ ، ثم نادى بى : لِتَطِبْ نَفْسُكَ عنها ! قلت أرنى آيةً ، فقال : انظر إلى ذلك الضَّبِّ ، فإنى وَاضِعٌ سَهْمِى فى مَغْرِزِ ذَنَبِهِ ، فرماه فَأَنْدَرَ ذَنَبَهُ[4] ، فقلتُ:

---

(١) غير النضيج .
(٢) الوطب : سقاء اللبن يتخذ من الجلد .
(٣) الفج : طريق واسع بين جبلين ، أو هو كل طريق بعد ، والجمع الفجاج.
(٤) أندر ذنبه : أسقطه .

زِدْنى، فقال: انظر إلى أعلى فقَارِهِ، فرماه فَأَثْبَتَ سهمه فى الموضع، ثم قال لى الثالثةُ واللهُ فى كَبِدِكَ! قال فقلت: شَأْنَكَ بِإِبِلكَ! فقال: كَلاَّ حتى تَسوقَهَا إلى حَيْثُ كَانَتْ، قال: فلما انتهيت بها قال: فَكَّرْتُ فيكَ، فلم أجد لى عندكَ تِرَةً تُطالبنى بها، وما أَحْسِبُ الذى حملك على أخذ إبلى إلا الحاجة، قال: قلتُ هو واللهِ ذاكَ، قال فاعْمِدْ إلى عشرين من خِيارها فَخُذْها، فقلت إذًا واللهِ لا أفعل حتى تَسْمعَ مَدْحَكَ، واللهِ ما رأيتُ رجلا أَكْرَمَ ضِيافةً، ولا أَهْدَى لسبيلٍ، ولا أَرْمَى كَفًّا، وَلاَ أَوْسَعَ صَدْرًا، ولا أَرْغَبَ[1] جوْفًا، ولا أَكْرَمَ عَفْوًا منك. قال: فاستحيا فَصَرَفَ وجهه عنى، ثم قال: انْصَرِف بالقَطِيع مُبارَكًا لك فيه.

وقوله: خراديله[2] يعنى قِطَعَهُ، يقال ضَربه ضربا خَرْدَلَهُ، وتأويله قَطَّعَهُ كما قال:

* وَالْضَرْبُ يَمْضِى بيننا خَرَادِلاَ *

وقوله: أهابوا به، يقول، دَعَوْهُ يقال: أَيَّهَ بِهِ، وَأَهَابَ بِهِ: أى ناداه، قال القُرَشِىُّ:

أَهَابَ بِأَحْزَانِ الفُؤَادِ مُهِيبُ   وَمَاتَتْ نُفُوسٌ للهَوَى وقُلُوبُ

وقوله: ضَوْءِ برْقٍ ووابله، أراد صَدَّهُ عنهم ضَوْءِ برقٍ ووابِلُهُ، فأضاف الوابل من المطر إلى البرق، وإنما الإضافة إلى الشىء على جهة التضمين،

---

(١) من الرغب بالضم، وهو سعة البطن.

(٢) الأصل: خراديله، حذفت الياء للتخفيف، والواحدة خردولة على وزن عصفورة، وهى العضو الوافر من اللحم، وخردل اللحم: قطعه قطعا صغيرة.

ولا يضاف الشيء إلى الشيء إلا وهو غيره أو بعضه ، فالذى هو غيره غلامُ زيدٍ ، ودارُ عمرٍو ، والذى هو بعضه ثَوْبُ خزٍّ ، وخاتَمُ حَديدٍ ، وإنما أضاف الوابل إلى البرق ، وليس هُوَ لَهُ كما قلت : دار زيد على جهة المجاورة ، وأنهما راجعان إلى السحابة . وقد يضاف ما كَانَ كذا على السَّعة ، كما قال الشاعر :

حتى أَنَخْتُ قَلُوصى فى دِيارِكُمُ بخيرِ مَنْ يَحْتَذِى نَعْلاً وحافيها

فأضاف الحافى إلى النعل ، والتقدير حافٍ منها . وقوله : ألم ترنى صاحَبت صفراء نَبْعَةً ، فالنَّبْعُ خير الشجر للقِسِيِّ ، ويقال إن النَّبْعَ والشَّوْحَط والشِّريانَ شجرةٌ واحدة ، ولـكنها تختلف أسماؤها وتَـكْرُمُ وتَحْسُنُ بمنابتها ، فما كَانَ فى قُلَّةِ الجبل منها فهو النَّبْعُ ، وما كان فى سَفْحِهِ فهو الشَّوْحَطُ ، وما كَانَ فى الحَضيض فهو الشِّرْيانُ . وقوله لها رَبَذِيٌّ ، يريد وَتَرًا شديد الحركة عند دفع السهم ، يقال رجل رَبِذُ اليد إذا كَانَ يكثر التحريك ليديه والعبَثَ بهما ، ويوصف به الفرس لـكثرة حركة قوائمه ، وكَان الأصل رَبِذِيًّا[1] لأنه رَبِذٌ ، ولـكن ما كان من فَعِلٍ فَنُسِبَ إليه فتح موضع العين منه استثقالاً لاجتماع ياءى النَّسَبِ وكسرة اللام ، لأن ياءى النسب تَـكْسِرانِ ما تَلِيانِهِ ، فلم يَدَعُوا مع ذلك العَيْنَ مكسورةً ، تقول فى النسب إلى النَمِرِ بن قاسِطٍ نَمَرِىٌّ ، وإلى الحَبِطاتِ حَبَطِيٌّ ، وإلى شَقِرَةَ وهو الحرث بن تميم بن مُرٍّ شَقَرِىٌّ ، وفى النسب إلى عَمٍ عَمَوِىٌّ يافتى .

---

(١) لأن الباء مكسورة فى المنسوب اليه .

وقوله : لم تُفَلَّلْ مَعا بِلُه ، يريد لم ينكسر حَدُّها من الفُلُول . ويروى أن عُرْوَةَ بن الزُّبَيْرِ سأل عبد المَلك أن يرُدَّ عليه سيف أخيه عبد الله بن الزبير فأخرجهُ إليه في سيوف مُنْتَضاةٍ ، فأخذه عروة من بينها ، فقال له عبد الملك: بِمَ عرَفْتَهُ ؟ فقال : بما قال النابغةُ :

ولا عَيْبَ فيهم غيْرَ أنَّ سُيوفهم ... بِهِنَّ فُلولٌ من قِراع الكتائب

والمِعْبَلَةُ : واحدة المعابل ، وهى سهم خفيف ، قال عَنْتَرَةُ :

وآخرَ منهمُ أجْرَرْتُ رُمْحى[١] ... وفى البَجْلِىِّ مِعْبَلَةٌ وَقِيعُ

باسكان الجيم لاغير[٢] (قال أبو الحسن : بَجِيلَة[٣] قبيلة من بنى الهُجَيْمِ من اليَمَن) .

(١) يريد أجررته رمحى ، وذلك إذا طعنه وترك الرمح فيه يجره .
(٢) أى إسكان الجيم فى البجلى لأنه منسوب إلى بجلة بسكون الجيم فلم تغير فى المنسوب .
(٣) هذا التعليق غير واضح ، لأن بجيلة غير بجلة .

باب

قال أبو العباس : تزوج خالد بن يزيد بن معاوية نساءً هُنَّ شَرَفُ مَنْ هُنَّ منه[1] منهن أمُّ كُلْثُومٍ بنت عبد الله بن جَعْفَرِ بن أبي طالب ، وآمِنَةُ بنت سعيد بن العاصي بنُ أُمَيَّةَ ، ورَمْلَةُ بنت الزُّبَيْرِ بن العوَّام بن خُوَيْلِدِ بن أسَد ابن عبدَ العُزَّى بن قُصَيّ ، ففي ذلك يقول بعض الشعراء[2] يُحَرِّضُ عليه عبد المَلِكِ :

عَلَيْكَ أميرَ المؤمنين بخالدٍ ... ففي خالدٍ عما تُحِبُّ صُدودُ

إذا ما نَظَرْنا في مَناكِح خالدٍ ... عَرَفْنا الذي يَنْوِي وأين يُرِيدُ

فَطَلَّقَ آمنة بنت سعيد فتزوجها الوليد بن عبد الملك ، ففي ذلك يقول خالد :

فَتاةٌ أبوها ذو العِصابة وابنُهُ ... وعثمانُ ما أكفاؤُها بكثيرِ[3]

فإن تفتلتها والخلافةَ تنقلب ... بأكْرَمِ عِلْقَيْ مِنْبَرٍ وسَرِيرِ

قوله : أبوها ذو العصابة يعني سعيد بن العاص بن أُمَيَّةَ ، وذلك أن قومه يذكرون أنه كان إذا اعْتَمَّ لم يَعْتَمَّ قُرَشِيٌّ إعظامًا له ، ويُنْشِدون :

أبو أُحَيْحَةَ مَنْ يَعْتَمَّ عِمَّتَهُ ... يُضْرَبْ وإن كان ذا مالٍ وذا عَدَدِ

ويزعم الزُّبَيْرِيُّون أن هذا البيت باطل موضوع ، وقوله : فان تفتلتها ، يقول تأخذها فُجاءةً ، ومن ذلك قول الشاعر :

مَنْ يأمَنِ الأَيَّامَ بَعْدَ صُبَيْرَةَ القُرَشِيِّ ماتا

---

(١) يريد أنهن شرفن من ينسبن اليه من الآباء والأمهات لما اشتملن عليه من روعة الجمال وكرم العفاف . (٢) هو شديد بن شداد القرشي . (٣) وفي رواية أخرى :

فتاة أبوها ذو العمامة وابنه ... أخوها فما أكفاؤها بكثير

سَبَقَتْ مَنِيَّتُهُ المَشيبَ وكانَ مِيتَتُهُ افْتِلاتا

(صبيرة بالصاد مهملة فى الرواية المشهورة ، وبالضاد معجمةً ، روايةُ عاصم على الشرط[1] وكسر النون لالتقاء الساكنين ، ورواية ابن سِراجٍ برفع يأمنُ على الاستفهام) . وفى الحديث أن رجُلاً قال : يارسول الله إن أُمِّى افْتُلِتَتْ ، أى ماتت فُجَاءةً .



ويروى أن آمِنَةَ لَبِثَتْ عند الْوَليدِ ، فلما هَلَكَ عبدُ المَلِكِ سَعَى بها ساعٍ إلى الوليد ، قال أبو العباس : وبلغنى أنها سَعَتْ بها إحدى ضَرَّاتها إلى الوليد بأنها لم تَبْكِ على عبد الملك كما بَكَى نظائرها ، فقال لها الوليد فى ذلك ، فقالت : صَدَقَ القائلُ ، أَكُنْتُ قائلةً ؟ ماذا أقول ، ياليْتَهُ كان بَقِىَ حتى يَقْتُلَ أخًا لى آخر كعمرو بن سعيد ! وفى رَمْلَةَ بنت الزُّبَيْرِ يقول خالدٌ :

تَجُولُ خلاخيلُ النساء ولا أرَى لِرَمْلَةَ خَلْخالاً يَجُولُ ولا قُلْبا[2]

فلا تُكْثِرُوا فيها المَلامَ فإنَّنى تَخَيَّرْتُها منهم زُبَيْرِيَّةً قَلْبا[3]

أُحِبُّ بنى العَوَّامِ طرًّا لِحُبِّهَا ومن أجْلها أحْبَبْتُ أَخْوالها كَلْبا

وزِيدَ فيها :

فَإِنْ تُسْلِمِى أُسْلِمْ وإن تَتَنَصَّرِى يُعَلِّقْ رجالٌ بين أعينهم صُلْبا

(١) أى بجزم الفعل . (٢) القلب بالضم : السوار .

(٣) امرأة قلب بفتح القاف وضمها : خالصة النسب .

فيروى أن عبد الملك ذُكِرَ له هذا البيتُ ، فقال له : ياخالد أتَرْوى هذا البيتَ ؟ فقال يا أمير المؤمنين على قائله لعنة الله !

وذكر العُتْبِيُّ أن الحَجَّاج بن يوسف بن الحَكَم الثقفيَّ لما أكْرَهَ عبدَ الله بن جعفر على أنْ زَوَّجَهُ ابنته استأجله فى نقلها سنة ، فَفَكَّرَ عبدُ الله ابن جعفر فى الانفكاك منه فَالْقِيَ فى رُوعِهِ خالد بن يَزِيدَ ، فَكَتَبَ إليه يُعْلِمُهُ ذلك ، وكَان الحجاج تَزَوَّجها بإذن عبد الملك ، فورد على خالد كتابه ليلاً فاستأذن من ساعته على عبد الملك ، فقيل له : أفى هذا الوقت ؟ فقال إنه أمْرٌ لايُؤَخَّرُ ، فَأُعْلِمَ عبدُ الملك بذلك فَأَذِنَ له ، فلما دخل عليه ، قال له عبد الملك : فِيمَ السُّرَى ياأبا هاشم ؟ قال : أَمْرٌ جليلٌ لم آمَنْ أن أؤخره ، فَتَحْدُثَ علىَّ حادِثَةٌ فلاأكونَ قَضَيْتُ حق بَيْعَتِكَ ، قال : وماهو ؟ قال : أَتَعْلَمُ أنه ما كان بين حَيَّيْنِ من العداوة والبَغْضاء ما كان بين آل الزبير وآل أبى سُفْيَان ؟ قال لا ، قال: فَإِنَّ تزويجى إلى آل الزُّبير حَلَّلَ ما كان لهم فى قلبى ، فما أَهْلُ بيت أَحَبُّ إلىَّ منهم ، قال فإن ذلك لَيَكُونُ ، قال فكيف أَذِنْتَ للحجاج أن يتزوج فى بنى هاشم ، وأنت تَعْلَمُ ما يقولون ، ويقال فيهم ، والحَجَّاجُ من سلطانك بحيث عَلِمْتَ ؟ قال فجَزَّاهُ خيرًا ، وكتب إلى الحجاج بعَزْمَةٍ أن يطلقها فطلقها ، فغدا الناس عليه يُعَزُّونَهُ عنها ، فكان فيمن أتاه عمرو بن عُتْبَةَ بن أبى سُفْيان فَأَوْقَعَ الحَجَّاجُ بخالد ، فقال : كان الأمر لآبائه فَعَجَزَ عنه حتى انْتُزِعَ منه ، فقال له عمرو ابن عتبة : لاتَقُلْ ذا أيها الأمير ، فإنَّ لخالد قديما سَبَقَ إليه ، وَحَدِيثاً لم يُغْلَبْ

عليه ، ولو طَلَبَ الأمرَ لطلبه بجَدٍّ وجِدٍّ ، ولكنه عَلِمَ عِلْماً ، فَسَلَّمَ العِلْمَ إلى أهله ، فقال الحجاج : يا آل أبي سفيان ، أنتم تحبون أن تَحْلُمُوا ولا يكون الحِلْمُ إلا عن غضب ، فنحن نُغْضِبُكُمْ فى العاجل ابتغاء مَرْضَاتِكم فى الآجِلِ ، ثم قال الحجاج : واللهِ لأَتَزَوَّجَنَّ مَنْ هو أَمَسُّ به رَحِمًا ، ثم لا يُمْكِنُهُ فيه شيء ، فتزوَّج أم الجُلَاسِ بنت عبد الله بن خالد بن أسِيدٍ .

أما قوله : أُلقِىَ فى رُوعه ، فإن العرب تقول أُلْقِيَ فى رُوعى ، وفى قلبي وفى جخيفي ، وفى تاموري كذا كذا ، ومعناه كله واحد إلا أن لهذه الأشياء مواضع مختصة . وفى الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم : «إنّ رُوحَ القُدُسِ نَفَثَ فى رُوعى » فالروع والجَخِيفُ غير مختلفين ، والعرب تقول : أَذْهَبَ اللهُ قَلْبَهُ ، ولا قلب له . ولا تقول : لا رُوعَ له ، فكأنَّ الرُّوعَ هو متصل بالقلب ، وعنه يكون الفهم خاصة ، ويقال : رأيت قَلْبَ الطائرِ ، ولا يقال : رأيت رُوعَ الطائر ، والتامورُ عند العرب بقية النَّفْسِ عند الموت ، وبعضهم يُفْصِحُ عنه ، فيجعله دم القلب خاصة الذى يبقى للإنسان مابقِيَ ، يقال ضَعْهُ فى تامورِكَ ، وفى قَلْبِك ، وفى رُوعِكَ ، وفى جَخيفِكَ ، والذَّماءُ ممدود مِثْلُ التامورِ سواء ، تقول العرب : ليس فى الحيوان أطولُ ذَماءً من الضَّبِّ ، وذلك أنه يُذْبَحُ ثم يُطْرَحُ فى النار بعد أن ظُنَّ أنه قد بَرَدَ فربما سَعَى من النار .



وقال رجل لإبراهيم بن أدْهَمَ : عِظْنِي ، فقال : اتَّخِذِ اللهَ صاحِباً وذر الناس جانباً .

قال سعيد بن المُسَيِّبِ : كنت بين القبر والمِنْبرِ مُفَكِّرًا ، فسمعت قائلا يقول ولم أره : اللَّهُمَّ إنى أسألك عملا بارًّا ، و رزقا دارًّا ، وعيشا قارًّا[1] . قال سعيد فلزِمْتُهُنَّ فلم أر إلا خيرا .

وقال الأَصْمَعِيُّ : كان من دعاء أبى المُجِيب : اللهم اجْعَلْ خير عملى ما قارَبَ أجَلى .

قال وكان يقول فى دعائه : اللهم لا تَكِلْنَا إلى أنفسنا فَنَعْجِزَ ، ولا إلى الناس فَنَضِيعَ .

قال وحدثنى أبو عثمان المازِنِىُّ قال حدثنى أبو زيد قال : وقف علينا أعرابى فى حَلْقة يونس النحوى ، فقال : الحمد لله كما هو أَهْلُهُ ، وأعوذ بالله أن أذَكِّرَ به وأنساه ، خرجنا من المدينة مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثين رجلا ممن أخْرَجَتْهُ الحاجة ، وحُمِلَ على المكروه ، لا يُمَرِّضُونَ مَرِيضَهُمْ ، ولا يَدْفِنون مَيِّتهم ، ولا ينتقلون من مَنْزِلٍ إلى منزل ، وإن كرهوه ، والله يا قَوْم لقد جُعْتُ حتى أَكَلْتُ النَّوَى المُحْرَقَ ، ولقد مَشَيْتُ حتى انْتَعَلْتُ الدمَ[2] ، وحتى خرجَ من قدمىَّ بَخَصٌ ولحم كثير ، أفلاَ رَجُلٌ يَرْحَمُ ابن سبيلٍ ، وَفَلَّ طَرِيقٍ ، ونِضْوَ سفرٍ ، فإنه لا قليلَ من الأَجْرِ ، ولا غِنَى عن ثواب الله عزَّ وجل ، ولا عَمَلَ بعد الموتِ ، وهو الذى يقول جَلَّ ثناؤُهُ : « مَنْ ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً

(١) أى مستقرا لا ينقطع .

(٢) يريد أن دم قدميه لكثرة المشى صار كالنعل .

فيُضَاعِفَهُ لَهُ » مَلِيٌّ[١] ، وَفِيٌّ ماجِدٌ واجِدٌ جَوادٌ ، لاَيَسْتَقْرِضُ من عَوَزٍ ، ولـكنه يَبْلو الأَخْيَار ، قال : فبلغنى أنه لَمْ يَبْرَحْ حتى أخذ ستين ديناراً .

قوله : بَخَصٌ ، يريد اللحم الذى يركَبُ القَدَمَ ، هذا قول الأصمعى ، وقال غيره : هو لحم يَخْلِطُهُ بياض من فساد يَحُلُّ فيه ، ويقال : بَخَصْتُ عينَه بالصاد ، ولا يجوز إلا ذلك ، ويقال بَخَسْتُهُ حَقَّهُ بالسين إذا ظلمته ونَقَصْتَهُ ، كما قال الله عزَّ وجلَّ : « وَلاَ تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ » ، وفى المَثَلِ : تَحْسَبُهَا حَمْقَاء وهى باخِسٌ ، وَيَدُلُّ على أنه اللحم الذى قد خالطه الفساد قولُ الراجز : (قال أبو الحسن علىّ بن سليمان الأخفش الراجز هو أبو شُرَاعَةَ[٢]) .

يا قَدَمَيَّ لاَ أَرَى لى مَخْلَصا   مما أَرَاهُ أو تعُودَا بَخَصا[٣]

وقوله فَلٌّ ، فالفَلُّ فى أكثر كلامهم المنهزم الذاهب .

وفى خبر كَعْبِ[٤] بن مَعْدَانَ الأشعرى (الأَشْقَرِىُّ بالقَافِ لاَغَيْرُ) : إنا آثرنا الحَدَّ على الفَلِّ ، يعنى مجاهدتهم عَبْدَ رَبِّهِ الصَّغير[٥] لأنه كان مُقْبِلاً على حربهم وَتَرْكَهُمْ قطَرِيًّا لأنه كان منهزما .

---

(١) أصله مهموز ، وشددت ياؤه للمزاوجة مع كلمة (وفى) وهو من الملاءة مصدر ملؤ الرجل يملؤ إذا كان غنيا . (٢) اسمه أحمد بن محمد .

(٣) أى : ذواتى بخص .

(٤) يريد حديثه مع الحجاج بن يوسف، وكان قد وجهه المهلب ابن أبى صفرة يبشره بمناهدة الخوارج وفراغه من قتالهم . قال فى حديثه له : كيف أفلتكم قطرى ؟ فقال كعب : كدناه ببعض ما كادنا به فصرنا منه إلى الذى نحب . قال : فهلا اتبعتموه ؟ فقال كان الحد عندنا آثر من الفلّ .

(٥) هذا الوصف للاستخفاف وانما اسمه عبد ربه الـكبير .

وفى حديث الحجاج بن عِلاطٍ السُّلَمِيِّ ، وكان قد أسلم ولم تعلم قريش بإسلامه ، فاستأذن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يوم خَيْبَرَ فى أن يصير إلى مكة فيأخذ ما كان له من مال ، وكانت له هناك أموال متفرقة ، وهو غريب بينهم إنما هو أَحَدُ بنى سُلَيْم بن منصور ، ثم أحد بنى بَهْزٍ ، فَأَذِنَ له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله إنى أحتاج أن أقول ، قال : فَقُلْ ، قال أبو العباس : وهذا كلامٌ حَسَنٌ ومعنًى حَسَنٌ ، يقول أقول على جهة الاحتيال غير الحَقِّ ، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه من باب الحيلة وليس هو من باب الفساد ، وأكثر مايقال فى هذا المعنى تَقَوَّلَ ، كما قال الله عز وجل : « أم يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ » فسار إلى مكة فقالت قريش : هذا لعمر الله عنده الخبر ، قال : فقولوا ، فقالوا : بلغنا أن القاطع[١] قد خرج إلى أهل خيبر ، فقال الحجاج نَعَمْ ، فقتلوا أصحابه قتلا لَمْ يُسْمَعْ بمثله وأخذوه أسيرًا ، وقالوا : نَرَى أن نُكارِمَ به قريشا ، فندفعهُ إليهم ، فلا تزال لنا هذه اليد فى رِقابِهِمْ ، وإنما بَادَرْتُ جَمْع مالى لَعَلِّى أُصيبُ به من فَلِّ محمدٍ وأصحابه قبل أن يَسْبِقَنِى إليه التجار ويتصل بهم الحديثُ ، قال : فاجتهدوا فى أَنْ جمعوا إلىَّ مالى أَسْرَعَ جَمْعٍ ، وسُرُّوا أكثر السُّرورِ ، وقالوا بلا رَغْمٍ[٢] ، وأتانى العباس وهو كالمرأة الوالِهِ[٣] ، فقال : وَيْحَكَ يا حجاجُ ما تقول قال فقلتُ أكاتِمٌ أنت علىَّ خبرى ؟ فقال : إى واللهِ ! قال فقلتُ : فالْبَثْ علىَّ شيئاً حتى يَخِفَّ مَوْضعى ، قال فسرتُ

(١) يصفون رسول الله كذبا بقطع الأرحام .

(٢) أى بلا كره . (٣) الحزينة .

إليه . فقلت : الخبرُ واللهِ على خلاف ما قلتُ لهم ، خَلَّفْتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم : وقد فتَح خيْبرَ ، وخلَّفْتُهُ والله مُعْرِساً بابنة مَلِكِهِم ، وما جئْتُكَ إلا مُسْلِماً فاطْوِ الخبر ثلاثاً[1] حتى أُعْجِزَ القوم ، ثم أَشِعْهُ ، فإنه واللهِ الحق ، فقال : العباس[2] : وَيْحَكَ أحَقٌّ ما تقولُ ؟ قلتُ إي واللهِ ! قال : فلما كان بعد ثلاثة تَخَلَّقَ العباسُ ، وأخذَ عصاه وخرج يطوف بالبيت ، قال فقالت قريش يا أبا الفضل هذا واللهِ التَّجَلُّدُ لِحَرِّ المصيبة ! فقال كَلاَّ ، ومَنْ حَلَفْتُمْ به ! لقد فتحها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأَعْرَسَ بابنة ملكهم ! فقالوا مَنْ أتاكَ بهذا الحديث ؟ فقال : الذي أتاكم بخلافه ، ولقد جاءنا مُسْلِماً ، ثم أتت الأخبارُ من النواحي بذلك ، فقالوا : أَفْلَتَنَا الخبيثُ ، أَوْلَى له[3] .

وأصل الفَلِّ مأخوذ من فَلَلْتُ الحديدةَ[4] إذا كسرتَ حَدَّها ، والنِّضْوُ : البالي المجهود ، ويقال ناقة نِضْوٌ : إذا جَهَدَها السيرُ وجمعه أَنْضَاءٌ ، وفلان نِضْوٌ من المرض .

وقوله لا يستقرض من عوَزٍ ، فالعوَزُ : تعذُّرُ المطلوبِ ، يقال أعْوَزَ فلان فهو مُعْوِزٌ إذا لم يجد ، والمَعاوِزُ في غير هذا الموضع : الثياب التي تُبْتَذَلُ ليُصانَ بها غيرها .

وقوله : ولكن ليبلو الأخيار ، يقال : الله يَبْلوهم ويبتليهم ويختبرهم

---

(١) أي ثلاث ليال . (٢) ابن عبد المطلب .

(٣) أولى له : كلمة توعد وتهديد ، غلبت في الدعاء بالشر وقرب الهلاك .

(٤) المراد حديدة السيف .

فى معنى ، وتأويله يمتحنهم ، وهو العالم عز وجل بما يكون كعلمه بما كان ، قال الله جل ثناؤُهُ : « لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً » .

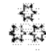
قال وحدثنى أبو عثمان المازنى قال رأيت أبا فرعون العَدَوِىَّ ومعه ابنتاه وهو فى سكة العطَّارين بالبصرة يقول :

بُنَيَّتَىَّ صَابِرَا أباكما إِنَّكُما بِعَيْنِ مَنْ يَرَاكما

اللهُ رَبِّى سَيِّدِى مولاكما ولو يشاء عَنْهُمُ أَغْنَاكما

وكان أبو فرعون ، وهو من بنى عَدِىّ الرِّباب بن عبد مَناةَ بن أُدّ ، وقال اليزيد هو مولاهم ، وكان فصيحاً ، وقَدِمَ قوم من الأَعْراب البصرة من أهله ، فقيل له تَعَرَّضْ لمعروفهم ، فقال :

ولَسْتُ بسائلِ الأَعْرابِ شيئاً حَمِدْتُ اللهَ إِذْ لَمْ يأكلونى



وروى الأسدى أنه افتقر رجل من الصَّيارفة بِإِلْحَاحِ الناسِ فى أخذ أموالهم التى كانت لَدَيْهِ ، وتَعَذُّرِ أمواله التى كانت له عند الناس ، فسأل جماعة من الجيران أن يسيروا معه إلى رجل من قريش[1] كان موسِرًا من أولاد أجوادهم لِيَسُدَّ من خَلَّتِهِ ، فساروا إليه ، فجلسوا فى الصَّحْنِ ، فخرج إليهم يخطِرُ بقَضيبٍ فى يده ، حتى ثَنَى وِسادَةً فجلس عليها ، فذكروا حاجتهم وخَلَّةَ صاحبهم ، مع قديم نعمته وقريب جِوارِهِ ، فَخَطَرَ بالقَضيب ، ثم قال مُتَمَثِّلاً (الشعر لنُصَيْبٍ ، وقيل لـكُثَيِّرٍ ، والأول أثبت) :

(١) هو ابن عمران الطلحى .

إذا المالُ لم يوجِبْ عليكَ عَطاءَهُ صَنيعةُ تَقْوَى أو صَديقٌ تُوامِقُه(١)
بَخِلْتَ وبعضُ البُخْلِ حَزْمٌ وقوةٌ فلم يَفْتَلِذْكَ المالَ إلا حَقائِقُهْ(٢)

ثم أقبل على القوم ، فقال : إنا والله ما نَجْمُدُ عن الحق ، ولا نَتَدَفَّقُ في الباطل ، وإنَّ لنا لَحُقوقاً تَشْغَلُ فُضول أموالنا ، وما كُلُّ مَنْ أفْلَسَ من الصَّيارفة احْتَمَلْنا جَبْرَه ، قوموا رحمكم الله ! قال فابْتَدَرَ القومُ الأبوابَ .

قوله : فلم يفتلذك المال ، يقول لم يَقْتَطِعْ منك ، يقال فَلَذَ له من العطاء : أي قطَعَ له ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بَدْرٍ حين قال الغلامان(٣) : في القوم عُتْبَةُ بن رَبيعةَ ، وشَيْبَةُ بن رَبيعةَ ، وأبو الحَكَم ابن هشام ، وأُميّةُ بن خَلَف وفلان وفلان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذه مكة قد أَلْقَتْ إليكم أفْلاذَ كَبِدِها .

وقال أبو تُحافة أعْشَى باهِلَةَ يعني المُنْتَشِرَ بن وَهْبٍ الباهِليَّ :

تَكْفيهِ فِلْذَةُ كَبْدٍ إنْ أَلَمَّ بِهَا من الشِّواء ويَكْفِي شُرْبَهُ الغُمَرُ



قال عبد المَلِكِ بن عُمَيْر : استعمل عُتْبَةُ بن أبي سُفيان رجلا من آله على الطائف فظَلَمَ رجُلا من أَزْدِ شَنوءةَ ، فأتى الأزْدِيُّ عُتْبَةَ ، فَمَثَلَ بين يديه ، فقال :

أَمَرْتَ مَنْ كان مظلوما ليأتيكُم فقد أتاكم غَريبُ الدارِ مَظْلُومُ

---

(١) توامقه : تحبه ، من الومق والمقة : أي الحب ، والفعل ومق يمق ، مثل وثق يثق .
(٢) جمع حقيقة ، وهو مايجب عليك دفعه .
(٣) هما غلامان رآهما فريق من أصحاب الرسول فأتوه بهما فسألهما عن حال الأعداء .

ثم ذكر ظُلاَمتهُ ، فقال له عتبة : إنى أراك أعرابيا جافيا ، والله ما أحْسبُكَ تَدْرِى كم تصلى فى كل يوم وليلة ! فقال : أرأيتَ إنْ أنبأتُكَ ذلك أتجعل لى عليك مسئلة ؟ قال نعم ، فقال الأعرابى :

إنَّ الصَّلاَةَ أرْبَعٌ وَأرْبَعُ   ثم ثلاثٌ بعدهنَّ أربع

☆ ثم صَلاَةُ الْفَجْرِ لاتُضَيَّعُ ☆

فقال صدقتَ فاسألْ ! فقال : كم فقارُ ظَهْرِكَ ؟ فقال : لا أدرى ! فقال : أفَتَحْكُمُ بين الناس وأنت تَجْهَلُ هذا من نفسك ؟ قال رُدُّوا عليه غُنَيْمَتَهُ .

قوله : فَقار ، إنما هو جمع فَقارةٍ ، ويقال فِقْرَةٌ ، فمن قال فى الواحد فِقْرَةٌ قال فى الجميعِ فِقَرٌ كقولك كِسْرَةٌ وَكِسَرٌ ، ومن قال للواحدة فقارة ، قال للجميع فَقَارٌ ، كقولك دَجاجةٌ ودجاج وحَمامةٌ وحَمَامٌ .

وشهد أعرابى عند معاوية بشىء كرهه ، فقال له معاوية كَذَبْتَ ! فقال الأعرابى الكاذب والله مُتَزَمِّلٌ فى ثيابك ! فقال معاوية ـ وتبَسَّمَ ـ هذا جزاء مَنْ عَجِلَ .



قال أبو العباس قرأت على عبد الله بن محمد المعروف بالتَّوَّزِىِّ عن أبى عُبَيْدَةَ مَعْمَرِ بن الْمُثَنَّى التَّيْمِىِّ ، قال : كانت السَّواقطُ تَرِدُ الْيَمامةَ فى الأشهر الحُرُمِ لطلب التمر ، فإن وافقتْ ذلك ، وإلا أقامت بالبلد إلى أوانه ، ثم تخرج منه فى شهرٍ حَرامٍ ، فكان الرجل منهم إذا قَدِمَ يأتى رجلا من بنى حَنيفةَ ، وهم أهل الْيَمامة ، أعنى بنى حَنيفة بن لُجَيمِ بن صَعْبِ بن على بن بَكْر

ابن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دُعْمِيّ بن جديلة بن أسد بن ربيعة ابن نزار ، فيكتب له على سهم أو غيره : فلان جار فلان ، والسوافط : من ورد اليمامة من غير أهلها ، وقد كان النعمان بن المنذر أراد أن يجليهم منها ، فأجارهم مرارة بن سُلْمِيّ الحنفي ، ثم أحد بني ثعلبة بن الدول بن حنيفة فسوّغه الملك ذلك ، فقال أوس بن حجر يحضّ النعمان عليه :

زعم ابن سُلْمِيّ مرارةُ أنه ... مولى السّوافط دون آل المنذر

منع اليمامة حزنها وسهولها ... من كل ذى تاج كريم المفخر

وذكر أبو عبيدة أن رجلا من السواقط من بني أبي بكر بن كلاب قدم اليمامة ، ومعه أخ له ، فكتب له عمير بن سُلْمِيّ أنه له جار ، وكان أخو هذا الكلابي جميلاً ، فقال له قرين أخو عمير لا تردنّ أبياتنا بأخيك هذا ، فرآه بعدُ بين أبياتهم ، فقتله .

قال أبو عبيدة ، وأما المولى[1] فذكر أن[2] قريناً أخا عمير كان يتحدث إلى امرأة أخي الكلابي فعثر عليه زوجها فخافه قرين عليها فقتله ، وكان عمير غائبا ، فأتى الكلابيُّ قبر سُلْمِيّ أبي عمير وقرين فاستجار به ، وقال (قال أبو الحسن الأخفش ، قال أبو العباس قرين ، ووجدته بخط دماذ صاحب أبي عبيدة قُرَين) :

وإذا استجرت من اليمامة فاستجر ... زيد بن يربوع وآل مُجمِّع

وأتيت سُلْميًّا فعذت بقبره ... وأخو الزمانة عائذ بالأمنع

(١) يريد الذي أجاره عمير . (٢) أي حدّث الناس بحديث من عنده سترا للحقيقة .

أقَرِينُ إنكَ لو رأيتَ فوارسِي بعمايتَيْنِ[1] إلى جَوانب ضَلْفَعِ[2]
حدَّثتَ نَفْسَكَ بالوفاء ولَمْ تَكُنْ للغَدْرِ خائنةً مُغِلَّ الإصْبَعِ

فلَجأَ قَرينٌ إلى قَتادةَ بن مَسْلمة بن عُبَيْدِ بن يَرْبوع بن ثَعْلبةَ بن الدُّولِ ابن حنيفة ، فحمل قتادةُ إلى الكلابي دِياتٍ مُضاعفةً . وفعلتْ وُجوهُ بنى حَنيفةَ مثل ذلك فأبى الكِلابيُّ أن يَقْبلَ ، فلما قدِمَ عمير قالت له أُمُّهُ وهى أم قرين : لاتقتُلْ أخاك . وسُق إلى الكلابى جميع ماله ، فأبى الكلابيُّ أن يقبل ، وقد لَجأَ قَرينٌ إلى خاله السَّمين بن عبد الله فلم يَمْنعْ عميرًا منه ، فأخذه عُمَيْرٌ فمضى به حتى قطَعَ الوادى فرَبطَهُ إلى نخلة ، وقال للكلابى : أما إذْ أَبَيْتَ إلا قتله فَأمْهِل حتى أقطعَ الوادى ، وارْتَحِلْ عن جوارى فلا خير لك فيه ، فقتله الكلابى ، ففى ذلك يقول عمير :

قَتَلْنا أخانا للوفاء بجارنا وكان أبونا قد تُجيرُ مَقابِرُه

وقالت أم عمير :

تَعُدُّ معاذِرًا لا عُذْرَ فيها وَمَنْ يَقْتُلْ أخاه فقد ألامَا

قوله : ولم تكن للغدر خائنةً ، ولم يقل خائنا ، فإنما وَضَعَ هذا فى موضع المصدر[3] ، والتقدير ولم تكن ذا خيانة ، وقوله للغدر : أى من أجل الغدر ، وقال المفسرون والنحويون فى قول الله عزَّ وجلَّ : « وَإِنَّهُ لِحُبِّ الخَيْرِ لَشَدِيدٌ » : أى لشديدٌ من أجل حب الخير ، والخير ههنا المال من قوله تعالى : «إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ » . وقوله لَشديدٌ : أى لبخيل ، والتقدير والله

(١) اسم مكان . (٢) موضع باليمن .
(٣) وهو الخيانة .

أعلم : إنه لبخيل من أجل حبه المـال ، تقول العرب فلان شديد ومُتَشَدِّدٌ : أى بخيل ، قال طَرَفةُ :

أَرَى المَوْتَ يَعْتَامُ الكِرامَ وَيَصْطَفِى عَقِيلَةَ مالِ الفاحِشِ المُتَشَدِّدِ

وقلَّمـا يجىء المصدر على فاعِلٍ ، فمما جاء على وزن فاعِلٍ قولهم عُوفِىَ عافيةً ، وفُلِجَ فالِجًا ، وَقُمْ قائمـا : أى قُمْ قِيامًا ، وكما قال :

* ولا خارجًا من فِىَّ زُورُ كلام *

أى وَلاَ يَخْرُجُ خروجا ، وقد مضى تفسير هذا .

وَالمُغِلُّ الذى عنده غُلولٌ ، وهو ما يُخْتَانُ وَيُحْتَجَنُ ، ويستعمل مستعارًا فى غير المـال ، يقال غَلَّ يغُلُّ كقولِ الله عزّ وجلّ : « وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يوْمَ الْقِيامَةِ » . ويقال أَغَلَّ فهو مُغِلٌّ إذا صُودِفَ يَغُلّ ، أو نُسِبَ إليه ، ومن قرأ : « وما كانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ » فتأويله أن يأخذ[1] ويَسْتأْثِرَ ، ومن قرأ يُغَلَّ فتأويله على ضربين يكون أن يقال ذلك فيه ، ويكون وهو الذى نختار أن يُخَوَّنَ ، فإن قال قائل كيف يكون التقدير ، وقد قال ما كانَ لنبي أن يُغَلَّ فَيُغَلَّ لغيره ، وأنت لاتقول ما كان لزيد أن يقومَ عمرٌو ؟ فالجواب أنه فى التقدير على معنى ما ينبغى لنبيٍّ أن يُخَوَّنَ ، كما قال : « وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ » . ولو قلت ما كان لزيد أن يقومَ عمرٌو إليه لـكان جَيِّدًا للراجع إليه ، وكان جيداً على تقديركَ ما كان زيدٌ لِيقومَ عمرٌو إليه ، كما قلنا فى الآية . والإِصْبَعُ أفصح ما يقال ، وقد يقال

---

(١) يريد يأخذ من الغنيمة خفية .

أَصْبَعٌ وإِصْبِعٌ وَأُصْبُعٌ ، وموضعها ههنا موضع اليد ، يقال لفلان عليك يَدٌ ولفلان عليك إِصْبَعٌ ، وكلٌّ جَيِّدٌ ، وإنما يَعْني ههنا النعمة .

وأما قوله: قتلنا أخانا للوفاء بجارنا ، فيكون على ضربين: أحدهما أن يكون فَخَّمَ نفسه وعظمها ، فذكرها باللفظ الذى يُذْكَرُ الجميع به ، والعرب تفعل هذا ويُعَدُّ كِبْرًا ، ولا ينبغى على حكم الإسلام أن يكون هذا مستعملا إلا عن الله عزَّوجل لأنه ذو الكِبْرياء كما قال الله تبارك وتعالى: « إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ . وَ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ » . وكل صفات الله أعلى الصفات وَأَجلُّها ، فما استُعْمِلَ فى المخلوقين على تلك الألفاظ وإن خالفتْ فى الحكم فحَسَنٌ جميل ، كقولك فلان عالم ، وفلان قادرٌ ، وفلان رحيم ، وفلان وَدُودٌ ، إلا ما وصفنا قَبْلُ من ذكر التَكَبُّرِ ، فإنك إذا قلت فلان جبَّار أو متكبر كان عليه عيباً ونقصاً ، وذلك لمخالفة هاتين الصفتين الحق وبُعْدِهما من الصواب ، لأنهما للمُبْدِئِ المُعيدِ الخالقِ البارئ ، وَلا يليق ذلك بمن تكسره الجَوْعةُ ، وتُطْغِيه الشَبْعَةُ ، ونَقْصُهُ اللَحْظَةُ ، وهو فى كل أموره مُدَبَّرٌ . وأمّا القول الآخر فى البيت وهو قتلنا أخانا، فمعناه أنه له ولمن شايَعَهُ من عَشيرته ، وأما قولها: ومن يقتل أخاه فقد ألاما ، تقول أتى ما يُلامُ عليه ، يقال ألامَ الرجلُ إذا تعرَّضَ لِأَنْ يُلامَ .

باب

قال أبو العباس أنشدني السَّعْدِيُّ أبو مُحَلِّمٍ :

إنَّا سألنا قَوْمَنا فَخِيارُهُمْ ... مَنْ كان أفْضَلَهُمْ أبوه الأوَّلُ
أَعْطى الذى أَعْطَى أَبوه قَبْلَهُ ... وتَبَخَّلَتْ أبناءُ مَنْ يَتَبَخَّلُ

وأنشدني أيضا :

لَطَلْحَةُ بنُ حَبيبٍ حين تَسْأَلُهُ ... أَنْدَى وأَكْرَمُ من فِنْدِ بن هَطَّالِ
وبيتُ طَلْحَةَ في عِزٍّ ومَكْرُمَةٍ ... وبيتُ فِنْدٍ إلى رِبْقٍ وأَحْمَالِ(١)
ألا فَتًى من بني ذُبْيانَ يَحْمِلُنِي(٢) ... وليس يَحْمِلُنِي إلا ابْنُ حَمَّالِ
فقلتُ طَلْحَةُ أَوْلَى مَنْ عَمَدْتُ له ... وجئت أَمْشِي إليه مَشْيَ مُخْتَالِ
مُسْتَيْقِناً أَنَّ حَبْلِي سوف يُعْلِقُهُ ... في رأس ذَيَّالَةٍ أو رأسِ ذَيَّالِ

قوله: إلى ربق(٣) وأحمال ، إنما أراد جمع حَمَلٍ على القياس ، كما تقول في جميع باب فَعَلٍ جَمَلٌ وأَجْمالٌ ، وصَنَمٌ وأصنامٌ .

وقوله : ألا فتى من بني ذبيان يحملني ، يعني ذُبْيانَ بن بَغِيضِ بن رَيْثِ ابن غَطَفانَ بن سَعْدِ بن قَيْسِ بن عَيْلانَ بن مُضَرَ ، وأنشد بعضهم :

* وليس حامِلُني إلا ابنَ حَمَّالِ *

---

(١) جمع حمل بالتحريك ، وهو الخروف . يريد أن بيت طلحة مملوء من خيل وهي عز لأهلها ، وبيت فند مملوء من الغنم وهي ذل وهوان لأهلها .

(٢) أي يعطيه مايحمله من الدوابّ . (٣) الربق بالكسر : حبل فيه عدة عرى تشد به الصغار من أولاد الغنم والمعز ، والجمع أرباق ورباق .

وهذا لايجوز فى الكلام ، لأنه إذا نُوِّنَ الاسمُ لم يتصل به المضمر ، لأن المضمر لايقوم بنفسه ، فإنما يقع معاقباً للتنوين ، تقول هذا ضاربٌ زيداً غدًا ، وهذا ضاربُكَ غدًا ، ولا يقع التنوين ههنا ، لأنه لو وقع لانفصل المضمر ، وعلى هذا قول الله تعالى : « إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ » . وقد رَوَى سيبويه بيتين محمولين على الضرورة ، وكلاهما مصنوع ، وليس أحد من النحويين المُفَتِّشِينَ يُجيزُ مثل هذا فى الضرورة لما ذكرتُ من انفصال الكناية(١) ، والبيتان اللذان رواهما سيبويه :

هُمُ القَائِلُونَ الخيرَ والآمِرُونَهُ ... إذا ماخَشُوا يَوْماً من الأمْرِ مُعْظَما(٢)

وأنشد :

ولم يَرْتَفِقْ(٣) والناسُ مُحْتَضِرونَهُ ... جميعاً وَأَيْدِى المُعْتَفِينَ(٤) رَوَاهِقُهُ(٥)

وَإنما جاز أن تُبَيِّنَ الحركةَ إذا وقفْتَ فى نون الاثنين والجميع لأنه لايلتبس بالمضمر ، تقول هما رَجُلانِهْ وهم ضاربونَهْ إذا وقفْتَ ، لأنه لا يلتبس بالمضمر إذ كان لايقع هذا الموقع ، ولا يجوز أن تقول ضربتُه ، وأنت تريد ضَرَبْتُ ، والهاء لبيان الحركة ، لأن المفعول يقع فى هذا الموضع ، فيكون لَبْسًا ، فأما قولهم: ارْمِه واغْزُه ، فتُلْحِقُ الهاءَ لبيان الحركة ، فإنما جاز ذلك لِما حَذَفْتَ من أصل الفعل ، ولا يكون فى غير المحذوف .

وقوله : فى رأس ذيالة، يعنى فرساً أنثى ، أو حِصانًا ، والذَيَّالُ: الطويل

---

(١) هى علامة المضمر ، وأول من استعملها فى ذلك سيبويه .

(٢) أنشده سيبويه : إذا ماخشوا من محدث الأمر معظما .

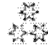
(٣) أى لم يتكئ على مرفق يده . (٤) المعتفون طلاب المعروف .

(٥) أى دانية منه .

الذَّنَبِ ، وإنما يُحْمَدُ منه طول شعر الذَّنَبِ ، وَقِصَرُ العَسِيبِ[1] ، وأما الطَوِيلُ العَسيبِ فمذموم ، ويقال ذلك لِلثَوْرِ أيضاً أعنى ذَيَّالاً ، قال امْرُؤُ القَيْس :

فجَالَ الصُّوارُ[2] واتَّقَيْنَ بِقَرْهَبٍ[3] طَوِيلِ القَرا[4] والرَّوْقِ[5] أَخْنَسَ ذَيَّال

ويقال أيضاً للرجل ذَيَّالٌ إذا كان يَجُرُّ ذَيْلَهُ اختيالا ، ويقال له : فَضْفاضٌ فى ذلك المعنى .



ويروى عن عمر بن عبد العزيز أنه قال لمؤَدِّبِهِ : كيف كانت طاعتى إياكَ وأنت تُؤَدِّبُنى ؟ فقال : أحْسَنَ طاعةٍ . قال : فَأَطِعْنى الآن كما كنتُ أُطيعُكَ إذْ ذاكَ ، خُذْ من شارِبِكَ حتى تَبْدُوَ شَفَتاكَ ، ومن ثوبك حتى تَبْدُوَ عَقِباكَ .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فَضْلُ الإِزار فى النار .

وقال آخر[6] :

ما لِدَدٍ ما لِدَدٍ مالَهُ يَبْكى وقَدْ أنْعَمْتُ مابالَهُ
مالى أراهُ مُطْرِقًا سامِياً ذَا سِـنَةٍ يُوعِدُ أَخْوالَهُ
وذَاكَ منـه خُلُقٌ عَادَةٌ أَنْ يَفْعَلَ الأَمْرَ الَّذى قَالَهُ
إِنَّ ابن بَيْضاءَ وَتَرْكَ النَّدَى كَالعَبْدِ إذ قَيَّدَ أَجْمالَهُ

(١) هو مستدق عظم الذنب .
(٢) الصوار بكسر الصاد وضمها : القطيع من بقر الوحش ، والجمع أصورة وصيران .
(٣) هو الثور المسنّ الضخم . (٤) القرا : الظهر .
(٥) الروق : القرن . (٦) هو سلمة بن ذهل التيمى .

آلَيْتُ لاَ أَدْفِنُ قَتْلاَكُمُ ... فَدَخِّنُوا الْمَرْءَ وَسِرْبالَهُ
وَالدِّرْعُ لاَ أَبْغِي بِها ثَرْوَةً ... كُلُّ امْرِئٍ مُسْتَوْدَعٌ مالَهُ
وَالرُّمْحُ لاَ أَمْلأُ كَفِّي بِهِ ... وَاللِّبْدُ لاَ أَتْبَعُ تَزْوالَهُ

قوله: ما لدد، يعنى رجلا، وَدَدٌ فى الأصل هو اللَّهْوُ(١)، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لست من دَدٍ ولا دَدٌ(٢) منى، وقد يكون فى غير هذا الموضع مأخوذا من العادة، وهذه اللام الخافضة تكون مكسورة مع الظاهر ومفتوحة مع المضمر، والفتح أصلها ولكن كُسِرَتْ مع الظاهر خوف اللَّبْسِ بلام الخبر، تقول إنَّ هذا لِزَيْد، فَيُعْلَمُ أنه شىء فى ملك زيد، فإن قلتَ إن هذا لَزَيْدٌ فى الوقف، عُلِمَ قبل الإدْرَاج أنه زَيْدٌ(٣)، ولو فتحتَ المكسورة لم يُعْلَم المِلْكُ من المعنى الآخر فى الوقف، وأما المضمر فبَيِّنٌ فيه، لأن علامة المخفوض غير علامة المرفوع، تقول إنَّ هذا لَكَ وَإنَّ هذا لأَنْتَ.

وقوله: وقد أنعمتُ ما باله، فما زائدة، والبالُ ههنا الحال، وللبال موضع آخر وحقيقته الفِكْرُ، تقول ما خطر هذا على بالى، وقوله مطرقا سامياً، فالسامى الرافع رأسه، يقال سَما يَسْمو إذا ارتفع، والمُطْرِقُ: الساكت المُفَكِّرُ المُنَكِّسُ رَأْسَهُ، فإنما أراد سامِياً بنفسه، وقوله: ذا سِنَةٍ، يقول: كأنه لطول إطراقه فى نَعْسَةٍ، وقوله: كالعبد إذ قَيَّدَ أجماله،

---

(١) وفيه ثلاث لغات: دد على وزن يد، وددا، على وزن عصا، وددن، على وزن بدن، ومن الأخير قول عدى بن زيد:

أيها القلب تعلل بددن ... ان همى فى سماع وأذن

(٢) الرواية: ولا الدد منى، بتعريف الثانى بلام العهد.

(٣) يريد علم أنه مرفوع غير مجرور.

يريد أنه غير مُكْتَرِثٍ لاكتساب المَجْدِ والفضل، وذلك أن العبد الراعى إذا قيَّدَ أجماله لَفَّ رأسهُ ونام حَجْرَةً[1]، وهذا شبيه بقوله:

* واقْعُدْ فإنَّكَ أنْتَ الطاعِمُ الكاسى *

وقوله: فدخنوا المرء وسرباله، يروى أنه طَعَنَ فارساً منهم فأَحْدَثَ، فقال: نَظِّفُوهُ فإنى لا أَدْفِن القتيلَ منكم إلا طاهرا، وقوله: والدرع لا أبغى بها نثرة[2] فالنَّثْرَةُ: الدرعُ السابغة، يقول: دِرْعى هذه تكفينى. وقوله: كل امرئ مُسْتَوْدَعٌ مالَهُ: أى مُسْتَرْهَنٌ بأَجَلِهِ، وهو كقول الأَعْشَى:

كُنْتَ المُقَدَّمَ غيْرَ لابِسِ جُنَّةٍ بالسَّيْفِ تَضْرِبُ مُعْلِماً أبطالها
وعَلِمْتَ أنَّ النفسَ تَلْقَى حَتْفَها ما كَانَ خالقُها الفَضيلُ قَضَى لها

وقوله: الرمح لا أملأ كفى به، يُتأَوَّلُ على وجهين: أحدهما أنّ الرمح لا يملأ كفى وحده، أنا أقاتل بالسيف وبالرُّمْحِ وبالقَوْسِ وغير ذلك. والقول الآخر أنى لا أملأ كفى به، إنما أَخْتَلِسُ به اختلاساً، كما قال الشاعر:

وَمُدَجَّجٍ سَبَقَتْ يَدَايَ لَهُ تَحْتَ الغُبارِ بطَعْنَةٍ خَلْسِ

وقوله: واللبد لا أتبع تزواله، يقول إن انْحَلَّ الحِزامُ فمال اللبد لم أَمِلْ معه، أى أنا فارس ثَبْتٌ.



وقال الفَرَزْدَقُ، ونزل به ذِئْبٌ فأضافه:

وأطْلَسَ عَسَّالٍ وما كان صاحِباً رَفَعْتُ لنارى مَوْهِناً فأتانى

---

(١) حجرة: ناحية. (٢) فى رواية أخرى: لا أبغى بها ثروة.

فَلَمَّا دنا قلتُ اُدْنُ دُونَكَ إنَّنى   وَإيَّاكَ فى زادِى لَمُشْـتَرِكَانِ
فَبتُّ أَقُدُّ الزادَ بينى وبينه   على ضَوْءِ نارٍ مَرَّةً ودُخانِ
وقلتُ له لما تَكَشَّرَ ضاحكا   وقائمُ سَيْفِى من يَدِى بمَكان
تَعشَّ فإِنْ عاهَدْتَنى لا تَخُونُنى   نَكُنْ مِثْلَ مَنْ يا ذِئْبُ يَصْطَحِبَانِ
وَأَنْتَ امْرُؤٌ يا ذِئْبُ وَالْغَدْرُ كُنْتُما   أُخَيَّيْنِ كانا أُرْضِعَا بِلِبانِ
ولو غَيْرَنا نَبَّهْتَ تَلْتَمِسُ القِرى   رماكَ بِسَهْمٍ أو شَبَاةِ سِنانِ

قوله : وأطلسَ عسالٍ ، فالأَطْلَسُ الأَغْبَرُ ، وحدثنى مسعود بن بِشْرٍ قال أنشدنى طاهر بن علِي الهاشِمى قال : سمعت عبد ٱلله بن طاهر بن الحسين ينشد فى صفة ٱلذئب :

بَهْمُ[(١)] بنى مُحارِبٍ مُزْدارُهُ[(٢)]   أَطْلَسُ يُخْفِى شَخْصَهُ غُبارُهُ
☆ فى شِدْقِهِ شَفْرَتُهُ وَنارُهُ ☆

قوله : يخفى شخصه غباره ، يقول : هو فى لون الغبار ، فليس يُتَبَيَّنُ فيه ، وقوله عَسَّال ، فإنما نسبه إلى مِشْيَتِهِ ، يقال : مَرَّ الذِّئْبُ يَعْسِلُ ، وهو مَشْىٌ خفيف كالهَرْوَلَةِ ، قال الشاعر (هو ساعِدَةُ) يَصِفُ رمحا :

لَدْنٌ بِهَزِّ الْكَفِّ يَعْسِلُ مَتْنُهُ   فيه كما عَسَلَ الطريقَ الثعْلَبُ

وقال لَبِيدٌ :

---

(١) البهم : واحدتها بهمة ، وهى الصغيرة من أولاد الغنم ، تقال للذكر والأنثى .

(٢) قال الشيخ المرصفى : مزداره اسم فاعل ازداره ، على بناء افتعل من الزيارة . وهذا سهو من الشيخ المرصفى رحمه الله ، والصواب أنها اسم مفعول .

عَسَلانَ الذئبِ أَمْسَى قَارِبًا   بَرَدَ اللَّيْـــلُ عليه فَنَسَلْ

قال أبو عبيدة : نَسَلَ فى معنى عَسَلَ ، وقال اللّٰه عزَّ وجلَّ : « فَإِذَا هُمْ مِنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ » . وخَفَضَ بهذه الواو[1] لأنها فى معنى رُبَّ ، وإنما جاز أن يُخْفَضَ بها لوقوعها فى معنى رب لأنها حرف خفض ، وهى أعنى الواو تكون بدلا من الباء فى القسم لأن مَخْرجها فى مَخْرَج الباء من الشفَةِ ، فإذا قلت : واللّٰهِ لَأَفْعَلَنَّ ، فمعناه أُقْسِمُ باللّٰه لأفعلنَّ ، فإن حذفتها قلت : اللّٰهَ لأفعلن لأن الفعل يقع على الاسم فينصبه ، والمعنى معنى الباء كما قال اللّٰه عزَّ وجلَّ : « وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقَاتِنَا » وَصَلَ الفعلُ فعَمِلَ ، والمعنى معنى مِنْ لأنها للتبعيض ، فقد صارت الواو تَعْمَلُ بلفظها عَمَلَ الباء ، وتكون فى معناها ، وتعمل عمل رب لاجتماعهما فى المعنى للاشتراك فى المَخْرَج .

وقوله : رفعتُ لنارى ، من المقلوب ، إنما أراد رَفَعْتُ له نارى ، والكلام إذا لَمْ يَدْخله لَبْسٌ جاز القلب للاختصار ، قال اللّٰه عزَّ وجلَّ : « وَآتَيْنَاهُ مِنْ الكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِى القُوَّةِ » والعصبةُ تَنوءُ بالمفاتيح : أى تستقل بها فى ثِقَلٍ ، ومن كلام العرب : إن فلانة لتنوء بها عَجِيزَتُها ، والمعنى لتنوء بعجيزتها ، وأنشد أبو عبيدة للأَخْطَلِ :

أَمَّا كُلَيْبُ بن يَرْبُوعٍ فليس لها   عند التَفاخُرِ إيرادٌ ولا صَدَرُ
مُخَلَّفُونَ وَيَقْضِى الناسُ أَمْرَهُمُ   وَهُمْ بِغَيْبٍ وفى عَمْيَاءَ ما شَعَرُوا
مِثْلُ القَنَافِذِ هَدَّا جُونَ قد بَلَغَتْ   نَجْرَانُ أو بَلَغَتْ سَوآتِهِمْ هَجَرُ

فجعل الفعل للبلدتين على السَّعَة .

---

(١) يريد الواو فى قول الفرزدق : وأطلس عسال .

ويروى أن يونس بن حَبيبٍ قال لأبى الحسن الكسائى : كيف تُنْشِدُ بيت الفَرَزْدَقِ ؟ فأنشده :

غَدَاةَ أَحَلَّتْ لابن أَصْرَمَ طَعْنَةٌ حُصَيْنٍ عَبِيطاتِ السَّدائفِ وَالخَمْرُ[1]

فقال الكسائى لما قال : غداة أحلت لابن أصرم طعنة حصين عبيطات السدائف: تَمَّ الكلام، فَحَمَلَ الخمر على المعنى ، أراد وحَلَّتْ له الْخَمْرُ ، فقال له : يونس : ما أَحْسَنَ ما قلتَ ! ولكن الفرزدق أَنْشَدَنيهِ على القَلْبِ فنصب الطعنةَ ورفع العبيطاتِ والخمر على ما وصفنا من القَلْب ، والذى ذهب إليه الكسائى أحسن فى مَحْضِ العربية ، وإن كان إنشاد الفرزدق جَيِّداً .

وقوله : فلما دنا قلتُ أُدنُ دونك ، أمرٌ بعد أمرٍ . وحَسُنَ ذلك لأن قوله أُدْنُ للتقريب ، وفى قوله : دونك ، أمره بالأكل كما قال جرير لعَيَّاش ابن الزبرقانِ :

أَعَيَّاشُ قد ذاق القُيونُ مَوَاسِمى[2] وأَوْقَدْتُ نارى فادْنُ دونك فاصْطَلِ

(جمع مِيسَمٍ ، وهو حديدة يَصْنَعُ بها البَيْطارُ)[3] ، وقوله : على ضوء نارٍ مرة ودخان ، يكون على وجهين أحدهما على ضوءِ نارٍ وعلى دخانٍ : أى على هاتين الحالتين ارتفعت النار أو خَبَتْ ، وجائز أن يَعْطِفَ الدخان على النار ، وإن لم يكن للدخان ضِياء ، ولكن للاشتراك كما قال الشاعر :

(١) كان حصين بن أصرم نذر أن لا يأكل لحما ولا يشرب خمرا حتى يقتل ابن الجون الكندى ، والسدائف : جمع سديف وهو السنام . والعبيطات : الطرية ، والمعنى أن الطعنة شفته من أعدائه وأحلته من نذره فأكل الطيبات وشرب الصهباء .

(٢) يريد آثار مواسمى . (٣) هو الذى يعالج الدّوابّ .

يَالَيْتَ زَوْجَكِ قد غَدَا مُتَقَلِّدًا سَـيْفاً وَرُمْحًا

لأن معناهما الْحَمْلُ ، وكما قال :

﴿ شَرَّابُ أَلْبَانٍ وَتَمْرٍ وَأَقِطْ ﴾

فأدْخَلَ التمر فى المشروب لاشتراك المأكول والمشروب فى الحُلوقِ ، وهذه الآية تُحْمَلُ على هـذا : « يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُـواظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٍ » . والشُّوَاظُ : اللَّهَبُ لادخان له ، والنُّحاسُ : الدخان ، وهو معطوف على النار ، وهى مخفوضة بالشواظ لما ذَكَرْتُ لك ، قال النابغةُ الجَعْدِىُّ :

تُضِيءُ كَمِثْلِ سِرَاجِ الذُّبا لِ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ فيه نُحاساً

أى دخانا .

وقوله : نكن مثل من يا ذئب يصطحبان (مَنْ يجوز أن تكون نكرة موصوفة تقديره مثل اثنين يصطحبان ، وأن تكون بمعنى الذى ويصطحبان صلته) : فَمَنْ تقع للواحد والاثنين والجميع والمؤنث على لفظ واحد ، فإن شئت حَمَلْتَ خبرها على لفظها فقلتَ : مَنْ فى الدار يُحِبُّكَ ، عَنَيْتَ جميعاً أو اثنين أو واحدا أو مؤنثاً ، وإن شئت حَمَلْتَهُ على المعنى فقلتُ : يُحِبَّانِكَ ، وتُحِبُّكَ إذا عَنَيْتَ امرأة ، ويُحِبُّونَكَ إذا عنيت جميعا ، كل ذلك جائز جيد ، قال اللهُ عزَّ وجلَّ : « وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي » وقال فَحَمَلَ على المعنى : « وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ » . وقرأ أبو عمرو : « وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وتَعْمَلْ صَالِحًا » فَحَمَلَ الأول على اللفظ والثانى على المعنى ، وفى القرآن :

« بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ » فهذا كله على اللفظ ، ثم قال : « وَلاَ خَوفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ » على المعنى .

وقوله : أو شباة سنان ، فالشَّبا وَالشَّباةُ واحد وهو الحَدُّ .



ومما يُستَحْسَنُ فى وصف الجود والحَثِّ على المبادرة به ، وتعريف حمد العاقبة فيه ، قولُ النَّمِرِ بن تَوْلَبٍ العُكْلِيِّ أحد بنى عُكْلِ بن عبد مناة بن أدّ أبن طابخَةَ بن إلْيَاسِ بن مُضَرَ (قال ابن سراج رحمه الله : من رواه إلياس فقد أخطأ ، إنما هو ابن ألْيأْسِ بوصل الألف وكسر السين والألف واللام للتعريف ، والاسم يَأْسٌ مشتق من يَئِسْتُ) :

أَعاذِلَ إنْ يُصْبِحْ صَداىَ بقَفْرَةٍ ... بَعيداً نآنى صاحبى وقريبى
تَرَىْ أنّ ما أَبْقَيْتُ لم أَكُ رَبَّهُ ... وأنّ الذى أنْفقْتُ كَان نصيبى
وذى إبلٍ يَسْعَى ويَحْسِبُها له ... أخى نَصَبٍ فى رَعْيِها ودُؤوبِ
غدَتْ وغدَا رَبٌّ سِوَاه يَقودُها ... وبُدِّلَ أحجاراً وجال قَليبِ

قوله : إن يصبح صداى بقفرة ، فالصَّدَى على ستة أوجه : أحدها ما ذكرنا[1] ، وهو ما يبقى من الميت فى قبره ، والصَّدَى الذَّكَرُ من البُوم . قال ابن مُفرِّغ (اسمه ربيعةُ وسمى مفرِّغا لأنه شَرِبَ سِقاءين ففَرَّغهما) :

وشَرَيْتُ[2] بُرْدًا ليتنى ... من بَعْدِ بُرْدٍ كنتُ هامَه

(١) أى ما أراده الشاعر . (٢) شريت : معناها بعت .

هَتَّافةً تَدْعو صَـــدًى بين المُشَقَّرِ واليَمَامَهْ

ويقال فلان هامةُ اليومِ أو غَدٍ : أي يموت في يومه أو في غَدِهِ ، ويقال ذلك للشيخ إذا أَسَنَّ ، والمريض إذا طالت عِلَّتُهُ ، والمُحْتَقِرُ لِمُدَّةِ الآجال(١) (رواية عاصِمِ بن أيُّوبَ رحمه الله برفع المحتقر يرفعه بالابتداء ويُضْمِرُ الخبر، فيكون التقدير والمحتقرُ لمدة الآجال يقال ذلك له ، ورواية ابن سِراج بالخفض على العطفِ) . وفي الحديث أن حِسْلاً أبا حُذَيْفَةَ بن حِسْلِ ابن اليمان قال لشيخ آخر تَخَلَّفَ معه في غَزْوةِ أُحُدٍ : انْهَضْ بنا نَنْصُرْ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنما نحن هامةُ اليومِ أو غَدٍ ، وكانا قد أَسَنَّا (حِسْلٌ أبو حُذَيْفَةَ : هو حِسْلُ بن جابر ، وهو اليمان أبو حذيفة ابن اليمان ، والشيخ الذي تخلف معه : ثابت بن وَقْشٍ الأنصاريُّ) . والصَّدَى : حُشْوةُ الرأس ، يقال لذلك الهامةُ والصَّدَى ، وتأويل ذلك عند العرب في الجاهلية أن الرجل كان عندهم إذا قُتِلَ فلم يُدْرَكْ بِهِ الثَّأْرُ أنه يخرج من رأسه طائر كالبُومة وهي الهامةُ ، والذكر الصَّدَى ، فيَصيح على قبره : اسْقوني اسْقوني ! فإن قُتِلَ قاتله كَفَّ ذلك الطائر . قال ذو الإِصْبَعِ العَدْوانيُّ أَحَدُ بني عَدْوان بن عمرو بن قَيْسِ بن عَيْلانَ بن مُضَرَ (هو حُرْثانُ بن مُحَرِّثٍ ، سمي بذي الإصبع لأنه كان له إصبع زائدة ، وقيل لأن حية عضته في إصبعه) :

يا عَمْرُو إلاَّ تَدَعْ شَتْمِي وَمَنْقَصَتِي أَضْرِبْكَ حَيْثُ تَقُولُ الهامةُ اسْقوني

(١) أي الذي لايبالي الموت .

وَالصَّدَى ما يَرْجِعُ عليك من الصوت إذا كنت بمُتَّسَعٍ من الأرضِ ، أو بقُرْبِ جبل ، كما قال :

إنِّى على كُلِّ إيسارِى ومَعْسُرَتى أَدْعو حُنَيْفًا كما تُدْعَى ابنةُ الجَبَلِ

يعنى الصَّدَى ، وتأويله أنه يجيبنى فى سرعة إجابةِ الصَّدَى ، وقال آخر :

كَأَنِّى إذْ دَعَوْتُ بنى سُلَيْمٍ دَعَوْتُ بِدَعْوَتى لَهُمُ الجِبالا

والصَدَأُ مهموز: صَدَأُ الحديد وما أشبهه ، قال النابغة الذُّبيانى :

سَهِكِينَ[1] مِنْ صَدَإِ الحديدِ كَأَنَّهُمْ تَحْتَ السَّنَوَّرِ[2] جِنَّةُ البَقَّارِ[3]

وقال الأَعْشَى :

فَأَمَّا إذَا ركِبوا فالوُجو هُ فى الرَّوْعِ مِنْ صَدَإِ البَيْضِ حُمّ[4]

والصَّدَى مصدر الصَّدِى ، وهو العطشان ، يقال صَدِىَ يَصْدَى صَدًى ، وهو صَدٍ ، قال طَرَفَةُ :

* سَتَعْلَمُ إنْ مِتْنا صَدًى أَيُّنَا الصَّدِى *

(ويروى صَدَى أَيِّنا بخفض أينا على الإضافة ، فَصَدَى على هذه الرواية يرتفع بالابتداء والصَّدِى الخبر) . وقال القُطامى :

فَهُنَّ يَنْبِذْنَ من قولٍ يُصِبْنَ به مَوَاقِعَ الماءِ من ذى الغُلَّةِ الصادى

تأويل قوله : نآنى ، يكون على ضربين ، يكون أَبْعَدَنى ، وأحسنُ ذلك أن يقول أنآنى ، وقد رُوِيَتْ هذه اللغة الأخرى ، وليست بالحَسَنةِ ،

---

(١) من السهك — بالتحريك — وهو ريح كريهة من عرق أو صدأ حديد .

(٢) السنور : الدروع . (٣) جنه البقار : موضع برمل عالج تسكنه الجن فيما يزعمون .

(٤) جمع أحمّ ، وهو الأسود .

وإنما جاءت فى حروف : يقال غاضَ الماء وغِضْتُهُ ، وَنَزَحَتِ البئرُ ونَزَحْتُها ، وَهبطَ الشئُ وَهبَطْتُهُ ، وبنو تميم يقولون : أَهْبَطْتُهُ ، وَأَحْرُفٌ سوى هذه يسيرة ، والوجه فى فعلَ أَفعَلْتُهُ ، نحو دَخلَ وَأَدْخلتُهُ ، ومات وأماتَهُ اللّٰه ، فهذا الباب المُطَّرِدُ ، ويكون نآنى فى موضع نأى عنى كما قال اللّٰه عزَّ وجلَّ : «وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَزَنُوهُم يُخْسِرُونَ» أى كالوا لهم أو وزنوا لهم .

وقوله : ودُؤُوبِ ، يقول وَإلْحَاحٍ عليه ، تقول : دَأَبْتُ على الشىء ، قال الشاعر (هو الراعى) :

دَأَبْتُ إلى أَنْ يَنْبُتَ الظِلُّ بعْدَ مَا ... تقَاصرَ حتى كَادَ فى الآلِ يَمْصَحُ

وقوله جلَّ ثناؤه : « كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ » يقول : كعادتهم وَسُنَّتِهِمْ ، ومثله الدَّيْنُ والديْدَنُ ، وقد مَرَّ هذا .

وقوله : وَبُدِّلَ أحجارا وجالَ قليبِ ، فالجالُ الناحية ، يقال لكل ناحية من البئرِ والقبرِ وما أشبه ذلك : جالٌ وجُولٌ ، وقال مُهَلْهِلٌ :

كَأَنَّ رِمَاحَهُمْ أشطانُ[1] بئرٍ ... بعيدٍ بَيْنُ جاليْهَا جَرُورِ[2]

ويقال رجل ليس له جُولٌ : أى ليس له عقل ، وهذا الشعر نظير قول حاتم الطائى :

أَمَاوِىَّ إِنْ يُصْبِحْ صَدَاىَ بِقَفْرَةٍ ... من الأرضِ لاماءٌ لَدَىَّ ولا خَمْرُ

تَرَىْ أَنَّ مَا أَبْقَيْتُ لم أَكُ رَبَّهُ ... وَإِنَّ يَدِى مما بَخِلْتُ به صِفْرُ

---

(١) جمع شطن ، وهو الحبل الشديد الفتل .

(٢) جرور نعت للبئر وهى التى يبعد عمقها حتى يجرّ دلوها على شفيرها .



وقال الحرث بن حلِّزَةَ اليَشْكُرِىُّ فى هذا المعنى :

قُلْتُ لِعَمْرٍو حين أَرْسَلْتُهُ   وَقَدْ حَبا من دُونِنا عالِجُ
لاتَكْسَعِ الشَّوْلَ بِأَغْبارِها   إنَّكَ لاتَدْرِى مَنِ النّاتِجُ
وَاصْبُبْ لأَضيافِكَ أَلْبانَها   فَإِنَّ شَرَّ اللَّبَنِ الوالِجُ

قوله : لاتكسع الشَّول بأغبارها ، فإن العرب كانت تَنْضَحُ على ضُروعها المَاءَ البارِدَ ليكونَ أَسْمَنَ لأولادها التى فى بطونها ، والغُبْرُ : بقية اللبن فى الضَّرْعِ ، فيقول : لاتُبْقِ ذلك اللبنَ لِسِمَنِ الأولاد ، فإنك لاتدرى من يَنْتِجُها فلعلك تموت ، فتكونُ للوارث أو يُغارُ عليها .

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : يقول ابن آدم مالى مالى ! ومالَكَ من مالِكَ إلا ما أكلتَ فأفْنَيْتَ ، أو لَبِسْتَ فأبْلَيْتَ ، أو أعطيتَ فأمْضَيْتَ .

ويروى عن بعضهم أنه قال : إنى أُحِبُّ البقاء ، وكالبقاء عندى حُسْنُ الثناء ، وأنشد أبو عثمان عمرو بن بَحْرٍ الجاحِظُ :

فإذا بَلَغْتُم أَرْضَكُمْ فَتَحَدَّثوا   ومن الحديث مَتالِفٌ وخُلودُ

وأنشد :

فأثنُوا عَلَيْنا لا أَبا لأَبيكُمُ   بأفعالنا إنَّ الثناء هُوَ الخُلْدُ



وقال معاوية لابن الأَشْعَثِ بن قَيْسٍ : ما كان جَدُّكَ قَيْسُ بن

مَعْدِي كَرِبَ أَعْطَى الأَعْشَى ؟ فقال أعطاه مالاً ، وظَهْرًا ، ورَقِيقًا ، وأشياءَ أُنْسِيتُهَا ، فقال معاوية : لكن ما أعطاكم الأعشى لا يُنْسَى !

وقال عمر بن الخطّاب رضى الله عنه لابنة هَرِم بن سِنانٍ المُرِّيّ : ما وَهَبَ أبوكِ لزُهَيرٍ ؟ فقالت : أعطاه مالاً وأثاثا أفناه الدهر ! فقال عمر : لكن ما أعطاكموه لا يُفْنِيه الدَّهْرُ .

وقال المفسرون فى قول الله عزّ وجل عن إبراهيم صلوات الله عليه : « واجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِى الآخِرِينَ » : أى ثناءً حسناً ، وفى قوله تعالى : « وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى الآخِرِينَ سَلَامٌ عَلَى إبْرَاهِيمَ » : أى يقال له هذا فى الآخرين ، والعرب تَحْذِفُ هذا الفعل من قال ويقول استغناءً عنه ، قال الله عزّ وجلّ : « فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ » . أى فيقال لهم ، ومثله : « وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى » : أى يقولون ، وكذلك : « وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ » .

(حدثنا يَموتُ[1] بن المُزَرَّعِ البصرىُّ قال حدثنا رَفيعُ بن سَلَمَةَ المُنَبَّزُ[2] بدماذَ قال : حدثنا أبو عُبَيْدَةَ قال : قال الحَجّاجُ يوما لعمائر[3] العرب وهم فى مجلسه : ما أَحْسِبُ هذا المَزُونىّ[4] يُنَاصِحُنَا فى حَرْبِنَا – يعنى

---

(١) قال الشيخ المرصفى : هذه الحاشية من وضع من تأخر من رواة الكامل .

(٢) أى الملقب من النبز وهو التلقيب ، وأكثر مايستعمل فى الذم .

(٣) جمع عمارة بفتح العين وتكسر ، وهى أصغر من القبيلة .

(٤) نسبة إلى المزون ، وهو اسم لأرض عمان .

المُهَلَّبَ - والرأيُ مشتركٌ ، فقالوا : الرأيُ للأمير أصلحه اللهُ أن يَكْتُبَ إلى ابن الفُجاءة بإطعامه بَعْضَ الْأَرَضِين ، فإذا هو نَخَعَ بطاعته وأَظْهَرَ الدعوة له سَهُلَتِ الحِيلةُ فيه ، فقال : وفقكِ اللهُ ! وكتب إلى ابن الفُجَاءة ، وأنفذه على يد الغَضْبَانِ بن القَبَعْثَرَى الشيباني - نسخة الكتاب :

« بسم الله الرحمن الرحيم : من الحجاج بن يوسف إلى قَطَرِيِّ بن الفُجاءةِ، سلامٌ عليك ، المُوَحِّدُ اللهُ ، والمُصَلَّى عليه محمدٌ عليه السلام ، أما بعد فإنك كنتَ أعرابيًا بَدَوِيًّا تَسْتَطْعِمُ الكِسْرَةَ ، وَتَخِفُّ إلى التَّمْرَة ، ثم خرجْتَ تُحَاوِلُ ما ليس لك بحق ، واعترضتَ على كتاب الله ، ومَرَقْتَ من سُنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فَارْجِع عما أنتَ عليه بما زُيِّنَ لك ، وادعني فقد آن لك» .

فلما أوْصَلَ الغضبانُ الكتاب إلى قَطَرِيّ قال : يا غلام ، ازْبُرْه[1] هذه الصحيفةَ ، فتلا عليه ما فيها فتَنَهَّدَ قطريُّ الصُّعَدَاء ، فقال : يا غضبان أَلْفَيْتَنِي محزونًا ، وأنشأ يقول :

فيا كَبِدًا من غير جوع ولا ظَما ويا كَبدًا من وَجْدِ أُمِّ حكيم
فلوشَهِدَتْنِي يَوْمَ دُولاب[2] أبصَرَتْ طِعانَ فَتًى في الحرب غَيْرِ لَئِيم
غَداةَ طفَتْ عَلْماء[3] بَكْرُ بنُ وائلٍ وعُجْنا صُدورَ الخيلِ نحوَ تَميم
وكَان بعبد القَيْس أوَّلُ حَدِّها وآب عَميدُ الْأَزْدِ غَيْرَ ذَميم

(١) أي اقرأ ، وأكثر ماتستعمل في الكتابة .
(٢) دولاب - بفتح الدال وتضم - قرية بينها وبين الأهواز أربعة فراسخ .
(٣) على الماء .

يعنى المُهَلَّبَ . وأمُّ حكيم[1] هذه امرأة من الخوارج قُتِلَتْ بين يديه ، ثم قال : يا غلام ، اُكْتُبْ :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من قَطَرِىّ بن الفُجاءةِ إلى الحجاج ابن يوسف ، سَلامٌ على من اتَّبعَ الهُدَى ، ذكرتَ فى كتابك أنى كنتُ بَدَوِيًّا أستطعم الكِسْرَةَ ، وأبْدُرُ إلى التمرة ، وبالله لقد قلتَ زُوراً ، بل الله بَصَّرَنى من دينه ما أعْمَاكَ عنه ، إذ أنتَ سائحٌ فى الضلالة ، غَرِقٌ فى غَمراتِ الكُفْرِ ، ذكرتَ أن الضرورة طالت بى ، فهلاَّ بَرَزَ لى من حِزْبكَ مَنْ نالَ الشِبَعَ ، واتَّكأ فاتَّدَعَ ؟ أمَا واللهِ لئِنْ أبْرزَ الله صَفْحَتَكَ ، وأظْهرَ لى صُلْعَتَكَ ، لتُنْكِرَنَّ شِبَعَكَ ، ولَتَعْلَمَنَّ أنّ مُقارعةَ الأبْطال ، ليس كتسطير الأمثال » .

---

(١) كانت من الشجاعة بمكان ، وكانت تحمل على الناس وهى ترتجز :

أحمل رأسا قد سئمت حمله   وقد مللت دهنه وغسله

* ألا فتى يحمل عنى ثقله *

باب

قال أبو العباس : قال عليٌّ بن أبي طالب رضي ٱللّٰه عنه في خُطْبَة له :

أيها الناس ، ٱتقوا ٱللّٰه ٱلذي إن قلتم سَمِعَ ، وإن أضمرتم عَلِمَ ، وبادِرُوا الموتَ ٱلذي إِنْ هَرَبْتُم منه أدرككم ، وإن أقمتم أخَذَكم .

قال : وحدثني التَّوَّزِيُّ في إسناد ذكره آخرهُ عبد المَلِكِ بن عُمَيْرٍ اللَّيْثِيُّ ، قال : بينا نحن في المسجد الجامِعِ بالكوفة ، وأهلُ الكوفة يومئذ ذَوُو حالٍ حَسَنةٍ ، يَخْرُجُ الرجلُ منهم في العشرة والعشرين مِنْ مَوَاليه إذْ أتى آتٍ فقال : هذا الحجاج قد قَدِمَ أميراً على العراق ! فإذا به قد دخل المسجد مُعْتَمّاً بِعمامة قد غَطَّى بها أكثر وجهه ، مُتَقَلِّداً سيفا[1] ، مُتَنَكِّباً قوسا[2] ، يَؤُمُّ المِنْبَرَ ، فقام الناس نحوه ، حتى صَعِدَ المنبر ، فمكث ساعة لايتكلم ، فقال الناس بعضهم لبعض : قَبَّحَ ٱللّٰه بني أُمَيَّةَ حيث تَسْتَعْمِلُ مثل هذا على العِراق ! حتى قال عُمَيْرُ بن ضابِئٍ البُرْجُمِيُّ : ألاَ أَحْصِبُهُ لكم ؟ فقالوا : أَمْهِلْ حتى نَنْظُرَ ، فلما رأى عيون الناس إليه حَسَرَ ٱللِّثَامَ عن فِيه ونهض فقال (هو لِسُحَيْمِ بن وَثِيلٍ الرِّيَاحِيِّ[3]) :

أَنَا ٱبْنُ جَلاَ وَطَلاَّعُ الثَّنايا ... مَتَى أَضَعِ العِمامةَ تَعْرِفُوني

(١) تقلد السيف : حمله . (٢) تنكب القوس : حملها على منكبه .

(٣) لاموجب لهذه الكلمة لأن المبرد سينسب البيت إلى سحيم .

ثم قال : ياأهل الكوفة ، إنى لأرَى رءوسا قد أينَعَتْ وحان قِطافُها ، وإنى لَصَاحِبُهَا ، وكأنى أنظر إلى الدِّماء بين العمائم واللِّحَى ، ثم قال (الشعر لرُوَيْشِدِ بن رُمَيْضٍ الْعَنْبَرِيِّ) :

هذا أوانُ الشَّدِّ فاشْتَدِّى زِيَمْ قد لَفَّها الليلُ بِسَوَّاقٍ حُطَمْ
ليس براعى إبِلٍ وَلاَ غَنَمْ وَلاَ بِجَزَّارٍ على ظَهْرِ وَضَمْ

ثم قال :

قد لَفَّها اللَّيْـــلُ بِعَصْلَبِيّ أَرْوَعَ خَرَّاجٍ من الدَّوِّيّ
* مُهاجِرٍ ليس بِأَعْرَابِيّ *

وقال :

قد شَمَّرَتْ عن ساقها فَشُدُّوا وجَدَّتِ الحربُ بكم فَجِدُّوا
وَالْقَوْسُ فيها وَتَرٌ عُرُدُّ مثلُ ذِراعِ البَكْرِ أو أَشَدُّ
* لا بُدَّ مما ليس منه بُدُّ *

إنى واللهِ ياأهل العراق ما يُقَعْقَعُ لى بالشِّنان ، وَلاَ يُغْمَزُ جانبي كَتَغْمَازِ التِّينِ ، ولقد فُرِرْتُ عن ذكاء ، وَفُتِّشْتُ عن تَجْرِبَةٍ ، وإن أمير المؤمنين - أطال اللهُ بقاءه - نَثَرَ كِنَانَتَهُ بين يديه فَعَجَمَ عِيدَانها فوجدنى أَمَرَّهَا عُوداً ، وأصلبَها مَكْسِرًا ، فرماكم بى ، لأنكم طال ما أَوْضَعْتُم فى الفتنة ، واضطجعتم فى مَرَاقِدِ الضلال ، واللهِ لأَحْزِمَنَّكُم حزمَ السَّلَمَةِ ، وَلأَضربنكم ضرب غَرَائب الإِبل ، فإنكم لَكَأَهْلِ قرية كانت آمِنَةً مطمئنةً يأتيها رزقُها رَغَدًا من كل مكان فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ فَأَذَاقَهَا اللهُ لباس الجوع والخوف بما كانوا يَصْنَعُونَ ، وإنِّى واللهِ ما أقول إلاَّ وَفَيْتُ ، ولا أَهُمُّ

إلا أمْضَيْتُ ، ولا أخْلُقُ إلا فَرَيْتُ ، وإن أمير المؤمنين أمرني بإعطائكم أعْطِياتِكم ، وأن أوَجِّهَكم لمحاربة عدوِّكم مع المُهلَّبِ ابن أبي صُفْرَةَ ، وإنِّي أُقسِمُ باللّٰه لا أجدُ رجلاً تخلَّفَ بعد أخذ عطائِهِ بثلاثة أيام إلا ضربتُ عُنُقَهُ ! يا غلام اقْرأْ عليهم كتابَ أمير المؤمنين ، فقرأ : « بسم اللّٰه الرحمن الرحيم : من عبد اللّٰه عبد الملك أمير المؤمنين إلى مَنْ بالكوفة من المسلمين سلامٌ عليكم » فلم يَقُلْ أحد منهم شيئاً . فقال الحجاج : اُكففْ ياغلامُ ، ثم أقبَلَ على الناس ، فقال : أَسَلَّمَ عليكم أمير المؤمنين ، فلم تَرُدُّوا عليه شيئاً ؟ هذا أدَبُ ابن أنهيَةَ ، أمَا واللّٰهِ لأؤدِّبنَّكم غيرَ هذا الأدب أو لتَسْتَقيمُنَّ ! اقْرَ ياغلامُ كتاب أمير المؤمنين ، فلما بلغ إلى قوله : « سلامٌ عليكم » لمْ يَبْقَ في المسجد أحد إلا قال : وعلى أمير المؤمنين السلام ! (زعم أبو العباس أن ابن نِهْيَةَ رجلٌ كان على الشُّرْطةِ بالبَصْرةِ قبل الحجاج) .

ثم نَزَلَ فوَضَعَ للناس أعْطِيَاتِهِمْ فجعلوا يأخذُون حتى أتاه شيخ يرْعشُ كِبَرًا ، فقال : أيها الأمير ، إني من الضَّعْفِ على ما تَرَى ، ولي ابنٌ هو أقْوَى على الأسْفار مني فتَقبَّلْهُ بَدَلاً مني ، فقال له الحجاج : نَفْعلُ أيها الشيخ ، فلما وَلَّى قال له قائل : أتَدْرِي من هذا أيها الأمير ؟ قال : لا . قال : هذا عُمَيْرُ بن ضابِئٍ البُرْجُمِيُّ الذي يقول أبوه :

هَمَمْتُ وَلمْ أفْعَلْ وَكِدْتُ وليتَني تَرَكتُ على عثمان تَبْكِي حَلائلُه

ودخل هذا الشيخ على عثمان مقتولاً فَوَطِئَ بطنَهُ فكسر ضِلَعَيْنِ من

أَضْلاَعِهِ ، فقال : رُدُّوهُ ! فلما رُدَّ ، قال له الحجاج : أيها الشيخ هلا بَعَثْتَ إلى أمير المؤمنين عثمانَ بَدَلاً يوم الدار ! إن فى قتلك أيها الشيخ لَصلاحًا للمسلمين ، يا حَرَسِيُّ اضربَنْ عنقه . فجعل الرجل يَضيقُ عليه أمره فيرتحل ، ويأمر وليّه أن يَلْحقَهُ بزاده ، ففى ذلك يقول عبد الله بن الزَّبِيرِ الأَسَدِيُّ (الأَسَدِىُّ أَسَدُ خُزَيمَةَ ، وليْسَ من أَسَدِ قُرَيْشٍ) :

تَجَهَّزْ فإِمَّا أَنْ تَزُورَ ابْن ضابِئٍ عُمَيْرًا وَإِمَّا أَنْ تَزُورَ الْمُهَلَّبا
هما خُطَّتا خَسْفٍ نَجاؤُكَ منهما رُكوبُكَ حَوْلِيًّا من الثَّلْجِ أَشْهَبا
فَأَضْحَى ولو كانَتْ خُراسانُ دونه رآها مكانَ السُّوقِ أو هِىَ أَقْرَبا

(دونه الهاء عائدة على المهلب ، وأقربا ظرفٌ ، وقيل مفعول ثان) . قوله : أنا ابن جلا ، إنما يريد المُنْكَشِفَ الأمْرِ ، ولم يصرف « جلا » لأنه أراد الفعل[1] فحكى ، والفعل إذا كان فاعله مضمراً أو مظهراً لم يكن إلا حكاية كقولك : تَأَبطَ شَرًّا ، وكما قال الشاعر :

كَذَبتم وَبَيْتِ اللهِ لا تَأْخُذُونَها[2] بَنِى شابَ قَرْناها[3] تَصُرُّ[4] وَتَحْلُبُ

وتقول : قرأت « اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ » لأنك حَكَيْتَ ، وكذلك الابتداء والخبر تقول : قرأتُ « الْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » . وقال الشاعر :

وَاللهِ مَا زَيْدٌ بنامَ صاحِبُهْ (ولا مُخالِطِ اللَّيانِ جانِبُه)

---

(١) الصواب : أراد الفعل والفاعل . (٢) رواية سيبويه : لا تنكحونها .

(٣) القرنان : الضفيرتان .

(٤) تصر : تربط ضرع الحلوبة بالصرار حين ترسلها إلى المرعى .

وقوله : ٭ أَنَا أَبْنُ جَلاَ وَطَلاَّعُ الثَّنَايَا ٭

لسُحَيْمِ بن وَثِيلٍ الرِّيَاحِيّ ، وإنما قاله الحجاج متمثلا ، وقوله : وطلاعُ الثَّنايا ، الثنايا: جمع ثَنِيَّةٍ ، والثَّنيةُ الطريق فى الجبل ، والطريقُ فى الرمل يقال له الخَلُّ ، وإنما أراد به أنه جَلْدٌ يَطْلُعُ الثَّنايا فى ارتفاعها وصُعوبتها ، كما قال دُرَيْدُ بن الصِّمَّة يعنى أخاه عبد الله :

كَمِيشُ الإزارِ[1] خارجٌ نِصْفُ ساقِهِ بَعِيدٌ من السَّوْآتِ[2] طَلاَّعُ أَنْجُدِ

والنَّجْدُ : ما ارتفع من الأرض ، وقد مَضى تفسيرُ هذا .

وقوله : إنى لأرى رءوسا قد أينعت ، يريد أدْرَكَتْ ، يقال أَيْنَعتِ الثمرةُ إيناعًا وَيَنَعَتْ يَنْعًا وَيُنْعًا ، وَيُقْرَأُ « أُنْظُرُوا إلى ثمره إذا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ » وَيُنْعِهِ ، كلاهما جائز .

قال أبو عبيدة : هذا الشعر يُخْتَلَفُ فيه فبعضهم ينسبه إلى الأَحْوصِ وبعضهم ينسبه إلى يزيد بن معاوية (قال أبو الحسن الصحيح أنه ليزيد يصف جارية) وهو :

ولها بالماطِرِين[3] إذا أَكَلَ النَّمْلُ الذى جَمَعَا
خُرْفَةٌ حتى إذا رَبَعَتْ سَكَنَتْ من جِلَّقٍ بِيَعَا
فى قِبابٍ حَوْلَ دَسْكَرَةٍ حَوْلَها الزَّيْتونُ قد يَنَعا

---

(١) مشمره ، كناية عن المضاء .

(٢) رواية الأصمعى : صبور على العزّاء — والعزّاء : الشدة .

(٣) اسم موضع بالشام قرب دمشق . وأعرب اعراب الجمع كما كان قبل التسمية .

(قال أبو الحسن : أول هذه الأبيات :

طال هـــذا الهمُّ فاكْتَنَعا وأمَرَّ النومُ فامْتَنعا

وبعد هذا ما أنشده أبو العباس ، ويروى بالمـاطرون الرواية المشهورة بفتح النون[1] ويروى بكسرها) .

قال أبو العباس وقوله : هذا أوانُ الشَّدِّ فاشْتَدِّى زِيَمْ[2] ، يعنى فرساً أو ناقة ، والشعر للحُطَمِ القَيْسِىِّ[3] . وقوله : قد لَفَّهَا الليلُ بسوَّاق حُطَمْ ، فهو ألذى لا يُبْقِى من السيرِ شيئاً ، ويقال رجل حُطَمٌ للذى يأتى على الزاد لشدة أكله ، ويقال للنار التى لا تُبْقِى حُطَمةٌ ، وقوله : على ظهرِ وَضَمْ فالوَضَمُ : كل ما قُطِعَ عليه اللحم . قال الشاعر (هو عُمَرُ بن أبى رَبيعة) :

وفِتيانِ صِدْقٍ حِسانِ الوُجو هِ لاَ يَجِدُونَ لِشىء أَلَمْ

مِن آلِ المُغيرِة لا يَشهدو نَ عِنْدَ المجازرِ لَحْمَ الْوَضَمْ

وقوله : قد لفها ألليلُ بِعَصْلَبِىٍّ : أى شديد ، وَأَرْوَعَ : أى ذَكِىٌّ ، وقوله : خَرَّاجٍ من الدَّوِّىِّ ، يقول خَرَّاج من كل غَمَّاءٍ شديدةٍ : (غمَّا مقصورٌ رواية عاصِم) ، ويقال للصَحْراء دَوِّيَّةٌ ، وهى التى لاتكاد تَنْقَضِى ، وهى منسوبة إلى الدَّوِّ ، والدَّوُّ : صَحْراءُ مَلْساءُ لاَعَلَمَ بهَا ولا أَمارةَ ، قال الحُطَيْئةُ (يصف خيالهـا وأنَّثَ على معنى المرأة) :

وَأَنَّى اهْتَدَتْ والدَّوُّ بينى وبينَها وماخِلْتُ سارىَ اللَّيْلِ بالدَّوِّ يَهْتَدِى

والداوِيَّةُ : المتسعة التى تَسْمَعُ لهـا دَوِيًّا بالليل ، وإنمـا ذلك الدَّوِىُّ من

(١) مع لزوم الواو . (٢) يريد . يازيم ، فحذف حرف النداء .
(٣) سبقت نسبته إلى رويشد بن رميض .

أَخْفَافَ الإِبل تَنْفَسِحُ أصواتها فيها ، وتقول جَهَلَةُ الأَعْرَابِ: إن ذلك عَزِيفُ الجِنِّ ، وقوله : والقوسُ فيها وَتَرٌ عُرُدٌ ، فهو الشديد ، ويقال عُرُنْدٌ فى هذا المعنى .

وقوله : إنى واللّٰه مَا يُقَعْقَعُ لى بالشِّنان ، واحدها شَنٌّ ، وهو الجِلْدُ اليابس ، فإذا قُعْقِعَ[1] به نَفَرَتِ الإِبل منه ، فَضَرَبَ ذلك مَثَلاً لنفسه[2] ، وقال النابغة الذُّبْيَانىُّ :

كأنك من جِمَالِ بنى أُقَيْشٍ　　　يُقَعْقَعُ بين رجليه بِشَنِّ

(أُقَيْشٌ: حَىٌّ من عُكل) وقوله : ولقد فُرِرْتُ[3] عن ذَكاء ، يعنى تمام السن[4] ، والذَّكاءُ على ضربين : أحدهما تمام السِنّ ، والآخر الحِدَّةُ حِدَّةُ الْقَلْبِ ، فما جاء فى تمام السن قول قَيْسِ بن زُهَيْرٍ : جَرْىُ المُذَكِّيَاتِ[5] غِلابٌ : (ويروى غلاء) . وقال زُهَيرٌ :

يُفَضِّلُهُ إذا اجْتَهَدا عليه　　　تَمامُ السِنِّ منه وَالذَّكاءُ

وقوله : فَعَجَمَ عيدانها ، يقول: مَضَغَها لينظر أَيُّها أَصْلَبُ ، يقال عَجَمْتُ العود: إذا مضغته ، وكذلك فى كل شيء ، قال النابغة :

فَظَلَّ يَعْجُمُ أعلى الرَّوْقِ مُنْقَبِضًا　　　فى حالِكِ اللونِ صَدْقٍ غيرِ ذى أَوَدِ

---

(١) القعقعة : حكاية أصوات الجلود اليابسة وهى أيضا حكاية أصوات السلاح .

(٢) يعنى أنه لا يخدع ولا يروّع .

(٣) مستعار من فررت أسنان الدابة: إذا كشفت عن أسنانها لتنظر ماسنها .

(٤) أى بلوغ السن التى ينضج فيها العقل .

(٥) المذكيات الخيل التى أسنت .

والمصدر العَجْمُ ، يقال عَجَمْتُهُ عَجْماً ، ويقال لنَوَى كلِّ شىء عَجَمٌ[1] مفتوح ومن أسكن فقد أخطأ ، كما قال الأعْشَى :

(غَزَاتُكَ بِالْخَيْلِ أَرْضَ العَدُوِّ)   وَجُذْعَانُهَا كَلَقِيطِ العَجَمْ

وقوله : طال ما أوضعتم فى الفتنة ، الإِيضاعُ : ضَرْبٌ من السَّيْرِ ، وقوله :

* فأضْحَى ولو كانت خراسانُ دونه *

يعنى دون السفر[2] رآها مكان السُّوقِ للخوف والطاعة .



وكان من قصة عمير بن ضابىء أن أباه ضَابِئَ بن الحرثِ البُرْجُمِىَّ وَجَبَ عليه حبس عند عثمان رحمهُ اللهُ وَأَدبٌ ، وذلك أنه كان استعار من قوم كلبا فأعاروه إياه ، ثم طلبوه منه ، وكَان فَحَّاشاً فرمى أُمَّهُمْ به ، فقال فى بعض كلامه :

وَأُمَّكُمُ لا تتْرُكوها وَكَلْبَكُم   فإِنَّ عُقوقَ الوالداتِ كَبِيرُ

فاضْطَغَنَ على عثمانَ ما فعلَ به ، فلما دُعِيَ به ليُؤَدَّبَ شَدَّ سِكِّيناً فى ساقه ليقتل بها عثمان فَعُثِرَ عليه فأَحْسَنَ أَدَبَهُ ، ففى ذلك يقول :

وقائلةٍ إِنْ مَاتَ فى السجْنِ ضابئٌ   لَنِعْمَ الْفَتَى تَخْلُو به وتُواصِله

وقائلةٍ لاَ يَبْعَدَنْ ذلك الْفَتى   وَلاَ تَبْعَدَنْ أخلاقه وشمائِلُه

وقائلةٍ لاَ يُبْعِدِ اللهُ ضابئاً   إِذِ الكَبْشُ لم يوجد له مَنْ يُنَازِلُه

وقائلةٍ لا يُبْعِدِ اللهُ ضابئاً   إِذِ الخَصْمُ لم يوجد له مَنْ يُقاوِلُه

(١) والواحدة عجمة . (٢) أى قريبة من موضع سفره .

فلا تُتْبِعيني إنْ هلكْتُ ملامةً … فليس بعارٍ قَتْلُ مَنْ لا أقاتله[١]
هَمَمْتُ ولم أَفْعَلْ وَكِدْتُ وليتني … تَرَكْتُ على عُثمانَ تَبْكِى حلائلُه
وما الفَتْكُ ما آمَرْتَ فيه[٢] ولا الذى … تُخَبِّرُ مَنْ لاقَيْتَ أنك فاعِلُه



قال أبو العباس: وشبيه بقوله ما حُدِّثنا به عن أبى شَجَرَةَ السُّلَمِىّ، وكان من فُتَّاكِ العرب (أبو شجرة هو عمرو بن عبد العُزَّى وأُمُّهُ الخَنْساء، وقال الطبرى: اسمه سَلِيمُ بن عبد العزّى) فأتى عُمَرَ بن الخطَّاب رحمه اللّٰه يَسْتَحْمِلُه[٣]. فقال له عمر: ومن أنت؟ فقال: أنا أبو شجرة السلمى، فقال له عمر: أى عُدَىَّ نَفْسِهِ، أَلَسْتَ القائلَ حيث ارْتَدَدْتَ[٤]:

وَرَوَّيْتُ رُمْحِى من كَتيبةِ خالدٍ … وَإِنِّى لأَرْجُو بعدها أَنْ أُعَمَّرَا

(ويروى أن أُعَمِّرَ بكسر الميم، ومعناه أن أفْعَلَ ذلك بكَتيبة عُمَرَ):

وعارَضْتُهَا شَهْباء تَخْطِرُ بالقَنا … تَرَى البَيْضَ فى حافاتها والسَّنَوَّرا

ثم انحنى عليه عمر بالدِّرَّةِ فسَعَى إلى ناقته فَحَلَّ عِقالها وأقبلها حَرَّةَ بنى سُلَيْمٍ بأَحَثِّ السير هربا من الدِّرَّةِ، وهو يقول:

قد ضَنَّ عنها أبو حَفْصٍ بنائِلِهِ … وَكُلُّ مُخْتَبِطٍ يومًا له وَرَقُ
ما زال يَضْرِبُنى حتى خَذِيتُ له … وحالَ مِنْ دون بعضِ الرَّغْبَةِ الشَّفَقُ[٥]

---

(١) أى من لا أقدر على قتاله.
(٢) أى ماشاورت فيه. (٣) يسأله أن يحمله على ركوبة.
(٤) مع من ارتد من بنى سليم أيام أبى بكر ثم أسلم بعد ذلك.
(٥) الشفق: الخوف.

ثم التفتُّ إليها وَهْيَ حانيـــةٌ[(١)] مِثْلَ الرِّتاجِ إذا ما لَزَّهُ الغَلَقُ[(٢)]

أقْبَلْتُها الخَلَّ[(٣)] من شَوْرانَ مجتهداً[(٤)] إنى لأَزْرِى عليها وهى تَنْطَلِقُ

ويروى أنه كان يرمى المسلمين يوم الرِّدَّةِ فلا يُغْنِى شيئاً ، فجعل يقول :

ها إنَّ رَمْيِي عَنْهُمُ لمعْبُول فلا صَرِيحَ اليومَ إلا المَصْقُول

وقوله : وكل مختبط يوما له ورق، أصل هذا فى الشجرة أن يختبطها الراعى ، وهو أن يضربها حتى يسقط ورقها ، فضرب ذلك مَثَلاً لمن يَطْلُبُ فَضْلَهُ ، وقال زهير :

ولَيْسَ مانعَ ذى قُرْبَى وذى نَسَبٍ يَوْمًا ولا مُعْدِمٍ من خابِطٍ وَرَقَا

(قوله ولا معدمٍ بالخفض عطفه على توهم الباء فى مانع ، ومثله ما أنشده[(٥)] :

مَشائيمُ لَيْسوا مُصْلِحِينَ عَشيرةً ولا ناعِبٍ إلاَّ بِبَيْنٍ غُرابُها

على تَوَهُّم الباء فى مصلحين ، ومن فى خابط زائدة) وقوله حتى خَذِيتُ له ، يقول خَضَعْتُ له ، وأكثر ما تَسْتَعْمِلُ العامةُ هذه اللفظةَ بالزيادة تقول اسْتَخْذَيْتُ له ، وزعم الأصْمَعِيُّ أنه شَكَّ فيها ، وأنه أحَبَّ أن يَسْتَثْبِتَ أهِيَ

---

(١) حانية: لاوية عنقها .

(٢) الغلق : اسم لما يغلق به الباب . والرتاج : الباب الكبير ، واللز : الشدّ والإلصاق .

(٣) الخل : الطريق النافذ بين رمال متراكمة ، سمى بذلك لأنه تخلل بين الرمال .

(٤) شوران : جبل مرتفع قرب عقيق المدينة .

(٥) أنشده سيبويه للأحوص اليربوعى، وهو من أبيات قالها يوم اقتتل بنو يربوع بن حنظلة وبنو دارم ابن مالك فقتل رجل من بنى يربوع فأقسموا لايريمون مكانهم حتى يثأروا به ، فقالت بنو مالك مانعرف قاتله فاحلفوا أيمان القسامة نعطكم حقكم فحلف منهم خمسون رجلا إلا واحدا إن الذى قتله عبيد ابن زرعة ، فقام ضرار بن القعقاع وشيبان بن حنظلة فقالا: نحن نكفله ، فلما جن الليل أطلقاه فهرب ثم قالت بنو دارم : هذه الدية فاقبلوها من اخوتكم ولا تكونوا كمن جدع أنفه، فقال الأحوص :

وليست بيربوع إلى العقل حاجة سوى دنس يسود منها ثيابها إلى آخر ما قال .

مهموزةٌ أم غير مهموزةٍ ، قال : فقلتُ لأعرابى : أتقول استَخْذَيْتُ أم استَخْذَأْتُ ، قال: لا أقولهما ، قلتُ ولِمَ ؟ فقال لأن العرب لاتَستَخذِى[1] وهذا غير مهموز ، واشتقاقه من قولهم : أُذُنٌ خَذْواء وَيَنَمَةٌ خَذْواء : أى مُستَرْخِيةٌ[2] : (قال أبو الحسن: اليَنَمَةُ نبت مُسْتَرْخٍ على وجه الأرض تأكله الإبل فتَكثُرُ عنه ألبانها) . قال الأصمعى : وقلت لأعرابى أتهمزُ الفارَةَ ؟ قالَ تَهْمِزُها الهِرَّةُ ! وقوله : إنى لأَزْرِى عليها، يقول أَستَحِثُّها ، يقال زَرَى عليه: أى عاب عليه ، وَأَزْرَى به أى قَصَّرَ به ، فيقول إنها لمجتهدة ، وإنى لأَزْرِى عليها : أى أعيب عليها لِطَلَبِي النَّجاء والسرعة ، وقال الأَخْطَلُ :

فظَلَّ يُفَدِّيها وظَلَّتْ كأنها ... عُقابٌ دعاها جُنْحُ ليلٍ إلى وكْرِ

وقوله: ها إنَّ رَمْيي عنهم لمَغبول ، يقول مَخْبولٌ[3] مردودٌ ، والصَّريحُ المَحْضُ الخالص ، يقال ذلك للبن إذا لم يَشُبْهُ ماء ، ويقال عَرَبِيٌّ صَرِيحٌ ومَوْلى صَرِيحٌ : أى خالص .



قال وحدثنى محمد بن إبراهيم الهاشمى فى إسناد ذكره قال : بلَغ عمرَ ابن الخطاب رحمه الله أن قومًا يفضلونه على أبى بكر الصِّدّيق رحمه الله ، فوَثَبَ مُغْضَباً حتَّى صَعِدَ المِنْبَرَ فَحَمِدَ الله وأثنى عليه ، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : أيها الناس إنى سأُخْبِرُكُمْ عنى وعن أبى بكر : إنه لما

(١) أى لا تخضع لمن يقهرها . (٢) أى لينة .

(٣) مخبول : ممنوع .

تُوُفِّى رسول الله صلى الله عليه وسلم ارْتَدَّتِ العرب ، وَمَنَعَتْ شاتَها وبعيرها فأَجْمَعَ رأيُنا كلِّنا أصحابَ [1] محمد صلى الله عليه وسلم أنْ قلنا له ياخليفةَ رسولِ الله إنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقاتل العرب بالوحْىِ والملائكة يُمِدُّهُ اللهُ بهم، وقد انقطع ذلك اليومَ ، فالْزَمْ بيتك ومسجدك ، فإنه لا طاقةَ لك بقتال العرب ، فقال أبو بكر الصديق : أوَ كُلُّكُمْ رَأْيُهُ على هذا ؟ فقلنا نعم ! فقال : والله لَأَنْ أخِرَّ من السماء فتَخَطَّفَنِى الطيرُ أَحَبُّ إلىَّ من أن يكون هذا رأيى ! ثم صَعِدَ المِنْبَرَ فحمد الله وَكَبَّرَهُ وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم أقبل عَلَى الناس فقال : أيها الناس مَنْ كَانَ يَعْبُدُ محمدا فإن محمدا قد مات ، ومَنْ كان يعبد الله فإن الله حَيٌّ لا يموت، أيها الناس أَأَنْ كَثُرَ أعداؤكم ، وقلَّ عَدَدُكُمْ ، رَكِبَ الشيطانُ منكم هذا المَرْكَبَ ، والله لَيُظْهِرَنَّ اللهُ هذا الدينَ على الأديان كُلِّها ولو كَرِهَ المشركون ، قولُهُ الحقُّ ، ووَعْدُهُ الصِدْقُ ، بل نَقْذِفُ بالحق على الباطل فيَدْمَغُهُ فإذا هو زاهِقٌ ، وكَمْ من فِئةٍ قليلةٍ غَلَبَتْ فِئةً كثيرةً بإذن الله والله مع الصابرين ، واللهِ أيُّها الناسُ لو أُفْرِدْتُ من جميعكم لجاهدتهم فى الله حق جهاده حتى أُبْلِيَ بنفسى عُذْراً [2] أو أُقْتَلَ قَتْلاً . والله أيها الناس لو مَنَعونِى عِقالاً لجاهَدْتُهُمْ عليه ، واسْتَعَنْتُ عليهمُ اللهَ وهو خيْرُ مُعِينٍ .

ثم نزل فجاهد فى الله حَقَّ جهادِهِ حتى أَذْعَنَتِ العربُ بالحق .

قوله : كم من فئة فهى الجماعة ، وهى مهموزة وتخفيف الهمز فى هذا

(١) منصوب على الاختصاص وسيشرحه المؤلف .

(٢) أى حتى يبين وجه العذر لأزيل عنى اللوم .

الموضع أن تُقْلَبَ الهمزةُ ياءً ، وإن كانت قبلها ضمة وهى مفتوحة قَلَبْتَهَا واواً نحو جُؤَنٍ تقول جُوَنٌ (الجُؤْنَةُ الحُقَّةُ يجعل فيها الحَلْىُ) وقوله : لو منعونى عقالا لجاهدتهم عليه على خلاف ماتتأوله العامة ، ولقولِ العامةِ وَجْهٌ قد يجوز فأما الصحيح فإن المُصَدِّقَ[1] إذا أخذ من الصدقة مافيها ولم يأخذ ثمنها قيل أخذ عِقالاً ، وإذا أَخَذَ الثَّمَن قيل أخذ نَقْدًا ، قال الشاعر :

أَتَانَا أَبُو الخَطَّابِ يَضْرِبُ طَبْلَهُ ... فَرُدَّ وَلَمْ يَأْخُذْ عِقالاً وَلا نَقْدَا

(كانت الأمراء إذا خرجتْ لأخذ الصدقة تَضْرِبُ الطُّبولَ) والذى تقوله العامة تأويله لو منعونى ما يساوى عقالاً فضْلاً عن غيره وهذا وجه ، والأول هو الصحيح لأنه ليس عليهم عقال يُعْقَلُ به البعير فيَطْلُبه فيَمْنَعُهُ ، ولكن مجازه فى قول العامة ما ذكرنا . ومن كلام العرب[2] أتانا بجَفْنةٍ يَقْعُدُ عليها ثلاثةٌ ، أى لو قعد عليها ثلاثة لَصَلَح . وكان ارتدادُ من ارْتَدَّ من العرب أن قالوا : نُقيمُ الصلاةَ ولا نُؤْتِى الزكاة ، فمن ذلك قول الحُطَيْئة .

أَلاَ كُلُّ أَرْماحٍ قِصارٍ أَذِلَّةٍ ... فِداءٌ لِأَرْماحٍ نُصِبْنَ عَلَى الْغَمْرِ[3]
فَبِاْسْتِ بَنِى عَبْسٍ وَأَسْتاه طَيِّءٍ ... وَبِاْسْتِ بَنِى دُودَانَ حاشا بَنِى نَصْرِ
أَبَوْا غَيْرَ ضَرْبٍ يُجْثِمُ الْهامَ وَقْعُهُ ... وَطَعْنٍ كَأَفْواهِ الْمُزَفَّتَةِ الْحُمْرِ

(المزفتة: المَطْلِيَّةُ بالزِّفْتِ وهو القَطِرانُ، يعنى الإبل، وهو أشبه بكلام العرب ومعناه وقيل الزِّقاقُ)

أَطَعْنَا رَسُولَ اللهِ إِذْ كَانَ بَيْنَنَا ... فَيَا لَهْفَتَا ما بالُ دِينِ أَبِى بَكْرِ

---

(١) الذى يأخذ حقوق الزكاة . (٢) أى ماجاء من مجاز الحذف فى كلامهم .
(٣) الغمر : اسم ماء .

أَيُورِثُها بَكْرًا إِذَا ماتَ بَعْدَه(١) فَتِلْكَ وَبَيْتِ اللّٰهِ قاصِمَةُ الظَّهْرِ
فَقُومُوا وَلاَ تُعْطُوا اللِّئامَ مَقادَةً وَقُومُوا وَلَوْ كانَ الْقِيامُ عَلَى الْجَمْرِ
فِدًى لِبَنِي نَصْرٍ طَرِيفِي وَتالِدِي عَشِيَّــةَ ذَادُوا بِالرِّماحِ أَبا بَكْرِ

(قوله : ذادوا بالرماح أبا بكر، كَذِبٌ ، إنما خرجوا على الإِبلِ فقعقعوا لها بالشِّنانِ فنفَرَتْ وفرَّتْ) قوله : يجثم الهام وقعه ، إنما هو مَثَلٌ ، يقال جَثَمَ الطائرُ كما يقال بَرَكَ الجملُ ، ورَبَضَ البعيرُ .

وكان قَيْسُ بن عاصم بن سِنان بن خالد بن مِنْقَرٍ عاملا على صَدَقاتِ بنى سَعْدٍ فقسَمَ مَا كان فى يده من أموال الصدقات على بنى مِنْقَرٍ ، وقال :

فَمَنْ مُبْلِغٌ عَنِّى قُرَيْشًا رِسالةً إذا ما أتَتْها مُحْكَماتُ الوَدائعِ
حَبَوْتُ بِمـا صَدَّقْتُ فى العامِ مِنْقَرًا وأيأسْتُ منها كلَّ أَطْلَسَ طامعِ

قوله : فأجمع رأينا كلنا أصحابَ محمد ، فإنمـا خَفَضَ كُلاًّ على أنه توكيد لأسمائهم المضمرة ، والظاهرةُ لا تكون بدلا من المضمر الذى يَعْنِى به المتـكلمُ نَفْسَهُ ، أو يَعْنِى به المُخَاطَبَ ، لايجوز أن تقول مررتُ بى زيدٍ لأن هذه الياء لاَيَشْرَكُهُ فيها شَرِيكٌ فتحتاج إلى التبيين ، وكذلك لايجوز ضربتُكَ زيداً لأن المخاطب منفرد بهذه الكاف ، فأما الهاء نحو مررت به عبد الله ، فيجوز لأنا نحتاج إلى أن يُعَرِّفَنا مُبَيِّناً مَنْ صاحب الهاء ؛ لأنها ليست للذى يخاطبه فلا يُنْـكِرُ نفسه ، وإنمـا يُحَدِّثُ به عن غائب فيحتاج

---

(١) قال الشيخ المرصفى : كأن الحطيئة ظن أن أبا بكر له ولد اسمه بكر وليس كما ظن . قال صاحب البدائع : وليس الأمر كما افترض الشيخ المرصفى رحمه الله ، وإنمـا هى عبارة تهكم واستهزاء

إلى البيان ، وقوله: أصحابَ محمد اختصاص و ينتصب بفعل مضمر، وهو أعنى، ليبين مَنْ هؤلاء الجماعةُ كما يُنْشَدُ :

* نَحْنُ بنى ضَبَّةَ أصحابُ الْجَمَلْ *

أراد : نحن أصحاب الجمل ، ثم بَيَّنَ مَنْ هُمْ ، لأن هذا قد كان يقع على مَنْ دون بنى ضَبَّةَ معه ، وعلى من فوقها إلى مُضَرَ و نزار ومَعَدٍّ ومَنْ بعدهم ، و كذلك: نحن العَرَبَ أَقْرَى الناسِ لضيف ، ونحن الصَّعاليكَ لاطاقة بنا على المُروءةِ ، ويُخْتارُ فى هذا الشعر (هو لِعمرِو بن الأَهْتَمِ) :

إنا بنى مِنْقَرٍ قَوْمٌ ذوو حَسَبٍ فينا سَراةُ بنى سَعْدٍ وناديها

وقليل هذا يدل على جميع هذا الباب فافهم .

باب

قال أبو العباس : هذه أشعار اخترناها من أشعار المولّدين حكيمةٌ مُسْتَحْسَنَةٌ يُحْتَاجُ إليها للتَمَثُّلِ ، لأنها أَشْكَلُ بالدهر[1] ويُسْتعارُ من ألفاظها فى المخاطبات والخُطَبِ والكُتُبِ . قال عبد الصَّمَدِ بن المُعَذَّلِ[2] :

تُكَلِّفُنِى إذْلالَ نَفْسِى لِعِزِّها وهانَ عليها أَنْ أُهانَ لِتُكْرَمَا
تَقولُ سَلِ المعروفَ يَحْيَى بنَ أَكْثَمٍ فقلتُ سَلِيهِ رَبَّ يَحْيَى بن أَكْثَمَا[3]

(بالثاء مثلثة لاغير ، وكذلك أَكْثَمُ بن صَيْفِيٍّ ، ويقال إن يَحْيَى بن أَكْثَمَ من ولد أَكْثَمَ بن صَيْفِى) .

وقال بَشَّار بن بُرْدٍ يذكر عُبَيْدَ اللّٰه بن قَزْعَةَ ، وهو أبو المُغِيرةِ أخو المَلَوِىِّ المتكلم قال ، وقال المازنى : لم أر أَعْلَمَ من المَلَوِىِّ بالكلام ، وكان من أصحاب إبراهيم النَظَّامِ :

خليلَىَّ مِنْ كَعْبٍ أَعِينا أخا كُما على دَهْرِهِ إنَّ الكريمَ مُعِينُ
وَلاَ تَبْخَلاَ بُخْلَ ابْنِ قَزْعَةَ إنه مَخافَةَ أن يُرْجى نَدَاهُ حَزِينُ
كَأَنَّ عُبَيْدَ اللّٰهِ لم يَلْقَ ماجِدًا ولم يَدْرِ أَنَّ المَكْرُماتِ تكونُ

---

(١) أى أشبه بحوادثه .

(٢) من شعراء الدولة العباسية ، وكان خبيث اللسان ، روى له الحصرى فى (زهر الآداب) طائفة من الأشعار .

(٣) كان هذا الشاعر يغشى مجلس القاضى يحي بن أكثم ، وكان يجد أحيانا مشقة ومذلة فى الوصول اليه فانقطع عن زيارته فلامته امرأته فقال هذين البيتين .

فقل لأبي يَحْيَي مَتَى تُدْرِكُ العُلَى ... وفي كُلِّ مَعْرُوفٍ عليك يَمِين

إذا جئتَهُ في حاجةٍ سَـــدَّ بابَهُ ... فلم تَلْقَهُ إلا وَأَنْتَ كَمِينُ

نظيرُ قوله :

☆ وفي كل معروف عليك يمينُ ☆

قولُ جرير :

وَلاَ خَيْرَ في مال عليــه أَلِيَّةٌ ... ولا في يمين عُوقِدَتْ بالمآثم

وقال إسماعيل بن القاسم (هو أبو العَتاهِيَةِ) :

أَطِــــعِ اللّهَ بِجُهْدِكَ عَامِدًا أو دونَ جُهْدِكَ

أَعْطِ مَوْلاَكَ كما تَطْـــلُبُ من طاعةِ عَبْــدِكَ

وقال محمود[1] :

تَعْصِي الإلٰه وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ ... هذا مُحَالٌ في القِياسِ بَدِيعُ

لو كان حُبُّكَ صادقًا لَأَطَعْتَهُ ... إنَّ المُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ

وقال أيضاً :

إني شَكَرْتُ لِظالِمِي ظُلْمِي ... وَغفَرْتُ ذاكَ لَهُ على عِلْمِي

ورأيتُه أَسْـــدَى إلىَّ يَدًا ... لَمَّا أبانَ بِجَهْلِهِ حِلْمِي

رَجَعَتْ إساءتُهُ عليه وَإحْـــسانى فعادَ مُضاعَفَ الجُرْمِ

وَغَدَوْتُ ذا أَجْرٍ وَمَحْمَدَةٍ ... وغَدَا بِكَسْبِ الظُّلْمِ وَالإثْمِ

فكأنما الإحسانُ كان لَهُ ... وأنا المُسِيءُ إليه في الحُكْمِ

---

(١) محمود بن حسن الوراق ، مات في عهد المعتصم .

ما زال يَظلِمُنى وَأَرْحَمُهُ حتى بَكَيْتُ له من الظُّلْمِ

أَخَذَ هذا المعنى من قول رجل من قُرَيْشٍ لرجل قال له : إنى مررتُ بقوم من قريش من آل الزُّبَيْرِ أو غيرهم يَشْتِمونَكَ شَتْماً رَحِمْتُكَ منه ، قال أَفَسَمِعْتَنى أقول إلا خَيْرًا ؟ قال: لا ، قال: إِيَّاهُمْ فارْحَمْ.

وقال أبو بكر الصِّدِّيقُ رحمه الله لرجل قال له لأَشْتِمَنَّكَ شَتْماً يَدْخُلُ معك فى قبرك ، قال معكَ والله يَدْخُلُ لا معى ! !

وقال ابن مسعود : إن الرجل ليظلمنى فأَرْحَمُهُ .

وقال رجل للشعبى كلامًا أَقْذَعَ له فيه ، فقال له الشعبى : إن كنتَ صادقا فغفر الله لى ، وإن كنتَ كاذبا فغفر الله لك .

ويروى أنه أتى مسجداً فصادف فيه قوما يغتابونه فأخذ بِعضادَتَى(١) الباب ، ثم قال :

هَنيئاً مَرِيئاً غَيْرَ دَاءٍ مُخَامِرٍ لِعزَّةَ من أعْراضِنا ما اسْتَحَلَّت

وذكر ابن عائشة أن رجلا من أهل الشام قال : دخلتُ المدينة فرأيتُ رجلا راكباً على بغلة لم أر أحسن وجهاً ولا سَمْتاً ولا ثوبا ولا دابة منه ، فمال قلبى إليه ، فسألت عنه فقيل لى : هذا الحسن بن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنهما ، فامتلأ قلبى له بُغضاً ، وحَسَدْتُ عَلِيًّا أن يكون له ابن مثله ، فَصِرْتُ إليه ، فقلتُ له : أأنتَ ابن أبى طالب ؟ فقال أنا ابن ابنه ، فقلت فَبِكَ وبأبيك أَسُبُّهُما ، فلما انقضى كلامى قال لى : أحْسِبُكَ غريباً ، قلت : أجَلْ

(١) هما الخشبتان المنصوبتان عن يمين الداخل وشماله .

قال فَمِلْ بنا ، فإن احْتَجْتَ إلى منزل أنزلناك ، أو إلى مال آسَيْناكَ ، أو إلى حاجة عاوَنَّاكَ . قال فانصرفت عنه ووالله ما على الأرض أَحَدٌ أحبُّ إليّ منه .

وقال محمود الورّاقُ :

يا ناظِرًا يَرْنُو بِعَيْنَىْ رَاقِدٍ ... وَمُشَاهِدًا لِلأَمْرِ غَيْرَ مُشاهِدِ
مَنَّيْتَ نَفْسَكَ ضَلَّةً وَأَبَحْتَهَا ... طُرُقَ الرَّجاء وَهُنَّ غَيْرُ قَوَاصِدِ
تَصِلُ الذُّنُوبَ إلَى الذُّنُوبِ وَتَرْتَجِي ... دَرْكَ الْجِنَانِ بِهَا وَفَوْزَ الْعابِدِ
وَنَسِيتَ أَنَّ اللهَ أَخْرَجَ آدَمًا ... مِنْهَا إلَى الدُّنْيا بِذَنْبٍ وَاحِدِ

وقال الحَكَمِيُّ (هو أبو نُواسٍ الحسن بن هانئ وهو منسوب إلى حَكَمٍ قبيلة من مَذْحِج) للفضْل بن الرَّبيع :

مَا مِنْ يَدٍ فى النَّاسِ واحِدَةٍ ... كَيَدٍ أَبُو الْعَبَّاسِ مَوْلاهَا
نامَ الْكِرَامُ عَلَى مَضَاجِعِهِمْ ... وَسَرَى إلَى نَفْسِى فَأَحْيَاهَا
قَدْ كُنْتُ خِفْتُكَ[1] ثُمَّ أَمَّنَنِى ... مِنْ أَنْ أَخافَكَ خَوْفُكَ اللهَ
فَعَفَوْتَ عَنِّى عَفْوَ مُقْتَدِرٍ ... حَلَّتْ لَهُ نِقَمٌ فَأَلْغَاهَا

وقال عبد الله بن محمد بن أبى عُيَيْنَةَ لذى اليمينَيْنِ[2] (سمى ذا اليمينين لأنه ضَرَبَ إنسانًا فجعله قسمين) :

لَمَّا رَأَيْتُكَ قاعِدًا مُسْتَقْبِلاً ... أَيْقَنْتُ أَنَّكَ لِلْهُمُومِ قَرِينُ
فَارْفِضْ بِهَا[3] وَتَعَرَّ مِنْ أَثْوَابِها ... إنْ كَانَ عِنْدَكَ لِلْقَضَاءِ يَقِينُ
مَالاَ يَكُونُ فَلا يَكُونُ بِحِيلَةٍ ... أَبَدًا وَمَا هُوَ كَائِنٌ سَيَكُونُ

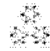
---

(١) يريد : كان خاف أن يذكره بسوء عند الأمين .
(٢) هو طاهر بن الحسين . (٣) أى ارفضها ، والباء زائدة .

يَسْعَى الذَّكِيُّ فَلَا يَنَالُ بِسَعْيِهِ   حَظًّا وَيَحْظَى عَاجِزٌ وَمَهِينُ
سَيَكُونُ مَا هُوَ كَائِنٌ فِي وَقْتِهِ   وَأَخُو الجَهَالَةِ مُتْعَبٌ مَحْزُونُ
اللهُ يَعْلَمُ أَنَّ فُرْقَةَ بَيْنِنَا   فِيمَا أَرَى شَيْءٌ عَلَيَّ يَهُونُ

وقال صالح بن عبد القُدُّوسِ : (صَلَبَهُ عبد المَلِكِ بن مَرْوان[1] على الزَّنْدَقَة أعني صالحا) :

إِنْ يَكُنْ مَا بِهِ أُصِبْتُ جَلِيلاً   فَذَهَابُ الْعَزَاءِ فِيهِ أَجَلُّ
كُلُّ آتٍ لَاشَكَّ آتٍ وَذُو الجَهْلِ مُعَنًّى وَالْغَمُّ وَالْحُزْنُ فَضْلُ



وأنشد مُنْشِدٌ من الأبيات المنفردة القائمة بأنفسها (لهشام ابن عبد المَلِكِ) :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْصِ الْهَوَى قَادَكَ الْهَوَى   إِلَى بَعْضِ مَا فِيهِ عَلَيْكَ مَقَالُ

ومنها قول ابن أبي وُهَيْبٍ[2] :

وَإِنِّي لَأَرْجُو اللهَ حَتَّى كَأَنَّنِي   أَرَى بِجَمِيلِ الظَّنِّ مَا اللهُ صَانِعُ

وقال آخر :

وَيَعْرِفُ وَجْهَ الحَزْمِ حَتَّى كَأَنَّمَا   تُخَاطِبُهُ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ عَوَاقِبُهْ

وقال أَشْجَعُ السُّلَمِيُّ :

---

(١) قال الشيخ المرصفي : هذا غلط بين ، وإنما الذي علقه ببغداد بعد ماضربه بالسيف فقدّه نصفين أمير المؤمنين المهدي .

(٢) قال الشيخ المرصفي : صوابه محمد بن وهيب ، وهو القائل في المعتصم :

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها   شمس الضحى وأبو إسحق والقمر

رَأَىْ سَرَى وَعُيُونُ النَّاسِ رَاقِدَةٌ ... ما أَخَّرَ الحَزْمَ رَأْىٌ قَدَّمَ الحَذَرا

وقال آخر :

فَلِلَّهِ مِـنِّى جانِبٌ لا أُضِيعُهُ ... وَلِلَّهْوِ مِـنِّى وَالْبَطَالَةِ جانِبُ

وقال آخر :

فَلَوْ عابَ نَفْسِى غَيْرُ نَفْسِى لَسُؤْتُهُ ... فَكَيْفَ وَنَفْسِى قَدْ أَتَتْ ما يَعِيبُها

وقال آخر :

يَرَى فَلَتَاتِ الرَّأْىِ وَالرَّأْىُ مُقْبِلٌ ... كَأَنَّ لَهُ فِى الْيَوْمِ عَيْنًا عَلَى غَدِ

وقال عبد الصَّمَدِ بن المُعَذَّل :

أَمُنٌّ عَلَى المُجْتَدِى[1] ... وَمَا أُتْبِعُ الْمَنَّ مَنّْ[2]

كَأَنْ لَمْ يَزَلْ مَا أَتَى ... وَمَا قَدْ مَضَى لَمْ يَكُنْ

أَرَى النَّاسَ أُحْدُوثَةً ... فَكُونِى حَدِيثًا حَسَنْ

وقال أيضاً :

زَعَمَتْ عَاذِلَتِى أَنِّى لِمَا ... حَفِظَ الْبُخْلُ مِنَ المَالِ مُضِيعُ

كَلَّفَتْنِى عِذْرَةَ[3] الْبَاخِلِ إِذْ ... طَرَقَ الطَّارِقُ وَالنَّاسُ هُجُوعُ

لَيْسَ لِى عُذْرٌ وَعِنْدِى بُلْغَةٌ ... إِنَّمَا الْعُذْرُ لِمَنْ لاَ يَسْتَطِيعُ

وقال الحسن بن هانئ الحَكَمِيُّ :

---

(١) المجتدى : طالب المعروف .

(٢) المن الأول: الاحسان ، والمن الثانى: الفخر بالاحسان وهو مذموم .

(٣) العذرة بكسر العين : الاسم من الاعتذار.

إليكَ غدَتْ بِي حاجةٌ لَمْ أَبُحْ بِهَا ... أخافُ عَلَيْهَا شَامِتًا فَأُدَارِي
فَأَرْخِ عَلَيْهَا سِتْرَ مَعْرُوفِكَ الَّذِي ... سَتَرْتَ بِهِ قِدْمًا عَلَيَّ عَوَارِي (١)

وقال أيضاً :

قَدْ قُلْتُ لِلْعَبَّاسِ مُعْتَذِرًا ... مِنْ ضَعْفِ شُكْرِيهِ وَمُعْتَرِفَا
أَنْتَ امْرُؤٌ جَلَّلْتَنِي نِعَمًا ... أَوْهَتْ قُوَى شُكْرِي فَقَدْ ضَعُفَا
فَإِلَيْكَ بَعْدَ الْيَوْمِ تَقْدِمَةً ... لاقَتْكَ بِالتَّصْرِيحِ مُنْكَشِفَا
لا تُحْدِثَنَّ إِلَيَّ عَارِفَةً (٢) ... حَسْبِي أَقُومُ بِشُكْرِ ما سَلَفَا



وقال دِعْبِلُ (٣) بن عليّ الخُزاعيّ :

أَحْبَبْتُ قَوْمِي وَلَمْ أَعْدِلْ بِحُبِّهِمُ ... قَالُوا تَعَصَّبْتَ جَهْلاً قَوْلَ ذِي بَهَتِ
دَعْنِي أَصِلْ رَحِمِي إِنْ كُنْتَ قَاطِعَهَا ... لَا بُدَّ لِلرَّحِمِ الدُّنْيَا مِنَ الصِّلَةِ
فَاحْفَظْ عَشِيرَتَكَ الْأَدْنَيْنَ إِنَّ لَهُمْ ... حَقًّا يُفَرِّقُ بَيْنَ الزَّوْجِ وَالْمَرَةِ
قَوْمِي بَنُو مَذْحِجٍ وَالْأَزْدُ إِخْوَتُهُمْ ... وَآلُ كِنْدَةَ وَالْأَحْيَاءُ مِنْ عُلَةِ
ثُبْتُ الْحُلُومِ فَإِنْ سُلَّتْ حَفَائِظُهُمْ ... سَلُّوا السُّيُوفَ فَأَرْدَوْا كُلَّ ذِي عَنَتِ
لَا تَعْرِضَنَّ بِمَزْحٍ لِامْرِئٍ طَبِنٍ (٤) ... مَا رَاضَهُ قَلْبُهُ أَجْرَاهُ فِي الشَّفَةِ
فَرُبَّ قَافِيَةٍ بِالْمَزْحِ جَارِيَةٍ ... مَشْئُومَةٍ لَمْ يُرِدْ إِنْمَاؤُهَا نَمَتِ
إِنِّي إِذَا قُلْتُ بَيْتًا مَاتَ قَائِلُهُ ... وَمَنْ يُقَالُ لَهُ وَالبيتُ لَمْ يَمُتِ

---

(١) العوار بفتح العين : العيب . (٢) هي المعروف .
(٣) للشاعر دعبل نفسية معقدة ، وقد درست نفسه أعمق الدرس في كتاب (المدائح النبوية) .
(٤) الطبن بكسر الباء : الفطن الحاذق .

وقال أيضاً :

نَعَوْنِي ولَمَّا يَنْعَنِي غَيْرُ شامِتٍ ... وغيرُ عَدُوٍّ قد أصيبت مَقاتِلُه

يقولون إن ذاقَ الرَّدَى ماتَ شِعْرُهُ ... وَهَيْهَاتَ عُمْرُ الشِّعْرِ طالت طوائلُه(١)

سَأَقْضِي ببيتٍ يَحْمَدُ الناسُ أَمْرَهُ ... وَيَكْثُرُ من أَهْلِ الرِّوايةِ حامِلُه

يموت رَدِيُّ الشِّعْرِ من قبل أَهْلِهِ ... وَجَيِّدُهُ يَبْقَى وَإِنْ مات قائلُه

(البيت الأخير ليس لدِعْبِلٍ ، وإنما هو مُضَمَّنٌ) .



وقال اسماعيل بن القاسم :

يا مَنْ يعيبُ وعَيْبُهُ مُتَشَعِّبُ ... كَمْ فيكَ من عَيْبٍ وأنتَ تعيبُ

لله دَرُّكَ كيفَ أنتَ وغايةٌ ... يَدْعوكَ ربُّكَ عندها فتُجيبُ

وقال أيضاً :

يا عليُّ بنَ ثابتٍ بانَ مِنِّي ... صاحبٌ جَلَّ فَقْدُهُ يومَ بِنْتا

يا عليُّ بن ثابت أيْنَ أنْتا ... أنْتَ بين القُبورِ حَيْثُ دُفِنْتا

قد لَعَمْرِي حَكَيْتَ لي غُصَصَ المَوْ ... تِ وحَرَّكْتَني لها وسَكَنْتا

وقال أيضاً :

صاحِبٌ كان لي هَلَكْ ... والسَّبيلُ التي سَلَكْ

(والسبيلُ التي سلك: ابتداء وخبر ، ومن قال غير هذا فقد أخطأ) :

يا عليُّ بنَ ثابتٍ ... غَفَرَ اللهُ لي ولَكْ

---

(١) أى طالت مدة عمره .

كُلُّ حَيٍّ مُمَلَّكٍ سَوْفَ يَفْنَى وما مَلَكْ

وقال أيضاً :

طَوَتْكَ خُطوبُ دهرِكَ بعد نَشْرٍ كذاكَ خُطوبُه نَشْرًا وطَيَّا
فلو نَشَرَتْ قُواكَ لِيَ المَنايا شَكَوْتُ إليكَ ما صَنَعَتْ إليَّا
بكيتُكَ يا أُخَيَّ بدمعِ عيني فلم يُغْنِ البُكاءُ عليك شَيَّا
كَفَى حَزَنًا بدَفْنِكَ ثم إنِّي نَفَضْتُ ترابَ قبرِكَ عن يَدَيَّا
وكانتْ في حَياتِكَ لي عِظاتٌ وأنت اليومَ أوعَظُ منكَ حيًّا

وكان إسماعيل بن القاسم لا يكاد يُخلى شعره مما تقدم من الأخبار والآثار فينظم ذلك الكلام المشهور ويتناوله أقْرَبَ مُتَناوَلٍ ويَسْرِقه أخفى سَرِقةٍ[1] فقوله : وأنت اليوم أوعظ منك حيا ، إنما أخذه من قول المُوبَذِ لِقُباذَ المَلِكِ حيث مات فانه قال في ذلك الوقت : كان المَلِكُ أمْسِ أنْطقَ منه اليوم ، وهو اليومَ أوعَظُ منه أمس .

وأخذ قوله :

قد لعَمْرِي حَكَيْتَ لي غُصَصَ المو تِ وحَرَّكْتني لها وسكنتا

من قول نادبِ الإسْكَنْدرِ فانه لما مات بكى مَنْ بحضرته فقال نادِبُهُ : حَرَّكَنا بسُكونه .

وقال اسماعيل بن القاسم (وهو أبو العَتاهِيَةِ) :

ياعَجبا للناسِ لَوْ فَكَّرُوا وحاسَبوا أنفسهم أبْصَرُوا

---

(١) تجد تفصيل القول عن زهديات أبي العتاهية في الجزء الأول من كتاب (التصوف الاسلامى)

وعَبَروا الدنيا إلى غَـيْرِها فإنما الدنيا لَهُـم مَعْبَرُ[1]

(معبر بفتح الميم وكسرها لابن سراج ، وبفتح الميم لاغير رواية عاصم) :

الخَيْرُ مما لَيْسَ يَخْفَى هو الـمَعروفُ والشَرُّ هو المُنكَرُ
وَالمَوْعِدُ الموتُ وما بعده الـحَشْرُ فذاكَ المَوْعِدُ الأكبَرُ
لاَ فَخْرَ إلاَّ فَخْرُ أهْلِ التُّقَى غَـدًا إذا ضَمَّهُمُ المَحْشَرُ
لَيَعْلَمَنَّ الناسُ أن التُّقَى والبِرَّ كانا خَيْرَ ما يُذْخَرُ
عَجِبْتُ للإنسانِ فى فَخْرِهِ وهْوَ غدًا فى قبره يُقْبَرُ
ما بالُ مَن أوَّلُهُ نُطْفَةٌ وجيفَـةٌ آخِرُهُ يَفْخَرُ
أصْبَحَ لاَ يَمْلِكُ تَقْدِيمَ ما يَرْجو ولا تأخيرَ ما يَحْذَرُ
وأصْبَحَ الأمْرُ إلى غـيره فى كلِّ ما يُقْضَى وما يُقْدَرُ

أما قوله :

يا عجبا للناس لو فكروا وحاسبوا أنفسهم أبصروا

فمأخوذ من قولهم : الفِكْرَةُ مِرْآةٌ تُرِيكَ حَسَنَكَ من قَبيحِكَ ، ومن قول لُقْمَانَ لابنه : يا بُنَيَّ لا ينبغى لعاقل أن يُخْلِيَ نَفْسَهُ من أربعة أوقات : فوقتٌ منها يناجى فيه ربه ، ووقت يُحاسب فيه نفسه ، ووقتٌ يَكْسِبُ فيه لمعاشه ، ووقتٌ يُخَلِّى فيه بين نفسه وبين لذتها ليستعين بذلك على سائر الأوقات .

وقوله :

وعبروا الدنيا إلى غيرها فإنما الدنيا لهم مَعْبَرُ

---

(١) المعبر : اسم للشط المهيأ للعبور

مأخوذ من قول الحسن : اجْعَلِ الدنيا كالقَنْطرة تَجوزُ عليها ولا تَعْمُرُها .

وقوله :

الخير مما ليس يخفى هو المعروف والشر هو المنكر

مأخوذ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاصى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عبدَ الله كيْفَ بكَ إذا بَقيتَ فى حُثالةٍ من الناس مَرَجَتْ عُهودُهُمْ وأماناتُهُمْ ، وصار الناس هكذا ، وشَبَّكَ بين أصابعه ، فقلتُ مُرْنِى يارسولَ الله ، فقال : خُذْ ما عرَفْتَ ، ودَعْ ما أنْكَرْتَ ، وعليك بخُوَيْصَةِ نفسك ، وإيَّاكَ وعوامَّها .

قوله صلى الله عليه وسلم : فى حُثالةٍ من الناس ، أما الحُثالةُ فهو ما يَبْقَى فى الإناء من رَدِئِ الطعام ، وضربه مَثَلاً ، وقوله : مَرَجَتْ عُهودُهم ، يقول اختلطت وذهبت بهم كلَّ مَذْهَبٍ ، يقال مَرَجَ الماء إذا سال فلم يكن له مانع ، قال الله عز وجل « مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيانِ » .

وقوله :

لَيَعْلَمَنَّ النَّاسُ أَنَّ التُّقى ... وَالْبِرَّ كَانَا خَيْرَ مَا يُذْخَرُ

مأخوذ مِنْ قَوْلِ أبى هُرَيْرَةَ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إذا حُشِرَ الناسُ فى صَعيدٍ واحد نادى مُنادٍ من قِبَلِ العَرْشِ : لَيَعْلَمَنَّ أهلُ المَوْقِفِ مَنْ أهلُ الكَرَمِ اليومَ ؟ لِيَقُمِ المُتَّقون ، ثم تلا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم « إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ » .

وقوله :

مَا بَالُ مَنْ أَوَّلُهُ نُطْفَةٌ ... وَجِيفَةٌ آخِرُهُ يَفْخَرُ

مأخوذ من قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه : وما ابْنُ آدمَ والفَخْر ؟ وإنما أوله نُطْفةٌ وآخره جيفةٌ لا يَرْزُقُ نفسه ولا يَدْفعُ حَتْفَهُ .



وقال ابن أبي عُيَيْنَةَ :

مَا رَاحَ يَوْمٌ عَلَى حَيٍّ وَلاَ ابْتَكَرَا ... إلاَّ رَأى عِبْرَةً فِيـــهِ إنِ اعْتَبَرَا

وَلاَأَتَتْ سَاعَةٌ فِى الدَّهْرِ فَانْصَرَمَتْ ... حَـــتَّى تُؤَثِّرَ فِى قَوْمٍ لَهَا أَثَرَا

(فانْصَرَفَتْ أَشْبَهُ للمطابقة ، والمشهور انصرمتْ)

إنَّ اللَّـــيَالِيَ وَالأَيَّامَ أَنْفُسَهَا ... عنْ غَيْرِ أَنْفُسِهَا لَمْ تَـكْتُمِ الْخَبَرَا[1]

فأخذ هذا المعنى حَبيبُ بن أَوْسٍ الطائيُّ وجمعه فى ألفاظ يسيرة فقال :

عُمْرِي لَقَدْ نَصَحَ الزَّمانُ وَإِنَّهُ ... لَمِنَ الْعَجَائِبِ نَاصِحٌ لا يُشْفِقُ

فزاد بقوله ناصح لايشفق على قول ابن أبي عُيَيْنَةَ شيئًا طريفًا ، وهكذا يفعل الحاذق بالكلام ، ولو قال قائل : إن أقرب ما أخَذَ منه أبو العتاهيَة :

لَيَعْلَمَنَّ النَّاسُ أنَّ التُّقى ... وَالْبِرَّ كَانَا خَـيْرَ ما يُذْخَرُ

من قول الخليل بن أحمد[2] (قال أبو الحسن : زعم النسابون أنهم لايعرفون منذ وقت النبي صلى الله عليه وسلم إلى الوقت الذى وُلِدَ فيه أحمدُ أبو الخليل أحدًا سُمِّيَ بأحمد غيرَه) :

وَإِذَا افْتَقَرْتَ إلَى الذَّخَائِرِ لَمْ تَجِدْ ... ذُخْرًا يَكُونُ كَصَالِحِ الأَعْمَالِ

---

(١) أى ان الأيام لا تزال تحدث الناس بما تظهره من الحوادث .

(٢) الصحيح أن البيت الآتى للأخطل وبعده :

والناس همهم الحياة وما أرى ... طول الحياة يزيد غير خبال

لكان قد قال قولاً .

وقال العباس بن الفرَج :

أَمَلِى مِنْ دُونِهِ أَجَلِى ... فمتى أُفْضِى إِلَى أَمَلِى



وقال الخليل بن أحمد وكان نظر فى النجوم فأبعَدَ ثم لمْ يَرْضَها فقال :

أَبْلغا عَنِّىَ المُنَجِّمَ أنِّى ... كَافِرٌ بالَّذِى قضتْهُ الكَوَاكِبْ

عَالِمٌ أَنْ ما يكُونُ وَما كَا ... نَ بِحَتْمٍ مِنَ المُهَيْمِنِ وَاجِبْ

وقال محمد بن بَشِيرٍ يعيب المتكلمين أنشدنيه الرِّيَاشِىُّ :

يَا سائِلِى عَنْ مَقَالَةِ الشِّيَعِ ... وَعَنْ صُنُوفِ الأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ

دَعْ مَنْ يَقُودُ الكَلامَ نَاحِيَةً ... فَمَا يَقُودُ الكَلامَ ذُو وَرَعِ

كُلُّ أُنَاسٍ بَدِيئُهُمْ حَسَنٌ ... ثُمَّ يَصِيرُونَ بَعْدُ لِلشُّنَعِ

أَكْثَرُ ما فِيهِ أَنْ يُقَالَ لَهُ ... لَمْ يَكُ فِى قَوْلِهِ بِمُنْقَطِعِ

وأنشدنى الرياشىُّ لغيره :

قَدْ نَقَّرَ(١) النَّاسُ حَتَّى أَحْدَثُوا بِدَعًا ... فِى الدِّينِ بِالرَّأْىِ لَمْ تُبْعَثْ بِهَا الرُّسُلُ

حَتَّى اسْتَخَفَّ بِحَقِّ اللهِ أَكْثَرُهُمْ ... وَفِى الَّذِى حُمِّلُوا مِنْ حَقِّهِ شُغُلُ

وقال محمد بن بشير :

وَيْلٌ لِمَنْ لَمْ يَرْحَمِ اللهُ ... وَمَنْ تَكُونُ النَّارُ مَثْوَاهُ

يَاحَسْرَتَا فِى كُلِّ يَوْمٍ مَضَى ... يُذْكِرُنِى المَوْتَ وَأَنْسَاهُ

---

(١) من التنقير وهو البحث .

من طال فى الدنيا به عُمْرُهُ وعاشَ فالموتُ قُصاراهُ
كَأَنَّهُ قد قيلَ فى مَجْلِسٍ قد كنتُ آتيهِ وأغْشَاه
صار البَشِيرِىُّ إلى ربه يَرْحَمُنَا اللّٰهُ وَإِيَّاهُ ☆

وقال أيضاً :

أَىُّ صَفْوٍ إلا إلى تَكَدير ونَعيمٍ إلاّ إلى تَغْيير
وسُرورٍ وَلَذَّةٍ وحُبورٍ ليس رَهْنًا لنا بيومٍ عَسير
عَجَبًا لى ومن رضاى بدنيا أنا فيها على شَفَا تَغْرير
عالمٌ لا أشُكُّ أنّى إلى اللّه إذا متُّ أو عذابِ السَّعيرِ
ثم ألهُو ولَسْتُ أَدْرى إلى أيّـهما بعده يَصير مَصيرى
أَىُّ يَوْمٍ علىَّ أَفْظَعُ من يو مٍ به تُبْرِزُ النُّعاةُ سَريرى
كُلَّمَا مُرَّ بى على أهل نادٍ كنتُ حيناً بهم كثيرَ المُرورِ
قِيلَ مَنْ ذَا عَلَى سَرِيرِ المَنايَا قِيـلَ هٰذَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشِيرِ



وقال الحَكَمِىُّ أبو نُواسٍ :

أخى مَا بَالُ قَلْبِكَ لَيسَ يَنْقَى كَأَنَّكَ لا تَظُنُّ المَوْتَ حَقَّا
أَلاَ يَاابْنَ الَّذينَ فَنُوا وَبَادُوا أَمَا وَاللّهِ مَا ذَهَبُوا لِتَبْقَى
وَمَا أَحَدٌ بِزَادِكَ مِنْكَ أَحْظَى وَمَا أَحَدٌ بِزَادِكَ مِنْكَ أَشْقَى
وَلاَ لَكَ غَيْرَ تَقْوَى اللّهُ زَادٌ إِذَا جَعَلَتْ إِلَى اللَّهوَاتِ تَرْقَى

ومما يستحسن من شعره قوله :

لا أذُودُ الطَّيْرَ عَن شَجَرٍ قَدْ بَلَوْتُ المُرَّ مِنْ ثَمَرِهْ

فمثل هذا لو تقدم لكان فى صدور الأمثال ، وكذلك قوله أيضاً :

فامْضِ لاَ تَمْنُنْ عَلَيَّ يَدًا مَنُّكَ المَعْرُوفَ مِنْ كَدَرِهْ

وكان يقول : ذِكْرُ المعروف من المُنْعِمِ إفسادٌ له ، وكتمانه من المُنْعَمِ عليه كُفرٌ له ، وفى هذا الشعر أبيات مختارة ، فمنها :

وَإِذَا مَجَّ الْقَنَا عَلَقًا[1] وَتَرَاءَى المَوْتُ فى صُوَرِهْ

رَاحَ فى ثِنْيَيْ مُفاضَتِه[2] أسَدٌ يَدْمَى شَبَا ظُفُرِهْ

تَتَأَيَّى[3] الطَّيْرُ غَدْوَتَهُ ثِقَةً بِالشِّبْعِ مِنْ جَزَرِه

فاسْلُ عَن نَوْءٍ تُؤَمِّلُهُ حَسْبُكَ العَبَّاسُ مِنْ مَطَرِه

لاَ تَغَطَّى عَنْهُ مَكْرُمَةٌ بِرُبَا وَادٍ وَلاَ خَمَرِه

ذُلِّلَتْ تِلْكَ الْفِجَاجُ لَهُ فَهْوَ مُجْتَازٌ عَلَى بَصَرِه

وقد عابوا عليه قوله :

كَيْفَ لاَ يُدْنِيكَ مِنْ أَمَلٍ مَنْ رَسُولُ اللهِ مِنْ نَفَرِه

وهو لعَمْرِى كلام مُسْتَهْجَنٌ موضوع فى غير موضعه ، لأن حق رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُضاف إليه ، ولا يضاف إلى غيره ، ولو اتسع متسع فأجراه فى باب الحيلة لخرج على الاحتيال ، ولكنه عَسِرٌ موضوع فى غير موضعه ، وباب الاحتيال فيه أن تقول : قد يقول القائل من بنى هاشم لغيره مِنْ أفناء قريش: منا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحَقُّ هذا أنه من القبيلِ

---

(١) العلق بالتحريك : الدم . (٢) المفاضة : الدرع .

(٣) تتأيّى : تقصد وتتعمد .

الذى أنا منه، فقد أضافه إلى نفسه، وكذلك يقول القُرَشِيُّ لسائر العرب، كما قال حسانُ بن ثابت :

وَمَا زَالَ فى الْإِسْلَامِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ دعائمُ عِزٍّ لا تُرامَ ومَفْخَرُ
بَهَالِيلُ منهم جعفرٌ وأبن امِّهِ علىٌّ ومنهم أحمد المُتَخَيَّرُ

فقال منهم كما قال هذا من نفره، أراد من النفر الذين العباسُ هذا الممدوح منهم .

وأما قول حَسَّان : منهم جعفر وأبن أمه على، ومنهم أحمد المتخير، فإن العرب إذا كان العطف بالواو قَدَّمَتْ وأخرتْ، قال الله تبارك وتعالى : « هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنْكُم كَافِرٌ وَمِنْكُم مُؤْمِنٌ » وقال : « يَامَعْشَرَ الجِنِّ وَالْإِنْسِ » وقال : « أُسْجُدِى وَارْكَعِى مَعَ الرَّاكِعِينَ » ولو كان بثمّ أو بالفاء لم يصلح إلا تقديم المقدم، ثم الذى يليه واحداً فواحداً .

وأما قوله فى هذا الشعر :

وكريمُ الخال من يَمَنٍ وكريمُ العمّ من مُضَرِه

فاضاف مُضَرَ إليه، فهو أجود كلامٍ لايمتنعُ منه ممتنع، قال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه يوم الجمل للأشْتَرِ، وهو مالك بن الحرث أَحَدُ النَّخَعِ بن عمرو بن عُلَةَ بن جَلْدٍ، وكان على المَيْمَنَةِ : أحْمِلْ، فَحَمَلَ فى أصحابه فَكَشَفَ مَنْ بإزائه، ثم قال لهاشم بن عُتْبَةَ بن مالك أحد بنى زُهْرَةَ أبن كلاب، وكان على المَيْسَرَةِ : احْمِلْ، فَحَمَل فى المُضَرِيَّةِ فَكَشَفَ مَنْ بإزائه، فقال علىٌّ رضى الله عنه لأصحابه : كيف رأيتم مُضَرِى ويَمَنِى ! فأضاف القبيلتين إلى نفسه . قال جرير :

إن الذين ابتَنَوْا مَجْداً ومَكْرُمَةً　　تِلْكُم قُرَيْشِيَ والأنصارُ أنصارى



ومما يستحسن من أشعار المُحْدَثين قول إسحاق بن خَلَفٍ البَهْرَانىّ، ونَسَبُهُ فى بنى حنيفة لِسباء وقع عليه، يقوله لعلى بن عيسى بن موسى بن طلحة الأشعرى المعروف بالقُمِّيِّ (منسوب إلى قُمَّة[1]، وهى بلدة أو قرية من خُراسانَ) :

ولِلْكُرْدِ منك إذا زُرْتَهُمْ　　بِكَيْدِكَ يَوْمٌ كيوم الْجَمَل
ومَا زال عِيسى بن موسى له　　مَوَاهِبُ غَيْرُ النطافِ المُكُل[2]
لَسَانٌ السيوف وشَقُّ الصُّفوف　　لِنَقْضِ التراتِ وضَرْبِ القُلَلْ[3]
ولُبْسُ العَجاجِ والخافقات　　تُرِيكَ المَنا برءوس الأَسَل
وقد كَشَرَتْ عن شَبَا نابها　　عروسُ المنيَّة بين الشُّعَل
وَجاءتْ تَهَادَى وأبناؤها　　كأنَّ عليهم شُروقَ الطَّفَلْ
خَروسٌ نَطوقٌ إذا اسْتُنْطِقَتْ　　جَهولٌ تَطيشُ على مَنْ جَهِل
إذا خُطِبَتْ أخذتْ مَهْرَها　　رُءوساً تحَادَرُ قبل النَفَل
أَلَذُّ إليْهِ من المُسْمِعات　　وحَثِّ الكُؤُوسَةِ فى يوم طَلّ
وشُرْبِ المُدَام ومَنْ يَشْتَهِيه　　مُعاطٍ له بِمِزاج القُبَل
بعثنا النَّوَاعِج تحتَ الرِّحال　　تَسَافَهُ أشداقُها فى الجُدُل
إذَا مَا حُدِينَ بِمَدْحِ الأَمِيرِ　　سَبَقْنَ لِحَاظَ المُحِثِّ العَجِلْ

(من كسر الميم فهو من حَثَّ ، ومن ضم الميم جعله من أَحَثَّ ، يقال حث

---

(١) الصواب : قمّ .

(٢) المكل بضمتين: جمع مكول على وزن صبور ، وهى البئر ، قل ماؤها أو كثر ، فهى من الأضداد

(٣) جمع قله بالضم وهى الرأس .

وأحث على فَعَلَ وعلى أفْعَلَ لغتان) قوله : تريك المَنا ، يريد المنايا ، وهذه كلمة تَخِفُّ على ألسنتهم فيحذفونها ، وزعم الأصمعى أنه سمع العرب تقول : دَرَسَ المَنا ، يريدون المنازل ، وجاء فى التخفيف أعجبُ من هذا : حدثنا بعض أصحابنا عن الأصمعى وذكره سيبويه فى كتابه ولم يذكر قائله ولكنّ الأصمعى قال : كَان أَخَوان متجاوران لا يكلم كل واحد منهما صاحبه سائر سنته حتى يأتى وقت الرعى ، فيقول أحدهما لصاحبه : ألاتا ، فيقول الآخر بلى فا ، يريد ألا تنهض ؟ فيقول الآخر : بلى فأنهض ، وحكى سيبويه فى هذا الباب :

بِالْخَيْرِ خَيْرَاتٍ[١] وَإِنْ شَرًّا فَا ... وَلَا أُرِيدُ الشَّرَّ إِلَّا أَنْ تَا

يريد وإن شرا فشر ، ولا أريد الشر إلا أن تريد (قال ش : قول أبى العباس إلاّ أن تريد وَهَمٌ ، وإنما هو إلا أن تشاء ، ولو كان كما قال أبو العباس كانت التاء مضمومة) .



وهذا[٢] خلاف ما تستعمله الحكماء ، فإنه يقال : إن اللسان إذا كثرت حركته رقّتْ عَذَبَتُهُ .

وحدثنى أبو عثمان الجاحظ قال : قال لى محمد بن الجَهْمِ : لما كانت أيامُ الزُّطِّ أدْمَنْتُ الفِكْرَ ، وأمسكت عن القول ، فأصابتنى حُبْسَةٌ فى لسانى .

وقال رجل من الأعراب يذكر آخَرَ منهم :

---

(١) يريد : أجزى بالخير خيرات .

(٢) أى هذا الاختصار فى القول ، وهو يورث حبسة اللسان .

كَأَنَّ فِيهِ لَفَفاً إِذَا نَطَقْ   مِنْ طُولِ تَحْبِيسٍ وَهَمٍّ وَأَرَقْ

وقال رجل لخالد بن صفوان : إنك لتُكْثِرُ ، فقال أُكْثِرُ لضربين : أحدهما فيما لا تُغْنِي فيه القلّةُ ، والآخر لتمرين اللسان ، فإن حبسه يورث العُقْلَةَ .

وكان خالد يقول : لا تكون بليغاً حتى تُكَلِّمَ أَمَتَكَ السوداءَ ، في الليلة الظَّلْماء ، في الحاجة المُهِمّة ، بما تتكلم به في نادي قومك ، فإنما اللسان عُضْوٌ إذا مَرَّنْتَهُ مَرَنَ ، وإذا أهملته خارَ ، كاليد التي تُخَشِّنُهَا بالممارسة ، والبدن الذي تُقَوِّيهِ برفع الحَجَرِ ، وما أشبهه ، والرِّجْل إذا عُوِّدَتِ المشي مشت .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لا تزالون أصِحَّاءَ ما نَزَعْتُمْ وَنَزَوْتُمْ .
فنزعتم في القِسِيِّ ، ونزوتم على ظهور الخيل .

وقال بعض الحكماء : لا ينبغي للعاقل أن يُخْلِيَ نفسه من ثلاثٍ في غير إفراطٍ : الأكلُ ، والمشيُ ، والجماعُ ، فأما الأكل فإن الأمْعاء تضيق لتركه ، وكان ابن الزبير رحمه الله يُواصلُ فيما ذكروا بين خمس عشرة من يوم وليلة ، ثم يُفْطِرُ على سَمْنٍ وَصَبِرٍ ليفْتُقَ أمعاه ، قال أبو العباس قال الأول[1] والمشيُ إن لم تتعهده أوْشَكْتَ أن تطلبه فلا تجده ، والجماعُ كالبئر إن نُزِحَتْ جَمَّتْ ، وإن تُرِكَتْ تَحَيَّرَ مَاؤُها .

وحقّ هذا كله القَصْدُ .

وقوله : ٭ كَأَنَّ عَلَيْهِمْ شُرُوقَ الطَّفَلْ ٭ يريد تَأَلُّقَ الحديد كأنه شمس طالعة عليهم ، وإن لم تكن شمس ، وأحسنُ من هذا قول سَلامَةَ ابن جَنْدَلٍ :

---

(١) وهو بعض الحكماء .

كَأَنَّ النَّعَامَ بَاضَ فَوْقَ رُءُوسِهِمْ ... وَأَعْيُنُهُمْ تَحْتَ الحَدِيدِ جَوَاحِمُ

(أى مُتَّقِدَةٌ) فهذا التشبيه المصيب، وأما قوله:

* أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ المُسْمِعَاتِ * فقد قال مثله القاسم بن عيسى ابن إدريس أبو دُلَف العِجْلِيّ:

يَوْمَاىَ يَوْمٌ فِي أَوَانِسَ كَالدُّمَى ... لَهْوِى وَيَوْمٌ فِى قِتَالِ الدَّيْلَمِ

هٰذَا حَلِيفُ غَلاَئِلٍ مَكْسُوَّةٍ ... مِسْكًا وَصَافِيَةٍ كَنَضْحِ العَنْدَمِ

وَلِذَاكَ خَالِصَةُ الدُّرُوعِ وَضُمَّرٌ ... يَكْسُونَنَا رَهَجَ الْغُبَارِ الأَقْتَمِ

وَلِيَوْمِهِنَّ الفَضْـــلُ لَوْلاَ لَذَّةٌ ... سَبَقَتْ بِطَعْنِ الدَّيْلَمِيِّ المُعْلَمِ

وأول هذه القصيدة طريف مستملح وهو:

طَوَاهُ الْهَوَى فَطَوَى مَنْ عَذَلَ ... وَحَالَفَ ذَا الصَّبْوَةِ المُخْتَبَلْ

وأما قوله * تَسَافَهُ أَشْدَاقُهَا فِى الجُدُلْ * فتسافه من السفه، وإنما يصفها بالمَرَح، وأنها تميل كذا مرة، وكذا مرة، كما قال رُؤْبَةُ:

* يَمْشِى العِرَضْنَى فى الحَدِيدِ المُتْقَنِ * وكما قال الآخر:

إِذَا رَأَى السَّوْطَ مَشَى الْهَيْدَبَى ... وَيَتَّقِي الأَرْضَ بِمُعْجٍ رِقَاقِ

(الهيدبى بالدال مهملة ومعجمة، وقوله: بمعج رقاق، يريد قليلة اللحم) وكما قال الحُطَيْئَةُ:

وإِنْ آنَسَتْ حِسًّا مِنَ السَّوْطِ عَارَضَتْ ... بِيَ الْجَوْرَ حَتَّى تَسْتَقِيمَ ضُحَى الْغَدِ

والجُدُلُ: جمع جَدِيلٍ وهو الزمامُ المجدول كما تقول قتيل ومقتول، وأدنى العدد أَجْدِلَةٌ، كقولك قضيب وقُضُبٌ وأقضبةٌ، وكذلك كَثِيبٌ ورَغِيفٌ

وجَرِيبٌ ، وفُعْلانٌ كفُعُلٍ فى الكثير ، يقال قُضْبانٌ ورُغْفانٌ وجُرْبانٌ ،
ومثل قوله : ٭ تَسافَهُ أَشْداقُها فى الجُدُلْ ٭

قول حَبيب بن أوْسٍ الطائىّ :

سَفِيهُ الرُّمْحِ جاهِلُهُ إذا ما ... بَدا فَضْلُ السَّفِيهِ عَلَى الحَلِيمِ



ومما يُسْتحسنُ من شعر إسحٰق هذا قوله فى الحسن بن سَهْلٍ :

بابُ الأَمِيرِ عَراءٌ مابهِ أَحَدٌ ... إلّا امْرُؤٌ واضِعٌ كَفًّا عَلَى ذَقَنِ
قالَتْ وقَدْ أَمَلَتْ ما كُنْتُ آمُلُهُ ... هٰذا الأَمِيرُ ابْنُ سَهْلٍ حاتِمُ اليَمَنِ
كَفَيْتُكَ النَّاسَ لا تَلْقَى أَخا طَلَبٍ ... بِفَيْءِ دارِكَ يَسْتَعْدِى عَلَى الزَّمَنِ
إنَّ الرَّجاءَ الَّذِى قَدْ كُنْتُ آمُلُهُ ... وَضَعْتُهُ وَرَجاءَ النَّاسِ فى كَفَنِ
فى اللهِ مِنْهُ وَجَدْوَى كَفِّهِ خَلَفٌ ... لَيْسَ السَّدَى والنَّدَى فى راحَةِ الحَسَنِ (١)

وإسحٰق هذا هو الذى يقول فى صفة السيف :

أَلْقَى بِجانِبِ خَصْرِهِ ... أَمْضَى مِنَ الأَجَلِ المُتاحْ
وَكَأَنَّما ذَرَّ الهَبا ... ءَ عَلَيْهِ أَنْفاسُ الرِّياحْ

وإسحٰق هذا هو الذى يقول فى مدح العربية :

النَّحْوُ يَبْسُطُ مِنْ لِسانِ الأَلْكَنِ ... والمَرْءُ تُكْرِمُهُ إذا لَمْ يَلْحَنِ
وَإِذا طَلَبْتَ مِنَ العُلُومِ أَجَلَّها ... فَأَجَلُّها مِنْها مُقِيمُ الأَلْسُنِ

قال أبو العباس وأحسبه أخذ قوله : ٭ والمَرْءُ تُكْرِمُهُ إذا لَمْ يَلْحَنِ ٭

---

(١) السدى : ندى الليل ، والندى : ندى النهار .

من حديث حَدَّثَنَاهُ أبو عثمان الخُزاعيُّ عن الأصمعى قال كان يقال : ثلاثة يُحْكَمُ لهم بالنُّبْلِ حَتَّى يُدْرَى مَنْ هم ، وهم رجلٌ رأيتَه راكباً ، أو سمعته يُعْرِبُ ، أو شَمِمْتَ منه طيباً ، وثلاثة يحكم عليهم بالاستصغار حتى يدرى مَنْ هُمْ ، وهم رجل شَمِمْتَ منه رائحةَ نَبيذٍ فى مَحْفِلٍ أوسمعته فى مِصْرٍ عَرَبىٍّ يتكلم بالفارسية ، أو رجلٌ رأيته على ظهر طريق ينازعُ فى القَدَرِ .



قال أبو العباس أنشدنى أحد الأمراء لشاعر من أهل الرَّىِّ يُكْنَى أبا يزيد شيئاً يقوله لعبد الله بن طاهر أَحْسَنَ فيه وأصاب الفَصَّ(١) ، وقَصَدَ بالمدح إلى مَعْدِنه واختاره لأهله :

إشْرَبْ هَنِيئاً عَلَيْكَ التَّاجُ مُرْتَفِقاً(٢) ... فى شَاذَمِهْرَ(٣) وَدَعْ غُمْدانَ لِلْيَمَنِ
فَأَنْتَ أَوْلَى بِتَاجِ الْمُلْكِ تَلْبَسُهُ ... مِنْ هَوْذَةَ بن عَلِيٍّ وَابْنِ ذِى يَزَنِ

فَأَحْسَنَ الترتيب جدًّا ، وإن كانت الملوك كلها تلبس التاج فى ذلك الدهر ، وإنما ذكر ابْنَ ذى يَزَن لقول أُمَيَّةَ بن الصَّلْتِ الثَّقَفِىِّ حيث يقول :

إشْرَبْ هَنِيئاً عَلَيْكَ التَّاجُ مُرْتَفِقاً ... فى رَأْسِ غُمْدَانَ دَارًا مِنْكَ مِحْلالاَ

وقال الأعْشَى فى هَوْذَةَ بن علىّ ، وإن لم يكن هوذةُ مَلِكاً :

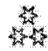
مَنْ يَرَ هَوْذَةَ يَسْجُدْ غَيْرَ مُتَّئِبٍ ... إذَا تَعَمَّمَ فَوْقَ التَّاجِ أَوْ وَضَعَا

(١) المراد من الفص لباب المعنى .
(٢) متكئ على مرفقة ، والمرفقة تشبه الوسادة .
(٣) مدينة أو موضع بنيسابور .

لَهُ أَكَالِيلُ بِالْيَاقُوتِ فَصَّلَهَا   صَوَّاغُهَا لاَ تَرَى عَيْبًا وَلاَ طَبَعَا(١)

قال أبو العباس : وحدثني التَّوَّزِيُّ : قال سمعت أبا عبيدة يقول عن أبي عمرو قال لَمْ يَتَتَوَّجْ مَعَدِّيٌّ قط ، وإنما كانت التيجان لليمن ، فسألته عن هَوْذَةَ بن على الحنفي ، فقال : إنما كَانت خَرَزَاتٌ تُنْظم له . قال أبو العباس : وقد كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هوذة بن عليّ يدعوه كما كتب إلى الملوك ، وكان يُجِير لَطيمة كِسْرَى فى البرّ بِجَنَبَاتِ اليمامة . واللَّطيمةُ : الإبل تَحْمِلُ الطيبَ والبَزَّ ، ووفَدَ هَوْذَةُ بن عليّ على كِسْرَى بهذا السبب فسأله عن بَنِيهِ فذكر منهم عَدَدًا فقال : أيهم أحبُّ إليك ؟ فقال : الصغير حتى يَكْبَرَ ، والغائبُ حتى يَقْدَمَ ، والمريضُ حتى يَصِحَّ ، فقال له كِسْرَى ما غِذاؤُكَ فى بلَدِكَ ؟ فقال الخُبْزُ ، فقال كِسْرَى لجُلَسَائِهِ هذا عَقْلُ الخُبْزِ ؛ يُفَضِّله على عقول أهل البوادى الذين يَغْتَذونَ اللبنَ والتمر .

وقد رُوِي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : لَقَدْ هَمَمْتُ أن لا أَقْبَلَ هَدِيَّةً ، ويروى أن لا أَتَّهِبَ هِبَةً إلا من قُرَشِيٍّ أو أنصاريّ أو ثَقَفِيٍّ ، وروى بعضهم أو دَوْسِيٍّ ؛ وذلك أن أعرابيا أهدى إليه هدية فمَنَّ بها ، فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الأمصار تفضيلا على أهل البوادى .



وقال عبد الله بن محمد بن أبي عُيَيْنَةَ يعاتب رجلا من الأشراف :

أَتَيْتُكَ زَائِرًا لِقَضَاءِ حَقٍّ   فَحَالَ السِّتْرُ دُونَكَ وَالْحِجَابُ

---

(١) الطبع بالتحريك : الإثم .

وَعِنْدَكَ مَعْشَرٌ فِيهِمْ أَخٌ لِى كَأَنَّ إِخَاءَهُ الآلُ السَّرَابُ
وَلَسْتُ بِسَاقِطٍ فى قِدْرِ قَوْمٍ وَإِنْ كَرِهُوا كَمَا يَقَعُ الذُّبَابُ
وَرَائِى مَذْهَبٌ عَنْ كُلِّ نَاءٍ بِجَانِبِهِ إِذَا عَزَّ الذَّهَابُ

وقال أيضاً :

كُنَّا مُلُوكاً إِذْ كَانَ أَوَّلُنَا لِلْجُودِ وَالْبَأْسِ وَالْعُلَى خُلِقُوا
كَانُوا جِبَالاً عِزًّا يُلاذُ بِهَا وَرَائِحَاتٍ(١) بِالْوَبْلِ تَنْبَعِقُ(٢)
كَانُوا بِهِمْ تُرْسِلُ السَّمَاءُ عَلَى الْأَرْضِ غِيَاثاً وَيُشْرِقُ الْأُفُقُ
لَا يَرْتُقُ الرَّاتِقُونَ إِنْ فَتَقُوا فَتْقاً وَلَا يَفْتُقُونَ مَا رَتَقُوا
لَيْسُوا كَمَعْزَّى مَطِيرَةٍ بَقِيَتْ فَمَا بِهَا مِنْ سَحَابَةٍ لَثَقُ

(اللَّثَقُ البلل)

وَالضَّعْفُ وَالْجُبْنُ عِنْدَ نَائِبَةٍ تَنُوبُهُمْ وَالْحِذَارُ وَالْفَرَقُ
هٰذَا زَمَانٌ بِالنَّاسِ مُنْقَلِبٌ ظَهْرًا لِبَطْنٍ جَدِيدُهُ خَلَقُ
الْأُسْدُ فِيهِ عَلَى بَرَائِنِهَا(٣) مُسْتَأْخِرَاتٌ تَكَادُ تَنْزَرِقُ

وكان سببُ قوله هـذا الشعرَ أن إسماعيل بن جعفر بن سليمان بن على ابن عبد الله بن العباس كان له صديقاً ، وكان عبد الله بن محمد بن أبي عُيَيْنَةَ من رؤساء مَنْ أخذ البَصْرَةَ للمأمون فى أيام المَخْلوع(٤) ، وكان معاضِدًا لطاهر بن الحسين فى حروبه ، وكان اسماعيل بن جعفر جليل القدر مطاعاً فى مَوَاليهِ وأهلِهِ ، وكانت الحال بينهما ألطفَ حال ، فوصله ابن أبى عيينة

(١) جمع رائحة وهى السحابة تمطر بالعشى .
(٢) تنفتح خروقها وتسيل بشدة . (٣) جمع برثن وهو مخلب الأسد .
(٤) المخلوع هو الأمين ، خلعه أهل مكة والمدينة وكثير من عماله وبايعوا المأمون وهو بخراسان .

بذى اليمينين فَوَلَّاهُ البصرة ، ووَلَّى ابن أبى عيينة اليمامةَ وَالْبَحْرَيْنِ وَغَوْصَ البحرِ ، فلما رجعا إلى البصرة تَنَكَّرَ إسماعيلُ لابن أبى عيينة فهاج بينهما من التباعد على مثال ما كان بينهما من المقاربة ، ثم عُزِلَ ابن أبى عيينة فلم يزل يهجو إسماعيلَ ، وسأل ذا اليمينين عَزْلَهُ فدافعه ، وضَنَّ بالرجل ، فكان يهجو مِنْ أهله مَنْ يُواصِلُ إسماعيلَ ، وكان أكْبر أهلِهِ قدرًا فى ذلك الوقت يَزيدُ بن المُنْجَابِ ، وكان أعور قائم العينِ لم يُطَّلَعْ على عِلَّتِهِ إلا بشعر ابن أبى عيينة ، وكان منهم — وكان سيِّدَ أهل البصرة أجمعين — محمدُ بن عَبَّادِ ابن عباد بن حبيب بن المُهَلَّب ، ومنهم سعيد بن المهاب بن المغيرة بن حرب ابن محمد بن المهلب بن أبى صُفْرَةَ ، وكان قصيراً ، وكان ابن عبَّاد أَحْوَلَ ، فذلك حيث يقول ابن أبى عيينة فى هذا الشعر الذى أمْلَيناه :

تَسْتَقْدِمُ النَّعْجتانِ والبَرقُ[1] فى زمنٍ سَرْوُ[2] أهلِهِ المَلَقُ[3]
عُورٌ وَحُولٌ وَثَالِثٌ لَهُـمُ كَأَنَّهُ بَيْنَ أَسْطُرٍ لَحَقُ[4]

ولهم يقول ولاثنين ظن أنهما معهم وقد مروا به يريدون اسماعيل بن جعفر :

أَلاَ قُلْ لِرَهْطٍ خَمْسَةٍ أَوْ ثلاثةٍ يُعَدُّونَ مِنْ أَبْنَاءِ آلِ المُهَلَّبِ
عَلَى بَابِ اسْمَاعِيلِ رُوحُوا وَبَكِّرُوا دَجاجَ القُرَى مَبْثوثَةً حَوْلَ ثَعْلَبِ
وَأَثْنُوا عليـه بالجَمِيلِ فَإِنَّهُ يُسِرُّ لكم حُبًّا هُوَ الْحُبُّ وَاقْلِبِ[5]
يلينُ لَـكُمْ عِنْدَ اللِّقَاءِ مُوَارِبًا وَيَخْلُفُـكُمْ مِنْهُ بِنَابٍ وَمِخْلَبِ

---

(١) البرق : الخروف . والجمع أبراق ، وبرقان — بضم الباء وكسرها — .
(٢) السرو : الشرف . (٣) الملق : زيادة التودد والتضرع .
(٤) اللحق : اسم لما يلحق بالكتاب بعد الفراغ منه ، والجمع ألحاق .
(٥) أى حوّل الكلام عن وجهه ، يريد أن حبه هو البغض .

وَلَوْلاَ الّذِى تُولُونَهُ لَتَكَشَّفَتْ ... سَرِيرَتُهُ عَنْ بِغْضَةٍ وَتَعَصُّبِ
أَبَعْدَ بَلاَئِى عِنْدَهُ إِذْ وَجَدْتُهُ ... طَرِيحاً كَنَصْلِ القِدْحِ (١) لَمَّا يُرَكَّبِ (٢)
* بِهِ صَدَأٌ قَدْ عَابَهُ فَجَلَوْتُهُ ... بِكَفِّى حَتَّى ضَوْءُهُ ضَوْءُ كَوْكَبِ
وَرَكَّبْتُهُ فِى خُوطِ (٣) نَبْعٍ وَرِشْتُهُ (٤) ... بِقَادِمَتَىْ نَسْرٍ وَمَتْنٍ (٥) مُعَقَّبِ
فَمَا إِنْ أَتَانِى مِنْهُ إِلاَّ مُبَوَّأٌ ... إِلَىَّ بِنَصْلٍ كَالْحَرِيقِ مُذَرَّبِ
فَقَلَّلْتُ مِنْهُ حَدَّهُ وَتَرَكْتُهُ ... كَهُدْبَةِ ثَوْبِ الخَزِّ لَمَّا يُهَدَّبِ (٦)
رَضِيتُمْ بِأَخْلاَقِ الدَّنِىِّ وَعِفْتُمُ ... خَلاَئِقَ مَاضِيكُمْ مِنَ الْعَمِّ وَالأَبِ

وفى هذا يقول لطاهر بن الحسين :

مَالِى رَأَيْتُكَ تُدْنِى كُلَّ مُنْتَكِثٍ (٧) ... إِذَا تَغَيَّبَ مُلْتَاثٍ (٨) إِذَا حَضَرَا
إِذَا تَنَسَّمَ رِيحَ الْغَدْرِ قَابَلَهَا ... حَتَّى إِذَا نَفَخَتْ فِى أَنْفِهِ غَدَرَا
وَمَنْ يَجِىءُ عَلَى التَّقْرِيبِ مِنْكَ لَهُ ... وَأَنْتَ تَعْرِفُ فِيهِ المَيْلَ وَالصَّعَرَا (٩)
أَحَلَّكَ اللهُ مِنْ قَحْطَانَ مَنْزِلَةً ... فِى الرَّأْسِ حَيْثُ أَحَلَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَا
فَلاَ تُضِعْ حَقَّ قَحْطَانٍ فَتُغْضِبَهَا ... وَلاَ رَبِيعَةَ كَلاَّ لاَ وَلاَ مُضَرَا
أَعْطِ الرِّجَالَ عَلَى مِقْدَارِ أَنْفُسِهِمْ ... وَأَوْلِ كُلاًّ بِمَا أَوْلَى وَمَا صَبَرَا
وَلاَ تَقُولَنَّ إِنِّى لَسْتُ مِنْ أَحَدٍ ... لاَ تَمْحَقِ النَّيِّرَيْنِ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَا (١٠)

---

(١) القدح : العود . (٢) أى لم يركب فيه النصل .
(٣) الخوط : الغصن الناعم .
(٤) راشه : ألزق فيه الريش ليخف جريه . (٥) المتن : هو الوتر .
(٦) يهدب : يقطع . (٧) المنتكث هو فى الأصل : البعير الذى كان سمينا فهزل .
(٨) الملتاث المبطىء . (٩) الصعر : الميل عن تكبر .
(١٠) يريد أبويه .

ويقول له فى أخرى :

هُوَ الصَّبْرُ وَالتَّسْلِيمُ لِلّهِ وَالرِّضَا … إِذَا نَزَلَتْ بِى خُطَّةٌ لَا أَشَاؤُهَا
إِذَا نَحْنُ أُبْنَا سَالِمِينَ بِأَنْفُسٍ … كِرَامٍ رَجَتْ أَمْرًا فَخَابَ رَجَاؤُهَا
فَأَنْفُسُنَا خَيْرُ الْغَنِيمَةِ إِنَّهَا … تَؤُوبُ وَفِيهَا مَاؤُهَا وَحَيَاؤُهَا
هِى الأَنْفُسُ الْكُبْرُ الَّتِى إِنْ تَقَدَّمَتْ … أَوِاسْتَأْخَرَتْ فَالْقَتْلُ بِالسَّيْفِ دَاؤُهَا
سَيَعْلَمُ إِسْمَاعِيلُ أَنَّ عَدَاوَتِى … لَهُ رِيقُ أَفْعَى لَا يُصَابُ دَوَاؤُهَا

ولما حُمِلَ إسماعيل مُقَيَّدًا ، ومعه أبناه أحدهما فى سلسلة مقرونا معه ، وكان الذى تولى ذلك أحمد بن أبى خالد فى قصة كانت لإسماعيل أيامَ الخُضْرَةِ[1] ، فقال ابن أبى عُيَيْنَةَ فى ذلك :

مَرَّ إِسْمَاعِيلُ وَابْنَا … هُ مَعًا فى الأَسْرَاءِ
جَالِسًا فى مَحْمِلٍ ضَنْكٍ … عَلَى غَيْرِ وِطَاءِ
يَتَغَنَّى الْقَيْدُ فى رِجْلَيْهِ … أَلْوَانَ الغِنَاءِ
بَاكِيًا لَا رَقَأَتْ عَيْنَاهُ … مِنْ طُولِ الْبُكَاءِ
يَا عُقَابَ الدَّجْنِ فى الأَمْنِ … وَفِى الْخَوفِ ابْنَ مَاءِ[2]

وقد كان تطير عليه بمثل ما نزل به ، فمن ذلك قوله :

لَا تَعْدَمِ الْعَزْلَ يَا أَبَا الحَسَنِ … وَلَا هُزَالاً فى دَوْلَةِ السِّمَنِ
وَلَا انْتِقَالاً مِنْ دَارِ عَافِيَةٍ … إِلَى دِيَارِ الْبَلَاءِ وَالفِتَنِ

(١) هى الأيام التى أمر المأمون فيها خدمه وقواده وبنى هاشم أن تطرح شعار السواد، وأن تلبس الخضرة فى أقبيتهم وقلانسهم يوم أن جعل علىّ بن موسى ولىّ عهد السلمين والخليفة من بعده وسماه الرضا من آل محمد فغضب بنو العباس .

(٢) طائر يألف الماء ، جعله مثلا فى الضعف .

وَلا خُرُوجًا إِلَى القِفَارِ مِنَ الْأَرْضِ وَتَرْكَ الْأَحْبَابِ وَالْوَطَنِ[1]

كَمْ رَوْحَةٍ فِيكَ لِي مُهَجِّرَةٍ   وَدُلْجَةٍ فِى بَقِيَّةِ الْوَسَنِ

فِى الحَرِّ وَالقُرِّ كَىْ تُوَلَّى عَلَى الْـ   ـبَصْرَةِ عَيْنِ الأَمْصَارِ وَالمُدُنِ

إِنِّى أُحَاجِيكَ[2] يا أَبَا حَسَنٍ   مَا صُورَةٌ صُوِّرَتْ فَلَمْ تَكُنِ

وَمَا بَهِيٌّ فِى الْعَيْنِ مَنْظَرُهُ   لَوْ وَزَنُوهُ بِالزِّفِّ[3] لَمْ يَزِنِ

ظَاهِرُهُ رَائِعٌ وَبَاطِنُهُ   مَلآنُ مِنْ سَوْأَةٍ وَمِنْ دَرَنِ[4]

وهذا الشعر اعترض له فيه عمرو بن زَعْبَلٍ، مولى بنى مازِنِ بن مالك بن عمرو أبن تميم ، وكان منقطعا إلى إسماعيل وولدِهِ ، وكان لايَبْلُغُ أبن أبى عُيَيْنَةَ فى الشعر ولا يدانيه ، ومن أَمْثَلِ شعره وما اعْتَرَضَ له به قوله :

إِنِّى أُحَاجِيكَ مَا حَنِيفٌ عَلَى الْـ   ـفِطْرَةِ بَاعَ الرَّبَاحَ بِالْغَبَنِ

وَمَا شُيَيْخٌ مِنْ تَحْتِ سِدْرَتِهِ   مُعَلَّقٌ نَعْلَهُ عَلَى الغُصُنِ

وَمَا سُيُوفٌ حُمْرٌ مُصَقَّلَةٌ   قَدْ عُرِّيَتْ مِنْ مَقَابِضِ السَّفَنِ[5]

وَمَا سِهَامٌ صُفْرٌ مُجَوَّفَةٌ[6]   تُحْشَى خُيُوطَ الكَتَّانِ وَالقُطُنِ

وَمَا أَبْنُ مَاءٍ إِنْ يُخْرِجُوهُ إِلَى الْأَرْضِ   تَسِلْ نَفْسُهُ مِنَ الأُذُنِ

وَمَا عُقَابٌ زَوْرَاءُ تُلْجَمُ مِنْ   خَلفٍ فَتَهْوِى قَصْداً عَلَى سَنَنِ

(١) بعد هذا البيت :

أنا الذى إن كفرت نعمته   أذاب مافى جنبيك من عكن

والعكن : أطواء البطن من السمن ، والمفرد عكنة .

(٢) من الأحجية بضم الهمزه وتشديد الياء ، وهى اللغز .

(٣) الزف : صغار ريش النعام . (٤) الدرن : الدنس .

(٥) السفن بالتحريك : جلد خشن غليظ يكون على قوائم السيوف ، وهو يكنى عن الأيور الطبيعية .

(٦) كناية عن الأيور الصناعية .

لَهَا جَنَاحَانِ يَحْفِزَانِ بِهَا نِيطَا إِلَيْهَا بِجِذْوَتَىْ رَسَنِ(١)
يَاذَا الْيَمِينَيْنِ أُضْرِبْ عِلَاوَتَهُ(٢) يُدْفَعْ وَمَانِى فى النَّارِ فى قَرَنِ

(قيل السفينة وقيل الراية ، وهو أصح لأن جَدَّهُ حبَسَ رايةَ طاهر بن الحسين ثلاثة أعوام .وقوله «ومانى فى النار فى قرن» مانى أسم علم ، وكان رأسا من رءوس الزنادقة) .

فأجابه إبراهيم السَّوّاقُ مولى آلِ المُهَلَّبِ ، وكان مُقَدَّمًا فى الشعر بأبيات لا أحفظ أكثرها منها :

قَدْ قِيلَ مَا قِيلَ فى أَبِى حَسَنٍ فَانْتَجِرُوا فى تَطَاوُلِ الزَّمَنِ

وهذا السَّوّاق هو الذى يقول لبُشْرِ بن داود بن يزيد بن حاتم بن قَبيصة أبن المهلب :

سَمَاؤُكَ تُمْطِرُ الذَّهَبَا وَحَرْبُكَ تَلْتَظِى لَهَبَا
وَأَىُّ كَتِيبَةٍ لَاقَتْكَ لَمْ تَسْتَحْسِنَ الهَرَبَا

ومن شعره السائر :

هَبِينِى يَا مُعَذِّبَتِى أَسَأْتُ وَبِالْهِجْرَانِ قَبْلَكُمُ بَدَأْتُ
فَأَيْنَ الْفَضْلُ مِنْكِ فَدَتْكِ نَفْسِى عَلَىَّ إِذَا أَسَأْتِ كَمَا أَسَأْتُ

ولأبن أبى عُيَيْنَةَ فى هذا المعنى أشعار كثيرة فى معاتبات ذى اليمينين وهجاء إسماعيل وغيره سنذكرها بعدُ فى هذا الكتاب إن شاء ألله تعالى .

ومن شعره المستحسَن قوله فى عيسى بن سليمان بن على بن عبد ألله أبن العباس ، وكان تزوج امرأة منهم يقال لها فاطمةُ بنت عمر بن حفص

(١) الرسن: ما كان من الأزمة على أنف البعير .
(٢) العلاوة : الرأس .

هَزَارَمَرْدَ (وقعت الرواية كما فى الأصل وصوابه هَزَاذَ مَرْدَ بالزاى والذال معجمة ، ولا خلاف فى الزاى) وهو من ولد قَبِيصةَ بن أبى صُفْرَة ، ولم يَلِدْهُ المُهَلَّبُ ، وكان يقال لأبى صُفْرَةَ ظالم بن سَرَّاق :

أَفَاطِمَ قَدْ زُوِّجْت عِيسَى فَأَيْقِنِى ... بِذُلٍّ لَدَيْهِ عَاجِلٍ غَيْرِ آجِلِ
فَإِنَّكِ قَدْ زُوِّجْتِ عَنْ غَيْرِ خِبْرَةٍ ... فَتًى مِنْ بَنِى الْعَبَّاسِ لَيْسَ بِعَاقِلِ
فَإِنْ قُلْتِ مِنْ رَهْطِ النَّبِىِّ فَإِنَّهُ ... وَإِنْ كَانَ حُرَّ الأَصْلِ عَبْدُ الشَّمَائِلِ
فَقَدْ ظَفِرَتْ كَفَّاهُ مِنْكِ بِطَائِلٍ ... وَمَا ظَفِرَتْ كَفَّاكِ مِنْهُ بِطَائِلِ
وَقَدْ قَالَ فِيهِ جَعْفَرٌ وَمُحَمَّدٌ[1] ... أَقَاوِيلَ حَتَّى قَالَهَا كُلُّ قَائِلِ
وَمَا قُلْتُ مَا قَالاَ لِأَنَّكِ أُخْتُنَا ... وَفِى السِّرِّ مِنَّا وَالذُّرَا وَالْكَوَاهِلِ
لَعَمْرِى لَقَدْ أَثْبَتِّهِ فِى نِصَابِهِ[2] ... بِأَنْ صِرْتِ مِنْهُ فِى مَحَلِّ الحَلاَئِلِ
إِذَا مَا بَنُو الْعَبَّاسِ يَوْماً تَبَادَرُوا[3] ... عُرَا الْمَجْدِ وَابْتَاعُوا كِرَامَ الْفَضَائِلِ
رَأَيْتِ أَبَا الْعَبَّاسِ[4] يَسْمُو بِنَفْسِهِ ... إِلَى بَيْعِ بَيَّاحَاتِهِ[5] وَالْمَبَاقِلِ[6]
يُرَخِّمُ بَيْضَ الْعَامِ تَحْتَ دَجَاجِهِ ... لِيُخْرِجَ بَيْضاً مِنْ فَرَارِيجِ قَابِلِ

---

(١) هما أخوا عيسى بن سليمان ، وقد أكثرا فى وصفه بالبخل .

(٢) أى أنزلته منزلة الرفعة والشرف . (٣) ويروى : تنازعوا .

(٤) كنية عيسى .

(٥) جمع بياحة بتشديد الياء ، وهى شبكة تحبس البياح — بكسر الباء وتخفيف الياء — وهو نوع من السمك طوله شبر .

(٦) جمع مبقلة ، وهو موضع بيع البقل . وكانت للمهجوّ محابس يحبس فيها البياح ويبيعه ، وكانت له ضيعة تعرف بدالية عيسى يبيع فيها البقول والرياحين ، وهو أول من جمع السماد بالبصرة وباعه ، وفيه يقول ابن أبى عيينة :

رأيت الناس همهم المعالى ... وعيسى همه جمع السماد
ورزق العالمين بكف ربى ... وعيسى رزقه است العباد

قال أبو العباس : وَوَلَدُ عِيسى من فاطمة هذه لَهُمْ شجاعةٌ وَنَجْدَةٌ وشدةُ أبدانٍ ؛ وفاطمة التى ذكرتها هى التى كان يَنْسِبُ بها أبو عُيَيْنَةَ أخو عبد الله ويَكْنِي عنها « بِدُنْيا » ، ومن ذلك قوله لها :

دَعَوْتُكِ بِالْقَرَابَةِ وَالْجِوَارِ دُعَاءَ مُصَرِّحٍ بَادِي السِّرَارِ
لِأَنِّى عَنْكِ مُشْتَغِلٌ بِنَفْسِي وَمُحْتَرِقٌ عَلَيْكِ بِغَـيْرِ نَارِ
وَأَنْتِ تَوَقَّرِينَ وَلَيْسَ عِنْدِي عَلَى نَارِ الصَّبَابَةِ مِنْ وَقَارِ
فَأَنْتِ لِأَنَّ مَابِكِ دُونَ مَا بِي تُدَارِينَ الْعُيُونَ وَلَا أُدَارِي
وَلَوْ وَاللهِ تَشْتَاقِينَ شَوْقِي جَمَحْتِ إِلَيَّ خَالِعَةَ الْعِذَارِ

وقال عبد الله يعاتب ذا اليمينين :

مَنْ مُبْلِغٌ عَنِى الأَمِيرَ رِسَالَةً مَحْصُورَةً عِنْدِى عَنِ الإِنشَادِ[1]
كُلُّ الْمَصَائِبِ قَدْ تَمُرُّ عَلَى الْفَتَى فَتَهُونُ غَـيْرَ شَمَاتَةِ الْحُسَّادِ
وَأَظُنُّ لِي مِنْهَا لَدَيْكَ خَبِيئَةً سَتَكُونُ عِنْدَ الزَّادِ آخِرَ زَادِ
مَالِي أَرَى أَمْرِي لَدَيْكَ كَأَنَّهُ مِنْ ثِقْلِهِ طَوْدٌ مِنْ الْأَطْوَادِ
وَأَرَاكَ تُرْجِيهِ وَتُمْضِي غَيْرَهُ فِى سَاعَةِ الإِصْدَارِ وَالإِيرَادِ
اللهُ يَعْلَمُ مَا أَتَيْتُكَ زَائِرًا مِنْ ضِيقِ ذَاتِ يَدٍ وَضِيقِ بِلَادِ
لٰكِنْ أَتَيْتُكَ زَائِرًا لَكَ رَاجِيًا بِكَ رُتْبَةَ الآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ
قَدْ كَانَ لِي بِالْمِصْرِ يَوْمٌ جَامِعٌ[2] لَكَ مُصْلِحٌ فِيهِ لِكُلِّ فَسَادِ

(١) يعنى أنها محبوسة فى صدره .

(٢) يريد تذكير طاهر بما كان من دعائه أمراء البصرة ووجوهها لمبايعة المأمون وخلع الأمين .

وَدَعَوْتُ مَنْصُوراً[١] فَأَعْلَنَ بَيْعَةً ... فِى جَمْعِ أَهْلِ الْمِصْرِ وَالْأَجْنَادِ
بَارَتْ مُسَارَعَتِى إِلَيْكَ بِطَاعَتِى ... كُلَّ الْبَوَارِ وَآذَنَتْ بِكَسَادِ
فِى الْأَرْضِ مُنْفَسَحٌ وَرِزْقٌ وَاسِعٌ ... لِى عَنْكَ فِى غَوْرِى وَفِى إِنْجَادِى

وقال أيضاً يعاتبه :

أَيَا ذَا الْيَمِينَيْنِ إِنَّ الْعِتَا ... بَ يُغْرِى صُدُوراً وَيَشْفِى صُدُوراً
وَكُنْتُ أَرَى أَنَّ تَرْكَ الْعِتَا ... بِ خَيْرٌ وَأَجْدَرُ أَنْ لَا يَضِيرَا
إِلَى أَنْ ظَنَنْتُ بِأَنْ قَدْ ظَنَنْتَ ... بِأَنِّى لِنَفْسِى أَرْضَى الْحَقِيرَا
فَأَضْمَرَتِ النَّفْسُ فِى وَهْمِهَا ... مِنَ الْهَمِّ هَمًّا يَكُدُّ الضَّمِيرَا
وَلَا بُدَّ لِلْمَاءِ فِى مِرْجَلٍ ... عَلَى النَّارِ مُوقَدَةً أَنْ يَفُورَا
وَمَنْ أُشْرِبَ الْيَأْسَ كَانَ الْغَنِىَّ ... وَمَنْ أُشْرِبَ الْحِرْصَ كَانَ الْفَقِيرَا
عَلَامَ وَفِيمَ أَرَى طَاعَتِى ... لَدَيْكَ وَنَصْرِى لَكَ الدَّهْرَ بُورَا
أَلَمْ أَكُ بِالْمِصْرِ أَدْعُو الْبَعِيدَ ... إِلَيْكَ وَأَدْعُو الْقَرِيبَ الْعَشِيرَا
أَلَمْ أَكُ أَوَّلَ آتٍ أَتَاكَ ... بِطَاعَةِ مَنْ كَانَ خَلْفِى بَشِيرَا
وَأَلْزَمُ غَرْزَكَ فِى مَأْقِطِ[٢] الْـ ... ـحُرُوبِ عَلَيْهَا مُقِيماً صَبُورَا
* فَفِيمَ تُقَدِّمُ جَفَّالَةً[٣] ... إِلَيْكَ أَمَامِى وَأُدْعَى أَخِيرَا
كَأَنَّكَ لَمْ تَرَ أَنَّ الْفَتَى الْـ ... ـحَمِىَّ[٤] إِذَا زَارَ يَوْمًا أَمِيرَا
* فَقُدِّمَ مَنْ دُونَهُ قَبْلَهُ ... أَلَسْتَ تَرَاهُ بِسُخْطٍ جَدِيراً

---

(١) هو ابن المهدى عامل البصرة .

(٢) الغرز: مساك رجل الراكب . والمأقط : المضيق فى الحرب ، والمراد أنه كان يلازمه فى حروبه

(٣) كثير الجفول وهو الإسراع فى الذهاب . (٤) الغيور .

أَلَسْتَ تَرَى أَنَّ سَفَّ التُّرَابِ ... بِهِ كَانَ أَكْرَمَ مِنْ أَنْ يَزُورَا
وَلَسْتُ ضَعِيفَ الْهَوَى وَالْمَدَى ... أَكُونُ الصَّبَا وَأَكُونُ الدَّبُورَا
وَلَكِنْ شِهَابٌ فَإِنْ تَرْمِ بِي ... مُهِمًّا تَجِدْ كَوْكَبِي مُسْتَنِيرَا
فَهَلْ لَكَ فِي الإِذْنِ لِي رَاضِياً ... فَإِنِّي أَرَى الإِذْنَ غُنْماً كَبِيرَا
وَكَانَ لَكَ اللهُ فِيمَا ابْتُعِثْتَ ... لَهُ مِنْ جِهَادٍ وَنَصْرٍ نَصِيرَا
* وَلاَ جَعَلَ اللهُ فِي دَوْلَةٍ ... سَبَقْتَ إِلَيْهَا وَرِيحٍ فُتُورَا
* فَإِنَّ وَرَائِي لِي مَذْهَباً ... بَعِيدًا مِنَ الْأَرْضِ قَاعًا وَقُورَا
بِهِ الضَّبُّ تَحْسَبُهُ بِالْفَلاَةِ ... إِذَا خَفَقَ الآلُ فِيهَا بَعِيرَا
وَمَالاً وَمِصْرًا عَلَى أَهْلِهِ ... يَدُ اللهِ مِنْ جَائِرٍ أَنْ يَجُورَا
* وَإِنِّي لِمَنْ خَيْرِ سُكَّانِهِ ... وَأَكْثَرِهِمْ بِنَفِيرِي نَفِيرَا

وقال عبد الله لعلى بن محمد بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم ، وكان دعاه إلى نُصْرَتِهِ حين ظهرت المُبَيِّضَةُ(١) فلم يُجبهُ فتوعده علىّ ، فقال عبد الله :

أَعَلِيُّ إِنَّكَ جَاهِلٌ مَغْرُورُ ... لاَ ظُلْمَةٌ لَكَ لاَ وَلاَ لَكَ نُورُ(٢)
أَكَتَبْتَ تُوعِدُنِي إِذِ اسْتَبْطَأْتَنِي ... إِنِّي بِحَرْبِكَ مَا حَيِيتُ جَدِيرُ
فَدَعِ الْوَعِيدَ فَمَا وَعِيدُكَ ضَائِرِي ... أَطَنِينُ أَجْنِحَةِ الْبَعُوضِ يَضِيرُ
وَإِذَا ارْتَحَلْتُ فَإِنَّ نَصْرِيَ لِلأُلَى ... أَبْوَاهُمُ الْمَهْدِيُّ وَالْمَنْصُورُ
نَبَتَتْ عَلَيْهِ لُحُومُنَا وَدِمَاؤُنَا ... وَعَلَيْهِ قُدِّرَ سَعْيُنَا الْمَشْكُورُ

---

(١) هم قوم من أعداء الدولة العباسية ، جعلوا شعارهم بيض الثياب يخالفون به شعار بنى العباس من لبس السواد . (٢) لاظلمة له ولا نور : لاضرر فيه ولا نفع .

وقال عبد اللّٰه فى قتل داود بن يزيد بن حاتم بن قَبيصةَ بن المُهلَّبِ مَنْ قَتَلَ بأرضِ السِّنْدِ بدم أخيه المُغيرةِ بن يَزيدَ :

أَفْنَى تَميماً سَعْدَهَا وَرِبَابَهَا ... بِالسِّـــنْدِ قَتْلُ مُغِيرَةَ بن يَزِيدِ
صَعِقَتْ عَلَيْهِمْ صَعْقَةٌ عَتَكِيَّةٌ(١) ... جَعَلَتْ لَهُم يَوْمًا كَيَوم ثَمُودِ
ذَاقَتْ تَمِيمُ عَرَكَتَيْنِ(٢) عَذَابَنَا ... بِالسِّنْدِ مِنْ عُمَرٍ وَمِنْ دَاوِدِ
قُدْنَا الجِيَادَ مِنَ العِرَاقِ إِلَيْهِمُ ... مِثْلَ القَطَا مُسْتَنَّةً لِوُرودِ(٣)
يَحْمِلْنَ مِنْ وَلَدِ المُهَلَّبِ عُصْبَةً ... خُلِقَتْ قُلُوبُهُمُ قُلُوبَ أُسُودِ

وفى المغيرة يقول فى قصيدة مطولة :

إِذَا كَرَّ فِيهِمْ كَرَّةً أَفْرَجُوا لَهُ ... فِرَارَ بُغَاثِ الطَّيْرِ صَادَفْنَ أَجْدَلَا(٤)
وَمَا نِيلَ إِلَّا مِنْ بَعِيدٍ بِحَاصِبٍ(٥) ... مِنْ النَّبْلِ وَالنُّشَّابِ حَتَّى تَجَدَّلَا(٦)
وَإِنِّى لَمُثْنٍ بِالَّذِى كَانَ أَهْلَـــهُ ... أَبُو حَاتِمٍ إِنْ نَابَ دَهْرٌ فَأَعْضَلَا
فَتًى كَانَ يَسْتَحْيِى مِنَ الذَّمِّ أَنْ يَرَى ... لَهُ مَخْرَجًا يَوْمًا عَلَيْهِ وَمَدْخَلَا
وَكَانَ يَظُنُّ المَوْتَ عَارًا عَلَى الفَتَى ... يَدَ الدَّهْرِ(٧) إِلَّا أَنْ يُصَابَ فَيُقْتَلَا
مَنِيَّـــةُ أَبْنَاءِ المُهَلَّبِ إِنَّهُمْ ... يَرَوْنَ بِهَا حَتْمًا كِتَابًا مُعَجَّلَا
وَقَدْ أَطْلَقَ اللّٰهُ اللِّسَانَ بِقَتْلِ مَنْ ... قَتَلْنَا بِهِ مِنْهُمْ وَمَنَّ وَأَفْضَلَا

---

(١) منسوبة إلى جده الأكبر عتيك على وزن أمير .
(٢) أى مرتين ، تقول : لقيته عركة وعركتين وعركات كما تقول : لقيته مرة ومرتين ومرات ، لا تستعمل إلا ظرفا .
(٣) مستنة : مسرعة . (٤) الأجدل : الصقر .
(٥) الحاصب فى الأصل : ماتناثر من برد وثلج .
(٦) وقع على الجدالة ، وهى الأرض .
(٧) يد الدهر: مدة الدهر.

أَنَاخَ بِهِــمْ دَاوُدُ يَصْرِفُ نَابُهُ ... وَيُلْقِي عَلَيْهِمْ كَلْكَلاً ثُمَّ كَلْكَلاَ
يُقَتِّلُهُمْ جُوعًا إِذَا مَا تَحَصَّنُوا ... وَتَقْرِيهِمُ هُوجُ الْمَجَانِيقِ[1] جَنْدَلاَ

وهذا شعر عجيب من شعره ، وفى هذه القصة يقول :

أَبَتْ[2] إِلاَّ بُكَاءً وَانْتِحَابًا ... وَذِكْرًا لِلْمُغِيرَةِ وَاكْتِئَابًا
أَلَمْ تَعْــلَمْ بِأَنَّ الْقَتْلِ وِرْدٌ ... لَنَا كَالْمَاءِ حِينَ صَفَا وَطَابَا
وَقُلْتُ لَهَا : قِرِى وَثِقِى بِقَوْلِى ... كَأَنَّكِ قَدْ قَرَأْتِ بِهِ كِتَابَا
فَقَدْ جَاءَ الْكِتَابُ بِهِ فَقُولِى ... أَلاَ لاَ تَعْدَمِ الرَّأْىَ الصَّـوَابَا
جَلَبْنَا الْخَيْلَ مِنْ بَغْدَادَ شُعْثًا ... عَوَابِسَ تَحْمِلُ الأُسْدَ الْغِضَابَا
بِكُلِّ فَــتًى أَغَرَّ مُهَلَّبِيٍّ ... تَخَالُ بِضَوْءِ صُورَتِهِ شِهَابَا
وَمِنْ قَحْطَانَ كُلَّ أَخِى حِفَاظٍ ... إِذَا يُدْعَى لِنَائِبَةٍ أَجَابَا
فَمَا بَلَغَتْ قُرَى كَرْمَانَ حَتَّى ... تَخَــدَّدَ لَحْمُهَا عَنْهَا فَذَابَا
وَكَانَ لَهُنَّ فِى كَرْمَانَ يَوْمٌ ... أَمَرَّ عَلَى الشُّرَاةِ[3] بِهَا الشَّرَابَا
وَإِنَّا تَارِكُونَ غَدًا حَدِيثًا ... بِأَرْضِ السِّنْدِ سَــعْدًا وَالرِّبَابَا
تُفَاخِرُ بِابْنِ أَحْوَزِهَا[4] تَمِيمٌ ... لَقَــدْ حَانَ الْمُفَاخِرُ لِى وَخَابَا

وفى مثل هذا البيت الأخير يقول أخوه أبو عُيَيْنَةَ :

أَعَاذِلُ صَهْ لَسْتَ مِنْ شِيمَتِى ... وَإِنْ كُنْتَ لِى نَاصِحًا مُشْفِقَا
☆ أَرَاكَ تُفَرِّقُــنِى[5] دَائِبًا ... وَمَا يَنْبَغِى لِىَ أَنْ أَفْــرَقَا

---

(١) جمع منجنيق — بفتح الميم وتكسر — وهو آلة ترمى بها الحجارة .
(٢) يريد نفسه . (٣) الشراة : طائفة من الخوارج .
(٤) هو هلال بن أحوز ، وكانت له وقعة بالسند على آل المهلب .
(٥) تخوفنى .

أنا ابْنُ الَّذِى شَادَ لِى مَنْصِباً   وَكَانَ السِّمَاكَ إِذَا حَلَّقَا[1]
قَرِيعُ الْعِرَاقِ[2] وَبِطْرِيقُهُمْ   وَعِـــزُّهُمُ الْمُرْتَجَى الْمُتَّقَى
فَمَنْ يَسْتَطِيعُ إِذَا مَاذَهَبْــــتُ أَنْطِقُ فِى الْمَجْدِ أَنْ يَنْطِقَا
أَنَا ابْنُ الْمُهَلَّبِ مَافَوْقَ ذَا   لِعَالٍ إِلَى شَرَفٍ مُرْتَقَى
فَدَعْنِىَ أُغْلِى ثِيَابَ الصِّـــبَا   بِجِدَّتِهَا قَبْلَ أَنْ تَخْلَقَا

قال أبو الحسن : وهذا شعر حَسَنٌ أوله :

أَلَمْ تَنْهَ نَفْسَكَ أَنْ تَعْشَقَا   وَمَا أَنْتَ وَالْعِشْقُ لَوْلاَ الشَّقَا
أَمِنْ بَعْدِ شُرْبِكَ كَأْسَ النُّهَى   وَشَمِّكَ رَيْحَانَ أَهْــــلِ النُّقَا
عَشِقْتَ فَأَصْبَحْتَ فِى الْعَاشِقِيــــنَ أَشْهَرَ مِنْ فَرَسٍ أَبْلَقَا

ثم قال : ✡ أَعَاذِلُ صَــهْ لَسْتَ مِنْ شِيمَتِى ✡ :

ثم قال بعد قوله : ✡ فَدَعْـــــنِىَ أُغْلِى ثِيَابَ الصِّبَا ✡

« أَدُنْيَاىَ »! مِنْ غَمْرِ بَحْرِ الْهَوَى   خُذِى بِيَدِى قَبْلَ أَنْ أَغْرَقَا
أَنَا لَكِ عَبْدٌ فَكُونِى كَمَنْ   إِذَا سَرَّهُ عَبْدُهُ أَعْتَـــــقَا

قال أبو الحسن : قوله أنا لكِ عبدٌ بالألف فهذا إنما يجوز فى الضرورة ، والألف تَثْبُتُ فى الوقف لبيان الحركة فلم يُحْتَجْ إلى الألف[3]، ومن أثبتها فى الوصل قاسه على الوقف للضرورة كقوله :

فَإِنْ يَكُ غَثًّا أَوْ سَمِيناً فَإِنَّنِى   سَأَجْعَلُ عَيْنَيْهِ لِنَفْسِهِ مَقْنَعاً[4]

---

(١) ارتفع . (٢) قريع العراق : سيدها . (٣) يريد لم يحتج اليها فى الوصل .
(٤) مقنع : شاهد عدل .

لأنه إذا وُقِفَ وُقِفَ على الهاء وَحْدَها فأَجْرَى الوصل على الوقف[1]، وأنشدوا قول الأَعْشَى :

فَكَيْفَ أنا وانْتِحالُ القَوا فِي[2] بَعْدَ المَشِيبِ كَفَى ذاكَ عارًا

والرواية الجيدة :

فَكَيْفَ يَكُونُ انْتِحالُ الْـ ـقَوافِي بَعْـ ـدَ المَشِيبِ

سَقَى اللهُ «دُنْيا» عَلَى نَأْيِها مِنَ القَطْرِ مُنْبَعِقًا[3] رَيِّقَا[4]

أَلَمْ أَخْدَعِ النّاسَ عَنْ حُبِّها وَقَدْ يَخْدَعُ الكَيِّسُ الأَحْمَقا

بَـلَى وَسَبَقْتُهُمُ إنَّنِي أُحِبُّ إلى المَجْـدِ أَنْ أَسْبِقا

وَيَوْمَ الجَنازَةِ إذْ أَرْسَلَتْ عَلَى رِقْبَةٍ أَنْ جِيءِ الخَنْدَقا

إلَى السّالِّ فاخْتَرْ لَنا مَجْلِسا قَـرِيبًا وَإيّاكَ أَنْ تَخْرُقا

هذا مما يَغْلَطُ فيه عامةُ أهل البصرة يقولون: السالَ بالتخفيف، وإنما هو السالُّ يا هذا! وجمعه سُلّانٌ، وهو الغالُّ وجمعه غُلّانٌ، وهو الشَّقُّ الخَفِيُّ في الوادي

فَكُنّا كَغُصْنَيْنِ مِنْ بانَةٍ رَطِيبَيْنِ حِـدْثانَ ما أَوْرَقا

فَقالَتْ لِتِرْبٍ لَها اسْتَنْشِدِيـ ـهِ مِنْ شِعْرِهِ الحَسَنِ المُنْتَقَى

فَقُلْتُ : أُمِرْتُ بِكِتْمانِهِ وَحُذِّرْتُ إنْ شاعَ أَنْ يُسْرَقا

فَقالَتْ بِعَيْشِكِ ! قُولِي لَهُ تَمَتَّعْ لَعَـلَّكَ أَنْ تَنْفَقا

---

(١) فلم يأت بعدة الهاء في الوصل .

(٢) قال الشيخ المرصفي : الصواب القواف ، بحذف الياء الأخيرة والاجتزاء بالكسرة .

(٣) انبعق المطر وتبعق : انفتح بشدة .

(٤) الريق بتشديد الياء وتخفف : أول كل شيء وأفضله .

قوله « لعلك أن تنفقا » اضطرار وحدّه لعلك تَنْفَقُ لأن لَعَلَّ من أخوات إنَّ فأُجْرِيتَ مُجْرَاها ، ومن أتى بأنْ فامضارَعتها عسى ، كما قال مُتَمِّم بن نُوَيْرَةَ :

لَعَلَّكَ يَوْمًا أَنْ تُلِمَّ مُلِمَّةٌ عَلَيْكَ مِنَ اللاَّئِى يَدَعْنَكَ أَجْدَعا

وهو كثير .

قال أبو العباس : وزعم أبو مُعاذٍ النُّمَيْرِىّ أنه كان يَعْتَادُ عبدَ الله بنِ محمد ابن أبي عيينة ، ويكثر المُقامَ عنده وكان راويةً لشعره ، وأمُّ ابن أبي عُيَيْنَةَ ابن المهلب يقال لها خَيْرَةُ ، وهى من بنى سَلَمَةِ الخَيْرِ بن قُشَيْرِ بن كَعْب ابن رَبِيعةَ بن عامر بن صَعْصَعَةَ ، فَأَبْطَأْتُ عليه أياما فكتب إلىَّ :

تَمَادى فى الجَفَاءِ أبُو مُعاذٍ وَرَاوَغَنِى وَلاذَ بِلا مَلاذِ

وَلَوْلاَ حَقُّ أَخْوالِى قُشَيْرٍ أَتَتْهُ قَصَائِدٌ غَيْرُ اللَّذَاذِ

كَمَا رَاحَ الهِلاَلِىُّ بْنُ حَرْبٍ بِهِ سِمَةٌ[1] عَلَى عُنُقٍ وَحاذِ[2]

يعنى محمد بن حرب بن قَبِيصة بن مُخَارِقٍ الهلالىّ ، وكان من أقْعَدِ الناس[3] .

ولقبيصة بن المخارق صحبةٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان سار إليه فأكرمه وبَسَطَ له رِدَاءهُ ، وقال : مرحباً بخالى ! فقال: يا رسول الله ، رَقَّ جِلْدِى ، ودَقَّ عَظْمِى ، وَقَلَّ مالى ، وهُنْتُ على أهلى ! فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد أبْكَيْتَ بما ذكرتَ ملائكةَ السماء .

---

(١) من الوسم وهو الكىّ . (٢) الحاذ : الظهر . (٣) أقربهم إلى جده الأكبر .

ومُحمدُ بن حَرْبٍ هذا وَلِي شُرْطَةَ البصرة سبع مرات ، وكَان على شُرْطةِ جعفر بن سليمان على المدينة ، وكَان كثير الأدب غزِيرَهُ ، فَأَغْضَبَ ابنَ أبي عيَيْنَةَ فى حُكْمٍ جَرَى عليه بحضرة اسحٰق بن عيسى ـ وكان على شرطته إذ ذاك ـ ففى ذلك يقول عبد الله بن أبى عيينة :

بِأَخْـــوَالِي وَأَعْمَامِي أَقَامَتْ قُرَيْشٌ مُلْكَهَا وَبِهَا تُهَابُ
مَـــتَى مَا أَدْعُ أَخْوَالِي لِحَرْبٍ وَأَعْمَامِي لِنَائِبَـــــةٍ أَجَابُوا
أَنَا ابْنُ أَبِي عُيَيْنَةَ فَرْعُ قَوْمِي وَكَعْبٌ وَالِدِي وَأَبِي كِلَابُ
خَلَا ابْنُ عُكَابَةَ الظَّرِبانِ سَهْلٍ لَهُ فَسْوٌ تُصَادُ بِهِ الضِّبَابُ
وَآخَر مِنْ هِلَالٍ قَدْ تَدَاعَى فَصَارَ كَأَنَّهُ الشَّيْءُ الْخَرَابُ

باب

قال أبو العباس : كَان ابن شُبْرُمَةَ إذا نزلتْ به نازلةٌ قال : سَحابةٌ ثم تنْقَشِعُ .

وكَان يقال : أربع من كنوز الجنة : كِتْمانُ المصيبة ، وكتمان الصدقة ، وكتْمانُ الفاقةِ ، وكِتمانُ الوجَعِ .

قال عمر بن الخطاب رحمه الله : لو كان الصَّبْرُ وَالشُّكْرُ بَعِيرَيْنِ ما باليتُ أيهما رَكِبْتُ .

وقال العُتْبِيُّ محمد بن عبيد الله يذكر ابناً له مات :

أَضْحتْ بِخَدِّى لِلدُّمُوعِ رُسُومُ أَسَفاً عَلَيْكَ وَفى الفُؤَادِ كُلُومُ
وَالصَّبْرُ يُحْمَدُ فى المَصَائِبِ كُلِّهَا إِلَّا عَلَيْكَ فَإِنَّهُ مَــذْمُومُ

قال أبو العباس : وأحسب أن حَبيباً الطائى[1] سمع هذا فاسْتَرَقَهُ فى بيتين أحدهما قوله فى إدريس بن بَدْرٍ الشامى :

دُمُوعٌ أَجابَتْ دَاعِيَ الْحُزْنِ هُمَّعُ ... تَوَصَّلُ مِنَّا عَنْ قُلُوبٍ تَقَطَّعُ
وَقَدْ كَانَ يُدْعَى لابِسُ الصَّبْرِ حازِمًا ... فَأَصْبَحَ يُدْعَى حازِمًا حِينَ يَجْزَعُ

والآخر قوله :

قَالُوا الرَّحِيلَ! فَمَا شَكَكْتُ بِأَنَّهَا ... نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا تُرِيدُ رَحِيلا
الصَّبْرُ أَجْمَلُ غَيْرَ أَنَّ تَلَدُّدا ... فى الحُبِّ أَحْرَى أَنْ يَكُونَ جَمِيلا

وقال سابقٌ البَرْبَرِيّ :

وَإِنْ جَاءَ مَا لاَ تَسْتَطِيعَانِ دَفْعَهُ ... فَلاَ تَجْزَعَا مِمَّا قَضَى اللهُ وَاصْبِرَا

وقال آخر أيضاً :

اُصْبِرْ عَلَى الْقَدَرِ المَجْلُوبِ وَارْضَ بِهِ ... وَإِنْ أَتَاكَ بِمَا لاَ تَشْتَهِي الْقَدَرُ
(فَمَا صَفَا لِامْرِىءٍ عَيْشٌ يُسَرُّ بِهِ ... إِلاَّ سَيَتْبَعُ يَوْمًا صَفْوَهُ كَدَرُ)

وكَان خالد بن صَفْوان يدخل على بلال بن أبى بُرْدَةَ يحدّثه فَيَلْحَنُ ، فلما كثر ذلك على بلال قال له : أتحدثنى أحاديثَ الخلفاء ، وتَلْحَنُ لَحْنَ السَّقَّاآت ! قال التَّوَّزِيُّ : فكان خالدُ بن صفوان بعد ذلك يأتى المسجد ويتعلم الإعْرابَ وكُفَّ بَصَرُهُ فكان إذا مَرَّ به مَوْكِبُ بلالٍ يقول ما هذا ؟ فيقال له : الأمير ! فيقول خالد ⁕ سَحَابَةُ صَيْفٍ عَنْ قَلِيلٍ تَقَشَّعُ ⁕ فقيل ذلك لبلال، فأجْلَسَ معه مَنْ يأتيه بخبره، ثم مَرَّ به بلال ، فقال خالد كما كان يقول،

---

(١) هو أبو تمام .

فقيل ذلك لبلال ، فأقْبَلَ على خالد فقال : لا تَقَشَّعُ والله حتى تُصيبَكَ منها بشُؤبوب بَرَدٍ ! فضربه مِائَتَيْ سوطٍ وقال بعضهم : بل أَمَرَ به فَدِيسَ بطنُهُ .

قوله : بشؤبوب ، مهموز، وهو الدُّفْعَةُ من المطر بشدة، وجمعه شآبيبُ.

قال النابغة يخاطب القبيلة :

وَلاَ تُلاَقِي كما لاَقَتْ بَنُو أَسَدٍ   فَقَدْ أَصَابَتْهُمُ مِنْهَا بِشُؤْبُوبِ

يريد ما نال بنى أسد من غارة النعمان عليهم ، وضرب الشؤبوب مثلا للغارة ، والغارةُ تُضْرَبُ لذلك مثلا كما يقال شَنَّ عليهم الغارةَ : أى صبها عليهم ، قال ابن هَرْمَة :

كَمْ بَازِلٍ قَدْ وَجَأْتُ لَبَّتَهَا   بِمُسْتَهِلِّ الشُّؤْبُوبِ أَوْ جَمَلِ

يريد ماوَجَأها به من حديدة ، يقول : لما وَجَأْتُها دفَعَتْ بشؤبوب من الدم ، فكأنه قال بِسِنانٍ مُسْتَهِلِّ الشُّؤْبُوبِ ، أو ما أشبه ذلك .



وكَان خالد بن صَفْوانَ أحد مَنْ إذا عَرَضَ له القولُ قال ، فيقال إن سليمان بن عليٍّ سأله عن ابْنَيْه جعفرٍ ومحمدٍ ، فقال : كيف إحْمادُكَ جوارَهما يا أبا صفوان[1] ! فقال :

أَبُو مَالِكٍ جَارٌ لَهَا وَابْنُ بُرْثُنٍ   فَيَالَكَ جَارَيْ ذِلَّةٍ وَصَغَارِ

(ش قوله : أبو مالك ، صوابه أبو نافع ، وهو مَوْلًى لعبد الرحمٰن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه) فأَعْرَضَ عنه سليمانُ ، وكان سُليمانُ من أحْلَمِ الناسِ

(١) المعنى : هل حمدت جوارهما .

وأكرمهم، وهو فى الوقت الذى أَعْرَضَ فيه عنه والى البَصْرَةِ وعَمُّ الخليفة المنصور، والشعر الذى تَمَثَّلَ به خالد ليزيد بن مُفَرِّغٍ الحِمْيرِىّ. قال :

سَقَى اللهُ دَارًا لِى وَأَرْضًا تَرَكْتُهَا ... إِلَى جَنْبِ دَارَىْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارِ
أَبُو مَالِكٍ جَارٌ لَهَا وَابْنُ بُرْثُنٍ ... فَيَالَكَ جَارَىْ ذِلَّةٍ وَصَغَارِ

وكان الحسن يقول : لسانُ العاقل من وراء قلبه ، فإن عَرَضَ له القولُ نظر ، فإن كان له أن يقول قال ، وإن كان عليه القولُ أَمْسَكَ ، ولسانُ الأحمقِ أمامَ قلبه ، فإذا عرض له القول قال ، كان عليه أوْ له.

وخالدٌ لم يكن يقول الشِّعْرَ ، ويُرْوَى أنه وَعَدَ الفَرَزْدَقَ شيئاً فأخره عنه ، وكان خالد أحد البُخَلاء ، فمر به الفرزدقُ فَهَدَّدَهُ فأمسك عنه حتى جاز الفرزدقُ ، ثم أقبل على أصحابه فقال : إن هذا قد جعَلَ إحْـدى يَدَيْهِ سَطْحًا ، وملأ الأخرى سَلْحًا ، وقال إن عَمَرْتُم سَطْحِى ، وإلا نَضَحْتُكُمْ بِسَلْحى !

وقال إياسُ بن معاوية المُزَنِىُّ أبو واثلة ، وكان أحد العقلاء الدُّهاة الفضلاء لخالد : لا ينبغى أن نجتمع فى مجلس ، فقال له خالد : وكيف يا أبا واثلة ؟ فقال : لأنك لا تحب أن تسكت ، وأنا لا أحب أن أسمع !

وخاصم إلى إياس رجلٌ رجلا فى دَيْنٍ وهو قاضى البصرة فَطَلَبَ منه البينةَ، فلم يأته بمَقْنَعٍ ، فقيل للطالب : اسْتَجِرْ وَكيعَ بن أبى سُودٍ حتى يَشْهَدَ لك ، فإن إياساً لا يَجْتَرِئُ على رَدّ شهادته ، ففعل ، فقال وَكيعٌ : واللهِ لأَشْهَدَنَّ لك ، فإن ردَّ شهادتى لأُعَمِّمَنَّهُ السيفَ ! فلما طَلَعَ وَكيعٌ فَهِمَ إياسٌ عنه فأَقْعَدَهُ إلى جانبه ، ثم سأله عن حاجته ، فقال : جئتُ شاهدًا ، فقال له :

يا أبا المُطَرِّفِ أتشهد كما تفعل المَوَالى والعَجَمُ؟ أنت تَجِلُّ عن هذا! فقال إذَن واللهُ لا أشهد، فقيل لو كيع بَعْدُ إنما خدَعَك، فقال: أَوْلَى لابن اللَّخْناء!

وشهد رجلٌ من جلساء الحسن بشهادة عند إياس فرده، فشكا الرجل ذلك إلى الحسن، فأتاه الحسن فقال: يا أبا واثلة لِمَ رَدَدْتَ شهادةَ فلان؟ فقال يا أبا سعيد إن الله تعالى يقول: «مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ» وليس فلان ممن أَرْضَى.

واختلف نصرانى إلى أبى دُلامة مَوْلَى بنى أسد يتطَبَّبُ لأَبن له، فوعده إن بَرَأَ عَلَى يديه أن يُعْطيه أَلْفَ دِرْهَمٍ، فبرأ ابنه، فقال للمتطبب: إن الدراهم ليست عندى، ولكنْ والله لأُوَصِّلَنَّهَا إليك، ادَّعِ على جارى فلان هذه الدراهم فإنه مُوسِرٌ، وأنا وابنى نشهد لك فليس دون أخذها شيء، فصار النصرانى بالجار إلى ابْنِ شُبْرُمَةَ، فسأله البينةَ فطلع عليه أبو دُلامةَ وابْنُهُ ففهم القاضى، فلما جلس بين يديه قال أبو دلامة:

إِنِ النَّاسُ غَطَّوْنِى تَغَطَّيْتُ عَنْهُمُ   وَإِنْ بَحَثُونِى كَانَ فِيهِمْ مَبَاحِثُ
(وَإِنْ حَفَرُوا بِئْرِى حَفَرْتُ بِئَارَهُمْ   لِيَعْلَمَ قَوْمٌ كَيْفَ تِلْكَ النَّبَائِثُ)

فقال ابن شبرمة: من ذا الذى يَبْحَثُكَ يا أبا دُلامةَ؟ ثم قال للمدعى: قد عرفتُ شاهدَيْكَ! خَلِّ عن خصمك، ورُحِ العَشِيَّةَ إلَيَّ، فراح إليه فغَرِمها من ماله.

وشهد أبو عُبَيْدَةَ(١) عند عُبَيْدِ الله بن الحسن العَنْبَرِىِّ على شهادة ورجلٌ عدلٌ فقال عبيدُ الله المُدَّعِى: أما أبو عبيدة فقد عرفته، فزدنى شاهداً، وكان عبيدُالله أحد الأدباء الفقهاء الصُّلحاء. وزعم ابن عائشة قال عَتَبْتُ عليه مرة

---

(١) معمر بن المثنى.

فى شىء قال فلقينى يدخل من باب المسجد يريد مجلس الحكم ، وأنا أخرج فقلت مُعَرِّضاً به (للبعيث) :

طَمِعْتُ بِلَيْلَى أَنْ تَرِيعَ وَإِنَّمَا   تُقَطِّعُ أعْنَاقَ الرِّجَالِ المَطَامِعُ

فأنشدنى مُعَرِّضاً تاركاً لما قصدتُ له :

وَبَايَعْتُ لَيْلَى فِى خَلاَءٍ وَلَمْ يَكُنْ   شُهُودٌ عَلَى لَيْلَى عُدُولٌ مَقَانِعُ

وكان ابن عائشة يَتَحَدَّثُ عنه حديثاً عجيباً ، ثم عُرِفَ مَخْرَجُ ذلك الحديث .

ذكر ابن عائشة ، وحدثنى عنه جماعة لا أحصيهم كَثْرَةً : أن عبيد الله ابن الحسن شهد عنده رجل من بنى نَهْشَل على أمرٍ أَحْسِبُهُ دَيْناً فقال له : أَتَرْوِى قولَ الأسود بن يَعْفُرَ * نَامَ الْخَلِىُّ فَمَا احِسُّ رُقَادِى * فقال له الرجل : لا ! فَرَدَّ شهادتَهُ وقال : لو كان فى هذا خير لَرَوَى شرف أهلِهِ .

فحدثنى شيخ من الأَزْدِ حديثاً ظننت أن عبيدالله إياه قَصَدَ ، قال : تقدم رجل إلى سَوَّارِ بن عبد الله — وسَوَّارٌ ابنُ عَمِّ عبيد الله بن الحسن — يدَّعى داراً ، وامرأةٌ تدافِعُهُ وتقول لسوَّار: إنها والله خِطَّةٌ ماوقع فيها كتاب قطُّ . فأتى المدعِى بشاهدين يعرفهما سَوَّار فشهدا له بالدار ، وجعلت المرأة تنكر إنكارا يَعْضُدُهُ التصديق ، ثم قالت : سَلْ عن الشهود ، فإن الناس يتغيرون ، فَرَدَّ المسألة فَحُمِدَ الشاهدان . فلم يزل يُرَيِّثُ أمورهم ، ويسألُ الجيرانَ فكلٌّ يصدِّقُ المرأةَ ، والشاهدان قد ثبتا ، فشكا ذلك إلى عبيدالله ، فقال له عبيدالله : أنا أحْضُرُ مجلس الحكم معك فآتيك بالجَلِيَّة إن شاء الله تعالى ، فقال للشاهدين ليس للقاضى أن يسألكما كيف شهدتما ولكن أنا أسألكما. قال فقالا : أراد هذا أن يَحُجَّ فأدارنا على حُدُودِ الدار من خارج وقال هذه دارى ، فإن حدث

بى حادث فَلْتَتَبَّعْ ولْتَقْسَمْ على سبيل كذا ، قال : أفعندكما غيرُ هذه الشهادة ؟ قالا: لا ! فقال : الله أكبر ! وكذا لو أدرَكتما على دار سوَّار وقلت لكما مثل هذه المقالة أكنتما تشهدان بها لى ؟ ففهِمَا أنهما قد اغترَّا ، فكان سوار إذا سأل عن عدالة الشاهد يُتْبِعُ المسألةَ أن يقول : أجائز العدالةِ هو ؟ فظننت أن عبيد الله رأى فى الشاهد غفلة فاختبره بهذا وما أشبهه .

وحدثنى أحد أصحابنا أن رجلا من الأعْراب تقدم إلى سَوَّار فى أمر فلم يصادف عنده ما يُحِبُّ فاجتهد فلم يَظْفَرْ بحاجته ، قال فقال الأعرابى وكانت فى يده عَصًا :

رَأَيْتُ رُؤْيَا ثُمَّ عَبَّرْتُهَا ... وَكُنْتُ لِلْأَحْلَامِ عَبَّارا

بِأَنَّنِي اخْبِطُ فى لَيْلَتِي ... كلْبًافَكَانَ الْكَلْبُسَوَّارَا

ثم انحنى على سوّار بالعصا فضربه حتى مُنِعَ منه ، قال فما عاقبه سَوّارٌ بشىء

قال : وحُدِّثْتُ أن أعرابيا من بنى العَنْبَرِ سار إلى سَوَّار فقال : إن أبى مات وتركنى وأخًا لى وخط خطين فى الأرض ، ثم قال وَهَجِينًا وخط خَطًّا ناحيةً ، فكيف تقسم المال ؟ فقال أههنا وارثٌ غيركم ؟ قال : لا ، قال : المال بينكم أثلاثا ، فقال لا أحسبُك فَهِمْتَ عنى ! إنه تركنى وأخى وهَجِينًا لنا ، فقال سوّار: المال بينكم أثلاثا ، قال فقال الأعرابى : أيأخذ الهجين كما آخذ ، وكما يأخذ أخى ؟ قال أجل ! فغضب الأعرابى ، قال ثم أقبل على سوّار فقال: تَعَلَّمْ والله إنك قليلُ الخالات بالدَّهْنا ، فقال سوار إذاً لا يَضيرنى ذلك عند الله شيئاً (قيل انه ليس بالدهنا أَمَةٌ ،وإنما كان فيها الحَرائر) .

وكان عَقيلُ بن عُلَّفَةَ من الغَيْرةِ والأنَفَةِ على ماليس عليه أحدٌ علمناه

فخطب اليه عبدُ الملك بن مَرْوانَ ابنته على أحد بَنِيهِ، وكانت لعقيلٍ اليه حاجاتٌ فقال: أما إذ كنتَ فاعلا فجَنِّبْني هُجَناءَكَ(١). وخطبَ اليه ابنته ابراهيمُ بن هشام بن اسمٰعيل بن هشام بن الوَليدِ بن المُغيرة، وهو خال هشام بن عبد الملك ووالي المدينة، وكان أبيض شديد البياض فردَّه عَقيلٌ وقال:

رَدَدْتُ صحيفةَ القُرَشِيِّ لما … أَبَتْ أَعْرَاقُهُ إلاَّ احْمِرارا

وكانت حَفْصةُ بنت عِمْرانَ بن ابراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله قد ميتَ عنها فخطبها جماعة من قريش أحدهم عبد الله بن حسن بن حسن بن على ابن أبى طالب، وأحدهم ابراهيم بن هشام، فكان أخوها محمد بن عمران إذا دخل إلى ابراهيم بن هشام أوسع له وأنشده:

وَقَالُوا يَا جَمِيلُ أَتَى أَخُوهَا … فَقُلْتُ أَتَى الْحَبِيبُ أَخُو الْحَبِيبِ

احِبُّكَ أَنْ نَزَلْتَ جِبَالَ حِسْمَى … وَأَنْ نَاسَبْتَ بَثْنَةَ مِنْ قَرِيبِ

وهذا الشعر لجميل بن عبد الله بن مَعْمَرٍ الْعُذْرِيِّ، فأما جَميلُ بن معمرٍ الجُمَحِيُّ فلا نَسَبَ بينهُ وبين معمر: أى ليس بينه وبينه أبٌ آخر، وكانت له صُحْبةٌ، وكان خاصًّا بعمر بن الخطاب رضى الله عنه.

ويروى عن عبد الرحمٰن بن عوف أنه قال: أتيت باب عمر بن الخطاب رحمه الله فسمعته يُنْشِدُ بالرُّكبانيَّةِ(٢):

وَكَيْفَ ثَوَائِى بِالْمَدِينَةِ بَعْدَ مَا … قَضَى وَطَرًا مِنْهَا جَمِيلُ بْنُ مَعْمَرِ

فلما استأذنتُ عليه قال لى: أَسَمِعْتَ ماقلتُ؟ فقلتُ نعَمْ! فقال: إنَّا إذا خَلَوْنَا قلنا

(١) يريد أبناء الإماء. والهجنة فى الناس والخيل انما تكون من قبل الأم، والقرفة من قبل الأب، وذلك الفرق بين الهجين والمقرف. (٢) الركبانية غناء للعرب فيه مدّ وتمطيط.

ما يقول الناس فى بيوتهم (قال ش : وَهِمَ أبو العباس رحمه الله فى هذا وإنما القصة أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه هو الذى سمع عبد الرحمٰن بن عوف يُنْشِدُ) وكان جَمِيلُ بن معمر الجمحى قتل أخا لأبى خِراش الهُذَلِيِّ يوم فتح مكة وأتاه من ورائه وهو موثَقٌ فضربه ففى ذلك يقول أبو خراش :

فَأُقْسِمُ لَوْ لاَقَيْتَهُ غَيْرَ مُوثَقٍ ... لآبَكَ بِالْعَرْجِ الضِّبَاعُ النَّوَاهِلُ
لَكَانَ جَمِيلٌ أَسْوَأَ النَّاسِ صِرْعَةً ... وَلٰكِنَّ أَقْرَانَ الظُّهُورِ مَقَاتِلُ
فَلَيْسَ كَعَهْدِ الدَّارِ يَا امَّ مَالِكٍ ... وَلٰكِنْ أَحَاطَتْ بِالرِّقَابِ السَّلاَسِلُ
وَعَادَ الْفَتَى كَالْكَهْلِ لَيْسَ بِقَائِلٍ ... سِوَى الْحَقِّ شَيْئاً فَاسْتَرَاحَ الْعَوَاذِلُ

قوله: أسوأ الناس صرعة ، أى الهيئة التى يُصْرَعُ عليها كما تقول: جلست جِلْسَةً وركبت رِكْبَةً ، وهو حَسَنُ الجِلْسَةِ والرِّكْبَةِ : أى الهيئة التى يَجْلِسُ عليها ويَرْكَبُ عليها، وكذلك القِعْدَةُ والنيمَةُ ، وقوله: لآبكَ، أى لعادكَ، وأصل هذا من الإِيابِ والرُّجوع ، قال الله تبارك وتعالى « إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ » وقال عَبِيدُ ابن الأَبْرَصِ :

وَكُلُّ ذِى غَيْبَةٍ يَئُوبُ ... (وَغَائِبُ الْمَوْتِ لاَ يَئُوبُ)

وقوله: بالعَرْجِ ، فهو ناحية من مكة به ولد عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفَّانَ فسمى العَرْجِيَّ، ويقال بل كان له مال بذلك الموضع فكان يقيم فيه (قال ش: هذا وَهْمٌ من أبى العباس رحمه الله ، وأما صوابه فعبد الله بن عمر بن عبد الله ابن عمرو بن عثمان بن عفان رضى الله عنه) . والنَّواهلُ فيه قولان : أحدهما العطاشُ ، وليس بشىء ، والآخر الذى قد شَرِبَ شَرْبَةً فلم يَرْوَ فاحتاج إلى أن يَعُلَّ ، كما قال امْرُؤُ القَيْسِ :

إِذْهُنَّ أَقْسَاطٌ(١) كَرِجْلِ الدَّبَى(٢) أَوْ كَقَطَا كَاظِمَةَ النَّاهِلِ

وقوله أحاطَتْ بالرقاب السلاسلُ، يقول: جاء الإسلامُ فمنع من الطلب بالأوتار إلا على وجهها ، وكان يقال إن أول من أظْهَرَ الجَوْرَ من القضاة فى الحكم بلالُ بن أبى بُرْدَةَ ، وكان أمير البصرة وقاضيها ، وفى ذلك يقول رُؤْبَةُ :

وَأَنْتَ يابن القاضِيَيْنِ قاضِى (مُعْتَزِمٌ على الطريق ماضى)

وكان بلال يقول : إن الرجلين ليتقدّمان إلىَّ فأَجِدُ أَحدهما على قلبي أَخَفَّ فأقضى له ، ويروى أن بلالا وفد على عمر بن عبد العزيز بِخُناصِرَةَ(٣) فَسَدِكَ (ش معناه لصق) بسارِيةٍ من المسجد فجعل يصلّى اليها ويديم الصلاة ، فقال عمر بن عبد العزيز للعَلاء بن المُغيرة بن البُنْدار : إنْ يَكُنْ سِرُّ هذا كعَلانِيَتِهِ فهو رجل أهل العراق غيرَ مُدَافَعٍ ، فقال العَلاء : أنا آتيك بخبره فأتاه وهو يصلى بين المَغرب والعشاء، فقال اشْفَعْ صَلاتَكَ فان لى اليك حاجةً ففعل ، فقال له العلاء : قد عرفتَ حالى من أمير المؤمنين ، فان أنا أشرْتُ بِكَ على وِلايةِ العِراقِ فما تَجْعَلُ لى ؟ قال لك عُمالتى سنةً ! وكان مَبْلَغُها عشْرِينَ أَلْفَ ألف درهم (العُمالة بضم العين : أجرة العامل) قال : فاكتب لى بذلك ، قال فارْقَدَّ (معناه أَسْرَعَ) بلالٌ إلى منزله ، فأتى بدواة وصَحِيفة فَكَتَبَ له بذلك ، فأتى العلاء عُمر بالكتاب فلما رآه كتب إلى عبد الحميد ابن عبد الرحمٰن بن زيد بن الخطاب ، وكان والىَ الكوفةِ ، أما بعد : فإن بِلالا غرّنا بالله ، فكدنا نَغْتَرُّ فَسَبَكْناهُ ، فوجدناه خَبَثًا كُلَّهُ والسلام . ويروى أنه كتب إلى عبد الحميد : إذا وَرَدَ عليك كتابى هذا فلا

---

(١) أقساط : قطع . (٢) الدبى : جماعة الجراد .

(٣) بليدة من أعمال حلب .

تَسْتَعِنْ على عملك بأحد من آل أبي موسى . قال أبو العباس وكان بلالٌ داهيةً لَقِناً أديباً ، ويقال : إن ذا الرُّمَّة لما أنشده :

سَمِعْتُ النَّاسُ يَنْتَجِعُونَ غَيْثاً … فَقُلْتُ لِصَيْدَحَ انْتَجِعِي بِلاَلاَ
تُنَاخِي عِنْدَ خَيْرِ فَتًى يَمَانٍ … إِذَا النَّكْبَاءُ نَاوَحَتِ الشَّمَالاَ

فلما سمع قوله ✡ فَقُلْتُ لِصَيْدَحَ انْتَجِعِي بِلاَلاَ ✡ قال : ياغلامُ مُرْ لها بقَتٍّ وَنَوًى !! أراد أن ذا الرُّمَّة لايُحْسِنُ المدح، قوله: سمعت الناسُ ينتجعون حكاية ، والمعنى إذا حُقِّقَ إنما هو سمعتُ هذه اللفظةَ : أي قائلاً يقول «الناسُ ينتجعون غَيْثاً » ومثل هذا قوله :

وَجَدْنَا فِي كِتَابِ بَنِي تَمِيمٍ … أَحَقُّ الخَيْلِ بِالرَّكْضِ المُعَارُ

فمعناه وجدنا هذه اللفظةَ مكتوبةً ، فقوله: أَحَقُّ الخيلِ ابتداء، والمُعارُ خبره ، وكذلك الناسُ ابتداء ، وينتجعون خبره ، ومثل هذا في الكلام قرأتُ الحمدُ لله ربِّ العالمينَ ، إنما حَكَيْتَ ما قرأتَ ، وكذلك قرأتُ على خاتَمِهِ « اللهُ أكْبَرُ » يا فتى ! فهذا لايجوز سواه .

وقوله : إذا النكباء ناوحت الشَّمال » فإن الرياح أربع، ونَكْباواتها أربعٌ وهي الريح التي تأتي من بين ريحين فتكون بين الشَّمالِ والصَّبا ، أو الشَّمالِ والدَّبُورِ، أو الجنوب والدَّبور، أو الجَنُوبِ والصَّبا ، فإذا كانت النَّكْباءُ تُناوِحُ الشمالَ ، فهي آية الشتاء ، ومعنى تُناوِحُ : تُقابِلُ ، يقال تَناوَحَ الشَّجَرُ إذا قابل بعضُهُ بَعْضًا ، وزعم الأصمعي أن النائحة بهذا سُمِّيَتْ ؛ لأنها تقابل صاحبتها .

وقال يَحْيَىٰ بن نَوْفَلٍ الحِمْيَرِيُّ ، ويقال إنه لم يَمْدَحْ أحداً قط :

فَلَوْ كُنْتَ مُمْتَدِحًا لِلنَّوَالِ … فَتًى لَامْتَدَحْتُ عَلَيْهِ بِلاَلاَ

وَلٰكِنَّنِى لَسْتُ مِمَّنْ يُرِيدُ ... بِمَدْحِ الرِّجَالِ الْكِرَامِ السُّؤَالاَ
سَيَكْفِى الْكَرِيمَ إِنَاءُ الْكَرِيمِ ... وَيَقْنَعُ بِالْوُدِّ مِنْهُ نَوَالاَ

ومن أحسن ما امْتَدحَ به ذو الرُّمَّةِ بِلاَلاً قوله :

تَقُولُ عَجُوزٌ مَدْرَجِى مُتَرَوِّحًا ... عَلَى بَيْتِهَا مِنْ عِنْدِ أَهْلِى وَغَادِيَا
أَذُوزَوْجَةٍ بِالْمِصْرِ أَمْ ذُو خُصُومَةٍ ... أَرَاكَ لَهَا بِالْبَصْرَةِ الْعَامَ ثَاوِيَا
فَقُلْتُ لَهَا لاَ ! إِنَّ أَهْلِى لَجِيرَةٌ ... لِأَكْثِبَةِ الدَّهْنَا جَمِيعاً وَمَالِيَا

(قوله : لا، لحنٌ وهذا اللحن راجع على المرأة لأن لا لاتقع إلا فى جواب «أو» وإنما سألته «بأم» وهى لم يستقر عندها علم)

وَمَا كُنْتُ مُذْ أَبْصَرْتِنِى فِى خُصُومَةٍ ... أُرَاجِعُ فِيهَا يَا ابْنَةَ الْخَيْرِ قَاضِيَا
وَلٰكِنَّنِى أَقْبَلْتُ مِنْ جَانِبَىْ قَسًا ... أَزُورُ فَتًى نَجْدًا كَرِيمًا يَمَانِيَا
مِنْ آلِ أَبِى مُوسَى تَرَى الْقَوْمَ حَوْلَهُ ... كَأَنَّهُمُ الْكِرْوَانُ أَبْصَرْنَ بَازِيَا
مُرِمِّينَ مِنْ لَيْثٍ عَلَيْهِ مَهَابَةٌ ... تَفَادَى أُسُودُ الْغَابِ مِنْهُ تَفَادِيَا
وَمَا الْخُرْقَ مِنْهُ يَرْهَبُونَ وَلاَ الْخَنَى ... عَلَيْهِمْ وَلٰكِنْ هَيْبَةٌ هِىَ مَاهِيَا

قوله «مَدرجى» يقول مُرورى ، فأما قولهم فى المَثَلِ: خَيْرُ مَنْ دَبَّ ومن دَرَجَ، فمعناه مَنْ حَيِ ومَنْ ماتَ ، يريدون مَنْ دَبَّ على وجه الأرض ومَنْ درَجَ منها فذهب .

وقوله « أراكَ لهـا بالبصرة العامَ ثاويا » فإنه يقال فى هذا المعنى ثَوَى الرجلُ فهو ثاوٍ يا فتى إذا أقام ، وهى أكثر ، ويقال أثْوَى فهو مُثْوٍ يا فتى ، وهى أقلُّ من تلك ، قال الأعشى :

أَثْوَى وَقَصَّرَ لَيْلَةً لِيُزَوَّدَا ... فَمَضَى وَأَخْلَفَ مِنْ قُتَيْلَةَ مَوْعِدَا

وقوله «قسًا» فهو موضع من بلاد بنى تميم، وقوله «لأ كثبة الدهنا» فا كْثِبَةٌ جمع كَثيب وهو أقلُّ العدد ، والكثير كُثُبٌ وكُثْبانٌ ، والدَّهْنا من بلاد بنى تميم، ولم أَسْمَعْ إلا القصر من أهل العلم والعرب ، وسمعت بَعْدُ من يَرْوى مَدَّها ولا أعرفه ، قال ذو الرمة :

حَنَّتْ إِلَى نَعَمِ الدَّهْنَا فَقُلْتُ لَهَا   أُمِّى هِلاَلاً عَلَى التَّوْفِيقِ وَالرَّشَدِ

يعنى هِلالَ بن أَحْوَزَ المازنى وقال جرير: ٭بَازٍ يُصَعْصِعُ بِالدَّهْنا قَطاً جُونا٭ وقوله « كأنهم الكروان أبصرن بازيا » فالكِرْوانُ جماعة كَرَوانٍ ، وهو طائر معروف ، وليس هذا الجمعُ لهذا الاسم بكماله ولكنه على حذف الزيادة . فالتقدير كَرًا وكِرْوانٌ، كما تقول أخٌ وإِخْوانٌ، ووَرَلٌ ووِرْلانٌ، وبَرَقٌ وبِرْقانٌ، والبَرَقُ أعجميّ ولكنه قد أُعْرِبَ وجُمِعَ كما تُجْمَعُ العربية، واستعمل الكَرَوانُ جمعاً على حذف الزيادة واسْتُعْمِلَ فى الواحد كذلك تقول العرب فى مَثَلٍ من أمثالها :

أَطْرِقْ كَرَا أَطْرِقْ كَرَا   إِنَّ النَّعَامَ فى الْقُرَى

يريدون الكَرَوانَ ، وقوله « من آل أبى موسى ترى القوم حوله » فقال تَرَى ولم يقل تَرَيْنَ ، وكانت المخاطَبَةُ أوَّلاً لامرأة ألا تراه يقول:

وَمَا كُنْتُ مُذْ أَبْصَرْتِنِى فى خُصُومَةٍ   أُرَاجِعُ فِيهَا يا ابْنَةَ الْخَيْرِ قَاضِيَا

ثم حَوَّلَ المخاطَبَةَ إلى رجل ، والعرب تفعل ذلك ، قال الله عزَّ وجل « حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِى الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ » فكأنَّ التقدير - والله أعلم - كان للناس، ثم حُوِّلَتِ المخاطبةُ إلى النبى صلى الله عليه وسلم[1] . قال عَنْتَرَةُ بن شَدَّادَ :

---

(١) هذا خطأ من المبرد ، وإنما الخطاب للناس لا إلى النبى .

شَطَّتْ مَزَارَ الْعَاشِقِينَ فَأَصْبَحَتْ　　عَسِرًا عَلَيَّ طِلاَبُكِ ابْنَةَ مَخْرَمِ

وقال جرير :

مَا لِلْمَنَازِلِ لاَ تُجِيبُ حَزِينَا　　أَصَمِمْنَ أَمْ قَدُمَ الْمَدَى فَبَلِينَا

وَتَرَى الْعَوَاذِلَ يَبْتَدِرْنَ مَلاَمَتِي　　وَإِذَا أَرَدْنَ سِوَى هَوَاكِ عُصِينَا

قال أولاً لرجل ، ثم قال سوى هواكِ ، وقال آخر :

فِدًى لَكَ وَالِدِي وَسَرَاةُ قَوْمِي　　وَمَالِي إِنَّهُ مِنْــــــهُ أَتَانِي

على تحويل المخاطبة ، وقوله « مُرِمِّينَ » يريد سُكوتاً مُطْرِقين ، يقال أَرَمَّ إذا أطْرَقَ ساكتاً .

وقوله « تَفَادَى أُسودُ الغاب » معناه تفتدى منه بعضها ببعض ، وفى الخبر أن سليمان بن عبد المَلِكِ أمر بدفع عيال الحَجَّاجِ ولُحْمتِهِ إلى يَزِيدَ بن المُهَلَّبِ فتَفَادَى منهم ، تأويله فَدَى نفسَهُ من ذلك المقام بغيره ، وقوله :

وَمَا الْخُرْقَ مِنْهُ يَرْهَبُونَ وَلاَ الْخَنَى　　عَلَيْهِمْ وَلَـكِنْ هَيْبَةٌ هِيَ مَاهِيَا

إذا رفعت هيبة فالمعنى ولـكن أمره هيبة ، كما قال الله عز وجل « لَمْ يَلْبَثُوا إلا ساعةً من نهار بَلاغٌ » أى ذلك بلاغ ومثله قوله عز وجل « طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ » يكون رفعُهُ على ضربين أحدهما أمْرُنا طاعةٌ وقولٌ معروف ، والوجه الآخر طاعةٌ وقولٌ معروف أمْثَلُ ، ومن نصب هيبة أراد المصدر أى ولـكن يُهابُ هَيبةً وأحسن ما قيل فى هذا المعنى :

يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضَى مِنْ مَهَابَتِهِ　　فَمَا يُكَلَّمُ إِلاَّ حِينَ يَبْتَسِمُ

وقال الفَرَزْدَقُ يعنى يَزِيدَ بن المهلب :

فَإِذَا الرِّجَالُ رَأَوْا يَزِيدَ رَأَيْتَهُمْ　　خُضُعَ الرِّقَابِ نَوَاكِسَ الأَبْصَارِ

وفى هذا البيت شىء يستطرفه النحويون ، وهو أنهم لا يجمعون ما كان من فاعل نعتاً على فَوَاعِلَ ، لئلا يلتبس بالمؤنث لا يقولون ضارِب وضَوَارب وقاتِلٌ وقواتِلُ ، لأنهم يقولون فى جمع ضاربةٍ ضوارب وقاتِلةٍ قواتل ، لم يأت ذلك إلا فى حرفين أحدهما فى جمع فارسٍ فَوَارِسُ ، لأن هذا مما لا يستعملُ فى النساء فَأَمِنُوا الالتباسَ ، ويقولون فى المثل : هو هالِكٌ فى الهوالِكِ ، فَأَجْرَوْهُ على أصله لكثرة الاستعمال لأنه مَثَلٌ فلما احتاج الفرزدق لضرورة الشعر أجراه على أصله فقال نواكس الأبصار ولا يكون مثل هذا أبداً إلا فى ضرورة .

انتهى الجزء الأول

ويليه

الجزء الثانى

[الفهرس الكامل لجميع أجزاء الكتاب فى آخر الجزء الثالث]

أحمد محمد شاكر

الكامل

لأبي العباس المبرد

ثان

مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

مقدمة الجزء الثانى

من

الكامل

فى اللغة والأدب والنحو والتصريف

تأليف

الإمام أبى العباس المبرد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد سيد الخلق أجمعين ، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين .

تفضل صديقى الأستاذ « الدكتور زكى مبارك » فكلفنى أن أُتمم تصحيح (الكتاب الكامل) لأبى العباس المبرد ، بعد أن صحح الجزء الأول وملزمتين من الثانى ، وعضده فى هذا الطلب إخوانى الأفاضل أولاد المرحوم السيد مصطفى الحلبى ، حفظهم الله . فنزلت عند إشارتهم وبدأت فى تصحيح هذا الجزء ، من أول الصفحة (٤٣٣) .

واعتمدت فى التحقيق والتصحيح على النسخة المطبوعة فى أوربة ، فى مدينة ليبزج سنة ١٨٦٤ م بتصحيح المستشرق (رايت) ، وهى مطبوعة جيدة جدا ، عمدة فى تحقيق الكتاب ، وقد اعتمد هو على أصول مخطوطة نفيسة ، وأثبت فى الحواشى كل خلاف بينها ، وإن كان ضئيلا ، حتى كأنها صورة لكل المخطوطات التى كانت فى يده . وكتب مقدمة للنسخة باللغة الانكليزية ، وصف فيها الأصول التى اعتمد عليها . وقد ترجمها لى ابنى السيد (أسامة أحمد شاكر) وفقه الله للخير ، وهيأ له سبل الهدى والرشاد .

ورمز المستشرق (رايت) لهذه النسخ بحروف إفرنجية . وقد رمزت لها بحروف عربية في تعليقي على الكتاب ، ولكني لم أذكر كلّ الاختلاف بين النسخ ، وإنما تخيرت أكثرها فائدةً ، وأثبتُّ مافي النسخ من زيادات ، بعضها من أصل الكتاب وبعضها حواشٍ كتبها قارئوها ، فيها فوائد جمة .

ثم إن المستشرق (رايت) وجد نسخاً أخرى بعد طبع (الكامل) فنشر مجلداً ثانياً فيه مقارنتها بالنسخ الأولى ، وفيه زيادات وتصحيح للكتاب ، واستدراك عليه ، وقد استفدت من هذا الجزء فوائد كثيرة ، ولكني لم أستطع تتبع كلّ مافيه ، في هذه الطبعة ، لضيق الوقت وكثرة العمل .

واعتمدت أيضا في التحقيق على شرح (الكامل) المسمى (رغبة الآمل)لأستاذنا العلامة الكبيرالشيخ سيد بن علي المرصفي ، رحمه الله ، وعلى مايُسِّرَ لي من كتب اللغة والأدب والتفسير والحديث وغيرها .

وقد عزمت ـ بحول الله وقوته ـ على وضع فهارس مفصلة للكتاب ، أوضح تفصيلاً ، وأحسن ترتيباً ، من الفهارس التي في مطبوعة أوربة ، إن شاء الله .

وها هى رموز النسخ التى أشيرُ إليها :

ا قطعة مخطوطة فى أواخر القرن الخامس أو أوائل السادس .

ب قطعة مخطوطة جديدة .

ع نسخة مخطوطة فى سنة ٥٣٧

س » » فى سنة ١١٤٦

د نسخة نصفها مخطوط جديد والنصف الآخر بخط مغربى سنة ٥٦٢

هـ نسخة مخطوطة فى سنة ١١١٤

ف إحدى النسخ المشار إليها فى المجلد الثانى الملحق بالكتاب .

وأسأل الله العصمة والتوفيق ؟

كتب

أحمد محمد شاكر

عن كوبرى القبة فى يوم الأربعاء

١٢ ربيع الثانى سنة ١٣٥٨

٣١ مايو سنة ١٩٣٩

الكامل

في اللغة والأدب والنحو والتصريف

تأليف

الإمام أبي العبّاس المبرّد

بتحقيق

الدكتور زكي مبارك

الجزء الثاني

الطبعة الأولى

١٣٥٦ هـ / ١٩٣٧ م / ٧٢٦

مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

باب

قال جرير ، ونزل بقوم من بنى العَنْبَرِ بن عمرو بن تميم ، فلم يَقْرُوهُ حتى أشْتَرَى منهم القِرَى ، فانصرف وهو يقول :

يَا مَالِكُ بنَ طَرِيفٍ إِنَّ بَيْعَكُمُ ... رِفْدَ القِرَى مُفْسِدٌ لِلدِّينِ وَالحَسَبِ
قَالُوا نَبِيعُكَهُ بَيْعًا فَقُلْتُ لَهُمْ ... بِيعُوا المَوَالِيَ وَاسْتَحْيُوا مِنَ العَرَبِ
لَوْلَا كِرَامُ طُرَيْفٍ مَاغَفَرْتُ لَكُمْ ... بَيْعِي قِرَايَ وَلَا أَنْسَأْتُكُمْ غَضَبِي
هَلْ أَنْتُمُ غَيْرُ أَوْشَابٍ زَعَانِفَةٍ ... رِيشُ الذُّنَابَى وَلَيْسَ الرَّأْسُ كَالذَّنَبِ

قوله [يا مالكَ بنَ طَرِيفٍ] فمن نصب ، فإنما هو على أنه جعل «أبنًا» تابعا لما قبله ، كالشيء الواحد ، وهو أكثر فى الكلام إذا كان أسمًا عَلَمًا منسوبا إلى أسم علم جعل «أبن» مع ما قبله بمنزلة الشيء الواحد[1] ، ومثل ذلك :

* يَا حَكَمَ بن المُنْذِرِ بنِ الجارود *

(١) يعنى أن الصفة من الموصوف كعشر من خمسة فى قولك : خمسة عشر ففتحة مالك فتحة بناء ، وذهب ابن مالك فى التسهيل إلى أنها فتحة إتباع لفتحة نون ابن والساكن بينهما غير حصين وحينئذ يكون مبنيا على ضم مقدر ، منع من ظهوره حركة الاتباع .

ومن وقف على الاسم الأول ، ثم جعل الثانى نعتاً لم يكن إلا الرفع ، لأنه مفردٌ نُعِتَ بمضافٍ ، فصار كقولك . . . يا زيدُ ذا الجُمّةِ .

وقوله [وَلَا أَنْسَأْتُكُمْ غَضَبِي] يقول لم أُؤَخِّرْهُ عنكم ، يقال نَسَأَ اللهُ فى أَجَلِكَ ، وَأَنْسَأَ اللهُ أَجَلَكَ ، والنَّسِيءُ مِن هذا[1] ، ومعناه تأخير شهر عن شهر ، وكانت النَّسَأَةُ من بنى مُدْلِجِ بنِ كِنانةَ فأنزل الله عزّ وجلّ : « إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ » لأنهم كانوا يؤخرون الشهور فيُحَرِّمون غير الحرام ، ويُحِلُّونَ غيرَ الحَلالِ ، لِمَا يُقَدِّرونه من حُروبهم وتَصَرُّفِهِمْ ، فاستَوَتِ الشهورُ لَمّا جاء الإسلام ، وَأبان ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله « إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَةِ يَوْمِ خَلَقَ اللهُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ » .

وقوله [هل أنتمُ غيرُ أوشابٍ زعانفةٍ] فالأُشابةُ جماعة تَدْخُلُ فى قوم وليست منهم ، وإنما هو مأخوذ من الأمر الأَشِبِ أى المختلط ، ويزعم بعض الرواة أن أصله فارسى أُعْرِبَ ، يقال بالفارسية وَقَعَ القومُ فى آشُوب فى اختلاط ، ثم تَصَرَّفَ ، فقيل تَأَشَّبَ النبتُ فصُنِعَ منه فِعْلٌ (هذا وَهْمٌ من أبى العباس ليس الأُشابةُ ولا الأَشِبُ من الأَوشابِ ، لأن فاء الفعل من الأُشابة همزة ، ومن أَوْشابٍ واوٌ ، ولكنه مثله فى المعنى يحتمل[2] أن يكون أصله وُشابةً ، وأبدلت الواو المضمومة همزة) وأما الزَّعانفُ فأصلها أجنحة السَّمَكِ ، سمى بذلك الأَدْعِياء لأنهم التصقوا

---

(١) فيكون اسما وضع موضع المصدر وهو الانساء .

(٢) قال الشيخ المرصفى : لامساغ لهذا الاحتمال مع اتفاق أهل اللغة على أنهما مادتان ليست إحداهما مقلوبة عن الأخرى .

بالصَمِيم ، كما التصقت تلك الأجنحة بعِظام السمكِ ، قال أَوْسُ بن حَجَرٍ :

وَمَا زَالَ يَفْرِى الشَدَّ حَتَّى كَأَنَّمَا[1] قَوَائِمُه فِى جَانِبَيْهِ زَعَانِفُ

وتزعم الرُّواةُ أن مَا أَنِفَتْ منه جِلَّةُ المَوَالى هذا البيتُ ، يعنى قول جرير « بِيعُوا المَوَالِىَ وَاسْتَحْيُوا مِنَ العَرَبِ » لأنه حَطَّهم ووَضَعهم ، ورأى أن الإساءة إليهم غير محسوبة عَيْبًا . ومثل ذلك قول المُنْتَجِع لرجل من الأشراف : مَا عَلَّمْتَ وَلَدَكَ ؟ قال الفرائضَ ، قال : ذلك عِلْمَ المَوَالى لا أبا لك ! عَلِّمْهُمُ الرَّجَزَ ، فإنه يُهَرِّتُ أَشْدَاقَهُمْ[2] . ومن ذلك قول الشَّعْبِيِّ ومرَّ بقوم من الموالى يتذاكرون النحو ، فقال : لئن أَصْلَحتموه إنَّكُمْ لَأَوَّلُ من أفسده ! ومن ذلك قولُ عَنْتَرَةَ :

فَمَا وَجَدُونَا بِالفَرُوقِ[3] أُشَابَةً وَلاَ كُشُفًا[4] وَلاَ دُعِينَا مَوَالِيَا

ومن ذلك قول الآخر :

يُسَمُّونَنَا الأَعْرَابَ وَالعَرَبُ اسْمُنَا وَأَسْمَاؤُهُمْ فينا رِقَابُ المَزَاوِدِ

يريد أسماؤهم عندنا الحَمْرَاء[5] ، وقول العرب : « ما يخفى ذلك على الأسْوَدِ والأحْمَرِ » يريد العَرَبِىَّ والعَجَمِىَّ ، وقال المُخْتَارُ لإبراهيم بن الأَشْتَرِ يوم خَازِرَ (وقعت الرواية كما فى الأصل ووُجِدُ بخط يد أبى علىّ البغدادى

(١) يشبه حمارا بالناقة ، ويفرى الشد : يأتى بالعجب فى عدوه .

(٢) يهرت أشداقهم : يوسعها . وشدق أهرت : متسع .

(٣) اسم عقبة دون هجر ، كانت بها وقعة لبنى عبس على بنى سعد .

(٤) الكشف هم الذين لا يصدقون القتال: ولا واحد له ، وقيل جمع أكشف ، وهو الذى لا ترس معه فكأنه منكشف .

(٥) وذلك أن العرب تلقب الموالى والعجم والروم بالحمراء لغلبة البياض على ألوانهم، والمزاود : جمع المزادة ، وهى الظرف يحمل فيه الماء.

رحمه ٱلله جازر بالجيم) وهو اليوم ٱلذى قُتِلَ فيه عبيد ٱلله بن زِياد : إِنَّ عَامَّةَ جُنْدِكَ هؤلاء الْحَمْرَاء ، وإن الحرب إن ضَرَّسَتْهُمْ هربوا ، فَٱحْمِلِ العربَ على مُتونِ الخيل ، وَأَرْجِلِ الحمراء أمامهم .

ومن ذلك قول الأَشْعَثِ بن قَيْسٍ لعلى بن أبى طالب رحمه ٱلله ، وأتاه يَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ ، وعلىٌّ على المِنْبَرِ فقال : يا أمير المؤمنين ! غَلَبَتْنا هذه الحمراء على قُرْبِكَ ، [قال] فَرَكَضَ علىٌّ المِنْبَرَ برجله ، فقال صَعْصَعَةُ أبن صُوحانَ الْعَبْدِىُّ مالنا ولهذا ؟ يعنى الأشعثَ ، ليقولَنَّ أمير المؤمنين اليومَ فى العرب قوْلاً لا يَزالُ يُذْكَرُ ، فقال علىٌّ : مَنْ يَعْذِرُنى من هذه الضَيَاطِرة ، يَتَمَرَّغُ أَحَدُهُمْ على فراشه تَمَرُّغَ الحمار ، وَيُهَجِّرُ قَوْمٌ للذكْر فيأمرنى أن أَطْرُدَهُمْ ، ما كنتُ لأطردهم فأكونَ من الجاهلين ، وٱلذى فَلَقَ الحبة ، وَبَرَأَ النَسَمَةَ ، لَيَضْرِبُنَّكُمْ على ٱلدِّين عَوْداً كما ضربتموهم عليه بَدْءًا .

قوله [الضياطرة] واحدهم ضَيْطَرٌ وَضَيْطَارٌ ، وهو الأحمر الْمَضِلُ الفاحشُ ، قال خِداشُ بن زُهَيْرٍ :

وَتُرْكَبُ خَيْلٌ لَاهَوَادَةَ بَيْنَهَا ... وَتَشْقَى الرِماحُ بالضَيَاطِرَةِ الْحُمْرِ (١)

وإنما قال جَرِيرٌ لبنى الْعَنْبَرِ « هل أنتم غير أوشاب زعانفة » لأن النَّسَّابين يزعمون أن العنبر بنَ عمرو بن تميم ، إنما هو أبن عمرو بن بهْرَاء ، وَأُمُّهُمْ أم خارجةَ الْبَجَلِيَّةُ التى يقال لها فى المَثَلِ « أَسْرَعُ من نكاح أُمٍّ خارجة » فكانت قد وَلَدَتْ فى العرب فى نَيِّفٍ وعشرين حَيًّا من آباء متفرقين ،

---

(١) تشقى بهم الرماح ، لأنهم لايحسنون حملها ، وقيل هو قلب ، والمعنى أنهم يشقون بالرماح .

وكان يقول لها الرجلُ : خِطْبٌ ؟ فتقول : نِكْحٌ[1] ! كذلك قال يونس ابن حَبيب ، فنَظَرَ بَنُوها إلى عمرو بن تميم قد وَرَدَ بلادهم ، فأَحَسُّوا بأنه أراد أمهم فبادروا إليه ليمنعوه تَزَوُّجَها ، وَسَبَقَهُمْ لأنه كان راكبا ، فقال لها : إنَّ فيك لَبَقِيَّةً ؟ فقالتْ : إنْ شئتَ ... فجاءوا وقد بَنَى عليها ، ثم نقلها بعدُ إلى بلده ، فتزعم الرواة أنها جاءت بِالْعَنْبَرِ معها صغيراً ، وأَوْلَدَها عمرو ابن تميم أُسَيِّدَ وَالْهُجَيْمَ وَالْقُلَيْبَ ، فخرجوا ذات يوم يَسْتَقُونَ فَقَلَّ عليهم الماء ، فأنزلوا ماتحا من تميم فَجَعَلَ الماتِحُ يملأ الدلو إذا كانت لِلْهُجَيْمِ وَأُسَيِّدِ والقُلَيْبِ ، فإذا وَرَدَتْ دَلْوُ الْعَنْبَرِ تركها تضطرب ، فقال العنبر :

قَدْ رَابَنِي مِنْ دَلْوِىَ اُضْطِرَابُهَا وَالنَّأْىُ عَنْ بَهْرَاء وَاُغْتِرَابُهَا[2]

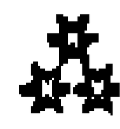
* إلاَّ تَجِئْ مَلْأَى يَجِئْ قُرَابُهَا[3] *

فهذا قول النَّسَّابين .

ويروى أن رسول ٱللّٰه صلى ٱللّٰه عليه وسلم قال يوما لعائشة رحمها ٱللّٰه ، وقد كانت نَذَرَتْ أَنْ تُعْتِقَ قَوْمًا مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ ، فَسُبِيَ قومٌ من بنى الْعَنْبَرِ ، فقال لها رسول ٱللّٰه صلى ٱللّٰه عليه وسلم : إنْ سَرَّكِ أَنْ تُعْتِقِي الصَمِيمَ من ولد إسماعيل فَأَعْتِقِي من هٰؤلاء . فقال النَّسَّابون : فَبَهْرَاء من قُضَاعَةَ ، وقد قيلَ قُضَاعَةُ من بنى مَعَدٍّ ، فقد رجعوا إلى إسماعيل ، ومن زعم أن قضاعة من بنى مالك بن حِمْيَرَ ، وهو الحق . قال فالنسب الصحيح فى قَحْطان الرُّجوعُ إلى إسماعيل وهو الحق ، وقول الْمُبَرِّزِينَ من العلماء إنما الْعَرَبُ

(١) هى صيغة عقد كانت العرب تتزوج بها .
(٢) أى البعد من قومه بنى بهراء .
(٣) أى مايقارب ملأها .

المتقدمةُ من أولاد عابَرَ وَرَهْطُهُ عادٌ وَطَسْمٌ وَجَدِيسٌ وَجُرْهُمٌ والعَماليقُ .
فأما قحطانُ عند أهل العلم ، فهو ابن الهَمَيْسَعِ بن تَيْمَنَ بن نَبْتِ بن قَيْذَارَ
ابن إسماعيل صلوات الله عليه ، فقد رجعوا إلى إسماعيل ، وقد قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لقوم من خُزاعة ، وقيل من الأنصار: ارْمُوا يابني إسماعِيلَ ،
فإن أباكم كان رامياً .



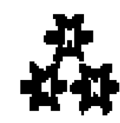
قال يحي بنُ نَوْفَلٍ يَهْجُو العُرْيانَ بن الهَيْثَمِ بن الأَسْوَدِ النَّخَعِيِّ ،
وكان العُرْيانُ تزوج زَبادِ من ولد هانئٍ بن قَبِيصةَ الشَيْبانِيِّ ، وكانت عند
الوَليد بن عبد الملك فطلقها فتزوجها العريان، وكان ابنُ نوفل له هجّاءً ، فقال:

أعُرْيانُ مَا يَدْرِي امْرُؤٌ سِيلَ عَنْكُمُ ... أَمِنْ مَذْحِجٍ تُدْعَوْنَ أَمْ مِنْ إِيَادِ
فَإِنْ قُلْتُمُ مِنْ مَذْحِجٍ إِنَّ مَذْحِجاً ... لَبِيضُ الوُجُوهِ غَيْرُ جِدٌّ جِعادِ
وَأَنْتُمْ صِغَارُ الهَامِ حُدْلٌ كَأَنَّما ... وُجُوهُكُمُ مَطْلِيَّةٌ بِمِدَادِ
فَإِنْ قُلْتُمُ الحَيُّ اليَمانُونَ أَصْلُنَا ... وَنَاصِرُنَا فِي كُلِّ يَوْمِ جِلَادِ
فَأَطْوِلْ بِأَيْرٍ مِنْ مَعَدٍّ وَنَزْوَةٍ ... نَزَتْ بِإِيَادٍ خَلْفَ دَارِ مُرَادِ
لَعَمْرُ بَنِي شَيْبَانَ إِذْ يُنْكِحُونَهُ ... زَبَادِ لَقَدْ مَا قَصَّرُوا بِزَبَادِ
أَبَعْدَ الوَلِيدِ أَنْكَحُوا عَبْدَ مَذْحِجٍ ... كَمُنْزِيَةٍ عَيْرًا خِلَافَ جَوَادِ
وَأَنْكَحَهَا لَا فِي كِفَاءٍ وَلَا غِنًى ... زِيَادٌ أَضَلَّ اللهُ سَعْيَ زِيَادِ

قوله [أمن مذحج تدعون أم من إياد] فبنو مذحج بنو مالك بن زيد
ابن عَرِيب بن زيد بن كَهْلان بن سَبإٍ بن يَشْجُبَ بن يَعْرُبَ بن قَحْطانَ ،

وإيادُ بنُ نِزَارِ بن مَعَدِّ بن عَدْنان ، ويقال إن النَّخَعَ وثقيفاً أخوان من إيادٍ . فأما ثَقيفٌ ، فهو قَسِيُّ بن مُنَبِّهِ بن بكر بن هَوَازن بن منصور بن عِكْرِمةَ ابن خَصَفَةَ بن قيس بن عَيْلان بن مُضَرَ ، فهذا قول قوم . فأما آخرون فيزعمون أنّ ثَقِيفاً من بقايا ثمود ، ونسبهم غامض على شرفهم فى أخلاقهم ، وكثرة مَنا كِحِهِمْ قُرَيْشًا ، وقد قال الحجاج على المنبر : تزعمون أنّا من بَقايا ثَمُودَ ، واللهُ عز وجل يقول « وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى » . وقال الحجاج يوما لأبى العَسُوس الطائىّ : أىٌّ أَقْدَمُ ؟ أنُزُول ثقيفٍ الطائفَ ، أم نزولُ طَيِّئٍ الجبلين ؟ فقال أبو العَسُوس : إن كانت ثقيفٌ من بكر بن هَوازنَ فنزول طيئٍ الجبلين قبلها ، وإن كانت ثقيف من ثمود فهى أقدم ، فقال الحجاج : يا أبا العسوس ! اتّقِنِي فإنى سريع الخَطْفةِ للأحمق المُتَهَوِّكِ[1] ! فقال أبو العَسُوس (رواية عاصم رحمه الله العَسَوَّسُ وَالْعَسْوَسُ ، وفى رواية ش كما فى داخل الكتاب) :

يُؤَدِّبُنِي الحَجَّاجُ تَأْدِيبَ أَهْلِهِ   فَلَوْ كُنْتُ مِنْ أَوْلاَدِ يُوسُفَ مَاعَدَا
وَإِنِّى لَأَخْشَى ضَرْبَةً ثَقَفِيَّةً   يَقُدُّ بِهَا مِمَّنْ عَصَاهُ المُقَلَّدَا[2]
عَلَى أَنَّنِي مِمَّا أُحَاذِرُ آمِنٌ   إِذَا قِيلَ يَوْمًا قَدْ عَتَا المَرْءُ واعْتَدَا



وقد كان المُغيرةُ بن شُعْبةَ ، وهو والى الكوفةِ ، صار إلى دَيْرِ هِنْدٍ بنت

(١) المتهوّك : هو المتهور .
(٢) المقلد : موضع القلادة ، وهو العنق .

النُّعْمَانِ بن المُنْذِرِ، وهى فيه عَمْيَاء مُتَرَهِّبَة[1] فاستأذن عليها ، فقيل لهـا: أميرُ هذه المَدَرَةِ بالباب ، فقالت قولوا له : أَمِنْ وَلَدِ جَبَلَةَ بن الأَيْهَمِ أنت ؟ قال : لا ، قالت : أَفَمِنْ وَلَدِ المُنْذِرِ بن ماء السماء ؟ قال لا ، قالت : فَمَنْ أنتَ ؟ قال المُغيرةُ بن شُعْبَةُ الثَّقَفِيُّ ، قالت : فما حاجتك ؟ قال : جئتكِ خاطباً ، قالت : لو كنتَ جئتنى لِجَمالٍ أو لمال لأَطْلَبْتُكَ ، ولكنك أردتَ أن تَتَشَرَّفَ بى فى مَحَافِلِ العرب ، فتقول « نكحتُ أبنةَ النُّعْمَانِ بن المنذر » وإلاّ فأىُّ خير فى اجتماع أَعْوَرَ وعَمْيَاءَ ؟ فَبَعَثَ إليها كيف كان أمركم ؟ فقالت : سأَخْتَصِرُ لك الجوابَ . . . أمسينا مَسَاءً ، وليس فى الأرض عَرَبِىٌّ إلا وهو يَرْغَبُ الينا ويَرْهَبُنَا ، ثم أصبحنا ، وليس فى الأرض عربى إلا ونحن نرغب إليه ونَرْهَبُهُ ، قال : فما كان أبوك يقول فى ثَقيفٍ ؟ قالت : اختصم إليه رجلانِ منهم ، أحدهما يَنْمِيهَا إلى إيادٍ ، والآخر إلى بَكْرِ بن هَوَازن فقضى بها للإيادِىّ ، وقال :

إنَّ ثَقِيفاً لَمْ تَكُنْ هَوَازِنَا ... وَلَمْ تُنَاسِبْ عَامِرًا وَمَازِنَا

يريد عامر بن صَعْصَعَةَ ومَازِنَ بن منصور ، فقال المغيرةُ : أما نحن فمن بكر ابن هَوَازن فَلْيَقُلْ أبوكِ ما شاء !

وقالت أختُ الأَشْتَرِ ، وهو مالك بن الحرث النَّخَعِيُّ تُبَكِّيهِ ، وهذا الشعر رواه أبو اليَقْظَانِ ،وكان متعصبا :

أَبَعْدَ الأَشْتَرِ النَّخَعِيِّ نَرْجُو ... مُكَاثَرَةً وَنَقْطَعُ بَطْنَ وَادِ

وَنَصْحَبُ مَذْحِجاً بإخاء صِدْقٍ ... وَإِنْ نُنْسَبْ فَنَحْنُ ذُرَا إِيَادِ

---

(١) وكانت وقتئذ فى سن التسعين .

ثَقِيفٌ عَمُّنَا وَأَبُو أَبِينَا وَإِخْوَتُنَا نِزَارُ أُولو السَّدَادِ

قوله[1] : [وأنتم صغار الهام حُدْلٌ] فالأَحْدَلُ[2] المائلُ العُنُقِ ، يقال قَوْسٌ حَدْلاءُ إذا اعْوَجَّتْ سِيَتُها[3] ، قال الراجز :

(لَهَا) مَتَاعٌ[4] وَلَهَاةٌ فَارِضُ حَدْلاءُ كَالْوَقْبِ نَحَاهُ المَاخِضُ

(كذا وقعت الرواية لها والصواب (له) لأنه يعني الفحل من الإبل لأن الشِقْشِقَةَ لاتكون للأنثى قاله ش .) وأما قوله زَبادِ يافتى فله باب نذكره على وجهه باستقصائه بعد فَرَاغنا من تفسير هذا الشعر .

وقوله [لَقَدْ مَا قَصَّرُوا] فما زائدة مثل قوله تعالى « مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا » ولو قال : لَقَدْ مَا قَصَّرُوا لم يكن جيدا ، ودخل الْوَليد في الذم .

وقوله [كُمُنْزِيَةٍ عَيْرًا خلافَ جَوَادِ] يقول بعد جواد ، قال الله عز وجل « فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلاَفَ رَسُولِ اللهِ » وقوله [لافي كِفَاءِ] يقال هو كُفْؤُكَ وكَفْؤُكَ وكَفِيئُكَ وكِفَاؤُكَ ، إذا كان عَدِيلَكَ في شرف أو ما أشبهه ، كما قال الفَرَزْدَقُ :

* وَتَنْكِحُ فِي أَكْفَائِهَا الحَبِطَاتُ *

أول هذا البيت :

* بَنُو دَارِمٍ أَكْفَاؤُهُمْ آلُ مِسْمَعٍ *

وآل مسمع بيت بكر بن وائل ، والحبطات هم بنو الحرث بن عمرو بن تميم ،

---

(١) رجع المبرد إلى شرح القطعة الدالية التي مرت .

(٢) الفعل حدل من باب طرب .

(٣) السية : الطرف ، ولكل قوس سيتان .

(٤) الصواب : له زجاج ، وهي أنياب الفحل .

وإنما قال هذا الفرزدق ، حين بلغه أن رجلا من الحبطات خَطَبَ أمرأةً من بنى دارِمِ بن مالك ، فأجابه رجلٌ من الحبطات :

أَمَا كَانَ عَبَّادٌ كَفِيئًا لِدَارِمٍ   بَلَى وَلِأَبْيَاتٍ بِهَا الْحُجُرَاتُ

عَبَّادٌ : يعنى بنى هاشم ، وقد تقدم هذا البيت للفرزدق فى مواضع ، وقال اللّٰه عز وجل « وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ » وقال عمر بن الخطاب رحمه اللّٰه : لَأَمْنَعَنَّ النساءَ إلا من الأكفاء ، وَتَحَدَّثَ أصحابُنا عن الأصمعى عن إسحٰق ابن عيسى . [قال] قُلْتُ لأمير المؤمنين الرَّشيدِ أو المهدِيِّ : يا أمير المؤمنين مَنْ أكفاؤُنا ؟ قال أعداؤُنا يعنى بنى أُمَيَّةَ ، وزِيادٌ الذى ذَكَرَ كَانَ أخاها .

(هذا تفسير ما كان من المؤنث على فَعَالِ مكسورَ الآخر)
(وهو على أربعة أضرب والأصل واحد)

قال أبو العباس : اعلم أنه لا يُبْنَى شىءٌ من هذا الباب على الكسر إلا وهو مؤنث معرفةٌ معدولٌ عن جهته ، وهو فى المؤنث بمنزلة فُعَلَ نحو عُمَرَ وقُثَمَ فى المذكر ، وفُعَلُ معدولٌ فى حال المعرفة عن فاعِلٍ ، وكان فاعِلٌ ينصرف ، فلما عُدِلَ عنه فُعَلُ لم ينصرف ، وفَعالِ معدولٌ عن فاعِلَةَ ، وفاعِلَةُ لا ينصرف فى المعرفة فَعُدِلَ إلى البناء ، لأنه ليس بعد ما لا ينصرف إلا المبنىُّ ، وبنى على الكسر لأن فى فاعِلَةَ علامةَ التأنيث ، وكان أصلُ هذا أن يكون إذا أردت به الأمر ساكنا كالمجزوم من الفِعْلِ الذى هو فى معناه فكسرتَه لالتقاء الساكنين ، مع ما ذكرنا من علامة التأنيث والكسر مما يؤنث به فلم يَخْلُ من العلامة ، تقول للمرأة : أنتِ فَعَلْتِ ، فالكسر علامة التأنيث ،

وكذلك إنكِ ذاهبةٌ ، وضربتُكِ يا امرأةُ ، فما لايكون إلا معرفة مكسورا ما كان اسما للفعل نحو نَزَالِ يافتى ، ومعناه انزِلْ ، وكذلك تَرَاكِ زيداً أى اتركه ، فهما معدولان عن المتاركة والمنازلة وهما مؤنثان معرفتان ، يدلك على التأنيث القياسُ الذى ذكرنا ، قال الشاعر تصديقاً لذلك :

وَلِنِعْمَ حَشْوُ الدِّرْعِ أَنْتَ إِذَا   دُعِيَتْ نَزَالِ وَلُجَّ فِى الذُّعُرِ

فقال [دعيتْ] لما ذكرته لك من التأنيث ، وقال الآخر ، وهو زَيْدُ الخَيْلِ :

وَقَدْ عَلِمَتْ سَلَامَةُ أَنْ سَيْفِى   كَرِيهٌ كُلَّمَا دُعِيَتْ نَزَالِ

وقال الشاعر :

تَرَاكِهَا مِنْ إِبِلٍ تَرَاكِهَا   أَمَا تَرَى المَوْتَ لَدَى أَوْرَاكِهَا

أى اتْرُكها ، وقال آخر (هو رؤبة) :

* حَذَارِ مِنْ أَرْمَاحِنَا حَذَارِ *

وقال آخر (هو أبو النجم) :

* نَظَارِ كَىْ أَرْكَبَهُ نَظَارِ *   فهذا باب من الأربعة .

ومنها أن يكون صفة غالبة تَحُلُّ مَحَلَّ الاسم ، نحو قولهم للضَّبُعِ جَمَارِ يافتى ، وللمنية حَلَاقِ يافتى ، لأنها حالقة ، والدليل على التأنيث بعد ماذكرنا قوله :

لَحِقَتْ حَلَاقِ بِهِمْ عَلَى أَكْسَائِهِمْ(١)   ضَرْبَ الرِّقَابِ وَلَا يُهِمُّ المَغْنَمُ

وتقول فى النداء يافَسَاقِ ويا خَبَاثِ ويالَكَاعِ ، تريد يافاسقةُ و ياخبيثةُ

(١) الأكساء : المتأخرون ، والواحد كُسْء ، بفتح الكاف وضمها وسكون السين .

ويالُكعاء، لأنه فى النـــداء فى موضع معرفة كما تقول للرجل: يافُسَقُ ويالُخبَثُ ويالُكَعُ. فهذا باب ثان.

(حكى ابن السَّرّاج عن أبى عبيدة فرس لُكَعٌ للمذكر ولُكَعَةٌ للمؤنث) ومن ذلك مَاعُدِلَ عن المصدر نحو قوله (هو المُتَلَمِّسُ) يَذُمُّ الخَمْرَ:

جَمَادِلَهَا جَمَادِ وَلاَ تَقُولِي طَوَالَ الدَّهْرِ مَاذُكِرَتْ حَمَادِ

وقال النابغة الذُّبْيَانِيُّ:

إِنَّا اقْتَسَمْنَا خُطَّتَيْنَا بَيْنَنَا فَحَمَلْتُ بَرَّةَ واحْتَمَلْتَ فَجَارِ

يريد قُولى لها جُموداً، ولا تقولى لها حَمْداً هذا المعنى، ولكنه عُدِلَ مؤنثا. وهذا باب ثالث. (بَرَّةُ أسم علم لجميع البِرّ، وفَجارِ لجميع الفُجور، لابن جنّى تخصيصُه بَرَّةَ بفعَلْتُ وفَجارِ بافْتَعَلتَ، مثل قوله تعالى «لها مَا كَسَبَتْ وعليها مَا اكْتَسَبَتْ» فَكَسَبَ للخير وَاكْتَسَبَ للشر).

والباب الرابع أنْ تُسَمِّيَ أمرأةً، أو شيئاً مؤنثا باسم تَصُوغُهُ على هذا المثال، نحو رَقَاشِ وحَذامِ وقَطامِ ومَا أشبهه، فهذا مؤنث معدول عن راقشةَ وحاذِمَةَ وقاطمةَ، إذا سميتَ به، وأهلُ الحجاز يجرونه على قياس ما ذكرتُ، لأنه معدول فى الأصل وسُمِّيَ به فَنُقِلَ إلى مؤنث كالباب الذى كان قبله فلم يغيّروه، فعلى ذلك قالوا اسقِ رَقَاشِ إنها سَقَّايَه[1]، وقال آخر:

إِذَا قَالَتْ حَذَامِ فَصَدِّقُوهَا فَإِنَّ الْقَوْلَ مَا قَالَتْ حَذَامِ

(١) ويروى: سقاءة.

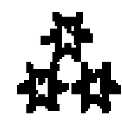
وينشدون : * وَأَقْفَرَ مِنْ سَلْمَى شَرَاءٌ فَيَذْبُلُ *

كذا وقع ، والصحيح فقد أقفرتْ سَلْمَى شَرَاء ، لأن قبله :

* تَأَبَّدَ مِنْ أَطْلَالِ جَمْرَةَ مَأْسَلُ *

والشعر للنَّمِرِ بن تَوْلَبٍ .

وأما بنو تميم فإذا أزالوه عن النعت فسَمَّوْا به صرفوه فى النكرة ، ولم يصرفوه فى المعرفة ، وسيبويه يختار هذا القول ، ولا يَرُدُّ القولَ الآخر ، فيقول: هذه رَقَاشُ قد جاءتْ ، وهذه غَلابٌ قد جاءتْ ، وهذه غلابٌ أخرى ، ولا اختلاف بين العرب فى صرفه إذا كان نكرة ، وفى اعرابه فى المعرفة ، وصرفه فى النكرة إذا كان أسماً لمذكر ، نحو رجل تسميه نَزَالِ أو رَقاشِ أوْ حَلاقِ ، فهو بمنزلة رجل سميته بعَناقٍ أو أتانٍ ، لأن التأنيث قد ذهب عنه ، فاحتج سيبويه فى تصحيح هذا القول بأنك لو سميت شيئاً بالفعل الذى هو مأخوذ منه لأعربته ، نحو انْزِلْ واضْرِبْ ، لو سميتَ بهما رجلا لجرى مجرى إِصْبَعٍ وَأَحْمَدَ وَإِثْمِدٍ ، ونحو ذلك ، فهذا يحيط بجميع هذا الباب .



قال أبو العباس ، وقالت امرأة أحسبها من بنى عامر بن صَعْصَعَةَ زُوِّجَتْ فى طَيِّئ .

لاتَحْمَدَنَّ ٱلدَّهْرَ أُخْتٌ أَخًا لَهَا ۞ وَلاَ تَرْثِيَنَّ ٱلدَّهْرَ بِنْتٌ لِوَالِدِ

هُمُ جَعَلُوهَا حَيْثُ لَيْسَتْ بِحُرَّةٍ ۞ وَهُمْ طَرَحُوهَا فِى الأَقَاصِى الأَبَاعِدِ

ويروى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : إنما النكاح رِقٌّ فَلْيَنْظُرِ امْرُؤٌ من يُرِقُّ كريمته . وعلى هذا جاءت اللغة ، فقالوا كنا فى إِمْلاكِ[1] فلانٍ ، وفى مِلْكِ فلانٍ ، وفى مَلْكِ فلان ، وفى مَلَكَةِ فلان ، وفى مِلْكانِ فلان ، ويقول الرجل : مَلَكْتُ المرأةَ وأَمْلَكْنيها وَلِيُّها ، ومن ذلك أَنَّ يمين الطلاق إذا وقع فيها حِنْثٌ إنما يكون محلُّها محلَّ الإقرار بترك ما كان يملكه كالعتاق .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أُوصيكُمْ بالنساء فانهنّ عندكم عَوانٍ ، أى أسيراتٌ ، ويقال عَنِيَ فلانٌ فى بَنِي فلان إذا أقام فيهم أسيرا ، ويقال فلان يَفُكُّ العُناةَ ، وأصل التعنية التذليل ، وأصل الإسارِ الوِثاقُ ، ويقال للقَتَبِ مأسور إذا شُدَّ بالقِدِّ ، هذا أصل هذا ، فأما المَثَلُ فى قولهم إنما فلان غُلٌّ قَمِلٌ ، فإنهم كانوا يتخذون الأغلال من القِدِّ فكانت تَقْمَلُ ، وقال رجل يذكر امرأةً زُوِّجَتْ من غير كُفْءٍ :

لَقَدْ فَرِحَ الْوَاشُونَ أَنْ نَالَ تَغْلَبٌ   شَبِيهَةَ ظَبْيٍ مُقْلَتَاهَا وَجِيدُهَا
أَضَرَّ بِهَا فَقْدُ الْوَلِيِّ فَأَصْبَحَتْ   بِكَفِّ لَئِيمِ الْوَالِدَيْنِ يَقُودُهَا

ولما زَوَّجَ إبراهيمُ بن النعمان بن بَشِيرٍ الأنصاريُّ يحيى بنَ أبى حَفْصَةَ مولى عثمانَ بن عفّانَ ابنته على عشرين ألفَ درهم قال قائل يُعَيِّرُهُ :

لَعَمْرِى لَقَدْ جَلَّلْتَ نَفْسَكَ خَزْيَةً   وَخَالَفْتَ فِعْلَ الأَكْثَرِينَ الأَكَارِمِ
وَلَوْ كَانَ جَدَّاكَ اللَّذَانِ تَتَابَعَا   بِبَدْرٍ لَمَارَامَا صَنِيعَ الأَلَائِمِ

فقال إبراهيم بن النُّعمانِ يَرُدُّ عليه :

(١) والاملاك : التزويج .

مَا تَرَكَتْ عِشْرُونَ أَلْفًا لِقَائِلٍ ... مَقَالاً فَلاَ تَحْفِلْ مَلاَمَةَ لاَئِمِ
وَإِنْ أَكُ قَدْ زَوَّجْتُ مَوْلًى فَقَدْ مَضَتْ ... بِهِ سُنَّةٌ قَبْلِي وَحُبُّ الدَّرَاهِمِ

وَتزوَّجَ يحيى بن أبى حفصة وهو جَدُّ مَرْوانَ الشاعرِ ، ويزعم النَّسَّابون أن أباه كان يهوديا أسلم على يدى عثمان بن عفان ، وكان يحيى من أجود الناس ، وكان ذا يَسار فتزوج خَوْلة بنت مُقاتِل بن طَلْبَةَ (الروَاية المشهورة بإسكان اللام ، وتسامح ابن سراج فى فتح اللام) ابن قيس بن عاصم سيدِ أهل الوَبَر ابن سِنان بن خالد بن مِنْقَرٍ ، وَمَهَرَها خِرَقًا ففى ذلك يقول القُلاخ بن حَزْنٍ :

لَمْ أَرَ أَثْوَابًا أَجَرَّ لِخِزْيَةٍ ... وَأَلْأَمَ مَكْسُوًّا وَأَلْأَمَ كَاسِيَا
مِنَ الْخِرَقِ اللاَّتِى صُبِبْنَ عَلَيْكُمُ ... بِحَجْرٍ فَكُنَّ الْمُبْقِيَاتِ الْبَوَالِيَا

فقال يحيى بن أبى حَفْصَةَ يُجيبه :

تَجَاوَزْتُ حَزْنًا رَغْبَةً عَنْ بَنَاتِهِ ... وَأَدْرَكْتُ قَيْسًا ثَانِيًا مِنْ عِنَانِيَا

يقال ذلك للسابق إذا تَقَدَّم تقدُّمًا بيِّنًا فبلغ الغاية ، فمن شأنه أن يَثْنِيَ عِنانَهُ فينظرَ إلى الخيل ، وقال الشاعر :

فَمَنْ يَفْخَرْ بِمِثْلِ أَبِى وَجَدِّى ... يَجِئْ قَبْلَ السَّوَابِقِ وَهْوَ ثَانِى

يريد ثانى عِنانِه ، وقال القُلاخُ فى هذه القصة :

نُبِّئْتُ خَوْلَةَ قَالَتْ حِينَ أَنْكَحَهَا ... لَطَالَمَا كُنْتُ مِنْكَ الْعَارَ أَنْتَظِرُ
أَنْكَحْتَ عَبْدَيْنِ تَرْجُو فَضْلَ مَالِهِمَا ... فِى فِيكَ مِمَّا رَجَوْتَ التُّرْبُ وَالْحَجَرُ
لِلّٰهِ دَرُّ جِيَادٍ أَنْتَ سَائِسُهَا ... بَرْذَنْتَهَا(١) وَبِهَا التَّحْجِيلُ وَالْغُرَرُ

(١) يريد جعلها من البراذين ، وهى: ماليست من نتاج الخيل العراب .

وقال جرير يُعيِّرهم :

رَأَيْتُ مُقَاتِلَ الطَّلَبَاتِ[1] حَلَّى ... فُرُوجَ بَنَاتِهِ كَمَرَ المَوَالِي

لَقَدْ أَنْكَحْتُمُ عَبْدًا لِعَبْدٍ ... مِنَ الصُّهْبِ المُشَوَّهَةِ السِبَالِ

فَلاَ تَفْخَرْ بِقَيْسٍ إِنَّ قَيْسًا ... خَرِئْتُمْ فَوْقَ أَعْظُمِهِ البَوَالِي

وَقال آخر فى مثل هذه القصة :

أَلاَ يَاعِبَادَ اللهِ قَلْبِي مُتَيَّمٌ ... بِأَحْسَنِ مَنْ صَلَّى وَأَقْبَحِهِمْ بَعْلاَ

يَدِبُّ عَلَى أَحْشَائِهَا كُلَّ لَيْلَةٍ ... دَبِيبَ القَرَنْبِي بَاتَ يَقْرُو نَقًا[2] سَهْلاَ

القَرَنْبِي دُوَيْبَةٌ على هيئة الخُنْفُسِ مُنَقَّطَةَ الظَّهْر ، وربما كان فى ظهرها نقطةٌ حمراء ، وفى قوائمها طولٌ على الخنفس وهى ضعيفة المشى ، قال الفرزدق يعنى عَطِيَّةَ أَبا جَرِيرٍ :

قَرَنْبِي يَحُكُّ قَفَا مُقْرِفٍ ... لَئِيمٍ مَآثِرُهُ قُعْدُدِ

(ألف قرنبي ألف إلحاق وليست للتأنيث ، والقعدد اللئيم وجمعه قَعَادِدُ) .

وفى هذا الشعر يقول :

أَلَمْ تَرَ أَنَّا بَنِي دَارِمٍ ... زُرَارَةُ مِنَّا أَبُو مَعْبَدِ

وَمِنَّا الَّذِي مَنَعَ الوَائِدَاتِ ... وَأَحْيَا الوَئِيدَ فَلَمْ تُوأَدِ

أَلَسْنَا بِأَصْحَابِ يَوْمِ النِّسَارِ ... وَأَصْحَابُ أَلْوِيَةِ المِرْبَدِ

(النسارُ جبل تألفه النسورُ كثيراً فلذلك سُمى بهذا الاسم)

---

(١) أضافه إلى بناته .

(٢) يقرو : يتتبع قزا الأرض ، ويتعرف أمرها .

أَلَسْنَا الَّذِينَ تَمِيمٌ بِهِمْ ... تُسَامِى وَتَفْخَرُ فى الْمَشْهَدِ
وَنَاجِيَةُ الْخَيْرِ وَالْأَقْرَعَانِ ... وَقَــبْرٌ بِكَاظِمَةَ الْمَوْرِدِ
إِذَا مَا أَتَى قَبْرَه عَائِذٌ ... أَنَاخَ عَلَى الْقَبْرِ بِالْأَسْعُدِ
أَيَطْلُبُ مَجْدَ بَنِى دَارِمٍ ... عَطِيَّةُ كَالْجُعَلِ[1] الْأَسْوَدِ
وَمَجْدُ بَنِى دَارِمٍ دُونَهُ ... مَكَانُ السِّمَاكَيْنِ وَالْفَرْقَدِ

(الرفع فى مكان أقوى ، وهو الوجه الجيد فى العربية) .

قوله [ألم ترأنا بنى منقر[2]] منصوب على الاختصاص وقد مضى تفسيره ، وَزُرارةُ الذى ذَكَرَ ، هو زرارة بن عُدَس بن زيد بن عبد الله بن دارمٍ ، وكان زرارةُ يُكْنَى أبا مَعْبَدٍ ، وكان له بَنونَ : مَعْبَدٌ ، وَلقيطٌ ، وَحاجِبٌ وعَلْقَمةُ ، والمأموم . ويزعم قوم أن المأموم هو علقمةُ ، ومنهم شَيْبان بن زرارة وابنه يزيد بن شَيبان النسَّابةُ ، وكان حاجِبٌ أذكَرَ القومِ[3] .

وَرَوَوْا أن عبـد المَلكِ ذَكَرَ يوما بنى دارم فقال أحـدُ جُلَسائِهِ : ياأمير المؤمنين ! هؤلاء قوم محظوظون ، فقال عبد الملك : أتقول ذلك وقد مضى منهم لَقيطُ بن زرارة ولم يُخَلِّفْ عَقِباً ، ومضى القَعْقاعُ بن مَعْبَدٍ ابن زُرارةَ ولم يُخَلِّفْ عَقِباً ، ومضى محمد بن عُمَيْرِ بن عُطارِدِ بن حاجب بن زرارة وَلم يُخَلِّفْ عَقِباً !! وَالله لا تنسى العرب هؤلاء الثلاثة أبداً .

وكان لقيط بن زرارة قُتِلَ يوم جَبَلَة ، وَأُسِرَ حَاجِبٌ فَفُودِىَ ، فزعم أبوعبيدة

---

(١) دويبة تكون بالمواضع الندية ، والجمع جعلان (بكسر الجيم) .
(٢) صوابه « ألم ترأنا بنى دارم » .
(٣) أذكر القوم : أشهرهم ، من الذكر وهو بعد الصيت .

انه لم يكن عُكاظىٌّ[1] أغلَى فِدَاءً من حَاجب ، وكان أسره زَهْدَمٌ العَبْسِىُّ (أخو كَرْدَم) فلَحِقَهُ ذو الرُّقَيْبة القُشَيْرِىُّ ، وبنو عَبْسٍ يومئذ نازلةٌ فى بنى عامر بن صَعْصَعَة ،فأخذه ذُو الرُّقَيْبةِ بعزّةٍ ، وأنه فى مَحَلِّ قومِهِ فقال حَاجب: لَمّا تنازعنى الرجلان خِفْتُ أن أُقتَلَ بينهما ، فقلت : حَكِّمانى فى نفسى ، ففعلا فحكمتُ بسلاحى وركَابى لزَهْدمٍ ، وبنفسى لذى الرُّقَيْبةِ ، وكان حَاجب يُكْنَى أبا عِكْرِشةَ ، وكَان أحلَمَ قومه ، وفى ذى الرقيبة يقول الشاعِرُ (هو المُسَيَّبُ بن عَلَس واسمه زُهَيْرٌ ويُكْنَى أبا الفِضّة) :

وَلَقَدْ رَأَيْتُ الْقَائِلِينَ وَفِعْلَهُمْ ... فَلِذِى الرُّقَيْبَةِ مَالِكٍ فَضْلُ

كَفَّاهُ مُتْلِفَةٌ وَمُخْلِفَةٌ ... وَعَطَاؤُهُ مُتَدَفِّقٌ جَزْلُ

فَفُدِىَ حَاجِبٌ ، وقُتِلَ فى ذلك اليوم لَقيطٌ ، وأُسِرعمرو بن عمرو بن عُدَسَ ، فلذلك يقول جريرٌ يُعَيِّرُ الفرزدق ، لأن الفرزدق من بنى مُجَاشع بن دارمٍ ، وقد مضى ذكر هذا فى الكتاب ، ولجرير فى قَيْسٍ خُؤولَةٌ ، فلما هجا الفرزدقُ قيسًا فى أمر قُتَيْبةَ بن مُسْلم الباهلىّ ، قال :

أَتَانِى وَأَهْلِى بِالْمَدِينَةِ وَقْعَةٌ ... لآلِ تَمِيمٍ أَقْعَدَتْ كُلَّ قَائِمِ

كَأَنَّ رُؤُوسَ النَّاسِ إِذْ سَمِعُوا بِهَا ... مُشَدَّخَةٌ هَامَاتُهَا بِالأَمَائِمِ

(حجارةٌ تُشْدَخُ بها الرؤوسُ ، الواحدة أميمةٌ)[2]

وَمَا بَيْنَ مَنْ لَمْ يُعْطِ سَمْعًا وَطَاعَةً ... وَبَيْنَ تَمِيمٍ غَيْرُ حَزِّ الْحَلَاقِمِ[3]

---

(١) ممن يشهد عكاظ من أعزاء العرب .

(٢) ضبطها صاحب القاموس كجهينة .

(٣) جمع حلقوم وهوالحلق ، والميم زائدة وقيل أصلية .

أَتَغْضَبُ إِنْ أُذْنَا قُتَيْبَةَ حُزَّتَا ... جِهَاراً وَلَمْ تَغْضَبْ لِقَتْلِ ابْنِ خَازِمِ

وَمَا مِنْهُمَا إِلاَّ نَقَلْنَا دِمَاغَهُ ... إِلَى الشَّامِ فَوقَ الشَّاحِجَاتِ الرَّوَاسِمِ

تَذَبْذَبُ فِي المِخْلاَةِ تَحْتَ بُطُونِهَا ... مُحَذَّفَةُ الأَذْنَابِ جُلْحُ المَقَادِمِ

وَمَا أَنْتَ مِنْ قَيْسٍ فَتَنْبِحَ دُونَهَا ... وَلاَ مِنْ تَمِيمٍ فِي الرُّؤُوسِ الأَعَاظِمِ

تُخَوِّفُنَا أَيَامَ قَيْسٍ وَلَمْ تَدَعْ ... لِعَيْلاَنَ أَنْفاً مُسْتَقِيمَ الخَيَاشِمِ

لَقَدْ شَهِدَتْ قَيْسٌ فَمَا كَانَ نَصْرُهَا ... قُتَيْبَةَ إِلاَّ عَضَّهَا بِالأَبَاهِمِ (١)

وقال جرير يجيبه :

أَبَاهِلَ مَا أَحْبَبْتُ قَتْلَ ابْنِ مُسْلِمٍ ... وَلاَ أَنْ تَرُوعُوا قَوْمَكُمْ بِالمَظَالِمِ

ثم قال يخوف الفرزدق :

تُحَضِّضُ يا ابْنَ القَيْنِ قَيْساً لِيَجْعَلُوا ... لِقَوْمِكَ يَوْماً مِثْلَ يَوْمِ الأَرَاقِمِ (٢)

كَأَنَّكَ لَمْ تَشْهَدْ لَقِيطاً وَحَاجِباً ... وَعَمْرَو بْنَ عَمْرٍو إِذْ دَعَوْا يَالَ دَارِمِ

وَلَمْ تَشْهَدِ الجَوْنَيْنِ وَالشِّعْبَ ذَا الصَّفَا ... وَشَدَّاتِ قَيْسٍ يَوْمَ دَيْرِ الجَمَاجِمِ

فَيَوْمَ الصَّفَا كُنْتُمْ عَبِيداً لِعَامِرٍ ... وَبِالحِنْوِ أَصْبَحْتُمْ عَبِيدَ اللَّهَازِمِ

إِذَا عُدَّتِ الأَيَّامُ أَخْزَيْنَ دَارِماً ... وَتُخْزِيكَ يَا ابْنَ القَيْنِ أَيَّامُ دَارِمِ

أما قول الفرزدق :

كَأَنَّ رُؤُوسَ النَّاسِ إِذْ سَمِعُوا بِهَا ... مُشَدَّخَةٌ هَامَاتُهَا بِالأَمَائِمِ

فإن الشِّجاجَ مختلفةُ الأحكامِ ، فإذا كانت الشَّجَّةُ شُقَيْقاً (٣) يَدْمَى فهي الدامية ،

(١) يريد الأباهيم : جمع الابهام .

(٢) هو يوم كان لقيس على تغلب .

(٣) مصغر شق .

وإذا أخذت من اللحم شيئاً فهي الباضعةُ ، وإذا أمعنَتْ في اللحم فهي المُتَلاحِمةُ ، فإذا هَشَمَت العظم فهي الهاشمة ، وإذا كان بينها وبين العظم جُلَيْدةٌ رقيقة فهي السِّمْحاقُ (من أجل تلك الجليدة يقال ما على ثَرْبِ الشاةِ من الشَّحْمِ إلا سَماحِيقُ أي طرائقُ) فإذا خرجت منها عظامٌ صغار فهي المُنَقِّلَةُ ـ وإنما أخذ ذلك من النَّقَلِ وهي الحجارةُ الصغارُ ـ فإذا أَوْضَحَتْ عن العظم فهي المُوضِحةُ ، فإذاخرقت العظم وبلغتْ أُمَّ الدِّماغ وهي جُلَيْدَةٌ قد أَلْبَست الدِّماغَ فهي الآمَّةُ ، وبعض العرب يسميها المأمومةَ ، واشتقاقُ ذلك إفضاؤُها إلى أمّ الدماغ ولا غاية بَعْدها ، قال الشاعر :

يَحُجُّ مَأْمُومَــــةً فِي قَعْرِهَا لَجَفٌ ... فَاسْتُ الطبيبِ قَذَاها كَالْمَغَارِيدِ

وقال ابن غَلْفاء[1] الهُجَيْمِيُّ يَرُدُّ على يزيد بن عمرو بن الصَّعِقِ في هِجائه بني تميم :

فَإِنَّكَ مِنْ هِجَاءِ بَــــنِي تَمِيمٍ ... كَمُزْدَادِ الْغَرَامِ إِلَى الْغَرَامِ

هُمُ تَرَكُوكَ أَسْلَحَ مِنْ حُبَارَى[2] ... رَأَتْ صَقْرًا وَأَشْرَدَ مِنْ نَعَامِ

وَهُمْ ضَرَبوكَ أُمَّ الرَّأْسِ حَــــتَّى ... بَدَتْ أُمُّ الشُّؤُونِ[3] مِنَ الْعِظَامِ

إِذَا يَأْسُــــونَهَا جَشَأَتْ إِلَيْهِمْ ... شرَنْبَثَةُ الْقَــــوَائِمِ أُمُّ هَامِ

(يريد غليظة القوائم) وابن خازم هو عبدالله بن خازمٍ السُّلَمِيُّ ، وهو أحد غِرْبانِ العرب في الإسلام ، وكان من أَشْجَعِ الناس ، وقتله بنو تميم بخُراسان ،

(١) واسمه أوس .

(٢) اسم طائر ، يقع على الذكر والأنثى ، وجمعه حبابير وحباريات .

(٣) الشؤون : العروق التي تشد قبائل الرأس ومنها تجرى الدموع .

وكان الذى وَلِيَ قتله منهم وَكِيعُ بنُ الدَّوْرَقِيَّةِ القُرَيْعِيُّ . وقوله فوق الشاحجات يعنى البغال ، وَالرَّسِيمُ ضربٌ من السير وإنما عنى هٰهنا بغالَ البَرِيد لقوله :

* مُحَذَّفَةُ الأَذْنابِ(١) جُلْحُ المَقَادِمِ *

كما قال أمْرُؤُ القيس :

على كل مَقْصُوصِ الذُّنَابَى مُعَاوِدٍ   بَرِيدَ السُّرَى بِاللَّيْلِ مِنْ خَيْلِ بَرْبَرَا

وكانت بُرُدُ ملوكِ العرب فى الجاهلية الخيلَ .

وأما قول جرير [الجونين] فقد مضى ذكرهما ، ويوم [دير الجماجم] يريد الحَجَّاج فى وقعته بدَيْر الجَماجِمِ بعبد الرحمن بن محمد بن الأشعثِ بن قَيْسٍ الكِنْدِيِّ ، وقوله [وبالحِنْوِ أصبحتم عبيدَ اللهازِمِ] فاللهازِمُ بنو قَيْسِ ابن ثَعْلَبَةَ ، وبنو ذُهْلِ بن ثعلبة ، وبنو تَيْمِ اللات بن ثَعْلَبَةَ ، وبنو عِجْلِ ابن لُجَيْمِ بن صَعْبِ بن عليّ بن بكر بن وائل ، وبنو مازِنِ بن صعبِ بن عليّ ، ثم تَلَهْزَمَتْ حَنيفةُ بن لُجَيْمٍ فصارتْ معهم . وأما عَلْقَمةُ بن زُرارةَ فإنه قتلته بنو ضُبَيْعةَ بن قَيْسِ بن ثَعْلَبةَ فقَتَل به حاجبٌ أخوه أشْيَمَ بن شَرَاحِيلَ القَيْسِيَّ ، فقال حاجبٌ فى ذلك :

فَإِنْ تَقْتُلُوا مِنَّا كَرِيمًا فَإِنَّنَا   أَبَأْنَا به مَأْوَى الصَّعَالِيكِ أَشْيَمَا

قَتَلْنَا به خَيْرًا لِضُبَيْعَاتِ كُلِّهَا   ضُبَيْعَةَ قَيْسٍ لا ضُبَيْعَةَ أَضْجَمَا

وكان يقال لأَشْيَمَ مَأْوَى الصَّعَالِيكِ ، وضُبَيْعَةُ أَضْجَمَ(٢) الذى ذَكَرَ هو ضُبَيْعَةُ بن ربيعةَ بن نِزارٍ رهط المُتَلَمِّسِ هذا لقبهم ، وأما مَعْبَدُ بن زُرارةَ فإن

---

(١) أى أن حذف الأذناب كان علامة لها .

(٢) ضبيعة أضجم : من إضافة الاسم إلى اللقب .

قَيْسًا أَسَرَتْهُ يوم رَحْرَحَانَ، فساروا به إلى الحجاز فأتى لَقِيطٌ فى بعض الأشهر الحُرُم ليَفْدِيَهُ، فطلبوا منه ألف بعير فقال لقيط: إن أبانا أمرنا أن لا نزيد على المائتين فتطمعَ فينا ذُؤْبانَ العرب ، فقال معبدُ يا أخى افدنى بمالى فإنى ميتٌ فأبى لقيطٌ وأبى معبد أن يأكل أو يشرب ، فكانوا يَشْحُون فاه وَيصبون فيه الطعام والشراب لِئلا يَهلِك فيذهبَ فداؤه ، فلم يزل كذلك حتى مات ، فقال جَرير يعير الفرزدق وقومه بذلك :

تَرَكْتُمْ بِوَادِى رَحْرَحَانَ نِسَاءَكُمْ وَيَوْمَ الصَّفَا لاَقَيْتُمُ الشِّعْبَ أَوْعَرَا
سَمِعْتُمْ بَنِى مَجْدٍ دَعَوْا يَالَ عَامِرٍ فَكُنْتُمْ نَعَامًا عِنْدَ ذَاكَ (١) مُنَفَّرَا
وَأَسْلَمْتِ القَلْحَاءَ (٢) فى الغُلِّ مَعْبَدًا وَلاَقَى لَقِيطٌ حَتْفَهُ فَتَقَطَّرَا

قوله [سمعتم بنى مجد دعوا يال عامر] يعنى مَجْدَ بنت النَضْرِ بن كنانةَ وَلَدَتْ رَبيعةَ بن عامر بن صَعْصَعَةَ ، وَوَلَدُهُ بنو كلابٍ وبنو كعبٍ وبنو عامر بن ربيعة ، والقَلْحَاء لقب ، والقَلَحُ أن تركبَ الأسنانَ صُفْرَةٌ تضرِبُ إلى السواد ، ويقال لها الحَبرَةُ لشدة تأثيرها ، أنشدنى المازنى :

لَسْتُ بِسَعْدِىّ عَلَى فِيهِ حَبْرَةٌ وَلَسْتُ بِعَبْدِىّ حَقِيبَتُهُ التَّمْرُ

وزعم أبو الحسن الأخفش (سعيدُ بن مَسْعَدَةَ) أن العرب تقول فى هذا المعنى: فى أسنانه حِبِرَةٌ ، وليس ذلك بمعروف ، ولم يأت اسم على فِعِل إلاَّ إبِلٌ وَإِطِلٌ (وامرأةٌ بلِزٌ أى ضخمة قاله ابن قتيبةَ ، أما إبل فكما ذكرَ ، وأما

(١) رواية الديوان : فكنتم نعاما بالحزيز ، والحزيز: موضع .
(٢) رواية الديوان :

وأسلمتم لابن الأسيدة حاجبا ولاقى لقيط حتفه فتقطرا
وأسلمت القلحاء للقوم معبدا يجاذب مخموسا من القد أسمرا

إطِلٌ فليس كما ذكر، وَإطِلٌ أصله إطْلٌ ثم حركت الطاء اتباعا لحركة الهمزة، كما قالوا فى الجِلْدِ الجِلِدُ، قال سيبويه : ليس فى الأسماء والصفات فِعِلٌ إلاَّ إبِلٌ)

وقوله [ولاَ قى لَقيطٌ حتفه فتَقَطَّرَا] يقال قَطَّرَهُ لجنبيه وقتَّرَهُ، لغتان لأن التاء من مخرج الطاء، فإن رَمَى به على قفاه قيل سَلَقَهُ وسَلْقاهُ وبَطَحَهُ لوجهه، فان رَمَى به على رأسه قيل نَكَتَهُ .

[رجع التفسيرُ إلى شعر الفرزدق الأول]

أما قوله [ومنا الذى منع الوائدات] فانه يعنى جده صعصعة بن ناجية ابن عِقالٍ، وكانت العرب فى الجاهلية تَئِدُ البنات، ولم يكن هذا فى جميعها إنما كان فى تميم بن مُرٍّ، ثم استفاض فى جيرانهم، فهذا قولُ واحدٍ، وقال قوم آخرون بل كان فى تميم وقَيْسٍ وأسَدٍ وهُذَيْلٍ وبكْرِ بن وَائِلٍ لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « اللهم اشْدُدْ وَطْأتكَ عَلَى مُضَرَ وَاجْعَلْها عليهم سِنِينَ كسِنِى يوسُفَ » وقال بعض الرواة : اشدد وَطْدَتَكَ، وَالمعنى قريب يرْجع إلى الثِّقَل، فأجْدبُوا سبع سنين حتى أكلوا الوبَرَ بالدَمِ، فكانوا يسمونه العِلْهِزَ، ولهذا أبان الله عز وجل تحريم الدم، ودَلَّ على ما من أجله قتلوا البناتِ فقال « وَلاَ تَقْتُلوا أوْلاَدَكُمْ خَشْيَةَ إمْلاَقٍ » وقال « وَلاَ يَقْتُلْنَ أوْلاَدَهُنَّ » فهذا خَبرٌ بَيِّنٌ أن ذلك للحاجة، وقد رَوَى بعضُهم أنهم إنما فعلوا ذلك أنَفَةً، وذكر أبو عبيدة مَعْمَرُ بن المُثَنَّى، أن تميما منَعتِ النُّعْمانَ الإتاوَةَ، وهِيَ الأديانُ، فوَجَّهَ إليهم أخاه الريَّانَ بن المُنْذِرِ، وكانت للنعمان خمسُ كتائبَ، إحداها الوَضائِعُ، وهم قوم من الفُرْسِ كان كسْرَى يَضَعُهُمْ

عنده عُدَّةً وَمَدَدًا ، فيقيمون سنة عند الملك من ملوك لَخْمٍ ، فإذا كان فى رأس الحول رَدَّهُمْ إلى أهليهم وبَعَثَ بمثلهم ، وكَتيبة يقال لها الشَّهْباء ، وهىَ أهل بيت الملك ، وكانوا بيضَ الوجوه يُسَمَّوْنَ الأشاهِبَ ، وكتيبةٌ ثالثة يقال لها الصنائعُ ، وهم صنائع المَلِكِ أكثرهم من بكر بن وائِلٍ ، وكتيبةٌ رابعةٌ يقال لها الرهائنُ ، وهم قوم كان يأخذُهمْ من كل قبيلة فيكونون رُهُنًا عنده ثم يوضع مكانهم مثلهم ، والخامسة دَوْسَرٌ[١] ، وهىَ كتيبة ثقيلة تَجْمَعُ فُرْسانًا وَشُجْعانا من كل قبيلة ، فأغزاهم أخاه[٢] ، وجُلُّ من معه بكْرُ بن وائل فاستاق النَّعَمَ وسَبَى الذَّرارِىَّ ، وفى ذلك يقول أبو المُشَمْرَجِ اليَشْكُرِىُّ :

لَمّا رَأَوْا رَايَةَ النُّعْمَانِ مُقْبِلَةً ... قَالُوا أَلاَ لَيْتَ أَدْنَى دَارِنَا عَدَنُ
يَالَيْتَ أُمَّ تَمِيمٍ لَمْ تَكُنْ عَرَفَتْ ... مُرًّا وَكَانَتْ كَمَنْ أَوْدَى بِهِ الزَّمَنُ
إِنْ تَقْتُلُونَا فَأَعْيَارٌ[٣] مُجَدَّعَةٌ[٤] ... أَوْ تُنْعِمُوا فَقَدِيمًا مِنْكُمُ المِنَنُ
مِنْهُمْ زُهَيْرٌ وَعَتّابٌ وَمُحْتَضَرٌ ... وَابْنَا لَقِيطٍ وَأَوْدَى فِي الْوَغَا قَطَنُ

ويقول النعمان فى جواب هذا :

لِلَّهِ بَكْرٌ غَدَاةَ الرَّوْعِ لَوْ بِهِمُ ... أَرْمِى ذُرَا حَضَنٍ زَالَتْ بِهِمْ حضَنٌ[٥]
إِذْ لاَ أَرَى أَحَدًا فِي النَّاسِ أَشْبَهَهُمْ ... إِلاَّ فَوَارِسَ خَامَتْ[٦] عَنْهُمُ اليَمَنُ

---

(١) من قولهم : جمل دوسر ، أى ضخم شديد.
(٢) أغزاهم أخاه : أعطاهم اياه يغزو بهم .
(٣) جمع عير : وهو الحمار .
(٤) مجدعة : مقطعة الآذان .
(٥) حضن : جبل بأعلى نجد .
(٦) خامت ، جبنت .

وهذا خبر طويل فَوَفَدَتْ إليه بنو تميم فلما رآها أحب البُقْيا فقال :

مَا كانَ ضَرَّ تَمِيماً لَوْ تَغَمَّدَهَا مِنْ فَضْلِنَا مَا عَلَيْهِ قَيْسُ عَيْلَانِ

فأناب القومُ وسألوه النساء ، فقال النعمان : كل امرأة اختارت أباها رُدَّتْ إليه ، وإن اختارت صاحبها تُرِكتْ عليه ، فكلُّهن اختارت أباها إلا ابنة لقيس بن عاصم فإنها اختارت صاحبها عمرو بن المُشَمْرَج ، فَنَذَرَ قيسٌ أن لا تُولَدَ له ابنةٌ إلا قَتَلَها ، فهذا شيءٌ يَعْتَلُّ به مَنْ وَأَد ، ويقول فعلناه أَنَفَةً ، وقد أُكْذِبَ ذلك بما أنزل اللهُ تعالى في القرآن ، وقال ابن عباس رحمهُ الله في تأويل هذه الآية : وكانوا لا يوَرِّثون ، ولا يتخذون إلا مَنْ طاعَنَ بالرُّمح ومَنَع الحريم ، يريد الذُّكرانَ ، وروت الرواة ، أن صعصعةَ بن ناجية لما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم ، قال : يا رسول الله ! إنى كنتُ أعْمَلُ عملا فى الجاهلية فينفعُنى ذلك اليوم ؟ قال : وما عملك ؟ قال : أَضْلَلْتُ ناقتين عُشَرَاوَيْنِ فركبتُ جملاً ومضيت فى بُغائهما [(١)] فَرُفِع لى بيتٌ حريدٌ فقصدته ، فاذا شيخ جالس بفِناء الدار فسألته عن الناقتين فقال : ما نارُهما ؟ قلتُ مِيسَمُ بنى دارم ، فقال : هما عندى وقد أحيا الله بهما قوما من أهلك من مُضَرَ ، فجلستُ معه لتُخْرَجا إلىَّ فإذا عجوز قد خرجتْ من كِسْرِ البيت [(٢)] فقال لها ماوَضَعَتْ؟ فإن كان سَقْباً [(٣)] شارَكنا فى أموالنا ، وإن كانت حائلا وأَدْناها ، فقالت العجوز : وَضَعَتْ أنثى ! فقلتُ : أتبيعها ؟ قال : وهل تبيعُ العربُ أولادها ؟

---

(١) أى فى طلبهما .
(٢) كسر البيت : شقته السفلى التى تلى الأرض .
(٣) السقب هو : الذكر من ولد الناقة ساعة تضعه أمه .

(قال) قلتُ: إنما أشترى منك حياتَها، ولا أشترى رِقّها: قال: فبِكَمْ؟ قلتُ: احْتَكِمْ، قال: بالناقتين والجملِ (قال) قلتُ: ذاكَ لكَ عَلَى أن يُبَلِّغَنى الجملُ وإيّاها، قال ففعل فآمنتُ بك يارسولَ الله وقد صارتْ لى سُنَّةٌ فى العرب، عَلَى أن أشترى كل موءودة بناقتين عُشَرَاوَيْنِ وَجملٍ، فمندى إلى هذه الغاية ثمانون ومائتا مَوْءودة فقد أنقذتها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا ينفعكَ ذلك لأنك لم تَبْتَغِ به وجه الله وإن تَعْمَلْ فى اسلامِك عملا صالحًا تُثَبْ عليه.

وكان ابن عباس يقرأ «وإذا المَوْءودةُ سَأَلَتْ بِأَىِّ ذَنْبٍ قُتِلْتُ» وقال أهل المعرفة فى قول الله عزّ وجل «وَإِذَا الْمَوْءودَةُ سُئِلَتْ بِأَىِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ» إنما تسأل تبكيتا لمن فَعَلَ ذلك بها كما قال الله تعالى «يَا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ». وقوله وُئِدَتْ، إنما هو أُثْقِلَتْ بالتُّراب، يقال للرجل اتَّئِدْ أى تَثَبَّتْ وَتَثَقَّلْ، كما يقال تَوَقَّرْ، قال قَصيرٌ صاحبُ جذيمةَ:

(هذا وَهْمٌ من أبى العباس وإنما هو للزّبّاء)

مَا لِلْجِمَالِ مَشْيُهَا وَئِيدَا أَجَنْدَلاً يَحْمِلْنَ أَمْ حَدِيدَا

* أم صَرَفانًا[1] باردًا شَدِيدًا *

وقوله [أضللتُ ناقتين عُشَرَاوَيْنِ] أضللتُ: ضَلَّتَامِنى، وتحقيقه صادفتهما ضالَّتَيْنِ[2] كما قال (لرجل من قُضاعةَ يقال له مالك بن عمرو، وقبله

---

(١) الصرفان: ضرب من أجود التمر وأرزنه، واحدته صرفانة. وبارد: ثقيل.
(٢) كقولهم أحمدته وأبخلته: صادفته محموداً أو بخيلا.

لاَ وَجْدُ ثَكْلَى كما وَجَدْتُ وَلاَ وَجْدُ عَجُولٍ[1] أَضَلَّهَا رُبَعٌ[2])

أَوْ وَجْدُ شَيْخٍ أَضَلَّ نَاقَتَهُ حِينَ تَوَلَّى الْحَجِيجُ فَانْدَفَعُوا

والعُشَراء : الناقةُ التي قد أتى عليها منذ حَمَلَتْ عشرةُ أشهر ، وإنما حَمْلُ الناقة سنةٌ ، وقوله [ما نارها] يريد ما وَسْمُهَا[3] كما قال :

قَدْ سُقِيَتْ آبَالُهُمْ بِالنَّارِ وَالنَّارُ قَدْ تَشْفِي مِنَ الْأُوَارِ[4]

أى عُرِفَ وَسْمُهُمْ فلم يُمْنَعُوا الماء ، وقوله [فإذا بيت حَرِيدٌ] يقول مُتَنَحٍّ عن الناس ، وهذا من قولهم انْحَرَدَ الجملُ ، إذا تنحّى عن الإناث فلم يَبْرُكْ معها ، ويقال فى غير هذا الموضع حَرَدَ حَرْدَهُ : أى قَصَدَ قَصْدَهُ ، قال الراجز :

قَدْ جَاءَ سَيْلٌ جَاءَ مِنْ أَمْرِ اللهْ يَحْرِدُ حَرْدَ الْجَنَّةِ الْمُغِلَّهْ

وقالوا فى قوله عز وجل « وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ » أى على قَصْدٍ كما ذكرنا، وقالوا هو أيضاً على مَنْعٍ ، من قولهم حارَدَت الناقة إذا مَنَعَتْ لبنها ، وحارَدَت السَّنَةُ إذا مَنَعَتْ مطرَها ، والبعير الأحرد هو الذى يضرب بيده ، وأصله الامتناع من المشى ، وأما قوله :

وَقَبْرٍ بِكَاظِمَةِ الْمَوْرِدِ إِذَا مَا أَتَى قَبْرَهُ خَائِفٌ[5]

* أَنَاخَ عَلَى الْقَبْرِ بِالْأَسْعُدِ *

فإنه يعنى قبر أبيه غالبِ بن صَعْصَعَةَ بن ناجيَة ، وكان الفرزدق يُجِير مَن استجار بقبر أبيه ، وكان أبوه جَوادًا شريفاً ، ودخل الفرزدق البصرة فى إمْرَةِ

---

(١) العجول فى الإبل والنساء : الواله التى فقدت ولدها .

(٢) أراد أن يقول : أضلت ربعها فقلب ، والربع : الفصيل ينتج فى الربيع .

(٣) وإنما كان الأمر كذلك لأنها بالنار توسم .

(٤) الأوار : العطش . (٥) أى عائذ .

زيادٍ ، فباع إبلا كثيرة وجعل يَصُرُّ أثمانها ، فقال له رجلٌ : إنك لَتَصُرُّ أثمانها ، ولو كان غالبُ بن صعصعةَ ما صَرَّها ، ففتح الفرزدق تلك الصُّرَرَ ونَثَرَ المال ، وبلغ الخبرُ زيادًا فطلبه ، فهرب الفرزدق ، وله في هربه حديثٌ طويل ، واستجارته بسعيد بن العاص بالمدينة نذكره بعد هذا إن شاء الله.

فمِمَّنْ استجار بقبر غالب فأجاره الفرزدق امرأةٌ من بني جَعْفَرِ بن كلاب ، خافتْ لما هجا الفرزدق بني جعفر بن كلاب أن يُسَمِّيَها ويَسُبَّها ، فعاذَتْ بقبر أبيه ، فلم يَذْكُرْ لها اسمًا ولا نسبًا ، ولكن قال في كلمته التي يهجو فيها بني جعفر بن كلاب :

عَجُوزٌ تُصَلِّي الْخَمْسَ عَاذَتْ بِغَالِبٍ ... فَلاَ وَالَّذِي عَاذَتْ بِهِ لاَ أُضِيرُهَا

ومن ذلك أن الحجاج لما وَلَّى تَميمَ بن زيد القَيْنِيَّ السِّنْدَ ، دخل البصرة فجعل يُخْرِجُ من أهلها مَنْ شاء ، فجاءت عجوز إلى الفرزدق فقالت : إني استجرت بقبر أبيك ، وأتت منه بحَصَياتٍ ، فقال لها : وما شأنك ؟ فقالتْ : إن تميم بن زيد خَرَجَ بابن لي معه ولا قُرَّةَ لعيني ولا كاسِبَ لي غيرُهُ ، فقال لها : وما اسمُ ابنك ؟ فقالت خُنَيْسٌ ، فكتب إلى تميم بن زيد مع بعض مَنْ شَخَصَ :

تَمِيمُ بْنَ زَيْدٍ لاَ تَكُونَنَّ حَاجَتِي ... بِظَهْرٍ فَلاَ يَعْيَا عَلَيَّ جَوَابُهَا

وَهَبْ لِي خُنَيْسًا وَاحْتَسِبْ فِيهِ مِنَّةً ... لِعَبْرَةِ أُمٍّ مَا يَسُوغُ شَرَابُهَا

أَتَتْنِي فَعَاذَتْ يَا تَمِيمُ بِغَالِبٍ ... وَبِالْحُفْرَةِ السَّافِي عَلَيْهَا تُرَابُهَا

وَقَدْ عَلِمَ الْأَقْوَامُ أَنَّكَ مَاجِدٌ ... وَلَيْثٌ إِذَا مَا الْحَرْبُ شُبَّ شِهَابُهَا

فلما ورد الكتابُ على تميم ، تَشَكَّكَ في الاسم فقال : أَحُبَيْشٌ أم خُنَيْسٌ ؟

ثم قال : انظروا مَنْ له مثلُ هذا الاسم فى عسكرنا ؟ فأصيب ستةٌ ما بين حُبَيْشٍ وَخُنَيْسٍ فوَجَّهَ بهم إليه .

ومنهم مكاتَبٌ لبنى مِنْقَرٍ ظَلَعَ بمكاتبته (١) فأتى قبرَ غالب فاستجار به وأخذ منه حَصَيَاتٍ فَشَدَّهُنَّ فى عِمامته ، ثم أتى الفرزدق فأخبره خبرَهُ وقال : إنى قد قلت شعرًا فقال هاته ، فقال :

بِقَبْرِ ابْنِ لَيْلَى غَالِبٍ عُذْتُ بَعْدَمَا ... خَشِيتُ الرَّدَى أَوْ أَنْ أُرَدَّ عَلَى قَسْرِ (٢)

بِقَبْرِ امْرِئٍ تَقْرِى (٣) الْمَئِينَ عِظَامُهُ ... وَلَمْ يَكُ إِلاَّ غَالِبًا مَيْتٌ يَقْرِى

فَقَالَ لِى اسْتَقْدِمْ أَمَامَكَ إِنَّمَا ... فَكَاكُكَ أَنْ تَلْقَى الْفَرَزْدَقَ بِالْمِصْرِ

فقال له الفرزدق : ما اسْمُكَ ؟ قال لَهْذَمٌ ، قال يا لَهْذَمُ حُكْمُكَ مُسَمَّطًا ، قال : ناقةٌ كَوْماء سوداء الحدقة ، قال يا جارية اطْرَحِى إلينا حبلا ، ثم قال يا لَهْذَمُ اخرج بنا إلى المِرْبَدِ فألْقِهِ فى عُنُقِ ما شئت ، فتخير العبدُ على عينه ، ثم رمى بالحبل فى عنق ناقةٍ وجاء صاحبها ، فقال له الفرزدق : اغْدُ علىّ فى ثمنها ، فجعل لَهْذَمٌ يقودها والفرزدق يسوقها حتى إذا نَفَذَ بها من البيوت إلى الصحراء صاح به الفرزدقُ : يا لَهْذَمُ ! قبحَ اللهُ أخسرَنا ! !

قوله [تقرى المئين عظامه] يريد أنهم كانوا يحرون الإبل عند قبور عظمائهم ، فيطعمون الناس فى الحياة وبعد الممات ، وهذا معروف فى أشعارهم .

قوله [ولم يك إلا غالبا ميتٌ يقرى] فإنه نصب غالبًا لأنه استثناء مقدم ، وإنما انتصب الاستثناء المقدم لما أذكره لك ، وذلك أن حق الاستثناء إذا

(١) أى ضعف عن حمل ما كوتب به . (٢) أى خشى أن يردّ متهوراً إلى العبودية .
(٣) من القرى بالكسر : وهو إكرام الضيف .

كَانَ الفعلُ مشغولا به أن يكون جارِيا عليه لا يكون فيه إلا هذا ، تقول : ما جاءنى إلا عبدُ الله وما رأيت إلا عبدَ الله ، وما مررت إلا بعبدِ الله ، فإن كَانَ الفعل مشغولا بغيره فكان موجَبًا لم يكن فى المستثنى إلا النصبُ ، نحو جاءنى إخوتُكَ إلا زيدا ، كما قال تعالى « فَشَرِبُوا مِنْهُ إلاَّ قَلِيلاً مِنْهُمْ » وَنَصَبَ هذا على معنى الفعل[1] وإلا دليلٌ على ذلك[2] فإذا قلت: جاءنى القوم ، لم يُؤْمَنْ أن يقع عند السامع أن زيدا أحدهم فاذا قال إلا زيدا فالمعنى لا أَعْنِى فيهم زيداً أو أستثنى ممن ذكرتُ زيداً ، ولسيبويه فيه تمثيل ، والذى ذكرت لك أَبْيَنُ منه ، وهو مُتَرْجِمٌ عما قال غيرُ مناقِضٍ له . وإن كان الأول منفيًّا جاز البدل والنصب والبدل أحسن ، لأن الفعل الظاهر أولى بأن يعمل من المختَزَلِ[3] الموجود بدليل ، وذلك قولك: ما أتانى أحد إلا زيدٌ وما مررتُ بأحد إلا زيدٍ ، والفصل بين المنفى والموجَب أن المبدل من الشئ يُفَرَّغُ له الفعلُ فأنت فى المنفى إذا قلت: ماجاءنى أحدٌ إلا زيدٌ إذا حذفتَ على جهة البدل صار التقدير ماجاءنى إلا زيدٌ لأنه بدل من أحد ، والموجَبُ لا يكون فيه البدل لأنك إذَا قلت : جاءنى إخوتك إلا زيدا لم يجز حذف الأول، لا تقول جاءنى إلا زيد وإن شئت أن تقول فى النفى : ماجاءنى أحد إلا زيداً جاز ونصبهُ بالاستثناء الذى شرحتُ لك فى الواجب ، والقراءةُ الجيدةُ « مَا فَعَلُوهُ إلاَّ قَلِيلٌ مِنْهُمْ » وقد قرئ إلا قليلاً منهم على ما شرحتُ لك فى الواجب والقراءةُ الأولى ،

---

(١) يريد الفعل المقدر : وهو أعنى أو أستثنى فيكون شبيها بالمعمول به .

(٢) قال الشيخ المرصفى : هذا كمذهبه فى المنادى يقول : انه منصوب بالفعل المقدر وهو أنادى ، وحرف النداء دليل عليه .

(٣) أى المحذوف الذى هو فى حكم الموجود بدليل إلا .

* فإذا قدَّمتَ المستثنى بطلَ البدَلُ ، لأنه ليس قبله شىء يُبْدَلُ منه ، فلم يكن فيه إلاّ وجهُ الاستثناء ، فتقول : ما جاءنى إلاَّ أباك أحدٌ ، و : ما مررتُ إلاّ أباك بأحدٍ ، وكذلك تُنْشَدُ هذه الأشعار ، قال كعبُ بنُ مالكٍ الأنصاريُّ لرسول الله صلى الله عليه وسلم :

النّاسُ أَلْبٌ علينا فيكَ ليس لنا إلاّ السُّيوفَ وأطْرافَ القَنا وَزَرُ(١)

وقال الكُمَيْتُ بن زيد :

فمالِىَ إلاّ آلَ أحمدَ شيعةٌ ومالِىَ إلاّ مَشْعَبَ الحقِّ مَشْعَبُ

لا يكون إلاّ هذا . وليونس قولٌ مرغوبٌ عنه ، فلذلك لم نذْكره .

وقوله : «فقال لى استَقْدِمْ أمامَكَ» مُخْبِرٌ عن الميِّت بالقَوْلِ ، فإن العربَ وأهلَ الحِكْمَةِ من العَجَم تجعلُ كلَّ دليلٍ قولاً ، فمن ذلك قول زُهَيْرٍ :

* أمِنْ أُمِّ أوْفَى دِمْنَةٌ لم تَكَلَّمِ *

وإنما كلامُها عندَه أن تبَيَّنَ بما يُرَى من الآثارِ فيها ، من قِدَمِ أهلِها وحِدْثانِ عَهْدِهمْ .

ويُرْوى عن بعض الحكماء أنه قال : هَلاَّ وقفتَ على المَعاهِد والجِنانِ ، فقلتَ : أيتُها الجِنانُ ، مَنْ شَقَّ أنهارَكِ ، وغَرَسَ أشجارَكِ ، وجَنَى ثِمارَكِ ؟

---

* شرفنى صديقى الأستاذ الدكتور زكى مبارك حفظه الله ، فعهد إلىّ بإتمام تصحيح هذا الكتاب وتحقيقه ، ووافق على ذلك إخوانى الناشرون بارك الله فيهم ، فبدأت من أول هذه الصفحة ، وأرجو أن أكون عند حسن ظنهم بى ، وأسأل الله الهداية .

الخميس ٢٢ جمادى الثانية سنة ١٣٥٧ وكتب
١٨ أغسطس سنة ١٩٣٨ أحمد محمد شاكر

(١) ألب : متجمعون ، وزر : ملجأ .

فإنها إن لم تُجِبْكَ حِوارًا[1] أجابَتْكَ اعتبارًا .

وأهلُ النظر يقولون فى قول الله عز وجل ﴿ قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ — : لم يكنْ كلامٌ ، إنما فعَلَ عزَّ وجل ما أراد فوُجِدَ . قال الراجزُ :

قد خَنَّقَ الحَوْضُ وقال قَطْنِي   سَلاًّ رُوَيْدًا قد مَلأْتُ بَطْنِي[2]

ولم يكن كلامٌ ، إنما وُجِدَ ذلك فيه . وكذلك قوله :

فقالَ لِيَ اسْتَقْدِمْ أَمَامَكَ إنما   فَكَاكُكَ أَنْ تَلْقَى الفَرَزْدَقَ بالمِصْرِ

أى : قد جُرِّبَ مثلُ هذا منك فى المستجير بقبره .

❁

وحدثنى العباسُ بنُ الفَرَجِ الرِّياشىُّ فى إسنادٍ قد ذَهَبَ عنى أكثرُه ، قال : نزل النُّعْمَانُ بنُ المُنْذِرِ ومعه عَدِىُّ بن زيد فى ظلِّ شجرةٍ مُونقةٍ ، ليَلْهُوَ النُّعمانُ هناك ، فقال له عدىُّ بن زيد : أيُّها الملكُ ! أبَيْتَ اللَّعْنَ ! أتَدْرِى ما تقولُ هذه الشجرة ؟ قال : وما الذى تقول ؟ قال : تقول :

[مَنْ رآنا فَلْيُحَدِّثْ نفسَهُ   أنه مُوفٍ على قَرْنِ زَوالْ[3]

وصُروفُ الدهرِ لا يَبْقَى لها   ولِمَا تأتى به صُمُّ الجبالْ][4]

رُبَّ رَكْبٍ قد أناخُوا حَوْلَنَا   يَمْزُجُونَ الخمرَ بالماء الزُّلالْ[5]

---

(١) الحوار : الجواب .

(٢) « الحوض » فاعل « خنق » بمعنى امتلأ . و « سلا » بدلها فى س و د و هـ « مهلا » وهى رواية . و « ملأت » بضم التاء لاغير ، لأنه حكاية لقول الحوض بلسان الحال .

(٣) « موف » : مشرف . « قرن زوال » : مستعار من قرن السيف أو السنان ، وهو حده ، يريد أنه مشرف على الهلاك .

(٤) كل ما كان بين هذين المربعين [ ] فليس من أصل الكتاب ، إنما هو زيادات من الرواة ، فما لم ينص على قائله فهو من أبى الحسن الأخفش .

(٥) فى س و هـ « رب شرب » .

[والأباريقُ عليهــــا قُدُمٌ   وجيادُ الخيل تَرْدِي في الجِلال[1]
عَمِرُوا الدَّهْرَ بِعَيْشٍ حَسَنٍ   قَطَعوا دَهرَهُمْ غيْرَ عِجَالْ]
ثم أضْحَوْا عَصَفَ الدَّهْرُ بهم   وكذاكَ الدَّهْرُ حالاً بعدَ حالْ[2]

قال : فتَنَغَّصَ النعمان .

وهذا في الأمثالِ كثيرٌ ، وفي الأشعار السائرة .

وأما قولهُ «حُكْمُكَ مُسَمَّطاً» فإعرابُه أنه أرادَ : لك حُكْمُكَ مُسَمَّطاً ، واستُعْمِلَ هذا فكَثُر ، حتى حُذِفَ استخفافاً ، لعلم السامع بما يُرِيدُ القائلُ ، كقولك : « الهلالُ واللهِ » أي : هذا الهلالُ ، وأغْنَى عن قوله « هذا » — : القصدُ والإشارةُ .

وكان يقالُ لِرُؤْبَة : كيفَ أصبحتَ ؟ فيقول : خَــيرٍ عافاكَ اللهُ . فلم يُضمِرْ حرفَ الخفْضِ ، ولكنه حَذَفَ لكثرة الاستعمال ، والمُسَمَّطُ : المرْسَلُ غيرُ المردودِ[3] ، والكَوْماء : العظيمة السَّنَامِ .

(١) « قدم » بضم القاف والدال : جمع قدام ، بكسر القاف وفتحها مع تخفيف الدال . وهو مايوضع على فم الإبريق لتصفية الشراب . و« تردى » من الرديان ، وهو العدو . و« الجلال » جمع «جل» بضم الجيم ، وهو ماتلبسه الدابة لتصان به .
(٢) « حالا » بالنصب ، وفي بعض النسخ بالرفع ، وكلاهما صحيح .
(٣) أي النافذ حكمه .

باب

قال أبو العباس : قال الليثُ [هو الجاحِظُ] : أعتقَ سعيدُ بن العاصِي أبا رافعٍ إلاّ سَهْمًا واحدًا فيه ، مِن أسْهُمٍ لم يُسَمَّ عَدَدُها لنا ، فاشترَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ذلك السهمَ فأعتقه ، وكان لأبى رافعٍ بَنُونَ أشرافٌ[1] ، منهم : عُبيدُ الله بنُ أبى رافع ، وحديثُه أثبتُ الحديثِ عن عليّ بن أبى طالب ، وكان كالكاتِب له ، وكان عُبيدُ الله بنُ أبى رافعٍ شريفًا ، وكان عُبيدُ الله يُنْسَبُ إلى وَلاء رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فلما وَلِيَ عمرُو بنُ سعيدٍ[2] الأشْدَقُ المدينةَ لم يَعْمَلْ شيئا قبل إرساله إلى عُبيد الله بن أبى رافعٍ ، فقال له : مَوْلَى مَنْ أنتَ ؟ فقال له : مولَى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فأَبْرَزَه فضربَه مائةَ سوطٍ ، ثم قال له : مَوْلَى مَنْ أنتَ ؟ فقال : مولى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فضربه مائةً أخرى ، فلما رأى عبدُ الله أخاه غيرَ راجعٍ ، وأن عمراً قد ألَحَّ عليه فى ضربه ، قام إلى عمرٍو فقال له : اذكر المِلْحَ ، فأمسك عنه .

والمِلْحُ ههنا اللَبَنُ ، يريدُ الرَّضاعَ ، كما قال أبو الطَّمَحانِ القَيْنِيُّ :

وإنّى لَأَرْجُو مِلْحَها فى بُطونكم ... وما بَسَطَتْ مِنْ جِلْدِ أشْعَثَ أغْبَرَا[3]

[كذا وقعت الروايةُ ، والصوابُ « أغْبَرِ » لأنّ قبلَه :

(١) وكان رسول الله زوّجه مولاته سلمى قابلة ابنه إبرهيم .

(٢) ابن العاصى بن سعيد بن العاصى .

(٣) أى : أرجو أن ترعوا ماشربتم من ألبانها وما بسطت من جلودكم اليابسة .

ولو عَلِمَتْ صَرْفَ البُيوعِ لَسَرَّهَا ... بِمَكَّةَ أن تَبْتاعَ حَمْضًا بِإِذْخِرِ[1]

قاله ش] .

وكما قال الآخرُ :

لا يُبْعِدِ اللهُ ربُّ العِبا ... دِ والمِلْحُ ما وَلَدَتْ خالِدَهْ

ويروى أن عُبيدالله بن أبى رافع أتى الحسنَ بنَ علىّ بن أبى طالبٍ فقال : أنا مولاك ، فقال فى ذلك مَوْلًى لِتَمَّامِ بن عبّاس بن عبدالمُطّلِب، يَعْذُلُه و يُعَيِّرُه :

جَحَدْتَ بنى العباس حَقَّ أبيهِمِ ... فما كُنْتَ فى الدَّعْوَى كَرِيمَ العَوَاقِبِ

مَتَى كَانَ أولادُ البناتِ كوارثٍ ... يَحُوزُ ويُدْعَى والدًا فى المَنَاسِبِ

يُرِيدُ أنّ العباسَ أَوْلَى بوَلاء مَوْلَى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، لأن العمّ مَدْعُوٌّ والدًا فى كتابِ الله تعالى ، وهو يَحُوزُ الميراثَ .

وقال رجلٌ من الثَّقَفِيِّينَ: أنْشَدْتُ مَرْوان بنَ أبى حَفْصَةَ هذين البيتين ، فوقع عندى أنه من هذا أَخَذَ قولَه :

أَنى يكونُ وليس ذاكَ بكائنٍ ... لِبَنِي البناتِ وِراثةُ الأعمامِ

أَلْغَى سِهامَهُمُ الكتابُ فما لَهُمْ ... أن يَشْرَعُوا فيه بغير سِهامِ

وقال طاهرُ بنُ علىّ بن سليمانَ بن علىّ بن عبد الله بن العباس للطالبيين :

لو كان جَدُّكُمُ هناكَ وَجَدُّنا ... فتَنَازَعَا فيها لِوَقْتِ خِصَامِ

كانَ التُّرَاثُ لِجَدِّنا مِن دُونه ... فَحَوَاهُ بالقُرْبَى وبالإسلامِ

حقُّ البناتِ فريضةٌ معروفةٌ ... والعَمُّ أَوْلَى من بنى الأعمامِ

وذكر الزُّبَيْرِيُّون عن ابن الماجِشُون[2] قال : جاءنى رجل من

---

(١) الصرف : الفضل .

(٢) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الله بن أبى سلمة . مات سنة ٢١٢ أو بعدها =

وَلَدِ أبى رافعٍ ، فقال : إنى قد قاوَلْتُ رجلا من مَوَالِى بعضِ العربِ ، فقلتُ : أنا خيرٌ منكَ ، فقال : بل أنا خير منكَ ، فما الذى يجبُ لى عليه ؟ فقلتُ : ليس فى هذا شىء ، فقال : أنا مَوْلَى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويَزْعُمُ أنه خير منى ؟ ! قال : قلتُ : قد يَتَصَرَّفُ هذا على غير الحَسَبِ(١)، قال : فلما رآنى لا أقْضِى له بشىء قال لى : أنت دافعٌ مَغْرَمًا(٢) لأن وَلائى عندَه ليس فى موضعٍ مَرْضِىٍّ ؟ قال ـ وصَدَقَ(٣) ـ: فى بنى تَيْمٍ لتَيْمٍ مَنْ هو أشرفُ وَلاءً مِنِّى .

⁂

وحُدِّثْتُ أن أُسامةَ بن زيد قاوَلَ عَمْرَو بنَ عثمانَ فى أمرِ ضَيْعَة يدعيها كلٌّ واحدٍ منهما ، فَلَجَّتْ بهما الخصومةُ ، فقال عمرو : يا أسامةُ ! أتأْنفُ أن تكونَ مولاىَ ؟ فقال أُسامة : والله ما يَسُرُّنى بِوَلائى مِن رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم نَسَبُكَ ! ثم ارتفعا إلى مُعاوية ، فَلَجَّا بين يديه فى الخصومة ، فتقدم سعيدُ بن العاصى إلى جانب عَمْرٍو فجعل يُلَقِّنُهُ الحجةَ ، فتقدم الحسنُ إلى جانب أُسامة يلقّنه ، فَوَثَبَ عُتْبَةُ بن أبى سفيانَ فصار مع عمرو ، ووثَبَ الحسينُ فصار مع أسامة ، فقام عبد الرحمن بنُ أُمِّ الحَكَم ، فجلس مع عمرو ، فقام عبد الله بن العباس فجلس مع أسامة ، فقام الوليدُ بن عُقْبَةَ فجلس مع

= و «الماجشون» بفتح الميم وكسر الجيم وضم الشين ، كما ضبطه السمعانى فى الأنساب وابن حجر فى التقريب وغيرهما ، وضبطه بعضهم بضم الجيم وبعضهم بفتحها ، والصحيح ما قال علماء الحديث والرجال.

(١) أى قد يتصرف ، زعمه هذا على النسب ، بأن يكون آباؤه خيراً من آبائك ، لا فى حسب ولائك من الرسول .

(٢) المغرم : حق يتقاضاه منه .

(٣) قال الشيخ المرصفى : اعتراض من قول ابن الماجشون .

عمرو ، فقام عبدُ الله بن جعفرٍ فجلس مع أُسامةَ ، فقال معاويةُ : الجَليةُ عندى ، حَضَرْتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وقد أقْطَعَ هذه الضَّيْعةَ أسامةَ ، فانصرف الهاشميون ، وقد قُضِيَ لهم ، فقال الأُمَوِيُّون لمعاويةَ :هلاَّ إذْ كانت هذه القضيةُ عندَك بدأتَ بها قبل التَّحَزُّبِ ، أو أخَّرْتَها عن هذا المجلس ؟ فتكلم بكلامٍ يدفعُه بعضُ الناس .

☆

وكان الذى اعْتَدَّ به الحجَّاجُ بن يوسفَ على سعيد بن جُبَيْر لَمَّا أُتِيَ به إليه بعدَ انقضاء أمرِ ابنِ الأشعَثِ ، وكان سعيدٌ عبداً لرجلٍ من بنى أسَدِ بن خُزَيمة فاشتراه سعيدُ بن العاصِ فى مائة عبدٍ فأعتقهم جميعاً ، فقال له الحجَّاجُ : ياشَقِيُّ بنَ كُسَيْرٍ ! أما قَدِمْتَ الكوفةَ وليس يؤمُّ بها إلاَّ عَرَبِيٌّ فجعلتُك إمامًا ؟ قال : بلى ، قال : أفَما وَلَّيْتُكَ القضاء فضَجَّ أهلُ الكوفةِ وقالوا : لا يَصْلُحُ[1] القضاء إلاّ لعربىّ ، فاستقضيتُ أبا بُرْدةَ بنَ أبى موسى الأشعرىّ وأمَرْتُه أن لا يقطعَ أمرًا دُونَكَ؟ قال : بلى ، قال : أوَمَا جعلتُك فى سُمَّارِي وكلُّهم من رُؤُس العرب؟ قال : بلى ، قال : أوما أعطيتك مائةَ ألفَ درهمٍ لتفرِّقَها فى أهل الحاجة ، ثم لم أسألْكَ عن شىء منها ؟ قال : بَلَى ، قال : فما أخْرَجَكَ علىَّ ؟ قال : بَيْعَةٌ كانت لابن الأشعثِ فى عُنُقى ، فغَضِبَ الحَجَّاجُ ، ثم قال : أفَما كانتْ بيعةُ أميرِ المؤمنين عبدِ الملكِ فى عُنُقِكَ قَبْلُ ؟ والله لأقْتُلَنَّكَ ، يا حَرَسِيُّ ! اضْرِبْ عُنُقَه[2] . ونظر الحَجَّاجُ فإذا جُلٌّ مَنْ

---

(١) صلح : من بابى منع وكرم .

(٢) سعيد بن جبير من سادة التابعين الفقهاء . قال أبوالقاسم الطبرى : « هو ثقة إمام حجة على=

خرجَ مع عبد الرحمن ـ من الفقهاء وغيرهم ـ من الموالِي ، فأَحَبَّ أن يُزِيلَهم عن موضع الفصاحةِ والآدابِ ، ويَخْلِطَهُمْ بأهل القُرَى والأنْباطِ ، فقال : إنما الموالى عُلُوجٌ ، وإنما أُتِيَ بهم من القُرَى ، فقُراهُم أولَى بهم ، فأمر بتسييرهم من الأمصار وإقْرارِ العرب بها ، وأمر بأن يُنْقَشَ على يَدِ كلِّ إنسانٍ منهمُ اسْمُ قريتِه ، وطالتْ وِلايتُه[1] ، فتَوَالَدَ القومُ هناك ، فَخَبُثَتْ لُغاتُ أولادِهم ، وفسدتْ طَبائِعُهم ، فلمّا قام سليمانُ بن عبد الملك أخرجَ مَنْ كان فى سجن الحجّاج من المظلومين ، فيقالُ إنه أخرج فى يومٍ واحدٍ ثمانين ألفاً ، وردَّ المنقوشين ، فرَجَعوا فى صورة الأَنْباط ، ففى ذلك يقولُ الراجزُ :

جَارِيَةٌ لم تَدْرِ ما سَوْقُ الإِبِلْ ... أخرجها الحَجّاجُ من كِنٍّ وظِلّْ
لو كَانَ بَدْرٌ حاضِرًا وابنُ جَمَلْ ... ما نُقِشَتْ كَفّاكِ فى جِلدِ جَمَلْ

وقال شاعرٌ لأهلِ الكوفة لَمّا استُقْضِيَ عليها نُوحُ بن دَرّاجٍ [يُنسبُ للفرزدقِ][2] :

يأَيها الناسُ قد قامتْ قيامَتُكُمْ ... إذْ صارَ قاضِيَكُمْ نوحُ بن دَرّاجِ
لو كانَ حَيًّا له الحَجّاجُ ما سَلِمَتْ ... كَفّاهُ ناجيةً من نَقْشِ حَجّاجِ

ويُرْوَى عن حَسّانَ المعروفِ بالنَّبَطِيِّ ، صاحبِ مَنارة حَسّانَ

= المسلمين » . قتله الحجاج فى شعبان سنة ٩٥ ومات بعده بقليل . وانظر سيرته فى حلية الأولياء لأبى نعيم (٤ : ٢٧٢ ـ ٣٠٩) .

(١) فى هذا نظر ، بل هو خطأ ، فان الحجاج مات فى رمضان أو شوال سنة ٩٥ .

(٢) الزيادة من كلام الأخفش ، وقال أستاذنا الشيخ المرصفى رحمه الله : « هـذا خطأ ، فان الفرزدق مات سنة ١١٠ ومات نوح بن دراج وهو قاض بالجانب الشرقى ببغداد سنة ١٨٢ » .

فى البَطيحة ، قال : أُريتُ الحجّاجَ فيما يُرَى النائم ، فقلتُ : أصلح اللهُ الأميرَ، ما صَنَعَ اللهُ بكَ ؟ فقال : يا نبطىُّ ! أهذا عليك ؟ ! قال : فرأيْتُنا لا نُفْلِتُ مِن نَقْشِهِ فى الحياةِ ، ومِنْ شَتْمِهِ بَعدَ الوفاةِ ! !

ويُروى عن حسَّانَ : أنه قَصَّ هذه الرؤيا على محمد بن سيرين ، فقال له ابنُ سيرين : لقد رأيتَ الحجّاجَ بالصِّحة .

❀

قال أبو العباس : وحُدِّثتُ من ناحية الزُّبيريِّينَ : أن الجَحَّافَ بنَ حَكيم[1] دخل على عبدالملك والأخطَلُ عندَه ، فلما بَصُرَ به الأخطلُ قال:

ألاَ أبلغ الجَحّافَ هل هُوَ ثائرٌ   بقَتْلَى أُصِيبتْ من سُلَيْمٍ وعامِرِ

فقال الجَحّافُ :

بَلَى سَوْفَ نَبْكِيهِمْ بِكُلِّ مُهَنَّدٍ   وَنَبْكِى عُمَيراً بالرِّماحِ الخَوَاطِرِ

ثم قال : يا ابْنَ النَّصرانيَّة ! ما ظَنَنْتُكَ تَجْتَرِئُ علىَّ بمثل هذا ولوكنْتُ مأسورًا لك ؟ ! فَحُمَّ الأخطلُ خوفاً ، فقال له عبدُ الملك : أنا جَارُكَ منه ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ! هَبْكَ أجَرْتَنِي منه فى اليَقظةِ ، فمَنْ يُجيرُنى منه فى النَّوم ؟ ! ومِن هذا أونحوِه أخَذَ السُّلَمِيُّ قولَهُ [قال أبو الحسن : هو أشْجَعُ السُّلَمِيُّ يقوله للرشيد] :

وعلى عَدُوِّكَ يا ابنَ عَمِّ محمدٍ   رَصَدَانِ ضَوْءُ الصُّبحِ والإِظْلامُ

فإِذا تَنَبَّهَ رُعْتَهُ ، وإذا هَدَا   سَلَّتْ عليه سُيوفَكَ الأحْلامُ

---

(١) حكيم : بفتح الحاء ، وكتب فى الاشتقاق لابن دريد وفى نقائض جرير والفرزدق بضم الحاء ، من غير نص ولا دليل ، ولو كان بالضم لنص العلماء عليه كما نصوا على غيره .

وكان العُدَيْلُ بن الفَرْخِ العِجْلِيُّ هارِبًا منَ الحجّاج ، فجعلَ لا يَحُلُّ ببلدة إلاّ رِيعَ لأَثَرٍ يراهُ من آثارِ الحجّاج فيَهْرُبُ ، حتى أبْعَدَ ، ففى ذلك يقول العُدَيْلُ :

يُخَشِّونَنِي الحجّاجَ حتى كأنّما يُحَرِّكُ عَظْمٌ فى الفؤادِ مَهِيضُ
ودُونَ يَدِ الحجّاجِ من أنْ تَنالَنى بَسَاطٌ لأَيْدِي اليَعمَلاتِ عَرِيضُ[(١)]

فلم يَنْشَبْ[(٢)] أن أُتِىَ به الحجّاجُ ، ففى ذلك يقولُ العُدَيْلُ :

فلو كُنْتُ فى سَلْمَى أَجًا وشِعابِها لكانَ لِحَجّاجٍ علىَّ دليـــلُ
بَنِى قُبَّةَ الإسلامِ حتّى كأنّما أَتَى الناسَ من بَعْدِ الضَّلالِ رسولُ

أَجًا وسَلْمَى : جَبَلاَ طَيِّئٍ و« أَجَأٌ » مهموز ، وإنما هو « أَجًا » مقصورٌ[(٣)] ، فاعلم ، قال زَيدُ الخَيْلِ :

جَلَبْنا الخيلَ مِنْ أَجَإٍ وسَلْمَى تَخُبُّ نَزَائِعًا خَبَبَ الذِّئابِ[(٤)]

والشاعرُ إذا احتاجَ إلى قلب الهمزة قَلَبَها : إن كانت الهمزةُ مكسورةً جعلَها ياءً ، أو ساكنةً جعلها على حركةِ ما قبلَها ، وإن كانت مفتوحةً وقبلَها فتحةٌ جعلها أَلِفًا ، وإن كانت مفتوحةً وقبلَها كسرةٌ جعلها ياءً ، وإن كانت قبلَها ضمةٌ جعلها واوًا ، قال الفرزدقُ :

---

(١) البساط — بفتح الباء — : الأرض العريضة الواسعة كالبسيطة .
(٢) أى : لم يلبث .
(٣) أجا : كتبت فى هذا الموضع فى طبعة ليبزج بالهمز ، وهو خطأ ، لأن أبا العباس يريد أن « أجأ » أصله مهموز ، وأنه في هذا الشعر مقصور ، وأن الشاعر لضرورة الشعر سهل الهمزة ، فجاء بالكلمة على صورة المقصور.
(٤) تخب : تسرع . ونزائعا : واحدتها نزيعة ، وهى التى تشتاق إلى أوطانها .

رَاحَتْ بِمَسْلَمَةَ البِغَالُ عَشِيَّةً … فَارْعَيْ فَزَارَةُ لا هَنَاكِ المَرْتَعُ

وقال حَسَّانُ بن ثابتٍ :

سَالَتْ هُذَيْلٌ رسولَ اللهِ فاحشةً … ضَلَّتْ هُذَيْلٌ بِمَا سَالَتْ ولم تُصِبِ

وقال عبدُ الرحمن بنُ حسَّانَ :

وكنتَ أَذَلَّ من وَتِدٍ بِقَاعٍ … يُشَجِّجُ رأسَهُ بالفِهْرِ واجِي

وأما قولُ الفرزدق فإنه يقوله لَمَّا عُزِلَ مَسْلَمَةُ بنُ عبد المَلِكِ عن العِراق بعد قَتْله يزيدَ بنَ المُهَلَّبِ لحاجةِ الخليفةِ إلى قُرْبه[1] ، وَوَلِيَ عُمَرُ بن هُبَيرةَ فقال :

راحَتْ بِمَسْلَمَةَ البِغَالُ عشيةً … فَارْعَيْ فزارةُ لا هَنَاكِ المَرْتَعُ

ولقد عَلِمْتُ إذا فَزَارَةُ أُمِّرَتْ … أنْ سوفَ تَطْمَعُ في الإمارةِ أَشْجَعُ

فأَرَى الأُمورَ تَنَكَّرَتْ أعلامُها … حتى أُمَيَّةُ عن فَزَارةَ تُنْزَعُ

عُزِلَ ابنُ عمرٍو وابنُ بِشْرٍ قَبْلَهُ … وأَخُو هَرَاةَ لِمِثْلِها يَتَوَقَّعُ

[«تَنْزِعُ» روايةُ عاصم ، فمن رَوَى «تُنْزَعُ» بضم التاء يعني تُعْزَلُ ، ومن رَوَى بفتح التاء وكسر الزاي فهو من النَّزْع في القَوْس ، وهو الرميُ ، يُشِيرُ إلى أنها محتاجةٌ إلى رَأْيها وأنها تَرْمِي عن قوسها] ففي جواب هـذا يقول الأَسَدِيُّ لَمَّا وَلِيَ خالدُ بنُ عبد الله القَسْرِيُّ :

بَكَتِ المنابرُ من فَزَارَةَ شَجْوَها … فالآنَ مِنْ قَسْرٍ تَضِجُّ وتَخْشَعُ

وملوكُ خِنْدِفَ أَسْلَمُونَا لِلعِدَى … للهِ دَرُّ مُلُوكِنَا ما تَصْنَعُ

---

(١) الخليفة : هو يزيد بن عبد الملك .

[كانوا كَتَارِكةٍ بَنِيها جانِبًا   سَفَهًا وغيرُهُم تَصُونُ وتُرْضِعُ]

وأما قولُ حسانَ : « سالَتْ هذيلٌ رسولَ الله فاحشةً » ـ : فلَيس من لغته « سِلْتُ أسَال » مثلُ : « خفتُ أخافُ » و « هُمَا يتَسَاوَلاَنِ » ، هذا من لُغةِ غيرِه ، وكانت هُذَيلٌ سألتْ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُحلَّ لها الزّنَا .

ويُرْوَى أن أسَدِيًّا وهُذَلِيًّا تفَاخَرَا ، فرَضِيَا برجلٍ ، فقال : إنّى ما أقْضِي بينكما إلاّ أنْ تجعلا لِي عَقْدًا وثيقًا أن لا تَضرِبَا ولا تَشْتِمَا ، فإنّى لستُ فى بلادِ قَومِى ، ففَعلاَ ، فقال : يا أخا بَنِي أسدٍ ! كيفَ تُفاخِرُ العربَ وأنتَ تعلمُ أنه ليس حَيٌّ أحبَّ إلى الجيشِ ولا أبْغَضَ إلى الضَّيفِ ولا أقَلَّ تحتَ الرَاياتِ : منكم ؟ ! وأمّا أنتَ ياأخَا هُذَيلٍ ! فكيفَ تُكلِّمُ الناسَ وفيكم خِلالٌ ثلاثٌ : كان منكم دَليلُ الحبشةِ على الكَعْبةِ ، ومنكم خَوْلةُ ذاتُ النّحْيَيْنِ ، وسألتُم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أن يُحلَّ لكم الزّنا ؟ ! ولكن إذا أرَدْتُمَا بَيْتَىْ مُضَرَ ، فعليكما بهذين الحَيَّيْنِ من تَميم وقَيْس ، قومًا فى غيرِ حفظِ الله .

وأمّا بيتُ عبدِ الرحمن بن حسّانَ فانه يقولُه لعبد الرحمن بن الحَكَمِ بن أبى العاصِى ، وكان يُهاجِيه ، فقال له فى كَلِمَتِهِ :

وأمّا قولُكَ الخُلَفاء مِنّا   فهم مَنَعُوا وَرِيدَكَ من وِدَاجِ (١)
ولولاهُمْ لَكُنْتَ كَحُوتِ بَحْرٍ   هَوَى فى مُظلِمِ الغَمَرَاتِ دَاجِى

(١) الوريد : أحد عرقين فى العنق ، ووداجه : قطعه .

وكُنْتَ أذَلَّ مِنْ وَتِدٍ بِقَاعٍ ... يُشَجَّجُ رَأْسَهُ بالفِهْرِ وَاجِي[١]

وكان أَحَدَ مَنْ هربَ من الحجاجِ سَوَّارُ بن المُضَرَّبِ [بفتح الراء] ففى ذلك يقولُ :

أقاتِلِي الحَجّاجُ أَنْ لم أَزُرْ لَهُ ... دَرَابَ وأتْرُكْ عندَ هِنْدٍ فُؤَادِيَا[٢]

فإن كَانَ لا يُرضيكَ حتى تَرُدَّنِي ... إلى قَطَرِيٍّ مَا إِخَالُكَ راضِيَا

إذاجَاوَزَتْ دَرْبَ المُجيزِينَ نَاقتِي ... فَبِاسْتِ أبِي الحَجّاج لَمَّا ثَنَانِيَا[٣]

أيَرْجُو بنو مَرْوَانَ سَمْعِي وطاعتِي ... وقَوْمِي تَمِيمٌ والفَلاةُ وَرَائِيَا

[فاعلُ « يُرْضِيك » مضمرٌ أو مَنْوِيٌّ ، تقديره : فإن كان لا يُرضيك الإرضاء ، ولا يجوز أن يكونَ ما بعدَ « يرضيك » الفاعلَ ، لأن سيبويه رحمه الله قال : الفاعلُ لا يكون جملة ، « وحتى تَرُدَّنِى » جملةٌ ، قاله ابن الأبْرَشِ[٤]] « وورائى » هاهنا فى معنى: أمامى ، قال الله عزّ وجل : ﴿ وإنِّى خِفْتُ المَوَالِيَ مِنْ وَرَائِى[٥] ﴾ وقال جل ثناؤه : ﴿وكان وراءهُمْ مَلِكٌ يأْخُذُ كلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا[٦]﴾ .

❊

وممن هرَبَ من الحجاج محمدُ بنُ عبد الله بن نُمَيْرٍ الثَّقَفِيُّ ، وكان

(١) الفهر : الحجر ملء الكف . وواج : أصله واجىء ، من الوجء ، وهو الضرب والدق ، فسهل الشاعر الهمزة .

(٢) دراب : بفتح الدال المهملة : وهو اختصار من « دراب جرد » بكسر الجيم وإسكان الراء ، اسم كورة بفارس .

(٣) درب المجيزين : يريد به مكان الجواز ، كأبواب المدن ورؤس الطرق ، مما لا يجوزه المسافر إلا بجواز من الأمير .

(٤) هو خلف بن يوسف الأندلسى ، مات سنة ٥٣٢ .

(٥) سورة مريم (٥) .

(٦) سورة الكهف (٧٩) .

يُشَبِّبُ بزينبَ بنتِ يوسفَ أختِ الحجاج ، وهو القائلُ فيها :

تَضَوَّعَ مِسْكًا بطنُ نَعْمانَ أنْ مَشَتْ ... به زينبٌ في نِسْوَةٍ عَطِراتِ

يُخَبِّئْنَ أطرافَ البَنانِ من التُّقَى ... ويَخْرُجْنَ شَطْرَ الليل مُعْتَجِراتِ

في كلمةٍ له ، فلمّا أُتِيَ به الحجاجُ قال :

هاكَ يَدِي ضاقَتْ بِيَ الأرضُ رُحْبُها ... وإنْ كنتُ قد طوَّفْتُ كلَّ مَكانِ

فلو كنتُ بالعَنْقاءِ أو بِأُسْــومِها ... لَخِلْتُكَ إلاّ أنْ تَصُدَّ تَرانِي

[مَن رَفَعَ « رُحْبُها » فعلى البدل ، ومن نَصَبَ فعلى الظرف ، قاله ش. « وأسومها » بفتح الهمزة وبالضم ، والفتح أحسن[(1)] ، ش] ثم قال : والله أيّها الأميرُ ، إنْ قلتُ إلاّ خيرًا ، إنما قلتُ :

يُخَبِّئْنَ أطرافَ البَنانِ من التُّقَى ... ويخرجن شطرَ الليل معتجِراتِ[(2)]

فعفا عنه ، ثم قال له : أخبرني عن قولك :

ولَمّا رَأَتْ رَكْبَ النُّمَيْرِيِّ أعْرَضَتْ ... وكُنَّ مِنَ أنْ يَلْقَيْنَهُ حَذِراتِ

ـ : ما كنتم ؟ قال : كنتُ على حمارٍ هَزِيلٍ ، ومعي صاحبٌ لي على أتانٍ مثلِه.

❊

وممن هرب منه مالكُ بن الرَّيْبِ المازنيُّ ، أحَدُ بني مَازِنِ بن مالك بن عمرو بن تميمٍ ، وفي ذلك يقول :

إنْ تُنْصِفونا يَالَ مَرْوانَ نَقْتَرِبْ ... إليكم وإلاّ فَأْذَنُوا بِبِعادِ

---

(١) هذا خطأ ، بل هو « يسوم » بالياء في أوله ، بوزن « يقول » وهو جبل في بلاد هذيل ، انظر صفة جزيرة العرب (ص ١٢٥ س ١٧ وص ١٢٦ س ٢٠) والقاموس مادة (س و م) ومعجم البلدان .

(٢) في بعض النسخ « نصف الليل » وفي بعضها « ويخرجن بالأسحار » .

فَإِنَّ لَنَا عنكم مَرَاحًا ومَرْحَلاً ... بِعِيسٍ إلى رِيحِ الفَلَاةِ صَوَادِى

فَفِى الأرضِ عن دارِ المَذَلَّةِ مَذْهَبٌ ... وكلُّ بلادٍ أُوطِنَتْ كَبِلَادِى

[كذا وقعت الروايةُ بضم الهمزة وكسر الطاء، والأصحُّ « أَوْطَنَتْ » بفتح الهمزة وفتح الطاء، قاله ش]

فماذا تُرَى الحَجَّاجَ يَبْلُغُ جُهْدُهُ ... إذا نَحْنُ جاوزنا حَفِيرَ زِيَادِ

فلولا بَنُو مَرْوَانَ كانَ ابنُ يوسفٍ ... كما كانَ عبداً من عَبِيدِ إيَادِ

زَمانَ هُوَ العَبْدُ المُقِرُّ بِذِلَّةٍ ... يُرَاوِحُ صِبْيَانَ القُرَى ويُغَادِى

قال ذلك لأن الحجاجَ كان هو وأخوه مُعَلِّمَيْنِ بالطائف، وكان لقبهُ كُلَيْبًا، وفى ذلك يقولُ القائل :

أَيَنْسَى كُلَيْبٌ زمانَ الهُزالِ ... وتَعْلِيمَهُ سورةَ الكَوْثَرِ[(١)]

رَغِيفٌ له فَلْكَةٌ ماتُرَى ... وآخَرُ كالقَمَرِ الأَزْهَرِ

يقولُ : خُبْزُ المُعَلِّمِينَ يأتى مختلفًا، لأنه من بيوتِ صِبيانٍ مختلِفِى الأحوال.

وأَنْشَدَ أبو عثمانَ عمرُو بنُ بَحْرٍ الجاحظُ :

أَمَا رَأَيْتَ بنى بَحْرٍ وقد حَفَلُوا ... كَأَنَّهُمْ خُبْزُ بَقَّالٍ وكُتَّابِ

هــذا طويلٌ وهذا حَنْبَلٌ جَحِدٌ ... يَمْشُونَ خَلْفَ عُمَيْرٍ صاحبِ البابِ[(٢)]

وفى لَقَبِهِ يقولُ آخرُ من أهل الطائف :

كُلَيْبٌ تَمَكَّنَ فى أَرْضِكُم ... وقد كان فينا صَغِيرَ الخَطَرْ

---

(١) فى بعض النسخ « صبية الكوثر » وهو الصواب ، لأن « كوثر » قرية بالطائف كان الحجاج معلما بها ، وعلى الصواب رواه ياقوت فى معجم البلدان .

(٢) قال المرصفى « الحنبل : القصير الضخم البطن . والجحد بكسر الحاء : وصف من : جحد عيشه » .

ولما دخل الحجاجُ مكةَ اعتذر إلى أهلها لقلة ماوصلهم به ، فقال قائلٌ منهم : إذَنْ واللهِ لا نَعْذِرَكَ وأنتَ أميرُ العِراقَيْنِ وابنُ عَظيمِ القَرْيَتَيْنِ . وذلك أنّ عُرْوةَ بنَ مسعود وَلَدَهُ مِنْ قِبَلِ أُمِّهِ ، وتأويلُ قولِ الله عزّ وجلّ : ﴿وَقَالُوا لَوْلاَ نُزِّلَ هٰذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ القَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ[1]﴾ مجازُهُ في العربية : على رجل من رجلين من القريتين عظيمٍ ، والقريتانِ : مكةُ والطائفُ ، والرجلان : عُرْوَةُ بنُ مسعود ، والآخرُ الوَليدُبن المُغيرةِ بن عبدالله بن عُمَرَ بن مَخْزوم .

ويُرْوَى أن أبا بكر الصدّيقَ رحمه الله مَرَّ بقبره ومعه خالد ، فقال : أصْبَحَ جَمْرَةً في النار ، فأجابه خالد في ذلك بجواب غيرِ مَرْضِيّ .

وأما عُرْوةُ بن مسعودفإن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بعثَه إلى الطائف يدعوهم إلى الإسلام ، فَرَقِيَ سطحَهُ ، فرماه رجلٌ بسهم فقتله ، فلما وَجَّهَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم العباسَ بن عبد المُطَّلِب رحمه الله إلى أهل مكةَ أبطأَ عليه ، فقال : « رُدُّوا عليّ أبي ، أَمَا لَئِنْ فعلتْ به قريشٌ ما فعلتْ ثَقيفُ بعروةَ بنِ مسعودٍ لأُضْرِمَنَّها عليهم نارًا » .

يقال « رَقِيتُ » السطحَ وما كان مثلَهُ ، «أرقاه» ، مثلُ « خَشِيتُهُ أَخْشاهُ » كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿أَوْ تَرْقَى فِى السَّماءِ[2]﴾ ويقال «رَقَيْتُ اللَّديغَ أَرْقِيه » مثلُ « رَمَيْتُه أرميه » . ويقال « ما رَقَأَتْ عينُه من الدمع » مهموزٌ « رَقْأً» يا فتى ، مثلُ « قَرَأْتَ تقْرًا » يافتى .

---

(١) سورة الزخرف (٣١) .

(٢) سورة الاسراء (٩٣) .

وكان الحجاجُ رأى في منامه أن عَيْنَيْه قُلِعَتا فَطَلَّقَ الْهِنْدَيْنِ : هنداً بنتَ المُهَلَّبِ ، وهنداً بنتَ أسماءَ بْنِ خَارِجَة ، فلم يَلْبَثْ أنْ جاءه نَعِيُّ أخيه من اليمن في اليوم الذى مات فيه ابنُه محمدٌ ، فقال : هذا واللهِ تأويلُ رؤيايَ ، ثم قال : إنّا للهِ وإنّا إليه راجعون ، مُحَمَّدٌ ومُحَمَّدٌ في يوم واحدٍ .

حَسْبِي بقاءُ اللهِ من كلِّ مَيِّتٍ ... وحَسْبِي رَجاءُ اللهِ مِن كلِّ هالِكِ

إذا كان ربُّ العرشِ عَنِّيَ رَاضِياً ... فإنَّ شفاءَ النفسِ فيما هُنالِكِ

[ويُرْوَى : فانّ سرورَ النفسِ] وقال : مَنْ يقول شعراً يُسَلِّينِي به ؟ فقال الفرزدقُ :

إنَّ الرَّزِيَّةَ لا رَزِيَّةَ مثلُها ... فُقْدانُ مِثْلِ محمدٍ ومحمدِ

مَلِكَانِ قد خَلَتِ المَنابِرُ منهما ... أَخَذَ الحِمَامُ عليهما بالمَرْصَدِ

فقال : لو زِدْتَنِي ! فقال الفرزدقُ :

إنِّى لَبَاكٍ عَلَى ابْنَيْ يُوسُفٍ جَزَعًا ... ومِثْلُ فَقْدِهِمَا لِلدِّينِ يُبْكِينِي

مَا سَدَّ حَيٌّ ولا مَيْتٌ مَسَدَّهُمَا ... إلا الخلائفُ مِنْ بَعْدِ النَّبِيِّينِ

فقال له : مَا صَنَعْتَ شَيْئًا ، إنما زِدْتَ في حُزْنِي ، فقال الفرزدق :

لَئِنْ جَزِعَ الحَجَّاجُ مَامِنْ مُصيبةٍ ... تكونُ لمحزونٍ أَجَلَّ وأَوْجَعَا

مِنَ المُصْطَفَى والمُصْطَفَى من خِيارِهم ... جَنَاحَيْهِ لَمَّا فارقاهُ فوَدَّعَا

أخٌ كان أَغْنَى أَيْمَنَ الأرضِ كُلَّهُ ... وأَغْنَى ابْنُهُ أهلَ العراقَيْنِ أَجْمَعَا

جَنَاحَا عُقابٍ فَارَقَاهُ كِلاهُمَا ... ولو نُزِعَا مِن غيره لتَضَعْضَعَا

فقال : الآنَ .

أمّا قولُهُ « إلا الخلائفَ من بعد النبيئينِ » نخفَضَ هذه النونَ ، وهي نونُ الجمع ، وإنما فَعَل ذلك لأنه جَعلَ الإعْرابَ فيها لافيما قبلَها ، وجعلَ هذا الجمع كسائرالجمع ، نحو «أفْلُسٍ ، ومَسَاجِدَ،وكلاب» فإنإعرابَ هذا كاعرابِ الواحدِ ، وإنما جاز ذلك لأن الجمعَ يكون على أبْنِيَةٍ شتّى ، وإنما يُلْحَقُ منه بِمنْهاجِ التثنيةِ ما كان على حدّ التثنية لا يُكَسَّرُ الواحدُ عن بنائه ، وإلاّ فلا ، فإنّ الجمعَ كالواحدِ ، لاختلاف معانيه ، كما تختلفُ معانى الواحدِ ، والتثنيةُ ليستْ كذلك ، لأنها ضَرْبٌ واحدٌ ، ولا يكونُ اثنانِ أكثرَ من اثنين عدداً ، كما يكون الجمعُ أكثرَ من الجمع ، فممّا جاء على هذا المذهب قولُهم : هذه سِنِينٌ ، فاعْلَمْ ، وهذه عِشْرِينٌ ، فاعلم ، قال المَذْوانِيُّ :

إنّى أَبِىٌّ أَبِىٌّ ذو مُحافَظَةٍ ... وابنُ أَبِىٍّ أَبِىٍّ من أبِيِّينِ
وأنتمُ مَعْشَرٌ زَيْدٌ عَلَى مائةٍ ... فأجمعُوا كَيْدَكُمْ طُرّاً فكيدُونِي

وقال سُحَيْمُ بن وَثِيل :

وماذا يَدّرِى الشُعَراءُ مِنّى ... وقد جاوَزْتُ حَدَّ الأرْبَعينِ
أخُو خَمْسِينَ مُجْتَمِعٌ أَشُدّى ... ونَجّذَنى مُداوَرَةُ الشؤونِ

وفى كتاب الله عز وجل : ﴿ وَلاَ طَعَامٌ إلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ ﴾[1].

فان قال قائل : فانّ غِسْلِيناً واحدٌ . فانه كلُّ ما كانَ[2] على بناء الجمع من الواحد فإعرابه كاعرابِ الجمع ، ألاَ تَرَى أنّ « عِشْرِينَ » ليس لها واحدٌ من لفظها ، وإعرابُها كإعرابِ « مُسْلِمِينَ » واحدهم مُسْلِمٌ ، وكذلك جميعُ

(١) سورة الحاقة (٣٩).
(٢) قوله « فانه كل ما كان » الخ هو جواب الاعتراض .

الإعراب، وتقول : « هذه فِلَسْطونَ يافتى ، ورأيتُ فِلَسْطينَ يافتى » هذا القولُ الأَجْوَدُ ، وكذلك « يَبْرِينَ ، وفى الرفع « يبْرُونَ يا فتى » وكلُّ ما أشْبَهَ هذا فهو بمنزلته ، تقولُ « قِنَّسْرُونَ ، ورأيت قِنَّسْرِينَ » والأجودُ فى هذا البيتِ [هو للأعشى] :

وشاهِدُنَا الجلُّ والياسَمُو نَ والمُسْمِعَاتُ بقُصَّابِهَا

[الجُلُّ : الوَرْدُ ، والقُصَّابُ : الأوتارُ ، وقيلَ : الزُّمَّارُ] وفى القرآن ما يُصَدِّقُ ذلك . قولُ الله عزّ وجل : ﴿كَلاَّ ، إنَّ كتابَ الأبرارِ لَفِى عِلِّيِّينَ . وما أدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ[1]﴾ فمن قال « هذه قِنَّسْرُونَ ويَبْرُونَ » فَنَسَبَ إلى واحدةٍ منهما رجلا أو شيئًا قال — : « هذا رجل قِنَّسْرِىٌّ ويَبْرِىٌّ » يَحْذِفُ النونَ والواوَ ، لمجىء حَرْفِ النَّسَب ، ولو أثبَتَهُمَا لكان فى الاسم رَفْعَانِ ونَصبانِ وجَرَّانِ ؛ لأن الياء مرفوعةٌ ، والواوَ علامةُ الرفع ، ومن قال : « هذه قِنَّسْرِينُ » كما ترى — : قال فى النَّسَبِ : « قِنَّسْرِينِىٌّ » لأنَّ الإعراب فى حرف النَّسَب ، وانكسرتِ النونُ كما ينكسر كلُّ ما لحِقَهُ النَّسبُ .

وأما قوله « ونَجَّذَنِى مُدَاوَرَةُ الشُّؤُونِ » فمعناه : فَهَّمَنِى وعَرَّفَنِى كما يقال : حَنَّكَتْهُ التَّجاربُ ، « والناجذُ » آخِرُ الأضراس ، من ذلك قولهم : ضحك حتى بدتْ نَوَاجِذُه . « والشؤونُ » جمعُ « شَأْنٍ » مهموزٌ ، وهو الأمْرُ .

وقال المفسِّرونَ من أهلِ الفقه وأهلِ اللغة فى قول الله تبارك وتعالى : ﴿وَلاَ طَعَامٌ إلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ﴾ — : هو غُسَالة أهلِ النار ، وقال النحويُّون : هو « فِعْلِينٌ » من الغُسَالة .

---

(١) سورة المطففين (١٨ و ١٩) .

ويروَى أنَّ عُمَرَ بنَ عبد العزيز خرج يومًا فقال : الوَليدُ بالشَّأم ، والحَجَّاجُ بالعراق ، وقُرَّة بنُ شريك بمصر ، وعثمانُ بن حَيَّانَ بالحجاز ، ومحمدُ بنُ يوسفَ باليمن ؟ امتلأتِ الأرْضُ واللهِ جَوْرًا !

وكتب الحجاجُ إلى الوليد بنِ عبد المَلكِ بعدَ وفاةِ محمدِ بن يوسف : أُخبِرُ أميرَ المؤمنين ـ أكرمه اللهُ ـ أنه أُصِيبَ لمحمدِ بن يوسف خمسونَ ومائةُ ألف دينار، فإن يكُنْ أصابها مِن حِلِّها فرَحِمَهُ الله ، وإن تكن من خيانة فلا رحمه اللهُ !! فكَتَبَ إليه الوليدُ : أما بعدُ ، فقد قرَأَ أميرُ المؤمنين كتابَكَ فيما خَلَّفَ محمدُ بن يوسف ، وإنما أصاب ذلك المالَ من تجارةٍ أحْلَلْناها له ، فترَحَّمْ عليه ، رحمه الله !

ويروى أن يَزيدَ بنَ معاويةَ قال لمعاوية في يومٍ بُويِعَ له على عَهْدِه ، فجَعَلَ الناسُ يمدحونَه ويُقَرِّظونَهُ : يا أميرَ المؤمنين ! واللهِ ما نَدْرِى ، أنَخْدَعُ الناسَ أم يَخْدَعُونَنا ؟! فقال له معاويةُ : كلُّ مَنْ أَرَدتَ خديعتَه فتَخَادَعَ لكَ حتَّى تبلغَ منه حاجتَكَ فقد خَدَعْتَهُ ! .

ويروى أن الحجاجَ كَتَبَ إلى عبدِ الملك بنِ مَرْوانَ : وبَلَغَنى أنَّ أميرَ المؤمنين عَطَسَ عَطْسةً فشَمَّتَهُ قوم فقال يغفر الله لنا ولكم ، فيالَيْتَنى كنتُ معهم فأفُوزَ فَوْزًا عظيمًا !!

وزَعَمَ الأَصْمَعِىُّ قال : خَرجَ الوليدُ يومًا على الناس وهو مُشْعانُّ الرَّأْس ، فقال : مات الحجاجُ بنُ يوسفَ ، وقُرَّةُ بن شَريك ، وجَعَلَ يَتَفَجَّعُ عليهما .

قوله « مشعانُّ الرأسِ » يعنى مُنْتَفِخُ الشَّعَرِ متفرِّقَة [الرواية « منتفخ »

والصحيحُ « مُنْتَفِش » قاله ابنُ سرَاجٍ] ومثلُ هذا لا يكونُ فى شِعْرٍ ، لأن فى هذا التقاءَ ساكنَيْنِ ، ولا يقَعُ مثلُ هذا فى وزن الشّعر، إلا فيما تقدم ذِكْرُهُ فى المُتَقارِبِ ، وليس ذا على ذلك الوزنِ .

وَحُدِّثْتُ أنَّ عمرَ بنَ عبدِ العزيز رحمه الله وجّهَ عبدَالله بنَ عبدِالأعْلَى[1] ومعه رجل من عَنْسٍ إلى أُلْيُونَ ، فقال العَنْسِيُّ : فَخَلاَ بِى عُمَرُ دونَه ، وقال لى: احفظْ كلَّ ما يكونُ منه ، فلما صِرْنا إليه صِرْنا إلى رجلٍ عَرَبِىِّ اللسانِ ، إنّما نَشَأَ بِمَرْعَشَ ، فذَهبَ عبدُ الله ليتَكلّمَ ، فقلتُ : على رِسْلِكَ ، فَحَمِدْتُ اللهَ وصليتُ على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم قلتُ : إنّى وُجِّهْتُ بالذى وُجِّهَ به هذا ، وإنَّ أميرَ المؤمنين يدعوكَ إلى الإسلام ، فإنْ تقْبَلْهُ تُصِبْ رُشْدكَ ، وإنى لأَحْسِبُ أنَّ الكتابَ قد سَبَقَ عليك بالشَّقاء ، إلاَّ أن يشاء اللهُ غيرَ ذلك ، فإن قَبِلْتَ وإلاَّ فاكْتبْ جوابَ كتابنا ، قال : ثم تكلّمَ عبدُ الله ، فحمد الله وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ، وذَهَبَ فى القولِ ، وكان مُفَوَّهاً ، فقال له :أُلْيُونُ : يا عبدَ الله ! ما تقول فى المَسِيح ؟ فقال : رُوحُ الله وكَلِمَتُهُ ، فقال : أيكونُ ولَدٌ من غَيْرِ فَحْلٍ ! فقال عبدُ الله: فى هذا نَظَرٌ ! فقال : أىُّ نَظَرٍ فى هذا ؟ إمَّا نَعَمْ وإما لاَ ! فقال عبدُ الله : آدمُ خَلَقَهُ اللهُ من ترابٍ ، فقال : إنَّ هذا أُخْرِجَ من رَحِمٍ ، قال : فى هذا نظر ! قال له أُلْيونُ بالرُّومِيّة : إنّى أَعْلَمُ أنك لَسْتَ على دِينى ولا على دِينِ

---

(١) هو عبد الله بن عبدالأعلى بن أبى عمرة الشيبانى ، كان شاعرا ، وكان متهما فى دينه ، وعاش إلى خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، له ترجمة فى لسان الميزان (٣ : ٣٠٥) ، وله ذكر فى الأغانى يعلم من فهارسه .

الذى أرسلك ، قال : وأنا أفهمُ بالرُّومية ، ثم قال : أتعظِّمُونَ يومًا غيرَ يومِ الجمعة ؟ فقال نعم ، فقال : وما ذلك اليومُ ، أمِنْ أعيادِكُم هو ؟ فقال : لا ، قال : فلِمَ تُعَظِّمونَه ؟ قال : عِيدٌ لقومٍ كانوا صالحين قبلَ أن يَصِيرَ إليكم ، قال : فقال له إِلْيونُ بالرومية : قد علمتُ أنكَ لستَ على دِينى ولا على دين الذى أرسلك ، فقال له عبدُ الله : أتَدْرِى ما يقولُ أهلُ السَّفَه ؟ قال : وما يقولون ؟ قال : يقولون : قال إبليسُ : أمِرْتُ أن لا أسْجُدَ إلاَّ لله ، ثم قيل لى اسْجُدْ لآدم ! قال : فقال له بالرومية : الأمْرُ فيك أبْيَنُ من ذلك ، قال : ثم كَتَبَ جوابَ كُتُبِنا ، قال : فرَجَعْنا إلى عمرَ بها ، قال : نخبَرْناهُ بما أرَدْنا ثم نهضنا ، فرَدَّنى إليه من باب الدار فخلا بى ، فأخبرتُه ، فقال : لَعَنَهُ اللهُ ! لقد كانت نفسى تأباهُ ، ولم أحْسِبْهُ يجترئُ على مِثل هذا ، قال : فلما خرجتُ قال لى عبد الله : ما الذى قال لكَ ؟ قال : قلتُ : قال لى أتَطْمَعُ فيه ؟ قلت : لا .

ولما وَجَّهَ عبدُ الملك الشَّعْبِيَّ(١) إلى صاحب الرُّوم فكلَّمه ، قال له صاحب الروم بعدَ انقضاء ما بينهما : أمِنْ أهلِ بيت المَمْلَكة أنتَ ؟ قال : قلتُ : لا ، ولكنِّى رجلٌ من العرب ، قال : فكتب معى رُقْعةً ، وقال لى : إذا أدَّيْتَ جوابَ ما جئتَ له فأدِّ هذه الرُّقعةَ إلى صاحبك ، قال : فلمَّا رَجَعْتُ إلى عبد الملك فأعطيتُه جوابَ كتابه وخبَّرتُه بما دارَ بيننا نَهَضْتُ ، ثم ذَكَرْتُ الرقعةَ ، فرجعتُ فدفعتُها إليه ، فلمَّا وَلَّيْتُ دعانى ، فقال لى : أتَدْرِى ما فى هذه

(١) هو عامر بن شراحيل — بفتح الشين وكسر الحاء — الشعبى الهمدانى ، من حمير ، وعداده فى همدان ، من كبار فقهاء التابعين ، وكان سياسيا عظيما ، ولد سنة ١٦ ومات سنة ١٠٩ وفى ذلك خلاف ، وله ترجمة فى تذكرة الحفاظ (١ : ٧٤ — ٨٢) والتهذيب وغيرهما .

الرقعةِ ؟ قلتُ : لا ، قال: فيها : العَجَبُ لقوم فيهم مثلُ هذا كيفَ وَلَّوْا أمورَهم غيرَهُ ؟ قال : فلمّا وَلَّيْتُ دعانى ، فقال لى : أَفَتَدْرِى مَا أرادَ بهذا ؟ قلتُ : لا ، قال : حَسَدَنِى عليكَ ، فأرادَ أن أقتُلَكَ ، قال : فقلتُ : إنما كَثُرْتُ(١) عندَه ـ يا أميرَ المؤمنين ـ لأنه لم يَرَكَ ، قال . فرجَعَ الكلام إلى مَلِكِ الروم ، فقال : لِلهِ أبُوه ! مَا عَدَا مَا فى نَفْسِى !

وحُدِّثْتُ أنّ معاوية ، كان إذا أتاه عن بِطْرِيقٍ من بَطارقةِ الروم كَيْدٌ للإسلامِ احتالَ له ، فأهْدَى إليه وكاتَبَه ، حتى يُغْرِىَ به مَلِكَ الروم ، فكانت رُسُلُهُ تأتيه فتُخبرُهُ بأن هناك بِطريقاً يُؤْذِى الرُّسُلَ ، ويَطْعُنُ عليهم ، ويسىء عِشْرَتَهُمْ ، فقال معاويةُ : أىُّ ما فى عَمَلِ الإسلامِ أحَبُّ إليه ؟ فقيل له : الخِفافُ الحُمْرُ ودُهْنُ البانِ ، فألْطَفَهُ بهما ، حتى عَرَفَتْ رسُلُه باعتيادِهِ ، ثم كَتَبَ كتاباً إليه ، كأنه جوابُ كتابِهِ منه ، يُعْلِمُهُ فيه أنه وَثِقَ بما وَعَدَهُ به من نَصْرِه وخِذْلانِ مَلِكِ الرومِ ، وأمَرَ الرّسولَ بأن يَتَعَرّضَ لِأَنْ يُظْهَرَ على الكتابِ ، فلمّا ذَهبتْ رُسُلُه فى أوقاتها ثم رَجَعَتْ إليه ، قال : ما حَدَثَ هناك ؟ قالوا : فلانٌ البِطْرِيقُ رأيناهُ مقتولاً مصلوبًا ، فقال : وأنا أبو عبد الرحمن !!

وَحُدِّثْتُ أنّ ملكَ الرُّوم فى ذلك الأوانِ وَجَّهَ إلى معاويةَ : إنّ الملوكَ قَبْلَكَ كانت تُرَاسِلُ الملوكَ مِنّا ، ويَجْهَدُ بعضُهم فى أنْ يُغْرِبَ على بعضٍ ،

---

(١) فيها لسختان « كثرت » بالثاء المثلثة ، و « كبرت » بالباء الموحدة ، وقد طبعت بهما فى طبعة ليبزج وكتب فوقها « معا » إثباتا لصحتهما .

أَفَتأْذَنُ فى ذلك ؟ فأَذِنَ له[1] ، فوَجَّهَ إليه برجلين : أحدُهما طويلٌ جَسيمٌ ، والآخرُ أَيِّدٌ[2] ، فقال معاويةُ لعمْرٍو : أمّا الطويلُ فقد أصَبْنا كُفْأَهُ ، وهو قَيْسُ بنُ سعدِ بنِ عُبادَةَ ، وأما الآخرُ الأيِّدُ فقد احتَجْنا إلى رأيكَ فيه ، فقال : ههنا رجلانِ ، كلاهما إليك بَغيضٌ : مُحمدُ بنُ الحَنَفِيَّةِ ، وعبدُ الله بنُ الزُّبَيْرِ ، فقال معاويةُ : مَنْ هُوَ أقربُ إلينا على حالٍ ، فلما دخلَ الرجلانِ وَجَّهَ إلى قيسِ بنِ سعدِ بنِ عُبادةَ يُعْلِمُهُ ، فدخل قيسٌ ، فلما مَثَلَ بين يدَيْ معاويةَ نَزَعَ سَراويلَهُ فرمى بها إلى العِلْجِ ، فلبسها فنالتْ ثَنْدُوَتَهُ ، [الثَّنْدُوَةُ: ما اسْوَدَّ حَوْلَ الحَلَمَةِ] فأَطْرَقَ مغلوبًا ، فَحُدِّثْتُ أن قَيْسًا لِيمَ فى ذلك ، فقيلَ له : لِمَ تَبَذَّلْتَ هذا التَّبَذُّلَ بحَضْرَةِ معاويةَ ، هَلاَّ وَجَّهْتَ إلى غيرها ؟ ! فقال :

أَرَدتُ لِكَيْمَا يَعْلَمَ الناسُ أنها ... سَراوِيلُ قَيْسٍ والوُفودُ شُهودُ
وأن لاَيقولُوا غابَ قَيْسٌ وهذه ... سَراويلُ عادِيٍّ نَمَتْهُ ثَمودُ
وإنّى منَ القومِ اليَمانِينَ سَيِّدٌ ... وما الناسُ إلاَّ سَيِّدٌ ومَسُودُ
وبَذَّ جميعَ الخَلْقِ أَصْلِى ومَنْصِبِى ... وجسمٌ بِهِ أَعْلُو الرِّجالَ مَديدُ

وكان قيسٌ سِناطًا ، فكانت الأنصارُ تقول : لَوَدِدْنا أنَّا اشْتَرينا له لِحْيَةً بِأَنْصافِ أموالِنا . وسَنَذْكر خبَره بعد انقضاء الخبرِ إن شاء الله . [السِّناطُ والسَّنُوطُ : أن يكونَ فى الذَّقَنِ شىءٌ من الشَّعَر ، ولا يكونَ فى العارِضَيْنِ

(١) فى حاشية النسخة ج مانصه « لاتصح هذه الحكاية بوجه ، قاله أبو عمر بن عبد البر » .
(٢) بتشديد الياء المكسورة ؛ أى قوىّ .

شيء ، فإن لم يكن فيهما جميعاً شيء فهو النَّطُ] ثم وَجَّهَ إلى محمد بنِ الحنفيَّةِ ، فدخلَ ، فَخُبِّرَ بما دُعِيَ له ، فقال : قولوا له : إن شاء فَلْيَجْلِسْ وَلْيُعْطِنِي يَدَهُ حتى أُقِيمَهُ ، أو يُقْعِدَني ، وإن شاء فليكُنِ القائمَ وأنا القاعِدَ ؟ فاختارَا الروميُّ الجلوسَ ، فأقامه محمدٌ ، وعجزَ هو عن إقعادِهِ ، ثم اختارَ أن يكونَ محمدٌ هو القاعدَ ، فَجَذَبَهُ فأقعده ، وعجزَ الروميُّ عن إقامته ، فانصَرَفَا[1] مغلوبَيْنِ .

وحدثني أحدُ الهاشميِّين : أن مَلِكَ الرُّومِ وَجَّهَ إلى معاويةَ بقارورةٍ، فقال : ابْعَثْ إليَّ فيها من كلِّ شيء ، فبَعَثَ إلى ابنِ عباسٍ ، فقال : لِتُمْلَأْ له مَاءً ، فلما وُرِدَ بها على ملكِ الروم قال : لِلّهِ أبُوه ، ما أدْهاهُ ! فقِيلَ لابنِ عباسٍ : كيفَ اخْتَرْتَ ذلك ؟ فقال : لقولِ[2] اللهِ عزّ وجلّ : ﴿وجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ[3]﴾ .

وقِيلَ لرجلٍ من بني هاشمٍ ، وهو جعفرُ بنُ محمدِ بنِ عليِّ بن الحُسَيْنِ ، وكان يُقَدَّمُ في مَعْرِفَتِهِ[4] : ما طَعْمُ الماء ؟ فقال : طعمُ الحَيَاةِ .

وأمّا عبدُ الله بنُ الزُّبَيْرِ فيَذْكُرُ أهْلُهُ أنه قال : عالَجْتُ لِحْيَتِي لِتَتَّصِلَ لي ، إلى أن بلغتُ سِتِّين سنةً ، فلما أكْمَلْتُهَا يَئِسْتُ منها .

وكان قيسُ بنُ سعدٍ شجاعًا جَوادًا سيّدًا ، وجاءته عجوزٌ قد كانت تألَفُهُ ،

---

(١) في ج و د « فرجعا » .

(٢) في ج و د « من قول » .

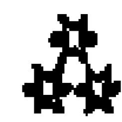
(٣) سورة الأنبياء (٣٠) .

(٤) في ج و د « معرفة » .

فقال لها: كيفَ حالُكِ؟ فقالت: ما فِي بيتي جُرَذٌ[1]، فقال: ما أحْسَنَ ما سألْتِ! أمَا واللهِ لأُكثِرَنَّ جِرْذَانَ[2] بيتِكِ.

وكان سعدُ بن عُبادةَ حيثُ توجَّهَ إلى حَوْرَانَ قَسَمَ ماله بين ولَدِهِ، وكان له حَمْلٌ لم يَشْعُرْ به، فلما وُلِدَ له، قال له عمرُ بن الخطّابِ - يعني قيْسًا -: لأَنْقُضَنَّ ما فعلَ سعدٌ، فجاءه قيسٌ، فقال: يا أميرَ المؤمنين! نصيبي لهذا المولودِ، ولا تَنْقُضْ ما فَعَلَ سعدٌ.

قال أبو العباس: حُدِّثْتُ بهذا الحديث مِنْ حيثُ أَثِقُ به: أنّ أبا بكرٍ وعمرَ رحمهما الله مَشَيَا إلى قيسِ بنِ سعدٍ يَسْأَلانِهِ في أمرِ هذا المولود، فقال: نصيبي له ولا أُغَيِّرُ ما فعل سعدٌ.



وكان معاويةُ كتب إلى قيسِ بنِ سعدٍ[3]، وهو والِي مصرَ لعليّ بن أبي طالبٍ رحمه الله: أمّا بعد، فإنّكَ يهوديٌّ ابنُ يهوديٍّ، إن غَلَبَ أحبُّ الفريقين إليك عزَلَكَ واستبْدَلَ بك، وإن غَلَبَ أبغضُهما إليك قتَلَكَ، ومثّلَ بِكَ، وقد كان أبوك فَوّقَ سَهْمَهُ، ورمى غَرَضَهُ، فأكْثَرَ الحَزَّ، وأخطأَ المَفْصِلَ، حتى خذَلَهُ قومُهُ، وأدركه يومُهُ، فماتَ غريبًا بحَوْرانَ،

---

(١) تريد: ما في بيتي طعام تأكله الجرذان.

(٢) الجرذ: بضم الجيم وفتح الراء. نوع من الفأر، جمعه جرذان بكسر الجيم وإسكان الراء، وضبطه صاحب القاموس بضم الجيم، ولم أجد ما يؤيده.

(٣) في حاشية ج ما نصه: «هذه حكاية غير صحيحة».

والسلام(١) . فكتب إليه قيسٌ : أمّا بعدُ ، فإنك وَثَنٌ ابنُ وَثَنٍ(٢) ، لم يَقْدُمْ إيمانُك ، ولم يَحْدُثْ نِفاقُكَ ، دَخَلْتَ في الدين كُرْهًا ، وخرجتَ منه طوعًا ، وقد كانَ أبي فَوَّقَ سهمَهُ ، ورَمَى غرَضَهُ ، فَسَعَيْتَ عليه أنتَ وأبوكَ ونُظَرَاؤُكَ ، فلم تَشُقُّوا غُبارَهُ ، ولم تُدْرِكُوا شَأْوَه ، ونحن أنصارُ الدِّين الذي خرجتَ منهُ ، وأعداءُ الدين الذي خرجتَ إليه ، والسلام .

وكان قيسٌ موصوفًا مع جماعةٍ قد بَذُّوا الناسَ طولاً وجمالاً ، منهم : العباسُ بنُ عبدِ المطلب رحمه الله ، ووَلَدُهُ ، وجَريرُ بنُ عبد الله البَجَلِيُّ ، والأشْعَثُ بنُ قيسٍ الكِنْدِيُّ ، وعَدِيُّ بنُ حاتمٍ الطائيُّ ، وابنُ جِذْلِ الطِّعَانِ(٤) ، الكِنانيُّ ، وأبو زُبَيْدٍ الطائيُّ . وزيدُ الخَيْلِ بنُ مُهَلْهِلٍ الطائيُّ .

---

(١) قال المرصفى : « فوق سهمه : وضع الوتر فى فوقه . والفوق — بضم الفاء — : شق رأس السهم حيث يقع الوتر . والغرض : الهدف ينصب فيرمى . والحز : القطع فى غير إبانة . والمفصل — بفتح الميم وكسر الصاد — : ملتقى كل عظمين . وهذه أمثال ضربها لمحاولة سعد بن عبادة وطمعه فى الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما قضى الأمر لأبى بكر رضى الله عنه تحول إلى داره ثم ارتحل إلى الشأم » . و « حوران » بفتح الحاء : كورة واسعة ذات قرى ومزارع من أعمال دمشق .

(٢) وثن : بفتح الواو والثاء ، وجمعه : وثن بضمهما ، وبتسكين الثاء تخفيفا ، وقد ضبطناه بفتح الواو على الافراد ، وضبط فى طبعة ليزج وغيرها بضم الواو ، ولانرى له وجهاً ، وقد استدركه مصححها فى جزء التعليقات فضبطه كما قلنا .

(٣) « جذل » بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة وبدون تنوين ، مضاف إلى « الطعان » بكسر الطاء وفتح العين المخففة ، وبالجرّ ، مضاف إليه . هذا هوالصواب ، وقد ضبط فى طبعة أوربة وتبعتها طبعات مصر — : بتنوين « جذل » و « الطعان » بفتح الطاء وتشديد العين ، وبالرفع ، على الوصف لكلمة «ابن» ، وهو خطأ ، والصواب ماذكرنا ، وهوالذى فى نسخة ع ، وقد استدرك ذلك مصحح طبعة أوربة فصححه فى جزء التعليقات .

«وجِذْلُ الطِّعَانِ» لقبُ «علقمةَ بْنِ فِراسٍ من مشاهير العرب» كما فى القاموس وابنه هذا اسمه « عبد الله » وهو شاعر معروف ، ذكره الطبرى فى التاريخ (٩ : ٢٤٣) وابن الشجرى فى الحماسة (ص ٤) وابن عبد الحكم فى فتوح مصر (ص ١٢٥) وذكروا له أشعاراً .

وكان أحَدُ هؤلاء يُقَبِّل المرأة على الهَوْدَجِ ، وكان يقال للرجل منهم . مُقَبِّلُ الظُعُنِ ، وكان طلحةُ بنُ عُبيد اللهِ موصوفاً بالتَّمامِ .

باب

قال أبو العباس : قال السُلَيْكُ بنُ السُلَكَةِ ، وهي أُمُّه ، وكانت سَوْداء حَبَشِيَّةً ، وكان من غِرْبان العَرَب ، وهو السُّلَيْكُ بن عُمَيْرٍ السَّعْدِيُّ :

أَلاَ عَتَبَتْ عَلَيَّ فَصَارَمَتْنِي ... وأَعجَبَها ذَوُو اللِّمَمِ الطِّوَالِ

فإِنِّي يا ٱبْنَةَ الأَقْوامِ أُرْبِي ... على فِعْلِ الوَضِيِّ مِنَ الرِّجالِ

فلا تَصِلِي بِصُعْلُوكٍ نَؤُومٍ ... إذا أَمْسَى يُعَدُّ مِنَ العِيالِ

ولكنْ كلُّ صُعْلُوكٍ ضَرُوبٍ ... بِنَصْلِ السَّيْفِ هاماتِ الرِّجالِ

[كُلّ خبرُ ابْتِداء ، والتقديرُ : هُمْ كُلٌّ]

أَشَابَ الرأْسَ أَنِّي كُلَّ يومٍ ... أَرَى لِي خَالةً وسْطَ الرِّحالِ

يَشُقُّ عليَّ أَنْ يَلْقَيْنَ ضَيْماً ... ويَعْجِزُ عن تَخَلُّصِهِنَّ مالِي

قوله : « وأَعجبها ذَوو اللِّمَمِ الطِّوَالِ » يعني : الجُمَمِ ، وإن شئتَ قلتَ : الجِمامَ ، يقالُ « جُمَّةٌ وجُمَمٌ » كقولك « ظُلْمَةٌ وظُلَمٌ » ويقال « جِمَامٌ » كقولك « جُفْرَةٌ وجِفَارٌ » [الجُفْرَةُ : هى الحُفْرَةُ العظيمةُ] و « بُرْمةٌ وبِرامٌ » قال الشاعرُ :

إِما تَرَىْ لِمَّتِي أَوْدَى الزمانُ بها ... وشَيَّبَ الدهرُ أَصْداغِي وأَفْوَادِي

وقوله : «على فِعلِ الوَضِيِّ من الرجال » يريد : الجميل ، وهو « فَعِيلٌ » مِنْ

« وَضُؤَ يَوْضُؤُ » يا فتى ، تقديرُهُ « كَرُمَ يَكْرُمُ وهو كريم » ومَصْدَرُه «الوَضاءةُ» وكذلك « قَبُحَ يَقْبُحُ قَبَاحَةً » و «سَمُجَ يَسْمُجُ سَمَاجَةً » ويقال : ما كُنْتَ وَضِيئًا ، ولقد وضُؤْتَ بعدَنا ، وقوله « فلا تَصِلِى بصعلوكٍ » يقول : لا تَتَّصِلِى به ، كما قال ابنُ أحْمَرَ(١) :

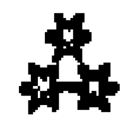
ولا تَصِلِى بِمَطْرُوقٍ إذا مَا ... سَرَى فى القوم أصْبَحَ مُسْتَكِينَا

إذا شَرِبَ المُرِضَّةَ قال أَوْكِى ... عَلَى مافِى سِقَائِكِ قد رَوِينَا

[إذا صُبَّ لبنٌ حَليبٌ على حامضٍ فهى المُرِضَّةُ] فالصعلوكُ(٢) : الذى لا مَالَ لَهُ ، قال الشاعرُ [جابرُ بنُ ثَعْلَبَةَ الطائىُّ] :

كأنَّ الفَتَى لم يَعْرَ يومًا إذا اكْتَسَى ... ولم يَكُ صُعْلُوكًا إذا ما تَمَوَّلَا

وقوله « نَؤُوم » يَصِفُه بالبَلادة والكَسَل ، وكانت العربُ تَمْدَحُ بخِفَّةِ الرؤوس عن النوم ، وتَذُمُّ النُّوَمَةَ ، كما قال عبدُ الملكِ لمؤدِّبِ وَلَدِهِ : عَلِّمْهُم العَوْمَ ، وخُذْهُمْ بقلةِ النَّوْم . وإنما تَوَجَّعَ لخالاتِه لأنهنَّ كُنَّ إماء .



ويُرْوَى عن رجلٍ من قُرَيشٍ ، لم يُسَمَّ لنا ، قال : كنتُ أُجالِسُ سعيدَ بنَ المُسَيِّبِ ، فقال لى يومًا : مَنْ أخوالُكَ ؟ فقلتُ : أُمِّى فَتَاةٌ ، فكأنِّى نَقَصْتُ فى عَيْنِه ، فأمْهَلْتُ حتى دخلَ عليه(٣) سالمُ بنُ عبدِ الله بنِ عمرَ

(١) هو عمرو بن أحمر الباهلى ، شاعر مخضرم ، مات فى عهد عثمان بعد أن بلغ سنا عالية ، وقيل إنه عاش إلى عصر عبد الملك بن مروان . انظر الإصابة (٥ : ١١٤) .

(٢) فى طبعة أوربة بالفاء ، وفى غيرها بالواو .

(٣) فى ج و د « إليه » .

بنِ الخطَّاب رحمه الله ، فلما خَرَجَ منْ عندِه قلتُ : ياعَمّ ! مَنْ هذا ؟ فقال : يا سُبْحَانَ اللهِ ! أتجْهَلُ مثلَ هذا مِنْ قَوْمكَ ؟! هذا سالمُ بْنُ عبدِ الله بنِ عمرَ ! قلتُ : فَمَنْ أمُّهُ ؟ قال : فَتاةٌ ، قال : ثم أتاهُ القاسمُ بْنُ محمدِ بنِ أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ رحمه الله ، فجلسَ عندَه ثم نهَضَ ، فقلتُ : يا عَمّ ! مَنْ هذا ؟ فقال : أتجهلُ مِنْ أهْلِكَ مِثْلَهُ ؟! ما أعْجَبَ هذا ! ، هذا القاسمُ بْنُ محمدِ بنِ أبي بكر الصديقِ ! قلتُ : فَمَنْ أمُّهُ ؟ قال : فتاةٌ ، فأمْهَلْتُ شَيْئًا حتى جاءه عليُّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالبٍ رضى الله عنه ، فسلَّم عليه ثم نهضَ ، فقلتُ : ياعَمّ ! مَنْ هـــذا ؟ قال : هذا الّذى لا يَسَعُ مسلِمًا أن يَجْهَلَه ! هذا عليُّ بن الحسينِ بنِ عليّ بن أبي طالبٍ ! قلتُ : فمن أمُّه ؟ قال : فتاةٌ ، قال : قلتُ: يا عَمّ ! رأيْتَنِي نقَصْتُ فى عينكَ لَمّا علمتَ أنِّى لأُمِّ وَلَدٍ ! أفَمالِى فى هؤلاء إسْوَةٌ ؟ ! قال : فَجَلَلْتُ فى عَيْنِهِ جِدًّا .

وكَانَتْ أمُّ عليّ بن الحسينِ « سُلافةُ » من ولد يَزْدَجِرْدَ ، معروفةَ النَّسَبِ ، وكانتْ من خِيَرَاتِ النِّساءِ[١] .

ويُرْوَى أنه قيلَ لعلِيّ بن الحسين رحمه الله : إنكَ مِنْ أبَرِّ الناسِ ،

---

(١) يزدجرد بن شهريار : آخر ملوك الفرس ، مات سنة ٣١ ، وسلافة ابنته ، وذكر ابن خلكان فى وفيات الأعيان (١ : ٤٠٣) نقلا عن ربيع الأبرار للزمخشرى أن سبي فارس لما جاء لعمر كان فيه ثلاث بنات ليزدجرد ، وأنهن أمهات : على بن الحسين زين العابدين ، والقاسم بن محمد بن أبى بكر ، وسالم بن عبد الله بن عمر ، فهؤلاء الثلاثة بنو خالة ، ونقل ابن خلكان عن المبرد قصة ابن المسيب التى هنا ، ونقل أيضا عن ابن قتيبة فى المعارف : « أن زين العابدين يقال : إن أمه سندية يقال لها سلافة ويقال غزالة » . وأما ابن سعد فقد ذكر فى الطبقات (٥ : ١٥٦) قولا واحداً أن « أمه أم ولد اسمها غزالة » .

ومهما يكن من ذلك فان هذه أسماء عربية سماها بها مواليها كما نعتقد ، وأما اسمها الأصلى فى قومها فلم يذكر لنا .

ولَسْتَ تَأْكلُ معِ أمِّكَ فى صَحْفةٍ ؟ فقال : أَكرهُ أن تَسْبِقَ يَدِى إلى ما قد سبقتْ إليه عَيْنُها فأكونَ قد عَقَقْتُها .

وكان يقالُ له : ابنُ الخِيَرَتَيْنِ [بتحريك الياء أفْصَحُ] لقولِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم : « للهِ مِنْ عِبادِهِ خِيَرَتَانِ ، فَخِيَرَتُهُ من العربِ قُرَيْشٌ ، ومن العَجَمِ فارِسُ[(١)] » .

وكانت سُلاَفَةُ عَمَّةَ أمِّ يريدَ النَّاقِصِ أو أُختَها[(٢)] .

وقال رجلٌ من وَلَدِ الحَكَمِ بنِ أبى العاصِى ، يقال له عُبَيْدُ الله بنُ الحُرِّ ، وكان شاعراً متقدِّمًا ، وكَانَ لِأُمِّ وَلَدٍ ، وهو من وَلَدِ مَرْوانَ بنِ الحَكَمِ ـ :

فَإِنْ تَكُ أُمِّى مِنْ نِساءٍ أَفَاءَها … جِيادُ القَنَا والمُرْهَفَاتِ الصَّفائِحِ
فَتَبًّا لِفَضْلِ الحُرِّ إنْ لم أَنَلْ به … كَرَائِمَ أولادِ النِّساءِ الصَّرائِحِ

وإنما أَخَذَ هذا من قول عَنْتَرَةَ :

وأنا امْرُؤٌ مِنْ خيرِ عَبْسٍ مَنْصِبًا … شَطْرِى وأَحْمِى سائرِ بالمُنْصُلِ

(١) ليس على هذا الكلام طلاوة الأحاديث النبوية ، ولا نعرف هذا فى شىء من الحديث الصحيح . وقد ذكر الفتنى فى تذكرة الموضوعات حديث : « خير الناس العرب ، وخير العرب قريش ، وخير قريش بنو هاشم ، وخير العجم فارس » الخ وقال : « فيه عنبسة : متروك متهم » .
وعنبسة هذا هو ابن مهران البصرى الحداد ، روى عن الزهرى ، قال أبو حاتم : « منكر الحديث » .

(٢) قال ابن خلكان (١ . ٤٠٣) : « كان قتيبة بن مسلم الباهلى أمير خراسان لما تتبع دولة الفرس ، وقتل فيروز بن يزدجرد بعث بابنتيه إلى الحجاج بن يوسف الثقفى ، وكان يومئذ أمير العراق وخراسان ، وقتيبة نائبه بخراسان ، فأمسك الحجاج إحدى البنتين لنفسه ، وأرسل الأخرى إلى الوليد بن عبد الملك ، فأولدها يزيد الناقص ، واسمها : شاه فريد ، وسمى الناقص لأنه نقص أعطية الجند » .

[« شطرى » مبتدأ ، والخبرُ فى المجرور قبله] .

❁

وأنْشدَ لبلالِ بنَ جَريرٍ ، وبلغه أن مُوسَى بنَ جَريرٍ كان إذا ذكره تسبه إلى أمِّهِ ، لأنه ابنُ أمِّ ولدٍ ، فيقولُ : قال ابنُ أمِّ حَكيمٍ ، فقال بلالٌ :

يارُبَّ خالٍ لِى أغَرَّ أبْلَجَا ... مِنْ آلِ كِسْرَى يَغْتَدِى مُتَوَّجَا

لَيس كَخالٍ لَكَ يُدْعَى عَشْنَجَا

والعَشْنَجُ : المُتَقَبِّضُ الوجهِ السَّيِّئُ المَنْظَرِ .

وكَانَ سَبَبُ أمِّ بلالٍ عندَ جريرٍ أن جريراً فى أوّل دخوله العِرَاقَ دَخَلَ على الحَكَمِ بنِ أيّوبَ بن أبى عَقيلٍ الثَّقَفِىِّ ، وهو ابنُ عَمِّ الحجاجِ وعامِلُهُ على البصرةِ ، وفى ذلك يقولُ جَريرٌ :

أقْبَلْنَ من ثَهْلَانَ أوْ وَادِى خِيَمْ ... عَلى قِلَاصٍ مِثْلِ خِيطَانِ السَّلَمْ

إذا قَطَعْنَ عَلَماً بَدَا عَلَمْ ... حَتَّى أنَخْنَاهَا إلى بابِ الحَكَمْ

خَلِيفَةِ الحَجَّاجِ غيرِ المُتَّهَمْ ... فى ضِئْضِئِ المَجْدِ وبُحْبُوحِ الكَرَمْ

فكَتَبَ الحَكَمُ بعدَ أن فَاطَنَهُ(١) إلى الحجاج ، وذلك فى أوّلِ سَبَبِهِ : إنه قَدِمَ علىَّ أعرابِىٌّ باقِعةٌ لم أرَ مِثْلَهُ [يريدُ : داهيةً ، والباقعةُ : طائرٌ حَذِرٌ] فكَتَبَ إليه الحجاجُ أن يَحْمِلَه معه ، فلما دخلَ عليه(٢) قال له : بَلَغَنِى أنك ذُو بديهةٍ ، فقُلْ فى هذه الجاريةِ — لجاريةٍ قائمةٍ على رأسه — فقالَ جريرٌ : مَالِى

---

(١) فاطنه : راجعه فى الحديث ، وكأنه بذلك خبر فطنته وعرفها .
(٢) فى ج و د « إليه » .

أنْ أقولَ فيها حتَّى أتأمَّلَهَا ، ومَالِي أنْ أتأمَّل جاريةَ الأَميرِ ! فقال : بَلَى ، فتأمَّلْهَا واسْتَلْهَا ، فقال لهــا : ما اسْمُكِ يا جارية ؟ فأمْسَكَتْ ، فقال لها الحجاجُ : خَبِّرِيهِ يالَخْنَاء ! فقالتْ : أُمَامَةُ ، فقال جريرٌ :

ودِّعْ أُمَامَةَ حَانَ منكَ رَحِيلُ ... إنَّ الوَدَاعَ لِمَنْ تُحِبُّ قَلِيلُ
مِثْلَ الـكَثِيبِ تَمَايَلَتْ أعْطَافُهُ ... فالرِّيحُ تَجْبُرُ مَتْنَهُ وتُهِيلُ
هٰذِي القُلُوبُ صَوَادِيًا تَيَّمْتِهَا ... وأرَى الشِّــفاء ومَا إليه سَبِيلُ

فقال له الحجاجُ : قد جَعَلَ اللهُ لكَ السَّبِيلَ إليها ، خُذْهَا هيَ لكَ ، فضَرَبَ بيده إلى يَدِها ، فتَمَنَّعَتْ عليه ، فقال :

إنْ كَانَ طِبُّــكُمُ الدَّلَالَ فإنَّهُ ... حَسَنٌ دَلَالُكِ يا أُمَامَ جَمِيلُ

[ش : بنصب الطِّبِّ ورَفْعِ الدَّلَالِ ، وبالعكس ، برفع الطب ونصب الدلال . والطِّبُّ هنا : المَذْهَبُ ، والدَّلَالُ : الدَّالَّةُ] فاستَضْحكَ الحجاجُ ، وأمَرَ بتجهيزها معه إلى اليمــامة . وخُبِّرْتُ أنها كانتْ من أهل الرَّيِّ ، وكان إخْوتُهَا أحراراً ، فاتَّبَعُوه ، فأعْطَوْهُ بها حتى بلغوا عشرينَ ألفًا ، فلم يَفْعَلْ ، ففي ذلك يقولُ :

إذاعَرَضُوا عِشْرِينَ ألفًاتَعَرَّضَتْ ... لِأُمِّ حَكِيمٍ حاجةٌ هِيَ ماهِيَا
لَقَدْزِدْتِأهلَالرَّيِّعندِيمَوَدَّةً ... وحَبَّبْتِ أضْــعَافًا إليَّ المَوَالِيَا

فأولدَها حَكِيمًا وبلالاً وحَزْرةَ : بَنِي جَرِيرٍ ، هؤلاء مَنْ أذْكُرُ مِنْ وَلَدِها .

ويقال إنَّ الحِمَّانِيَّ[1] قاوَلَ بلالاً ذاتَ يوم ، فيما كان بينهما من

---

(١) الحمانى ، بكسر الحاء المهملة وتشديد الميم ، واسمه أبو نخيلة ، بالتصغير ، وهو شاعر راجز . قاله المرصفى .

الشرُّ ، فقال : يا ابنَ أُمِّ حَكِيمٍ ! فقال له بلالٌ : مَا تَذْكُرُ من ابنَةِ دُهْقانٍ[1] ، وأخِيذَةِ رِمَاحٍ ، وعَطِيَّةِ مَلِكٍ ؟ ليستْ كأُمِّكَ التى بالمَرُوتِ[2] ، تَغْدو على إِثْرِ ضَأْنِها ، كأنما عَقِبَاهَا حَافِرَا حِمَارٍ ! فقال له الحِمَّانِىُّ : أنا أَعْلَمُ بأُمِّكَ ، إنما عَتَبَ عليها الحجّاجُ فى أمرٍ ، اللهُ أعلمُ به ، فَحَلَفَ أن يَدْفَعَهَا إلى أَلْأَمِ العربِ ، فلما رأى أباكَ لم يَشْكُكْ فيه ! !

قال : وأُنْشِدْتُ لرجلٍ من رُجَّازِ بنى سعدٍ :

أنا ابنُ سَعْدٍ وتَوَسَّطْتُ العَجَمْ فأنا فِيما شِئْتَ من خَالٍ وعَمّْ

وقال عمرُ بنُ الخطابِ رحمه الله : ليس قومٌ أَكْيَسُ من أولادِ السَّرَارِىِّ ، لأنهم يَجمعونَ عِزَّ العَرَبِ ودَهاءَ العَجَمِ .

وكَتَبَ أميرُ المؤمنينَ المنصورُ إلى محمدِ بن عبدِ الله بن حسنِ بن حسنِ بن علىِّ بن أبى طالب ـ رحمهم الله ـ لَمَّا كَتَبَ إليه محمدٌ : « وَاعْلَمْ أنّى لستُ مِن أولادِ الطُّلَقَاءِ ، ولا أولادِ اللُّعَنَاءِ ، ولا أُعْرِقَتْ فىَّ الإِمَاءُ ، ولا حَضَنَتْنِى أُمَّهَاتُ الأولادِ ، ولقد عَلِمْتَ أنّ هاشمًا وَلَدَ عَلِيًّا مَرَّتين ، وأن عبدَ المُطَّلبِ وَلَدَ الحسنَ مرَّتين ، وأن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وَلَدَنِى مرَّتين : من قِبَلِ جَدَّىَّ الحسنِ والحسينِ » . يعنى أنَّ أمَّ عَلِىٍّ فاطمةُ بنتُ أَسَدِ بن هاشمٍ ، وأمَّ الحسنِ فاطمةُ بنتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم بن عبدِ الله بن المُطَّلِبِ بن هاشم ، وأن أمَّهُ فاطمةُ بنتُ الحسينِ بن علىِّ بن أبى طالب بن عبدِ المُطَّلِبِ بن هاشمٍ . فكتب إليه المنصور : « أمَّا ما ذكرتَ من وِلادةِ هاشمٍ

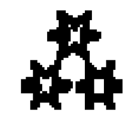
---

(١) دهقان ، بكسر الدال وضمها ، فارسى معرّب ، معناه : التاجر ، قاله المرصفى .

(٢) المروت ، بفتح الميم وضم الراء المشددة : اسم واد لبنى حمان بالعالية ، قاله المرصفى .

عليًّا مرتين ، وولادة عبدِ المطَّلِب الحسنَ مرتين - : فخيرُ الأوّلِينَ والآخِرِينَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لم يَلِدْهُ هاشمٌ إلاَّ مرةً واحدةً ، ولا عبدُ المطلب إلاَّ مرةً واحدةً ، وله السَبْقُ إلى كلِّ خير ؛ ولقد علمتَ أنه بُعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وعُمومَتُهُ أرْبَعةٌ ، فآمَنَ به اثنان ، أحَدُهما أبي ، وكفر به اثنان أحَدُهما أبوك ، وأمّا ما ذكرتَ أنّه لم تُعْرِقْ فيكَ الإمَاء : فقد نَخَرْتَ على بني هاشم طُرًّا ، أوّلُهم إبرٰهيمُ بنُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، ثم عليُّ بنُ الحسين ،الذي لم يُولَدْ فيكم بعدَ وفاةِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم مولودٌ مثلُهُ » .

وهذه رسالة للمنصورِ طَريفةٌ[1] مُستحسَنةٌ جِدًّا ، سَنُمْلِيها في موضعها من هذا الكتاب ، إن شاء اللهُ .



وأنشدَني الرِّياشيُّ :

إنّ أولادَ السَّرارِيْ كَثُرُوا يارَبِّ فِينَا
رَبِّ أدْخِلْنِي بِلاداً لا أرَى فيها هَجِينَا

« والهَجِينُ » عند العرب : الذي أبوه شريفٌ وأُمُّه وضيعةٌ ، والأصل في ذلك أن تكونَ أَمَةً ، وإنما قِيلَ « هجينٌ » من أجْلِ البَيَاضِ ، وكأنّهم قَصَدُوا قَصْدَ الرُّوم وَالصَّقَالِبَةِ ومَنْ أشبههم ، والدليلُ على أن الهَجِينَ الأبيَضُ - : أن العربَ تقولُ : ما يَخْفَى ذلك على الأسودِ والأحمرِ ، أي

(١) طريفة : بالطاء المهملة ، وفي س « ظريفة » بالظاء المعجمة .

العَرَبِيُّ وَالعَجَمِيُّ ، وَيُسَمُّونَ الموالِيَ وسائرَ العجمِ : « الحَمْراء » وقد ذكرنا ذلك ، ولذلك قال زيدُ الخَيْلِ :

[وأسْلَمَ عِرْسَهُ لمّا رآنا]   وأيْقَنَ أنّنا صُهْبُ السِّبَالِ

أي كهؤلاء العَدُوِّ من العجمِ . وقال ابنُ الرُّقَيَّاتِ :

إنْ تَرَيْنِي تَغَيَّرَ اللَّونُ مِنّي   وعَلاَ الشَّيْبُ مَفْرِقِي وقَذَالِي

فَظِلاَلُ السُّيوفِ شَيَّبْنَ رَأْسِي   وطِعَانِي في الحرب صُهْبَ السِّبَالِ

فقيل « هَجِينٌ » من هٰهنا .

وإذا كانت الأمُّ كَرِيمةً والأبُ خَسِيسًا قيـــلَ له « المُذَرَّعُ » قال الفرزدقُ :

إذا بَاهِلِيٌّ تَحْتَهُ حَنْظَلِيَّةٌ   لهُ وَلَدٌ منها فَذَاكَ المُذَرَّعُ

وقال الآخرُ :

إنَّ المُذَرَّعَ لا تُغْنِي خُؤُولَتُهُ   كَالبَغْلِ يَعْجِزُ عن شَوْطِ المَحَاضِيرِ (١)

[جمعُ « مِحْضِير » وهو الفرسُ السَّرِيعُ] وإنما سُمِّيَ « مُذَرَّعا » للرَّقْمَتَيْنِ في ذِراعِ البغلِ ، وإنما صارتا فيه من ناحيةِ الحمارِ . قال هُدْبَةُ :

وَرِثَتْ رَقَاشِ اللُّؤْمَ عن آبائها   كَتَوارُثِ الحُمُراتِ رَقْمَ الأذْرُعِ

وقال عبدُ الله بنُ العباسِ في كلامٍ يُجيبُ به ابنَ الزُّبيرِ : والله إنه لَمَصْلُوبُ قُرَيْشٍ ، ومتى كان عَوَّامُ بنُ عَوَّامٍ يَطمعُ في صَفِيَّةَ بنتِ عبد المطَّلب ؟ مَنْ أَبُوكَ يابَغْلُ ؟ فقال : خالِي الفَرَس ؟ !

---

(١) المحاضير : جمع « محضير » بالميم والضاد المعجمة المكسورتين ، وبينهما حاء مهملة ساكنة ، من الاحضار ، وهو ارتفاع الفرس في عدوه .

باب

قال أبو العباس : قال أعرابيٌّ :

كُلُّ امرِىءٍ ذِى لِحيَةٍ عَثْوَلِيَّةٍ   يَقُومُ عليها ظَنَّ أَنَّ لهُ فَضْلاَ
ومَا الفَضْلُ فى طُولِ السِّبالِ وعَرْضِهاَ   إذَا اللهُ لم يجْعَلْ لِصَاحِبِهاَ عَقْلاَ

ويُرْوى « لِحامِلِهَا » . « عَثْوَلِيَّة » يقول : كَثِيرَةٌ ، والمُستَعْمَلُ يقال : رجلٌ « عِثْوَلٌ » إذا كانَ كَثِيرَ الشعَرِ ، وأصلُ ذلك فى الرأسِ واللحية ، وبَناهُ الأعرابىُّ بناء « جَدْوَلٍ » كأنه « عَثْوَلٌ » ثم نَسَبَ إليه . « والسَّبَلَةُ » مُقَدَّمُ اللّحية ، يقال لِمَا أَسْبَلَ من الشاربين « سَبَلَتَانِ » وتقول العربُ : أَخَذَ فلانٌ شَفْرة فَلَتَمَ[1] بها سَبَلَةَ بعيره ، أى نَحَرَهُ ، واللَّتْم : الشَّقُّ ، فهذا ما أَسْبَلَ من جِرانِه[2] .

وقال بعض المُحْدَثين[3] :

وما حُسْنُ الرِّجال لهم بحُسْنٍ[4]   إذا ما أخطأَ الحُسْنَ البَيَانُ
كَفَى بالمَرْءِ عَيْبًا أن تَرَاه   لهُ وجـــهٌ وليس له لِسَانُ

وقال آخرُ :

إِنِّى على مَا تَزْدَرِى من دَمَامَتِى   إذَا قِيسَ ذَرْعِى بالرجالِ طويلُ

---

(١) بهامش ج « بالتاء مثناة » .

(٢) قال المرصفى : « يريد ما ذكر من سبلة البعير ، وأسبل : استرخى . والجران : جلدة تضطرب على باطن العنق من ثغرة النحر إلى منتهى العنق فى الرأس » .

(٣) فى ج و د « ولبعض المحدثين » .

(٤) فى س « بفخر » .

ونظر يزيدُ بن مَزْيَدٍ الشَّيْبانىُّ إلى رجل ذى لحيةٍ عظيمةٍ ، وقد تَلَفَّفَتْ على صدره ، فإذا هو خاضِبٌ ، فقال : إنّك مِن لحيتِكَ فى مَؤُنَة ! فقال : أجَلْ ، ولذلك أقولُ :

لها دِرْهَمٌ للدُّهْنِ فى كلّ جُمْعَةٍ ... وآخَرُ للحِنَّاء يَبْتَدِرانِ
ولَوْلا نَوالٌ من يَزِيدَ بنِ مَزْيَدٍ ... لَصَوَّتَ فى حافاتِها الجَلَمَانِ(١)

وقال إسحٰقُ بنُ خَلَفٍ يصفُ رجلا بالقِصَرِ وطُولِ اللّحية :

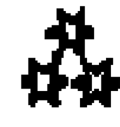
ما سرَّنى أنّنى فى طول دَاوُدِ ... وأنّنى عَـلَمٌ فى البَأْسِ والجُودِ
مَاشَيْتُ دَاوُدَ فاستَضْحكتُ من عجبٍ ... كأنّنى وَالِدٌ يَمْشِى بمولُودِ
ما طُولُ داودَ إلاّ طولُ لحيَتِه ... يَظَلُّ دَاوُدُ فيها غـيرَ مَوْجُودِ
تُـكِنُّهُ خُصْلَةٌ منها إذا نَفَحَتْ ... ريحُ الشّتاء وجفَّ الماء فى العُودِ(٢)
كالأنْبَجانِىِّ مَصْقُولاً عَوَارِضُهَا ... سَوْداء فى لِين خَدِّ الغَادَةِ الرُّودِ(٣)
أجْزَى وأغْنَى من الخَزِّ الصَّفِيقِ ومِنْ ... بيض القَطائِف يوم القُرِّ والسُّودِ
إنْ هَبَّتِ الرّيحُ أدّتْهُ إلى عَدَنٍ ... إنْ كانَ مالَفَّ منها غيرَ مَعْقُودِ

[القُرُّ بالقاف : يريد البَرْدَ ، ويروى بالغين ، يريد السحائبَ البيضَ ، وجعلها غُرًّا لبياضها] .

(١) الجلم : بفتح الجيم واللام — المقص ، وإنما ثنى لإرادة شفرتيه . وذكر المرصفى فى شرحه « لصيح » بدل « لصوّت » وجعل هذه رواية أخرى ، وما ندرى من أين هذا ؟ ونسخ الكامل كلها « لصوّت » ؟ ! فلو جعل الأخرى رواية كان أجود .

(٢) بحاشية ج ما نصه : « نفحت : بالحاء غير معجمة » .

(٣) الأنبجانى ، بفتح الهمزة والباء — : كساء من الصوف ينسب إلى « منبج » بفتح الميم وكسر الباء على غير قياس ، وهى مدينة بينها وبين حلب عشرة فراسخ . والغادة : المرأة الناعمة اللينة . والرود : الحسنة الشباب . قاله المرصفى .



وفى الحديث : « مِن سعادة المرْء خِفّةُ عارِضَيْه » . وليس هذا بناقض لما جاء فى إعفاء اللِّحى وإحْفاء الشَّوارِبِ ، فقد رُوِىَ أنهم قالوا : لا بأسَ بأَخْذِ العارِضَيْنِ والتَّبْطِينِ(١) . وأما الإعفاء فهو التَّكثِيرُ ، وهو من الأضدادِ ، قال اللهُ عز وجل : ﴿ حَتَّى عَفَوْا(٢) ﴾ أى : حتى كَثُرُوا ، ويقال : عَفَا وَبَرُ الناقةِ(٣) : إذا كَثُرَ ، قال الشاعرُ :

وَلَكِنَّا نُعِضُّ السَّيْفَ منها ... بِأَسْوُقِ عَافِيَاتِ اللَّحْمِ كُومِ

والكُومُ : العظامُ الأسْنِمَةِ ، واحدتها : كَوْماء ، ويقال : عَفَا الرَبْعُ(٤) : إذا دَرَسَ ، ومِنْ ذلك :

* عَلَى آثارِ مَنْ ذَهَبَ العَفَاءُ *

أى الدُّروسُ

وقال مَسْلَمَةُ بنُ عبد الملك : إنى لَأعْجَبُ مِن ثلاثةٍ : من رجلٍ قَصَّرَ شَعَرَهُ ثم عادَ فأطاله ، أو شَمَّرَ ثَوْبَهُ ثم عاد فأسْبَلَهُ ، أو تَمَتَّعَ بِالسَّرارِىِّ ثم عادَ إلى المَهِيرَاتِ ! !

واحدةُ المَهِيرَاتِ « مَهِيرَةٌ » وهى الحُرَّةُ المَهمورَةُ ، و« مَفْعُولٌ » يَخْرُجُ إلى « فَعِيلٍ » كمقتولٍ وقَتِيلٍ ، ومجروحٍ وجَرِيحٍ ، قال الأعْشَى :

وَمَنْكُوحةٍ غيرِ مَمْهُورَةٍ ... وأُخْرَى يُقالُ لها فَادِهَا

(١) التبطين : أخذ الشعر من تحت الذقن والحنك .

(٢) سورة الأعراف (٩٥) .

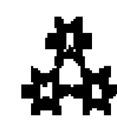
(٣) فى ع « وبر البعير » .

(٤) فى ع ود « عفا الرسم » .

[« فادِهَا » : مِنْ « فَدَيْتُ » الْأَسِيرَ ، وهو يَصِفُ سَبْيًا أُخِذَ فيه إماءٌ وحَرَائِرُ] فهذا المعروفُ فى كلامِ العربِ : « مَهَرْتُ المَرأةَ فهي مَمهورةٌ » ويقالُ — وليس بالكثيرِ — : « أَمْهَرْتُهَا فهى مُمْهَرَةٌ » . أنشدنى المَازِنِيُّ :

أَخِذْنَ اغْتِصَابًا خِطْبَةً عَجْرَفِيَّةً وأُمْهِرْنَ أَرْمَاحًا من الخَطِّ ذُبَّلَا

[« عَجْرَفِيَّةٌ » : جَافِيَةٌ ، « خِطْبَةٌ » : مَصْدَرٌ مَعْنًى[1]] .



وأهلُ الحجازِ يَرَوْنَ النكاحَ العَقْدَ دونَ الفِعْل ، ولا يُنكرونَه فى الفعل ، ويحتجُّون بقولِ الله عزّ وجل : ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا[2]﴾ فهذا الأَشْيَعُ فى كلام العرب ، قال الأعشى :

وأَمْتَعْتُ نَفْسِي مِنَ الغانِيَا تِ إِمَّا نِكَاحًا وإِمَّا أُزَنْ[3]

ومِن كُلِّ بَيْضَاءَ رُعْبُوبَةٍ لها بَشَرٌ نَاصِعٌ كاللَّبَنْ[4]

[قوله «أُزَنْ» : أَرَادَ « أُزَنِّى » ثم حَذَفَ الياءَ وخَفَّفَ النونَ فقال «أُزَنْ »] .

ويكونُ النكاحُ الجماعَ ، وهو فى الأصل كنايةٌ . قال الراجزُ :

إِذَا زَنَيْتَ فَأَجِدْ نِكَاحَا وأَعْمِلِ الغُدُوَّ والرَّوَاحَا

والكنايةُ تقعُ عن هذا البابِ كثيرًا ، والأصلُ ما ذَكَرْنَا لك . وقال

(١) قال المرصفى : « يريد أنه مصدر لبيان الهيئة بمنزلة قولك : إنه لحسن الفعلة لطيف الجلسة » .
(٢) سورة الأحزاب (٤٩) .
(٣) فى ج ود « وأمتعت عينى » .
(٤) الرعبوبة : الحسنة الخلق الممتلئة القصة .

رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « أنَا مِنْ نِكَاحٍ لا مِنْ سِفَاحٍ[1] » . ومِنْ خُطَب المسلمين : « إنّ اللهَ عزّ وجل أحَلَّ النِّكاحَ وحَرَّمَ السِّفَاحَ » .

والكنايةُ تقَعُ عن الجِمَاع[2] ، قال الله عزّ وجل : ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ[3]﴾ فهذه كنايةٌ عن الجماع . قال أكثرُ الفقهاء فى قوله تبارك وتعالى : ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ[4]﴾ قالوا : كنايةٌ عن الجماع ، وليس الأمرُ عندنا كذلك ، وما أَصِفُ مذهبُ أهلِ المدينةِ ، قد فُرِغَ[5] من النكاح تصريحاً ، وإنما المُلاَمسةُ أن يَلْمُسَها[6] الرجلُ بِيَدٍ أو بِإِدْناء جَسَدٍ من جسدٍ ، فذلك يَنقضُ الوضوء فى قول أهلِ المدينة ، لأنه قال تبارك وتعالى بعدَ ذِكْرِ الجُنُبِ ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ[7]﴾ .

وقولُه عزّ وجل :﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ[8]﴾ : كِنَايةٌ بإجماعٍ عن

(١) ورد هذا المعنى فى أحاديث كثيرة ، بعضها مرسل صحيح الإسناد ، وبعضها موصول فى إسناده شىء ، ومجموعها يؤخذ منه صحة المعنى وثبوته ، وانظر شيئاً مفصلا من ذلك فى تاريخ ابن كثير (٢ : ٢٥٥ ـ ٢٥٦) .

(٢) فى ب « على الجماع » .

(٣) سورة البقرة (١٨٧) .

(٤) سورة النساء (٤٣) وسورة المائدة (٦) .

(٥) فى بعض النسخ « لأنه قد فرغ » وبهامش ج « الرواية المشهورة باسقاط : لأنه » .

(٦) «لمس» : من بابى نصر وضرب .

(٧) الذى قال أبو العباس مذهبه ورأيه ، وليس هذا القول بالراجح عندنا ، ولا هو مما تؤيده الدلائل الصحاح ، بل أدلة السنة تدل على أن الملامسة أو اللمس فى الآية ـ على اختلاف القراءتين ـ : إنما يكنى بها هنا عن الجماع ، من أجل أنه قد صح الحديث بأن النبى صلى الله عليه وسلم قبل بعض أزواجه ، ثم صلى ولم يتوضأ ، وهو حديث لاشك فى ثبوته ، وهو قرينة أن المراد المعنى المجازى لا الحقيقى . وقد فصلنا القول فى ذلك فى شرحنا على سنن الترمذى (١ : ١٣٩ ـ ١٤٢) .

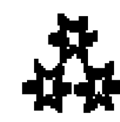
(٨) سورة المائدة (٧٥) .

قضاء الحاجة[١] ، لأنّ كلَّ مَنْ أَكَلَ الطعامَ في الدنيا أَنْجَى ، يقال : نَجَا وأَنْجَى : إذا قام لحاجة الإنسان .

وكذلك : ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا[٢]﴾ : كنايةٌ عن الفروج .

ومثلُه : ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ[٣]﴾ فإنما الغائطُ كالوادي ، وقال عَمْرو بنُ مَعْدِي كَرِبَ :

وكَمْ من غَائِطٍ مِن دُونِ سَلْمَى قليلِ الإِنْسِ ليسَ به كَتِيعُ[٤]



يقالُ[٥] : «وَهِمَ» الرجلُ «يَوْهَمُ» : إذا شَكَّ ، وهو الأَجْوَدُ ، ويجوزُ : «يَيْهَمُ ، وييهَمُ ، وياهَمُ» — : لِعِلَلٍ ، وكذلك ما كان مِثْلَهُ ، نحو : وَجِلَ يَوْجَلُ ، وَوَحِلَ يَوْحَلُ ، وَوَجِعَ يَوْجَعُ ، ويجوز في « وَهِمِ » أن تقول : « يَهِمُ »

---

(١) دعوى الإجماع هنا غير جيدة ، فإن كثيراً من المفسرين لايرون إلا المعنى الحقيقي هنا ، وهو الراجح عندهم ، قال الطبري في التفسير (٦ : ٢٠٣) : « إنهما كانا أهل حاجة إلى ما يغذوهما وتقوم به أبدانهما من المطاعم والمشارب ، كسائر البشر من بني آدم ، فإن من كان كذلك فغير كائن إلهاً ، لأن المحتاج إلى الغذاء قوامه بغيره ، وفي قوامه بغيره وحاجته إلى ما يقيمه دليل واضح على عجزه ، والعاجز لا يكون إلا مربوبا لاربا » . فأنت ترى أنه لم يفسره بغير المعنى الحقيقي ، ولم يذكر الكناية أصلا ، وذكرها غيره ، وليست الكناية هنا واضحة ، لأنه وإن وجدت العلاقة بين المعنيين إلا أن القرينة التي تمنع إرادة المعنى الحقيقي وتوجب النقل إلى المجازي غير موجودة أصلا ، فإرادة المجازي لادليل عليها أصلا ، فلا تقبل ، ثم إن المعنى الحقيقي معنى عال دقيق ، كما أوضحه الطبري ، فلا مسوّغ للعدول عنه .

(٢) سورة فصلت (٢١) .

(٣) سورة النساء (٤٣) وسورة المائدة (٦) .

(٤) قال المرصفي : « كتيع : بالتاء ، معناه أحد ، يقال مابالدار كتيع : مابها أحد » .

(٥) بحاشية ج و د : « هذا الكلام لايتصل بما قبله ولا بما بعده ، إلى قوله : وقال رجل أحسبه من بني تميم » .

وقال المرصفي : « كأن هنا جملة سقطت ، ذكر فيها الوهم ، فشرحها » .

فإنَّ المعْتَلَّ منْ هذا يجئُ على مثال : حَسِبَ يَحْسِبُ ، مثل : وَلِيَ الأميرُ يَلِي ، وورِمَ الجُرْحُ يَرِمُ ، فهذا جميعُ ما في هذا الباب .



وقال رجلٌ أحْسِبُهُ من بَني تَميمٍ :

لاَ تَسْأَلَنَّ الْخَيْلَ ياسَعْدُ مَا لَهَا ... وكُنْ أُخْرَيَاتِ الخيلِ علَّكَ تُجْرَحُ

لعلَّكَ تَحْمِي عن صِحَابٍ بطَعْنةٍ ... لها عَانِدٌ يَنْفِي الحَصَا حِينَ يَنْفَحُ

وأَكْرِمْ كريمًا إنْ أَتاكَ لِحاجةٍ ... لِعاقِبةٍ إنَّ العِضَاهَ تَرَوَّحُ

[بِذَا فامْدَحِيني وانْدُبِيني فإنَّني ... فَتًى تَعْتَرِيهِ هِزَّةٌ حِينَ يُمْدَحُ]

[إذا أَدْبَرَ القَيْظُ وبَرَدَ اللَّيْلُ تَحَرَّكَ للشَّجرِ وَرَقٌ رَطْبٌ ، فيقال : أَخْلَفَ الشجرُ وتَرَوَّحَ] .

قوله : « لا تسألنَّ الخيلَ يا سعدُ مَالَها » يقول : لا تتخلَّفْ عن القِتال وتَسْأَلْ عن أخبارِ القومِ ، ولكِنْ كُنْ فيهم كما قال مُهَلْهِلٌ :

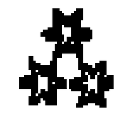
ليسَ مِثْلِي يُخَبِّرُ القَوْمَ عَنْ آ ... بَائِهِمْ قُتِّلُوا ويَنْسَى القِتَالا[(١)]

لم أَرِمْ حَوْمَةَ الكَتِيبَةِ حَتَّى ... حُذِيَ الوَرْدُ من دِمَاهُ نِعَالا[(٢)]

(١) في ـ « لست ممن » بدل « ليس مثلي » وفي هامش ج « لست ممن » و « ليس ممن » كأنهما نسختان أو روايتان . وفي ـ « الحي » بدل « القوم » وفي هامش ج « الناس » وفي ـ « فرسانهم » بدل « آبائهم » وذكرت هذه بهامش ج أيضاً .

(٢) لم أرم : بكسر الراء ، يعني لم أبرح .

يقول : كُنْتُ فى حَوْمَة القتالِ وصَليتُ الحَرْبَ[1] أكْثَرَ مِمَّا صَلِيَها غيْرِى .



ويُرْوَى عن رجلٍ من بَنِى أَسَدِ بن عبد العُزَّى ، يقال له : فُلانُ [ش : هو عبدُ الله] بنُ السَّائِب : أنه زَوَّجَ ابنته عَمْرَو بنَ عثمانَ بنِ عَفَّانَ ، فلمَّا نُصَّتْ عليه طَلَّقَهَا على المِنَصَّةِ[2] فجاء أبوها إلى عبدِ الله بن الزُّبَيْر ، فقال : إنَّ عَمْرَو بنَ عثمانَ طَلَّقَ ابنَتى على المِنَصَّةِ ، وقد ظنَّ النَّاسُ أنَّ ذلك لِعَاهَةٍ ، وأنتَ عَمُّهَا[3] ، فقُمْ فادْخُلْ إليها ، فقال عبدُ الله : أَوَ خَيْرًا مِنْ ذَٰلِكَ ؟ جِيئُونى بالمُصْعَبِ[4] ، فخَطَبَ عبدُ الله فزَوَّجَهَا من المُصْعَبِ ، وأقْسَمَ عليه لَيَدْخُلَنَّ بها فى لَيْلَتِهِ[5] ، فلا تُعْرَفُ امرأةٌ نُصَّتْ عَلَى رَجُلَيْنِ فى لَيْلَتَيْنِ

---

(١) فى ع « الحروب » .

(٢) المنصة : سرير العروس ترفع عليه لترى من بين النساء ، وانصت : أقعدت على المنصة .

(٣) أخطأ الشيخ المرصفى هنا فى موضعين خطأ غريباً ، فزعم أن أبا العروس هو «السائب» ثم زعم أنه « أخو الزبير بن العوام ، أمهما صفية بنت عبد المطلب » ! أما أولا فان الرواية واضحة هنا أن والد العروس هو عبد الله بن السائب ، وأما ثانيا ، فان السائب أخا الزبير لأبيه وأمه مات وليس له عقب ، كما نص على ذلك ابن سعد فى الطبقات (٥ : ٥٨) وابن حجر فى الإصابة (٣ : ٦١) .

والتحقيق أن صاحب القصة هنا هو : عبد الله بن السائب بن أبى حبيش بن المطلب بن أسد بن عبد العزى ، أبوه السائب أخو فاطمة بنت أبى حبيش ، وأمه عاتكة بنت الأسود بن المطلب ، وأم السائب أم جميل بنت الفاكه بن المغيرة المخزومية ، ولا صلة له بصفية بنت عبد المطلب أصلا ، انظر الاصابة (٣ : ٥٨ ـ ٥٩) .

وقد استدل المرصفى لما وقع فيه من الوهم بقول عبد الله بن السائب لعبد الله بن الزبير فى شأن العروس : « أنت عمها » ! ! وليس ذلك كما ظن ، إنما قال هذا لأنهما كلاهما من بنى أسد بن عبد العزى ، فان الزبير هو ابن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى ، وإطلاق العم فى مثل هذا كثير شائع عند العرب .

(٤) هو مصعب بن الزبير ، أخو عبد الله بن الزبير .

(٥) فى س « فى هذه الليلة » .

وِلَاءً[1] غَيْرُها ، فأَوْلَدَهَا المُصْعَبُ : عيسَى وعُكَّاشَةَ ، فلمَّا كان يومُ مَسْكَنَ[2] ، وَهَرَبَ أَكْثَرُ الناسِ عن المُصْعَبِ ، دخل إلى سُكَيْنَةَ ابنةِ الحسين بن عليّ بن أبي طالبٍ ، وكانت له شَديدةَ المحبَّة ، وكانت تُخْفِي ذلك[3] فَلَبِسَ غِلَالَةً وتَوَشَّح عليها ، وانْتَضَى السَّيْفَ ، فلمَّا رأتْ ذلك وعلمتْ أنه عَزَمَ أن لا يَرْجِعَ ، فصاحتْ مِن ورائِهِ : وَاحَرَبَاهْ ؟ فالْتَفَتَ إليها ، فقال : أَوَ هذا لِي في قَلْبِكِ ؟ فقالت : إي والله ، وأَكْثَرُ من هذا فقال : أمَا لَوْ عَلِمْتُ لَكانَ لِي ولكِ شَأْنٌ ، ثم خَرَجَ ، فقال لابنِهِ عيسى : يابُنَيَّ انْجُ إلى نَجَائِكَ ، فإنَّ القومَ لاحَاجةَ بهم إلى غَيْرِي ، وَسَتُفْلِتُ بحيلَةٍ أو بُقْيَا ، فقال : يا أَبَتَاهُ لا أُحَدِّثُ والله عَنْكَ أبداً ، فقال : أمَا واللهِ لَئِنْ قلتَ ذلكَ لَمَا زِلْتُ أَتَعَرَّفُ الكَرَم في أَسْرَارِكَ وأنْتَ تُقَلَّبُ في مَهْدِكَ .

[ش : «الأَسْرَارُ» : جمع «سِرّ» ، وهي الطَّرَائِقُ في الجَبْهَةِ[4]] فَقُتِلَ بين يَدَيْ أبيهِ ، ففي ذلك يقولُ شاعِرُ أَهْلِ الشَّأْمِ من اليَمانِيَةِ :

---

(١) بهامش ع « في ليلة » وكتب عليها « صح » وفي بعض النسخ الأخرى « في ليلة واحدة » . وهذا هو الصواب المفهوم من سياق القصة .

(٢) مسكن : بفتح الميم وسكون السين وكسر الكاف ، هكذا ضبطه ياقوت في معجم البلدان قولا واحداً ، وضبط في طبعة أوربة من الكامل بكسر الكاف وبفتحها ، وكتب فوقه « معاً » إشارة إلى أنه مصحح في الأصول المخطوطة بالضبطين ، ويوم مسكن هو يوم الوقعة التي كانت بين عبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير في سنة ٧٢ هـ نسب إلى «مسكن» اسم موضع الوقعة ، وهو قريب من أوانا على نهر دجيل عند دير الجاثليق ، وبه قتل مصعب ، وقبره هناك معروف ، كما قاله ياقوت .

(٣) كانت سكينة زوج مصعب ، إلى أن قتل عنها ، وكانت سيدة نساء عصرها ، من أجمل النساء وأظرفهنّ وأحسنهنّ أخلاقاً ، ولها نوادر وحكايات مع الشعراء والأدباء ، ماتت في ٥ ربيع الأول سنة ١١٧ ، قيل اسمها « آمنة » ، وقيل « أمينة » ، وقيل « أميمة » ، وأما « سكينة » فانه لقب ، لقبتها به أمها الرباب بنت امرئ القيس بن عدي .

(٤) هي الخطوط التي تكون في الجبهة من التكسر فيها .

نَحْنُ قَتَلْنَا مُصْعَبًا وعِيسَى   وابْنَ الزُّبَيْرِ البَطَلَ الرَّئِيسَا

* عَمْدًا أَذَقْنَا مُضَرَ التَّبْئِيسَا *

وقال رجلٌ يُعَاتِبُ رجلاً :

فلو كان شَهْمَ النَّفْسِ أوذَا حَفيظَةٍ * رَأَى مارَأَى فى الموتِ عيسى بنُ مُصْعَبِ

وقال بلالُ بنُ جريرٍ يَمدحُ عبدَ الله بن الزُّبَيْرِ [يُقالُ : إن بِلاَلاً لم يَلْحِق ابنَ الزُّبير ، إلاّ أن يكونَ مدحه مَيِّتًا] :

مَدَّ الزُّبَيْرُ عليكَ إذْ يَبْنِى العُلاَ   كَنَفَيْهِ حتّى نَالَتَا العَيُّوقَا(١)

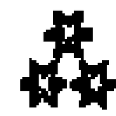
[ويُروى « كَفَّيْه » وهو أظهرُ ، لقوله « حتى « نالتا »] :

وَلَوْ أَنَّ عبدَ اللهِ فَاخَرَ مَنْ تَرَى   فاتَ البَرِيَّةَ عِزَّةً وَسُمُوقَا

قَرْمٌ إذا ما كانَ يومُ نُفُورَةٍ   جَمَعَ الزُّبَيْرَ عليكَ والصِّدِّيقَا(٢)

لو شِئْتَ ما فَاتُوكَ إذْ جَارَيْتَهُمْ   ولَكُنْتَ بالسَّبْقِ المُبِرَّ حَقِيقَا

لَكِنْ أَتَيْتَ مُصَلِّيًا بَرًّا بِهِمْ   ولقد تَرَى وتَرَى لَدَيْكَ طَرِيقَا(٣)



عاد الحديثُ إلى تفسيرِ الأبياتِ المتقدِّمة :

قولُه « لعلّكَ تَحْمِي عن صِحَابٍ بطَعْنَة » يقال : « حَمَيْتُ الناحِيَةَ أَحْمِيها حَمْيًا وحِمَايَةً » ، كما قال الفَرَزْدَقُ :

---

(١) العيوق : نجم أحمر مضىء فى طرف المجرة الأيمن يتلو الثريا .

(٢) نفورة : بضمتين ، من المنافرة ، كالحكومة من المحاكمة ، وهى المفاخرة فى الأحساب .

(٣) فى س « إليك صديقاً » .

وإذَا النُّفُوسُ جَشَأْنَ طَأْمَنَ جَأْشُها ... ثِقَةً لهــا بحِمايَةِ الأدْبارِ[1]

ومعنى ذلك : مَنَعْتُ ودَفعتُ ، ويقال « أَحْمَيْتُ الأرضَ » أى : جعلتُها حِمًى لا تُقْرَبُ ، و « أحْمَيْتُ الحديدَ أُحْمِيهِ إحْمَاءً » و « حَمَيْتُ أَنْفِي حَمِيَّةً » يافتى : إذَا أنتَ أَبَيْتَ الضَّيْمَ . و « صِحَابٌ » : جمعُ « صاحِبٍ » وقد يقالُ : هو جمعُ « صَحْبٍ » كما تقول « تاجرٌ وتَجْرٌ » و « راكبٌ ورَكْبٌ » ونحو ذلك ، ثم تجمع « صَحْبًا » على « صِحَابٍ » كقولك « كَلْبٌ وكِلابٌ » و « فَرْخٌ وفِراخٌ » فهذا مذهب حَسَنٌ ، ومن قال : هو جمعُ « صاحِبٍ » فنظيره « قائمٌ وقِيامٌ » و « تاجرٌ وتِجارٌ » .

وقوله « لها عَانِدٌ يَنْفِي الحَصَا » يعنى الدَّم ، يقال « عَنَدَ العِرْقُ » : إذا خرج الدَّمُ منه بِحِدَّةٍ ، و « ينفى الحَصَا » يعنى الدَّمَ بشدة جَرْيِه ، كما قال :

« مُسْحَنْفِرَةٌ » تَنْفِي الحَصَا عن طَرِيقِها ... [يُقَطِّعُ أَحْشَاءَ الرَّعِيبِ انْتِشارُها][2]

يعنى طعنةً ، وقال آخرُ في صفةِ طعنةٍ :

ومُسْتَنَّةٍ كَاسْتِنانِ الخَرُو ... فِ قَدْ قَطَعَ الحَبْلَ بالمِرْوَدِ

والخَروفُ ههنا : إنما هو الفَلُوُّ الصغير[3] .

وقولُه :

« وأَكْرِمْ كَرِيمًا إنْ أتاكَ لحاجةٍ ... لِعاقبةٍ إنَّ العِضَاهَ تَرَوَّحُ »

---

(١) جشأن : تطلعن وجزعن فزعا . طأمن : سكن ، وهو هنا فعل لازم ، فاعله « جأشها » . والجأش : رواع القلب إذا اضطرب عند الفزع .

(٢) « مُسْحَنْفِرَةٌ » : متتابعة الصب . « الرعيب » : الجبان المرعوب .

(٣) « الفلو » بفتح الفاء أو ضمها مع ضم اللام وتشديد الواو ، وأيضاً بكسر الفاء وإسكان اللام وتخفيف الواو — : هو الجحش أو المهر .

يقولُ : الشجرُ يُصيبُه النَّدَى فى آخرِ الصَّيفِ فَيَنْشَأُ له وَرَقٌ ، فيقولُ : لعلَّكَ تحتاجُ إلى هذا الكريمِ وقد قَدَرَ .

ومثلُه :

ولاتُهِينَ الكريمَ عَلَّكَ أَنْ ... تَرْكَعَ يومًا والدَّهرُ قد رَفَعَهْ

أراد « ولا تُهِينَنْ » بالنون الخفيفة ، فحذفها لالتقاء الساكنين ، وهذا الحكم فيها .

ومثلُه فى المعنى قولُ عَبَّادِ بن عَبَّادِ بن حَبيبِ بن المُهَلَّبِ :

إذا خَلَّةٌ نابَتْ صديقَكَ فاغْتَنِمْ ... مَرَمَّتَها فالدهرُ بالناس قُلَّبُ[1]

وبادِرْ بمعروفٍ إذا كنتَ قادرًا ... زَوَالَ اقْتِدارٍ أوغِنًى عنك يُعْقِبُ

[« زَوَالَ » مفعولٌ لِـ« بادِرْ » قاله ش] ومثلُ هذا كثيرٌ .

وقال جعفرُ بن محمد بن عليٍّ بن الحسين ـ رحمهم الله ـ : إنِّى لَأُسارِعُ إلى حاجة عَدُوِّى خوفًا من أن أَرُدَّهُ فيَستغنِيَ عنِّى .

وقال رجلٌ من العرب : ما رددتُ رجلاً عن حاجة فَوَلَّى عنِّى إلاَّ رأيتُ الغِنَى فى قَفاهُ .

وقال عبدُ الله بن العباس بن عبد المطلب : ما رأيتُ أحداً أسْعَفْتُهُ فى حاجةٍ إلاَّ أضاء ما بَيْنِى وبينَه ، ولا رأيتُ رجلاً رددتُه عن حاجةٍ إلاَّ أظلَم ما بينِى وبينَه .

وقال عمرُ بن الخطاب رحمه الله ـ : مَنْ يَئِسَ من شَىء استَغْنَى عنه .

---

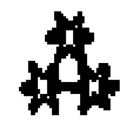
(١) فى د « خليلك » بدل » صديقك » .

وقال عبدُ الله بن هَمام السَّلُولِىُّ :

فأَخْلِفْ وأَتْلِفْ إنما المالُ عارَةٌ فكُلْهُ معَ الدّهرِ الذى هو آكِلُهْ

فأَهْوَنُ مفقودٍ وأَيْسَرُ هالِكٍ على الحىِّ من لا يَبْلُغُ الحىَّ نائِلُهْ

« عارةٌ » أى مُعارٌ ، ووزنه « فَعَلَةٌ » .



وقال أحدُ المحْدَثين [هو محمودُ الورّاقُ] وليس من هذا الباب ولكنّا ذكرناه فى الإعارَة ـ :

أعارَكَ مالَهُ لِتقومَ فيه بطاعتِهِ وتَعرِفَ فَضْلَ حَقِّهْ (١)

فلم تَشكُرْهُ نِعْمَتَهُ ولكِنْ قَوِيتَ على مَعاصِيهِ بِرِزْقِهْ

تُجاهِرُهُ بِها عَوْدًا وبَدْءًا وتَستَخْفى بها مِن شَرِّ خَلْقِهْ

وقال جريرٌ :

وإنّى لَأَستَحْيِى أَخِى أنْ أَرَى له عَلَىَّ من الحقِّ الذى لا يَرَى لِيَا

هذا بيتٌ يحمِلُه قومٌ على خِلَافِ معناهُ ، وإنما تأويلُه : إنّى لأَستَحْيِى أخِى أنْ يكونَ له علىَّ فضلٌ ولا يكونَ لى عليه فضلٌ ومِنّى إليه مُكافأَةٌ ، فأستحيِى أنْ أرَى له علىَّ حقًّا لِمَا فَعَلَ إلىَّ ، ولا أفعلَ إليه ما يكونُ لِى به عليه حَقٌّ ، وهذا مِن مذاهبِ الكِرام ، ومِمّا تأخذُ به أنفُسَها (٢) .

(١) فى ب « بعض حقه » .

(٢) فى ب « ومما نأخذ به أنفسنا » .

فأمّا قولُ عائِدِ الكَلْبِ الزُّبَيْرِيّ [اسمُه « عبدُ الله بن مُصْعَبٍ الزُّبيريّ » وسُمّيَ « عائدَ الكلبِ » بقوله :

مَالِيَ مَرِضْتُ فلم يَعُدْنِي عَائِدٌ ... منكم ويَمْرَضُ كَلْبُكُمْ فأعُودُ

وأشَدُّ مِن مَرَضِي علَيّ صُدُودُكُمْ ... وصُدُودُ كَلْبِكُمُ علَيّ شَدِيدُ]

ـ : لعبد الله بن حَسَنِ بن حَسَنٍ :

له حَقٌّ وليس عليه حَقٌّ ... ومَهْما قال فالحَسَنُ الجَمِيلُ

وقدكانَ الرّسولُ يَرَى حُقوقاً ... عليه لغيرِهِ وهُوَ الرّسولُ

ـ : فإنهُ ذَكَرَهُ بقِلّة الإنصافِ ، فقال: يَرَى له حقًّا على النّاس، ولا يَرَى لهم عليه حقًّا ، من أجل نَسَبِه برسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وبيّن ذلك بقوله :

وقد كان الرّسولُ يرى حقوقاً ... عليه لغـيره وهو الرسولُ

فالذي يَفتَخِرُ بِهِ عبدُ الله يَرَى للناسِ عليه حقًّا ، فالمُفْتَخِرُ بِهِ أجْدَرُ .

وقد قيل لعليّ بن الحُسَين ، وكان بَيّنَ الفَضْلِ رحمهُ الله ـ : ما بالُكَ إذا سافَرْتَ كَتَمْتَ نَسَبَكَ أهْلَ الرُّفْقَة ؟ فقال : أكرهُ أنْ آخُذَ برسول الله صلى الله عليه وسلم ما لاَ أُعْطِي مِثْلَهُ .

وإنما يَعتَرِي هذا البابُ ـ منَ الظُّلمِ وقِلّةِ الإنصاف للناس[١] والبُعْدِ من الرِّقّةِ عليهمُ ـ : الجَهَلَةَ من أهلِ هذا النَّسَبِ ، واللهُ جَلّ ذِكْرُه يقول لنبيّه صلى الله عليه وسلم : ﴿ بالمُؤْمِنِينَ رَءوفٌ رَحِيمٌ[٢] ﴾ وقال تعالى : ﴿ قُلْ إنِّي

---

(١) كلمة « للناس » ذكرت في بعض النسخ ، ولم تذكر في سائرها .

(٢) سورة التوبة (١٢٨) .

أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ[1]﴾ فإذا كان هُوَ — صلى الله عليه وسلم — يَخَافُ من المعصية فكيف يأمَنُها غيرُه به ؟ !

☆

وأما قولُ جريرٍ لهشامِ بن عبد الملك فهو المدحُ الصحيحُ على خلاف هذا المعنى ، قال :

وأنتَ إذا نَظَرْتَ إلى هِشامٍ عَرَفْتَ نِجارَ مُنْتَجَبٍ كَرِيمٍ[2]
وَلِيُّ الحقِّ حينَ يَؤُمُّ حَجًّا صُفوفًا بينَ زمْزَمَ والحَطِيمِ
يَرَى للمسلمِينَ عليــه حَقًّا كفِعْلِ الوالدِ الرَّؤُفِ الرَّحِيمِ
إذا بعضُ السِّنِينَ تَعَرَّقَتْنا كَفَى الأيْتامَ فَقْدَ أَبِي اليَتِيمِ[3]

وفي هذ الشعرِ :

أميرُ المؤمنينَ على صِراطٍ إذا اعْوَجَّ المَوَارِدُ مُسْتَقِيمِ
أميرَ المؤمنين جَمَعْتَ دِينًا وحِلْمًا فاضِلاً لِذَوِى الحُلُومِ
لَكَ المُتَخَيَّرانِ أَبًا وَخالاً فأَكْرِمْ بالخُؤُولَةِ والعُمُومِ
فَيَا بْنَ المُطْعِمِينَ إذا شَتَوْنَا ويا بْنَ الذَّائدِينَ عن الحَرِيمِ
سَمَا بِكَ خالدٌ وبنُو هِشامٍ إلى العَلْياء في الحَسَبِ الجَسِيمِ[4]

---

(١) سورة الأنعام (١٥) وسورة الزمر (١٣) ولم يذكر في الأصول هنا في أول الآية كلمة « قل » ، وكأنه يريد آخر الآية (١٥) من سورة يونس .

(٢) « منتجب » بهامش ع : « بالجيم والخاء معجمة » وبذلك طبعت في طبعة أوربة ، فهي بالجيم من « انتجبه » إذا استخلصه واصطفاه ، وبالخاء من « انتخبه » إذا اختاره . و « النجار » بكسر النون وضمها : الأصل .

(٣) « تعرقتنا » بالقاف في نسخة ، وهو الصواب ، وفي سائر النسخ بالفاء ، وهو خطأ . ومعنى تعرقتنا : أخذت ما على العظم من اللحم .

(٤) في س « الصميم » وكتب عليها « صح » .

[وَهِمَ أبو العباس في قوله « وبَنُو هشامٍ » وإنما وَقَع في شعره « وأبو هشامٍ » وهو الصحيحُ ، يُرِيدُ إسمٰعيلَ بن هشامٍ ، وهو جَدُّهُ من قِبَلِ أُمِّه] .

وتَنْزِلُ مِنْ أُمَيَّةَ حَيْثُ تَلْقى ... شُؤُونُ الرَّأسِ مُجْتَمَعَ الصَّمِيمِ (١)

تواصتْ مِن تَكَرُّمِها قُرَيْشٌ ... بِرَدِّ الخَيْلِ دامِيَةَ الكُلُومِ

فَما الأُمُّ التي وَلَدَتْ قريشاً ... بِمُقْرِفَةِ النِّجارِ ولا عَقِيمِ (٢)

وما فَحْلٌ بأَنْجَبَ مِن أبيكُمْ ... ولا خَالٌ بأَكْرَمَ من تَمِيمِ

سَمَا أولادُ بَرَّةَ بِنتِ مُرٍّ ... إلى العَلْياء في الحَسَبِ العظيمِ

لك الغُرُّ السَّوابِقُ من قريشٍ ... فقد عُرِفَ الأَغَرُّ من البَهِيمِ

⁂

قولهُ : «حين يؤُمُّ حَجًّا» فيكون « الحجُّ » جمعَ « حاجٍّ » كما يقال: « تاجرٌ وتَجْرٌ ، وراكبٌ ورَكْبٌ » قال العَجّاجُ :

بوَاسِطٍ أَكْرَمُ دارٍ دارَا ... واللّٰهُ سمَّى نَصْرَكَ الأَنْصارَا

فأخرَجَه على « ناصرٍ ونَصْرٍ » . قال : ويجوزُ أن يكونَ «حَجٌّ» : أصحابَ حَجٍّ ، كما قال الله عز وجل : ﴿واسْأَلِ القَرْيَةَ (٣)﴾ يريد : أهْلَها .

وقولهُ « كفعلِ الوالد الرَّؤُفِ الرَّحِيم » يقال « رَؤُفٌ » على « فَعُلٍ »

---

(١) يجوز في « تلقى » أن تكون بالتاء الفوقية وبالياء التحتية ، وفي « شؤون » الرفع والنصب ، وكذلك في « مجتمع » أحدهما فاعل « يلقى » والآخر مفعوله ، على التبادل بينهما في ذلك . وبهذه الأوجه ضبطت الكلمات في طبعة أوربة . وقوله « الصميم » كتب بجوارها في هامش ع « صح » وبدلها في ب « العميم » ولا وجه له .

(٢) « بمقرفة النجار » : من الإقراف ، وهو مداناة مايهجن النسب .

(٣) سورة يوسف (٨٢) .

مثلُ «يَقُظٍ وحَذُرٍ» و «رءوفٌ» على وزن «ضَرُوبٍ». وقال الأنصارىُّ [هو كَعْبُ بن مالك].

نُطِيعُ نَبِيَّنا ونُطِيعُ رَبًّا   هو الرَّحمٰنُ كان بنا رَءوفا

وقد قُرِئ: ﴿وَاللّٰهُ رَؤُفٌ بِالْعِبَادِ[1]﴾ و «رءوفٌ» أكثرُ، وإنما هو من الرَّأفة، وهى أشَدُّ الرَّحمةِ، ويقالُ «رَآفَةٌ» وقُرِئَ: ﴿وَلاَ تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَآفَةٌ فِى دِينِ اللّٰهِ[2]﴾ على وزن الصَّرامَةِ والسَّفاهَةِ.

وقولُه «إذا بعضُ السِّنِينَ تعرَّقَتْنا[3]» يُفَسَّرُ على وجهين: أحدُهما: أن يكونَ ذهبَ إلى أنَّ بعضَ السِّنِينَ سِنُونَ[4]، كما قال الأعْشَى:

وتَشْرَقُ بالقولِ الذى قد أذَعْتَهُ   كما شَرِقَتْ صَدْرُ القَناةِ منَ الدَّمِ[5]

لأن صَدْرَ القناة قَناةٌ، ومن كلام العرب: ذَهَبَتْ بعضُ أصابعه، لأن بعضَ الأصابعِ إصْبَعٌ، فهذا قولٌ.

والأَجْوَدُ: أن يكونَ الخبرُ فى المعنى عن المضاف إليه، فأقْحَمَ المضافَ إليه توكيداً، لأنه غيرُ خارجٍ من المعنى، وفى كتاب الله عزّ وجل: ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ[6]﴾ إنما المعنى: فَظَلُّوا لها خاضعينَ، والخضوعُ بَيِّنٌ

(١) سورة البقرة (٢٠٧) وسورة آل عمران (٣٠). والذى فى كل نسخ الكامل «إن الله رؤف بالعباد» ولا توجد آية بهذه التلاوة، فهو خطأ من الناسخين أو من المؤلف.

(٢) سورة النور (٢). والقراءة بمدّ الهمزة هى قراءة ابن جريج، ورويت عن عاصم وابن كثير، كما فى البحر لأبى حيان (٦: ٤٢٩). وانظر الطبرى (١٨: ٥٤).

(٣) فى نسخة بالقاف، وفى سائرها بالفاء، وهو خطأ، وقد سبق الكلام على ذلك فى الحاشية (رقم٣س٤٨٣).

(٤) فى ج و س ود «إلى أن بعض السنين يؤنث، لأنه سنة وسنون» والمراد من هذا كله أنه أنث الفعل على إرادة السنة أوالسنين، ولو راعى لفظ «بعض» لقال «تعرقنا» بالتذكير.

(٥) «تشرق» من «شرق» الشىء، بكسر الراء «شرقا» بفتحها: اشتدّت حمرته بدم أو غيره، كنى بذلك عن قتله، كما قال المرصفى

(٦) سورة الشعراء (٤). وانظر الكشاف (٣: ١٠٧).

فى الأعناقِ ، فأَخْبَرَ عنهم ، فأَقْحَمَ الأَعْناقَ توكيداً ، وكان أبو زيدٍ الأنصاريُّ يقولُ : أعناقُهم جماعاتُهم ، تقولُ : أتانى عُنُقٌ من النّاسِ ، والأوّلُ قولُ عامّةِ النحويين . وقال جريرٌ :

لَمّا أتَى خَبَرُ الزُّبَيْرِ تَوَاضَعَتْ   سُورُ المدينةِ والجبالُ الخُشَّعُ(١)

وقال أيضًا :

رأتْ مَرَّ السِّنِينَ أَخَذْنَ مِنِّى   كما أَخَذَ السِّرارُ من الهِلاَلِ(٢)

وقال ذو الرُّمَّةِ :

مَشَيْنَ كما اهتَزّتْ رِماحٌ تَسَفَّهَتْ   أَعالِيَها مَرُّ الرِّياحِ النَّوَاسِمِ(٣)

[زَعمَ بعضُهم أنَّ البيتَ مصنوعٌ ، والصحيحُ فيه «مَرْضَى الرِّياحِ النَّوَاهِمِ» والمَرْضَى : التى تَهُبُّ بلِينٍ(٤)] ومِثْلُ هذا كثيرٌ .

وعلى مِثْلِ هذا القولِ الثانى تقول : « يا تَيْمَ تَيْمَ عَدِيٍّ » لأنك أردت « يا تَيْمَ عَدِيٍّ » وأقْحَمْتَ الأوّلَ توكيداً [كذا وقع « وأقحمتَ الأوّل توكيداً » وإنما الصحيحُ : وأقحمتَ الثانِىَ توكيداً] وكذلك «لا أَبالَكَ» لأن الألف لا تثبُتُ فى « الأبِ » فى النصب إلاّ فى الإضافة ،

---

(١) فى ب « الخُضَّعُ » .

(٢) « السرار » بفتح السين وكسرها : آخر ليلة من الشهر يستسر فيها الهلال . وفى هامش ع بدله «المُحَاقُ» وضبطت الميم بالحركات الثلاث ، وهو بمعنى السرار .

(٣) فى ب ونسخة بهامش ع « مَرَّتْ » بدل « اهتزت » . ومعنى « تسفهت » الخ : حركتها واستخفتها .

(٤) «والنواهم» : قال المرصفى : من النهيم ، وهو شبه الأنين ، استعاره لصوت حفيفها ، بمناسبة إثبات المرض لها .

أو بدلاً من التنوينِ ، فإنّما أرادَ «لا أباكَ» ثم أقْحَمَ اللّامَ توكيداً للاضافةِ ، وأنشدَ المازِنيُّ :

وقد ماتَ شمّاخٌ وماتَ مُزَرّدٌ وأيُّ كَريمٍ لا أباكِ يُخَلَّدُ ؟

وقال آخرُ :

أبالموتِ الّذي لا بُدَّ أنّي مُلاقٍ لا أباكِ تُخَوِّفِيني ؟

وقولُه : « على صِراطٍ » فالصّراطُ : المِنْهاجُ الواضحُ ، وكذلك قالت العلماء في قولِ الله عزّ وجل : ﴿ اهْدِنا الصِّراطَ المستقِيمَ ﴾ .

وقولُه : « سَمَا بكَ خالِدٌ » يريدُ : خالدَ بنَ الوليد بنِ المُغيرةِ بن عبدِ الله بن عُمَرَ بن مَخْزُومٍ بن يَقَظَةَ بن مُرَّةَ بن كَعْبٍ ، لأن أُمَّ هشامٍ بنتُ هشامِ بن إسماعيلَ بن هشامِ بن المغيرة بن عبد الله بن عُمَرَ بن مخزوم ، وكان هشامُ بنُ المغيرةِ أجَلَّ قُرَشِيٍّ حِلْماً وجُوداً ، وكانت قريشٌ تُؤَرِّخُ بموتِهِ ، كما كانت تُؤَرِّخُ بعام الفِيلِ وبِمُلْكِ فلانٍ ، قال الشاعر :

* زَمانَ تَنَاعَى الناسُ موتَ هِشَامِ *

ومن أجْلِهِ يقولُ القائلُ :

فَأَصْبَحَ بَطْنُ مَكَّةَ مُقْشَعِرًّا كَأَنَّ الأَرضَ ليس بها هِشَامُ

يقول : هُوَ وإن كان ماتَ فهو مدفونٌ في الأرض ، فقد كان يَجِبُ من أجله أن لا ينالَها جَدْبٌ . وقال الآخَرُ :

ذَرِيني أَصْطَبِحْ يَاسَلْمَ إِنّي رأيتُ الموتَ نَقَّبَ عن هِشَامِ

قوله « نَقَّبَ » أي طَوَّف حتى أصابَ هشامًا ، قال الله عز وجل : ﴿ فَنَقَّبُوا في البِلادِ[1] ﴾ أي طَوَّفُوا ، ومثلُه قولُ امْرِئِ القَيْسِ :

---

(١) سورة قٓ (٣٦) .

وقد نَقَّبْتُ فِي الآفَاقِ حتَّى رَضِيتُ من الغَنِيمةِ بالإِيَابِ[(١)]

☆

فأما التأريخُ الذى يُؤَرَّخُ به اليومَ : فأوّلُ مَن فعلَه فى الإسلام عمرُ بن الخطّاب رحمه الله . حيث دَوَّنَ الدَّوَاوِينَ ، فقيل له : لو أَرَّخْتَ — يأميرَ المؤمنين — لكنتَ تَعْرِفُ الأمور فى أوقاتها ؟ فقال : وما التَّأْرِيخُ ؟ فأُعْلِمَ ما كانت العجمُ تفعلُه ، فقال : أَرِّخُوا ، فقالوا: مُذْ أَيِّ سنَةٍ ؟ فاجتمعوا على سنَةِ الهجرةِ ، لأنه الوقتُ الذى حكَمَ فيه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على غير تَقِيَّةٍ ، ثم قالوا : فى أى شهرٍ ؟ فقالوا : نَسْتَقْبِلُ بالناس أمورَهم فى شهرِ المحرَّم إذا انْقَضَى حَجُّهُمْ ، وكانت هجرَةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شهر ربيع الآخر [الذى اتُّفِق عليه أن هجرةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت فى ربيع الأول ، وفيه مات صلى الله عليه وسلم] فَقُدِّمَ التأريخُ على الهجرة هذه الأشهُرَ[(٢)] ، وجاء فى تصحيح هذا الوقت ، أعنى المحرَّمَ — : ما رُوِىَ لنا عن ابن عباسٍ رحمه الله ، فإنه قال فى قول الله عز وجل : ﴿ وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ

(١) فى ج و د « طَوَّفْتُ » بدل « نقبت » .

(٢) فى فتح البارى للحافظ ابن حجر (٧ : ٢٠٩) : « أخرج أبو نعيم الفضل بن دكين فى تاريخه ، ومن طريقه الحاكم ، من طريق الشعبي : أن أبا موسى كتب إلى عمر : إنه يأتينا منك كتب ليس لها تاريخ . فجمع عمر الناس ، فقال بعضهم : أرِّخ بالمبعث ، وبعضهم : أرِّخ بالهجرة ، فقال عمر : الهجرة فرقت بين الحق والباطل ، فأرخوا بها ، وذلك سنة ١٧ ، فلما اتفقوا قال بعضهم : ابدءوا برمضان ، فقال عمر : بل بالمحرم ، فإنه منصرف الناس من حجهم ، فاتفقوا عليه » . ثم نقل آثاراً أخرى وقال : « فاستفدنا من مجموع هذه الآثار أن الذى أشار بالمحرم عمر وعثمان وعلىّ » .

عَشْرٍ﴾ قال : فأقْسَمَ بِفَجْرِ السَّنَةِ ، وهو المحرَّمُ(١) .

❊

وقولهُ « فما الأمُّ التي ولَدَتْ قريشاً » يعنى بَرَّةَ بنت مُرٍّ ، كانت أُمَّ النَّضْرِ بن كِنانَة ، وهو أبو قُرَيْشٍ ، ومَنْ لم يكنْ من وَلَدِهِ فليس بقُرَشِيٍّ ، وتميمُ بن مُرٍّ خالُهُ .

وكان يقالُ : مَنْ عَرَفَ حَقَّ أخيه دام له إخاؤُهُ ، ومَنْ تكبَّرَ على الناس ورجا أن يكون له صَديقٌ فقد غرَّ نفسَه .

وقيلَ : ليس لِلَجُوجٍ تَدْبيرٌ ، ولا لِسَيِّءِ الخُلُقِ عَيْشٌ ، ولا لِمُتَكبِّرٍ صديقٌ .

وقيل : مَنْ بَسَطَ بالخير لسانَهُ انبسطتْ فى القلوب محبَّتُهُ ، والمِنَّةُ تُفْسِدُ الصَّنيعَةَ .

ويُروى أنّ شاعراً أتَى أبا البَخْترىِّ [« البَخْترىُّ » بفتح الباء وبالخاء المعجمة] وَهْبَ بنَ وَهْبٍ ، وكان من أَجْوَدِ النَّاس ، وكان إذا سمع مَدْحَ المادح ضَحِك وسَرَى السُّرُورُ فى جوانحه ، وأعطَى وزَادَ ، فأتاهُ هذا الشاعرُ فأنشده :

لكُلِّ أخِي فَضْلٍ نَصيبٌ من العُلاَ ... ورأسُ العُلاَ طُرّاً عَقيدُ النَّدَى وَهْبُ
وما ضَرَّ وَهْباً قولُ مَنْ غَمِطَ العُلاَ ... كما لاَيَضُرُّ البَدْرَ يَنْبَحُهُ الكَلْبُ

(١) هذه رواية عن ابن عباس ، رواها عنه سعيد بن منصور والبيهقى فى شعب الإيمان وابن عساكر ، والرواية الصحيحة عنه ، التى اقتصر عليها الطبرى وابن كثير — : أن الفجر هو فجر النهار ، وانظر الدرّ المنثور (٦ : ٣٤٤) .

[«غَمِطَ» كَفَرَ النعمةَ ، و «غَمَط» ويقالُ أيضا : تَنَقَّصَ] فثَنَى لهُ الوِسادَةَ ، وهَشَّ إليه ورَفَدَهُ ، وحملَهُ وأضافه ، فلمَّا أنْ أرادَ الرجلُ الرِّحْلَةَ[1] لم يَخْدُمْهُ أحدٌ من غِلمانِ أبي البَخْتَرِيِّ ، ولا عَقَدَ لهُ ولا حَلَّ معه ! فأنكَرَ ذلك مع جَميلِ ما فَعَلَ بِهِ وأنهُ قد تجاوَزَ بِهِ أَمَلَه ، فَعاتَبَ[2] بعضَهم ، فقال لَه الغلامُ : إنَّا إنما نُعينُ النازِلَ على الإقامةِ ، ولا نُعينُ الراحِلَ على الفِراق ، فبلغَ هذا الكلامُ جَليلاً من القُرَشِيِّين ، فقال : واللهِ لَفِعْلُ هؤلاءِ العَبيدِ على هذا القَصْدِ أحْسنُ من رِفْدِ سَيِّدِهِمْ !

بــاب

قال عبدُ الملكِ بن مَرْوانَ يومًا لجلَسائه ـ وكان يَجْتَنِبُ غيرَ الأُدَباء ـ : أيُّ المَناديلِ أفضلُ ؟ فقال قائلٌ منهم : مناديلُ مصرَ ، كأنَّها غِرْقِئُ البَيْضِ [«الغِرقِئُ» يهمزُ ولا يهمزُ ، وكذلك فِعْلُه] ، وقال آخرُ : مناديلُ اليمن ، كأنها أنْوارُ الرَّبيعِ ، فقال عبدُ الملك : ما صَنَعْتُما شيئًا ، أفضلُ المناديلِ ما قال أخو تَميم ، يعني عَبْدَةَ بنَ الطَّبيب [«عَبْدة» بإسكان الباء] :

لَمَّا نَزلنا نَصَبْنَا ظِلَّ أَخْبِيَةٍ ... وَفَارَ لِلقومِ باللَّحمِ المَراجيلُ
وَرْدٌ وأَشْقَرُ ما يُؤْنِيهِ طَابِخُهُ ... مَا غَيَّرَ الغَلْيُ منه فهْوَ مأكولُ
ثُمَّتَ قُمْنَا إلى جُرْدٍ مُسَوَّمَةٍ ... أعْرافُهُنَّ لِأَيْدينا مَناديلُ

---

(١) في س «الرحيل» .

(٢) في ج و د «فعتَبَ» .

قوله « غرقئ البيض » يعنى : القشرةَ الرقيقةَ التى تَرْكَبُ البيضةَ دونَ قشرِها الأعلَى ، وقشرُها الأعلَى يقال له « القَيْضُ » .

وقولُه ، « المَرَاجِيلُ » إنما حَدُّهُ « المَرَاجِلُ » ولكن لمّا كانت الكسرةُ لازمةً أشبَعَها للضرورة ، كما قال .

* نَفْىَ الدَّرَاهِيمِ تَنْقَادُ الصَّيَارِيفِ *

[الحجة فى « الصياريف »] وقد مَرَّ تفسيرُ هذا .

وقولُه : « وَرْدٌ وأَشْقَرُ ما يُؤْنِيه طابِخُهُ » يقولُ : ماتَغَيَّر من اللحم قبلَ نُضْجِهِ .

وقوله « ما يُؤْنِيه طابِخُه » يقول : ما يُؤَخِّرُه ، لأنه لوآناهُ لَأَنْضَجَه ، لأن معنى « آناهُ » بلَغ به إناهُ : أى إدراكَهُ ، قال الله عز وجل : ﴿ إلى طعامٍ غَيْرَ ناظِرِينَ إناهُ(١) ﴾ وتقول « أَنَى يَأْنِى إِنًى » إذا أَدْرَكَ ، « وآنَ يَئِينُ » مثلُه . وقولُه عز وجلّ : ﴿ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ(٢) ﴾ أى قد بلَغَ إناهُ .

وقولُه : « ما غَيَّرَ الغَلْىُ منه فهو مأكولُ » يقول : نحنُ أصحابُ صَيْدٍ ، وهذا مِن فعلهم [العربُ لا تُنْضِجُ اللحمَ ، إمّا لاستعجالها للضّيف ، وإما لأنَّ ذلك مستحبٌّ عندها ، فلذلك قال : « لا يُؤْنِيه » وقيل : لتعجيلِ القِرَى] .

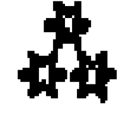
وقوله « مُسَوَّمَةٍ » تكونُ على ضَرْبَيْنِ : أحدُهما : أن تكونَ مُعْلَمَةً ،

---

(١) سورة الأحزاب (٥٣) .

(٢) سورة الرحمن (٤٤) .

والثانى : أن تكونَ قد أُسِيمَتْ فى المَرْعَى ، وهى ههنا مُعْلَمَةٌ ، وقد مَضَى هذا التفسيرُ .



وإنما أخَذَ ما فى هذه الأبياتِ من بيتِ أمرئ القيسِ ، فإنه جَمَعَ ما فى هذه الأبياتِ فى بيتٍ واحدٍ ، مع فضلِ التقدُّمِ :

نَمُشُّ بأَعْرَافِ الجِيادِ أَكُفَّنَا ... إذا نحْنُ قُمْنَا عن شِوَاءٍ مُضَهَّبِ

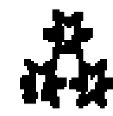
وهو الذى لم يُدْرِكْ ، « ونمشُّ » نَمْسَحُ ، ويقال للمِنْدِيل « المَشُوشُ » ، وكانت العربُ تأْلَفُ الطِّيبَ ، وتَطْرَحُ ذلك فى حالتين : فى الحرب والصَّيدِ ، قال النابغةُ :

سَهِكِينَ من صَدَإِ الحَدِيدِ كأنَّهمْ ... تحْتَ السَّنَوَّرِ جِنَّةُ البَقَّارِ[1]

وقال آخر :

وأسْيافُكُمْ مِسْكٌ تحَلُّ أكُفَّكُمْ ... على أنَّها رِيحَ الدِّماءِ تَضُوعُ

[« تَضَوَّعُ » روايةٌ] معنى « تَضُوعُ » تفُوحُ[2] .

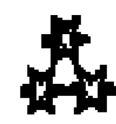


ورُوِيَ عن ابنةِ هانئ بن قَبِيصَةَ [ذَكَرَ يعقوبُ أنها ابنةُ قَيْسِ بن خَالدٍ

(١) « السهك » بفتح السين والهاء : ريح كريهة تجدها من الإنسان إذا عرق ، ولولا لبسهم الدروع التى صدئت ماوصفهم بالسهك . و « السنور » بفتح السين والنون وتشديد الواو المفتوحة : جملة السلاح ، وخص بعضهم به الدروع . و « البقار » بفتح الباء وتشديد القاف : موضع معروف عندهم بكثرة الجن . وجاء البيت على الصواب فى لسان العرب مادة « ش هـ ل » وفى مادة « ش ن ر » « جبة البقار » وهو تصحيف . وانظر صفة جزيرة العرب (ص ١٢٤ س ٧ و ١٢٨ س ٧ و ١٥٤ س ١٢) .

(٢) فى حاشية ج : « ضاعَ الشىءَ يَضُوعُه : إذا هَزَّهُ . وأضاع الشىء : إذا أهلكه » .

الشيباني . ش] : أنه لما قُتِلَ عنها لَقيطُ بن زُرَارَةَ بنِ عُدُسَ بن زيد بن عبدالله بن دَارِم بن مالك بن حَنْظَلَةَ فتزوّجها رجلٌ من أهلها ، فكان لايزالُ يراها تذْكر لَقِيطًا ، فقال لها ذات مَرّةٍ : مااستحسنْتِ مِن لَقيطٍ ؟ فقالت : كُلُّ أمورِه كانتْ حسنةً ، ولكني أُحَدِّثُكَ : أنّه خرجَ مرةً إلى الصيد وقد انْتَشَى ، فرجَعَ وبقميصه نَضْخٌ من دَمِ صيده ، والمِسْكُ يَضُوعُ من أعْطافِهِ ، ورائحةُ الشّراب مِنْ فيه ، فَضَمَّنِي ضَمّةً ، وشَمَّنِي شَمَّةً ، فليتَنِي كنت مِتُّ ثَمَّهْ ! ! قال : ففعل زوجُها مثلَ ذلك ، ثم ضمها إليه ، وقال أينَ أنا مِنْ لَقيطٍ ؟ فقالت : ماءٌ ولا كَصَدْءاء ـ مثلُ « حَمْراء » ووزنُها «فَعْلاء» وموضع اللام همزة ، وهى بئر مُقَدَّمَةٌ ، واسمها ما ذكرنا عن الأصمعِيّ وأبى عبيدة ، وكذلك سمعنا العربَ تقولهُ ، ومَنْ ثَقّلَ فقد أخطأ ، ومثلُ ذلك : رجلٌ وَلاَ كمالِكٍ [فما يُقالُ[1] : فتًى ولا كمالِكٍ ، وقد تقدم لأبى العباسِ : فَتًى ، وهو الصوابُ] يَعْنُونَ مالكَ بنَ نُوَيْرَةَ ـ : ومَرْعًى ولا كالسَّعْدانِ .



وحدثنى علىُّ بن عبد الله عن ابنِ عائشةَ قال[2] : كانَ ذو الإِصْبَعِ العَدْوانىُّ رجلاً غَيُوراً ، وكانت له بناتٌ أربعٌ ، وكان لا يُزَوِّجُهُنّ غَيْرَةً ، فاستَمَعَ عليهنّ[3] يوماً ، وقد خَلَوْنَ يَتَحَدَّثْنَ[4] ، فقالت قائلةٌ منهنّ : لِتَقُلْ

(١) قال المرصفى : « صوابه : إنما يقال » والذى ألجأه إلى هذا ظنه أن « ما » نافية ، ولكنها هنا موصولة ، والمعنى : فالذى يقال الخ .
(٢) انظر هذه القصة أيضا فى الأغانى (ج ٣ ص ٤ ـ ٥ ساسى و ج ٣ ص ٩٤ ـ ٩٦ دار الكتب) .
(٣) فى ج و د « إليهنّ » .
(٤) فى س « ليتحدثن » .

كلُّ واحدة منكنَّ مافى نفسِها ، ولْنَصْدُقْ جميعاً ،قال: فقالت كُبْرَاهُنَّ :

أَلا لَيْتَ زوْجِي من أُناسٍ ذَوِي غِنًى
حَديثُ الشَّبابِ طيِّبُ النَّشْرِ والذِّكْرِ
لَصُوقٌ بأَكْبَادِ النِّساء كأَنّه خَليفةُ جانٍ لا يُقِيمُ عَلَى هَجْرِ (١)

قال : وقالت الثانيةُ :

أَلاَ لَيْتَهُ يُعْطَى الجمالَ بَدِيئةً له جَفْنَةٌ تَشْقَى بها النِّيبُ والجُزْرُ (٢)
له حَكَمَاتُ الدَّهْرِ من غَيرِ كَبْرَةٍ تَشِينُ فَلاَ فَانٍ وَلاَ ضَرَعٌ غُمْرُ (٣)

[أَخْذُ التَّجارِبِ(٤)، وهو مأخوذٌ من حَكَمَةِ اللّجام . ش] فَقُلْنَ لها : أنتِ تُريدينَ سَيِّداً ! فقالت الثالثةُ :

أَلاَ هَلْ تَرَاهَا مَرَّةً وَحَلِيلُهَا أَشَمُّ كَنَصْلِ السَّيْفِ عَيْنَ المهنَّدِ
عَلِيماً بِأَدْوَاء النِّسَاء وَرَهْطُهُ إذاما انْتَمى منْ أهلِ بَيْتِي ومَحْتِدِى (٥)

[«حَلِيلُها» بفتح اللام وبالضم ، و «أشمُّ» مِثْلُهُ] فقلْنَ لها : أنتِ تُريدينَ أبْنَ عَمٍّ لكِ ، فقد عَرَفْتِهِ ! وقُلْنَ للصغرى : ما تقولين ؟ فقالتْ : لا أَقولُ شيئًا ، فَقُلْنَ : لانَدَعُكِ وذَاكِ أنَّكِ اطَّلَعْتِ على أسرارِنَا وتَكْتُمِينَ سِرَّكِ ! فقالت : زَوْجٌ من عُودٍ ، خَيْرٌ من قُعُودٍ ! ! قال : فَخُطِبْنَ فَزَوَّجَهُنَّ جُمَعَ ، ثم أمْهَلَهُنَّ حَوْلاً ، ثم زارَ الكُبْرَى ، فقال لها : كيفَ رأيتِ زوجَكِ ؟

(١) فى س « حليفة حان » .
(٢) فى س « بديهة » وهى بمعنى « بديئة » .
(٣) فى ج و د « من غير ريبة » . وفى حاشية ج « كبرة » وعليها علامة التصحيح .
(٤) هذا تفسير لقولها فى الشعر « حكمات » تريد : له أخذ التجارب .
(٥) بحاشية ج « فى أهل » .

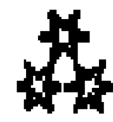
قالتْ : خيرَ زَوْجٍ ، يُكْرِمُ أهلَه ، ويَنْسَى فَضْلَهُ ، قال لهـا : فَمَا مَالُـكُمْ ؟ قالت : الإبِلُ ، قال : وما هى ؟ قالت : نَأْكُل لُحْمَانَها مُزَعًا(١) ، ونشربُ أَلْبانَها جُرَعًا ، وتَحْمِلنا وضَعَفَتَنَا مَعًا ، فقال لها : زوجٌ كريمٌ ، ومالٌ عَمِيمٌ . ثم زار الثَّانيةَ ، فقال لهـا : كيفَ رأيتِ زوجَكِ ؟ قالت : يُكْرِمُ الحَلِيلَةَ ، ويُقَرِّبُ الوَسِيلَةَ ، قال : فمـا مَالُـكُمْ ؟ قالت : البَقَرُ ، قال : وما هى ؟ قالت : تَأْلَفُ الفِنَاء ، وَتَمْلأُ الإناءَ ، وتُودِكُ السِّقَاء ، وَنِسَاءٌ مَعَ نِسَاءٍ ، قال لهـا : رَضِيتِ وحَظِيتِ . ثم زارَ الثَّالثةَ ، فقال لهـا : كيفَ رأيتِ زوجَكِ ؟ فقالت : لاسَمْحٌ بَذِرٌ ، ولا بَخِيلٌ حَكِرٌ(٢) ، قال : فمـا مالُـكُم ؟ قالت : المِعْزَى ، قال : وما هى ؟ قالت : لو كُنَّا نُوَلِّدُها فُطُمًا ، ونَسْلَخُها أَدَمًا ، لم نَبْغِ بِهَا نَعَمًا ، فقال لهـا : جِذوٌ مُغْنِيَةٌ . ثم زار الرَّابعةَ ، فقال لها : كيفَ رأيتِ زوجَكِ ؟ فقالت : شَرُّ زَوْجٍ ، يُكْرِمُ نفسَهُ ، ويُهِينُ عِرْسَهُ ، قال لهـا : فمـا مَالُـكُمْ ؟ قالت : شَرُّ مَالٍ : الضَّأْنُ ! قال لهـا : وما هُنَّ ؟ قالت : جُوفٌ لايَشْبَعْنَ ، وهِيمٌ لايَنْقَعْنَ ، وصُمٌّ لايَسْمَعْنَ ، وَأَمْرَ مُغْوِيَتِهِنَّ يَتْبَعْنَ ، فقال : أَشْبَهَ أمْرُؤٌ بعضَ بَزِّهِ : [أشبَه أمْرَأً بعضُ بَزِّهِ = رواية] فأرسَلَها مثلاً(٣) .

---

(١) « مزعا » جمع « مزعة » بضم الميم ، وهى القطعة من اللحم .

(٢) « الحـكر » : الذى لايزال يحبس سلعته حتى يبيع بالـكثرة من شدة حكره ، والمراد به هنا البخيل المقتر . وفى ج و د « حصر » بفتح الحاء وكسر الصاد المهملتين ، من « الحصر » بفتحهما ، وهو البخل أيضاً .

(٣) قال المرصفى : « يضرب للمتشابهين أخلاقا ، والبزّ : متاع البيت من الثياب خاصة ، كنى به عن الضأن ، وهى متاع » .



قال علىُّ بن عبد الله : قلتُ لابنِ عائشةَ : ما قولها « وأمْرَ مُغْوٍ يَتبعْنَ يَتْبَعْنَ » ؟ فقال : أَمَا تَرَاهُنَّ يَعْرُزْنَ فتسقطُ الواحدةُ منهنَّ فى ماء أو وَحَلٍ وما أشبهَ[1] ذلك فيَتْبَعْنَها إليه !

قولُ الثانيةِ : « له جَفنةٌ تَشْقَى بها النِّيبُ والجُزْرُ » فالنيبُ : جمعُ نابٍ ، وهى المُسنَّةُ ، وإنما قيلَ لها « نابٌ » لطُولِ نابِها . قال أوْسُ بنُ حَجَرٍ :

* تُشَبَّهُ نابًا وَهْىَ فى السِّنِّ بَكْرَةٌ[2] *

وتقدير « نِيبٍ » من الفعل « فُعْلٌ » ، ولكنْ ما كانَ من ذواتِ الياء كُسِرَ له موضعُ الفاء من الفعلِ لِتَصِحَّ الياء ، لأنَّ الياء إذا سَكَنَتْ وانضمَّ ما قبلَها كانت واواً فى الأصل ، نحو : «مُوقِنٍ ومُوسِرٍ» ، وإن فارَقَتْها الضَّمةُ عادتْ إلى أصلِها ، نحوُ قولك : «مَيَاسِيرُ» ، ومثلُ ذلك : «أبيضُ وبِيضٌ» ، وإنما «بِيضٌ» «فُعْلٌ» كـ«أحْمَرَ وحُمْرٍ» و «أصْفَرَ وصُفْرٍ» ، ولكنُ كُسِرَتِ النونُ[3] لتصحَّ الياء ، ولو كانت واواً فى الأصل لم تُغَيَّرْ ، نحوُ : «أسودَ وسُودٍ» . وقوله «نابٌ» تقديرها « فَعَلٌ » متحركةُ العينِ ، ولا تنقلبُ الياءُ ولاالواوُ أَلِفًا إلاَّ وَهُما فى موضِعِ حركةٍ وماقبلَهمامفتوحٌ ، نحو : «بَاعَ وقَالَ

---

(١) فى س و د « أوما أشبه » .

(٢) بهامش ع « فى العين » وعليها علامة الصحة .

(٣) قال المرصفى : « الصواب كسرت الباء » وهو غير سديد ، فان أبا العباس يريد تصريف « نيب » التى هى أصل البحث .

ورَمَى وغَزَا » لأن التقديرَ « فَعَلَ » ، ولوكان على « فَعْلٍ » لَصَحَّتِ الياءُ والواوُ ، كما تقول : بَيْعٌ وقَوْلٌ ، و « فَعَلٌ » قد يَجمعونَه على « فُعْلٍ » كقولهم : أَسَدٌ وأُسْدٌ ، ووَثَنٌ ووُثْنٌ .

وقولها: « تَشْقَى بها النِّيبُ والجُزْرُ» فإنَّما عَطفَتْ أحدَهما على الآخرِ لأنَّ مِنَ الإبلِ ما يكونُ جَزُوراً للنَّحْرِ لاغيْرُ .

وأمّا قولُها: « وَلاَ ضَرَعٌ غُمُرُ » فالضَّرَعُ : الضعيفُ ، والغُمْرُ : ٱلذى لم يُجَرِّب الأمورَ[1] .

❀

ويُرْوَى : أَنَّ الحجاجَ لَمَّا وَرَدَ عليه ظَفَرُ المُهَلَّبِ بن أَبِى صُفْرَةَ وَقَتْلُهُ عبدَ رَبِّهِ الصغيرَ وهَرَبُ قَطَرِىٍّ عنه ـ : تَمَثَّلَ فقال : لله دَرُّ المُهَلَّبِ ، وَٱللهِ لَكَأَنَّهُ ما وَصَفَ لَقِيطٌ الإيادىُّ حيثُ يقولُ :

وَقَلِّدُوا أَمْرَكُمْ لله دَرُّكُمْ
رَحْبَ ٱلذِّرَاعِ بِأَمْرِ الحَرْبِ مُضْطَلِعَا[2]

لاَ مُتْرِفًا إنْ رَخاءُ العَيْشِ سَاعَدَهُ ... ولا إذا عَضَّ مَكْرُوهٌ به خَشَعَا[3]

ما زال يَحْلُبُ هذا الدَّهْرَ أَشْطُرَهُ ... يَكُونُ مُتَّبِعًا طَوْراً ومُتَّبَعَا[4]

---

(١) الغمر : يجوز فى أوله الحركات الثلاث .

(٢) «رحب الذراع» : كناية عن إطاقته وسعة قوته ، و «مضطلعا» : « مفتعلا» من الضلاعة ، وهى : قوة الأضلاع ، قاله المرصفى .

(٣) « مترفا » ضبط فى طبعة أوربة بكسر الراء وفتحها وكتب فوقه « معا » توكيداً لذلك . والذى فى كتب اللغة بين أيدينا بالفتح فقط قولا واحداً ، والمترف : المنعم المدلل المتوسع فى ملاذه وشهواته .

(٤) قوله « أشطره » : يريد شطريه ، فوضع الجمع موضع المثنى ، وذلك مستعار من شطرى الناقة ، يريد : أنه اختبر ضروب الدهر من خير وشر ، وحلو ومر ، تشبيها بأخلاف الناقة : ما كان منها حفلا وغير حفل ، ودارًّا وغير دار ، قاله المرصفى .

حَتَّى اسْتَمَرَّتْ على شَزْرٍ مَرِيرَتُهُ ... مُرُّ العَزِيمَةِ لا رَثًّا وَلاَ ضَرَعَا[1]

فقام إليه رجلٌ فقال : أيها الأميرُ ! واللهِ لكأنّى أسمعُ هذا التمثيلَ مِنْ قَطَرِىّ فى المهلّب ، فَسُرّ الحجاجُ بذلك سروراً تبيّنَ فى وجهه .

وقولها : « كَنَصْلِ السَّيْفِ عَيْنِ المُهَنَّدِ » فالمهنّدُ : المنسوبُ إلى الهِنْدِ .

وقولها : « مِنْ أهلِ بيتى ومَحْتِدِى » فالمحتِدُ : الأصلُ ، قال الشاعرُ :

وَفِى الهَمْرِ مِنْ قَحْطَانَ أَوْلاَدُ حُرَّةٍ ... عِظَامُ اللُّهَا بِيضٌ كِرَامُ المَحَاتِدِ[2]

وقولُه : « مالٌ صَمِيمٌ » يقولُ : جامِعٌ ، أخَذَهُ مِنْ « عَمَّ يَعُمُّ » .

وقولُه : « جِذْوٌ مُغْنِيَةٌ » فالجِذْوُ : جمعُ « جِذْوَةٍ » وهى القِطْعَةُ ، وأصلُ ذلك فى الخشَبِ ما كانَ منهُ فيه نارٌ ، قال اللهُ عز وجلّ : ﴿ أَوْ جِذْوَةٍ مِنَ النَّارِ[3] ﴾ وتجمعُ أيضا « جُذًا »[4] قال ابْنُ مُقْبِلٍ :

بَاتَتْ حَوَاطِبُ سَلْمَى يَلْتَمِسْنَ لها ... جَزْلَ الجِذَا غَيْرَ خَوَّارٍ وَلاَ دَعِرِ

« الخوّارُ » : الضعيفُ ، و « الدَّعِرُ » : الكثيرُ الثُّقَبِ ، يقالُ : عُودٌ دَعِرٌ .

وقولها : « جُوفٌ لا يَشْبَعْنَ » تقولُ : عِظَامُ الأجْوَافِ ، و « هِيمٌ لا يَنْقَعْنَ » الهِيمُ : العِطَاشُ ، يكونُ الواحِدُ من هِيمٍ « أَهْيَمَ » ، ويقالُ

---

(١) « المريرة » من الحبال : ماطال واشتد فتله ، و « استمرت » : استحكمت ، و « الشزر » الفتل إلى فوق ، ضرب ذلك مثلا لاستجماع قوته ، واستحكام عزيمته . و « الرث » ماسقط من المتاع .

(٢) « اللها » بضم اللام : جمع « لهوة » بضم اللام ، وهى العطية ، أى عظام العطايا . وضبطت فى طبعة أوربة بفتح اللام ، وهو خطأ .

(٣) سورة القصص (٢٩) . وكلمة « جذوة » ضبطت الجيم فيها فى طبعة أوروبة بالحركات الثلاث ، وهى بالفتح قراءة عاصم ، وبالضم قراءة حمزة ، وبالكسر قراءة باقى السبعة .

(٤) « جذا » بكسر الجيم ، ويجوز أيضا ضمها .

فى هذا المعنى « هَيْمَانُ » . وقال بعضُ المفسِّرِينَ فى قول الله عز وجل : ﴿ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الهِيمِ[1] ﴾ قال : هى الإبلُ العِطَاشُ ، وقال ذو الرُّمَّة [يَصِفُ حَمِيراً] :

فراحَتِ الحُقْبُ لم تَقْصَعْ صَرَائِرُها وقد نَشَحْنَ فلا رِيٌّ ولا هِيمُ

[« الحُقْبُ » : البِيضُ الأعجاز من الحَمِيرِ] ويقال « قَصَع صارَّتَهُ » إذا رَوِى ، والصَّارَّةُ : شِدَّةُ العَطَش ، « والنُّشُوحُ » أن تَشْرَبَ دُونَ الرِّىِّ ، يقال : نَشَحَ يَنْشَحُ ، ومثلُه : تَغَمَّرَ : إذا لم يَرْوَ ، ويقالُ للقَدَحِ الصغير : الغُمَرُ ، مِنْ هذا . وقال بعضُ المفسِّرين : الهِيمُ : رِمَالٌ بعينها ، واحدتُها « هَيْماءُ » يافتى .

وقولُها : «لا يَنْقَعْنَ » أى لا يَرْوَيْنَ ، يقال : ما[2] نَقَعَتْ ماشيةُ بنى فلانٍ بِرِيٍّ : إذا لم تَبْلُغْ من الماء حقَّها ، ويقال للماء « النَّقْعُ » ويقالُ « النَّقْعُ » فى غير هذا الموضع : لِلغُبَارِ ، يقال : أثارُوا النَّقْعَ بينهم ، و« النَّقْعُ » اسمُ موضع بعينِه ، قال الشاعرُ :

لقد حَبَّبَتْ نُعْمٌ إلينا بوجهِها مَساكِنَ ما بين الوَتَائِرِ والنَّقْعِ

[« الوتائرُ » بالتاء منقوطةً باثنتين مِن فَوْقُ[3]] « والنَّقْعُ » : الصُّرَاخُ ، قال لَبِيدٌ :

فَمَتَى يَنْقَعْ صُرَاخٌ صادِقٌ يُحْلِبُوهُ ذاتَ جَرْسٍ وزَجَلْ[4]

---

(١) سورة الواقعة (٥٥) .

(٢) حرف « ما » زيادة من س و د ، ولم يذكر فى سائر النسخ ، والصواب إثباته .

(٣) الوتائر والنقع : موضعان قرب مكة .

(٤) يقال « حلب القوم حلبا وحلوبا » : اجتمعوا من كل وجه ، ومنه « أحلب بنو فلان مع بنى فلان » : إذا جاءوا أنصاراً لهم ، وهذا كله بالحاء المهملة . ويقال أيضا « أجلبه » بالجيم :

وقولُها « وصُمٌّ لا يَسْمَعْنَ » طَرِيفٌ من كلام العرب ، وذلك أنه يقالُ لكلِّ صحيحِ البَصَرِ ولا يُعْمِلُ بَصَرَه ـ : أعمى ، وإنما يُراد به أنه قد حَلَّ مَحَلَّ مَنْ لا يُبْصر البَتَّةَ ، إذا لم يُعْمِلْ بَصَرَه ، وكذلك يقالُ للسَّمِيعِ الذى لا يَقْبَلُ : أَصَمُّ ، قال الله جلَّ ذِكره : ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ ﴾[1] كما قال جلَّ ثناؤه : ﴿ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُها[2] ﴾ وكذلك : ﴿ إِنَّكَ لا تُسْمِعُ المَوْتَى ولا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ[3] ﴾ وقولُه عزّ وجلّ : ﴿ كَمَثَلِ الَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إلاَّ دُعاءً ونِدَاءً[4] ﴾ .

وتقول العربُ : أَبْلَدُ ما يُرْعَى الضَّأْنُ ، ويقالُ : أَحْمَقُ مِنْ رَاعِى ضَأْنٍ ثَمَانِينَ [قولُه : « أحمقُ مِن رَاعِى ضأنٍ ثمانينَ » المَثَلُ لِكِسْرَى فى أعرابىٍّ خَيَّرَهُ فاخْتارَ ذلك ، ذكره أبو عُبَيْدٍ ، وهذا غيرُ ما أشارَ إليه أبو العباس] .

وتحدَّثَ عمرُو بن بَحْرٍ قال : كان يقالُ : لا ينبغى لعاقلٍ أن يُشَاوِرَ واحداً من خمسةٍ : القَطَّانُ ، والغَزَّالُ ، والمُعَلِّم ، وراعى ضأنٍ ، ولا الرجلُ الكثيرُ المحادَثَةِ للنِّسَاء .

أعانه ، و « أجلبوا عليــه » : إذا تجمعوا وتألبوا . وقد كتبت كلمة « يجلبوه » فى طبعة أوربة بالوجهين : بالجيم وبالحاء المهملة . والضمير فى هذا الفعل عائد إلى الصراخ ، يريد : أنهم إذا ماسمعوا صوت مستغيث نصروه بالرجال .

وفى س و د « وجلب » بدل « وزجل » .

والجرس ، والزجل ، والجلب : كلها : الصوت العالى .

(١) سورة البقرة (١٨ و ١٧١) .

(٢) سورة محمد (٢٤) .

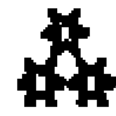
(٣) سورة النمل (٨٠) وفى سورة الروم « فانك » (٥٢) .

(٤) سورة البقرة (١٧١) .

وقيلَ فى مِثْلِ هذا : لا تَدَعْ أُمَّ صَبِيِّكَ تَضْرِبُهُ ، فإنه أَعقلُ منها ، وإن كان طِفْلا .

وقال الأَحْنَفُ بن قَيْس : إنّى لَأُجالِسُ الأَحمقَ السّاعةَ فأَتَبَيَّنُ ذلك فى عَقْلِي .

وقال جلّ ثناؤه فى صفةِ النّساء : ﴿أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فى الْحِلْيَةِ وهُوَ فِى الْخِصَامِ غيرُ مُبِينٍ[1]﴾ .



وحُدِّثْتُ : أنّ عُمَرَ بن عبدِ الله بن أبي رَبِيعةَ أتَى المدينةَ فأقام بها ، ففي ذلك يقولُ :

يا خَلِيلَيَّ قد مَلِلْتُ ثَوَائى بالمُصَلَّى وقد شَنِئْتُ البَقِيعا

فلمّا أراد الشُّخُوصَ شَخَصَ معه الأَحْوَصُ بن محمدٍ ، فلما نَزَلاَ وَدّانَ صار إليهما نُصَيْبٌ ، فمضى الأَحْوَصُ لبعض حاجته ، فرَجَعَ إلى صاحِبَيْه ، فقال : إنّى رأيتُ كُثَيِّرًا بموضع كذا ، فقال عمرُ : فابْعَثُوا إليه ليَصِيرَ إلينا ، فقال الأحْوَصُ : أهُوَ يَصير إليكم ؟ هو واللهِ أعظَمُ كِبْراً من ذلك ! قال : فإذاً نَصِيرُ إليه ، فصاروا إليه ، وهو جالسٌ على جِلْدِ كبشٍ ، فوالله ما رَفَعَ منهم أحداً ولا القُرَشِيَّ ! ثم أقبلَ على القُرَشىّ ، فقال : يأَخا قُرَيْشٍ ! والله لقد قلتَ فأَحسنتَ فى كثيرٍ من شعرك ، ولكن خَبِّرْنِى عن قولك :

قالتْ لها أُختُها تُعاتِبُها لا تُفْسِدِنَّ الطَّوافَ فى عُمَرِ

---

(١) سورة الزخرف (١٨) .

[كذا وقعت الرواية « لا تُفْسِدِنّ » على النّهْى ، والصحيح « لتُفْسِدِنّ » على القَسَم ، كأنها قالت : واللهِ لَتفسدنّ] .

قُومِى تَصَدَّىْ له لِيُبْصِرَنَا   ثم اغمِزِيه يا أختِ فى خَفَرِ
قالتْ لها قد غَمَزْتُهُ فأبَى   ثم اسْبَطَرّتْ تَشْتَدُّ فى أثَرِي(١)

- : والله لو قد قلتَ هذا فى هِرّةِ أهلِكَ ما عدَا (٢) ! أردتَ أن تَنْسُبَ بها فنَسَبْتَ(٣) بنفسك ، أهكذا يقالُ للمرأة ؟! إنما تُوصَفُ بالخَفَرِ ، وأنها مطلوبةٌ ممتنِعةٌ ، هَلاّ قُلْتَ كما قال هذا ؟ وضرب بيده على كَتِفِ الأحْوَصِ :

أدُورُ وَلَوْلاَ أنْ أرَى أُمَّ جَعْفَرٍ   بأبياتِكم ما دُرْتُ حيثُ أدُورُ
وما كنتُ زَوّارًا ولكنَّ ذَا الهوَى   إذا لم يُزَرْ لا بُدَّ أنْ سَيَزُورُ
لقد مَنَعَتْ معروفَها أُمُّ جعفرٍ   وإنّى إلى معروفهـــا لَفَقِيرُ

قال : فامتلأ الأحوصُ سروراً ، ثم أقبلَ عليه فقال : يا أحْوَصُ ! خَبِّرْنِي عن قولك :

فإنْ تَصِلِي أَصِلكِ وإنْ تَعُودِي   لِهَجْرٍ بَعْدَ وَصْلِكِ لا أُبالِي

أما واللهِ لو كنتَ من فُحول الشعراء لَبالَيْتَ ! هلاّ قلتَ مثلَ ماقال هذا ؟ وضَرَبَ بيده على جَنْبِ نُصَيْبٍ :

بزَيْنَبَ أَلْمِمْ قَبلَ أنْ يَظْعَنَ الرَّكْبُ   وَقُلْ : إنْ تَمَلِّينا فما مَلَّكِ القَلْبُ(٤)

---

(١) اسبطرت : أسرعت .
(٢) « ماعدا » يريد : ماعداك الانتقاد ، فحذف لفهم السامع مايريد ، قاله المرصفى .
(٣) فى ج و د « أن تُشَبِّبَ بها فَتَشَبَّبْتَ » .
(٤) فى ج و د « أن يرحل » .

قال : فانتفخَ نُصَيْبٌ ، ثم أقبلَ عليه فقال له : ولكنْ أخبرني عن قولك يا أسْوَدُ ؟ :

أهيمُ بدَعْدٍ ما حَيِيتُ وإنْ أمُتْ فَوَاحَزَنِي مَنْ ذَا يَهِيمُ بِها بَعْدِي؟!

كأنَّك اغْتَمَمْتَ أن لا يُفْعَل بها بَعْدَك !! ولا يَكْنِي ، فقال بعضُهم لبعض : قوموا فقد استَوَتِ القِرِّقَةُ[1]، وهى لُعْبَةٌ على خُطُوطٍ ، فاستواؤُها انقضاؤُها . [قال أبو الحسن : « الطِّبِنُ » هى السُّدَّرُ ، فإذا زِيدَ في خُطوطِه سمّتْه العربُ « القِرِّقةَ » وتُسمّيه العامّةُ « السُّدَّرَ »] .

❊

قال : وحُدِّثْتُ : أنّ كُثَيِّرًا دَخَل على عبد الملك بن مَرْوانَ وعنده الأخطلُ ، فأنشده ، فالتفتَ عبدُ الملك إلى الأخطلِ ، فقال : كيف تَرَى ؟ فقال : حجازيٌّ مُجَوَّعٌ مَقْرُورٌ[2] ، دَعْنِي أضْغَمْهُ يا أميرَ المؤمنين ! فقال كُثَيِّرٌ : مَنْ هذا يا أميرَ المؤمنين ؟ فقال له : هذا الأخطلُ ، فقال له كُثَيِّرٌ : مَهْلاً ! فهلاَّ ضَغَمْتَ الذي يقول[3] ؟ :

لا تَطْلُبَنَّ خُؤُولَةً فى تَغْلِبٍ فالزِّنْجُ أكْرَمُ منهمُ أخْوالاَ

والتَّغْلِبِيُّ إذَا تَنَحْنَحَ للقِرَى حَكَّ اسْتَهُ وتَمَثَّلَ الأمْثالاَ

[« أخوالاً » منصوبٌ على الحالِ ، ومن زعم أنه تمييزٌ فقد أخطأ] فسكتَ الأخطلُ فما أجابه بحرفٍ .

---

(١) « القرقة » بقافين .

(٢) قال المرصفى : « مقرور : من : قر الرجل ، بالبناء لما لم يسم فاعله : أصابه القر ، بالضم ، وهو البرد ، يريد أن شعره بارد ولا دسم فيه» .

(٣) هو جرير .

قال أبو العباس : سمعتُ مَنْ يُنْشِدُ هذا الشعرَ « والتَّغلِبِيُّ إذا تُنُبِّحَ لِلقِرَى[1] » ، وهو أبلغُ .

قال : وخُبِّرْتُ : أن نُصَيْبًا نزلَ بامرأةٍ تُـكْنَى أمَّ حَبيبٍ ، من أهل مَلَلٍ ، وكانتْ تُضِيفُ بذلكَ الموضِعِ وتَقْرِى ، ولا يزالُ الشريفُ قد نَزَلَ بها فأَفْضَلَ عليها الفضلَ الـكثيرَ ، ولا يزالُ الشريفُ ممن لم يَحْلُلْ بها يَتناوَلُهَا بالبِرِّ ، لِيعينَهَا عَلَى مُرُوَّتِها ، فنزلَ بها نُصَيْبٌ ومعه رجُلانِ من قريشٍ ، فلما أرادُوا الرِّحْلَةَ عنها وَصَلَهَا القُرَشِيَّانِ ، وكان نُصيبٌ لا مالَ معه فى ذلك الوقتِ ، فقال لها : إنْ شئتِ فَلَكِ أن أُوَجِّهَ إليكِ بمثلِ ما أعطاكِ أحدُهما ، وإن شئتِ قلتُ فيكِ شعراً ، فغَزِلَتْ أمُّ حَبيبٍ [أى : مالت إلى أن يَتَغَزَّلَ بها] فقالتْ : بل الشِّعْرَ ! فقال :

أَلَا حَىِّ قبلَ البَيْنِ أمَّ حَبيبِ ... وإنْ لم تـكنْ مِنّا غَدًا بقَريبِ

وإنْ لم يكن أَنِّى أُحِبُّكِ صادقًا ... فما أحـــدٌ عندِى إذًا بحَبيبِ[2]

تَهَامٍ أصابتْ قَلْبَه مَلَلِيَّةٌ ... غَرِيبُ الهوَى وَاهًا لـكُلِّ غَريبِ

وحُدِّثتُ : أن نُصيبًا أَتَى عبدَ الملِكِ فأَنشدَه ، فاستحسَنَ عبدُ الملك شِعْرَه وسُرَّ به[3] ، فوصَــــلَه ، ثم دَعَا بالغَدَاء فَطَعِمَ معه ، فقال له عبدُ الملك : يا نُصيبُ ! هل لكَ فيما يُتَنادَمُ عليه ؟ فقال : يـأميرَ المؤمنين ! تأمَّلْنى ،

---

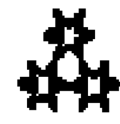
(١) « تنبح » أى تنبحته الأضياف : ينبحون نباح الـكلب فتجيبهم كلاب الحىّ ، قاله المرصفى .

(٢) فى ج « فان لم أكن أنىّ » الخ .

(٣) فى ب و س « وسره » .

قال : قد أراكَ ! فقال : يا أميرَ المؤمنين ! جلدِى أسودُ ، وخَلْقِى مُشوَّهٌ ، ووجهِى قبيحٌ ، ولستُ فى منصبٍ ، وإنما بَلَغَ بى مُجالَستَكَ ومؤاكلتَكَ عَقلِى ، وأنا أكرهُ – يا أميرَ المؤمنين – أن أُدخِلَ عليه ما يَنقُصُهُ ! فأعجبه كَلامُه ، فأعفاهُ .

وقال الوليدُ بنُ عبدِ الملكِ للحجاجِ ، فى وَفْدَةٍ وفَدَها عليه ، وقد أكلا : هل لَكَ فى الشراب ؟ فقال : يا أميرَ المؤمنين ! ليسَ بحرامٍ ما أَحْلَلْتَه[1] ، ولكنِّى أمنعُ أهلَ عَمَلِى منه ، وأكرهُ أن أُخالِفَ قولَ العبدِ الصالِحِ : ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ[2]﴾ فأعفاهُ .



وقال مَسْلَمَةُ بن عبد الملك يوما لنُصيبٍ : أمْتَدَحْتَ[3] فلانًا ؟ لرَجُلٍ مِنْ أهلِه ، فقال : قد فعلتُ ، قال : أوَ حَرَمَكَ ؟ قال : قد فعلَ ، قال : فهلاَّ هَجَوْتَه ؟ قال : لم أفعَلْ ، قال : ولِمَ ؟ قال : لِأَنِّى كنتُ أحقَّ بالهِجَاء منه ! إذْ رَأَيْتُهُ موضِعًا لِمَدْحِي ! فأُعْجِبَ به مسلمةُ ، فقال : اسْئَلْنِى ، قال : لا أفعَلُ ! قال : ولِمَ ؟ فقال : لأنَّ كَفَّكَ بالعطيّةِ أجْوَدُ مِن لسانِى بالمسْئَلَةِ ! ! فوهَبَ له ألفَ دينارٍ .

وحُدِّثْتُ : أنَّ الكُمَيْتَ بنَ زيدٍ أنْشَدَ نُصَيْبًا فاستَمَعَ له ، فكان فيما أنشدَهُ :

---

(١) لو صحت هذه القصة لكانت كفراً من الوليد والحجاج ، والعياذ بالله ، ولسنا نظن بهما ذلك .
(٢) سورة هود (٨٨) .
(٣) فى ب و س « أمدحت » وهو الذى فى طبعات مصر .

وقد رأينا بِهَا حُـــوراً مُنَعَّمَةً   بِيضاً تَكامَلَ فيها الدَّلُّ والشَّنَبُ(١)

فَثَنَى نُصَيبٌ خِنْصَرَهُ ، فقال له الكُمَيْتُ : مَا تَصْنَعُ ؟ فقال : أُحْصِي خَطَأَكَ ! تَبَاعَدْتَ في قولك : « تَكامَلَ فيها الدَّلُّ والشَّنَبُ » هلاَّ قلتَ كما قال ذُو الرُّمَّةِ ؟ :

لَمْيَاءُ فِي شَفَتَيْهَا حُوَّةٌ لَعَسٌ   وَفِي اللِّثَاتِ وَفِي أَنْيَابِهَا شَنَبُ(٢)

ثم أنشده في أُخْرَى :

كَأَنَّ الغَطَامِطَ مِنْ جَرْيِهَا   أَرَاجِيزُ أَسْلَمَ تَهْجُو غِفَارَا(٣)

[وَقَعَتِ الرِّوايةُ « مِنْ جَرْيِهَا » وصوابهُ « مِنْ غَلْيِهَا » لأنه يَصِفُ قِدْرًا فيه لَحْمٌ ، فشَبَّه غَلَيَانَ القِدْرِ وارتفاعَ اللَّحم فيه بالمَوْجِ الَّذى يرتفع] فقال له نُصيبٌ : ما هَجَتْ أَسْلَمُ غِفَارًا قطُّ ، فاستحيا الكُمَيتُ فسَكَتَ ! .

قال أبو العباس : والَّذى عابه نُصيبٌ من قوله : « تَكامَلَ فيها الدَّلُّ والشَّنَبُ » قَبِيحٌ جِدًّا ، وذلك أنَّ الكلامَ لم يَجْرِ على نَظْمٍ ، ولاَ وَقَعَ(٤) إلى جانب الكلمةِ ما يُشَاكِلُهَا ، وأوَّلُ ما يَحتاجُ إليه القولُ أن يُنْظَمَ على نَسَقٍ ، وأن يُوضَعَ على رسم المُشَاكلةِ .

❋

وخُبِّرْتُ : أنَّ عُمَرَ بن لَجَإٍ قال لابن عمٍّ له : أنا أَشْعَرُ منك ، قال له :

---

(١) « الشنب » . عذوبة الأسنان ورقتها .

(٢) « الحوة » : حمرة تضرب إلى سواد قليلا ، وكذلك « اللعس » .

(٣) « الغطامط » ضبطت في طبعة أوربة بفتح الغين في أولها وضمها ، وكتب فوقها « معا » . وكلاهما صواب ، فهي بالفتح جمع « غطمطة » وهي اضطراب موج البحر ، أو غليان القدر ، ونحو ذلك ، وهي بالضم : مما يوصف به البحر إذا كان عظيم الموج .

(٤) في ج و د « ولم يقع » .

وكيفَ ؟ قال : لأنّى أقولُ البيتَ وأخاه ، وأنتَ تقولُ البيتَ وابنَ عمّه !

وأنشد عَمْرُو بن بَحْرٍ :

وَشِعْرٍ كَبَعْرِ الْكَبْشِ فَرّقَ بينَهُ ... لِسَانُ دَعِيٍّ فى القَرِيضِ دَخِيلُ

وبَعْرُ الكبش يقَعُ مُتفرّقًا ، فمن ذلك قولُ ابنةِ الحُطَيْئة له ، لمّا نزَلَ فى بنى كُلَيْبِ بنِ يَرْبُوعٍ — : تَرَكْتَ الثَّروةَ والعَدَدَ ، ونزلتَ فى بنى كُلَيْبٍ : بَعْرِ الكَبْشِ !

يقال « بَعْرٌ وبَعَرٌ » و « شَعْرٌ وشَعَرٌ » و « شَمْعٌ وشَمَعٌ » ويقالُ للصَّدْرِ « قَصٌّ وقَصَصٌ » وكذلك « نَهْرٌ ونَهَرٌ » .

وزعم الأصمعىُّ : أنه سأَلَ أعرابيًّا ، وهو بالموضع الذى ذكرهُ زُهَيْرٌ :

ثم استمَرّوا وقالوا إنّ مَشْرَبَكُمْ ... ماءٌ بِشَرْقِىِّ سَلْمَى : فَيْدُ أوْ رَكَكُ[1]

قال الأصمعىُّ : فقلتُ لأعرابىٍّ : أتعرفُ رَكَكًا ؟ فقال : لا ، ولكنْ قد كان هٰهنا ماءٌ يُسمّى رَكًّا .

فهذا ليستْ فيه لغتانِ ، ولكنّ الشاعرُ إذا احتاجَ إلى الحركةِ أتبَعَ الحرفَ المتحرّكَ الذى يليه الساكنُ ما يشاكلُه ، فحرّكَ الساكنَ بتلك الحركة . قال عبدُ منافِ بن رِبْعٍ [ش : رِبْعِىّ[2]] الهُذَلىُّ :

إذا تَجاوَبَ نَوْحٌ قامتا معهُ ... ضَرْبًا أليمًا بِسِبْتٍ يَلْعَجُ الجِلِدَا[3]

---

(١) « فيد » موضع قريب من سلمى أيضا ، والبيت رواه الهمدانى فى صفة جزيرة العرب (ص ٢٢٣ س ٢٥ و ص ٢٣١ س ٣) .

(٢) قال المرصفى : « قول الأخفش : ربعىّ : خطأ » .

(٣) « النوح » . النياحة ، و « السبت » بكسر السين وسكون الباء : الجلد المدبوغ ، وكنّ نساء العرب يلطمن فى المناحة على خدودهنّ بالجلود .

يريدُ « الجِلْدَ » فهذا مُطَّرِدٌ [قال ابنُ القُوطِيَّةِ : لَعَجَ الحُبُّ قلبَه ، والصَّرْدُ جَسَدَه ـ : أحرقَه[1]] .

ومِن مَذاهِبِهِم المطَّرِدَةِ فى الشِّعرِ أن يُلْقوا على السَّاكِنِ الذى يَسْكُن ما بَعدَه للتَّقييدِ ـ : حركَةَ الإعرابِ ، كما قال الراجزُ [قال ابنُ السِّيدِ : أحسبه لِعَبيدِ بن مَاوِيَّةَ] :

* أنا ابنُ مَاوِيَّةَ إِذْ جَدَّ النَّقُرْ *

يريدُ « النَّقْرُ » يافتى ! وهو : النَّقْرُ بالخيل ، فلما أَسْكَنَ الرَّاءَ أَلْقَى حركتَها على السَّاكِنِ الَّذى قبلَها [النَّقْيرُ : صُوَيْتٌ باللسانِ يُسَكَّنُ به الفرسُ إذا اضطَرَبَ بفارسه ، قال امرؤُ القيسِ :

أُخَفِّضُهُ بالنَّقْرِ لَمَّا عَلَوْتُهُ ... وَيَرْفَعُ طَرْفًا غيرَ جافٍ غَضِيضِ]

وشَبِيهٌ بهذا قولُهُ :

عَجِبْتُ والدَّهرُ كَثِيرٌ عَجَبُهْ ... مِن عَنَزِيٍّ سَبَّنِي لم أَضْرِبُهْ

أرادَ : «لم أَضرِبْهُ» ، يافتى ! فلما أسكن الهاءَ أَلْقَى حركتَها على الباء ، وكان ذلك فى الباءِ أحسنَ ، لخفاء الهاء .

وقال أبو النَّجْمِ :

* أقولُ قَرِّبْ ذَا وهذا أَزْحِلُهْ *

يريدُ « أَزْحِلْهُ » يافتى ! [أقول : قَرِّبْ ذَا وهَـــذَاكَ أَزْحَلْهْ . كذا عن ش[2]] .

---

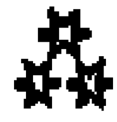
(١) « الصرد » بسكون الراء : شدة البرد . ونسبة الاحراق إليه مجاز .

(٢) «زحل» عن مقامه ، من باب «منع» بالحاء المهملة : تنحى ، و «أزحله» و «زحله ترحيلا» :

وقال طَرَفَةُ :

حَابِسِى رَبْعٌ وقفتُ بِهِ   لو أُطِيعُ النَّفْسَ لم أَرِمْهْ[1]

ولم يَلْزَمْهُ رَدُّ الياء لمّا تحركت الميمُ ، لأن تحرُّكَها ليس لها على الحقيقة ، وإنما هى حركةُ الهاء .



وأمّا قولُ الشاعر :

حديثُ بَنِى بَدْرٍ إذَا ما لَقِيتَهم   كَنَزْوِ الدَّبَى فى العَرْفَجِ المُتَقَارِبِ[2]

ـ : فليس كقوله « وشِعْرٍ كَبَعْرِ الكَبْشِ » وَلكنَّه وصَفَهم بضُؤُولةِ الأصواتِ وسُرعةِ الكلامِ وإدخالِ بعضِه فى بعض .

والذى يُحْمَدُ الجَهَارَةُ والفَخامة . وأُنْشِدْتُ لرجل قال يَمدحُ الرّشيدَ :

جَهِيرُ الكلامِ جَهِيرُ العُطَاسِ   جَهِيرُ الرُّوَاءِ جَهِيرُ النَّغَمْ[3]

ويَخْطُو على الأَيْنِ خَطْوَ الظَّلِيمِ   ويَعْلُو الرِّجالَ بخَلْقٍ عَمَمْ[4]

أبعده . ومن هذا يظهر خطأ الأخفش فى روايته « ازحله » متعديا من الثلاثى ، وأشد من خطئه خطأ الشيخ المرصفى ، فى جعله الفعلين بالجيم ، من « زجل الحمام يزجله » بمعنى أرسله ! لأن أبا النجم إنما يتحدث عن الخيل ، يقول : قرب هذا وأبعد هذا .

(١) فى د « لو أطعت النفس » . وقوله « لم أرمه » : أصله بكسر الراء وسكون الميم ، أى : لم أبرحه ، يقال « رام المكان يريمه ريما » : برحه وفارقه .

(٢) « الدبا » بفتح الدال : صغار الجراد ، واحدته « دباة » بفتح الدال وتخفيف الباء ، ونزوها : وثوبها ، والعرفج : نبت لا يطول ، سريع الالتهاب .

(٣) « الرواء » بالضم والمدّ : المنظر الحسن ، وجهارته : وضاءته . و « النغم » بفتح النون : اسم جمع للنغمة ، وهى جرس الكلمة وحسن الصوت . وضبطت فى طبعة أوربة بفتح النون وبكسرها ، وكتب عليها « معاً » ولكنى لم أجد وجها لصحة كسرها ، فلذلك لم أثبته .

(٤) « الظليم » : الذكر من النعام .

[الرجلُ : هو العُمَانِيُّ الشاعرُ ، وقولُه « عَمَمْ » أى : جَسِيمٌ ، « والأَيْنُ » الإعْيَاءُ ، ويكونُ « الأَيْنُ » الحَيَّةُ ، وهى « الأَيْمُ » .

ويروى : أن الرشيدَ كان يَأْتَزِرُ فى الطَّوافِ فَيُذَنِّبُ إزارَه ويباعد بين خُطاهُ ، فإذا رجَعَ بيده كاد يَفْتِنُ مَنْ يراهُ ، فعند ذلك مُدِحَ بهذا الشِّعرِ .

ويروى : أنّ عائشةَ رحمها الله نظرَتْ إلى رجل مُتماوِتٍ ، فقالت : ما هذا ؟ فقالوا : أحَدُ القُرّاء ! فقالت : قد كان عمرُ بن الخطابِ قارئًا ، فكان إذا قال أسْمَعَ ، وإذا مَشَى أسرعَ ، وإذا ضرب أوْجَعَ !

ويروى : أنّ عمرَ بن الخطاب رحمه الله نظر إلى رجل مُظْهِرٍ للنُّسُكِ مُتَماوِتٍ ، فَخَفَقَهُ بالدِّرَّةِ ، وقال : لا تُمِتْ علينا دِينَنَا ، أماتَكَ اللهُ !

ويروى : أنّ عبدَ الملك بن صالح بن على بن عبد الله بن العباس أتته وُفودٌ من الرُّوم ، وقام السَّمَاطَانِ ، فأُتِيَ برجلٍ منهم ، وعَطَسَ أحَدُ مَنْ فى السَّمَاطَيْنِ فأخْفَى عَطْسَتَهُ ، فقال له عبدُ الملك ـ لمَّا انقضَى أمرُ الوَفْدِ : هَلاَّ إذْ كنتَ لَئِيمَ العُطاسِ أتْبَعْتَ عَطْسَتَكَ صيحةً حتّى تخْلَعَ بها قَلْبَ العِلْجِ !!

وكان العباسُ بن عبد المطلب رحمه الله ـ : أجهرَ الناسِ صوتًا ، ولذلك قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لمَّا انهزمَ الناسُ يومَ حُنَيْنٍ : « ياعباسُ ! اصْرُخْ بالناس » .

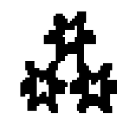
ويروى : أنّ غارةً أتَتْهُم يومًا ، فصاح العباسُ : ياصَبَاحَاهْ ! فاسْتَسْقَطَتِ الحواملُ ، لشدةِ صوته .

وقد طُعِنَ في قول النَّابغة الجَعْدِيّ :

[وأَزْجُرُ الكَاشِحَ العَدُوّ إذا اغْتَابَكَ عندِي زَجْرًا على أَضَمِ](١)
زَجْرَ أَبِي عُرْوَةَ السِّبَاعَ إذا أَشْفَقَ أَنْ يَخْتَلِطْنَ بالغَنَمِ

وذلك أنّ الرُّواةَ احتملتْ هذا البيتَ على أنه كان يَزْجُرُ الذِّئابَ ونحوَها ، مما يُغِيرُ على الغَنَم ، فيَفْتُقُ مَرَارَةَ السَّبُع في جَوْفه [يُروى « زَجْرَ أبي عُرْوَة السِّباعِ » بخَفْضِ « السباعِ » كما قيل « قَيْسُ الرُّقَيَّاتِ » فصارَ على هـذا يعرفُ بأبي عُرْوة السِّباع ،مثل ذلك] فقال مَنْ يَطْعَنُ في هذا(٢) : السَّبُعُ أشدُّ أَيْدًا(٣) من الغَنَمِ ، فإذَا فَعَلَ ذلك بالسبعِ هَلَكتِ الغنمُ قبلَه ، فقال مَنْ يَحْتَجُّ له : إنَّ الغنمَ كَانتْ قد أَلِسَتْ بهذا منه ، والصوتُ الرّائعُ أُنْسٌ لِمَنْ أَنِسَ به ، كالرَّعْد القاصِفِ الذى لَوْلا خَشْيَةُ صاعِقَتِه لم يُفْزِعْ كَبِيرَ فَزَعٍ ، ولو جاء أقلُّ منه مِن جَوْفِ الأرضِ لَذَعَرَ ، ولم يَبْعُدْ أن يَقْتُلَ ، إذا أتى مِن حيثُ لم يُعْتَدْ .

وجملة هذا البيتِ : أنه وَصَفَ شدَّةَ صوتِ المذكورِ ، وتأويلُه : أنه مِن تَكاذِيبِ(٤) الأَعْرابِ !



وحُدِّثتُ : أنّ الحسنَ نَظَرَ إلى رجلٍ يَجُودُ بنفْسه ، فقال : إنَّ أمْرًا

(١) « الأضم » : الحقد والغضب .
(٢) في ع و د « فقال الطاعن عليه في هذا القول » .
(٣) الأيد : القوة .
(٤) في س « أكاذيب » .

هذا آخِرُهُ لَجَديرٌ بأن يُزْهَدَ فى أوّلِهِ ، وإنّ أمرًا هذا أوّلُهُ لجديرٌ أن يُخَافَ آخِرُهُ .

وقيلَ لرجلٍ من أشرافِ العَجَم ، فى عِلّته التى ماتَ فيها ـ : ما بكَ ؟ قال : فِكْرٌ عجيبٌ[١] ، وحَسْرةٌ طَوِيلةٌ ! فقيل : مِمَّ ذاكَ ؟ فقال : ما ظَنُّكُمْ بمَنْ يَقْطَعُ سَفَرًا قَفْرًا بلا زادٍ ، ويسكنُ قبرًا مُوحِشًا بلا مُؤْنِسٍ ، ويَقْدَمُ على حَكَمٍ عادلٍ[٢] بلا حُجّةٍ ؟ !

وقال بعضُ المُحْدَثِينَ ، وهو محمودٌ الورّاقُ :

بأىِّ اعتذارٍ أمْ بأيّةِ حُجّةٍ يقولُ الذى يَدْرِى مِنَ الأَمْرِ لا أَدْرِى[٣]
إذا كانَ وَجْهُ العُذْرِ ليسَ بِبَيِّنٍ فإنَّ اطِّرَاحَ العُذْرِ خيرٌ من العُذْرِ

واعتذر رجل إلى سَلْمِ بن قُتَيْبَةَ[٤] مِن أمرٍ بلغه عنه ، فَعَذَرَهُ ، ثم قال له : يا هذا ! لا يَحْمِلَنَّكَ الخروجُ من أمرٍ تَخَلّصْتَ منه على الدُّخولِ فى أمرٍ لعلكَ لا تَخَلَّصُ منه .

وقيلَ لخالد بن صَفْوَانَ : أىُّ إخوانِكَ أَحَبُّ إليك ؟ فقال : الذى يَسُدُّ خَلَلِى ، ويَغْفِرُ زَلَلِى ، ويَقْبَلُ عِلَلِى .

وافْتَقَدَ عبدُ الله بن جعفر بن أبى طالب صَديقًا له مِن مجلسه ،

---

(١) فى ج و د « فكرة عجيبة » .
(٢) فى د « عدل » .
(٣) فى س و د « ما أدرى » .
(٤) « سلم » بفتح السين وسكون اللام ، و« قتيبة » بالتصغير . وقد وهم الشيخ المرصفى فظن أنه « سلم بن قتيبة نزيل البصرة » وهو الخراسانى الشعيرى الراوى المتوفى سنة ٢٠٠ ، وليس كذلك ، بل هو « سلم بن قتيبة بن مسلم بن عمرو الباهلى » الأمير ، وكان ثقة عابداً ، ولى ـ فيما ولى ـ البصرة وخراسان ، ومات سنة ١٤٩ .

ثم جاءه، فقال [له[1]] : أين كانتْ غَيْبَتُكَ ؟ فقال : خرجتُ إلى عُرْضٍ[2] من أعْرَاضِ المدينةِ معَ صديقٍ لى ، فقال له : إنْ لم تجِدْ مِن صُحبةِ الرِّجالِ بُدًّا ، فعليك بصحبةِ مَنْ إنْ صَحِبْتَهُ زانَكَ ، وإنْ خَفَفْتَ له صانَكَ ، وإنِ احتجتَ إليه مَانَكَ[3] ، وإنْ رأَى منك خَلَّةً سَدَّها ، أو حَسَنَةً عَدَّها ، وإن وَعَدَكَ لم يُجْرِضْكَ[4] ، وإن كَثُرْتَ عليه لم يَرْفِضْكَ ، وإن سألته أعطاكَ ، وإن أمسَكْتَ عنه ابتدَاكَ .

[5] وامتدَحَ نُصَيْبٌ عبدَ الله بن جعفرٍ ، فأمَرَ له بخيلٍ وإبلٍ وأثاثٍ ودنانيرَ ودراهِمَ ، فقال له رجل : أمِثْلُ هذا الأسودِ يُعْطَى[6] مثلَ هذا المالِ ؟ فقال له عبدُ الله [بن جعفرٍ[7]] : إنْ كان أسودَ فإنّ شِعْرَهُ لَأبيَضُ ، وإنّ ثناءه لَعَرَبِيٌّ ، ولقد استحقّ بما قالَ ، أكثرَ مِمّا نالَ ، وهل

(١) كلمة « له » زيادة من ج و س و د .

(٢) « عرض » بكسر العين وبضمها ، والمراد به هنا : أطراف المدينة أو ضواحيها .

(٣) « مانك » : احتمل مؤونتك وقام بكفايتك .

(٤) « يجرضك » بالجيم ، من « الجرض » بفتح الراء ، وهو الريق ، يقال « أجرضه بريقه » أى أغصه ، وهو هنا كناية .

وفى ا « يحرضك » بالحاء المهملة ، وهى التى شرحها الشيخ المرصفى ، وفسرها بأنها من « أحرضه المرض » : إذا أشفى منه على الموت ، يريد : لم يجهدك بكثرة خلف الوعد . والمعنيان متقاربان .

(٥) هنا فى طبعات مصر زيادة « قال أبو العباس » وليست ثابتة فى طبعة أوربة المطبوعة عن أصول مخطوطة صحيحة .

(٦) فى ج و د « أمثلَ هذا الأسودِ تُعْطِى » .

(٧) الزيادة من ج و س و د .

أعطيناهُ إلاّ ثِياباً تَبْلَى ، ومَالاً يَفْنَى ، ومَطايا تُنْضَى [(١)]، وأعطانا [(٢)] مَدْحًا يُرْوَى ، وثناءً يَبْقَى ؟!

وقيلَ لعبدِ اللهِ بن جعفرٍ : إنكَ لتَبْذُلُ الكثيرَ إذا سُئِلْتَ ، وتُضيِّقُ في القليلِ إذا تُوجِرْتَ ؟ فقال : إني أَبْذُلُ مالِي ، وأَضَنُّ بعقلِي .

وقيل ليزيدَ بنِ معاويةَ : ما الجودُ ؟ فقال : إعطاءُ المالِ مَنْ لاتَعْرِفُ ، فإنه لايَصِيرُ إليه حتَّى يَتَخَطَّى مَنْ تَعرفُ .

وخُبِّرْتُ عن رجلٍ [(٣)] من الأنصارِ قال لابنِ عبدِ الرحمن بن عوفٍ : ما تَرَكَ لكَ أبوكَ ؟ قال : تَرَكَ لي مَالاً كثيراً ، فقال : ألا أُعلِمُكَ شيئاً هو خيرٌ لكَ مما تَرَكَ [لك] [(٤)] أبوكَ ؟ : إنه لا مالَ لعاجزٍ ، ولا ضَيَاعَ على حازمٍ ، والرَّقيقُ جَمَالٌ ، وليس بمَالٍ ، فعليك من المالِ بما يَعُولُكَ ولا تَعُولُهُ .

وقال معاويةُ : الخَفْضُ والدَّعَةُ سَعَةُ المنزلِ وكثرةُ الخَدَمِ [(٥)] .

وقيل لخُرَيْمٍ المُرِّيِّ ، وهو المُنَبَّزُ [(٦)] بخُرَيْمٍ النَّاعِمِ : ما النِّعْمَةُ ؟ فقال : الأَمْنُ ، فانه ليس لخائفٍ عيشٌ ، والغِنَى ، فإنه ليس لفقيرٍ عيشٌ ، والصِّحة ، فإنه ليس لسَقِيمٍ عيشٌ ، قيلَ : ثُمَّ مَاذَا ؟ قال : لامَزِيدَ بعدَ هذا .

---

(١) تنضى : تهزل من كثرة ركوبها .
(٢) في ج و د « وأعطانا هو » .
(٣) في ج و س و د « أن رجلا » .
(٤) الزيادة من ج و د .
(٥) في ج و س و د « الخدّام » .
(٦) المنبز : الملقب .

وقال سَلْمُ بن قُتَيْبَةَ : الشَّبابُ الصحةُ ، والسلطانُ الغِنَى ، والمروءةُ الصَّبرُ على الرِّجالِ .

وقال المُهلَّبُ بن أبي صُفْرةَ : العَجَبُ لمن يَشترِى المماليكَ بماله ، ولا يَشتِرى الأحرارَ بمعروفِهِ ! وكان يقولُ لبَنِيهِ : إذا غَدَا عليكم الرجلُ وراحَ مُسَلِّمًا ، فكَفَى بذلك تقاضيًا .

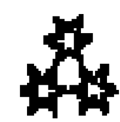
وقال خالدُ بن عبد الله القَسْرىُّ : مَحْضُ الجُودِ مالم تَسْبِقْهُ مسئلةٌ ، ومالم يَتْبَعْهُ مَنٌّ ، ولم يُزْرِ بِهِ قِصَرٌ ، ووافَقَ موضعَ الحاجة .

وقال بعض المُحْدَثين ، وهو [حبيبٌ[1]] الطائىُّ :

أسائِلَ نَصْرٍ لاَ تَسَلْهُ فإنه أحَنُّ إلى الإرْفادِ منك إلى الرِّفْدِ[2]

وقال آخرُ ، وهو أبو العَتَاهِيَةِ :

لاَتَسْأَلَنَّ المَرْءَ ذَاتَ يَدَيهِ فَلَيَحْقِرَنَّكَ مَنْ رَغِبْتَ إليهِ
أَلْمَرْءُ مالم تَرْزَهُ لك مُكْرِمٌ فإذَا رَزَأْتَ المرءَ هُنْتَ عليهِ
وكما يكون لَدَيْكَ مَنْ عاشَرتَهُ فكَذَاكَ فَارْضَ بأَنْ تكونَ لَدَيهِ



ودخل النَّخَّارُ العُذْرِىُّ[3] على معاوية فى عَبَاءةٍ ، فاحتقَره [معاويةُ][4] ، فرأى ذلك النَّخَّارُ فى وجهه ، فقال له : ياأميرَ المؤمنين ! ليستِ العباءةُ تُكَلِّمُكَ ، إنما يكلِّمك مَنْ فيها ! ثم تكلمَ فَمَلأَ سَمْعَهُ ، ثم نهض ولم يَسْأَلْهُ ،

---

(١) الزيادة من حاشية ج .
(٢) فى حاشيته ج « أهش » بدل « أحن » .
(٣) « النخار » بفتح النون وتشديد الخاء المعجمة ، وهو ابن أوس ، وكان ألسب العرب .
(٤) الزيادة من ج و س و د .

فقال معاويةُ : ما رأيتُ رجلاً أحقرَ أوّلاً ولا أجلَّ آخراً منه !

ودخل محمدُ بن كعبٍ القُرَظِيُّ على سليمانَ بن عبد الملك فى ثيابٍ رَثَّةٍ ، فقال له سليمانُ : ما يَحمِلُك على لُبْسِ مثلِ هذه الثيابِ ؟ فقال : أَكْرَهُ أن أقولَ : الزُّهْدُ فأُطْرِىَ نفسي ، أو أقولَ : الفقرُ فأشكُوَ ربِّى .

وحدثنى التَّوَّزِىُّ قال : دخلَ سالمُ بن عبد الله بن عمر بن الخطاب على هشامِ بن عبد الملك فى ثيابٍ وعليه عِمامةٌ تُخالِفُها ، فقال له هشامٌ : كأنَّ العمامةَ لَيْسَتْ من الثياب ؟ ! قال[1] : إنها مُسْتَعَارَةٌ ! فقال له : كم سِنُّكَ ؟ قال : ستُّونَ سنةً ، قال[1] : ما رأيتُ ابنَ ستينَ أبْقَى كُدْنَةً[2] منك ! [« كُدْنَةٌ » قوةُ الجِسْمِ ، قال ابنُ القُوطِيَّةِ فى الأفعال : « كَدِنَ الشَّفَةُ كُدُونًا[3] » : اسودَّتْ ، و « أُكْدِنَ البعيرُ » كَثُرَ لحمُهُ وشحمُه] مَا طَعَامُكَ ؟ قال الخبزُ والزّيتُ ، قال : أَمَا تَأْجُمُهُما[4] ؟ قال : إذا أَجِمْتُهما تركتُهما حتَّى أشْتَهِيَهُما ، ثم خرجَ مِنْ عندِه وقد صُدِعَ ، فقال : أتُرَوْنَ الأحْوَلَ لَقَعَنِى بعينه ؟ ! فماتَ من تلك العِلَّةِ .

[قال ابنُ الأعرابِىِّ : « لقعَ » فلانٌ فلانًا بعينه ، و « زَلَقَهُ وزَلَّقَهُ وأزْلَقَهُ وشَقَذَهُ[5] وشَوَّهَهُ » ، ويقول الرجلُ : إذا أجادَ فى عمله : « لا تُشَوِّهْ

---

(١) فى ع و س و د « فقال » .

(٢) « كدنة » ضبطت فى ع بكسر الكاف وضمها ، وكتب فوقها « معاً » ، وهو الصواب ، وإن اقتصر الفيروزبادى على الكسر .

(٣) قوله « كدونا » هذا مصدر لم نجده فى شيء من مراجع اللغة ، والفعل من باب « فرح » . فمصدره « كدنا » بفتح الكاف والدال .

(٤) يقال « أجم الطعام » من بابى « ضرب » و « سمع » : إذا كرهه وملّه من المداومة عليه .

(٥) « شقذ » بكسر القاف ، وهو الذى فى كتب اللغة ، وفى ع « وشقذه » مضبوطة بفتح القاف .

عَلَيَّ » أى لا تَقُلْ لى أَجَدْتَ فتُصيبَني بالعَيْنِ ، ورجلٌ « مَعِينٌ » إذا أُصِيبَ بالعين ، و « شاهٌ وشَائِهٌ وشَقِذٌ وَشِقَذَانٌ(١) »] .

ونَظَرَ أعرابيٌّ إلى رجلٍ جَيِّدِ الكِدْنَةِ ، فقال : ياهذا ! إنِّى لأَرَى عليك قَطيفةً مُحْكَمَةً من نَسْجِ أضراسِك !

ودخل أبو الأسودِ الدُّؤَلِيُّ [اسمُ أبي الأسود الدؤلى « ظالمُ بن عمرِو بن سفيانَ » وقيل « بن عمرو بن جَنْدَلِ بن سفيانَ » وأُمه من بنى عَبْدِ الدَّارِ ، بصريٌّ تابعيٌّ ثقةٌ ، من أصحاب عليٍّ من كُتَّابِهِ] على عُبيد الله بن زيادٍ فى ثيابٍ رثَّةٍ ، فكساه ثيابًا حِسَانًا ، فخرج وهو يقولُ :

كَسَاكَ وما استكسيتَهُ فَشَكَرْتَهُ ... أخٌ لك يُعطيكَ الجزيلَ وناصِرُ(٢)

وإنَّ أحقَّ النَّاسِ إنْ كنتَ مَادِحًا ... بمدحك مَنْ أعطاكَ والعِرْضُ وافِرُ(٣)

وحدثنى الرِّيَاشِيُّ قال : دخل أبو الأسود الدُّؤَلى على عُبيد الله بن زيادٍ وقد أسَنَّ ، فقال له عبيدُ الله يهزَأُ به : يا أبا الأسودِ ! إنك لجميلٌ ! فلو تَعَلَّقْتَ تَميمةً تَرُدُّ عنك بعضَ العُيونِ ! فقال أبو الأسودِ :

أفْنَى الشَّبابَ الذى أفنيتُ جِدَّتَهُ ... كَرُّ الجديدَيْنِ مِن آتٍ ومُنطلِقِ

لَمْ يَتْرُكَا لِيَ فى طُولِ اختلافِهِما ... شيئًا أخافُ عليه لَذْعَةَ الحَدَقِ

قوله « فلو تعلَّقْتَ تَميمةً » هى : المَعَاذَةُ يُعَلِّقُها الرجلُ .

قال ابنُ قَيْسِ الرُّقَيَّاتِ :

---

(١) « شقذان » مضبوطة فى طبعة أوربة بفتح الشين وبالحركات الثلاث فى القاف .

(٢) فى ع و س و د « ولم تستكسِهِ » .

(٣) بحاشيته ا « شاكراً » بدل « مادحا » وعليها علامة « صح » . وفى ع و س و د « والوجه وافر » .

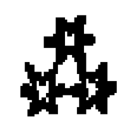
صَدَرُوا ليلَةَ انْقضَى الحجُّ فيهم ... طَفْـــلَةٌ زَانَها أغَرُّ وَسِيمُ
يَتَّقِي أهلُها العيونَ عليها ... فعلَى جِيدِها الرُّقَى وَالتَّمِيمُ

وقال أبو ذُؤَيْبٍ :

وإذا المَنِيَّةُ أنْشَبَتْ أظفارَهَا ... ألفَيْتَ كلَّ تميمةٍ لاتَنفَعُ

وقوله « لَذْعَةُ الحَدَقِ » فهو من قولك : « لَذَعَتْهُ النارُ » إذا لَفَحَتْهُ ، ويقال : « لَذَعَ فلانٌ فلانًا بأدَبٍ » إذا أدَّبَهُ أدَبًا يسيرًا ، كأنَّهُ كالمقدار الَّذى وصفناه[1] من النَّار .

وقولُ ابْنِ قيسِ الرُّقَيَّاتِ « زَانَهَا أغَرُّ وسيم » فالأغَرُّ : الأبيضُ ، يعنى الوَجْهَ ، والوَسِيمُ : الجميلُ ، والمصدرُ « الوَسَامَةُ والوَسَامُ » .



وقال بعضُ المُحَدَثِينَ ، ذَكَّرناهُ بقولِ أبي الأسود — :

قد كُنْتُ أرْتاعُ للبيضاء فى حَلَكٍ ... فصرتُ أرتاعُ للسَّوداء فى يَقَقِ[2]
مَنْ لم يَشِبْ ليس مِمْلاقًا حَلِيلَتَهُ ... وصاحبُ الشَّيْبِ للنِّسْوانِ ذو مَلَقِ
قد كُنَّ يَفْرَقْنَ منــــه فى شَبيبَتِهِ ... فصارَ يَفْرَقُ ممن كانَ ذا فَرَقِ
إنَّ الخِضَابَ لَتَدْليسٌ يُغَشُّ به ... كالثَّوْبِ فى السُّوق مَطْوِيًّا على حَرَقِ

ويُرْوَى : « يُطْوَى لِتَدْليسٍ على حَرَق » .

وشبيهٌ بهذا المعنى قولُ أبي تَمَّامٍ :

---

(١) فى ج و س و د « وصفنا » .
(٢) « اليقق » بفتح الياء والقاف : شدة البياض ، وقوله « للبيضاء » يريد به : للشعرة البيضاء ، وكذلك « للسوداء » .

طَالَ إنْكارِى البياضَ وإن عُمِّـرْتُ شيأً أنْكرْتُ لونَ السَّوَادِ

وحدثنى الزِّيادىُّ قال قيلَ لأعرابىٍّ : ألاَ تَخْضِبُ بالوَسْمَةِ[1]؟ فقال : لِمَ ذاكَ ؟ فقال : لِتَصْبُوَ إليكِ النساء ، فقال : أمّا نِسَاؤُنا فَما يُرِدْنَ بِنا بَدِيلاً[2] ، وأمّا غيرُهنّ فَما نَلْتَمِسُ صَبْوَتَهُنَّ[3] .

وقال العُتْبِىُّ :

وَقَائِلَةٍ تَبَيَّضْ وَالغَوَانِى نَوَافِرُ عن مُعَالَجَةِ القَتِيرِ[4]

[وَيُرْوَى « مُعَالِجَةِ » بكسر اللام ، فَمَنْ فتح اللاَّمَ جعله مصدراً ، ومن كَسَرَ اللامَ فهى الجماعةُ التى تُعَالِجُ ذلك الشىءَ]

عَلَيْكَ الخِطْرَ عَلَّكَ أَنْ تَدَنَّى إلَى بيضٍ تَرَائِبُهُنَّ حُورِ[5]

فقلتُ لهـا المَشِيبُ نَذِيرُ عُمْرِى وَلَسْتُ مسَوِّدًا وَجْهَ النَّذِيرِ[6]

وقال آخرُ ، وهو أبو خالدٍ يزيدُ بن محمدٍ المُهَلَّبِىُّ :

صَبَغْتُ الرَّأسَ خَتْلاً للغَوَانِى كَمَا غَطَّي على الرَّيْبِ المُرِيبُ[7]

---

(١) « الوسمة » بفتح الواو مع سكون السين أو كسرها ، وهى نبات يخضب بورقه .

(٢) فى ج و س و د « فلا يبغين بنا بدلا » .

(٣) فى ج و س و د « صبوته » .

(٤) « تَبَيَّضْ » بفتح التاء ، على حذف إحدى التاءين ، وأصـله « تتبيض » . و فى ج « تُبَيِّضُ » بضم التاء وكسر الياء المشددة . و « القتير » : الشيب ، وقيل : أول مايظهر منه . وأصـل « القتير » رؤوس مسامير حلق الدرع تلوح فيها ، شبه بها الشيب إذا نقب فى سواد الشعر . قاله فى اللسان .

(٥) « الخطر » بكسر الخاء المعجمة وسكون الطاء المهملة ، وهو نبات يخضب به ، أو هو الوسمة .

(٦) فى حاشية ج : «قال قتادةُ فى قوله :﴿وجاءكُمُ النَّذِيرُ﴾ قال: الشيبُ» . والآية فى سورة فاطر (٣٧) .

(٧) « الرَّيْب » بفتح الراء وإسكان الياء ، وفى ج « الرِّيَب » بكسر الراء وفتح الياء ، جمع « ريبة » والمراد الظنة والتهمة .

أُعَلَّلُ مَرَّةً وأُسَاءُ أُخْرَى ولا تُحْصَى مِنَ الـكِبَرِ العُيُوبُ
أُسَوِّفُ تَوْبَتِي خَمْسِـــينَ عامًا وظَنِّي أَنَّ مِثْـــلِيَ لا يَتُوبُ[1]
يُقَوَّمُ بِالثِّقَافِ العُودُ لَدْنًا وَلاَ يَتَقَوَّمُ العُودُ الصَّلِيبُ[2]

وقال مالكُ بن دِينارٍ[3] : جاهِدُوا أهواءكم ، كما تُجاهِدُونَ أعداءكم . وكان يقول : ما أشدَّ فِطَامَ[4] الـكبيرِ !

وقال آخرُ :

دَعِي لَوْمِي ومُغْتَبَقِي أَمَامَا فإِنِّي لَمْ أُعَوَّدْ أَنْ أُلامَا[5]
وكيف مَلامَتِي إِذْ شابَ رأسي على خُلُقٍ نَشَأْتُ به غُــلامَا

وقيلَ لأعرابيّ : أَلاَ تُغَيِّرُ شيبَك بالخِضابِ ؟ فقال : بَلَى ، ففعَلَ ذاكَ[6] مرةً ، ثم لم يُعَاوِدْ[7] ، فقيل له : لِمَ لا تُعاوِدُ الخِضابَ ؟ فقال : يا هَنَاهُ ! لقد شُدَّ لَحْيايَ فجعلتُ أَخالُنِي مَيِّتًا ! !

وقال بعضُ المُحْدَثِينَ ، وهو محمودٌ الوَرَّاقُ :

يا خاضِبَ الشَّيْبِ الذى في كلِّ ثالثةٍ يَعُودُ
إنَّ النُّصُولَ إذا بَدَا فكأنَّه شَيْبٌ جَدِيدُ[8]

---

(١) في ج « حولا » بدل « عاما » .
(٢) « الثقاف » ما تسوّى به الرماح . و « اللدن » : اللين .
(٣) مالك بن دينار أبو يحيى البصرى : كان من العلماء الزاهدين المتقشفين ، تابعى ثقة ، مات سنة ١٣٠ هـ أو قبلها بقليل .
(٤) في س « علاج » .
(٥) « ومغتبق » ضبطت في أكثر الأصول بفتح التاء ، وضبطت في ج بضمها وكسرها معاً .
(٦) في ج و س و د « ذلك » .
(٧) في ج و س و د « لم يعاوده » .
(٨) نصول اللحية : خروجها من الخضاب .

وله بَدَاهَـــةُ لَوْعَةٍ مكروهُها أبداً عَتِيدُ(١)
فَدَعِ المَشِيبَ لِمَا أَرَا دَ فَلَنْ يَعُودَ كَمَا تُرِيدُ(٢)

وقال محمودٌ أيضاً :

أَلَيْسَ عَجِيبًا بِأَنَّ الفَـــتَى يُصَابُ بِبَعْضِ الَّذى فى يَدَيْهِ
فَمِنْ بَيْنِ بَاكٍ له مُوجَعٍ وَبَيْنَ مُعَزٍّ مُغِـــذٍّ إِلَيْهِ(٣)
وَيَسْلُبُهُ الشَّيبُ شَرخَ الشَّبَابِ فليس يُعَزِّيهِ خَلْقٌ عَلَيْهِ

وقال أيضًا :

يَا خَاضِبَ الشَّيْبَةِ نُحْ فَقْدَهَا فَإِنَّمَا تُدْرِجُهَا فى كَفَنْ
أَمَا تَرَاهَا مُنْـــذُ عَايَنْتَهَا تَزِيدُ فِى الرَّأْسِ بِنَقْصِ البَدَنْ

وقال أيضاً :

اغْتَنِمْ غَفْلَةَ المنيَّةِ واعْـــلَمْ أَنَّمَا الشَّيْبُ للمنيَّةِ جِسْرُ(٤)
كم كَبِيرٍ يومَ القيامـــةِ يُقْصَى وصَـــغِيرٍ له هُنَالِكَ قَدْرُ

[قال أبو الحسن : يقال « جِسْرٌ وجَسْرٌ » وهو مأخوذٌ من الناقة الكبيرة ، يقال لها « الجَسْرُ »] .

وقال أعرابيٌّ [هو أبو النَّجْم] :

قالت سُلَيْمَى أنتَ شَيْخٌ أَنْزَعُ فقلتُ مَا ذَاكِ وَإِنِّى أَصْلَعُ(٥)

---

(١) « العتيد » بالتاء المثناة : الحاضر ، وفى ع بدلها « عنيد » بالنون . وفى ع و س و د « بديهة » بدل « بداهة » .
(٢) فى ع و س و د « كما أراد » .
(٣) « مغذّ » : مسرع ، من « الإغذاذ » وهو الإسراع .
(٤) فى ا « واعمل » بدل « واعلم » ، وعليها تكون « إنما » بكسر الهمزة ، لاستئناف الكلام .
(٥) « أنزع » : منحسر مقدم شعر الرأس من جانبي الجبهة . و « أصلع » : ذاهب شعر الرأس كله ، أو وسطه .

ثم حَسَرَتْ عَنْ صَفَاةٍ تَلْمَعُ   فَأَقْبَلَتْ قائِلَةً تَسْتَرْجِعُ[1]

* ما رأسُ ذَا إلاَّ جَبِينٌ أَجْمَعُ *

وقال آخرُ، وهو رُؤْبَةُ :

قد تَرَكَ الدهرُ صَفَاتِي صَفْصَفَا   فصارَ رأسِي جَبْهَةً إلى القَفَا[2]

كأنَّه قد كَانَ رَبْعًا فَعَفَا   يُمْسِي ويُضْحِي للمَنَايا هَدَفَا

وكان نَصْرُ بن حَجَّاج بن عِلاَطٍ السُّلَمِيُّ ثم البَهْزِيُّ جميلاً، فعَثَرَ عليه عمر بن الخطاب رحمه الله في أمرٍ اللهُ أعلم به، فحَلَقَ رأسَه، وكان عمرُ أَصْلَعَ، لم يَبْقَ من شَعَرِه إلاَّ حُفافُه[3]، كذلك قال الأصمعيُّ، فقال نصرُ بنُ حجَّاجٍ [في ذلك[4]] :

لَضَنَّ ابنُ خَطَّابٍ عليَّ بِجُمَّةٍ   إذا رُجِّلَتْ تَهْتَزُّ هَزَّ السَّلاَسِلِ

فَصَلَّعَ رأسًا لم يُصَلِّعْهُ رَبُّهُ   يَرِفُّ رَفِيفًا بعد أَسْوَدَ جَاثِلِ[5]

لقد حَسَدَ الفُرْعَانَ أَصْلَعُ لم يَكُنْ   إذا ما مَشَى بالفَرْعِ بالمُتَخَايِلِ[6]

قوله «بالفَرْعِ المُتَخَايِلِ» ليس أَنَّهُ جَعَلَ «بِالفَرْعِ» مِن صِلَةِ «المُتَخايل» فيكونَ معناه: بالذي يَخْتَالُ بالفَرْعِ، فيكونَ قد قَدَّمَ الصِّلَةَ على الموصول،

---

(١) «الصفاة» هي الصخرة الملساء .

(٢) «الصفصف» الأملس لانبات به، شبه به الرأس التي لاشعر فيها .

(٣) «الحفاف» بكسر الحاء المهملة: الشعر حول الصلعة، وضبط في ع بكسر الحاء وضمها معاً .

(٤) الزيادة من ج و د .

(٥) «يرف» يبرق ويتلألأ . و «الجاثل» بالثاء المثلثة: الشعر الكثير الملتف .

(٦) «الفرعان» جمع «أفرع» وهو الوافي الشعر، ضد الأصلع، و «الفرع» بسكون الراء: الشعر التام .

ولكنه جعلَ قولَه « بالفرع » تبييناً[1] ، فصار بمنزلة « بِكَ » التى تقعُ بعدَ « مَرْحَبًا » للتبيين[2]. وقد مَرّ تفسيرُ هذا مستقصًى فى الكتاب (المُقْتَضَبِ[3])

وقال آخرُ :

تُغَطِّى نُمَيْرٌ بالعَمائم لُؤْمَهَا ... وكيفَ يُغَطِّى اللُّؤْمَ طَىُّ العَمائِمِ

فإنْ تَضْرِبونا بالسِّياطِ فإنّنا ... ضَربناكُمُ بالمُرْهَفَاتِ الصَّوارِمِ

وإن تَحْلِقُوا مِنّا الرؤوسَ فإننا ... حَلَقْنا رُؤُوسًا باللَّهَا والغَلاصِمِ[4]

وإنْ تَمْنَعُوا مِنّا السِّلاحَ فعندنا ... سِلاحٌ لنا لا يُشْتَرَى بالدَّراهِمِ[5]

جَلاَمِيدُ أَمْلاَءُ الأَكُفِّ كأَنَّها ... رؤوسُ رجالٍ حُلِّقَتْ بالمَوَاسِمِ[6]

⁂

وكان يزيدُ بن الطَّثْرِيَّةِ[7] غَزِلاً[8] ، وكان أخوه ثَوْرٌ ذَا مَالٍ ، فكان يزيدُ يأتى العطّارَ فيقولُ : ادْهُنّى دَهْنَةً بناقةٍ من إبلِ ثَوْرٍ ! فيفعلُ ذلك ،

---

(١) قال المرصفى : « يريد أنه خبر مبتدإ محذوف ، تقديره : وذلك بالفرع ، فيكون جملة مستأنفة، بيانا للمتخايل به ، قدمت على المبين » .

(٢) وقال أيضا . « يريد — كما قلنا — أنه خبر لمحذوف ، تقديره : وذلك الرحب بك ، تريد : عليك ، وقال الفراء : معناه : رحب الله بك مرحبا ، فجعله معمول الفعل المحذوف ، ووضع مرحباً موضع ترحيباً » .

(٣) هو اسم كتاب نفيس للمبرد ، فى علم النحو وماإليه ، وأخطأ صاحب كشف الظنون ، فزعم أنه فى الخطب . وهو موجود بدار الكتب المصرية بالتصوير الشمسى ، عن نسخة مكتوبة فى سنة ٣٤٧ هـ وعلى أجزائها خط الحسن بن عبدالله السيرافى، بأنه قرأه وصححه وأصلح مافيه. وكم نتمنى أن نجد من ينشره ، لإحياء هذا الأثر الجليل .

(٤) « اللها » بفتح اللام : جمع « لهاة » وهى لحمة مشرفة على الحلق فى أقصى الفم . و« الغلاصم » جمع « غلصمة » وهى لحمة بين الرأس والعنق . وفى بعض النسخ « باللحى » بدل « باللها » .

(٥) فى ج و د « لانشترى » .

(٦) « جلاميد » جمع « جلمود » وهو الحجر تأخذه بيدك .

(٧) « الطثرية » بفتح الطاء المهملة وسكون الثاء المثلثة وكسر الراء وتشديد الياء ، وهى أمه ، وأبوه : سلمة بن سمرة بن سلمة الخير .

(٨) أى كثير الغزل .

وكان ذا جُمَّةٍ حَسَنَةٍ ، فإذا كَثُرَ عليه الدَّيْنُ هربَ فتبدَّى[1] ، فإذا ذَكَرَ حُوشِيَّةَ ، وهي امرأة ، كانَ يُشَبِّبُ بها [« حُوشِيَّةُ بنتُ أبي فُدَيْكِ بنِ قُرَّةَ » ولها مع يزيدَ حديثٌ طَرِيفٌ] - : قَدِمَ فاقتَطَعَ من إبلِ أخيه ما يَقْضِي به دَيْنَه ، وفى ذلك يقولُ :

قَضَى غُرَمَائِي حُبُّ أسماءَ بعدَمَا ... تَخَوَّفَنِي ظُلْمٌ لهم وفُجُورُ

فذلكَ دَأْبِي ما حَيِيتُ وما مَشَى ... لثَوْرٍ على ظَهرِ الفَلاةِ بَعِيرُ

فاستَعْدَى عليه ثورٌ السُّلطانَ ، فأمَرَ بحلْقِ رأسِه ، فقال [فى ذلك][2] :

أقولُ لثَوْرٍ وهو يَحْلِقُ لِمَّتِي ... بعَقْفَاءَ مَرْدُودٌ عليها نِصَابُهَا

ترَفَّقْ بها يا ثَوْرُ ليس ثَوابُهَا ... بهذا ولكنْ عندَ رَبِّي ثَوابُهَا[3]

ألَا رُبَّما يا ثَوْرُ فَرَّقَ بينها ... أنامِلُ رَخْصاتٌ حَدِيثٌ خِضَابُهَا[4]

فيَهْلِكُ مِدْرَى العَاجِ فى مُدْلَهِمَّةٍ ... إذا لم تُفَرَّجْ ماتَ غَمًّا صُؤَابُهَا[5]

فجاء بها ثَوْرٌ تَرِفُّ كأنَّها ... سلاسِلُ بَرْقٍ لِينُهَا وانْسِكَابُهَا[6]

ورُحْتُ بِرَأْسٍ كالصُّخَيْرَةِ أشْرَفَتْ ... عليها عُقَابٌ ثم طارتْ عُقَابُهَا[7]

خُدَارِيَّةٌ كالعُمْرِيَّةِ الفَرْدِ جَادَهَا ... من الصَّيِّفِ أنواءٌ مَطِيرٌ سَحَابُهَا[8]

---

(١) أى : أقام بالبادية .

(٢) الزيادة من ج و د .

(٣) بحاشية ج « ولكن غيرُ هٰذا ثوابُهَا » وكأنها رواية أخرى .

(٤) « الرخص » بفتح الراء وسكون الخاء : الشيء الناعم اللين .

(٥) « المدرى » : المشط . و « الصؤاب » : بيض القمل .

(٦) بحاشية ج « سلاسل درع » .

(٧) فى س « ثم طار عقابها » وفى ج و د « طار عنها عقابها » .

(٨) « خدارية » : وصف للمة ، وهى شدة السواد ، و « العمرية » : النخلة تنبت من النواة ، و « الفرد » : المنفردة ، قاله المرصفى .

باب

قالَ رجلٌ من المتقدِّمين ، وهو قَيْس بن عاصمٍ المِنْقَرِىُّ[1] :

أَيَا بْنَةَ عبدِ اللهِ وابْنَةَ مالكٍ ... ويا بْنَةَ ذِى البُرْدَيْنِ والفَرَسِ الوَرْدِ[2]

إذا ما أصبْتِ الزَّادَ فالتَمِسِى له ... أَكِيلاً فإنِّى غيرُ آكِلِهِ وَحْدِى[3]

قَصِيًّا كَرِيمًا أو قَرِيبًا فإننى ... أخافُ مَذَمَّاتِ الأَحَادِيثِ مِن بَعْدِى[4]

وإنِّى لَعَبْدُ الضَّيْفِ ما دامَ ثَاوِيًا ... ومامِنْ خِلاَلِى غيرَها شِيمَةُ العَبْدِ[5]

« غيرَها » استثناءٌ مقدَّم . وقد مضَى تفسيرُه[6] .

وقوله « قَصِيًّا كريمًا » : من طَرِيفِ المَعانى ، وذلك : أنه لم

(١) هذا هو الصحيح فى نسبة هــذه الأبيات ، وأخطأ التبريزى فى شرح الحماسة (٤ : ١٠٠ بولاق) إذ نسبها لحاتم الطائى .

(٢) فى ا « أَيَابِنْتَ » ، وفى س « يَابِنْتَ » ، وفيها أيضا « ذِى الجَدَّيْنِ » وهو خطأ ، فان ذا الجدين شخص آخر ، وإنمـا الشاعر يخاطب امرأته « منفوسة بنت زيد الفوارس الضبى » نسبها لعمها وجدها الأكبرين «عبد الله» و « مالك » ، ثم نسبها لجدها لأمها « ذى البردين » وهو « عامر بن أحيمر » ، والبردان : ثوبان لبسهما عامر ، حين قال النعمان فى وفود العرب : ليقم أعز العرب فليلبسهما ! و « الفرس الورد » : ما كان لونه أحمر يضرب إلى الصفرة. وفى حاشية ا : « وهذا الفرس الورد : يقال : إنه أخذ السباق عشرين سنة ».
والظر تحقيقنا لهــذه الأبيات فى التعليق على (لباب الآداب) للأمير أسامة بن منقذ (ص ١٢٠) .

(٣) بحاشية ا و د «صَنَعْتِ» وفى س « وَضَعْتِ» : كلاهما بدل « أَصَبْتِ » . وبحاشية ا « لَسْتُ آكِلَهُ » وفى ج و س و د « لَسْتُ آكِلَهُ » وبالأخيرة طبعت طبعات مصر.

(٤) « المذمة » بفتح الذال : الذم واللوم ، وكذلك بكسرها ، أو الثانية : من الذمام ، بالكسر أيضا ، بمعنى الحقّ ، والمعنى فيهما واحد أو هما متقاربان .

(٥) فى ج و س و د « نازلا » وهو بمعنى « ثاوياً » .

(٦) فى ج و س و د « تفسيرُ هذا » .

يَحْتَجْ إلى أن يَشترطَ فى نِسْبته الـكَرَمَ[١] ، لأنه قد ضَمِنَ ذلك . واشترط فى القَمِىِّ أن يكونَ كريمًا ، لأنه كَرِه أن يكونَ مُوَاكِلُه غيرَ كَرِيمٍ .

وهذا ليس من البابِ الذى ذَكَره جريرٌ ، حيثُ يقولُ فى هجائه بنى هِزَّانَ[٢] :

ضَيْفُكُمْ جائعٌ إذْ لم يَبِتْ غَزِلاً ... وجارُكُمْ يابَنِى هِزَّانَ مَسْرُوقُ[٣]

رأيتُ هِزَّانَ فى أَحْرَاحِ نِسْوَتِها ... رُحْبٌ وهِزَّانُ فى أخلاقِها ضِيقُ[٤]

وقال آخرُ من المُحْدَثِينَ ، وهو يحيى بنُ نَوْفَلٍ ، أنشدَه دِعْبِلٌ :

كنتُ ضَيْفًا بِبَرْمَنَا يالِعَبْدِ الله والضَّيْفُ حقُّهُ معلومُ

فانْبَرَى يَمْدَحُ الصِّيامَ إلى أَنْ ... صُمْتُ يومًا ما كنتُ فيه أصومُ

ثم أَنْشَا يَسْتَامُ بِرْذَوْنِىَ الوَرْ ... دَ مُلِحًّا كما يُلِحُّ الغَرِيمُ

[قال الأخفش : يُرْوَى « بِرْذَوْنِىَ الزَّرْدَ » وهو الأصفرُ]

ولَعَمْرِى إنَّ ابنَ قَيْلَةَ إذْ يَسْـــتامُ بِرْذَوْنَ ضَيفِه لَلَئِيمُ

وقال رجلٌ ، أَنْشَدَنِيه السِّجِسْتانِىُّ ، يَقُولُه[٥] لابن دَغْلَجٍ ، وكان ابنُ دَغْلَجٍ يتَوَالَى[٦] بنى تَميمٍ :

إذا جئتَ الأَميرَ فقلْ سَلَامٌ ... عليكَ ورحمةُ اللهِ الرحيمِ[٧]

(١) فى ج و س و د « الكرام » .
(٢) « هزان » بكسر الهاء وتشديد الزاى ، وهو : ابن صباح بن عتيك ، من بنى عنزة بن أسد بن ربيعة .
(٣) فى ج و س و د « إن » بدل « إذ » وبها طبعت فى طبعات مصر .
(٤) فى ج و س و د « أفعالها » بدل « أخلاقها » .
(٥) « يقوله » فعل مضارع ، وفى طبعة أوربة وطبعات مصر « بقوله » وهو خطأ ظاهر .
(٦) فى ج و د « يتَوَلَّى » .
(٧) فى ج و د « ورحمةُ الرَّبِّ » وبحاشية ج « ورحمةُ البَرِّ » .

وأمَّا بَعْدَ ذاكَ فلِي غَرِيمٌ ... مِنَ الأَعْرابِ قُبِّحَ مِن غَرِيمِ
لَزُومٌ ما دَلِمْتُ بِباب دارِي ... لُزُومَ الكَهْفِ أصحابُ الرَّقِيمِ (١)
لَهُ مائةٌ علىَّ ونصفُ أُخْرَى ... ونصفُ النِّصْفِ في صَكٍّ قَدِيمِ
دراهمُ ما انتفعتُ بها ولكنْ ... حَبَوْتُ بها شُيوخَ بنى تَمِيمِ (٢)

[زاد أبو الحسنِ :

أَتَوْنِى فى المَشيرَة يَسْئَلُونِى ... ولم أَكُ فى المَشيرة بالمليمِ

قال أبو الحسن : لم يَعْرِفْ أبو العباس هذا البيتَ الأَخيرَ ، وهو صحيحٌ] (٣) .

وجاوَرَ قَيسُ بنُ عاصمِ بن سِنَانِ بنِ خالدِ بن مِنْقَرِ بن عُبيدٍ تاجراً خَمَّاراً (٤) ، فشرب شَرَابَهُ ، وأَخذَ متاعَه ، ثم أَوْثقَهُ ، فقال [لهُ] (٥) : افْدِ نَفْسَكَ ! وقال فى ذلك :

وتاجِرٍ فاجِرٍ جاءَ الإلٰهُ به ... كأنَّ عُثْنُونَهُ أَذْنابُ أَجْمَالِي (٦)

قال ذلك : لأن ذَنَبَ البعيرِ يَضْرِبُ إلى الصُّهْبَةِ ، وفيه استواءٌ ، وهو يُشْبِهُ اللِّحْيَةَ (٧) .

---

(١) فى ج و س و د « بِباب » بدل « لباب » . وفى س وحاشيتى ج و د « لُزُومَ الكلبِ أصحابَ الرَّقِيم » .

(٢) فى ج و د « وَصَلْتُ » بدل « حبوت » .

(٣) زيادة أبى الحسن ذكرت فى ج و س و د بالنص الآتى : « وروى أبو الحسن ولم يعرفه أبو العباس : زيادة فيها : أتونى بالعشيرة » البيت .

(٤) فى ج و س و د « ويروى : أن قيس بن عاصم بن سنان بن خالد بن منقر أجار خَمَّاراً » .

(٥) الزيادة من ج و س و د .

(٦) « أجمالى » بالاضافة إلى ياء المتكلم فى طبعة أوربة ، وفى طبعات مصر « أجمال » بدون الاضافة. و « الأجمال » جمع « جمل » . « والعثنون » : مانبت على الذقن وتحته .

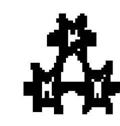
(٧) نقل المرصفى تفصيل القصة من رواية أبى حاتم ، وفيها أن قيساً فعل ذلك لما سكر ، وأنه لما أصبح أخبر بما كان منه ، فآلى أن لاتدخل الخمر أضلاعه أبداً .

وقال النَّمِرُ بنُ تَوْلَب :

إذا كنتَ في سَعْدٍ وأُمُّكَ منهمُ غَرِيبًا فلا يَغْرُرْكَ خالُكَ مِنْ سَعْدِ[1]
فإنَّ ابنَ أُخْتِ القَوْمِ مُصْغًى إناؤُهُ إذا لم يُزَاحِمْ خالَهُ بأَبٍ جَلْدِ[2]

وَاسْتَعْمَلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قَيْسَ بنَ عاصمٍ على صدقاتِ بني سعدٍ ، فتُوُفِّي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فَقَسَمَها قيسٌ بعدُ في بَنِي مِنْقَرٍ ، وقال [في ذلك[3]] :

مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي قُرَيْشًا رسالةً إذا ما أَتَتْها مُحْكَماتُ الوَدَائِعِ
حَبَوْتُ بما صَدَّقْتُ في العامِ مِنْقَرًا وأَيْأَسْتُ منها كلَّ أَطْلَسَ طامِعِ



وجاور عُرْوةُ بن مُرَّةَ أخو أبي خِراشٍ الهُذَلِيِّ ثُمَالَةَ من الأَزْدِ ، فجلس يومًا بفِناء بيته آمِنًا لا يخاف شيئًا ، فاستدبره رجلٌ منهم من بني بَلَالٍ بسهم ، فقَصَم صُلْبَهُ ، فَفِي ذلك يقولُ أبو خِراشٍ :

لَعَنَ الإِلهُ وُجُوهَ قومٍ رُضَّعٍ غَدَرُوا بعُرْوَةَ من بني بَلَالِ[4]

وأُسِرَ خِرَاشُ بن أبي خِرَاشٍ[5] ، أَسَرَتْهُ ثُمَالَةُ ، فكان فيهم مُقيمًا ، فدعا

---

(١) « غريبا » حال من ضمير « كنت » . وفي بعض النسخ « فلا يغررك أمك » وفي بعضها « فلا تغررك أمك » .
(٢) « مصغى » ممال ، وبذلك فسرت في حاشية ج . وهو من « أصغى الإناء » إذا أماله .
(٣) الزيادة من ج و د .
(٤) في ج و س و د « قَبَحَ » بدل « لعن » . وهي بتخفيف الباء ، وفي اللسان : « قَبَحَ اللهُ فلانا قَبْحًا وَقُبُوحًا : أي أقصاه وباعده من كل خير » . وأما « قَبَّحَ » بالتشديد فإن معناها : صيره قبيحاً .
(٥) في ج و س و د « قال أبو العباس : أسر ابن أبي خراش ، وهو خراش بن أبي خراش » .

آسِرُهُ يومًا رجلاً منهم للمنادمة ، فرأى ابنَ أبى خِرَاشٍ مُوثَقًا فى القِدِّ(١) ، فأَمْهَلَ حتى قامَ الآسِرُ لحاجةٍ ، فقال المَدْعُوُّ لابنِ أبى خِرَاشٍ : مَنْ أنتَ ؟ قال : أنا ابنُ أبى خِرَاشٍ ، فقال : كيفَ دِلِّيلاكَ(٢) ؟ قال : قَطَاةٌ ، قال : فقُمْ فاجْلِسْ وَرَائِى ، وأَلْقَى عليه رِدَاءَهُ ، ورَجَعَ صاحبُهُ ، فلمّا رَأَى ذلك أَصْلَتَ بالسَّيْفِ(٣) ، وقال : أسيرِى ! فنَثَلَ المُجِيرُ كِنَانَتَهُ(٤) ، وقال : واللهِ لأَرْمِيَنَّكَ إنْ رُمْتَهُ ، فإنِّى قد أَجَرْتُهُ ! فَخَلَّى عنه ، فجاء إلى أبيه ، فقال له : مَنْ أَجارَكَ ؟ فقال : واللهِ ما أَعْرِفُهُ ، فقال : أبو خِرَاشٍ ، وقال الرُّواةُ : لاَ نَعْرِفُ أحدًا(٥) مَدَحَ مَنْ لا يَعْرِفُ غيرَ أبى خِرَاشٍ [فى قوله(٦)] :

حَمِدْتُ إلٰهِى بعدَ عُرْوَةَ إذْ نَجَا ... خِرَاشٌ وبعضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ
فواللهِ لا أَنسَى قَتِيلاً رُزِئْتُهُ ... بجانبِ قَوْسَى مامَشَيْتُ على الأرضِ(٧)

---

(١) « القِدّ » بكسر القاف وتشديد الدال : سير يقدّ من جلد غير مدبوغ .

(٢) يسأله عن معرفته بالطريق إلى قومه .

(٣) « أصلت السيف » أى جرده ، وهو متعدّ بنفسه ، فاستعماله هنا متعديا بالباء لعله من إجراء المتعدى مجرى اللازم ، وهو كثير . و فى ج و س و د « أصلت له السيف » وهو أجود .

(٤) « نثل كنانته » : أخرج مافيها من السهام استعداداً للرمى بها ، وفى ج و د « فنثر » وفى س « فلفسر » والمعنى مقارب .

(٥) فى ج و س و د « وتزعم الرواة : أنها لاتعرف رجلا » .

(٦) الزيادة من ج و د .

(٧) « قوسى » بفتح القاف وسكون الواو ، مقصور ، بوزن « سكرى » وضبط فى طبعة أوربة بضم القاف ، وذكر بحاشيتها أن فى ج « قُوْسَى» مضبوطة بالفتح والضم ، وأنه كتب عليها « معا » و « صح » توكيداً لصحة الضبطين ، ولكن الذى فى كتب اللغة ومعجم البلدان الفتح وحده ، وقال ياقوت إنه « بلد بالسراة ، وبه قتل عروة أخو أبى خراش الهذلى ونجا ولده » ثم ذكر بعض هذه الأبيات .

بَلَى إنها تعفُو الكُلومُ وإنَّما ... تُوَكَّلُ بالأدْنَى وإنْ جَلَّ ما يَمْضِي

ولم أَدْرِ مَنْ أَلْقَى عليه رِدَاءَهُ ... عَلَى أنه قد سُلَّ عن مَاجِدٍ مَحْضِ

[ولم يَكُ مَثْلُوجَ الفُؤَادِ مُهَيَّجًا ... أضاع الشَّبابَ في الرَّبِيلَةِ والخَفْضِ(١)

ولكنه قد لَوَّحَتْهُ مَخَامِصٌ ... على أنه ذُو مِرَّةٍ صادقُ النَّهْضِ](٢)

كأَنَّهُمُ يَسْعَوْنَ في إثْرِ طائرٍ ... خفيفِ المُشَاشِ عَظْمُهُ غيرُ ذِي نَحْضِ(٣)

يُبَادِرُ جُنْحَ اللَّيْلِ فهو مُهَابِذٌ ... يَحُثُّ الجَنَاحَ بالتَّبَسُّطِ والقَبْضِ(٤)

قولُه « قَبَحَ الإلهُ وُجوهَ قومٍ رُضَّعٍ » فهو جماعةُ « راضِعٍ » . وقومٌ يقولون(٥) : هو توكيدٌ لِلَئيمٍ ، كما يقولون : جائعٌ نائعٌ ، وحَسَنٌ بَسَنٌ ، وعَطْشَانُ نَطْشَانُ ، وأَجمعُ أَكْتَعُ . وقومٌ يقولون : الراضعُ هو الذى يَرْتَضِعُ من الضَّرْعِ لئلاّ يَسْمعَ الضَّيفُ أو الجارُ صوتَ الحَلَبِ فيَطْلُبَ منه ، وتصديقُ ذلك ما أنشدَناه أبو عثمانَ عَمْرُو بن بَحْرٍ لرجلٍ من الأعراب يَنْسُبُ ابنَ عَمٍّ له إلى اللُّؤْمِ والتَّوَحُّشِ :

أَحَبُّ شيءٍ إليه أنْ يكونَ له ... حُلْقُومُ وَادٍ له في جَوْفِهِ غارُ

لا تَعْرِفُ الرِّيحُ مُمْسَاهُ ومُصْبَحَهُ ... ولا يُشَبُّ إذا أَمْسَى له نارُ

---

(١) « المثلوج الفؤاد » : البليد . و « المهيج » الذى هيجه الداء وأثاره . و « الربيلة » : السمن والنعمة . و « الخفض » : لين العيش وسعته .

(٢) « المخامص » : الجوع ، جمع « مخمصة » . و « المرة » بكسر الميم : القوة ، وفى س بدل « على أنه » « سوى أنه » وبحاشية ج « خلا أنه » .

(٣) « المشاش » : رؤوس العظام اللينة .

(٤) « جنح الليل » : الطائفة منه ، وهو بكسر الجيم وضمها .

(٥) قال المرصفى : « كان المناسب أن يقول : واختلف أهل اللغة فى قول العرب : فلان لئيم راضع فقال قوم الخ » .

لا يَحْلُبُ الضَّرْعَ لُؤْمًا فى الإناء ولا   يُرَى له فى نَوَاحى الصَّحْنِ آثارُ

وقوله « كيفَ دِلِّيلاكَ » ، فهى كثرةُ الدِّلالة ، و « الفِعِّيلَى » إنما تُستعملُ فى الكثرة ، يقالُ « القِتِّيتَى » لكثرة النَّميمة ، ويقالُ « الهِجِّيرَى » لكثرة الكلمة المتردِّدَةِ على لسانِ الرَّجلِ ، يقالُ ذِكْرُكَ هِجِّيرَاىَ ، أى : هو الذى يَجْرِى على لسانى . وفى الحديث : « كان هِجِّيرَى أبى بكرٍ الصِّدِّيقِ رحمه الله بلا إلٰه إلاّ الله » ويقال : كان بينهم رِمِّيًّا : لكثرة الرَّمْىِ ، وكذلك كلُّ ما أَشْبَه هذا .

وقولُه « بجانب قَوْسَى » فهو بلد تَحُلُّه ثُمَالَة بالسَّرَاةِ[1] .

وقولُه « بلى إنَّها تَعْفُو الكُلُومُ » فهى الجِراحُ والآثارُ التى تُشبهها ، قال جرير :

تَلْقَى السَّلِيطِىَّ والأبطالُ قد كَلِمُوا   وَسْطَ الرِّجال سليمًا غيرَ مَكْلُومِ

ويُنشد « وَسْطَ الرِّحالِ » و « تَعْفُو » تَدْرُسُ .

وقولُه « عظمُهُ غيرُ ذِى نَحْضِ » « النَّحْضُ » : اللَّحْمُ ، يقالُ : يأكلُ نَحْضًا ، ويُرَوِّى الرِّجالَ مَحْضًا[2] .

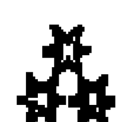
وقولُه « فهو مُهَابِذٌ » يقولُ : مجتهدٌ[3] . وَهُذَيْلٌ فيها سَعْىٌ شديدٌ ، وفى جماعةٍ من القبائلِ التى تَحُلُّ بأكنافِ الحجازِ .

---

(١) مضى الكلام على ضبط « قوسى » فى التعليق رقم (٧) بصفحة (٥٢٩) .

(٢) فى ع « وَيَرْوَى مَحْضًا » . والمحض : اللبن الخالص .

(٣) « المهابذ » من المهابذة ، وهى : الإسراع فى المشى والطيران ، كالهبذ — بسكون الباء والاهتباذ والإهباذ .



ولقى الزِّبْرِقَانُ بنَ بَدْرٍ وهو قاصدٌ بصَدَقاتِ قومه إلى أبى بكرٍ الصديقِ رحمه الله ـ : الحُطَيْئَةَ[(١)] فى طريقه ، فقال له الزِّبْرقانُ : مَنْ أنت ؟ فقال : أنا أبو مُلَيْكَةَ ، أنا حَسَبٌ مَوْضُوعٌ ! فقال له الزبرقانُ : إنّى أُريدُ هذا الوَجْهَ ، ومالَكَ مَنْزِلٌ[(٢)] فامْضِ إلى منزلى بهذا السَّهْمِ ، فسَلْ عن القَمَرِ بن القَمَرِ ، وكُنْ هناكَ حتى أعُودَ إليك ، ففَعلَ ، فأنْزَلُوه وأكرموه ، فأقامَ فيهم[(٣)] ، فحَسَدَهُمْ عليه بنُو عَمِّهم[(٤)] مِن بَنِى قُرَيْعٍ ، وذلك : أنَّ الزبرقانَ من بنى بَهْدَلَةَ بن عَوْفِ بنِ كعبِ بن سعدِ بن زيدِ مَناةَ بن تَمِيمٍ ، وحاسِدُوهُ بَنُو قُرَيْعِ بنِ عوفِ بن كعبِ بن سعدٍ ، ولم يَكُنْ لِعَوْفٍ إلاّ قُرَيعٌ وعُطارِدٌ وبَهْدَلَةُ ، وكانَ الذين حَسَدوه منهم بنو لأْىِ بن شَمَّاسِ بن أنفِ النَّاقةِ بن قُرَيْعٍ ، فَدَسُّوا إلى الحُطَيئة : أن تَحَوَّلْ إلينا نُعطِكَ مائةَ ناقةٍ ، ونَشُدُّ كُلَّ طُنُبٍ[(٥)] مِن أطْنابِ بيْتِكَ بِجُلَّةٍ[(٦)] بَحْوَنَةٍ ، قال : فأنّى لِى بذلك ؟ ! قالوا : إنهم يريدونَ

---

(١) «الزبرقان» ضبط فى ع بالنصب ، و « الحطيئة » بالرفع ، وكتب عليها علامة الصحة ، وضبط فى سائر النسخ بعكس ذلك ، وقد جمعنا بين الإعرابين ، أحدهما فاعل والآخر مفعول ، على التعاقب .

(٢) فى ع و س و د « مَتْرَكٌ » .

(٣) فى ع و س و د « وأقام بينهم » .

(٤) فى ع و س و د « فحسده عليه بنو عمه » .

(٥) « الطنب » بضمتين : حبل طويل يشد به سرادق البيت أو الوتد .

(٦) « الجـلة » بضم الجيم : وعاء يتخذ من الخوص يوضع فيه التمر يكنز فيها ، عربية معروفة ، قاله فى اللسان . وسيأتى للمبرد تفسير البحونة .

النُّجْعَةَ[١] فإذا احْتَمَلُوا فَتَخَلَّفْ عنهم ، ثم دَسُّوا إلى امرأةِ الزِّبرقانِ مَنْ خَبَّرَ بأنّ[٢] الزبرقانَ إنما قَدَّمَ هذا الشَّيْخَ ليتزوَّجَ ابنتَه ! فقَدَحَ ذلك فى قلبِها[٣] ! فلمّا تحَمَّلَ القومُ[٤] تخَلَّفَ الحُطَيْئَةُ ، فاحْتَمَلَهُ القُرَيْعِيُّونَ ، فبَنَوْا لهُ ووَفَوْا له ، فلمّا جاء[٥] الزِّبرقانُ صارَ إليهم ، فقال : رُدُّوا عَلَىَّ جارِي ، فقالوا: ليس لكَ بجارٍ وقد طَرَحْتَه! فذلك حيثُ يقولُ الحُطَيْئةُ[٦]:

وإنَّ التى نَكَّبْتُها عن مَعاشِرٍ ... عَلَىَّ غِضابٍ أنْ صَدَدْتُ كما صَدُّوا[٧]
أتَتْ آلَ شَمَّاسِ بن لأْيٍ وإنّما ... أتاهُمْ بها الأَحْلامُ والحَسَبُ العِدُّ
فإنّ الشّقِيَّ مَنْ تُعادِى صُدُورَهُمْ ... وذا الجَدِّ مَنْ لانُوا إليه ومَنْ وَدُّوا[٨]
يَسُوسُونَ أحلامًا بَعيدًا أناتُها ... وإنْ غَضِبُوا جاء الحَفِيظَةُ والجِدُّ[٩]
أَقِلُّوا عليهم لا أبا لأبِيكُمُ ... مِنَ اللَّوْمِ أو سُدُّوا المكانَ الذى سَدُّوا
أولئك قومٌ إنْ بَنَوْا أحْسَنُوا البُنَا ... وإن عاهدوا أوْفَوْا وإن عقَدُوا شَدُّوا[١٠]

---

(١) « النجعة » بضم النون وسكون الجيم : طلب الكلإ فى موضعه .
(٢) فى ج و س و د « من خَبَّرَها أنّ » .
(٣) فى بعض النسخ « فى عقلها » .
(٤) فى ج و س و د « فلما احْتَمَلَ القومُ » .
(٥) فى ج و د « فلما قدم » .
(٦) فى س « فذلك قول الحطيئة » وفى ج و د « ففى ذلك يقول الحطيئة » .
(٧) « نكبتها » أى عدلت بها . يريد المدحة التى عدل بها عن الزبرقان وقومه بنى بهدلة .
(٨) « تعادى صدورهم » فى النسخ بالتاء فى أوله ورفع « صدورهم » وفى ج « يعادى » بالتاء والياء معاً ، و « صدورهم » بالرفع والنصب معاً ، فلذلك أثبتناها كلها . و « الجد » بفتح الجيم : الحظ والبخت . وفى ج و س و د « وذوالجد » .
(٩) « الحفيظة » : اسم من « الحفاظ » وهو الذبّ عن المحارم والمحافظة عليها ، و « الجدّ » بالكسر : الاجتهاد ساعة البأس ، قاله المرصفى . وبحاشية طبعة أوربة أن رواية الأصمعى « والحد » بفتح الحاء المهملة ، وهو : مايعترى الإنسان من الغضب والنزق كالحدة .
(١٠) « البنا » ضبطت فى طبعة أوربة بضم الباء وكسرها معاً ، وسيأتى شرح ذلك لأبى العباس .

وإن كانتْ النَّعْمَاءُ فيهم جَزَوْا بِهَا ... وإن أَنْعَمُوا لا كَدَّرُوهَا ولاَ كَدُّوا

وإن قال مَوْلاَهُمْ على جُلِّ حَادِثٍ ... من الدَّهْرِ: رُدُّوا فَضْلَ أَحْلاَمِكُم، رَدُّوا

وتَعْذُلُنِي أَفْنَاءُ سَـــعْدٍ عليهمُ ... وما قلتُ إلاّ بالذى عَلِمَتْ سعدُ[1]

❊

قولُه « جُلَّةٌ بَحْوَنَةٌ » : أى ضَخْمَةٌ ، يقالُ ذلك للناقةِ والنَّخلةِ إذا اسْتَفْحَلَتْ[2] وطَالَتْ .

وقولُه « نَـكَّبْتُها » يقولُ : عَدَلْتُ بها .

وقولُه « والحَسَبُ العِدُّ » معناه : الجليلُ الكثيرِ ، وأصلُ ذلك فى الماء ، يقال « بِئْرٌ عِدٌّ » إذا كانت ذاتَ مادَّةٍ من العُيونِ لا تَنْقَطِـعُ ، وكلُّ ماءٍ ثابتٍ فهو « عِدٌّ » .

وقولُه « يَسُوسُونَ أحلامًا بعيـــدًا أَنَاتُها » يقولُ : ثقالٌ لا يُبْلَغُ آخِرُها ، وأصلُ « الأَنَاةِ[3] » من التأنِّى والانتظارِ ، فيقولُ : لا يُبْلَغُ آخِرُها فتُسَفَّهَ .

وقولُه « أولئك قومٌ إنْ بَنَوْا أحسنُوا البُنَا » وإن شِئْتَ قلتَ « البِنَا » فهما مقصورانِ ، يقال « بَنَى بِنْيَةً وبُنْيَةً » فجَمْعُ « بِنْيَةٍ » « بِنًى » وجَمْعُ « بُنْيَةٍ » « بُنًى » فبِنْيَةٌ وبِنًى كـكِسْرةٍ وكِسَرٍ ، وبُنْيَةٌ وبُنًى كظُلْمةٍ

---

(١) « بالذى » بدلها فى ع « بالتى » وكتب فوقها « صح » وبحاشيتها : « بالذى رواية ، وهو الأصح » .

(٢) فى ع و د « إذا استقلت » .

(٣) فى ع و س و د « وأصل ذلك أن الأناة » .

وظُلَمٍ ، فأمّا المصدرُ مِنْ « بَنَيْتُ » فممدودٌ ، يقالُ « بَنَيْتُه بِنَاءً حسنًا » « وما أَحْسَنَ بِنَاءَكَ[1] » .

وقولُه « وإنْ عَاهَدُوا أَوْفَوْا » « أَوْفَى » أَحْسَنُ اللُّغَتَيْنِ ، يقالُ « وَفَى وَأَوْفَى » . قال الشاعرُ ، فجَمَعَ [بينَ[2]] اللغتين — :

أَمّا ابنُ بِيضٍ فقد أَوْفَى بذمّتهِ   كما وَفَى بِقِلاصِ النَّجْمِ حادِيها[3]

وفى القرآن : ﴿ بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ[4] ﴾ وقال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عاهَدْتُمْ[5] ﴾ وقال عزّ وجلّ : ﴿ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عاهَدُوا[6] ﴾ فهذا كله على « أَوْفَى » وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فيما رُوِيَ مِنْ أنه قَتَلَ مسلمًا بِمُعاهَدٍ ، وقال : « أنا أَوْلَى مَنْ أَوْفَى بذِمّتِهِ[7] » .

وقال السَمَوْءَلُ فى اللغة الأُخرَى :

---

(١) ويجوز أن يكون « البنا » فى البيت بالضم مصــدر أيضا ، قصره بحــذف الهمزة تسهيلا أو مراعاة للوزن .

(٢) الزيادة من س و د .

(٣) « بيض » بكسر الباء فى طبعة أوربة ، وفى القاموس : « وابن بيض وقد يفتح ، أو هو وهم للجوهرى — : تاجر مكثر من عاد، عقر ناقته على ثنية فسدّ بها الطريق ومنع الناس من سلوكها » . وقوله « كما وفى » الخ قال المرصفى : « ذلك على ما تزعم العرب : أن الدبران خطب الثريا وساق لها عشرين نجما » .

(٤) سوره آل عمران (٧٦) .

(٥) سورة النحل (٩١) .

(٦) سورة البقرة (١٧٧) .

(٧) هذا حديث ضعيف ، إنما روى مرسلا من طرق ضعاف ، والحديث الضعيف ليس بحجة ، لا فى الفقه ولا فى العربية ، وإنما الثابت الصحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا يقتل مؤمن بكافر » رواه أحمد والبخارى والنسائى وأبو داود والترمذى من حديث أبى جحيفة ، ورواه الشافعى وأحمد وأبو داود والنسائى من حديث على بن أبى طالب ، ورواه أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث عبد الله بن عمرو . وانظر تفصيل كل هذا فى نيل الأوطار (ج ٧ ص ١٥٠ — ١٥٥) وفى نصب الراية (ج ٢ ص ٣٣٧ — ٣٣٩ من طبعة الهند) وفى اختلاف الحديث للامام الشافعى بهامش الجزء السابع من الأم (ص ٣٨٨ — ٣٩٩) .

وفَيْتُ بأُذْرُعِ الكِنْدِىِّ إنّى ... إذا ماهدتُ أقواماً وَفَيْتُ[1]

وقال المُكَعْبَرُ الضَّبِّىُّ [قال أبو الحسن : حفظى « المُكَعْبِرُ[2] »] :

وَفَيْتُ وَفَاءً لَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَه ... بِتِعْشَارَ إذْ تَحْبُو إلىَّ الأكَابِرُ[3]

وقولُهُ :

« وإنْ كانتِ النَّعْمَاءُ فيهم جَزَوْا بِهَا ... وإنْ أنْعَمُوا لا كَدَّرُوهَا وَلا كَدُّوا »

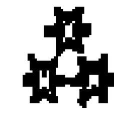
يقولُ ما قالَ جريرٌ مِثْلَه :

وإنّى لأَسْتَحْيِى أَخِى أَنْ أَرَى لَهُ ... علىَّ من الحقِّ الّذى لا يَرَى لِيَا

يقولُ : أَسْتَحْيِى أَن أَرَى نعمتَه علىَّ ولا يَرَى على نفسِه لى مِثْلَها .

وقولُه : « على جُلِّ حادثٍ » فهو الجليلُ من الأمرِ ، يقالُ : فلان يُدْعَى للجُلَّى ، قال طَرَفَةُ :

* وإنْ أُدْعَ للجُلَّى أَكُنْ مِنْ حُمَاتِهَا *



وفيهم يقولُ الحطيئةُ[4] :

لقد مَرَيْتُكُمُ لو أنَّ دِرَّتَكُمْ ... يوماً يَجِىءُ بها مَسْحِى وإبْسَاسِى

---

(١) فى نسخة بحاشية « إذا ماخان أقوام وفيت » :

(٢) الصواب ماقال أبو الحسن ، قال فى اللسان : « ويقال كَعْبَرَهُ بالسيف : أى قطعه ، ومنه سُمِّىَ المُكَعْبِرُ الضَّبِّىُّ ، لأنه ضَرب قوماً بالسيف » .

(٣) « تعشار » موضع بالدهناء ، ولم أجد له ضبطا إلا بكسر التاء ، وضبط فى بعض نسخ الكامل بفتحها .

(٤) لم يشرح المرصفى هذه الأبيات هنا ، وأحال على ماشرحها به فيما مضى ، إذ ذكرها هناك استطراداً ، وشرحها (ج ٣ ص ٨١ — ٨٣) .
وقد شرح أبو العباس هنا أكثر مافيها ، وهو موضع ذلك .

لمَّا بَدَا لِيَ منكم غَيْبُ أَنْفُسِكم ولم يَكُنْ لِجِرَاحِي فيكُمُ آسِي[1]

أَزْمَعْتُ يَأْسًا مُبِينًا مِن نَوَالِكُمُ ولا تَرَى طارِدًا لِلْحُرِّ كَالْيَاسِ[2]

ما كان ذَنْبُ بَغِيضٍ لاَ أَبَا لَكُمُ في بَائِسٍ جاء يَحْدُو آخِرَ النَّاسِ

جارٍ لقَوْمٍ أَطَالُوا هُونَ مَنْزِلِهِ وغادَرُوهُ مُقِيمًا بين أَرْمَاسِ

مَلُّوا قِرَاهُ وهَرَّتْهُ كِلاَبُهُمُ وجَرَّحُوه بأَنْيَابٍ وَأَضْرَاسِ

دَعِ المَكَارِمَ لا تَرْحَلْ لِبِغْيَتِهَا واقْعُدْ فإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الكَاسِي[3]

مَنْ يَفْعَلِ الخيرَ لا يَعْدَمْ جَوَازِيَهُ لا يَذْهَبُ العُرْفُ بينَ اللهِ والنَّاسِ

قولُه « لقد مَرَيْتُكُمُ » أصلُ[4] «المَرْيِ » : المَسْحُ ، يقال « مَرَيْتُ النَّاقَةَ » إذا مسحتَ ضَرْعَها لِتَدُرَّ[5] ، ويقالُ « مَرَى الفرسُ والناقةُ » : إذا قام أحدُهما على ثلاثٍ ومَسَحَ الأَرضَ بيده الأُخْرَى ، قال الشاعرُ :

إذا حُطَّ عَنْها الرَّحْلُ أَلْقَتْ بِرَأْسِها إلى شَذَبِ العِيدَانِ أَوْ صَفَنَتْ تَمْرِي[6]

وهذا مِن أَحْسَنِ أوصافِها .

---

(١) في ج « غيب » بنقطة فوق العين وعين مهملة تحتها ، وكتب عليها « معا » إشارة إلى قراءتها بالمعجمة والمهملة ، كأنهما روايتان ، وكتب أيضا بحاشيتها « الغين معجمة لاغير » . وهي في ديوان الحطيئة بشرح السكري (ص ٥٣) بالمعجمة فقط .

(٢) بحاشية ج « يأساً مريحاً » وهو يوافق ما في الديوان .

(٣) « لبغيتها » ضبطت في طبعة أوربة بكسر الباء فقط ، وطبعت في شرح المرصفي بالضم ، وكلاهما جائز ، ولكنا نثبت ماثبت في الأصول الصحيحة المطبوعة عنها نسخة أوربة .

(٤) في ج و د « فأصل » .

(٥) « لتدر » ضبطت في طبعة أوربة بضم الدال لاغير ، وهي جائز فيها الكسر أيضاً ، و « الدر » بفتح الدال : كثرة اللبن .

(٦) « شذب العيدان » : ماتفرق منها ، الواحدة « شذبة » . و « الصافن » من الخيل : القائم على ثلاث قوائم وقد أقام الرابعة على طرف الحافر ، ومنه : ﴿ الصَّافِنَاتُ الجِيَادُ ﴾ (سورة ص ٣١) ، ويطلق أيضا على كل قائم صافٍّ قدميه ، ولعله الأنسب هنا إذا فسر

وقال بعض المحْدَثِينَ يَصِفُ بِرْذَوْنًا بحسن الأدَبِ .[الشعرُ لمحمد بن يَزِيدَ ، مِنْ ولدِ مَسْلَمةَ بن عبد الملك ، يصفُ فرسَه ، وقبلَهُ :

عَوَّدْتُهُ فيما أزُورُ حَبَائِبِي ... إهمالَهُ وكذاكَ كلُّ مُخاطِرِ[1]]

وإذا احْتَبَى قَرَبُوسُهُ بِعِنَانِهِ ... عَلَكَ اللِّجامَ إلى انْصِرافِ الزَّائرِ[2]]

ويقال : « مَرَاهُ » مائةَ سوطٍ ومائةَ درهمٍ : إذا أوْصَلَ ذلك إليه ، وَلِـ« مَرَاهُ » موضعٌ آخرُ ، ومعناه : مَرَاهُ حقَّهُ : إذا دَفَعَهُ عنه ومنَعهُ منه ، وقد قُرِئَ : ﴿ أَفَتَمْرُونَهُ عَلَى مَا يَرَى[3] ﴾ أى تَدْفَعُونَهُ [عنه[4]] ، « وعلى » [هٰهنا[4]] فى موضع « عن » قال العامِرِىُّ [هو القُحَيْفُ العُقَيْلِىُّ[5]] :

إذا رَضِيَتْ علىَّ بَنُو قُشَيْرٍ ... لَعَمْرُ اللهِ أعْجَبَنِى رِضَاهَا

وبنو كعْبِ بن رَبِيعةَ بن عامرٍ يقولونَ : « رضى اللهُ عليك » .

وأمّا « الإبْساسُ » : فأنْ تَدْعُوَ الناقةَ باسمِها ، أوْ : تُلَيِّنَ لها الطريقَ إلى

« المرى » بتفسير أبى العباس ، وأما على الأول فيكون « المرى » المسح فقط ، قال فى اللسان : « مَرَى الفرسُ بيديه إذا حركهما عن الأرض كالعابِثِ » .

(١) « حبائبى » هى فى طبعة أوربة « حبابى » وهو خطأ ، صحته من معاهد التنصيص (ص ٢٤٠ طبعة بولاق) .

(٢) قال فى معاهد التنصيص : « القربوس ، بفتح الراء ولا تسكن إلا فى ضرورة الشعر ، وهو حنو السرج ، وهما قربوسان ، والعنان ، بكسر العين : سير اللجام الذى تمسك به الدابة » .

(٣) سورة النجم (١٢) وهذه قراءة حمزة والكسائى ، وقرأها باقى السبعة : ﴿ أَفَتُمَارُونَهُ ﴾ . قال فى اللسان : « فمن قرأ : أَفَتُمَارُونَهُ : فمعناه أفتجادلونه ... ومن قرأ : أَفَتَمْرُونَهُ : فمعناه أفتجحدونه » .

(٤) الزيادة فى الموضعين من ج و د .

(٥) الزيادة من حاشية ج .

الحَلَبِ ، بقولٍ أو مَسْحٍ أو ما أشبهَ ذلك ، فإذا كانت الناقةُ تَدُرُّ على الدُّعاء والمَلَقِ قيل : « ناقةٌ بَسُوسٌ » وذلك مِن صفاتِها فى حُسْنِ الخُلُق.

وقوله « ولم يكُنْ لِجرَاحِى فيكمُ آسِى » يقول : مُدَاوٍ ، و«الآسِى» : الطبيبُ ، قال الفرَزْدَقُ يَصِفُ شَجَّةً :

إذا نَظَرَ الآسُونَ فيها تَقَلَّبَتْ ... حَمَالِيقُهُمْ مِن هَوْلِ أنيابِها العُصْلِ(١)

و« والإساء » الدَّواء ، ممدودٌ ، قال الحطيئةُ :

هُمُ الآسُونَ أُمَّ الرَّأْسِ لَمَّا ... تَوَاكلَهَا الأَطِبَّةُ والإساء(٢)

فَأَمَّا(٣) «الأَسى» فمقصورٌ ، وهو: الحُزْنُ ، ومِن(٤) ذلك قولُ الله جل ثناؤه : ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ(٥)﴾ وقال العَجّاج :

ياصاحِ هل تَعرِفُ رَسْمًا مُكْرَسَا ؟ ... قال : نَعَمْ أَعرِفُهُ ، وأَبْلَسَا(٦)

(١) « العصل » بضم العين وسكون الصاد المهملتين : جمع « أعصل » والناب الأعصل : المُعْوَجُّ وكل شىء معوجّ فيه صلابة : أَعْصَلُ . والشطر الأخير فى ع « وجُوهُهُمُ من خَوْفِ أنيابِهَا العُصْلِ » . وبحاشيتها : « العصل : يريد المعوجة » .

(٢) «الأطبة» جمع «طبيب» وهو جمع قلة ، وجمع الكثرة «أطباء» . وقال فى اللسان فى شرح هذا البيت (١٨ : ٣٦) : « والاساءة ممدود مكسور : الدواء بعينه ، وإن شئت كان جمعا للآسى، وهو المعالج ، كما تقول : راع ورعاة . قال ابن برى: قال على بن حمزة : الإساء فى بيت الحطيئة : لايكون إلا الدواء لاغير » .

(٣) فى ع و س و د «وأما» وبها طبعت فى طبعات مصر .

(٤) فى طبعات مصر «من» بحذف الواو ، وهى ثابتة .

(٥) سورة المائدة (٦٨) .

(٦) « مكرسا » فسر فى حاشية ع بأن « معناه مجتمعا » . وفسر فى اللسان (٧ : ٣٢٨) بأنه «الذى صار فيه الـكِرْسُ ، وهو الأبوالُ والأبعارُ» . وفسر فيه أيضا (٨ : ٧٧) بأنه « الذى قد بَعَّرَتْ فيه الإبلُ ، وبوَّلت فركب بعضهُ بعضاً ، ومنه سميت

* وانْحَلَبَتْ عَيْنَاهُ مِن فَرْطِ الأَسَى *

فاذا قلتَ « الأُسَى » قَصَرْتَ أيضًا ، وهو جَمْعُ « أُسْوة »(١) تقول(٢): فلانٌ أُسْوَتِى وقُدْوَتِى » قال الله جل وعزّ : ﴿ لقَدْ كانَ لكُم فى رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾(٣):

و « الرَّمْسُ » : التُّراب ، يقال : رُمِسَ فلانٌ فى قبره .

*

وأشعارُ الحُطيئةِ فى هذا الباب كثيرةٌ ، ولولاَ أنَّها معروفةٌ مشهورةٌ لأَتَيْنا على آخِرِها ، ولكنَّا نَذْكُرُ منها شيئًا مختارًا .

فن ذلك قولُه :

جَزَى الله خيرًا والجَزاءُ بكفِّه ... عَلَى خَيْرِ ما يَجْزِى الرجالَ بَغيضَا

فلو شاءَ إذ جئناهُ ضَنَّ فلم يُلَمْ ... وصادفَ مَنًّا فى البلادِ عَرِيضَا

[كذا وقعتِ الروايةُ « مَنًّا » والصوابُ « مَنْأًى » أىْ بُعْدًا ، مأخوذٌ من « نأَيْتُ » إذا بَعُدْتَ ، ومنه «النَّأْىُ»](٤) يقولُ : كَثُرَتْ مَحاسِنُه حتى كُذِّبَ

الكُرَّاسةُ » يعنى لاجتماعها ، لأن أصل المادة فى معنى الجمع ، قال : «وكلُّ ماجُعل بعضُهُ فوقَ بعضٍ فقد كُرِّسَ وتَكَرَّسَ هو . . . والكُرَّاسَةُ من الكتب سميت بذلك لتَكَرُّسِها » .

وأما « أبلس » فهو من « الإبلاس » وهو : الانكسار والحزن ، يقال : « أبلس فلان » : إذا سكت ، غما ، كما فى اللسان .

(١) « الأسوة » بضم الهمزة وبكسرها ، وكذلك جمعها بهما .

(٢) فى ع و س و د « يقال » .

(٣) سورة الأحزاب (٢١) .

(٤) الزيادة من حاشية ع .

ذَامُّهُ ، فاسْتَغْنَى عن أن يُكَثِّرَ مادحَه ، ثِقةً بأنّ هاجيه غيرُ مُصَدَّقٍ ، فاعْتَبِرْ هذا الكلامَ ، فإنك تجدُه رأسًا فى بابه .

ومن ذلك قوله :

وإنّى قد عَلِقتُ بحَبْلِ قومٍ ... أعانَهُمُ على الحسَبِ الثَّرَاءُ
إذا نَزَلَ الشِّتاءُ بجارِ قومٍ ... تجنَّبَ جارَ بَيْتِهِمُ الشتاءُ
هُمُ الآسُونَ أُمَّ الرأسِ لَمَّا ... تَوَاكَلَها الأَطِبَّةُ والإسَاءُ

ثم قال يخاطبُ الزِّبْرِقَانَ وَرَهْطَهُ :

أَلم أَكُ نَائِيًا فَدَعَوْتُمُونِى ... فَجَاءَ بِىَ المَوَاعِدُ والدُّعَاءُ[1]
فلمّا كنتُ جارَكُمُ أَبَيْتُمْ ... وشَرُّ مَوَاطِنِ الحَسَبِ الإبَاءُ
ولمّا كنتُ جارَهُمُ حَبَوْنِى ... وفيكم كانَ لو شِئْتُمْ حِبَاءُ[2]
فلمّا أنْ مدحتُ القومَ قلتم ... هجوتَ، وهل يَحِلُّ لِىَ الهِجَاءُ
ولم أَشْتِمْ لكم حَسَبًا ولكنْ ... حَدَوْتُ بحيثُ يُسْتَمَعُ الحُدَاءُ[3]

ويُرْوى أنّ الحُطَيْئةَ ، واسمُه : جَرْوَلُ بن أَوْسٍ ، ويُكْنَى : أبا مُلَيْكَةَ — : مَرَّ بحسانَ[4] بن ثابتٍ وهو يُنْشِدُ [ش: أدخلَه سيبويهِ رحمه الله على أنّ « الجَفَنَاتِ » من الجَمْعِ الكثيرِ] :

---

(١) فى ج و س و د « والرجاء » . و « المواعد » جمع « موعد » .
(٢) « الحباء » بكسر الحاء : العطاء .
(٣) فى ج و س و د « فلم أشتم لكم عرضاً » . والذى فى الديوان (ص ٢١) « فلم أشتم لكم نسباً » .. و «الحَدْوُ» و «الحُدَاء» : سوق الإبل والغناء لها ، يريد أنه مدح حيث يستمع لمدحه ويجاز عليه ، فهو لم يسبّ الزبرقان ورهطه ، وإنما مدح أعداءهم ومنافسيهم ، فكان هذا هجواً لهم .
(٤) « حسان » يجوز صرفه ومنعه من الصرف ، إن كان « فعلان » من « الحس » منع ، وإن كان « فعال » من « الحسن » صرف .

لنا الجَفَناتُ الغُرُّ يَلْمَعْنَ بالضُّحَى   وأسْيافُنَا يَقْطُرْنَ من نَجْدَةٍ دَمَا

فالتفت إليه فقال : كيفَ تَرَى فقال : ما أَرَى بأْسًا ! فقال حَسانٌ : انظرُوا إلى [هذا[1]] الأعرابيِّ يقولُ ما أرَى بأساً !! أبو مَنْ؟ قال : أبو مُلَيْكَةَ ، قال حسان : ما كنتَ عليَّ أهونَ منكَ حيثُ اكْتَنَيْتَ بامرأةٍ ! ما اسمُكَ؟ قال : الحطيئةُ ، قال : امْضِ بسَلاَمٍ .

وكان الحطيئةُ في حَبْسِ عمرَ بن الخطاب رحمه الله ، باستدعاء الزِّبْرِقانِ عليه في هذه القصة ، ولِعُمَرَ يقولُ [الحطيئةُ][2] :

ماذا تقولُ لِأَفْرَاخٍ بذي مَرَخٍ   حُمْرِ الحواصِلِ لا ماءٌ ولا شَجَرُ[3]

أَلْقَيْتَ كاسِبَهُمْ في قَعْرِ مُظْلِمَةٍ   فاغْفِرْ عليكَ سلامُ اللهِ يا عُمَرُ

أنتَ الإمامُ الذي مِنْ بَعْدِ صاحِبِه   ألقتْ إليكَ مَقاليدَ النُّهَى البَشَرُ

ما آثَرُوكَ بها إذْ قَدَّمُوكَ لها   لكنْ بكَ اسْتَأْثَرُوا إذْ كانتِ الأُثَرُ

ويُروى عن أبي زيدٍ الأنصاريِّ أنه قال : ويُرْوَى « الإِثَرُ » والواحدةُ « أُثْرَةٌ » و « إِثْرَةٌ » ومعناه : الاستئثارُ .

فَرَقَّ له عمر فأخرجه ، فَيُرْوَى أنَّ عمرَ رحمه الله دَعَا بكرسيٍّ فجلسَ عليه ، ودَعَا بالحُطيئة فأجلسه بينَ يديه ، ودَعا بإشْفَى وشَفْرَةٍ[4] ، يُوهِمُه أنه[5] على

---

(١) الزيادة من ع و س و د .

(٢) الزيادة من ع و د .

(٣) « ذو مرخ » واد بالحجاز . وفي كل نسخ الكامل التي صححت عليها طبعة أوربة « حمر الحواصل » ولكن الشيخ المرصفي رحمه الله غير البيت في شرحه فجعله « زغب الحواصل » وهذه رواية معروفة ، ولكن ما في الأصول أولى بالإثبات ، إذ هو رواية المبرد .

(٤) « الإشفى » بكسر الهمزة مقصور : مثقب للأساكفة يثقبون به الجلد . و « الشفرة » : السكين العريضة .

(٥) في حاشية ع زيادة « عازم » وكأنها حاشية لتفسير المراد .

قَطْعِ لسانِه ، حتى ضَجَّ من ذاكَ ، فكان فيما قال له الحطيئةُ : ياأَميرَالمؤمنين ! إنى واللهِ قد هَجَوتُ أَبى وأُمِّى ، وهَجَوتُ امرأَتى ، وهَجوتُ نفسِى !! فتبسَّمَ عمرُ رحمه الله ، ثم قال [له[1]] : فما الذى قلتَ ؟ قال : قلتُ لأَبى وأُمِّى والمخاطَبَةُ للامِّ .

ولقد رأيتُكِ فى النِّساء فَسُؤْتِنِى　　وأَبا بَنِيكِ فساءنِى فى المَجْلِسِ

وقلتُ لها [أيضاً[1]] :

تَنَحَّىْ فَاجْلِسِى مِنِّى بَعِيداً　　أَرَاحَ اللهُ منكِ العالَمِينا

أَغِرْبالاًإذا استُودعْتِ سِرًّا　　وكانُونًا على المُتَحَدِّثِينا

[قولُه « كَانُونًا » قيلَ : الكانونُ : النَّمَّامُ ، وقيلَ : الثقيلُ ، وقيل : الذى إذا دَخَلَ على القوم كَنُّوا حديثَهم منه ، وقيلَ : هو المُصْطَلِى ، وقيل : إنه هو كانونُ النّارِ ، لأنه يُؤْذِى . . . . . ويَحْرِقُهُنَّ[2]] وقلتُ لامرأَتِى :

أُطَوِّفُ ما أُطَوِّفُ ثم آوِى　　إلى بيتٍ قَعِيدَتُهُ لَكَاعِ[3]

فقال له عمرُ رحمه الله : فكيفَ هَجَوْتَ نفسَكَ ؟ فقال : اطَّلَعْتُ فى بئرٍ فرأيتُ وجهِى فاستقبحتُه ! فقلتُ :

أَبَتْ شَفَتَايَ اليومَ إلاَّ تَكَلُّمًا　　بِسُوءٍ فما أَدْرِى لِمَنْ أَنا قائِلُهُ

---

(١) الزيادة من ع و د .

(٢) كذا فى طبعة أوربة نقط فى موضع بياض ، ثم كلمة « ويحرقهن » . وقد غير ذلك فى طبعات مصر ، فحذفت النقط وكتبت الكلمة « ويحرق » وهو تصرف غير سائغ عندنا .

(٣) قالوا فى النداء للرجل : « يالُكَعُ » ، وللمرأة : يالَكَاعِ » و « لَكِعَ الرجلُ يَلْكَعُ لَكَعًا وَلَكَاعَةً : لَؤُمَ وَحَمُقَ » . قاله فى اللسان ، وقد ذكر هذا البيت ونسبه لأبى الغريب النصرى .

أرى لِيَ وَجْهاً قَبَّحَ اللهُ خَلْقَهُ فَقُبِّحَ مِنْ وَجْهٍ وقُبِّحَ حَامِلُهْ !!

☆

ونزَل أعرابيٌّ من طَيِّئٍ، يقالُ له المُثَنَّى بنُ معروفٍ ـ : بأبي جَبْرٍ الفَزارِيّ، فسمعه يوماً يقول : والله لوَدِدْتُ أَنِّي أبيتُ الليلةَ خالياً بابنةِ عبد الملك بن مَرْوَانَ ! فقال له المُثَنَّى: أحلالاً أم حرامًا ؟ فقال : ما أُبَالِي ! فَوَثَبَ عليه فضرب رأسَه بِرِحَالةٍ[1]، ثم انتقلَ وهو يقولُ :

أَبْلِـغْ أميرَ المؤمنينَ رسالةً عَلَى النَّأْيِ أَنِّي قد وَتَرْتُ أَبَا جَبْرِ
كسرتُ على اليافوخِ منه رِحَالَةً لِنَصْرِ أميرِ المؤمنينَ وما يَدْرِي
على غيرِ شيءٍ غيرَ أَنِّي سمعتُهُ بَنَى بنساءِ المسلمينَ بلا مَهْرِ

ويُرْوَى : أنّ الحجاجَ [بن يوسفَ[2]] جلسَ لقتْلِ أصحاب عبد الرحمن بن محمد بن الأشعَثِ، فقامَ رجلٌ منهم فقال : أصلحَ اللهُ الأميرَ ! إنَّ لِي عليك حَقًّا، قال : وما حَقُّكَ ؟ قال : سَبَّكَ عبدُ الرحمن يومًا فرددتُ عليه، قال : مَنْ يعلمُ ذاكَ ؟ قال : أَنْشُدُ اللهَ رَجلاً سمعَ ذاكَ إلاّ شَهِدَ به، فقام رجلٌ من الأُسَرَاءِ[3] فقال : قد كان ذاكَ أيُّها الأَميرُ ! قال : خَلُّوا عنه، ثم قال للشاهد: فما منعك أن تُنْكِرَ كما أنْكَرَ ؟ قال : لِقَدِيمِ بُغْضِي[4] إيّاكَ ! قال : ويُخَلَّى عنه لصِدْقِهِ .

---

(١) «الرحالة» : سرج من جلد لاخشب فيه، يتخذ للركض الشديد .
(٢) الزيادة من ع و س و د .
(٣) في ع و س و د «الأَسْرَى» وكلاهما جمع «أسير» .
(٤) في ع و س و د «بِغْضَتِي» بكسر الباء، وهي شدة البغض .

*

وقال عمرُ بن الخطاب لرجلٍ ، وهو أبو مريمَ السَّلُولِيُّ ـ : واللهِ لاَ أُحِبُّكَ حَتى تُحِبَّ الأرْضُ الدَّمَ ! قال : أَفَتَمْنَعُنِي حقًّا ؟ قال : لا ، قال : فلا بأسَ إنَّمَا يأسَفُ على الحُبِّ النساءُ !

[وَهِمَ أبو العباس رحمه الله في قوله « أبو مريمَ السَّلُولِيُّ » إنما هو « أبو مريمَ الحَنَفِيُّ » وكان سببُ بغضِهِ إيَّاهُ : أنهُ قَتَلَ أخاهُ زيدَ بنَ الخطاب ، وكان أبو مريمَ صاحِبَ مُسَيْلِمَةَ الكَذَّابِ ، واسمُ أبي مريمَ «إياسُ بن صُبَيْحٍ» ثقةٌ كوفيٌّ ، واسمُ أبي مريمَ السَّلُولِيِّ «مالكُ بن رَبيعةَ» من الصحابة ، رَوَى عنه ابنه بُرَيْدٌ وغيرُه[1]] .

---

(١) هذا استدراك صحيح ، ولكن وقع في نسخة الكامل طبعة أوربة وفي طبعات مصر تصحيف في اسم ابن أبي مريم السلولي ، فجعل فيها « يزيد » بالياء التحتية في أوله وبالزاي ، وصوابه « بريد » بضم الباء الموحدة وفتح الراء ، وله ترجمة في التهذيب (ج ١ ص ٤٣٢ في حرف الباء) وهو ثقة روى عن أبيه وعن أنس وابن عباس وغيرهم ، مات سنة ١٤٤ . وأما « يزيد بن أبي مريم » بالتحتية : فإنه دمشقي مولى سهل بن الحنظلية الأنصاري ، وله ترجمة في التهذيب (ج ١٢ ص ٣٥٩) وهو من طبقة الذي قبله مات سنة ١٤٤ وقيل سنة ١٤٥ ولكنه مولى ، والأول عربي نسباً .

وأبو مريم السلولي له ترجمة في طبقات ابن سعد (ج ٦ ص ٢٤ و ج ٧ ق ١ ص ٣٧) ووقع اسم ابنه فيه على الصواب في الموضع الأول وعلى الخطأ في الموضع الثاني ، وله ترجمة أيضا في التهذيب (ج ١٠ ص ١٦) والإصابة (ج ٦ ص ٢٤) ووقع فيهما اسم ابنه على التصحيف . وله حديث واحد ، رواه أحمد في مسنده (ج ٤ ص ١٧٧) .

وأما أبو مريم الحنفي فهو « إِيَاسُ بن ضُبَيْحٍ » بالضاد المعجمة المضمومة وفتح الباء الموحدة وآخره حاء مهملة ، وقد تصحف أيضا هنا في نسخ الكامل كلها ، فجعل بالصاد المهملة ، وصوابه من طبقات ابن سعد (ج ٧ ق ٢ ص ٦٤) ونص عليه الذهبي في المشتبه (ص ٣١٣) وذكر أنه فرد ، أي لم يشاركه غيره في الضاد المعجمة .

وقال ابن سعد في ترجمة أبي مريم الحنفي : « كان من أهل اليمامة ، وكان من أصحاب مسيلمة ، وهو قتل زيد بن الخطاب بن نفيل يوم اليمامة ، ثم تاب وأسلم وحسن إسلامه ، وولي قضاء البصرة بعد عمران بن الحصين ، في زمن عمر بن الخطاب » .

وقال الحجاج لرجلٍ من الخوارج : واللهِ إنّى لأُبْغِضُكُمْ ، فقال له الخارجيُّ : أَدْخلَ اللهُ أَشَدَّنا بُغْضًا لصاحبه الجنّةَ !

وأُتِىَ الحجاجُ بامرأةٍ من الخوارجِ ، فجعلتْ لا تَنْظُرُ إليه ، وكان يزيدُ بن أبى مُسْلِمٍ يَرَى رأى الخوارجِ ويَكْتُمُ ذاكَ[1] ، فأَقْبَلَ على المرأةِ فقال : انْظُرِى إلى الأميرِ ، فقالت : لا أنظر إلى مَنْ لا ينظر اللهُ إليه ! فكلّمها الحجاجُ وهى كالسّاهِيَة ، فقالَ لها يزيد : اسْمَعِى — وَيْلَكِ — من الأميرِ ! فقالت : بل الويل لك أيها الكافرُ الرَّدِّىُّ .

[قال أبو العباس][2] : « والرَّدِّىُّ » عند الخوارج : الذى له عَقْدُهُمْ ويُظْهِر خلافَه رغبةً فى الدنيا[3] .

وكانَ صالحُ بنُ عبد الرَّحمنِ كاتِبَ الحجاجِ وصاحِبَ دواوينِ العراقِ ، والذى قَلَبَ الدَّواوينَ إلى العربية ، ثم كان على خَرَاجِ العراقِ أيامَ وَلِىَ يزيدُ بن المُهَلَّبِ [العراقَ[2]] ، فأَشْجَى يزيدَ[4] ، وقد كان يَرَى رَأْىَ الخوارجِ ، فكايَدَهُ يزيدُ بن أبى مُسْلِمٍ مَوْلَى الحجاج ، فأشارَ على الحجاج أن يأْمُرَهُ بقتلِ جَوّابِ الضَّبِّىِّ ، وهو رأسٌ من رؤوسِ الخوارجِ ، وقال يَزِيدُ : إنْ فَعَلَ بَرِئَتْ منه الخوارجُ ، وقَتَلَتْهُ ، وإنْ أَمْسَكَ قَتَله الحجاجُ ، فقتله ،

---

(١) فى ج و س و د « ذلك »

(٢) الزيادة من ج و س و د .

(٣) قال المرصفى : « الردى : بكسر الراء والدال المشددة وتشديد الياء ، منسوب إلى الردّ ، بالفتح ، يرون أنه ردّ نفسه عن إقبالها على الآخرة جهرة رغبة فى الدنيا » .

(٤) « أشجاه » أغضبه وأغصه وضايقه ، كأنه صار كالشجا فى حلقه ، و « الشجا » : ما اعترض فى حلق الإنسان والدابة ، من عظم أو عود أو غيرهما ، وكان يزيد كلما طلب شيئاً من المال أباه عليه صالح .

وخُبِّرْتُ[(١)] : أنه قال : والله ما قتلتُه رغبةً فى الحياةِ ، ولـكنِّى خفتُ يَسْبِى الحجاجُ بَنَاتِى ، وكان يقولُ [بَعْدُ[(٢)]] : إنِّى حينَ أقْتُلُ جَوَّابًا لَحَرِيصٌ على الدنيا ! فلما عَذَّبه عُمَرُ بنُ هُبَيْرَةَ فى خلافةِ يزيدَ بنِ عَاتِـكَةَ[(٣)] رُمِىَ به على قُمَامَةٍ[(٤)]، وهو لِمَا بِهِ[(٥)] ، فَسُمِعَ يُحَـكِّمُ عليها[(٦)] وحَـكَّمَ مالكُ بن المنذرِ بن الجارودِ وهو بآخر رَمَقٍ فى سجنِ هشام بن عبد الملك .

ودخلَ يزيدُ بن أبى مُسلمٍ على سليمانَ بن عبد الملك ، وكان دَمِيمًا ، فلما رآهُ [سليمانُ[(٧)]] قال : قَبَحَ اللهُ رجلاً أجَرَّكَ رَسَنَهُ[(٨)]، وأشْرَكَكَ فى أمانتِه ! فقال له يزيدُ : ياأميرَ المؤمنين ! رأيتَنى والأمْرُ لكَ ، وهو عَنِّى مُدْبِرٌ ولو رأيتَنى والأمرُ علىَّ مُقْبِلٌ لاَستَـكْبَرْتَ مِنِّى ما اسـتصغرتَ ، واستعظمتَ منِّى ما استحقرتَ ، فقال : أتُرَى الحجاجَ استَقَرَّ فى قعرِ الجحيم[(٩)] بَعْدُ ؟ ! فقال : ياأميرَ المؤمنين ! لا تَقُلْ ذلكَ [فى الحجاج[(١٠)]]، فإنَّ الحجاجَ وطَّأَ لـكم المنابرَ،

(١) فى ج و د « فَحُدِّثْتُ » .
(٢) الزيادة من س .
(٣) هو يزيد بن عبد الملك بن مروان ، نسب إلى أمه عاتـكة بنت يزيد بن معاوية .
(٤) « القمامة » بضم القاف : الـكناسة .
(٥) « لمـا به » يريد : لمسيره الذى يؤوب اليه ويرجع فى الآخرة .
(٦) « يحكم » يقول « لاَحُـكْمَ إلاَّ لِلّهِ » وهو قول الخوارج حين حكم علىٌّ ومعاوية أباموسى وعمرو بن العاص ، ثم صار شعاراً للخوارج .
(٧) الزيادة من ج و س و د .
(٨) قال المرصفى : « الرسن : الحبل يقاد به البعير والفرس والدابة . وأجرك : جعلك تجرّه ، وذلك كناية عن انقياد الحجاج له فيما يشاء ويهوى . والعرب تقول : أجررتُ البعيرَ رسنه ، ومعناه فى الأصل : جعلته يجره ، وخليته يرعى كيف شاء . ثم تكنى به عن ترك التضييق عليه » .
(٩) فى ج و س و د « جهنم » .
(١٠) الزيادة من ج و س و د ، وفى بعض النسخ «ذاك» بدل «ذلك» .

وأذَلّ لكم الجَبابِرَ[1]، وهو يجِيء يومَ القيامةِ عن يمينِ أبيكَ ، وعن يسارِ أخيكَ ، فحيثُ كانا كانَ !!

باب

قال أبو العباس وهذا بابٌ من تكاذِيب الأعرابِ .

حدثني أبو عُمَر الجَرْميُّ قال : سألتُ أبا عُبيدةَ عن قول الرّاجزِ :

أَهَدّمُوا بيتَكَ لاَ أبالَكا وأنا أمْشى الدَّألاَ حَوَالَكا[2]

فقلتُ : لِمَنْ هذا الشعرُ ؟ فقال : [تقولُ العربُ[3]] : هذا يقولُه الضّبُّ للحِسْلِ ، أيّامَ كانت الأشياءُ تتكلّمُ !

[و[4]] « الدَّألاَ » مَشيٌ كَمَشْيِ الذّئْب، يقالُ : هو يَدْألُ في مَشْيِه[5]: إذا مَشَى كَمِشْيَة الذّئب، من ذلك قولُ امرئِ القيسِ :

* أقَبَّ حَثِيثَ الرّكْضِ والدَّألاَنِ[6] *

ومَنْ قال في بيتِ ابنِ عَنَمةَ الضّبّيّ :

[حَقِيبَةُ رَحْلِها بَدَنٌ وسَرْجٌ] تُعارِضُهُ مُرَبّبَةٌ دَءولُ

ــ : فإنما أرادَ هذا ، ومن قال « ذَءولُ » فإنما أرادالسُّرعَةَ ، يقالُ «مَرّ يَذْألُ » إذا مَرّ يُسْرِعُ .

---

(١) في ج و س و د « الجبابرة » .
(٢) في ج « أَهَدّمُوا » وهو الموافق لما في لسان العرب (١٣ : ٢٤٨) .
(٣) الزيادة من ج و س و د .
(٤) الزيادة من ج و د .
(٥) في ج و د « مِشْيَتِهِ » .
(٦) « الأقب » الضامر البطن ، وهو يصف به هنا الفرس .

وقولُه « حَوَالَـكَا » يقالُ : هو يطوف «حَوَالَهُ وحَوْلَهُ وحَوَالَيْه» ومَنْ قال « حوالِيهِ » بالكسر : فقد أَخْطأَ ، وفى القرآن : ﴿ نُودِىَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِى النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا[1] ﴾ و« حَوَالَيْهِ » تثنيةُ « حَوَالٍ » كما تقولُ «حَنانَيْهِ» الواحدُ « حَنانٌ » قال الشاعرُ :

فقالتْ حَنَانٌ ما أَتَى بكَ هاهُنا   أَذُو نَسَبٍ أم أنتَ بالحَيِّ عارِفُ

و « الحنانُ » الرحمةُ ، قال الله عز وجل : ﴿ وحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا[2] ﴾ وقال الشاعر [وهو الحُطَيْئةُ[3]] لعمرَ بن الخطاب رحمه الله :

تَحَنَّنْ عَلَىَّ هَدَاكَ المَلِيكُ   فإِنَّ لِكُلِّ مَقامٍ مَقالاَ

وقال طَرَفَةُ :

أَبَا مُنْذِرٍ أَفْنَيْتَ فاسْتَبْقِ بعضَنا   حنانَيْكَ بعضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ

[قال أبو العباس[4]] : وحدَّثنى غيرُ واحدٍ مِن أصحابِنا ، قال : قيلَ لرُؤْبة — : ما قولُكَ :

لَوْ أَنَّنِى عُمِّرْتُ سِنَّ الحِسْلِ   أو عُمْرَ نُوحٍ زَمَنَ الفِطَحْلِ

* والصَّخْرُ مُبْتَلٌّ كَمِثْلِ الوَحْلِ *

— : ما زمنُ الفِطَحْلِ ؟ قال: أيامُ كانت السِّلاَمُ رِطَابًا[5] ! !

---

(١) سورة النمل (٨) .
(٢) سورة مريم (١٣) .
(٣) الزيادة من س .
(٤) الزيادة من ع و س و د .
(٥) « السِّلاَمُ » بكسر السين وتخفيف اللام ، جمع «سَلِمَة» بفتح السين وكسر اللام ، وجمعها أيضا « سَلِم » بحذف الهاء ، وهى : الحجارة الصلبة ، سميت بهذا لسلامتها من الرخاوة . وانظر الأبيات فى لسان العرب (١٤ : ٤٣) .

قولُه « سِنَّ الحِسْلِ » مَثَلٌ تضربُه العربُ فى طول العُمُرِ ، [ذكر ابنُ جنّى أنّ الحِسْلَ يعيشُ ثلاثمائةِ سنةٍ[1]] .

وأنشدنى رجلٌ من بنى العَنْبَرِ ، أعرابىٌّ فصيحٌ ، لعُبَيْدِ بن أيوبَ العَنْبَرِىّ :

كأنّى ولَيْلَى لم يكنْ حَلَّ أهْلُنا بوادٍ خَصيبٍ والسَّلامُ رِطَابُ

وحدثنى سليمانُ بن عبد الله عن أبى العَمَيْثَلِ مولَى العباسِ بن محمد [قال[2]] تَكاذَبَ أعرابيّانِ فقال أحدُهما : خرجتُ مرةً على فرسٍ لى ، فاذا [أنا[3]] بظُلْمةٍ شديدةٍ ، فيَمَّمْتُها حتى وصلتُ إليها ، فاذا قِطْعَةٌ من اللّيل لم تَنْتَبِهْ ! فما زِلْتُ أَحْمِلُ بفرسِى عليها حتى أنْبَهْتُها ، فانجابَتْ ! ! فقال الآخرُ : لقد رَمَيْتُ ظَبْيًا مَرّةً بسهمٍ فَعَدَلَ الظّبيُ يَمْنَةً ، فعدلَ السهمُ خلفَه ، فتياسَرَ الظبيُ ، فتياسَرَ السهمُ خلفَه ! ثم عَلاَ الظبيُ فعَلاَ السهمُ خلفَه ! فانحدرَ فانحدَرَ عليه حتى أَخَذَه ! !

وتزعمُ الرُّواةُ أن عُرْوةَ بن عُتْبةَ بن جعفرِ بن كِلابٍ قال لِابْنَىِ الجَوْنِ الكِنْدِيَّيْنِ يومَ جَبَلَةَ : إن لى عليكما حَقًّا لِرِحْلَتِى ووِفادَتِى ، فدَعُونى

---

(١) « الحسل » بكسر الحاء وسكون السين المهملتين : ولد الضب . وهذا القول من ابن جنّى يخالف مافى كتب اللغة ، ففى اللسان (١٣ : ١٦١) : « وقولهم فى المَثَل : لا آتيكَ سِنَّ الحِسْلِ : أى أبدًا ، لأن سِنَّها لاتَسْقطُ أبداً حتى تموتَ » .
وهل الميدانى فى مجمع الأمثال القولين معاً (٢ : ١٤٨ — ١٤٩) .
(٢) الزيادة من ع و س و د .
(٣) الزيادة من ع .

أُنْذِرْ[١] قومى من مَوضِعِى هذا ، فقالوا : شَأْنَكَ ، فصَرَخَ بقومه ، بعد أن قالا له شأنَكَ ، فأَسْمَعَهُمْ على مسيرةِ ليلةٍ ! !

ويروى عن حَمَّادٍ الرَّاوِيَةِ قال : قالتْ ليلى بنتُ عروةَ بن زَيْدِ الخَيْلِ لأبيها : أرأيتَ قولَ أبيك [إذْ يقولُ[٢]] :

بَنِي عامرٍ هل تَعرفونَ إذا غَدَا ... أبو مِكْنَفٍ قد شَدَّ عَقْدَ الدَّوَابِرِ
بِجَيْشٍ تَضِلُّ البُلْقُ فى حَجَرَاتِهِ ... تَرَى الأُكْمَ منه سُجَّداً للحَوَافِرِ
وَجَمْعٍ كمِثْلِ الليلِ مُرْتَجِسِ الوَغَى ... كَثِيرٍ تَوَالِيهِ سَرِيعِ البَوَادِرِ
أَبَتْ عادةٌ للوَرْدِ أنْ يَكْرَهَ الوَغَي ... وحاجةُ رُمْحِى فى نُمَيْرِ بن عَامِرِ[٣]

فقلتُ لأبِى : أَحَضَرْتَ هذه الوَقْعَةَ ؟ فقال : نعم ، قلتُ : فكم كانتْ خيلُكم ؟ قال : ثلاثةُ أفراسٍ أحدُها فَرَسُهُ، قال : فذكرتُ هذا لابن أبى بكرٍ الهُذَلِيِّ ، فحدَّثنى عن أبيه قال : حضرتُ يوم جَبَلَة ، قال : وكان قد بَلَغَ مائةَ سنةٍ ، وكان قد أَدْرَكَ أيّامَ الحجاجِ ، قال : فكانت الخيلُ فى الفريقَيْن ، مع ما كان مع ابْنَيِ الجَوْنِ ـ : ثلاثين فرساً ، قال : فحدَّثتُ بهذا الحديث الخَثْعَمِيَّ ، وكان راويةَ أهلِ الكوفةِ ، فحدثنى : أنّ خَثْعَمَ قَتَلَتْ رجلاً من بنى سُلَيْمِ بن منصورٍ ، فقالت أختُه تَرْثِيهِ :

لَعَمْرِى وما عَمْرِى علىَّ بِهَيِّنٍ ... لَنِعْمَ الفتى غَادَرْتُمُ آلَ خَثْعَمَا

---

(١) ضبط الفعل بالرفع وبالجزم معاً فى ج .

(٢) الزيادة من ج و د .

(٣) بحاشية ا « وعاداتُ رُمْحِى فى سُلَيمٍ وَعَامِرِ » .

وكان إذا ما أَوْرَدَ الخيلَ بِيشَةً إلى جَنْبِ أَشْرَاجٍ أَنَاخَ فَأَلْجَمَا[1]
فأَرْسَلَهَا رَهْوًا رِعَالاً كأنَّها جَرادٌ زَهَتْهُ رِيحُ نَجْدٍ فَأَتْهَمَا

فقيلَ لها : كم كانتْ خيلُ أخيكِ ؟ فقالت : اللهم إنى لا أعْرِفُ إلا فرسَهُ !

قولُه « قد شَدَّ عَقدَ الدَّوايرِ[2] » يريدُ : عَقْدَ دوايرِ الدِّرْعِ ، فانَّ الفارسَ إذا حَمِيَ فعَلَ ذلك .

وقولُه « تَضِلُّ البُلْقُ فى حَجَرَاتِهِ » يقولُ : لكثرته لا يُرَى فيه الأَبْلَقُ ، والأَبلقُ مشهورُ المَنْظَرِ ، لاختلافِ لَوْنَيْهِ[3] ، من ذلك قولُه :

فلَئِنْ وَقَفْتَ لَتَخْطِفَنْكَ رِماحُنا وَلَئِن هَرَبْتَ لَيُعْرَفَنَّ الأَبْلَقُ[4]

و « حَجَرَاتُه » نواحِيه .

وقولُه « تَرَى الأُكْمَ منه سُجَّدًا للحوافِرِ » يقول : لكثرةِ الجيشِ يَطْحَنُ الأُكْمَ حتى يُلْصِقَها بالأرض .

---

(١) أصل « البيش و « البيشة » بكسر الباء فيهما ، وقد تهمز ياء الثانية — : موضع بطريق اليمامة كثير الأسود ، ثم أطلق ذلك على المأسدة حيث كانت . و « الأشراج » جمع « شرج » بفتح الشين المعجمة وإسكان الراء وآخره جيم ، وهو مسيل الماء من الحرة إلى السهل ، وهو جلس ، والواحدة « شرجة » .

(٢) « الدوابر » هنا وفيما مضى فى الشعر ، بالياء المثناة ، وقد تهمز ، جمع « دائرة » وفى بعض نسخ الكامل ، وعليها طبعات مصر « الدوابر » بالباء الموحدة ، وفسرها الشيخ المرصفى بأنها مآخير الدرع ، ثم استدرك على المبرد بأن الصواب « أنه إنما أراد شد دوابر البيضة بالدرع ، لئلا تسقط إذا ركض الفارس » . ولم أجد فى نصوص اللغة ما يؤيد تفسيره هذا ، والذى أرجحه هو ما فى النسخ الأخرى « الدواير » وهو الذى اخترت إثباته فى المتن هنا ، وأن المراد بالدوائر حلق الدرع ، أراد أنهم أحكموها ولبسوها سابغة ، استعداداً للحرب .

(٣) فى ج و س و د « ألوانه » وما هنا أجود ، لأن « البلق » سواد وبياض .

(٤) فى ج و د « وَلَئِنْ فَرَرْتَ » .

وقولُه « كَمِثْلِ اللّيلِ » يقول : كَثْرَةً ، فيكاد يَسُدُّ سوادُهُ الأُفُقَ ، ولذلك يقال « كَتيبةٌ خضراء » أى : سوداء ، وكانت كَتيبةُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم التى هو فيها والمهاجرون والأنصارُ - يقالُ لها : « الخَضْرَاء » .

و « المُرْتَجِسُ » [هو[1]] الذى يُسْمَعُ صوتُه ولا يَبينُ[2] كلامُهُ ، يقال « ارتجَسَ الرّعْدُ » من هذا . و « الوَغَى » الأصواتُ .

و « التّوَالِي » اللّواحقُ[3] يقال « تلاهُ يتلُوهُ » إذا اتَّبَعَهُ ، و « تلَوْتُ القرآنَ » أتبَعْتُ بعضَه بعضاً ، و « المُتْلِيَةُ » التى معها أولادُها .

وقولُه « فأرْسَلَها رَهْوًا » يقولُ : ساكنةً . قال الله جل وعزّ ﴿ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا[4] ﴾ ويقالُ « عيشٌ رَاهٍ » يافتى : أى ساكنٌ .

و « رِعالٌ » جمعُ « رَعِيلٍ » وهو : ما تقدّم من الخيل ، يقالُ « جاء فى الرّعيلِ الأوّلِ » قال عَنْتَرَةُ :

إذْ لاَ أُبادِرُ فى المَضِيقِ فَوَارِسِى ... وَلاَ أُوَكّلُ بالرّعيلِ الأوّلِ

وقولُه « زَهَتْهُ ريحُ نَجْدٍ فأَتْهَمَا » يقول : رَفَعَتْهُ واسْتَخَفّتْهُ ، قال ابنُ أبى رَبيعةَ :

فلما تَوَاقَفْنَا وسَلّمْتُ أشْرَقَتْ ... وُجُوهٌ زَهاهَا الحُسْنُ أنْ تَتَقَنّعَا

ومعنى « أَتْهَمَ » أتى تِهامَةَ .

---

(١) الزيادة من ع و د .

(٢) فى ع و س و د « وَلاَ يَتَبَيَّنُ » .

(٣) فى بعض طبعات مصر « واللواحق » وهو خطأ ، لأنه تفسير للتوالى .

(٤) سورة الدخان (٢٤) .

❊

وَزَعَمَ أبو عُبَيْدَةَ [مَعْمَرُ بنُ الْمُثَنَّى[١]] عَمَّنْ حَدَّثَهُ : أنَّ بَكْرَ بنَ وَائِلٍ أرادتِ الغارةَ على قبائلِ بنى تميمٍ ، فقالوا : إنْ عَلِمَ بِنَا السُّلَيْكُ أَنْذَرَهُمْ ، فبعثُوا فارسَيْنِ على جوادَيْنِ يُرِيغَانِ[٢] السُّلَيْكَ ، فَبَصُرَا بِهِ ، فقَصَدَاهُ ، وخرج يَمْحَصُ[٣] كأنه ظَبْيٌ ، فَطَارَدَاهُ سَحَابَةَ يومِهِما ، فقالا : هذا النهارُ ، ولوجَنَّ عليه اللَّيلُ لقد فَتَرَ ، فَجَدَّا فى طلبه ، فاذا بِأَثَرِهِ قد بال فَرَغَا فى الأَرْضِ وخَدَّهَا[٤] ، فقالاَ : قاتَلَهُ اللهُ ! ما أَشَدَّ مَتْنَيْهِ ! ولعلّ هذا كانَ مِنْ أَوَّلِ الليلِ فلما امْتَدَّ به الليلُ فَتَرَ ، فاتَّبَعَاهُ ، فإذا به قد عَثَرَ بأَصْلِ شَجَرَةٍ فَنَدَرَ منها كَمَكَانِ تلك[٥] ، وانكسرتْ قوسُه ، فارْتَزَّتْ قِصْدَةٌ[٦] منها فى الأرضِ ، فنَشِبَتْ ، فقالا : قاتَلَه اللهُ ! واللهِ لاَ نَتْبَعُهُ[٧] بعدَ هذا ! فرجَعَا عنه ، وأَتَمَّ إلى قومِهِ [ش : يُرْوَى « أَتَمَّ » بأَلِفٍ ، و « تَمَّ » بغيرِ ألفٍ ، « ونَمَّ » بالنون ، ومعنى « تَمَّ إلى قومه » أى نَفَذَ[٨]]

---

(١) الزيادة من ج و س و د .

(٢) « يريغان » يطلبان ، تقول « أراغ الصيد يريغه إراغة » طلبه ، وتقول لمن حام حولك « ماذا تريغ ؟ » تريد : ماتطلب منى ؟ قاله المرصفى .

(٣) « يمحص » أى : يعدو عدواً شديداً .

(٤) «رغا فى الأرض» : ظهرت لبوله رغوة ، وقد أرغى البائل : صارت لبوله رغوة . و «خدها» أى : شق فيها شقا .

(٥) أى سقط منها ماصار أثره كأثر بوله فى الأرض .

(٦) « ارتزت » : ثبتت ، و « القصدة » بكسر القاف وسكون الصاد المهملة : الكسرة من العود .

(٧) فى ج « لاَ نَتَّبِعُهُ » .

(٨) الزيادة من حاشية ج . قال المرصفى : « تم إلى قومه بغير ألف : هذه هى المعروفة ، فأما أتم بالألف ، ونم بالنون — : فلم أر أحداً من أهل اللغة ذكرها » هذا قوله ! ومن حفظ حجة على من لم يحفظ ، والمعاجم التى فى أيدينا لم تحصر كل لغة العرب ولم تستوعبها .

فأنذرهم !! فلم يصدِّقُوه لِبُعْدِ الغاية ، ففى ذلك يقولُ :

يُكَذِّبنى العَمْرَانِ عَمْرُو بنُ جُنْدَبٍ — وعمرُو بنُ كعْبٍ والمكذِّبُ أَكْذَبُ

ثَكِلتُكُما إنْ لم أَكُنْ قد رأيتُها — كَرَاديسَ يَهْدِيهَا إلى الحيِّ مَوْكِبُ[١]

كراديسُ فيها الحَوْفَزَانُ وحولَه — فوارسُ همَّامٍ مَتَى يَدْعُ يَرْكَبُوا[٢]

فصدَّقه قومٌ فنَجَوْا ، وكذَّبه قومٌ فوَرَدَ عليهم الجيشُ فاكْتَسَحُهُمْ .

وحدثنى التَّوَّزِىُّ قال : سألتُ أبا عُبيدَةَ عن مثلِ هذه الأخبارِ مِن أخبارِ العرب[٣]؟ فقال لى : إن العجَم تَكْذِبُ فتقولُ : كان رجلٌ ثُلُثُهُ من نُحاسٍ وثلثه من رَصاصٍ وثلثه من ثَلْجٍ ! فتُعارِضُها العربُ بهذا وما أشبهه .

ومن ذلك قول مُهَلْهِلِ بن رَبيعةَ :

فلو نُشِرَ المَقابرُ عن كُلَيْبٍ — فَتُخْبِرَ بالذَّنائِبِ أىُّ زِيرِ[٤]

بيَوْمِ الشَّعْثَمَيْنِ لَقَرَّ عَيْناً — وكيفَ لِقاءُ مَنْ تحتَ القُبورِ[٥]

كأنَّا غُدْوَةً وبَنِى أَبِينا — بِجَنْبِ عُنَيْزَةٍ رَحَيَا مُدِيرِ

---

(١) « كراديس جمع « كردوس » بوزن « عصفور » وهو القطعة العظيمة من الخيل .

(٢) « الحوفزان » هو الحرث بن شريك بن عمرو ، من بنى ذهل بن شيبان ، لقب بذلك يوم حفزه قيس بن عاصم بالرمح فى استه ، فتحفز به فرسه ، فنجا . قاله المرصفى .

(٣) فى ج و س و د « من أخبار العجم » . وفى حاشية ج : « كذا وقع : من أخبار العجم ، والصواب : من أخبار العرب » .

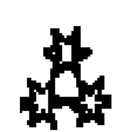
(٤) « الذنائب » هى سوق الذنائب ، قرية دون زبيد من أرض اليمن ، وبها قبر كليب . وفى ج و س و د « فَيُخْبِرَ » .

(٥) « الشعثمان » هما : « شَعْثَمٌ وَشُعَيْثٌ » ابنا معاوية بن عامر ، من بنى بكر بن وائل ، قتلا يوم واردات ، وهى موضع عن يسار مكة . قاله المرصفى .

كأنَّ رِماحَهم أشْطانُ بِئْرٍ   بَعيدٍ بينُ جالَيْها جَرُورِ (١)

فلولا الرِّيحُ أُسْمِعَ مَنْ بِحَجْرٍ   صَليلُ البَيْضِ تُقْرَعُ بالذُّكورِ (٢)

[قال أبو الحسن : يقالُ فلانٌ « زِيرُ نِسَاء ، وطِلْبُ نساء ، وتِبْعُ نساء ، وخِلْوُ (٣) نساء » : إذا كان صاحبَ نساء ، وذلك : أنّ مُهَلْهِلاً كان صاحبَ نساء ، فكان كُلَيْبٌ يقولُ : إنّ مهلهلاً زيرُ نساء ولا يُدْرِكُ بثأرٍ ، فلمّا أدْرَكَ مهلهلٌ بثأرِ كليبٍ ، قال « أيُّ زِيرٍ » فرَفَعَ « أيًّا » بالابتداء ، والخبرُ محذوفٌ ، فكأنه قال : أيُّ زِيرٍ أنا في هذا اليوم !] .



قال أبو العباس : وحدثني عَمْرُو بن بَحْرٍ قال : أتيتُ أبا الرَّبيع الغَنَوِيَّ ، وكان من أفصح الناس وأبلغهم ، ومعي رجلٌ من بني هاشمٍ ،

---

(١) «أشطان» البئر : حبالها ، الواحد «شطن» بفتح الشين والطاء . و «الجال» و «الجول» : ناحية البئر من أسفلها إلى أعلاها . والبئر «الجرور» بفتح الجيم : البعيدة القعر .

(٢) في بعض النسخ « أَهْلَ حَجْرٍ » . وفي ج « صليلَ » بالنصب . و «حجر» بفتح فسكون مدينة اليمامة ، وهي شرق الحجاز .

(٣) « خلو بكسر الخاء وسكون اللام وآخره واو . قال في اللسان : « الخِلْوُ بالكسر : الفارغُ البالِ من الهموم ، والخِلْوُ أيضا : المنفرد » فالمعنى على هذا سليم صحيح : أنه الذي ينفرد بالنساء ، أو الذي يفرغ لهن باله ، فلا شغل له إلا بهنّ . وهكذا هو في نسخ الكامل المطبوع عنها طبعة أوربة ، ويظهر أن مصححي طبعات مصر لم يجدوا في معاجم اللغة استعمال « خلو نساء » فغيروا الكلمة من عند أنفسهم ، فجعلوها « خِلْب نساء » بوزن « خلو » ولكن آخرها باء موحدة . وهذا اللفظ منصوص في كتب اللغة ، ولكنه لا ينفي صحة ما في الكامل ، إذ يكون استعمالا صحيحاً زائداً عما في المعاجم ، فتغييره عمل غير سديد .

فقلتُ : أأبو الرَّبيع هٰهنا ؟ فخرجَ إلىَّ وهو يقول : خَرَجَ إليك رجلٌ كريمٌ ! (١) فلمَّا رأى الهاشميَّ استحيا من فَخْرِهِ بحضرته ، فقال : أكْرَمُ الناسِ رَدِيفاً ، وأشرفُهم خَلِيفاً (٢) ، فتحدثنا (٣) مَلِيًّا ، فنهضَ (٤) الهاشميُّ ، فقلتُ لأبي الرَّبيعِ : يا أبا الرَّبيعِ ! مَنْ خيرُ الخلقِ ؟ فقال : الناسُ واللهِ ، فقلتُ : مَنْ خَيْرُ الناسِ ؟ قال : العربُ واللهِ ، قلتُ : فَمَنْ خيرُ العربِ ؟ قال : مُضَرُ واللهِ ، قلتُ : فَمَنْ خيرُ مُضَرَ ؟ قال : قيسٌ واللهِ ، قلتُ : فَمَنْ خيرُ قيسٍ ؟ قال : يَعْصُرُ واللهِ ، قلتُ : فَمَنْ خيرُ يَعْصُرَ ؟ قال : غَنِيٌّ واللهِ ، قلتُ : فمن خيرُ غَنِيٍّ ؟ قال : المُخَاطِبُ لكَ واللهِ !! قلتُ : أَفَأَنْتَ خيرُ الناسِ ؟ قال : نَعَمْ إِي واللهِ ! ! قلتُ : أَيَسُرُّكَ أَنَّ تحتَكَ بنتَ يَزِيدَ بن المُهَلَّبِ ؟ قال : لا واللهِ (٥) ! قلتُ : ولكَ ألفُ دينارٍ ؟ قال : لا واللهِ ! قلتُ : فألفا دينارٍ ؟ قال : لا واللهِ ! قلتُ : ولكَ الجَنَّةُ ؟ فأطرقَ [مَلِيًّا (٦)] ثم قال : على أن لا تَلِدَ مِنِّي !! وأَنْشَدَ :

---

(١) في ج و س و د « رجلٌ كَرَمٌ » وهو استعمال طريف جميل ، قال في اللسان : « ورجل كَرَمٌ : كريم ، وكذلك الاثنان والجمع والمؤنث ، تقول : امرأة كَرَمٌ ونِسْوَةٌ كَرَمٌ ، لأنه وصف بالمصدر » .

(٢) هكذا هي بالخاء المعجمة في كل النسخ ، وسيأتي أن يفسرها المبرد بمعنى « حليف » بالحاء المهملة ، وأغلب ظني أن الإعجام هنا خطأ .

(٣) في ج و س « فحدَّثنا » وفي د « فحدثني » .

(٤) في ج و س و د « ثم نهض » وبها طبعت طبعات مصر .

(٥) لأن يزيد بن المهلب باهليٌّ .

(٦) الزيادة من ج و س و د .

تَأْبَى لِأَعْصُرَ أَعْرَاقٌ مُهَذَّبَةٌ مِنْ أَن تُناسِبَ قومًا غيرَ أكفاء
فإن يَكُنْ ذاكَ حتماً لا مَرَدَّ لهُ فاذْكُرْ حُذَيْفَ فإنِّى غيرُ أبَّاء[1]

قولُه « أكرمُ الناسِ رديفاً » فإن أبا مَرْثَدٍ الغَنَوِىَّ كانَ رديفَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم .

وقولُه « وأشرفُهم حليفاً [فانه[2]] كانَ أبو مَرْثَدٍ حليفَ حمزةَ بن عبد المطلب .

وقولُه « فاذْكُرْ حُذَيْفَ » أرادَ حُذَيْفَةَ بن بَدْرٍ الفَزارىَّ ، وإنما ذَكره مِن بينِ الأشرافِ لأنه أقربُهم إليه نسباً ، وذاكَ[3] : أنّ يَعْصُرَ ابنُ سعدِ بن قيسٍ ، وهؤلى[4] بنو رَيْثِ بن غَطَفَانَ بن سعد بن قيسٍ ، وقد قال عُيَيْنَةُ بن حِصْنٍ يَهْجُو وَلَدَ يَعْصُرَ ، وهُمْ : غَنِىٌّ وباهِلَةُ والطُّفَاوَةُ :

أَبَاهِلَ ما أَدْرِى أمِنْ لُؤْمِ مَنْصِبِى أَحِبُّكُمُ أَمْ بِى جُنونٌ وأَوْلَقُ[5]
أُسَيِّدُ أَخْوَالِى وَيَعْصُرُ إِخْوَتِى فَمَنْ ذَا الَّذِى مِنِّى مع اللُّؤْمِ أَحْمَقُ[6]

فقال الباهلىُّ يُجِيبُهُ :

---

(١) هذه الحكاية نقلها ياقوت فى معجم الأدباء عن الجاحظ (٦ : ٦٣ — ٦٤ من الطبعة الثانية لتذكار جب) .

(٢) الزيادة من ج و د .

(٣) فى ج و س و د « وذلك » .

(٤) فى ج و س و د « وهؤلاء » ، وكلاهما صحيح .

(٥) « الأولق » الجنون ، وهو « فَوْعَل » من قولهم : « أُلِقَ الرَّجلُ يُؤْلَقُ أَلْقًا » ، فهو مَأْلُوقٌ ومُؤَوْلَقٌ » ويقال أيضاً : « أَلَقَهُ الله يَأْلِقُهُ أَلْقًا » . هكذا نصّ عليه فى لسان العرب ، وأتى بهذا البيت وببيت آخر للأعشى ، شاهدين على أن « الأولق » الجنون . وقد خلط الشيخ المرصفى رحمه الله فى شرح هذا الحرف .

(٦) فى ج و س و د « فمن ذا الذى منهم » .

وكيف تُحِبُّ الدهرَ قومًا هُمُ الأُولَى   نَوَاصِيَكُمْ فى سالفِ الدَّهْرِ حَلَّقُوا

أَلَسْتَ فَزَارِيًّا عليكَ غَضَاضَةٌ   وإن كنتَ كِنْدِيًّا فإنك مُلْصَقُ

وتحدَّثَ الرواةُ بأنَّ الحجاجَ رأى محمدَ بن عبد الله بن نُمَيْرٍ الثَّقَفِيَّ ، وكان يَنْسِبُ بزينبَ بنتِ يوسفَ ، فارْتَاعَ مِن نظرِ الحجاجِ [إليه[1]] فَدَعَا به ، فلمَّا عَرَفَهُ قال مُبْتَدِئًا :

هاكَ يَدِي ضاقتْ بِيَ الأَرْضُ رُحْبَها   وإن كنتُ قد طَوَّفْتُ كلَّ مَكَانِ

ولو كنتُ بالعَنْقاء أَوْ بِيَسُومِهَا   لَخَالتُكَ إلاَّ أنْ تَصُدَّ تَرَانِى[2]

ثم قال : واللهِ إنْ قلتُ إلاَّ خيرًا ، إنما قلتُ :

يُخَبِّئْنَ أطرافَ البَنَانِ مِنَ التُّقَى   ويَخْرُجْنَ جُنْحَ اللَّيْلِ مُعْتَجِرَاتِ[3]

قال [له[4]] : أَجَلْ ، ولكنْ أَخبرنى[5] عن قولِكَ :

ولَمَّا رأتْ رَكْبَ النُّمَيْرِىِّ أعرَضَتْ   وكُنَّ مِنَ أن يَلْقَيْنَهُ حَذِرَاتِ

فى كَمْ كُنْتَ ؟ قال : واللهِ إنْ كنتُ إلاَّ على حمارٍ هزيلٍ ، ومعِى رَفيقى[6] على أتانٍ مثلِهِ .

---

(١) الزيادة من ج و س و د .

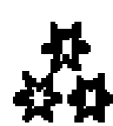
(٢) « يسوم » جبل فى بلاد هذيل ، وقد مضى البيتان فى (ص ٤٤٦) وكتبت هناك «بأسومها» وبينا فى التعليق عليه أنه خطأ ، وقد كتب هنا بحاشية بعض النسخ « يَسُومُ : جبلٌ معروفٌ قريبٌ من آمِدَ » .

(٣) فى ج و س و د « شطر الليل » وهو موافق لما مضى (٤٤٦) .

(٤) الزيادة من ج و د .

(٥) فى ج و د « خبِّرْنِي » .

(٦) فى ج و س و د « رفيق » .



ومن ذلك ما يَحْكُونَ في خبر لُقْمانَ بن عَادٍ ، فإنهم يَصِفون أَنَّ جارِيةً له سُئِلَتْ عمَّا بَقِيَ مِن بَصَرِه ، لدخولِه في السِّنِّ ؟ فقالتْ : واللهِ لقد ضَعُفَ بَصَرُه ، ولقد بَقِيَتْ منه بَقِيَّةٌ : إنَّهُ لَيَفْصِلُ بينَ أَثَرِ الأُنثى والذَّكرِ من الذَّرِّ إذا دَبَّ على الصَّفَا !! في أشياءَ تُشبه كلُّ هذا من الكَذِب .

وحُدِّثْتُ أَنَّ امرأةَ عِمْرانَ بنِ حِطَّانَ السَّدُوسِيِّ قالت له : أَمَا حَلَفْتَ أنَّك لا تَكْذِبُ[1] في شعرٍ ؟ فقال لها : أَوَ كانَ ذَاكِ ؟ قالت : نعم ، قلتَ :

فكذاكَ مَجْزَأَةُ بنُ ثَوْ ... رٍ كانَ أَشْجَعَ من أُسامَهْ

أَيكونُ رجلٌ أَشجعَ من أَسَدٍ ؟! فقال لها : ما رأيتُ أسداً فَتَحَ مدينةً قَطُّ ، ومَجْزَأَةُ بن ثَوْرٍ قد فَتَحَ مدينةً[2] .

[مجزأةُ بن ثَوْرٍ جَعَلَ له عمرُ رحمه الله رئاسة بَكْرٍ ، فلما استُشْهِدَ مَجْزَأَةُ جعلها أبو موسى لخالدِ بن المُعَمَّرِ ، ثم[3]] فَعَلَ عثمانُ بن عفانَ رضي الله عنه

---

(١) في ج و د « ألا تكذبَ » .

(٢) هذه القصة نقلها الأمير أسامة بن منقذ في لباب الآداب (ص ١٨٦ — ١٨٧) وفيها بعض الخلاف لما هنا .

(٣) ما بين المربعين مقطوع من الورق في الأصل المخطوط المنقول عنه ، لأن الزيادة كلها من أول قوله « مجزأة بن ثور جعل له عمر » إلى قوله « من أبطال المسلمين » — : منقولة من حاشية ج فلما رأى مصحح طبعة أوربة هذا القطع في الورق أثبت ما بين يديه ، ووضع نقطا لموضع النقص فأثبت من قوله « استشهد » « است » فقط ، ثم بعد النقط كلمة « فعل » .

وقد أتممت أنا هذا النقص بقريب من لفظه الأصلي نقلا عن البيان والتبيين للجاحظ (٣ : ٧٤ طبعة التجارية) وعن الإصابة لابن حجر (٢ : ١٤٧ في ترجمة خالد بن المعمر) .

وأما طبعات مصر ، فان مصححيها تصرفوا في الكلام تصرفا غير مرضيّ ، فجعلوه « فلما أسن فعل عثمان » الخ فأفسدوه ، لأن مجزأة بن ثور قتل في الوقعة بعد فتح تستر ، قتله الهرمزان ، كما في الاصابة (٦ : ٤٤ — ٤٥) وتاريخ الطبري (٤ : ٢١٦) وغيرهما ، فلما رأى الشيخ المرصفي — رحمه الله — ذلك لخص قصة قتل مجزأة ، ثم قال : « ومن هذا التاريخ تعلم أن أبا العباس

ذلكَ مع ابنه شَقِيقِ بن مَجْزَأةَ ، وقُتِل رحمه الله على شُسْتَرَ [١] ، هو والبَرَاء بن مالكٍ ، وكانا من أبطالِ المسلمينَ [٢]] .

ومَرَّ عِمرَانُ بن حِطَّانَ بالفرزدقِ وهو يُنْشِدُ ، فوقف عليه فقال :

أيُّها المادِحُ العِبادَ ليُعْطَى   إنَّ للهِ ما بأيدِى العِبادِ
فاسْألِ اللهَ ماطلبتَ إليهم   وارْجُ فضلَ المقَسِّمِ العَوَّادِ
لا تَقُلْ لِلْجَوَادِ ماليس فيه   وتُسَمِّ البَخِيلَ باسْمِ الجَوادِ

وأنشدنِي الحسنُ بن رَجَاء لرجلٍ من المُحْدَثِينَ لم يُسَمِّهِ [وهو بَكْرُ بنُ النَّطَّاح فى أبى دُلَف [٣]] :

أبا دُلَفٍ يا أكْذَبَ الناسِ كُلِّهِمْ   سِوَايَ فإنِّى فى مَديحِكَ أكْذَبُ

غلط فى قوله : فلما أسن فعل الخ » وقد أصاب الشيخ فى اعتراضه ، ولـكنه أخطأ أن لم يحقق أصل الـكلام حتى يعلم ماسقط منه ، وأن نسب هذا الخطأ للمبرد ، مع أنه من الزيادات التى أدخلها مصحح طبعة أوربة من حواشى الأصول المخطوطة ، وجعل علامة زيادتها هذين المربعين [ ] ونص على الموضع الذى نقلها منه .

(١) هكذا هى فى هـــذا الموضع «شستر» بالشين فى أولها ، وهى مدينة « تستر » نفسها ، بضم التاء المثناة فى أولها ثم سكون السين المهملة ثم فتح التاء المثناة ثم الراء ، كذا ضبطها السمعانى فى الأنساب ، وياقوت فى معجم البلدان ، والفيروزابادى فى القاموس وقال : «وششتر بمعجمتين لحن » وقال ياقوت : « تستر .. وهو تعريب شوشتر » . ووقعت أيضاً فى أصلى لباب الآداب « دستر » بالدال فى أولها ، والصواب « تستر » كما نطقها العرب الذين فتحوها ، والعرب يلعبون بهذه الأعلام الأعجمية حين ينقلونها إلى لغتهم الفصيحة ، لا كما يريد أن يفعل المجمع اللغوى المصرى ، إذ يريد أن يخضع لغة العرب لـكل لهجات الأجانب فى تعريب الأعلام ، إذ قرر أن تنطق كما ينطقها أهلها ، ليكون على كل عربى حين ينطق علما أجنبياً أن يرتضخ من أجله لـكنة أعجمية !! ولن يكون هذا إن شاء الله .

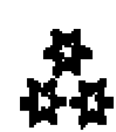
(٢) الزيادة كلها من حاشية ج كما قلنا فيما مضى . وانظر تفصيل فتح « تستر » فى تاريخ الطبرى (٤ : ٢١٥ — ٢١٨ سنة ١٧) وفتوح البلدان للبلاذرى (ص ٣٨٧ — ٣٨٩) ومعجم البلدان (٢ : ٣٨٦ — ٣٨٨) .

(٣) الزيادة من ج و د .

وأنشدنى آخرُ لرجلٍ من المُحْدَثِينَ [أيضاً قال أبو الحسن : هو بكرُ بن النّطّاح[1]] :

إنّى امْتَدَحْتُكَ كاذباً فأَثَبْتَنِي لمَّا امتدَحْتك مايُثَابُ الكاذبُ[2]

قال الأصمعيُّ : قلتُ لأعرابيٍّ كنت أعرفُه بالكذبِ : أصَدَقْتَ قطُّ؟ قال : لولا أنّى أخافُ أنْ أصْدُقَ فى هذا لقلتُ لَكَ : لا !![3] .



وتحَدّثوا مِن غير وجهٍ : أَنَّ عَمْرَو بن مَعْدِى كَرِبَ كان معروفاً بالكذبِ . وقيلَ لِخَلَفٍ الأحمرِ ، وكانَ شديدَ التعصُّبِ لِلْيَمَنِ ـ : أكانَ عَمْرُو بن معدى كربَ يَكذبُ ؟ فقال : [نعم[4]] كان يكذبُ فى المَقالِ ، ويَصْدُقُ فى الفَعالِ !

وذَكَرُوا من غيرِ وجهٍ : أنّ أهلَ الكوفةِ من الأشرافِ كانوا يَظْهَرُونَ بالكُنَاسةِ فيَتَحدَّثُونَ على دَوابِّهم ، إلى أن يَطْرُدَهُمْ حَرُّ الشّمسِ ، فوقفَ عمرُو بن معدى كربَ وخالدُ بن الصَّقْعَبِ النَّهْدِىُّ ، فأقبلَ عمرٌو يُحَدِّثُه ، فقال [له[5]] : أغَرْنا مَرَّةً عَلَى بنى نَهْدٍ ، فخرجوا مُسْتَرْعِفِينَ بخالدِ بن الصَّقْعَبِ ، فحملتُ عليه فطعَنْتُه فأذرَيْتُه[6] ، ثم مِلْتُ عليه بالصَّمْصامةِ ،

---

(١) الزيادة من ج و د .

(٢) فى س « مدحتك » .

(٣) كلمة « لا » لم تذكر فى طبعات مصر خطأً .

(٤) الزيادة من س .

(٥) الزيادة من ج و س و د .

(٦) « أذريته » بالذال المعجمة ، وفى بعض طبعات مصر « أزريته » بالزاى ، وهو خطأ و « الاذراء » الرمى والالقاء ، وفى اللسان : « تقول ضربته بالسيف فأذريت رأسه ، وطعنته فأذريته عن فرسه ، أى : صرعته وألقيته » .

فأخذتُ رأسَهُ ! فقال له خالدٌ : حِلاًّ أبا ثَوْرٍ ! إنَّ قَتِيلَكَ هو المُحَدِّثُ . فقال [له عمرٌو[1]] : يا هذا ! إذا حُدِّثتَ [بحديثٍ[1]] فاسْتَمِعْ ، فإنما نتحدَّثُ بمثلِ ما تَسمعُ لِتُرْهَبَ به هذه المَعَدِّيَّةُ[2] !!

قولُه « مُسْتَرْعِفِينَ » يقولُ : مُقَدَّمين له ، يقال : جاء فلانٌ يَرْعُفُ الجيشَ ويَؤُمُّ الجيشَ : إذا جاء متقدِّمًا لهم ، ويقالُ في الرُّعافِ : « رَعَفَ يَرْعُفُ » لا يقالُ غيرُ « رَعَفَ » ويجوز « يَرْعَفُ » مِن أَجْلِ العَيْنِ ، وليس من الوَجْهِ . وسنذكرُ هذا البابَ بعدَ انقضاءِ هذه الأخبارِ . إن شاء الله .

وقولُه « حِلاًّ أبا ثَوْرٍ » يقولُ : اسْتَثْنِ ، يقالُ : حَلَفَ ولم يَتَحَلَّلْ ، أي : لم يَسْتَثْنِ .

وخُبِّرْتُ[3] أنّ قاصًّا كان يُكْثِرُ الحديثَ[4] عن هَرِمِ بن حَيّانَ[5] [« الهَرِمُ » الضَّبُّ ، يقالُ : إنه في الشتاءِ يأكل حُسُولَهُ[6] ولا يَخرُجُ ، قال الشاعرُ :

* كما أَكَبَّ على ذي بَطْنِهِ الهَرِمُ *

قيلَ : إنّ هَرِمَ بن حَيّانَ حملتْه أمُّه أربعَ سنينَ ، ولذلك سُمِّيَ هَرِمًا[7]] فاتفق

---

(١) الزيادة في الموضعين من ج و س و د .

(٢) في ج و س و د « لِتُرْهَبَ به هذه المَعَدِّيَّةَ » و « المعدية » بنو معدّ بن عدنان ، يعني بني ربيعة ومضر ، لأن التفاخر قديم بينهم وبين أهل اليمن .

(٣) في ج و س و د « وحُدِّثْتُ » .

(٤) في س « التحدث » .

(٥) هو هرم بن حيان العبدي ، قال ابن عبد البر : « هو من صغار الصحابة » . وله ترجمة في الإصابة (٦ : ٢٨٢) .

(٦) جمع « حسل » بكسر الحاء وسكون السين المهملتين ، وهو ولد الضب .

(٧) الزيادة من حاشية ج .

هرمٌ [مرةً[1]] معه في مسجدٍ[2] وهو يقول : حَدَّثنا هرِم بن حيان ، مرةً بعدَ مرةٍ ، بأشياء لا يعرفُها هرمٌ ، فقال له : ياهذا ! أتعرِفُني ؟ أناهرِمُ بنُ حيان ، [واللهِ[1]] ما حدثتُك من هذا بشيء قطُّ ! فقال له القاصُّ : وهذا أيضاً مِن عجائبِكَ ، إنّه ليُصَلِّي معنا في مسجدنا خمسةَ عشَرَ رجلاً اسمُ كلِّ رجلٍ منهم هَرِمُ بنُ حَيَّانَ ، كيفَ توهَّمتَ أنه ليس في الدنيا هرمُ بن حيانَ غيرُك[3] ! ؟ .

وكان بالرَّقةِ قاصٌّ يُكنَى أبا عقِيلٍ ، يُكثِرُ التحدثَ عن بني إسرائيلَ فيُظَنُّ بِهِ الكذبُ ، فقال له يوماً الحجاجُ بن حَنتَمةَ : ما كان اسمُ بقرةِ بني إسرائيلَ ؟ قال : حَنتَمةُ ! فقال له رجلٌ من ولد أبي موسى الأشعريِّ : في أيِّ الكتب وَجَدْتَ هذا ؟ قال : في كتاب عمرو بن العاصِ[4] !

وقال القَيْنيُّ[5] : أنا أصْدُقُ في صغيرِ مَا يَضُرُّني ليجوزَ كَذِبي في كبيرِ ما ينفعُني ؟ .

وأنشد[6] المازِنيُّ للأعشى ، وليس ممَّا رَوَتِ الرواةُ متَّصلاً بقصيدةٍ :

فَصَدَقْتُهُمْ وكَذَبْتُهُمْ ... والمَرْءُ ينفعهُ كِذَابُهْ

(١) الزيادة من ج و د .

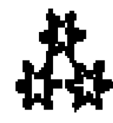
(٢) في ج و د « في المسجد » .

(٣) اتفق لأحمد بن حنبل ويحيي بن معين حكاية مثل هذه ، مع قاص صفيق الوجه ، كهذا الذى هنا ! ذكرناها في شرحنا على ألفية السيوطى في المصطلح (ص ٨٧ — ٨٨) وشرحنا على اختصار علوم الحديث لابن كثير (ص ٨٨ — ٨٩) .

(٤) في ج و س و د « العاصى » .

(٥) في س « وقال الليثى » وهما اسمان مبهمان ، لاندرى من يراد بهما .

(٦) في س « وأنشدنى » .



ويروى: «أنَّ رجلاً وَفَدَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسأله [عن بعضِ شيء[1]] فكَذَبَهُ، فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: أأسْئَلُكَ[2] فتَكْذِبُنِي؟ لولا سَخاءٌ فيكَ وَمِقَكَ اللهُ عليه لَشَرَّدْتُ بِكَ مِنْ وافدِ قومٍ».

معنى «وَمِقَكَ» أَحَبَّكَ، يقال «وَمِقْتُهُ أَمِقُهُ» وهو على «فَعِلْتُ أَفْعِلُ» ونظيرُه من هذا المُعْتَلّ[3] «وَرِمَ يَرِمُ» و«وَلِيَ [الأميرُ[4]] يَلِي»، وكذلك «وَسِعَ يَسَعُ» كانت السينُ مكسورةً، وإنما فُتِحَتْ للعينِ، ولو كانَ أصلُها الفتحَ لظَهَرَتِ الواوُ، نحو «وَجِلَ يَوْجَلُ» و«وَحِلَ يَوْحَلُ» والمصدرُ «مِقَةٌ» كقولك «وَعَدَ يَعِدُ عِدَةً» و«وَجَدَ يَجِدُ جِدَةً».

ويُروى: «أنَّ رجلاً أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فأسلَمَ، ثم قال: يارسولَ اللهِ! [إني[5]] إنما أُوخَذُ من الذُّنوب بما ظَهَرَ، وأنا أَسْتَسِرُّ[6] بخِلالٍ أربعٍ: الزنا والسَّرَقِ وشُرْبِ الخَمْرِ والكذبِ، فأيُّهُنَّ أحْبَبْتَ تركتُ لك سِرًّا؟! فقال رسولُ الله: دَعِ الكذبَ. فلما وَلَّى مِنْ عندِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم هَمَّ بالزنا، فقال: يَسْتَكْذِبُني رسولُ الله فإنْ

(١) الزيادة من ج و د.
(٢) في ا «أسئلك» وفي ج و س و د «آأكلك» وفي حاشية ج «آأسئلك».
(٣) في ج و د «ونظير هذا من المعتل».
(٤) الزيادة من ج و د وفي س بدلها «الأمْرَ».
(٥) الزيادة من ج.
(٦) في ج و س و د «أسْتَتِرُ».

جَحَدْتُ نقَضْتُ ما جَعلتُ له [علىَّ(١)] ، وإن أقررتُ حُدِدْتُ ، فلم يَزْنِ ، ثم هَمَّ بالسَّرِقِ(٢) ، ثم هَمَّ بشربِ الخمرِ ، ففكَّرَ فى مثلِ ذلك ، فرجَعَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسولَ الله ! قدتَركتُهن جُمَعَ(٣) » .

☼

وشهِدَ أعرابىٌّ عند معاويةَ بشهادةٍ ، فقال له معاويةُ : كذبتَ ! فقال له الأعرابىُّ : الكاذبُ [واللهِ(٤)] مُتزَمِّلٌ فى ثيابك ، فقال معاويةُ : هذا جزاءُ مَنْ عَجِلَ .

وقال معاويةُ يوماً للأحْنَفِ ، وحدَّثَه حديثاً(٥) — : أتكذِبُ [يا أحنفُ(٦)] ؟ فقال : والله مَا كذبتُ مُذْ(٧) علمتُ أنّ الكذبَ [مِمّا(١)] يَشِينُ أهلَهُ .

ودخلَ عبدُ الله بن الزُّبير يومًا على معاوية ، فقال : اسمعْ أبياتاً قُلتُهُنَّ ، وكان واجدًا عليه ، فقال معاويةُ : هاتِ ، فأنشدَهُ :

إذا أنتَ لم تُنْصِفْ أخاكَ وجدتَهُ على طَرَفِ الهِجْرَانِ إنْ كان يَعْقِلُ
ويرَكبُ حَدَّ السَّيفِ من أنْ تَضيمَهُ إذالم يكن عن شَفْرَةِ السيفِ مَزْحَلُ(٨)

---

(١) الزيادة من ج و د .
(٢) فى س « بالسرقة » .
(٣) فى س « جميعا » . وهذا الحديث والذى قبله لم أجدهما فى شىء من كتب الحديث .
(٤) الزيادة من ج و س و د .
(٥) فى ج و س و د « بحديث » .
(٦) الزيادة من س .
(٧) فى ج و د « منذ » .
(٨) فى ا « مَعْدِلُ » .

فقال له معاويةُ : لقد شَعُرْتَ بعدنَا ياأَبا بكرٍ ! ثم لم يَنْشَبْ معاويةُ أَنْ دَخَلَ عليه[١] مَعْنُ بن أَوْسٍ المُزَنِيُّ ، فقال له : أَقُلْتَ بعدَنا شيئاً ؟ قال : نَعَمْ [ياأَميرَ المؤمنينَ[٢]] ، فأَنشدَهُ :

لَعَمْرُكَ ما أَدْرِي وإِنِّي لَأَوْجَلُ ... على أَيِّنَا تَغْدُو المَنِيَّةُ أَوَّلُ[٣]

حتى صارَ إلى الأبيات التي أَنشدَها ابنُ الزبير ، فقال له معاويةُ : ياأَبا بكرٍ ! أَمَا ذَكَرْتَ آنفاً أَنَّ هذا الشِّعرَ لكَ ؟ قال : أنا أَصْلَحْتُ مَعَانِيَهُ[٤] ، وهو أَلَّفَ الشعرَ ، وهو بَعْدُ ظِئْرِي[٥] ؟ فما قالَ مِنْ شيءٍ فهو لِي !! .

وكان عبدُ الله بن الزُّبَيْرِ مُسْتَرْضَعاً في مُزَيْنَةَ .

☼

وحُدِّثْتُ . أن عُمرَ بن عبد العزيز [بن مَرْوَانَ[٦]] كَتَبَ في إِشْخاصِ إِيَاسِ بن معاويةَ المُزَنِيِّ وعَدِيٌّ بن أُرطاةَ الفَزَارِيُّ أَميرِ البَصْرَةِ وقاضِيها يومَئِذٍ[٧] . فصار إليه عديٌّ ، فَقَرَّبَ[٨] أَنْ يُمَزِّنَهُ عند الخليفةِ ، فقال ياأَبا واثِلَةَ ! إِنَّ لنا حَقّاً ورَحِماً ، فقال [له[٦]] إياسٌ : أَعَلَى الكذب تُرِيدُنِي ؟ والله

(١) في ج و س و د « إليه » .
(٢) الزيادة من س .
(٣) « تغدو » بالغين المعجمة ، وفي بعضها « تعدو » بالعين مهملة .
(٤) في ج و س و د « المعاني » .
(٥) يريد : بعد ماذكرت لك فهو أخي من الرضاعة . قاله المرصفي .
(٦) الزيادة من ج و س و د .
(٧) كذا وقع في بعض الأصول « وعدى » بالخفض ، وفي ج « وعديٌّ بن أرطاة الفزاريُّ ، وهو إذْ ذاك أميرُ البصرة » برفع «عدى» ومثل ذلك في س بدون ضبط ، وبحاشية ج مانصه : « كذا وقع هنا ، وهي رواية ابن سراج رحمه الله : وعديٌّ بن أرطاة ، ورواية عاصم المزني : إلى عدى بن أرطاة ، وهو أظهر » .
(٨) «فقرب» يعني : توسل إليه بقربة رغبة في أن يمدحه عند الخليفة .

مايَسُرُّنِي أَنِّي كَذَبْتُ كَذْبَةً يغفرُها اللهُ [لى](١) ولا يَطَّلِعُ عليها إلاَّ هذا — وأَوْمَأَ إلى أبِيهِ — ولِي(٢) ما طَلَعَتْ عليه الشمسُ .

[قال أبو الحسن : « التَّمَزُّنُ » المَدْحُ ، ولم أَسْمَعْ هذه اللفظةَ إلاَّ مِن أبى العباس ، وهى عندى مشتقّةٌ مِن « المَازِنِ » وهو النَّمْلُ ، وبهذا سُمِّيَتْ « مازِنٌ » كأنه أرادَ منه أن يُكَبِّرَهُ ، ويروى يُكَثِّرَه . قال القُتَبِيُّ : «المَازِنُ» بَيْضُ النَّمل . قال الشيخُ : قولُه « أن يُعَزِّنَهُ عندَ الخليفة » أى كأنه يجعلُه سَيِّدَ مُزَيْنَةَ ، لأنه كان مُزَنِيًّا ، والصوابُ « يُعَزِّرَهُ » قال المَوْصِلِيُّ :

* وَإِنِّيَ مَعْ ذَا الشَّيْبِ حُلْوٌ مُزِيرُ *

ولم يَكُنْ فى القُضَاةِ ، وإنّما كان أميرًا على البصرة .... إن مات عمرو .... وكتب عُمَرُ إلى عَدِيٍّ : اجْمَعْ ناسًا مِمَّنْ قِبَلَكَ وشاوِرْهُمْ فى إياس بن معاويةَ والقاسِم بن رَبيعةَ ، واسْتَقْضِ أحَدَهما . فَوَلَّى عَدِيٌّ إياسًا(٣)] .

---

(١) الزيادة من ج و س و د .

(٢) فى ج و س و د « وأومأ بيده إلى ابنه ، وأنّ لى » الخ .

(٣) هذه الزيادة كلها منقولة من ج كما ذكر ذلك مصحح طبعة أوربة فى حاشيتها باللغة الانكليزية، وأن موضع النقط فى أثناء الكلام مقطوع من الورق فيها . وذكر أيضا أن صدر هذه الزيادة إلى قوله « من المازن وهو النمل » مذكور فى س و د و ا مع بعض الاختلاف ، وأن فى بعضها « تمرّن » و « مرنت » و « التمرين » و « المارن » كلها بالراء من غير نقط وسنشرح هذا الحرف .

أما الشيخ الذى قال « يعزنه : كأنه يجعله سيد مزينة » الخ فقد أخطأ فى موضعين ، إذ أن عدى بن أرطاة فزارى لامزنى ! والآخر أن قوله « والصواب : يعزره » خطأ لأن «المزير» هو الشديد القلب القوىّ النافذ ، كما هو فى الشاهد الذى أتى به، ويكون أيضا بمعنى الظريف ، وكلاهما لايصلح فى تفسير ماذكر المبرد .

والصواب « يُمَزِّنه » بالزاى والنون ، كما ذكر أبو العباس ، وإن لم يعرفه الأخفش وغيره . ففى الجمهرة لابن دريد (ج ٣ ص ١٩ — ٢٠) : « فلانٌ يَتَمَزَّن على أصحابه : كأنه

ويروَى : أنَّ أخا إياسٍ صارَ إلى أبي هُبَيْرَةَ فقال : طَرَقَنِي اللصوصُ فحارَبْتهم فهزَمْتُهم ، وظفِرْتُ منهم بهذا المِغْوَلِ[1] فجعله ابن هُبيرةَ تحتَ مُصلاَّهُ ، ثم بعثَ إلى الصَّياقِلَةِ فأحضَرَهم ، فقال : أيَعْرِفُ منكم الرجلُ

يتفضل عليهم ويظهر أكثر مما عنده . فسألت أبا حاتمٍ فقال : يتَصَحَّتُ عليهم ! ففسَّرَهُ بأغربَ من الأول ، بمعنى يتكبَّرُ» .

وفى اللسان : « وتمزَّن على أصحابه : تَفَضَّلَ وأظهر أكثرَ مما عنده ، وقيل التمزُّنُ : أن تَرَى لنفسك فضلاً على غيرك ولستَ هناك ، قال رَكَّاضٌ الدُّبَيْرِيُّ :

يا عُرْوَ إنْ تــكْذِبْ عليَّ تمزُّناً   بما لم يَكُنْ فأكْذِبْ فلستُ بكاذِبِ

قال المبردُ : مَزَّنْتُ الرجلَ تمزيناً : إذا : قرَّظْتَهُ من ورائه عند خليفةٍ أو والٍ، ومزَنَه مَزْناً : مدحه » .

فهذا نقل صاحب اللسان عن أبي منصور الأزهرى صاحب التهذيب وعن المبرد معاً ، والمبرد لم يذكر هذا الكلام فى الكامل ، والظاهر أنه نقله عنه من كتاب آخر . وقد تأيد هذان النقلان بكلام ابن دريد فى الجمهرة ، وصاحب اللسان لم يطلع عليها ولم ينقل عنها ، ويدل على هذا أنه لم يذكر مادة « تصحت » التى أتى بها ابن دريد استطراداً هنا ، وأتى بها أيضاً فى (ج ٢ ص ٤) قال : « فلانٌ يتَصَحَّتُ علينا : أى يتَكَبَّرُ » . فلو اطلع صاحب اللسان على الجمهرة لأتى بهذا الحرف ، ولستطرد نحن أيضاً، فنذكر أنّ صاحب القاموس قال « تصحت : استحيا » ونقل شارحه عن الصاغانى عن الأصمعى : « يقال : تصحت الرجل عن مجالستنا : أى استحيا » وأنا أرجح أن هذا غلط ، إما من الأصمعى ، وإما ممن نقل عنه ، وأن الصواب فى معناها : تكبر ، كما قال ابن دريد » .

وقال الزمخشرى فى الأساس : « يتمزَّنُ : يتَسَخَّى ، كأنه يتشبه بالمُزْنِ » فهذا معنى آخر ، نراه يرجع إلى الأول أيضا ، وأن اشتقاق الحرف من « المزن » وهو السحاب أقرب ، فالتفضل والتسخى أقرب إلى أن يكون كل منهما تشبها بالسحاب فى رفعته وجوده ، وهو به ألصق من اشتقاقه الذى زعم أبو الحسن من « المازن » !

وأما موضع القطع فى الورق فانى عجزت عن استكماله وتصحيحه .

(١) « المغول » بالغين المعجمة ، وفى ا « المعول » بالمهملة ، وهو ينافى التفسير الآتى ، لأن « المعول » هو الحديدة ينقر بها فى الجبال .

عملَه ؟ قالوا : نعم ، فأخرجَ المِغْوَلَ فقال : مِنْ عَمَلِ أيِّكُمْ هذا[1] ؟ فقال قائلٌ منهم : أنا عملتُ هذا ، واشتراهُ مِنِّى هذا أَمْسِ [« المِغْوَلُ » سيفٌ صغيرٌ] .

باب

ما يجوزُ فيه « يَفْعَلُ » فيما ماضيهِ « فَعَلَ » مفتوحُ العين

اعلم أنَّ كلَّ فِعْلٍ على « فَعُلَ » فهو غيرُ متعدٍّ إلى مفعولٍ ، لأنَّه فِعْلُ الفاعلِ فى نفسه ، وتأويلُه الانتقالُ ، وذلك قولُك « كَرُمَ » عبـــدُ الله ، و « ظَرُفَ » عبدُ الله .

وتأويلُ قولِى «الأنتقالُ » إنَّما هو انتقالٌ من حالٍ إلى حال ، تقولُ : ما كَانَ كريمًا ولقد « كَرُمَ » وما كانَ شريفًا ولقد « شَرُفَ » ، فهذا تأويلُه ، فأمَّا قولُهُم « كِدْتُ أكادُ » فإنما « كِدْتُ » معترِضَةٌ على « أكادُ » .

وما كَانَ من[2] «فَعِلَ » الصحيحِ فإنهُ « يَفْعَلُ » نحو «شَرِبَ يَشْرَبُ » و « عَلِمَ » و « فَرِقَ » ويكونُ متعدِّيًا وغيرَ متعَدٍّ ، تقولُ «حَذِرْتُ » زيداً ، و « عَلِمْتُ » عبدَ الله ، ويكونُ فيه مثلُ « سَمِنْتُ » و«بَخِلْتُ » غيرَ متعدٍّ ، وكلُّه على « يَفْعَلُ » نحو « يَسْمَنُ » و « يَبْخَلُ » و « يعْلَمُ » و « يَطْرَبُ » .

فأمَّا قولهُم فى الأربعةِ من الأفعالِ : « يَحْسِبُ » و « يَيْئِسُ » و « يَنْعِمُ »

---

(١) فى ج و س و د « فقال أيكم عمل هذا » .

(٢) كلمة « من » زيادة من ج و س و د .

و « يَيْبِسُ » ـ : فهى معترِضَةٌ على « يَفْعِلُ » تقولُ فى جميعها « يَحْسَبُ » و « يَنْعَمُ » و « يَيْأَسُ » و « يَيْبَسُ » .

وما كان على « فَعَلَ » فبابُه « يَفْعُلُ » و « يَفْعِلُ » نحو « قَتَل يقتُل » «وضرب يضرِبُ» «وقعد يقعُد» « وجلس يجلِس » فقد أنبأتُكَ أنه يكونُ متعدّيًا وغيرَ متعدٍّ . فأمّا « يَأْبَى » و « يَقْلَى » فلهما عِلَّةٌ تُبَيَّنُ عندَ ما أُذْكُرُهُ لكَ إن شاء اللهُ .

ولا يكونُ « فَعَلَ يَفْعَلُ » إلاّ أن يكون يَعْرِضُ له حرفٌ من حروف الحَلْقِ الستةِ فِى موضعِ العينِ أو موضع اللاّم ، فإن[1] كان ذلكَ الحرفُ عينًا فَتَحَ نَفْسَه ، وإن[2] كَان لامًا فتح العينَ .

وحروفُ الحَلْقِ : الهمزةُ والهاء ، والعينُ ، والحاء ، والغينُ والخاء .

وذلك قولهم « قَرَأَ يَقْرَأُ قَرْءًا » يافتَى ، و « قِرَاءَةً » و « سأَلَ يَسْأَلُ » و « جَبَهَ يَجْبَهُ[3] » و « ذَهَبَ يذهَبُ » ، وتقولُ « صَنَعَ يصنَعُ » و « طَعَنَ يَطْعَنُ » و « ضَبَحَ يَضْبَحُ[4] » وكذلك « فَرَغَ يَفْرَغُ » و « سَلَخَ يَسْلَخُ » .

وقد يجوزُ أَنْ يجىءَ الحرفُ على أصلِه وفيه أحدُ السِّتَّةِ ، يجوزُ « زَأَرَ يَزْئِرُ » و « فَرَغَ يَفْرُغُ » و « صَبَغَ يَصْبُغُ » إلاَّ أنَّ الفتحَ لا يكونُ فيما ماضيه « فَعَلَ » إلاّ وَأحَدُ هذه الحروفِ فيه .

---

(١) فى ج و س و د «فاذا» .
(٢) فى ج و د «فان» .
(٣) بحاشية ج « جَبَهْتَ الرجلَ : إذا قابلته بما يَكرَه» .
(٤) بحاشية ج « ضبح الثعلب يضبح : إذا صاح » .

وأما « يأْبَى » فله علّة ، وأما « يَقْلَى » فليس يَثْبُتُ[1] . وسيبويه يذهبُ في « يَأْبَى » إلى أنه إنما انفتح[2] مِن أجلِ أنّ الهمزةَ في موضع فائه ، والقولُ عندى على ما شَرَحْتُ[3] لك ، من أنه إذا فُتِحَ حَدَثَ فيه حرفٌ من حروف الحلق ، فإنما انفتح[2] لأنهُ يصيرُ إلى الألفِ ، وهى من حروف الحلق ، ولكن لم نَذْكرها لأنها لا تكونُ أصلاً ، إنما تكونُ زائدةً أو بَدَلاً ، ولا تكونُ متحركةً ، فإنما هى حرفٌ ساكنٌ ، ولا يَعْتَمِدُ اللّسانُ بِهِ على موضعٍ ، فهذا الذى ذكرتُ لك مِن أنّ « يَسَعُ » و « يَطَأُ » حَدُّهما « فَعِلَ يَفْعِلُ » في المعتلّ ، كـ« حَسِبَ يَحْسِبُ » من الصحيح ، ولكنْ فَتَحَتْهما العينُ والهمزةُ ، كما تقول « وَلَغَ » الكلبُ « يَلَغُ » والأصلُ « يَلِغُ » فحرفُ الحلقِ فَتَحَهُ .

باب

[قال أبو العباس : و[4]] يُرْوَى عن علىّ بن أبى طالبٍ رحمةُ الله عليه : أنه افْتَقَدَ[5] عبدَ اللهِ بنَ العباس رحمه الله [فى وَقْتِ صلاةِ الظُّهْرِ[4]] ، فقال [لأصحابه[4]] : ما بَالُ أَبى العباسِ لم يَحْضُرْ ؟ فقالوا : وُلِدَ له مولودٌ ، فلما صلّى

(١) فى ج و د « يَثْبُتِ » .
(٢) فى ج و د « يَفْتَحُ » .
(٣) فى ج « شرحته » .
(٤) الزيادة من ج و س و د .
(٥) فى ج و د « أن على بن أبى طالب رحمه الله افتقد » .

علىٌّ رحمه الله قال: امضُوا بنَا إليه ، فأتاه فهَنَّأَه ، فقال : شَكَرْتَ الواهِبَ ، وبُورِكَ لك فى الموهوبِ ، ما سَمَّيْتَهُ ؟ قال : أوَ يَجُوزُ لى أنْ أُسَمِّيَه حتى تُسَمِّيَه ! فأَمَرَ به فأُخْرِجَ إليه ، فأخذَه وحَنَّكَه[١] ودَعَا له ، ثم رَدَّه إليه ، وقال : خُذْه إليك أبا الأَمْلاكِ ، قد سَمَّيْتُه « عليًّا » وكَنَّيْتُهُ « أبا الحسنِ » فلما قام معاويةُ قال لابن عباسٍ : ليس لكم اسمُه وكنيتُه ، قد كَنَّيْتُه « أبا محمدٍ » فجَرَتْ عليه .

وكان علىٌّ سيداً شريفاً بليغاً ، وكان له خَمْسُمائةِ أصلِ زَيْتُونٍ ، يصلِّى فى كل يومٍ إلى كلِّ أصلٍ ركعتين ، فكان يُدْعَى « ذَا الثَّفِنَاتِ[٢] » .

وضُرِبَ بالسَّوْطِ[٣] مرتين ، كلتاهُما ضربَهُ الوليدُ ، إحداهُما : فى تَزَوُّجِهِ[٤] لُبَابَةَ بنتَ عبد الله بن جعفرٍ ، وكانت عندَ عبد الملك ، فعَضَّ تُفَّاحَةً ثم رَمَى بها إليها ، وكان أبْخَرَ ، فدَعَتْ بِسكينٍ ، فقال : ما تصنعينَ به[٥] ؟ قالتْ أُمِيطُ عنها الأَذَى ! فطلَّقَها ، فتزوَّجها علىُّ بنُ عبد الله ، فضربه الوليدُ ، وقال : إنما تَتَزَوَّجُ بأُمَّهاتِ الخلفاء لِتَضَعَ منها ، لأن مَرْوانَ بن الحَكَمِ [إنما][٦] تزوَّجَ أمَّ خالد بن يزيدَ بن معاوية لِيَضَعَ منه ، فقال

---

(١) « الحَنَكُ » باطن الفم من الداخل ، قيل : أعلاه ، وقيل أسفله . و « التحنيك » مضغ التمر ثم دلكه بحنك الصبي داخل فمه ، وهو عادة معروفة عند العرب .

(٢) « الثفنات » جمع « ثفنة » بكسر الفاء ، وهى من كل ذى أربع ماأصاب الأرض منه إذا برك أو ربض ، فيغلظ ، شبهت بها أعضاء سجوده التى غلظت ، قاله المرصفى .

(٣) فى ج و س و د « بالسياط » .

(٤) فى ج و د « تزويجه » .

(٥) فى س « بها » والسكين تذكر وتؤنث ، والتذكير أغلب وأكثر .

(٦) الزيادة من ج و س و د .

عليُّ بن عبد الله : إنما أرادتِ الخروجَ من هذه البَلْدَة ، وأنا ابنُ عَمِّها ، فتزوجتُها لأَكُونَ لها مَحْرَجًا[1] .

وأمّا[2] ضربُه إيّاه في المرّة الثانيةِ فإنّا نرويه من غَيْرِ وَجْهٍ ، ومِنْ أَتَمِّ ذلك ما حَدَّثنيهِ أبو عبد الله محمدُ بن شُجاعٍ البَلْخِيُّ [هو محمد بن شجاع الثَّلْجِيُّ ، كذا صوابُه[3]] في إسنادٍ له مُتَّصِلٍ ، لستُ أحفظُه ، يقولُ في آخِرِ ذلك الإسناد : رأيتُ عليًّا[4] مضروبًا بالسَّوْط يُدَارُ به على بَعِيرٍ ووجهُه مما يلي ذَنَبَ البعيرِ ، وصائحٌ يَصِيحُ عليه : هذا عليُّ بن عبد الله الكذّابُ ! قال : فأتيتُه فقلتُ : ما هذا الذي نَسَبُوكَ فيه إلى الكذب ؟ قال بلغهم قولي[5] : أنّ هذا الأَمْرَ سيكونُ في ولدي ، واللهِ ليكونَنَّ فيهم حتى يَمْلِكَهُمْ عَبيدُهم الصِّغَارُ العيونِ ، العِرَاضُ الوُجُوهِ ، الذين كأَنَّ وجوهَهُمُ المَجَانُّ المُطْرَقَةُ[6] .

ومع هذا الحديثِ آخَرُ في شَبِيهٍ [له[7]] بإسنادِه : أن عليَّ بن عبد الله

---

(١) يعني لتخرج في سفرها معه ، إذ يحرم شرعا أشدّ الحرمة سفر المرأة وحدها من غير زوج أو ذي رحم محرم . وفي ج و س و د « مَحْرَمًا » والمراد واحد .

(٢) في ج و س و د « فأما » .

(٣) « الثلجي » بالثاء المثلثة والجيم ، هذا هو الصواب ، كذا ضبطه السمعاني في الأنساب والذهبي في المشتبه والفيروزابادي في القاموس وغيرهم . ومحمد بن شجاع هذا فقيه معروف من أصحاب الحسن بن زياد اللؤلؤي ، ولد في رمضان سنة ١٨١ ومات في ذي الحجة سنة ٢٦٦ ، وكان في الحديث كذابا كبيراً .

(٤) الذي يقول « رأيت عليا » ليس الثلجي ، وإنما هو الراوي الذي في آخر الإسناد من أعلاه .

(٥) في ج و س و د « بلغهم أني أقول » .

(٦) « المجانّ » جمع « مجن » بكسر الميم وفتح الجيم وتشديد النون ، وهو الترس ، و « المطرقة » التي أطرقت بالجلد طاقاً فوق طاق ، كالنعل المطارقة المخصوفة ، يريد : أن وجوههم عراض غلاظ صلاب ، قاله المرصفي . وهذا اللفظ ورد في الحديث النبوي الصحيح في وصف الترك ، انظر فتح الباري (٦ : ٧٥ — ٧٦ و ٤٤٧ — ٤٤٨) .

(٧) الزيادة من ج و س و د .

دخلَ على سليمانَ بن عبد الملك ، ومعه ابْنَا ابْنِه : الخليفتانِ أبو العباسِ وأبو جعفرٍ[1] ـ قال أبو العبّاسِ[2] : وهذا غَلَطٌ ، لِمَا أَذْكُرُهُ لك ، إنما ينبغي أن يكونَ دخلَ على هشامٍ ـ : فأَوْسَعَ له على سَرِيرِه ، وسأله عن حاجتِه ، فقال : ثلاثون ألفَ درهمٍ عليَّ دَيْنٌ ، فأَمَرَ بِقَضَائِها ، قال له : وتَسْتَوْصِى بِابْنَيَّ هٰذين خيراً ، ففعلَ ، فشكَرَهُ ، وقال : وَصَلَتْكَ رَحِمٌ ، فلما وَلَّى عليٌّ قال الخليفةُ لأصحابه : إنّ هذا الشيخَ قد اختَلّ وأَسَنَّ وخُلِطَ فصار يقول : إن هذا الأمْرَ سينتقلُ إلى وَلَدِه ، فسَمِعَ ذلك عليٌّ فالتفتَ إليه فقال : والله ليكونَنَّ ذاكَ[3] ، وَلَيَمْلِكَنَّ هذانِ .

قال أبو العباس : أمّا قولى : إن الخليفة فى ذلك الوقتِ لم يكن سليمانَ ـ : فلأنَّ محمدَ بن على بن عبد الله كان يُمْنَعُ من تَزَوُّجِ الحارِثيَّةِ[4]، للحديثِ المَرْوِىِّ[5] ، فلما قام عمرُ بن عبد العزيز جاءه محمدٌ ، فقال له : إنى أردتُ أن أتزوج بنتَ خالِى من بنى الحٰرِثِ بن كَعْبٍ ، أفتأْذَنُ لى [ياأميرَالمؤمنينَ[6]] ؟

(١) أبو العباس السفاح ، وأبو جعفر المنصور .

(٢) هو المبرد نفسه مؤلف الكتاب .

(٣) فى ج و د « ذلك » .

(٤) فى ج و س و د « من التزوج فى بنى الحرث بن كعب » .

(٥) قال المرصفى : « عن أبى هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية فى وصيته لمحمد بن على بن عبدالله بن العباس ، وهو بالحميمة لما حضرته الوفاة ، قال فى آخرها : واعلم أن صاحب هذا الأمر من ولدك : عبد الله بن الحارثية . والحميمة ـ بالتصغير ـ بلد من أعمال عمان ، فى أطراف الشأم ، كان منزل بنى العباس » هكذا قال ، وهو لايتفق مع كلام المبرد ، لأن كلامه يشير إلى حديث شاع عندهم قبل زواج محمد بالحارثية ، وأما كلام أبى هاشم فانه ـ كما ذكر هنا ـ قاله بعد زواجه بها وولادة ابنه عبد الله ، وما أظن هذا الذى نقله الشيخ المرصفى صحيحا ، ولا الذى أشار إليه المبرد .

(٦) الزيادة من ج و د .

فقال [له(١)] عمرُ: تزوّجْ ـ رحمكَ اللهُ ـ مَنْ أحببتَ . فتزوّجها ، فأولدَها أبا العباسِ أميرَ المؤمنين ، وعُمَرُ بعدَ سليمانَ ، فلا ينبغي [له(١)] أن يكونَ تهيّأَ له أن يدخلَ على خليفةٍ حتى يترَعْرَعَ [ش : كذا وقعَ في الأمّ والروايةِ ، والصحيحُ « لهما أن يدخلاَ على خليفةٍ حتى يترعرعا »(٢)] فلا يَتِمُّ مِثلُ هذا إلاّ في أيامِ هشامٍ .

وكان عبدُ الملك يُكْرِمُ عليًّا وَيقدِّمُه ، فحدثني التّوّزيُّ قال : قال عليُّ بن عبد الله : سايَرْتُ يومًا عبدَ الملك ، فما جاوَزْنا(٣) إلاَّ يسيراً حتى لقِيَهُ الحجاجُ قادمًا عليه ، فلما رآه ترَجّلَ ومشَى بين يديه ، فخَبَّ(٤) عبدُ الملك ، فأسرعَ الحجاجُ ، فزادَ عبدُ الملك ، فهَرْوَل الحجاجُ ! فقلتُ لعبد الملك : أبِكَ مَوْجِدَةٌ على هذا ؟ فقال : لا ، ولـكنّه رَفَعَ مِنْ نَفْسِهِ ، فأحببتُ أن أَغُضَّ منه .

وحدّثني جعفرُ بن عيسى بن جعفر الهاشميُّ ، قال: حضرعليٌّ عبدَ الملكِ(٥) وقد أُهْدِيَ(٦) له من خُراسانَ جاريةٌ وفَصٌّ وسيفٌ ، فقال : ياأَبا محمدٍ ! إنّ حاضِرَ الهديّةِ شريكٌ فيها ، فاختَرْ مِن الثلاثة واحداً ، فاختارَ الجاريةَ ، وكانت

---

(١) الزيادة من ع و د .
(٢) الزيادة من حاشية ع والمراد بالأم لسخة الـكتاب التى هى أصل يعتمد عليه فى النقل .
(٣) « جاوزنا » بالجيم والزاى ، واضحة مفهومة ، وهى مافى ع و س و د و هـ وفى بعض النسخ « حاورنا » بالحاء المهملة والراء ، وهى التى طبعت عليها بعض طبعات مصر ، ولا وجه لها فيا أرى .
(٤) فى س و هـ « خف » والمعنى متقارب فيهما ، وفى ع بالروايتين معاً .
(٥) فى هـ « عند عبد الملك » .
(٦) فى ع و س و د « أهديت » .

تُسَمَّى سُعْدَى ، وهي من سَبْيِ الصُّغْدِ[1] من رَهْطِ عُجَيْف بن عَنْبَسَةَ[2]، فأولدها سليمانَ وصالحًا ابْنَيْ عليٍّ .

وذَكَرَ جعفرُ بن عيسى : أنه لمَّا أَوْلَدَها سليمانَ[3] اجتنبَتْ فِرَاشَه ، فرضَ سليمانُ من جُدَرِيٍّ خرج عليه ، فانصرفَ عليٌّ مِنْ مُصَلَّاهُ فإذا بها على فراشه ، فقال مرحبًا بكِ يا أُمَّ سليمانَ ، فوقَعَ بها ، فأولدها صالحًا ، فاجتنبتْ بَعْدُ[4] ، فسألها عن ذلك ؟ فقالت: خِفْتُ أنْ يموتَ سليمانُ فينقطعَ النَّسَبُ[5] بيني وبينَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فالآنَ إذْ ولَدْتُ صالحًا فبِالْحَرَى[6] إنْ ذهبَ أحدُهما أن يَبْقَى الآخَرُ ، وليس مثلي اليومَ مَنْ وطِئَهُ الرجالُ[7] .

وزَعم جعفرٌ أنه[8] كانتْ فيها رُتَّةٌ . فالرُّتَّةُ : تَعَذُّرُ الكلامِ إذا أراده الرجلُ ، فهيَ الآنَ معروفةٌ في ولدِ سليمانَ وولدِ صالحٍ .

وكان عليٌّ يقولُ : أَكره أنْ أُوصِيَ إلى محمدٍ ، وكان سَيِّدَ ولدِهِ — : خوفًا من أنْ[9] أَشِينَهُ بالوصيةِ[10] ، فأَوْصَى إلى سليمانَ ، فلما دُفِنَ عليٌّ جاء

---

(١) « الصغد » بضم الصاد المهملة وسكون الغين المعجمة : كورة قصبتها سمرقند .

(٢) عجيف هذا قال المرصفي : «أحد قواد المعتصم العباسي» .

(٣) في ج و س و د « سليمان بن علي وصالح بن علي » .

(٤) في ج « فَاجْتَنَبَتْهُ »

(٥) في ج « السَّبَبُ » .

(٦) « فبالحرى » قال المرصفي : « مقصور ، كالفتى ، ومعناه : فبالجدير والخليق ، وهو مصدر لا يغير لفظه » .

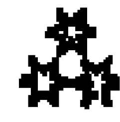
(٧) في ج نسختان « من وطِئَتْهُ الرجالُ » و « وَطِيئَةَ الرجالِ » بحذف « مَنْ » .

(٨) في ج و س و د « أبو جعفر » وفي ج و د « أنها » .

(٩) في ج « مخافة أن » .

(١٠) قال المرصفي : « وكله إلى كمال عقله ، ووفور فضله ، وعلوّ منزلته » .

محمدٌ إلى سُعْدَى [ليلاً (١)] فقال [لها(٢)] : أَخْرِجِي إليَّ وصيةَ أبى ، فقالتْ: إن أباكَ أجلُّ من أن تُخْرَجَ وصيتُه ليلاً، ولكنَّها تأتيك(٣) غدًا ، فلمَّا أصبحَ غَدَا بها عليه سليمانُ ، فقال : يا أَبِي ويا أَخِي ! هذه وصيةُ أبيك ، فقال محمدٌ : جزاكَ اللهُ مِن ابنٍ وأخٍ خيرًا ، ما كنتُ لِأُثَرِّبَ على أَبِي بعدَ موتِهِ ، كما لم أُثَرِّبْ عليه فى حياتِهِ(٤) .



قال أبو العباس : « التَّمْتَمَةُ » التردُّدُ فى التَّاء . « والفَأْفَأَةُ » التردُّدُ فى الفاء . « والعُقْلَةُ » الْتِوَاءُ اللسانِ عندَ إرادة الكلام ، و « الحُبْسَةُ » تَعَذُّرُ الكلامِ(٥) عند إرادته . و « اللَّفَفُ » إدخالُ حرفٍ فى حرفٍ . و « الرُّتَّةُ » كالرَّتَجِ تَمنعُ أوّلَ الكلامِ ، فإذا جاء منه شىءٌ اتَّصَلَ . و « الغَمْغَمَةُ » أن تسمع الصوتَ ولا يَتَبَيَّنَ لك تقطيعُ الحروفِ . و « الطَّمْطَمَةُ » أن يكونَ الكلام مُشْبِهًا لكلامِ العجمِ . « واللُّكْنَةُ » أن تَعْتَرِضَ على الكلامِ اللغةُ الأعجميةُ(٦) . وسَنُفَسِّرُ هذا بحججه(٧) حرفًا حرفًا ، وما قيل فيه ، إن شاء الله . و « اللُّثْغَةُ » أن يُعْدَلَ(٨) بحرفٍ إلى

---

(١) الزيادة من ج و س و د و هـ .
(٢) الزيادة من هـ .
(٣) فى هـ « ولكنا نأتيك » .
(٤) « التثريب » : اللوم والتأنيب .
(٥) فى ج و د « التعذر فى الكلام » .
(٦) فى ج و د « العجمية » .
(٧) فى ج و هـ « بحجته » .
(٨) فى ا « يَعْدِلَ » .

حرف . و « الغُنَّةُ » أن يُشْرَبَ الحرفُ[1] صوتَ الخَيْشُومِ . و « الخُنَّةُ » أشدُّ منها . و « التَّرْخِيمُ » حَذْفُ الكلامِ [و « الفَأْفَأَةُ » أيضاً : اعْتِقَالُ اللِّسَانِ عن التَّمْرِينِ][2] ، يقالُ : رجلٌ « فَأفَاءٌ » يا فتى ! تقديرُه « فَاعَالٌ » ونظيرُه من الكلامِ « سَابَاطٌ وخَاتَامٌ » ، قال الراجزُ :

يا مَيُّ ذاتَ الجَوْرَبِ المُنْشَقِّ   أَخَذْتِ خَاتَامِي بِغَيْرِ حَقِّ[3]

[كذا ذكره أبو العباس بغير همز الألف الأولى ، والصحيحُ أنه بالهمز ، على « فَعْلَال » مثل « خَضْخَاضٍ[4] » و « قَمْقَامٍ » . فالذى حكى أبو العباس غَلَطٌ ، لأن سيبويه رحمه الله قال : ليس فى الصفاتِ « فَاعَالٌ[5] » . قال أبو الحسن : يقال « خاتَمٌ » على وزن « دَانَقٍ » و « خاتِمٌ » على وزن « ضارِبٍ » و « وخَيْتامٌ » على وزن » دَيَّانٍ » و « خاتامٍ » على وزن « سَابَاطٍ »] .

---

(١) فى ا « يُشْرِبَ الحرفَ » .

(٢) الزيادة من هـ .

(٣) بحاشية ج « بغير الحق » .

(٤) فى القاموس « الخضخاض : نفط أسود تهنأ به الإبل الجرب » .

(٥) قال المرصفى : « هذا كذب على سيبويه ، لم يذكره فى كتابه . وقوله : ليس فى الصفات : كذب آخر ، لأن خاتاماً من الأسماء لا من الصفات » .

وهذا فيما أرى تسرع منه رحمه الله ، أما صحة النقل عن سيبويه فإنى لم أستوعب كتابه حتى أثبت أو أنفى ، ولكن المثبت مقدم ، ولعله قال هذا فى غير كتابه أيضاً . وأما قوله : إن خاتاماً من الأسماء لا من الصفات » فنعم ، ولكنه — رحمه الله — فهم أن الاعتراض على المبرد هو فى « خاتام » وليس كذلك ، بل الاعتراض إنما هو على « فأفاء » وهو صفة لا اسم ، وسياق الكلام كله فى هذا ، وإنما ذكر المبرد « خاتام » مثالا للوزن فقط ، ولم يقل أحد قط إنه مهموز .

وقال رَبيعة الرَّقِّىُّ فى مَدْحِـــه يزيدَ بنَ حاتِمِ بن قَبِيصةَ بن المُهَلَّب ، وربيعةُ احتجَّ به الأصمعىُّ ، وذَمِّهِ يزيدَ بنَ أُسَيْدٍ السُّلَمِىَّ :

لَشَتّانَ ما بَيْنَ اليَزِيدَيْنِ فى النَّدَى ... يَزِيدُ سُلَيْمٍ والأغَرُّ ابنُ حاتِمِ

فَهَمُّ الفَتَى الأَزْدِىِّ إتْلَافُ مالِهِ ... وهَمُّ الفتى القَيْسِىِّ جمعُ الدَّراهِمِ

فلا يَحْسِبِ التَّمْتَامُ أَنِّى هَجَوْتُهُ ... ولكنَّنِى فَضَّلْتُ أهلَ المَكارِمِ

[فيا بْنَ أُسَيْد لا تُسَامِ ابنَ حاتمٍ ... فتَقْرَعَ إنْ سَامَيْتَهُ سِنَّ نادمِ

هوالبحرُ إن كَلَّفْتَ نفسَكَ خَوْضَه ... تهالَكْتَ فى آذِيِّهِ المتلاطِمِ[(١)]]

وقال آخرُ أيضاً[(٢)] :

ليس بِفَأْفَاءٍ ولا تَمْتَامِ ... ولا مُحِبٍّ سَقَطِ الكلامِ

وقال الشاعرُ :

وقد تَعْتَرِيه عُقْلَةٌ فى لسانِهِ ... إذا هُزَّ نَصْلُ السيفِ غَيْرَ قريبِ

وزعم عمرُو بن بحرٍ الجاحظُ عن محمد[(٣)] بن الجَهْمِ قال : أقبلتُ على الفِكْرِ فى أيامِ محاربةِ الزُّطِّ[(٤)] ، فاعتَرَتْنِى[(٥)] حُبْسةٌ فى لسانِى . وهذا يكونُ لأنّ اللسانَ يَحتاجُ إلى التَّمْرِينِ[(٦)] على القولِ ، حتى يَخِفَّ له ، كما تحتاجُ اليد

(١) « الآذِىّ » الموج . والبيتان زيادة من حاشية ع ولكن الورق كان مقطعا ، فضاع أكثر الكلام فى الشطر الثانى من كل منهما ، كما ذكر ذلك مصحح طبعة أوربة ، إذ نقلهما بالحاشية ناقصين ، وأكملناهما من شرح المرصفى .

(٢) فى ع و س و د « وقال الراجز » .

(٣) فى هـ « على بن الجهم » .

(٤) فى هـ « الترك » .

(٥) فى ع و د « فأصابتنى » .

(٦) فى ع و س و د و هـ « إلى أن يُمَرَّنَ » .

إلى التمرينِ على العملِ ، والرِّجْلُ إلى التمرينِ على المَشْيِ ، وكما يعانيه مُوَتِّرُ[1] القَوْسِ ورافعُ الحجرِ ليَصْلُبَ[2] ويَشتدَّ ، قال الراجزُ :

كأنَّ فيه لَفَفًا إذا نَطَقْ مِن طُولِ تَحْبِيسٍ وهَمٍّ وأَرَقْ

وقال ابنُ المُقفَّعِ : إذا كَثُرَ تقليبُ اللسانِ رَقَّتْ جوانبُه[3] ولانَتْ عَذَبَتُه .

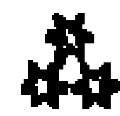
وقال العَتّابيُّ : إذا حُبِسَ اللسانُ عن الاستعمالِ اشتدَّتْ عليه مَخارِجُ الحروفِ .

وأما الرُّتَّةُ فإنها تكونُ غَريزَةً[4] ، قال الراجزُ :

* يا أَيُّها المُخَلِّطُ الأَرَتُّ *

ويقالُ : إنها تكثُرُ في الأشرافِ ، ولم تُوجدْ تَخْتَصُّ[5] واحداً دونَ واحدٍ .

وأما الغَمْغَمةُ فقد تكونُ من الكلامِ وغيرِه ، لأنه صوتٌ لا يُفْهَمُ تقطيعُ حروفِه .



وحدثني مَنْ لا أُحْصِي من أصحابِنا عن الأَصْمَعيِّ عن شُعبةَ عن قتادةَ ، قال : قال معاويةُ يوماً : مَنْ أَفْصَحُ الناسِ ؟ فقام رجلٌ من السِّماطِ فقال : قومٌ تَباعَدُوا عن فُراتيَّةِ العِراقِ ، وتَيامَنُوا عن كَشْكَشَةِ تَميمٍ ، وتَياسَرُوا عن كَسْكَسَةِ بَكْرٍ ، ليس فيهم غَمْغَمةُ قُضاعةَ ، ولا طُمْطُمانيّةُ حِمْيَرَ . فقال

---

(١) بحاشية ج « بتخفيف التاء وتثقيلها من : موتر » .
(٢) « صلب » من بابي « كرم وسمع » .
(٣) في هـ « حواشيه » .
(٤) بحاشية ج « غريزية » .
(٥) في س و هـ « تخص » .

له معاويةُ : مَنْ أولئك ؟ فقال : قَوْمِى يا أَميرَ المؤمنين ! فقال له معاويةُ : مَنْ أنتَ[1]؟ قال: أنا رجلٌ من جَرْمٍ . قال الأصمعىُّ: وجَرْمٌ من فُصَحاء الناسِ[2].

قولُه « تيامَنُوا عن كشكشةِ تميمٍ » فإنّ بنى عمرِو بنِ تميمٍ إذا ذكَرتْ كافَ المؤنّثِ فوقفتْ عليها أبْدَلَتْ منها شِينًا ، لقُرْبِ الشين من الكافِ فى المَخْرَجِ ، وأنها مهموسةٌ مثلُها ، فأرادُوا البيانَ فى الوقفِ ، لأنّ فى الشّين تَفَشِّيًا ، فيقولون للمرأة : جعَلَ اللهُ لكِ البركةَ فى دَارِشْ ، ووَيْحَكِ ما لَشْ ، والتى[3] يُدْرِجُونها يَدَعُونَها كافًا ، والتى يَقِفُون عليها يُبْدِلونها شينًا .

وأما بَكْرٌ فتختلفُ فى الكسكسةِ ، فقومٌ منهم يُبْدِلونَ من الكاف سينًا ، كما يفعلُ[4] التميميون فى الشين ، وهم أقلُّهم ، وقومٌ يُبَيِّنُونَ حركةَ كافِ المؤنّثِ فى الوقفِ بالسين، فيزيدونَها بعدَها ، فيقولون : أَعْطَيْتُكِسْ . وأما الغمغمةُ فما ذكرتُ لك .

وقال الهاربُ لامرأتِه يومَ الخَنْدَمَةِ ، وذاكَ أنها نَظَرَتْ إليه يَحُدُّ[5] حَرْبةً فى يوم فتح مكةَ ، فقالتْ [له[6]] : ما تَصْنَعُ بهذه ؟ قال : أَعْدَدْتُها لمحمدٍ وأصحابِه ! فقالت : والله إنْ أُراهُ يقومُ لمحمدٍ وأصحابِه شىءٌ ، فقال لها : إنّى لأَرْجو أن أُخدِمَكِ بعضَهم ! وأنشأَ يقولُ [الهارِبُ هو أبو عثمانَ الهُذَلىُّ ،

---

(١) فى هـ « ممن أنت » .
(٢) فى هـ « وجرم أفصح الناس » .
(٣) فى س و هـ « فالتى » .
(٤) فى س و د و هـ « كما فعل » .
(٥) فى هـ « يُحِدُّ » .
(٦) الزيادة من هـ .

ويقال له « الرَّقَّاشُ » ويقال إن الرَّجزَ المذكورَ بعدَ هذا لِحِمَاسِ بن قيسٍ أخِي بني بَكْرِ بن عبدِ مَنَاةَ ، أنشده له أبو إسحٰقَ، و « الخَنْدَمَةُ » جبلٌ دخلَ منه النبي صلى الله عليه وسلم مكةَ يومَ الفتح ، وقيل « الخندمة » مَشْيٌ فيه إسراعٌ ، فأُضِيفَ إلى اليوم لِمَا كَثُرَ فيه[1]] :

إنْ يُقْبِلُوا اليومَ فَمَا بِي عِلَّهْ[2] هٰـــــذا سِلاحٌ كامِلٌ وأَلَّهْ

* وذُو غِرَارَيْنِ سَرِيعُ السَّلَّهْ[3] *

« الأَلَّةُ » الحَرْبَةُ » و « الغِرَارُ » هٰهنا : الحَــــدُّ ، يعني « بذي غرارين » السَّيْفَ ـ : فلمَّا لقِيَهم خالدٌ يومَ الخَنْدَمَةِ انهزمَ الرجلُ ! فَلَامَتْهُ امرأتُه ، فقال :

إنَّك لو شهِدْتِ يومَ الخَنْدَمَهْ[4] إذْ فَرَّ صَفْوَانُ وفَرَّ عِكْرِمَهْ[5]

---

(١) هذا القول الأخير غريب ، لم أجد شيئاً منه في مراجع اللغة ، والذي فيها كلها أن «الخندمة» جبل بمكة ، فقد قال ذلك ابن دريد في الجمهرة (ج ١ ص ١٦٦) وكذلك صاحب القاموس، وقال في اللسان : « قال ابن الأثير : هو جبل معروف عند مكة . قال ابن برّي : كانت به وقعة يوم فتح مكة » . وانظر أيضا معجم البلدان ، مادة « خندمة » وانظر سيرة ابن هشام (ص ٨١٧ طبعة أوربة) إذ ذكر هذه القصة ، وقال فيها : « كانوا قد جمعوا ناسا بالخندمة » والتجميع لا يكون إلاّ في مكان . والقصة والرجز مذكوران أيضا في لسان العرب ، مادة « خندمة » وفي الاستيعاب لابن عبد البر (ص ٣٢٨ طبعة الهند) . وفي الجمهرة لابن دريد (ج ١ ص ١٦٥ ـ ١٦٦) وفي الاصابة لابن حجر (ج ٢ ص ٣٥٠) مع شيء من التطويل والاختصار والمغايرة ، وقد نشير إلى بعض ذلك .

(٢) « يقبلوا » بالتحتية في أوله ، كما في السيرة ولسان العرب (١٥ : ٨٢) وفي طبعة أوربة من الكامل « تقبلوا » بالمثناة الفوقية ، وهو غير جيد .

(٣) « السله » بفتح السين ، كما في نسخ الكامل والسيرة ولسان العرب (١٣ : ٣٦٠) وضبط فيه (١٥ : ٨٢) بكسرها ، والراجح ماهنا .

(٤) في الاصابة « وأنت لوشهدت » وفي اللسان « إنك لوشاهدت » .

(٥) « صفوان » هو ابن أمية بن خلف الجمحي ، و « عكرمة » هو ابن أبي جهل .

[وَأَبُو يَزِيدَ قَائِمٌ كالمُوتَمَهْ(١)] ... وَلَحِقَتْنَا بالسُّيُوفِ المُسْلِمَهْ(٢)
يَفْلِقْنَ كُلَّ سَاعِدٍ وجُمْجُمَهْ(٣) ... ضَرْبًا ولا تَسْمَعُ إلاَّ غَمْغَمَهْ
لهم نَهِيتٌ خَلْفَنا وَجَمْجَمَهْ(٤) ... لم تَنْطِقِ فى اللَّوْمِ أَدْنَى كَلِمَهْ

وأما «الطُّمْطُمَانِيَّةُ» ففيها يقولُ عَنْتَرةُ :

تَبْرِى له حُولُ النَّعَامِ كأنَّها ... حِزَقٌ يمَانِيَةٌ لِأَعْجَمَ طِمْطِمِ(٥)

وكان صُهَيْبٌ أبو يحيى(٦) صاحِبُ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم يَرْتَضِخُ لُكْنَةً رُومِيَّةً ، ويَذْكُرونَ أنَّ نَسَبَهُ فى النَّمِرِ بن قاسِطٍ صحيحٌ .

وقد قال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : «صُهَيْبٌ سابِقُ الرُّومِ ، وسَلْمَانُ سابِقُ الفُرْسِ ، وبِلالٌ سابِقُ الحَبَشَةِ(٧)» .

---

(١) الزيادة من الجمهرة والسيرة ومعجم البلدان وشرح المرصفى ، و «أبو يزيد» هو سهيل بن عمرو خطيب قريش ، وسهل الراجز همزة «أبو» لحذفها ، وهؤلاء الثلاثة أسلموا يوم الفتح . وهذا البيت مغلوط فى معجم البلدان ، وماهنا هو الصواب .

(٢) فى الجمهرة والسيرة «واستقبلتهم» وفى الإصابة والاستيعاب ومعجم البلدان «واستقبلتنا» وفى اللسان «ولحقتنا» كما هنا .

(٣) فى جميع الروايات ماعدا اللسان «يقطعن» بدل «يفلقن» .

(٤) «النهيت» صوت الأسد . وفى الجمهرة والسيرة والاستيعاب «خَلْفَنَا وهَمْهَمَهْ» وقد ذكر ابن دريد الرجز شاهدا لكلمة «همهمة» وكذلك فى اللسان (ج ١٦ ص ١٠٦) . و «الهمهمة» ترديد الصوت فى الصدر . وأما اللسان فى (ج ١٥ ص ٨٢) فبلفظ «لهم نهيت حوله وحمحمه» .

(٥) قال المرصفى : «تبرى له : تعارضه فى عدوه ، وحول : النعام : حائلتها ، وهى التى لاحمل فى بطونها ، وحزق : جمع حزقة ، كفرقة وفرق ، وهى : الجماعة من الناس والإبل والطير وغيرها . شبه انضمام كل فرقة بعضها إلى بعض بانضمام جماعات الابل لراعيها» .

(٦) هو صهيب بن سنان الرومى .

(٧) هذا الحديث رواه ابن سعد فى الطبقات عن الحسن البصرى مرسلا ، وفرقه فى تراجم هؤلاء الثلاثة : صهيب (ج ٣ ق ١ ص ١٦١) وسلمان (ج ٤ ص ٥٩ وج ٧ ق ٢ ص ٦٥) وبلال (ج ٣ ق ١ ص ١٦٥) .

وقال عمرُ لصهيبٍ في قوله إنه من النَّمِرِ بن قاسطٍ ـ : قد سمعتَ ما قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فيمن انْتَمى إلى غيرِ نَسَبِهِ ؟ فقال صهيبٌ : أنا مِنَ القومِ ، ولكنْ وَقَعَ عليَّ سِباءٌ[1] .

وكان عَبْدُ بَنِي الحَسْحَاسِ يَرْتَضِخُ لُكْنَةً حبشيةً ، فلما أنشدَ عمرَ بن الخَطَّاب :

عُمَيْرَةَ وَدِّعْ إنْ تَجَهَّزْتَ غادِيًا ... كفى الشيبُ والإسلامُ للمرءِ ناهِيًا

فقال عمرُ : لو كنتَ قدَّمْتَ الإسلامَ على الشَّيب لأَجَزْتُكَ ، فقال : ما سَعَرْتُ ، يريدُ : ما شَعَرْتُ .

وكان عُبَيْدُ الله بن زِيادٍ يرتضخُ لكنةً فارسيةً ، وإنما أتَتْه مِن قِبَلِ زوجِ أُمه شِيرَوَيْهِ الإُسْوَارِيّ[2] .

ويقالُ : إن عليًّا عليه السلام عادَ زِيادًا في منزل شِيرَوَيْه ، فقال عبيدُالله يومًا لرجلٍ كلَّمه فظَنَّ به رَأْيَ الخوارج [الرجلُ الذي كلَّمه عبيدُالله بن زيادٍ

= وقال الحافظ في الاصابة (٣ : ٢٥٥) : « روى ابن عدى من حديث أنس ، والطبراني من حديث أم هانئ ، ومن حديث أبي أمامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : السباق أربعة ، أنا سابق العرب ، وصهيب سابق الروم ، وبلال سابق الحبشة ، وسلمان سابق الفرس » .

(١) انظر تفصيل ذلك في الاصابة وابن سعد ، وفي حلية الأولياء لأبي نعيم (١ : ١٥١) . والحديث الذي يشير اليه عمر هو ماورد من الوعيد الشديد على ذلك . فمنه قوله صلى الله عليه وسلم : « من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام » رواه البخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجه ، وانظر باقي الأحاديث في الترغيب والترهيب (٣ : ٨٧ ـ ٨٩) .

(٢) « الإسواري » ضبطت في طبعة أوربة بكسر الهمزة ، وفي بعض النسخ بحاشيتها بضمها ، وضبطها السمعاني بالضم فقط ، وفي القاموس : « الأسوار ، بالضم والكسر : قائد الفرس » . وأما الذهبي فضبط المادة في المشتبه (ص ١٢) بالضم فقط ، نسبة إلى الأساورة ، ثم قال : « ويوجد هذا في القدماء ، فأما المتأخرون فبالفتح ، ينسبون الى قرية بأصبهان » .

وَظنّ أنهُ من الخوارج ـ : هانِئُ بن قَبيصَةَ[١]] : أَهَرُورِىٌّ مُنْذُ اليوم ؟ يريدُ: أَحَرُورِىٌّ ، وهذه الهاء يَشترِكُ فى قلبها من الحاء أصنافٌ من العجَم .

وكان زِيادٌ الأعْجَمُ وهو رجلٌ من عَبْدِ القَيْسِ ـ : يَرْتَضِخُ لُكْنةً أعجمِيّةً ، يذهبُ فيها إلى مذهبِ قومٍ بأعيانهم من العجم .

وأنشدَ المُهَلَّبَ بنَ أبى صُفْرةَ فى مَدْحِه إياهُ :

فَتًى زَادَه السُّلتَانُ فى المدحِ رَغْبةً إذا غَيَّرَ السُّلتانُ كلَّ خَليلِ

يريد « السلطان » وذلك : أنّ بين التاء والطاء نَسَبًا ، فلذلك قَلَبَها تاءً ، لأن التاء من مخرج الطاء ، فقال « السُّلْتَان » .

وأمّا « الغُنَّةُ » فَتُسْتَحْسَنُ[٢] من الجاريةِ الحديثةِ السِّنِّ ، لأنها مالم تُفْرِطْ تَميلُ إلى ضَرْبٍ من النَّغْمَةِ ، قال ابنُ الرِّقاعِ العامليُّ يصفُ الظَّبْيَةَ وولدَها :

تُزْجِي أَغَنَّ كأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِهِ قَلَمٌ أصابَ من الدَّوَاةِ مِدَادَهَا[٣]

---

(١) الزيادة من حاشية ج .

(٢) فى ج و د « فَتُسْتَحْسَنَهُ » .

(٣) « تزجى » تسوق برفق ، و « روقه » : قرنه ، و « إبرة » الروق : ماحدد من طرفه كأنه إبرة .

باب

قال محمدُ بن عبد الله بن نُمَيْرٍ الثَّقَفِىُّ :

لم تَرَعَيْنِى مثلَ سِرْبٍ رأيتُهُ   خَرَجْنَ من التَّنْعِيمِ مُعْتَجِراتِ[1]
مَرَرْنَ بفَخٍّ ثم رُحْنَ عَشِيَّةً   يُلَبِّينَ للرَّحْمٰنِ مُؤْتَجِراتِ[2]
تَضَوَّعَ مِسْكاً بَطْنُ نَعْمانَ أَنْ مَشَتْ   به زينبٌ فى نسوةٍ عَطِراتِ[3]
وقامتْ تَرَاءَىٰ يومَ جَمْعٍ فأَفْتَنَتْ   برؤيتها مَن راحَ مِن عَرَفاتِ[4]
ولَمّا رأتْ رَكْبَ النُّمَيْرِىِّ أعرضتْ   وكُنَّ مِنَ أنْ يَلْقَيْنَهُ حَذِراتِ
دَعَتْ نِسوةً شُمَّ العَرانِينِ بُدَّناً   نَوَاعِمَ لاشُعْثاً ولا غَبِراتِ

[ويروى « ولا غفِرَاتِ » بالفاء أختِ القاف ، من « الغَفَرِ » وهو الشَّعَرُ الذى يَنبتُ فى اللَّحْيَيْنِ ، يقالُ « غَفِرَتِ » المرأةُ : إذا نَبَتَ لها ذاكَ الشَّعَرُ[5]] :

---

(١) اختلفت نسخ الكامل فى أول هذا البيت ، ففى بعضها « لم » وفى بعضها « ولم » وفى بعضها « فلم » . و « التنعيم » موضع بجوار مكة على ثلاثة أميال أو أربعة ، وهو أقرب أطراف الحل إلى البيت . و « معتجرات » من قولهم « اعتجرت المرأة » إذا لوت على رأسها ثوباً من غير إدارة تحت الحنك .

(٢) « فخ » بحاشية ج « مُوَيْهٌ قريبٌ من مكة » . وهو اسم الوادى الذى فيه هذا الماء . و « مؤتجرات » طالبات للأجر .

(٣) « نعمان » بفتح النون : واد بمكة على نصف ليلة منها . وفى حاشية ه : « زينب هذه هى بنت يوسف ، أخت الحجاج » . وقد مضى هذا البيت مراراً .

(٤) « جمع » هو مزدلفة ، سميت بذلك لاجتماع الناس بها .

(٥) الزيادة من حاشية ج .

فَأَدْنَيْنَ لمّا قُمْنَ يَحْجُبْنَ دونَها ... حِجابًا مِنَ القَسّيِّ والحِبَرَاتِ[1]

أُحَلّ الّذِى فوقَ السَّمٰوَاتِ عَرْشُهُ ... أَوانِسَ بالبَطْحاء مُعْتَمِرَاتِ[2]

يُخَبِّئْنَ أطرافَ البَنَانِ من التُّقَى ... ويَخْرُجْنَ جُنْحَ الليلِ مُخْتَمِرَاتِ[3]

قولُه « مثلَ سِرْبٍ رأيتُه » هو القِطْعةُ من النِّساء أو من الظِّباء أو من البقَرِ أو من الطَّيرِ ، كما قال :

لم تَرَ عَيْنِي مثلَ سِرْبٍ رأيتُهُ ... خَرَجْنَ علينا من زُقاقِ ابنِ وَاقِفِ

فهذا يعنى نساء [القطيعُ من السِّباع يقالُ له « سِرْبٌ » قاله ابنُ جنّي ، وكذلك من الماشيةِ كلِّها[4]] ويقالُ : مَرّتْ بنا سُربةٌ من الطَّيرِ ، فى هذا المعنى ، قال ذُو الرُّمَّةِ :

سِوَى ما أصابَ الذِّئْبُ منه وسُربةٌ ... أطافتْ به مِنْ أُمَّهاتِ الجوَازِلِ[5]

ويقالُ : فلانٌ واسعُ السِّرْبِ ، يعنى بذلك الصَّدْرَ ، ويقال : خَلِّ لفلانٍ سَرْبَهُ ، أى طريقَه الذى يَسْرُبُ[6] فيه ، ويقالُ للإِبلِ كذلك بالفتح : لأذْعَرَنْ سَرْبَكَ .

---

(١) « القسيّ » ثياب من كتان مخلوط بحرير ، تصنع ببلدة « القس » بفتح القاف وتشديد السين ، وهى بين العريش والفرما بساحل البحر ، فنسبت إليها . و « الحبرات » جمع « حبرة » بوزن « عنبة » وهى ضرب من برود اليمن موشى .

(٢) « أحل » بالحاء المهملة . وفى ج و س و د و هـ « أَجَلّ » بالجيم .

(٣) فى ج و س و د « شطر الليل » وقد مضى البيت فى هذا الجزء (ص ٤٤٦ و٥٠٩) وفيه « معتجرات » بدل « مختمرات » .

(٤) الزيادة من حاشية ج .

(٥) « الجوازل » جمع « جوزل » بوزن « جعفر » ، وهو فرخ الحمام .

(٦) فى هـ « ينسرب » وفى ج و س و د « ينسرب » .

ويقالُ « حَذِرَاتٌ » و « حَذُراتٌ » و « يَقِظٌ » و « يَقُظٌ » قال ابنُ أحمرَ :

هل يُنسِئَنْ يَوْمِى إلى غَيْرِهِ أنّى حَوَالِىٌّ وأنّى حَـذُرْ[1]

وقوله « وكُنَّ مِنَ أنْ يلْقَيْنَهُ حَذِراتٍ » الأصلُ[2] «مِنْ أن يلقينه» ولكنَّ الهمزةَ إذا خُفِّفَتْ وقبلَها ساكنٌ ليس من حروفِ اللِّينِ الزوائد ـ : فتخفيفُها ، متصلة كانت أومنفصلةً : أن تُلْقِيَ حركتَها على ماقبلَها وتَحْذِفَها ، تقول « مَنَ أبوكَ ؟ » فتفتحُ النُّونَ وتحذفُ الهمزةَ ، و « مَنِ أخْوَانُك ؟ » و « مَنُ أمُّ زيدٍ ؟ » فتَضُمُّ النونَ وتَكسرُها وتفتحُها ، على ماذكرتُ لك ، وتقولُ ﴿ الّذِى يُخْرِجُ الخَبَ فى السَّمٰوَاتِ[3] ﴾ و « فلانٌ له هَيَةٌ » و « هذه مَرَةٌ » إذا خَفَّفْتَ الهمزةَ فى «الخَبْءِ[4]» و « الهَيْئَةِ » و « المرأةِ » وعلى هذا قولُه تعالى ﴿ سَلْ بَنِى إسْرائيلَ[5] ﴾ لأنَّها كانت « اسْئَلْ » فلمَّا حُرِّكَتِ السينُ بحركةِ الهمزةِ[6] سَقَطَتْ ألفُ الوصْلِ ، لِتَحَرُّكِ ما بعدها ، وإنما كانَ

(١) فى ج « يَنْسَأَنْ » وبحاشيتها أنه « أحسن » . وضبطت أيضا فى بعضها « يُنْسَأَنْ » بضم الياء . و « الحوالىّ » الشديد الاحتيال .

(٢) فى ج و س و د و هـ « فالأصل » .

(٣) سورة النمل (٢٥) وهـذه القراءة منسوبة لأبىّ وعيسى بن عمر ، انظر القراءات الشاذة لابن خالويه (ص ١٠٩ س ٦) والكشاف (ج ٣ ص ١٤٠) والبحر لأبى حيان (ج ٧ ص ٦٩) وتفسير الآلوسى (ج ٦ ص ٢٨٠ بولاق) .

(٤) فى ج و س و هـ « همزة الخبء » .

(٥) سورة البقرة (٢١١) .

(٦) فى ج و س و د « فلمّا حَرَّكْتَ السِّينَ الهمزةُ » .

التخفيفُ فى هذا الموضع بحذف الهمزةِ : لأن الهمزةَ إذا خُفِّفَتْ قَرُبَتْ[١] من الساكنِ ، والدليلُ على ذلك أنها لا تُبْتَدَأُ إلا مُحَقَّقَةً ، كما لا يُبْتَدَأُ إلاَّ بمتحرِّكٍ ، فلما التَقَى الساكنُ وحروفٌ تَجْرِى مَجْرَى الساكنِ حَذَفْتَ المعتلَّ منها ، كما تَحْذِفُ لالتقاء الساكنَيْنِ[٢].

وقولُه «دَعَتْ نِسْوَةً شُمَّ العَرَانِينِ» ـ : فـ«الشَّمَّاءُ» السابِغَةُ الأَنْفِ[٣] والمصدرُ « الشَّمَمُ » وقال أحد الشعراء يمدحُ قُثَمَ بنَ العبَّاس :

يَا نَاقَ إنْ قَرَّبْتِنى من قُثَمْ[٤] ... نَجَوْتِ مِن حَلٍّ ومِن رِحْلَةٍ
عاشَ لنا اليُسْرُ وماتَ العَدَمْ[٥] ... إنَّكِ إنْ قَرَّبْتِنِيهِ غَدًا
نُورٌ وفى العِرْنِينِ منهُ شَمَمْ ... فى باعِهِ طُولٌ وفى وجهِهِ
فعافَها واعْتَاضَ منها « نَعَمْ » ... لم يَدْرِ مَا «لاَ» و«بَلَى» قَدْ دَرَى

[قال أبو الحسنِ : أنشدَنيه أَبِى لسليمانَ بن قَتَّةَ[٦] ، وزادنى :

---

(١) فى ع « قُرِّبَتْ » .

(٢) مضى شىء من هذه القاعدة باختصار ، فى الجزء الأول (ص ٢١٦) . وهذه القاعدة هى التى يقرأ عليها ورش ، إلا أنه يقيد ذلك بما إذا كان الحرف الساكن آخر الكلمة والهمزة أول الكلمة التى تليها ، ولا يفعل ذلك فيما إذا كان الحرف الساكن والهمزة فى كلمة واحدة . انظر التيسير لأبى عمرو الدانى (ص ٣٥ ـ ٣٦ طبعة أوربة) والنشر لابن الجزرى (ج ١ ص ٤٠٢ وما بعدها) .

(٣) يريد : الطويلة الأنف . وفى ﻫ « السانعة » بالنون والعين المهملة ، وهو بمعنى الطويلة أيضا .

(٤) « حل » بفتح الحاء ، مصدر « حَلَّ بالمكان يَحُلُّ » . و « الرحلة » الارتحال .

(٥) فى ع و س و د و ﻫ « بَلَّغْتِنِيهِ » .

(٦) « قتة » بفتح القاف وتشديد التاء ، وهو اسم أمه ، وهو : سليمان بن حبيب ، من بنى محارب بن خصفة ، وهو تابعى معروف ، هكذا زعم الشيخ المرصفى ، تقليداً لشارح القاموس ، رحمهما الله ، ولم أجد مايؤيد هذا ، بعد طول التتبع والبحث ، فسليمان بن حبيب له ترجمة لم يذكر فيها بالشعر ، ولا بأنه نسب إلى أمه ، وسليمان بن قتة مذكور فى الشعراء لابن قتيبة

أَصَمُّ عن ذِكْرِ الخَنَا سَمْعُهُ   ومَا عَنِ الخَيْرِ به مِنْ صَمَمْ](١)

« والعِرْنِينُ » و « المَرْسِنُ » و « الأَنْفُ » واحدٌ ، لِمَا يُحِيطُ بالجميع(٢) .

و « البُدَّنُ » واحدُها « بادِنٌ » كقولك « شاهدٌ وشُهَّدٌ » [« وضَامِنٌ وضُمَّنٌ »](٣) و « ضامِرٌ وضُمَّرٌ » وهو العظيمُ البَدَنِ ، يقالُ « بَدُنَ » فلانٌ : إذا كثر لحمُهُ ، و « بَدَّنَ » إذا أَسَنَّ ، وفي الحديثِ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إني قد بَدَّنْتُ ، فلا تَسْبِقُونِي بالركوع والسجود » [مَنْ رَوَاه « بَدُنْتُ » بضمِّ الدالِ ـ : فقد أخطأ ، لأن « بَدُنَ » بمعنى ضَخُمَ ، وَلم يكن صِفَتُه عليه السلام أنه ضَخْمُ الجِسْمِ ، ولكنَّه الرَّجُلُ بَيْنَ الرجُلَيْنِ ، ومعنى « بَدَّنَ » بالتشديد : أَسَنَّ(٤)] .

والأغاني ، ولم يذكر اسم أبيه ، بل نسبه ابن قتيبة أنه « تيمى » وبهامشه ما نصه : « قال العريف : ابن قتة هــذا عدوى ، وهو أول من رثى أهل البيت » . وفي تاريخ الطبري (ج ٨ ص ٢٤٨) : « وقال سليمان بن قتة مولى بني تيم بن مرة » . فهذا يوافق ما نسبه ابن قتيبة ، ويخالف ما زعم شارح القاموس ، لأن سليمان بن حبيب المحاربي عربي لا مولى .

(١) الزيادة من ع و س و د .

(٢) أي : لما يحيط بجميع الأنف ، وفي التفرقة بين مدلولاتها أقوال أخر .

(٣) الزيادة من ع و د .

(٤) الزيادة من حاشية ع . والحديث الذي ذكره المبرد رواه بمعناه أبو داود (ج ١ ص ٢٣٩) ، وابن ماجه (ج ١ ص ١٥٨) وهو حديث صحيح . والرواية فيه « بَدُنْتُ » بضم الدال ، ففي النهاية : « قال أبو عبيد : هكذا روى الحديث : بَدُنْتُ : يعني بالتخفيف ، وإنما هو بَدَّنْتُ : بالتشديد ، أي كبرت وأسننت ، والتخفيف من البدانة ، وهي كثرة اللحم ، ولم يكن صلى الله عليه وسلم سمينا . قلت : قد جاء في صفته صلى الله عليه وسلم في حديث ابن أبي هالة : بادن متماسك . والبادن الضخم ، فلما قال بادن أردفه بمتماسك ، وهو الذي يمسك بعض أعضائه بعضا ، فهو معتدل الخلق » . وقال الخطابي في معالم السنن (ج ٦

و « الأَشْعَثُ » و « الشَّعْثاء » الخاليانِ من الدُّهْنِ ، وكان عمرُ بن عبد العزيز يَتَمَثَّلُ :

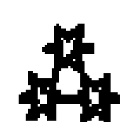
مَنْ كان حينَ تَمَسُّ الشمسُ جبهتَه ... أو الغُبَارُ يخافُ الشَّيْنَ والشَّعَثا(١)

ويألفُ الظِّلَّ كَيْ تَبْقَى بَشَاشَتُه ... فسوفَ يَسكُنُ يومًا راغِمًا جَدَثا

[قال أبو الحسن : وزادَنِي أبِي :

في بَطْنِ مُظْلِمَةٍ غَبْرَاء مُقْفِرَةٍ ... كَيْما يُطِيلُ بها في بطنها اللَّبَثا

تَجَهَّزِي بِجَهَازٍ تَبْلُغِينَ به ... يانَفْسُ واقْتَصِدِي لم تُخْلَقِي عَبَثا]



وقال عمرُ بن [عبد الله بن (٢)] أبي رَبيعةَ ، ونَظَرَ إلى أُمّ عمرَ بنتِ مَرْوانَ بن الحَكَمِ ، وكانتْ صارتْ إليه متنكِّرَةً [في عام حِجَّتِه(٣)] فرَأَتْهُ وقَضَتْ من مُحادثَتِه وَطَرًا ، ثم انصرفتْ ، فلما رجَعَتْ مِن مِنًى عرفَها ، فعلمتْ ذلك ، فبعثَتْ إليه : لا تَرْفَعْ بِي صوتًا ، وأهدتْ له ألفَ دينارٍ ، فاشترَى بها عِطْرًا وبَزًّا وأهداهُ لها ، فأبَتْ أن تَقْبَلَه ، فقال : إذًا والله أُنْهِبَهُ فيكونَ أَذْيَعَ له ! فقبِلَتْه ، وفي ذلك يقولُ :

من ١٧٦) : « يروى على وجهين ، أحدهما : بَدَّنْتُ ، بتشديد الدال ، ومعناه كبر السن ، يقال : بدن الرجل تبدينا : إذا أسن ، والآخر : بَدُنْتُ ، مضمومة الدال غير مشددة ، ومعناه زيادة الجسم واحتمال اللحم . روت عائشة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما طعن في السن احتمل بدنه اللحم ، وكل واحد من كبر السن واحتمال اللحم يثقل البدن ويثبط الحركة » .

(١) في هـ « التراب » بدل « الغبار » .

(٢) الزيادة من ج و د .

(٣) الزيادة من هـ .

وكَمْ مِنْ قَتيلٍ لا يُباءُ به دَمٌ ... ومِن غَلِقٍ رَهْنًا إذا ضَمَّهُ مِنَى[1]

وكم مَالِئٍ عينيه مِن شَئْءِ غَيْرِهِ ... إذا راحَ نحوَ الجَمْرَةِ البِيضُ كالدُّمَى[2]

يُجَرِّرْنَ أَذْيالَ المُرُوطِ بِأَسْوُقٍ ... خِدَالٍ إذا وَلَّيْنَ أَعجازُها رِوَى[3]

أوانِسُ يَسْلُبْنَ الحَليمَ فُؤَادَهُ ... فيَاطُولَ ما حُزْنٍ ويا حُسْنَ مُجْتَلَى[4]

فلمْ أرَ كالتَّجْمِيرِ مَنْظَرَ ناظِرٍ ... ولا كَلَيَالِي الحَجِّ أَفْتَنَّ ذا هَوَى[5]

وفيها أيضًا يقولُ :

أيُّها الرائحُ المُجِدُّ ابْتِكارَا ... قد قَضَى من تِهامَةَ الأَوْطارَا

لَيْتَ ذا الحجَّ كان حَتْمًا علينا ... كلَّ شهرَيْنِ حِجَّةً واعْتِمارَا

قولُه « وكم من قتيلٍ لا يُباءُ به دَمٌ » يقولُ : لا يُقادُ به قاتِلُهُ ، وأصلُ هـــذا أنه يقالُ « أَبَأْتُ » فلانًا بفلانٍ « فَباءَ به » إذا قتلْتَه بِهِ ، ولا يكادُ يُستعملُ هذا إلاَّ والثانى كُفْءٌ للأَوَّلِ ، فمن ذلك قولُ مُهَلْهِلِ بن ربيعةَ ، حيثُ قَتَلَ بُجَيْرَ بْنَ الحارثِ بن عُبَادٍ ، فقيلَ للحارثِ ولم يكنْ دَخَلَ فى حربِهم — : إنَّ ابنَك قُتِلَ ، فقال : إنَّ ابْنِي لأعظَمُ قتيلٍ بركةً ،

---

(١) فى حاشية ج « غَلِقٍ رَهْنٍ » .

(٢) بحاشية ج « أنشده سيبويه : ومن مالئٌ » .

(٣) فى ج « بأسؤق » .

(٤) بحاشية ج « ياطول : منادى ، فيه معنى التعجب » .

(٥) فى س « أَفْلَتْنَ » وفى ج و د « أَصْبَيْنَ » وبحاشية ج أيضا « أَقْتَلْنَ » و و« أَفْلَتْنَ » . وقال « أفلتن بتقديم اللام على التاء : رواية » .

إذْ أَصلَحَ اللهُ[1] بِهِ بَيْنَ ابْنَىْ وَائِلٍ ، فقيلَ له : إِنهُ ، لمَّا قُتِلَ قال مُهَلْهِلٌ : بُؤْ بِشِسْعِ نَعْلِ كُلَيْبٍ[2] ! فعندَ ذلك أدْخلَ الحارثُ يدَه فى الحرب ، وقال :

قَرِّبَا مَرْبِطَ النَّعَامَــةِ مِنِّى   لَقِحَتْ حَرْبُ وائلٍ عن حِيَالِ[3]

لا بُجَيْرٌ أَغْنَى قتيلاً ولا رَهْــطُ كُلَيْبٍ تَزَاجَرُوا عن ضَلالِ

لم أَكُنْ مِن جُنَاتِها عَــلِمَ اللهُ وإِنِّى بِحَرِّهَا اليــومَ صَالِى

وقالت لَيْلَى الأَخْيَلِيَّةُ :

فإنْ تَــكُنِ القَتْلَى بَوَاءً فإنكم   فَتًى مَّا قَتَلْتُمْ آلَ عَوْفِ بنِ عَامِرِ[4]

وقال عمرُو بن حُنَىّ التَّغْلِبِىُّ[5] :

ألا تَنْتَهِي عَنَّا مُلُوكٌ وتَتَّقى   مَحَارِمَنَا لا يَبْؤُءِ الدَّمُ بالدَّمِ[6]

ويقالُ « بَاءَ » فلانٌ بذَنْبِهِ ، أى : بَخَعَ به وأَقرَّ ، قال الفرزدقُ لمعاويةَ :

فلو كانَ هذا الحُكمُ فى غيرِ مُلْكِكُمْ   لَبُؤْتُ به أَوْ غَصَّ بالماء شارِبُهْ

---

(١) فى ج و س و د « إِنِ اللهُ أَصْلَحَ » .

(٢) معناه : كن كفؤًا لشسع النعل ، وهى الجلدة التى بين الأصابع .

(٣) « النعامة » فرس الحرث ، وكانت معروفة بالسرعة .

(٤) بحاشية ج أن : فتى « مفعول مقدم » وأن « ما : حَرْفٌ مُؤَيِّدٌ، معناه التعظيمُ ، وقامَتْ مَقَامَ الصِّفَةِ » .

(٥) بحاشية ج « هو جابرُ بن حُنَىّ » وقال المرصفى : « هــذا غلط ، والصواب : جابر بن حُنَىّ ، بضم الحاء وفتح النون وتشديد الياء ، ابن حارثة بن عمرو بن غنم ، بفتح فسكون ، ابن تغلب بن وائل ، شاعر جاهلى قديم » .

(٦) « يبؤء » بهمزتين فى بعض النسخ ، وعليها علامة « صح » وفى باقى النسخ « يبؤ » بهمزة واحدة ، والصواب الأول ، وهو كما قال المرصفى مجزوم فى جواب « ألا تنتهى » لأن المعنى فيه على الأمر ، وقلبت مدته همزة للضرورة .

ويقالُ « باء » فلانٌ بالشيء ، مِن قولٍ أو فعلٍ ، أي : احتمله فصَارَ عليه .
وقال المفسّرون في قولِ الله جَلَّ وعزَّ : ﴿ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ[1] ﴾ - : أي يجتمعا[2] عليك فتحْمِلَهُما [معاً[3]] :

وأما قولُه «ومِنْ غَلِقٍ رَهْنٍا[4]» فَمَنْ جرَّ فهو مِن قولِهم «رَهْنٌ غَلِقٌ» فلما قدَّمَ النعتَ اضطرارًا أَبْدَلَ[5] منه المنعوتَ ، ولو قال « ومِنْ غَلِقٍ رَهْنًا» فنصَبَ على الحال من المعرفةِ بَقِيَ الاسمُ المضمَرُ في « غَلِقٍ » .

وقولُه « إذا ضَمَّهُ مِنًى » فإنما سُمِّيَتْ « مِنًى » لما يُمْنَى فيها من الدَّمِ ، يقالُ في المَنِيِّ ، وهي النُّطْفَة : «مَنَى» الرجلُ و « أَمْنَى » . والقراءةُ ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴾[6] ويقالُ « مَذَى » الرجلُ و « أَمْذَى » و « وَدَى » و«أَوْدَى» فقولُهم « وَدَى » يعني البِلَّةَ [بِكَسرِ الباء روايةُ عاصمٍ ، وبفتحِها روايةُ ابن سِرَاجٍ[7]] التي تكونُ في عَقِبِ البَوْلِ كالمَذْيِ ، وأما المَذْيُ فيَعْتَرِي من الشَّهْوَةِ والحَرَكةِ ، وقال عليُّ بن أبي طالبٍ رحمه الله : "كلُّ فَحْلٍ مَذَّاءٌ" . ومِن كلامِ العَرَبِ : كلُّ فحلٍ يَمْذِي ، وكلُّ أُنثَى تَقْذِي . وهو : أن يكونَ

---

(١) سورة المائدة (٢٩) .
(٢) في ج و س و د « يجتمعان » .
(٣) الزيادة من ج و د . وفي س « فتحتملهما » بدل « فتحملهما » .
(٤) هكذا رسمت في طبعة أوربة هنا « رهن » وتحتها كسرتان وفوقها فتحتان وعلى طرف النون ألف ، لتقرأ بالنصب وبالخفض معاً .
(٥) في ج و س و د « اضطر إلى أن أبدل » .
(٦) سورة الواقعة (٥٨) وفي ج و س و د و هـ « مَا تَمْنُونَ ، وَ : مَا تُمْنُونَ» . يعني من الثلاثي والرباعي ، والقراءة المعروفة بضم التاء ، وأما بفتحها فهي قراءة أبي السمال ، انظر القراءات الشاذة لابن خالويه (ص ١٥١ س ٧) والكشاف (ج ٤ ص ٦٠) .
(٧) الزيادة من حاشية ج .

منها مثلُ المَذْيِ . و لِـ« مَنَى » موضعٌ آخرُ ، يقالُ « مَنَى » اللهُ لكَ خيرًا ، أي : قَدَّر لكَ خيرًا ، ويقال «منَى» اللهُ أنْ ألْقَى فلانًا ، أي : قَدَّرَ . و «المَنِيَّةُ» مِنْ ذَا ، يقالُ : لَقِيَ فلانٌ مَنِيَّتَه ، أي : ما قُدِّرَ له من الموت ، فأمَّا « المَنِيئَةُ » بالهمز ، فهي : المَدْبَغَةُ [1] ، وهي : المكانُ الذي يُدْبَغُ فيه .

وقولُه « إذا راحَ نحوَ الجَمْرَةِ البِيضُ كالدُّمَى » «الجمرةُ[2]» إنما سُمِّيَتْ لاجتماعِ الحَصَى فيها ، ومِن ثَمَّ قيلَ : لا تُجَمِّرُوا المسلمينَ فتَفْتِنُوهم وتَفْتِنُوا نساءهم ، أي : لاتجْمَعُوهم فى المَغازِى ، و « التَّجْمِيرُ » التَّجميعُ . وكذلكَ قيل فى « جَمَراتِ العربِ » وهم : بنو نُمَيْرِ بن عامرِ بن صَعْصَعَةَ ، وبنو الحَارِثِ بن كعب بن عُلَةَ بن جَلْدٍ ، وبنو ضَبَّةَ بن أُدِّ بن طَابِخَةَ ، وبنو عَبْسِ بن بَغِيضِ بن رَيْثِ [بن غطَفَانَ][3] ـ : لأنهم تَجَمَّعُوا فى أنفسهم ولم يُدْخِلُوا معهم غيرَهم . وأبو عُبيدةَ لم يَعْدُدْ فيهم عَبْسًا فى كتاب « الدِّيباجِ » ولكنه قال : فَطَفِئَتْ جَمْرَتانِ ، وهما بنو ضَبَّةَ ، لأنها صارَتْ إلى الرِّبابِ فحالفَتْ ، وبنو الحَارِثِ ، لأنها صارتْ إلى مَذْحِجٍ ، وبَقِيَتْ بنو نُمَيْرٍ إلى الساعةِ ، لأنها لم تُحالِفْ . وقال النُّمَيْرِيُّ يُجيبُ جريرًا :

نُمَيْرٌ جَمْرَةُ العَرَبِ التى لم ... تَزَلْ فى الحربِ تَلْتَهِبُ الْتِهابَا

وإنِّى إذْ أَسُبُّ بها كُلَيْبًا ... فَتَحْتُ عليهمُ لِلْخَسْفِ بابَا

وقال فى هذا الشعرِ[4] :

---

(١) بحاشية ج « وقعت الرواية بفتح الميم وبكسرها ، والفتح أحسن » .
(٢) فى ج و د و هـ « فالجمرة » .
(٣) الزيادة من هـ .
(٤) فى ج و د « وفى هذا الشعر يقول » .

وَلولا أنْ يقالَ هَجَا نُمَيْرًا ... ولم نَسْمَعْ لشاعِرِهَا جَوَابَا

رَغِبْنا عن هِجَاءِ بنى كُلَيْبٍ ... وكيفَ يُشَاتِمُ الناسُ الكِلاَبَا

☆

وقال عمرُ بن عبد الله بن أبى رَبِيعَةَ :

لَيْتَ شِعرى هلْ أَقُولَنْ لِرَكْبٍ ... بِفَــلاَةٍ هُمُ لديها هُجُوعُ

طالَ ما عَرَّسْتُمُ فاسْتَقِلُّوا ... حَانَ مِن نَجْمِ الثُّرَيَّا طُلُوعُ

إنَّ هَمِّى قد نَفَى النَّومَ عنِّى ... وحديثُ النفسِ شىءٌ وَلُوعُ[1]

قال لى فيها عَتِيقٌ مَقَالاً ... فَجَرَتْ ممّا يقولُ الدُّمُوع

قال لى : ودِّعْ سُلَيْمَى ودَعْهَا ... فأَجابَ القَلْبُ : لا أَسْتَطِيعُ

لا تَلُمْنِى فى اشْتِيَاقِى إليها ... وَابْكِ لى ممّا تُجِنُّ الضُّلوعُ

قولُه « حَانَ من نَجمِ الثُّرَيَّا طُلُوعُ » كنايةٌ ، وإنما يريدُ الثُّرَيَّا بنتَ علىِّ بن عبد الله بن الحَارِثِ بن أُمَيَّةَ الأَصْغَرِ، وهُمُ العَبَلاتُ[2]، وكانت الثريا وأختُها عائشةُ أَعْتَقَتَا الغَرِيضَ المُغَنِّىَ ، واسمُه عبدُ الملك ، ويُكْنَى أبا يزيدَ ، ويقولُ إسحٰق بن إبرٰهيمَ المَوْصِلِىُّ : إنما سُمِّيَ الغَرِيضَ بالطَّلْعِ ، لأن الطَّلْعَ يقالُ له الإِغْرِيضُ ، وليس هو عندى كما قال[3] ، وإنما سُمِّى الغَرِيضَ لطَرَاءَتِهِ ،

(١) فى بعض النسخ « قِدْمًا وَلُوعُ » .

(٢) قال المرصفى : « الذى ذكره ياقوت فى مقتضبه : أن عبد شمس بن عبد مناف ولد أمية الأكبر وحبيبا ، وأمهما كلابية ، وأمية الأصغر وعبد أمية ونوفلا ، وأمهم عبلة — بفتح فسكون — بنت عبيد بن حادل بن قيس بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم . بها يعرفون . وقول صاحب القاموس : وعبلة بالفتح جارية من قريش أم قبيلة يقال لهم العبلات محركة — : وهم ، وقد نبه عليه شارحه » .

(٣) فى ج و س و د و هـ « كما يقول » .

يقال : لَحْمٌ غَرِيضٌ . وكانت الثُّرَيَّا موصوفةً بالجمالِ ، وتَزَوَّجها[1] سُهَيْلُ بن عبد الرحمن بن عَوْفٍ الزُّهْرِىُّ[2] ، فنَقَلَها إلى مصرَ ، فقال[3] عمرُ يَضْرِبُ لهما[4] المَثَلَ بالكَوْكبَيْنِ :

أيُّها المُنْكِحُ الثُّرَيَّا سُهَيْلاً ‏ ‏ عَمْرَكَ اللهَ ، كيفَ يلتقيانِ

هى شاميَّةٌ إذا ما استقلَّتْ ‏ ‏ وسُهَيْلٌ إذا استقلَّ يمانِى

وقولُه « قال لى فيها عَتِيقٌ مَقَالاً » تَزْعُمُ الرواةُ أنَّ كلَّ شىء ذَكَرَ فيه عَتيقاً أو بَكْرًا فإنما يَعْنِى ابنَ أبى عَتِيقٍ [ابنُ أبى عتيقٍ هو عبدُ الله بن أبى عَتيقِ بن عبد الرحمن بن أبى بكرٍ الصديقِ بن أبى قُحافَةَ ، وأبوعتيقٍ اسمُه محمد ، وهو صحابىٌّ ، وأبوه عبدُ الرحمن صحابىٌّ ، وجدُّه أبو بكر صحابىٌّ ، وجدُّ أبيه أبو قُحافَةَ صحابىٌّ ، ولم يَكُنْ أحدٌ من الصحابةِ كذلك غيرَهم[5] ، وعبدُ الله بن أبى عتيقٍ غَلَبَتْ عليه الدُّعابةُ وشُهِرَ بها[6]] .

وكان ابنُ أبى عتيقٍ من نُسَّاكِ قريشٍ وظُرَفائِهم ، بل كان قد بَذَّهُمْ ظَرْفاً ، وله أخبارٌ كثيرةٌ ، سيَمُرُّ بعضُها فى الكتابِ ، إن شاء اللهُ .

---

(١) فى ج و د « فتزوجها » .

(٢) هكذا هنا ، وفى بعض الروايات أن الذى تزوجها هو سهيل بن عبد العزيز بن مروان ، ولعبد الرحمن بن عوف ولعبد العزيز بن مروان ولدان ، كل منهما اسمه « سهيل » ، قال صاحب الأغانى (ج ١ ص ٩٠ ساسى) : « والصواب قول من قال : سهيل بن عبد العزيز ، لأنه كان هناك — يعنى بمصر — منزله ، ولم يكن لسهيل بن عبد الرحمن هناك موضع » .

(٣) فى د « فنى ذلك يقول » .

(٤) فى ج و س و د « لها » .

(٥) كذلك « عبد الله بن الزبير » صحابى ، وأمه « أسماء بنت أبى بكر » صحابية ، ثم أبوها وجدها صحابيان . وانظر شرحنا على ألفية السيوطى فى المصطلح (ص ٢٣١ — ٢٣٢) .

(٦) الزيادة من حاشية هـ .

فمنْ طَرِيفِ[1] أخبارِه : أنهُ سَمِعَ وهو بالمدينة قولَ ابنِ أبى ربيعةَ :

فَمَا نِلْتُ منها مُحَرَّمًا غيرَ أَنَّنا ... كِلانَا من الثَّوْبِ المُطَرَّفِ لابِسُ[2]

ـ : فقال أبِنَا يَلْعَبُ ابنُ أبى ربيعةَ ؟ فأىُّ مُحَرَّمٍ بَقِىَ ! فركبَ بغلتَه متوجِّهًا إلى مكةَ ، فلما دَخَلَ أنصابَ الحَرَمِ قيل له: أَحْرِمْ ، قال : إن ذا الحاجةِ لايُحْرِمُ ، فَلَقِىَ ابنَ أبى ربيعةَ فقال : أمَا زعمتَ أنك لم تَرْكَبْ حراما قطُّ ؟ قال بَلَى ، قال : فما قولُك :

* كِلانَا من الثَّوبِ المطرَّفِ لابسُ ؟ *

فقال له : إذًا أُخْبِرَكَ : خرجتُ[3] بعِلَّةِ المسجدِ ، فصرنا إلى بعض الشِّعَابِ ، فأخذَتْنا السماءُ ، فأمَرْتُ بمُطْرَفِى فَسَتَرَنا الغِلمانُ بهِ ، لئلاَّ يرَوْا بها بِـلَّةً فيقولوا[4] هلاَّ اسْتَتَرْتِ بسقائفِ المسجدِ ؟ فقال له ابنُ أبى عتيقٍ : ياعَاهِرُ ! هذا البيتُ يحتَاجُ إلى حاضِنَةٍ !!

وهو الذى[5] سَمِعَ قولَ عمرَ بن أبى ربيعةَ :

مَنْ رَسُولِى إلى الثُّرَيَّا بِأَنِّى ... ضِقْتُ ذَرْعًا بهجرِها والـكِتابِ[6]

فلبِسَ ثيابَه وركِبَ بغلتَه وأتى بابَ الثُّرَيَّا ، فاستأذنَ عليها ، فقالتْ : واللهِ

---

(١) فى س و د و هـ «ظريف» بالظاء المشالة .

(٢) فى هـ « من الخَزِّ » . و « المطرف » الذى خالف لون طرفيه سائره .

(٣) فى هـ « خرجنا » .

(٤) فى ج و د « فيقولون » .

(٥) فى ج و س و د و هـ « وابن أبى عتيق الذى » .

(٦) فى ج و د « مَنْ رسولٌ » وفى س و هـ « فإنى » بدل « بأنى » .

ما كنتَ لنا زوّارًا ، فقال : أجَلْ ، ولكنّي[1] جئتُ برسالةٍ : يقولُ لكِ ابنُ عمِّكِ عُمَرُ بن أبي ربيعة «ضِقْتُ ذرعًا بهجركِ والكتابِ» ، فلامَهُ عمرُ، فقال له ابنُ أبي عتيقٍ : إنما رأيتُك مُتَلَدِّدًا[2] تلتمسُ رسولاً ، فخففْتُ في حاجتِك ، فإنما كان ثوابي أن أُشكَرَ !

ومن طَريفِ[3] أخبارِه : أن عائشةَ بنتَ طلحةَ عَتَبَتْ على مُصْعَبِ بن الزُّبير فهجرَتْه ، فقال مصعبٌ : هذه عشرَةُ آلافِ درهمٍ لمن احْتَال[4] لي أن تُكلِّمَني ، فقال له ابنُ أبي عتيق : عَدِّلِ[5] المالَ ، ثم صار إلى عائشةَ ، فجعلَ يَسْتَعْتِبُها لمصعبٍ ، فقالت : واللهِ ما عَزْمِي أن أُكلّه أبدًا ! فلما رأى جِدَّها[6] قال لها : يا بنتَ عمّ[7] ! إنهُ قد ضَمِنَ لي إن كلَّمْتِهِ[8] عشرَةَ آلافِ درهمٍ ، فكلِّميه حتَّى آخُذَها ، ثم عُودِي إلى ما عَوَّدَكِ اللهُ [من سُوءِ الخُلُقِ[9]] !!

ومن أخبارِه : أنَّ مَرْوانَ بنَ الحَكَمِ قال يومًا : إنِّي لَمَشْعُوفٌ[10]

---

(١) في ج و س و هـ «ولكن» .

(٢) يعني : متحيرًا .

(٣) في س و د و هـ «ظريف» بالمعجمة .

(٤) في ج و س و د «لمن اجْتَلَبَ» .

(٥) في د «عدُّ لي» .

(٦) في هـ «الجدَّ منها» .

(٧) في ج «يا ابْنَةَ عمِّي» وفي س و د هـ «يا ابنة عم» .

(٨) في س «إن كلمتيه» .

(٩) الزيادة من س وهي زيادة ثابتة في هذا الخبر ، في غير هذا الكتاب.

(١٠) بالعين المهملة ، وفي ج و س و د و هـ «مشغوف» بالغين معجمة وبحذف اللام .

ببغلةِ الحسنِ[١] [بن على بن أبى طالبٍ[٢]] رحمهما الله ، فقال له ابنُ أبى عتيقٍ: إن دَفعتَها إليك أتقضى لى ثلاثين حاجةً ؟ قال: نعم ،قال : إذا[٣] اجتَمعَ الناسُ عندَك العَشيَّةَ فإنى آخُـــذُ[٤] فى مَآثرِ قُريشٍ ، ثم أُمسِكُ عن الحسنِ ، فَلُمْنِى على ذلك ، فلمّا أخذ الناسُ[٥] مجالِسَهم أَخذَ فى مآثرِ قريشٍ[٦] ، فقال له مروانُ : ألاَ تذكُرُ أوَّليةَ أبى محمدٍ ، وله فى هذا [الأَمْرِ[٧]] ما ليسَ لأحَدٍ؟! فقال: إنما كُنَّا فى ذِكْرِ الأشْرافِ ، ولو كُنَّا فى ذكر الأنبياء لَقَدَّمْنا ما لِأَبى محمدٍ ! فلمّا خرجَ الحسنُ ليركبَ تَبِعَهُ ابن أبى عتيقٍ ، فقال له الحسنُ - وتَبَسَّمَ - : أَلَكَ حاجةٌ ؟ فقال : ذكرتُ البغلةَ ، فنزل الحسنُ ودَفَعها[٨] إليه !!

ومِنْ طَرِيفِ[٩] أخبارِه : أنَّ عثمانَ بنَ حَيَّانَ المُرِّىَّ لمّا دخلَ المدينةَ والياً عليها[١٠] اجتمعَ الأشرافُ عليه[١١] من قريشٍ والأنصارُ ، فقالوا له : إنك لا تعمَلُ عملاً أجْدَى ولا أَوْلَى مِن تحريم الغِناء والرِّثاء[١٢] ، فَفَعَلَ ، وأَجَّلَهُمْ

---

(١) فى ج و س و د « ببلغة للحسن » .
(٢) الزيادة من ج و س و د و هـ .
(٣) فى ج و س و د و هـ « فاذا » .
(٤) فى ج « آخذُ » .
(٥) فى ج و س و د « القوم » .
(٦) فى ج و س و د و هـ « أفاض فى أولية قريش » .
(٧) الزيادة من هـ .
(٨) فى ج و س و د و د هـ « فدفعها » .
(٩) فى ا و س و د « ظريف » بالمعجمة .
(١٠) من قبل الوليد بن عبد الملك سنة ٩٣ .
(١١) فى ج و د و س و هـ « اجتمع إليه الأشراف » .
(١٢) قال المرصفى : « يريد النياحة بالمراثى » .

ثلاثًا، فقَدِمَ ابنُ أبي عتيقٍ في الليلةِ الثالثة ، فحَطَّ رَحْلَه بباب سَلاَّمَةَ الزَّرْقاء[1]، وقال لها : بَدَأْتُ بكِ قبلَ أن أصِيرَ إلى منزلى ، فقالت : أوَ ما تَدْرِى ما حَدَثَ ؟ ! وأخبرَتْه الخبرَ ، فقال : أقِيمِي إلى السَّحَرِ حتّى ألقاهُ ، فقالت : إنا نخافُ أن لا تُغْنِيَ شيئًا ونُنْكَظَ [تَعْنِي : تنالَنا شِدَّةٌ[2]] فقال : إنه لا بأسَ عليكِ ، ثم مَضَى إلى عثمانَ [بن حَيَّانَ[3]] فاستأذَنَ عليه ، فأخبره أنَّ أحَذَّ[4] ما أقْدَمَهَ عليه حُبُّ التسليم عليه ، وقال له : إنَّ مِنْ أفضلِ ما عَمِلْتَ به تحريمُ الغِناءِ والرِّثاء ! قال : إنَّ أهْلَكَ أشاروا عليَّ بذلك ، قال : فانك قد وُفِّقْتَ ! ولكنّي رسولُ امرأةٍ إليكَ تقولُ : قد كانت هذه صِناعَتِى فتُبْتُ إلى الله منها ، وأنا أسْئَلُكَ أيها الأميرُ أن لا تَحُولَ بينَها[5] وبينَ مجاورةِ قبرِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم ، فقال عثمانُ : إذَنْ أدَعَها لك ، قال : إذَنْ لا يَدَعَها الناسُ ، ولكن تَدْعُو بها فتَنْظُرُ إليها ، فان كانت ممَّنْ يُتْرَكَ

---

(١) « سلامة » ضبطت فى ج بتشديد اللام ، وهو الصواب ، وهى — كما قال المرصفى — : « من مولدات المدينة ، وكانت أحسن النساء وجها ، وأتمهنّ عقلا ، وأجودهنّ حديثاً ، قرأت القرآن وروت الأشعار ، وأخذت الغناء عن جميلة مولاة بنى سليم ، وعن معبد ومالك بن أبى السمح وابن عائشة . وعن الزبير بن بكار : أنها كانت لسهيل بن عبدالرحمن بن عوف الزهرى ، ثم اشتراها يزيد بن عبد الملك ، ويقال لها سلامة القسّ ، وذلك أن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبى عمار الجشمى أحد قراء مكة ، وكان يلقب بالقسّ لعبادته — : لما سمع غناءها افتتن بها ! فأضيفت إليه » .

(٢) الزيادة من ج و س و د ، وفى حاشية ا « أي نُعَجَّلُ » وفى هـ « ننكل » . وقال المرصفى : « عن الأصمعى : أنْكَظْتُهُ إنْكاظًا : إذا أعجلته » . فتفسيره بقوله « تنالنا شدة » يعنى من ذلك الإعجال .

(٣) الزيادة من ج و د .

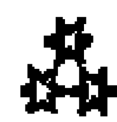
(٤) « أحذّ » بالذال المعجمة يعنى: أسرع شىء ، من « الحذذ » بفتح الحاء والذال ، وهو السرعة ولا فعل له . وفى ج و س و د و هـ « أحب » وهو ظاهر .

(٥) فى ا « بينى » .

تَرَكْتَها ، قال: فادْعُ بها ، قال : فأَمَرَها ابنُ أبى عتيقٍ فتَقَشَّفت[1] [له[2]] ، وأَخَذَتْ سُبْحةً فى يدها ، وصارتْ إليه ، وحَدَّثَتْهُ[3] عن مآثرِ آبائِه ، فَفَكِهَ لها[4] ؟ فقال لها ابنُ أبى عتيقٍ : اقْرَئى للأميرِ ، ففعلتْ ، فأُعْجِبَ بذاك ، فقال لها : فاحْدِى للأميرِ ، فحرَّكَهُ حُدَاؤُها ، ثم قال لها : غَنِّى للأميرِ ، فجعل يُعْجَبُ بذلك عثمانُ ، فقال له ابنُ أبى عتيقٍ : فكيفَ لو سمعتَها فى صناعتِها ؟ ! فقال : قُلْ لها فَلْتَقُلْ ، فأَمَرَها فتَغَنَّتْ :

سَدَدْنَ خَصَاصَ الخَيْمِ لَمَّا دَخَلْنَهُ ... بكلّ لَبَانٍ واضحٍ وجَبِينِ[5]

فنزل عثمانُ بن حَيَّانَ عن سريرِه حتّى جلس بين يديها ! ! ثم قال : لا واللهِ ، ماَمِثْلُكِ يَخْرُجُ عن المدينةِ ! ! فقال له ابنُ أبى عتيقٍ : إِذَنْ يقولَ الناسُ أَذِنَ لِسَلامةَ فى المُقامِ ومَنَعَ غيرَها ! فقال له عثمانُ : قد أَذِنْتُ لهم جميعًا ! !



وقال ابنُ نُمَيْرٍ الثَّقَفِىُّ :

أَشَاقَتْكَ الظَّعائنُ يومَ بَانُوا ... بذِى الزِّىِّ الجميلِ من الأَثَاثِ[6]

ظعائنُ أُسْلِكَتْ نَقْبَ المُنَقَّى ... تَحُثُّ إذا وَنَتْ أَىَّ احْتِثَاثِ

---

(١) فى س « أن تتقشف » .

(٢) الزيادة من هـ .

(٣) فى ج و س و د و هـ « فحدثته » .

(٤) أى : أعجبته وطابت نفسه بحديثها .

(٥) « الخصاص » خروق واسعة فى الخيم قدر الوجه ، الواحد « خصاصة » يصف نساء تطلعن منها ، قاله المرصفى .

(٦) فى س و هـ « من الإناث » .

كأنّ على الظّعائنِ يوم بَانُوا ‌‌ نِعاجًا تَرْتَعِي بَقْلَ البِرَاثِ
يُهَيِّجُني الحَمَامُ إذا تَغَنَّى ‌‌ كما سَجَعَ النّوائحُ بالمَرَاثِي

قولُه « الظعائنُ » واحدتها « ظَعينةٌ » وإنما قيلَ لها « ظَعينةٌ » وهم يريدون مَظْعُونًا بها ، كقولك « قتيلٌ » في معنى مقتولٍ ، ثم استُعمل هذا وكَثُرَ ، حتى قيلَ للمرأة المُقيمة « ظَعينةٌ »[١] .

وقولُهُ « بِذِي الرِّيِّ الجميل من الأَثاثِ »[٢] هي الروايةُ الصحيحة ، وقد قيلَ بِذِي « الرِّيِّ[٣] الجَميلِ » واسْتَهْواهُمْ إليه قولُ اللهِ جلّ ثناؤُه : ﴿ هُمْ أَحْسَنُ أَثاثًا وَرِيًّا[٤] ﴾ فـ « الأَثَاثُ » مَتَاعُ البيت ، و « الرِّئْيُ[٥] » ماظَهَرَ مِن الزِّينةِ ، وإنما أُخِذَ من قولك « رَأَيْتُ » فالرِّئْيُ غيرُ الأَثاثِ ، والزِّيُّ من الأَثاثِ ، فمن ههنا غَلِطُوا[٦]

(١) قال المرصفي : « إنما يريد — يعني الشاعر — بالظعائن الإبل التي عليها الهوادج ذات الزيّ الجميل ، ولا يريد النساء ، ألا تراه يقول : كأن على الظعائن يوم بانوا نعاجا . والنعاج النساء ، على ما يأتي » .

(٢) في س « من الإناث » .

(٣) في ج « الرِّئِي » .

(٤) سورة مريم (٧٤) وهذه قراءة قالون وابن ذكوان . وفي ج « وَرِءْيًا » وهي قراءة باقي السبعة .

(٥) في ج « والرِّءْيُ » وهكذا رسمت وحافظنا على رسمها .

(٦) قال المرصفي : « عبارة الجوهري : وقوله تعالى ﴿ هم أحسن أثاثا ورئيا ﴾ : من همزه جعله من المنظر ، من : رأيت ، وهو ما رأته العين من حال حسنة وكسوة ظاهرة . وأنشد أبو عبيدة :

أشاقتك الظعائن يوم بانوا ‌‌ بذي الرئي الجميل من الأثاث

ومن لم يهمزه : فإما أن يكون على تخفيف الهمزة ، أو يكون من : رويت ألوانهم وجلودهم ، إذا امتلأت وحسنت . وقول أبي العباس والزي من الأثاث : صريح في أن الزي بعض الأثاث ، يريد به ما على الهودج من الأنماط ، وهي ثياب مصبغة من حمرة وصفرة ،

[قال أبو العباس(١)] : وقولُه « أَسْلَكتْ نَقْبَ المُنَقَّى » فـ« المُنَقَّى » موضعٌ بعينه(٢) و « النَّقْبُ » الطريقُ فى الجبل ، و « الخَلُّ » الطريقُ فى الرَّمْلِ ، فإنِ اتَّسَعَ(٣) الطريقُ فى الجبل وعَلاَ فهو « ثَنِيَّةٌ » [و](٤) قال ابنُ الأَيْهَمِ التَّغْلِبِيُّ :

وَتَرَاهُنَّ شُزَّبًا كالسَّعَالِي يَتَطَلَّعْنَ مِن ثَنَايا النِّقَابِ(٥)

وقولُه «نِعَاجًا تَرْتَعِي بَقْلَ البِرَاثِ» فـ«النعجةُ» عندالعرب البقرةُ الوَحْشِيَّةُ ، وحُكْمُ البقرةِ عندَهم حُكْمُ الضَّائِنةِ ، وحُكْمُ الظَّبيةِ عندهم حُكْمُ الماعِزَةِ ، والعربُ تَكْنِي بالنعجة عن المرأة وبالشاةِ(٦) ، قال اللهُ تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ هٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً(٧) ﴾ ، وقال الأَعْشَى :

فَرَمَيْتُ غَفْلَةَ عينِه عن شاتِهِ فأصبتُ حَبَّةَ قلبِها وطِحَالَها

والمعنى : يوم بانوا بذى نمط من جملة الأثاث . وليت شعرى ماذا يصنع أبو العباس فى قراءة من قرأ ﴿ أثاثا وزيا ﴾ بالزاى ؟ ! والصواب تفسير الزىّ بالهيئة ، و « من » فى قوله : من الأثاث : بيان لذى الزىّ ، وحينئذ يكون الزىّ كالرىّ ، فلم يكن استهواء ولاغلط كما زعم» .

وقراءة « وزيا » بالزاى التى نقلها الشيخ المرصفى منسوبة لسعيد بن جبير ، كما فى شواذ القراءات لابن خالويه (ص ٨٦ س ٦) ونسبها أبو حيان فى البحر (ج ٦ ص ٢١١) لابن عباس وابن جبير ويزيد البربرى والأعسم المكى . ولم ينسبها الطبرى لأحد بعينه ، بل قال « حكى عن بعضهم » . ثم قال (ج ١٦ ص ٨٩) : « وأما قراءته بالزاى فقراءة خارجة عن قراءة القراء ، فلا أستجيز القراءة بها ، لخلافها قراءتهم ، وإن كان لهم فى التأويل وجه صحيح » .

(١) الزيادة من ا .
(٢) ذكر ياقوت أنه بين أحد والمدينة .
(٣) فى ج و س و د و هـ « فإذا اتسع » .
(٤) الزيادة من ج و س و د و هـ .
(٥) فى ج و س و د و هـ «من ثغور النقاب» . وقوله «شزبا» يعنى ضوامر ، يريد الخيل ، و « السعالى » جمع « سعلاة » بكسر السين ، وهى أخبث الغيلان .
(٦) فى ج و س و د و هـ « والشاة » .
(٧) سورة ص (٢٣) .

يريدُ المرأة . وأمّا « البِرَاثُ » فهى الأماكنُ السَّهلةُ من الرَّمْلِ ، واحِدُها « بَرْثٌ » مفتوحُ موضعِ الفاء من الفِعْل ، وتقديرُها « كَلْبٌ وكِلَابٌ » والسَّجْعُ » من الكلام : أن تأْتلِفَ أواخرُه[1] على نَسَقٍ ، كما تأْتلفُ القوافِي ، وهو في البهائمِ : مُوالاَةُ الصَّوْتِ ، قال ابنُ الدُّمَيْنَةِ :

أَأَنْ سَجَعَتْ وَرْقَاء فى رَوْنقِ الضُّحَى   على فَنَنٍ غَضٍّ النَّبَاتِ من الرَّنْدِ

[« الرَّنْدُ » صِغَارُ الآسِ] .



وقال عمرُ بن عبد الله[2] بن أبى رَبيعةَ :

قال لِي صاحبِي لِيَعْلَمَ مَابِي   أَتُحِبُّ القَتُولَ أختَ الرَّبَابِ ؟
قلتُ :وَجْدِي بها كوَجْدِكَ بالما   ء إذا ما مُنِعْتَ بَرْدَ الشَّرَابِ
مَن رَسولِي إلى الثُّرَيَّا بأنِي   ضِقْتُ ذَرْعًا بهجرِها والكتابِ
سَلَبَتْنِي مُجاجَةُ المِسْكِ عَقْلِي   فسَلُوها : بما تُحِلُّ اغْتِصابِي ؟[3]
أَزْهَقَتْ أمُّ نَوْفَلٍ إذْ دَعَتْها   مُهْجَتِي ، ما لِقَاتِلِي مِن مَتَابِ
حينَ قالتْ لها : أَجِيبِي، فقالتْ:   مَنْ دَعَانِي ؟ قالتْ : أبو الخَطَّابِ
فاستجابتْ عنــدَ الدُّعاء كما لَـــبَّى رجالٌ يَرْجُونَ حُسْنَ الثَّوابِ
أَبْرَزُوها مثلَ المَهاةِ تَهادَى   بيْنَ خَمْسٍ كَوَاعِبٍ أَتْرابِ
وَهْى مَكْنُونَةٌ تَحَيَّرَ منها   فى أديمِ الخَدَّيْنِ ماء الشَّبابِ

---

(١) فى ج و س و د و هـ « والسجع فى كلام العرب أن تأتلف أواخر الكلام » .

(٢) « بن عبد الله » لم تذكر فى ج و س و د و هـ .

(٣) « مجاجة المسك » يريد بها ريقتها التى تنفح رائحة المسك ، قاله المرصفى .

ثم قالوا : تُحِبُّها ؟ قلتُ : بَهْرًا   عَدَدَ النَّجْمِ والحَصَى والتُّرابِ
دُمْيَةٌ عندَ راهبٍ ذِي اجتهادٍ   صَوَّرُوها فى جَانِبِ المِحرابِ

قوله « قلتُ وَجْدِي بها كوَجْدِكَ بالماء » معنًى صحيحٌ ، وقداعْتَوَرَهُ الشعراء ، وكلُّهم أجادَ فيه .

وقولُه « إذا مامُنِعْتَ بَرْدَ الشَّرابِ » يريدُ : عندَ الحاجَةِ[1] ، وبذلك صَحَّ المعنَى ، ويُرْوَى عن على بن أبى طالبٍ رحمه الله : «أنَّ سائلاً سأله ،فقال : كيفَ كان حُبُّكم لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : كان واللهِ أحَبَّ إلينا من أموالِنا وأولادِنا وآبائِنا وأُمَّهاتنا ومن الماء الباردِ على الظَّماء » . وقال آخرُ ، وأَحْسِبُهُ قَيْسَ بن ذَرِيحٍ :

حَلَفْتُ لها بالمَشْعَرَيْنِ وزَمْزَمٍ   وذُو العرشِ فَوْقَ المُقْسِمِينَ رَقِيبُ[2]

[قال أبو الحسن : ويُرْوَى « واللهُ فوقَ المُقْسِمِينَ » وهو أحبُّ إلىَّ][3]

لَئِنْ كان بَرْدُ الماءِ حَرَّانَ صادِيًا   إلىَّ حبيبًا إنَّها لَحَبِيبُ[4]

وقال القُطَامِيُّ :

يَقْتُلْنَنَا بحديثٍ ليس يَعْلَمُهُ   مَنْ يَتَّقِينَ ولا مَكْنُونُهُ بَادِى[5]
فهنَّ يَنْبِذْنَ من قولٍ يُصِبْنَ به   مَوَاقِعَ الماءِ من ذِى الغُلَّةِ الصَّادِى

---

(١) فى هـ « وقت الحاجة » وفى ج و س و د « عند وقت الحاجة » .
(٢) قال المرصفى : « أراد بالمشعرين : المشعر الحرام ، فثناه ، وهو موضع بالمزدلفة » .
(٣) الزيادة من حاشية ا .
(٤) « حران صاديا » حالان من ضمير المتكلم فى « إلىّ » تقدمتا عليه ، قاله المرصفى .
(٥) فى ج و س و د و هـ « وَلاَ مَكْتُومُهُ » .

والقولُ فيه كثيرٌ .

وقولُه « ضِقْتُ ذَرْعًا[1] بهجرِها والكتابِ » قوله « والكتابِ » قَسَمٌ .

وقولُه « أزْهقتْ أمُّ نوفلٍ[2] إذْ دعتْها مُهْجَتِي » تأويلُه : أبْطَلتْ وَأذْهبتْ ، قال الله جل وعزّ : ﴿ فيَدْمَغُهُ فإذا هُوَ زَاهِقٌ[3] ﴾ ولِلزّاهِقِ موضعٌ آخرُ ، وهو : السَّمينُ المُفْرِطُ ، قال زُهَيْرٌ :

أَلقائِدُ الخيلَ مَنْكُوبًا دَوَابِرُها منها الشَّنُونُ ومنها الزّاهِقُ الزَّهِمُ[4]

وقولُه « ما لِقاتِلِي مِن مَتابِ » يقولُ : من توبةٍ ، والمصدرُ إذا كان بزيادة الميم مِن « فَعَلَ يَفْعُلُ » فهو على « مَفْعَلٍ » قال الله جل وعزّ : ﴿ فإنَّه يَتُوبُ إلى اللهِ مَتابًا[5] ﴾ وأمّا قولُه جلّ ذكره : ﴿ غافِرِ الذَّنْبِ وقابلِ التَّوْبِ[6] ﴾ — : فيكونُ على ضَرْبَيْنِ : يكونُ مصدرًا ، ويكون جِماعًا[7] ، فالمصدرُ قولُك « تابَ يَتُوبُ تَوْبًا » كقولك « قال يقولُ قولاً »

---

(١) « الذرع » هنا : القوة والطاقة ، يريد ضعفت قوته فلم يطقه ، والأصل فيه بسط اليد كأنه مد إليه يده فلم ينله ، قاله المرصفى .

(٢) قال المرصفى : « هى أم ولد عبدالله بن الحرث بن أمية الأصغر ، وكانت تطلب الخيل لعمر فى إصلاحها » .

(٣) سورة الأنبياء (١٨) . وقوله « فيدمغه » ضبط فى طبعة أوربة بالنصب ، أى بفتح الغين ، وهى قراءة شاذة ، نسبها ابن خالويه (ص ٩١) وأبو حيان فى البحر (ج ٦ ص ٣٠٢) إلى عيسى بن عمر ، ونقل أبو حيان عن الزمخشرى تضعيفها .

(٤) قال المرصفى : « منكوبا : من نكبت الحجارة الحافر تنكب — بالضم — : أصابته فأدمته ، و : دوابرها : مآخير حوافرها ، الواحدة دابرة ، و : الشنون من الخيل : بين السمين والمهزول ، و : الزهم — بكسر الهاء — : الكثير الشحم » .

(٥) سورة الفرقان (٧١) .

(٦) سورة غافر (٣) .

(٧) فى س و هـ « جمعاً » .

والجمعُ « تَوْبَةٌ وتَوْبٌ » مثلُ « تَمْرةٍ وتَمْرٍ » و« جَمْرَةٍ وجَمْرٍ » .

وقولُه « أَبْرَزُوها مِثْلَ المهاةِ تَهَادَى » فـ « المَهَاةُ[1] » البقرةُ في هذا الموضعِ ، وتُشَبَّهُ المرأةُ بالبقرةِ من الوَحْشِ لِحُسْنِ عينِها[2] ولِمشْيَتِها ، والبقرةُ يقالُ لها « العَيْناء » والجماعُ « العِينُ » وكذلك يقالُ للمرأةِ ، وتكونُ « المَهَاةُ » البِلَّوْرَةَ في غيرِ هذا الموضعِ .

وقولُه «تَهَادَى» يريدُ : يَهْدِي بعضُها بعضًا في مِشْيَتِها ، ومِشْيَةُ البقرةِ تُسْتَحْسَنُ ، قال ابنُ أبي ربيعةَ :

أَبْصَرْتُها لَيْلَةً ونِسْوَتَها يَمْشِينَ بين المَقَامِ والحَجَرِ[3]
يَمْشِينَ في الرَّيْطِ والمُرُوطِ كما تَمْشِي الهُوَيْنَا سواكِنُ البَقَرِ[4]

وقوله : « كواعب » الواحدةُ « كاعِبٌ » وهي التي قد كَعَّبَ ثَدْيَاها للنُّهُود .

و« أَتْرَابٌ » أقرانٌ ، يقال « تِرْبُ » فلانٍ .

« والمَمْكُورَةُ » المُكْتَنِزَةُ[5] .

---

(١) الفاء زيادة من ج و س و د و هـ .

(٢) في ج و د « عينيها » .

(٣) في ج و س و د « غُدْوَةً » بدل « ليلة » .

(٤) في ج و س و د و هـ « تمشي » وفي سائر النسخ « يمشي » . و « الريط » جمع « ريطة » وهي الملاءة ، ولا تكون إلا بيضاء ، و« المروط » جمع « مرط » بكسر الميم وسكون الراء ، وهو كساء من خزّ أو صوف أو كتان ، ملخص عن المرصفي .

(٥) « المكتنزة » هي الممتلئة اللحم ، وأما « المكورة » فهي التي امتلأ ساقاها واستدارا . وقد شرح أبو العباس البيت على رواية « ممكورة » ولكن الرواية التي ذكرها في القصيدة « مكنونة » .

وقولُه « ثم قالوا تُحِبُّهَا قلتُ بَهْرًا » قال قومٌ : أراد بقوله « تُحِبُّهَا » الاستفهامَ ، كما قال امرؤُ القَيْسِ :

* أحارِ تَرَى بَرْقًا أُرِيكَ وميضَهُ *

فحَذَفَ ألفَ الاستفهامِ ، وهو يريدُ « أتَرَى » ، وقالوا : أرادَ « أتُحِبُّها » ، وهذا [القولُ][1] ، خطأٌ فاحشٌ ، إنما يجوز حذفُ الألِفِ إذا كان في الكلامِ دليلٌ عليها ، وسنفسرُ هذا ونذكُرُ الصَّوابَ منه ، إن شاء الله .

قولُه « تُحِبُّها » إيجابٌ عليهِ ، غيرُ استفهامٍ ، إنما قالوا : أنتَ تُحِبها ، أي : قد علمنا ذاكَ ، فهذا معنًى صحيحٌ لا ضرورَةَ فيهِ [وليس باستفهامٍ][2] .

وأمّا قولُ امرئُ القيسِ فإنما جازَ لأنه جَعَلَ الألِفَ التي تكونُ للاستفهامِ تنبيهًا للنِّداء ، واستَغْنَى بها[3] ، ودَلَّتْ على أنَّ بعدها ألفًا منويةً ، فحُذِفَتْ ضرورةً ، لِدِلالَةِ هذه عليها ، ونظيرُ قولِ امرئُ القيسِ « أحَارِ تَرَى بَرْقًا » فاكتفى بالألفِ عن أن يُعِيدَها في « تَرَى » ـ : قولُ ابنِ هَرْمَةَ :

وَلاَ أَرَاها تَزَالُ ظالمةً   تُظْهِرُ لى قَرْحَةً وتَنْكَؤُها

اسْتغْنَى بـ «لا» الأُولى عن إعادتها ، كما قال التَّمِيميُّ ، وهو اللَّعِينُ المِنْقَرِيُّ[4] .

لَعَمْرُكَ ما أَدْرِي وَإِنْ كُنْتُ دَارِيًا   شُعَيْثُ بْنُ سَهْمٍ أَمْ شُعَيْثُ بْنُ مِنْقَرِ[5]

---

(١) الزيادة من ج و س و د و هـ .
(٢) الزيادة من هـ .
(٣) في ج و س و د « واستغناءً بها » .
(٤) اسمه « مُنَازِلُ بن زَمَعَةَ » وكنيته « أبو الأُكَيْدِرِ » من بني منقر بن عبيد ، من شعراء العرب وفرسانهم ، ويروى أن عمر بن الخطاب سمعه ينشد شعراً والناس يصغون ، فقال : من هذا اللعين ؟ فعلق به هذا الاسم ، قاله المرصفي .
(٥) « شعيث » آخره ثاء مثلثة في أكثر الأصول ، وفي بعضها « شعيب » بالباء الموحدة .

يرى « أشُعَيْثُ » ، فدلَّتْ « أمْ » على ألفِ الاستفهامِ ، وقال ابنُ أبى ربيعةَ :

لَعَمْرُكَ ما أدْرِى وإنْ كنتُ دَارِيًا ... بِسَبْعٍ رَمَيْنَ الجَمْرَ أمْ بثَمانِ

مثلُ ذلك ، وبيتُ الأخطلِ فيه قَوْلانِ[1] ، وهو :

كَذَبَتْكَ عينُكَ أمْ رأيتَ بِوَاسِطٍ ... غَلَسَ الظَّلامِ من الرَّبابِ خَيالاَ

قال : أراد « أكَذَبَتْكَ عينُكَ » ، كما قلنا فيما قبلَه ، وليس هذا بالأجوَدِ ، ولكنَّه ابْتَدَأ مُتَيَقِّنًا ثم شَكَّ ، فأدخلَ « أم » كقولك « إنها لَإبِلٌ » ثم تَشُكُّ فتقولُ « أمْ شاءٌ » ياقَوْمِ[2] .

وقولُه « قلتُ بهْرًا » يكونُ على وجهين : أحدُهما : حُبًّا « يَبْهَرُنى بَهْرًا » أى : يَغْلَوُنى ، ويقالُ للقمر ليلةَ البدرِ « بَاهِرٌ » أى : يَبْهَرُ النُّجومَ ، أى : يَغْلَوُها ، كما قال ذو الرُّمَّةِ :

* كما يَبْهَرُ البدرُ النُّجومَ السَّوَارِيَا *

---

(١) فى بعض النسخ « قال أبو العباس : وفى بيت الأخطل قولان » .

(٢) استدرك الشيخ المرصفى على أبى العباس هذا البحث ، فقال : « كذا زعم أبو العباس ، وكأنه نسى ماسلف له أول الكتاب من قول حضرمى بن عامر :

أُغْبَطُ أنْ أرْزَأَ الكرامَ وأنْ ... أُورَثَ ذَوْدًا شصائصاً نَبَلاَ ؟

أراد : أأغبط ؟ فحذف ولم يذكر دليلا عليها ، ونحوه قول الكميت :

طَرِبْتُ وما شوقًا إلى البِيضِ أطْرَبُ ... ولا لعباً مِنِّى وذُو الشَّيبِ يلعبُ ؟

أراد : أوذو الشيب يلعب ؟ فحذف الألف بلا دليل عليها . ثم رأيت بعضهم نقل عن ابن السيد البطليوسى قال : أكثر ماتحذف ألف الاستفهام إن كان بعدها أم ، لأنها هى الدالة عليها ، فاذا لم تكن فى الكلام لم يجز عند أكثر النحويين ، قال : وهذا هو الذى أراده أبو العباس رحمه الله تعالى » .

أقول : والراجح جواز حذفها إذا فهم الاستفهام من سياق الكلام ، وهو كاف للدلالة على المحذوف .

وقال الأعشى :

حَكَّمْتُمُوهُ فَقَضَى بينَكُمْ أَبْلَجُ مثلُ القمرِ الباهِرِ

والوجهُ الآخرُ : أن يكونَ أرادَ « بَهْرًا لكم » أى : تبًّا لكم حيثُ تلومُونَنِي على هذا ، كما قال ابن مُفَرِّغٍ (١) :

تَفَاقَدَ قَوْمِي إذْ يَبِيعونَ مُهْجَتِي بجاريةٍ بَهْرًا لهم بَعْدَهَا بَهْرَا

وقولُه « عَدَدَ النّجمِ والحَصَى والترابِ » فيه قولانِ : أحدُهما : أنه أراد بالنَّجم : النُّجومَ ، ووَضَعَ الواحدَ فى موضعِ الجمعِ ، لأنه للجنس ، كما تقولُ : أَهْلَكَ الناسَ الدرهمُ والدينارُ ، و : قد كَثُرَتِ الشَّاةُ والبعيرُ ، وكما قال الله جل وعزَّ : ﴿ إنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ . إلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ (٢) ﴾ . وقال الشاعرُ :

فباتَ يَعُدُّ النَّجمَ فى مُسْتَحِيرَةٍ سريعٍ بأيدى الآكلين جُمُودُها

يريدُ : النجومَ ، ويعنى بالمستحيرة إهالةً (٣) . والوجهُ الآخرُ : أن يكونَ النجمُ : ما نَجَمَ من النَّبْتِ ، وهو مالم يَقُمْ على ساقٍ ، والشجرُ ما يقومُ على ساقٍ ، واليَقْطِينُ ما انتشر على وجه الأرضِ . قال الله عز وجل : ﴿ وَالنَّجْمُ

(١) قال المرصفى : « هذا غلط ، صوابه : كما قال ابن ميادة ، والبيت من كلمة له فى أم جحدر بنت حسان المرية ، وقد روى الأصبهانى منها أبياتاً متفرقة » ثم ذكر القصيدة فى شرحه (ج ٥ ص ٢٥٦) .

(٢) سورة العصر (٢ و ٣) .

(٣) « الإهالة » ما أذيب من الشحم ، واستحارتها : تحيرها وترددها فى الجفنة ، قاله المرصفى . فقوله « مستحيرة » بالحاء المهملة ، ولكنها طبعت فى بعض طبعات مصر بالجيم ، وهو تصحيف .

وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ [(١)] ﴾ وقال الحرثُ بن ظالمٍ ، للأَسْوَدِ بن المُنْذِرِ بن ماء السماء :

أَخُصْيَيْ حِمَارٍ باتَ يَكْدِمُ نَجْمَةً   أَيُؤْكَلُ جِيرانِى وجارُكَ سالِمُ [(٢)]

☆

ومن طريف [(٣)] شعره قولُه [(٤)] .

[أَمِنْ آلِ نُعْمٍ أنتَ غادٍ فمُبْكِرُ   غَداةَ غَدٍ أم رائحٌ فمُهَجِّرُ]
[بحاجةِ نفسٍ لم تَقُلْ فى جوابِها   فتُبْلِغَ عذراً والمقالةُ تُعْذِرُ]
[تهيمُ إلى نُعْمٍ فلا الشَّمْلُ جامعٌ   ولا الحَبْلُ موصولٌ ولا القلبُ مُقْصِرُ]

---

(١) سورة الرحمن (٦) .

(٢) « خُصْيَيْ » تثنية « خصية » وقال له ذلك متهكما به . و « يكدم » بكسر الدال وضمها ، من « الكدم » وهو العضّ بأطراف الأسنان . وفى ج و س و د و هـ « أَيُؤْكَلُ جاراتى » .

(٣) فى ا و س و هـ « ظريف » بالظاء المشالة .

(٤) هذه قصيدة من عيون الشعر فى ديوان العرب ، وهى من مفاخر الشعراء ، وكان ابن عباس يحفظها كلها ، ويستجيدها ويعجب بها .

وأبو العباس ذكر منها فى هذا الموضع ٢٩ بيتا ، ثم ذكر منها ١٤ بيتا فيما يأتى فى (باب من أخبار الخوارج) (ص ٥٧٠ — ٥٧١ من طبعة أوربة ، و ج ٧ ص ١٦٥ من شرح المرصفى) .

وقد أكمل الشيخ المرصفى الناقص منها هنا فذكره فى الشرح ، ورأيت أن الفائدة فى قراءتها فى نسق أتم ، فأتممتها فى المتن ، مبينا مازدته بوضعه بين مربعين هكذا [ ] وهذه الزيادات من ديوان عمر المطبوع فى أوربة سنة ١٣١٨ (ص ١ — ٤) ومن شرح المرصفى (ج ٥ ص ٢٦١ — ٢٦٤) ومن مهذب الأغانى لأستاذنا العلامة الشيخ محمد الخضرى رحمه الله (ج ٦ ص ٢١٣ — ٢١٧) وكلها متفقة فى الزيادة إلا بيتين لم يذكرا فى الديوان ، وهما البيتان (٣٥ و ٥٤) . وقد نبهت عليهما فى موضعيهما . ثم إنى لم أذكر الاختلاف بين هذه الكتب الثلاث فى رواية الأبيات التى اتفقت فى إثباتها ، تجنبا للإطالة ، ولم أشرح منها إلا ما اقتضت الضرورة القصوى بشرحه .

[ولا قُرْبُ نُعْمٍ إنْ دَنَتْ لكَ نافعٌ ... ولا نَأْيُهَا يُسْلِي ولا أنتَ تَصْبِرُ]
[وأُخرَى أتَتْ مِن دُونِ نُعْمٍ ومثلُها ... نَهَى ذا النُّهَى لو تَرْعَوِي أو تُفكِّرُ]
[إذا زُرْتُ نُعْمًا لم يَزَلْ ذو قرابةٍ ... لها كُلَّما لاقَيْتُها يتنَمَّرُ]
[عَزيزٌ عليه أنْ أُلِمَّ ببيتِها ... يُسِرُّ لِيَ الشَّحناءَ والبُغْضَ مُظْهِرُ]
[أَلِكْنِي إليها بالسلامِ فإنه ... يُشَهَّرُ إلْمامِي بها ويُنَكَّرُ(١)]
[بآيةِ ما قالتْ غَداةَ لقيتُها ... بمَدْفَعِ أكْنانٍ : أهذا المُشَهَّرُ ؟]
[قِفِي فانظري أسماءُ هل تعرفينَه ... أهذا المُغِيرِيُّ الذي كان يُذْكَرُ ؟]
[أهذا الذي أَطْرَيتِ نَعْتًا فلم أكُنْ ... وعَيْشِكِ أنْساهُ إلى يومِ أُقْبَرُ ؟]
[فقالت : نَعَمْ لا شَكَّ غَيَّرَ لَوْنَه ... سُرَى الليلِ يُحْيِي نَصَّهُ والتَّهَجُّر]
[لَئِنْ كانَ إيَّاهُ لقد حالَ بَعْدَنَا ... عن العهدِ والإنسانُ قد يَتَغَيَّرُ]
[رأتْ رجلًا أمَّا إذا الشمسُ عارضَتْ ... فيَضْحَى وأمَّا بالعَشِيِّ فيَخْصَرُ(٢)]
[أخا سَفَرٍ جَوَّابَ أرضٍ تقاذفَتْ ... به فَلَوَاتٌ فهو أشْعَثُ أغْبَرُ]
[قَليلٌ على ظهرِ المطيَّةِ ظِلُّه ... سِوَى ما نَفَى عنه الرداءُ المُحَبَّرُ(٣)]
[وأعجبَها من عيشِها ظِلُّ غُرْفةٍ ... ورَيَّانُ مُلْتَفُّ الحدائقِ أخْضَرُ]
[ووالٍ كفاها كلَّ شيءٍ يُهِمُّها ... فليستْ لشيءٍ آخرَ الليلِ تَسْهَرُ]
[ولَيلةَ ذِي دَوْرَانَ جَشَّمْتِنِي السُّرَى ... وقد يَجْشَمُ الهَوْلَ المُحِبُّ المُغَرَّرُ]

---

(١) « ألكنى » أى أرسلنى ، من « الأَلُوكَة » وهى الرسالة .

(٢) « يضحى » يظهر للشمس ، « ويخصر » يبرد .

(٣) قال الشيخ الخضرى : « يصف نفسه بأنه ضئيل لا يكاد يكون له ظل إلا ما أراه رداؤه » .

[فبتُّ رقيباً للرفاقِ على شَفاً   أُحاذرُ منهم من يَطُوفُ وأَنظُرُ]
[أليهِمْ متى يَسْتَمْكِنِ النَّوْمُ منهم   وَلِي مجلسٌ لولا اللُّبانَةُ أَوْعَرُ]
[وباتَتْ قَلُوصِي بالعَرَاء ورَحْلُها   لِطارقِ ليلٍ أو لمن جاء مُعْوِرُ]
[وبتُّ أُناجي النفسَ : أينَ خِباؤُها   وكيفَ لِما آتِي من الأمرِ مَصْدَرُ ؟]
[فدلَّ عليها القلبَ رَيّا عرفتُها   لَها ، وهوَى النفسِ الذى كاد يَظْهَرُ]
فلمّا فَقَدْتُ الصَّوْتَ منهم وأُطفِئَتْ   مصابيحُ شُبَّتْ بالعِشاء وأَنْؤُرُ[1]
وغابَ قُمَيْرٌ كنتُ أرجو غُيُوبَهُ   ورَوَّحَ رُعْيانٌ ونَوَّمَ سُمَّرُ
ونَفَّضْتُ عَنِّي العَيْنَ أقبلتُ مِشْيَةَ الْـ   ـحُبابِ ورُكْنِي خِيفَةَ القومِ أَزْوَرُ
فَحَيَّيْتُ إذْ فاجَأْتُها فتَوَلَّهَتْ   وكادتْ بمكنونِ التَّحِيَّةِ تَجْهَرُ[2]
وقالت وعَضَّتْ بالبَنانِ ـ : فَضَحْتَنِي   وأنتَ امْرُؤٌ ميسورُ أمرِكَ أَعْسَرُ
أَرَيْتَكَ إذْ هُنّا عليكَ ألم تَخَفْ   رَقيباً وحَوْلِي مِن عَدُوِّكَ حُضَّرُ[3] ؟
فواللهِ ما أَدْرِي أَتَعْجِيلُ حاجةٍ   سَرَتْ بكَ أم قد نامَ مَن كنتَ تَحْذَرُ[4] ؟
فقلتُ لها : بل قادَنِي الشَّوقُ والهَوَى   إليكِ وما عَيْنٌ من الناسِ تَنْظُرُ[5]
[فقالتْ وقد لانَتْ وأَفْرَخَ رَوْعُها :   كَلاكَ بحفظٍ ربُّكَ المتكبِّرُ]

---

(١) فى د « شُبَّتْ بالشِّتاءِ » . وفى ا و س و هـ « وَأَنْوُرُ » .

(٢) فى ج و س و د و هـ « فتَلَهَّفَتْ » . وفى ج و س و د بدل « بمكنون » « بمكتوم » وفى هـ « بمرفوع » وهى غير جيدة المعنى .

(٣) فى ا بدل « رقيبا » « هُدِيتَ » .

(٤) فى ا « أم قد غاب » .

(٥) فى ا « وما خَلْقٌ من الناس يَشْعُرُ » .

[فأنتَ أبا الخطّابِ غيرُ مُدافِعٍ ... عليَّ أميرٌ ما مَكَثْتَ مُـؤَمَّرُ]
[فبتُّ قريرَ العينِ أُعْطِيتُ حاجتي ... أُقَبِّلُ فاهًا في الخَلاءِ فأُكْثِرُ(١)]
فيالَكَ من ليلٍ تقاصَرَ طُولُهُ ... وما كانَ لَيلِي قبلَ ذلك يَقْصُرُ
ويالَكَ من مَلْهًى هُناكَ ومَجْلِسٍ ... لَنا لم يُكَدِّرْهُ علينا مُكَدِّرُ(٢)
يَمُجُّ ذَكِيَّ المِسكِ منها مُفَلَّجٌ ... رقيقُ الحَواشِي ذو غُرُوبٍ مُؤَشَّرُ
يَرِفُّ إذا يَفْتَرُّ عنه كأنَّه ... حَصَى بَرَدٍ أو أُقْحُوانٌ مُنَوِّرُ(٣)
وتَرْنُو بعينيها إليَّ كما رَنَا ... إلى رَبْرَبٍ وَسْطَ الخَمِيلَةِ جُؤْذُرُ
فلما تقَضَّى الليلُ إلا أقَلَّهُ ... وكادتْ تَوَالِي نجْمِهِ تَتَغَوَّرُ
أشارَتْ بأنَّ الحَيَّ قد حانَ منهمُ ... هُبُوبٌ ولكنْ مَوْعِدٌ لكَ عَزْوَرُ
فما رَاعَنِي إلا مُنَادٍ بِرِحْلَةٍ ... وقد لاحَ مَفْتُوقٌ من الصُّبحِ أشْقَرُ
فلمَّا رأتْ مَنْ قَدْ تَنَوَّرَ منهمُ ... وأيقاظَهُمْ قالت: أشِرْ كيفَ تأمُرُ(٤)
فقلتُ: أُبادِيهِمْ فإمَّا أفُوتُهمْ ... وإمَّا يَنَالُ السيفُ ثأرًا فيَثْأرُ(٥)
فقالتْ: أتحقيقًا لِمَا قال كاشِحٌ ... علينا، وتَصْديقًا لِمَا كانَ يُؤْثَرُ؟!
فإنْ كانَ ما لا بُدَّ منه فغَيْرُهُ ... مِنَ الأمرِ أدْنَى للخَفاءِ وأسْتَرُ:
أقُصُّ على أُخْتَيَّ بَدْءَ حديثِنَا ... ومالِيَ مِن أنْ تَعْلَمَا مُتَأخَّرُ

(١) هذا البيت زيادة من مهذب الأغاني وشرح المرصفي .
(٢) في ج و س و د . «ويالَكَ من لَيْلٍ» . وفي د بدل «علينا» «عليك» .
(٣) في ا «منوّر» .
(٤) «تثور» بالثاء المثلثة ، وفي س و د و هـ «تنور» بالنون .
(٥) في ا «فيَتْأرُ» بالتاء المثناة بدل المثلثة .

لَعَلَّهُما أنْ تَبْغِيا لكَ مَخْرَجًا ... وأنْ تَرْحُبَا سَرْبًا بما كُنْتُ أحْصَرُ[(١)]
فقامتْ كَئِيبًا ليس فى وجهها دَمٌ ... من الحزنِ تَذْرِى عَبْرَةً تَتَحَدَّرُ
[فقامتْ إليها حُرَّتانِ عليهما ... كِساءانِ مِن خَزٍّ دِمَقْسٌ وأخضَرُ]
فقالتْ لأُخْتَيْهَا : أعِينَا على فَتًى ... أتَى زائرًا والأمْرُ للأمْرِ يُقْدَرُ
فأقْبَلَتَا فارْتَاعَتَا ثم قالتَا : ... أقِلِّى عليكِ الهَمَّ فالخَطْبُ أيْسَرُ
[فقالت لها الصُّغْرَى: سأُعطيه مِطْرَفِى ... وَدِرْعِى وهذا البُرْدَ إنْ كانَ يَحْذَرُ[(٢)]]
يَقُومُ فيَمْشِى بيننا مُتَنَكِّرًا ... فلا سِرُّنَا يَفْشُو ولا هُوَ يَظْهَرُ[(٣)]
فكانَ مِجَنِّى دُونَ مَنْ كنتُ أتَّقِى ... ثلاثَ شُخُوصٍ كاعِبَانِ ومُعْصِرُ
فلمّا أجَزْنَا ساحةَ الحَىِّ قُلْنَ لِى : ... ألَمْ تَتَّقِ الأعداءَ والليلُ مُقْمِرُ ؟[(٤)]
وقُلْنَ : أهذَا دَأْبُكَ الدَّهْرَ سادِرًا ... أمَا تَسْتَحِى أوْ تَرْعَوِى أو تُفَكِّرُ ؟[(٥)]
[إذا جئتَ فامْنَحْ طرفَ عينيك غيْرَنَا ... لِكَىْ يَحْسِبُوا أنَّ الهوَى حيثُ تَنْظُرُ]
[فآخِرُ عهدٍ لى بها حينَ أعْرضَتْ ... ولاحَ لها خَدٌّ نَقِىٌّ ومَحْجِرُ]
[سِوَى أنَّنِى قد قلتُ يا نُعْمُ قَوْلَةً ... لها والعِتاقُ الأرْحَبِيَّاتُ تُزْجَرُ :]
[هنيئًا لأهلِ العامِرِيَّةِ نَشْرُها الْلَذِيذُ ... ورَيَّاها الذى أتذَكَّرُ]

---

(١) فى س و هـ « لِىَ » بدل « لك » .

(٢) هذا البيت زيادة من مهذب الأغانى وشرح المرصفى .

(٣) فى ج و س و هـ وحاشية د « ولا هُوَ يُبْصَرُ » .

(٤) فى ا « ألم تتق » باثبات حرف العلة .

(٥) فى بعض النسخ « كلّه » بدل « سادراً » والسادر : اللاهى ، الذى لا يهتم لشىء ، ولا يبالى ماصنع .

[فقمتُ إلى عَنْسٍ تَخَوَّنَ نَيَّهَا   سُرَى اللَّيلِ حتى لَحْمُها مُتَحَسِّرُ(١)]
[وحَبْسِى عَلَى الحاجاتِ حتى كأنها   بَقِيَّةُ لَوْحٍ أو شِجارٌ مُؤَسَّرُ(٢)]
[ومَاءٍ بِمَوْمَاةٍ قليلٍ أنِيسُــــهُ   بَسَابِسَ لم يَحْدُثْ به الصَّيْفَ مَحْضَرُ(٣)]
[بِهِ مُبْتَنًى للعنكبوتِ كأنه   على طَرَفِ الأَرْجاء خامٌ مُنَشَّرُ]
[وَرَدْتُ وما أدرى أمَا بَعْدَ مَوْرِدِى   مِنَ الليلِ أم مَا قد مَضَى منهُ أكثرُ]
[فقمتُ إلى مِغْلاَةِ أرضٍ كأنّها   إذا التَفَتَتْ مَجْنُونَةٌ حينَ تَنْظُرُ(٤)]
[تُنازِعُنِى حِرْصاً على الماء رَأْسَها   ومِن دونِ ما تَهْوَى قَلِيبٌ مُعَوَّرُ(٥)]
مُحاوِلةً للماء لولا زِمامُهــــا   وجَذْبِى لها كادتْ مِراراً تَكَسَّرُ]
[فلمّا رأيتُ الضُّرَّ منها وأنّنِى   ببلدةِ أرضٍ ليس فيها مُعَصَّرُ(٦)]
[قَصَرْتُ لها مِن جانبِ الحوضِ مُنْشَأً   جديداً كقابِ الشِّبْرِ أو هو أصغرُ]
[إذا شَرَعَتْ فيــه فليس لِمُلْتَقَى   مَشافِرِها منه قِدَى الكَفِّ مَسْأَرُ(٧)]
[ولا دَلْوَ إلاَّ القَعْبُ كانَ رِشاءَهُ   إلى الماء نِسْعٌ والأَدِيمُ المُضَفَّرُ]
[فَسافَتْ وما عافَتْ ومَا رَدَّ شُرْبَها   عنِ الرِّىِّ مَطْروقٌ مِنَ الماءِ أكْدَرُ(٨)]

(١) « تخوّن » : تنقّص. « وَالنَّىُّ » : الشحم .

(٢) « الشجار » : خشب الهودج . و « المؤسر » : المشدود بالإسار ، وهو الحبل .

(٣) « الموماء » و « الموماة » : المفازة . و « البسابس » جمع « بَسْبَسٍ » وهو القفر .

(٤) أصل « المغلاة » السهم ، وشبه به ناقته لإسراعها .

(٥) « القليب » : البئر . و « المعوّر » الذى أفسد منبعه .

(٦) « المعصر » : الملجأ .

(٧) « مسأر » : مفعل ، من « السؤر » وهو بقية الماء التى يبقيها الشارب ، معناه : إذا التقت شفتاها عليه لم يبق منه شىء . قاله الخضرى .

(٨) « سافت » : شمت . و « المطروق » : ماء السماء الذى تبول فيه الابل .

٭

قوله « شُبَّتْ » يقولُ : أُوقِدَتْ ، يقالُ « شَبَبْتُ » النارَ والحرْبَ ، أى : أوْقَدْتُهما .

وقوله « وأنْؤُرُ » إنْ شئتَ همزْتَ ، وإن شئتَ لم تَهمِزْ ، وإنما الهمزُ لانضمام الواوِ ، وقد مضى تفسيرُ هذا .

وقوله « قُمَيْرٌ » [تصغيرٌ[1]] ، إنما صَغَّره لأنهُ ناقصٌ عن التَّمام ، وهذا فى أول الشهر ، وكذلك يُصَغَّرُ فى آخر الشهر ، لأن النقصانَ فيهما واحدٌ ، قال عُمَرُ :

وقُمَيْرٌ بَدَا ابْنُ خَمْسٍ وعشريـــنَ لَهُ قالَتِ الفَتَاتَانِ قُومَا

وقوله « رُعْيَانٌ » يريدُ جمعَ « الرَّاعِى » ومثلُهُ « راكبٌ ورُكْبانٌ » و « فارِسٌ وفُرْسانٌ » .

و « السُّمَّرُ » جمعُ « السَّامِرِ » وهم الجماعةُ يتحدَّثون ليلاً .

و « الحُبَابُ » حَيَّةٌ بعينِه[2] .

وقوله « ونَفَّضْتُ عَنِّى العَيْنَ » يقول : احترستُ منها وأَمِنْتُها ، « والنَّفَضَةُ » أَمَامَ العَسْكرِ : القومُ[3] يتقدَّمون فيَنْفُضُونَ الطريقَ .

وقوله « أَزْوَرُ » يعنى متجافياً ، يقال « تَزَاوَرَ » فلانٌ : إذا ذهبَ فى شِقٍّ .

(١) الزيادة من د .
(٢) فى د و هـ « بعينها » .
(٣) فى ج و س « قومٌ » .

وقوله « ذُوغُرُوبٍ » غَرْبُ كلِّ شيء : حَدُّهُ ، وإنما يعنى الأسنانَ .

وقوله « مُؤَشَّرٌ » يعنى له : « أُشُرٌ » وهو تشريفُ[1] الأسنانِ فى قول الناس جميعاً ، يقال : لأسنانه «أُشُرٌ» ، فهذا الشائعُ الذائعُ ، وأمّا «الشَّنَبُ» فهو عندهم جميعاً بَرْدٌ فى الأسنان . وحدثّنى الرِّيَاشِيُّ عن ابنِ عائشةَ[2] قال : أخذَ أبى حَبَّةَ رُمَّانٍ بين إصْبَعَيْه فإذا هى تَرِفُّ ، فقال : هذا الشَّنَبُ .

وقولُه «وكَادَتْ توالِى نجمِهِ تتَغَوَّرُ » ، «التَّوالِى» التوابعُ ، و «تَتَغَوَّرُ» تَغُورُ فتَذْهَبُ ، وهو مأخوذ من « الغَوْرِ » .

وقوله « أشارتْ بأنَّ الحَيَّ قد حانَ منهمُ هُبُوبٌ » يقول : انتباهٌ ، يقال «هَبَّ» من نومه «يَهُبُّ» ، قال عمرُو بن كُلْثُومٍ :

ألاَ هُبِّى بِصَحْنِكِ فَاصْبَحِينَا [ولا تُبقِى خُمُورَ الأَنْدَرِينَا][3]

---

(١) فى س و د « تحزيزُ » وكتب ذلك بحاشية ع وكتب بها أيضا « تحديدُ » والظاهر أن المراد بهما تفسير قوله « تشريف » لأنه تعبير غريب . والذى فى موسوعات اللغة : « تأشيرُ الأسنانِ : تحزيزُها وتحديدُ أطرافها » ، انظر لسان العرب . وفى طبعات مصر من الكامل : « وهو تشرير الأسنان » وهو خطأ من الناسخين ، وقد نص الشيخ المرصفى على أنه خطأ .

(٢) قال الشيخ المرصفي : « هو عبد الرحمن بن عبيد الله بن محمد بن حفص بن عمر بن موسى بن عبيدالله بن معمر التيمى ، من أهل البصرة ، قدم بغداد ، واتصل بقاضيها أحمد بن أبى دؤاد ، وكان متأدباً . وأبوه عبيد الله كان أديباً فصيحا مستقيم الحديث ، عليا بأخبار العرب وأنسابهم . وكلاهما يقال له : ابن عائشة ، لأنهما من ولد عائشة بنت طلحة بن عبيد الله بن معمر التيمى . ذكر ذلك كله أبو سعد عبد الكريم فى كتاب الأنساب ، وقال توفى عبد الرحمن سنة ٢٢٧ قبل أبيه بسنة » . وقد وقع خطأ فى كلام الشيخ المرصفى من الطبع ومن نسخة الأنساب للسمعانى ، أصلحناه من الأنساب (ورقة ٤٠٤) ومن التهذيب لابن حجر (ج ٧ ص ٤٥ — ٤٦ » .

(٣) الزيادة من هـ . و «الصحن» قدح لا بالكبير ولا بالصغير ، و « اصبحينا » اسقينا صباحا ، من «صَبَحَهُ» بوزن « مَنَحَهُ » و« الأندرين» قرية قريبة من حلب .

وقال الآخرُ :

هَبّتْ تلُومُ وليستْ ساعةَ اللّاحِي هَلاَّ انتظرْتِ بهذا اللّوم إصْباحِي[1]

و « عَزْوَرُ » موضع بعينه[2] .

وقولُه « وأيْقاظَهُمْ » جمعُ « يَقُظٍ » .

وقوله « فقالتْ أتَحْقِيقًا » أي : أتفعلُ هذا تحقيقًا ، ومن كلام العربِ : أكُلَّ هذا بُخْلاً ! وذاك أنهُ رآهُ يفعلُ شيأً أنْكَرَهُ[3] فقال : أتفعلُ كلَّ هذا بخلاً[4] !.

وقوله « أبادِيهِمْ » [يقولُ[5]] : أَظْهَرُ لهم ، غيرُ مهموزٍ ، يقال « بَدَا يَبْدُو » غيرُ مهموزٍ : إذا ظهر ، و« بَدَأْتُ » بهذا ، مهموزٌ[6] : إذا أردتَ به معنى الأوّلِ .

وقوله « بَدْءَ حديثِنا » ، يريد : أوّلَ حديثِنا .

وقوله « وأنْ تَرْحُبا » يريدُ : أن يَتّسِعَا ، أي يَتّسِعَ صدورُهما ، من قولهم : فلانٌ « رَحيبُ » الصَّدْرِ .

وقوله « أَحْصَرُ » أضيقُ به ذَرْعًا ، وقد مضى تفسيرُه ،

---

(١) في ج و د « بذاك اللوم » وفي س « لذاك اللوم » .

(٢) قال المرصفي : « هو ثنية الجحفة ، بها طريق المدينة إلى مكة » .

(٣) في ج و س و د « يُنْكِرُهُ » .

(٤) في ج و س و د و هـ « أكُلَّ هذا تفعل بخلاً » .

(٥) الزيادة من س و هـ .

(٦) في س و د و هـ « مهموزاً » بالنصب ، وفي باقي النسخ بالرفع ، فجمعنا بين الإعرابين وتركنا كتابة الألف ، لجواز كتابة المنصوب بدونها ، على لغة ربيعة ، وقد ثبت مثل هذا الرسم في كثير من النصوص الصحيحة الموثوق بها .

وقوله « مِجَنِّي » يريد : تُرْسِي .

وقوله « ثَلَاثَ شُخُوصٍ » والوجهُ[1] « ثلاثةَ أشْخُصٍ[2] » ولـكنه لمّا قَصَدَ إلى النساء[3] أنّثَ على المعنى ، وأبانَ ما أرادَ بقوله « كاعِبَانِ ومُعْصِرُ ».
ومثلُه قولُ الشاعرِ :

فإنَّ كِلابًا هذه عَشْرُ أبْطُنٍ … وأنتَ برىءٌ من قَبائلِها العَشْرِ

فقال « عَشْرُ أبْطُنٍ » ، لأنَ البطنَ قبيلةٌ ، وأبانَ ذلك في قوله « من قبائِلِها العَشْرِ » ، وقال الله جل وعز : ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا[4] ﴾ .
لأن المعنَى حسناتٌ[5] .

ويُرْوَى أن يزيدَ بن معاويةَ لمّا أرادَ توجيهَ مُسْلمِ بن عُقْبَةَ المُرِّيِّ إلى المدينةِ اعترضَ الناسَ ، فمرَّ به رجلٌ من أهل الشأم معه تُرْسٌ قبيحٌ ، فقال له : يا أخا أهلِ الشأمِ ! مِجَنُّ ابنِ أبي ربيعةَ أحسنُ من مِجَنِّكَ ! يريدُ قولَ [عمرَ[6]] بنِ أبي ربيعة :

فـكانَ مِجَنِّي دونَ مَنْ كنتُ أتَّقِي … ثلاثَ شخوصٍ كاعِبَانِ ومُعْصِرُ

---

(١) في ج و د و هـ « فالوجه » .
(٢) في ج و س و د و هـ « شخوص » .
(٣) في ج و س و د و هـ « لنساء » .
(٤) سورة الأنعام (١٦٠) .
(٥) قال المرصفي : « قال ابن جني في فصل من خصائصه ، سماه : الحمل على المعنى : اعلم أن هذا الشرج غور من العربية بعيد ، قد ورد به القرآن وفصيح الـكلام منظوما ومنثوراً ، كتأنيث المذكر وتذكير المؤنث ، وتصوير معنى الواحد في الجماعة ، والجماعة في الواحد ، قال : فمن تذكير المؤنث قول الحطيئة [ثلاثة أنفس] ذهب بالنفس إلى الانسان ، فذكَّر ، وقال عمر : [ثلاث شخوص] فأنّث الشخص ، لأنه أراد به المرأة » .
(٦) الزيادة من د .

وقوله « أما تَسْتَحِى » يريد « تَسْتَحْيِي » وله تفسيرٌ يَبْعُدُ فى العربية قليلاً ، وسنذكره بعد ذا ، إن شاء اللهُ .

باب

قال أبو العباس : وحُدِّثتُ : أن عُمَرَ الوَادِى[1] قال : أقبلتُ من مكةَ أريدُ المدينةَ ، فجعلتُ أسيرُ فى صَرْدٍ[2] من الأرضِ ، فسمعتُ غِناءً من القَرارِ[3] لم أسمعْ مثلَه ، فقلتُ : واللهِ لَأَتَوَصَّلَنَّ إليه ولو بذَهاب نفسِى ، فانحدرتُ إليه ، فإذَا عَبدٌ أسْوَدُ[4] ، فقلتُ له : أعِدْ علىَّ ما سمعتُ [منكَ[5]] ، فقال لى : واللهِ لو كان عندى قِرًى أقْرِيكَ ما فعلتُ ، ولكنِّى أجعلُه قِرَاكَ ، فإنى [واللهِ[6]] رُبَّما غَنَّيْتُ هذا الصوتَ وأنا جائعٌ فأشْبَعُ ، ورُبما غنيتُه وأنا كَسْلانُ فأَنْشَطُ ، وربما غنيتُه وأنا عطشانُ فأَرْوَى ، ثم انبَرَى[7] يُغَنِّينِى[8] .

وكنتُ إذا مازرتُ سُعْدَى بأَرْضِها ... أَرَى الأَرضَ تُطْوَى لى ويَدْنُو بَعيدُها

---

(١) قال المرصفى : « هو عمر بن داود بن زاذان ، من أهل وادى القرى ... وكان جده زاذان مولى عمرو بن عثمان بن عفان » .

(٢) فى ع و س و د و هـ « صَمْدٍ » وهى بمعنى « صَرْدٍ » والمراد المكان المرتفع من الجبال .

(٣) فى ع و س و د « القَرَارَةِ » .

(٤) فى هـ بدلها « أمرد » .

(٥) الزيادة من د .

(٦) الزيادة من ع و س و د و هـ .

(٧) فى د « ثم اندفع » .

(٨) فى ع و س و د « يُغَنِّى » .

مِنَ الْخفِرَاتِ البِيضِ وَدَّ جَلِيسُها إذا ما قَضَتْ أُحْدُوثَةً لو تُعِيدُها[1]

[وبعدَهُ :

تُحَلِّلُ أَحْـــقَادِى إذا مَا لَقِيتُها وتَبْـــقَى بلا ذَنْبٍ علىَّ حُقُودُها

وكيفَ يُحِبُّ القَلْبُ مَنْ لاَ يُحِبُّهُ بَلَى قد تريدُ النَّفسُ مَنْ لا يُرِيدُها[2]]

قال عمرُ : فحفظتُه عنه ، ثم تَغَنَّيْتُ بِهِ على الحالاتِ التي وَصَفَ ، فإذا هو كما ذَكَرَ .

وتَحَدَّثَ الزُّبَيْرِيُّونَ عن خالدٍ صامَةَ : أنهُ كَانَ مِن أحسنِ الناسِ ضرباً بِعُودٍ[3] ، قال : فَقَدِمْتُ على الوَليد بنِ يزِيدَ ، وهو فى مجلسٍ ناهيكَ بِهِ مجلساً ، فألفَيْتُه على سَريره ، وبين يديه مَعْبَدٌ ، ومالكُ بنُ أبى السَّمْح ، وابنُ عائشةَ ، وأبو كامل غُزَيِّلٌ الدِّمَشْقِىُّ ، فجعلُوا يُغَنُّونَ ، حتى بلغتِ النَّوْبَةُ إلىَّ فَغَنَّيْتُهُ :

سَرَى هَمِّى وهَمُّ المَرْءِ يَسْرِى وغارَ النَّجْمُ إلاَّ قِيـــدَ فِتْرِ[4]

أُراقِبُ فى المَجَرَّةِ كلَّ نَجْمٍ تَعَرَّضَ أَوْ عَلَى المَجْراةِ يَجْرِى[5]

---

(١) فى ح و س وحاشية ا « إِذَا ما انْقَضَتْ أُحْدُوثَةٌ » .

(٢) الزيادة من حاشيتى ح و د . وفى د « القلبَ » بالنصب ، وفى ح « يُرِيدُ القلبُ مَنْ لاَ يُرِيدُهُ » .

(٣) فى هـ « بالعود » وطبعت كذلك فى طبعات مصر .

(٤) « قيد » بكسر القاف ، وفى بعض الروايات « قِيسَ » بالكسر أيضا ، ومعناهما : القدر ، و « الفِتْرُ » : مابين طرف السبابة والإبهام إذا فتحا .

(٥) رواية الأغانى « تَعَرَّضَ لِلمَجَرَّةِ كيفَ يَجْرِى » ، انظر الأغانى (ج ١ ص ١٢٣ ساسى و ص ٣١٨ دار الكتب) وقد ذكر الشيخ المرصفى هذه الرواية وأنها الصواب ، وأن ماهنا خطأ من الناسخ ، وما أرى هذا إلا تحكما فى الترجيح والتصحيح بغير برهان !

لِهَمٍّ مّا أزالُ له قَـــرِينًا ... كأنّ القلبَ أُبْطِنَ حَرَّ جَمْرِ
على بَـكْرٍ أخِي فارَقْتُ بَـكْرًا ... وأيُّ العَيْشِ يَصْلُحُ بَعْدَ بَـكْرِ ؟ !

فقال لى أعِدْ يا صامُ(١) ! ففعلتُ ، فقال لى : مَنْ يقولُ هذا الشعرَ ؟ فقلتُ : هذا يقولُه عُرْوةُ بن أُذَيْنَةَ يرثى أخاهُ بَكْرًا ، فقال لى الوليدُ :

* « وأيُّ العَيْشِ يَصْلُحُ بَعْدَ بَـكْرِ » *

هذا العيشُ الذى نحنُ فيه ، واللهِ قد تحَجَّرَ واسِعًا على رَغْمِ أنْفِهِ ! !

وحُدِّثْتُ أن سُكَيْنَةَ بنتَ الحسين أُنْشِدَتْ هذا الشعرَ ، فقالت : ومَنْ بَـكْرٌ ؟ فوُصِفَ لها ، فقالت أذاكَ الأُسَيِّدُ(٢) الذى كان يَمُرُّ بنا ؟ واللهِ لقد طابَ كلُّ شىءٍ بعدَ ذالكَ(٣) ، حتى الخبزُ والزيتُ ! !

وَرَوى أصحابُنا : أن يزيدَ بنَ عبد الملِكِ ، وأمُّهُ عاتِـكَةُ بنتُ يزيدَ بن معاويةَ ، وإليها كان يُنْسَبُ ـ قال يومًا : يقالُ : إن الدنيا لم تَصْفُ لأحدٍ قطُّ يومًا ، فإذا خَلَوْتُ يومى هذا فاطْوُوا عنّى الأخبار ، ودَعُونى ولَذَّتى وما خَلَوْتُ له ، ثم دعا بحَبَابَةَ(٤) ، فقال : اسْقِينِى وغَنِّينِى ، فَخَلَوَا فى أطيب عَيْشٍ ، فتناولتْ حَبَابَةُ حَبّةَ رُمّانٍ ، فوضعتها فى فيها ، فَغَصّتْ بها فماتتْ ، فَجَزِعَ يزيدُ جَزَعًا أذْهَلَهُ ومَنَعَ من دَفْنِهَا ، حتى قال له مشايخُ [قُرَيْشٍ و](٥) بنى أُمَيَّةَ :

---

(١) فى ج و س وحاشية د « ياخالدَ صامَ » .
(٢) « الأسيد » تصغير « الأسود » وفى س « الأسود » .
(٣) فى ج و س و د و هـ « بعده » .
(٤) « حبابة » بفتح الحاء وتخفيف الباء الموحدة وبعد الألف موحدة أخرى مفتوحة ، وهى جارية له سماها هذا الاسم ، وكان اسمها « العالية » .
(٥) الزيادة من هـ .

إن هذا عيبٌ لا يُستقالُ ، وإنما هذه جيفةٌ[١] ! فأذِنَ في دفنها ، وتَبِعَ جنازتَها ، فلمّا وارَاها قال : أمسَيْتُ والله فيكَ كما قال كُثيِّرٌ :

فإن تَسْلُ عنكَ النفسُ أو تَدَعِ الهوَى ... فباليأسِ تَسْلُو عنكَ لا بالتَّجلُّدِ[٢]

وكلُّ خليلٍ رَآءَنِي فهو قائلٌ ... مِنَ اَجْلِكَ : هذا هامَةُ اليومِ أو غَدِ

فَمُذْ [ما][٣] بينَهما خمسةَ عشرَ يوماً .

وقوله « رَآءَنِي » يريد « رَآنِي » ولكنه قَلَبَ ؛ فأخَّرَ الهمزةَ ، ونظيرُ هذا من الكلامِ [قولُهم][٤] « قِسِيٌّ » في جمعِ « قَوْسٍ » وإنما الأصلُ « قُؤُوسٌ » و [لكنْ][٥] لمّا أخَّرَ الواوَيْنِ أبْدَلَ منهما ياءَيْنِ ، كما يجب في الجمعِ ، تقولُ « دَلْوٌ ودُلِيٌّ » و « عاتٍ وعُتِيٌّ » وإن شئتَ قلتَ « عِتِيٌّ » و « دِلِيٌّ » من أجل الياء ، فإن كان « فُعُولٌ » لواحدٍ قلتَ « عُتُوٌّ[٦] » ويجوز القلبُ ، والوجهُ في الواحدِ إثباتُ الواوِ ، كما تقولُ « مَغْزُوٌّ » و « مَدْعُوٌّ » ويجوز « مَغْزِيٌّ » و « مَدْعِيٌّ » وفي القرآنِ ﴿ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيراً[٧] ﴾ وقال : ﴿ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمٰنِ عُتِيّاً[٨] ﴾ وقال : ﴿ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً

---

(١) في د « وإنما تَحْبِسُ جِيفَةً » .

(٢) في ج و د « الصِّبَا » بدل « الهوى » . وفيهما أيضا « تَسْلُو النَّفْسُ » بدل « تسلو عنك » .

(٣) الزيادة من د .

(٤) الزيادة من ج و س و هـ .

(٥) الزيادة من هـ وفي ج و س « ولكنه » .

(٦) قال المرصفي : « يريد فان كان فعول مصدراً . وعن بعضهم : فعول إذا كانت جمعا لحقها القلب ، وإذا كانت مصدراً لحقها التصحيح ، لأن الجمع أثقل عندهم من الواحد » .

(٧) سورة الفرقان (٢١) .

(٨) سورة مريم (٦٩) وقوله « عتيا » ضبط في طبعة أوربة تبعا للنسخ المخطوطة بضم العين فقط ،

مَرْضِيَّةً[(١)] والأصلُ « مَرْضُوَّةٌ » لأنه من الواو ، من « الرضوان » . ومن القلبِ قولُهم « طَأْمَنَ » ثم قالُوا « اطْمَأَنَّ » فأخَّرُوا الهمزةَ وقدَّمُوا الميمَ ، ومثلُ هذا كثيرٌ جدًّا .

وقولُه « هذا هامَةُ اليومِ أوْغَدٍ » يقول : ميِّتٌ في يومه أوفي غَدِهِ ، يقالُ : إنما فلانٌ « هامة » أي : يَصِيرُ في قبره ، وأصلُ ذلك شيءٌ كانت العربُ تقوله ، قد مَضَى تفسيرُه .

وحدثني عبدُ الصمد بنُ المُعَذَّلِ قال : سمعتُ إسحٰقَ بنَ إبرٰهيمَ المَوْصِلِيَّ يحدِّثُ قالَ : حَجَجْتُ مع أميرِ المؤمنين الرشيدِ ، فلمَّا قَفَلْنَا فنزلنا المدينةَ آخَيْتُ بها رجلاً كانَ[(٢)] له سِنٌّ ومعرفةٌ وأدَبٌ ، فكان يُمْتِعُني ، فإنِّي ذاتَ ليلةٍ في منزلي إذا[(٣)] أنا بصوته يَسْتَأْذِنُ عليَّ ، فظننتُ أمرًا قد فَدَحَهُ ففَزِعَ فيه إليَّ ، فأسرعتُ نحوَ البابِ ، فقلتُ : ماجاء بك ؟ فقال : إذَنْ أُخبِرَكَ ، دعاني صديقٌ لي إلى طعامٍ عتيدٍ[(٤)] ، وشرابٍ قد الْتَقَى طَرَفاهُ[(٥)] ، وشِواءٍ رَشْرَاشٍ[(٦)] ، وحديثٍ مُمْتِعٍ ، وغِناءٍ مُطْرِبٍ[(٧)] فأجبتُه ، وأقمتُ معه[(٨)] إلى

وزدنا عليه ضبطه بكسرها ، والكسر قراءة حمزة والكسائي وحفص ، والضم قراءة باقي السبعة .

(١) سورة الفجر (٢٨) .

(٢) في ع و س و د « كانت » .

(٣) في ع « إذ » .

(٤) « عتيد » أي معدّ حاضر .

(٥) قال المرصفي : « عبارة في معنى الجودة والصفاء » .

(٦) في اللسان : « وشِواءٌ مُرِشٌّ ورَشْرَاشٌ : خَضِلٌ نَدٍ ، يَقْطُرُ ماؤُه ، وقيل : يقطرُ دَسَمُهُ » .

(٧) في ع « مُطَرِّبٌ » .

(٨) في د « وأقمت عنده » .

هذا الوقتِ ، فأخذتْ منى حُمَيَّا الكأسِ مأخَذَها ، ثم غَنَّيتُ بقولِ نُصَيْبٍ :

بزينبَ أَلْمِمْ قبلَ أن يَرْحَلَ الرَّكْبُ   وقُلْ : إنْ تَمَلِّينا فَما مَلَّكِ القَلْبُ[1]

فكدتُ أطيرُ طَرَبًا ، ثم وجدتُ فى الطربِ نَقْصًا إذْ لم يكن معى مَنْ يفْهَمُ هذا كما فهمتُه ، ففَزِعْتُ إليك لِأَصِفَ لك هذه الحالَ ، ثم أرْجِعَ إلى صاحِبِي ، وضَرَبَ نَعْلَيْهِ[2] مُوَلِّيًا عَنّى ! فقلتُ : قِفْ أُكَلِّمْكَ . فقال : ما بِى إلى الوقوفِ إليكَ[3] من حاجةٍ .

وحدثنى غيرُ واحدٍ من أصحابنا عن أبى زيدٍ سَعيدِ بن أوْسٍ الأنصارىّ[4] يُسْنِدُه[5] ، قال : كانت وَلِيمَةٌ فى أَخْوالِنا ، وهم حَيٌّ يقال لهم بَنُو نُبَيْطٍ ، من

---

(١) فى ج و س و د « قبلَ أن يَظعَنَ » .

(٢) فى ج و س و هـ « وضَرَبَ بَغْلَتَهُ » ، وفى د « وصَرَفَ بغلتَه » ولعلهما أجود مما فى المتن .

(٣) فى ج و س و د « عليك » بدل « إليك » .

(٤) هو أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت بن بشير بن أبى زيد الأنصارى البصرى ، إمام اللغة والأدب والنحو ، أخذ عن عوف الأعرابى وأبى عمرو بن العلاء ورؤبة بن العجاج وسعيد بن أبى عروبة وابن عون وابن جريج وغيرهم ، ومن تلاميذه أبو عبيد القاسم بن سلام وأبو حاتم السجستانى وأبو حاتم الرازى والعباس بن الفرج الرياشى وأبو عثمان المازنى ، وغيرهم . قال المبرد : كان أبو زيد أعلم الثلاثة بالنحو ، يعنيه والأصمعى وأبا عبيدة . مات سنة ٢١٥ وله ٩٣ سنة . وهو مؤلف كتاب (النوادر فى اللغة) المطبوع فى بيروت سنة ١٨٩٤ .

(٥) قال المرصفى : « كان الصواب أن يذكر من أسند إليه هذا الحديث ، كما نبه عليه غيره ، يقول : يسنده إلى أبى زيد خارجة بن زيد بن أبى زهير الخزرجى ، حتى لايتوهم من قوله الآتى : قال أبو زيد : أنه سعيد بن أوس الأنصارى . وخارجة هذا صحابى قتل يوم أحد ، وشهد ابنه زيد يوم بدر . هذا وقد روى هــذا الحديث الأصبهانى فى أغانيه ، يسنده إلى عبد الرحمن بن أبى الزناد عن أبيه قال : سمعت خارجة بن زيد يقول : دعينا إلى مأدبة فى آل نبيط ، إلى آخر الحديث » .

الأنصار ، قال : فحضَرَ الناسُ ، وجاء حسَّانُ بن ثابتٍ وقد ذهب بصرُه ، ومعه ابنُه عبدُ الرحمن يقودُهُ ، فلما وُضِعَ الطعامُ وَجِيء بالثَّريدِ قالَ[1] حسانُ لابنِه : يا بُنَيَّ ! أَطعامُ يَدٍ أم طعامُ يَدَيْنِ ؟ فقال : بل[2] طعامُ يدٍ ، فأَكَلَ ، ثم جِيء بالشِّواء ، فقالَ : [يا بُنَيَّ !][3] أطعامُ يدٍ أم طعامُ يدَيْنِ ؟ فقال : طعامُ[4] يدين ، فأمسك ، وفى المجلس قَيْنَتانِ تُغَنِّيانِ بشعر حسانَ [بن ثابتٍ][5] :

انظُرْ خَليلِي بِبابِ جِلِّقَ هَلْ تُؤْنِسُ دُونَ البَلْقَاء مِنْ أَحَدِ ؟[6]

قالَ : وحسَّانُ يبكي ، يذكر ما كان فيه من صحة البصر والشباب[7] ، وعبدُ الرحمن يُومِئُ إليهما : أَنْ زِيدَا ، قال أبو زيدٍ : فَلَأَعْجَبَنى ماأعجبهُ من أن تُبْكِيَا أباهُ !

يقول [أبو زيدٍ] :[8] عَجِبْتُ ماالذى اشتَهَي من أنْ تُبْكِيَا أباهُ ؟ ! فقوله « أَعْجَبَنِي » أي : تَرَكَنى أَعْجَبُ ، ومثلُه قولُ ابْنُ قَيْسِ الرُّقَيَّاتِ :

أَلاَ هَزِئَتْ بنا قُرَشِيَّـــــةٌ يَهْتَزُّ مَوْكِبُها

---

(١) فى ع و س و د و هـ « فلما وضع الطعام جيء بالثريد فقال » .
(٢) فى هـ « فقال : يا أبة » .
(٣) الزيادة من هـ .
(٤) فى ع و س و د و هـ « قال : بل طعام » .
(٥) الزيادة من ع و س و هـ .
(٦) « جلق » بكسر الجيم وتشديد اللام المكسورة ، هى دمشق أو قرية من قراها . و « البلقاء » كورة من أعمال دمشق .
(٧) فى د « من صحة بصره وشبابه » .
(٨) الزيادة من ع و س و د .

رأتْ بِى شَيبةً فى الرّأْ سِ عَنِّى مَا أُغَيِّبُهَا[1]
فقالتْ : أبْنُ قَيْسٍ ذَا ؟ * وبعضُ الشَّيبِ يُعْجِبُهَا[2]

أى تتعجب منه .

وحدثنى عبدُ الصمدِ بنُ المُعَذَّلِ قالَ : كانَ خَليلانُ[3] الأُمَوِىُّ يتغنّى ، ويَرَى ذاكَ زائداً[4] فى الفُتُوَّةِ ، وكانَ خَليلانُ شريفاً وذا نِعمةٍ واسعةٍ ، [وَوَسَطاً فى عشيرته ، وكان له سِنٌّ[5]] ، فحضرَ يوماً منزلَ عُقْبةَ بْنِ سَلْمٍ الهُنَائىّ[6] ، وهو أميرُ البصرة ، وكان عاتياً جبّاراً ، فلما طَعِمَا وخَلَوَا نَظَرَ خليلانُ إلى عودٍ موضوعٍ فى جانب البيت ، فعَلِمَ أنه عُرِّضَ له به ، فأخذه فتغنّى :

يا ابنةَ الأزدىِّ قلبى كَئِيبُ مُسْتهامٌ عندَها مايَؤوبُ
ولقد لامُوا فقلتُ : دَعُونى إنّ مَنْ تَلْحَوْنَ فيهِ حَبيبُ

فجَعَلَ وجهُ عُقْبةَ يتغيّرُ ، وخليلانُ فى سَهْوٍ عمّا فيه عقبةُ ، يُرَى أنه مُحْسِنٌ ،

(١) فى ج و د « رأت لى » وفى هـ وحاشية ج « منى » بدل « عنى » .

(٢) فى ج و س و د « فقالت لِى : أبْنُ قيسٍ » والمراد الاستفهام ، وأصله « آبْن قيس » بالمدّ ، ثم حذفت الألف .

(٣) « خليلان » بفتح الخاء ، وفى ج و د « خليلان » بضمها بالتصغير ، وهو لقب ، كان يلقب به خليل بن عمرو مولى بنى عامر بن لؤىّ ، وكان يؤدب الصبيان ويعلم الجوارى الغناء فى موضع واحد ، كما قال المرصفى .

(٤) فى ج و س و د و هـ « ويرى أن ذلك زائد » .

(٥) الزيادة من هـ .

(٦) « الهنائى » بضم الهاء وتخفيف النون ، نسبة إلى هناءة بن مالك بن فهم الأزدى .

ثم فَطِنَ لتغيُّرِ وجهِ عُقبةَ[1] ، فعلم أنه [كارِهٌ][2] لِمَا تغنَّى[3] به ، فقطعَ الصَّوْتَ ، وجعلَ مكانه :

أَلاَ هَزِئَتْ بِنَا قرشِيَّـــةٌ يهتزُّ موكِبُهَا

فَسُرِّيَ عن عُقْبة ، فلما انقضى الصوتُ وضَعَ خليلانُ العودَ ، ووكَّدَ على نفسه الحَلِفَ أَلاَّ يغنِّيَ[4] عِنْدَ مَنْ يَجُوزُ أمْرُه عليه أبداً .

وحُدِّثْتُ : أن رجـــلاً تغَنَّى بحضرة الرشيد بشعرٍ مُدِحَ به عليُّ بْنُ رَيْطَةَ[5] ، وهو عليُّ بْنُ أميرِ المؤمنين المَهْديّ ، وتَغَنَّاهُ المُغَنِّي على جهلٍ ، وهو :

قُل لِعَلِيٍّ : أيافَتَى العَرَبِ وخيْرَ نَامٍ وخـــيرَ مُنْتَسِبِ
أَعْلاكَ جَـدَّاكَ ياعليُّ إذا قَصَّرَ جَدٌّ فى ذِرْوةِ الحَسَبِ[6]

ففتَّشَ عن المغنى فوجده لم يَدْرِ فيمن [قيل][7] الشِّعرُ ، فَبُحِثَ عن أول مَنْ تغنَّى فيه[8] ، فإذا هو عبدُ الرحيم الرَّقَّاصُ ، فأمر فضُرِبَ أربعمائة سوطٍ[9] .

(١) فى ج «لتغير» وفى ج و س و د و هـ «وجهه» .
(٢) الزيادة من ج .
(٣) لأنه تغنى فى شعر غزل فى امرأة من الأَزْد ، وعقبة الأمير منهم .
(٤) فى ج و س و د و هـ «يَتغنى» .
(٥) هى ريطة بنت أبى العباس السفاح ، نسب ابنها إليها .
(٦) فى ج و د «فى ذروة النسب» .
(٧) الزيادة من س .
(٨) فى ج و س و د هـ «تغنى به» .
(٩) إنما ضربه لأنه تغنى بشعر فيه تفضيل لأخيه علىٍّ ، بأنَّ أمه قرشية من بنى العباس ، وأم الرشيد الخيزران ، أم ولد .

وحُدِّثْتُ : أن معاويةَ [بْنَ أبي سفيانَ][1] استمعَ على يزيدَ ذاتَ ليلةٍ ، فسمع مِنْ عندِه غناءً أعجبه ، فلما أصبح قال ليزيد : مَنْ كان مُلْهِيكَ البارحةَ ؟ فقال له يزيد : ذاكَ سائبُ خاثرٍ[2] ، قال : إذًا فَأَخْثِرْ له من العطاء[3] .

وَحُدِّثْتُ : أن معاويةَ قال لعمرٍو [بنِ العاصِ][4] : أمْضِ بنا إلى هذا الذي قد تَشَاغَلَ باللهو وَسَعَى في هدم مُروءتِهِ ، حتى نَنْعَى عليه ، أي : نَعِيبَ عليه فعله ، يريدُ عبدَ الله بنَ جعفرِ بن أبي طالبٍ ، فدخلاَ إليه ، وعنده سائبُ خاثر ، وهو يُلْقِي على جَوارٍ لعبدِ الله ، فأمر عبدُالله بتنحيةِ الجوارِ ، لدخول معاوية ، وثبتَ سائِبُ [خاثرٍ][5] مكانَه ، وَتَنَحَّى عبدُ الله عن سريره لمعاوية ، فرفَع معاويةُ عمراً فأجلسه إلى جانبه ، ثم قال لعبد الله : أَعِدْ [إلينا][6] ما كنتَ فيه ، فأمر بالكَراسيِّ فَأُلْقِيَتْ وأُخْرِجَ الجَوَارِي[7] ، فتغنَّى سائِبٌ بقولِ قَيْسِ بْنِ الخَطِيمِ :

دِيارُ التي كادَتْ ونحنُ عَلَى مِنًى تَحُلُّ بِنَا لولاَ نَجاءُ الرَّكائِبِ[8]

---

(١) الزيادة من ج و س و د .

(٢) « سائب خاثر » بالاضافة ، وهو مولى بنى ليث ، ويقال إن عبد الله بن جعفر اشتراه فأعتقه ، قاله المرصفى .

(٣) قال المرصفى : « مِنْ أخثرَ الزُّبدَ إذا تركه خاثراً ، أى غليظا ، لم يُذِبْهُ » .

(٤) الزيادة من د و هـ .

(٥) الزيادة من ج و د .

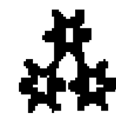
(٦) الزيادة من هـ .

(٧) ف ج و د « وَأَخرَجَ الجوارِيَ » .

(٨) « تحل بنا » قال المرصفى : « تجعلنا نَحُلُّ ، تقول : حَلَّ به : جعله يَحُلُّ ، كأحلَّه المكانَ ، وأحله به ، عاقبت الباء فيه الهمزة » .

ومثلِكِ قد أصْبَيْتُ ليست بكَنَّةٍ ... ولا جَارَةٍ وَلاَ حَليلَةِ صاحِبِ[1]

ورَدَّدَهُ الجوارِي عليه ، فحرَّكَ معاويةُ يديه وتحرَّكَ في مجلسه ، ثم مَدَّ رجليه فَجَعل يضربُ بهما وجهَ السريرِ ! فقال له عمرٌو : اتَّئِدْ ياأميرَ المؤمنين ، فإن الذي جئتَ لِتَلْحاهُ أحسنُ منكَ حالاً وأقلُّ حركةً ! فقال [له[2]] معاويةُ : اسكُتْ لاأبَالك ! فإن كلَّ كريمٍ طَرُوبٌ .



وحُدِّثتُ مِن غيرِ وجهٍ : أن سفيانَ بن عُيَيْنَةَ[3] قال لجلسائه يومًا : إنِّى أرَى جارَنا هذا السَّهْمِيَّ قد أثْرَى وَانْفَسَحَتْ له نِعمةٌ[4] ، وصار ذا جاهٍ عند الأمراء ، ووافداً إلى الخلفاء ، فَمِمَّ ذاكَ ؟ يَعني يحيى بنَ جَامِعٍ[5] ، فقال له جلساؤه : إنه يَصِيرُ إلى الخليفة فيتغنَّى له ، فقال سفيانُ : فيقولُ ماذا ؟ فقال أحدُ جُلَسائه : [إنه[6]] يقول :

---

(١) « الكنة » بفتح الكاف وتشديد النون — : امرأة الابن أو الأخ . وضبطت فى بعض النسخ بكسر الكاف ، وهو خطأ .

(٢) الزيادة من ع .

(٣) هو إمام أهل مكة ، قال الشافعي : « مالك وسفيان القرينان » وهو شيخ الشافعي وأحمد بن حنبل والأئمة فى عصرهما . وقال أحمد : « مارأيت أحداً من الفقهاء أعلم بالقرآن والسنن منه » ولد سنة ١٠٧ ومات بمكة سنة ١٩٨ .

(٤) فى ع و س و د و ه « النعمة » .

(٥) هذا غلط من بعض الرواة ، وصوابه « إسمعيل بن جامع » كما قال المرصفى ، وقال : « كان مع غنائه أحفظ خلق الله لكتاب الله ، وأعلمه بما يحتاج إليه ، وكان حسن السمت كثير الصلاة ، قد أخذ السجود من جبهته » . وله ترجمة فى الأغانى (ج ٦ ص ٦٥ — ٨٢ ساسى)

(٦) الزيادة من د .

أطُوفُ نهارِى معَ الطائفينَ وأرْفعُ مِن مِئزَرِى المُسْبَلِ

فقال سفيانُ : ماأحسنَ [واللهِ[1]] ماقال ! فقال الرجلُ : [ويقولُ[2]] :

وأسْهرُ ليْـلِى معَ العاكِفينَ وأتْـلُو مِنَ المُحْـكَمِ المُنْزَلِ

[فـ[3]] قال : حَسَنٌ واللهِ جميلٌ ، قال : إنَّ بعدَ هذا[4] شيأً ، قال سفيانُ : وماهو ؟ قال :

عَسَى فارِجُ الكَرْبِ عن يوسُفٍ يُسَخِّرُ لى رَبَّةَ المِحْمَلِ[5]

فَزَوَى سفيانُ وجهَهُ ، وأومأَ بيدِهِ أنْ كُفَّ ، وقال : حلالاً حلالاً !!

ولَقِىَ ابنُ أبْجَرَ[6] عَطَاءَ بنَ أبِى رباحٍ وهو يطوفُ ، فقال : اسمعْ صوتاً للغَرِيضِ ! فقال له عَطاء : ياخَبيثُ ! أفى [مثلِ[7]] هذا الموضِعِ ؟ ! فقال ابن أبْجَرَ : ورَبِّ هذه البَنِيَّةِ لَتَسْمَعَنَّه خُفْيَةً أو لأُشيدَنَّ به ! فوقف له فتغَنَّى :

عُوجِى علينا رَبَّةَ الهَوْدَجِ إنَّكِ إن لاَّ تَفْعَلِى تَحْرَجِى[8]

---

(١) الزيادة من ع و س و هـ .

(٢) الزيادة من د ، و فى هـ بدلا منها « أيضا » .

(٣) الزيادة من ع و س و د و هـ .

(٤) فى هـ « إن بعدها » .

(٥) فى هـ وحاشية ا « زربة المنزل » .

(٦) وهذا أيضا خطأ من بعض الرواة ، صوابه « الأبجر » وهو لقب غلب عليه ، واسمه « عبيدالله » وقيل « محمد بن القاسم » ويكنى «أبا طالب» وله ترجمة فى الأغانى (ج ٣ ص ١١١ — ١١٤) والقصة فيه مع بعض المغايرة ، والغناء فى هذه الأبيات مذكور فيه أيضا (ج ٢ ص ١٢٧ — ١٢٨) .

(٧) الزيادة من س .

(٨) « تحرجى » بفتح الراء ، من « الحرج » بفتحها أيضاً ، وهو الإثم .

أَنَّى أُتِيحَتْ لِى يَمَانِيَةٌ ... إِحْدَى بَنِى الحٰرِثِ مِن مَذْحِجِ
نَلْبَثُ حَوْلاً كاملاً كُلَّهُ ... لا نَلْتَقِى إِلاَّ عَلَى مَنْهَجِ
فى الحجّ إن حَجَّتْ، وماذا مِنًى ... وأَهْلُهُ إِنْ هِىَ لم تَحْجُجِ ؟!

فقال له عطاء : الكثيرُ الطَّيِّبُ ياخبيثُ !!

وسمعَ سليمانُ بن عبد الملك مُتَغَنِّيًا فى عسكره ، فقال : اطْلُبوه ، فجاؤا به ، فقال : أَعِدْ ما تغنيتَ ، فتغنّى واحْتَفَلَ ، وكان سليمانُ مُفْرِطَ الغَيْرَةِ ، فقال لأصحابه: والله لَكأَنَّها جَرْجَرَةُ الفَحْلِ فى الشَّوْلِ[1]، وما أَحْسِبُ أُنْثَى تسمعُ هذا إلاَّ صَبَتْ ، ثم أَمرَ بِهِ فخُصِىَ !

وحُدِّثْتُ : أن الفرزدقَ قَدِمَ المدينةَ فنزل على الأحوصِ بن محمد بن عبد الله بن عاصم بن ثابت بن أبى الأَقْلَحِ ، فقال له الأحوصُ: أَلاَ أُسْمِعُكَ غِناءً من غِناءِ القُرَى ؟ فأَتاه بمُغَنٍّ[2] فجعل يُغَنِّيه ، فكان مما غنّاه :

أَتَنْسَى إِذْ تُوَدِّعُنا سُلَيْمَى ... بِفَرْعِ بَشَامَةٍ سُقِىَ البَشَامُ[3]

(١) « الجرجرة » تردّد هدير الفحل ، وهو صوت يردده البعير فى حنجرته . و « الشول » بفتح الشين وسكون الواو ، جمع « شائلة » وهى من الابل التى أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فخف لبنها ، ويقال لها « الشائل » أيضاً . والمراد هنا التى وضعت حملها ونقص لبنها ، فتشول بذنبها طالبا للفحل واللقاح .

(٢) فى ع و د « بمغنى » باثبات الياء ، وهو جائز ، وإن ظن كثيرون أنه خطأ .

(٣) بحاشية ع مانصه « أَتَذْكُرُ حِينَ تَصْقُلُ عارِضَيْها . هكذا جاء فى نوادر أبى علىّ » يريد كتاب الأمالى والنوادر لأبى علىّ القالى ، وهو فيه (ج ١ ص ١٢٠ طبعة دار الكتب) ولكن فيه « بعود » بدل « بفرع » وذكر فى لسان العرب (مادة ب س م) الشطر الأول كما فى الأمالى ، والثانى كما هنا ، ثم قال : « وصدر هذا البيت فى التهذيب : أتذكر إذ تودعنا سليمى» . والرواية فى ديوان جرير كرواية المبرد هنا (ص ٥١٢) . و « البشام » شجر طيب الريح والطعم يستاك به . قال فى اللسان شرحاً للبيت : « يعنى : أنها أشارت بسواكها ، فكان ذلك وداعها ، ولم تتكلم خيفة الرقباء » .

ولو وَجَدَ الحَمامُ كما وَجَدْنا ... بِسُلْمانَيْنِ لَاكْتَأَبَ الحَمامُ[1]

فقال الفرزدق ، لِمَنْ هذا [الشعر[2]] ؟ فقالوا : لجرير ، ثم غنّاه :

أَسْرَى لِخَالِدَةَ الخيالُ ولا أرَى ... شيأً أَلَذَّ مِنَ الخَيالِ الطّارِقِ

إنَّ البَلِيَّةَ مَنْ تَمَلُّ حديثَه ... فانْقَعْ فُؤَادَكَ من حديثِ الوامِقِ[3]

فقال : لمن هذا [الشعر[4]] ؟ فقيل : لجرير ، ثم غنّاه :

إنَّ الذين غَدَوْا بِلُبِّكَ غادَرُوا ... وَشَلاً بِعَيْنِكَ ما يَزالُ مَعِينا[5]

غَيَّضْنَ مِنْ عَبَرَاتِهِنَّ وَقُلْنَ لِي ... ماذَا لَقِيتَ من الهَوَى ولَقِينا ؟

فقال : لمن هذا [الشعر[4]] ؟ فقالوا : لجرير ، فقال الفرزدقُ : ما أَحْوَجَهُ مع عَفافِهِ إلى خُشونةِ شِعْرِي ، وأَحْوَجَنِي مع فُسُوقِي إلى رِقَّةِ شِعرِه !!

---

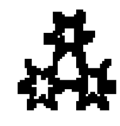
(١) قال المرصفى : « سلمانين ، بضم فسكون ، يروى بلفظ التثنية ، وبلفظ جمع السلامة ، فمن رواه بلفظ التثنية قال : إنهما واديان فى جبل لغنىّ ، يقال له سواج ، ومن رواه بلفظ الجمع قال : هو واد يصب على الدهناء شمالى حفر الرباب بناحية اليمامة . ذكر ذلك كله ياقوت فى معجمه » . وفى ياقوت أيضاً « لم نسمع فيه إلاّ سلمانين ، بلفظ النصب والجرّ » وقد ضبط فى ج بفتح السين ، وفى سائر نسخ الكامل بضمها ، وفى ياقوت أيضاً عقب المادة التى بالضم أخرى بالفتح ، وقال : « بفتح أوله وسائره كالذى أمامه ، من قرى مرو » . ولذلك ضبطنا الكلمة هنا بكل الأوجه : بالفتح والضم ، وبلفظى التثنية والجمع .

(٢) الزيادة من ج و س و د و هـ .

(٣) « النَّقْعُ » الرِّىُّ ، يقال « نَقَع من الماء وبه يَنْقَعُ نقوعاً : رَوِىَ » وقيل للماء « نَقْعٌ » لأنه يُنْقَعُ بِهِ العطشُ ، أى يُرْوَى . و « الوامق » المحبّ ، وضع الوامق موضع الوموق ؟ أى المحبوب . وهذا كله مقتبس من اللسان فى المادتين . وقد نسب هذا البيت فى مادة (و م ق) لجابر ، وهو خطأ من الناسخ أو الطابع ، فإن البيت بيت جرير .

(٤) الزيادة من د .

(٥) فى ا و هـ و س « لايزال » . و « غادروا » أى تركوا . و « الوشل » بتحريك الشين الماء القليل ، وقيل : الكثير ، قال فى اللسان : « وكذلك الوشل من الدمع ، يكون القليل والكثير ، وبالكثير فسر بعضهم قوله » ثم ذكر البيت . و « المعين » المستنبط من العين لا تنقطع مادته .



وقال الأحوصُ يوماً لِمَعْبَدٍ : امضِ بِنَا إلى عَقِيلَةَ[1] حتى نتحدَّثَ إليها ، ونسمعَ من غِنائها وغِناء جواريها ، فمضيا ، فألفيَا على بابها مُعاذًا الأنصاريَّ ثم الزُّرَقيَّ وابنَ صائدٍ النَّجَّارِيَّ[2] ، فاستأذَنُوا عليها جميعاً ، فأذِنتْ لهم إلاَّ الأحوصَ ، فإنها قالت : نحن غِضابٌ على الأحوصِ[3]، فانصرفَ الأحوصُ وهو يَلُومُ أصحابَه على استبدادِهم ، فقال :

صَدَّتْ عَقيلةُ لمَّا جئتُ بالزادِ ... وآثرَتْ حاجةَ الثَّاوِى على الغَادِي
فقلتُ : واللهِ لولا أن تقولَ له ... قد باح بالسِّرِّ أعدائى وحُسَّادِي
قلنا لمنزِلها : حُيِّيتَ مِن طَلَلٍ ... وللعَقِيقِ : ألاَ حُيِّيتَ من وَادِي
إنِّى جعلتُ نَصِيبِى من مَوَدَّتها ... لِمَعْبدٍ ومُعاذٍ وابنِ صَيَّادِ
لأبنِ اللَّعِينِ الذى يُخْبَأ الدُّخَانُ له ... وللمغَنِّى رسولِ الزُّورِ قَوَّادِي[4]
أمَّا مَعاذٌ فإنِّى لستُ ذَاكِرَهُ ... كذاكَ أجدادُهُ كانوا لأجدادِي[5]

---

(١) قيل إنها امرأة من ولد عقيل بن أبي طالب ، وقيل إنها سكينة بنت الحسين عليهما السلام ، كنى عنها بعقيلة ، وللأحوص معها أخبار . انظر الأغانى (ج ٤ ص ٢٦١ طبعة دار الكتب)

(٢) بنو زريق — بالتصغير — وبنو النجار : كلاهما من الخزرج من الأنصار .

(٣) فى د « نحن عليه غضاب » وفى ج و س « نحن على الأحوص غضاب » .

(٤) يريد بابن اللعين ابن صياد ، ويظهر أنه من ولد عبد الله بن صياد الذى كان غلاما على عهد النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وقد أرجف الناس إذ ذاك بأنه الدجال ، ثم اختبره النبيّ فخبأله الدخان وسأله عنه ، فأجاب بأنه الدخ ، فقال له النبيّ : اخسأ فلن تعدو قدرك ، وأراد عمر قتله ، فقال له رسول الله : « إن يكن هو فلن تسلط عليه ، وإن يكن غيره فلا خير لك فى قتله » . وقصته معروفة فى الصحيحين وغيرهما ، وانظر الاصابة (ج ٥ ص ١٣٦ — ١٣٧) .

(٥) فى ج و س « فانى لست أذكره » وفى ه « أكرهه » وفيها أيضاً « أجداده أشباه أجدادى » .

قال الزُّبيرىُّ : وكان مُعاذٌ جَلْدًا ، فخافَ الأحوصُ أن يضربَه ، فحلف مَعْبَدٌ أن لاَّ يكلمَ الأحوصَ ولايتغنَّى فى شعره ، فشقَّ ذلك على الأحوص ، فلما طالتْ هِجْرتُهُ إياه رَحَلَ نَجِيبًا له وجعلَ طِلاءً[1] فى مِذْرَعٍ [و « المِذْرَعُ » زِقٌّ سُلِخَ حين سُلِخَ مما يلى الذِّرَاعَ[2]] فى حقيبة رَحْلِهِ ، وأَعَدَّ دنانيرَ ، ومضَى نحوَ معبدٍ فأناخَ ببابه ، ومعبدٌ جالسٌ بفنائه ، فنزل إليه الأحوص فكلَّمه ، فلم يكلمه معبدٌ ، فقال : يا أبا عَبَّادٍ ! أتهجُرُنى ؟! فخرجت إليه امرأتُهُ[3] أمُّ كَرْدَمٍ ، فقالت : أتهجرُ أبا محمدٍ ؟! واللهِ لَتُكَلِّمَنَّهُ ، قال : فاحتملَهُ الأحوصُ فأدخله البيتَ ، وقال : واللهِ لارِمْتُ[4] هذا البيتَ حتَّى آكُلَ الشِّوَاء وأشربَ الطِّلاء وأسمعَ الغِنَاء ، فقال له معبدٌ : قد أَخْزَى اللهُ الأَبْعَدَ ! هذا الشِّواء [قد[5]] أكَلْتَهُ ، والغناء [قد[5]] سمعتَه ، فأنَّى لكَ بالطِّلاء ؟! قال : قُمْ إلى ذلك المِذْرَعِ ففيه طلاءٌ[6] ومعه دنانيرُ ، فأَصْلِحْ بها ماتُريدُ[7] من أمرنا ، ففعل كلَّ ماقال ، فقالت أمُّ كَرْدَمٍ لمعبدٍ : أَتَهْجُرُ مَنْ إنْ زارنا أَغْدَرَ فينا فَضْلاً ونَيْلاً[8] ، وإن فارَقَنا خَلَّفَ فينا عَقْلاً ونُبْلاً ؟!

---

(١) « الطلاء » بكسر الطاء ممدود : شراب يطبخ من عصير العنب حتى يذهب ثلثاه .

(٢) الزيادة من حاشية ج .

(٣) فى ج و س « مَرَتُهُ » وهى لغة صحيحة جائزة .

(٤) « لا رمت » أى : لا برحت ، يقال « رَامَ يرِيمُ » إذا برح .

(٥) الزيادة فى الموضعين من د .

(٦) فى ج و س و د و هـ « الطلاء » .

(٧) « نريد » بالنون ، وفى ج و س و د و هـ « تريد » بالتاء .

(٨) « أغدر » أى ترك وأبقى ، و « النيل » بفتح النون وسكون الياء التحتية معروف ، وكذلك هو فى أصول الكتاب ، وأغرب الشيخ المرصفى فجعله « نبلا » بالباء الموحدة ،

فانصرفَ الأحوصُ مع العصرِ ، فمرّ بين الدارَيْنِ وهو يَميلُ بين شُعْبَتَيْ رَحْلِهِ .

⁂

وحُدِّثْتُ : أن سعدَ بن مُصْعَبِ بن الزُّبير اتُّهِمَ بامرأةٍ فى ليلة مَناحةٍ أو عُرْسٍ ، وكانت تحتَه ابنةُ حمزةَ بن عبد الله بن الزبير ، فقال الأحوصُ ، وكان بالمدينةِ رجلٌ يقال له « سَعْدُ النَّارِ » — :

ليس بسَعْدِ النَّارِ مَنْ تَذْكرونَه ولكنَّ سَعْدَ النارِ سَعْدُ بن مُصْعَبِ
ألم تَرَ أنَّ القومَ ليلةَ جَمْعِهم بَغَوْهُ فألْفَوْهُ لَدَى شَرِّ مَرْكَبِ
فما يَبْتَغِي بالشَّرِّ لادَرَّ دَرُّهُ وفى بَيْتِهِ مِثْلُ الغزالِ المُرَبَّبِ

فأمر سعدُ بن مصعبٍ بطعامٍ فَصُنِعَ ، ثم حُمِلَ إلى قِبابِ العربِ ، وقال للأحوصِ ، وكان له صديقاً : تعالَ نَمْضِ فنُصيبُ منه[1] ، فلما خَلاَ به أمَرَ به فأُوثِقَ ، وأرادَ ضَرْبَه ، فقال له الأحوصُ : دَعْنِي ، فلا واللهِ لاأهْجُو زُبَيْرِيًّا أبداً ، فَحَلَّهُ ، ثم قال . إنى والله ماأَلُمْتُكَ على مَزْحِكَ ، ولكنِّي أنكرتُ قولَكَ :

* وفى بيتِهِ مثلُ الغَزَالِ المُرَبَّبِ *

⁂

وحُدِّثْتُ[2] : أن ابنَ أبى عَتيقٍ ذُكِرَ له أن المُخَنَّثين بالمدينةِ خُصُوا ،

وشرحه بأنه مصدر « نبله بالطعام ينبله » بمعنى علله به وناوله الشىء بعد الشىء !! ولعل الذى ألجأه إلى هذا أنه أراد أن يكلف الكلام الجناس التام .

(١) هكذا ضبط الفعلان بالرفع فى طبعة أوربة نقلا عن أصول الكتاب ، وهو صحيح .

(٢) فى د « وذُكِرَ لى » .

وأنه خُصِىَ الدّلاَلُ فيهم ، فقال : إنَّا لله ، أَمَا واللهِ لئن فُعِلَ ذلك بهِ لقد كان يُحْسِنُ :

لِمَنْ رَبْعٌ بذات الجَيْـ * ـشِ أمْسَى دَارِساً خَلَقَا

ثم استقبلَ ابنُ أبى عَتيقٍ القبلةَ يصلّى، فلما كبّرَ سلّمَ ، ثم التفتَ إلى أصحابهِ ، فقال : اللهم إنهُ كان يُحْسِنُ خفيفَهُ ، فأمّا ثقيلهُ فلاَ ، الله أكبرُ !!

☼

وحُدِّثتُ : أن مَدَنِيًّا [1] كان يصلِّى مُذْ[2] طلعتِ الشمسُ إلى أن قاربَ النهارُ أن ينْتَصِفَ ، ومِن ورائهِ رجلٌ يتغنَّى وهما فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا رجلٌ من الشُّرَطِ قد قبَضَ على المغنِّى[3] ، فقال: أَتَرْفَعُ عَقِيرَتَكَ بالغِناء فى مسجدِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فأخذَهُ ، فانفتَلَ المدنىُّ[4] من صلاتهِ ، فلم يَزَلْ يطْلُبُ إليه فيه حتى استنقذَهُ ، ثم أقبلَ عليه فقال : أتدرى لِمَ شفَعْتُ فيك ؟ قال : لا ، ولكن[5] إخالُكَ رحمتَنى ، قال : إذًا فلا رحمنى اللهُ ! قال . فأحسِبُكَ عرفتَ قَرَابةً بيننا ؟ قال: إذًا فقطَعَهَا الله ! قال: فَلِيَدٍ تقَدَّمتْ منِّى إليك ؟ قال : لا والله ، ولا عرَفتُكَ قبلها ، قال: فَخَبِّرْنِى[6] ؟ قال : لأنى سمعتُكَ غنّيْتَ آنفاً فأقمتَ وَاوَاتِ مَعْبدٍ ، أمَا واللهِ لو أسأتَ التأديةَ لكنتُ أحدَ الأعوانِ عليكَ !

---

(١) فى ا و د « مَدِينِيًّا » وفى ج « مِدِينِيًّا » بكسر الميم .

(٢) فى ج و س و هـ « منذ » .

(٣) فى ج و س و د و هـ « على الرجل » .

(٤) فى ج و هـ « المدينى » .

(٥) فى ج و س و د و هـ « ولكنّى » .

(٦) فى ج و س و د « تُخْبِرُنِى » .

والصوتُ الذى يُنْسَبُ إلى واواتِ معبدٍ شعرُ الأَعْشَى الذى يعاتبُ فيه يَزِيدَ بن مُسْهِرٍ الشَّيْبَانِىَّ ، وهو قولُه :

هُرَيْرَةَ وَدِّعْهَا وَإن لَامَ لائمُ غَداةَ غَدٍ أمْ أنتَ للبَيْنِ وَاجِمُ[1]

لقد كان فى حَوْلٍ ثَوَاءٍ ثَوَيْتُهُ تُقَضِّى لُبَانَاتٍ وَيَسْأَمُ سائمُ[2]

قوله « هُرَيْرَةَ وَدِّعْهَا وإن لَامَ لائمُ » منصوبٌ بفعلٍ مضمرٍ، تفسيرُه « وَدِّعْهَا » كأنه قال « وَدِّعْ هريرةَ » ، فلمّا اخْتَزَلَ الفعلَ أظهرَ ما يدلُّ عليه ، وكان ذلك أجودَ من أن لاَّ يُضْمِرَ ، لأن الأمرَ لا يكون إلاّ بفعلٍ ، فأَضمرَ الفعلَ إذْ كان الأمرُ أحقَّ به ، وكذلك « زيداً اضْرِبْهُ » و « زيداً فأَكْرِمْهُ » وإن لم تُضْمِرْ ورَفعْتَ جاز ، وليس فى حُسْنِ الأَوَّلِ ، تَرْفَعُه على الابتداء وتُصَيِّرُ الأمرَ فى موضعِ خبرِه . فأمّا قولُ الله جلّ وعزّ : ﴿ والسَّارِقُ والسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا[3] ﴾ وكذلك : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِى فاجْلِدُوا كُلَّ واحدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ[4] ﴾ ـ : فليس على هـذا ، والرفعُ الوَجْهُ ، لأَنّ معناهُ الجزاء ، كقوله « الزانيةُ » أى التى تزنى ، فإنما وجبَ القطعُ للسَّرَقِ والجَلْدُ للزنا ، فهذا مُجَازَاةٌ ، ومِن ثَمَّ جازَ : الذى يأْتِينى فله

(١) « واجم » من « وجم » كوعد ، « وجما ووجوما » : أطرق من الحزن ، قاله المرصفى .

(٢) « فى حول ثواء » قال المرصفى : « هذا تركيب كان أبو عمرو يعيبه ، ويقول : لا أعرف له معنى ولا وجها يصح به . وعن أبى عبيدة : يريد لقد كان فى ثواء حول ، فقلب وأبدل ثواء من حول . واللبانات بضم اللام : الحاجات ، وكنى بقوله : ويسأم سائم عن أن يقول : ولا تقضى لبانات » .

(٣) سورة المائدة (٣٨) .

(٤) سورة النور (٢) .

درهمٌ ، فدخلت الفاء لأنه استحقَّ الدرهمَ بالإتيانِ ، فإن لمْ تُرِدْ هذا المعنى قلتَ : الذى يأتينى له درهمٌ ، ولا يجوزُ : زيدٌ فله درهمٌ ، على هذا المعنى ، ولكن لو قلتَ: زيدٌ فله درهمٌ ، على معنى : هذا زيدٌ فله درهمٌ ، أو هذا زيدٌ فحسنٌ جميلٌ — : جازَ ، على أن «زيدًا» خبرٌ ، وليس بابتداء ، وللإشارةِ دخلتِ الفاء ، وفى القرآنِ : ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَموالَهُمْ بِاللَّيْلِ والنَّهارِ سِرًّا وعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عندَ رَبِّهِمْ ﴾[1] ودخلتِ الفاء لأن الثوابَ دَخَلَ للإنفاق . وقد قرأتِ القُرَّاء : ﴿ الزانيةَ والزَّانِيَ فاجْلِدُوا ﴾ ﴿ والسارقَ والسارقةَ فاقْطَعُوا ﴾ بالنصبِ ، على وجهِ الأَمْرِ[2] ، والوجهُ الرَّفْعُ ، والنصبُ حسنٌ فى هاتينِ الآيتين ، ومالم يَكُنْ فيه معنى جَزَاء فالنصبُ الوَجْهُ .

⁂

ويُرْوَى : أن مَعْبَدًا بلغه أن قُتَيْبَةَ بنَ مُسْلِمٍ فتح خَمْسَ مَدَائِنَ ، فقال : لقد غَنَّيْتُ خمسةَ أصْواتٍ هُنَّ أشَدُّ مِن فَتْحِ المدائِنِ التى فتحها قتيبةُ [بنُ مسلمٍ][3] ، والأصواتُ :

وَدِّعْ هُرَيْرَةَ إنَّ الرَّكْبَ مُرْتَحِلُ وهلْ تُطِيقُ وَدَاعا أيُّها الرَّجُلُ

وقولُه :

---

(١) سورة البقرة (٢٧٤) .

(٢) قراءة النصب فيهما قرأ بها عيسى بن عمر ، كما فى الشواذ لابن خالويه (ص ٣٢) وحكى أبو حيان فى البحر المحيط فى آية « والسارق » أن النصب قراءة ابن أبى عبلة أيضا (ج ٣ ص ٤٧٦ — ٤٧٧) وفى آية « الزانية » أن النصب قراءة عيسى الثقفى ويحى بن يعمر وعمرو بن فائد وأبى جعفر وشيبة وأبى السمال ورويس (ج ٦ ص ٤٢٧) ووفى القول فى توجيه الإعرابين .

(٣) الزيادة من ج و س و د .

هُرَيْرَةَ وَدِّعْها وإن لاَمَ لائِمُ غَداةَ غَدٍ أَمْ أنتَ للبَيْنِ واجِمُ

وقولُه :

رأيتُ عَرابَةَ الأَوْسِيَّ يَسْمُو إلى الخَيْراتِ مُنْقَطِعَ القَرِينِ

وقولُه :

وَدِّعْ لُبابَةَ قَبْلَ أَنْ تَتَرَحَّلاَ واسْأَلْ فإنَّ قَلِيلَةً أَنْ تَسْأَلاَ(١)

وقولُه :

لَعَمْرِي لَئِنْ شَطَّتْ بِعَثْمَةَ دَارُهَا لقدْ كنتُ مِن خَوْفِ الفِراقِ أُلِيحُ(٢)

أمّا قولُه « وَدِّعْ هُرَيرةَ إن الرَّكْبَ مُرْتَحِلُ » وقولُه « هُرَيرةَ وَدِّعْها وإن لاَمَ لائِمُ » — : فللأَعْشَى ، يُعاتِبُ فيهما يَزِيدَ بنَ مُسْهِرٍ الشَّيْبانِيَّ ، يقولُ :

أَبْلِغْ يَزِيدَ بَنِي شَيْبانَ مَأْلُكَةً أَبا ثُبَيْتٍ أَمَا تَنْفَكُّ تَأْتَكِلُ(٣)

---

(١) فى ا و د و هـ « قَلِيلَهُ » .

(٢) قوله « لعمرى لئن » بحاشية ا بدله « لعمرك إن » . و « عتمة » بفتح العين وسكون التاء المثناة الفوقية ، وفى ع و س « بعثمة » بالمثلثة ، وفى هـ « بعيمة » بالتحتية . وقوله « لقد كنت » بدله فى ع و س و هـ « لقد كدت » . وقوله « من خوف » بدله فى ع و س و د و هـ « من وَشْكِ » .

(٣) « المألكة » بضم اللام : الرسالة . وقوله « أبا ثبيت » قال المرصفى : « يريد أبا ثابت ، لصغره تصغير الترخيم » . وقوله « تأتكل » قال فى اللسان (مادة أ ك ل) : « وتأكل الرجل وائتكل : غضب وهاج ، وكاد بعضه يأكل بعضا — ثم ذكر البيت ، ثم قال — : وقال يعقوب : إنما هو تأتلك ، فقلب » . وقال فى مادة (أ ل ك) فى هذا البيت : « إنما أراد تَأْتَلِكُ ، من الألوك ، حكاه يعقوب فى المقلوب . قال ابن سيده : ولم نسمع نحن فى الكلام تأتلك من الألوك فيكون هذا محولا عليه مقلوبا منه » .

أَلَسْتَ مُنْتَهِيًا عن نَحْتِ أَثْلَتِنَا ... ولستَ ضائرَها ما أَطَّتِ الإِبِلُ[١]

كَنَاطِحٍ صَخْرَةً يومًا لِيَفْلِقَهَا ... فلم يَضِرْهَا وأَوْهَى قَرْنَهُ الوَعِلُ[٢]

ويقولُ فى الأُخرى يعاتبه أيضًا :

يَزِيدُ يَغُضُّ الطَّرْفَ دُونِى كَأَنَّمَا ... زَوَى بينَ عَيْنَيْهِ علىَّ المَحَاجِمُ[٣]

فلا يَنْبَسِطْ من بينِ عينيكَ ما انْزَوَى ... ولا تَلْقَنِى إلاَّ وَأَنْفُكَ راغِمُ

فأُقْسِمُ إنْ جَدَّ التقاطُعُ بينَنَا ... لَتَصْطَفِقَنْ يومًا عليكَ المآتِمُ[٤]

وتُلْفَى حَصانٌ تَنْصُفُ ابْنَةَ عَمِّهَا ... كما كانَ يُلْفَى الناصِفاتُ الخَوادِمُ[٥]

إذا اتَّصَلَتْ قالت: أَبَكْرَ بنَ وائِلٍ! ... وبَكْرٌ سَبَتْهَا والأُنُوفُ رَوَاغِمُ[٦]

فأمّا الشعرُ الثالثُ فلِلشَّمَّاخِ بن ضِرَارِ بن مُرَّةَ بن غَطَفَانَ ، يقولُه لِعَرَابَةَ بن أَوْسِ بن قَيْظِيٍّ الأنصاريِّ :

---

(١) قال المرصفى : « أثلة كل شىء : أصله ، والنحت : القشر والنقر ، استعاره للإيذاء . . . وأطيط الإبل أنينها وحنينها » .

(٢) فى ا « لِيُفْلِقَهَا » وفى ج « لِيَفْلُقَهَا » و « الوعل » بفتح الواو وكسر العين المهملة ، وهو تيس الجبل ، ويجوز أيضا إسكان العين ، وحكى الليث فيه لغة ثالثة بضم الواو وكسر العين .

(٣) فى س و د « عنّى » بدل « دونى » . و « المحاجم » جمع « محجم » وهو آلة الحجامة . و « زواه زيا » . جمعه وقبضه ، يقول : كأن المحاجم زوت ما بين عينيه ، مما يعبس وجهه .

(٤) « الاصطفاق » الاضطراب ، و « المآتم » جمع « مأتم » وهو كل مجتمع من رجال أو نساء .

(٥) « تلفى » فى أول البيت بالفاء وضم التاء ، وفى س و هـ « تلقى » بالقاف بدون ضبط ، وفى د بالقاف أيضاً مع فتح التاء ، وفى ج بالقاف مع ضم التاء . و « يلفى » فى الشطرة الثانية بضم الياء وبالفاء ، وفى ج « يلقى » بفتح الياء مع القاف ، وكذلك فى س و د و هـ ولكن بدون ضبط ، و « الحصان » العفيفة من النساء ، و « تنصف » تخدم ، يقال « نصفه ينصفه » بضم صاد المضارع وكسرها : إذا خدمه . قال المرصفى : « يقول : لتستأصلن كماة قيس رجالكم ، صغارهم وكبارهم ، حتى إن الحصان من فقرها تضطر إلى خدمة ابنة عمها » .

(٦) قوله « إذا اتصلت » يقول : إذا دعت قومها تنتصر بهم ، تقول أبكر بن وائل ، كأنها تستغيث بهم . و « الاتصال » دعاء المرء رهطه الأدنين ، يقول : يالفلان .

رأيت عَرَابَةَ الأَوْسِيَّ يَسْمُو　　إلى الخيراتِ منقطِعَ القَرِينِ

إذا ما رَايَةٌ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ　　تَلَقَّاها عَرَابةُ باليَمِينِ

إذا بَلَّغْتِنِى وحَمَلْتِ رَحْلِي　　عَرابةَ فاشْرَقِي بِدَمِ الوَتِينِ

والرابعُ لعمرَ بن عبد الله بن أبي رَبيعَةَ ، يقولُه في بعضِ الرِّواياتِ :

وَدِّعْ لُبَابَةَ قبلَ أَنْ تَــتَرَحَّلاَ　　واسْأَلْ فإن قَلِيلَةً أَنْ تَسْأَلاَ(١)

امْكُثْ لَعَمْرُكَ ساعةً فَتَأَنَّها　　فعَسَى الذي بَخِلَتْ به أن يُبْذَلاَ(٢)

لَسْنا نُبالِي حينَ نُدْرِكُ حاجَةً　　إنْ باتَ أو ظَلَّ المَطِيُّ مُعَقَّلاَ

والشعرُ الخامس لا أعرفُهُ(٣) .

---

(١) في ا و د و هـ « قَلِيلَهُ » .

(٢) في د « اسكت » . وفي ج « ساعةً بِفنائها » وفي س و هـ « أن تَبْذُلاَ » .

(٣) في النسخ المطبوعة في مصر « لا أعرف قائله » وهو مخالف للثابت في الأصول المطبوع عنها في أوربة ، ونقل في طبعة أوربة عن حاشية ج ما نصه : « الشعر لعبد الله بن عبيد الله بن عتبة بن مسعود ، وقبله : غراب وظبي أعضب القرن ناديا　بصرم . . . . »
وضاع باقي البيت من تقطيع الورق .

فقوله « عبد الله بن عبيد الله » خطأ ، صوابه « عبيد الله بن عبد الله » بالتصغير في اسم الشاعر ، والتكبير في اسم أبيه . وعبيد الله هذا هو المسعودي ، وهو أحد الفقهاء السبعة المشهورين بالمدينة ، وكان شاعراً مجيداً ، مات سنة ٩٩ وله ترجمة في ابن خلكان (ج ١ ص ٣٤١) والتهذيب (ج ٧ ص ٢٣ — ٢٤) والأغاني (ج ٨ ص ٨٨ — ٩٥ ساسي) قال ابن عبد البر : « كان أحد الفقهاء العشرة ثم السبعة الذين يدور عليهم الفتوى ، وكان عالما فاضلا مقدما في الفقه ، تقيا شاعراً محسنا ، لم يكن بعد الصحابة إلى يومنا هذا فيما علمت فقيه أشعر منه ، ولا شاعر أفقه منه » .

والبيت الذي ذكره المبرد أحد ثلاثة أبيات في الأغاني (٨ : ٩٣) وهي :

غُرَابٌ وظَبْيٌ أَعْضَبُ القَرْنِ نَادَيَا　　بِصُرْمٍ وصِرْدَانُ العَشِيِّ تَصِيحُ

لَعَمْرِي لَئِنْ شَطَّتْ بعثمةَ دارُها　　لقد كِدتُ من وَشْكِ الفِرَاقِ أَلِيحُ

ولم يَتَغَنَّ معبدٌ في مدحٍ[1] قَطُّ إلاّ في ثلاثةِ أشعارٍ ، منها ما ذكرنا في عَرَابَةَ ، ومنها قولُ عبدالله بن قَيْسٍ الرُّقَيَّاتِ في عبدِ الله بن جعفر بن أبي طالبٍ :

تَقَدَّتْ بِيَ الشَّهْبَاءُ نحوَ ابنِ جعفرٍ سَوَاءٌ عليها لَيْلُها ونهارُها

والثالثُ قولُ موسى شَهَوَاتٍ في حمزةَ بن عبد الله بن الزُّبَيْرِ :

حمزةُ المُبْتَاعُ بِالمالِ الثَّنَا ويَرَى في بَيْعِهِ أَنْ قد غَبَنْ

وَهْوَ إنْ أَعْطَى عَطاءً كاملاً ذا إخاءٍ لم يُكَدِّرْهُ بِمَنْ[2]

ونحنُ ذاكِرُو قِصَصٍ[3] هذه الأشعارِ التي جَرَتْ في عَقِبِ ما وصفنا إن شاء اللهُ .

قال أبو العباسِ : كان عبدُ الله بنُ قيسٍ الرُّقَيَّاتِ منقطعاً إلى مُصْعَبِ بن الزبير ، وكان كثيرَ المدحِ له ، وكان يُقاتِلُ معه ، وفيه يقولُ :

إنَّما مُصْعَبٌ شِهابٌ مِنَ اللهِ تَجَلَّتْ عن وَجْهِهِ الظَّلْماءُ

مُلْكُهُ مُلْكُ قُوَّةٍ ليس فيهِ جَبَرُوتٌ منه ولا كِبْرِياءُ[4]

أَرُوحُ بِهَمٍّ ثم أَغْدُو بِمِثْلِهِ وَيَحسبُ أَنِّي في الثيابِ صحيحُ

(١) في ج و س و هـ « مِدْحَةٍ » .

(٢) « بِمَنْ » النون فيها مشددة ساكنة ، والمعروف في مثلها أن تضبط بشدة فوقها سكون ، ولكنها ضبطت في طبعة بوضع السكون فوقها والشدة تحتها ، وهو ضبط طريف لم أره قبل ، لحافظت على إثباته ، لأن الضبط هنا منقول عن الأصول المخطوطة الصحيحة ، ولأن الوضع تحت الحرف إشارة إلى أنه مكسور في الأصل قبل الوقف عليه بالسكون .

(٣) في ج و س و د « ذاكرون قِصَصَ » .

(٤) في ج « مُلْكُ رأفةٍ » .

يَتَّقِى اللّهَ فى الأُمورِ وقد أَفْـــلَحَ من كان هَمَّهُ الإِتِّقَاءُ

[قال أبو العباس[١]] : وله فيه أشعارٌ كثيرةٌ ، فلمّا قُتل مصعبُ [بن الزبير][٢] كان عبدُ الملك على قتل عبد الله[٣] ، فهَرَبَ فلَحِقَ بعبد الله بن جعفر ، فَشفعَ فيه إلى عبد الملك ، فشَفَّعَهُ فى أنْ تَرَكَ دَمَهُ ، فقال : ويَدْخُلُ إليكَ يا أميرَ المؤمنين فَتَسْمَعَ منه ، فأَبَى ، فلم يَزَلْ به حتى أجابه ، ففى ذلك يقولُ لعبد الله بن جعفرٍ :

أَتيناكَ نُثْنِى بالذى أنتَ أهلُهُ ... عليكَ كما أَثْنَى على الأَرضِ جارُها[٤]
تَقَدَّتْ بِىَ الشَّهباءُ نحوَ ابنِ جعفرٍ ... سَــواءٌ عليها ليلُها ونهارُها[٥]
تَزُورُ فَتًى قد يَعْلَمُ الناسُ أنه ... تَجُودُ له كَفٌّ قليلٌ غِرَارُها[٦]
فواللّهِ لولا أنْ تَزُورَ ابنَ جعفرٍ ... لَكانَ قليلاً فى دِمَشْقَ قَرَارُها

والشعرُ الذى مَدَحَ به عبدَ الملك :

عادَ لَهُ مِن كَثيرَةَ الطَّرَبُ ... فعينُهُ بالدُّموعِ تَنْسَكِبُ
[كُوفِيَّةٌ نازِحٌ مَحِلَّتُها ... لا أَمَمٌ دارُها ولا صَقَبُ[٧]
واللّهِ ما إنْ صَبَتْ إلىَّ ولاَ ... يُعْلَمُ بينِى وبينَها نَسَبُ

---

(١) الزيادة من ج و س و د .
(٢) الزيادة من د .
(٣) فى طبعات مصر زيادة « بن قيس » وليست فى الأصول .
(٤) فى ج و س و د « على الرَّوْضِ جارُها » . وزعم المرصفى أنه هو الصواب ، والظاهر أنهما روايتان .
(٥) « تقدت » : أسرعت . و « الشهباء » : فرسه .
(٦) « الغرار » بكسر الغين المعجمة : أن تدرّ الناقة ثم تنفر فترجع الدرة . يريد أن تجود له كف لا تمنع العطاء .
(٧) « الصقب » : القرب ، وهو بالسين لغة أيضا .

إلاّ الذى أورثتْ كثيرةُ فى الـــقلبِ وللحُبِّ سَوْرةٌ عَجَبُ][1]

وفيها يقولُ :

ما نقَمُوا من بنى أُمَيَّةَ إلاّ أنهـم يَحْلُمُونَ إنْ غضِبُوا
وأنّهُـمْ سادةُ الملوكِ فلا تَصْلُحُ إلاّ عليهمُ العَرَبُ[2]
إنّ الفَنِيقَ الذى أبوه أبو الـــعاصِى عليه الوَقارُ والحُجُبُ[3]
خليفــةُ اللهِ فى رَعِيَّتِهِ جَفّتْ بذاكَ الأقلامُ والكُتُبُ
يَعْتَدِلُ التّاجُ فوقَ مَفْرِقِهِ على جَبِينٍ كأنّه الذّهَبُ

فقال له عبدُ الملك : أتقولُ لِمُصْعَبٍ :

إنّما مُصْعَبٌ شِهابٌ مِنَ اللهِ تَجَلّتْ عن وجهه الظّلْماء

وتقولُ لِى :

يعتدلُ التّاجُ فوقَ مَفْرِقِهِ على جَبِينٍ كأنّه الذّهبُ ؟ !

وأما شِعرُ الشّمّاخِ فى عَرَابَةَ فقد ذُكِرَ فى موضعه بحديثِه .

وأما الشّعرُ فى حمزةَ بن عبد الله بن الزبير فإنه لموسى شَهَواتٍ ، وكان موسى قال لمعبدٍ : أقولُ شعرًا فى حمزةَ وتتغنَّى أنتَ به ، فما أعطاكَ من شىء فهو بَيْنَنا ؟ فقال هذا الشعرَ :

---

(1) هـذه الأبيات الثلاثة الزائدة ليست فى نسخة الكامل طبعة أوربة ، وإنما أثبتت فى طبعات مصر نقلا عن الملحق المطبوع هناك ، وفيه استدراكات وتصحيحات ، ولعلها مأخوذة من ديوان الشاعر أو من بعض النسخ .

(2) فى ج و د « وأنهم مَعْدِنُ الملوكِ » وهو الذى نقله المرصفى عن الديوان .

(3) « الفنيق » : الفحل المكرم ، لايهان بالعمل ، لكرامته على أهله . وهذا على التشبيه فى الكرامة .

حمزةُ المُبْتاعُ بالمـال الثَّنا ويَرَى فى بيعه أنْ قدْ غَبَنْ
وَهْوَ إنْ أعطَى عطاءً كاملاً ذا إخاء لم يُكدِّرْهُ بمَنْ
وإذا ما سَـنَةٌ مُجْحِفةٌ بَرَتِ المـالَ كَبَرْىِ بالسَّفَنْ[1]
حَسَرَتْ عنـه نَقِيًّا لَوْنُهُ طاهرَ الأخْلاقِ ما فيه دَرَنْ[2]

فأعطاه مالاً ، فقاسَمهُ موسى .

باب

قال أبو العباس : قال عُتْبة بن شَمَّاس :

إنَّ أوْلَى بالحقِّ فى كلِّ حقٍّ ثم أحْرَى بأن يكونَ حَقِيقَا[3]
مَنْ أبوه عبدُ العزيزِ بنُ مَرْوا نَ ومَنْ كان جَدُّهُ الفارُوقَا
رَدَّ أموالَنا علينا وكانتْ فى ذُرَى شاهقٍ يفُوتُ الأَنُوقَا[4]

يقولُ هذا الشعرَ فى عمرَ بن عبدِ العزيز [بن مروانَ[5]] وأمُّ عمرَ أمُّ عاصمٍ بنتُ عاصمِ بن عمرَ بن الخطاب رحمه الله .

---

(١) فى حاشية ا « مُجْدِبَةٌ » بدل « مجحفة » والمجحفة : المضرة بالمـال ، كمعنى المجدبة ، و « البرى » : النحت والقشر ، و « السفن » بفتح السين والفاء وكذا « المسفن » بكسر الميم وسكون السين وفتح الفاء — : قدوم تقشر به الأجذاع .

(٢) فى ج و د « نقيا عرضـه » . وفى ج و س « طاهر الأثواب » . وفى د « طاهر الثوب » .

(٣) بحاشية ج « ويُرْوَى : أوْلَى » يعنى بدل « أحرى » .

(٤) فى ج « تفوت » .

(٥) الزيادة من ج و س و د .

« والأَنوقُ » الرَّخَمَةُ ، ولا يقالُ « الأَنُوقُ » إلاَّ للرَّخمةِ الأُنثى[١] .

ومن أمثالِ العربِ : « هو أعَزُّ من بَيْضِ الأَنُوقِ » وذاكَ أنها تَبيضُ في رُؤوسِ الجبالِ ، فلا يكادُ يُوجَدُ بَيْضُها ، لبُعْدِ مطلَبه وعُسْرِه[٢] . يقولون ذلك[٣] لمن طلب[٤] الأمرَ العَسِرَ[٥] : « سَأَلْتَنى بَيْضَ الأَنُوقِ »[٦] ، فإن سأله مُحالاً قال : « سألتَنى الأَبْلَقَ العَقُوقَ » وإنما هو الذَّكَرُ من الخيل ، ويقال فرسٌ « عَقُوقٌ » إذا حملتْ فامتلأ بطنُها ، فالأَبْلَقُ العَقُوقُ محالٌ .[٧]

ويُرْوَى : أنّ رجلاً سألَ معاويةَ أمراً لا يُوجَدُ ، فأعلمه ذلك ، فسأل أمراً عَسِرًا بعدَه ، فقال معاويةُ :

طَلَبَ الأَبْلَقَ العَقُوقَ فلمَّا   لم يَنَلْهُ أرادَ بَيْضَ الأَنُوقِ[٨]

وإنما « الأبلقُ » الذكر من الخيل ، يقال فرس « عَقُوقٌ » إذا حَمَلت فامتلأَ بطنُها ، فالأَبلقُ العَقُوقُ محالٌ[٩] .

---

(١) فى ج و س و د « ولا يقال أنوق إلا للأنثى » .

(٢) القطعة من أول « وذاك أنها تبيض » إلى هنا — : مؤخرة فى طبعات مصر بعد قوله « سألتنى بيض الأنوق » وهو مخالف للأصول المخطوطة .

(٣) قوله « يقولون ذلك » بدله فى ج و س و د « وتقول العرب » .

(٤) فى طبعات مصر « يطلب » وهو مخالف لطبعة أوربة .

(٥) فى ج و س و د « العَسِيرَ » .

(٦) هنا فى ج و س و د زيادة : « وهو لا يكاد يوجد ، لبعد مطالبه وعسره » وفى س « ولا » بدل « وهو لا » . والزيادة تكرار لبعض مامضى .

(٧) لأن الأبلق من صفات ذكور الخيل ، والعقوق من صفات إناثها ، فكأنه طلب حصانا حاملا ، وهو محال .

(٨) هذا البيت كتب فى طبعة أوربة على هيئة النثر .

(٩) هذه الجملة بعد البيت الذى تمثل به معاوية — : تكرار لما مضى ، ولكنها ثابتة فى الأصول المخطوطة ، وقد تصرف الشيخ المرصفى بحذفها لما فيها من التكرار ، ولكن الصواب المحافظة على الأصول .

وقال جرير يمدحُ عمرَ بن عبد العزيز :

ما عَدَّ قومٌ كأجـــدادٍ تَعُدُّهُمُ ... مَرْوانُ ذو الفارُوقِ والنُّورِ والحَكَمُ
أَشْبَهْتَ من عُمَرَ الفاروقِ سيرَتَهُ ... قادَ البَرِيَّةَ وائْتَمَّتْ به الأُمَمُ[1]
تدعو قُرَيْشٌ وأنصارُ النبيِّ له ... أن يُمْتَعوا بأَبِي حَفْصٍ وما ظَلَمُوا[2]

وفيه يقولُ جريرٌ أيضاً :

يَعُودُ الحِلْمُ منكَ على قُرَيشٍ ... وتَفْرُجُ عنهمُ الكُرَبَ الشِّدَادَا[3]
وقد آمَنْتَ وحْشَهُمُ بِرِفْقٍ ... ويُعْيِي الناسَ وَحْشُكَ أن يُصادَا[4]
[وتَبْنِي المَجْدَ يا عُمَرَ بنَ لَيْلَى ... وتَكْفِي المُمْحِلَ السَّنَةَ الجَمادَا][5]
وتَدْعُو اللهَ مجتهداً لِيَرْضَى ... وتَذْكُرُ في رَعِيَّتِكَ المَعادَا
[فما كَعْبُ بنُ مَامَةَ وابنُ سُعْدَى ... بأَجْوَدَ منكَ يا عمرُ الجَوَادَا][6]

وقال أيضاً[7] ـ وكان ابنُ سعدٍ الأَزْدِيُّ قد تَوَلَّى صَدَقاتِ الأعرابِ وأَعْطِياتِهم ، فقال جريرٌ يشكوه إلى عمرَ [بن عبد العزيز][8] ـ :

إنَّ عِيالِي لا فَوَاكِهَ عندَهم ... وعندَ ابنِ سَعْدٍ سُكَّرٌ وزَبِيبُ
وقد كان ظَنِّي بابنِ سَعْدٍ سَعادَةً ... وما الظنُّ إلاّ مُخْطِئٌ ومُصِيبُ

---

(١) في ج و س و د « فاق البرية » .
(٢) في ج و س « وأنصار الرسول له » ، وهو الذي في طبعات مصر .
(٣) في س « يعود الفضل » .
(٤) في ج و د « أَمَّنْتَ » .
(٥) الزيادة من ج و د .
(٦) الزيادة من حاشية ج .
(٧) قوله « وقال أيضاً » ثابت في الأصول ، ومحذوف في طبعات مصر .
(٨) الزيادة من ج و س و د .

فإن تَرْجِموا رِزْقى إلىّ فإنّه ... متاعُ لَيالٍ والأَدَاء قَريبُ
تَحَنّى العظامُ الراجفاتُ من البِلَى ... وليس لداء الرُّكبتين طبيبُ

☆

وقال يرثيه أيضاً[1] :

نَعَى النُّعَاةُ أميرَ المؤمنين لنا ... يا خَيْرَ مَنْ حَجَّ بيتَ اللهِ واعتَمَرَا
حَمَلْتَ أمرًا جَسيمًا فاصْطَبَرْتُ له ... وقُمْتَ فيه بحقّ اللهِ يا عُمَرَا[2]
فالشمسُ طالعةٌ ليستْ بكاسِفَةٍ ... تَبْكى عليكَ نُجومَ الليلِ والقَمَرَا

قولُه « ياعمرَا » نُدْبَةٌ ، أراد « يا عُمَرَاهْ » وإنما الألِفُ للنُّدبة وحدَها ، والهاء تزادُ فى الوقف لخفاء الألف ، فإذا وصَلْتَ لم تَزِدْها[3] ، تقولُ « ياعمرَا ذَا الفضلِ » فإذا وقفتَ قلتَ « ياعُمَرَاهْ » فحذَفَ الهاء فى القافية لاستغنائِه عنها .

فأما قولُه « نجومَ الليلِ والقمرَا » ففيه أقاويلُ كلُّها جيدٌ : فنها : أن تَنْصِبَ « نجومَ » و « القمرَ »[4] بقوله « بكاسفةٍ » يقولُ : الشمسُ طالعةٌ ليست بكاسفةٍ نجومَ الليلِ والقمرَ ، يقولُ : إنما تكسِفُ النجومَ والقمرَ

---

(١) فى س « وفيه يقول أيضاً لما نُعِيَ » وبها طبعت طبعات مصر ، وفى د « وفيه أيضاً يقوله لما نعى » وكذلك فى ع بحذف « أيضاً » .

(٢) فى ع و د « حُمِّلْتَ » وفى س و د « فاضْطَلَعْتَ له » . وفى ع « فاضْطَلَعْتَ بِهِ » .

(٣) فى ع و د « لم تَزِدْ هاء » .

(٤) فى ع و د « نجوم الليل والقمرا » ، وبها طبعت طبعات مصر .

بإفراطِ ضيائها ، فإذا كانتْ من الحُزْنِ عليه قد ذَهَبَ ضِياؤُها ظهرتِ الكواكبُ . ويقال إن الغُبَارَ يوم حَلِيمةَ سَدَّ عَيْنَ الشمسِ فظهرت الكواكبُ المتباعدةُ عن مَطْلِعِ الشمسِ ، ويومُ حَلِيمةَ هو اليومُ الذى سافرَ[1] فيه المُنْذِرُ بن المنذرِ بعَرَبِ العِراقِ إلى الحٰرِثِ الأعْرجِ الغَسَّانِيِّ ، وهو الأكبرُ ، والحٰرِثُ فى عَرَبِ الشَّأْمِ ، وهو أشْهَرُ أيامِ العربِ ، ومن أمثالهم فى الأمرِ الفاشى : « ما يَوْمُ حَلِيمةَ بِسِرٍّ » وفيه يقولُ النابغةُ :

تُخُيِّرْنَ من أزمانِ يومِ حَليمةٍ ... إلى اليومِ قد جُرِّبْنَ كلَّ التجارِبِ[2]

وأظُنُّ قولَ القائلِ من العربِ « لأُرِيَنَّكَ الكواكبَ ظُهْرًا » — : إنما أُخِذَ من يومِ حليمةَ . قال طَرَفَةُ :

إنْ تُنَوِّلْهُ فقد تَمْنَعُهُ ... وتُرِيهِ النَّجْمَ يَجْرِى بالظُّهُرْ

وقال الفرزدقُ لخالدِ بن عبد الله القَسْرِيِّ :

لَعَمْرِى لقد سَارَ ابْنُ شَيْبةَ سِيرَةً ... أَرَتْكَ نُجومَ الليلِ مُظْهِرَةً تَجْرِى

ويجوزُ أن يكونَ « نجومَ الليلِ والقمرَا » أرادَ بهما الظَّرْفَ ، يقولُ : تبكى الشمسُ عليكَ مدةَ نجومِ الليلِ والقمرِ ، كقولك : تبْكِى عليكَ الدَّهرَ والشَّهرَ ، و : تَبكِى عليكَ الليلَ والنهارَ يافتى ! ويكونُ : تَبْكِى[3] عليكَ

---

(١) فى ج و س ود « سار » .

(٢) فى ج و د « تُخُبِّرْنَ » .

(٣) ضبط الشيخ المرصفى « تبكى » هنا بضم التاء ، وهو مخالف للأصول الصحيحة ، ومخالف لما سيذكر أبو العباس من الشاهد فى قول الشاعر « أبكى على بكر » الخ .

الشمسُ النجومَ ـ : كقولك : بَكَيْتُ[١] زيداً على فلانٍ لِمَا رأيتُ به .

وقد قال فى هذا المعنى أحَدُ المُحْدَثِينَ شيئاً مليحاً ، وهو أحمدُ [السُّلَمِىُّ[٢]] ، أخو أشْجَعَ السُّلَمِىّ ، يقوله لنَصْرِ بن شَبَثٍ[٣] العُقَيْلىِّ ، وكان أوْقَعَ بقومٍ مِن بنى تَغْلِبَ بموضعٍ يُعرفُ بالسَّوَاجِيرِ[٤] ، وهو أشبهُ بالشِّعْرِ ، قال[٥] :

لِلّهِ سَيْفٌ فى يَدَىْ نَصْرِ ... فى حَدِّه ماءُ الرَّدَى يجْرِى
أوْقَعَ نَصْرٌ بالسَّوَاجِيرِ مَا ... لم يُوقِعِ الجَحَّافُ بالبِشْرِ
أبْكَى بَنِى بَكْرٍ على تَغْلِبٍ ... وتَغْلِباً أبْكَى على بَكْرِ

ويكون « تَبْكى عليك نجومُ الليلِ والقمَرَا » على أن تكونَ الواوُ فى معنى « مَعَ » وإذا كانتْ كذلك فكانَ قبلَ الاسمِ الذى يليه أو بعدَه فعلٌ ـ : انتصبَ[٦] ، لأنه فى المعنى مفعولٌ وَصَلَ الفعلُ إليه فنَصَبَه ، ونظيرُ ذلك « اسْتَوَى المـاءُ والخَشَبَةَ » لأنك لم تُرِدْ[٧] استوى الماءُ واستوتِ الخشبةُ ، ولو أردتَ[٨] ذلك لم يكن إلا الرفعُ ، ولكنَّ التقديرَ : ساوى

(١) فى ج و س و د « أبْكَيْتُ » وهو مخالف أيضاً لمراده وللشاهد الآتى .
(٢) الزيادة من ج و س و د .
(٣) فى ج « شَبَثَ » بالمنع من الصرف .
(٤) « السواجير » نهر مشهور من عمل مَنْبِجَ بالشأم ، كما فى معجم ياقوت .
(٥) فى ج « فقال » وفى س « وقال » .
(٦) فى ج و س و د « نَصَبْتَ » .
(٧) فى ج و س و د بعد « والخشبة » : « يافتى ! لأنه لم يرد » الخ .
(٨) فى ج و س و د « أراد » .

الماءَ الخشبةَ[١] ، وكذلك « مازِلْتُ أَسِيرُ والنِّيلَ » يافتى ! لأنك لَسْتَ تُخْبِرُ عن النِّيلِ بِشَىْءٍ[٢] ، وإنما تريدُ أَنَّ سَيْرَك بِحذائِه ومعه ، فوَصَلَ الفعلُ ، وهذا بابٌ يطولُ شرحُه . فإن قلتَ « عبدُ اللهِ وزيدٌ أَخَوَاكَ » وأنت تريدُ بالواو معنى « مع » لم يكن إلاّ الرفعُ ، لأن قبلَها اسماً مبتدأً[٣] ، فهي[٤] على موضعِه .

وأَجْوَدُ التفسيرِ[٥] عندنا فى قول الله جلّ وعزّ : ﴿ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وشُرَكَاءَكُمْ[٦] ﴾ أن تكونَ الواوُ فى معنى « مع » لأنك تقولُ : « أَجْمَعْتُ رأيِى وأمرِى » و « جَمَعْتُ القومَ » فهذا هو الوجهُ[٧] ، وقومٌ ينصبونه على دخوله بالشَّرِكَةِ مع اللام[٨] فى معنى الأوّل ، والمعنى الاستمدادُ بهما ، فيجعلونه كقولِ القائِل :

---

(١) فى حاشية ا « استوى الماء مع الخشبة » .

(٢) فى ج و س و د « بِسَيْرِ » وبها طبعت طبعات مصر .

(٣) فى ج و س « قبلَها الاسمَ مُبْتَدَأً » وفى د « الاسمَ قبلَها مبتدأً » .

(٤) فى س « فتبنى » وفى ج و د « فَبُنِيَ »

(٥) هكذا فى طبعة أوربة ، على إرادة المصدر ، وفى طبعات مصر « التفسيرين » وهو مخالف للأصول المخطوطة ، وهو خطأ أيضاً ، لأن فى الآية أكثر من تفسيرين ، وانظر تفسير الطبرى (ج ١١ ص ٩٨ — ٩٩) وأبى حيان (ج ٥ ص ١٧٨ — ١٧٩) .

(٦) سورة يونس (٧١) .

(٧) قال المرصفى : « يريد أن الإجماع إنما يتعدى إلى المعانى ، لا إلى الأعيان ، قال الفراء : الاجماع إحكام النية والعزيمة ، تقول : أجمعت الخروج وعلى الخروج ، وتقول : أجمعت الرأى وأزمعته وعزمت عليه ، بمعنى واحد . وقال : إذا أردت جمع المتفرق قلت : جمعت القوم فهم مجموعون ، قال الله تعالى : ﴿ذلك يوم مجموع له الناس﴾ وإذا أردت كسب المال قلت : جمعت المال — بالتشديد والتخفيف » .

(٨) قال المرصفى : « هذا غلط من الناسخ ، صوابه : مع الأمر » .

يا ليتَ زَوْجَكِ قد غدَا مُتَقَلِّدًا سيفًا ورُمْحًا[1]

والرمحُ لا يُتَقَلَّدُ، ولكن[2] أدخلَه مَعَمَا[3] يُتَقَلَّدُ، فتقديرُه: متقلداً سيفاً وحاملاً رمحاً، ويكونُ تقديرُ الآيةِ: فأجمِعُوا أمرَكم وأعِدُّوا شركاءكم، والمعنى يؤُولُ إلى أمرٍ واحدٍ. ومن ذلك قولُه:

* شَرَّابُ أَلْبَانٍ وتَمْرٍ وأَقِطْ *

فأمّا ماجاء من القرآن على هذا[4] خاصةً فقولُه جلَّ وعزَّ: ﴿واللهُ خَلَقَ كلَّ دَابَّةٍ مِن مَّاء، فمنهم مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ، ومنهم مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ، ومنهم مَّن يَمْشِي على أَرْبَعٍ﴾[5] فأدخل «مَنْ» هٰهنا، لأن الناسَ مع هذه الأشياء، فجَرَتْ على لفظٍ واحدٍ، ولا تكون «منْ» إلاّ لما[6] يَعْقِلُ إذا أفردتَها.

⁂

وقال رجلٌ لعمرَ بن عبد العزيز يشكو إليه عُمّالَهُ:

إنَّ الذين أَمَرْتَهُمْ أن يَعْدِلُوا نَبَذُوا كِتابَكَ واستُحِلَّ المَحْرَمُ
وأردتَ أن يَلِيَ الأمانةَ منهمُ بَرٌّ، وهيهاتَ الأَبَرُّ المُسْلِمُ
طُلْسُ الثِّيابِ على مَنابِرِ أرْضِنَا كلٌّ بِنَقْصِ نَصيبِنا يَتَكَلَّمُ

(١) في ج «زوجك في الوَغَا». وقال المرصفي: «يروية بعضهم: ورأيت بعلك في الوغى».
(٢) في ج و د «ولكنه».
(٣) هكذا رسمت في الأصول، فحافظنا على رسمها.
(٤) في ج و د «هذه».
(٥) سورة النور (٤٥).
(٦) في ج و س «لمن» وبها طبعت طبعات مصر.

أنشدنيه الرِّيَاشِيُّ عن الأصمعي .

ونظيرُ هذا قولُ ابنِ هَمَّامٍ السَّلُولِيّ :

إذا تَصَبوا للقولِ قالوا فأَحْسَنُوا ... ولـكِنَّ حُسْنَ القولِ خالَفَهُ الفعلُ

وذَمُّوا لنا الدنيا وهم يَرْضَعُونَهَا ... أَفاويقَ حتى مايَدُرُّ لهـا ثُعْلُ[1]

وقد مَرَّ تفسيرُ هذا الشعر . و « الأَطْلَسُ » الأَغْبَرُ ، وربَّمـا اشتدَّتْ غُبْرتُهُ حتى يَخْـفَى فى الغُبَارِ ، وإنمـا أراد بقوله « طُلْسُ الثيابِ » أنهم يُظْهِرُونَ تَقَشُّفًا ، ويكونُ[2] أن يكونَ جَعَلَهم بمنزلة الذئابِ ، وهو أحسنُ.

☼

ويُرْوَى : أن عمرَ بن الخطاب رحمه الله وَلَّى رجلاً بلدًا ، فوَفَدَ عليه ، فجاءهُ مُدَّهِنًا حسنَ الحالِ فى جسمه ، عليه بُرْدَانِ[3] ، فقال له عمرُ : أهكذا وَلَّيْنَاكَ ؟! ثم عَزَلَهُ ، وَدَفَع إليه غُنَيْمَاتٍ يرعاها ، ثم دَعَا[4] به بعدَ مُدَّةٍ ، فرآه باليًا أشْعَثَ فى ثوبينِ أَطْلَسَيْنِ ، وذُكِرَ عندَ عمرَ بخيرٍ ، فردَّه إلى عمله ، وقال : كُلُوا واشربوا وادَّهِنُوا ، فإنكم تَعْلَمُونَ الذى تُنْهَوْنَ عنه .

---

(١) « يرضعونها » مضبوطة فى الأصول بفتح الضاد . وقال المرصفى : « سلف أنه بكسر الضاد ، على مثال : ضرب يضرب ، لغة نجد ، وأن الأصمعى قال : أخبرنى عيسى بن عمر أنه سمع العرب تنشد هذا البيت على هذه اللغة . وأفاويق جمع أفواق جمع فيق كعنب جمع فيقة ، وهى اسم للبن يجتمع فى الضرع بين الحلبتين . والثعل ، بضم الثاء وفتحها مع سكون العين : خلف صغير زائد فى أخلاف الناقة وضرع الشاة والبقرة ، وإنمـا ذكر الثعل ، وهو لايدرّ : مبالغة فى الارتضاع » .

(٢) بحاشية ج مانصه « صوابه : «ويَجُوزُ» .

(٣) ف ج و س و د « بُرْدٌ » .

(٤) ف ج و س و د « دعاه » .

ويروى عن الحسن أنه قال : اقرُبُوا من هذه الأعوادِ(١) ، فإنهم إذا رَقُوها لَقِنُوا(٢) الحِكْمةَ ، لتكون عليهم حجةً يومَ القيامةِ.

❁

(٣) وقال رجلٌ لعمرَ بن عبد العزيز يَرْثِيه ، أنشدنيه الرِّيَاشيُّ :

قد غيَّبَ الدافِنُونَ اللَّحْدَ إذْ دَفَنُوا ... بدَيْرِ سَمْعانَ قُسْطَاسَ الموازِينِ(٤)

مَن لَمْ يكن همُّهُ عيناً يُفَجِّرُها ... ولا النخيلَ ولا رَكْضَ البَرَاذِينِ

أقولُ لَمَّا أتاني ثَمَّ مُهْلِكُهُ : ... لا يَبْعَدَنَّ قِوَامُ المُلْكِ والدِّينِ

يقالُ « هذا قِوَامُ الأمرِ ومِلاكُهُ » لا غيرُ ، وتقولُ : « فلانٌ حَسَنُ القَوامِ » مفتوحٌ ، تُرِيدُ بذلك الشَّطَاطَ(٥) ، لا يكونُ(٦) إلاّ ذاكَ ، و « قِوَام(٧) » إذا كان اسمًا لم تنقلب واوُه ياءً مِن أجل الكسرة ، لأنها متحركة ، إلاّ أن يكونَ جمعًا قد كانت الواوُ في واحِدِهِ ساكنةً ، فتنقلبُ في الجمع ، لأن حركتَها لعلةٍ ، تقولُ « سَوْطٌ وسِياطٌ » و « ثوبٌ وثِيابٌ » و « حَوْضٌ وحِياضٌ » فإن كانت الواوُ في الواحد متحركةً(٨) ثبتَتْ في الجمعِ ، نحو « طويلٍ وطِوالٍ » وكذلك « فِعالٌ » إذا كانَ مصدراً صَحَّ ، إذا

---

(١) يعني بالأعواد المنابر .

(٢) في و ج د « لُقُّوا » .

(٣) هـ ا في حاشية ا زيادة « باب » وعليها « صح » .

(٤) في س « الدافنوك » . و « دير سمعان » دير بنواحي دمشق ، حوله قصور وبساتين ، و « سمعان » ضبطت في الأصول بفتح السين . ويجوز أيضاً كسرها . و « قسطاس » ضبطت بضم القاف ، ويجوز أيضاً كسرها ، وهو ميزان العدل .

(٥) « الشطاط » بفتح الشين ، ويجوز أيضاً كسرها ، وهو حسن القوام وطوله ، أو اعتداله.

(٦) في ج و س و د « لا تريد » .

(٧) هكذا في الأصول ، ولعل الأصح « وفِعَالٌ » لأنه يريد الكلام على تصريف هذا الوزن .

(٨) في س و هـ « فإن كانت في الواحد حركة » . وفي ج و د « فإن كانت في الواو حركة » .

صحّ فعلُه ، واعْتلّ إذا اعْتلّ فعلُه ، فما كان مصدراً لـ « فاعَلْتُ » فهو « فِعالٌ » صحيحٌ ، تقولُ(١) « قاوَلْتُه قِوَالاً » و « لاَوَذْتُه لِوَاذاً » كقوله تعالى : ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذاً(٢) ﴾ أى « مُلاوَذَةً » وإذا كان مصدرَ « فَعَلْتُ » اعْتَلّ ، لاعتلالِ الفعلِ ، فقلتَ « قمتُ قياماً » و « نِمتُ نِياماً(٣) » و « لُذْتُ لِيَاذاً » و « عُذْتُ عِياذاً » .

*

وقال عُوَيْفُ القَوافِي شعراً ، يَرْثِي سليمانَ بن عبد الملك ، ويذكر عمرَ بن عبد العزيز ، هذا ما اخترنا منه :

لاحَ سحابٌ فرأينا بَرْقَهْ ... ثم تَدَانَى فَسَمِعْنا صَعْقَهْ
وراحتِ الرِّيحُ تُزَجِّى بُلْقَهْ ... ودُهْمَهُ ثم تُزَجِّى وُرْقَهْ
ذَاكَ سَقَى وَدْقاً فَرَوَّى وَدْقَهْ ... قَبْرَ امْرِئٍ أعظَمَ ربِّى حَقَّهْ
قبرَ سليمانَ الذى مَنْ عَقَّهْ ... وجَحَدَ الخيرَ الذى قد بَقَّهْ
فى العالَمِينَ جِلَّهُ ودِقَّهُ ... لمّا ابتلَى اللهُ بخيرٍ خَلْقَهْ
وكادتِ النفسُ تُساوِى حَلْقَهْ ... أَلْقَى إلى خيرِ قريشٍ وَسْقَهْ
يا عمرَ الخَيْرِ المُلَقَّى وَفْقَهْ ... سُمِّيتَ بالفاروقِ فافْرُقْ فَرْقَهْ
وارْزُقْ عيالَ المسلمين رَزْقَهْ ... واقْصِدْ إلى الخيرِ ولا تَوَقَّهْ(٤)

---

(١) فى ع و س و د و هـ « فهو فِعالٌ نحوُ » ، وبذلك طبعت طبعات مصر ولكن بزيادة كلمة « صحيح » .
(٢) سورة النور (٦٣) .
(٣) « نيام » بوزن « كتاب » كما يكون جمع « نائم » يكون مصدراً .
(٤) « رزقه » بفتح الراء ، وفى ا بكسرها .

بحرُكَ عذبُ الماء ما أعقَّهُ رَبُّكَ، والمحرومُ من لم يُسْقَهُ

يقالُ « لاَحَ البرقُ » إذا بَدَا، و « ألاَحَ » إذا تَلأْلأَ، وهذا البيت يُنْشَدُ * مَنْ هَاجَهُ الليلةَ بَرقٌ ألاَحْ * ويقالُ « شَرَقَتِ الشمسُ » إذا بَدَتْ، و « أشْرَقَت » إذا أضاءتْ وصَفَتْ.

ويقالُ « صاعِقَةٌ » و « صاقِعَةٌ » وبنو تَمِيمٍ تقولُ[١] « صاقِعةٌ » و « الصَّعْقُ » شِدَّةُ الرَّعْدِ، ويُعْنَى [به][٢] في أكثرِ ذلك : ما يَعْتَرِي مَنْ يَسمعُ صوتَ الصاعقةِ.

وقوله « تُزَجِّي » يقول : تسوقه وتَسْتَحِثُّهُ.

و « الأَبْلَقُ » من السحاب : ما فيه سوادٌ وبياضٌ، وفي الخيلِ : كلُّ لونٍ يخالطُه بياضٌ فهو « بَلَقٌ »[٣].

و « الأَوْرَقُ » الذي بين الخُضْرةِ والسَّوادِ، وهو ألأَمُ ألوانِ الإبلِ، ويقال : إن لحم البعيرِ الأَوْرَقِ أطيبُ لُحْمانِ الإبلِ.

و « الوَدْقُ » المطرُ، يقال « وَدَقَتِ السماءِ يَافتى تَدِقُ وَدْقًا » قال الله جل وعزّ : ﴿ فَتَرَى الوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلاَلِهِ ﴾[٤] وقال عامرُ بن جُوَيْنٍ الطائيُّ :

فلا مُزْنةٌ ودَقَتْ وَدْقَهَا ولا أَرْضَ أَبْقَلَ إبْقالَهَا

---

(١) في ع و س و د هـ « يقولون ».
(٢) الزيادة من ع و س و هـ.
(٣) قال المرصفي : « هذا مما تفرد به أبو العباس، والمعروف عند أهل اللغة أجمع : أن البلق في الدابة سواد وبياض كالبلقة ».
(٤) سورة النور (٤٣) وسورة الروم (٤٨).

وأصلُ «العَقّ» القَطعُ في هذا الموضع ، ولِـ«ـلْعَقّ» مواضعُ كثيرةٌ ، يقالُ « عَقّ والديه يَعُقُّهما » إذا قَطَعهما ، و « عَقَقْتُ عن الصبيّ » مِنْ هذا[١] ، وقالو : بل هو من « العَقِيقَةِ » وهي[٢] الشَّعَرُ الذي يُولَدُ الصبيُّ به ، يقال : « فلان بعَقيقتهِ » إذا كان بشَعَرِ الصِّبا لم يَحْلِقْهُ[٣] ، ويقال « سيفٌ كأنّهُ عقيقةٌ »[٤] أي كأنّه لَمْعةُ بَرْقٍ ، [و][٥] يقال « رأيتُ عَقِيقَةَ البَرْقِ » يافتى ! أي اللَّمْعَةَ منه في السحابِ ، ويقال « فلانٌ عُقّتْ تَمِيمَتُهُ ببلدِ كذا » أي قُطِعَتْ عنه في ذلك الموضِع ، قال الشاعرُ :

ألم تَعلَمِي يادَارَ بَلْجَاءَ أنّنِي ... إذا أَخْصَبَتْ أوكانَ جَدْبًا جَنابُها[٦]

أَحَبُّ بلادِ اللهِ مابين مُشْرِفٍ ... إليّ وسَلْمَى أن يَصُوبَ سَحَابُها[٧]

بلادٌ بها عَقّ الشَّبابُ تَمِيمَتِي ... وأوّلُ أرضٍ مَسّ جلدِي تُرابُها

وقولُه « وجَحَدَ الخيرَ الذي قد بَقّهُ » يقال « بَقّ » فلانٌ في الناس خيرًا

---

(١) يريد : ذبحت عنه يوم السابع من ولادته شاة أو شاتين ، وتسمى الذبيحة أيضاً « عقيقة » .

(٢) في ع و س و هـ « وهو » .

(٣) قال المرصفي : « فيكون معناه : حلقت شعره يوم السابع فقطعته ، فجعلوا الشعر أصلا ، والشاة المذبوحة مشتقة منه ، يريدون أنها سميت باسم غيرها ، إذا كانت معه أو مسببة عنه ، وذلك أنها تذبح عند حلق الشعر » .

(٤) في ع و د « كأنهُ عَقِيقَةُ بَرْقٍ » .

(٥) الزيادة من ع و د و هـ .

(٦) « بلجاء » من «البلج» بفتح اللام ، وهو تباعد مابين الحاجبين . و « جنابها » ماحولها ، قاله المرصفي .

(٧) « مشرف » بضم الميم وكسر الراء وآخره فاء ، موضع بالدهناء ، وفي س وحاشية ع « مُشْرِقٍ » بالقاف بدل الفاء ، وقد جاء بالقاف في صفة جزيرة العرب (ص ١٨١ س ٣) ولكن من غير ضبط ، وذكر في «ديار تميم» التي منها الدهناء .

كثيراً ، و « بَقَّ » ولدًا كثيراً ، و « أبَقَّ » كلامًا كثيراً[1] .

وقوله « أَلْقَى إلى خيرِ قريشٍ وَسْقَهُ » فهذا مثلٌ ، يريد : قَلَّدَهُ أمره ، و «الوَسْقُ» الحِمْلُ .

وقوله « المُلَقَّى وَفْقَهُ » يقال « لُقِّيَ فلانٌ خيراً » أى جُعِلَ يَلْقاهُ ، و « الوَسْقُ » من الكيلِ . مقدارُ خمسة أَقْفِزةٍ بقَفِيزِ البصرةِ ، وهو قَفِيزَانِ ونصفٌ بقفيزِ مدينةِ السَّلامِ[2] . وقولُه « ليس فى أَقَلَّ من خمسةٍ أَوْسُقٍ صَدَقَةٌ »[3] إنّما مبلغُ ذلك خمسةٌ وعشرون قفيزًا بقفيزِ البَصْرِيِّ[4] .

و « الوَفْقُ » التوفيقُ .

وقوله « سُمِّيتَ بالفاروقِ » فتأويلُ « الفاروقِ » هو الذى يَفْرُقُ بين الحقِّ والباطِلِ ، وكذلك قال المفسرون فى «الفُرْقانِ» وقد أبانَ ذلك بقوله : « فافْرُقْ فَرْقَهُ » .

وقولُه « وارْزُقْ عِيالَ المسلمينَ رَزْقَهُ[5] » يقال « رَزَقَه يَرْزُقُه رَزْقًا » والاسمُ « الرِّزْقُ » .

وقولُه « بَحْرُكَ عَذْبُ الماء ما أَعَقَّهُ » مقلوبٌ ، إنما هو « ما أَقْعَهُ »

---

(١) كلها بمعنى لمصره وأرسله وأكثر منه ، ومنه « رجل بَقْبَاقٌ » كثير الكلام ، أخطأ أم أصاب .

(٢) فى د وحاشية ج « خمسة أقفزة بقفيز مدينة النبىّ عليه السلام » .

(٣) هذا حديث صحيح لفظه : « ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة » . رواه أحمد وأصحاب الكتب الستة من حديث أبى سعيد الخدرى مرفوعا .

(٤) فى ج و س و د و هـ « إنما يَبْلُغُ ذلك خمسةً وعشرين قفيزاً بقفيزِ البَصْرَةِ » .

(٥) فى ا « رِزْقَهُ » .

رَبُّكَ» . يقال «ماءٌ قُعَاعٌ» و «ماءٌ حُرَاقٌ» فـ«القُعَاعُ» الشديدُ الملوحةِ ، يقولُ : ما أَمْلَحَهُ ربُّك ، و «الحُرَاقُ» الذي يُحْرِقُ كلَّ شيءٍ بملوحتِه ، والماءُ العذبُ يقالُ له «النُّقَاخُ» وما دونَ ذلك شيئًا يقالُ له «المَسُوسُ» أنشد أبو عُبيدةَ :

لو كُنْتَ ماءً كنتَ لا عَذْبَ المَذَاقِ ولا مَسُوسَا

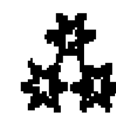
يقالُ «ماءٌ عذبٌ» و «ماءٌ فُراتٌ» وهو أَعْذَبُ العَذْبِ ، ويقال «ماءٌ مِلْحٌ» ولا يقالُ «مَالِحٌ» و «سَمَكٌ مَمْلُوحٌ ومَلِيحٌ» ولا يقالُ «مالِحٌ[1]» وأشدُّ الماء ملوحةً «الأُجَاجُ» قال الفَرَزْدَقُ :

ولو أَسْقَيْتَهُمْ عَسَلاً مُصَفًّى بماء النِّيل أو ماء الفُرَاتِ
لقالوا إنه مِلْحٌ أُجَاجٌ أَرَادَ به لنا إِحْدَى الهَنَاتِ

وقولُه «ذالثَّ سَقَى وَدْقًا فَرَوَّى وَدْقَهُ» يقالُ فيه قولانِ : أحدُهما : فَرَوَّى الغَيْمُ وَدْقَهُ هذا القبرَ ، يريدُ : من وَدْقِهِ ، فلمّا حَذَفَ حرفَ الجرِّ

(١) هكذا قال أبو العباس ، وكذلك قال الجوهرى : « لايقال ماء مالح » وكذلك قال يونس : «لم أسمع أحداً من العرب يقول ماء مالح» وقال الشريف الرضى رحمه الله فى كتاب (حقائق التأويل فى متشابه التنزيل) عند ما أراد أن ينقد على الامام المطلبى الشافعى معرفته باللغة ، قال : « وقال أيضا فى بعض كتبه : ماء مالح ، وهذا لم يقله أحد قط » ! ولفظ « مالح » نقله المزنى عن الشافعى فى أول باب الطهارة من مختصره المطبوع بحاشية الأم ، والصواب أنها لغة صحيحة معروفة وإن كانت قليلة ، والشافعى لغته حجة ، وتؤخذ عنه اللغة ، ولا تؤخذ عليه ، وفى لسان العرب : « وحكي ابن الأعرابى : ماء مالح كملح ، وإذا وصفت الشئ بما فيه من الملوحة قلت : سمك مالح وبقلة مالحة » . ونقل عن أبى منصور الأزهرى قال : « هذا وإن وجد فى كلام العرب قليلا لغة لاتنكر » وعن ابن برى قال : « قد جاء المالح فى أشعار الفصحاء » ثم ذكر شواهد لذلك .

عَمِلَ الفِعْلُ [فيه][1] ، والآخَرُ كقولك[2] : « رَوَّيْتُ زيداً ماءً[3] » [و «أَرْوَيْتُ »[4]] ، و «رَوَّى» أكثرُ من « أَرْوَى[5] » لأن « رَوَّى »[6] لايكونُ إلاَّ مَرَّةً بعدَ مرَّةٍ . يقولُ « فروَّى اللهُ وَدْقَهُ » أي جَعَله [اللهُ][7] رَوَاءً ، فأضمرَ [الفاعِلَ][1] لعلمِ المخاطَبِ ، لأنَّ قوله « لاَحَ سحابٌ » إنما معناه : أَلاَحَهُ الله ، فالفاعلُ كالمذكورِ ، لأنَّ المعنَى عليه ، ونظيره قولُه جلَّ وعزَّ: ﴿ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴾[8]. ولم يَذكر الشمسَ ، وكذلك: ﴿ما تَرَكَ على ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ ﴾[9]. ولم يَذكر الأرضَ . وقال قومٌ « وَدْقَهُ » يريد وَدْقةً واحدةً ، وهذا رَدِيءٌ في المعنَى ، ليس بمُبالِغٍ[10] .



قال ابنُ المَوْصِلِيّ[11] :

---

(١) الزيادة من هـ .
(٢) في ج و س و د و هـ « والآخر أنه يقال » .
(٣) في ج « لبناً » بدل « ماء » .
(٤) الزيادة من ج و س و د و هـ .
(٥) في ج و س و د « وَرَوَّيتُ أكثرُ من أَرْوَيْتُ » .
(٦) في ج و س و د و هـ « رَوَّيْتُ » .
(٧) الزيادة من ج .
(٨) سورة ص (٣٢) .
(٩) سورة فاطر (٤٥) .
(١٠) قال المرصفي : « بل هو فاسد ، إذ لايقال ضربت ضرباً ، يريد ضربة واحدة » .
(١١) هو إسحق بن إبرهيم الموصلي ، العالم الشاعر الأديب المغني .

لَعَمْرِى لَئِنْ حُلِّئْتُ عن مَنْهَلِ الصِّبَا ... لقد كُنْتُ وَرَّادًا لِمَنْهَلِهِ العَذْبِ[1]
لَيَالِيَ أَمْشِي بين بُرْدَىَّ لاهِيًا ... أَمِيسُ كَغُصْنِ البانَةِ النَّاعِمِ الرَّطْبِ
سلامٌ على سَيْرِ القِلَاصِ مع الرَّكْبِ ... ووَصْلِ الغَوانِي والمُدامَةِ والشَّرْبِ
سلامَ امْرِئٍ لم تَبْقَ منه بَقِيَّةٌ ... سِوَى نَظَرِ العينين أو شَهْوَةِ القلبِ

قوله « والشَّرْب » يريد جمعَ « شاربٍ » يقال « شاربٌ وشَرْبٌ » و «راكبٌ ورَكْبٌ» و « تاجرٌ وتَجْرٌ » و « زائرٌ وزَوْرٌ » قال الطِّرِمّاحُ :

حَبَّ بالزَّوْرِ الذى لا يُرَى ... منه إلاَّ صَفْحَةٌ عن لِمَامْ[2]

وهذا بابٌ متصلٌ كثيرٌ . قال العَجَّاجُ :

بِوَاسِطٍ أَكْرَمُ دَارٍ دَارَا ... واللهُ سَمَّى نَصْرَكَ الأَنْصَارَا

يريد أنصارَكَ ، فأخرجه على «ناصِرٍ ونَصْرٍ» .

وقولُه « سلامُ امْرِئٍ » على البدلِ من قوله « سلامٌ على سَيْرِ القِلَاصِ » وإن شئت نصبتَ بفعلٍ مضمرٍ ، كأنك قلتَ : أُسَلِّمُ سَلَامَ امْرِئٍ ، لأنك ذكرت سلامًا أولاً ، وَمثلُ ذلك « له صوتٌ صوتَ حمارٍ » لأنك لَمَّا قلتَ « له صوتٌ » : دللتَ على أنه يُصَوِّتُ ، كأنك[3] قلت : يصوِّتُ صَوتَ حمارٍ ، وكذلك « له حَنِينٌ حَنِينَ ثَكْلَى » و * له صَرِيفٌ صَرِيفَ القَعْوِ بالمَسَدِ[4] * أي : يَصْرِفُ صَرِيفًا ، فما كان من

(١) في ج و د و هـ « لِمَشْرَبِهِ » . وقوله « حلئت » أي : مُنعتُ .
(٢) في د « إلاَّ لُحْمَةٌ » وفي حاشية ج « إلاَّ لُمْحَةٌ » .
(٣) في ج و د و هـ « فكأنك » .
(٤) هذا عجز بيت للنابغة ، وصدره :

هذا نكرةٌ فنَصْبُه على وجهين : على المصدرِ ، وتقديرُه : يَصْرِفُ صريفاً مثلَ صريفِ جَمَلٍ ، وإن شئتَ جعلتَه حالاً ، وتقديره : يُخْرِجُه فى هذه الحالِ ، وما كان معرفةً لم يكن حالاً ولكن على المصدرِ ، فإن كان الأولُ فى غير معنى الفعلِ لم يكن النصبُ أَلْبَتَّةَ ، ولم يصلُح[1] إلاّ الرفعُ على البدلِ ، تقول « له رأسٌ رأسُ ثورٍ » و« له كفٌّ كفُّ أسدٍ » فالمرتفعُ الثانى إذا كان نكرةً كان بدلاً أو نعتاً ، وإذا كان معرفةً كان بدلاً ولم يكن نعتاً ، لأن النكرةَ لا تُنْعَتُ بالمعرفة ، وكذلك إذا كان الأولُ ابتداء لم يَجُزْ إلاّ الرفعُ ، لأن الكلامَ غيرُ مُسْتَغْنٍ ، وإنما يجوزُ الإضمارُ بعد الاستغناء ، تقول « صوتُهُ صوتُ الحمارِ[2] » و« غِنَاؤُهُ غِناء المُجيدِينَ » ، وكذلك إن خَبَّرْتَ بأمْرٍ مُسْتَقِرٍّ[3] فيه اختِيرَ الرَّفع ، تقول « له عِلْمٌ عِلْمُ الفقهاء » و « له رأيٌ رأيُ القضاة » لأنك إنما تمدحُه بأن هذا قد استقرَّ له ، وليس الأَبْلغُ فى مدحه أن تُخبرَ بأنك رأيتَه فى حالِ تَعَلُّمٍ[4] ، ويجوزُ النصبُ على أنك رأيتَه

---

* مَقْذُوفَةٌ بدَخِيس النَّحْضِ بَازِلُهَا *

قال المرصفى : « يصف ناقته بالقوة والنشاط . و [مقذوفة] مرمية باللحم . . . و [النحض] اللحم . و [دخيسه] مكتنزه . . . وأراد [بازلها] نابها الذى شق اللحم فطلع ، وإنما يكون ذلك فى السنة التاسعة ، وربما يكون فى الثامنة . و [صريفه] صوته إذا حكت بعض أنيابها ببعض . و [القعو] ماتدور فيه البكرة إن كان من خشب . . . و [المسد] الحبل المحكم الفتل » .

(١) فى د « ولم يكن » .

(٢) فى ج « حمارٍ » .

(٣) فى ج « مُسْتَقَرٌّ » .

(٤) فى د « حالِ يَتَعَلَّمُ » .

فى حالِ تَعَلُّمٍ[1] فاستدللتَ بذلك على علمه ، فهذا يَصْلُحُ ، والأجودُ الرفعُ . فإذا قلتَ « له صوتٌ صوتَ حمارٍ » فإنما خَبَّرْتَ أنه يُصَوِّتُ ، فهذا سوى ذلك المعنى .

ومما يُختارُ فيه الرفعُ قولك « عليه نَوْحٌ نَوْحُ الحَمامِ[2] » وإنما اختير الرفعُ لأنّ الهاء فى « عليه » اسمُ المفعولِ له ، والهاء فى « له » اسمُ الفاعلِ ، ويجوز النصبُ على أنك إذا قلتَ « عليه نَوْحٌ » دَلَّ النَّوحُ على أن معه نائحاً ، فكأنك قلتَ : يَنُوحون نَوْحَ الحمامِ ، فهذا تفسيرُ جميعِ هذه الأبوابِ .

*

وقال ابنُ الخَيّاط المَدِينىُّ ، يعنى مالكَ بنَ أنسٍ [الفَقِيهَ][3] :

يَأْبَى الجوابَ فما يُراجَعُ هَيْبَةً ... والسائلون نَوَاكِسُ الأذقانِ

هَدْىُ التَّقِىِّ وعِزُّ سُلْطانِ النُّهَى ... فهو العزيزُ وليس ذا سُلْطانِ

أراد : له هدىُ التَّقِىِّ ، أو : معه هدىُ التَّقِىِّ .

---

(١) فى ج و د و هـ « حالِ يَتَعَلَّمُ » .

(٢) فى ج و د « الحمامة » .

(٣) الزيادة من د .

باب

قال أبو العباس : نَذْكُرُ فى هذا الباب من كل شىء شيئًا ، ليكونَ فيه استراحةٌ للقارئ ، وانتقالٌ ينفِى المَلَلَ ، لِحُسْنِ[1] مَوْقِعِ الاستطرافِ ، ونَخْلِطُ ما فيه من الجِدِّ بشىءٍ يسيرٍ من الهَزْلِ ، ليستريحَ إليه القلبُ ، وتَسْكُنَ إليه النفسُ.

قال أبو الدَّرْداء رحمه الله : إنى لأَسْتَجِمُّ نفسى[2] بالشىء[3] من الباطلِ[4] ليكونَ أقوَى لها على الحقِّ .

وقال علىُّ بن أبى طالبٍ رحمه الله : القَلبُ إذا أُكْرِهَ عَمِيَ .

وقال [عبدُ الله[5]] بنُ مسعودٍ رحمه الله : القلوبُ تَمَلُّ كما تَمَلُّ الأبدانُ ، فابتغوا لها طَرائفَ الحِكْمةِ .

وقال ابنُ عباسٍ رضى الله عنه : العِلْمُ أكثرُ من أنْ [يُحْصَى و][6] يُؤْتَى على آخِرِه ، فَخُذْ[7] من كل شَىْءٍ أحسَنَهُ .

وليس هذا الحديثُ من البابِ الذى ذكرنا ، ولكن نذكر الشىءَ بالشىء ، إمَّا لاجتماعهما فى لفظٍ ، وإمَّا لاشتراكهما فى معنًى .

---

(١) فى ج و س « بحسن » .

(٢) يعنى : أريح نفسى ، وأصله من « جَمَّتِ البئْرُ » إذا كثر ماؤها واجتمع ، ثم قالوا : « استجم الفرس والبئر » أى : جمّ .

(٣) فى ج « بشىء » .

(٤) فى بعض الروايات الأخرى « من اللهو » والمراد على كل الروايتين اللهو المباح شرعاً .

(٥) الزيادة من س .

(٦) الزيادة من هـ .

(٧) فى ج و س و د و هـ « فخذوا » .

وقال الحسنُ ـ وليس من هذا البابِ ـ : حادِثُوا هذه القلوبَ ، فإنها سَرِيعةُ الدُّثُورِ ، واقْدَعُوا هذه الأَنْفُسَ[(١)] ، فإنها طُلَعَةٌ ، وإنكم إلاَّ تَزَعُوها تَنْزِعْ بكم إلى شرِّ غايةٍ . وقد مَضَى تفسيرُ هذا الكلامِ[(٢)] .

وقال أَرْدَشِيرُ[(٣)] بن بَابَكٍ : إن لِلآذانِ مَجّةً ، وللقلوبِ مَلَلاً ، فَفَرِّقُوا بين الحِكْمَتَيْنِ يَكُنْ ذلك استِجْمَامًا .

وكان أَنُوشَرْوانُ يقول : القلوبُ تحتاجُ إلى أقواتِها من الحِكْمةِ ، كاحتياجِ الأبدانِ إلى أقواتِها من الغِذاء .

ويُرْوَى أنه أُصِيبَ في حِكْمةِ آلِ داوودَ[(٤)] : لا ينبغى للعاقل أنْ يُخْلِيَ نفسَه من واحدةٍ من أربعٍ : من غُدُوٍّ لِمَادٍ[(٥)] ، أو إصلاحٍ[(٦)] لمَعاشٍ ، أو فِكْرٍ

---

(١) في ع « النفوس » .

(٢) مضى في (ص ١٨٠) . وقال صاحب اللسان في مادة (ح د ث) : « معناه : اجلوها بالمواعظ ، واغسلوا الدَّرن عنها ، وشوقوها حتى تنفوا عنها الطبع والصدأ الذى تراكب عليها من الذنوب ، وتعاهدوها بذلك ، كما يحادث السيف بالصقال » وقال في مادة (د ث ر) « قال أبو عبيد : سريعة الدثور ، يعنى : دروس ذكر الله وامحاءه منها ، يقول : اجلوها واغسلوا الرين والطبع الذى علاها ، بذكر الله » . وقوله « اقدعوا » أى كفوا ، و « القَدْعُ » الكفُّ والمنع . وقوله « طُلَعَة » أى كثيرة التطلع والتشوّف إلى ماليس لها .

(٣) في ع و س و د و هـ « أزدشير » بالزاى .

(٤) هكذا رسم اسمه في طبعة أوربة نقلا عن النسخ المخطوطة بالهمز ، والذى نص عليه في كتب اللغة أنه لا يهمز ، فحافظنا على الرسم الثابت في الأصول ، ليري أهل العلم رأيهم في صحته أو خطئه .

(٥) في ع و س و د و هـ « من عُدَّةٍ » .

(٦) في ع « صَلاح » .

يَقِفُ به على ما يُصْلِحُهُ مما يفسدُه، أو لَذَّةٍ في غير مُحَرَّمٍ يستعينُ بها على الحالاتِ الثلاثِ.

٭

وقال عبدُ الملك بن عمرَ بن عبد العزيز[1] لأبيه يومًا: يا أَبَةِ[2]! إنك تنامُ نومَ القائلةِ، وذو الحاجة على بابكَ غيرُ نائمٍ[3]؟ فقال له: يا بُنَيَّ! إنَّ نفسي مَطِيَّتي، فإن حَمَلْتُ عليها في التَّعَب حَسَرْتُها.

تأويلُ قوله «حَسَرْتُها»: بَلَغْتُ بها أقصى غايةِ الإعياء، قال الله جلَّ وعزَّ: ﴿يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ[4]﴾. وأنشدَ أبو عُبيدةَ:

إنَّ العَسِيرَ بها دَاءٌ مُخامِرُها ... فَشَطْرَها نَظَرُ العَيْنَيْنِ مَحْسُورُ[5]

قوله «فَشَطْرَها» يريد: قَصْدَها ونحوَها، قال الله جلَّ وعزَّ: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾[6] [و][7] قال الشاعر[8]:

لَهُنَّ الوَجَا لِمْ كُنَّ عَوْنًا على النَّوَى ... ولا زالَ منها ظالِعٌ وحَسِيرُ[9]

يعني الإبلَ، يقول: هي المُفَرِّقَةُ؛ كما قال الآخرُ:

---

(١) كان عبد الملك هذا من الصالحين المصلحين، وكان من أعوان أبيه على الخير، ومات في حياة أبيه، فشق عليه، إذ كان من أحب الناس إليه، وانظر بعض الكلام عن موته في سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم (ص ١١٦ — ١١٧ و١٢٣).

(٢) هكذا رسمت في الأصول، ورسمت في د «أبت».

(٣) في هـ «وذووالحاجات على بابك غير نيام».

(٤) سورة الملك (٤).

(٥) سبق هذا البيت في (ص ١٦٥) من هذه الطبعة، وشرحه أبو العباس هناك. وقد حققنا اختلاف رواياته ومعناه في شرحنا على (كتاب الرسالة للشافعي رقم ١٠٩ ص ٣٥ — ٣٧).

(٦) سورة البقرة (١٤٤ و ١٤٩ و ١٥٠).

(٧) الزيادة من ج و س و د.

(٨) هو جميل بن عبد الله بن معمر العذري، كما قال المرصفي.

(٩) «الوجا» بفتح الواو والجيم: هوالحفا، أوشدته، وهوأن يشتكي البعير باطن خفه، والفرس باطن حافره. و «ظالع» من «ظلع يظلع» بوزن «منع يمنع» أي غمز في مشيه، يكون في الإنسان والدابة.

ما فَرَّقَ الأُلاَّفَ بَعْـــدَ اللهِ إلاَّ الإبِلُ

ولا إذا صاحَ غُرَا بٌ في الديار احْتَمَلُوا

وما غُرابُ البَيْنِ إلاَّ ناقــةٌ أو جَمَلُ

[قال أبو الحسن: وزادني فيه غيرُ أبي العباسِ:

والناسُ يَلْحَوْنَ غُرَا بَ البَيْنِ لَمَّا جَهِلُوا

والبائِسُ المسكينُ مَا يُطْوَى عليه الرَّحَلُ[1]

ويقالُ: إنه لأَبِي الشِّيصِ[2]].

[3]فمَنْ قال «آلِفٌ» للواحد قال للجميع[4] «أُلاَّفٌ» كـ«عامِلٍ وعُمَّالٍ» و«شاربٍ وشُرَّابٍ» و«جاهِــــلٍ وجُهَّالٍ». ومن قال [للواحدِ][5] «إِلْفٌ» قال للجميع «آلاَفٌ» وتقديرُه «عِدْلٌ وأعْدالٌ» و«حِمْلٌ وأَحْمَالٌ» و«ثِقْلٌ وأثقالٌ».

وقد أنصفَ الإبلَ الذي يقولُ:

أَلاَ قَرَّحَ اللهُ الرَّوَاحِلَ إنمـا مَطَايَا قلوبِ العاشقِينَ الرَّواحِلُ

---

(١) «الرحل» جمع «رحلة» وهى اسم للارتحال. وفى بعض النسخ:

وما عَلَى ظَهْرِ غراب الـــبَيْنِ تُمْطَى الرَّحَلُ

وفى بعضها «تُطْوَى» بدل «تمطى» وما ندرى هل هــذا البيت زيادة فى الرواية أو بدل من البيت الأخير! وهو الظاهر الراجح.

(٢) هذه الزيادة من كلام أبى الحسن الأخفش، كما هو واضح، وهى ثابتة فى بعض النسخ دون بعضها. و«أبو الشيص» هو محمد بن رزين — بفتح الراء وكسر الزاى — بن سليمان بن تميم بن نهشل الخزاعى، وهو عمُّ دعبل بن على بن رزين، وكلاهما من شــعراء الدولة العباسية.

(٣) هنا فى طبعات مصر زيادة «قال أبو العباس» وليست فى الأصول.

(٤) فى هـ «للجمع». وفى ج و د «قال ألاف للجميع».

(٥) الزيادة من ج و س و د هـ.

على أنهنَّ الواصِلاتُ عُرَى النَّوَى ... إذا ما نَأَى بالآلِفِينَ التَّوَاصُلُ

وقال الآخر[(١)] :

أقولُ والهَوْجَاءُ تَمْشِي والفُضُلْ : ... قَطَّعَتِ الأَحْداجُ أعناقَ الإِبِلْ[(٢)]

« الهَوْجاءُ » التي تُجِدُّ في السَّيرِ وتَرْكَبُ[(٣)] رأسَها ، كأن بها هَوَجًا ، كما قال :

* لِلّهِ دَرُّ اليَعْمَلاتِ الهُوجِ *

وكما قال الأعشى :

وفيها إذا ما هَجَّرَتْ عَجْرَفِيَّةٌ ... إذا خِلْتَ حِرْباءَ الوَدِيقةِ أَصْيَدَا[(٤)]

---

(١) في ج « ، آخر » .

(٢) قال الشيخ المرصفي : « كأن أبا العباس لم يدر سبب هذا الرجز ولا روايته الحقة ، فغير وحرّف وبدّل ، وأسقط شطراً يتوقف عليه تفسيره كلمة [الفضل] . وقد رواه الصغاني في تكملته وذكر سببه ، قال : قال أبو سعيد : يقال لأقطعن عنق دابتي ، أي لأبيعنها ، وأنشد لأعرابي تزوج امرأة وساق إليها مهرها إبلا :

أقولُ والعَيْسَاءُ تَمْشِي والفُضُلْ ... في جِلَّةٍ منها عَرَامِيسُ عُطُلْ :

* قَطَعْتُ بالأَحْرَاحِ أعناقَ الإِبِلْ *

والعيساء : الناقة البيضاء مع شقرة يسيرة ، والذكر : أعيس ، والجمع : عيس . وجلة الإبل — بكسر الجيم — : مسانها ، جمع جليل ، مثل : صبي وصبية . وعراميس : جمع عرمس — بكسر العين والميم — وهي النوق الصلاب . وعطل — بضمتين — يقع على الواحد والجميع : التي لا قلائد عليها ولا أرسان لها . وقطعت مخفف الطاء مسنداً إلى تاء المتكلم ، والباء في قوله بالأحراح : داخلة على الثمن ، يريد : بعت أعناق الإبل بالأحراح » .

(٣) في ج و س و د و هـ « فتركب » .

(٤) قال المرصفي : « ليس في بيته : هوجاء ، ولكن فيه : عجرفية ، وهي أخت الهوج ، وهي التي لاتقصد في السير من نشاطها . وقال الجوهري : جمل فيه تعجرف وعجرفة وعجرفية — : كأن فيه خرقا وقلة مبالاة لسرعته . و : هجرت : سارت وقت الهاجرة . و : إذا خلت : بدل من قوله : إذا ماهجرت . . . و : الوديقة : شدة الحر ، و : الأصيد : الذى لايستطيع أن يلتفت برأسه . يقول : إذا خلت الحرباء لاتستطيع أن تدور مع الشمس ، وذلك حين الاستواء » .

و « والفُضُلُ » مِشْيةٌ فيها اختيالٌ ، كأَنَّ مِشْيَتَها تَخْرُجُ عن خِطامها فتَفْضُلُ عليه ، والأصلُ في ذلك : أن يمشيَ الرجلُ وقد أَفْضَلَ مِن إزارِه ، وتمشيَ المرأةُ وقد أفْضَلَتْ من ذَيْلِها ، وَإنما يفعلُ ذلك من الخُيَلاء ، ولذلك جاء في الحديثِ : « فَضْلُ الإزارِ في النارِ »[1] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي تَمِيمةَ الهُجَيْمِيِّ[2] « وإيّاكَ والمَخِيلَةَ ، فقال : يارسولَ اللهِ ! نحنُ قومٌ عَرَبٌ ، فما المَخِيلةُ ؟ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : سَبَلُ الإزارِ »[3]

وقال الشاعرُ : [ويقال : أنه لقَيْسِ بن الخَطِيمِ][4] :

ولا يُنْسِيني الحَدَثانُ عِرْضِي ولا أُرْخِي من المَرَحِ الإزارَا

وقال أبو قيسِ بن الأَسْلَتِ الأنصاريُّ :

تَمْشِي الهُوَيْنا إذا مَشَتْ فُضُلاً كأنَّها عُودُ بانَةٍ قَصِفُ[5]

---

(١) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما أسفل من الكعبين من الإزار ففي النار » . رواه البخاري والنسائي ، وفي المعنى أحاديث كثيرة ، انظر الترغيب والترهيب (ج ٣ ص ٩٧ — ١٠٠) .

(٢) « الهجيمي » بضم الهاء وفتح الجيم ، نسبة إلى « الهجيم بن عمرو بن تميم » . وأبو تميمة الهجيمي اختلف في صحبته ، فبعضهم جعله من الصحابة ، وأنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم وسمع منه ، كما جاء ذلك في بعض الأسانيد ، وبعضهم — كابن عبد البر — زعم أن أبا تميمة هو طريف — بفتح الطاء المهملة — بن مجالد ، وهو تابعي من غير خلاف . والظاهر عندي أن أبا تميمة الهجيمي اثنان ، أحدهما طريف بن مجالد التابعي ، والآخر صحابي لم يعرف اسمه .
والحديث الذي ذكره أبو العباس هنا لم أجده بهذا اللفظ ، ولكن رواه بمعناه الدولابي في الكنى والأسماء (ج ١ ص ٢٠) وانظر الكلام على أبي تميمة في الاستيعاب لابن عبد البر (ج ٢ ص ٦٤٩) وأسد الغابة (ج ٥ ص ١٥٢ — ١٥٣) .

(٣) « المخيلة » الكبر والعجب والخيلاء ، و « السبل » بفتح الباء الموحدة : اسم من إسبال الثوب ، أو هو الثوب المسبل .

(٤) الزيادة من حاشية ج .

(٥) في ج و د « إذا مَشَتْ قُطُفاً » وفي س و هـ « قطفا » وفي ج و س و د =

[قال أبو الحسن عليُّ بن سليمانَ : ما نعرفُ هذا البيتَ إلاّ لقيسِ بن الخطيم الأنصاريِّ ، أعنى « تمشِي الهوينا »][1] .

[قال أبو العباس[2]] : وقال الوَليدُ بن يزيدَ :

أنا الوليدُ الإمامُ مُفتخِرًا أُنعِمُ بَالِى وأتبَعُ الغزَلاَ[3]
أنقُلُ رِجْلى إلى مَجالِسِها ولا أُبالِى مقال مَنْ عَذَلاَ
غرّاء فَرْعاء يُستضاء بها تمشى الهُوَيْنا إذا مَشَتْ فُضُلاَ

⁂

ثم نعود إلى الباب ، قال الراجزُ يعنى إبلَهُ أو ناقتَه[4] :

إنَّ لها لَسَائِقًا خَدَلَّجَا لم يُدْلِجِ الليلةَ فيمن أدْلَجَا

« الخَدَلَّجُ » المُدْمَجُ السَّاقَيْنِ . وإنما عَنَى المرأةَ التى ساقه حُبُّه إليها .

والكلامُ يجرِى على ضروبٍ : فمنه ما يكونُ فى الأصل لنفسِهِ ، ومنه ما يُكنى عنه بغيره ، ومنه ما يقعُ مَثَلاً ، فيكونُ أبلغَ فى الوصفِ .

والكنايةُ تقعُ على ثلاثةِ أضْرُبٍ :

أحدها : التَّعْمِيَةُ والتَّغْطِيَةُ ، كقول النابغةِ الجَعْدىّ :

أكْنِى بغيرِ اسمِها وقد عَلِمَ اللهُ خَفِيّاتِ كلِّ مُكْتَتَمِ[5]

= و هـ « كأنّها خُوطُ بانةٍ » . و « قصف » بكسر الصاد ، من « قَصِفَ العودُ » بوزن « طرب » « فهو قَصِفٌ » إذا كان خواراً ضعيفاً لاشدة فيه ، قاله المرصفى .

(١) فى بعض النسخ « قال أبو الحسن : هذا وَهْمٌ من أبى العباس ، ماتُرْوَى إلا لقيس بن الخطيم » .

(٢) الزيادة من بعض النسخ التى قوبل عليها الكتاب بعد الطبع .

(٣) فى هـ « معتجراً » بدل « مفتخراً » .

(٤) فى ج و س و هـ و د « يعنى إبلاً أو نوقاً » .

(٥) فى د « مُكْتَتِمِ » .

وقال ذو الرُّمَّةِ استِرَاحةً إلى التصريح من الكناية :

أُحِبُّ المكانَ القفْرَ من أجْلِ أنَّنِي   به أتغَنَّى باسمها غيرَ مُعْجَمِ

وقال أحدُ القرشيين ، [هو محمدُ بن نُمَيْرٍ الثقفيُّ] :

وقدأرْسَلَتْ في السِّرِّ أنْ قدفَضَحْتَنِي   وقدبُحْتَ باسمي في النَّسِيبِ وماتَكْنِي[١]

ويُرْوَى : أن عمرَ بن عبدالله بنأبى ربيعةَ قال شعراً وكتب به[٢] بحضرةِ ابنِ أبى عَتِيقٍ إلى امرأةٍ مُحْرِمَةٍ[٣]، وهو :

أَلِمَّا بِذَاتِ الخالِ فاسْتَطْلِعَا لَنَا   على العَهْدِ بَاقٍ وُدُّها أمْ تَصَرَّما ؟[٤]

وقُولا لَهَا : إنَّ النَّوَى أجْنَبِيَّةٌ   بِنَا وبِكُمْ قد خِفْتُ أنْ تَتَيَمَّمَا

قال : فقال له ابنُ أبى عتيقٍ : ما ذا تُرِيدُ إلى امرأةٍ مسلمةٍ مُحْرِمَةٍ[٥] تكتُبُ إليها بمثل هذا الشعرَ ؟ ! قال : فلما كان بعد مُدَيْدَةٍ قال له ابنُ أبى ربيعةَ : أمَا علمتَ[٦] أنَّ الجوابَ جاءنا[٧] من عندِ ذاكَ الإنسانِ ؟ فقال له : ما هو ؟ فقال : كَتَبَتْ :

---

(١) فى ا « وقد نُحْتَ » .

(٢) فى د و هـ « وكتبه » .

(٣) فى ج « مُحَرَّمَةٍ » .

(٤) فى س « باقٍ وُدُّهَا » . ويجوز عندى أيضاً على سائر النسخ « باقٍ وُدُّهَا » على لغة من يجيز إثبات ياء الاسم المنقوص ، بل هو أحسن فى المعنى لأنه يريد السؤال عن ودها : أهو باقٍ أم تصرم وانقطع ؟ وحذف همزة الاستفهام من « بق » لدلالة السياق عليها ، ولقرينة قوله « فاستطلعا لنا » .

(٥) ج « مُحرَّمَةٍ » وبحاشيتها « مُحْرِمَة » .

(٦) فى ج و د « أَعَلِمْتَ » وفى س « علمت » بحذف حرف الاستفهام .

(٧) فى ج و د و هـ « جاء » وفى س « قد جاء » .

أَضْحَى قَرِيضُكَ بالهَوَى نَمَّامَا فاقْصِدْ هُدِيتَ وكُنْ له كَتَّامَا
واعْلَمْ بأَنَّ الخالَ حين ذَكَرتَهُ قَعَدَ العَدُوُّ به عليكَ وقَامَا

ويكونُ من الكنايةِ — وذاك أحسنُها[1] — : الرغبةُ عن اللفظِ الخسيسِ المُفْحِشِ إلى ما يدلُّ على معناه من غيرِه . قال اللهُ ، وله المَثَلُ الأعلى — : ﴿ أُحِلَّ لكم لَيْلَةَ الصِّيامِ الرَّفَثُ إلى نسائِكم ﴾[2] . وقال : ﴿ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاء[3] ﴾ و « المُلاَمَسَةُ » في قول أهلِ المدينة ، مالكٍ وأصحابِه — : غيرُ كنايةٍ ، إنما هو اللَّمسُ بعينه ، يقولُونَ في الرجلِ تَقَعُ يدهُ على امرأتِه أو على جاريتِه[4] بشهوةٍ[5] — : أنَّ وضوءه قد انْتَقَضَ[6] .

وكذلك قولُهم في قضاء الحاجةِ « جاء فلانٌ من الغائِط » وإنما « الغائطُ » الوادِي[7] ، وكذلك المرأةُ[8] ، قال عمرُو بن مَعْدِي كَرِبَ الزُّبَيْدِيُّ :

---

(١) في ج و س « وذلك » . وفي هـ « وهو أحَبُّها » .
(٢) سورة البقرة (١٨٧) .
(٣) سورة النساء (٤٣) وسورة المائدة (٦) .
(٤) في د و هـ « امرأةٍ » « جاريةٍ » .
(٥) في ج و س و هـ « لشهوة » .
(٦) قد أوضحنا ترجيح أن اللامسة هنا كناية عن الجماع ، فيما كتبنا سابقاً (ص ٤٧٣) .
(٧) في بعض النسخ : « ومن ذلك قولُهم : جاء فلانٌ من الغائِطِ ، كنايةٌ عن الحَدَث ، وإنما الغائطُ الوادي » .
(٨) قوله « وكذلك المرأة » ليس له معنى هنا ، وما أدرى ما وجهه ، ولعله راجع إلى موضوع اللمس ، وأنه يريد أن المرأة ينقض وضوؤها بلمس الرجل عند مالك ، فإن كان هـذا كان الصواب تقديمه هناك .

فَكَمْ مِنْ غائِطٍ مِن دُونِ سَلْمَى ... قَلِيلِ الأُنْسِ ليس به كَتِيعُ[١]

وقال اللهُ جلَّ وعزَّ فى المسيح ابنِ مريمَ وأُمِّهُ صلى الله عليهما: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾[٢]. وإنما هو كنايةٌ عن قضاء الحاجة[٣]. وقال: ﴿وقالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ علينا﴾[٤]. وإنما هى كنايةٌ عن الفُرُوج. و[مِثْلُ][٥] هذا كثيرٌ.

والضربُ الثالثُ من الكناية: التفخيمُ والتعظيمُ، ومنه اشتُقَّتْ «الكُنْيَةُ» وهو أن يُعَظَّمَ الرجلُ أَنْ يُدْعَى باسمه، ووقَعَتْ فى الكلام على ضربين: وقعتْ فى الصَّبِىِّ على جهةِ التَّفَاؤُلِ[٦] بأن يكون له ولدٌ وَيُدْعَى[٧] بولده كنايةً عن اسمه، وفى الكبير أنْ يُنادَى باسم ولدِه صيانَةً لاسمِه. وإنما يقال «كُنِىَ» عن كذا بكذا، أى تُرِكَ كذا إلى كذا، لبعض ما ذكرنا.

وكان خالدُ بن عبد الله القَسْرِىُّ لعنه الله يَلْعَنُ علىَّ [بنَ أبى طالبٍ][٨] رحمة الله عليه ورضوانُه على المنبرِ، فيقول: فَعَلَ اللهُ عَلَى علِىِّ بن أبى طالبِ بن عبد المُطَّلِبِ بن هاشِم بن عبد منافٍ ابنِ عَمِّ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) فى ج و س و د و هـ «وكم». وفى ا «الإِنْسِ». و «كتيع» بالتاء المثناة الفوقية، أى أحد، ولا يستعمل إلا مع النفى، قاله المرصفى.
(٢) سورة المائدة (٧٥).
(٣) انظر ماسبق أن قلناه فى هذا (ص ٤٧٣ — ٤٧٤).
(٤) سورة فصلت (٢١).
(٥) الزيادة من د.
(٦) فى بعض النسخ «التَّفَؤُّل» وهو صحيح أيضا، وفى اللسان: «قال ابن الأثير: تفاءلت بكذا وتفألت، على التخفيف والقلب. قال: وقد أولع الناس بترك همزه تخفيفاً».
(٧) فى ج و س و د و هـ «فيدعى».
(٨) الزيادة من ج و س و د.

وزوجِ ابنتِهِ فاطمةَ وأبِى الحسنِ والحسينِ ! ثم يُقْبِلُ على الناسِ ويقولُ[١]: أكَنَيْتُ ؟ ! فهذا تأويلُ هذا .

❁

[٢] ونرجعُ إلى الباب الذى قَصَدْنا له :

وقال أعرابىٌّ[٣] :

وحُقَّةِ مِسْكٍ مِّن نِّساءٍ لَّبِسْتُها　　شَبابِى وكَأْسٍ باكَرَتْنِى شَمُولُهَا[٤]
جَدِيدَةِ سِرْبالِ الشَّبابِ كَأَنَّها　　أَباءَةُ بَرْدِىٍّ سقتْها غُيولُها
مُخَمَّلَةٍ بِاللَّحْمِ مِن دُونِ خَصْرِها　　تَطولُ القِصارَ والطِّوالُ تَطُولُها[٥]

قوله « باكَرَتْنِى شَمُولُها » زعمَ الأصمعىُّ أنّ الخمر إنما سُمِيت « شَمُولاً » لأن لها عَصْفَةً كعصْفة الرِّيحِ الشَّمالِ .

وقوله « أَبَاءَةُ بَرْدِىٍّ » « الأَباءَةُ » القَصَبةُ ، وجمعُها « الأَبَاء » [يا فتى !][٦] . قال كعبُ بن مالكٍ الأنصارىُّ :

مَنْ سَرَّهُ ضَرْبٌ يُرَعْبِلُ بعضُهُ　　بعضاً كَمَعْمَعةِ الأَباءِ المُحْرَقِ[٧]

---

(١) فى ج و س و د و هـ «فيقول» وبها طبعت طبعات مصر .
(٢) هنا فى طبعات مصر زيادة « قال أبو العباس » وليست فى الأصول .
(٣) فى ج و د « قال » فقط .
(٤) « حقة مسك » كناية عن المرأة ، جعلها لطيب رياها مثل حقة نحتت من عاج ونحوه ، مملوءة مسكا . و « لبستها شبابى » يريد تمتعت بها زمن الشباب . قاله المرصفى .
(٥) « مخملة » فى طبعة أوربة تبعا للأصول المخطوطة بالخاء المعجمة وتحتها حاء مفردة مهملة ، لتقرأ بالوجهين . وفى ج و د و س « مجملة » ووضعت نقطة الجيم بعيدة عنها ، لتقرأ بها وبالحاء المهملة . فتقرأ إذن بستة أوجه : بالجيم وبالحاء وبالخاء ، وبالرفع وبالجر فى كل .
(٦) الزيادة من ج و س و د و هـ .
(٧) « يرعبل » أى يقطع ويمزق ، من قولهم : « رَعْبَلَ الجلدَ واللحمَ رَعْبَلَةً » .

« المَمْمَعةُ » صوتُ إحْراقه ، يقال : سمعتُ معمعةَ القَصَبِ والقَوْصَرَّةِ في النار ، أي : صوتَ احتراقها .

وإنما شَبَّهَ المرأةَ بالبَرْدِيَّة والقَصبةِ لنقاء اللونِ المستترِ منها وما وَالاَهُ وَرِقَّتِه . قال حُمَيْدُ بن ثَوْرٍ الهِلاَلِيُّ :

لم أَلْقَ عَمْرَةَ بعدَ إذْ هِيَ ناشِئٌ خرجتْ مُعَطَّفَةً عليها مِئْزَر

[« العِطَافُ » الوِشاحُ من النساء][1] .

بَرَزَتْ عَقِيلَةَ أَرْبَعٍ هَادَيْنَهَا بِيضِ الوجوه كَأَنَّهُنَّ العُنْقُرُ[2]

[« العُنْقُرُ » أصــولُ القَصبِ ، يقال « عُنْقَرٌ » و « عُنْقُرٌ »] وفي هذا الشعر :

ذَهبتْ بعقلكَ رَيْطَةٌ مَطْوِيَّةٌ وهْيَ التي تُهْدَى بها لو تُنْشَرُ[3]

[قال أبو الحسن : أنشدنيه ثعلبٌ في قوله « لو تُنْشَرُ » : « تَشْعُرُ »]

فهَمَمْتُ أنْ أَغْشَى إليها مَحْجَراً وَلَمِثْلُها يُغْشَى إليه المَحْجَرُ[4]

---

(١) الزيادة من ع و س و د .

(٢) في ع « العَنْقَرُ » بفتح العين ، ولم أجد له وجهاً ، إذ ليس في كتب اللغة إلا ضمها مع ضم القاف وفتحها .

(٣) « الريطة » الملاءة البيضاء ، وقوله « تهدى بها » أي تهدى بها إلى بعلها . وفي ع و د « تَهْذِي بها » أي أنها ذهبت بعقله حتى ليهذي بذكرها ويتمناها .

(٤) في ا « لو أغشى » . وفي هـ « عليها » بدل « إليها » . وفي د « وِلِمثْلِها » . وفي ع « يُغْشَى إليها » . و « المحجر » ضبط بفتح الميم مع كسر الجيم وفتحها ، وبكسر الميم مع فتح الجيم ، وفسر في حاشية بعض النسخ بأنه « الحرام ضد الحلال » . وذكر هذا البيت في اللسان في مادة (ح ج ر) وقال : « يقول لمثلها يؤتى إليه الحرام . وروى الأزهري عن الصيداوي أنه سمع عبويه يقول : المَحْجَرُ بفتح الجيم : الحُرْمَة » .

وقوله « سَقَتْها غُيُولُها » « الغِيلُ » هٰهنا : الأَجَمَةُ ، ومن[1] هذا قولُهم « أُسْدُ غِيلٍ » . قال طَرَفَةُ :

أُسْدُ غِيلٍ فإذا ما شَرِبُوا وَهَبُوا كُلَّ أَمُونٍ وَطِمِرْ[2]

وقد أملينا جميعَ ما في « الغَيْلِ » و« الغِيلِ[3] » .

وقوله « تَطُولُ القِصَارَ والطِّوَالُ تَطولُها » « طال » يكون على ضَرْبين : أحدُهما تقديرُه « فَعُلَ » وهو ما يقع في نفسه انتقالاً ، لا يتعدى إلى مفعول ، نحو : ما كان كريمًا فكَرُمَ[4] ، و : ما كان وضيعاً ولقد وَضُعَ ، و : ما كان شريفًا ولقد شَرُفَ ، و : كان الشيءُ صغيراً فكَبُرَ[5] ، وكذلك : كان قصيراً فطالَ[6] ، وأصله « طَوُلَ » .

وقد أَخْبَرْنا بقصةِ الياء والواو إذا انفتح ما قبلَهما وهما مُتَحَرِّكتانِ ، وعلى ذلك يقال في الفاعل « فَعِيلٌ » نحو « شَرِيفٍ » و « كَرِيم » و « طويل » . فإذا قلتَ « طَاوَلَني فطُلْتُهُ » أي : فَعَلَوْتُه طُولاً ، فتقديرُه [على][7] « فَعَلَ » نحو « خاصَمَنِي فَخَصَمْتُهُ » و « ضارَبَنِي فضَرَبْتُه » وفاعِلُهُ « طائِلٌ » كقولك « ضارِبٌ » و « خاصِمٌ » . وفي الحديث « كان رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم

(١) قال المرصفي : « هذه من أغاليط أبي العباس ، التي انتقدها على بن حمزة ، قال : وإنما الغيل هنا الماء الذي يجري بين الشجر وأصول القصب ، وذلك أن الأجمة لاتسقى ، وإنما الذي يسقي هو الماء . أما الغيل في قول طرفة فإنه الأجمة لاغير ، وهي الشجر الكثير الملتفّ يستتر فيه ، وكل ذلك بكسر الغين . فأما الغيل بالفتح فقد سلف أنه اللبن الذي ترضعه المرأة ولدها وهي تؤتى ، أو وهي حبلى ، وجمعه أغيال » .

(٢) « الأمون » الناقة الوثيقة الخلق التي أمنت العثار . و « طمرّ » بكسر الطاء والميم وتشديد الراء ، من الطمور ، وهو الوثوب ، يريد : وكل فرس جواد يثب في عدوه . قاله المرصفي .

(٣) سبق في الجزء الأول (ص ١١٩) .

(٤) في ع و س و د و هـ « ولقد كرم » .

(٥) في س « كبيراً فصغر » :

(٦) في ع و س و د و هـ « ما كان طويلا » وفي ع « ولقد طال » .

(٧) الزيادة من ع .

فَوْقَ الرَّبْعَةِ ، وإذا مَشَى مع الطِّوَالِ طَالَهُمْ »[1] .

وقال رياحُ بن سُنَيحٍ[2] الزَّنجيُّ مولَى بنى نَاجِيَةَ ، وكان فصيحًا ، يُجيبُ جَرِيرًا ، لَمَّا قال جريرٌ :

لاَ تَطْلُبَنَّ خُؤُولَةً فى تَغْلِبٍ فَالزَّنْجُ أَكرمُ منهم أَخْوَالاَ

ــ : فتحركَ رِيَاحٌ فذَكَرَ أَكْثَرَ مَنْ وَلَدَتْهُ الزَّنْجُ من أشرافِ العربِ فى قصيدةٍ مشهورةٍ معروفةٍ ، يقول فيها :

والزَّنْجُ لو لاقيتَهُمْ فى صَفِّهِمْ لاَقَيْتَ ثَمَّ جَحَاجِحًا أَبْطَالاَ[3]

ما بالُ كَلْبِ بَنِى كُلَيْبٍ سَبَّهُمْ أَنْ لَمْ يُوَازِنْ حاجبًا وَعِقَالاَ[4]

إنَّ الفرزدقَ صخرةٌ عادِيَّةٌ طالتْ فليس تَنَالُهَا الأَجْبَالاَ[5]

يريدُ : طالتِ الأَجبالَ [وَعَلَتْ[6]] فليس تنالُهَا .

---

(١) فى فتح البارى (ج ٦ ص ٤١٥) فى شرح حديث البراء « ليس بالطويل البائن ولا بالقصير » قال : « ووقع فى حديث عائشة عند ابن أبى خيثمة : لم يكن أحد يماشيه من الناس ينسب إلى الطول إلا طاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما ، فإذا فارقاه نسبا إلى الطول ونسب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الربعة » . ونقل نحو ذلك ملاّ على القارى فى شرح الشمائل (ج ١ ص ١٣) ونسبه للبيهقى وابن عساكر . وانظر حديثا لعلىّ فى مجمع الزوائد (ج ٨ ص ٢٧٢) .

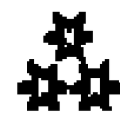
(٢) فى س و د « رَبَاح » . وفيهما وفى ع « سُبَيْح » وفى هـ « سبح » وهذا الشاعر اضطربت الروايات فى ضبط اسمه ، ولم أجد له ذكراً إلا فى (نقائض جرير والأخطل) تأليف أبى تمام (ص ٨٨ طبعة بيروت سنة ١٩٢٢) وذكر فيها باسم « سَنِيح بن رِبَاح » وروى بعض أبيات هذه القصيدة ، وذكر مصححه الاختلاف فى اسمه .

(٣) فى ع « فالزنج » وفى النقائض « الزنج » . و « الجحاجح » جمع « جَحْجَح » وهو السيد .

(٤) فى ع و س و د و هـ « سَبَّنَا » وهذا البيت ليس فى النقائض .

(٥) « عادية » أى قديمة ، تنسب إلى عاد . وفى النقائض « مَلْمُومَةٌ » . وفيها أيضا « الْأَوْعَالاَ » وهى التيوس ، واحدها « وعل » وهى لاتسكن إلا فى أعالى الجبال . وهذا البيت رواه الأنبارى فى شرح المفضليات (ص ٤٠٥) كرواية المبرد .

(٦) الزيادة من ع و د و هـ .



ثم نعودُ إلى ذكرِ الباب :

وقال مَرْوانُ بن أبي حَفْصةَ ، وهو مروانُ بن سليمانَ بن يحيي بن أبي حفصةَ ، واسمُ أبي حفصة « يَزيدُ » :

إنَّ الغَوانِيَ طالما قَتَّلْنَنا بعُيونِهنَّ ولا يَدِينَ قَتيلاَ

مِن كلِّ آنسةٍ كأنَّ حِجالَها ضُمِّنَّ أحْوَرَ في الكِناسِ كَحِيلاَ[1]

أرْدَيْنَ عُرْوَةَ والمُرَقِّشَ قبلَه كلٌّ أُصيبَ وما أطاقَ ذُهُولاَ[2]

ولقد تَرَكْنَ أبا ذُؤَيْبٍ هائمًا ولقد تَبَلْنَ كُثَيِّرًا وجَمِيلاَ[3]

وتَرَكْنَ لابنِ أبي رَبيعةَ مَنْطِقًا فيهنَّ أصْبَحَ سائرًا محمولاَ

إلاَّ أكُنْ ممَّنْ قَتَلْنَ فإنَّني ممَّن تَرَكْنَ فُؤادَهُ مَخْبُولاَ

قوله « ولا يَدِينَ قتيلاَ » يقال « وَدَى يَدِي »[4] وكلُّ ما كان مِن « فَعَلَ » ممَّا فاؤُه واوٌ ومضارعُه « يَفْعِلُ » ـ : فالواوُ ساقطةٌ منه[5]، لوقوعها بين ياءٍ وكسرةٍ ، وكذلك ما كان منه على « فَعِلَ يَفْعِلُ » لأنَّ العلةَ في سقوط

---

(١) « الحِجَالُ » جمع « حَجَلةٍ » وهى بيت كالقبة يستر بالثياب .

(٢) « عروة » هو ابن حزام ، صاحب عفراء . « والمرقش » هو الأكبر . واسمه « عمرو » أو « عوف » بن سعد بن مالك ، وصاحبته أسماء بنت عمه عوف بن مالك . أو المرقش الأصغر ، وهو ابن أخيه ، واسمه ربيعة بن سفيان بن سعد بن مالك ، وصاحبته فاطمة بنت المنذر .

(٣) « أبو ذؤيب » هو الهذلى ، خويلد بن خالد . مات عشقاً بصاحبته أم عمرو . و « كثير » هو ابن عبد الرحمن بن الأسود الخزاعى ، وصاحبته عزة بنت حميد . و « جميل » هو ابن عبد الله بن معمر العذرى ، وصاحبته بثينة بنت الأحب بن ثعلبة .

(٤) من الدية ، وهى ما يعطى من المـال حقا للقتيل .

(٥) في ج و د و هـ « فالواو فيه محذوفة » .

الواو كَسْرَةُ العينِ بعدَها ، وقد مضَى تفسيرُ هذا .

ولكنْ فى «يَدِينَ» عِلّةٌ أخرَى ، وهى : أن الياء التى هى لامُ الفعلِ بعدَ كسرةٍ ، فهى تَعْتَلُّ اعتلالَ آخِرِ «يَرْمِى» ، وأوّلُه يعتلُّ اعتلالَ واوِ «يَعِدُ» ، واحْتَمَلَ عِلّتينِ لأنّ بينهما حاجزًا ، ومِثْلُ ذلك «وَعَى يَعِى» و «وَقَى يَقِى» و «وَفَى يَفِى» و «وَشَى يَشِى» و «وَنَى فى أمْرٍ[1] يَنِى» ، وما أشْبَهَ ذلك ، ويَقَعُ فى «فَعِلَ» نحو «وَلِىَ الأميرُ الآنَ يَلِى» .

فإذا أمرتَ كان الفعلُ على حرفٍ واحدٍ فى الوصلِ ، لاتّصاله بما بعدَه ، تقولُ «يازَيْدُ عِ كلامًا» و «شِ ثوبًا» وتقولُ «لِ عَمْرًا يا زيدُ» مِن «وَلِيتُ» فإذا وَقَفْتَ قلتَ «لِهْ» و «شِهْ» و «قِهْ» ، لا يكونُ إلاّ ذلك ، لأن الواوَ تَسْقُطُ فتَبْتَدِئُ بمتحرِّكٍ[2] ، فلا تحتاجُ[3] إلى ألِفِ وصلٍ[4] ، فإذا وقفتَ احتجتَ إلى ساكنٍ تَقِفُ عليه فأدخلتَ الهاءَ لبيانِ الحركةِ فى الأوّل[5] ، ولم يَجُزْ إلاّ ذلك . ومن قال لك : الْفِظْ «لِى» بحرفٍ واحدٍ غيرِ موصولٍ — : فقد سألكَ[6] مُحالاً ، لأنك لا تبتدئُ إلاّ بمتحرّكٍ ولا تقفُ إلاّ على ساكنٍ ، فقد قال لك الْفِظْ «لِى» بساكنٍ متحركٍ فى حالٍ .

---

(١) فى هـ «فى الأمر» وفى ع و س و د «فى أمره» ، وبها طبعت طبعات مصر .
(٢) فى هـ «فلا يبتدأ إلا بمتحرك» .
(٣) فى د و س و هـ «فلا يحتاج» .
(٤) فى ع «الوصل» .
(٥) فى ع و س و د و هـ «لبيان حركة الأول» .
(٦) فى ع و س و د «سأل» .

وقوله «ضُمِّنَ» يقالُ : « ضُمِّنَ القبرُ زيداً » و « ضُمِّنَ القبرَ زيدٌ » كلٌّ صحيحٌ[١] ، فمن قال « ضُمِّنَ القبرُ زيدًا » فإنما أرادَ : جُعِلَ القبرُ ضَمِينَ زيدٍ ، ومن قال « ضُمِّنَ زيدٌ القبرَ » فإنما أراد : جُعِلَ زيدٌ فى ضِمْنِ القبرِ ، ويُنْشَدُ هذا البيتُ على وجهين [لأبى حَيَّةَ النُّمَيْرِىّ][٢] :

وَمَا غائِبٌ مَنْ غابَ يُرْجَى إيابُهُ ... ولكِنَّهُ مَنْ ضُمِّنَ اللَّحْدَ غائِبُ

و « مَنْ ضُمِّنَ[٣] اللَّحْدُ غائِبُ » يريدُ : مَن ضُمِّنَهُ اللَّحْدُ ، وحَذَفَ الهاء من صِلَةِ « مَنْ » ، وهذا من الواضح الذى لا يَحتاج إلى تفسيرٍ[٤] .

وقوله « أَحْوَرَ » يعنى ظَبْيًا ، وأهلُ الغَرِيبِ يذهبون إلى أنَّ « الحَوَرَ » فى العين : شِدَّةُ سَوَادِ سَوَادِها وشدةُ بياضِ بياضِها ، والذى عليه العربُ إنما هو : نَقاءُ البياضِ ، فعندَ ذلك يَتَّضِحُ[٥] السوادُ . وقد فسَّرنا « الحَوَرَ » و « الحَوَارِىَّ »[٦] .

و « الكِناسُ » حيثُ تَكْنِسُ البقرةُ والظَّبْيَةُ ، وهو : أن تَتَّخِذَ

(١) فى هـ « كل ذلك صحيح » .

(٢) الزيادة من س .

(٣) هكذا فى أكثر النسخ ، وفى هـ « ومَنْ رَوَى ضُمِّنَ » الخ . وفى طبعات مصر « ومن روى من ضمن » وهو فى ذاته صحيح ، ولكنه لايوافق شيئا من النسخ .

(٤) فى ج و س و هـ « لايحتاج إلى تفسيره » .

(٥) فى ج و س و د « يَصِحُّ » .

(٦) فى ج و د « والحُوَّارَى » . وقد بحثت عن ذلك فى الكتاب ، مستدلا بفهارس طبعة أوربة فلم أجده فيما مضى ، ولا فيما يأتى ، فلعله نسى ، أو أراد فى كتاب آخر من كتبه . فأما « الحور » فقد فسره هنا ، وأما « الحَوَارِىُّ » فهو الناصر ، أو ناصر الأنبياء ، وأما « الحُوَّارَى » فهو الدقيق الأبيض ، وهو لباب الدقيق .

فى الشجرةِ العاديّةِ كالبيتِ تأوِى إليه وتَبْعَرُ فيه ، فيقالُ : إنّ رائحتَه أطيبُ رائحةٍ ، لِطيبِ ما ترْتَعِي . قال ذو الرُّمّةِ :

إذا استهلّتْ عليه غَبْيَةٌ أرِجَتْ ... مَرَابِضُ العِينِ حتّى يأْرَجَ الخَشَبُ

كأنه بيتُ عطّارٍ يُضَمِّنُهُ ... لَطائمَ المِسْكِ يَحْوِيها وتُنْتَهَبُ[1]

قوله « غَبْيَةٌ[2] » هى الدُّفْعةُ من المطرِ ، وعند ذلك تتحرّكُ الرائحةُ .

و « الأَرَجُ » توَهُّجُ الرِّيحِ[3] ، وإنما يُستعمَلُ [ذلك][4] فى الريحِ الطيبةِ .

و « العِينُ » جمعُ « عَيْناء » يعنى البقرةَ الوحشيّةَ ، وبها شُبِّهتِ المرأةُ[5] ، فقيل « حورٌ عِينٌ » .

و « اللّطيمَةُ » الإبلُ التى تحمِلُ العِطْرَ والبَزَّ [والذّهبَ][6] ، لا تكونُ لغيرِ ذلك .

فيقولُ : ضُمِّنَ ظَبْيًا أحْوَرَ العَيْنِ أكْحَلَ ، وجَعَلَ الحِجَالَ كالكِنَاسِ .

وقال ابنُ عباسٍ فى قولِ الله جلّ وعزّ : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ . الْجَوَارِ

---

(١) فى ا « تَضَمّنَهُ لَطَائمُ » .

(٢) « غبية » بتقديم الباء الموحدة على الياء المثناة . ووقع فى بعض طبعات مصر بعكس ذلك ، وهو خطأ .

(٣) فى هـ « تحرُّكُ الرّيحِ وتَوَهُّجُها » .

(٤) الزيادة من ج و س .

(٥) فى هـ « النساء » .

(٦) الزيادة من ج و س و د و هـ . و « اللطيمة » لها أيضا معانى أخر ، أنسبها للشعر هنا : قطعة المسك ، أو وعاؤه ، أو ضرب من الطيب يحمل على الصدغ .

الـكُنَّس ﴾[١] . قال : أُقْسِم[٢] بِبَقَرِ الْوَحْشِ . لأنها خُنْسُ الأُنوفِ[٣] .
و « الـكُنَّسُ » التى تَلْزَمُ الـكِنَاسَ . وقال غيرُه : أُقْسِمُ بالنُّجُومِ التى
تَجْرِى بالليل وتَخْـنُسُ بالنهار ، وهو الأكثرُ .

وقوله « أَرْدَيْنَ » يقول[٤] : أَهْلَـكْنَ ، و « الرَّدَى » الهلاكُ والموتُ
مِن ذَا .

و « الذُّهُولُ » الانصراف ، يقال « ذَهِلَ[٥] » عن كذا وكذا : إذا
انصرف عنه إلى غيره [قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ
مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ ﴾[٦] أى : تَسْلَى وتَنْسَى عنـــه إلى غيره][٧] .
قال كُثَيِّرٌ .

صَحَا قَلْبُهُ ياعَزَّ أو كادَ يَذْهَلُ ... وأَضْحَى يُرِيدُ الصَّرْمَ أو يَتَدَلَّلُ[٨]

---

(١) سورة التكوير (١٥ و ١٦) .

(٢) فى ع و د « أَقْسَمَ » ولعلها أجود .

(٣) هذا التعليل ليس من كلام ابن عباس ، بل هو من كلام المبرد ، وهو خطأ منه . قال المرصفى : « ليته لم يقله ، وذلك أن خُنْس الأنوف جمع أخنس وخنساء ، من الخنس — بالتحريك — مصدر خنس — بالكسر — إذا تأخرت أرنبة أنفه مع قصره. فأما الخنس — بتشديد النون — فجمع خانس ، من خنَس يخنس — بالضم والكسر — خنْسا وخنوساً ، إذا توارى وتغيب . فأين الخُنَّسُ من الخُنْس ، وإن اشتركا فى المادة ؟ ! » .

(٤) فى ه « يريد » .

(٥) فى ع و د « ذَهَلَ » . وكلاهما صحيح ، هو من بابى « منع » و « سمع » .

(٦) سورة الحج (٢) .

(٧) الزيادة من حاشية ع .

(٨) « الصرم » القطع ، يجوز ضم الصاد وفتحها ، وضبط فى النسخ هنا بالضم فقط . وفى ع و د « يتذلل » .

وقوله « ولقد تبَلْنَ كُثَيِّرا وجَمِيلاً » أصلُ « التَّبْلِ » التِّرَةُ ، يقال : « تَبْلِي عندَ فلانٍ » . قال حَسَّانُ بن ثابتٍ :

تَبَلَتْ فُؤَادَكَ فى المنامِ خَرِيدةٌ · تَشْفِي الضَّجِيعَ ببارِدٍ بَسَّامِ

و « الخَرِيدةُ » الحَيِيَّةُ[1] .

وقوله « ممَّنْ تَرَكْنَ فؤادَه مخبولاً » يريد « الخَبْلَ » وهو الجنون ، ولو قال « مَحْبولاً » لكان حسنًا ، يريدُ : مَصِيدًا واقعًا فى الحِبَالَةِ ، كما قال الأعشَى :

فكُلُّنا هائمٌ فى إثْرِ صاحبِهِ · دَانٍ ونَاءٍ ومَحْبُولٌ ومُحْتَبِلُ

❁

وخُبِّرْتُ[2] : أن رجلاً جافيًا عَشِقَ قَيْنَةً حَضَرِيَّةً ، فكلمها يومًا على ظَهْرِ الطَّرِيقِ فلم تكلِّمْه ، فظَنَّ أن ذاك حَيَاءٌ منها ، فقال : ياخَرِيدةُ ! قد كنتُ أحْسِبكِ عَرُوبًا ، فما بَالُنا نَمِقُكِ وتَشْنَئِينَا[3] ؟ ! فقالت : يابْنَ الخبيثةِ ! أتُجَمِّشُنِي بالهَمْزِ[4] ؟ !

« الخَرِيدَةُ » الحَيِيَّةُ[1] و « العَرُوبُ » الحَسنةُ التَبَعُّلِ ، وفُسِّرَ فى القرآنِ

---

(١) فى ع « الحَيِيَةُ » بالتخفيف .

(٢) فى هـ « وحدثت » .

(٣) فى د « وتشنئبنا » .

(٤) « الجمش » و « التجميش » المغازلة والملاعبة . وفى ع « أَتُجَشِّمُنِي » بتقديم الشين على الميم ، والظاهر أنها خطأ أو سهو ، والمعنى على الأول . وقال المرصفى : « كأنها تعرض به أنه من أطاع بنى تميم ، وهم ينطقون بالهمز ، تعيب عليه الهمز فى قوله : وتشنئينا . فأما قريش وهذيل فلا ينبرون الحروف ، بل يستنكرونه » .

على ذلك ، فى قوله[1] : ﴿ عُرُبًا أَتْرَابًا[2] ﴾ . فقيلَ : هُنَّ المُحِبَّاتُ لأزواجِهِنَّ .

قال أوسُ بن حَجَرٍ [وَيقال عَبيدُ بن الأَبْرَص][3] :

[وقد لَهَوْتُ بِمثلِ الرِّئْمِ آنِسَةٍ][4] تُصْبِي الحَليمَ عَرُوبٍ غَيرِ مِكْلَاحِ[5]

وذكر الليثُ : أن رجلاً أحبَّ[6] جاريةً ولم يكنْ يُحْسِنُ مما يُتَوَصَّلُ به إلى النساء شيئاً ، إلاّ أنه كان يحفظُ القرآنَ ، فكانَ يَتَوصَّلُ إليها بالآيةِ بعدَ الآيةِ ، فكانَ إنْ وَعَدَتْهُ فأَخْلَفَتْهُ تَحَيَّنَ وَقتَ مرورِها ، فقال : ﴿ يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾[7] . وإن خَرَجَتْ خَرْجَةً ولم يَعْلَمْ بها فينتظرُ : تَحَيَّنَها[8] فى أُخرَى فتلاَ : ﴿ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ ﴾[9] . وإن وَشَى به إليها واشٍ كَتَبَ إليها ﴿ يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهالَةٍ ﴾[10] .

---

(١) طبعات مصر « قول » وهو خطأ .

(٢) سورة الواقعة (٣٧) .

(٣) الزيادة من س .

(٤) الزيادة من حاشيتى ا و ج وفى ج « لقد » .

(٥) « مكلاح » من « الكلوح » وهو العبوس .

(٦) فى ج و س و د و هـ « كان يحبّ » .

(٧) سورة الصف (٢) .

(٨) فى طبعة أوربة وطبعات مصر « تَحَيُّنَها » على أنه مصدر فاعل لقوله « فينتظر » ولكن الصحيح أن يكون كما ضبطنا « تحينها » فعلا ماضياً ، يقال : « تَحَيَّنْتُ رؤيةَ فلانٍ : أى تَنَظَّرْتُه » كما فى اللسان ، وأما المصدر فلا يصلح فاعلا لقوله « فينتظر » كما هو بين . ويؤيد صحة ماقلنا أن فى ج و س و د « فَيَنْتَظِرُها تَحَيَّنَها » .

(٩) سورة الأعراف (١٨٨) .

(١٠) سورة الحجرات (٦) .

وذكروا أن أبا القَماقِمِ[١] بن بَحْرٍ السَّقّاء عَشِقَ جاريةً مَدِينيَّةً ، فبَعَثَ إليها : إنَّ إخوانًا لِي زارُونى ، فابعثِي إلىَّ بروؤُوسٍ حتى نأكلَها[٢] ونَصْطَبِحَ[٣] على ذِكْرِكِ ، ففعلتْ ، فلما كان اليومُ الثانى[٤] بَعَثَ إليها : أنَّ القَوْمَ مُقيمونَ لم نَفْترِقْ ، فابعثى إلىَّ بقَلِيَّةٍ جَزُورِيَّةٍ وبَقَرِيَّةٍ قَدِيَّةٍ[٥] حتى نتَغَدَّاها ونَصْطَبِحَ على ذِكْرِكِ ، فلما كان فى اليوم الثالثِ بَعَثَ إليها : إنَّا لم نَفترقْ ، فابعثِي إلىَّ بِسَنْبُوسَكٍ[٦] حتى نصطبِحَ اليومَ على ذكرِكِ ، فقالت لرسوله : إنى رأيتُ الحُبَّ يَحُلُّ فى القَلْبِ ، ويَفيضُ إلى الكَبِدِ والأَحْشاء ، وإنَّ حُبَّ صاحِبِنا هذا ليس يُجاوِزُ المَعِدَةَ !!

وَخُبِّرْتُ : أن أبا العَتاهِيَةِ كان قد استأذنَ فى أن يُطْلَقَ له أن يُهْدِيَ إلى أميرِ المؤمنينَ المَهْدِيِّ فى النَّيْرُوزِ والمَهْرَجانِ[٧] ، فأَهْدَى فى أحدِهِما بَرْنِيَّةً ضَخْمَةً ، فيها ثوبٌ ناعمٌ مُطَيَّبٌ ، قد كَتَبَ فى حَواشِيهِ :

نَفْسِي بِشَيْءٍ منَ الدُّنيا معلَّقةٌ ... أللهُ والقائمُ المهدِيُّ يكفِيها

(١) فى ج و س و د و هـ « أبا القَمْقَامِ » .
(٢) فى ج و س و د و هـ « نَتَغَدّى » .
(٣) فى هـ « ونصطبِح اليومَ » .
(٤) فى ج و س « فى اليوم الثانى » .
(٥) « القلية الجزورية » مرقة تتخذ من لحوم الجزور وأكبادها . و « قرية » قطعة من لحم البقر . و « قدية » طيبة الطعم طيبة الريح ، قاله المرصفى .
(٦) « سنبوسك » قال المرصفى : « كلمة تركية . وهى طعام من رقاق محشوّ بلحم مفروم » والذى فى كتاب الألفاظ الفارسية المعربة أنه معرب « سنبوسه » وأنه عرب أيضا إلى « سنبوسق » بالقاف . فلا أدرى من أين زعمه أنها تركية .
(٧) فى ج « المهْرِجان » بكسر الراء .

إنّى لَأَيْأَسُ منها ثم يُطْمِعُنِى   فيها احتقارُكَ للدنيا وما فِيها[١]

فهَمَّ بدفع عُتْبَةَ[٢] إليه ، فجَزِعَتْ ، وقالت : يا أميرَ المؤمنين ! حُرْمتِى[٣] وخِدْمَتِى ! أتَدْفَعُنِى[٤] إلى رجلٍ قبيحِ المَنْظَرِ بائعِ جِرَارٍ ومُكْتَسِبٍ بالعِشْقِ ؟! فأعْفَاها ، وقال : امْلَئُوا [له][٥] هـذه البرنيةَ مالاً ، فقال للكُتَّابِ : أمَرَ لِى بدنانيرَ ، فقالوا : ما نَدْفَعُ ذلك ، ولكنْ إذا[٦] شئتَ أعطيناك دراهِمَ إلى أن يُفْصِحَ بما أرادَ ، فاختَلَفَ فى ذلك حولاً ، فقالتْ عُتْبةُ : لو كان عاشقاً كما يزعمُ لم يكنْ يختلفُ مُنْذُ حَوْلٍ فى التمييز بين الدراهِم والدنانير ، وقد أعْرَضَ عن ذِكْرِى صَفْحًا ! !

ودَعَتْ أبا الحرثِ جُمَّيْزَ[٧] واحدةٌ كان يحبُّها ، فجعلَتْ تُحادثُه ولا تَذْكُرُ الطعامَ ، فلما طالَ ذلك به قال : جعلنى الله فِداكِ ! لا أسْمَعُ لِلْغذاء[٨]

---

(١) فى ج و د « بما فيها » .

(٢) عتبة جارية للمهدى ، كان أبو العتاهية يعشقها ، وله فيها أشعار كثيرة ، قاله المرصفى .

(٣) فى س « أبَعْدَ حُرمتى » .

(٤) فى ج « أتندفعنى » .

(٥) الزيادة من ج و د .

(٦) فى ج و س و د و هـ « إن » بدل « إذا » .

(٧) فى س « حينا » وفى هـ « حين » وفى ج « جُمَّيْنَ » وهو الصواب . قال الذهبى فى المشتبه (ص ١٧٥) طبعة ليدن « أبو الحُرث جُمَّيْن المدنى ، صاحبُ النوادر والمَزْحِ » . ولم يذكره صاحب القاموس فى باب الزاى ، وذكره فى باب النون ورجح أن آخره زاى ، فقال : « وأبو الحُرثِ جُمَّيْنٌ كقُبَّيْطٍ المَدِينيُّ ، ضَبَطه المحدِّثونَ بالنون ، والصواب بالزاى المعجمة . أنشَدَ أبو بكر بن مقسم :

إنَّ أبا الحُرثِ جُمَّيْزا   قد أُوتِىَ الحِكمةَ والمَيْزَا » .

أقول : ولعل ذكره فى الشعر بالزاى من تندر الشاعر عليه بتحريف اسمه .

(٨) فى ج و د « للغَدَاء » .

ذِكْراً ؟ ! قالت : أَمَا تَستَحِي[1] ! أَمَا فى [أَسارِيرِ[2]] وَجْهِي ما يَشْغَلُكَ عن ذَا ؟ ![3] [فـ][4] قال لها : جَعَلَنِي الله فِدَاكِ ![5] لو أَنَّ جَمِيلاً وبُثَيْنَةَ قعدَا ساعةً لا يأكلانِ شيئاً لَبَزَقَ كلٌّ واحدٍ منهما فى وجهِ صاحبِهِ وافتَرَقَا ! !

وأُنشِدْتُ لأعرابيٍّ :

وقد رابنى من زَهْدَمٍ أَنَّ زَهْدَمًا ... يَشُدُّ على خُبْزِى ويَبْكى على جُمْلِ[6]

فلو كنتَ عُذْرِيَّ العَلاَقَةِ لم تكنْ ... سَمِيناً وأنْسَاكَ الهوَى كثرةَ الأَكْلِ[7]

وقال أعرابيٌّ :

ذَكَرْتُكِ ذِكْرَةً فاصطَدْتُ ضَبًّا ... وكنت إذا ذكرتُكِ لا أَخِيبُ[8]

✵

وقال ذو الرُّمَّةِ :

أَلَم تَعْلَمِي يا مَىُّ أَنَّا وبينَنَا ... مَهَاوٍ لِطَرْفِ العَيْنِ فيهنَّ مَطْرَحُ

ذَكَرْتُكِ إِذْ مَرَّتْ بنا أُمُّ شَادِنٍ ... أَمَامَ المَطَايَا تَشْرَئِبُّ وتَسْنَحُ

---

(١) فى ج و د « تَسْتَحْيِي » .

(٢) الزيادة من حاشية ج وعليها « صح » .

(٣) فى ج و د « عن هذا » . وفى هـ « عن الأكل » .

(٤) الزيادة من ج .

(٥) فى ج و د « فِدَاءَكِ » .

(٦) « جمل » اسم امرأة ، وكتبت فى فى طبعة أوروبة هكذا « جُمْلِ ى » وأرجح أن إثبات الياء هنا خطأ ، ولذلك لم يثبتها المرصفى فى طبعته ، وأثبتت فى الطبعتين الأخريين .

(٧) فى د « كَرَّةَ الأكل » .

(٨) فى س و د وحاشية ج « فاصطدت ظبياً » .

مِنَ المُؤْلِفَاتِ الرَّمْلَ أَدْمَاءُ حُرَّةٌ   شُعَاعُ الضُّحَى فى لَوْنِهَا يَتَوَضَّحُ[1]
هِىَ الشِّبْهُ أَعطافًا وجِيدًا ومُقْلَةً   ومَيَّةُ أَبْهَى بَعْدُ منها وأَمْلَحُ
كأَنَّ البُرَى والعاجَ عِيجَتْ مُتُونُهُ   على عُشَرٍ نَهْيٍ به السَّيْلُ أَبْطَحُ[2]
لئن كانتِ الدُّنيا علىَّ كما أَرَى   تَبَارِيحَ مِن ذِكْرَاكِ لَلْمَوْتُ أَرْوَحُ[3]

قوله « مَهَاوٍ » واحدتها « مَهْوَاةٌ » وهو : الهَواء بين الشيئين .

ويقال : لفلانٍ فى داره « مَطْرَحٌ » إذا وصفها بالسَّعَةِ ، يقال فلانٌ يَطْرَحُ بَصَرَهُ كذا مَرَّةً وكذا مرةً ، وأنشد سيبويه :

نَظَّارَةٌ حِينَ تَعْلُو الشمسُ راكِبَها   طَرْحًا بعَيْنَىْ لِيَاحٍ فيه تَحْدِيدُ

« اللِّيَاحُ » من البياض ، و « الَّلوْحُ » العطش « واللُّوحُ » الهواء .

و « الشَّادِنُ » الذى قد شَدَنَ ، أى تَحَرَّكَ . وقوله « تَشْرَئِبُّ » يقال إذا وقَفَ ينظرُ كالمتَحَيِّرِ : قد اشْرَأَبَّ نحوى ، ويقال : هو يَسْرَحُ فى المَرْعَى[4] .

وقوله « منَ المُؤْلِفَاتِ » يقال « آلَفْتُ المكانَ أُولِفُهُ إيلافًا » ويقال « أَلِفْتُهُ إلْفًا » وفى القرآنِ : ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيلَافِهِمْ﴾ وقَرَؤُا : ﴿إِلْفِهِمْ﴾ على القَصْرِ[5] .

(١) فى د « الرمل » . و « أدماء حرة » ضبطتا فى ع بالنصب والرفع معاً .
(٢) فى ع و د «نَهىَ به السَّيْلَ» .
(٣) فى حاشية ا « مِنْ حَىٍّ فَلَلْمَوْتُ » .
(٤) قال المرصفى : « كذا وقع فى نسخ الكتاب ، وكأن بها سقطاً ، وهو : ويقال للبعير وهو يسرح فى المرعى : اشرأبَّ ، إذا امتد عنقه إليه » .
(٥) هى رواية عن أبى جعفر وابن كثير ، انظر البحر لأبى حيان (ج ٨ س ٥١٤) . وفى ع و س و د و هـ بدل « على القصر » : « على أَلِفْتُ » .

وقوله « الرَّمْلَ » النصبُ فيه أجْوَدُ بالفِعْلِ ، ويجوزُ الخفضُ على شيء نذكره بعدَ الفراغِ من هذا البابِ ، إن شاء الله .

وأصلُ « الهِجَانِ » الأبيضُ[1] .

و « العِطْفُ » ما انْثَنَى من العُنقِ ، قال : ﴿ ثَانِيَ عِطْفِهِ ﴾[2] . ويقالُ للأَرْدِيَةِ « المُطُفُ » لأنها تَقَعُ على ذلك الموضعِ .

وفي الحديثِ : أنَّ قومًا يزعمون أنهم من قريشٍ أَتَوْا عمرَ بن الخطابِ رحمه الله ، وكان قائِفًا[3] ، لِيُثَبِّتَهُمْ في قُرَيْشٍ ، فقال : اخْرُجُوا بِنا إلى البَقِيعِ ، فنظَرَ إلى أَكُفِّهِمْ ، ثم قال : اطْرَحُوا العُطُفَ - واحدُها « عِطافٌ » - ثم أمَرَهُم فأَقبَلُوا وأَدْبَرُوا ، ثم أقبلَ عليهم فقال : لَيستْ بأَكفٌ قريشٍ ولا شَمَائِلِها ، فأعطاهم فيمَنْ هُمْ منه .

و « الجِيدُ » العُنُقُ .

و « البُرَى » الخَلاخِيلُ ، واحدتُها[4] « بُرَةٌ » وهيَ من الناقةِ : التي تقَعُ في مارِنِ الأَنْفِ ، والذى يَقَعُ في العَظْمِ يقالُ له « الخِشَاشُ » .

و « العاجُ » كان يُتَّخَذُ مكانَ الأَسْوِرَةِ[5] ، قال جَرِيرٌ :

تَرَى العَبَسَ الحَوْلِيَّ جَوْنًا بِكُوعِها ... لها مَسَكًا مِنْ غيرِ عَاجٍ ولا ذَبْلِ[6]

---

(١) هكذا ثبتت هذه الجملة في النسخ ، ولم يسبق في الأبيات كلمة « هجان » حتى تفسر .
(٢) سورة الحج (٩) .
(٣) القيافة : تتبع الآثار ومعرفتها ، ومنه سمى « القائف » وهو الذى ينظر إلى شبه الولد بأبيه .
(٤) في ج و س و د و هـ « واحدها » .
(٥) في ج و س و د « كان يتخذ كالأَسْوِرَةِ » .
(٦) في ج « بكُرْعِها » ولا وجه له ، لأن جمع « الكراع » « أَكْرُعٌ » وجمع الجمع « أَكارِعُ » .

« العَبَسُ » ما يَتَعَلَّقُ(١) من الأَبْعارِ والبولِ بِأذنابِ الإبل ، و « الوَذَحُ » الذى يَتَعَلَّقُ(١) بأطرافِ إلآءِ الشّاءِ(٢) ، ويكون العَبَسُ في أذنابِ الإبل من البول إذا خَثَرَ .

و « الجَوْن » هٰهنا الأَسودُ ، وهو الأغلَبُ فيه . و « الكُوعُ » رأسُ الزَّند الذى يَلِي الإبهامَ ، و « الكُرْسُوعُ » رأسُه الذى يلى الخِنْصَرَ ، و « المَسَكَةُ » السِّوارُ . و « الذَّبْلُ » شيء يُتَّخَذُ من القُرون ، كالأَسْوِرَةِ ، ويقال « سِوَارٌ » و « سُوَارٌ » و « إسْوَارٌ » ، قالت الخَنْسَاء :

* كأَنَّهُ تحتَ طَيِّ الْبُرْدِ إسْوَارُ *

و « العُشَرُ » شجرٌ بعينِهِ .

و « الأَبْطَحُ » ما انبطحَ من الوادِى ، يقال « أَبْطَحُ وبَطْحَاء » يافتى ! و « أَبْرَقُ وبَرْقَاء » و « أَمْعَزُ ومَعْزَاء » وهذا كثيرٌ .

و « التَّبارِيحُ » الشدائدُ ، يقال « بَرَّحَ به » ، وفى الحديث(٣) : « فأَيْنَ

---

(١) فى ج و س و د فى الموضعين « ماتَعَلَّقَ » .

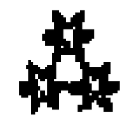
(٢) فى هـ « بأطراف أَلَيَاتِ الغنم » وفى س « بأذناب الشاة » . وفى ج « بأذناب الشاء » . وهذه النسخ كلها أصح مما فى الأصل ، لأن المراد مايتعلق بألية الشاة ، وجمعها « أَلَيَاتٍ » وأما « ألآء » بفتح الهمزة فى أوله فانه جمع « أليانة » و « أَلْيَا » أى عظيمة الإلية ، فلا يصلح هنا ، والذى فى طبعة أوربة « إلاء » بكسر أوله ، وهو خطأ ، إذ ليس بجمع « إلية » ولا « أليانة » » .

(٣) قال المرصفى : « يريد ما كان من حديث على بن أبى طالب رضى الله عنه مع الخوارج بالنهروان » .

أصحابُ[1] النَّهْرِ ؟ قال : لَقُوا بَرَحًا »[2] والعربُ لا تعرفُه إلاَّ ساكنَ الراء ، قال جريرٌ :

مَا كنتُ أوَّلَ مَشْعُوفٍ أضَرَّ بِهِ بَرْحُ الهوَى وعَذابٌ غيرُ تَفْتِيرِ[3]

[قال أبو الحسن : وقد سمعنا من غير أبي العباسِ : يقال « لقيتُ منك بَرَحًا » بالفتح ، ويقال « لَقِيَ منه البُرَحِينَ »[4] أي الدَّواهِيَ الشِّدَادَ التي تُبَرِّحُ][5] .



قال أبو العباس : فى المثل السائرِ : قيلَ لرجلٍ : مَا خَفِيَ ؟ قال : مالم يكنْ .

[وقيل][6] فى تفسيرِ هذه الآية : ﴿ يَعْلَمُ السِّرَّ وأَخْفَى ﴾[7] . قال :

---

(١) فى ج و س و د « أهل » بدل « أصحاب » .

(٢) فى د زيادة « يقالُ لَقِيتُ منك بَرْحًا » .

(٣) « مشعوف » بالعين المهملة ، من « الشَّعْف » وهو إحراق الحب القلب مع لذة يجدها . وفى ج و س و د و هـ « مشغوف » بالغين معجمة ، من قولهم « شَغَفَه الحبُّ يَشْغَفُه شَغْفاً وشَغَفاً وصل إلى شَغَافِ قلبه ، وهو غلافه » . ونقل أصحاب المعاجم والزمخشرى فى الكشاف (ج ٢ ص ٢٥٢) أنه قد قرىء « قد شغفها حبًّا » [سورة يوسف ٣٠] : « شعفها » بالعين المهملة أيضا ، ولم أجدها فى شىء من كتب القراءات .

(٤) قال المرصفى : « البرحين : مثلث الباء مع فتح الراء وكسر الحاء ، استعملوه كأرضين ، وقد أماتوا واحده ، لما أرادوا وصف الدواهى بالكثرة » .

(٥) الزيادة من س .

(٦) الزيادة من هـ .

(٧) سورة طه (٧) .

ما حَدَّثْتَ به نفسَكَ ، كما قال : ﴿ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فى أَنْفُسِكُمْ ﴾[1] وتقديرُه فى العربية : وأَخْفَى منه .

والعربُ تحذفُ مثلَ هذا ، فيقولُ القائلُ : مررتُ بالفيلِ أو أعْظَمَ ، و : إنه لكالبَقَّةِ[2] أو أصْغَرُ ، ولو قال : رأيتُ زيداً أوشَبِيهاً ـ : لجازَ ، لأنَّ فى الكلام دليلاً ، ولو قال : رأيتُ الجملَ أوراكباً ، وهو يريدُ « عليه » ـ : لم يَجُزْ لأنه لادليلَ فيه ، والأوّل إنما قرّبَ شيئاً من شىء ، وههنا إنما ذَكر شيئاً ليس من شَكْلِ ما قبلَه .

فأمّا قوله جلّ ثناؤه : ﴿ وهُوَ أَهْوَنُ عليه ﴾[3] ففيه قولانِ : أحدُهما ـ وهو المَرْضِيُّ عندنا ـ : إنما هو : وهو عليه هَيِّنٌ ، لأن اللهَ جلّ وعزّ لا يكونُ عليه شىءٌ أهْوَنَ من شىءٍ آخرَ ، وقد قال مَعْنُ بن أَوْسٍ :

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِى وإنِّى لَأَوْجَلُ ... على أَيِّنَا تَغْدُو المَنِيَّةُ أَوَّلُ[4]

أراد : وإنّى لَوَجِلٌ ، وكذلك يُتأَوَّلُ ما فى الأذانِ « اللهُ أكبَرُ اللهُ أكبرُ » أى : اللهُ كبيرٌ ، لأنه إنما يُفاضَلُ بين الشيئين إذا كانا من جنسٍ [واحدٍ][5] ، يقال : هذا أكبرُ من هذا ـ : إذا شاكَلَهُ فى بابٍ .

---

(١) سورة البقرة (٢٣٥) .

(٢) فى ع و س « وإنه كالبقة » .

(٣) سورة الروم (٢٧) .

(٤) مضى هذا البيت فى (ص٥٦٧) وقوله « تغدو » بالغين المعجمة ، وفى ع و س و د و هـ و ا « تعدو » بالمهملة ، وقد وضع فى طبعة أوربة تحت المعجمة عين مهملة ، لتقرأ بالوجهين . وهذا البيت من قصيدة جيدة ، ذكر بعضها فى لباب الآداب (ص ٣٩٩ ـ ٤٠٠) وأشرنا فى تعليقنا عليه الى مصادرها .

(٥) الزيادة من ع و س و د .

فأَما « اللهُ أَجْوَد من فلانٍ » و« اللهُ أعلَمُ بذلك منك » ـ : فوجهُهُ[١] بَيِّنٌ ، لأنه من طريقِ العلمِ والمعرفةِ والبَذْلِ والإعْطاء .

وقومٌ يقولون « اللهُ أكبرُ من كلِّ شيء » وليس يقع هذا على مَحْضِ الرُّؤْيَةِ[٢] ، لأنه تبارك وتعالى ليس كمثـلِه [شيء][٣] ، وكذلك قولُ الفَرَزْدَقِ[٤] :

إِنَّ الذى سَمَكَ السَّماءَ بَنَى لنا   بَيْتًا دعَائِمُهُ أَعَزُّ وأَطْوَلُ

ـ : جائزٌ أن يكونَ قال للذى يخاطبُه « مِنْ بيتِكَ » فاستغنى عن ذكرِ ذلك[٥] بما جَرَى من المخاطَبَةِ والمفاخَرَةِ ، وجائزٌ أن تكونَ دَعَائِمُهُ عزيزةً طويلةً ، [كما][٦] قال الراجزُ[٧] :

قُبِّحْتُمُ ياآلَ زَيْدٍ نَفَرَا   أَلْأَمُ قَوْمٍ أَصْغَرًا وأَكْبَرَا[٨]

يريدُ : صِغارًا وكِبارًا .

فأما قولُ مالكِ بن نُوَيْرَةَ فى ذُؤَابِ[٩] بن رَبيعةَ حيث قَتَلَ عُتَيْبَةَ[١٠]

---

(١) فى ج و س « فوَجْهُه » .

(٢) فى ج و س « الرَّوِيَّةِ » . ولعلها أجود وأصح .

(٣) الزيادة من ج و س و د و ﻫ .

(٤) فى ج « وكذلك قال الفرزدق » .

(٥) فى د « عن ذكره » .

(٦) الزيادة من ج .

(٧) فى ج و س و د و ﻫ « قال الآخر » .

(٨) « ألأم » رسمت هكذا فى س و د و ﻫ . ورسمت فى باقي الأصول « أَلْأَمُ » .

(٩) فى ج « ذُوَاب » بتسهيل الهمزة .

(١٠) فى ج و د « عُتْبَة » .

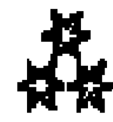
بن الحٰرثِ بن شهابٍ ، وفَخْرُ(١) بنى أسدٍ بذلك ، مع كثرةِ من قتلَتْ بنو يَرْبُوعٍ منهم - :

فَخَرَتْ بَنُو أَسَدٍ بِمَقْتَلِ واحِدٍ   صَدَقَتْ بنو أَسَدٍ عُتَيْبةُ أَفْضَلُ

فإنما معناه : أفضلُ ممن قتَلُوا ، على ذلك يَدُلُّ الكلامُ ، وقد أبانَ ما قلنا فى بيتِه الثانى بقوله :

فَخَروا بِمَقْتَلِهِ ولا يُوفِى بِهِ   مَثْنَى سَرَاتِهِمُ الذينَ نُقَتِّلُ

والقولُ الثانى فى الآية : وهو أهونُ عليه عندَكم ، لأن إعادة الشىء عندَ الناس أهونُ منَ ابتدائِه حتى يَجْعَلَ شيئًا(٢) مِنْ لا شىء(٣) .



ثم نعودُ إلى الباب .

قال زُهَيْرٌ :

ومَهْما تَكُنْ عند امرىء من خَليقةٍ   ولو خالَهَا تَخْفَى على الناس تُعْلَمِ(٤)

فهذا مِثْلُ المَثَلِ الذى ذكرناه .

وقال عمرُو بن العاصِ(٥) : إذا أنا أَفْشَيْتُ سِرِّى إلى صَدِيقٍ(٦) فأذاعَهُ فهو فى حِلٍّ ، فقيل له : وكيف ذاكَ ؟ ! قال : أنا كنتُ أحَقَّ بصِيانتِه .

---

(١) فى ج «وفَخْرِ» وفى د «وفَخْرَ» .

(٢) فى ج و س و د «حتى يُجْعَلَ شىء» .

(٣) فى ج و س و د و هـ «من غير شىء» .

(٤) فى س «وإن خالها» .

(٥) فى ج و د «العاصى» .

(٦) فى ج «صديق» .

وقال امْرُؤُ القَيْسِ :

إذا المَرْءُ لم يَخْزُنْ عليه لِسَانَهُ ... فَلَيْسَ على شيءٍ سِوَاهُ بِخَزَّانِ

وأحْسَنُ ما سُمِـعَ فى هذا [المعنى][1] : ما يُعْزَى إلى علىّ بن أبى طالبٍ رضى الله عنه ، فقائلٌ يقولُ : هُوَ لَهُ ، ويقولُ آخرونَ : قاله مُتَمَثِّلاً ، ولم يُخْتَلَفْ[2] فى أنه كان يُكْثِرُ إنشادَهُ :

فلا تُفْشِ سِرَّكَ إلاَّ إليكَ ... فإنَّ لِكُلِّ نَصِيحٍ نَصِيحَا

وإنِّى رأيتُ غُوَاةَ الرِّجَا ... لِ لا يَتْرُكونَ أدِيمًا صَحِيحَا

وذَكر العُتْبِىُّ : أنَّ معاويةَ [بن أبى سفيانَ][3] أسَرَّ إلى عثمان بن عَنْبَسَةَ بن أبى سفيانَ حديثًا ، قال عثمانُ : فجئتُ إلى أبى ، فقلتُ : إنَّ أميرَ المؤمنين أسَرَّ إلىَّ حديثًا ، أفأُحَدِّثُكَ به ؟ قال : لا ، إنه مَنْ كَتَمَ حديثَه كان الخِيارُ إليه ، ومَنْ أظْهره كان الخيارُ عليه ، فلا تجعلْ نفسَك مملوكًا بَعْدَ أنْ كنتَ مالِـكًا ، فقلت له : أوَيَدْخُلُ هذا بين الرَّجلِ وأبيه ؟ ! فقال : لا ، ولكنى أكرهُ أن تُذَلِّلَ لسانَك بإفشاءِ السِّرِّ ، قال : فرجعتُ إلى معاويةَ فذكرتُ ذاك له ، فقال معاويةُ : أعْتَقَكَ أخِى من رِقِّ الخَطَإِ .

وقال معاويةُ : أُعِنْتُ عَلَى علِيٍّ رحمه الله بأربعٍ : كنتُ رجلاً أكْتُمُ سِرِّى ، وكان رجلاً ظُهَرَةً[4] ، وكنتُ فى أطْوَعِ جُنْدٍ وأصلَحِهِ ، وكان فى

---

(١) الزيادة من د .

(٢) فى ج و د « ولن يُخْتَلَفَ » .

(٣) الزيادة من ج و س و د .

(٤) « ظهرة » بضم الظاء المعجمة وفتح الهاء ، أى يظهر أمره للناس .

أخبثِ جندٍ وأعصاهُ ، وتركتُه وأصحابَ الجَمَلِ ، وقلتُ : إنْ ظَفِرُوا به كانوا أهْوَنَ عليَّ منه ، وإن ظَفِرَ بهم اعْتَدَدتُ بها عليه في دينه ، وكنتُ أحَبَّ إلى قُرَيْشٍ منه ، فيَا لَكَ من جامعٍ إليَّ ومُفَرِّق عنه ، وعَوْنٍ لى وعونٍ عليه .

وقال أرْدَشيرُ(١) : الدَّاءُ فى كلِّ مكتومٍ .

وقال الأخطلُ :

إن العداوةَ تَلْقاها وإن قَدُمَتْ ... كالعُرِّ يَكْمُنُ حيناً ثم يَنْتَشِرُ(٢)

وقال جَميلٌ :

ولا يَسْمَعَنْ سِرِّى وسِرَّكِ ثالثٌ ... ألَا كلُّ سِرٍّ جاوَزَ اثنينِ شائعُ

وقال آخرُ ، وهو مِسْكِينٌ الدارِمِىُّ(٣) :

وفِتْيانِ صِدْقٍ لستُ مُطْلِعَ بعضِهم ... على سِرِّ بعضٍ غيرَ أنِّى جِماعُها(٤)

يَظَلُّونَ فى الأرضِ الفَضاءِ وسِرُّهُمْ ... إلى صَخْرَةٍ أعْيَا الرجالَ انصداعُها(٥)

[لِكُلِّ امرىءٍ شِعْبٌ من القلبِ فارغٌ ... وموضعُ نَجْوَى لا يُرَامُ اطِّلاعُها](٦)

وقال آخرُ :

سأكتُمه سِرِّى وأحفظُ سِرَّهُ ... ولا غَرَّنِى أنِّى عليهِ كريمُ

---

(١) فى ع و س و د « أزدشير » بالزاى .

(٢) « العرّ » بفتح العين المهملة وبضمها ، وهو الجرب .

(٣) قال المرصفى : « مسكين : لقب غلب عليه ، واسمه : ربيعة بن عامر بن أنيف بن شريح — مصغرين — بن عمرو بن زيد بن عدس بن دارم ، شاعر أموى شريف ، من سادات قومه » .

(٤) فى ع و س و د « لستُ أُطْلِعُ بعضَهم » .

(٥) بحاشية ا « يَظَلُّون شَتَّى فى البلادِ » .

(٦) الزيادة من حاشية ع . و « الشعب » بكسر الشين : الطريق فى الجبل . قال المرصفى : « الأجود تقديم هذا البيت على ماقبله ، كما صنع أبو تمام فى حماسته » .

حَلِيمٌ فيَنْسَى أو جَهولٌ يُضيعُهُ وما الناسُ إلاَّ جاهلٌ وحَليمُ[(١)]

وكان يقال : أصبرُ الناسِ مَنْ صبرَ على كِتْمانِ سِرِّهِ ، ولم يُبْدِه[(٢)] لصديقه ، فيوشِكَ أن يصير عَدُوًّا فيُذيعَهُ .

وقال العُتْبِيُّ[(٣)] :

ولى صاحِبٌ سِرِّى المُكَتَّمُ عندَه مَخاريقُ نيرانٍ بلَيلٍ تُحَرَّقُ[(٤)]

عَطَفْتُ على أسرارِه فكَسَوْتُها ثياباً من الكِتمانِ لا تتخَرَّقُ

فمَنْ تكُنِ الأسرارُ تَطْفُو بصدرِه فأسرارُ صَدْرِى بالأحاديث تُغْرَقُ

فلا تُودِعَنَّ الدهرَ سِرَّكَ أحمقاً فإنكَ إن أودعتَهُ منه أحمقُ

وحَسْبُكَ فى سَتْرِ الأحاديثِ واعِظاً من القول ماقال الأريبُ المُوَفَّقُ:[(٥)]

« إذا ضاق صَدْرُ المَرْءِ عن سِرِّ نفسِه فصَدْرُ الذى يُسْتَوْدَعُ السِّرَّ أضيَقُ »[(٦)]

وقال كَعْبُ بن سَعْدٍ الغَنَوِىُّ :

ولستُ بمُبْدٍ للرجالِ سَرِيرَتِى وما أنا عن أسرارِهم بِسَؤُولِ[(٧)]

---

(١) فى د « أو جهولٌ فيُتَّقى » .

(٢) فى ج و س و د « فلم يبده » .

(٣) فى طبعات مصر « وقال آخر » وهو مخالف لكل النسخ .

(٤) قال المرصفى : « مخاريق : جمع مخراق ، بكسر الميم وسكون الخاء المعجمة ، وهو مايلعب به الصبيان من الخرق المفتولة ، يضرب بها بعضهم بعضا ، وكنى بتحريقها عن إذاعة سره » .

(٥) فى ج و س و د « الأديب » .

(٦) هذا البيت لشاعر آخر ، وهو مع بيت قبله فى لباب الآداب (ص ٢٤٠) . قال المرصفى : « هـذا هو الذى يسميه علماء البديع بالايداع ، وهو أن يودع الناظم شعره بيتاً أو شطراً من شعر غيره ، مع التنبيه عليه ، فان اشتهر لصاحبه ساغ له أخذه من غير تنبيه عليه » .

(٧) فى ج و د « ولا أنا » .

[ولا أنا يوماً للحديثِ سَمِعْتُهُ   إلى هٰهنا مِنْ هٰهنا بنَقُولِ][1]

[وما أنا لِلشئِ الذى ليس نافِعِى   ويَغضَبُ منه صاحِبِى بقَؤُولِ][2]

وقد ذكرنا قولَ العباسِ بنِ عبد المُطَّلِب رحمه الله لابنِه عبدِ الله[3] : إن هذا الرجلَ قد اختصَّكَ دونَ[4] أصحابِ رسول الله صلى الله عليه وسلم[5] فاحْفَظْ عنِّى ثلاثاً : لا يُجَرِّبَنَّ عليك كَذِباً ، ولا تُفْشِيَنَّ له سِرًّا ، ولا تغتَبْ عندَه أحدًا . فقيلَ لابنِ عباسٍ : كلُّ واحدةٍ منهنَّ خيرٌ من ألفِ دينارٍ ، فقال : كلُّ واحدةٍ منهنَّ خيرٌ من عشرةِ آلافٍ .

وقال بعضُ المُحْدَثِينَ :

لى حيلةٌ فيمن يَنُمُّ   وليس فى الكَذَّابِ حِيلَهْ

مَنْ كان يَخْلُقُ ما يقو   لُ فحيلتى فيه قليلَهْ[6]

وقال آخرُ [قال أبو الحسن : هو أبو العباسِ المُبَرِّدُ][7] :

إنَّ النَّمومَ أُغَطِّى دونَه خَبَرِى   وليس لى حيلةٌ فى مُفْتَرِى الكَذِبِ

وقال بعضُ المُحْدَثِينَ :

---

(١) الزيادة من ج .

(٢) الزيادة من نسخة أخرى فى جزء التعليقات ، من طبعة أوربة ، وهذا البيت ذكره المرصفى فى شرحه ضمن أبيات للشاعر ، ولكنه قبل البيتين اللذين هنا .

(٣) لم أجد قول العباس هذا فيم مضى من كتاب الكامل ، ولا فيما سيأتى ، بعد التتبع بمعونة الفهرس ، فى طبعة أوربة ، فلعل أبا العباس نسى .

(٤) فى طبعات مصر « من دون » وحرف «من» ليس فى أصول طبعة أوربة ، ولكنه مذكور فى جزء التعليقات عن بعض النسخ .

(٥) فى ج و س و د « أصحاب محمد عليه السلام » .

(٦) فى ج و س و د وحاشية ا « مَنْ كان يَكْذِبُ ما يُرِيدُ » .

(٧) فى بعض النسخ « هذا البيت للمبرِّد » .

كَتَمْتُ الهَوَى حتى إذا نَطَقَتْ به بوادِرُ من دَمعٍ تَسِيلُ على الخَدِّ[١]
وشاعَ الذى أضمرتُ من غيرِ مَنْطِق كأنَّ ضميرَ القلبِ يَرْشَحُ من جِلْدِى

⁂

وقال جميلُ بن عبد الله بن مَعْمَرٍ العُذْرِىُّ[٢] :

إذا جاوَزَ الإثنينِ سِرٌّ فإنه بِنَثٍّ وَإفْشَاء الحديثِ قَمِينُ[٣]

وتأويلُ « قَمِينٍ » و« حَقِيقٍ » و « جَدِيرٍ » و « خَلِيقٍ » ـ : واحدٌ ، أى قريبٌ مِن ذاكَ ، هذه حقيقتُه ، يقال « قَمِنٌ » و « قَمَنٌ » فى معنًى ، قال الحارث بن خالدٍ المخزومىُّ :

مَنْ كان يسألُ عنَّا أينَ منزلُنا فالأُقْحُوَانَةُ منَّا منزلٌ قَمَن

وفى الحديثِ أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال : « من باعَ دارًا أو عقارًا فلم يَرْدُدْ ثمنَه فى مثلِهِ فذلك مالٌ قَمِنٌ ألاَّ يُبارَكَ فيه »[٤] .

---

(١) فى ج « من دمعى يسيل » . وفى ج و س و د «على خدّى» وبها طبعت طبعات مصر .

(٢) هذا خطأ ، فان البيت معروف لقيس بن الخطيم ، وهو فى ديوانه (ص ٢٨) وكذلك نسب إليه فى الأمالى (ج ٢ ص ١٧٧ و ٢٠٢) والمستطرف (ج ١ ص ٢٨٤) . وقد ذكره الأمير أسامة فى لباب الآداب ضمن أبيات (ص ٢٣) فنسبه لقيس على الصواب ، ثم ذكره (ص ٢٤٠) فنسبه لجميل ، فأخطأ كما أخطأ أبو العباس .

(٣) فى ج و س و د « إذا جَاوزَ الخِلَّيْنِ » . وفى د «وتكثيرِ الوُشاةِ قَمِينُ » . وهو موافق للرواية الثانية فى لباب الآداب . و « النث » إفشاء السرّ ونشره .

(٤) أقرب لفظ لهذه الرواية رواية ابن ماجه فى سننه (ج ٢ ص ٥١) من حديث سعيد بن حريث قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من باع داراً أو عقاراً فلم يجعل ثمنه فى مثله كان قمنا أن لايبارك فيه » . وليس لسعيد بن حريث فى الكتب الستة شىء إلا هذا الحديث عند ابن ماجه ، ورواه أيضا أحمد فى المسند (ج ٣ ص ٤٦٧ وج ٤ ص ٣٠٧) والدارمى فى سننه (ج ٢ ص ٢٧٣) وفى إسناده عندهم « إسمعيل بن إبرهيم بن مهاجر » ضعفه بعضهم من قبل حفظه ، وأنكروا عليه هذا الحديث ، ولكنه لم ينفرد به ، فقد رواه

وقال الرَّقاشيُّ :

إذا نحنُ خِفْنا الكاشحينَ فلم نُطِقْ كلامًا تكلَّمْنا بأعيُنِنا سِرَّا
فَنَقْضِي ولم يُعْلَمْ بنا كلُّ حاجةٍ ولم نَكْشِفِ النَّجْوَى ولم نَهْتِكِ السِّتْرَا

وقال معاويةُ لعَيَّاش بن صُحَارٍ العَبْدِيِّ[1]: ما أقْرَبُ الاختصارِ؟ قالَ: لَمْحةٌ دالَّةٌ.

وقيلَ : خيرُ الكلامِ ما أغنَى اختصارُهُ عن إكثارِه .

وقيلَ : النَّمائِمُ[2] سِهامٌ قاتلٌ .

وقال أحدُ المُحْدَثِينَ[3] :

لا أكْتُمُ الأسرَارَ لكنْ أُذِيعُها ولا أدَعُ الأسرارَ تَغْلِي على قَلْبي[4]

أيضا قيس بن الربيع ، وهو ضعيف الحفظ ، فتابعة كل منهما للآخر تزيل مايخشى من سوء حفظهما . وانظر ما كتبناه فى ذلك فى تعليقنا على الخراج ليحيي بن آدم (رقم ٢٦٤) . وقد ورد معناه أيضا عند أحمد من حديث سعيد بن زيد (ج ١ ص ١٩٠) وعند ابن ماجه من حديث حذيفة بن اليمان (ج ٢ ص ٥١) ، وحديث حذيفة نسبه أيضا السيوطى فى الجامع الصغير (رقم ٨٥٥٥) والعجلونى فى كشف الخفا (رقم ٢٤١٥) إلى الضياء فى المختارة ، ونسباه أيضا إلى مسند الطيالسى ، ولم أجده فيه ، وبالجملة فالحديث له أصل ، وهو صحيح بمجموع رواياته .

(١) هكذا ذكر اسمه أبو العباس المبرد ، وأخطأ فيه ، إنما هو « صحار بن عياش » و « صحار » بضم الصاد وتخفيف الحاء المهملتين وآخره راء ، قال ابن دريد فى الاشتقاق (ص ٢٠١) : « والصُّحَارُ عَرَقُ الحُمَّى فى عَقِبِها » . و « عياش » بالياء المثناة التحتية وآخره شين معجمة ، وقيل فيه أيضاً « عباس » بالموحدة والمهملة . قال ابن دريد فى الاشتقاق : « صحار بن عياش : كان ممن وفد على النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وكان عثمانيّ الرأى ، مخالفاً لقومه » يعنى بنى عبد القيس . وترجم له ابن حجر فى الإصابة (ج ٣ ص ٢٣٥ـ٢٣٦) ، وقال : « لصحار أخبار حسان ، وكان بليغاً مفوها » ثم نقل بعض أخباره ، ومنها عن البيان للجاحظ : « قال معاوية لصحار : ماالبلاغة ؟ قال . الإيجاز ، قال . وما الإيجاز ؟ قال . أن لاتبطئ ولا تخطئ » . وانظرها مفصلة فى البيان (ج ١ ص ٩٣ ـ ٩٤) .

(٢) فى ج و س و د « النَّمَّامُ » .

(٣) فى ج و س و د « بعضُ المحدَثين » . وبها طبعت فى مصر .

(٤) فى ج و س و د بدل « أذيعها » « أُغُمُّهَا » . وبها طبعت فى مصر .

وَإن قَايِلَ العقلِ مَنْ باتَ ليلةً   تقلّبهُ الاشرارُ جَنْباً على جَنْبِ[1]

وقال آخرُ :

وأَمْنَعُ جارَتى من كلِّ خيرٍ   وأَمشِي بالنَّميمةِ بينَ صَحْبِي

ويقالُ للنَّمّامِ « القَتَّاتُ » .

وفى حديثٍ[2] : « لا يَرَاحُ القَتَّاتُ رائحةَ الجنّةِ[3] » .

وفى الحديثِ عن النبي صلى الله عليه وسلم : « لعَنَ اللهُ المثَلِّثَ . فقيلَ : يا رسولَ الله ! ومَنِ المُثَلِّثُ ؟ فقال : الذى يَسْعَى بصاحبِه إلى سُلْطانِه ، فيُهْلِكُ نفسَه وصاحبَه وسلطانَه »[4] .

وقال معاويةُ للأَحْنَفِ [بن قَيْسٍ][5] فى شيءٍ بلغه عنه ، فأَنكر ذلك الأَحنفُ ، فقال له معاويةُ : بلَّغَنِي عنك الثقةُ ، فقال له الأَحنفُ : يا أميرَ المؤمنين ! إن الثقةَ لا يُبَلِّغُ !!

---

(١) هكذا البيت فى طبعة أوربة ، وطبع فى طبعات مصر عن بعض النسخ المذكورة بحاشيتها بلفظ :

«وَ إنَّ أحقَّ الناسِ بالسُّخْفِ لَامْرُؤٌ   تُقَلِّبُهُ الأَشرارُ جَنْباً الى جَنْبِ »

(٢) فى ج و س « وفى الحديث » وبها طبعت نسخ مصر .

(٣) « يراح » بفتح أوله ، من الثلاثى ، يقال : « رَاحَ الشَّيْءَ يَرَاحُهُ ويَرِيحُهُ : إذَا وَجَدَ رِيحَهُ » وضبط فى طبعات مصر بضم أوله ، وهو خطأ ، لأن المضارع من الرباعى « يُرِيح » يقال « أَرَحْتُ الشَّيْءَ فأنا أُرِيحُهُ إِذَا وَجَدْتُ رِيحَهُ » . والمعنى واحد .

وهذا الحديث رواه البخارى ومسلم ، وأبو داود ، والترمذى من حديث حذيفة بلفظ : « لا يدخل الجنة نمام » وفى بعض ألفاظهم « قتات » .

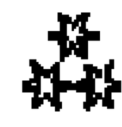
(٤) لم أجد هذا الحديث .

(٥) الزيادة من ج و س .

وقال أحدُ الماضِينَ [وهو طُرَيْحُ بن إسمعيلَ الثّقَفِيُّ][1] :

إن يَسْمَعُوا الخيرَ يُخْفُوهُ وإن سمعوا ... شرًّا أُذِيعَ، وإن لم يَسْمعُوا كَذَبُوا[2]

وقال المُهَلَّبُ بن أبي صُفْرَةَ : أَدْنَى أخلاق الشريفِ كتمانُ السرِّ ، وأَعْلَى أخلاقِهِ نسيانُ ما أُسِرَّ إليه .



ويقالُ للنكاح « السِّرُّ » على غيرِ وجهه ، وليس هذا مِن[3] الباب الذى كُنّا فيه ، ولكن يُذْكَرُ الشيءُ بالشيءِ[4] ، وهذا حرف يُغْلَطُ فيه ، لأن قومًا يجعلونَ « السِّرَّ » الزِّنا ، وقومٌ يجعلونَه الغِشْيانَ ، وكِلاَ[5] القولين خطأٌ ، إنما هو الغشيانُ من غيرِ وجهِه . قال الله جلّ وعزّ : ﴿ وَلَـٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَن تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾[6] ، فليس هذا مَوْضِعَ الزِّنا .

وقال الحُطَيْئَةُ :

ويَحْرُمُ سِرُّ جارَتِهِمْ عليهم ... ويأكُل جارُهُمْ أُنُفَ القِصَاعِ

وقال الأَعْشَى لسَلامةَ ذِى فائشٍ الحِمْيَرِيِّ :

---

(١) الزيادة من ج و س و د .

(٢) فى س « شرًّا أذاعُوا » .

(٣) فى س و د « على » بدل « من » .

(٤) فى ج و س و د « نَذْكُرُ الشيءَ بالشيءِ » .

(٥) رسمت فى بعض النسخ « وكلى » بالياء .

(٦) سورة البقرة (٢٣٥) . وانظر تفسير الطبرى (ج ٢ ص ٣٢٣ — ٣٢٥) وقد رجح أن المراد بالسر فى الآية الزنا .

وقومُكَ إنْ يَضْمَنُوا جارَةً ... وكانوا بموضع أنضادِها[١]

فلنْ يَطْلُبوا سِرَّها للغِنَى ... ولَن يُسْلِموها لإزْهادِها[٢]

[و][٣] فى هذا قولانِ : أحدُهما : أنهم لا يَطلبون اجْتِرَارَها إليهم على رَغْمِ أوليائها من أجل مالِها غَصْبًا[٤] للجُوَارِ ، ولا يُسْلِمونَها إذا انقطع رجاؤُهم من الثوابِ والمكافأةِ . والآخرُ : أنهم لا يَرْغَبون فى ذواتِ الأموالِ ، وإنما[٥] يَرغبون فى ذواتِ الأَحْسابِ ، اختياراً للأولادِ ، وصِيانةً للأَصْهارِ أنْ يَطْمَعَ فيهم مَنْ لا حَسَبَ له .

وقولُ الحطيئةِ .

« ويأكلُ جارُهم أُنُفَ القِصَاعِ »

إنما يريدُ المستأنَفَ الذى لم يُؤْكَلْ قَبْلُ منه شىءٌ ، يقال « رَوْضَةٌ أُنُفٌ » إذا لم تُرْعَ ، وَ « كَأْسٌ أُنُفٌ » إذا لم يُشْرَبْ منها شىءٌ قبلُ[٦] .

قال لَقِيطُ بن زُرَارَةَ :

---

(١) قال المرصفى : «الأنضاد : الأعمام والأخوال المتقدمون فى الشرف ، الواحد نضد — بالتحريك — يريد : يكونوا بموضع أولى شرفها وحسبها » .

(٢) فى اللسان مادة (ز هـ د) : يقول : لا يتركوها لقلة مالها ، وهو الإزهاد . قال أبو منصور : المعنى أنهم لايسلمونها إلى من يريد هتك حرمتها لقلة مالها » .

(٣) الزيادة من ع .

(٤) فى ع و هـ « غَضَبًا » .

(٥) فى ع و س و د و هـ « إنما » .

(٦) بيت الحطيئة رواه ابن برى « أُنُفَ القصاع » وأتى به شاهداً على أن أنف كل شىء طرفه وأوله ، كما فى اللسان ، ورواية المبرد أجود .

إنّ الشِّوَاء والنَّشِيلَ والرُّغُفْ   والقَيْنَةَ الحَسْنَاء والكَأْسَ الأُنُفْ

* لِلطَّاعِنِينَ الخَيْلَ والخَيْلُ خُنُفْ *(١)

[بـــاب](٢)

[قال أبو العباس](٢) : وهذا باب اشترطنا أن نَخْرُجَ فيه من حَزْنٍ إلى سَهْلٍ ، ومن جِدٍّ إلى هَزْلٍ ، ليستريحَ إليه القارئُ ، ويَدْفَعَ عن مُسْتَمِعِهِ المَلاَلَ ، ونحنُ ذاكرونَ ذلك إن شاء الله .

قال بَكْرُ بن النَّطَّاحِ فى كَلِمةٍ مدحَ بها(٣) مالِكَ بن عليٍّ الخُزَاعِيَّ :

عَرَضْتُ عليها ما أرادتْ من المُنَى   لتَرْضَى فقالتْ : قُمْ فجِئْنا بكَوْكَبِ

فقلتُ لها : هذا التَّعَنُّتُ كلُّهُ   كمَن يَتَشَهَّى لحمَ عَنقاءِ مُغْرِبِ(٤)

---

(١) « النشيل » لحم يطبخ بلا توابل ، وقال أبو حاتم : النشيل ماانتشلت بيدك من لحم القدر بلا مغرفة ، ولا يكون من الشواء نشيل . و « الخنف » بضم الخاء والنون ، جمع « خنُوف » من « خَنَفَ الفرسُ » : إذا مال بيديه فى أحد شقيه من النشاط ، ويقال « خنفت الدابة » « بيدها وأنفها فى السير » أى ضربت بهما نشاطاً ، وقيل « خنف الفرس » : أمال أنفه إلى فارسه ، والمعانى متقاربة .

(٢) الزيادتان من بعض النسخ .

(٣) فى طبعات مصر « فى كلمة له يمدح فيها » فقوله « له » ليس فى شىء من النسخ وقوله « يمدح فيها » هو مافى ع و س و د و هـ .

(٤) « العنقاء » قالوا : « طائرٌ ضخمٌ ليس بالعُقاب.، وقيل : العنقاء المُغْرِبُ كلمةٌ لا أصل لها ، يقال : إنها طائر عظيم، لا يُرى إلاّ فى الدُّهور ، ثم كَثُر ذلك حتى سمّوا الدّاهية عنقاء مُغْرِباً وَمُغْرِبَةً » هذا نص اللسان ، وفيه أقوال أخرى . ويجوز

فلو أنَّنِي أصْبَحْتُ فى جُودِ مالكٍ ... وعِزَّتِهِ ما نَالَ ذلكِ مَطْلَبِي[1]
فَتًى شَقِيَتْ أموالُهُ بسَماحِهِ ... كما شَقِيَتْ قَيْسٌ بأسيافِ تَغْلِبِ[2]

وقال الخَلِيعُ[3] فى كلمةٍ [له][4] يمدح بها عاصماً الغسَّانىَّ :

أقولُ ونفسِي بينَ شَوْقٍ وحَسْرَةٍ ... وقد شَخَصَتْ عيني ودَمْعِي على خَدِّي:
أَرِيحِى بقَتْلٍ مَنْ تَرَكْتِ فُؤَادَهُ ... بلَحْظَتِهِ بينَ التَّأسُّفِ والجَهْدِ
فقالتْ : عذابٌ فى الهوى قبل مِيتَةٍ ... وموتٌ إذا أقْرَحْتَ قلبكَ من بَعْدِي[5]
لقد فَطِنَتْ للجَوْرِ فِطْنَةَ عاصِمٍ ... لِصُنْعِ الأيادِي الغُرِّ فى طَلَبِ الحَمْدِ
سأشْكُوكِ فى الأشعارِ غيرَ مُقَصِّرٍ ... إلى عاصمٍ ذى المَكْرُمَاتِ وذى المَجْدِ
لعلَّ فَتَى غَسَّانَ يجمعُ بيننا ... فَتَأْمَنَ نفسِي منكُمُ لَوْعَةَ الصَّدِّ

وقال [أبو العَتَاهِيَة][6] إسمعيلُ بن القاسمِ :

إن السَّلامَ وإنَّ البِشْرَ من رجل ... فى مِثْلِ ما أنتَ فيه ليس يكفِينِي
هذا زمانٌ ألَحَّ الناسُ فيه على ... زَهْوِ الملوكِ وأخلاقِ المساكينِ
أمَا علمتَ جزاكَ اللهُ صالحةً ... عَنِّي وزادكَ خيرًا يابْنَ يَقْطِينِ

أن يذكر « مذرب » مضافا إلى « عنقاء » كما فى البيت ، وأن يذكر على الوصف ، كما فى عبارة اللسان .

(١) فى ﻫ و « هِمَّتِه » بدل « وعزته » .

(٢) فى ج و س و د و ﻫ « بِأَرْمَاحِ تغلب » وبها طبعت نسخ مصر .

(٣) « الخليع » لقبه ، وهو أبو عبد الله الحسين بن الضحاك بن ياسر ، لقب بذلك لكثرة خلاعته ومجونه ، وهو من شعراء الدولة العباسية . قاله المرصفى .

(٤) الزيادة من ج و د .

(٥) فى ج و س و ﻫ « بالهوى » .

(٦) الزيادة من د .

أنّى أُريدكَ للدنيا وعاجلِها ... ولا أُريدكَ يومَ الدِّينِ لِلدِّينِ

وقال يَزيدُ بن محمد [بن المُهلَّبِ](١) المُهلَّبيُّ في كلمةٍ [له](٢) يمدحُ بها إسحٰقَ بن إبراهيمَ :

إنْ أكُنْ مُهْدِيًا لكَ المدحَ إنّي ... لَأَبْنُ بيتٍ تُهْدَى له الأَشْعارُ(٣)

غيرَ أنّي أراكَ من أهلِ بيتٍ ... ما على الحُرِّ أنْ يَسُودُوهُ عارُ(٤)

و [قال أيضاً](٥) في كلمةٍ أُخرى :

وإذا جُدِدتَّ فكلُّ شيءٍ نافعٌ ... وإذا حُدِدتَّ فكلُّ شيءٍ ضائرُ(٦)

وإذا أتاكَ مُهلَّبيٌّ في الوغَى ... والسيفُ في يدِه فنِعْمَ النَّاصِرُ

وقال عبدُ الله بن الزُّبَيْرِ لما أتاه قتلُ مُصعَبِ بن الزبيرِ : أشهِدَهُ المُهلَّبُ بن أبي صُفْرَةَ ؟ قالوا : لا ، كان المُهلَّبُ في وجُوهِ الخَوارِجِ ، قال : أفشَهِدَهُ عَبَّادُ بن الحُصَيْنِ الحَبَطِيُّ ؟ قالوا : لا ، قال : أفَشَهِدَهُ عبدُالله بن خازمٍ السُّلَمِيُّ ؟ قالوا : لا ، فتمَثَّلَ عبدُ الله بن الزُّبَيْرِ :

فقلتُ لها : عِيثِي جَعارِ وجَرِّرِي ... بِلَحْمِ امْرِئٍ لم يَشْهَدِ اليومَ ناصِرُهْ(٧)

« جَعارِ » اسمٌ من أسماء الضَّبُعِ ، وهي صفةٌ غالبةٌ ، لأنه يقال لها

(١) الزيادة من ج و س ، ولكن س ليس فيها « المهلبي » .
(٢) الزيادة من د .
(٣) في ج و س و د و هـ « لكَ الشِّعْرَ » وبها طبعت نسخ مصر .
(٤) في هـ « ماعلى المَرْءِ » وفي ج و هـ « تسودوه » .
(٥) الزيادة من ج و س . وفي د و هـ « وقال في » .
(٦) « جددت » بالجيم ، أي أُعطيتَ الجَدَّ ، وهو الحظ . و « حددت » بالحاء المهملة ، أي مُنعتَ
(٧) « العيث » الفساد .

« جاعِرَةٌ » فهذا فى بابه كـ« فَسَاقِ » و« لَكَاعِ » و« حَلَاقِ » المَنِيَّةِ .
وقد فسَّرنا هذا البابَ مُسْتَقْصًى على وجوهه الأربعةِ[1] .

⁂

ويُرْوَى : أن ابنةَ جاريةٍ[2] لِهَمَّامِ بن مُرَّةَ بن ذُهْلِ بن شَيْبانَ قالتْ له يومًا :

أَهَمَّامُ بنَ مُرَّةَ حَنَّ قَلْبِي إلى اللَّائى يَكُنَّ مَعَ الرجالِ

فقال : يا فَسَاقِ ! أردتِ صَفيحةً[3] ماضيةً ! فقالتْ :

أَهَمَّامُ بنَ مُرَّةَ حَنَّ قلبِي إلى صَلْعاءَ مُشْرِفَةِ القَذَالِ[4]

فقال : يا فَجارِ ! أردتِ بَيْضَةً حصينةً[5] ! فقالتْ :

أَهَمَّامُ بنَ مُرَّةَ حَنَّ قلبِي إلى أَيْرٍ أَسُدُّ به مَبالِي !

قال : فقتلها . .

⁂

قال أبو العباس : قال أبو الشَّمَقْمَقِ ، وهو مَرْوانُ بن محمدٍ ، وزَعَم التَّوَّزِىُّ عن أبى عُبَيدةَ قال : أبو الشَّمَقْمَقِ ومنصورُ بن زياد ويَحْيي بن سُلَيْمٍ

---

(١) مضى فى هذا الجزء (ص ٤١٢ — ٤١٥) .
(٢) فى هـ « أن ابنةً لهمام » . وفى ج و س و د « أن جارية لهمام » .
(٣) « الصفيحة » واحدة « الصفائح » وهى السيوف العريضة .
(٤) فى هـ « بنَ مُرَّةَ إنَّ همِّى كَفِى صَلْعاءَ » . قال المرصفى : « القذال : جماع مؤخر الرأس من الانسان والفرس ، استعارته لما تريد ، كما استعارت له الصلع ، وهوذهاب الشعر » .
(٥) « البيضة » من الحديد ، تلبس على الرأس تقيه السلاح ، ولذلك وصفها بأنها حصينة ، وصفاً لجودتها وقوّتها .

الكاتِبُ ـ : مِن أهل خراسانَ ، مِن بُخاريَّةِ عُبيْدِ الله بن زيادٍ[١] ، وكان أبو الشمقمقِ رُبّما لَحَنَ ، ويهزِلُ كثيراً ويُجِدُّ ، فيكثُرُ صوابُه ، قال يمدحُ مالكَ بنَ عليٍّ الخُزاعيَّ ويذُمُّ سَعيدَ بن سَلْمٍ الباهليَّ :

قد مَرَرْنا بمالكٍ فوجَدْنا ... هُ كريمًا إلى المَكارمِ يَنْمِي[٢]
ما يُبالِي أتاهُ ضَيْفٌ مُخِفٌّ ... أمْ أتتْهُ يأجُوجُ مِن خَلْفِ رَدْمِ[٣]
فانْتهَيْنا إلى سَعيدِ بن سَلْمٍ ... فإذا ضَيْفُه من الجوعِ يَرْمِي[٤]
وإذا خُبْزُهُ عليه « سَيَكْفِيـــكَهُمُ اللهُ » ما بَدَا ضَوْءُ نَجْمِ
وإذا خاتَمُ النبيِّ سُلَيْما ... نَ بنِ داوودَ قد عَلاهُ بخَتْمِ[٥]
فارْتَحَلْنا مِن عِنْدِ هذا بحَمْدٍ ... وارْتَحَلْنا من عِنْدِ هذا بِذَمِّ

وقال عبدُ الصمد بنُ المُعَذَّلِ يرثِي سَعيدَ بن سَلْمٍ :

كَمْ صغيرٍ جَبَرْتَهُ بعدَ يُتْمٍ ... وفقيرٍ نَعَشْتَهُ بعدَ عُدْمِ[٦]

---

(١) هنا في طبعات مصر زيادة بين قوسين نصها : « وبخارية اسم قرية من قرى خراسان ، وبها كان عبيد الله بن زياد » . وهذه الزيادة أخذها المصححون من جزء التعليقات الملحق بطبعة أوربة ، فأخطؤا وضعها موضعها ، لأن موضعها يكون عقب قوله « من بخارية » وقبل قوله « عبيد الله بن زياد » . وقد ردّ المرصفي على هذه الزيادة رداً شديدا فقال : « هذا كذب ، والصواب ماذكرياقوت في معجمه ، أنها سكة بالبصرة ، أسكنها عبيدالله بن زياد أهل بخارى الذين نقلهم كما ذكرنا من بخارى إلى البصرة ، وبنى لهم هذه السكة ، فعرفت بهم ، ولم تعرف به » .

(٢) في ج و س و د و هـ « جواداً إلى المكارم » وبها طبعت في مصر .

(٣) في ج و س و د و هـ « أم أتاه » . و « ياجوج » في البيت . بتخفيف الهمزة ، وفي ا « يأجوج » بتحقيقها .

(٤) في ج و س و د و هـ « فارْتَحَلْنا إلى سعيد » .

(٥) همز هنا « داءود » أيضاً ، وانظر ما كتبنا في حاشية (ص ٦٦٩) .

(٦) في ج و س و د « كم يتيمٍ » .

كُلَّما عَضَّتِ الحوادثُ نادَى : رَضِيَ اللهُ عن سَعيدِ بنِ سَلْمِ

وقال سعيدُ بن سَلْمٍ : عَرَضَ لى أعرابىٌّ فمدَحَنِي فَبَلَغَ[1] ، فقال :

ألاَ قُلْ لِسَارِى الليلِ : لا تَخْشَ ضَلَّةً سعيدُ بن سَلْمٍ ضَوْءُ كُلِّ بِلاَدِ[2]

لنَا سَيِّدٌ أَرْبَى على كلِّ سيِّدٍ جَوَادٌ حَثَا فِي وجهِ كُلِّ جَوَادِ

قال : فتأخَّرْتُ عن بِرِّهِ قليلاً ، فهجانِى فبَلَغَ[3] ، فقال :

لِكُلِّ أَخِي مَدْحٍ ثوابٌ يُعِدُّهُ وليس لِمَدْحِ الباهِلِىِّ ثَوَابُ

مَدَحْتُ ابنَ سَلْمٍ والمَدِيحُ مَهَزَّةٌ فكانَ كَصَفْوَانٍ عليه تُرابُ

وقال أبو الشَّمَقْمَقِ [فى سعيدٍ][4] :

قال لِى الناسُ : زُرْ سَعِيدَ بنَ سَلْمٍ قلتُ للناسِ : لا أزُورُ سَعِيدَا[5]

وأميرِى فَتَى خُزَاعَةَ بالبَصْـــرَةِ قد عَمَّها سماحًا وجُودَا

وَلَنِعْمَ الفَتَى سَعيدٌ ولكنْ مالكٌ أكرمُ البَرِيَّةِ عُودَا

فقال سعيدٌ : لَوَدِدتُ أنه لم يكنْ ذَكَرَنِى مع مالكٍ و [أنه][6] أخذَ مِنِّى أُمْنِيَّتَهُ .

وقال أبو الشمقمقِ [أيضاً][7] :

---

(١) فى هـ « فَبالَغَ » وفى س و د « فأَبْلَغَ » وفى ج « فَبَلَّغَ » .

(٢) فى ج « نُورُ كل بلادِ » .

(٣) فى ج و د « فَبَلَّغَ » وفى س « فأَبْلَغَ » .

(٤) الزيادة من هـ .

(٥) فى هـ « لا أريد سعيدا » .

(٦) الزيادة من ج و س .

(٧) الزيادة من س .

هيهاتَ تَضْرِبُ فى حَديدٍ باردٍ إنْ كنتَ تطمعُ فى نوالِ سَعيدِ
واللهِ لو مَلَكَ البِحارَ بأَسْرها وأتاهُ سَلْمٌ فى زمانِ مُدُودِ[1]
يَبْغيهِ منها شَرْبَةً لِطَهُورِهِ لَأَبَى وقال : تَيَمَّمَنْ بصَعيدِ !

[ومثلُهُ قولُ الآخَرِ :

لو أنَّ قَصْرَكَ يا ابْنَ يوسفَ كُلَّهُ إبَرٌ يَضيقُ بها فَضاءُ المَنْزِلِ
وأتاكَ يوسُفُ يَسْتَعيرُكَ إبْرَةً ليخيطَ قَدَّ قَميصِه لم تَفْعَلِ][2]

وقال مُسْلِمُ بن الوَليدِ :

دُيونُكَ لا يُقْضَى الزَّمانَ غَريمُها وبُخْلُكَ بُخْلُ الباهِلِيِّ سَعِيدِ
سَعيدُ بن سَلْمٍ أَلْأَمُ الناسِ كُلِّهِمْ وما قومُهُ من بُخْلِهِ ببعيدِ[3]
يَزيدُ له فضلٌ ولكنَّ مَزْيدًا تَدارَكَ مِنَّا مَجْـدَهُ بيَزِيدِ
خُزَيْمَةُ لا بَأْسٌ بِهِ غيرَ أنهُ لَمَطْبَخِهِ قُفْلٌ وبابُ حَـديدِ

وقال عبدُ الصمد بن المُعَذَّلِ ، يرْثِى عمرَو بن سعيدٍ ، وكان عمرٌو هَلَكَ بعدَ سَعيدٍ بيسيرٍ[4] — :

رُزِينا أبا عَمْرٍو فقلنا : لنا عَمْرٌو سَيَكْفِيكَ ضَوْءُ البَدْرِ غَيْبُوبَةَ البَدْرِ

---

(١) فى ع و س و د و هـ « البُحُورَ » . وفى هـ « فى أوان مدود » .
(٢) الزيادة من س .
(٣) فى ع و س و د « من لؤمه ببعيد » .
(٤) فى ع و س و د و هـ « يَرْثِى عمرَو بن سعيد بن سَلْمٍ ، وكان عمرٌو هَلَكَ بُعَيْدَ سعيدٍ بيسيرٍ » .

وكانَ أبو عمرٍو مُمَارًا حَياتَهُ بعمرٍو فلمَّا ماتَ ماتَ أبو عَمْرٍو[1]

*

وقال أميرُ المؤمنين الرشيدُ يومًا لسعيدِ بن سَلْمٍ : ياسَعيدُ ! مَنْ بَيْتُ قَيْسٍ فى الجاهليةِ ؟ قال : يا أميرَ المؤمنينَ ! بنو فَزارةَ ، قال : فَمَنْ بيتُهم فى الإسلام ؟ قال : ياأميرَ المؤمنين ! [الشَّريفُ][2] مَنْ شَرَّفْتُمُوه ، قال : صدقتَ ، أنتَ وقومُكَ .

وحدثنى علىُّ بن القاسم بن على بن سليمان الهاشميُّ قال : حدثنى رجلٌ من أهل مكةَ قال : أُريتُ سعيدَ بن سَلْمٍ فى النَّوْمِ[3] ، فى حياتِه وفى نعمتِه[4] ، وكثرةِ عَدَدِ ولَدِه ، وحُسْنِ مذهبِه ، وكمالِ مُرُوءتِه[5] ، فقلتُ فى نفسى : ما أَجَلَّ ما أُعْطِيَهُ سعيدُ بن سَلْمٍ ! فقال لى قائلٌ : وما ذَخَره الله له فى الآخرةِ أكثرُ .

وكان سعيدٌ[6] إذا استقبَلَ السَّنةَ التى يَستأنِفُ فيها[7] عَدَدَ سِنِيهِ أعتقَ نَسَمةً وتصدَّقَ بعشَرةِ آلافِ درهمٍ ، فقيل لِمَدِينيٍّ : إنَّ سعيدًا يَشْتَرِى نفسَه[8] بعشرة آلاف درهمٍ ، فقال : إذًا لا يَبيعَهُ .

---

(١) فى ج و د « مُمَارًا حياتَهُ » .

(٢) الزيادة من ج و س و د و هـ .

(٣) فى ج و س و د و هـ « رأيت فى منامى سعيد بن سلم » . وفى س « فى منامى فى مكة » .

(٤) فى د و هـ « ولعمته » وفى ج و س « فى لعمته » .

(٥) هنا فى طبعات مصر زيادة « قال » وليست فى شىء من الأصول .

(٦) فى طبعات مصر « سعيد بن سلم » والزيادة ليست فى الأصول .

(٧) فى ج و س و هـ « يستقبل فيها » وفى د « يستقبل بها » .

(٨) فى ج و د « إن سعيد بن سلم اشترى نفسه من ربه » ، وبذلك طبعت فى مصر ، ولكن بلفظ « يشترى » .

وقال أحمدُ بن يوسفَ الكاتبُ لولدِ سعيدٍ[١]:

أبني سعيدٍ إنكم من مَعْشَرٍ لا يَعْرِفونَ كرامةَ الأضْيافِ

قَومٌ لباهِلَةَ بنِ يَعْصُرَ إنْ هُمُ نُسِبوا حَسِبْتَهُمُ لعبدِ مَنافِ

قَرَنُوا الغَدَاءَ إلى العَشاءِ وقَرَّبوا زَاداً لَعَمْرُ أبيكَ ليس بكافِ

وكأنّني لمّا حَطَطْتُ إليهمُ رَحْلى نَزَلْتُ بأبْرَقِ العَزّافِ[٢]

بَيْنَا كذاكَ أتاهمُ كُبَرَاؤُهمْ يَلْحَوْنَ في التبذيرِ والإسْرافِ

وأنشدني المازنيُّ :

سَلِ اللهَ ذَا المَنِّ مِن فَضْلِهِ ولا تسألنَّ أبا وائِلَهْ

فما سألَ اللهَ عبدٌ له فخابَ ولَوْ كان من باهِلَهْ

[قال أبو الحسن : وزادني بعضُ أصحابنا :

تَرَى الباهِلِيَّ على خُبْزِهِ إذا رَامَهُ آكلٌ آكِلَهْ][٣]

وأنشدَ أبو العباس لرجلٍ[٤] من عبد القَيْس :

أباهِلَ يَنْبحُني كلبُكم وأسْدُكُمُ كَكِلابِ العَرَبْ

ولو قيلَ للكلبِ ياباهِلِيُّ عَوَى الكلبُ من لُؤْمِ هذا النَّسَبْ[٥]

وحدثني عليُّ بن القاسمِ قال : حدثني أبو قِلابَةَ الجَرْميُّ قال : حججنا

---

(١) في طبعات مصر « سعيد بن سلم » والزيادة ليست في الأصل .

(٢) قال المرصفي : « العَزّاف : بفتح العين وتشديد الزاي ، جبل من جبال الدهناء ، أو رمل لبني سعد . والأبرق : المكان الغليظ الحجارة مختلطة برمل » .

(٣) الزيادة من س و د وحاشية ا ونسخ أخرى .

(٤) في ج و س و د و ه « وأنشدني رجل » .

(٥) في س و ه « ذاك النسب » .

مَرَّةً مع أبي جَزْء(١) بن عمرو بن سعيد ، قال : وكُنَّا في ذَرَاه(٢) ، وهو إذْ ذاكَ بَهِيٌّ وَضِيٌّ(٣) ، فجلسنا في المسجدِ الحرامِ إلى قومٍ(٤) من بني الحرثِ بن كَعْبٍ ، لم نَرَ أفصحَ منهم ، فرأوْا هيئةَ أبي جَزْء وإعظامَنا إيّاه مع جمالِهِ ، فقال قائلٌ منهم له : أمِنْ أهل بيتِ الخليفةِ أنتَ ؟ قال : لا ، ولكن رجلٌ من العرب ، قال : ممن الرجلُ ؟ قال : [رَجلٌ](٥) من مُضَرَ ، قال : أعْرَضَ ثوبَ المُلْبَسِ(٦) ! مِنْ أيِّها عافاكَ اللهُ ؟ قال : رجلٌ من قيسٍ ، قال : أيْنَ يُرادُ بكَ ، صِرْ إلى فَصِيلتِكَ التي تُؤْوِيكَ ؟ ! قال : رجلٌ من بني سعدِ بن قيسٍ ، قال : اللهم غَفْرًا ! مِن أيِّها عافاكَ الله ؟ قال : رجلٌ من بني يَعْصُرَ ، قال : مِن أيِّها ؟ قال : رجلٌ من باهِلَةَ ، قال : قُمْ عَنَّا !! قال أبو قِلابةَ : فأقبلتُ على الحارثيِّ فقلتُ : أتعرفُ [مَنْ](٧) هذا ؟ قال : ذَكَرَ أنه باهليٌّ ! فقلتُ : هذا أميرُ ابنُ أميرِ ابنِ أميرِ [ابن أميرِ ابن أميرٍ](٨) ، قال : حتى عَدَدتُ خمسةً ، [ثم قلتُ](٩) : هذا أبو جَزْء أميرٌ ، ابنُ عمرٍو ، وكان أميرًا ،

---

(١) « جزء » بفتح الجيم وسكون الزاي . وقد رسمت في أكثر الأصول «جَزْئٍ» بالياء وتحتها همزة مكسورة .

(٢) « في ذراه » أي في كنفه .

(٣) في ع « بَهِيٌّ وَضِيٌّ » .

(٤) في ع و س و د و هـ « أقوام » وبها طبعت في مصر .

(٥) الزيادة من ع و س و د .

(٦) في ع و د « أعْرَضَ ثوبُ المُلْبِسِ » .

(٧) الزيادة من ع و د .

(٨) الزيادة من ع .

(٩) الزيادة من ع و س و د و هـ .

ابنُ سعيدٍ، وكان أميرًا ، ابن سَلْمٍ ، وكان أميرًا ، ابن قتيبةَ ، وكان أميرًا ، فقال الحارثيُّ : الأميرُ أعظمُ أم الخليفةُ ؟ فقلتُ : [بَلِ][1] الخليفةُ ، قال : أفالخليفةُ أعظمُ أم النَّبيُّ ؟ قلتُ : بَلِ النبيُّ ، قال [فـ]و[1] : اللهِ لو عَدَدتُ له فى النبوةِ أضعافَ ما عددتُ له فى الإمارةِ[2] ثم كان باهليًا ماعَبَأَ اللهُ به شيئًا !! قال : فـكادَتْ نفسُ أبى جَزْءٍ تَخْرُجُ ، فقلتُ [له] :[3] انْهَضْ بنا ، فإن هؤلاء أسوأُ الناسِ آدَابًا .

[قال أبو الحسن : يقالُ للرجلِ إذا سُئِلَ عن شيء فأجابَ عن غيرِه «أعْرَضَ ثوبَ المُلْبَسِ » أى : أبْدَى غيرَ ما يُرَادُ منه] .

وحُدِّثتُ أن أعرابيًا اتى رجلاً من الحاجِّ ، فقال له : ممن الرجلُ ؟ قال باهليٌّ ، قال : أُعيذك بالله من ذلك ! قال : إى والله ، وأنا مع ذلك مولًى لهم ! فأقبل الأعرابىُّ يقبلُ يديه ويتمسَّحُ به ، قال له الرجلُ : ولِمَ تفعلُ ذاك ؟ قال : لأنى أثقُ بأن اللهَ عز وجل لم يَبْتَلِكَ بهذا فى الدنيا إلاَّ وأنتَ من أهلِ الجنةِ[4] !!

☆

ويَزعمُ الرَّقاشِيُّ[5] : أن قُتَيْبَةَ بن مُسْلِمٍ لما فَتَحَ سَمَرْقَنْدَ[6] أفضَى إلى

---

(١) الزيادة من ج و س و د و هـ .
(٢) فى ج و س و د و هـ « فى الإمْرَةِ » .
(٣) الزيادة من س و د و هـ .
(٤) فى ج و س و د و هـ « إلا وأنت فى الجنة » .
(٥) فى ج و س و د و هـ « وتزْعُمُ الرُّواةُ » .
(٦) « سمرقند » بفتح السين والميم والقاف وبسكون الراء والنون وآخرها دال مهملة . كذا

أثاثٍ لم يُرَ مثلهُ ، وإلى آلات لم يُسْمَعْ بِمثلها[١]، فأرادَ أن يُرِيَ الناسَ عظيمَ ما فَتَحَ اللهُ عليـه ، ويُعَرِّفَهم أقدارَ القومِ الذين ظَهَرَ عليهم ، فَأَمَرَ بدارٍ فَفُرِشَتْ ، وفي صَحْنِها قُدورٌ تُرْتَقَى بالسَّلالمِ ، فإذا بالحُضَيْنِ[٢] بن المنذرِ بن الحارثِ بن وَعْلَةَ الرَّقَاشِيِّ قد أقبلَ ، والناسُ جُلُوسٌ على مراتبِهم ، والحُضَيْنُ شيخٌ كبيرٌ ، فلما رآه عبدُ الله بن مسلمٍ قال لقُتيبةَ : ائذنْ لى فى معاتَبَته[٣] ، قال : لا تُرِدْهُ فإنه خبيثُ الجوابِ ، فأبى عبدُ الله إلاّ أن يأذنَ له ، وكان عبدُ الله يُضَعَّفُ ، وكان قد تَسَوَّرَ حائطاً إلى امرأةٍ قبلَ ذاكَ ، فأقبلَ على الحُضَيْنِ [بن المنذرِ][٤] فقال : أمِنَ الباب دخلتَ يا أبا ساسانَ ؟! قال : أَجَلْ ، أَسَنَّ عَمُّكَ عن تَسَوُّرِ الحيطانِ ! قال : أرأيتَ هذه القدورَ ؟ قال : هى أعظمُ من أن لاّ تُرَى ! قال: ما أَحْسِبُ بكرَ بن وائلٍ رأى مثلَها ؟ قال: أَجَلْ ، ولا عَيْلانَ ، ولو كان رآها سُمِّيَ شَبْعانَ ولم يُسَمَّ عَيْلانَ ! قال له عبدُ الله : يا أبا ساسان ! أتعرفُ الذى يقولُ :

ضبطت فى أ كثر الأصول ومعجم البلدان وغيرها . وضبطت فى ع « سَمَرْقَنْد » بفتح السين والراء وبينهما الميم بالفتح والسكون ، فهى ثلاث روايات فيها .

(١) فى ع و س و د و هـ « لم يُرَ مثلُها » .

(٢) « الحضين » بالضاد المعجمة وبالتصغير ، قال أبو أحمد العسكرى : « كان صاحب راية علىّ يوم صفين ، ثم ولاه إصطخر ، وكان من سادات ربيعة ، ولا أعرف حضينا بالضاد غيره وغير من ينسب إليه من ولده » . وهو من كبار التابعين ، روى عن عثمان وعلىّ وغيرهما ، وروى عنه الحسن البصرى وآخرون ، وأخرج له مسلم فى صحيحه . قال ابن منجويه : مات سـنة ٩٧ ، وذكره البخارى فى التاريخ الصغير (ص ١١٨) فى الذين ماتوا بين سنتى (١٠٠ ــ ١١٠) .

(٣) فى ع و س « معابثته » ولعلها أجود .

(٤) الزيادة من ع و س و د .

عَزَلْنا وأَمَّرْنَا وبَكْرُ بن وائلٍ تَجُرُّ خُصَاها تَبْتَغِي من تُحَالِفُ؟

قال: أعْرِفُه، وأعرفُ الذى يقولُ :

وخَيْبةَ مَنْ يَخِيبُ على غَنِيٍّ وباهِلَةَ بن يَعْصُرَ والرِّكابِ[1]

[يريدُ : ياخَيْبَةَ مَن يَخيبُ]. قال: أفتعرفُ الذى يقولُ :

كَأَنَّ فِقاحَ الأَزْدِ حَوْلَ ابنِ مِسْمَعٍ وقدعَرِقَتْ أفْوَاهُ بَكْرِ بن وائلٍ؟[2]

قال : أعرفُ هذا[3] ، وأعرفُ الذى يقولُ :

قومٌ قُتَيْبَةُ أُمُّهُمْ وأبوهُمُ لولا قُتَيْبَةُ أصبحوا فى مَجْهَلِ

قال : أما الشعرُ فأَراكَ تَرْوِيهِ ، ولكن هل[4] تقرأُ من القرآنِ شيئاً ؟ قال : أقرأُ منه الأكثرَ الأطيبَ : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا ﴾[5] قال : فأغضبه ، فقال [له][6] : واللهِ لقد بلغنى أنَّ امرأةَ الحُضَيْنِ حُمِلَتْ إليه وهى حُبْلَى من غيرِه ! قال: فما تحرَّكَ الشيخُ عن هَيْئَتِه الأولَى ! ثم قال على رِسْلِهِ[7] : وما يكونُ ! تَلِدُ غلامًا على فِرَاشِي فيقالُ « فلانُ بن الحُضَيْنِ » كما يقالُ « عبدُ الله بنُ مسلمٍ » !! فأقبلَ قتيبةُ على عبد الله فقال : لا يُبْعِدِ اللهُ غيرَكَ .

---

(١) فى حاشية ج « والرِّباب » . قال المرصفى : « وهى الصواب ، لأنه لامناسبة للركاب — وهى الابل — هنا . والرباب بكسر الراء : قبائل » .

(٢) فى ج و س و د و هـ « إذا عَرِقَتْ » .

(٣) فى ج و س و د و هـ « قال نعم » .

(٤) فى ج و س و د و هـ « فهل » بحذف « ولكن » .

(٥) سورة الانسان (١) .

(٦) الزيادة من د .

(٧) « على رسله » بكسر الراء وسكون السين ، أى على هيئته وتؤدته .

[قال أبو العباسِ[1]] : هذا الحُضَيْنُ بن المنذر بن الحرث بن وَعْلَةَ . وكان الحضينُ بيده لواء علىّ بن أبى طالبٍ رحمه الله على ربيعةَ ، وله يقولُ القائلُ :

لِمَنْ رايةٌ سَوْداءُ يَخْفِقُ ظِلُّها إذَا قيلَ قَدِّمْها حُضَيْنُ تَقَدَّما

٭

وللحٰرِثِ بن وَعْلَةَ يقولُ الأَعْشَى ، وكان قَصَدَهُ فلم يَحْمَدْهُ[2] ، وعَرَّجَ عنه إلى هَوْذَةَ بن علىٍّ ذِى التَّاجِ . وهوذةُ من بنى حَنيفةَ بن لُجَيْمِ بن صَعْبِ بن عَلىِّ بن بَكْرِ بن وائِلٍ ، والحٰرِثُ بن وَعْلَةَ من بنى رَقاشٍ ، وهى امرأةٌ ، وأبوهم مالكُ بن شَيْبانَ بن ذُهْل بن ثَعْلَبَةَ بن عُكابَةَ بن صَعْبِ بن عَلىّ بن بكرِ بن وَائِلٍ ، فقال الأعشَى يذكُر الحٰرِثَ بن وَعْلَةَ وهَوْذَةَ بن علىٍّ :

أَتَيْتُ حُرَيْثًا زائِرًا عن جَنابَةٍ فكان حُرَيْثٌ عن عَطائِىَ جامِدَا
إذَا ما رَأَى ذَا حاجَةٍ فكأَنَّما يرَى أَسَدًا فى بيتِه وأَساوِدَا
لَعَمْرُكَ ما أَشْبَهْتَ وَعْلَةَ فى النَّدَى شَمائِلَهُ ولا أَبَاهُ مُجالِدَا
وإِنَّ امْرَأً قد زُرْتُه قبلَ هذِه بجَوِّ لَخَيْرٌ منك نَفْسًا ووالِدَا[3]
تَضَيَّفْتُهُ يومًا فقَرَّبَ مَجْلِسِى وَأَصْفَدَنِى عَلَى الزَّمانَةِ قائِدَا[4]

---

(١) الزيادة من ج .
(٢) فى ج « فلم يُحْمِدْهُ » .
(٣) فى ج و س و د و هـ « فان امرأ » . وفى ج و س و د « بَعْدَ هذه » بدل « قبل هذه » . ولعل ذلك أجود .
(٤) فى هـ « فأكرم مجلسى » .

وأمْتَعَنِي على العَشَا بِوَليدَةٍ ... فَأُبْتُ بِخيرٍ منكَ يا هَوْذَ حامِدَا
فَتًى لو يُبارِي الشَّمسَ أَلْقَتْ قِناعَها ... أو القَمَرَ السَّارِي لَأَلْقَى المَقالِدَا[1]
يَرَى جَمْعَ ما دُونَ الثلاثين قُصْرَةً ... ويَعْدُو على جمعِ الثلاثينَ واحدَا

وهى كلمةٌ .

قوله « أتيتُ حُرَيْثًا » يريدُ « الحارثَ » وتصغيرُه عَلَى لفظِه[2] « حُوَيْرِثٌ ». وهذا التصغيرُ الآخَرُ يقال له « تصغيرُ التَّرْخِيمِ » وهو : أن تحذِفَ الزوائدَ من الاسم ثم تُصَغِّرَ حروفَه الأصلية ، فتقولَ فى تصغيرِ « أحمدَ » « حُمَيْدٌ » لأنه من « الحمدِ » . وفى « الحارِثِ » « حُرَيْثٌ » لأنه من « الحَرْثِ » . وفى « غَضْبانَ » « غُضَيْبٌ » لأنه من « الغَضَبِ » ، لأن الألف والنونَ زائدتانِ . وكذلك ذواتُ الأربعةِ ، تقول فى تصغيرِ « قِنْدِيلٍ » على لفظه « قُنَيْدِيلٌ » ، فإن صغَّرتَه مُرَخَّمًا حذفتَ الياء فقلتَ « قُنَيْدِلٌ » فعلى هذا مَجْرَى البابِ .

وقوله « عن جَنَابَةٍ » يقولُ : عن غُرْبَةٍ وبُعْدٍ . يقالُ « هُمْ نِعْمَ الحَىُّ لِجَارِهم جارِ الجَنابَةِ »[3] أى الغُرْبة . يقال « رجلٌ جُنُبٌ » و « رجلٌ

---

(١) قال المرصفى : « ألقت قناعها : هـذا مثل قولهم : ألقى عن وجهه قناع الحياء ، على المثل بالقناع فى الأصل ، وهو ماتغطى به المرأة رأسها وتستر به محاسنها . تخيل أن للشمس قناعاً لو يباريها هوذة فى الضياء ألقته ، لتغالبه بمحاسنها ، ولم تكتف بما ظهر منها . ومن كلامهم فى الأنواء : إذا طلع الذراع ، حسرت الشمس القناع ، وأشعلت فى الأفق الشعاع ، وترقرق السراب بكل قاع . وقوله : لألقى المقالدا : كناية عن أنه يسند إليه جميع مايظهر به من محاسنه على المثل بمن يلقى إليك المقاليد ، وهى المفاتيح ، واحدها مقلد ، كمنبر » .

(٢) فى ج و س و د و هـ « على اللفظ » .

(٣) فى ج و س و د « يقال : نعم الحىُّ هم لجارِ الجنابة » .

جانِبٌ » أي غريبٌ، قال اللهُ جلّ وعزّ ﴿ وَالْجَارِ الْجُنُبِ ﴾ [١]. وقال الْحُطَيْئَةُ :

واللهِ ما مَعْشَرٌ لاموا امْرَأً جُنُبًا   في آلِ لَأْيِ بن شَمّاسٍ بِأَكْيَاسِ

وقال عَلْقَمَةُ بن عَبَدَةَ :

فَلَا تَحْرِمَنِّي نَائِلًا عن جَنَابَةٍ   فإنّي امْرُؤٌ وَسْطَ القِبابِ غَرِيبُ

فمن قال للواحدِ « جُنُبٌ » قال للجميعِ « أَجْنابٌ » كقولك « عُنُقٌ » و « أَعناقٌ » و « طُنُبٌ » و « أَطنابٌ » . ومن قال للواحد « جَانِبٌ » قال للجميعِ « جُنّابٌ » كقولك « راكبٌ » و « رُكّابٌ » و « ضاربٌ » و « ضُرّابٌ » قالت الْخَنْساء :

إِبْكِي أَخَاكِ لِأَيْتامٍ وأَرْمَلَةٍ   وَأَبْكِي أَخاكِ إِذَا جاوَرْتِ أَجْنابا

وإن كان من « الْجَنابَةِ » التي تُصيب الرجلَ قلتَ « رجلٌ جُنُبٌ » و « رجلانِ جُنُبٌ » وكذلك المرأةُ ، والجميعُ . وقد يجوزُ ، وليس بالوَجْهِ — : « رجلان جُنُبانِ » و « امرأةٌ جُنُبةٌ » و « قومٌ أَجْنابٌ » .

وقولُه « يَرَى أَسدًا في بيتِه وأَساوِدًا » يريد جَمْعَ « أَسْوَدَ » سالخٍ و « أَسْوَدُ » هٰهنا نعتٌ ، ولكنّه غالبٌ ، فلذلك جَرَى هٰهنا مَجْرَى الأَسماء ، لأنه يَدُلُّ على الحَيّةِ . و « أَفْعَلُ » إذا كان نعتًا بنفسه فجمعُه « فُعْلٌ » نحو « أَحْمَرَ » و « حُمْرٍ » و « أَسودَ وسُودٍ » وإذا كان نعتًا فأُجْرِيَ مُجْرَى الأسماء فجمعُه « أَفَاعِلُ » نحو « أَسَاوِدَ » و « أَجَادِلَ » و « أَدَاهِمَ »

---

(١) سورة النساء (٣٦) .

إذا أردتَ القَيْد ، لأنه نعتٌ غالبٌ يَجْرِي مَجْرَى الأسماء ، وإن أردتَ «أَدْهَمَ» الذى هو نعتٌ محضٌ — : قلتَ «دُهْمٌ» قال الأَشْهَبُ بن رُمَيْلَةَ :

أَسْوَدُ شَرًى لاقَتْ أُسُودَ خَفِيَّةٍ تَسَاقَوْا على حَرْدٍ دِماءَ الأَسَاوِدِ[1]

فأجراه مُجْرَى الأسماء ، نحو « الأَصاغِرِ » و « الأَكابِرِ » و « الأَحَامِدِ » .

وقولُه «لَعَمْرُكَ ما أشبهتَ وَعْــــلَةَ فى النَّدَى — شَمائلَه » فإنه جعلَ « شمائلَه » بدلاً مِنْ « وَعْلَةَ » والتقديرُ : ما أَشْبَهْتَ شمائلَ وَعْلَةَ .

والبدلُ على أربعةِ أَضْرُبٍ :

فواحدٌ منها : أن يُبْدَلَ أحدُ[2] الإسْمَيْنِ من الآخَرِ إذا رجَعا إلى واحدٍ ، ولا تُبَالِى أَمَعْرِفَتَيْنِ كانا أم معرفةً ونكرةً ، وتقولُ : مررتُ بأخيك زيدٍ ، لأنّ زيداً هو الأخُ ، وكذلك : مررتُ برجلٍ عبدِ اللهِ ، فهذا واحدٌ .

وآخَرُ[3] : أن يُبْدَلَ بعضُ[4] الشىء منه ، نحو : ضربتُ زيداً رأسَهُ ، لَمّا قلتَ ضربتُ زيداً أردتَ أن تُبَيِّنَ موضعَ الضربِ منه .

فمِثْلُ الأَوّلِ : قولُ اللهِ تبارك وتعالى : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ . صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾[5] وقولُه : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ

(١) مضى هذا البيت فى الجزء الأول (ص ٥٠) .

(٢) فى ج و س و د و هـ «أن تُبْدِلَ أحَدَ» .

(٣) فى ج و س «والآخر» .

(٤) فى ج س و د و هـ «أن تُبْدِلَ بعضَ» .

(٥) سورة الفاتحة (٦ و ٧) .

مُسْتَقِيمٍ ، صِرَاطِ اللهِ ﴾[1] . و﴿ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ . نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴾[2] .

ومِثْلُ البدَلِ الثانى : قولُه : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حَجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾[3] « مَنْ » فى موضع خفضٍ ، لأنها بدلٌ من « الناس » ومِثْلُهُ ، إلاَّ أنه أُعِيدَ حرفُ الخَفْضِ [قولُه] : ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ ﴾[4] .

والبَدَلُ الثالثُ : مِثْلُ ما ذكرنا فى البيتِ ، أَبْدَلَ « شمائلَه » منه ، وهى غيرُه ، لاشتمال المعنى عليها . ونظيرُ ذلك : أَسَأَلُكَ عن زيدٍ أمْرِهِ ، لأن السؤالَ عن الأمْرِ . وتقولُ على هذا : سُلِبَ زيدٌ ثوبُهُ ، فالثوبُ غيرُه ، ولكن به وقَعَ السَّلْبُ ، كما وقعتِ المسئلةُ عن خبرِ زيدٍ . ونظيرُ ذلك من القرآنِ : ﴿ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ﴾[5] . لأن المسئلةَ إنما كانت عن القتالِ : هل يكونُ[6] فى الشهرِ الحرامِ ؟ [و][7] قال الشاعرُ [وهو الأخطلُ][8] :

---

(١) سورة الشورى (٥٢ و ٥٣) .

(٢) سورة العلق (١٥ و ١٦) .

(٣) سورة آل عمران (٩٧) . وقوله « حَجُّ » ضبط فى طبعة أوربة نقلا عن أصول الكامل المخطوطة بفتح الحاء ، وهو بكسرها قراءة حفص وحمزة والكسائى ، وبفتحها قراءة باقى السبعة .

(٤) سورة الأعراف (٧٥) . وفى كل نسخ الكامل : طبعة أوربة وطبعات مصر « قال الذين استكبروا للذين استضعفوا لمن آمن منهم » بحذف كلمة « الملأ » وكلمتى «من قومه» ولا توجد آية بهذا السياق .

(٥) سورة البقرة (٢١٧) .

(٦) فى ج و س و د و هـ « أهو يكون » .

(٧) الزيادة من ج و س و د و هـ .

(٨) الزيادة من س .

إنَّ السُّيوفَ غُدُوَّها وَرَوَاحَها تَرَكَتْ هَوَازِنَ مِثلَ قَرْنِ الأَعْضَبِ[1]

وبَدَلٌ رابعٌ ، لا يكونُ مثلُهُ في القرآنِ ولا في الشِّعْرِ ، وهو : أن يَغْلَطَ المتكلمُ فيُدْرِكَ[2] غَلَطَهُ ، أو يَنْسَى فيَذْكُرَ فيرجعَ إلى حقيقةِ ما يَقْصِدُ له ، وذلك قولُك : مررتُ بالمسجدِ دارِ زيدٍ ، أرادَ أن يقولَ : مررتُ بدارِ زيدٍ ، فإمَّا نَسِيَ ، وإمَّا غَلِطَ ، فاستَدْرَكَ فوضَعَ الذي قَصَدَ له في موضعِ الذي غَلِطَ فيه .

وقولُه « بِجَوٍّ » فهي قَصبةُ اليَمامَةِ[3] .

وقولُه « تَضَيَّفْتُهُ يومًا » إنما هو « تفَعَّلْتُهُ » من « الضِّيافةِ » يقال « ضِفْتُ الرجلَ » أيْ نزلتُ به[4] ، و « أَضافَني » أي أَنْزَلَني .

وقولُه « وأَصْفَدَنِي » يقولُ : أعطاني ، وهو « الإِصْفَادُ » . و « الصَّفَدُ » الاسمُ ، و « الإِصْفَادُ » المصدرُ ، قال النابغةُ :

☆ فلم أُعَرِّضْ أَبَيْتَ اللَّعْنَ بالصَّفَدِ ☆

ويقال « صَفَدْتُ الرجلَ فهو مَصْفُودٌ » من القَيْدِ ، ولا يقال في القيدِ « أصفدتُ » ولكنْ « صَفَدْتُهُ صَفْدًا » واسمُ القَيْدِ « الصَفَدُ » قال الله

---

(١) « الأعضب » المكسور القرن . وقوله « غدوها ورواحها » زعم المرصفي أن الأجود نصبهما على الظرفية ، وليس بالجيد .

(٢) في ج و س و هـ « فيَسْتَدْرِكَ » .

(٣) المفهوم من معجم البلدان وغيره أن « جوّ » اسم اليمامة نفسها قديما ، ثم سميت « اليمامة » بعد .

(٤) في ج و س و هـ « إذا نزلت به » .

جلّ وعزّ : ﴿ مُقَرَّنِينَ فى الأَصْفَادِ ﴾[1]. كقولك « جَمَلٌ وأَجْمَالٌ » و « صَنَمٌ وَأَصْنَامٌ » .

وقوله « فتًى لو يُبَارِى الشمسَ » يقول : يُعارِضُ يقالُ « انْبَرَى لى فلانٌ » أى اعترضَ لِى ، [وَبَرَى لِى][2] فى هذا المعنَى، و «فلانٌ يُبَارِى الرِّيحَ» مِن هذا ، أى يعارِضُ الريحَ بجُودِهِ ، فهذا غيرُ مهموزٍ . فأمّا « بَارَأْتُ الكَرِىَّ » فهو مهموزٌ ، لأنه مِن « أَبْرَأَنِى وأبرأْتُه » . ويقال « بَرَأَ فلانٌ من مرضِه » و « بَرِئَ » يا فتَى ! والمصدرُ منهما « البُرْءُ » فاعلمْ . و « بَرَيْتُ القلمَ » غيرُ مهموزٍ ، واللهُ «البارِئُ» المُصَوِّرُ . ويقال « ما بَرَأَ اللهُ مثلَ فلانٍ » مهموزٌ . وقولُك «البَرِيَّة» أصلُه من الهمزِ ، ويُخْتارُ فيه تخفيفُ الهمزِ ، ولفظُ التخفيفِ والبدلِ واحدٌ . وكذلك يُختارُ فى « النَّبِىّ » التخفيفُ ، ومَن جعلَ التخفيفَ لازمًا قال فى جمعِه « أنبياء » كما يُفعلُ بذواتِ الياءِ والواوِ ، وتقول « وَصِىٌّ وأوصياء » و « تَقِىٌّ وأتقياء » و « شَقِىٌّ وأشقياء » ومَن همزَ الواحدَ قال فى الجميع « نُبَآء » لأنه غيرُ مُعْتَلٍّ ، كما تقول « حكيمٌ وحُكَماء » و « عليمٌ وعلماء » . و «أنبياء» لغةُ القرآنِ والرسولِ صلى الله عليه وسلم . وقال العباسُ بن مرداسٍ السُّلَمِىُّ :

يا خاتِمَ النُّبَآءِ إنكَ مُرْسَلٌ ... بالحقِّ كُلُّ هُدَى السَّبِيلِ هُدَا كا[3]

---

(١) سورة ص (٣٨) .

(٢) الزيادة من ع و س و د و هـ . وهى زيادة جيدة ، بل ضرورية .

(٣) فى ع و د « كُلُّ هُدَى السَّماء » .

وقوله « أو القمرَ السَّارِى لَأَلْقَى المَقَالِدَا » فَأَسْكَنَ[١] الياءَ ضرورةً ، وإنما جازَ ذلك لأن هذه الياءَ تَسْكُنُ فى الرفعِ والخفضِ ، فإذَا احتاجَ الشاعرُ إلى إسكانِها فى النصبِ قاسَ هذه الحركةَ على الحركتين : الضّمةِ والكَسرةِ ، الساقطتين ، فشَبَّهَهَا بهما ، فجَعلَها كالألفِ التى فى «مُثَنًّى» ، التى هى على هيئةٍ واحدةٍ فى جميع الإعراب ،قال النابغةُ :

رَدَّتْ عليـــه أَقاصِيهِ ولَبَّدَهُ   ضَرْبُ الوَليدَةِ بالمِسحاةِ فى الثَّأْدِ[٢]

فأَسْكَنَ الياء فى « أقاصيه » ، وقال رُؤْبةُ :

كَأَنَّ أَيْدِيهِنَّ بالقَاعِ القَرِقْ   [أَيْدِى جَوَارٍ يَتَعَاطَيْنَ الوَرَقْ][٣]

وقال :   * سَوَّى مَسَاحِيهِنَّ تَقْطِيطُ الحُقَقْ *

[ويُرْوَى « تقطيطَ » بالنصب ، وهو أجودُ[٤] ، لأن بعدَه :

* تَفْلِيلُ مَا قَارَعْنَ مِن سُمْرِ الطُّرَقْ *

و «الطُّرَقُ» جمع «طُرْقَةٍ[٥]»] .

---

(١) فى ع و هـ « إنما سَكَّنَ » وفى س و د « إنمـا أسْكَنَ » .

(٢) « الثأد » الثرى ، والبيت من قصيدته المعرفة « يادارمية » .

(٣) الزيادة من س و هـ . وفى س « أَيْدِى نساء » . وقال المرصفى : « لم أجده بديوان رؤبة ، ثم رأيت الصغانى كتب على قول الجوهرى : قال رؤبة يصف إبلا بالسرعة : كأن أيديهن ، البيت قال : ليس الرجز لرؤبة ، وإنمـا هو لراجز آخر . والقاع والقاعة : ماانبسط من الأرض ، والقرق ، بكسر الراء ، وأنشده بعضهم بفتحها : القاع لاحجارة فيه ، والورق ورق الشجر يضرب بالعصا ، فيتناثر ، فتلتقطه الجوارى بسرعة لعلف الإبل وغيرها » .

(٤) قال المرصفى : « لايجوز غير نصبه على التشبيه » .

(٥) الزيادة من حاشية ا . وقال المرصفى « فاعل سوّى : تفليل . والمعنى : سوّى حوافرهن المشبهة بالمساحى تكسير ما قارعن ، أى ضربن بها ، سمر الطرق ... وهى حجارة مطارقة بعضها فوق بعض ، وإنمـا وصفها بالسمرة لدلالتها على الصلابة » .

وقال آخرُ :

كَفَى بالنَّأْيِ مِن أسماءَ كافٍ ... وليس لِحُبِّها ما عِشْتُ شافِ(١)

وأما قولُهُ :

وأمْتَعَنِي على العَشا بوليـدةٍ ... فأُبْتُ بخيرٍ منك يا هَوْذَ حامِدَا

ـ : فإنه كان يتحدث عنه ، ثم أقبل عليه يخاطبه ، وترك تلك المُخاطبةَ .

والعرب تَتْرُكُ مخاطبةَ الغائبِ إلى مخاطبةِ الشاهد ، ومخاطبةَ الشاهدِ إلى مخاطبةِ الغائبِ . قال الله جلّ وعزّ : ﴿ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾(٢) كانتِ المخاطبةُ للأُمَّةِ ، ثم انصرفت(٣) إلى النبي صلى الله عليه وسلم إخباراً عنهم . وقال عَنْتَرَةُ :

شَطَّتْ مَزَارَ العاشِقِينَ فأصبحتْ ... عَسِرًا عليّ طِلابُكِ ابْنَةَ مَخْرَمِ(٤)

فكان يتحدثُ عنها(٥) ثم خاطبها . ومثلُ ذلك قولُ جريرٍ :

وتَرَى العَواذِلَ يَبْتَدِرْنَ مَلامَتِي ... فإذا أَرَدْنَ سِوى هَواكِ عُصِينَا

وقال الآخرُ(٦) :

(١) بحاشية ا « إذْ طافَ شافِ » وعليه علامة « صح » .

(٢) سورة يونس (٢٢) .

(٣) فى ج و د و هـ « ثم صُرِفَتْ » .

(٤) « مزار » بالنصب ، وفى ا بالرفع . وقال المرصفى : « قال ابن جنى : نصب مزار باسقاط الخافض ، يريد : شطت عن مزار العاشقين . وقال غيره : ضمنه معنى جاوزت فعداه . ويروى : حلت بأرض الزائرين . جمع زائر ، من زأر الأسد : صاح وغضب ، يريد : حلت بأرض الأعداء » .

(٥) فى ج و س « كان يُحَدِّثُ عنها » .

(٦) فى ج و س و د و هـ « آخر » .

فِدًى لكِ والدى وسَرَاةُ قومِى ... ومالى إنّهُ منـــهُ أتانِى

وهذا كثيرٌ جدًّا .

وقولُه « يَرَى جَمْعَ ما دونَ الثلاثينَ قُصْرَةً » أى قليـــلاً ، من « الاقتصارِ » . ويُرْوَى « ويَغْدُو » و « يَعْدُو » جميعاً .

☆

وكان هَوْذةُ بن علىّ ذا قَدْرٍ عالٍ ، وكانت[1] له خَرَزاتٌ تنْظَمُ فتجْعَلُ على رأسِه ، تَشَبُّهاً بالملوكِ .

وحدثنى التَّوَّزِىُّ عن أبى عُبَيدةَ . قال : ما تَتَوَّجَ مَعَدِّىٌّ قطُّ ، إنما كانتِ التيجانُ لليَمَنِ[2] . قال : فسأَلتُه عن قولِ الأعشى [لهَوْذَةَ][3] :

مَنْ يَرَ هَوْذَةَ يَسْجُدْ غيرَ مُتَّئِبٍ ... إذا تَعَمَّمَ فوقَ التاجِ أو وَضَعا ؟

قال : إنما كانت خَرَزاتٌ تُنْظَمُ له .

وكَتَبَ رســولُ الله صلى الله عليــه وسلم إلى هوذةَ كما كَتَبَ إلى الملوكِ[4] .

---

(١) فى ج « وكان » .

(٢) فى ج و د « باليمن » .

(٣) الزيادة من ج و د و ه . وفى س « فى هوذة » .

(٤) فى طبقات ابن سعد (ج ١ ق ٢ ص ١٨) : « قالوا : وبعثَ رسول الله صلى الله عليه وسلم سَلِيط بن عمرٍو العامرىّ ، وهو أحد الستة إلى هوذة بن على الحنفىّ ، يدعوه إلى الإسلام ، وكتب معه كتاباً ، فقدم عليه فأنزله وحياه وقرأ كتابَ النبي صلى الله عليه وسلم ، وردّ ردًّا دُون رَدٍّ . وكتب إلى النبي صلى الله عليه

وكانت بنو حَنيفةَ بن لُجَيْمٍ أصحابَ اليَمامَةِ ، ويقولُ بعض النّسّابِينَ : إنَّ عُبَيْدَ بن حنيفةَ كان أَتى اليمامةَ وهى صَحْراء ، فاخْتَطَّها ، فجعل يَرْكُضُ حوالَيْها وَيَخُطُّ برمحه فى الأرض على ما أصابَ من النخلِ ، وأنهم أكلوا ما أصابوا تحتَه من التَّمرِ ، فلما طَلَعَ لهم التمرُ بَعْدُ لم يهتَدُوا لِصُعُودِ النَّخْل ، فأقبلوا يَجُدُّونَهُ ، حتى فَكَّرُوا فأَعَدُّوا له السَّلالِمَ ، فلما عَمِرَتِ اليمامةُ جَعلتِ العربُ تَنْتَجِعُهُمْ لموضع التمر فيُجَاوِرُونَ العَزِيزَ منهم ، وكان يقالُ لمن دخلها من هؤلاء « السَّوَاقِطُ » ممن كانوا .

ويقالُ : إن اليمامةَ والبَحْرَيْنِ والقَرْيَتَيْنِ ومواضعَ هناك ـ : كانت لِطَسْمٍ وجَدِيسَ ، والخبرُ فى ذلك مشهورٌ بِزَرْقاء اليَمامَةِ ، وقد ذكر ذلك الأعشى فى قوله :

[ما نَظَرَتْ ذاتُ أشْفارٍ كَنَظْرَتِها ... حَقًّا كما نَطَقَ الذِّئْبِيُّ إذْ سَجَعَا](١)

قالتْ : أَرَى رَجُلاً فى كَفِّه كَتِفٌ ... أو يَخْصِفُ النعلَ لَهْفِى أَيَّةً صَنَعَا

وسلم : ما أحسنَ ما تدعو إليه وأجملَه ، وَأنا شاعرُ قومى وخطيبُهم ، والعربُ تَهابُ مكانى ، فاجعلْ لى بعضَ الأمرِ أَتَّبِعْكَ ، وأجازَ سَليط بنَ عمرو بجائزة ، وكساه أثواباً من نسج هَجَرَ ، فقدِمَ بذلك كله على النبى صلى الله عليه وسلم ، وأخبره عنه بما قال ، وقرأ كتابَه ، وقال : لوسألنى سَيَابَةً من الأرضِ مافعلتُ ، بادَ وبادَ ما فى يديه . فلما انصرفَ من عام الفتح جاءه جبريلُ فأخبره أنه قد مات » . و« السيابة » بفتح السين المهملة وتخفيف الياء : البلحة ، يحقر أمره فلا يعطيه تمرة من الأرض لو أرادها .

(١) قال المرصفى : « الذئبى هو سطيح الكاهن ... يريد : كما صدق سطيح فى سجعته » .

وكَذَّبُوها بِما قالت فَصَبَّحَهُمْ ذو آلِ غَسَّانَ يُزْجِي الموتَ والشَّرَعَا(١)

*

وحدثني التَّوَّزِيُّ عن أبي عُبيدةَ والأَصْمَعِيُّ عن أبي عَمرٍو قال : قال لي رجلٌ من أهل القريتينِ : أَصَبْتُ هٰهنا دراهمَ وَزْنُ الدرهم ستة دراهمَ وأربعةُ دَوانيقَ ، من بقايا طَسْمٍ وجَدِيسَ ، فخِفتُ السلطانَ فأخفيتُها .

وقد ذكر ذلك زُهَيْرٌ في قوله :

عَهْدِي بها يومَ بابِ القريتينِ وقد زالَ الهَمَالِيجُ بالفُرْسانِ واللُّجُمِ(٢)

فاستبدلتْ بعدَنا دارًا يَمانيَةً تَرْعَى الخَرِيفَ فأدْنَى دارِها ظَلَمُ(٣)

وقال جريرٌ يهجو بني حَنيفةَ :

هَجَانِيَ الناسُ مِلْءَ أحياءِ كُلِّهِمِ حتى حَنيفةُ تَفْسُو في مَنَاحِيها

[تُعَيَّرُ بنو حنيفةَ بالفَسْوِ ، لأنَّ بلادَهم بلادُ نخلٍ ، فيأكلونه ويُحْدِثُ في أجوافهم الرياحَ والقَرَاقِيرَ](٤) .

أصحابُ نخلٍ وحيطانٍ ومَزْرَعةٍ سُيوفُهم خُشُبٌ فيها مَساحِيها

ذَلَّتْ وأعطتْ يداً للسِّلْمِ صاغرةً مِن بعدِ ما كاد سيفُ اللهِ يُفْنِيها

---

(١) « الشرع » بكسر الشين جمع « شرعة » بوزن « سدرة وسدر » قال المرصفي : « هي الوتر مادام مشدوداً على القوس » .

(٢) في كل نسخ الكامل « عهدي بها » ولكن الشيخ المرصفي . ذكرها « عهدي بهم » ويظهر أنه تصرف منه نقلا عن ديوان زهير . انظره بشرح الأعلم (ص ٥٣) . وقال المرصفي أيضا : « الهماليج : جمع الهملاج ، وهي الدابة في سيرها سرعة وبخترة ، الذكر والأنثى فيه سواء يريد بها الإبل . وكنى بقوله واللجم : عن الخيل » .

(٣) « ظلم » اسم موضع ، ضبط في طبعة أوربة هنا وفي لسان العرب بفتح اللام ، وضبط في معجم البلدان وشرح القاموس بكسرها .

(٤) الزيادة من حاشية ج .

صارتْ حنيفةُ أثلاثاً فثُلْثُهُمُ ... أضْحَوْا عَبِيداً وثُلْثٌ من مَوَالِيها[١]

قوله « مَناحِيها » « المَنْحَاةُ » مَقامُ السَّانيةِ على الحوضِ ، و « الحائطُ » البستانُ . وقولُه « مِن بعد ما كادَ سيفُ اللهِ يُفْنِيها » يعنى خالدَ بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عُمَرَ بن مخزومٍ ، فى وقعته بمُسَيْلِمَةَ الكذَّابِ . ولِلنَّسَّابِينَ بعدَ هذا قولٌ مُنْكَرٌ .

وقال جريرٌ [أيضاً][٢] :

أَبَنِي حَنِيفَةَ نَهْنِهُوا سُفَهاءَكُمْ ... إنِّى أخافُ عليكمُ أن أغْضَبا[٣]

أَبَنِى حنيفةَ إنِّى إنْ أَهْجُكُمْ ... أَدَعِ اليَمامَةَ لا تُوارِى أَرْنَبا

وقال عُمارةُ بنُ عَقِيلٍ[٤] :

بَلْ أيُّها الراكبُ الماضِى لِطِيَّتِهِ ... بَلِّغْ حنيفةَ وانْشُرْ فيهمُ الخَبَرا[٥]

أكانَ مَسْلَمَةُ الكذابُ قال لكم ... لن تُدْرِكُوا المَجْدَ حتى تُغْضِبُوا مُضَرا[٦]

مَهْلاً حَنيفةُ إنَّ الحربَ إنْ طَرَحَتْ ... عليكُمُ بَرْكَها أَسْرَعْتُمُ الضَّجَرا

« البَرْكُ » الصَّدْرُ ، إذا فتحتَ الباءَ ذَكَّرْتَ ، وإن[٧] أردتَ التأنيثَ

---

(١) فى هـ « من العبيد وثلث » .

(٢) الزيادة من د .

(٣) « نهنهوا سفهاءكم » أى كفوهم وازجروهم .

(٤) هو عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير .

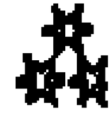
(٥) فى ا و هـ « يأيها » وفى حاشية ا « بل أيها » وعليها علامة « صح » . وقوله « لطيته » يعنى لوجهه الذى يريده .

(٦) فى ج « لن تبلغوا » . وفى د « حتى تبغضوا » .

(٧) فى ج و د و هـ « وإذا » .

كسرتَ الباء ، قلتَ « بِرْكَة[1] » . قال الجَعْدِيُّ :

وَلَوْحَا ذِرَاعَيْنِ فى بِرْكَةٍ إلى جُؤْجُؤٍ رَهِلِ المَنْكِبِ[2]



وزَعم الأصمعىُّ أن زِيادًا كان يقالُ له « أَشْعَرُ بَرْكًا » لأنه كان أَشْعَرَ الصَّدْرِ .

وغيرُ الأصمعى يزعم[3] أن هذا كان يقال للوليد بن عُقْبةَ بن أَبى مُعَيْطِ بن أبى عَمرِو بن أُمَيَّةَ .

وذكروا أن عَدِيَّ بن حاتمِ بن عبد الله الطائىَّ قال يوماً : أَلاَ تَعْجَبُونَ لهذا أَشْعَرَ بَرْكًا يُوَلَّى مثلَ هذا المصرَ ا وَالله مايُحْسنُ أَنْ يَقْضِيَ فى تمرتين ! ! فبَلَغَ ذلك الوَليدَ فقال على المنبرِ : أَنْشُدُ الله رَجُلاً سَمَّانِى أَشْعَرَ بَرْكًا إلاَّ قامَ ؟ فَقام عَدِيُّ بن حاتمٍ فقال : أيها الأميرُ ! إن الذى يقومُ فيقولُ أنا سميتُك أَشْعَرَ بَرْكًا لَجَرِىءٌ ! فقال [له][4] : اجلسْ يا أبا طَرِيفٍ ؟ فقد بَرَّأَكَ اللهُ منها ، فجلسَ وهو يقولُ : والله ما بَرَّأَنى اللهُ منها ! !

وكانت أُمُّ الوليد بن عُقْبَةَ أُمَّ عثمان بن عَفَّانَ رحمهما الله ، وهى أَرْوَى

---

(١) فى د « فكسرت الباء فقلت بركة » . وفى ع « قلت بركة فكسرت الباء » . وفى س و ه « قلت بركة بكسر الباء » .

(٢) « الجؤجؤ » الصدر ، أو مجتمع رؤوس عظام الصدر . و « المنكب » مجتمع العضد والكتف . و « رهله » استرخاؤه من السمن ، لامن الضعف . أفاده المرصفى .

(٣) فى ع و س و ه « زعم » .

(٤) الزيادة من ع و د و ه .

بنتُ كُرَيْزِ بن حبيب بن رَبيعة بن عبد شمسٍ[١] بن عبد مَنافٍ ، وأُمها البَيْضَاء بنت عبد المُطَّلِبِ بن هاشم ، ومن ثَمّ قال الوليدُ لعلى بن أبى طالبٍ رحمه الله : أنا أَلْقَى رســـولَ الله صلى الله عليه وسلم بأُمّى من حيثُ تَلْقَاه بأبيك .

وكان يقال للبَيْضَاء بنتِ عبد المطلب « قُبَّةُ الدِّيبَاجِ » واسمُها أمُّ حَكِيمٍ ، ولذلك قيل لعثمانَ أو للوليدِ[٢] : يابْنَ أَرْوَى ، وَيابنَ أُمِّ حَكِيم .

وقال الوليدُ لبنى هاشمٍ لهذا السببِ[٣] حين قُتِلَ عثمان رحمه الله :

بنى هاشمٍ رُدُّوا سِلاَحَ ابنِ أُختكم ‏ ‏ ولا تَنْهَبُوهُ لا تَحِلُّ مَنَاهِبُهْ

بنى هاشمٍ كيف الهَوَادَةُ بيننا ‏ ‏ وعندَ علىٍّ دِرْعُهُ ونَجَائِبُهْ

هُمُ قتلوهُ كَىْ يكونوا مكانَه ‏ ‏ كما غَدَرَتْ يوماً بكسْرَى مَرَازِبُهْ[٤]

وهذا القول باطلٌ ، وكان عُرْوة بن الزبير إذا ذَكر مَقْتَلَ عثمانَ يقولُ : كان علىٌّ أَتْقَى لِلّهِ مِن أن يُعِينَ فى قتل عثمانَ[٥] ، وكانَ عُثمانُ أَتْقَى لِلّهِ مِن أن يعينَ فى قتل علىٍّ[٦] .

---

(١) هكذا فى النسخ ، وهو خطأ صوابه « كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس » كما فى الطبقات لابن سعد (ج ٣ ق ١ ص ٣٦) وكما فى غيره من المصادر .

(٢) فى ج و س و د « وللوليد » .

(٣) فى ج و د و هـ « لهذا النسب » .

(٤) قال المرصفى : « يذكر ما كان من قتل شيرويه أباه أبرويز بن هرمز ، وأعانه عليه مرازبته ، وهم الفرسان المقدمون » .

(٥) فى ج و س و د و هـ « من أن يقتل عثمان » وفى نسخة بحاشية ج « من أن يعين على قتل عثمان » .

(٦) فى ج و س و د و هـ « من أن يقتله على » .

وقال الوليدُ بن عُقْبَةَ :

أَلاَ إِنَّ خَيْرَ الناسِ بعد ثلاثةٍ   قَتيلُ التُّجُوبِيِّ الذى جاء من مِصْرِ (١)

وما لِيَ لا أَبْكِي وتَبْكِي أقاربي   وقد حُجِبَتْ عنَّا فُضُولُ أبي عَمْرِو

وقالت لَيْلَى الأَخْيلِيَّةُ ، أنشدنيه الرِّيَاشِيُّ عن الأَصْمعِيِّ :

أَبَعْدَ عثمان تَرْجو الخيرَ أُمَّتُهُ   وكان آمَنَ مَنْ يمشِي على ساقِ

(١) فى هـ « النحودى » وفى س « النجيبى » . وكل هذا خطأ ، صوابه « التُّجِيبِيّ » بضم التاء الفوقية ، نسبة إلى « تُجِيبَ بنت ثوبان بن سُلَيم » ، نسبت إليها القبيلة . وقد أخطأ الجوهرى فى هذا البيت كما أخطأ المبرد . فنى لسان العرب . « وَتَجُوبُ قبيلة من حِمْيَر ، حلفاء لمرادٍ ، منهم ابن مُلْجِمٍ لعنه الله . قال الكُمَيْتُ : — فذكر البيت — هذا قول الجوهرى . قال ابن برّىّ : البيت للوليد بن عقبة ، وليس للكميت كما ذكر ، وصواب إنشاده :

* قَتيلُ التُّجِيبِيِّ الذى جاء من مصر *

وإنما غلّطه فى ذلك أنه ظن أن الثلاثة أبو بكر وعمر وعثمان رضوان الله عليهم ، فظن أنه فى على رضى الله عنه ، فقال : التُّجُوبى ، بالواو . وإنما الثلاثة : سيدُنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضى الله عنهما ، لأن الوليد رَثَى بهذا الشعر عثمان بن عفان رضى الله عنه . وقاتله كِنَانة بن بشرٍ التُّجِيبِيُّ ، وأما قاتل على رضى الله عنه فهو التُّجُوبى . ورأيت فى حاشيةٍ ما مثالُه : أنشد أبو عُبيدٍ البكريُّ رحمه الله فى كتابه فصل المقال فى شرحِ كتاب الأمثال هذا البيت الذى هو :

* ألا إن خير الناس بعد ثلاثة *

لنائلة بنت الفُرَافِصَةِ بن الأحوصِ الكلبيةِ زوجِ عثمان رضى الله عنه ترثيه ، وبعده » . ثم ذكر البيت الثانى المذكور هنا .

خَلِيفَةَ اللهِ أعطاهُمْ وخَوَّلَهُمْ ... ما كَانَ من ذَهَبٍ جَمٍّ وأوْراقِ (١)
فلا تُكَذِّبْ بوعدِ اللهِ وارْضَ بِهِ ... ولا تَوَكَّلْ على شيء بإشْفاقِ (٢)
ولا تقولَنْ لشيءٍ سوف أفْعَلُهُ ... قد قَدَّرَ اللهُ ما كلُّ امرئٍ لاقِ

وقال آخرُ :

ألاَ قُلْ لقومٍ شارِبِى كأْسِ عَلْقَمٍ ... بقَتْلِ إمامٍ بالمدينـةِ مُحْرِمِ
قَتَلْتُمْ أمينَ اللهِ فى غيرِ رِدَّةٍ ... ولا حَدِّ إحْصانٍ ولا قَتْلِ مُسْلِمِ
تَعَالَوْا فَفَاتُونا فإن كَانَ قَتْلُهُ ... لواحدَةٍ منها فَحَلٌّ لكم دَمِى (٣)
وإلاَّ فأَعْظِمْ بالذى قد أتيتُمُ ... ومَنْ يأتِ مالم يَرْضَهُ اللهُ يَظْلِمِ
فلا يَهْنِئَنَّ الشامتِينَ مُصابُهُ ... فَحَظُّهُمُ من قتله حَرْبُ جُرْهُمِ (٤)

وأنشدنى الرِّيَاشِىُّ عن الأصمعىّ [فى مثله (٥)] ، [قال أبو الحسن : هذا الشعرُ لابن الغَرِيزَةِ الضَّبِّىّ (٦)] :

لَعَمْرُ أبيكَ فــلا تَذْهَلَنْ ... لقد ذهَبَ الخيرُ إلاّ قليلاَ
وقد فُتِنَ الناسُ فى دِينِهم ... وخلَّى ابنُ عَفّانَ شَرًّا طويلاَ

ومثله قولُ الراعِى :

---

(١) فى ج و د و هـ « من ذهبٍ حَوْمٍ » . وفى حاشية ج « الحوم : الكبير » .

(٢) قال المرصفى : « تريد : لاتعتمد على غيره موجها قلبك المشفق إليه » .

(٣) فى هـ « تعالوا فقاضونا » وهى بمعنى « فاتونا » أى حاكونا بالذهاب معنا إلى المفتى أو إلى القاضى . وفى ج « فَحِلٌّ لكم » .

(٤) فى ج و د و هـ « فَحَظُّكُمُ » .

(٥) الزيادة من س .

(٦) الزيادة من د .

قَتلوا ابنَ عَفَّانَ الخليفةَ مُحْرِمًا ... ودَعَا فلم أَرَ مثـلَهُ مَخْذُولاَ

فتَفَرَّقَتْ مِنْ بعدِ ذاكَ عَصَاهُمُ ... شِقَقًا وأُصبحَ سَيْفُهُمْ مَسلولاَ[1]

قولُه « مُحْرِمًا » يريد فى الشهرِ الحرامِ ، وكان قُتِلَ فى أيام التشريق رحمه الله .

وقال أيْمَنُ بن خُرَيْمِ بن فَاتِكٍ الأَسَدِيُّ ، وكانت له صُحْبةٌ :

تَفاقَدَ الذَّابِحُو عثمانَ ضَاحِيَةً ... أىَّ قتيلٍ حَرامٍ ذُبِّحُوا ذَبَحُوا

ضَحَّوْا بعثمانَ فى الشهر الحرام ولم ... يَخْشَوْا على مَطْمَحِ الكَفِّ الّذِى طَمَحُوا

فأىَّ سُنَّةِ جَوْرٍ سَنَّ أَوَّلُهُمْ ... وبابِ جَوْرٍ على سُلْطانِهِمْ فَتَحُوا

ماذا أرادوا أَضَلَّ اللهُ سَعْيَهُمُ ... مِن سَفْحِ ذاكَ الدَّمِ الزاكِى الذى سَفَحُوا

فاستَوْرَدَتْهُمْ سُيوفُ المسلمينَ على ... تَمَامِ ظِمْءٍ كما يُسْتَوْرَدُ النَّضَحُ

إنَّ الذين تَوَلَّوْا قتلَه سَفَهًا ... لاقَوْا أثامًا وخُسْرانًا فما رَبِحُوا[2]

« الظِّمْءُ » ما بين الشَّرْبَتَيْنِ ، وقولُه « ضَحَّوْا بعثمان » إنما أصله فُعِلَ فى الضُّحَى ، قال زهيرٌ :

ضَحَّوْا قليلاً على كُثْبانِ أَسْنُمَةٍ ... ومنهمُ بالقَسُومِيَّاتِ مُعْتَرَكُ[3]

(١) « شققا » جمع « شقة » ، بكسر الشين ، وهى القطعة . وقوله « مسلولا » ثبت بدله فى طبعات مصر « مفلولا » ، وهو مخالف لكل أصول الكتاب .

(٢) فى ج و س و د و هـ « لقوا » وضبطت فى ج « لُقُّوا » وفى د « لَقَوا » ولم تضبط فى الباقى .

(٣) « أسنمة » ضبطت فى طبعة أوربة بفتح الهمزة وضم النون . وقال المرصفى : « ضبطه الصغانى فى تكملته بضم الهمزة والنون . ورواه كذلك أبو إسحق الزجاج عن الأصمعى عن أبى عمرو ، وهى رملة . ورواها التوزى : أسنمة ، بفتح الهمزة وكسر النون . قال : وهى حبال من الرمل كأنها أسنمة الإبل قريبة من فلج . والقسوميات مواضع عادلة عن طريق فلج ذات اليمين . وأراد بالمعترك : المزدحم ، موضع نزولهم وإناختهم » .

أي نزلوه ضُحًى ، ويقال « بَيَّتُوا ذاك » أي فعلوه ليلاً ، قال الله جل وعز : ﴿ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَالاَ يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ ﴾[1] ، وأنشد أبو عبيدةَ :

أَتَوْنِي فلم أَرْضَ ما بَيَّتُوا وكانوا أَتَوْنِي بأمرٍ نُكُرْ
لِأُنْكِحَ أَيِّمَهُمْ مُنْذِرًا وهل يُنْكِحُ العبدَ حُرٌّ لِحُرّْ

وقولُه: « فى سَفْحِ ذاكَ الدَّمِ الزاكى الذى سَفَحُوا » أى فى صَبِّ ذاكَ الدمِ ، يقال « سَفَحْتُ دَمَهُ وسَفَكْتُ دَمَه » [بمعنًى][2] ، قال اللهُ تعالى : ﴿ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا ﴾[3] .

وقولُه « على تَمَامِ ظِمْءٍ » ، فهذا مَثَلٌ ، وأصلُ « الظِّمْءِ » ، أن تشربَ الإبلُ يومًا ثم تُغَبَّ يومًا لا تَرِدُ الماء ، فما بين الشَّرْبتين « ظِمْءٌ » فيكون الظِّمْءُ يومين ، فيقال له « الرِّبْعُ » كما يقال فى الحُمَّى ، لأنهم يَعْتَدُّونَ بيَوْمَىْ شُرْبِها ، و « الخِمْسُ » أن تَظْمَأَ ثلاثةَ أيامٍ ، و « النَّضَحُ » الحَوْضُ .

و « الأَثامُ » الهَلاَكُ ، قال الله عَزَّ ذِكْرُهُ : ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ ، ثم فسَّرَ فقال : ﴿ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴾[4] فجزم « يُضَاعَفْ » لأنه بدلٌ من قوله « يَلْقَ أَثَامًا » إذْ كَانَ إيّاه فى المعنى ، وأنشدنى أبو عُبيدةَ :

جَزَى اللهُ ابنَ عُرْوَةَ إذْ لَحِقْنَا عُقُوقًا والعُقُوقُ من الأَثَام

---

(١) سورة النساء (١٠٨) .
(٢) الزيادة من ه .
(٣) سورة الأنعام (١٤٥) .
(٤) سورة الفرقان (٦٨ و ٦٩) .

وقوله « على مَطْمَحِ الكَفِّ » يقول : على رَفْعها و إبْعادِها ، يقال « طَمَحَ بَصَرُه » إذا ارتفع فأَبْعَدَ النَّظَرَ ، قال امرؤُ القيسِ :

لقد طَمَحَ الطَّمّاحُ من بُعْدِ أَرْضِهِ ليُلْبِسَنِي مِن دائِهِ ما تَلَبَّسَا

باب

[فى التَّشْبِيهِ][1]

قال أبو العباس : وهذا بابٌ طريفٌ نَصِلُ به هذا البابَ الجامعَ الذى ذكرناه ، وهو بعضُ ما مَرَّ للعربِ من التشبيه المُصيبِ ، والمُحْدَثِينَ[2] بعدَهم . فأَحْسَنُ ذلك ما جاء [نا من هذا][1] باجماع الرُّواةِ — : ما مَرَّ لامرئِ القيسِ فى كلامٍ مختصرٍ ، أى بيتٍ واحدٍ ، من تشبيه شىء فى حالتين [مختلفتين][3] بشيئين مختلفين ، وهو قولُه :

كأَنَّ قلوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا ويابسًا لَدَى وَكْرِها العُنّابُ والحَشَفُ البالِى

فهذا مفهومُ المعنَى ، فان اعترضَ معترضٌ فقال : فهلاَّ فَصَلَ فقال : كأَنَّه رَطْبًا العُنّابُ وكأَنَّهُ يابسًا الحَشَفُ ؟ قيلَ له : العربىُّ الفصيحُ الفَطِنُ اللَّقِنُ يَرْمِى بالقولِ مفهومًا ، ويَرَى ما بعدَ ذلك من التكرير عِيًّا ، قال الله جل وعزَّ ، وله المَثَلُ الأَعْلَى : ﴿ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا

---

(١) الزيادة من هـ .

(٢) فى ع و س و د و هـ « والمُحْدَثِينَ » .

(٣) الزيادة من س .

فيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾[١] علْماً بأن المخاطَبينَ يعرفون[٢] وقتَ السُّكون ووقتَ الاكتساب .

ومِن تمثيلِ امرئِ القيس العجيبِ قولُه :

كأنَّ عُيونَ الوَحْشِ حَوْلَ خِبائنا　　وأَرْحُلِنا الجَزْعُ الذى لم يُثَقَّبِ[٣]

ومن ذلك قولُه :

إذا ما الثُّرَيَّا فى السماء تعرَّضَتْ　　تَعَرُّضَ أَثْناء الوِشاحِ المُفَصَّلِ[٤]

وقد أَكْثَرَ الناسُ فى الثُّرَيَّا[٥] فلم يأتُوا بما يقارِبُ هذا المعنى ، ولا بما يقارِبُ سُهولةَ هذه الألفاظِ .

ومن أعجب التشبيه قولُ النابغةِ :

فإنَّكَ كالليلِ الذى هو مُدْرِكِي　　وإنْ خِلْتُ أنَّ المُنْتَأَى عنك واسعُ

وقولُه :

خَطاطِيفُ حُجْنٌ فى حِبالٍ مَتينةٍ　　تَمُدُّ بها أَيْدٍ إليكَ نَوازِعُ[٦]

وقولُه :

فإنكَ شمسٌ والملوكُ كواكبٌ　　إذا طَلَعَتْ لم يَبْدُ منهنَّ كوكبُ

---

(١) سورة القصص (٧٣) .

(٢) فى ج و س و د و هـ « يعلمون » .

(٣) « الجزع » بسكون الزاى مع فتح الجيم ، ويجوز كسرها ، وهو خرز فيه بياض وسواد ، شبه به عيون الوحش وهى ميتة . أفاده المرصفى .

(٤) « أثناء الوشاح » ما انثنى منه ، واحدها « ثِنْىٌ » .

(٥) فى ج و س و د و هـ « وقد أكثروا فى الثريا » .

(٦) قال المرصفى : « الخطاطيف جمع خطاف ، وهو حديدة حجناء معقوفة الرأس . ونوازع : جواذب . يقول : لك خطاطيف أجرّ بها إليك ، فليس عنك مهرب » .

ومن عجيب التشبيه قولُ ذى الرُّمَّةِ :

وَرَدْتُ اعْتِسَافًا والثُّرَيَّا كأَنها   على قِمَّةِ الرأسِ ابنُ ماءٍ مُحَلِّقُ(١)

وقولُه :

فجاءت بِنَسْجِ العَنْكبوتِ كأَنَّه   على عصَوَيْها سَابِرِيٌّ مُشَبْرَقُ(٢)

وتأويلُ هذا(٣) : أنه يَصِفُ ماء قديمًا لا عَهْدَ له بالوَارِدَةِ(٤)، فقد اصْفَرَّ وَاسْوَدَّ، فقال :

وماءٍ قديمِ العَهْدِ بالإنسِ آجِنٍ   كأَنَّ الدَّبَا ماءَ الغَضَا فيه تَبْصُقُ(٥)

وقد أجاد عَلْقَمَةُ بن عَبَدَةَ الْفَحْلُ فى وصفِ الماءِ الآجِنِ، حيث يقولُ :

إذا وَرَدَتْ ماءً كَأَنَّ جِمَامَهُ   من الأَجْنِ حِنَّاءٌ مَعًا وصَبِيبُ(٦)

فقال ذو الرُّمَّةِ فى وصفِ هذا الماءِ، فقَرَنَ بتغيُّرِهِ بُعْدَ مَطْلَبِهِ، فقال(٧) :

فَأَدْلَى غُلَامِي دَلْوَهُ يَبْتَغِي بها   شفاءَ الصَّدَى والليلُ أَدْهَمُ أَبْلَقُ

يريدُ : أنَّ الفجرَ قد نَجَمَ فيه ، فجاءتْ — يعنى الدَّلْوَ — بنَسْجِ العنكبوتِ

---

(١) « الاعتساف » السير على غير هدى . و « قمة الرأس » بكسر القاف : أعلاه . و « ابن الماء » كل طائر يألف الماء . و « تحليقه » ارتفاعه فى الهواء باسطاً جناحيه . أفاده المرصفى .

(٢) « العصوان » هما الخشبتان اللتان تعترضان على الدلو كالصليب .

(٣) ف ع و س و د و هـ « وتأويله » .

(٤) ف ع و د « بالوُرَّادِ » .

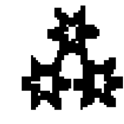
(٥) ف ع و س و د و هـ « قديم العهد بالناس » . و « آجن » أى متغير الطعم واللون . و « الدبا » بفتح الدال وتخفيف الباء ، هو الجراد . و « الغضا » شجر له هدب ، إذا أكلته الابل اشتكت بطونها . يقول : كأن الدبا رعى ذلك الشجر وبصق ماتحلل منه . أفاده المرصفى .

(٦) قال المرصفى : « الرواية : فأَوْرَدْتُهَا ماءً » . وهذه الرواية مذكورة بحاشية طبعة أوربة .

(٧) كلمة « فقال » لم تذكر فى طبعات مصر ، وهى ثابتة فى الأصول .

كَأنه على عَصَوَيْها سَابِرِىٌّ مُشَبْرَقٌ . و « السَّابِرِىُّ » الرقيقُ من الثيابِ والدُّرُوعِ[١] . و « المُشَبْرَقُ » المُمَزَّقُ . وأنشد أبو زيدٍ :

لَهَوْنا بِسِرْبالِ الشَّبابِ مُلاَوَةً فَأَصْبَحَ سِرْبالُ الشَّباب شَبارِقَا[٢]



ومن التشبيه العجيبِ[٣] قولُ ذى الرُّمَّةِ فى صفةِ الظَّلِيمِ[٤] :

شَخْتُ الجُزَارَةِ مِثْلُ البيتِ سائرُهُ مِنَ المُسوحِ خِدَبٌّ شَوْقَبٌ خَشِبُ

« الشَّخْتُ » الضَّئيلُ اليابسُ الضَّعِيفُ ، و « الجُزَارَةُ » القَوَائم . وقولُه «مِثْلُ البيتِ سائرُه مِن المُسُوحِ » يعنى : إذا مَدَّ جَنَاحَيْهِ ، وإنما أَخَذه من قول علقمة بن عَبَدَةَ :

صَعْلٌ كَأَنَّ جَنا حَيْهِ وجُؤْجُؤَهُ بيتٌ أُطافَتْ به خَرْقاءُ مَهْجُومُ

« الصَّعْلُ » الصغيرُ الرأسِ . و « الخَرْقاءُ » التى لا تُحْسِنُ شيئًا ، فهى تُفْسِدُ ما [تَصْنَعُ وما[٥]] عَرَضَتْ له . قال الحُطَيْئَةُ :

هُمُ صَنَعُوا لِجَارِهِمُ وليستْ يَدُ الخرقاءِ مِثْلَ يَدِ الصَّناعِ[٦]

و « المهجومُ » المهدُومُ[٧] . وفى الخبرِ : أنه لما قُتِلَ بِسْطامُ بن قَيْسٍ لم يَبْقَ

---

(١) فسره فى اللسان بنحو ذلك ، ثم قال : «والأصل فيه الدروع السابرية ، منسوبة إلى سابور» .
(٢) « ملاوة » ضبطت فى طبعة أوربة بفتح الميم وضمها معاً ، ويجوز فيها أيضا الكسر ، وهى الحين والبرهة من الدهر .
(٣) فى س « البليغ » .
(٤) « الظليم » ذكر النعام .
(٥) الزيادة من حاشية ج .
(٦) فى س « لجارتهم » .
(٧) فى ج « المهزوم » وفى س و ا « للعدوم » وكلاهما خطأ .

بيتٌ فى بكرِ بن وائلٍ إلاَّ هُجِمَ، أى هُدِمَ[1]. و« الجَدْبُ » الضَّخمُ. و« الشَّــوْقَبُ » الطويلُ. و« الخَشِبُ » الذى ليس يَلِينُ[2] على من نَزَلَ به.

ومن التشبيه المُصِيبِ قولُه فى صفةِ رَوْضَةٍ:

قَرْحَاءُ حَوَّاءُ أَشْرَاطِيَّةٌ وَكَفَتْ ... فيها الذِّهَابُ وحَفَّتْها البَرَاعِيمُ

« قَرْحَاءُ » يريدُ الأَنْوَارَ[3]. وقوله « حَوَّاءُ » يقولُ: [خَضْرَاءُ][4] تَضْرِب إلى السَّوَادِ لشدةِ رِيِّها وخُضْرَتِها، وكذلك المفسرون يقولون[5] فى قول الله جلَّ وعزَّ: ﴿ مُدْهَامَّتَانِ ﴾[6] — : تَضْرِبانِ إلى الدُّهْمَةِ، لشدةِ خُضْرَتِهِما ورِيِّهِما.

وقوله « أَشْرَاطِيَّةٌ » ليس مما قَصَدْنَا له، ولكنه ممّا يَجْرِى، فيُفَسَّرُ[7]، ومعناه: أنها مُطِرَتْ بنَوْءِ الشَّرَطَيْنِ[8].

وحدثنى الزِّيادىُّ قال: سمعتُ الأصمعىَّ، وسُئِلَ بحَضْرَتِى، أوسألتُه

(١) نقل نحوه فى الأمالى (ج ٢ ص ١٤٨) ولسان العرب (ج ١٦ ص ٨٢).

(٢) فى ع و س و د و هـ « بِلَيِّنٍ ».

(٣) قال المرصفى: «عبارة غيره: وروضة قرحاء: فى وسطها نورأبيض، من القرح — بالتحريك — وهو البياض فى وجه الفرس». وهذا أوضح وأحسن من عبارة المبرد.

(٤) الزيادة من س.

(٥) فى س و هـ « وكذلك قال المفسرون ».

(٦) سورة الرحمن (٦٤).

(٧) فى ع و س و د « فنفَسِّرُهُ ».

(٨) قال المرصفى: « الشرطين: مثنى شرط — بالتحريك — وهى من الحمل قرناه. وبعض العرب يعدّ معهما كوكباً صغيراً فى جانب الشمالىّ منهما، ويسميها الأشراط ».

عن قوله « أشراطية » ؟ فقال : بأستِهِ وأستِ عِرْسِهِ ! وذاكَ أنَّ الأصمعيَّ كانَ لا يُنْشِدُ ولا يَفسِّرُ ما كان فيه ذِكْرُ الأنْوَاء ، لقولِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم: « إذَا ذُكِرَتِ النُّجُومُ فأَمْسِكُوا » لأنَّ الخبرَ في هذا بعينه: « مُطِرْنا بِنَوْءِ كذا وكذا[1] » . وكَانَ لا يُفسِّرُ ولا يُنْشِدُ شعراً فيه هِجاءٌ ، وكان لا يفسِّرُ شعراً يوافقُ تفسيرُه شيئاً من القرآنِ ، هكذا يقولُ أصحابُه .

وسُئلَ عن قولِ الشَّمَّاخِ :

طَوَى ظِمْأَها في بَيْضَةِ الصَّيْفِ بعدَمَا جَرَى في عِنانِ الشِّعْرَيَيْنِ الأَمَاعِزُ[2]

---

(١) روى مسلم في صحيحه (ج ١ ص ٣٤) : « عَنْ زَيْدِ بن خَالِدٍ الجُهَني قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية ، في أثر سماء كانت من الليل ، فلما انصرف أقبل على الناس فقال : هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : قال : أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب ، وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب » . وروى معناه أيضاً من حديث أبي هريرة ، ورواهما غيره أيضاً ، وهما حديثان صحيحان . وأما حديث « إذا ذكرت النجوم فأمسكوا » فقد نقله السيوطي في الجامع الصغير (رقم ٦١٥) ونسبه للطبراني في المسند الكبير وابن عدي في الكامل عن ابن مسعود ، ولابن عدي عن ثوبان وعن عمر . وذكر المنذري في الترغيب (ج ٤ ص ٥٣) حديث ابن عباس الذي رواه أبو داود وابن ماجه وغيرهما مرفوعاً : « من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر » . ثم قال : « والمنهي عنه من علم النجوم هو ما يدعيه أهلها من معرفة الحوادث الآتية في مستقبل الزمان ، كمجيء المطر ووقوع الثلج وهبوب الريح وتغير الأسعار ونحو ذلك ، ويزعمون أنهم يدركون ذلك بسير الكواكب واقترانها وافتراقها وظهورها في بعض الأزمان ، وهذا علم استأثر الله به ، لا يعلمه أحد غيره . فأما ما يدرك من طريق المشاهدة من علم النجوم ، الذي يعرف به الزوال وجهة القبلة ، وكم مضى من الليل والنهار ، وكم بقي — : فانه غير داخل في النهي » .

(٢) في ج و س و د و هـ « بَيْضَةِ القَيْظِ » .

وقال المرصفي : « طوى ظمأها : قطع بها مقدار ظمئها في السير ، وقد سلف أن الظمء ما بين الشربتين ، يريد : أنه سار بها فلم يوردها الماء . وبيضة الصيف شدة حره . والرواية : بيضة القيظ . وما أبعد خياله في قوله : جرى في عنان الشعريين الأماعز ! جعل

فأَبَى أن يفسرَ « فى عِنانِ الشِّعْرَيَيْنِ » .

وأما قولُه[1] : «الذِّهابُ» فهى الأَمْطارُ اللَّينةُ الدائمة ، ويقالُ إنها أَنجَعُ المطرِ فى النَّبْتِ ، وكذلك «العِهادُ[2]» وأَنشدَ الأصمعىُّ :

أَميرٌ عَمَّ بالنَّعْماء حتى ... كَأَنَّ الأرضَ جَلَّلها العِهادُ[3]

و « البَرَاعِيمُ » واحدتُها[4] « بُرْعُومَةٌ » وهى أَكِمَّةُ الرَّوْض قبلَ أن تَتَفَتَّقَ ، يقال لواحدها « كِمٌّ » و « كِمامٌ » ، فمن قال « كِمَامٌ » فجمعُه « أَكِمَّةٌ » مثلُ « صِيامٍ وأَصِمَّةٍ » و « زِمامٍ وأَزِمَّةٍ » ومن قال : « كِمٌّ » فالجماع « أَكْمامٌ » ، قال الله عزّ وجلّ : ﴿وَالنَّخْلُ ذَاتُ الأَكْمَامِ[5]﴾ .

ومن ذلك قولُ الآخَرِ ، أَحسِبُه تَوْبَةَ بن الحُمَيِّرِ [قال أبو الحسن : يقالُ إنه لمجنونِ بنى عامرٍ ، وهو الصوابُ[6]] :

كَأَنَّ القلبَ ليلةَ قِيلَ يُغْدَى ... بِلَيْلَى العامرِيَّةِ أو يُراحُ

للشعريين ، العَبُورِ والغُمَيْصَاء وهما كوكبان يطلعان فى القيظ — : عناناً ، وهو سير اللجام، طرفاه محيطان برأس الأماعز ، وهى الأمكنة الذليطة ، تجرى فيه فتبلغ جهدها من شدة الحرّ ، وذلك من قولهم : جرى الفرس فى عنانه ، إذا بلغ الجهد فى عدوه » .

(١) ف ج و س و د و هـ « وقوله » .

(٢) ف ج و س و د و هـ « عمَّ بِالمَعْرُوفِ » .

(٣) و «الذهاب» بكسر الذال المعجمة ، جمع « ذِهْبَةٍ » بكسرها أيضاً مع سكون الهاء . و «العهاد» بكسر العين المهملة ، جمع « عَهْدٍ » بفتح العين مع سكون الهاء ، و « عَهْدَةٍ » و « عِهْدَةٍ » بفتح العين وبكسرها مع سكون الهاء أيضاً .

(٤) ف ج و س و هـ «واحدها» وفى د « جَمْعُ بُرْعُومَةٍ » .

(٥) سورة الرحمن (١١) .

(٦) الزيادة من س .

قَطاةٌ عَزَّها شَرَكٌ فباتَتْ ... تُعالِجه وقــــد عَلِقَ الجَناحُ[1]

[لها فَرْخانِ قَد غَلِقا بِوَكْرٍ ... فَعُشُّهما تُصَـــفِّقُهُ الرِّياحُ[2]

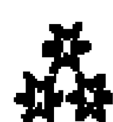
فلا بالليــــلِ نالتْ ما تُرَجِّي ... ولا بالصبحِ كان لها بَراحُ][3]

ويُرْوَى «تجاذِبُهُ» ، فهذا غايةُ الاضطرابِ ، وقد قال[4] الشعراء قبلَه وبعده فلم يبلغوا هذا المقدارَ .

وقال الشَّيْبانِيُّ للحَجَّاجِ :

هَلاَّ بَرَزْتَ إلى غَزَالَةَ فى الوَغَى ... بل كانَ قَلْبُكَ فى جَناحَيْ طائرِ[5]

فهذا يجوزُ أن يكونَ فى الخفقانِ وفى الذَّهابِ البَتَّةَ .



ومن التشبيه المحمودِ قولُ الشاعرِ :

طَليقُ اللهِ لم يَمْنُنْ عليه ... أبو داؤودَ وابنُ أبى كَثيرِ[6]

(١) « عزها » أى غلبها ، و « الشرك » هو حبالة الصائد .

(٢) « غلقا » بكسر اللام ، من « الغلق » بفتحها ، وهو الحبس .

(٣) الزيادة من حاشية ج .

(٤) فى س و هـ « قالت » .

(٥) قال المرصفى : « الشيبانى هو عِمْرانُ بن حِطَّانَ ، وسيأتى نسبه وحديثه فى باب الخوارج. وقد ذكر الأصبهانى فى أغانيه بسنده : أن غزالة الحرورية لما دخلت على الحجاج هى وشبيب بالكوفة تحصن منها ، وأغلق عليه قصره ، فكتب إليه عمران بن حطان ، وقد كان الحجاج لج فى طلبه :

أَسَدٌ عليَّ وفى الحروبِ نَعامَةٌ ... رَبْداء تجفلُ من صَفيرِ الصافرِ

هلاَّ برزْتَ إلى غَزَالَةَ فى الوَغَى ... بل كان قَلْبُكَ فى جَناحَيْ طائرِ

صَدَعَتْ غزالةُ قلبَه بفوارسٍ ... تركَتْ مُدابِرَهُ كأمْسِ الدَّابِرِ » .

(٦) « داؤود » هكذا رسم فى طبعة أوربة عن الأصول المخطوطة ، بالهمز . وقد سبق الكلام على ذلك .

ولا الحَجّاجُ عَيْنَىْ بِنْتِ ماءٍ　　تُقَلِّبُ طَرْفَها حَذَرَ الصُّقُورِ[(١)]

وهذا غايةٌ في صفة الجبانِ .

ونَصَبَ « عَيْنَىْ بنتِ ماءٍ » على الذمِّ ، وتأويلُه : أنه إذا قال « جاءنى عبدُ الله الفاسقَ الخبيثَ » فليس يقولُ[(٢)] إلاّ وقد عرفهُ بالخُبْثِ والفِسْقِ[(٣)] . فنَصَبَه « بأعْنِى » وما أشبَهه من الأفعالِ ، نحو « أَذْكُرُ[(٤)] » وهذا أبلغُ في الذمّ ، أن يُقيمَ الصفةَ مقامَ الاسم ، وكذلك المدحُ ، وقولُ الله تبارك وتعالى : ﴿ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ ﴾ بعدَ قوله : ﴿ لَٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ[(٥)] ﴾ ـ : إنما هو على هذا[(٦)] ، ومَنْ زعم أنه أرادَ « ومِنَ المقيمين الصَّلاةَ »

---

(١) قوله « عيني بنت ماء » قال المرصفي : « هي ما يصاد من طير الماء ، إذا نظرت إلى صقر قلبت عينها حذراً منه . فشبه عيني الحجاج عند الحذر والفرق بهما » .

(٢) في ج و س و د و هـ « يقوله » .

(٣) في ج و س و د و هـ « بالفسق والخبث » .

(٤) في ج « اذْكُرْ » فعل أمر

(٥) سورة النساء (١٦٢) .

(٦) قال العلامة جار الله الزمخشري ، المتوفى سنة ٥٢٨ في الكشاف (ج ١ ص ٣١٣) : « والمقيمين : نصب على المدح ، لبيان فضل الصلاة ، وهو باب واسع ، وقد كسره سيبويه على أمثلة وشواهد . ولا يلتفت إلى ما زعموا من وقوعه لحنا في خط المصحف ، وربما التفت إليه من لم ينظر في الكتاب ، ولم يعرف مذاهب العرب ، وما لهم في النصب على الاختصاص من الافتنان ، وغبي عليه أن السابقين الأولين الذين مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل ـ : كانوا أبعد همة في الغيرة على الاسلام وذبّ المطاعن عنه من أن يتركوا في كتاب الله ثلمة ، ليسدها من بعدهم ، وخرقا يرفوه من يلحق بهم » .

وقال معاصره العلامة أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي المتوفى سنة ٥٤٨ وهو من أكبر مفسري الشيعة الإمامية ، في تفسيره مجمع البيان (ج ١ ص ٢٨٤ ـ ٢٨٥ من طبعة العجم) بعد أن ذكر نحو توجيه الزمخشري على قول البصريين ، وذكر أقوالا أخر ، قال : « وأما ماروى عن عروة عن عائشة قال : سألتها عن قوله والمقيمين الصلاة ، وعن قوله والصابئون ، وعن قوله إن هذان ؟ فقالت يابن أختي ، هذا عمل الكتاب ، أخطؤا في الكتاب ، وما روى عن بعضهم : إن في كتاب الله أشياء ستصلحها العرب بألسنتها ، قالوا :

فخطىءٌ فى قول البصريين ، لأنهم لا يَعْطِفون الظاهرَ على المضمرِ المخفوضِ ، ومَن أجازه من غيرهم فعلى قُبْحٍ ، كالضرورةِ ، والقرآنُ إنما يُحْمَلُ على أشرفِ المذاهبِ ، وقرأ حمزةُ : ﴿ الَّذِى تَسَّاءلُونَ بِهِ والأَرْحَامِ[1] ﴾ . [بالجرّ[2]] وهذا مما لايجوزُ عندنا ، إلاّ أن يُضْطَرَّ إليه شاعرٌ ، كما قال :

فاليومَ قَرَّبْتَ تهجُونا وتَشْتِمُنَا فاذْهَبْ فما بِكَ والأيّامِ مِن عَجَبِ

وقرأ عيسى بن عُمر : ﴿ وامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الحَطَبِ[3] ﴾ أرادَ : وامرأتُهُ فى جيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ ، فنصبَ « حَمَّالَةَ » على [الشَّتْم و][4] الذمّ . ومن قال إنما[5] « امرأتُهُ » مرتفعةٌ بقوله ﴿ سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾ - : فهو يجوزُ ، وليس بالوجه أن يُعْطَفَ المُظْهَرُ المرفوعُ على المضمرِ حتى يُؤَكَّدَ ، نحو [قوله عزّ ذِكْرُهُ][6] : ﴿ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ ﴾[7] و : ﴿ اسْكُنْ

وفى مصحف ابن مسعود والمقيمون الصلاة - : فما لايلتفت إليه ، لأنه لو كان كذلك لم يكن لتعلمه الصحابة الناس على الغلط ، وهم القدوة ، والذين أخذوه عن النبى صلى الله عليه وسلم » .

وقد أشبع القول فى هذا المعنى إمام المفسرين أبو جعفر الطبرى فى تفسيره (ج ٦ ص ١٨ - ٢٠) فارجع إليه .

(١) سورة النساء (١) .

(٢) الزيادة من ه . وانظر الكشاف (ج ١ ص ٢٤١) .

(٣) سورة المسد (٤) .

(٤) وقراءة النصب هى أيضاً قراءة عاصم من السبعة ، وقرأ باقى السبعة بالرفع على الخبر .

(٥) فى جميع الأصول « إنما » كما فى طبعة أوربة ، ولكن فى طبعات مصر « إن » والواجب المحافظة على الأصول الصحيحة .

(٦) الزيادة من ه .

(٧) سورة المائدة (٢٤) .

أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّـــــــةَ ﴾[١] فأمّا قولُه : ﴿ لَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا ﴾[٢] ـ : فانه لمَّا طالَ الكلامُ وزادتْ[٣] فيه « لا » احتَملَ الحذفَ . وهـذا على قبحه جائزٌ [فى الكلام][٤] ، أعني : ذهبتُ وزيدٌ وأَذْهَبُ وعمروٌ ، قال جَرِيرٌ :

وَرَجَا الأُخَيْطِلُ من سَفاهَةِ رَأْيِهِ ... ما لم يَكُنْ وأبٌ له لِينَالاَ

وقال ابنُ أبى ربيعةَ :

قلتُ إذْ أَقْبَلَتْ وزُهْرٌ تَهادَى ... كَنِعاجِ المَلاَ تَعَسَّفْنَ رَمْلاَ[٥]

وممـا يُنصبُ على الذمّ قولُ النابغةِ [الذُّبْيانِيْ][٦] :

لَعَمْرِى وما عَمْرِى علىّ بِهَيِّنٍ ... لقد نَطَقَتْ بُطْلاً علىّ الأَقارِعُ[٧]

أَقارِعُ عَوْفٍ لا أُحاوِلُ غيرَها ... وُجُوهَ قُرودٍ تَبْتَغِى مَنْ تُخادِعُ[٨]

وقال عُرْوَةُ بن الوَرْدِ العَبْسِيُّ :

سَقَوْنِى الخَمْرَ ثم تَكَنَّفُونِى ... عُدَاةَ اللهِ مِن كَذِبٍ وزُورِ

---

(١) سورة البقرة (٣٥) وسورة الأعراف (١٩) .

(٢) سورة الأنعام (١٤٨) .

(٣) فى هـ « وزاد » وفى ج و س و د « وزيدت » .

(٤) الزيادة من ج و س و د و هـ .

(٥) « كنعاج المـلا » قال المرصفى : « يريد بقر الوحش . والملا ، مقصورة الفلاة ، يكتب بالألف والياء ، والبصريون يكتبونه بالألف » .

(٦) الزيادة من ج و س و د و هـ .

(٧) « البطل » مصدر كالبطلان ، وهو ضد الحق . و « الأقارع » هم بنو قريع ، مصغر أقرع تصغير ترخيم ، ابن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . أفاده المرصفى .

(٨) فى د « وجوه كلاب » . وفى ج « تجادع » بالجيم ، أى تشاتم . وقوله « لا أحاول غيرها » أى : لا أريد هجاء غيرها .

والعربُ تُنْشِدُ قولَ حاتمٍ الطائىِّ رفعاً ونصباً :

إنْ كنتِ كارهةً معيشتَنا هاتَا فحُلِّى فى بَنِى بَدْرِ[1]

الضاربِينَ لدَى أعنّتِهِمْ والطاعنِينَ وخيلُهُمْ تجْرِى[2]

وإنما خفَضُوهما على النعتِ، وربما رفعوهما على القطعِ والابتداء .

وكذلك قولُ الخِرْنِقِ بنتِ هِفَّانَ القَيْسيَّةِ من بنى قَيْسِ بن ثعلبةَ :

لا يَبْعَدَنْ قومِى الذين هُمُ سُمُّ العُداةِ وآفةُ الجُزْرِ

النَّازِلِينَ بكل مُعْتَرَكٍ والطَّيِّبِينَ معاقِدَ الأُزْرِ[3]

وكلُّ ما كان[4] مِن هذا فعلَى هذا أكثرُ إنشادِهِ[5] .

وإن لم يُرِدْ مَدْحاً ولا ذَمًّا قد استقرَّ له ـ : فوَجْهُهُ النعتُ . وقرأ بعضُ القُرَّاء : ﴿ فتبارَكَ اللهُ أحْسَنَ الخالِقِينَ[6] ﴾ .

وأكثرُ ما تُنشِد العربُ بيتَ ذى الرُّمَّةِ نصباً ، لأنه لمّا ذكر مايحنُّ إليه ويَصْبو إلى قُربِه أشادَ بذِكرِ ما قد كان يَبْغِى ، فقال :

دِيارَ مَيَّةَ إذْ مَىٌّ تُساعِفُنا ولا يَرَى مِثْلَها عُجْمٌ ولا عَرَبُ

---

(١) « هاتا » قال المرصفى : « تا : اسم إشارة ، يريد ، ياهذه » .

(٢) رسمت كلتا «الضاربين» و «الطاعنين» فى البيت فى طبعة أوروبة نقلا عن الأصول ، بوضع رسم الكلمتين بالرفع فوق رسمهما بالنصب ، ليقرآ بالوجهين .

(٣) ورسمت كلتا «النازلين» و «الطيبين» كالبيت السابق أيضا .

(٤) فى ج « جاء » بدل « كان » . وكلتا « كل ما» رسمتا فى طبعة أوربة « كلما » وهو رسم قديم معروف ، نجده كثيراً فى الأصول المخطوطة الصحيحة .

(٥) فى ج و س و د وهـ «فعلى هذا الوجه» .

(٦) سورة المؤمنون (١٤) . وهذه القراءة التى حكى أبو العباس بنصب « أحسن » لم أجدها فى شىء من القراءات ، ولا فى القراءات الشاذة ، والله أعلم .

وفى هذه القصيدةِ من التّشبيهِ المُصيبِ قولُه :

بَيْضَاءُ فى دَعَجٍ صَفْرَاءُ فى نَعَجٍ ... كأنها فِضَّةٌ قد مَسَّها ذَهَبُ[١]

وفيها من التشبيهِ المصيبِ [قولُه[٢]] :

تَشْكُو الخِشَاشَ ومَجْرَى النِّسْعَتَيْنِ كما ... أَنَّ المريضُ إلى عُوّادِهِ الوَصِبُ[٣]

[و][٤] « الخِشَاشُ » ما كان فى عَظْمِ الأنفِ ، وما كان فى المارِنِ فهو « بُرَةٌ » يقالُ [منها : قد][٥] « أَبْرَيْتُ » الناقةَ ، فهى « مُبْرَاةٌ » .

قال الشّمّاخُ ، وهذا من التشبيهِ العجيبِ :

فقَرَّبْتُ مُبْرَاةً تَخالُ ضُلُوعَها ... من الماسِخِيَّاتِ القِسِىَّ المُوَتَّرَا[٦]

و « مَاسِخَةُ » من نَصْرٍ من الأزْدِ[٧] ، وإليهم نُسِبتَ[٨] القِسِىُّ الماسِخِيَّةُ .

وأحسنُ ما قيلَ فى صفة الضلوع واشتباكِها قولُ الراعى :

وكأنما انْتَطَحَتْ على أَثْبَاجِها ... قُدُرٌ بِشَابَةَ قد تَمَمْنَ وُعُولاَ[٩]

---

(١) « الدعج » سواد العين . و « النعج » البياض الخالص . وإنما وصفها بالصفرة لتضمخها بالطيب .

(٢) الزيادة من س .

(٣) « النِّسْعَةُ وَالنِسْعُ » بكسر النون وسكون السين فيهما : سير مضفور يجعل زماماً للبعير وغيره . وهو يصف ناقته . وقوله « أنّ المريض » من الأنين .

(٤) الزيادة من ج و س و هـ .

(٥) الزيادة من هـ .

(٦) « المُوَتَّرُ » المشدود الوتر . وفى ج و د « المُؤَطَّرَا » وأصل « الاطْرِ » عطف الشيء تقبض على أحد طرفيه فتعوّجه ، ومنه « أَطَرْتُ القوسَ أَطْرًا : إذا حَنَيْتَها » .

(٧) فى ج و د « نصر بن الأزد » .

(٨) فى ج و س و د و هـ « تُنْسَبُ » .

(٩) قال المرصفى : «أثباجها : جمع ثبج — بالتحريك — وهو معظم الظهر، وفيه محانى الضلوع. =

« الفَادِرُ » المُسِنُّ من الوُعولِ .

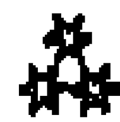
وذو الرُّمَّةِ أخذ ذلك المعنى من قول المُثَقِّب العبدى[1] :

إذا ما قُمْتُ أَرْحَلُها بِلَيْلٍ ... تَأَوَّهُ آهَةَ الرجلِ الحزينِ

ومن التشبيه المستحسَنِ قولُ عَلْقَمَةَ بن عَبَدَةَ :

كأنَّ إبريقَهم ظَبْيٌ على شَرَفٍ ... مُفَدَّمٌ بِسَبَا الكَتَّانِ مَلْثُومُ[2]

فهذا حسنٌ جدًّا .



وقال أبو الهِنْدِيِّ ، وهو عبدُ المؤمنِ بن عبد القُدُّوسِ[3] بن شَبَثِ بن رِبْعِيٍّ الرِّيَاحِيُّ ، مِن بنى رِيَاحِ بن يَرْبُوعٍ ، وكان شَبَثٌ سَيِّدَ بنى يَرْبُوعٍ بالكوفةِ — :

وشابة : جبل بنجد أو بالحجاز . ويعمن — بالياء — : واجهن . شبه هيئة انحناء الضلوع ومواجهة بعضها إلى بعض فى اقتراب بهيئة انحناء قرون وعول واجهت فى اقتراب قرون وعول أخر » .

(١) فى ج و س و د و ه « أخذ هذا المعنى من المثقب العبدى . قال المثقب » .

(٢) « الشرف » ما ارتفع من الأرض وأشرف على ما حوله ، رملا كان أو جبلا . و « مفدَّم » وصف للابريق ، يعنى : مغطى بالفدام ، بكسر الفاء وتخفيف الدال . وقوله « بسبا الكتان » الخ قال المرصفى : « يريد : بسبائب الكتان، لحذف جزء الكلمة ... والسبائب : جمع سبيبة ، وهى شقة بيضاء كالسب ، بكسر السين . وملثوم : من اللثام ، وهو ما يوضع على الفم ، استعاره للابريق » .

(٣) هكذا سماه هنا « عبد المؤمن بن عبد القدوس » ، وكذلك سماه ابن قتيبة فى طبقات الشعراء (ص ٤٢٩ طبعة أوربة) . وسماه صاحب الأغانى (ج ٢١ ص ١٧٧) « غالب بن عبد القدوس » .

قال صاحب الأغانى فى ترجمته : « كان شاعراً مطبوعاً ، وقد أدرك الدولتين : دولة بنى أمية، وأول دولة ولد العباس ، وكان جزل الشعر : حسن الألفاظ ، لطيف المعانى ، وإنما=

مُقَدَّمةً قَنًّا كأنَّ رِقابَها رِقابُ بَناتِ الماءِ أفْزَعها الرَّعْدُ(١)

وكان أبو الهنديّ قد غَلَبَ عليه الشرابُ ، على كرم مَنْصِبِهِ ، وشرفِ أُسْرَتِهِ ، حتى كاد يُبْطِلُه .

وكان عَجِيبَ الجوابِ : فجلس إليه رجلٌ مَرَّةً يُعْرَفُ بِبِرْزِينِ المَناقِيرِ ، وكان أبوه صُلِبَ في خِرَابَةٍ ، و « الخِرابةُ » عندهم سَرَقُ الإبل خاصَّةً ، فأقبل يُعَرِّضُ لأبي الهِنْدِيّ بالشرابِ ، فلما أكْثَرَ عليه قال أبو الهنديّ : [إنَّ](٢) أحدَهم يَرَى القَذَاةَ في عينِ أخيه ، ولا يَرَى الجِذْعَ [المعترِض(٢)] في أُسْتِ أبيه ! !

وفي الخِرابَةِ يقولُ الراجزُ :

والخارِبُ اللِّصُّ يُحِبُّ الخارِبَا وتلك قُرْبَى مثلُ أن تُناسِبَا

* أن تُشْبِهَ الضَّرائِبُ الضَّرائِبَا(٣) *

وقال الآخرُ :

إيتِ الطريقَ واجْتَنِبْ أرْمَامَا إنَّ بِها أكْتَلَ أو رِزَامَا(٤)

= أخله وأمات ذكره بعده من بلاد العرب . ومقامه بسجستان وبخراسان ، وشغفه بالشراب ، ومعاقرته إياه ، وفسقه ، وما كان يتهم به من فساد الدين ، واستفرغ شعره بصفة الخمر ، وهو أول من وصفها من شعراء الاسلام ، فجعل وصفها وكده وقصده » .

(١) هكذا روى أبو العباس البيت هنا مرفوع القافية ، وكذلك صاحب اللسان في مادة (ق د م) . ولكن القافية مجرورة ، والرواية الصحيحة رواية ابن قتيبة والأغاني « تَفَزَّعُ لِلرَّعْدِ » . فقد روى ابن قتيبة مع البيت آخر قبله ، وكذلك الأغاني وزاد ثلاثة بعده .

(٢) الزيادتان من ه .

(٣) « الضرائب » جمع « ضريبة » وهي السجية والطبيعة .

(٤) « أرمام » جبل في ديار باهلة ، أو واد في ديار بني أسد . و « أكتل » و « رزام » : لصان من لصوص البادية .

* خُوَيْرِبَيْنِ يَنْقُفَانِ الهَامَا(١) *

[زادأبو الحسن : لم يَتْرُكا لِمُسْلِمٍ طَعَامَا] نَصَبَ « خُوَيْرِبَيْنِ » على «أَعْنِي » لا يكون غيرُ ذلك ، لأنه إنما أَثْبَتَ أحدَهما بقوله « أو » .

ومَرَّ نصرُ بن سَيَّارٍ الليثيُّ بأبي الهنديِّ وهو يَميلُ سُكْرًا ، فقال له : أفسَدْتَ شرفَك ! فقال أبو الهنديِّ : لو لم أُفْسِدْ شرفي لم تكنْ أنتَ والِيَ خراسانَ ! !

وحَجَّ به نصرُ بن سَيَّارٍ مرةً ، فلما ورد الحَرَمَ قال له نصرٌ : إنك بفناء بيتِ الله وبمَحَلِّ وُفُودِهِ(٢) ، فَدَعْ لي الشرابَ حتى يَنْفِرَ الناسُ ، واحْتَكِمْ عليَّ ، فَفَعَلَ ، فلما كان يومُ النَّفْرِ أخَذَ الشرابَ فوضَعَه بين يديه ، وأقبلَ يشرب ويبكي ! ويقول :

رَضِيعُ مُدَامٍ فارَقَ الرَّاحَ رُوحُهُ فَظَلَّ عليها مُسْتَهِلَّ المَدَامِعِ
أَدِيرَا عليَّ الكأسَ إنِّي فَقَدْتُها كما فَقَدَ المَفْطُومُ دَرَّ المَرَاضِعِ

وكان يَشْرَبُ مع قيس بن أبي الوَليد الكِنانيِّ ، وكان أبو الوليد ناسكًا ، فاسْتَعْدَى عليه وعلى ابنِه ، فهربَا منه ، وقال أبو الهنديِّ :

قُلْ لِلسَّرِيِّ أبي قيسٍ أتُوعِدُنا ودارُنا أصبحتْ من دارِكم صَدَدَا(٣)

---

(١) «ينقفان» من « النقف » وهو كسر الهامة حتى تخرج دماغه .

(٢) في ج و س و د و هـ « وبمَحَلِّ حَرَمِهِ » .

(٣) قال المرصفي : « يقال : داري صَدَدَ داره ، بالنصب على الظرف ، وعلى صدد داره ، وبصدد داره : إذا كانت قبالتها . وعن ابن السكيت : الصَّدَدُ والصَّقَبُ : القرب » .

أبا الوليد أمَا واللهِ لو عَمِلَتْ　　فيكَ الشمُولُ لما حَرَّمْتَها أبَدَا
ولا نَسِيتَ حُمَيَّاهَا ولَذَّتَهَا　　ولا عَدَلْتَ بها مالاً ولا وَلَدَا

*

ثم نرجعُ إلى التشبيه . وربَّما عَرَضَ الشئُ والمقصودُ غيره ، فيُذْكَرُ للفائدةِ تَقَعُ فيه ، ثم يُعادُ إلى أصلِ البابِ .

قال أبو العباس : وقال عُرْوةُ بن حِزَامٍ العُذْرِيُّ :

كأنَّ قَطاةً عُلِّقَتْ بجَناحِها　　على كَبِدِى من شِدَّةِ الخَفَقَانِ

ويقال : أن المرأةَ إذا كانت مُبْغِضَةً لزوجها فآيَةُ ذلك أن تكونَ عند قُرْبِهِ منها مُرْتَدَّةَ النظرِ عنه ، كأنما تنظر إلى إنسانٍ مِن ورائِهِ[1] ، وإذا كانت مُحِبَّةً له لا تُقْلِعُ عن النظر إليه ، وإذا[2] نَهَضَ نظرتْ من ورائِه إلى شخصه حتى يَزُولَ عنها . فقال رجلٌ : أردتُ أن أعلمَ كيفَ حالى عند امرأتى ، فالتفتُّ وقد نَهَضْتُ من بين يديها فإذا هى تُكَلِّحُ[3] فى قفاىَ .

وقال الفَرَزْدَقُ فى هذا المعنى ، والنَّوَارُ تخاصمُهُ عند عبد الله بن الزُّبَيْرِ [بن العوَّامِ][4] :

فَدُونَكَها يابنَ الزُّبَيْرِ فإنها　　مُوَلَّعةٌ يُوهِى الحجارةَ قِيلُهَا

---

(١) فى د و س و هـ « إلى إنسان وراءه » .
(٢) فى ج « فاذا » .
(٣) فى ج « تَكَلَّحُ » . و « التكليح » و « الكلوح » : التكشر فى عبوس .
(٤) الزيادة من س . و « النوار » بفتح النون وتخفيف الواو ، هى بنت أعين بن ضبيعة ، امرأة الفرزدق ، خاصمته إلى ابن الزبير ، وقصتهما معروفة .

إذا جلستْ عند الإمامِ كأنها ... تَرَى رُفْقَةً مِن خَلْفِها تَسْتَحِيلُها(١)

قولُه « مُوَلَّعَةٌ » يقولُ : [كأنها(٢)] مُوَلَّعَةٌ بالنظر مرةً هٰهنا ومرةً هٰهنا . وقولُه « تَرَى رُفْقَةً » يقال « رِفْقَةٌ » و« رُفْقَةٌ » . ومعنى « تَسْتَحِيلُها » تَتَبَيَّنُ حالاتِها ، قال حُمَيْدُ بن ثَوْرٍ [الهِلالِيُّ](٣) :

مُرَوَّعَةٌ تَسْتَحِيلُ الشُّخُوصَ ... من الخوفِ تَسْمَعُ مالا تَرَى(٤)

[قولُه « مُرَوَّعَةٌ » يقولُ : كلُّ شيء يُدْنِيني من الظَّفَرِ بها يُرَوِّعُها ويُنَفِّرُها](٥) .

ومن عجيبِ التشبيهِ قولُ جريرٍ فيما يُكْنَى عن ذِكرِهِ :

تَرَى الصِّبْيانَ عاكِفةً عليها ... كمَنْفَقَةِ الفَرَزْدَقِ حينَ شابا(٦)

(١) فى ج و د و هـ « كأنما » بدل « كأنها » .

(٢) الزيادة من ج و د و هـ .

(٣) الزيادة من س .

(٤) فى ج و س و د و هـ « إذا خَرَجَتْ تَسْتَحِيلُ الشُّخُوصَ » .

(٥) لا أدرى من أين أثبتت هـذه الزيادة فى طبعات مصر ! ؟ فإنها لم تذكر فى طبعة أوربة ، ولا فى جزء التصحيحات الملحق به .

(٦) الشطر الأول فى ج « تَرَى بَرَصاً بِمَجْمَعِ أُسكَتَيْها » وهو يوافق رواية أبى عبيدة معمر بن المثنى فى النقائض (ج ١ ص ٤٤٠ طبعة أوربة) إلا أن فيه « إِسكَتَيْها » بكسر الهمزة . وقال أبو عبيدة : « ويروى : لها بَرَصٌ بأسفلِ إسكَتَيْها . فى نسخة ابن سعدانَ: بجانبِ إسكَتَيْها» . ورواه صاحب اللسان عن ابن سيده (ج ١٢ ص ٢٧٠) « تَرَى بَرَصاً يَلُوحُ بإسكَتَيْها » . ورواه ابن سيده فى المخصص (ج ٢ ص ٣٨) : « بها وَضَحٌ بأسفلِ إسكتيها » . والرواية الثقة عندنا رواية أبى عبيدة .

وقوله «بمجمع إسكتيها» يعنى : بأسفلهما . و«الإسكتانِ» بكسرالهمزة: جانبا الفرج=

ويُقالُ : أن الفرزدقَ حينَ أُنْشِدَ النصفَ الأولَ ضرب بيده إلى عَنْفَقَتِهِ ، تَوَقُّعاً لِعَجُزِ البيتِ .

ومن التشبيه الحَسَنِ قولُ جريرٍ فى صفةِ الخيلِ[1] :

يَشْتَفْنَ لِلنَّظَرِ البَعِيدِ كأنما إِرْنَانُهَا بِبَوَائِنِ الأَشْطَانِ[2]

قولُه « يَشْتَفْنَ » و « يَتَشَوَّفْنَ » فى معنى واحد[3] . وقوله « كأنما إِرْنَانُها بِبَوَائِنِ الأَشْطَانِ » أراد شدة صَهِيلها : يقول : كأنما يَصْهَلْنَ[4] :

= مما يلى شفريه . ويجوز فتح الهمزة أيضا ، كما فى اللسان والقاموس وغيرهما ، وأكثر الروايات بالكسر . وأخطأ الشيخ المرصفى فزعم أنه « بضم الهمزة وكسرها » . وليس لما قال سند ، وإن نسبه هو لابن سيده ، رحمه الله .

و« العَنْفَقَة » مابين الذقن وطرف الشفة السفلى من الشعر .

وهــذا البيت من قصيدة جرير المشهورة ، التى يسميها « الدَّمَّاغة » و « الدَّهْقانَة » و « المنصورة » . وأولها :

أَقِلِّى اللَّوْمَ عاذِلَ والعِتابَا وقُولِى إنْ أَصَبْتُ لقد أَصَابَا

(١) هــذا خطأ من المبرد ، فالبيت للفرزدق ، من قصيدة يذكر فيها تفضيل الأخطل إياه على الشعراء ، ويمدح بنى تغلب ويهجو جريرا ، وهى فى النقائض (ج ٢ ص ٨٧٩ — ٨٨٨) وهذا البيت هو الخامس فيها ، وأجابه جرير بقصيدة من رويها .

(٢) رواية النقائض : « يَصْهَلْنَ بالنظر البعيد » .

(٣) فى اللسان : « شافَ الشىءَ شَوْفاً : جَلاَهُ » . وفيه أيضاً : « اشتافَ فلانٌ يشتافُ اشتيافاً : إذا تطاول ونظَرَ . وتَشَوَّفتُ إلى الشىء أى تَطَلَّعْتُ » . ثم نقل عن الليث قال : « تشوَّفَتِ الأوعالُ : إذا ارتفَعت على معاقل الجبال فأشرفت . وأنشد ابن الأعرابى — فذكر البيت كرواية المبرد ثم قال : يصف خيلا نشيطةً إذا رأت شخصاً بعيداً طمَحَتْ إليه ثم صَهَلت ، فكأنّ صهيلها فى آبارٍ بعيدة الماء ، لسعةِ أجوافها » .

(٤) « صهل » من بابى « نفع » و « ضرب » .

فى آبارٍ[1] واسعةٍ تَبِينُ أشطانُها عن نواحيها[2]

ونظير ذلك قولُ النابغة الجَعْدِيِّ :

ويَصْهَلُ فى مثلِ جَوْفِ الطَّوِىِّ صَهيلاً يُبَيِّنُ للمُعْرِبِ

« المُعْرِبُ » العالمُ بالخيلِ العِرابِ .

ومن حَسَنِ التشبيه قولُ عَنْتَرَةَ [العَبْسِىِّ][3] :

غادَرْنَ نَضْلَةَ فى مَعْرَكٍ يَجُرُّ الأَسِنَّةَ كالمُحْتَطِبْ[4]

يقول : طُعِنَ وغُودِرَتِ الرِّماحُ فيه ، فظَلَّ يَجُرُّها ، كأنه حاملُ حطبٍ .

ومن التشبيه المتجاوِزِ المُفْرِطِ قولُ الخَنْسَاء :

وإنَّ صَخْرًا لَتَأْتَمُّ الهُدَاةُ به كأنه عَلَمٌ فى رأسِه نارُ

فجَعَلَتِ المهتدِىَ يأتَمُّ به ، وجعلته كنارٍ فى رأسِ عَلَمٍ ، و « العَلَمُ » الجبلُ ، قال جريرٌ :

---

(١) فى ج و د « أبْآرٍ » .

(٢) عبارة أبى عبيد فى شرح البيت فى النقائض : « قوله إرنانها ببوائن ، يعنى : صوتها . والرنة : الصوت من البكاء وغيره . قال : والأشطان : الحبل ، واحدها شَطَنٌ . قال الأصمعى: وقوله ببوائن الأشطان: بأبآرٍ بوائن . قال : والبئر البَيُون : البائنة التى يُصيب حبلُها نواحىَ البئر ، فهو يميد فيها ، فإذا استُقِىَ منها قام رجلان يُنَحِّيَانِ الدلو بالشَّطَنِ ، وهو الحبل ـ : عن حائط البئر ، لئلا ينقطع الحبل . يقول : كأنها تصهل من أبآر بوائن لسعة أجوافها » .

(٣) الزيادة من هـ .

(٤) الضمير فى « غادرن » يعود إلى الخيل ، ولم يجر لها ذكر . و « نضلة » هو ابن الأشتر بن جحوان ، قتله ورد بن حابس العبسى . قاله المرصفى .

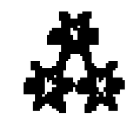
* إذا قَطَعْنَ عَلَمًا بَدَا عَلَمْ *

وقال الله جلّ ثناؤه : ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِى الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾(١) .

ومن هذا الضربِ من التشبيه قولُ العجّاجِ :

* تَقَضِّىَ البَازِى إذَا البَازِى كَسَرْ *

و « التَّقَضِّى » الانْقِضَاضُ ، وإنما أراد سرعتها ، والعربُ تُبْدِلُ كثيراً الياء مِن أحدِ التَّضْعِيفَيْنِ ، فيقولون « تَظَنَّيْتُ » والأصلُ « تَظَنَّنْتُ » لأنه « تفَعَّلْتُ » من « الظَّنِّ » ، وكذلك « تَقَضَّيْتُ » من « الانقضاض » أى « تَقَضَّضْتُ » ، وكذلك « تَسَرَّيْتُ »(٢) . ومثلُ هذا كثيرٌ .



ومن تشبيه المحدَثِين المستَطْرَفِ قولُ بَشّارِ [بن بُرْدٍ](٣) :

كأنَّ فُؤَادَهُ كُرَةٌ تَنَزَّى ... حِذارَ البَيْنِ إنْ نَفَعَ الحِذَارُ(٤)

[يُرَوِّعُهُ السِّرَارُ بكلِّ أَمْرٍ ... مَخَافَةَ أن يكونَ به السِّرَارُ](٥)

وفى هذه القصيدةِ :

جَفَتْ عينِي عن التَّغْمِيضِ حتى ... كأنَّ جُفُونَهَا عنها قِصَارُ

أقولُ ولَيْلَتِى تَزْدادُ طولاً : ... أما لِلَّيلِ بعدَهُمُ نَهَارُ ؟!

---

(١) سورة الرحمن (٢٤) .

(٢) قال المرصفى : « من قولهم تسريت الجارية ، والأصل تسررت . من السرور ، وهذا قول ابن السكيت ، وقال غيره : من السر ، وهو النكاح » .

(٣) الزيادة من س .

(٤) « تنزى » أصلها « تَتَنَزَّى » أى تتوثب . وانظر الأبيات فى اللسان (٢٠ : ١٩٢) .

(٥) « السرار » بكسر السين ، وبفتحها أيضا : آخر ليلة من الشهر ، وهى التى يستسر فيها القمر ، أى يختفى .

وقال الحسن بن هانئ[1] فى صفة الخمر :

فإذا ما لمستَها فهباءٌ ... تمنعُ اللَّمسَ ما تُبيحُ العُيُونا

دَرَسَ الدَّهرُ ما تَجسَّمَ منها ... وتبقَّى لُبابَها المكنُونا

فهْيَ بِكرٌ كأنها كلُّ شيءٍ ... يتمنَّى مُخيَّرٌ أن يكونا

فى كُؤوسٍ كأنهنَّ نُجُومٌ ... جارياتٌ بُرُوجُها أيدِينا

طالِعاتٌ مع السُّقاةِ علينا ... فإذا ما غَرَبْنَ يغرُبْنَ فِينا

فهذه قطعةٌ من التشبيهِ غايةٌ ، على سُخْفِ كلامِ المُحْدَثِينَ .

وقال الخنق[2] ، وهو إسحقُ بن خَلَفٍ ، فى صفةِ السيفِ :

ألْقَى بجانب خَصْرِهِ ... أمْضَى من الأَجَلِ المُتاحْ

فكأنما ذَرَّ الهبَا ... ءُ عليه أنفاسُ الرِّياحْ[3]

وقال مُسْلِمُ بنُ الوليدِ الأنصاريُّ فى مدحِهِ يَزِيدَ بنَ مَزْيَدٍ :

تَمْضِى المَنايا كما تَمْضِى أسِنَّتُهُ ... كأنَّ فى سَرْجِهِ بَدْرًا وضِرْغامًا[4]

وقال دِعْبِلُ بن علىٍّ [الخُزَاعِىُّ[5]] فى صفةِ مصلوبٍ[6] :

لم أرَ صَفًّا مثلَ صَفِّ الزُّطِّ ... تِسْعِينَ منهم صُلِبُوا فى خَطٍّ[7]

---

(١) هو أبو نواس .

(٢) قال المرصفى : « من بنى حنيفة بن عجل » .

(٣) فى ج و هـ « وكأنما » .

(٤) فى ج و س و د و هـ « يُمْضِى المنايا » .

(٥) الزيادة من د .

(٦) فى د و س و هـ « المصلوب » .

(٧) الزط » بضم الزاى ، م جيل أسود ، من السند أو الهند .

من كلِّ عالٍ جِذْعُه بِالشَّطِّ ... كأنه في جِذْعِهِ المُشْتَطِّ[1]
أخو نُعاسٍ جَدَّ في التَّمَطِّي ... قد خامَرَ النَّوْمَ ولم يَغِطِّ[2]

[وقال آخرُ في صفةِ مصلوبٍ ، وهو يَزِيدُ المُهَلَّبيُّ :

قامَ ولَمَّا يَسْتَعِنْ بِساقِهِ ... آلَفَ مَثْواهُ على فِراقِهِ
* كأنما يَضْحَكُ في أشْداقِهِ *

أراد بياضَ الشَّرِيطِ في فيه] .

وقال أعرابيٌّ في صفةِ مصلوبٍ [وهو الاخْطَلُ ، قال أبو الحسن : الأخطلُ الذي يعني رجلٌ مُحْدَثٌ من أهل البصرةِ ، ويعرفُ بالأُخَيْطِلِ ، ويُلَقَّبُ بِبَرْقُوقا ، وذكر أبو الحسن أن أبا العباس كان يُدَلِّسُ به][3] :

كأنه عاشقٌ قد مَدَّ صَفْحَتَهُ ... يومَ الفِراقِ إلى تَوْديعِ مُرْتَحِلِ
أو قائمٌ من نُعاسٍ فيه لُوثَتُهُ ... مُواصِلٌ لِتَمَطِّيهِ من الكَسَلِ[4]

[وقال مسلمُ بن الوَليدِ :

وَصَنْعَتُهُ حيثُ تَرْتابُ الرِّياحُ به ... ويَحْسُدُ الطَّيْرَ فيه أَضْبُعُ البَلَدِ][5]

(١) في ج و س « في كل عال » . وفي ج و س و د « في جِذْعِهِ المُسْبَطِّ » .
و « الشط » جانب النهر أو الوادي . و « المشتط » الطويل الذي جاوز في الطول حده .
وأما « المسبط » فقريب من هذا المعنى ، قال في اللسان : « رجل سَبِطُ الجسم وسَبْطُه ، طويلُ الألواح مُسْتويها بَيِّنُ السَّباطَةِ » .

(٢) « غَطَّ في نومهِ يَغِطُّ » إذا أخرج صوتاً مع النفس وردّده .

(٣) يعني أنه كان يوهم من سمعه أنه الأخطل التغلبي الشاعر المعروف .

(٤) « اللوثة » بضم اللام : الاسترخاء والبطء .

(٥) الزيادة من ﻫ . و « أضبع » بفتح الهمزة ، جمع « ضبع » .

وقال [أبو تمام(١)] حَبِيبُ بن أوْسٍ [قال أبو الحسن : يعنى به إسحٰق بن إبراٰهيمَ الطَّاهِرِىَّ(٢)] — :

قد قَلَّصَتْ شَفَتاهُ من حَفِيظَتِهِ ... فَخِيلَ من شِدَّةِ التَّعْبِيسِ مُبْتَسِمَا(٣)

وقال أيضاً فى رجلٍ يَنْسُبُه إلى الدَّعْوَةِ [وهو إسحٰقُ بن إبراٰهيمَ الطاهرىُّ](٤) :

وتَنَقَّلْ من مَعْشَرٍ فى مَعْشَرٍ ... فكأنَّ أُمَّكَ أو أباكَ الزِّئْبِقُ

يقال «زِئْبِقٌ» و«زِئْبِرٌ» مهموزانِ ، و«درهمٌ مُزَأْبَقٌ» و«ثوبٌ مُزَأْبَرٌ»(٥).

ومن إفراطِ التشبيه قولُ أبى خِرَاشٍ الهُذَلِىِّ يصفُ سرعةَ ابنِه فى العَدْوِ(٦) :

كأنَّهُمُ يَسْعَوْنَ فى إثْرِ طائرٍ ... خَفِيفِ المُشَاشِ عَظْمُهُ غيرُ ذى نَحْضِ

يُبادِرُ جُنْحَ الليـــلِ فهو مُهَابِذٌ ... يَحُثُّ الجناحَ بالتَّبَسُّطِ والقَبْضِ

---

(١) الزيادة من هـ .

(٢) الزيادة من د .

(٣) فى ج و س « من شدة التقليص » . و « قلصت » أى انقبضت وانضمت وانزوت . و « الحفيظة » الغضب .

(٤) الزيادة من د . وهى زيادة خطأ ، وإن قسا الشيخ المرصفى وأفرط ، فقال : « هذا كذب محض . وإنما هو فى عتبة بن أبى عاصم ، وكان قد ضمهما مجلس لم يتكلم فيه ، حتى انصرف أبو تمام ، فأخذ يتشدق بهجائه ، فبلغ أبا تمام ، فقال كلمة فيه منها :

ياعتبة بن أبى عصيم دعوة ... شنعاء تصدم مسمعيك فتصعق

والقصيدة فى ديوانه (ص ١٩٢ — ١٩٣ من الطبعة الوهبية سنة ١٢٩٢) .

(٥) «الزئبق» بكسر الباء وفتحها ، «وأما الزئبر» فبالكسر والضم ، وهو مايعلو الثوب الجديد مثل مايعلو الخزّ .

(٦) سبقت الأبيات فى هذا الجزء (ص ٥٢٩ — ٥٣٠) .

وقال أُوسُ بن حَجَرٍ(١) [قال أبو الحسن : أهلُ الكوفةِ يَرْوُنَها لعَبيدِ بن الأَبْرَصِ](٢) :

كأنَّ رِيقَتَها بعدَ الكَرَى اغْتُبِقَتْ　　من ماءِ أَدْكَنَ فى الحانوتِ نَضّاحِ
أو من مُعَتَّقةٍ وَرْهاءَ نَشْوَتُها　　أو من أنابيبِ رُمّانٍ وتُفّاحِ(٣)

وقال ابن عَبْدَلٍ يهجو رجلاً بالبَخَرِ :

نَكَهْتَ علىَّ نَكْهَةَ أَخْدَرِيٍّ　　شَتِيمٍ شابِكِ الأَنْيابِ وَرْدِ(٤)

وفى هذا الشِّعْرِ :

فما يَدْنُو إلى فيه ذُبابٌ　　ولو طُلِيَتْ مَشافِرُهُ بقَنْدِ(٥)
يَرَيْنَ حَلاوةً ويَخَفْنَ مَوْتاً　　وَشِيكاً إنْ هَمَمْنَ له بوِرْدِ

« الذُّبابُ » الواحد من « الذِّبّانِ » وأدنَى العَدَدِ فيه « أَذِبَّةٌ » والكثيرُ

---

(١) فى هـ « وقال زُهيرُ بن أبى سُلْمَى » .

(٢) الزيادة من س .

(٣) « اغتبقت » من الاغتباق ، وهو شرب العشىّ . و « الأدكن » ماتعلوه الدكنة ، وهى لون بين الحمرة والسواد ، أراد به الزقّ . يقول : كأن ريقتها شربت من خمر حديثة أو معتقة . و« الورهاء » الريح التى فى هبوبها خرق ومجرفة ، و « النشوة » الرائحة الطيبة ، يريد : أن رائحتها تهب فتنتشر مثل هبوب تلك الريح وانتشارها . أفاده المرصفى .

(٤) فى اللسان : « النَّكْهَةُ : ريح الفم نَكَهَ له وعليه يَنْكِهُ وَيَنْكَهُ نَكْهاً : تنَفَّسَ على أنفه » . و « الأخدرىّ » : من نعت حمار الوحش ، كأنه نسب إلى أخدر » . قال المرصفى « غلط الشاعر لجعل نعت الحمار الوحشى نعتا للأسد ، وكان الصواب أن يقول : مخدر أو خادر ، وهو الأسد فى عرينه ، فلما لم يستقم له عبر بأخدرى غلطاً » . و « شتيم » كريه الوجه ، و « شابك الأنياب » الذى اختلفت أنيابه واشتبكت . و « الورد » من أسماء الأسد ، سمى به تشبيها له بلون الورد .

(٥) « القند » بفتح القاف وسكون النون : عسل قصب السكر .

« الدَّيَّانُ » . ولكنه ذَكَرَ واحدًا ثم خَبَّرَ عن سائرِ الجنس . والأسدُ أنْتَنُ السِّباعِ فمًا ، كما أن الصَّقْرَ أنْتَنُ الطيرِ فمًا .

قال بعضُ المُحَدَّثِينَ فى رجلٍ يهجوه ، والمَهْجُوُّ داوود بن بكرٍ ، وكان وَلِيَ الأَهْوازَ وفارسَ ، والشعرُ لأَبِى الشَّمَقْمَقِ :

وله لِحْيَـــةُ تَيْسٍ وله مِنْقَارُ نَسْرِ
وله نَكْهَةُ لَيْثٍ خالَطَتْ نَكْهَةَ صَقْرِ

وقال عبد الرحمن بن أبى عبد الرحمن بن عائشةَ :

من يكُنْ إبطُهُ كآباطِ ذا الخَلْــقِ فإبْطاىَ فى عِدَادِ الفِقاحِ[(١)]
لِيَ إبْطانِ يَرْمِيانِ جَلِيسِي بشَبِيهِ السُّلاَحِ أو بالسُّلاَحِ[(٢)]
فكأَنِّى من نَتْنِ هذا وهذا جالسٌ بين مُصْعَبٍ وصَباحِ

يعنى : مُصْعَبَ بن عبد الله الزُّبَيْرِىَّ ، وصَباحَ بن خَاقَانَ المِنْقَرِىَّ ، وكانا جليسينِ ، لا يكادانِ يفترقانِ ، وصَــديقَيْنِ مُتَواصِلَيْنِ ، لا يكادانِ يتصارَمَانِ .

فَحُدِّثْتُ : أنَّ أحمدَ بن هشامٍ [أخا علىِّ بن هشامٍ][(٣)] لقيهما يومًا ، فقال : أَمَا سمعتُمَا ما قال فيكما هذا ؟ يعنى إسحٰقَ بن [إبراهيم][(٤)] المَوْصِلِيَّ ، فقالا : ما قال فينا إلا خيرًا ، قال : قال :

---

(١) « الفقاح » بكسر الفاء جمع « فَقْحَة » وهى حلقة الدبر .
(٢) « السلاح » بضم السين : العذرة .
(٣) الزيادة من ﻫ .
(٤) الزيادة من س و د و ﻫ .

لامَ فيها مُصْعَبٌ وصَبَاحٌ ... فَعَصَيْنا مُصْعَبًا وصَبَاحَا[1]

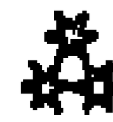
وأبَيْنَا غيرَ سَعْيٍ إليها ... فاسْتَرَحْنامنهما واستراحَا

قالا : ماقال إلا خيرًا ، و [لكنَّ][2] المكروهَ ما قال فيكَ ، إذْ يقولُ :

وصافيةٍ تُعْشِي العُيونَ رَقيقةٍ ... رَهينَةِ عامٍ فى الدِّنَانِ وعامِ

أدَرْنَا بها الكأسَ الرَّوِيَّةَ مَوْهِنًا ... من الليل حتى انْجابَ كلُّ ظَلامِ[3]

فما ذَرَّ قَرْنُ الشمسِ حتى كأنَّنا ... من العِيِّ نَحْكِى أحْمَدَ بنَ هِشَامِ



[4]واعلمْ أن للتشبيهِ حَدًّا فالأشياءُ[5] تَشَابَهُ من وجوهٍ ، وتبايَنُ من وجوهٍ . فإنما يُنْظَرُ إلى التشبيه من حيثُ وقَعَ[6] . فإذا شُبِّهَ الوجهُ بالشمس فإنما يُرَادُ[7] الضِّياءُ والرَّوْنَقُ ، ولا يُرَادُ [به][8] العِظَمُ والإحْراقُ . قال اللهُ جل وعزّ : ﴿ كأنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ﴾[9] والعربُ تُشَبِّهُ النساءَ بِبَيْضِ النَّعَام [لملاستِها][10] ، تريدُ نَقاءهُ ونَعْمَةَ لونه[11] . قال الراعى :

(١) قوله « لام فيها » قال المرصفى : « يريد الخمر » .

(٢) الزيادة من ج و س و د و هـ .

(٣) قال المرصفى : « الموهن والوهن ، كالموعد والوعد : كلاهما نحو من نصف الليل ، أو بعد ساعة منه . وقد أوهن إذا صار فى ذلك الوقت » .

(٤) هنا فى د زيادة « باب » . وفى س زيادة « قال أبو العباس » .

(٥) فى ج و س و د « لأن الأشياء » .

(٦) فى ج و س و د و هـ « أين وقع » .

(٧) فى ج و س و د و هـ « فاذا شبه الوجه بالشمس والقمر فانما يراد به » . وذكر القمر هنا غير جيد .

(٨) الزيادة من ج .

(٩) سورة الصافات (٤٩) .

(١٠) الزيادة من هـ .

(١١) فى ج و س و د و هـ « ورِقَّةَ لونِه » ، وهو أجود . قال المرصفى فى قوله « ونَعمة

كَأَنَّ بَيْضَ نَعَامٍ فى مَلاحِفِها إِذا اجْتَلاهُنَّ قَيْظٌ ليلُهُ وَمِدُ[1]

وقيلَ للأَوْسِيَّةِ ، وهى امرأةٌ حَكِيمةٌ من العرب ، بحضرةِ عمرَ بن الخطاب رحمه الله - : أىُّ مَنْظَرٍ أحسنُ ؟ فقالت : قُصُورٌ بيضٌ فى حَدائِقَ خُضْرٍ ، فأنشدَ عمرُ بن الخطاب لِعَدِىِّ بن زيدٍ :

كَدُمَى العاجِ فى المَحارِيبِ أو كالـ ـبَيْضِ فى الرَّوْضِ زَهْرُهُ مُسْتَنِيرُ

وقال الآخرُ :

كالبَيْضِ فى الأُدْحِىِّ يَلْمَعُ بالضُّحَى فالحُسْنُ حُسْنٌ والنَّعِيمُ نَعيم[2]

وقال جريرٌ :

ما اسْتَوْصَفَ الناسُ عن شىءٍ يَرُوقُهُمُ إلاَّ رَأَوْا أُمَّ نُوحٍ فوقَ ماوصَفُوا[3]

كأنها مُزْنَةٌ غَرَّاءُ رائحةٌ أو دُرَّةٌ لايُوارِى لَوْنَها الصَّدَفُ[4]

« المُزْنَةُ » السحابةُ البيضاءُ خاصَّةً ، وجمعُها « مُزْنٌ » . قال الله جل وعزّ :

لونه » : « هذه إضافة منكرة ، وذلك أن النعمة - بالفتح - اسم للتنعم والترفه ، ولا يوصف بها اللون ، وكان الأجود أن يقول : وصفاء لونه » .

(١) « الملاحف » الأغطية و « الوَمَدُ » : نَدًى يجىء فى صميم الحرّ من قبل البحر مع سكون الريح . وقيل هو الحرّ أيّاً كان مع سكون الريح . وقد أنشد صاحب اللسان الشطر الثانى من البيت فى مادة (و م د) هكذا : « إِذَ اجْتَلاهُنَّ قيظاً ليلةٌ وَمِدُ » وجاء به شاهداً على أن « ومد » توصف به الليلة بدون الهاء كما توصف به بالهاء ، يقال « ليلة وَمِدَةٌ وَوَمِدٌ » .

(٢) فى د و هـ « فى الضحى » . و « الأُدْحِىُّ » و « الأُدْحِيَّةُ » المكان الذى تبيض فيه النعام ، تدحوه برجلها ثم تبيض فيه . و « الدَّحْوُ » البسط .

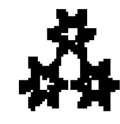
(٣) فى ج و س و د و هـ « من شىء » . وفى د « فَوْقَ ما أَصِفُ » .

(٤) فى ج و س و د و هـ « لايُوارِى ضَوْءَها » .

﴿ أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ[1] ﴾ . فالمرأةُ تُشبَّهُ بالسَّحابة[2] لِتَهادِيها وسُهولةِ مَرِّها . قال الأعشَى :

كأنَّ مِشْيَتَها من بيتِ جارَتِها ... مَرُّ السَّحابةِ لا رَيْثٌ ولا عَجَلُ

«الرَّيْثُ» الإبطاء . فهذا ما تَلْحَقُهُ العَيْنُ منها ، فأما الخِفَّةُ فهي كأسرعِ مارٍّ ، وإن خَفِيَ ذلك على البصرِ ، قال الله جل وعز : ﴿ وتَرَى الجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً وهي تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ ﴾[3] .



والعرب تُشَبِّهُ المرأةَ بالشمس ، والقمرِ ، والغُصْنِ ، [والـكَثِيبِ][4] ، والغَزالِ ، والبَقرةِ الوحشيَّةِ ، والسحابةِ البيضاء ، والدُّرَّةِ ، والبَيْضَةِ . وإنما تَقْصِدُ[5] من كلِّ شيءٍ إلى شيءٍ .

قال ذو الرُّمَّةِ .

ومَيَّةُ أَحْسَنُ الثَّقَلَيْنِ جِيدًا ... وسالِفَةً وأَحْسَنُهُمْ قَذالاَ

فلم أَرَ مِثْلَهَا نَظَرًا وعيْنًا ... ولا أُمَّ الغَزالِ ولا الغَزالاَ

تُرِيكَ بَياضَ غُرَّتِها ووَجْهًا ... كَقَرْنِ الشَّمْسِ أَفْتَقَ ثم زالاَ[6]

---

(١) سورة الواقعة (٦٩) .

(٢) في هـ « بالسحابة البيضاء في نقائها » . وهو غير جيد ، لأن وجه الشبه ليس النقاء ، بل هو ماسيذكر : تهاديها وسهولة مرها . و « التهادي » مشي في تمايل وسكون .

(٣) سورة النمل (٨٨) .

(٤) الزيادة من ج و س و د .

(٥) في س و د « يُقْصَدُ » .

(٦) في د « بياضَ لَبَّتِها » . وهو الذي نقله المرصفي عن ديوان ذي الرمة .

أصابَ خَصاصَةً فبَدَا كَلِيلا ... كَلَا وانْغَلَّ سائرُهُ انْغِلَالا[1]

« الجِيدُ » العُنُقُ . والسالِفةُ » ناحيةُ العُنُقِ . و « القَذَالانِ » ناحِيتا القَفَا من الرأسِ .

وقوله «أُفْتِقَ ثم زَالا» يقال « أُفْتِقَ السحابُ » إذا انكشفَ انكشافةً فكانت فيه[2] فُرْجةٌ يسيرةٌ بين السحابتين . تقول العربُ : دامَ علينا الغَيْمُ ثم أُفْتِقْنَا ، وإذا نُظِرَ إلى الشمس والقمر من فَتْقِ السحاب فهو أحسنُ مايكونُ وأشدُّه استنارةً .

وقوله « كَلَا » يريدُ في سرعةِ ما بَدَا ثم غابَ[3] .

وقال الله عز وجل : ﴿ كَأَنَّهُنَّ الياقوتُ والمَرْجانُ ﴾[4] وقال تبارك وتعالى : ﴿ كأَمْثَالِ اللُّؤلُؤِ المَكْنُونِ ﴾[5] .

و«المكنونُ» المَصُونُ، يقال« كَنَنْتُ الشيءَ» إذا صُنْتَهُ ، و«أَكْنَنْتُهُ» إذا أخفيتَهُ ، فهذا المعروف ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ أوْ أَكْنَنْتُمْ في أنفُسِكُمْ ﴾[6] وقد يقالُ « كَننْتُهُ» أخفيتُهُ .

---

(١) « الخصاصة » كل ثقب من سحاب وباب ومنخل ومصفاة ونحو ذلك ، والجمع « خصاص » و « الغل » دخل واستتر . قاله المرصفي .

(٢) في ع و س و د « منه » بدل «فيه» .

(٣) قال المرصفي : «العرب إذا أرادت تقليل مدة فعل ، أو ظهور شيء خفي ، قالت : كان فعله أو ظهوره كلا ، وربما كرروا فقالوا : كلا ولا» .

(٤) سورة الرحمن (٥٨) .

(٥) سورة الواقعة (٢٣) .

(٦) سورة البقرة (٢٣٥) .

وقد قال جريرٌ فى يَزِيدَ بن عبد المَلِكِ ، وأُمُّهُ عاتكةُ بنتُ يزيدَ بن معاويةَ بن أبى سُفْيانَ :

الحَزْمُ والجودُ والإيمانُ قد نَزَلُوا ... على يَزِيدَ أمينِ اللهِ فاحْتَلَفُوا(١)

ضَخْمُ الدَّسِيعَةِ والإيمانِ ، غُرَّتُهُ ... كالبَدْرِ ليلةَ كادَ الشهرُ يَنْتَصِفُ(٢)

وقال ذو الرُّمَّةِ :

فياظَبْيةَ الوَعْساء بَيْنَ جُلاَجِلٍ ... وبَيْنَ النَّقا آ أنْتِ أَمْ أمُّ سَالِمِ(٣)

وقال ابنُ أبى رَبيعةَ :

أَبْصَرْتُها ليلةً ونِسْوَتُها ... يَمْشِينَ بين المَقامِ والحَجَرِ

يَرْفُلْنَ فى الرَّيْطِ والمُرُوطِ كما ... تَمْشِى الهُوَيْنا سَوَاكِنُ البَقَرِ

فهذه تشبيهاتٌ غريباتٌ مفهومةٌ .

وقال أبو عبد الرحمن العَطَوِىُّ(٤) :

---

(١) « احتلفوا » بالحاء المهملة ، من « الحلف » ، كأنه قال : تحالفوا . وقرأها الشيخ المرصفى بالخاء المعجمة ، خلافا لما فى أصول الكتاب ، فذهب يزعم أن « الصواب أن يقول : فائتلفوا » !!

ثم قال المرصفى : « وهذا البيت على ضعفه لم يروه أحد سوى أبى العباس » . وأما الضعف فلا ، ولكن البيت لم أجده فى ديوان جرير ، وقصيدته هناك (ص ٣٨٥ — ٣٩١) .

(٢) « الدسيعة » المائدة الكريمة أو الجفنة . وقوله « والإيمان » قال المرصفى : « صوابه : والأبياتِ » ، وهذا حق صحيح ، يؤيده ما فى الديوان .

(٣) قال المرصفى : « الرواية : أياظبية الوعساء » وهو الموافق لما فى د . و « الوعساء » الأرض اللينة . و « جلاجل » بضم الجيم الأولى : جبل بالدهناء .

(٤) اسمه « محمد بن عبد الرحمن بن عطية » نسب إلى جده ، وهو من شعراء الدولة العباسية .

وفى ع و س و د « وقال أحد شعراء المتكلمين من المحدثين » . وفى س زيادة « قال أبو الحسن : وهو عبد الرحمن العطوى » .

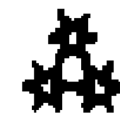
قد رأينا الغزالَ والغُصْنَ والنّجْـــمَيْنِ شَمسَ الضُّحَى وبَدْرَ الظَّلَامِ[1]

فَوَحَقِّ البيانِ يَعْضُدُهُ البُرْ ... هانُ فى مَأْقِطٍ أَلَدِّ الخِصَامِ

ما رَأَيْنَا سِوَى المَلِيحةِ شَيْئًا ... جَمَعَ الحُسْنَ كلَّه فى نِظَامِ[2]

فهى تجرى مَجْرَى الأَصَالةِ فى الرَّأْ ... يِ ومَجْرَى الأَرْواحِ فى الأجسامِ

« البرهانُ » الحجةُ ، قال اللهُ عز وجل : ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾[3] أى حُجَجَكم ، و « المَأْقِطُ » موضعُ الحربِ ، فضربه مَثَلاً لموضعِ المناظرةِ والمُحاجَّةِ . و « الأَلَدُّ » الشديدُ الخصومةِ ، قال اللهُ تبارك وتعالى : ﴿ وتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ﴾[4] وقال : ﴿ وَهُوَ أَلَدُّ الخِصَامِ ﴾[5] .



وقالت لَيْلَى الأَخْيَلِيَّةُ :

كأَنَّ فَتَى الفِتْيَانِ تَوْبَةَ لم يُنِخْ ... بِنَجْدٍ ولم يَطْلُعْ مع المتغَوِّرِ

ولم يَقْدَعِ الخَصْمَ الأَلَدَّ ويَملإِ الْ ... جِفَانَ سَدِيفًا يومَ نَكْباءَ صَرْصَرِ[6]

« السَّدِيفُ » شِقَقُ السَّنَامِ .

و « النَّكْباء » الرِّيحُ بين الرِّيحينِ ، لأن الرياحَ أربعٌ ، وما بين كل

---

(١) فى د « وبدرَ التَّمامِ » .

(٢) فى ع و س و د « ما رأينا سوى الحبيبة » .

(٣) سورة البقرة (١١٠) وسورة النمل (٦٤) .

(٤) سورة مريم (٩٧) . وقد كتبت الآية فى جميع النسخ والطبعات « لتنذر به » وهو سهو غريب ، مخالف للتلاوة !

(٥) سورة البقرة (٢٠٤) .

(٦) « لم يقدع » بالدال المهملة ، أى : لم يكفَّ .

رِيحين نكباء ، فهي ثمانٍ في المعنى :

فما بين مَطْلِعِ سُهَيْلٍ إلى مَطْلِعِ الفجرِ « جَنوبٌ » وإنما تأتى الجَنوبُ من قِبَلِ اليَمَنِ ، قال جريرٌ :

وحَبَّذَا نَفَحاتٌ من يَمانِيَةٍ تأتيك من قِبَلِ الرَّيَّانِ أحْيانَا[1]

وإذا هَبَّتْ من تِلْقاء الفَجْرِ فهى « الصَّبا تُقابِلُ القِبْلَةَ ، فالعرب تسميها « القَبُولَ » قال الشاعرُ :

إذ قلتُ هذا حِينَ أسْلُو يَهِيجُنِي نَسيمُ الصَّبامن حيثُ يَطْلُعُ الفَجْرُ[2]

وإذا أتَتْ من قِبَلِ الشَّأْمِ فهي « شَمالٌ » قال الفرَزْدَقُ :

مُسْتَقْبِلِينَ شَمالَ الشَّأْمِ تَضْرِبُنا بِحاصِبٍ كَنَدِيفِ القُطْنِ مَنْثُورِ

وهى تقابلُ الجَنوب ، وكذلك قال امرؤُ القيسِ :

فتُوضِحَ فالمِقْراةِ لم يَعْفُ رَسْمُها لِمَا نَسَجَتْها من جَنُوبٍ وشَمْأَلِ

وإذا جاءت من دُبُرِ البيتِ الحرامِ فهى « الدَّبُورُ » وهى تهُبُّ بشدةٍ ، والعربُ تسميها « مَحْوَةَ » عن أبى زيدٍ ، لأنها تمحو السحابَ ، و « مَحْوَةُ » معرفةٌ لا تنصرفُ ، فأما الأصمعيُّ فزَعمَ أن « مَحْوَةَ » من أسماء الشَّمالِ ، وأنشدَا جميعًا :

---

(١) فى ع و س « مِنْ جَبَلِ الرَّيَّانِ » . والريان جبل فى بلاد طيء .

(٢) فى ع و س و د و هـ « يَشُوقُني » بدل « يهيجنى » . وهذا البيت من قصيدة معروفة لأبى صخر الهذلى ، وانظرها فى الأمالى (ج ١ ص ١٤٨ — ١٥٠) وشرح الكامل للمرصفى (ج ٦ ص ١٨٦) .

قد بَكَرَتْ مَحْوَةُ بالعجاجِ فدَمَّرَتْ بَقِيَّةَ الرَّجَاجِ[1]

« الرَّجَاجُ » حاشيةُ الإبلِ وضِعافُها[2] . وقال الأعشى :

(١) « بكرت » بتخفيف الكاف ، وقد وضع عليها فى طبعة أوربة كلمة « خف » إشارة إلى ذلك وهى بمعنى « بَكَّرت » بالتشديد .

(٢) هنا فى جزء التعليقات الملحق بطبعة أوربة ، حاشية طويلة ، فيها فوائد جمة ، واستدراك على أبى العباس وغيره ، منقولة عن مخطوطة ليدن ص ٤٤٦ ، رأينا إثباتها بنصها ، طلبا للفائدة ، ولم نشرح مافيها ، تفاديا من الإطالة ، وهى (ص ١٥٧ — ١٥٩) :

[وَقال أبو يوسفَ : و « السَّدُوسُ » الطيلسانُ » قال الأصمعىُّ : واسمُ الرجل « سُدُوس » بالضم . وهذا من أغلاط الأصمعىِّ مشهورٌ ، ودالٌّ أنه سمع الضم فى « سدوس » فلم يضبطه . قال أبو جعفر محمد بن حبيب : وفى تميم « سَدوس » بن دارم بن مالك بن حنظلة ، وفى ربيعةَ « سَدوس » بن ثعلبةَ بن عُكابَةَ بن صَعْبِ بن على بن بكر بن وايل . فكل « سَدوسٍ » فى العرب فهو مفتوح السين ، إلاَّ « سُدوس » بن أصْمَعَ بن أُبَىّ بن عُبيد بن ربيعة بن نصر بن سعد بن نَبْهان . وسمعتُ أبا رِيَاشٍ رضى الله عنه يقول : فاجتزتُ فى بنى سُدوسٍ : فقلتُ له : أفيجوزُ الضمُّ فى « سُدوسٍ » ؟ فقال لى : إذا أردتَ « سَدوس » تميمٍ (فَافْتَحْ — كلمة فافتح زادها المصحح لضرورتها للكلام) . وإذا أردتَ « سُدوس» نبهانَ فضمَّ . وقال أبو يوسف : وكذلك « هَبَّتْ مَحْوَةُ ، إلى : بالعجاج » ، وهذا غلط : إنما « محوةُ » اسمٌ للدَّبُورِ ، وأبو يوسفَ فى هذا القول متَّبعٌ للأصمعىّ . وأبو زيد وغيرُه يقول ماقلناه . وسنُوضِحُ فسادَ قول الأصمعى فى ذلك فيما ننبه عليه من أغلاط الكتاب الكامل ، إذا انتهينا إليه ، إن شاء اللهُ . وأما ماوُعِدَ به من التنبيه على الغلط فى تسمية الشَّمال «مَحْوَةَ» فقد قال فى التنبيهات على أغلاط أبى العباس المبرد فى كتابه الكامل ما صورتُه : فسَّرَ أبو العباس قولَ أوسِ بن حَجَرٍ :

وعَزَّتِ الشَّمْأَلُ الرِّيَاحَ وقد أمسَى كَمِيعُ الفَتَاةِ مُلْتَفِعَا

. . . .

فقال : يقول غَلَبتْها ، وتلك علامة الجدب وذهاب الأمطار[١] . وهذا غلط منه ، على أنه تبع فيه الأصمعيّ فى تسمية الشّمال « محوةَ » . وقد ضَمِنَّا لك فيما تقدم أنّا نبيّن صحيحَ قولِ أبى زيدٍ من سقيمِ قولِ الأصمعىّ فى ذلك ! واعلم أن غلبةَ الشّمال علامةُ البَرْدِ والقُرّ ، فأما قوله علامةُ الجدب وذهاب الأمطار فاسدٌ ، لأن الشّمال مع بردها من شأنها استدرارُ السحابِ ، قال الشاعرُ :

مَرَتْهُ الصَّبَا وزَهَتْهُ الجَنُو بُ وانْتَحَفَتْهُ الشمالُ انْتِحَافَا

وقال الآخرُ فى وصف سحابةٍ :

لتلقيحها هيج الجنوب وتقبل الشـــمالَ نتاجًا والصَّبا حَالِب يَمْرِى

وقال رجل من مازنٍ :

تُكَرْكِرُه حضحضات الجنوبِ وتفرعـــه هزّةُ الشّمالِ

وقال آخرُ ووصفَ ثورَ وحشِيّ :

أخرجتـــه من الليالى رَجُوسٌ ليـــلةٌ هاجها الشمالُ دُرُورَا

وقال آخرُ :

فجاء وقد فَضَلَتْهُ الشما لُ عذب المذاقة نضر الخضر

وقال لَبِيدٌ :

أضلّ صوارَه وتَضَيَّفَتْه نطوف أمرها بيد الشمالِ

وقال المتلمسُ أيضاً :

فبات إلى أرطاة حِقفٍ كأنه إلى دِفْئِها من آخر الليل مُعْرِسُ

ثم قال الأخطلُ :

بات إلى دَفْءِ أرطاة تُكَفِّئُه ريحٌ شآميّةٌ هبّت بأمطار

(١) البيت وتفسيره سيأتى فى أواخر الكتاب الكامل .

. . . .

وقال عمرُ بن شاس :

وأفراسنا مثــل السعالى أصابها قطار وبلتها بنافخةٍ شَمْألُ

وقال آخرُ :

مرته الجنوب فلما اكفهــرّ حلت غزالية الشمال

وقال عدىُّ بن زيد :

وحِبِيٍّ بعد الهدُو تهاديـــه شمال كما يزجّى الــكسيرُ

فتأمل ما أحضرناه من شعر العرب تجد الشمال عندهم عمودةً موصوفة بالأمطار والاستدرار ، وليست كما زعم الأصمعى أنها تمحو السحاب ، ولا كما قال أبو العباس أنها علامة الجدب وذهاب الأمطار، وكل ريحٍ ، شمالاً كانت أو جنوباً أو غيرها ـ : فهى تمحو السحاب الجَهَامَ الذى قد هراق ماؤه . قال بشر :

نبا كيف نقتصُّ آثارهم كما تستخفُّ الجنوب الجهامَا

وقال الأعشى :

ثم فاؤوا على الــكريهة والصّبْـــرِ كما تقشع الجنوب الجهامَا

وقال أيضاً :

مور الجهام إذا زقته الأزيب

والأزيب الجنوب ، فنسبه الأصمعى إلى محو السحاب ، فتركُه . نصّ ذلك إلى الجنوب ، مع ماجاء فى أشعارهم من ذلك ـ : جهلٌ منه بكلامهم ! وأنا أظن أنه إنمـا قال هذا القول ، وذهب فى الشمال هذا المذهب ـ : لمـا سمع قولَ الراجز :

كان كغيث ربطت شماله فلم يبت فى بلد محاله

ولم يعلم ما السبب فى ذلك ، فاعتقد ما اعتقد . وإنمـا هذا الرجز حجازىّ ، والجنوب ريحهم ، وأهل نجدٍ بخلاف ذلك ، ريحُ نجدٍ الصبا ، والصبا إذا هبت بالحجاز

. . . .

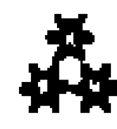
قلت الألبان وطوى الناس الوِطاب ، كما أن الجنوب إذا انفجرت من الحجاز على أهل مصر أضرت بهم ، فإن دامت عليهم أهلكتهم ، وهم يسمونه المريسية . وأمثالُ الأصمعىّ والمبرّد غيرُ معذورين فى أن لايضبطوا مثل هذه المواضع . و « مَحْوَةُ » اسم للدَّبور ، لا للشمال ، ولهذه العلة سميت الدبورُ« العَقِيمَ » لأنها تهلك النبات إذا هبت، وتمنع الغيث ، قال الشاعر :

فلا مخلفات رُحْنَ ثم تهيجت عليهن وَرْهاء الهبوب عقيم

وقال الله تعالى فى عادٍ : ﴿ وفى عادٍ إذ ﴾ الآيتين[1] ، وليس بين أهل العلم خلاف فى أنها الدبور . وأكثر الأرياحِ ضررًا بعد الدبور لهذا الخلقِ الجنوبُ . قال أبو حنيفة : الجنوب فى نفسه أسقم من الشمال ومن الصبا ، وأقل موافقة للأبدان ، وإن كانت أوفق للشجر والعُشب ، من أجل نداها ودفئها ، وهما اللذان يدرجان كل شىء، وهي بموافقتها العُشب وحُسنِ إنباتها له أسرعُ الرياح فى تحفيفه عنها وعن الدبور ، ويكون هَيْجُ النبات ، وهما الهَيْفان اللتان سمع بهما فى هبوبها ، فهى ثم صاحية من علوه وضاحى الأرض ، وإن لم تشرف لها صكا[2] تثير به مافى قرار الماء . وهى متى اشتد هبوبها كدّرت الهواء والماء ، وأثقلت الحواسّ كلهاو بلّدتها ، و بورت[2] الأبدان وأرختها ، وأحفت الأدهان ، وأورثت الكسل . فالجنوب فى عسرة ضررها كالأخت للدبور ، وليست موافقة أهل بلد غير أهل الحجاز، كما أنبأتك ، فإنها لهم موافقة ، وهم مستطيبون فى كل الأوقات . والشمال بَرِية من هذه الصفات ، وهى عند العرب للروح ، والجنوب للانداء والغمق ، والصبا لإلقاح الشجر ، والدبور للبلا ، والدبور أقل الرياح هبوبًا . تم ولله الحمد .

(١) سورة الذاريات (٤١ و ٤٢) .
(٢) كذا فى الأصل .

لهـا زَجَلٌ كَحَفِيفِ الْحَصَا ... دِ صادَفَ بالليلِ رِيحًا دَبورَا



ولهذه الرياحِ أسماءٌ كثيرةٌ ، وأحكامٌ فى العربية ، لأنَّ بعضَهم يجعلُها نعوتًا ، وبعضَهم يجعلُها أسماءً ، وكذلك مَصادِرُها تحتاجُ إلى الشرحِ والتفسيرِ ، ونحن ذاكرون ذلك فى عَقِبِ هذا البابِ ، إن شاء اللهُ .

يقالُ «جَنَبَتِ الرِّيحُ جُنُوبًا» و «شَمَلَتْ شُمُولاً» و «دَبَرَتْ دُبُورًا» و «صَبَتْ صُبُوًّا» و «سَمَّتْ سُمُومًا» و «حَرَّتْ حُرُورًا» مضموماتٌ الأوائلِ ، فإذا أردتَ الأسماءَ فتحتَ أوائِلَها ، فقلتَ «جَنُوبٌ» و«شَمُولٌ» و «سَمُومٌ» و «دَبُورٌ» و «حَرُورٌ» .

ولم يأتِ من المصادرِ شئٌ مفتوحُ الأَولِ ، إلا أشياءُ يسيرةٌ ، قالوا توضَّأتُ «وَضُوءًا» حسنًا ، وتطهرتُ «طَهُورًا» ، وأُولِعتُ بالشئِ «وَلُوعًا» وإنَّ عليه لَـ«قَبُولاً» ، ووقَدَتِ النارُ «وَقُودًا» ، وأكثرُهم يجعلُ «الوَقُودَ» الحطبَ ، و «الوُقُودَ» المصدرَ .

ويقالُ «الشَّمالُ» على لغاتٍ ستٍّ ، يقال «شَمالٌ» و «شَأْمَلٌ» و «شَمْأَلٌ» و «شَمَلٌ» و «شَمْلٌ» و «شَامَلٌ» غيرُ مهموزٍ .

ويقال للشَّمال «الجِرْبياء» قال ابنُ أحمرَ :

وإن شئت استيعاب هذه الأبحاث فارجع إلى كتاب (الأزمنة والأمكنة) لأبى على المرزوقى الأصفهانى من علماء القرن الخامس ، وهو مطبوع فى حيدر آباد سنة ١٣٣٢ ، وانظر فيه (ج ١ ص ١٧٨ – ٢٠١ وج ٢ ص ٧٤ – ٨٥) .

بِجَوٍّ مِن قَسًا ذَفِرِ الخُزَامَى تَدَاعَى الجِرْبِيَاءُ به الحَنِينَا[١]

ويقال للجَنُوبِ « الأَزْيَبُ »[٢] .

ويقال للصَّبا « القَبُولُ » وبعضُهم يجعلُه للجَنوبِ ، وهو فى الصَّبا أشهرُ ، بل هو القولُ الصحيحُ . و « الإيرُ » و « الهِيرُ » و « والأَيِّرُ » و «الهَيِّرُ[٣] » . قال الشاعرُ :

* مَطَاعِيمُ أَيْسَارٌ إذا الهِيرُ هَبَّتِ *

فهذا يدلُّ على أنه الصَّبا ، وذاك أنهم إنما يَتَمَدَّحُونَ[٤] بالإطْعامِ فى المَشْتَا[٥] وشِدَّةِ الزمانِ ، كما قال طَرَفَةُ :

نحنُ فى المَشْتاةِ نَدْعُو الجَفَلَى لا تَرَى الآدِبَ فينا يَنْتَقِرْ

« الجَفَلَى » العامَّةُ ، و « النَّقَرَى » الخاصَّةُ . و « الآدِبُ » صاحب المَأْدُبَةِ ، يقال « مَأْدَبَةٌ » و « مَأْدُبَةٌ » لِلدَّعْوَةِ ، وفى الحديثِ : « إنَّ القرآنَ مَأْدُبَةُ اللهِ »[٦] . قال أهلُ العِلمِ : معناه مَدْعاةُ اللهِ ، وليس من « الأَدَبِ » . وأكثرُ

---

(١) « قسا » موضع بالعالية . و « ذفر » شـديد الرائحة . « والخزامى » عشبة طويلة العيدان صغيرة الورق حمراء الزهر لها نور كنور البنفسج .

(٢) « الأزيب » بالزاء والياء التحتية . وفى ع « الأرنب » وهو خطأ وتصحيف .

(٣) الأوليان بكسر الهمزة والهاء مع سكون الياء ، والأخريان بفتح الهمزة والهاء مع تشديد الياء المكسورة . وزاد العلماء أيضا فى اسمها «أَيْر» و « هَيْر» بفتح الهمزة والهاء وسكون الياء.

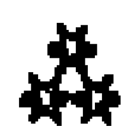
(٤) فى ع و س و د و هـ « يَمْتَدِحُونَ » .

(٥) فى ع و س و د « فى المشتاة » وبها طبعت طبعات مصر . وفى هـ « فى الشتاء » .

(٦) من حديث طويل أوله : «إن هذا القرآن مأدبة الله فاقبلوا من مأدبته» رواه الحاكم فى المستدرك (ج ١ ص ٥٥٥) من طريق صالح بن عمر عن إبرهيم بن مسلم الهجرى عن أبى الأحوص عن عبـد الله بن مسعود مرفوعاً ؛ وصالح بن عمر ثقة ، وإبرهيم الهجرى صدوق ، وضعفه

المفسرين قالوا القولَ الأولَ ، وكلاهما في العربيـــة جائزٌ ، ويدلُّ على القولِ الأولِ قولُ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم : « أنا الجَفْنةُ الغَرّاء »[1] أي التي يجتمعُ الناسُ عليها ويُدْعَوْنَ إليها ، ويقال في الدَّعوة « أَدَبَهُ يَأْدِبُهُ أَدْبًا » إذا دعاه ، قال الشاعرُ :

وما أُصْبِحَ الضَّحَّاكُ إلا كخالعٍ عَصانا فَأَرْسَلْنا المَنِيَّةَ تَأْدِبُهْ



وقولُنا في الرياح أنها تكونُ أسماءً ونعوتًا نُفَسِّره إن شاء اللهُ :

يقولُ أكثرُ العربِ : هـذه ريحٌ جَنُوبٌ وريحٌ شَمَالٌ وريحٌ دَبُورٌ ، فتجعلُ « جَنُوبًا » و « شَمالاً » و « دَبُورًا » وسائرَ الرياحِ نُعُوتًا ، قال الأعشى :

لها زَجَلٌ كحفيفِ الحَصَا دِ صادَفَ باللَّيْلِ رِيحًا دَبُورَا

وقال زُهَيْرٌ :

مُكَلَّلٌ بأُصُولِ النَّبْتِ تَنْسِجُهُ رِيحٌ شَمالٌ لضاحِي مائِهِ حُبُكُ[2]

وقال جريرٌ :

بعضهم من قبل حفظه وكثرة خطئه ، ولكنه ليس ضعيفا بمرة ، فان شعبة روى عنه ، وهو لايروى إلا عن ثقة .

وذكر الذهبي في الميزان (ج ١ ص ٣١) أن ابن حبان رواه أيضا من طريق ابن فضيل وابن الأجلح عن الهجرى .

(١) الذى في النهاية : « أنه قيل له : أنت كذا وأنت كذا وأنت الجفنة الغراء » . ولم أجد هذا الحديث .

(٢) قال المرصفي : « مكلل : محاط ، وضاحي مائه : ظاهره . وحبك : جمع حبيكة ، وهي الطريقة . يصف ماء أحاط به النبت وقد ضربته الريح فأظهرت فيه تكسراً ، وذلك نسجها » .

* رِيحٌ خَرِيقٌ شَمالٌ أو يَمانِيَةٌ *

فهذا يكونُ على النعتِ أَجْوَدَ ، لأنه أوضحه بيمانية ، ولا تكون اليمانيةُ إلا نعتًا ، لأنها منسوبةٌ . فأما «الخَرِيقُ» فهى الشديدةُ من كل ريحٍ . قال حُمَيْدُ بن ثَوْرٍ :

بِمَثْوَى حَرَامٍ والمطِيُّ كأنه　　قَنًا مُسْنَدٌ هَبَّتْ لَهُنَّ خَرِيقُ[1]

و « البَلِيلُ » الباردةُ من كل الرياحِ[2] ، وأصلُ ذلك الشمالُ ، قال جريرٌ يُعَيِّرُ بَنِى مُجاشِعٍ بِخَذْلانهـم الزُّبَيْرَ بن العوَّامِ فى كلمةٍ يقولُ فيها :

إنِّى تُذَكِّرُنِى الزُّبَيْرَ حَمامةٌ　　تَدْعُو بأعْلَى الأيْكَتَيْنِ هَدِيلاَ

يا لَهْفَ نفسِى إذْ يَغُرُّكَ حَبْلُهُمْ　　هَلاَّ اتَّخَذْتَ على القُيُونِ كَفِيلاَ

قالتْ قريشٌ ما أَذَلَّ مُجاشِعًا　　جارًا وأَكْرَمَ ذا القتيلَ قَتِيلاَ

أَفَبَعْدَ مَتْرَكِكُمْ خَليلَ مُحَمَّدٍ　　ترجو القُيُونُ مع الرسولِ سَبِيلاَ

أَفَتَى النَّدَى وفَتَى الطعانِ غَرَرْتُمُ　　وأَخَا الشَّمالِ إذا تَهُبُّ بَلِيلاَ

ويُروى أن أُحَيْحَةَ بن الجُلاَحِ الأنصارىَّ[3] ، وكان يُبَخَّلُ ـ :

(١) « المثوى » المنزل : و « الحرام » الممنوع أن ينزل بساحته .

(٢) فى ج و س و د و هـ « من كل ريح » .

(٣) « أحيحة » بضم الهمزة وحاءين مهملتين مفتوحتين وبينهما ياء تحتية ساكنة . و « الجلاح » بضم الجيم وتخفيف اللام وآخره حاء مهملة ، وهو جاهلى قديم مشهور ، وكان شريفا فى قومه ، ومن ذريته أناس من الصحابة . ووصفه بالأنصارى هنا فيه شىء من التساهل ، لأن هذا الاسم إسلامىّ ، وأحيحة من الأوس ، فأطلق عليه « الأنصارى » باعتبار أن الأوس صاروا بعد الاسلام يسمون مع الخزرج « الأنصار » . ويظهر أنه كان بعد عصره بمدة من يسمى من نسله «أحيحة بن الجلاح» فاشتبه على بعض المؤلفين فى الصحابة ، وتحقق ذلك الحافظ ابن حجر فى الإصابة (ج ٢ ص ٢١ ـ ٢٢) .

[كانَ][1] إذا هَبَّتِ الصَّبا طَلَعَ من أُطُمِهِ[2]، فنظرَ إلى ناحيةِ هُبُوبِها، ثم يقولُ لها: هُبِّي هُبُوبَكِ، فقد أعددتُ لكِ ثمانيةً وستينَ صاعًا من عَجْوَةٍ، أدْفَعُ إلى الوليد منها خمسَ تَمَراتٍ، فيَرُدُّ عليَّ منها ثلاثًا، أي لصلابتها، بعد جَهْدٍ مّا يَلُوكُ منها اثنتين!!

وكان لَبِيدُ بن رَبِيعةَ بن مالك بن جعفر بن كِلَابٍ شريفًا في الجاهلية والإسلامِ، [وكانَ[1]] قد نَذَرَ أنْ لا تَهُبَّ الصَّبَا إلاّ نَحَرَ وأطْعَمَ، حتى تَنْقَضِيَ، فهبت بالإسلامِ[3]، وهو بالكوفة مُقْتِرٌ مُمْلِقٌ، فعلم بذلك الوليدُ بن عُقَبةَ بن أبي مُعَيْطِ بن أبي عمرِو بن أُمَيَّةَ بن عبد شمس بن عبدمنافٍ، وكانَ وَالِيَهَا لعثمانَ بن عفَّانَ، وكان أخاه لِأُمِّه، وأُمُّهما أرْوَى ابنةُ[4] كُرَيْزِ بن حبيبِ بن ربيعةَ بن عبد شمسٍ[5]، وأُمُّ أرْوَى البيضاء بنتُ عبد المُطَّلِبِ، فخطبَ الناسَ وقال: إنكم قد عرفتم نَذْرَ أبي عَقِيلٍ، وما وَكَّدَ على نفسِهِ، فأعينوا أخاكم، ثم نزلَ فبعثَ إليه بمائة ناقةٍ [وأبياتٍ يقولُ فيها:

أرَى الجَزَّارَ تَشْحَذُ مُدْيَتَاهُ ... إذا هَبَّتْ رِياحُ أبي عَقِيلِ
طَوِيلِ الباعِ أبيضَ جَعْفَرِيٍّ ... كَرِيمِ المَجْدِ كالسَّيْفِ الصَّقِيلِ

---

(١) الزيادة من د.

(٢) «الأطم» بضم الهمزة والطاء المهملة، وهو الحصن يبنى بالحجارة، وجمعه «آطام».

(٣) في ج و د و هـ «في الإسلام».

(٤) في ج و س و هـ «بنت».

(٥) هكذا في النسخ، وهو خطأ صوابه «كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس» كما في الطبقات لابن سعد (ج ٣ ق ١ ص ٣٦ و ج ٧ ق ٢ ص ١٧٦). وقد مضى على الخطأ أيضا في هذا الجزء (ص ٧٣٥).

وَفَى ابنُ الجَعْفَرِىِّ بما لَدَيْهِ   على العِلاَّتِ والمالِ القليلِ

فلما أتته قال : جَزَى اللهُ الأَمِيرَ خيراً ، قد عرفَ الأَميرُ أنى لا أقولُ شعرًا ، ولكن اخرُجِى يا بُنَيَّةِ ، فخرجتْ خُمَاسِيَّةٌ ، فقال لها : أجيبِى الأَمِيرَ ، فأَقْبَلَتْ وَأَدْبَرَتْ] وبَعَثَ الناسُ ، فقَضَى نَذْرَه ، ففى ذلك تقول ابنةُ لَبِيدٍ :

إذا هَبَّتْ رِياحُ أبى عَقِيلٍ   دَعَونا عِنْدَ هَبَّتِها الوَلِيدَا
[طويلَ الباعِ أبيضَ عَبْشَمِيًّا   أعانَ على مُرُوَّتِهِ لَبِيدَا
بأمثالِ الهِضَابِ كأَنَّ رَكْبًا   عليها من بنى حامٍ قُعُودَا
أبا وَهْبٍ جزاكَ اللهُ خيرًا   نحرناها وأَطْعَمْنا الثَّرِيدَا
فَعِدَّانُ الكَرِيمِ له مَعادٌ   وظَنِّى بابْنِ أرْوَى أن يَعُودَا(١)

---

(١) « العِدَّانُ » بكسر العين وتشديد الدال المهملتين : الزمان والعهد ، قال فى اللسان : « وعِدَّانُ الشبابِ والمُلْكِ أولهُما وأفضلهُما » .

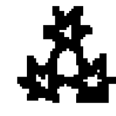
ونقل عن الأزهرى قال : « من جعل عِدَّانَ فِعْلاَنًا فهو من العَدِّ والعِدَادِ ، ومن جعله فِعْلاَلاً فهو من عَدَنَ ، قال: والأقربُ عندى أنه من العَدِّ ، لأنه جعل بمعنى الوقتِ » . وانظر اللسان فى مادتى (ع دد) و (ع د ن) .

والأظهر عندى أن تكون من « عدن » ومنه « المعدن » وهو مكان كل شىء يكون فيه أصله ومبدؤه . وفى الحديث « فعن معادن العرب تسألونى » أى أصولها التى ينسبون إليها ويتفاخرون بها ، كما فى اللسان .

فالعدان متضمنة هذا المعنى ، ويكون معنى البيت : إن الكريم له معاد إلى مبدئه ومعدنه وأصله ، أى أن ذلك يرجع به إلى طبيعته فى الكرم والجود ، ولذلك قالت بعده : « وظنى بابن أروى أن يعودا » .

وهذا الضبط للكلمة فى البيت هو الذى فى طبعة أوربة وطبعات مصر ، وهو الصواب عندى ، لما فيه من البلاغة ، بالاشارة إلى السؤال تلميحا ، لا تصريحا . وضبطت فى الشعراء

قال لها لبيدٌ : أحسنتِ يا بنيَّةِ ، لولا أنكِ سألتِ ، فقالتْ : إنَّ الملوكَ لا يُستَحى مِن مسألَتِهم ، فقال لها : يا بُنيَّةِ ! وأنتِ في هذا أشعرُ].



ومَنْ جعلَ « الشَّمالَ » و « الجَنُوبَ » أسماءً لم يصرِفْها إذا سُمِّيَ بشيء منها رجلٌ لأنك إذا سميتَ رجلاً مذكرًا باسمٍ مؤنثٍ على أربعة أحرفٍ فصاعدًا لا علامةَ للتأنيثِ فيه — : لم تَصْرِفْهُ في المعرفةِ ، وصرفتَه في النكرةِ ، نحوَ « عَنَاقٍ » و « أتانٍ » و « عقربٍ » . وإن كان نعتًا انصرفَ ، لأنك إذا سميتَ رجلاً مذكرًا بنعتٍ مؤنثٍ لا علامةَ فيه صرفتَه ، لأنه مذكَّرٌ نَعَتَّ به المؤنَّثَ ، نحوَ « حائضٍ » و « طالقٍ » و « مُتْئِمٍ » و « مُرْضِعٍ » .

وإذا ذكرنا من الباب شيئًا فلم نذكره منه فعلى مَجْرَاه ومِنْهاجِهِ ، قال الشاعر[1] ، فجعلَ ما وَصَفْنا أسماءً :

حالتْ وحِيلَ بها وغَيَّرَ آيَهَا   طولُ البِلَى تَجْرِي به الرَّيحَانِ[2]

ريحُ الشَّمالِ مع الجَنُوبِ وتارةً   رِهَمُ الرَّبيعِ وصائبُ التَّهتانِ[3]

لابن قتيبة (ص ١٥٠ من طبعة أوربة) « فَعُدْ إنَّ الكريمَ » أي فعل أمر من « العود » .
وهو وإن كان صوابا في اللفظ ، إلا أنه في المعنى والبلاغة غير جيد ، بل يكاد يكون مبتذلا ،
لما فيه من التصريح بالسؤال ثلاث مرات .

(١) في س « قال الشَّمَّاخُ » .

(٢) « حالت » أتى عليها حول مذ خلت من أهلها . و « حيل بها » يريد : أحيلت مما كانت عليه والباء معاقبة للهمزة . قاله المرصفي . و « الآي » جمع « آية » أي : غير علاماتها .

(٣) « الرِّهَمُ » جمع « رِهْمَة » بوزن « سدرة وسدر » وهي المطر الضعيف الدائم القطر . و « التهتان » مطر ساعة ثم يفتر ثم يعود .

وقد أنشدوا بيتَ زُهَيرٍ .

* رِيحُ الجَنُوبِ لِضَاحِي مائِهِ حُبُكُ *

وَقولُنا « لاَ علامَةَ فيه للتأنيث[1] » لتَعْرِفَ كيفَ حكمُ [العلاماتِ][2] علاماتِ التأنيثِ ، لأن ذلك إنما يكونُ على ضربَيْن :

فما كانت فيه ألفُ التأنيثِ مقصورةً أو ممدودةً فغيرُ منصرفٍ في معرفةٍ ولا نكرةٍ ، لمذكَّرٍ كان أو مؤنَّثٍ[3] . فالمقصورُ نحوُ « حُبْلَى » و « سَكْرَى » وما أشبه ذلك[4] ، والممدودُ نحوُ « حمراء » و « صفراء » و « صحراء » وما أشبه ذلك . فان[5] كانت ممدودةً لغير التأنيثِ انصرفَ إذا كان لمذكرٍ ، في المعرفةِ والنكرةِ ، زائدًا كان أو أصليًّا ، فالأصليُّ نحوُ « سِقَاء » و « غِذَاء » و « حِذَاء » و « رِدَاء » ، والزائدةُ نحوُ « عِلْبَاء » و « حِرْبَاء و «قُوبَاء» » يافتى ! ومَن قال «قُوبَاء» — يا فتى — أَنَّثَ ولم يَصْرِفْ ، لأن الأولى مُلْحَقةٌ ، وهذه للتأنيثِ[6] . فأما الألفُ المقصورةُ التي لغير

(١) في ج و س و د و هـ « للتأنيث فيه » .
(٢) الزيادة من ج و س و د و هـ .
(٣) في ج و د « أو لمؤنث » .
(٤) في ج و س و هـ « وما أشبهه » .
(٥) في ج و س و د و هـ « وإن » .
(٦) « قوباء » الأولى بسكون الواو ، والثانية بفتحها . وقد ضبط الاثنان بالفتح في طبعة أوربة ، وهو خطأ . والقوباء هي التي تخرج في جلد الانسان فتداوى بالريق . وقال في اللسان : «وقال الفراء : القُوباء تؤنَّث وتذكر ، وتحرَّك وتُسَكَّن ، فيقال : هذه قُوباء ، فلا تصرف في معرفةٍ ولا نكرةٍ ، وتلحق بباب فُقَهَاء ، وهو نادر ، وتقول في التخفيف : هذه قُوباء ، فلا تصرف في المعرفة وتصرف في النكرة ، وتقول : هذه قُوباء ، تنصرف في المعرفة والنكرة ، وتُلْحقُ بباب طُومارٍ » .

التأنيثِ : فإن كانت أُصليـةً أنصرفتْ فى المذكَّرِ ، نحوُ « مَلْهًى » و « مَغْزًى » و « مُشْتَرًى » ، وإن كانت زائدةً لغير التأنيثِ انصرفتْ فى النكرةِ ، ولم تنصرف فى المعرفةِ ، نحوُ « أرْطًى » و « عَلْقًى » فيمن جعل الواحدةَ « عَلْقَاةً » [وأرْطَاةً][1] .

وأمّا ما كانت فيه هاء التأنيثِ فهو منصرفٌ فى النكرةِ ، وغيرُ منصرفٍ فى المعرفةِ ، لمذكَّرٍ كان أو مؤنثٍ[2] ، عربيًّا كان أو أعجميًّا .

فهذه جملةَ هذا البابِ ، فأما قياسُه وشرحُه فقد أتينا عليه فى الكتابِ (المقتَضَب)[3] .

☸

وتقولُ[4] فى أكثرِ الكلام « هَبَّتْ جَنوبًا » و « هبت شَمالاً » فتستغنِي[5] عن ذكر الريح ، وهذا مما يؤكد أنها نعوتٌ ، لأن الحالَ إنما بَابُها أن تقعَ فيما يكون نعتًا[6] ، قال جريرٌ :

هَبَّتْ شَمالاً فذِكْرَى ما ذَكَرْتُكُمُ ... عند الصَّفَاةِ إلى شَرْقِيٍّ حَوْرَانَا[7]

---

(١) الزيادة من ه . والأرطى والعلق نوعان من الشجر .
(٢) فى ج و س « أو لمؤنث » .
(٣) انظر الكلام عن هذا الكتاب ، فيما مضى (ص ٥٢٣) .
(٤) فى ج و س و د و ه « ويقال » .
(٥) فى ج « فيَستغنِي » . وفى س و د و ه « فيُستغنَى » .
(٦) فى ج و س و د و ه « وصفاً » .
(٧) فى د « هبت جنوباً » . وفى ج و د « فذِكْرَى » . وفى ج و س و د « الصفاةِ الّتِي شَرْقِيَّ » .

وقال الآخرُ :

فَأَىُّ حَيٍّ إذا هَبَّتْ شَآمِيَةٌ واسْتَدَّ فَأْالـكَلْبُ بالمأْسُورِ ذِى الذَّأَبِ

« المأْسُورُ » يعنى قَتَباً[١] ، وإنما « الأَسْرُ » الشَّدُّ بالقدِّ[٢] حتى يُحْـكَمَ ، وإنما قيل « الأَسيرُ » مِنْ ذا ، لأنه كان يُشَدُّ بالقِدِّ ، ثم قالت العربُ لـكلّ مُحْـكَمٍ « شديدُ الأَسْرِ »[٣] . قال الله تبارك وتعالى : ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ ﴾[٤] وقولُه « ذى الذَّأَبِ » يعنى الفُضولَ التى وسَّعَتْهُ وأَسْبَغَتْهُ ، يُقالُ « غَبِيطٌ مُذَأَّبٌ » أى ذو ذِئَبٍ ، أى مُوَسَّعٌ ، و« الغَبِيطُ » مَرْكَبٌ من مَراكبِ النِّساء .

وقال أَوْسُ بن حَجَرٍ ، فى شدة البردِ وغَلَبةِ الشَّمالِ ، يَرْثِى فَضَالَةَ بن كَلَدَةَ الأَسَدِىِّ[٥] :

وَالحافظُ الناسَ فى قَحُوطَ إذا لم يُرْسِلُوا تحتَ عائذٍ رُبَعَا[٦]

وعَزَّتِ الشَّمْأَلُ الرِّياحَ وقد أَمْسَى كَمِيعُ الفَتاةِ مُلْتَفِعَا[٧]

---

(١) « القتب » رحل صغير على قدر السنام .

(٢) « القد » بكسر القاف وتشديد الدال : سير يقدّ من جلد غير مدبوغ تشد به الأقتاب والحامل.

(٣) فى ج « لـكل محكمٍ شديدٍ : أَسِيرٌ » . وفى هـ « لـكل محكم شُدَّ بالأَسْرِ : أَسيرٌ » .

(٤) سورة الانسان (٢٨) .

(٥) من قصيدته المشهورة التى أولها :

أيتها النفس أجملى جزعا إن الذى تحذرين قد وقعا

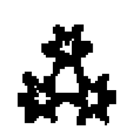
(٦) بحاشية ا و ج و س و د و هـ « تَحُوطَ » ، وبحاشيتها أيضا « خَلْفَ عائذٍ » .

(٧) « الـكَمِيعُ والـكِمْعُ » الضجيع ، ولذلك سمى زوج المرأة « الـكميع » وهو من قولهم « كَامَعَ المرأةَ » أى ضاجعها .

وكانت الكاعِبُ المُنَعَّمَةُ الحسناء في زادِ أهلِها سَبُعًا[1]

« مَحُوطُ » و« قَحُوطُ » و« كَحْلُ » و« جَحْرَةُ[2] » أسماء للسَّنَةِ المُجْدِبَةِ.

و« العائذُ » الحديثةُ النِّتاجِ ، فتُنْحَرُ أولادُها في السَّنَة المُجْدِبَةِ إبقاء على ألبانِها وشُحومِها . و« الرُّبَعُ » الذي يُنْتَجُ في الربيع ، و« الهُبَعُ » الذي يُنْتَج في الصيفِ ، يقالُ : « مالَهُ هُبَعٌ ولا رُبَعٌ » . وإنما سُمى « هُبَعًا » لأن الرُّبَعَ أسنُّ منه فيمشي مع أمهاتِها[3] ، ولا يَلحقهنَّ الهُبَعُ إلا باجتهادٍ ، فيستعينُ بعُنُقه في المشي ، يقالُ إذا فعل ذلك « هَبَعَ يَهْبَعُ » .



ويقال للريحِ الشَّمال « نِسْعٌ » و« مِسْعٌ » . قال الهُذَليُّ :

قد حالَ دونَ دَرِيسَيْهِ مُؤَوِّبةٌ نِسْعٌ لها بِعِضاهِ الأرضِ تَهْزِيزُ

« الدَّرِيسَانِ » ثوبانِ خَلَقَانِ . و« مُؤَوِّبَة » « مُفَعِّلَةٌ » من « التأويب » وهو سَيْرُ النهارِ لا تعريجَ فيه ، قال أبو عُبيدةَ : هوسيرُ النهار ، و« الإسْآدُ » سيرُ الليل لا تَعْرِيسَ فيه وأنشدَ لسَلامَةَ بن جَنْدَلٍ :

يومانِ يومُ مَقاماتٍ وأنْدِيَةٍ ويومُ سَيْرٍ إلى الأعداء تأويبِ

---

(١) بحاشية ا « المُخَبَّأَةُ » وبجوارها « صح » . وفي ع و س و د « المُمَنَّعَةُ » ، وبحاشية د : « قال أبو الحسن في روايته : « المُخَبَّأَةُ ، وهو أجود من الممنعة » .
وقوله « سبعا » يريد أنها جريئة كالسبع على زاد أهلها ، من شدة الجوع .

(٢) « جحرة » بفتح الجيم وسكون الحاء المهملة ، وفي ا و ع و س و د و ه « حجرة » بتقديم الحاء ، وهو خطأ . : وسميت بذلك لأنها تجحر الناس في البيوت ، كأنها تجعل بيوتهم جحورا لهم .

(٣) في ع و د « مع أمهاته » .

وإنما يَعْنِي رِيحًا. وقوله «نِسْعٌ» أي شَمالٌ. و «العِضَاهُ» شجرةٌ ضخمةٌ[1]، فبعضُ العربِ يقول للواحدةِ « عِضاهَةٌ » وللجميع « عِضَاهٌ » على وزنِ « دَجاجةٍ ودَجاجٍ » وبعضُهم يقولُ للواحدة « عِضَةٌ » فيقول في الجمع « عِضَوَاتٌ » و « عِضَهاتٌ » فتكون من الواو ومن الهاء، قال الشاعرُ :

هذا طريقٌ يَأْزِمُ المَآزِمَا وعِضَوَاتٌ تَقْطَعُ اللَّهازِمَا[2]

ونظيرُ « عِضَةٍ » «سَنَةٌ » على أن الساقطَ الهاءُ في قول بعض العربِ، والواوُ في قول بعضهم، تقول في جمعها « سَنَوَاتٌ » و « سانَيْتُ » الرجلَ، وبعضُهم يقولُ « سَنَهاتٌ » وأُكْرِيَتُهُ « مُسَانَهَةً » ، وهذا الحرفُ في القرآنِ يُقْرَأُ على ضروبٍ : فمن قرأ : ﴿ لَمْ يَتَسَنَّهْ وانْظُرْ ﴾[3] فوصلَ بالهاء — : فهو مأخوذٌ من « سانَهْتُ » التي هي « سُنَيْهَةٌ » ومَن جعله من الواوِ قال في الوصلِ : ﴿ لم يَتَسَنَّ وانْظُرْ ﴾[3] فإذا وقفَ قال ﴿ لم يَتَسَنَّهْ ﴾ فكانت الهاءُ زائدةً لبيان الحركةِ، بمنزلة الهاء في قوله ﴿ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ[4] ﴾ و ﴿ كِتَابِيَهْ[5] ﴾ و ﴿ حِسَابِيَهْ ﴾[6] والمعنى واحدٌ، وتأويلُه : لم تُغَيِّرْهُ

(١) في ح و س و د و ه « شجر ضخام ».

(٢) « المآزم » جمع «مَأْزِم» وهو المضيق بين جبلين، يريد أن المضايق بالنسبة إلى ضيقه لا تذكر.
و «اللهازم» جمع « لِهْزِمة » وهي ماتحت الأذن من أعلى اللحيين، أو العظم الناتئ في اللحيين تحت الأذنين. أفاده المرصفي.

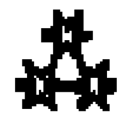
(٣) سورة البقرة (٢٥٩). وقراءة حذف الهاء في الوصل خاصة هي قراءة حمزة والكسائي، وقرأ باقي السبعة بإثباتها ساكنة في الوصل كالوقف.

(٤) سورة الأنعام (٩٠). وحمزة والكسائي يحذفان الهاء هنا أيضا في الوصل خاصة. وابن ذكوان وهشام يثبتانها مكسورة في الوصل، والباقون يثبتونها ساكنة في الحالين. وانظر التيسير (ص ١٩٥) والنشر (ج ٢ ص ١٣٧).

(٥) سورة الحاقة (١٩ و ٢٥).

(٦) سورة الحاقة (٢٠ و ٢٦). ولفظا « كتابيه » و « حسابيه » قرأهما يعقوب بحذف الهاء =

السُّنُونَ ، ومن لم يَقْصِدْ إلى السَّنةِ قال : لم يَتأَسَّنْ ، و « الآسِنُ » المتغيِّرُ ، قال الله جل وعزّ : ﴿ فيها أنهارٌ من ماءٍ غيرِ آسِنٍ ﴾[1] ويقال « أَسِنٌ » فى هذا المعنى ، كما يقال رجل « حَاذِرٌ » و « حَذِرٌ » .



ويقال للرّيح الجَنُوبِ « النُّعامَى » قال أبو ذُؤَيْبٍ [يصفُ غيماً][2] :

مَرَتْهُ النُّعامَى فلم يَعْتَرِفْ   خِلاَفَ النُّعامَى من الشَّامِ رِيحَا

ومعنى « مَرَتْه » استَدَرَّتْه[3] . وفى الحديث : « ما هَبَّتِ الريحُ الجَنُوبُ إلا أَسالَ اللهُ بها وَادِيًا »[4] .

وقال رجلٌ يمدحُ رجلاً :

فتًى خُلِقَتْ أخلاقُهُ مُطْمَئِنَّةً   له نَفَحاتٌ ريحُهُنَّ جَنُوبُ

يريدُ : أن الجَنوبَ تأتى بالمطر والنَّدَى .

والعربُ تكره الدَّبُورَ ، وفى الحديث أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « نُصِرْتُ بالصَّبا ، وأُهْلِكَتْ عادٌ بِالدَّبُورِ[5] » .

وقَلَّ ما يكون بالدَّبورِ المطرُ ، لأنها تُجَفِّلُ السحابَ ، ويكونُ فيها

= منهما فى الوصل خاصة ، وأثبتهما ساكنتين باقى العشرة ، فى الوصل كالوقف . وانظر النشر (ج ٢ ص ١٣٧) .

(١) سورة محمد (١٥) .

(٢) الزيادة من هـ .

(٣) قال المرصفى : « ذلك على التشبيه بمرى الناقة ، وهو مسح ضرعها لتدرّ ، يريد : استخرجت ماءه » .

(٤) هذا الحديث لم أعرفه .

(٥) حديث صحيح رواه أحمد والبخارى ومسلم من حديث ابن عباس .

الرَّهَجُ(١) والغَبَرَةُ ، ولا تَهُبُّ إلا أقلَّ ذاك إلا بشدَّةٍ ، فتكادُ تَقْلَعُ البيوتَ وتأتِي على الزُّروع .

وقال رجلٌ يهجو رجلاً :

لو كنتَ رِيحًا كانت الدَّبُورَا   أو كنتَ غَيْمًا لم تكن مَطِيرَا
أو كنتَ ماءً لم تكنْ طَهورَا   أو كنتَ مُخًّا كنتَ مُخًّا رِيرَا
* أو كنتَ بَرْدًا كنتَ زَمْهَرِيرَا *

« الرِّيرُ » المخُّ الرقيق ، يقال : مُخٌّ « رِيرٌ » و « رَارٌ » فى معنًى واحدٍ ، وقال السُّلَيْكُ :

* يَصيدُكَ قافِلاً والمخُّ رارُ *

[والشيءُ يُذكر بالشيءِ](٢) وقال آخرُ :

لو كنتَ ماءً لم تكن بِعَذْبِ   أو كنتَ سَيْفًا كنتَ غيرَ عَضْبِ(٣)
أو كنتَ لحمًا كنتَ لحمَ كَلْبِ   أو كُنْتَ عَيْرًا كنتَ غيرَ نَدْبِ(٤)

فأما قولُ السُّلَيْكِ فإنه يرثى فرسَه ، وكان يقال له « النَّحَّامُ » فقال :

كأنَّ قوائمَ النَّحَّامِ لمَّا   تحمَّلَ صُحْبتى أُصُلاً مَحارُ
على قَرْماءَ عاليةٌ شَوَاهُ   كأنَّ بَياضَ غُرَّتِهِ خِمارُ(٥)

---

(١) « الرهج » بفتح الهاء وبسكونها : الغبار .
(٢) الزيادة من ج و س و د و هـ .
(٣) فى هـ « أو كنت سيفا لم تكن بعضب » .
(٤) « العير » الحمار . و « الندب » الخفيف السريع .
(٥) « قرماء » ضبطت فى طبعة أوربة بفتح الراء وسكونها ، وكتب فوقها « معا » .

وما يُدْرِيكَ ما فَقْرِى إليه إذا ما القَوْمُ وَلَّوْا أو أغارُوا

ويُحْضِرُ فوقَ جُهْدِ الحُضْرِ نَصًّا يَصيدُكَ قافلاً والمخُّ رَارُ

قوله « كأنَّ قوائمَ النَّحامِ مَحارٌ » « المحارةُ » الصَّدَفَةَ ، يريدُ المُلاسَةَ ، وأنه قد ارتفعتْ قوائمُه للموتِ . و « الأُصُلُ » جمع « أصيلٍ » و« الأصيلُ » العَشِيُّ ، يقال « أصيلٌ وأُصُلٌ » مثل « قَضيبٍ وقُضُبٍ » وجمع « أُصُلٍ » « آصالٌ » وهو جمعُ الجمعِ ، وتقديرُه « عُنُقٌ وأَعْناقٌ » و « طُنُبٌ وأطنابٌ » ويقال فى جمع « أصيلَةٍ » « أصائِلُ » مثلُ « خَليفةٍ وخَلائِفَ » . قال الأعشَى :

* ولا بأحْسَنَ منها إذْ دَنَا الأُصُلُ *

وقال أبو ذُؤَيْبٍ :

لَعَمْرِى لَأَنْتَ البيتُ أُكْرِمُ أهْلَهُ وأَقْعُدُ فى أفْيائِهِ بالأَصائِلِ

و « قَرْمَاءُ » ممدودةٌ اسمُ موضعٍ . و « شَوَاهُ » قوائمُه ، وقد فسرناه قبلَ هذا . وقوله « وَلَّوْا أو أغارُوا » إذا طَلَبُوا أو هَرَبُوا . وقوله « يَصيدُكَ » أى يَصيدُ لك ، يقال « صِدْتُكَ ظَبْيًا » . قال الله عزوجل : ﴿ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾[1] أى كَالُوا لهم أو وَزَنُوا لهم ، يقال « كِلْتُكَ » و « وَزَنْتُكَ » لأنه قد قال تعالى أوَّلاً : ﴿ إِذَا اكْتَالُوا على النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴾[2] .

فأما ماجاء فى الحديث من قول رســـول الله صلى الله عليه وسلم عند الهُبُوبِ : « اللهمَّ اجْعَلْها رِياحًا ولا تَجْعَلْها رِيحًا »[3] ـ : فان العربَ تقولُ :

(١) سورة المطففين (٣) .

(٢) سورة المطففين (٢) .

(٣) الحديث نقله فى مجمع الزوائد مطولا من حديث ابن عباس (ج ١٠ ص ١٣٥ ـ ١٣٦) وقال :

لا تَلْقَحُ السحابُ إلا من رِياحٍ . وتصديقُ ذلك قولُ الله عز وجل :
﴿ اللهُ الذى يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحابًا ﴾[1] وقول النبي صلى الله عليه وسلم:
« اذا هَبَّتْ بَحْرِيَّةً ثم تَذَاءبَتْ »[2] . قال الشاعرُ :

* تَسُحُّ إذا تَذَاءبَتِ الرِّيَاحُ *

يقول : إذا تَقابلتْ ، يقال « تَذَاءبَتِ » الرياحُ و « تَنَاوَحَتْ » أى تقابلتْ[3] ،
و « تَنَاوَحَ » الشجرُ : إذا قابلَ بعضُه بَعْضًا ، وإنما سميت النائحةُ « نائحةً »
لأنها تُقابِلُ صاحبتَها .

« رواه الطبرانى ، وفيه حسين بن قيس الملقب بحنش ، وهو متروك ، وقد وثقه حصين بن نمير ، وبقية رجاله رجال الصحيح » .

(١) سورة الروم (٤٨) : ونحوها : ﴿ وَاللهُ الَّذِى أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا ﴾ سورة فاطر (٩) .
وعبارة أبى العباس هنا قاصرة ، وأوضح منها عبارة ابن سيده فى المخصص (ج ٩ ص ٩١) قال : « فأما ماجاء فى الحديث من أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول إذا هبت ريح : اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً — : فلأن عامة ماجاء فى التنزيل على لفظة الرياح للسقيا والرحمة ، كقوله عزوجل: ﴿ وأرسلنا الرياح لواقح ﴾. وقوله: ﴿ ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات ﴾ و : ﴿ الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا ﴾ وما جاء بخلاف ذلك جاء على الإفراد ، كقوله عز وجل : ﴿ وفى عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم ﴾ وقوله : ﴿ وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية ﴾ . و : ﴿ بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم ﴾ . فجاءت فى هذه المواضع على لفظ الإفراد ، وفى خلافها على لفظ الجميع » .

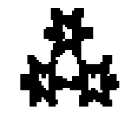
(٢) هذا اللفظ لم أجده . والذى فى النهاية مادة (غ د ق) : « إذا نشأت السحابة من العين فتلك عين غديقة . وفى رواية : إذا نشأت بحرية فتشاءمت فتلك عين غديقة . أى كثيرة الماء ، هكذا جاءت مصغرة ، وهو من تصغير التعظيم » . والغدق — بفتح الدال — المطر الكبار القطر . والحديث بالرواية الثانية التى فى النهاية ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد (ج ٢ ص ٢١٧) من حديث عائشة مرفوعا ، وقال : « رواه الطبرانى فى الأوسط ، وقال : تفرد به الواقدى . قلت: وفى الواقدى كلام ، وقد وثقه غير واحد ، وبقية رجاله لابأس بهم ، وقد وثقوا » . ومن هذا نعلم أنه حديث لا يقل عن درجة الحسن ، لأن الواقدى ثقة . وقوله « بحرية » أى جاء من جهة البحر . وقوله « تشاءمت » أى أخذت نحو الشأم .

(٣) فى اللسان : « تَذَأَّبَتِ الريحُ وتَذَاءبتْ : اختلفت ، وجاءت من هنا وهنا ... أبوعبيد :

فإذا خَلَصَتِ الريحُ عندهم دَبُورًا فهى من جنس البَوارِ ، وإذا خَلَصَتْ شَمالاً شَتْوِيَّةً فهى من آيات الجَدْبِ ، ومِن ثَمَّ تقولُ العربُ : فلان يُطْعِمُ فى الشَّمالِ ، كما تقولُ : يُطْعِمُ فى المَحْلِ .

قال أَوْسُ بن حَجَرٍ : « وعَزَّت الشَّمْأَلُ الرِّياحَ » أى غَلَبَتْها ، فكانت أقوى منها ، فلم تَدَعْ لها موضعاً . وقوله : ﴿وعَزَّنِى فِى الخِطَابِ﴾[١] أى غلبنى فى المُخاطبةِ والخصومةِ ، ومن أمثالِ العربِ : « مَن عَزَّ بَزَّ » وتأويلُه : مَن غَلَبَ سَلَبَ[٢] ، قالت الخَنْساءُ :

كَأَنْ لم يكونوا حِمًى يُتَّقَى إذِ الناسُ إذْ ذَاكَ مَنْ عَزَّ بَزَّا



قال أبو العباس : وحدثنى عمرُو بن بَحْرٍ الجاحظُ قال : رأيتُ رجلاً من غَنِيٍّ يُفاخِرُ رجلاً من بنى فَزَارَةَ ، ثُمَّ أَحَدَ بَنِي بَدْرِ بن عمرٍو ، وكان الغَنَوِيُّ متمكّناً من لسانه ، وكان الفَزارِيُّ بَكِيًّا[٣] ، قال[٤] الغنويُّ : ماؤُنا ما بينَ الرَّقَمِ إلى كذا ، وهم جيرانُنا فيه ، فنحن أقصرُ منهم رِشاءً ، وأعذبُ منهم ماءً ، لَنا رِيفُ السُّهُولِ ومعاقِلُ الجبال ، وأرضُهم سَبِخةٌ ،

المتَذَئِّبَةُ والمُتذائِبةُ ، بوزن متفعلة ومتفاعلة ، من الرياح : التى تجىء من ههنا مرة ومن ههنا مرة ، أخذ من فعل الذئب ، لأنه يأتى كذلك » .

(١) سورة ص (٢٣) .

(٢) فى ج و س و د « اسْتَلَبَ » .

(٣) فى د « بكيئاً » وهو جيد ، لأن أصل المادة من باب الهمزة ، وتركها إنما هو للتسهيل فقط . وانظر مادة (ب ك أ) فى اللسان .

(٤) فى ج و د « فقال » وبها طبعت فى نسخ مصر .

ومياهُهم أملاحٌ، وأرْشِيَتُهم طِوالٌ، والعربُ بِمَنْ[1] عَزَّ بَزَّ، فبعِزِّنا ماتخيَّرنا عليهم، وبِذُلِّهِمْ ما رَضُوا عنَّا[2] بالضَّيْمِ .

قوله « كان الفزاريُّ بَكِيًّا »[3] يقول : غيرَ قادرٍ على الكلامِ ، وأصلُ ذلك فى الحَلَبِ ، يقالُ : ناقةٌ غَزِيرةٌ وناقةٌ « بَكِيٌّ »[4]، وهى ضِدُّ الغزيرةِ ، أى قليلةُ اللبنِ ، و« دَهِينٌ » و« صِمْرِدٌ » فى معنًى ، يقالُ « بَكَأَتِ » الشاة والناقة، و « بَكُؤَتْ » قال الشاعرُ :

فإذا ما حَارَدَتْ أو بَكُؤَتْ فُضَّ عن خاتِمِ أُخرَى طِينُها[5]

وقال سَلاَمةُ بنُ جَنْدَلٍ [الطُّهَوِىُّ][6] :

يقولُ مَحْبِسُها أَدْنَى لِمرْتَعِها وإنْ تَدَاعَى بِبَكْءٍ كلُّ مَحْلُوبِ[7]

يقولُ : أن تَحْبِسَ الإبلَ على ضُرٍّ وتقالَّ عنها فهو أدْنَى بأن تَمِزَّ فَتَرْتَعَ فيما

---

(١) فى طبعات مصر « والعرب إذ ذاك بمن » ولا يوافق شيئا من النسخ ، فما هنا هو الأصل فى طبعة أوربة ، وفى ج و د « والعرب من » . وفى س « والعرب إذ ذاك من » ، وفى هـ « والعرب تقول من » .

(٢) فى ج و س و د و هـ « مارضوا منا » .

(٣) فى د « بكيئاً » .

(٤) فى ج « بكية» وفى د « بكىء » .

(٥) يصف الشاعر باطية له ، وقوله « حاردت أو بكؤت » قال المرصفى : « كلتاهما مستعار من حاردت الناقة وبكؤت : إذا قل لبنها ، لآنية الشراب ، يريد : فإذا مانفد شرابها أو قل فتحت آنية أخرى » .

(٦) الزيادة من س .

(٧) بحاشية ا « ولو تَمَادَى » بدل « وإن تداعى » وبجوارها « صح » . ونقل المرصفى أن « ولو تمادى » رواية ديوانه . وهذا البيت من قصيدة طويلة ، ذكرها المرصفى فى شرح الكامل (ج ١ ص ١١ — ٢٠) وهى أيضا فى المفضليات للضبى (ج ١ ص ٤٦ — ٤٨ طبعة التقدم سنة ١٣٢٤) .

تَسْتَقْبِلُ وإن ذهبتْ ألبانُها ، لأنَّا إنْ طرَدْناها[١] وهرَبْنا طَمِعَ فيناواستُذْلِلْنا، ويقالُ في الـكلامِ رجلٌ عَيٌّ بَكِيٌّ .

قال أبو العباس : وهذا الغنويُّ : إذا حاوَلَ[٢] بقبيلته آلَ بَدْرٍ فقد أعظمَ الفِرْيةَ ، وبلغ في البَهْتِ ، وأشمتَ العَدُوَّ بجُمْهُور قَيْسٍ ، وصارَبهم إلى ماقال الأَخْطلُ[٣] :

وقد سَرَّنِي من قَيْسِ عَيْلانَ أنَّنِي ... رأيتُ بني العَجْلانِ سادُوا بني بَدْرِ

٭

وكان زِيادٌ يقولُ ـ وهو الغايةُ في السياسة ـ : أوصيكم بثلاثةٍ : بالعالِمِ[٤] والشريفِ والشَّيْخِ[٥] ، فواللهِ لا أُوتَى بوَضيعٍ سَبَّ شريفاً أو شابٍّ وَثَبَ بشيخٍ أو جاهلٍ امتَحَنَ[٦] عالمًا ـ : إلاَّ عاقبتُ وبالَغْتُ .

وقال عُمارةُ[٧] لبَنِي أَسَدِ بن خُزَيْمةَ :

يأيُّها السَّائِلي عَمْدًا لأُخْبِرَهُ ... بذاتِ نفسي وأيْدِي اللهِ فوقَ يَدِي

إنْ تَستقِمْ أَسَدٌ تَرْشُدْ وَإن شَغَبَتْ ... فلا يَلُمْ لائمٌ إلاَّ بَنِي أَسَدِ[٨]

(١) في ج و د و هـ « أطْرَدْناها » . وكلاهما صحيح ، يقال « طردت الإبل » أى ضممتها من نواحيها ، و « أطردتها » أمرت بطردها .
(٢) في ج و س و د و هـ « إذا قابَلَ » .
(٣) في ج و س و د و هـ « إلى قول الأخطل » .
(٤) في د و س و هـ « العالم » .
(٥) في ج و س و د و هـ « والشيخ والشريف » .
(٦) في س « امتهن » وبها طبعت نسخ مصر . وأصل « المَحْنِ » الضرب بالسوط ، ثم استعمل في الابتلاء والاختبار، فقوله هنا « امتحن » أبلغ من قوله « امتهن » لأنه يؤدى معناه وزيادة .
(٧) هو عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير ، قاله المرصفى .
(٨) « رشد » من بابي « نصر » و « فرح » . وفي د بدل « شغبت » « غَوِيَتْ » وفي هـ « شَقِيَتْ » .

إنى رأيتكم يُعْصَى كبيرُكُمُ وتكنعونَ إلى ذى الفَجْرَةِ النَّكِدِ[1]

فباعدَ اللهُ كلَّ البُعْدِ دارَكُمُ ولا شفاكم من الأَضْغانِ والحسدِ

فرأى عصيانَهم الكبيرَ من أقبح العيبِ، وأدلِّهِ على ضِغْنِ بعضِهم لبعضٍ، وحَسَدِ[2] بعضِهم بعضًا، والوضيعُ يَنْقَلِبُ إلى الشريفِ، لأنه يَرَى مُقاولتَه فَخْرًا، والاجتراء عليه رِبحًا، كما أن مُقاولةَ الشريفِ لِلَّئيمِ ذُلٌّ وضَعَةٌ .

قال الشاعرُ :

إذا أنتَ قاوَلْتَ اللَّئيمَ فإنما يكونُ عليك العَتْبُ حين تُقاوِلُهْ[3]

واستَ كُنْ يَرْضَى بما غَيْرُهُ الرِّضَا ويَمسحُ رأسَ الذِّئبِ والذِّئبُ آكِلُهْ

وسَنُشْبِعُ هذا المعنى إن شاء الله .

وفى هذا الشعر بيتٌ يُقَدَّمُ فى بابِ الفَتْكِ، وهو :

فلا تَقْرَبَنْ أمْرَ الصَّرِيمةِ بامْرِئٍ إذا رام أمْرًا عَوَّقَتْهُ عَواذِلُهْ[4]

[وقل للفؤادِ إنْ تَرَى بك نَزْوَةً من الرَّوْعِ أفْرِخْ أكْثَرُ الرَّوعِ باطِلُهْ][5]

« الصَّرِيمةُ » العَزِيمةُ .

---

(١) فى هـ « إلى ذى العَجْزِ والنَّكَدِ » : وقوله «تكنعون» أى تخضعون . و «الفجرة» بفتح الفاء وسكون الجيم : اسم لكل قبيح ، من الفجور . و « النكد » بكسر الكاف : اللئيم ، من « النكد » بفتحها ، وهو اللؤم .

(٢) ضبطت الكلمة فى طبعة أوربة « حَسْدِ » بسكون السين ، ونقل بحاشيتها عن النسخة ا ضبطها بالفتح . ولم أجد مايدل على أن هذا المصدر بالسكون ، بل كلمتهم قولا واحداً على الفتح .

(٣) ف ج و س و د وحاشية ا « يكون عليك الفضلُ »

(٤) « تقربن » بالباء ، من « القرب » وضبطه الشيخ المرصفى « تَقْرِنَنْ » ولم يذكر من أين أتى به ، إذ هو مخالف لجميع النسخ .

(٥) الزيادة من هـ .

وقد امتنَعَ قومٌ من الجوابِ تَنَبُّلاً ، ومواضعُهم تُنْبِئُ عن ذلك ، وامتنعَ قومٌ عِيًّا بلا اعتلالٍ ، وامتنع قومٌ عَجَزُوا[١] واعتلُّوا بكراهة السَّفَهِ ، وبعضُهمْ مُعْتَلٌّ برفعةِ نفسِه[٢] عن خصمِه ، وبعضُهم كان يَسُبُّهُ الرجلُ الرَّكيكُ من العَشيرة فيُعْرِضُ [عنه][٣] ويَسُبُّ سيدَ قومه ، وكانت الجاهليةُ ربما فعلته في الذُّحُولِ[٤] ، قال الراجزُ :

إن بَجِيلاً كُلَّمَا هَجانِي ... مِلْتُ على الأَغْطَشِ أو أَبَانِ
أو طَلْحَةِ الخَيْرِ فَتَى الفِتْيَانِ ... أُولاكَ قومٌ شَأْنُهُمْ كَشَانِي
ما نِلْتُ من أعراضِهِم كَفانِي ... وإن سَكَتُّ عَرَفوا إحْسانِي

وقال أحدُ المُحْدَثِينَ :

إنِّي إذا هَرَّ كَلْبُ الحَيِّ قلتُ له ... اِسْلَمْ ورَبُّكَ مَخْنُوقٌ على الجِرَرِ

قوله « اِسْلَمْ » فاستأنَفَ بألف الوصل ، لأن النصفَ الأول موقوفٌ عليه . قال الشاعرُ :

ولا يُبادِرُ في الشِّتاء ولِيدَها ... اَلقِدْرَ يُنْزِلُها بغير جِعَالِ[٥]

« الجِعَالُ » الذي يُوضَعُ فيه البُرْمةُ[٦] ، وربما « تُوُقِّيَتْ به حرارتُها » . قال الراجزُ :

---

(١) في ج و د و هـ « عجزاً » .

(٢) في ج و د « بِرَفْعِهِ نفسَه » .

(٣) الزيادة من ج و د و هـ .

(٤) جمع « ذحل » وهو الثأر .

(٥) في ج و س و هـ « وليدنا » ولعله أجود .

(٦) هذا غير صحيح . والصواب ما في ج و د «الذي تُنْزَل بِهِ البُرْمَةُ» وفي هـ «الجعال : الخرقة التي ينزل بها القدر والبرمة » وهذا صواب أيضا .

لا نَسَبَ اليومَ ولا خُلَّةٌ اتَّسَعَ الخَرْقُ على الراقِعِ

وهذا كثيرٌ غيرُ مَعيبٍ .

☼

وفى مثل اختيارِ النَّبيلِ لتتكافأَ الأَعْراضُ⁽¹⁾ قولُ الأخطلِ :

شَفَى النَّفسَ قَتْلَى من سُلَيْمٍ وعامرٍ ولم يَشْفِها قتلَى غَنِيٍّ ولا جَسْرِ

ولا جُشَمٍ شَرِّ القبائلِ إنها كبَيْضِ القَطا ليسوا بسُودٍ ولا حُمْرِ

ولَوْ بِبَنِي ذُبْيانَ بُلَّتْ رِمَاحُنا لَقَرَّتْ بهم عيني وباء بهم وِتْرِي

وقال رجلٌ من المُحْدَثِينَ ، وهو حَمْدانُ بن أبانَ اللَّاحِقِيُّ :

أَلَيْسَ من الكبائرِ أنَّ وغدًا لِآلِ مُعَذَّلٍ يهجو سَدُوسَا

هجا عِرْضًا لهم غَضًّا جَدِيدًا وأَهْدَف عِرْضَ والدِهِ اللَّبِيسَا⁽²⁾

وقال آخرُ :

اَللُّؤْمُ أَكْرَمُ من وَبْرٍ ووالدِهِ واللُّؤْمُ أَكرمُ من وَبْرٍ وما وَلَدَا

قَوْمٌ إذا جَرَّ جانٍ قومِهِمْ أَمِنُوا من لُؤْمِ أَحْسابِهِمْ أن يُقَتَّلُوا قَوَدَا

اَللُّؤْمُ داءٌ لِوَبْرٍ يُقْتَلُونَ به لا يُقْتَلونَ بداءٍ غيرِهِ أبدا⁽³⁾

وقال أحد المُحْدَثِينَ [هو دِعْبِلٌ] :

أما الهِجَاءُ فدَقَّ عِرْضُكَ دُونَه والمَدْحُ عنكَ كما عَلِمْتَ جَليلُ

---

(1) فى ع و س و د و هـ « لتكافُؤِ الأعراضِ » ورسمت فى ع « لتكافُؤ » .

(2) قال المرصفى : « يريد : جعله هدفاً يرمى . ولم أجد ذلك الفعل فى اللغة . واللبيس : مستعار من قولهم ثوب لبيس : إذا كثر لبسه فأخلق » .

(3) فى ع و د و هـ « واللؤم » .

فاذهبْ فأنتَ عَتيقُ عِرْضِكَ إنَّه ... عِرْضٌ عَزَزْتَ به وأنتَ ذَليلُ(١)

[وقال آخرُ :

نُبِّئْتُ كلبًا هاب رَمْيِي له ... يَنْبحُني من موضعٍ نائي

لَوْ كنتَ من شيءٍ هَجَوْناكَ أو ... لَوْ بِنْتَ للسَّامِع والرائي(٢)

فَعِدّ عن شتمي فإنّي امرُؤٌ ... حَلَّمني قِلَّةُ أكْفائي]

وقال آخرُ [هو دِعْبِلٌ] :

فلو أنّي بُليتُ بهاشميٍّ ... خُؤُولَتُهُ بنو عَبْدِ المَدانِ

صَبَرْتُ على عداوتِهِ ولكنْ ... تَعَالَيْ فانْظُرِي بمَن ابتلاني

---

(١) ف ج و س و د و هـ «طليق عرضك» .

(٢) هذه الأبيات من ا و هـ فقط . وقوله « بنت للسامع » كتب فى ا « ملب للشايع » ولم تنقط « ملب » وفى هـ « نبث للسامع » وقال مصحح طبعة أوربة لعل صحته « بِنْتَ للسامع » وطبعت فى نسخ مصر « للت للشائع » وقال الشيخ المرصفى : «هذا غلط من الناسخ صوابه : لو بنت للسامع والرائى . يريد : لو أحسّ بك الأعمى والبصير» . ولست أعرف مقدار ما فى هـذا من الثقة ، لأن العمدة فى مثله على الرواية ، والشيخ رحمه الله لم يذكر مصدر ما اختار .

انتهى الجزء الثانى

ويليـــه

الجزء الثالث

الكامل

في اللغة والأدب والنحو والتصريف

تأليف

الإمام أبي العباس المبرد

الكامل

في اللغة والأدب والنحو والتصريف

تأليف

الإمام أبي العبّاس المبرّد

بتحقيق

أبي الأشبال

أحمد محمد شاكر

القاضي الشرعي

الجزء الثالث

الطبعة الأولى

١٣٥٦ هـ / ١٩٣٧ م / ٧٢٦

مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

ووقف رجلٌ عليه مُقَطَّماتٌ على الأَحْنَفِ بن قيسٍ يَسُبُّه ، وكان عَمْرُو بن الأَهْتَمِ جعلَ له ألفَ درهمٍ على أن يُسَفِّهَ الأَحْنفَ ، فجعل لا يألُو أن يسبه سبًّا يُغْضِبُ[1] ، والأحنفُ مُطرِقٌ صامتٌ [لا يكلمه][2] ، فلما رآه لا يكلمه أقبلَ الرجلُ يعضُّ إبهامَيْهِ[3] . ويقولُ : ياسَوْأَتاهْ ! واللهِ ماعنعه من جوابى إلاّ هَوَانى عليه !

وفَعَلَ ذلك آخرُ ، فأمسكَ عنه الأحنفُ ، فأكثرَ الرجلُ ، إلى أن أراد الأحنفُ القيامَ للغَدَاء ، فأقبلَ على الرجل ، فقال له : ياهذا ! إن غَدَاءَنا قد حضَر ، فانهَضْ بنا إليه إن شِئْتَ ، فانك مُذُ اليومِ تحْدُو بجَمَلٍ ثَفَالٍ !!

و « الثَّفَالُ » من الإبل : البطىءُ الثقيلُ الذى لا يكادُ ينْبَعِثُ .

وعُدَّتْ على الأحنفِ سَقْطةٌ فى هذا الباب ، وهو أن عَمْرَو بن الأَهْتَمِ دَسَّ إليه رجلاً لِيُسَفِّهَهُ ، فقال له : أبا بَحْرٍ[4] ! ما كان أبوكَ فى قومِه ؟ قال :

---

(١) فى س « يغضبه » .

(٢) الزيادة من ج و س و د . وفى ه « ساكت » بدل « صامت » .

(٣) فى ج و س و د و ه « إبهامه » .

(٤) فى ج و س و د و ه « يأبا بحر » .

كان من أوسطهم ، لم يَسُدْهُمْ ولم يتخلَّفْ عنهم ، فرجع إليه ثانيةً ، فَفَطَنَ[1] الأحنفُ أنه من قِبَلِ عمرٍو ، فقال : ما كان مالُ أبيك ؟ فقال : كانت له صِرْمَةٌ يَمْنَحُ منها ويَقْرِي ، ولم يك أَهْتَمَ سَلاَّحًا[2] .

وجُعِلَ لرجلٍ ألفُ درهم على أن يَسْئَلَ عمرَو بن العاصِ عن أُمِّهِ ، ولم تكن في موضعٍ مَرْضِيٍّ [إنما كانت من عَنَزَةَ ، ثم من بنى جِلاّنَ][3] ، فأتاه الرجلُ [فوقفَ عليه][4] ، وهو بمصرَ أميرٌ[5] عليها ، فقال : أردتُ أن أعرفَ أمَّ الأمير ؟! فقال : نعم ، كانت [امرأةً][6] من عَنَزَةَ ، ثم من بني جِلاّنَ ، تُسَمَّى لَيْلَى ، وتُلَقَّبُ النابغةَ ، اذْهَبْ وخُذْ[7] مَا جُعِلَ لك ! !

وقال له مرةً المنذرُ بن الجارُودِ : أيُّ رجلٍ أنتَ لولا أُمُّكَ[8] ؟! قال : فإنى أَحْمَدُ اللهَ إليك ، إنى فكَّرْتُ فى هذا[9] البارحةَ ، فأقبلتُ أُتْقِلُها

(١) « فطن » من بابى « علم » و « نصر » .

(٢) قال المرصفى : « يعرض بأبى عمرو ، وهو سنان بن خالد بن منقر — بكسر فسكون — ولقب بالأهتم لأن ثنيته هتمت يوم الكلاب . والسلاّح : كثير السلح » . وسفطة الأحنف أنه أجاب التحدى فشتم الموعز للسائل .

(٣) الزيادة من ج و س و د و هـ .

(٤) الزيادة من هـ .

(٥) فى ج و س و د « أميراً » .

(٦) الزيادة من ج و س و د و هـ .

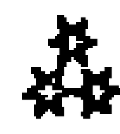
(٧) فى ج و د و هـ « فخذ » .

(٨) فى ج و د وحاشية ا « لولا أنَّ أُمَّكَ أُمُّكَ » . وفى س و هـ « لَوْلا أنَّ أُمَّكَ أَمَةٌ » .

(٩) فى ج و س و د و هـ « فيها » .

فى قبائلِ العربِ ، فما خَطَرَتْ لى عبدُ القيسِ على بالٍ[1] !!

ودخل عمرٌو مكةَ فرأى قوماً من قريشٍ قد جلسوا حَلْقةً ، فلما رأوه رَمَوْهُ بأبصارهم ، فَعَدَلَ إليهم فقال : أَحْسِبُكُمْ كنتم فى شىءٍ من ذكرى ؟ قالوا : أَجَلْ ، كنا نُمَيِّلُ[2] بينك وبين أخيك هشامٍ : أَيُّكما أفضلُ ؟ فقال عمرٌو : إن لهشامٍ علىَّ أربعةً : أُمُّهُ ابنةُ هشامِ بنِ المغيرةِ ، وأُمِّى مَنْ قد عَرَفتم ، وكان أحبَّ إلى أبيه منِّى ، وقد عرفتم معرفةَ الوالدِ بالولدِ ، وأسلمَ قبلى ، واسْتُشْهِدَ وبَقِيتُ .



[قال أبو العباس][3] : وقد أكثر الناسُ فى البابِ الذى ذكرناه ، وإنما نَذكرُ من الشىء وجوهَهُ ونوادرَه :

قال رجلٌ لرجلٍ من آل الزبيرِ كلامًا أقْذَعَ له فيه ، فأعرضَ الزبيرىُّ عنه ، ثم دار كلامٌ فسبَّ الزبيرىُّ علىَّ بن الحسين ، فأعرضَ عنه ، فقال له الرجلُ الزبيرىُّ : ما يمنعك من جوابى ؟ فقال [له][4] علىٌّ ما منعكَ من جوابِ الرجلِ !

وقد رُوِىَ قولُ القائلِ : لو قلتَ واحدةً لسمعتَ عشرًا ، فقال له : ولكنك لو قلتَ عشرًا ما سمعتَ واحدةً .

---

(١) فى ج و س و د « ببال » .
(٢) فى ج و س و د « نُمَثِّلُ » .
(٣) الزيادة من ج و س . ولم يذكر فيهما قوله « وقد » .
(٤) الزيادة من س و هـ .

قال الشاعرُ :

ولقد أمُرُّ على اللئيم يَسُبُّنى فأجوزُ ثم أقولُ لا يَعْنِينِى[1]

وقال رجلٌ لرجلٍ وسبَّه فلم يلتفتْ إليه ـ : إياكَ أعنِى ، فقال له الرجلُ : وعنكَ أُعْرِضُ .

فأما قولُ الشَّعْبِيِّ للرجلِ ما قال فمِنْ غَيْرِ هذا البابِ ، وإنما مَخْرَجُه الدِّيانةُ ، وذاكَ أن رجلاً سبَّ الشعبيَّ بأمورٍ قبيحةٍ نسبه إليها ، فقال [له][2] الشعبيُّ : إن كنتَ كاذبًا فغفر اللهُ لك ، وإن كنتَ صادقًا فغفر اللهُ لى .

وقال أبو العباس : قال رجلٌ لأبى بكرٍ الصديقِ رحمه الله : لَأَسُبَّنَّكَ سَبًّا يدخلُ معك قبرَكَ ! فقال: معكَ واللهِ يدخلُ لا مَعِى .

[ويُحَدِّثُ ابنُ عائشةَ عن أبيه : أن رجلاً من أهل الشأْم دخلَ المدينةَ ، فقال : رأيتُ رجلاً على بغلةٍ لم أرَ أحسنَ وجهاً ولا أحسنَ لِباسًا ولا أفْرَهَ مَرْكبًا منه[3] ، فسألتُ عنه ؟ فقيلَ لى : الحسنُ بن على بن أبى طالبٍ ، فامتلأتُ له بُغْضًا ، فَصِرْتُ إليه ، فقلتُ : أنت ابنُ أبى طالبٍ ، فقال : أنا ابنُ ابنِه ، فقلتُ له : فيك وبك وبأبيك ، أَسُبُّهما ، فقال : أَحْسِبُكَ غريباً ، قلتُ : أَجَلْ ، فقال : إن لنا منزلاً واسعاً ومَعونَةً على الحاجة ومالاً نُوَاسِى

(١) فى س « ثُمَّتَ قلتُ لا يعنينى » .

(٢) الزيادة من ج و س و د .

(٣) أى لاأنشط منه ، والفراهة الحدة والنشاط فى البغل أو الحمار ، ولا يوصف بها الفرس ، إنما يقال له جواد .

منه ! فانطلقتُ وما أَجِدُ على وجهِ الأرضِ أحبَّ إلىَّ منه] .

[قال أبو العباس][1] : ويتصل بهذا الباب ذِكْرُ مَنْ رَغِبَ برجلٍ عن إرْثِ رجلٍ لا يُشَاكله ، ولايةِ رجلٍ لا يشابهُه ، قال الشاعرُ :

بكتْ دارُ بِشْرٍ شَجْوَها أنْ تَبَدَّلَتْ   هلالَ بن قَعْقَاعٍ بِبِشْرِ بن غالبِ
وما هِيَ إلاّ كالعروسِ تَنَقَّلَتْ   على رَغمها من هاشمٍ فى مُحَارِبِ[2]

وقال الفرزدقُ حين وَلِىَ العِراقَ عُمَرُ بن هُبَيْرَةَ الفزارىُّ بِعَقِب مَسْلَمَةَ بن عبد المَلِكِ :

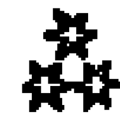
راحتْ بمَسْلَمَةَ البغالُ عَشِيَّة   فارْعَىْ فزارةُ لا هَنَاكِ المَرْتَعُ
ولقد علمتُ إذا فزارةُ أُمِّرَتْ   أنْ سوفَ يَطْمَعُ فى الإمارةِ أَشْجَعُ[3]
فأَرى الأمورَ تَنَكَّرَتْ أعلامُها   حتى أُمَيَّةُ عن فزارةَ تُنْزَعُ[4]
عُزِلَ ابنُ بِشْرٍ وابنُ عمرٍو قبلَه   وأخو هَراةَ لمثلها يَتَوَقَّعُ[5]

فلما وَلِىَ خالدُ بن عبد الله القَسْرِىُّ على عُمَرَ بن هُبَيْرَةَ قال رجلٌ من بنى أسدٍ[6] يُجيب الفرزدقَ :

---

(١) الزيادة من ج و س .
(٢) « محارب » قبيلة فيها ضعة كباهلة . فهو يضرب المثل بالعروس التى تنزل بعد زواجها من هاشمى إلى محاربىّ .
(٣) فى ج و د و هـ « أن سوف تطمع » .
(٤) فى س بدل « تُنْزعُ » « تُشرِعُ » وفى هـ « تَفْزَعُ » .
(٥) أخو هراة : قال المرصفى : « هو سعيد بن الحرث بن الحكم بن العاص ، وكان عاملا على خراسان من قبل مسلمة بن عبد الملك » .
(٦) قال المرصفى : « هو إسمعيل بن عمار الأسدى » .

عَجِبَ الفرزدقُ مِن فَزارةَ أَنْ رَأَى ... عنها أُمَيَّةُ بالمَشارقِ تُنْزَعُ(١)
فَلَقَدْ رَأَى عَجَبًا وأُحْدِثَ بعدَه ... أمرٌ تَضِجُّ له القلوبُ وتَفْزَعُ(٢)
بَكَتِ المنابرُ من فَزارةَ شَجْوَها ... فاليومَ مِن قَسْرٍ تَذُوبُ وتَجْزَعُ
وملوكُ خِنْدِفَ ذَلَّلَتْنَا للعِدَى ... للهِ دَرُّ ملوكِنا ما تَصْنَعُ(٣)
كانوا كتارِكةٍ بَنِيها جانبًا ... سَفَهًا وغيرَهُمُ تَصُونُ وتُرْضِعُ



قال أبو العباس: وكان الفرزدقُ هَجَّاءً لعمرَ بن هُبيرةَ عند ولايته العراقَ، وفى ذلك يقول ليزيدَ بن عبد الملك [بن مروانَ](٤) :

أميرَ المؤمنينَ وأنتَ بَرٌّ ... أمينٌ لستَ بالطَّبِعِ الحَرِيصِ
أأَطْمَعْتَ العراقَ ورافِدَيْهِ ... فَزارِيًّا أَحَذَّ يَدِ القَمِيصِ(٥)
تَفَهَّقَ بالعِراقِ أبو المُثَنَّى ... وعَلَّمَ قومَهُ أَكْلَ الخَبِيصِ(٦)
ولم يَكُ قبلَها راعِي مَخاضٍ ... ليأْمَنَهُ على وَرِكَيْ قَلُوصِ

---

(١) فى ج و د «إِذْ رَأَى» وفى س و هـ «إِذْ نَأَى».

(٢) فى هـ «وتُصْدَعُ».

(٣) فى ج و س و د و هـ «أسلمونا للعدى» وبها طبعت نسخ مصر.

(٤) الزيادة من ف.

(٥) فى ج «أَأَطْعَمْتَ» وبها طبعت نسخ مصر. وفى د «أَوَلَّيْتَ».

(٦) فى هـ «تَفَيْهَقَ».

قوله « لستَ بالطَّبِـع الحريصِ » فـ«الطَّبِـعُ » الشديدُ الطَّمَعِ الذى لا يَفهمُ لشدةِ طمعِه[1] ، وإنما أُخِذَ هذا من « طَبَعِ السيفِ » يقال « طَبِـعَ السيفُ » يافتى ! و « هو سيفٌ طَبِـعٌ » إذا ركبه الصَّدَأُ حتى يُغطِّىَ عليه . والمَثَلُ من هذا فى الذى طُبِـعَ على قلبه إنما هو تغطيةٌ وحجابٌ ، يقال « طَبَعَ اللهُ على قلب فلانٍ » كما قال جلَّ وعزَّ : ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ﴾ هذا الوقفُ ، ثم قال : ﴿ وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ ﴾[2] وكذلك « رِينَ عَلَى قلبه » و « غِينَ على قلبه » فـ«الرَّيْنُ » يكونُ من أشياء تألَّفُ عليه فتغطيه ! قال الله جل وعزَّ : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[3] وأما « غِينَ على قلبه » فهى غِشاوةٌ تعتَرِيه ، و « الغَيْنةُ » القطعةُ من الشجر الملتفِّ تُغطِّى ما تحتَها ، قال الشاعر :

كأنِّى بَيْنَ خافِيَتَىْ عُقَابٍ ... أصابَ حَمامةً فى يومِ غَيْنِ

وقال بعضُهم : أرادَ فى التفافٍ من الظُّلْمةِ ، وقال آخرونَ : أراد فى يومِ غيمٍ ، فأبدل من الميم نوناً ، لاجتماعِ الميم والنون فى الغُنَّةِ ، كما يقالُ للحيَّةِ « أيْمٌ »

---

(١) فى ج و هـ « طَبَعِهِ » وهو أجود .

(٢) سورة البقرة (٧) . وقد اشتبهت الآيات على أبى العباس ، فإن فى جميع نسخ الكامل « طبع » بدل « ختم » وهو مخالف للتلاوة . وهناك آيات أخرى فيها ﴿طبع الله على قلوبهم﴾ ولكنها ليست هـذه الآية ، منها : فى سورة التوبة (٩٣) وسورة النحل (١٠٨) وسورة محمد (١٦) وهى أجزاء من الآيات . وأما مسألة الوقف فما قال فيها أبوالعباس جيد . وانظر منار الهدى (ص ٢٣ من طبعة بولاق) .

(٣) سورة المطففين (١٤) .

و « أَيْنٌ » .واستجازت الشعراءُ أن تَجْمعَ الميمَ والنونَ فى القوافِى،لما ذكرتُ لك من اجتماعهما فى الغُنَّةِ ، قال الراجزُ :

بُنَيَّ إن البِرَّ شئٌ هَيِّنْ أَلْمَنْطِقُ اللَّيِّنُ والطُّعَيِّمْ[1]

وقال آخرُ :

ما تَنْقِمُ الحربُ العَوَانُ مِنِّى بازِلُ عامَيْنِ حديثٌ سِنِّى[2]

* لِمِثْلِ هذا وَلَدَتْنِى أُمِّى *

و « العِرَاقَانِ » البصرةُ والكوفةُ . و « الرَّافِدَانِ » دِجْلَةُ والفُرَاتُ . وقوله « أَحَذُّ يَدِ القميصِ » « الأَحَذُّ » الخفيفُ ، قال طَرَفَةُ .

* وَأَتْلَعُ نَهَّاضٌ أَحَذُّ مُلَمْلَمُ *

وإنمـا نَسَبه بالخفَّة فى يدِه إلى السَّرَقِ[3] .

وقوله «تَفَهَّقَ»[4] أى امتَلأَ ماءً[5]، يقال بئر «تَفْهَقُ» وغَديرٌ «يَفْهَقُ» إذا امتلأ ماءً ، قال الراجزُ :

لا ذَنْبَ لِى قد قلتُ للقومِ استَقُوا والقَوْمُ فى عُرْضِ غَدِيرٍ يَفْهَقُ

---

(١) وفى هذا المعنى ، وإن لم يكن شاهداً، قول ابن عمر : «البر شىء هين ، وجه طليق وكلام لين» .

(٢) قال المرصفى : « البازل من الإبل ما استكمل السنة الثامنة وطعن فى التاسعة ، فاذا جاوز البزول قيل بازل عام وعامين ، وكذلك ما زاد ، فاذا قيل ذلك للرجل فانما يراد استكمال شبابه واستجماع قوته وكماله فى عقله وتجربته ، ولا يراد أنه مسنّ كالبازل ، ألا ترى قول الراجز : حديث سنى ! وحديث السن لايكون بازلا » .

(٣) فى ج و س و د « السرقة » .

(٤) فى هـ « تَفَيْهَقَ » وهى بمعنى « تفهق » .

(٥) فى ج و س و د و هـ « امتلأ مالا » ولعله أجود.

وقال الأعشَى فى مدحِه المحلَّقَ بن حَنْتَمٍ أحدَ بنى أبى بكرِ بن كِلاَبٍ .

فَفِى الذَّمِّ عن رَهْطِ المُحلَّقِ جَفْنَةٌ   كجابِيَةِ الشيخِ العِرَاقِى تَفْهَقُ

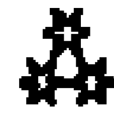
هكذا روايةُ أبى عُبيدةَ .

وقوله :

« ولم يَكُ قَبْلَها راعِى مَخاضٍ   لِيأْمَنَهُ على وَرِكَىْ قَلوصٍ »

كانت بنو فَزارَةَ تُرْمَى بغِشْيانِ الإبلِ ، ولذلك قال ابنُ دَارَةَ :

لا تَأمَنَنَّ فَزَارِيًّا خَلَوْتَ به   على قَلُوصِكَ واكْتُبْها بأَسْيارِ



فلما عُزِلَ ابنُ هُبَيْرَةَ وحبسَه خالدُ [بن عبد الله(١)] القَسْرِىُّ .

قال الفرزدقُ :

لعمرى لئن نابتْ فَزَارَةَ نَوْبَةٌ   لِمَنْ حَدَثِ الأيامِ تَحْسِبُها قَسْرُ

لقدحَبَسَ القَسرِىُّ فى سجنِ واسِطٍ   فَتًى شَيْظَمِيًّا ما يُنَهْنِهُهُ الزَّجْرُ

فَتًى لم تُرَبِّهُ النصارَى ولم يكنْ   غِذَاءٌ له لحمُ الخنازيرِ والخَمْرُ(٢)

« الشَّيْظَمِىُّ » الطويلُ(٣) ، قال ذو الرُّمَّةِ :

---

(١) الزيادة من ج و س و د .

(٢) فى ج و س و د وحاشية ا « لم تُرَبِّهِ » ، ويكون شاهدا لإثبات حرف العلة مع الجازم فى الفعل المعتل .

(٣) فى ج و س و د « قوله « فتى شَيْظَمِيًّا الشَّيْظَمُ الطويلُ » .

إذا ما رَمَيْنا رَمْيَةً فى مَفازَةٍ عَرَاقِيبَها بالشَّيْظَمِيِّ المُواشِكِ(١)

يريدُ : حاديًا يَسُوقُها .

وقوله « ما يُنَهْنِهُهُ الزَّجْرُ » : ما يُحَرِّكه .

وقولُه « فتًى لم تُرَبِّبْهُ(٢) النصارَى » يُنَبِّهُ به على أُمِّ خالدٍ ، وكانت نصرانيةً روميّةً ، وكان أبوه استَلَبها فى يوم عيدٍ للرُّومِ ، فأولدَها خالدًا وأسَدًا ، ولذلك يقولُ الفرزدقُ :

ألاَ قطَعَ الرحمنُ ظهرَ مَطيَّةٍ أتتْنا تَهادَى من دِمَشْقَ بخالدِ

وكيفَ يَؤُمُّ الناسَ مَن كانَتْ أُمُّهُ تَدِينُ بأنَّ اللهَ ليس بواحِدِ(٣)

بَنَى بِيعَةً فيها النَّصارَى لِأُمِّهِ ويَهْدِمُ من كُفْرٍ مَنارَ المساجدِ

وقال :

عليكَ أميرَ المؤمنين بخالدٍ وأصحابِهِ لاطَهَّرَ اللهُ خالدَا

بَنَى بِيعةً فيها الصَّليبُ لأُمِّهِ ويَهْدِمُ من بُغْضِ الصلاةِ المساجدَا

وكان سببُ هَدْمِ خالدٍ مَنارَ المساجدِ ، حتى حَطَّها عن دُورِ الناسِ — : أنه بلغه شعرٌ لرجلٍ من الموالِى ، موالِى الأنصارِ ، وهو :

ليتنى فى المُؤَذِّنِينَ حَيَاتِى إنهم يُبْصِرونَ مَنْ فى السُّطوحِ

(١) « المواشك » : المستعجل .

(٢) فى ج و س و د وحاشية ا « لم تُرَبِّهِ » .

(٣) « يؤم » رسمت هكذا فى ج و س و د و ه . ورسمت فى باقى الأصول المخطوطة « يَأُمُّ » .

فَيُشِيرونَ أو تُشِيرُ إليهم بالهوَى كلُّ ذاتِ دَلٍّ مَلِيحِ

فخطَّها عن دُورِ الناسِ .

ويُرْوَى عنه فيما رُوِىَ من عُتُوِّهِ : أنه اسْتُغْفِىَ من بِيعَةٍ بناها لأمِّهِ ، فقال لملأٍ مِنَ المسلمين : قَبَحَ اللهُ دينَهم إن كان شَرًّا من دينكم .

وقال الفرزدقُ لابنِ هُبَيْرَةَ حيثُ[1] نُقِبَ له السجنُ وهربَ وسارَ[2] تحت الأرض هو وابنُه حتى نَفَذَا :

لَمَّا رأيتَ الأرضَ قد سُدَّ ظهرُها ولم يَبْقَ إلا بطنُها لكَ مَخْرَجَا[3]

دَعَوْتَ الذى ناداه يونُسُ بعدَ ما ثَوَى فى ثلاثِ مُظْلِماتٍ فَفَرَّجَا

فأصبحتَ تحتَ الأرضِ قد سِرْتَ سِيرةً وما سارَ سارٍ مثلَها حيثُ أَدْلَجَا[4]

خرجتَ ولم يَمْنُنْ عليكَ طَلاقَةً سوى رَبَذِ التَّقْرِيبِ مِن آلِ أَعْوَجَا[5]

فقال ابنُ هُبَيرةَ : ما رأيتُ أشرفَ من الفرزدقِ ، هجانِى أميراً ، ومدحَنِى أسيراً .

قولُه « حيثُ أَدْلَجَا » تقولُ « أَدْلَجْتُ » إذا سرتَ من[6] أولِ الليلِ ،

---

(١) فى ج و س و د و هـ « حين » .
(٢) فى ج و د و هـ « فسار » .
(٣) فى س « قد ضاق ظهرها » .
(٤) فى ج و د و هـ « حين أدلجا » .
(٥) فى ج و د « من نسل أعوجا » . وقوله « سوى رَبذ التقريب » قال المرصفى : « يريد : سوى فرس خفيف القوائم ، وأراد بالتقريب عَدْوَ الثعلبية : يرجم الأرض بيديه » .
(٦) فى ج و س و د « فى » .

و« أُدْلَجْتُ » إذا سرتَ من آخرِه فى السَّحَرِ ، قال زُهَيْرٌ:

بَكَرْنَ بُكورًا وادَّلَجْنَ بسُحْرَةٍ ... فَهُنَّ لِوَادِى الرَّسِّ كاليَدِ لِلفَمِ

و« أعْوَجُ » فرسٌ كان لغَنِيٍّ ، وقالوا : كان لبنى كِلاَبٍ ، ولا يُنْكَرُ هذا ، لأن حَبيبةَ[1] بنتَ رِيَاحٍ الغَنَوِيَّةَ ولدَتْ بنى جعفرِ بن كلابٍ ، فلعله أن يكونَ صارَ إلى بنى جعفرِ بن كلابٍ من غَنِيٍّ .

والعربُ تَنْسُبُ الخَيلَ الجِيادَ إلى « أَعْوَجَ » وإلى «الوَجيهِ» و« لاَحِقٍ » و« الغُرابِ » و « اليَحْمومِ » وما أشبهَ هذه الخيلَ من المتقدماتِ ، قال زَيْدُ الخَيْلِ [الطَّائِىُّ[2]]:

جَلَبْنَا الخيلَ مِن أَجَإٍ وسَلْمَى ... تَخُبُّ نَزَائِعًا خَبَبَ الذِّئابِ[3]

جَلَبْنَا كلَّ طِرْفٍ أعْوَجِيٍّ ... وسَلْهَبَةٍ كخَافِيَةِ العُقابِ[4]

⁂

ثم نرجعُ إلى التشبيه المصيبِ . قال امرؤُ القيسِ فى طولِ الليل :

كأنَّ الثُّرَيَّا عُلِّقَتْ فى مَصَامِها ... بأمْرَاسِ كَتَّانٍ إلى صُمِّ جَنْدَلِ

فهذا فى ثَبات الليل وإقامته . و« المَصَامُ » المَقَامُ ، وقيل للممسك عن الطعامِ « صائم » لثباتِهِ على ذلك ، ويقال « صامَ النهارُ » إذا قامت الشمسُ ، قال امرؤُ القيس :

(١) فى ج و د « خُبَيْبَةَ » .

(٢) الزيادة من هـ .

(٣) « نزائعاً » جمع « نزيعة » وهى التى تنزع إلى وطنها وتحن إليه .

(٤) قال المرصفى : « سلهبة وسلهب : كلاهما الفرس الذكر ، وهو الطويل على وجه الأرض » .

فَدَعْها وسَلِّ الهَمَّ عنك بِجَسْرَةٍ ذَمُولٍ إذا صامَ النهارُ وهَجَّرَا

وقال النابغةُ :

خَيْلٌ صِيامٌ وخَيْلٌ غيرُ صائمةٍ تحتَ العَجاجِ وخيلٌ تَعْلُكُ اللُّجُمَا(١)

و « الأمراسُ » جمعُ « مَرَسٍ » وهو الحبلُ ، قال أبو زُبَيْدٍ يرثى غلامَه وتَعَرُّضَ للحربِ فقُتِلَ(٢) :

إمَّا تَعَلَّقْ بِكَ الرِّماحُ فلا أبكيكَ إلاَّ لِلدَّلْوِ والمَرَسِ(٣)

وقال فى ثَباتِ الليلِ :

فيالَكَ من ليـلٍ كأنَّ نُجومَهُ بكُلِّ مُغارِ الفَتْلِ شُدَّتْ بِيَذْبُلِ

« المُغَارُ » الشديدُ الفَتْلِ ، يقالُ « أَغَرْتُ الحبلَ » إذا شددتَ فَتْلَه . و « يَذْبُلُ » جبلٌ بعينه .

وقال أيضاً :

كأنَّ أبانًا فى أفانِينِ وَدْقِهِ كبيرُ أُناسٍ فى بِجَادٍ مُزَمَّلِ

« أبانٌ » جبلٌ وهما أبانانِ : أبانُ الأسْوَدِ ، وأبانُ الأبيضِ . قال مُهَلْهِلٌ(٤) ، وكان نزَلَ فى آخرِ حربِهم — حربِ البَسوسِ — فى جَنْبِ بنِ عمرِو بنِ عُلَةَ بنِ جَلْدِ بنِ مالكٍ ، وهو مَذْحِجٌ ، و « جَنْبٌ » حَىٌّ من أحيائِهم وَضيعٌ ، فَخُطِبَتِ ابنتُه ومُهِرَتْ أُدَمًا ، فلم يقدر على الامتناعِ ، فزوَّجها ، وقال :

---

(١) فى ه « وأخرى تعلك » .

(٢) فى ج و س و د « يرثى غلامه ويذكر تعرضه للحرب » .

(٣) فى ج و س و د « إمَّا تقَارِنْ بك الرماحُ » .

(٤) فى ج و س و د و ه « المهلهل » .

أنكحها فقدُها الأراقمَ في   جَنْبٍ وكان الحِباء من أدَمِ (١)
لو بأبانين جاء يخطبها   ضُرِّجَ ما أنفُ خاطبٍ بدَمِ (٢)

وقولُه « في أفانينِ وَدْقِهِ » يريد : ضُروبًا من ودقه ، و« الوَدْقُ » المطرُ ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ فَتَرَى الوَدْقَ يَخْرُجُ مِن خِلَالِهِ ﴾(٣) .

وقال عامر بن جُوَيْنٍ الطائيُّ :

فَلاَ مُزْنَةٌ وَدَقَتْ وَدْقَها   ولا أرضَ أبقَلَ إبقالَها

وقوله « كبيرُ أُناسٍ في بجادٍ مُزَمَّلِ » يريدُ : مُزَمَّلاً بثيابه ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ يأَيُّها المُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيلَ إلاَّ قليلاً ﴾(٤) ، وهو « المُتَزَمِّلُ » [بثيابه](٥) ، والتاء مدغمةٌ في الزاي . وإنما وَصَفَ امرؤُ القيسِ الغيثَ ، فقال قومٌ : أراد أنَّ المطر قد خَنَقَ الجبلَ فصار له كاللباس على الشيخِ المتزمِّلِ ، وقال آخرون : إنما أراد ما كَسَاهُ المطرُ من خُضرة النبتِ . وكلاهما حسَنٌ . وذَكَرَ الوَدْقَ لأنَّ تلك الخضرةَ من عمله .

---

(١) « الأراقم » هم : جُشَم ومالك والحرث ومعاوية وثعلبة وعمرو بنو بكر بن حُبَيب بن غَنْم بن تغلب ، قاله المرصفي ، وقال : « الحباء في الأصل : العطاء ، أراد به المهر ، يقول : إنهم لم يكونوا أرباب نعم فيمهروها الابل ، وجعلهم دباغين للأدم ، وهو الجلد » .

(٢) ضرج بالدم : أي لطخ ، و «ما» زائدة .

(٣) سورة النور (٨٣) وسورة الروم (٤٨) .

(٤) سورة المزمل (١ و ٢) وقوله في الآية « المزَّمِّل » كتب في ج و د « المزَمِّلُ » بتخفيف الزاي مع كسر الميم ، وهي قراءة مروية عن عكرمة ، كما في شواذ القراءات لابن خالويه (ص ١٦٣) والبحر لأبي حيان (ج ٨ ص ٣٦٠) وقالوا : « أي المزمل نفسه أو جسمه » وفي ا « المزَمَّل » بتخفيف الزاي وفتح الميم ، وهي قراءة مروية عن بعض السلف كما نقل أبو حيان ، وقال : « أي الذي لف » .

(٥) الزيادة من ج و س و د .

وقال الراجزُ يصفُ غيمًا :

أَقْبَلَ فى المُسْتَنِّ من رَبابِهِ   أَسْنِمَةُ الآبَالِ فى سَحابِهِ

أراد : أن ذلك السحابَ يُنْبِتُ ما تأكله الإبل ، فتصيرُ شَحومُها فى أسنمتها.

« والرَّبابُ » سحابٌ دُوَيْنَ المُعْظَم من السحاب . قال المازنىُّ[1] :

كأَنَّ الرَّبابَ دُوَينَ السَّحابِ   نَعامٌ يُعَلَّقُ بالأَرْجُلِ

وقوله جل وعزَّ : ﴿ إِنِّى أَرَانِى أَعْصِرُ خَمْرًا ﴾[2] أى أعصرُ عِنَبًا فيصيرُ إلى هذه الحالِ .

وقال زُهَيرٌ :

كأَنَّ فُتَاتَ العِهْنِ فى كل مَنزلٍ   نَزَلْنَ به حَبُّ الفَنَا لم يُحَطَّمِ

« الفَنَا » شجرٌ بعينه ، يُثْمِرُ ثمرًا أحمرَ ، ثم يتفرَّقُ[3] فى هيئة النَّبقِ الصِّغار . فهذا من أحسن التشبيه . وإنما وصفَ ما يسقُطُ من أنماطِهِنَّ إذا نَزَلْنَ . و « العِهْنُ » الصُّوفُ المُلَوَّنُ[4] ، فى قول أكثرِ أهل اللغة ، وأما الأصمعىُّ . فقال : كلُّ صوفٍ عِهنٌ . وكذلك قال أهلُ اللغة : الحَنْتَمُ الخَزَفُ الأخضرُ ، وقال الأصمعىُّ : كلُّ خزَفٍ حنتمٌ ، قال القُرَشىُّ[5] :

مَنْ مُبْلِغٌ الحَسْناءَ أنَّ حَلِيلَهَا   بِمَيْسَانَ يُسْقَى فى زُجاجٍ وحَنْتَمِ

(١) قال المرصفى : « هو كما ذكر الأصبهانى فى أغانيه : زهير بن عروة بن جلهمة ، الملقب بالسَّكْب ، شاعر جاهلى من أشراف بنى مازن وأشدائهم » .

(٢) سورة يوسف (٣٦) .

(٣) فى ع و س و د و ﻫ « ويفرق » .

(٤) فى ع « الصوف المُزْرَقُ » . ولم أجد مايؤيدها فى كتب اللغة .

(٥) قال المرصفى : «هو النعمان بن عدى بن نضلة ، من بنى عدى بن كعب بن لؤى بن غالب » .

وقال جريرٌ :

ما فى مَقامِ دِيارِ تَغْلِبَ مَسْجِدٌ وبها كنائِسُ حَنْتَمٍ ودِنَانِ

☘

[قال أبو العباس][(١)] : والتشبيهُ جارٍ كثيرٌ فى [الكلام ، أعنى][(٢)] كلامَ العربِ ، حتى لو قالَ قائلٌ : هو أكثر كلامِهِمْ — : لم يُبْعِدْ .

قال الله عز وجلَّ وله المَثَلُ الأَعْلَى : ﴿ الزُّجَاجَةُ كأنَّها كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ ﴾[(٣)] . وقال : ﴿ طَلْعُها كأنَّهُ رُؤُوسُ الشَّياطِينِ ﴾[(٤)] . وقد اعترضَ معترضٌ من الجَهلَةِ المُلْحِدِينَ ، فى هذه الآية ، فقال : إنما يُمَثَّلُ الغائبُ بالحاضِرِ ، ورؤوس الشياطين لم نَرَها ، فكيف يَقَعُ التمثيلُ بها ؟ ! وهؤلاء فى هذا القول كما قال الله جلَّ وعزَّ : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لم يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ ولَمَّا يَأْتِهِمْ تأويلُهُ ﴾[(٥)] . وهذه الآيةُ قد جاء تفسيرُها فى ضربين[(٦)] : أحدُهما : أنَّ شجراً يقال له « الأَسْتَنُ »[(٧)] منكَرُ الصورةِ يقالُ لثمره « رؤوس الشياطين » ، وهو الذى ذكره النابغةُ فى قوله :

تَحِيدُ مِن أَسْتَنٍ سُودٍ أسافِلُهُ [مَشْىَ الإِماءِ الغَوادِى تَحْمِلُ الحُزَمَا][(٨)]

---

(١) الزيادة من ج .
(٢) الزيادة من ج و س و د .
(٣) سورة النور (٣٥) .
(٤) سورة الصافات (٦٥) .
(٥) سورة يونس (٣٩) .
(٦) فى ج و س و د و هـ « على ضربين » .
(٧) «الأستن» بفتح الهمزة والتاء المثناة الفوقية بينهما سين مهملة وآخره نون . قال أبو حنيفة الدينورى : « الأستن ، على وزن أحمر : شجر يفشو فى منابته ويكثر ، وإذا نظر الناظر إليه من بعد شبهه بشخوص الناس » .
(٨) الزيادة من هـ وكذلك ذكر البيت كله فى اللسان ، فى مادة (س ت ن) .

وزَعم الأصمعىُّ أن هذا الشجرَ يسمى « الصَّوْمَ » . والقولُ الآخرُ ، وهو الذى يَسْبِقُ إلى القلب : أن الله جلَّ ذِكرُه شَنَّعَ صورةَ الشياطينِ فى قلوب العبادِ ، وكأَنَّ ذلك أبلغُ[1] من المعاينَةِ ، ثم مَثَّلَ هذه الشجرةَ بما تَنْفِرُ منه كلُّ نفسٍ .

[قال أبو العباس] : وحُدِّثْتُ فى إسنادٍ متصلٍ : أن أبا النَّجْمِ العِجْلِىَّ[2] أنشدَ هشامَ بن عبدِالملك[3] [أُرْجوزتَه اللّاميّةَ ، فلما قال][4] :

* والشمسُ قد صارتْ كعيْنِ الأَحْوَلِ *

لمّا ذهبَ به الرَّوِىُّ عن الفِكر فى عين هِشامٍ ، فأغضبَه ، فَأَمَرَ بطردِه ، [فطُرِدَ[5] ، فَأَمَّلَ أبو النجم رَجْعَتَهُ ، وكان يأوِى المساجدَ[6] ، فَأَرِقَ هشامٌ ليلةً[7] ، فقال لحاجبه : ابْغِنى رجلاً عَرَبيًّا فَصيحاً يحادثُنى ويُنْشِدُنى ، فَطَلَبَ له ما طَلَبَ ، فوَقَفَ على أَبى النَّجم ، فَأَتَى ، فلما دُخِلَ به إليه قال : أينَ تكونُ منذُ أقصيناكَ ؟ قال : بحيثُ أَلْقَتْنى رُسُلُكَ ، قال : فمَنْ كانَ أبا مَثْوَاكَ ؟ قال : رجلين ، كَلْبِيًّا وتَغْلِبِيًّا ، أتغَدَّى عندَ أحدهما ، وأتعشَّى عند

---

(١) فى ج و س و د و هـ « فكان ذلك أبلغ » .

(٢) أبو النجم اسمه « الفضل بن قدامة بن عبيد الله » وهو من رجاز الاسلام الفحول المقدمين ، وفى الطبقة الأولى منهم ، كما قال صاحب الأغانى ، وله ترجمة عنده (ج ٩ ص ٧٣ — ٧٨ ساسى) وفى طبقات الشعراء (ص ٣٨١ — ٣٨٦ أوربة) .

(٣) فى ج و س و د « أنشد هشاماً » .

(٤) الزيادة من هـ .

(٥) الزيادة من د و هـ . وفى ج و س « فأمر به فطرد » .

(٦) فى ج و س و د « فكان يأوى المسجد » .

(٧) فى ج و د « ذات ليلة » .

الآخرِ ، فقال له : مالكَ مِنَ الوَلَدِ ؟ قال : ابنتانِ ، قال : أَزَوَّجتَهما ؟ قال : زوَّجتُ إحداهما ، قال : فبِمَ أوصيتَها ؟ قال : قلتُ لها ليلةَ أهدَيتُها :

سُبِّي الحماةَ وابْهَتِي عليها ... وإنْ أبَتْ فازْدَلِفِي إليها

ثم اقرَعِي بالوَدِّ مِرْفقيها[1] ... وجَدِّدِي الحِلْفَ به عليها

* لاَ تُخْبِرِي الدهرَ بذاكَ ابنَيها *

قال : فأُوصيتَها بغيرِ هذا[2] ؟ قال : نَعم ، قلتُ :

أوصيْتُ مِن بَرَّةَ قلباً حُرَّا ... بالكَلْبِ خيراً والحماةِ شَرَّا

لاَ تسأَمِي نَهْكاً لها وضَرَّا[3] ... والحَيَّ عُمِّيهِمْ بِشَرٍّ طُرَّا

وإن كَسَوْكِ ذهباً ودُرَّا ... حتى يَرَوْا حُلْوَ الحياةِ مُرَّا

قال هشامٌ : ما هكذا أوصَى يعقوبُ ولدَه ، قال أبو النجم : ولا أنا كيعقوبَ ، ولا بنتي[4] كولَدِه ! ! قال : فما حالُ الأُخرى ؟ قال : [قد][5] دَرَجَتْ بين بيوتِ الحَيِّ ، ونفعتْنا[6] في الرسالةِ والحاجةِ ، قال : فما قلتَ فيها ؟ قال : قلتُ :

---

(١) «الود» بفتح الواو وتشديد الدال ، قال الجوهرى إنه «الوتد فى لغة أهل نجد ، كأنهم سكنوا التاء فأدغموها فى الدال» .

(٢) فى هـ « قال : فهل قلت لها شيئا آخر » .

(٣) فى هـ « لاتَسْأَمِنَّ نَهْياً لها وأمرًا » .

(٤) فى ج و د « ولا بَنِيَّ » .

(٥) الزيادة من س و د و هـ .

(٦) فى ج و س و د « وتَنْفَعُنَا » .

كأنَّ ظَلاَّمَةَ أختَ شَيْبانْ ... يَتيمـةٌ ووالِداها حَيَّانْ

الرأسُ قَملٌ كلُّه وصِئْبَانْ ... وليس في الرِّجْلَيْنِ إلاَّ خَيْطَانْ

* فَهْيَ التي يُذْعَرُ منها الشيطانْ *

قال : فقال هشامٌ لحاجبِه[1] : ما فعلتِ الدنانيرُ المختومةُ التي أمرتُك بقبضِها ؟ قال : ها هي عندي ، ووزنُها خمسُ مائةٍ ، قال : فادفعْها إلى أبي النجم ليجعلَها في رِجْل[2] ظَلاَّمةَ مكانَ الخيْطَيْنِ .

أفلا تَراهُ[3] قال : « فَهْيَ التي يُذْعَرُ منها الشيطانْ » وإن لم يَرَه ، لما قُرِّرَ في القلوب من نَكارَتِه وشَناعَتِه . وقال آخرُ :

وفي البَقْلِ إن لَمّ يَدْفعِ اللهُ شَرَّهُ ... شَياطينُ يَعْدُو بعضُهُنَّ على بعضِ[4]

وزعَمَ أهلُ اللغة أنَّ كلَّ متمرِّدٍ من جنٍّ أو إنسٍ [أو سَبُعٍ أو حيةٍ][5] يقال له « شيطانٌ » . وأن قولهم « تَشَيْطَنَ » إنما معناه : تَخَبَّثَ وتَنَكَّرَ ، وقد قال الله جل وعزَّ : ﴿ شَيَاطِينَ الإِنْسِ والجِنِّ ﴾[6] . قال الراجزُ :

أبْصَرْتُها تَلْتَهِمُ الثُّعْبانَا ... شيطانةً تَزَوَّجتْ شيطانَا

وقال امرؤُ القيسِ :

---

(١) في ج و س و د و هـ « فقال هشام : ياغلام » .

(٢) في ج و س و د « في رِجْلَيْ » .

(٣) قوله « أفلا تراه » الخ ، هذا من كلام أبي العباس المبرد ، استدلالا على ما اختار من التفسير في الآية .

(٤) في ج و س و د و هـ « يَنْزُو بعضُهنَّ » .

(٥) الزيادة من ج و س و د و هـ .

(٦) سورة الأنعام (١١٢) .

أَتُوعِدُنِي والمَشْرَفِيُّ مُضَاجِعِي وَمَسْنُونَةٌ زُرْقٌ كأَنيابِ أَغْوَالِ

و « الغُولُ » لم يُخْبِرْ صادقٌ قطُّ أنه رآها .

ثم نرجعُ إلى تفسيرِ قولِ أبي النجم[١] :

قوله « سُبِّي الحماةَ وابْهَتِي عليها » إنما يريدُ : ابْهَتِيها ، فوضَعَ « ابْهَتِي » في موضع « اكْذِبِي » فمِن ثَمَّ وَصَلَهَا « بِعَلَى »[٢] .

والذي يُستعملُ في صِلَةِ الفعلِ اللامُ ، لأنها لامُ الإضافة ، تقول : « لِزيدٍ ضربتُ » و « لعمرو أكرمتُ » والمعنى : عمراً أكْرَمتُ ، فإنما[٣] تقديرُه : إكرامى لعمرٍو ، وضربى لزيد ، فأَجْرَى الفعلَ مُجْرَى المصدرِ . وأحسنُ ما يكون ذلك إذا تقدَّمَ المفعولُ ، لأن الفعلَ إنما يجيء وقد عَمِلَتِ

---

(١) في ج و د و هـ « شعر أبي النجم » .

(٢) يريد المبرد : أنه ضمن « ابهتى » معنى « اكذبى » فعداه بالحرف . لأن أصل الفعل « بهت الرجلَ » يتعدى بنفسه ، أي قال عليه مالم يقل . وقال الجوهرى إن « على » مقحمة ، وردّ عليه ابن برى ، قال : « زعم الجوهرى أن عَلَى في البيت مقحمةٌ ، أي زائدة ، قال : إنما عَدَّى ابْهَتِي بعَلَى لأنه بمعنى افْتَرِى عليها ، والبهتانُ افتراء . وفي التنزيل العزيز : ﴿ولا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ﴾ قال: ومثلُه مما عُدِّى بحرفِ الجرّ حملاً على معنى فِعْلٍ يقارِبُه بالمعنى قولُه عزّ وجل : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ﴾ تقديرُه : يَخْرُجُون عن أمره ، لأن المخالفةَ خروجٌ عن الطاعة . قال : ويجبُ على قول الجوهريّ أن تجعل عن في الآية زائدةً ، كما جعل على في البيت زائدةً ، وعن وعلى ليستا مما يُزادُ كالباء » . هذا نص اللسان ، وكتب بحاشيته مانصه : « قوله : وابهتى عليها ، قال الصغانى فى التكملة : هوتصحيف وتحريف ، والرواية : وانْهِتى عليها ، بالنون من النهيت ، وهو الصوت » .

(٣) في ج و س و د و هـ « وإنما » .

اللامُ ، كما قال الله جلّ وعزّ : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ﴾[١] . وإن أُخِّرَ المفعولُ فعربيٌّ[٢] حسنٌ . والقرآنُ محيطٌ بكلِّ اللغاتِ[٣] الفصيحةِ ، قال الله جل وعزّ : ﴿ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴾[٤] والنحويون يقولون في قوله جل ثناؤه : ﴿ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ ﴾[٥] — : إنما هو : رَدِفَكُمْ[٦] . وقال كُثَيِّرٌ :

أُريدُ لِأَنْسَى ذِكْرَها فكأنّما تَمَثَّلُ لى لَيْلَى بكلِّ سَبيلِ

وحروفُ الخفضِ يُبْدَلُ بعضُها من بعضٍ ، إذا وقع الحرفانِ في معنًى في بعض المواضع ، قال الله جل ذكره : ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ ﴾[٧] . أي « عَلَى » ولكنّ الجذوعَ إذا أحاطتْ دخلتْ «في» ، لأنها للوعاء ، يقال : « فلانٌ في النَّخْل » أي قد أحاطَ به . قال الشاعرُ :

هُمُ صَلَبُوا العَبْدِيَّ في جِذْعِ نخلةٍ فلا عَطَسَتْ شَيْبانُ إلاّ بأَجْدَعَا

وقال الله جل وعز : ﴿ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ﴾[٨] . أي «عليه» . وقال

---

(١) سورة يوسف (٤٣) .

(٢) في ج و س و د « فهو عربي » .

(٣) في ج و س و د و هـ « بجميع اللغات » .

(٤) سورة الزمر (١٢) .

(٥) سورة النمل (٧٢) .

(٦) في اللسان : « رَدِفَهم الأمرُ وأَرْدَفَهم : أَهَمَّهُمْ » ثم ذكر الآية وقال : « يجوز أن يكون أراد [ردفكم] فزاد اللام ، ويجوز أن يكون [ردف] مما يتعدى بحرف جرّ وبغير حرف جر » ثم نقل عن التهذيب أنه فسره بمعنى « قرب لكم » .

(٧) سورة طه (٧١) .

(٨) سورة الطور (٣٨) .

تبارك وتعالى : ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾[1] . أى : بأمرِ الله . وقال ابنُ الطَّثْرِيَةِ[2] :

غَدَتْ مِنْ عليه تَنْفُضُ الطَّلَّ بعدَ مَا رأتْ حاجبَ الشمسِ استَوَى فترَفَّعَا

وقال الآخرُ :

غَدَتْ مِن عليه بعدَ ما تَمَّ خِمْسُها تَصِلُّ وعن قَيْضٍ بِزِيزَاء مَجْهَلِ[3]

أى: من عنده . وقال العامرىُّ :

إذا رضِيَتْ علىَّ بنو قُشَيْرٍ لَعَمْرُ اللهِ أعجبنِى رِضَاهَا

وهذا كثيرٌ جدًّا .

وقوله « وَإِنْ أَبَتْ فَازْدَلِقِى إِلَيْنَا » يقول : تقرَّبى ، ومِن ذا سُمِّيت « المُزْدَلِفَةُ » . قال العجَّاجُ[4] :

نَاجٍ طَوَاهُ الأَيْنُ ممَّا وَجَفَا طَيَّ اللَّيالِى زُلَفًا فَزُلَفَا

* سَمَاوَةَ الهِلالِ حتى احْقَوْقَفَا *

تقول[5] « زُلْفَةٌ » و « زُلَفٌ » كقولك « غُرْفَةٌ » وغُرَفٌ » .

---

(١) سورة الرعد (١١) .

(٢) ضبط فى طبعة أوربة بسكون الثاء المثلثة . وضبطه صاحب القاموس بفتحها ، ولم أجد مايرجح أحدهما ، وإن كان السكون أرجح إذا كانت أمه سميت بذلك لولعها باخراج زبد اللبن الذى يسمى « الطثرة » ومنه «الطثر» الخير الكثير ، وكلاهما بالسكون . وابن الطثرية اسمه « يزيد بن سلمة بن سمرة القشيرى » نسب إلى أمه ، وهو شاعر مشهور .

(٣) البيت نسبه صاحب اللسان (ج ١٣ ص ٤٠٦) لمزاحم العقيلى ، يصف القطا . وهو مزاحم بن عمرو ، شاعر إسلامى فصيح ، كان فى عصر جرير والفرزدق . قال ابن السكيت فى قوله « من عليه » : « من فوقه ، يعنى من فوق الفرخ . قال : ومعنى تصل ، أى هى يابسة من العطش » .

(٤) مضى هذا الرجز وشرحه فى الجزء الأول (ص ١٢٩ — ١٣١) .

(٥) فى ج و س و د و هـ « يقال »

وقوله « بالكلب خيراً والحماةِ شرًّا » كلامٌ مَعِيبٌ عندَ النحويين ، وبعضُهم لا يُجيزه، وذاكَ : أنه عَطَفَ[1] على عامِلَين : بالباءِ[2] وعلى الفعلِ ، ومَنْ قال هذا قال : ضربتُ زيدا فى الدارِ والحُجْرةِ عمرًا . [قال أبو العباس][3] : وكان أبو الحسنِ الأخفشُ [سعيدٌ][4] يراهُ ، ويقرأُ ﴿ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٍ ﴾[5] فعَطَفَ على « إنَّ » وعلى « فى » . وقال عَدِىُّ بن زيدٍ :

أَكُلَّ امْرِئٍ تَحْسِبِينَ امْرَأً ... ونارٍ تَوَقَّدُ بالليلِ نارَا

فعطفَ على « كلّ » وعلى الفعل .

وأما قوله «غَدَتْ مِنْ عليه بعدَ ما تَمَّ خِمْسُهَا»[6] فـ«الخِمسُ» ظِمْءٌ من أظْمَائِها ، وهو : أن تَرِدَ ثم تَغُبَّ ثلاثا ثم تَرِدَ ، فيُعْتَدُّ بيوْمَىْ وِرْدِها مع ظِمْئِها ، فيقال « خِمْسٌ » . و « الرِّبْعُ » كحُمّى الرِّبْعِ . وقوله « تَصِلُّ » أى : تَسْمَعُ لأجوافِها صَليلاً من يُبْسِ العطَشِ ، يقال المسمارُ « يَصِلُّ » فى الباب : إذا أُكْرِهَ فيه ، قال جريرٌ يخاطبُ الزُّبَيْرَ بمَرْثِيَتِهِ فى هِجائِهِ الفرزدقَ :

---

(١) فى س و هـ «وذلك لأنه عَطَفَ» وفى ع و د « وذلك لأنه عَطْفٌ » .

(٢) فى هـ « على الباء » وهو أجود .

(٣) الزيادة من ع و س .

(٤) الزيادة من س .

(٥) سورة الجاثية (٥) . والقراءة بخفض « آيات » هى قراءة حمزة والكسائى ، ولكن قرآ « وتصريف الريح » بالإفراد . وقرأ باقي السبعة « الرياح » بالجمع ، و « آيات » بالرفع . انظر التيسير (ص ١٩٨) وتوجيه الاعراب فى إعراب القرآن للعكبرى (ج ٢ ص ١٢٤) وتفسير أبى حيان (ج ٨ ص ٤٢ — ٤٣) .

(٦) فى رواية اللسان « بعد ماتم ظمؤها » .

لو كنتَ حين غُرِرْتَ بَيْنَ بُيُوتِنَا لَسَمِعْتَ من وَقْعِ الحديدِ صَلِيلاَ

ويقال للحمارِ «المُصَلْصِلُ» إذا أخرج صوتَه من جوفه حادًّا خفيًّا .
قال الأعشى :

عَنْتَرِيسٌ تَعْدُو إذا حُرِّكَ السَّوْ طُ كَعَدْوِ المُصَلْصِلِ الجَوَّالِ[1]

وقال المفسرون فى قوله[2] عز وجل : ﴿مِنْ صَلْصَالٍ مِن حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾.[3]
قال[4] : هو الطينُ الذى قد جَفَّ ، فإذا قَرَعَهُ شىءٌ كان له صَلِيلٌ ، وتفسيرُ
ذلك عند العربِ التِّقْنُ[5] الذى يَذهبُ عنه الماء فى الغُدرانِ فيتَشَقَّقُ
ثم يَيْبَسُ .

و «القَيْضُ» قِشْرُ البَيْضِ[6] الأعلَى ، والذى يَلْبَسُ البيضةَ فيكونُ
ما بينَها وبينَ قشرِها الأعلَى يقالُ له «الغِرْقِئُ» يقال : ثوبٌ كأنه
غِرْقِئُ بَيْضٍ[7] .

و «الزِّيزَاء» ما ارتفعَ من الأرضِ ، وهو ممدودٌ منصرفٌ فى المعرفة
والنكرةِ ، إذا كان لمذكرٍ ، كالعِلْبَاءِ والحِرْبَاءِ[8] ، وسنذكر هذا فى غير

---

(١) «العنتريس» الناقة الصلبة الوثيقة الشديدة ، والنون فيه زائدة ، وهو مأخوذ من «العترسة» وهى الغصب والغلبة والأخذ بشدة وعنف وجفاء وغلظة .
(٢) فى ج و س و د «فى قول الله» ..
(٣) سورة الحجر (٢٦ و ٢٨ و ٣٣) .
(٤) فى د و هـ «قالوا» وبها طبعت نسخ مصر .
(٥) «التقن» بكسر التاء وسكون القاف ، وهو اسم للطين الذى يذهب عنه الماء ، كما وصف المبرد .
(٦) فى ج و س و د «البيضة» وبها طبعت نسخ مصر .
(٧) فى ج و س «غرقئ البيضة» ، وفى د و هـ «غرقئ البيض» .
(٨) يعنى أن «الزيزاء» بكسر الزاى الأولى . وقد ضبطت فى البيت فى اللسان (ج ١٣ ص ٤٠٦) بفتحها . ولكن صاحب اللسان ضبط الكلمة فى مادتها (ز ى ز) بالكسر ، ونقل عن الفراء

هذا الموضع مُفَسَّرًا [إن شاء الله][1] ، على أنَّا قد استقصيناهُ في الكتابِ (المُقْتَضَبِ) .

و « المَجْهَلُ » الصحراء التي يُجْهَلُ فيها ، فلا يُهْتَدَى لسَبيلِها .

ويقال للشيء إذا غَبَّ[2] وتغيرت[3] رائحتُه « صَلَّ » و « أَصَلَّ » فهو « صَالٌّ » و » مُصِلٌّ » . ويقال « نَتِنَ » و « أَنْتَنَ » . ويقال « خَمَّ » و « أَخَمَّ » ، وذاك إذا كان مستوراً حتى يَفْسُدَ . ويقال إذا عَتُقَ اللحمُ فتغير « خَنِزَ » و « خَزِنَ »[4] . وبيت طَرَفَةَ أحسنُ ما يُنْشَدُ [عليه][5] :

ثم لا يَخْنُزُ فينا لَحْمُها إنما يَخْنُزُ لَحْمُ المُدَّخِرِ[6]

ويقال لربِّ البيتِ ورَبَّةِ البيت اللَّذَيْن ينزلُ بهما الضَّيفُ « هي أُمُّ مَثْوَاهُ » و « هو أبو مَثْوَاهُ » . وأنشد أبو عُبيدةَ :

مِنْ أُمِّ مَثْوًى كريمٍ قد نَزَلْتُ بها إنَّ الكريمَ على عِلاَّتِهِ يَسَعُ

قال : « الزِّيزَاء من الأرض ممدود مكسور الأول ، ومن العرب من ينصب فيقول الزَّيزَاء وبعضهم يقول الزَّأْزاء ، وكله : ما غلظ من الأرض » .

(1) الزيادة من ج و س و د .

(2) « غب الطعام » بات ليلة ، أو : تغيرت رائحته .

(3) في ج و س و د « فتغيرت » .

(4) « خنز » و « خزن » ضبطا في طبعة أوربة بفتح عين الفعل فيهما وبكسرها معاً . والذي في كتب اللغة المعروفة أن « خنز » من باب « فرح » فقط وأن « خزن » من بابها وباب « نصر » ، ولكن ابن دريد أثبت في الجمهرة الفعلين من البابين (ج ٢ ص ٢١٨) .

(5) الزيادة من ج و س و د .

(6) « يخنز » ضبطت في طبعة أوربة في الموضعين في البيت بضم النون ، جرى فيهما على أن الفعل من باب « نصر » ويؤيد صحته ما أثبته ابن دريد في الجمهرة ، كما قلنا .

وفى كتاب الله جل وعزّ: ﴿أَكْرِمِى مَثْوَاهُ﴾[1]. معناه عند العرب: إضافته.

☼

ومن التشبيه المُطَّرِدِ على أَلْسِنَةِ العربِ ما ذكروا فى سَيرِ الناقةِ وحركة قوائمها، قال الراجزُ:

كأَنَّها ليلةَ غِبِّ الأَزْرَقِ وقد مَدَدْنا باعَها للسَّوْقِ

* خَرْقاءُ بين السُّلَّمَيْنِ تَرْتَقِى *

قوله «ليلةَ غِبِّ الأَزْرَقِ» إنما يعنى موضعاً، وأَحْسِبُهُ[2] ماء، لأنهم يقولون «نُطْفَةٌ زَرقاء» وهى الصافيةُ. قال زهيرٌ:

فلمَّا وَرَدْنَا الماءَ زُرْقاً جِمامُهُ وَضَعْنَ عِصِيَّ الحاضِرِ المُتَخَيِّمِ[3]

وقال آخرُ:

فأَلْقَتْ عصا التَّسْيارِ عنها وخَيَّمَتْ بأَرْجاءِ عَذْبِ الماءِ زُرْقٍ مَحافِرُهْ

وقوله «وقد مَدَدْنا باعَها للسَّوْقِ» يقول: استفرغنا ما عندَها من السَّيرِ[4]، يقال «تَبَوَّعَتْ» و«انْباعَتْ»: إذا مَدَّتْ باعَها.

وقوله «خَرْقاءُ بين السُّلَّمَيْنِ تَرْتَقِى» يقول: لكثرةِ حركةِ الخرقاء وقلةِ حِذْقِها بالصُّعود.

وقال الآخرُ:

---

(١) سورة يوسف (٢١).

(٢) قال ياقوت فى البلدان: «وادى الأزرق بالحجاز. والأزرق ماء فى طريق حاج الشأم دون تيماء».

(٣) قال المرصفى: «الحاضر: الذى نزل على ماء عدّ، والمتخيم: البانى خيمته ليقيم فيها».

(٤) فى ج و س و د و هـ «فى السير».

كأنَّها نائحـــةٌ تفجَّعُ تبْكِي لشَجْوٍ وسِواهَا الموجَعُ[(١)]

❊

وقال الشمَّاخُ :

كأَنْ ذِرَاعَيْها ذِراعا مُدِلَّةٍ بُعَيْدَ السِّبابِ حاوَلَتْ أن تعَذَّرَا

مِن البيضِ أعطافًا إذا اتَّصلَتْ دَعَتْ فِرَاسَ بنَ غَنْمٍ أو لَقِيطَ بنَ يعْمَرَا

بها شَرَقٌ مِن زَعْفَرَانٍ وَعَنبَرٍ أطارَتْ من الحُسْنِ الرِّداءَ المُحَبَّرا[(٢)]

تقولُ وَقد بَلَّ الدُّموعُ خِمارَها أَبَى عِفَّتِي ومَنْصِبِي أن أُعَــيَّرَا

كأَنَّ بذِفْرَاها مَنَادِيلَ فارَقَتْ أَكُفَّ رجالٍ يَعْصِرُونَ الصَّنَوْبَرَا[(٣)]

كأَنَّ ابنَ آوَى مُوثَقٌ تحتَ غَرْضِها إذا هو لم يَكْلِمْ بِنَابَيْهِ ظَفَّرَا

شَبَّهَ يديها بيدَىْ مُدِلَّةٍ بجمالٍ ومنصِبٍ قد سابَّتْ وأقبلتْ تعتذرُ وتشيرُ بيديها . فوَصَفَ جمالَهَا الذى به تُدِلُّ ، وَمَنْصِبَها المتصلَ بمن ذَكَرتُه .

وقوله « أطارتْ من الحسن الرداءَ المحبَّرا » يقول : هِي مُدِلَّةٌ بجمالها ، فلا تختَمِرُ فتَسْتُرَ شيئًا عن الناظر ، لأنها تبتهجُ بكل مافى وجهها ورأسها .

وقد كَشَفَ هذا المعنى عمرُ بن أبي رَبيعةَ المخزوميُّ حيثُ يقولُ :

فلما تَوَاقَفْنا وسَلَّمْتُ أقبلتْ وجُوهٌ زَهاها الحُسْنُ أن تتقنَّعَا

تبَالَهْنَ بالعِرْفانِ لَمَّا عَرَفْنَنِي وقلْنَ امرؤٌ باغٍ أَكَلَّ فأَوْضَعَا[(٤)]

---

(١) فى س « تبكي بشجو » ، وفى هـ « تبكى لميت » .
(٢) « شرق » مصدر « شرق » الجسد بالطيب ، من باب « طرب » أى امتلأ .
(٣) في ج و س و د « قارَفَتْ » . وفى س « بأَيْدِى رِجالٍ » .
(٤) فى حاشية ا « لمـا رَأَيْنَنى » . وفى ج و س و د « باغٍ أَضَلَّ » .

وقَرَّبْنَ أسبابَ الهوَى لِمُقَتَّلٍ يَقيسُ ذِراعاً كلما قِسْنَ إصْبَعَا
[فقلتُ لِمُطْرِيهِنَّ ويحَكَ إنما ضَرَرْتَ فهل تَسطيعُ نَفعاً فتَنْفَعَا][1]

قوله :

« كأنَّ بذِفْرَاها مناديلَ فارقتْ أكُفَّ رِجالٍ يَعْصِرُونَ الصَّنَوْبَرَا »[2]

يقول: لسَوَادِ الذِّفْرَى ، وهذا من كرمها. قال أوْسُ بن حَجَرٍ :

كأنَّ كُحَيْلاً مُعْقَدًا أوعَنِيَّةً على رَجْعِ ذِفْرَاها مِنَ اللِّيتِ واكِفُ

[« الكُحَيْلُ »[3] القَطِرانُ ، و « العَنِيَّةُ » ضربٌ منه] . وهذا معنًى يُسْئَلُ عنه ؟ لأن « اللِّيتَيْنِ » صفحتا العُنُقِ ، و « الذِّفْرَى » في أعلى القفا ، فكيف يَكِفُ على الذفرَى من اللِّيت ؟ والمعنى إنما هو : كأنَّ كُحَيْلاً مُعْقَدًا أو عَنِيَّةً واكِفٌ على رَجْعِ ذِفْرَاها . وقوله « من اللِّيت » كقولك كموضِعِ دِجْلَةَ من بَغْداذَ » إنما هو للحَدِّ بينهما ، لا أنه وَكَفَ من شيء على شيء .

وأما قوله :

« كأنَّ ابنَ آوَى مُوثَقٌ تحتَ غَرْضِها إذا هو لم يَكْلِمْ بنابَيْه ظَفَّرَا »

يقول : ليستْ تَسْتَقِرُّ ، فكأنَّ ابنَ آوَى يكْلِمُهَا[4] بنابَيْهِ أو يَخْلِبُها[5]

---

(١) الزيادة من حاشية ج .

(٢) فى ج و س و د « فارقت » .

(٣) « الكحيل » بالتصغير ، ولا يستعمل فى هذا المعنى إلا مصغراً ، كما نص عليه فى اللسان وغيره.

(٤) فى ج و س و د « يَعَضُّها » .

(٥) فى ج و س و د و هـ « ويخلبها » .

بظُفُرِه ، فهى لا تستقرُّ . وقال أوس بن حَجَرٍ :

كأنّ هِرًّا جَنِيباً تحتَ غُرْضَتِها   والْتَفَّ دِيكٌ بحَقْوَيْهَا وخنزيرُ(١)

و « الغَرْضُ » و « الغُرْضَةُ » واحدٌ ، وهو حِزَام الرَّحْلِ .

⁂

وقال آخرُ :

كأنَّ ذِراعيها ذراعَا بَذِيَّةٍ   مُفَجَّعَةٍ لاقَتْ خَلائِلَ عن عُفْرِ(٢)

سَمِعْنَ لها واستفرغَتْ فى حديثها   فلا شىءَ يفرِى باليدَيْنِ كما تفرِى

[قال أبو العباس : أنشدنيهما عبدُ الصمد بن المُعَذَّلِ . وأنشدنيهما سعيدُ بن سَلْمٍ](٣) . ولو قيل أن هذا مِن أبلغِ ما قيل فى هذا الوصفِ ما كان ذلك بعيداً . وَصَفَها بأنها بَذِيَّةٌ(٤) وقد فُجِعَتْ بما أُسْمِعَتْ ونِيلَ منها ، ولقِيَتْ خلائِلها بعدَ زمانٍ ، وتلك الشكوى كامنةٌ فيها ، وأَصْغَيْنَ إليها يَتَسَمَّعْنَ(٥) .

و «الفَرْىُ»: الشّقُّ ، يقال « فَرَى » أَوْ داجَهُ : أى قَطَع ، و « فَرَيْتُ » الاديم . وإذا قلتَ « أفْرَيْتُ » فمعناه أصلحتُ . وقولُ الحجّاج : إنى والله

(١) فى ج و س و د و هـ وحاشية ا « ديك برجليها » .

(٢) فى ج و د و هـ « بذيئة » . وقوله « خلائل » جمع « خليلة » وهن اللاتى أصفين لها الودّ . و « عن عفر » أى بعد عفر — بضم العين وسكون الفاء — وهو طول العهد . أفاده المرصفى .

(٣) الزيادة من هـ .

(٤) فى ج و س و د و هـ « بذيئةٌ » .

(٥) فى ج و د « لها » . وفى ج و س و د « فتسمعن » ، وفى هـ « يسمعن » .

ما أَهَمُّ إلاَّ مَضَيْتُ ولا أَخْلُقُ إلاَّ فَرَيْتُ ، يقول : إذا قَدَّرتُ قطعتُ .
يقال « فَرَيْتُ » القِرْبةَ والمَزادةَ ، فهما « مفرِيَّتانِ » . قال ذو الرمة :

* كأنه مِن كُلَى مَفْرِيَّةٍ سَرَبُ *

وقال امرؤُ القيسِ :

كَأَنَّ الحَصَى مِن خلفِها وأَمامِها ... إذا نَجَلَتْهُ رِجْلُها خَذْفُ أَعْسَرَا[1]
كَأَنَّ صَلِيلَ المَرْوِ حِينَ تُشِذُّهُ ... صَلِيلُ زُيُوفٍ يُنْتَقَدْنَ بِعَبْقَرَا[1]

قوله « خَذْفُ أعسَرَ » يريد أنه يذهبُ على غير قصدٍ ، وقوله «صَلِيلُ زُيُوفٍ »
يقال أن « الزَّيْفَ[2] » شَديدُ الصوتِ صَافيه .

وقال آخر :

كأَنَّ يَدَيْها يَدَا ماتِحٍ ... أتى يوم وِرْدٍ لِغِبٍّ زَرُودَا[3]
يخافُ العِقابَ وفى نفسِه ... إذا هو أَنْهَلَ ألاَّ يَعُودَا

(١) قال المرصفى : « نجلته رجلها تنجله — بالضم — نجلا : نزعته بمنسمها ورمت به . والخذف : كالضرب ، وهو الرمى باليد . والأعسر : من يعمل بيساره . يريد : أن رميها غير منتظم إلى جهة واحدة ، كخذف الأعسر ... وتشذه : من أشذ الشىء نحاه وأقصاه . وزيوف جمع زيف ، وهو من الدراهم مافيه غش . وينتقدن : ينقرن بالأصابع . وعبقر : ذكر ياقوت أنهم قالوا فى فسره : عبقر من أرض اليمن . وهذا يدل على أنه موضع مسكون به صيارف وغيرهم . قال : ولعل هذا كان قديما وخرب » .

(٢) فى ع و س و د و هـ « الزَّائِفَ » .

(٣) « ماتح » هكذا رسمت فى طبعة أوربة بنقطتين فوق الحرف الأول ونقطتين تحته ، نقلا عن الأصول المخطوطة ، لتقرأ الكلمة « ماتح » و « مايح » . فالماتح بالفوقية : المستقى بالدلو من أعلى البئر . والمايح بالتحتية ، وتقلب همزة ، هو الذى يملأ الدلو من أسفل البئر . وفى اللسان : « تقول العرب : هو أَبْصَرُ من المائِحِ بِاسْتِ الْمَاتِحِ . تعنى : أن الماتح فوق المائح ، فالمائح يرى الماتح ويرى استه » . وفى ع و س و د و هـ « ماتح » بالفوقية .

يقول : هــذا الساقى يخافُ العقابَ إن قصَّرَ ، ولا عَوْدَةَ له إليه ثانيةً ، فهى تُسْقَى سَقْيَةً[1] فى مرةٍ واحدةٍ .

وقد أكثروا فى هذا . فمن الإفراطِ فى السرعةِ قولُ ذِى الرُّمَّةِ :

كأنَّه كوكَبٌ فى أثْرِ عِفْرِيَةٍ مُسَوَّمٌ فى سوادِ الليل مُنْقَضِبُ

يقال « عِفْرِيتٌ » و« عِفْرِيَةٌ » فى معنًى واحدٍ ، والتاء فى « عِفريتٌ » زائدةٌ ، وهو ملحقٌ بـ« قِنديلٍ » يقال : فلانٌ [« عِفْرِيَةٌ زِبْنِيَةٌ » و« الزِّبْنِيَة » المُنْكَرُ[2] ، وجمعه « زَبَانِيَةٌ » ، وأصلُه من الحركة ، يقال « زَبَنَهُ » إذا دَفَعَهُ . ويقال] : « عِفْرِيَةٌ نِفْرِيَةٌ » على التوكيدِ ، [و« عِفْرِيتٌ نِفْرِيتٌ » ويقال « عُفَارِيَةٌ » ولم يُتْبَعْ « بِنُفَارِيَةٍ[3] »] .

ومن الإفراط قولُ الحُطَيْئَةِ :

وإن نَظَرَتْ يومًا بمُؤْخِرِ عينِها إلى عَلَمٍ بالغَوْرِ قالت له أبْعَدِ

ومن الإفراط قولُه :

(١) فى هـ « فهو يستسقى » . وفى ج و س و د « فهو يَسْتَقِى سقيهُ » .

(٢) هكذا قال أبو العباس . والذى فى اللسان أن الزبنية : كل متمرد من الجن والإنس ، وأنه أيضا : الشديد . وقال قتادة : الزبانية عند العرب : الشرط ، وكله من الدفع ، وسمى بذلك بعض الملائكة لدفعهم أهل النار اليها . وقال الزجاج : الزبانية : الغلاظ الشداد .

(٣) هذا الذى أنكره أبو العباس أثبته غيره ، ومن حفظ حجة على من لم يحفظ . ففى اللسان : «ورجل عِفْرٌ نِفْرٌ ، وعِفْرِيَةٌ نِفْرِيَةٌ ، وعِفْرِيتٌ نِفْرِيتٌ ، وعُفَارِيَةٌ نُفَارِيَةٌ : إذا كان خبيثًا ماردًا . قال ابن سيده : ورجلٌ عِفْرِيَةٌ نِفْرِيَةٌ ، فجاء بالهاء فيهما . والنِّفْرِيتُ إتْبَاعٌ للعفريتِ وتوكيدٌ » .

بأرضٍ تَرَى فَرْخَ الْحُبارَى كأنَّه بها راكبٌ مُوفٍ على ظهر قَرْدَدِ(١)

ومن ذلك قوله :

وكادَتْ على الأَطْواءِ أَطْواءِ ضَارِجٍ تُساقِطُنى والرَّحْلَ مِن صوتِ هُدْهُدِ

وقال آخرُ :

مَرُوحٌ برجليها إذا هى هَجَّرَتْ ويمنعُها مِن أن تَطِيرَ زِمامُها

وقال الشَّمَّاخُ :

مَرُوحٌ تَغْتَلِى فى البِيدِ حَرْفٌ تَكاد تَطِيرُ مِن رَأْىِ القَطِيعِ

وكذلك الأعرابىُّ الذى يقول :

* لو تُرْسَلُ الرِّيحُ لِجئْنا قبلَها *

وقد مضى خَبَرُهُ .

وأَمْلَحُ ما قيل فى هذا المعنى وأَجْوَدُهُ قولُ امرئِ القيسِ [بن حُجْرٍ الكِنْدِىُّ](٢) :

وقَدْ أَغْتَدِى والطَّيْرُ فى وُكُناتِهَا بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الأَوابِدِ هَيْكَلِ

فجعله للوحش كالقَيْدِ .

وحُدِّثْتُ أن رجلاً نظر إلى ظبيةٍ تَرُودُ ، فقال له أعرابىٌّ : أتحبُّ أن تكون لك ؟ قال : نعم ، قال : فأعطنى أربعةَ دراهمَ حتى أردَّها إليك ، ففعل ، فخرجَ يَفْحَصُ(٣) فى إِثْرِها ، فَجَدَّتْ وجَدَّ ، حتى أخذ بقَرْنَيْها ، فجاء بها ، وهو يقولُ :

(١) « القردد » ماغلظ من الأرض وارتفع .
(٢) الزيادة من هـ .
(٣) فى س و د و هـ « يَمْحَصُ » .

وَهْيَ على البُعْدِ تُلَوِّى خَدَّها ... تُرِيغُ شَدِّى وأُرِيغُ شَدَّها

* كيف تَرَى عَدْوَ غلامٍ رَدَّها *

⁂

قال أبو العباس : ومن حُلْوِ التشبيه وقريبِه ، وصريحِ الكلامِ [وبليغِه] ـ :[1] قولُ ذى الرُّمَّةِ .

ورَمْلٍ كأوراكِ العَذارَى قطعتُه ... وقد جَلَّلَتْهُ المُظْلِماتُ الحَنادِسُ

« الحِنْدِسُ » اشتداد الظُّلْمة ، وهو توكيدٌ لها ، يقال ليلٌ حِنْدِسٌ ، ولَيْلٌ أَلْيَلُ ، [ويومٌ يَمٍ ، كما يقال : ليلٌ][2] مُظْلِمٌ .

وقال الشَّمَّاخُ فى صفة الفَرس :

مُفِجُّ الحَوَامِى عن نُسورٍ كأنَّها ... نَوَى القَسْبِ تَرَّتْ عن جَرِيمٍ مُلَجْلَجِ

قوله « مُفِجُّ الحَوَامِى » يريد مُفَرِّقُ الحَوَامِى ، فالحوامى : نواحى الحافر . و « النُّسُورُ » واحدُها « نَسْرٌ » وهى نُكْتَةٌ فى داخل الحافرِ ، ويُحْمَدُ الفرسُ إذا صَلُبَ ذلك منه ، ولذلك شَبَّهَ بنَوَى القَسْبِ[3] . و « تَرَّتْ » سقطتْ . و « الجَرِيمُ » المَصْرُومُ . و « المُلَجْلَجُ » الذى قد لُجْلِجَ مَضْغًا فى الفمِ ثم قُذِفَ لصلابتِه .

وقوله « مُفِجٌّ » ليس يريدُ الذى هو شديدُ التَّفرقة ، ولكن الانفصالِ

---

(١) الزيادة من ج و س و د .

(٢) قال المرصفى : « أخرجه مخرج المبالغة ، جعل أوراك العذارى مشبها به ، والمألوف تشبيهها بالرمل » .

(٣) « القسب » بفتح القاف وسكون السين المهملة ، وهو التمر اليابس يتفتت فى الفم ، ونواه أصلب النوى .

عن النَّسْرِ ، فإنه إن اتَّسعَ واستوى أسفلُه فذلك «الرَّحَحُ[1]» ، وهو مذمومٌ في الخيل ، وكذلك إن ضاق وصَغُرَ قيل له « مُصْطرٌ » وكان عيباً قبيحًا . قال حُمَيْدٌ الأَرْقَطُ :

لا رَحَحٌ فيها ولا اصْطِرَارُ   ولم يُقَلِّمْ أرضَها البَيْطارُ

* [ولا لِحَبْلَيْهِ بها حَبَارُ *

« الحَبَارُ » الأثَرُ][2] . ويُروى « ولم يُقَلِّبْ » وتأويلُ ذلك : أن حوافرَها لا تَتَشَعَّثُ فيُقَلِّمَها البَيْطارُ ، لأنها إذا كانت كذلك ذهبَ منها شئٌ بعدَ شئٍ فمحقَهَا . وقال عَلْقَمَةُ بن عَبَدَةَ .

لا في شَظاهَا ولا أَرْساغِها عَنَتٌ   ولا السَّنابِكُ أفناهنَّ تَقْلِيمُ

وإنما يُحْمَدُ الحافرُ المُقَعَّبُ ، وهو الذى هَيئَتُه كهيئة القَعْبِ ، وإن كان كذلك قيلَ « حافرٌ وأْبٌ » .قال ابنُ الخَرِعِ :

لها حافرٌ مثلُ قَعْبِ الوَلِيـــدِ يَتَّخِذُ الفَأْرُ فيه مَغارَا

يريدُ : لو دخل الفأرُ فيه لَصَلَحَ ، كقول القائل : « فَأَتَى بجَفْنَةٍ يقعُدُ عليها عشَرةٌ » أى : لو قَعَدَ عليها عشرةٌ لَصَلَحَ . وقال الراجزُ :

* وَأْبٌ حَمَتْ نُسورُهُ الأَوْقارَا *

[يقال « حافرٌ مَوْقورٌ » وهو أن يُصيبه داءٌ يشبهُ الرَّهْصةَ][3] وفى كلِّ

(١) « الرحح » بحاءين مهملتين ، وهو انبساط الحافر فى رقة .

(٢) الزيادة من حاشية ج .

(٣) الزيادة من س . و « الرهصة » و « الرهص » بسكون الهاء : أن يصيب باطن حافر الدابة شىء يوهنه ، أو ينزل فيه الماء من الإعياء .

حافرٍ حامِيَتَانِ ، وهما حرفاهُ [مِنْ][1] عَنْ يمينٍ وشمالٍ ؟ ومُقَدَّمُهُ السُّنْبُكُ ، ومُؤَخَّرُهُ الدَّابِرَةُ .

ومثل قوله « عن جَرِيمٍ ملجلجِ » قولُ عَلْقَمةَ بن عَبَدَةَ :

سُلَّاءَةٌ كَعَصَا النَّهْدِيِّ غُلَّ بها ‏ ‏ ‏ ‏ ذُو فَيْئَةٍ مِن نَوَى قُرَّانَ مَعْجُومُ[2]

شَبَّهها بالشَّوْكَةِ من شَوْكِ النخل ، لأن الفرسَ الأنثى يُحْمَدُ منها أن يَدِقَّ صدرُها ثم يَنخرط على امتلاء إلى مؤخَّرها ، والحِمَامُ يُحمد منهنَّ أن يَعْرُضَ الصَّـدرُ ثم يَنخرطَ إلى ذَنَبِهِ ضُمورًا ، فيقال فى صفتِه « كأنه جَـلَمٌ » .

وقوله « كَعَصَا النَّهدى » يريدُ فى الصلابة ، كما قال :

* وكلُّ كُمَيْتٍ كالهِرَاوَةِ صِلْدِمِ *

وقوله « ذو فَيْئَةٍ من نَوَى قُرَّانَ » يقول : ذُو رَجْعةٍ ، يقولُ : مَضَغَتْهُ الإبلُ فلم تَـكْسِرْه ثم بعَرَتْهُ صِحَاحًا . و « معجومٌ » مَمضُوغٌ ، يقالُ « عَجَمْتُهُ أَعْجُمُهُ [عَجْمًا][3] » إذا مضغتَه ، فـ « العَجْمُ » المَضْغُ ، ويقال للنَّوَى من كلِّ شيءٍ « العَجَمُ » متحرِّكُ العينِ[4] . قال الأعشَى :

* وجُذْعَانُها كَلَقِيطِ العَجَمْ *

وقال النابغةُ :

وظَلَّ يَعْجُمُ أَعْلَى الرَّوْقِ مُنْقَبِضًا ‏ ‏ ‏ ‏ فى حَالِكِ اللَّوْنِ صَدْقٍ غيرِ ذى أَوَدِ

---

(١) الزيادة من ع و س و د .

(٢) قال المرصفى : هذا البيت بعد قوله : لاقى شظاها الخ . وسلاءة ــ بضم فتشديد لام ممدودة ــ واحدة سلاء النخل ، وهو شوكه » .

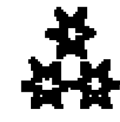
(٣) الزيادة من ع و س و د .

(٤) فى ع و س و د « متحرك الجيم » . وهو بمعنى ماهنا ، لأن المراد بالعين وسط الـكلمة على اصطلاحهم فى وزن الـكلمات كلها بمثال « فعل » ومايشتق منه .

ومثلُ البيت الأولِ قولُ عُقْبةَ بن سابقٍ العَنْبَرِىِّ :

لهُ بَيْنَ حَوَامِيهِ   نُسُورٌ كَنَوَى القَسْبِ

فهذا تشبيه مقارِبٌ جداًّ .



ومن التشبيه الحسنِ قولُ الشاعرِ [هو الشَّمّاخُ][1] :

كأنَّ المَتْنَ وَالشَّرْخَيْنِ منه   خِلافَ النَّصْلِ سِيطَ به مَشِيجُ

يريدُ سهماً رُمِىَ به فأنفذَ الرَّمِيَّةَ وقد اتَّصلَ به دَمُها . و«المَتْنُ» متن السهم . و«شَرْخُ» كلِّ شىء: حَدُّهُ ، فأرادَ شَرْخَىِ الفُوقِ ، وهما حرفاه . و«المَشِيجُ» اختلاطُ الدَّمِ بالنُّطفة ، هذا أصلُه . قال الشَّمَّاخُ :

طَوَتْ أحشاءَ مُرْتِجَةٍ لِوَقْتٍ   على مَشَجٍ سُلالَتُهُ مَهِينُ

وقال الله جل وعز : ﴿ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ ﴾[2]. وفى الحديث : « اقتُلُوا مَسَانَّ المشركين واستَبْقُوا شَرْخَهُمْ »[3] أى الشَّبابَ ، لأن الشَّرْخَ الحَدُّ . قال حَسَّانُ [بن ثابتٍ][4]:

إنَّ شَرْخَ الشَّبابِ والشَّعَرَ الأَسْـــودَ ما لم يُعاصَ كان جُنُونَا

---

(١) الزيادة من د .

(٢) سورة الانسان (٢) .

(٣) « المسان » الكبار . والحديث رواه أحمد وأبو داود والترمذى من حديث سمرة بن جندب بلفظ : « اقتلوا شيوخ المشركين واستبقوا شرخهم » . وهو حديث صحيح . قال ابن الأثير: « أراد بالشيوخ الرجال المسانّ أهل الجلد والقوة على القتال ، ولم يرد الهرمى . والشرخ : الصغار الذين لم يدركوا » .

(٤) الزيادة من ج و س و د .

[قال أبو العباس][1] : وأنْشَدَنا عَمْرُو بن مرزوقٍ[2] قال : أنشَدنا شُعْبَةُ[3] قال : أنشدنا سِماكُ بن حَرْبٍ[4] فى هذا الحديثِ :

إنْ شَرْخَ الشَّبابِ تألَفُهُ البِيـــضُ وشَيْبُ القَذَالِ شئٌ زَهيدُ

فأما قولُ الشَّنْفَرَى :

كأنَّ لها فى الأرض نِسْيًا تَقُصُّهُ   على أَمِّهَا وإنْ تُحَدِّثْكَ تَبْلَتِ

– : فإنما أرادَ شدَّةَ استحيائِها ، يقول : لا تَرْفَعُ رأسَها ، كأنها تطلبُ شيئًا فى الأرضِ . و « النِّسْيُ » على ضربين : أحدُهما : ما تقادَمَ عَهْدُهُ حتى يُنْسَى ، والآخرُ : ما أَضَلَّهُ أهلُهُ فيُطْلَبُ ويُطْمَعُ[5] فيه . و « تَقُصُّهُ » تَتَبَّعُهُ . قال الله جل وعز : ﴿وقالتْ لأُخْتِهِ قُصِّيهِ﴾[6] . أى اتبِعِي أَثَرَهُ . و « الأَمُّ » القصدُ . وقولُه « وإن تُحَدِّثْكَ تَبْلَتِ » تَقْطَعُ الحديثَ لاستحيائِها .

وأُنْشِدَ بَشَّارُ بن بُرْدٍ الأعمى قولَ كُثَيِّرٍ :

ألاَ إنما لَيْلَى عَصَا خَيْزُرَانَةٍ   إذا غَمَزُوها بالأكُفِّ تَلِينُ

قال : فقال : لله أبو صَخْرٍ ! جعلَها عصًا ، ثم يَعْتَذِرُ لها ؟! واللهِ لو جعلَها عصًا

---

(١) الزيادة من ج و س .

(٢) هو عمرو بن مرزوق الباهلى البصرى ، روى عن شعبة ومالك وغيرهما . قال ابن معين : ثقة مأمون صاحب غزو وقرآن وفضل ، وحمده جداً . وكان كثير الحديث عن شعبة . روى عنه البخارى وأبو داود وغيرهما ، مات فى صفر سنة ٢٢٤

(٣) هو شعبة بن الحجاج بن الورد العتكى ، إمام أهل الحديث غير مدافع ، قال أحمد بن حنبل : كان شعبة أمةً وحده فى هذا الشأن ، يعنى فى الرجال وبصره بالحديث وتثبته وتنقيته للرجال . ولد سنة ٨٢ ومات بالبصرة فى جمادى الآخرة سنة ١٦٠ . وفى ج و د و ه «عن شعبة» .

(٤) هو سماك بن حرب بن أوس بن خالد الذهلى البكرى ، من ثقات التابعين . مات سنة ١٢٣

(٥) فى ج و س و د « فيُطْمَعُ » .

(٦) سورة القصص (١١) .

من مُخٍّ[1] أو زُبْدٍ لكان قد هجّنها بالعصا ، ألاَّ قال كما قلتُ :

وبيضاءِ المَحاجرِ من مَعَدٍّ ... كأنَّ حديثَها قِطَعُ الجِنانِ

إذا قامتْ لسُبْحَتِها تثنَّتْ ... كأنَّ عِظامَها من خَيْزُرانِ[2]

و « الخيزُرانةُ » كلُّ غُصْنٍ لَيِّنٍ يتثنَّى ، ويقال للمُرْدِيِّ خيزرانةٌ إذا كان يتثنَّى إذا اعتُمِدَ عليه . قال النابغةُ :

يَظَلُّ من خَوفِهِ المَلاَّحُ مُعْتَمِدًا ... بالخَيْزُرانةِ بعد الأَيْنِ والنَّجَدِ[3]

« الأَيْنُ » الإعياء . و« النَّجَدُ » العَرَقُ .

❊

وقد عاب بعضُ الناس قولَ كُثَيِّرٍ :

فما رَوْضةٌ بالحَزْنِ طيِّبةُ الثَّرى ... يَمُجُّ النَّدى جَثْجاثَها وعَرارُها

بمُنْخَرَقٍ من بَطْنِ وادٍ كأنَّما ... تلاقَتْ به عَطَّارةٌ وتِجارُها

بأَطْيَبَ من أَرْدانِ عَزَّةَ مَوْهِنًا ... وقد أُوقِدَتْ بالمَنْدَلِ الرَّطْبِ نارُها

وحكَى الزُّبيريون : أن امرأةً مدينيةً عَرَضَتْ لكُثَيِّرٍ فقالت : أأنتَ[4] القائلُ هذين البيتين ؟ قال : نعم ، قالت : فَضَّ اللهُ فاكَ ! أرأيتَ لو أنّ زِنْجيةً بَخَّرَتْ أردانَها بمَنْدَلٍ رَطْبٍ أما كانت تَطِيبُ ؟ ! ألاَّ قلتَ كما قال [سيِّدُكَ][5] امرؤُ القيس :

---

(١) فى ج و س و د و هـ « عصًا مُخٍّ » .

(٢) « السبحة » بضم السين : صلاة النافلة .

(٣) فى ج و س و د « مُعْتَصِمًا » بدل « معتمداً » . والشطر الثانى فى هـ « بالخيزُرانةِ من جَهْدٍ ومن رَعَدِ » .

(٤) فى س و د « أنت » وفى ج « ءآنت » .

(٥) الزيادة من ج و س و د و هـ .

أَلَمْ تَرَ أَنِّى كُلَّمَا جِئْتُ طَارِقًا   وَجَدْتُ بِهَا طِيبًا وإنْ لَمْ تَطَيَّبِ(١)

قوله « جَثْجَاثُهَا وعَرَارُهَا » « الْجَثْجَاثُ » رَيْحَانَةٌ طَيِّبَةُ الرِّيحِ بَرِّيَّةٌ مِن أحرارِ البَقْلِ . قال جريرٌ يهجو خالدَ عَيْنَيْنِ العَبْدِيَّ :

كَمْ عَمَّةٍ لكَ يا خُلَيْدُ وخالةٍ   خُضْرٍ نَوَاجِذُها من الكُرَّاثِ

نَبَتَتْ بِمَنْبِتِهِ فطابَ لِرِيحِهَا   ونَأَتْ عن القَيْصُومِ والجَثْجَاثِ

وإنما هجاه بالكُرَّاثِ ، لأن عبدَ القيس يسكنون البَحْرَيْنِ ، والكُرَّاثُ من أطعمتهم ، والعامَّة يُسَمُّونَهُ « الرَّكْلَ » و « الرَّكَّالَ » . قال أحدُ العَبْدِيِّينَ :

أَلَا حَبَّذَا الأَحْسَا وطِيبُ تُرابِها   ورَكَّالُهَا غادٍ علينا ورائحُ(٢)

وقولُ كُثَيِّرٍ « وعَرَارُها » فالعَرَارُ البَهارُ البَرِّيُّ ، وهو حَسَنُ الصُّفْرَةِ طَيِّبُ الرِّيحِ . قال الأعشى :

بَيْضاءُ ضَحْوَتَها وصَفْــراءُ العَشِيَّةِ كالعَرَارَهْ(٣)

وقولُه « مَوْهِنًا » يريد : بعدَ هَدْءٍ [من الليل](٤) ، يقالُ : أتانا بعد هَدْءٍ

(١) هنا بحاشية ا مانصه : « قوله ألا قلت الخ : إنما رجح قول امرئ القيس على قوله لأن امرء القيس أثبت لها طيبا وإن لم تطيب . بخلاف كثير فانه أثبت لها الطيب إذا أوقدت بالمندلِ الرطب نارها . لايخفى فرق مابين الحالتين » .

وهــذه المرأة التي جادلت كثيراً ليست مدينية كما زعم أبو العباس ، بل هي قطام زوج عبد الرحمن بن ملجم قاتل على عليه السلام ، وكان كثير شيعيا ، فلذلك قست عليه في النقد . وقصتها معه مفصلة في الأغاني (١٤ : ٥٧ ساسي) والموشح للمرزباني (ص ١٥١ — ١٥٣) .

(٢) « الأحساء » مدينة مشهورة بالبحرين ، وهي بالمد ، وإنما قصرها لضرورة الوزن . والبيت في اللسان (١٣ : ٣١٣) وفيه وفي ج و س « الأَحْسَاءُ طيبُ تُرابِها » .

(٣) قال المرصفي : « معناه : أن المرأة الناصعة البياض الرقيقة البشرة تبيض بالغداة بياض الشمس ، وتصفر بالعشيّ باصفرارها » .

(٤) الزيادة من ج و س و د و ه .

من الليلِ وبعد وَهْنٍ [من الليل [1]]، أى : بعدَ دخولنا فى الليل .
وأنشدَ أبو زيدٍ :

هَبّتْ تلومُكَ بعد وَهْنٍ فى النَّدَى ... بَسْلٌ عليكِ ملامتى وعِتابِى

و « المَنْدَلُ » العُودُ يقال له « المَنْدَلُ » و « المَنْدَلِىُّ » . قال الشاعرُ :

أَمِنْ زَيْنبَ ذِى النّارُ ... قُبَيْلَ الصبحِ ما تَخْبُو
إذا ما خَمَدَتْ يُلْقَى ... عليها المَنْدَلُ الرَّطْبُ

قال أبو العباس: «ذِى» معناه «ذهْ» يقال : ذَا عبدُ الله ، وذِى أَمَةُ الله ، وذِهْ أَمَةُ الله ، وتِهْ أَمَةُ الله ، وتَا أَمَةُ الله . فإذا قلتَ : هذا عبـــد الله ـ : فالِاسمُ « ذا » و « ها » للتنبيه . وعلى هذا تقول : هٰذِى أَمَةُ الله [وهٰذه أَمَةُ الله [2]] . وإن شئتَ أسكنْتَ فى الوصلِ فقلتَ : هٰذِهْ أَمَةُ الله . وإذا [3] قلتَ : هٰذِهِى أَمَةُ الله ـ : فالياءُ زائدةٌ ، لأن هذه الهاءَ لما كانت فى لفظِ المضمرِ [4] شبّهوها به فى زيادةِ الياء ، نحو : مررتُ بِهِى يا فتى ! [و] [5] لا يجوزُ أن تَضُمَّ الهاءَ فى « هٰذه » على قولِ مَنْ قال : مررتُ بِهُوْ ، لأن هاءَ الإضمارِ أصلُها الضمُّ ، تقولُ : رأيتهُو [6] يا فتَى ! ورأيتُهُم يا فتى ! وهذه الهاء ليستْ من هٰذِه ، إنما هى مشبَّهةٌ . وتقولُ : هاتِهِ هندٌ ، وهاتِى هندٌ ، و هاتَا هندٌ ، على زيادة « ها » للتنبيه . قال جريرٌ :

---

(١) الزيادة من ج و س و د .
(٢) فى ج و س و د « فاذا » .
(٣) الزيادة من هـ .
(٤) فى هـ « فى اللفظ كهاء المضمر » .
(٥) الزيادة من ج و س و د و هـ .
(٦) كتبت بالواو لإظهار الضمة واضحة . وكتبت فى ج و س و د و هـ « رأيته » .

هٰذِي التى جَدَعَتْ تَيْماً مَعَاطِسَهَا ثُمَّ اقْعُدِي بعدَها يا تَيْمُ أو قُومِي

وقال عِمْرانُ بن حِطَّانَ :

وليس لعَيشِنَا هذا مَهَاهٌ وليستْ دارُنَا هَاتَا بِدَارِ

قال أبو العباس : النحويون يُثْبِتُون الهاء فى الوصل ، فيقولون «مَهَاهٌ» وتقديرُه « فَعَالٌ » ومعناه اللَّمْعُ والبَهَاءُ[1] ، يقال : وَجْهٌ له مَهَاهٌ يا فتى ! والأصمعيُّ يقولُ « مَهَاة » تقــديرُها « حَصَاةٌ » ، يجعلُ الهاءَ زائدةً ، وتقــديرُها[2] « فَعَلَةٌ » و « المَهَاةُ » البِلَّوْرَةُ ، و « المَهَاةُ » البقرةُ الوحشيَّةُ ، وجمعُها « المَهَا » [حَكَى يعقوبُ بن السِّكِّيتِ « مَهَاةٌ » من أسماء الشمس ، وأنشدَ :

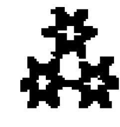
ثُمَّ يَجْلُو الظلامَ رَبٌّ رَحيمٌ بمَهاةٍ ضِياؤُها مَنْشُورُ][3]

فإذا صغَّرتَ « ذِهْ » قلتَ « تَيَّا » ، كأنك صغَّرتَ « تَا » ، ولا تُصَغِّرُ « ذِهْ » على لفظِها ، لأنك إذا صغَّرتَ « ذَا » قلتَ « ذَيَّا » ، فلو صغَّرتَ « ذِي » فقلتَ « ذَيَّا » ـ : لَالْتَبَسَ المؤنّثُ بالمذّكرِ ، فصغَّرُوا ما يخالفُ فيه المؤنثُ المذكَّرَ .

وهذه المبهَمَةُ يخالفُ تصغيرُها تصغيرَ سائرِ الأسماء . وسنذكر ذلك فى بابٍ نُفْرِدُه له إن شاء الله .

---

(١) فى ع و س و د « والصفاء » .
(٢) فى طبعات مصر زيادة « فى قوله » ، وهى ثابتة فى ب وليست فى سائر الأصول .
(٣) الزيادة من حاشية ع .



مادا القولُ إلى التشبيه .

وأنشدَتْني[1] أمُّ الهيْثمِ[2] فى صفة جمَلٍ :

كأنَّ صوتَ نابِهِ بنابِهِ ... صَريرُ خُطَّافٍ عَلَى كُلَّابِهِ

أرادتِ الصريفَ، وهو أن يَحُكَّ أحد نابَيْهِ بالآخرِ. وقوله «صريرُ خطافٍ على كُلَّابِهِ»، فـ «الخُطَّافُ» ما تَدُورُ عليه البَكْرَةُ، و «الكُلَّابُ» ما وَلِيَه .

وقد قال النابغةُ :

مقذوفةٍ بدَخِيسِ النَّحْضِ بازِلُها ... له صَرِيفٌ صَرِيفَ القَعْوِ بالمَسَدِ[3]

«القَعْوُ» ما تدورُ عليه البَكْرَةُ إذا كان من خَشَبٍ، فإن كان من حديدٍ فهو «خُطَّافٌ»، وإن دارتْ على حبْلٍ فذلك الحبلُ يسمى «الدَّرَكَ» .

وقوله «مقذوفةٍ» يقول : مَرْمِيَّةٌ باللحم . و «الدَّخِيسُ» الذى قد رَكِبَ بعضُهُ بعضاً . و «النَّحْضُ» اللَّحْم . و «بازِلُهَا» نابُها ، ومعنى «بزَلَ» و «فَطَرَ» واحدٌ ، وهو أن ينشقَّ النابُ . قال ذو الرُّمَّةِ :

كَأَنَّ على أَنيابِها كُلَّ سُدفةٍ ... صِياحَ البَوَازِى من صَرِيفِ اللَّوائِكِ[4]

يقولُ : مما تَلُوكُهُ . ويقال فى الغضَبِ : تركتُ فلاناً يَصْرِفُ نابُهُ عليكَ ،

---

(١) فى ج و س و د «أنشدتنى» بحذف الواو ، وبها طبعت نسخ مصر .

(٢) مضى ذكرها فى الجزء الأول (ص ٧) وأن أبا الحسن قال : «هى أم الهيثم الكلابية ، من ولد المحلق ، وهى راوية أهل الكوفة» .

(٣) فى ج و د «مقذوفة» بالرفع .

(٤) «السدفة» ظلمة فيها ضوء . أو هى الظلمة فى لغة نجد ، والضوء فى لغة غيرهم . و «البوازى» جمع «بازى» وهو نوع من الصقور التى تصيد . و «اللوائك» يريد : من صريف أنيابه التى تلوك وتمضغ . أفاده المرصفى .

ويَحْرِقُ ويَحْرُقُ ، ورأيتَه يَعَضُّ عليك الأُرَّمَ . قال زهيرٌ فى مدحِه حِصْنَ بن حُذَيْفَةَ [بن بَدْرٍ الفَزَارِىّ](١) :

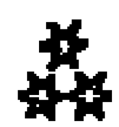
أَبَى الضَّيْمَ والنُّعمانُ يَحْرِقُ نابُهُ   عليه فأفْضَى والسُّيوفُ مَعاقِلُهْ

وقال آخرُ :

نُبِّئْتُ أَحْمَاءَ سُلَيْمَى أَنَّمَا   ظَلُّوا غِضَابًا يَعْلُكُونَ الأُرَّمَا

وقال بعضُ النحويين : يعنى الشِّفاهَ ، وقال بعضُهم : يعنى الأصابعَ .

فأما قولُهم « عَضّ على ناجذِه » وهو آخِرُ الأسنانِ ـ : فيكونُ على وجهين : أحدُهما : أنه قدِ احتَنَكَ وبَلَغَ ، والآخرُ : أن يكونَ للإطْراقِ والتَّشَدُّدِ . ويُروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه كان يقولُ : إذا لقيتُم القومَ(٢) فأَجْمِعُوا القلوبَ وعَضُّوا على النَّوَاجِذِ ، فإن ذلك يَثْنِي(٣) السيوفَ عنِ الهَامِ .



ثم نعود إلى التشبيه .

قال الراجزُ [وهو أبو النَّجْمِ](٤) :

كأنَّها حين تَناهَى الْبَاسُ   جِنِّيَّةٌ فى رأسِها أَمْرَاسُ(٥)

(١) الزيادة من س و د .
(٢) فى هـ زيادة « فى الحرب » .
(٣) فى ع و س و د و هـ « يُنْبِي » .
(٤) الزيادة من ع و س و د .
(٥) فى ع و س و د « كأنها حين بناها الناس » .

بها سُكونٌ وبها شِمَاسُ   يَخرُجُ منها الحَجَرُ الكُبَاسُ[1]

يَمُرُّ لا يَحْبِسُهُ حَبَّاسُ   لا نَافِذُ الطَّعْنِ ولا تَرَّاسُ

يصفُ المَنْجَنيقَ. و «الأمراسُ» الحِبالُ، الواحدُ «مَرَسَةٌ[2]». و«الكُبَاسُ» الضخم، يقال: هامةٌ «كَبْسَاءُ» يافتى؛ ورأسٌ «أَكْبَسُ». و«الحَبَاسُ»: الذى من شأنه أن يَحْبِسَ، يقال: رجلٌ ضاربٌ: للذى يضربُ، كثيراً كان منه ذلك أو قليلاً، فإذا قلتَ «ضَرَّابٌ» و «قَتَّالٌ» فإنما يُكَثِّرُ الفعلَ، ولا يكونُ للقليل.

قال الراجزُ:

أَخْضَرُ مِن مَعْدِنِ ذى قُسَاسِ   كأنه فى الحَيْدِ ذى الأضْراسِ

* يُرْمَى به فى البلدِ الدَّهَّاسِ *

يصفُ مِعْوَلاً. و «ذو قُسَاسٍ» مَعدِنٌ للحديد الجيّد، وهو يقرُبُ من بلاد بنى أَسَدٍ. و «الحَيْدُ» ماأشرفَ من الجبلِ أو غيرِ ذلك، يقال للطُّنُفِ «حَيْدٌ» وهو الذى يسميه أهلُ الحَضَرِ «الإفْرِيزَ» يقالُ: طَنِّفْ حائِطَك، ويقالُ للنّاتِئِ [فى][3] وسطِ الكَتِفِ «حَيْدٌ» و «عَيْرٌ» وكذا النّاتِئُ فى القَدَمِ. وقوله «ذى الأضراسِ» يريدُ الموضعَ الضَّرِسَ الخَشِنَ ذا الحجارةِ، فيقولُ: هذا المِعْوَلُ لِحِدَّتِهِ يقَعُ فى الخشونةِ فيَهْدِمُها كما يهدِمُ الدَّهَّاسَ. و«الدَّهَّاسُ»

---

(١) «الشماس» بكسر الشين، و «الشموس» بضمها: جموح الدابة ونفورها.

(٢) فى ج و س و د و هـ «مَرَسٌ».

(٣) الزيادة من ج و س و د و هـ.

ما لانَ من الرملِ . قال دُرَيْدُ بنُ الصِّمَّةِ [وهو أعمى][1] في يوم حُنَيْنٍ : أينَ مُجْتَلَدُ القومِ ؟ فقالوا : بأَوْطاسٍ ، فقال : نِعْمَ مَجالُ الخيلِ ، لا حَزْنٌ ضَرِسٌ ، ولا لَيِّنٌ دَهِسٌ .

وقال العَجّاجُ يصفُ حماراً :

كأَنَّ فيه إذا ما شَحَجا عُودًا دُوَينَ اللَّهَوَاتِ مُولَجَا[2]

هذا يوصف به العَيْرُ[3] الوحشيُّ إذا أَسَنَّ[4] ، تَراه لا يشتدُّ نَهيقُهُ ، وكأنه يعالجه عِلاجاً . قال الشَّمّاخُ :

إذا رَجَّعَ التَّعشيرَ عَجًّا كأَنه بناجِذِه مِن خَلْفِ قارِحِهِ شَجِي

فأما قولُ عَنْتَرَةَ :

بَرَكَتْ على ماءِ الرِّداعِ كأَنَّما بَرَكَتْ على قَصَبٍ أَجَشَّ مُهَضَّمِ

- : فإنما يصفُ الناقةَ ويذكر حنينَها ، يقالُ أنه يَخرجُ منها كأَشْجَى[5] صوتٍ ، فإنما شَبَّهه بالزَّميرِ ، وأراد القَصَبَ الذي يُزْمَرُ به ، قال الأصمعيُّ : هو الذي يقال له بالفارسية « نَايْ »[6] ، قال الراعِي يصفُ الحادِيَ :

زَجِلُ الحُداءِ كأَنَّ في حَيْزُومِهِ قَصَبًا ومُقْنِعَةَ الحَنِينِ عَجُولا

---

(١) الزيادة من س و د .

(٢) « الشحيج » بالشين المعجمة والحاء المهملة والجيم : صوت البغل والحمار إذا أسن .

(٣) في ج و س و د و هـ « يصف العير » .

(٤) في ج و س و د « الذي قد أسن » .

(٥) رسمت في الأصول « كأشجا » بالألف .

(٦) في ج و د « نَرْمَنَايْ » . والذي في المعرب للجواليقي وشفاء الغليل للخفاجي « نَايْ نَرْم » ورواه في بيت للاعشى .

: « المُقْنِـعُ » الرافعُ رأسَه ، فى هذا الموضع ، ويقال فى غيره : الذى يَحُطُّ رأسَه ، استخذاءً[(١)] وندمًا . قال الله جل وعز : ﴿مُقْنِعِي رُؤُوسِهِمْ﴾[(٢)] . ومن قال : هو الرافعُ رأسَه ـ : فتأويلُه عندنا : أنه يتطاولُ فينظرُ ثم يُطَأْطِئُ رأسَه ، فهو بَعْدُ يَرجعُ إلى الإغْضاء والانكسارِ .

⁂

والبعيرُ يَحِنُّ كأشدِّ الحنينِ إلى أُلَّافِهِ إذا أُخِذَ من القطيع . قال : وأَكثَرُ ما يَحِنُّ عند العطشِ ، قال الشاعرُ :

[وتفرَّقُوا بعدَ الجميعِ لِنيَّةٍ لا بُدَّ أن يتفرَّقَ الجِيرانُ][(٣)]
لاتصبرُ الإبلُ الجِلادُ تفرَّقَتْ بعدَ الجميعِ ويَصْبِرُ الإنسانُ[(٤)]

وقال آخرُ :

وهل رِيبةٌ فى أن تَحِنَّ نَجِيبةٌ إلى إلْفها أو أن يَحِنَّ نَجِيبُ

وإذا رَجَّعَتِ الحنينَ كان ذلك أحسنَ صوتٍ يهتاجُ له المُفارِقون ، كما يهتاجون لنَوْحِ الحمامِ ، ولِالْتِياحِ البُرُوقِ .

وقال عَوْفُ بن مُحَلِّمٍ وسمع نَوْحَ حمامةٍ :

ألَا يا حَمامَ الأَيْكِ إلْفُكَ حاضِرٌ وغُصْنُكَ ميَّالٌ فَفِيمَ تَنُوحُ[(٥)]

---

(١) فى س و هـ « استحياء » .
(٢) سورة إبرهيم (٤٣) .
(٣) الزيادة من س و د .
(٤) فى ج و س « الإبل الجياد » وفى س « لفرقة » بدل « تفرقت » .
(٥) فى ج و س و د و هـ « وغصنك ميَّادٌ » . وبها طبعت نسخة الشيخ المرصفى ، من غير إشارة الى مافى الأصول الأخرى .

أفقْ لاتنُحْ مِن غيرِ شيء فإنِّى ... بكيتُ زمانًا والفؤادُ صحيحُ
وَلُوعًا فَشَطَتْ غَرْبَةً دارُ زَيْنبٍ ... فها أنا أَبْكِى والفؤادُ قَرِيحُ

وكلُّ مُطَوَّقَةٍ عند العربِ حمامةٌ ، كالدُّبْسِيِّ والقُمْرِيِّ والوَرَشَانِ وما أشبه ذلك . قال حُمَيْدُ بن ثَوْرٍ :

وما هاجَ هذا الشَّوْقَ إلا حمامةٌ ... دَعَتْ سَاقَ حُرٍّ تَرْحَةً وتَرَنُّمَا(١)
إذا شئتُ غَنَّتْنِي بأجزَاعِ بِيشَةٍ ... أو النَّخْلِ من تَثْلِيثَ أو بِيَلَمْلَمَا
مُطَوَّقَةٌ خَطْبَاءُ تَسْجَعُ كُلَّمَا ... دَنَا الصيفُ وانجالَ الربيعُ فأَنْجَمَا(٢)
مُحلَّاةُ طَوْقٍ لم يَكُن مِّن تَمِيمةٍ ... ولا ضَرْبِ صَوَّاغٍ بكَفَّيْهِ دِرْهَمَا
تَغَنَّتْ على غُصْنٍ عِشاءً فلم تَدَعْ ... لنائحةٍ فى شَجْوِها مُتَلَوَّمَا(٣)
إذا حَرَّكَتْهُ الرِّيحُ أو مال مَيْلَةً ... تغنَّتْ عليــــه مائِلاً ومُقَوَّمَا
عجبتُ لها أنَّى يكونُ غِناؤُها ... فَصِيحًا ولم تَفْغَرْ بمَنْطِقِها فَمَا
فلم أرَ مثلِى شاقَهُ صوتُ مثلِها ... ولا عَرَبِيًّا شاقَهُ صوتُ أعجَمَا

وقال [عدىُّ](٤) بن الرِّقاعِ وذكرَ حمامةً(٥) :

---

(١) فى ج و هـ « غيرُ حمامةٍ » وفى ج . و س و د و هـ « دعتْ ساقَ حُرٍّ فى حمامٍ تَرَنَّمَا » .
(٢) فى هـ « مطوَّقةٌ غرَّاء تَصْدَحُ » . وفيها « وأنْزَالَ » بدل « وانجال » . وفى ج و س و د وحاشية ا « وانْزَاح » .
(٣) فى حاشية ا « غُصْنٍ ضُحَيًّا » . وفى ج و س و د و هـ وحاشية ا « فى نوحها » .
(٤) الزيادة من د .
(٥) فى ف « قال أبوالحسن : الصحيح أنه لنصيب » .

[ومِمّا شَجانِى أننى كنتُ نائمًا أُعَلَّلُ من بَرْدِ الكَرَى بالتَّنَسُّمِ
إلى أنْ بكَتْ ورقاءُ فى غُصْنِ أيْكَةٍ تُرَدِّدُ مَبْكاهَا بحُسْنِ الترنُّمِ][1]
فلو قَبْلَ مَبْكاها بكيتُ صَبابَةً بسُعْدَى شَفَيْتُ النفسَ قبلَ التَّنَدُّمِ[2]
ولكنْ بكَتْ قبلِى فهاجَ لىَ البُكا بُكاهَا فقلتُ الفَضْلُ للمتقدِّمِ

أما قولُ حميدٍ « دَعَتْ ساقَ حُرٍّ » فإنما حَكَى صَوْتَها . ويقال للواحدِ ذكرًا كان أو أنثى « حمامةٌ » والجمعُ « الحَمَامُ » وَ « الحَمَاماتُ » . فإذا كان ذكرًا قلتَ « هذا حمامةٌ » وإذا كانت أُنثى قلتَ « هذه حمامةٌ » . وكذلك « هذا بَطَّةٌ » و « هذه بَطَّةٌ » . ويقال « بقرةٌ » للذكر والأنثى ، و « دجاجةٌ » لهما ، فإذا قلتَ « ثَوْرٌ » أو « ديكٌ » بيَّنْتَ الذَّكَرَ واستغنيتَ عن تقديم التذكير .

ويقال للحمامة : تَغَنَّتْ وناحتْ ، وذاك أنه صوتٌ حسنٌ غيرُ مفهومٍ ، فيُشَبَّهُ مرةً بهذا ومرةً بهذا . قال قيسُ بن مُعاذٍ :

ولو لم يشقْنِى الظاعنونَ لَشاقَنِى حمائمُ وُرْقٌ فى الديارِ وُقُوعُ
تجاوَبْنَ فاستَبْكَيْنَ مَن كانَ ذا هوًى نَوائحَ ما تَجْرِى لهنَّ دموعُ

وقوله « وانجَالَ الربيعُ » يقال « انجالَ عنَّا » أى أَقْلَعَ ، ومثلُ ذلك « أَنجمَ عَنَّا » . وإن قلتَ « أَنْجَمَ » فمعناه لَزِمَ ووقع ، فهو خلافُ « أَنجمَ » . وإن قلتَ « انجابَ » فمعناه انشقَّ ، يقال « المِجْوَبُ » للحديدةِ التى يُثْقَبُ بها

---

(١) الزيادة من حاشية ج .

(٢) فى ج و س و د و هـ « بليلى » بدل « بسعدى » .

العَسِيبُ ، ويقال « جُبْت البلادَ » أى دخلتُها وطَوَّفتُها . وفى القرآن : ﴿وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾[١] أى شَقُّوهُ .

وقوله « لم يَكُن مِّن تَميمةٍ » « التَّميمةُ » المعاذَةُ وقد مضى هذا[٢] .

وقوله « ولم تَفغَرْ بمنطِقِها فمًا » يقولُ : لم تَفتَحْ ، يقال « فَغَرَفاه » إذا فتَحَه [حكى ثعلبٌ « فغَرَفاه » و « فَغَرَ نَفْسُه » وكذلك « شَحَا فاه[٣] » و « شَحَا[٣] نَفْسُهُ »][٤] . وقوله « ولا عَرَبيًّا شَاقَهُ صوتُ أَعجَمَا » يقولُ : لم أَفهم ما قالتْ ، ولكنى استحسنتُ[٥] صوتَها واستَحزَنتُه ، فَحَنَنْتُ له .

ويُرْوَى أَنَّ بعضَ الصالحين كان يسمعُ الفارسيَّةَ تَنُوحُ ولا يدرى ما تقولُ ، فيُبكيه ذلك ويُرَقِّقُهُ ، ويَذْكُرُ به غيرَ ما قَصَدَتْ له .

[قال أبو العباس[٦]] : وحُدِّثْتُ أن بعض المُحْدَثِين[٧] سمع غِناءً بخُراسان بالفارِسيَّة فلم يَدْرِ ماهو ، غيرَ أنه شَوَّقَهُ لِشَجَاهُ وحُسْنِهِ ، فقال فى ذلك :

حَمِدْتُكِ ليلةً شَرُفَتْ وطابَتْ ... أقام سُهادُها ومَضَى كَرَاها[٨]
سمعتُ بها غِناءً كان أَوْلَى ... بأن يَقْتادَ نفسِى من غِناها

(١) سورة الفجر (٩) .
(٢) مضى فى (ص ٥١٧) .
(٣) « شحا » رسمت فى الأصل « شحى » بالياء .
(٤) الزيادة من حاشية ج .
(٥) فى ج و د « استَشْجَيْتُ » .
(٦) الزيادة من ج و س .
(٧) فى ف « قال أبو الحسن : هو لأبى تمام » وكذلك قال المرصفى .
(٨) فى ج « ونَفَى كَرَاها » .

« الغِنَاء » الأولُ المدودُ[1] من الصوت ، والذى ذكره بعدُ فى القافية من المالِ مقصورٌ .

ومُسْمِعَةٍ يَحَارُ السَّمْعُ فيها ولا تُضْمِمْهُ لا يَصْمَمْ صَدَاهَا[2]
مَرَتْ أوتَارَها فَشَفَتْ وشَاقَتْ فلو يَسْطِيعُ حاسِدُها فَدَاهَا
ولم أفهم معانِيَهَا ولكِنْ وَرَتْ كَبِدِى فلم أجْهَلْ شَجَاهَا
فَكنتُ كأنّنِي أعْمَى مُعَنًّى بِحُبِّ الغَانِياتِ وما رَآهَا[3]

[وقال عَبْدُ بنى الحَسْحَاسِ :

وَرَاهُنَّ رَبِّى مثلَ ما قد وَرَيْنَنِي وأحْمَى على أكبادِهِنَّ المَكَاوِيَا][4]

[قال أبو العباس][5] : والشيء يُذْكَر بالشيء ، وإن كان دونَه ، فَتَجْرِى[6] لاحتواءِ البابِ والمعنَى عليهما .

وفى شعرِ حُمَيدٍ هذا ما هو أحْكَمُ مما ذكرنا وأوعظُ ، وأحْرَى أن يتمثَّل به الأشرافُ ، وتُسَوَّدَ به الصُّحُفُ ، وهو قولُه :

أرَى بَصرِى قدرَابَنِى بعدَ صِحَّةٍ وحَسْبُكَ داءً أن تَصِحَّ وتَسْلَمَا

---

(١) فى ج « ممدود » .

(٢) فى ج و د « ومسمعةٍ » . وقوله « لايصمم صداها » قال المرصفى : « يدعو لها بطول العمر . والعرب تقول : أصم الله صداه ، تريد : أهلكه . وإذا مات قالت : صمّ صداه . والصدى : ماتسمعه عقيب صياحك راجعا إليك من جبل أو مكان مرتفع » .

(٣) فى ج و س و هـ « وما رءاها » .

(٤) الزيادة من هـ .

(٥) الزيادة من ج و س و هـ .

(٦) فى ج و س و د « فيجرى معه » . وفى ف « قال أبوالعباس : والشيء بالشيء يذكر لاحتواء الباب عليهما » .

ولا يَلْبَثُ العَصْرانِ يومٌ وليلةٌ إذا طَلَبَا أن يُدْرِكَا ما تَيَمَّمَا

ويُروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «كَفَى بالسَّلامَةِ داءً»[1].

⁂

ثم نرجعُ إلى التشبيه:

[قال أبو العباس][2]: والعربُ تُشَبِّهُ على أربعةِ أضرُبٍ: فتشبيهٌ مُفْرِطٌ، وتشبيهٌ مُصِيبٌ، وتشبيهٌ مُقَارِبٌ، وتشبيهٌ بعيدٌ يَحتاجُ إلى التفسير ولا يقوم بنفسه، وهو أَخْشَنُ[3] الكلام.

فمن التشبيه المفرطِ المتجاوِز قولُهم للسَّخِيِّ: هو كالبَحْرِ. وللشجاع: هو كالأسدِ. وللشريفِ: سَمَا حتى بَلَغَ النجم. ثم زادُوا فوقَ ذلك، فمن ذاك قولُ بعضهم [وهو بَكْرُ بن النَّطَّاحِ يقوله لأبي دُلَفَ القاسمِ بن عيسى][4]:

له هِمَمٌ لا مُنْتَهَى لكِبارِها وهِمَّتُهُ الصُّغْرَى أَجَلُّ من الدَّهرِ

له راحةٌ لو أَنَّ مِعْشارَ جُودِها على البَرِّ صارَ البَرُّ أَنْدَى من البحرِ

ولو أنَّ خَلْقَ اللهِ في مَسْكِ فارسٍ وبارَزَهُ كانَ الخَلِيُّ من العُمْرِ[5]

(١) الحديث ذكره السيوطى فى الجامع الصغير (برقم ٦٢٣٤) ونسبه للديلمى فى مسند الفردوس، وأشار إلى أنه حديث ضعيف.

(٢) الزيادة من ج و س.

(٣) «أخشن» بالخاء والشين المعجمتين، وفى س و د و هـ و ا «أحسن» بالمهملتين.

(٤) الزيادة من س و د.

(٥) «مسك» بفتح الميم وسكون السين، وهو الجلد. يعنى: أن الناس جميعا لواجتمعوا فصاروا فارساً واحداً وبارزه لظفر به أبو دلف.

وقد قيل أن امرأةَ عِمْرَانَ بن حِطَّانَ قالت له : أما زعمتَ أنك لم تكذب في شعرٍ قَطُّ ؟ ! قال : أوَ فعلْتُ ؟ قالت : أنت القائلُ :

فهُناكَ مَجْزَأَةُ بن ثَوْ رٍ كان أشجعَ من أُسامَهْ

أفيكونُ رجلٌ أشجعَ من الأسدِ ؟ ! قال : فقال : أنا رأيتُ مجزأةَ [بن ثورٍ][1] فتح مَدِينةً ، والأسدُ لا يفتحُ مدينةً[2] .

ومن عجيب التشبيه في إفراطٍ ، غيرَ أنه خَرَجَ في كلامٍ جيدٍ ، وعُنِيَ به رجلٌ جليلٌ[3] ، فخَرَجَ من باب الاحتمالِ إلى باب الاستحسانِ ، ثم جُعِلَ لجَوْدَةِ ألفاظِه وحسنِ رَصْفِهِ واستواءِ نظمِه في غاية ما يُسْتَحْسَنُ — : قولُ النابغةِ يعني حِصْنَ بن حُذَيْفَةَ [بن بَدْرِ بن عَمرٍو الفَزَارِيّ][1] :

يقولون حِصْنٌ ثم تأبَى نفوسُهمْ وكيفَ بِحِصْنٍ والجِبالُ جُنُوحُ[4]

ولم تَلْفِظِ المَوْتَى القُبورُ ولم تَزُلْ نجومُ السماءِ والأَدِيمُ صَحِيحُ

فعمَّا قليـــلٍ ثُمَّ جاء نَعِيُّهُ فَظَلَّ نَدِيُّ الحَيِّ وهو يَنُوحُ

ومن تشبيههم المتجاوزِ الجيِّدِ النَّظْمِ ما [قد][5] ذكرناه ، وهو قولُ أبي الطَّمَحَانِ [القَيْنِيِّ][6] :

(١) الزيادة من ج و س و د .

(٢) سبقت القصة بنحو هذا ، في (ص ٥٦٠) .

(٣) في ج و س و د « وعنى به رجلا جليلاً » .

(٤) يعني : تأبى نفوسهم أن يخبروا بموته ، إعظاماً له .

(٥) الزيادة من ج و س و د و ه .

(٦) الزيادة من د . والبيت مضى ضمن أربعة أبيات ، في (ص ٤٦ـ٤٧) منسوبة لأبي الطمحان. وأما ابن قتيبة فنسبها للقيط بن زرارة ، ولنى نسبتها لأبي الطمحان ، وانظر =

أضاءتْ لهم أحسابُهم ووُجُوهُهُمْ دُجَى الليلِ حتى نَظَّمَ الجَزْعَ ثاقِبُهْ(١)

ويروى عن الأصمعي : أنه رأى رجلاً يختالُ فى أُزَيْرٍ(٢) فى يوم قُرٍّ فى مِشْيَتِه ، فقال له : ممن أنتَ يا مَقْرُورُ ؟ فقال : أنا ابنُ الوَحِيدِ ، أمشِي الخَيْزَلَى(٣) ، ويُدْفِئُنى حَسَبِى !!

وقيل لآخرَ فى هذه الحالِ : أَمَا يُوجِعُكَ البَرْدُ ؟ فقال : بَلَى واللهِ ، ولكنِّى أذْكُرُ حَسَبِى فَأَدْفَأُ !!

وأَصْوَبُ منهما قولُ العُرْيانِ الذى سُئِلَ فى يوم قُرٍّ عمّا يَجِدُ ؟ فقال : ماعلىَّ منه كبيرُ مَؤُونةٍ ، وقيل(٤) : وكيفَ [ذلك](٥) ؟ فقال : دَامَ بِى العُرْىُ ، فاعْتَادَ بَدَنِى ما تعتادُه وجوهُكم !

ومن التشبيهِ القاصِدِ(٦) الصحيح قولُ النابغةِ :

وَعِيدُ أَبِى قابُوسَ فى غيرِ كُنْهِهِ أتانِى ودُونِى رَاكِسٌ فالضَّوَاجِعُ(٧)

فَبِتُّ كأنِّى سَاوَرَتْنِى ضَئِيلَةٌ من الرُّقْشِ فى أنيابِها السُّمُّ ناقِعُ(٨)

= طبقات الشعراء (ص ٤٤٧) وعيون الأخبار (٤ : ٢٤) لابن قتيبة ، وانظر أيضاً لباب الآداب بتحقيقنا (ص ٣٦٧) وأمالى الشريف المرتضى (١ : ١٨٦) .

(١) « الجزع » بفتح الجيم ، ويجوز كسرها ، وهو ضرب من الخرز ، وقيل : هو الخرز اليمانى ، وهو الذى فيه بياض وسواد تشبه به الأعين ، وقد ضبطت الكلمة فى طبعة أوربة فيما مضى بفتح الجيم ، وهنا بكسرها ، وضبطناها بالوجهين .

(٢) « أزير » تصغير إزار .

(٣) « الخيزلى » مشية فيها تثاقل وتراجع وتفكك ، وهى نوع من التبختر .

(٤) فى ج و س و د « فقيل » .

(٥) الزيادة من د .

(٦) « القاصد » المستقيم السهل ، يقال : طريق قاصد : سهل مستقيم ، وسفر قاصد: سهل قريب .

(٧) « أبو قابوس » هو النعمان بن المنذر . و « راكس » واد . و « الضواجع » موضع ، وكلاهما بديار غطفان .

(٨) « ساورتنى » من المساورة ، وهى المواثبة : و « الضئيلة » الحية الدقيقة . و « الرقش » جمع

يسَهَّدُ من نومِ العِشاء سَليمُها ... لِحَلْي النساء في يَدَيْهِ قَعاقِعُ[1]

تَنَاذَرَها الرَّاقُونَ من سُوءِ سُمِّها ... تُطَلِّقُهُ طَوْرًا وطَوْرًا تُرَاجِعُ[2]

فهذه صفةُ الخائف المهمومِ . ومثلُ ذلك قولُ الآخرِ :

تَبِيتُ الهُمُومُ الطارِقاتُ يَعُدْنَنِي ... كما تعتَرِي الأَوْصابُ رأسَ المُطَلَّقِ

و « المُطَلَّقُ » هو الذي ذكره النابغةُ في قوله :

* تُطَلِّقُهُ طورًا وطورًا تُرَاجِعُ *

وذاك : أن المنهوشَ إذا أَلَحَّ الوجعُ به تارةً وأَمْسَكَ عنه تارةً فقد قارب أن يُوءَسَ من بُرْئِه .

وإنما ذَكَرَ خوفَه من النعمانِ وما يَعْتَرِيه من لَوْعَةٍ في إِثْرِ لوعةٍ ، والفَتْرَةَ بينهما ، والخائفُ لا يَنامُ إلاَّ غِرَارًا[3] . فلذلك شبَّهه بالملدوغِ المسَهَّدِ .

وقوله « لِحَلْي النساء في يديه قَعَاقِعُ » لأنهم كانوا يُعلِّقون حُلِيَّ النساءِ على الملدوغ ، يزعمون أن ذلك من أسبابِ البُرْءِ ، لأنه يسمعُ تقعقُعَها فيمنعُه النومَ فلا ينامُ فَيَدِبُّ فيه السُّمُّ ، ويُسَهَّدُ لذلك .

« رقشاء » وهي التي فيها نقط سود وبيض . و « الناقع » الثابت المجتمع .

(١) في س و ج و د « يُسَهَّدُ في لَيْلِ التِّمامِ » وزعم المرصفي أنها الرواية الصحيحة . و « التمام » بكسر التاء : أطول ليالي الشتاء .

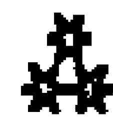
(٢) « تناذرها الراقون » أي : أنذر بعضهم بعضا .

(٣) في ج و س و د « وما يعتريه من لَوعةٍ في إِثْرِ فَتْرةٍ ، والفَترةُ سِيَّا الخائفِ ، ولا ينامُ إلاَّغِرارًا » .

وقال الآخرُ :

كأنَّ فِجاجَ الأرضِ وهى عريضةٌ ... على الخائفِ المطلوبِ كُفَّةُ حابِلِ
يُؤَتّى إليـــه أنَّ كلَّ ثَنيَّةٍ ... تَيَمَّمَها تَرْمِى إليـــه بقاتِلِ[1]

يقال لـكل مستطيل « كُفَّةٌ » يقال « كُفَّةُ الثوبِ » لحاشيته ، و « كُفَّةُ الحابِلِ » إذا كانت مستطيلةً . ويقال لـكل شيء مستديرٍ « كِفَّةٌ » ويقال « ضَعْهُ في كِفَّةِ الميزان » فهذه جملة هذا . وكُفَّةُ الحابل : صاحبَ الحِبَالَةِ التى يَنْصِبُها للصَّيدِ .



وأما التشبيهُ البعيدُ الذى لا يقومُ بنفسِه فكقوله :

بل لو رَأتْنِى أُختُ جِيرانِنا ... إذْ أنا فى الدارِ كأنِّى حمارْ

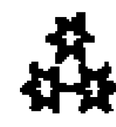
فإنما أراد الصحةَ ! فهذا بعيدٌ ، لأن السامعَ إنما يستدلُّ عليه بغيرِه . وقال الله جل وعز ، وهذا البَيِّنُ الواضِحُ : ﴿كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحْمِلُ أسْفَارًا﴾ . و « السِّفْرُ » الـكتابُ . وقال : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لم يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الحِمَارِ﴾[2] فى أنهم قد تعامَوْا عنها ، وأَضْرَبُوا عن حدودِها وأمْرِها ونهيِها ، حتى صاروا كالحمار الذى يَحْمِلُ الـكتبَ ولا يَعلمُ ما فيها .

وهَجَا مروانُ بن سليمانَ بن يَحْيَى بن أبى حَفْصةَ قومًا [يَدَّعُونَ العِلْمَ][3]

(١) « يؤتى » بتشديد التاء المفتوحة ، من « التأتية » يريد : يأتيه الظن والوهم ، فيخيل اليه .
(٢) سورة الجمعة (٥) .
(٣) الزيادة من ه .

من رواةِ الشّعر ، بأنهم لا يعلمون ما هو ، على كثرةِ استكثارِهم روايتَه ، فقال :

زَوامِلُ للأشعارِ لا عِلْمَ عندَهم بجيِّدِها إلاّ كعِلْمِ الأبَاعِرِ
لَعَمْرُكَ مايَدْرِى البَعِيرُ إذا غَدَا بأوساقِهِ أورَاحَ ما فى الغَرَائِرِ



والتشبيهُ كما ذكرنا مِن أكثرِ كلامِ الناسِ . وقد وَقَع على أَلْسُنِ الناسِ من التشبيهِ المستحسَنِ عندَهم ، وعن أصلٍ أخَذُوه ـ : أنْ شَبَّهُوا[1] عينَ المرأةِ والرجلِ بعينِ الظّبْيِ[2] أو البقرةِ الوحشيَّةِ ، والأنْفَ بحَدِّ السيفِ ، والفَمَ بالخاتَمِ ، والشَّعَرَ بالعَنَاقيدِ ، والعُنُقَ بإبريقِ فضةٍ ، والساقَ بالجُمَّارِ[3] . فهذا كلامٌ جارٍ على الألْسُنِ .

وقد قال سُراقةُ بن مالك بن جُعْشُمٍ : « فرأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وسَاقَاهُ باديتانِ فى غَرْزِهِ كأنهما جُمَّارتَان ، فأرَدْتُه فوقعتُ فى مِقْنَبٍ[4] مِن خَيْـــلِ الأنصار ، فقرّعُونِى بالرِّماح . وقالوا : أين تريدُ »[5] .

---

(١) فى ج و س و د و هـ « يشبهوا » .
(٢) فى ج و س و د « الظبية » .
(٣) فى ج و س و د و هـ « بالجمارة » .
(٤) « المقنب » بكسر الميم : جماعة الخيل والفرسان ، وقيل : هو دون المائة .
(٥) الحديث رواه ابن إسحق فى السيرة عن الزهرى ، وهو فى سيرة ابن هشام (ص ٣٣١ ـ ٣٣٢ طبعة أوروبة) ورواه من طريقه ابن الأثير فى أسد الغابة فى ترجمة سراقة .

وقال كعبُ بن مالكٍ الأنصاريُّ : « وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سُرَّ تبلَّجَ وجْهُهُ فصارَ كأنه البَدْرُ »(١) .

وعينُ الإنسانِ مشبَّهةٌ بعينِ الظبي والبقرةِ في كلامهم المنثورِ ، وشعرِهم المنظومِ ، مِنْ جارِي ما تكلمتْ به العربُ ، وكَثُرَ في أشعارِها ، قال [الشاعرُ](٢) :

فعَيْناكِ عَيْناها وجِيدُكِ جِيدُها ولكنَّ عظمَ الساقِ منكِ دقيقُ(٣)

[وقال ذو الرُّمَّة :

أرَى فيكِ مِن خَرْقاءَ ياظَبْيَةَ اللِّوَى مَشابِهَ جُنِّبْتِ اعْتِلاَقَ الحَبائلِ

فعيناكِ عيناها وجيدُكِ جيدها ولونُكِ إلاَّ أنها غيْرُ عاطلِ](٤)

وقال الآخرُ :

فلم تَرَعيني مثلَ سِرْبٍ رأيتُهُ خَرَجْنَ علينا من زُقاقِ ابنِ واقِفِ

طَلَعْنَ بأعْناقِ الظِّباءِ وأعْيُنِ الْـ ـجآذِرِ وامْتَدَّتْ بهِنَّ الرَّوادِفُ(٥)

ويقالُ للخطيبِ : كأنَّ لِسانَه مِبْرَدٌ . فهذا الجارِي في الكلام ، كما يقال

---

(١) الحديث رواه مسلم في صحيحه ، وهو قصة طويلة في تخلف كعب بن مالك عن غزوة تبوك وتوبته من ذلك (٢ : ٣٢٩ ـ ٣٣٢) ورواه أيضا البخاري في مواضع متعددة من الصحيح ، ولفظهما في الموضع الذي روى المبرد : « وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سرَّ استنار وجهه ، حتى كأن وجهه قطعة قمر » .

(٢) الزيادة من ج و س و د .

(٣) في س و د « رقيق » .

(٤) نقل مصحح طبعة أوروبة عن ديوان ذي الرمة أن فيه : «ولَوْنُكِ لَوْنُها وجِيدُكِ إلَّا أنها غيرُ عاطِلِ » . وكذلك نقل المرصفي أن أبا العباس الأحول رواه هكذا .

(٥) في هذا البيت إقواء ، كما قال المرصفي .

للطويلِ : كأنه رُمْحٌ . ويقال لِلْمُهْتَزِّ للكَرَم : كأنه غصنٌ تحتَ بارِحٍ .

ومِن مليح التشبيه[1] قولُ القائلِ :

لَعَيْنَيْكَ يومَ البَيْنِ أسْرَعُ واكِفاً   من الفَنَنِ المَمْطُورِ وهو مَرُوحُ[2]

وذاك : أن الغُصْنَ يقعُ المطرُ في وَرَقِهِ فيصيرُ منها في مِثْلِ المَدَاهِنِ ، فإذا هَبَّتْ به الريحُ لم تُلَبِّثْهُ أنْ تُقَطِّرَهُ .

⁂

ثم نذكرُ بعدَ هذا طرائِفَ من تشبيه المُحْدَثِين ومَلاَحَاتِهِم ، فقد شرطناه في أول الباب ، إن شاء الله .

قال أبو العباس : ومِن أكثرِهم تشبيهاً ، لاتِّساعِه في القولِ ، وكثرة تَفَنُّنِهِ[3] ، واتِّساعِ مذاهبِه[4] — : الحسنُ بن هَانِئٍ[5] . قال في مَدِيحه الفَضْلَ بن يحيي [بن خالد بن بَرْمَكٍ][6] :

وكُنَّا إذا ما الحَائِنُ الجِدُّ غَرَّهُ   سَنَا بَرْقِ فاوٍ أو ضَجِيجُ رِعَادِ[7]

---

(١) في ج و س و د « ومن عجيب التشبيه » .

(٢) في ج و د « لَعَيْنُكَ يومَ البَيْنِ » وقد غير الشيخ المرصفي الكلمة فجعلها « لَعَيْنَاكَ » من غير أن يشير إلى الأصل .

(٣) في ج « وكثرةِ تَقَلُّبِهِ » .

(٤) في ج و د « مذهبه » .

(٥) في حاشية د مانصه « ش : هو أبو نواس ، غير مهموز » .

(٦) الزيادة من د . وزيدت في طبعات مصر من غير إشارة إلى ذلك .

(٧) في ج و س و د « سَنَا بَرْقِ غَادٍ » .

تَرَدَّى له الفضلُ بنُ يحيى بنِ خالدٍ   بماضِي الظُّبَى أزهاهُ طُولُ نجادِ
أمامَ خَمِيسٍ أرْجُوانٍ كأنَّه   قميصٌ محُوكٌ من قنًا وجيادِ
فما هو إلاَّ الدَّهرُ يأتِي بصَرْفِهِ   على كل مَنْ يَشْقَى به ويُعَادِي

قوله « الحائنُ الجَدِّ » يقال « حانَ الرجلُ» إذا دَنَا موتُه ، ويقال رجلٌ حَائِنٌ » والمصدرُ « الحَيْنُ » . و « الجَدُّ » الحَظُّ ، و « الجَدُّ » و «الجِدَّةُ» مفتوحَان ، فإذَا أردتَ المصدرَ من « جَدَدْتُ » فى الأمْرِ قلتَ « أجِدُّ جِدًّا » مكسورَ الجِيم ، ويقال «جَدَدْتُ النخلَ أجُدُّهُ جَدًّا [وَجَدَادًا]»(١) إذَا صَرَمْتَهُ ، ويقال « جَذَذْتُهُ جَذًّا » وتركتُ الشيءَ « جُذَاذًا » إذا قطعْتَهُ قِطعًا. ويُرْوَى هذا البيتُ لجريرٍ على وجهين :

آلُ المُهَلَّبِ جَذَّ اللهُ دَابِرَهم   أضْحَوْا رَماداً فلا أصْلٌ ولا طَرَفُ

ويروى « جَدَّ »(٢). وقرأ بعضُ القُرَّاء ﴿ عَطاءً غيْرَ مَجْدُود ﴾(٣). فأما قولُه: ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا ﴾(٤) فلم يُقْرَأْ بغيرِه. ويقالُ : كَمْ جِداذُ نَخْلِكَ ، أى : كم

---

(١) الزيادة من ر .
(٢) « جذ » فى البيت بالمعجمة ، والرواية الأخرى فيه بالمهملة ، ووضع تحت الدال فى طبعة أوروبة نقطة ، على طريقة المتقنين من المتقدمين فى وضع علامة تحت الحرف المهمل ضبطاً لإهماله . وفى ع و س و د بعكس ذلك ، أى بإهمال الحرف فى البيت وإعجامه فى الرواية الثانية .
(٣) « مجدود » فى هذه القراءة بدالين مهملتين ، ووضع تحت كل منهما نقطة فى طبعة أوروبة ، وطبعت فى طبعات مصر بالمعجمتين ، وهو خطأ من مصححيها ، لأنه لا يكون شاهداً للقراءة التى يشير اليها أبو العباس. والآية فى سورة هود (١٠٨) وهذه القراءة التى حكى المبرد بإهمال الدالين لم أجدها عند غيره قط .
(٤) سورة الأنبياء (٥٨) .

تَصْرِمُ منها[1]. ويروى فى قول الله جل وعز: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾[2] عن أنس بن مالكٍ: غِنَى رَبِّنَا. وقرأ سعيدُ بن جبيرٍ: «جَدًّا رَبُّنا» ولو قرأ قارئٌ «جِدًّا ربُّنا» على معنى: جِدٌّ رَبُّنا، ولم[3] يُقرأ به، لتغيُّرِ الخطِّ، وكذا قراءةُ سعيدٍ مخالِفةُ الخطِّ[4]. وهذا الشعر يُنْشَدُ بالكسر:

أَجِدَّكَ لم تَغْتَمِضْ ليلةً فتَرْقُدَها مع رُقَّادِها

ومثلُه [قولُ الأعشى][5]:

(١) فى ج و س و د: «كم جِدَادُ أرضِك؟ أى كم صُرِمَ منها».

(٢) سورة الجن (٣). وقوله «وإنه» كتب فى طبعة أوروبة بكسر الهمزة فقط. وكتبناه بالفتح والكسر، لأن الفتح قراءة ابن عامر وحفص وحمزة والكسائى، والكسر قراءة باقى السبعة.

(٣) هكذا فى الأصول بإثبات الواو، وهو الصحيح، وقد حذفت فى طبعات مصر وجواب «لو» محذوف.

(٤) فى شواذ القراءات لابن خالويه (ص ١٦٢) أن عكرمة قرأ «جَدٌّ ربُّنا». وهو خطأ فى الضبط من مصحح الكتاب، كما سترى. وهاهى الروايات التى رواها أبو حيان فى البحر بلفظه (٨: ٣٤٧ - ٣٤٨) قال: «وقرأ عكرمة جَدٌّ منونا رَبُّنا مرفوع الباء، كأنه قال: عظيم هو ربنا، فربنا بدل، والجد فى اللغة العظيم. وقرأ حميد بن قيس جُدُّ بضم الجيم مضافاً، ومعناه: العظيم، حكاه سيبويه، وهو من إضافة الصفة إلى الموصوف، والمعنى: تعالى ربنا العظيم. وقرأ عكرمة جَدًّا رَبُّنا بفتح الجيم والدال منونا ورفع ربنا، وانتصب جَدًّا على التمييز المنقول من الفاعل، أصله: جد ربنا. وقرأ قتادة وعكرمة أيضا جِدًّا بكسر الجيم والتنوين نصبا رَبُّنا رفع. قال ابن عطية: نصب جَدًّا على الحال، ومعناه: تعالى حقيقة ومتمكنا. وقال غيره: هو صفة لمصدر محذوف، تقديره: تعاليا جدا، وربنا مرفوع بتعالى وقرأ ابن السميفع: جَدَا رَبِّنَا أى: جدواه ونفعه». وقوله «جـدا» رسم فى البحر «جدى» بالياء وصوابه بالألف كما رسمناه، لأنه واوىّ.

(٥) الزيادة من س.

أَجِدَّكَ لم تَسْمَعْ وَصَاةَ محمدٍ رسولِ الإلهِ حين أوْصَى وأشْهَدَا[١]

لأن معناه : أَجِدًّا منك ، على التوقيف[٢]، وتقديرُه في النصبِ «أَتَجِدُّ جِدًّا» ويقال : امرأةٌ « جَدَّاءُ » إذا كانت لا ثَدْيَ لها ، فكأنه قُطِعَ منها ، لأنَّ أصلَ « الجَدِّ » القطعُ ، ويقال « بلدةٌ جَدَّاءُ » إذا لم تكن بها مياهٌ ، قال الشاعرُ :

وجَدَّاءِ ما يُرْجَى بها ذا هَوَادَةٍ لِعُرْفٍ وَلاَ يَخْشَى السُّمَاةَ رَبِيبُها

[القَرابةُ والهَوادةُ في المعنى واحدٌ][٣]. [قال أبو الحسن : « السُّماة » هم الصَّادَةُ نصفَ النهارِ ، وَرُوِيَ عن بعض أصحابنا عن المازنيِّ قال : إنما سُمِّيَ «سامِياً» بالسماةِ ، وهو خُفٌّ يَلْبَسُهُ لئلاَّ يَسمعَ الوحشُ وَطْأَه ، وهو عندي من « سَمَا للصيدِ »][٤] ويُنْشَدُ هذا البيتُ :

أَبَى حُبِّ سُلَيْمَى أن يَبِيدَا وَأَصْبَحَ حَبْلُها خَلَقاً جَدِيدَا[٥]

يقولُ : أصبحَ خَلَقاً مَقْطُوعاً ، لأن « جديداً » في معنى « مَجْدُودٍ » أي

---

(١) في ج و س و د « نَبِيِّ الإلهِ » .

(٢) أي أنه جار على ما وقفهم عليه شيوخهم وعلماؤهم وبينوه لهم .

(٣) الزيادة من حاشية ا وقد روى الشيخ المرصفي البيت من كتاب سيبويه بلفظ :

وجداء مايرجى بها ذو قرابة لعطف ومايخشى السماة ربيبها

ثم قال : « وكأن راوى الكتاب اطلع على هذه الرواية فزعم أن الهوادة في معنى القرابة ، وهو كاذب في زعمه !! وذلك أن الهوادة ليس لها معنى في اللغة سوى اللين ومايرجى به الصلاح بين القوم ، والمراد هنا الأول » . وهـذا منه قول شديد ، والنقل ينقضه ، ففي اللسان : « والهوادة : الحرمة والسبب » . وفي القاموس : « وتهود : صار يهوديا ، و: توصل برحم أو حرمة » ومن هذا يفهم أن للهوادة أصلا في معنى القرابة .

(٤) الزيادة من س

(٥) في ج « أبي حبي لسلمى »

مقطوع ، كما تقولُ «قتيلٌ ومقتولٌ» و« جَرِيحٌ وَمَجْرُوحٌ ». ويقال في غير هذا المعنى : رجلٌ « مَجْدُودٌ » إذا كان ذَا خَطرٍ[1] أي حَظٍّ . وفي الدعاء «ولا يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ منك الجَدُّ ، أي : مَنْ كان له حظٌّ في دنياه لم يَدْفَعْ ذلك عنه ما يريد اللهُ به . ولو قال قائلٌ : ولا ينفعُ ذا الجِدِّ منكَ الجِدُّ ، يريدُ الاجتهادَ — : لكان وجهاً .

وقوله «سَنَا بَرْقٍ غاوٍ[2] » و « السَّنَا » من الضِّياءِ مقصورٌ ، قال الله جل وعز : ﴿ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴾[3] و « السَّنَاءُ » من من المَجْدِ ممدودٌ . وقال الشاعرُ :

وهم قومٌ كرامُ الحَيِّ طُرًّا　　　لهم خَوَلٌ إذا ذُكِرَ السَّنَاءُ

وضَربه الحسنُ[4] ههنا مَثَلاً . وجَمَعَ « الرَّعْدَ » فقال « رِعادٌ » كقولك « كَلْبٌ وكِلَابٌ » و « كَعْبٌ وكِعابٌ » .

وقوله « بِمَاضِي الظُّبَى » « ظُبَةُ » كلِّ شيءٍ : حَدُّهُ ، يقال : وخَزَهُ بظُبَةِ السيفِ ، يرادُ بذلك : حَدُّ طَرَفِهِ .

وقوله : « أزهاهُ طولُ نِجادِ » « النِّجادُ » حَمَائلُ السيفِ ، و « أزهاه » رفَعَه وأَعْلاهُ ، والرجلُ يُمْدَحُ بالطُّولِ ، فلذلك يُذْكَرُ طولُ حمائِله ، قال مَرْوانُ بن أبي حَفْصةَ يمدحُ المَهْدِيَّ :

---

(١) في هـ « ذا جد »

(٢) في ج و د « غاد » ورسمت في س بالدال وفوقها واو ، لتقرأ « غاد » و « غاو » على الروايتين أو النسختين

(٣) سورة النور (٤٣)

(٤) يريد أبا نواس الحسن بن هانئ

قَصُرَتْ حمائِلُهُ عليه فقَلَّصَتْ ... ولقد تَأَنَّقَ قَيْنُهَا فأطالها[١]

وقال الحسنُ بن هانئٍ يمدحُ محمداً الأمينَ :

سَبْطُ البَنانِ إذَا احْتَبَى بِنِجَادِهِ ... غَمَرَ الجَمَاجِمَ والسِّماطُ قِيام

وقال جريرٌ للفرزدقِ :

تَعَالَوْا ففاتُونا فَفِي الحُكْمِ مَقْنَعٌ ... إلى الغُرِّ من أهْلِ البِطاحِ الأكَارِمِ[٢]

فإنِّي لأَرْضَى عَبْدَ شمسٍ وماقضَتْ ... وَأَرْضَى الطِّوَالَ البِيضَ من أهلِ هاشمِ[٣]

وقال الآخرُ[٤] :

لَمَّا الْتَقَى الصَّفَّانِ وَاخْتَلَفَ القَنَا ... نِهَالاً وأسْبابُ المنَايَا نِهَالُهَا[٥]

تَبَيَّنَ لِى أنَّ القَماءَةَ ذِلَّةٌ ... وأنَّ أَشِدَّاءَ الرجالِ طِوَالُهَا

وقولُهُ « أَمَامَ خَمِيسٍ » « الخَمِيسُ » ههنا الجيشُ ، وكذلك قال رَبِيئةُ أهلِ خَيْبَرَ لَمَّا أطَلَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عليهم[٦] : محمدٌ والخَميسُ[٧] ، أى : والجيشُ . وقال الشاعرُ ، وهو طَرَفَةُ :

وأىُّ خَمِيسٍ لا أَفَأْنَا نِهَابَهُ ... وأسيافُنَا يَقْطُرْنَ من كَبْشِهِ دَمَا

« أَفَأْنَا » رَدَدْنَا ، يقال « أفاءهُ يُفِيءُ » إذا رَدَّ . و « الأُرْجُوَانُ » الأحمرُ ،

---

(١) فى ه « ولقد تَنَوَّقَ » .
(٢) فى ه « فقاضونا » . وفيها أيضاً « من آل البطاح » .
(٣) فى د « الطوال الغرّ » .
(٤) مضى البيتان وشرحهما مع ثالث فى الجزء الأول (ص ٨٢ — ٨٣) وكذلك بيتا جرير .
(٥) فى ج و س و د و ه « ولما التقى » وهو موافق لما مضى .
(٦) فى ج و س و د و ه « لما أطل عليهم رسول الله » .
(٧) انظر (باب غزوة خيبر) من البخارى (٧ : ٣٥٦ — ٣٥٩ من الفتح) .

قال الشاعرُ :

عَشِيَّةَ غادَرَتْ خَيْلِي حُمَيْدًا   كأنَّ عليه حُلَّةَ أُرْجُوَانِ

و « الجِيادُ » الخيلُ ، وفى القرآن : ﴿ إذْ عُرِضَ عليه بالعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الجِيادُ[1] ﴾ .

ومن تشبيهِه [أى الحسن بن هانئٍ][2] الجيِّدِ فى هذا الشعر الذى ذكرنا قولُه :

تَرَى الناسَ أفواجًا إلى باب دارِه   كأنهمُ رِجْلاَ دَبًا وجَرَادِ[3]

فَيَوْمٌ لإلْحَاقِ الفقيرِ بذى الغِنَى   ويومُ رِقابٍ بُوكِرَتْ لِحَصَادِ[4]

ومن التشبيهِ الجيدِ قولُه [أى أبى نُواسٍ الحسنِ بن هانئٍ[2]] :

فكأنِّى بما أُزَيِّنُ منها   قَعَدِيٌّ يُزَيِّنُ التَّحْكِيمَا

وكان سببُ هذا الشعرِ : أن الخليفة تشَدَّدَ عليه فى شربِ الخمرِ ، وحَبَسه من من أجل ذلك حبساً طويلاً ، فقال :

أيُّها الرائحانِ باللَّوْمِ لُومَا   لا أذوقُ المُدامَ إلاَّ شَمِيمَا

نالَنِي بالمَلاَم فيها إمامٌ   لا أرَى لى خِلاَفَهُ مُسْتَقِيمَا

فاصْرِفَاها إلى سِوَاىَ فإنِّى   لستُ إلاَّ على الحَدِيث نَدِيمَا

---

(١) سورة ص (٣١) .

(٢) الزيادة من حاشية ج .

(٣) « الدبا » مقصور ، وهو بفتح الدال المهملة ، وهو الجراد قبل أن يطير .

(٤) فى ج و س و د و ه « بحصاد » .

كُبْرُ حَظِّى منها إذا هى دارَتْ ... أنْ أَراها وأن أَشَمَّ النَّسِيما

فكأَنِّى بما أُزَيِّنُ منها ... قَعَدِىٌّ يُزَيِّنُ التَّحكِيما[1]

لَمْ يُطِقْ حَمْلَهُ السِّلاحَ إلى الحَرْ ... بِ فَأَوصَى المُطِيقَ ألَّا يُقِيما

فهذا المعنى لم يسبقه إليه أحدٌ[2] .

قال : وحُدِّثتُ أن العُمَانِىَّ[3] الراجزَ أَنشد الرشيدَ فى صفةِ فرسٍ :

كأَنَّ أُذْنَيْه إذا تَشَوَّفَا ... قادمةً أو قَلَمًا مُحَرَّفَا

فعلِمَ القومُ كلُّهم أنه قد لَحَنَ ، ولم يهتدِ منهم أحدٌ لإصلاح البيتِ إلا الرشيدُ ، فإنه قال له : قلْ : « تَخالُ أُذْنَيْه إذا تَشَوَّفَا » . والراجزُ وإن كان [قد][4] لَحَنَ فقد أحسنَ التشبيه .

ويُروى أن جريرًا دخلَ إلى الوليدِ وابنُ الرِّقاعِ العاملىُّ عنده يُنْشِدُهُ القصيدةَ التى يقولُ فيها :

غَلَبَ المَسامِيحَ الوليدُ سَماحَةً ... وكَفَى قُرَيْشَ المُعْضِلاتِ وسادَهَا

قال جرير : فحسدتُه على أبياتٍ منها ، حتى أنشد فى صفة الظَّبيةِ :

* تُزْجِى أَغَنَّ كأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِهِ *

---

(١) « قعدى » هو الذى يرى رأى القعد من الخوارج . و « القعد » بالقاف والعين المهملة المفتوحتين : الخوارج الذين يرون التحكيم ولا يخرجون إلى القتال .

(٢) فى هـ « فهذا التشبيه والمعنى الذى لم يسبقه إليه أحد » .

(٣) « العمانى » قال المرسفى : « ذكره الأصبهانى فى أغانيه قال : اسمه محمد بن ذؤيب بن محجن بن قدامة الحنظلى البصرى ، وإنما قيل له العمانى — وليس هو ولا أبوه من عمان — لأنه كان شديد صفرة اللون . وكان شاعراً راجزاً متوسطاً ، ليس كأمثاله من شعراء الدولة العباسية » .

(٤) الزيادة من س و د و هـ .

قال: فقلتُ في نفسي: وَقَعَ واللهِ، مايَقْدِرُ أن يقولَ أو يُشَبِّهَ به، قال: فقال:

* قَلَمٌ أصابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا *

قال: فما قَدَرْتُ حَسَدًا له أن أُقيمَ حتى انصرفتُ[1].

ومن تشبيهه[2] الحسنِ الذى نَستطرِفُه قولُه:

تُعَاطِيكَهَا كَفٌّ كَأَنَّ بَنَانَهَا ... إذا اعْتَرَضَتْهَا العَيْنُ صَفُّ مَدَارِى

ومن التشبيه المليح قولُه:

وكَأَنَّ سُعْدَى إذْ تُوَدِّعُنَا ... وقد اشْرَأَبَّ الدَّمْعُ أَنْ يَكِفَا[3]

رَشَأٌ تَوَاصَيْنَ القِيَانُ به ... حتى عَقَدْنَ بأُذْنِهِ شُنُفَا

[يقال « اشْرَأَبَّ » لأن يكلمنى: إذا تهيَّأ لكلامِك. « واشْرَأَبَّ » الدمعُ: إذا تهيَّأ للوَكْفِ[4]].

وفى هذا الشعرِ من التشبيهِ [الجَيِّدِ قوله][5]:

خَبِّرْ فُؤَادَكَ أو سَتُخْبِرُهُ ... قَسَماً لَيَنْتَهِيَنَّ أو حَلِفَا[6]

الحُبُّ ظَهْرٌ أنت راكِبُهُ ... فإذا صرفْتَ عِنانَهُ انْصَرَفَا

---

(١) قصيدة ابن الرقاع ذكرها المرصفى وشرحها، وانظر شرحه (٧ : ٤٨ — ٥٠).

(٢) فى ع و س و د و هـ « ومن التشبيه ».

(٣) فى ع و س « وكأن سَلْمَى ».

(٤) الزيادة من هـ.

(٥) الزيادة من س.

(٦) «ليتهين» بالياء التحتية، وفى طبعات مصر بالتاء المثناة الفوقية. وفقط الحرف فى د بالتقطين.

و[له](١) من التشبيهِ الجيدِ قولُه :

إليكَ رَمَتْ بالقَوْمِ خُوصٌ كأنَّما ... جَماجِمُها فوقَ الحِجاجِ قُبُورُ

وله أيضًا :

سأَرْحَلُ من قُودِ المهَارَى شِمِلَّةً ... مُسَخَّرَةً ما تُستَحَثُّ بِحَادِي(٢)

معَ الرِّيحِ ماراحتْ فإنْ هيَ أَعْصَفَتْ ... نَهُوزٌ برأسٍ كالعَلاَةِ وَهَادِي(٣)

« العَلاَة » السِّنْدانُ(٤) . قال جريرٌ :

أَيفْخَرُ بِالْمُحَمَّمِ قَيْنُ لَيْلَى ... وَبالـكِيرِ المرَقَّعِ والعَلاَةِ(٥)

وقال الحسن بنُ هانئٍ في صفةِ السفينةِ :

بُنِيَتْ على قَدَرٍ وَلاَأَمَ بَيْنَهَا ... طَبَقَانِ من قِيرٍ ومن أَلْوَاحِ(٦)

---

(١) الزيادة من ج و د .

(٢) قال المرصفي : « القُودُ : جمع قَوْدَاء ، وهى الطويلة الظهر والعنق . والمهارى : بتخفيف الياء مع كسر الراء وفتحها ، مثل المنقوص والمقصور ، والأصل فى يائها التشديد : جمع مهرية ، بفتح فسكون ، منسوبة إلى مهرة بن حَيْدان ، بسكون الياء ، وهو أبو حيّ من العرب » .

(٣) « نهوز » قال المرصفي : « صيغة مبالغة من النهز ، وهو الدفع ، يريد أنها تدفع برأسها فى سيرها » وقوله « كالعلاة وهادى » قال المرصفي أيضاً : « وقد تشبه الناقة فى خلقها بالعلاة ، يراد صلابتها . والهادى : العنق » .

(٤) « السندان » ضبطت فى الأصول كلها بكسر السين ، وضبطها صاحب القاموس بالفتح ، وتبعه الشيخ المرصفي .

(٥) فى ج و د « أَتَفْخَرُ بالمحمَّمِ قَيْنَ ليلَى » . و « المحمم » هو الفحم . و « القين » الحداد . و « الـكير » الزق الذى ينفخ فيه الحداد .

(٦) فى ج « على قَدْرٍ » . وفى د « وَلأَّمَ » .

فكأنّها والماءُ ينطَحُ صَدْرَها ... والخيزُرانةُ فى يدِ المَلّاحِ[1]

جَوْنٌ من العِقْبانِ يَبْتَدِرُ الدُّجَى ... يَهْوِى بِصَوْتٍ واصْطفاقِ جَناحِ

وقال فى شعرٍ آخرَ، يصفُ الخمرَ، ويذكرُ صفاءها ورِقّتها، وضياءها وإشراقها :

إذا عَبَّ فيها شاربُ القومِ خِلْتَهُ ... يُقَبِّلُ فى داجٍ من الليلِ كَوْكبا

فأما قوله :

بَنَيْنا عَلَى كِسْرَى سماءَ مُدامةٍ ... جَوانبُها مَحْفُوفَةٌ بنُجومِ

فلو رُدَّ فى كِسْرَى بنِ ساسانَ رُوحُهُ ... إذًا لاصْطَفانِى دونَ كلِّ نديمِ

ـ : فإنما كانت صورةُ كسرى فى الإناء. وقولُه « جوانبُها محفوفةٌ بنجومِ » فإنما يريد ما تَطَوَّقَ به من الزَّبَدِ .

وقد قال فى أخرى [أولُ الشعرِ من غيرِ الأُمِّ[2] :

وَدارِ نَدَامَى خلّفوها وَأَدْلَجُوا ... بها أَثَرٌ منهم جَديدٌ ودارِسُ

مَساحِبُ من جَرِّ الزِّقاقِ على الثَّرَى ... وأَضْغاثُ رَيْحانٍ جَنِيٌّ ويابسُ

حَبَسْتُ بها صَحْبِى فأَلَّفْتُ شملَهم ... وإنِّى على أمثالِ تلك لَحابِسُ][3]

(١) « الخيزرانة » والخيزران » : السُّكّان، وهو كَوْثَلُ السفينة، أى ما يسمى الآن بالعامية : الدفة ..

(٢) يريد بقوله « الأم » أصل الكتاب الذى ألفه أبو العباس، ونقل عنه الناسخون . وهكذا كانوا يسمون كل أصل ثابت من أصول الكتب .

(٣) الزيادة من حاشية ج .

أقمنا بها يومًا ويومًا وليـلة ويومًا له يومُ التَّرَحُّـلِ خامِسُ(١)

تدارُ علينا الرَّاحُ فى عَسْجَدِيَّةٍ حَبَتْها بأنواعِ التصاويرِ فارسُ(٢)

قرارَتُها كِسْرَى وفى جَنَبَاتِها مَهًا تَدَّرِيهَا بالقِسِيِّ الفَوارِسُ(٣)

فلِلْخَمْرِ مازُرَّتْ عليه جُيُوبُها وللمـاءِ مادَارَتْ عليه القَلانِسُ

« العسجديةُ » منسوبةٌ إلى « العَسْجَدِ » وهو الذَّهب . وقال المُثَقِّبُ العَبْدِيُّ :

قالت ألا لاتَشْتَرِي ذاكُمُ إلاَّ بِمـا شِئْنَا ولم يُوجَـدِ

إلاَّ بِبَدْرَىْ ذهبٍ خالصٍ كلَّ صَباحٍ آخِـرَ المُسْنَدِ

مِن مالِ مَنْ يَجْبِي ويُجْبَى له سبعون قِنطارًا من العسجدِ

وقوله « تَدَرَّيها » أى : تَخْتِلِهَا ، يقال « دَرَيْتُ » الصَّيدَ : إذا ختلتَه . قال الأخطلُ :

وإنْ كنت قد أقْصَدتنِى إذْ رَمَيْتِنِى

بِسهمِكِ والرامي يصيدُ وما يَدْرِى(٤)

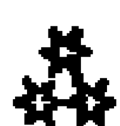
---

(١) بحاشية ا « وثالثاً » بدل « وليلة » .

(٢) فى ج « تُرَاح علينا » . وفى هـ « بألوان التصاوير » .

(٣) « قرارتها » بالرفع ، وضبطه المرصفى بالنصب على الظرفية . وقوله « تدريها » فى ج و د و هـ « تدريه » .

(٤) فى ج و د « بسَهْمَيْكِ » .



وقال الحسنُ بن هانئ :

مَاحَطّكَ الواشونَ من رُتْبةٍ عندى ولا ضَرّكَ ما اغتابوا[١]

كأنهم أثْنَوْا ولم يَعْلَمُوا عليكَ عندِى بالذى عابُوا[٢]،

وهذا المعنى عندى مأخوذٌ من قول النُّعمانِ بن المُنْذِر لِجَحْلِ بْن نَضْلَةَ[٣]، وقد ذَكر معاويةَ بن شَكَلٍ[٤]، فقال : أبيْتَ اللَّعْنَ ، إنّهُ لقَعْوُ الأَلْيَتَيْنِ ، مُقبَلُ النَّعلينِ ، فَجِجُ الفَخِذَيْنِ ، مَشّاءٌ بأَقْرَاءٍ ، تبّاعُ إماءٍ ، قتّالُ ظِباءٍ . فقال النعمانُ : أَردتَ أنْ تَذيمَهُ فَمَدَحْتَهُ .

قوله « مُقْبَلُ النعلين » يقولُ : لنعله قِبالٌ ، يَنْسُبُهُ إلى التَرَفُّهِ[٥] . و « تبّاعُ إماء » و « قتّالُ ظِباء » من ذلك . و « القَعْوُ ماتَدُورُ فيه البَكْرةُ إذا كان من خَشَبٍ . وقوله « تَذيمَهُ » معناه : تذُمّه . يقال « ذَمّهُ يَذُمُّهُ ذَمًّا و « ذامَهُ يَذِيمُهُ ذَيْمًا » و « ذَأَمَه يَذْأَمُهُ ذَأْمًا » والمعنى واحدٌ . قال اللهُ تبارك وتعالى : ﴿ اُخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا ﴾[٦] وقال الحَرِثُ بن خالدٍ المخزُومىُّ لعبد الملكِ :

---

(١) فى س و د و هـ « ولا ضرك مُغتابُ » .

(٢) فى ج و س و دو هـ « كأنما أثنوا » . وفى هـ « ولم يشعروا » .

(٣) « جحل » بفتح الجيم وسكون الحاء المهملة . وفى س و د و هـ « حجل » بتقديم الحاء ، وعليها نسخة المرصفى ، وهو خطأ . وجحل بن نضلة شاعر ، ذكره المرزبانى فى المؤتلف (ص ٨٢) . وذكر فى الشعراء لابن قتيبة (ص ٣٠) بتقديم الحاء ، وهو خطأ أيضاً . وهناك شاعر آخر اسمه « جحل بن حنظلة » ذكره صاحب القاموس والذهبى فى المشتبه (ص ٩٤) . وأما « حجل » بتقديم الحاء فاسم آخر ، ذكر فى القاموس والمشتبه .

(٤) « شكل بفتحتين . وضبط فى ج بسكون الكاف .

(٥) فى ج و س « إلى التُّرْفَةِ » .

(٦) سورة الأعراف آية ١٨ .

صَحِبْتُكَ إذْ عَيْنِي عليها غِشَاوَةٌ   فلمَّا انجلَتْ قطَّعْتُ نفسِي أذِيمُهَا

وقوله « فَدَهْتَهُ » يريدُ : مَدَحْتَهُ . فأَبدلَ من الحاء هاءً لِقُرْبِ المَخْرَجِ . وبنو سَعْد بنِ زَيدِ مَنَاةَ بن تَميمٍ كذلك تقولُ ، ولَخْمٌ ومَن قارَبَها . قال رُؤْبة :

لِلّهِ دَرُّ الغانياتِ المُدَّهِ   سَبَّحْنَ وَاسْتَرْجَعْنَ مِن تَأَلُّهِي(١)

يريد : المُدَّحِ . وفي هذه الأُرْجُوزَةِ :

* بَرَّاقُ أَصْلادِ الجَبِينِ(٢) الأَجْلَهِ *

يريد : الأجْلَحِ . والعربُ تقولُ « جَلَحَ الرجُلُ يَجْلَحُ جَلَحًا » و « جَلِهَ يَجْلَهُ جَلَهًا » و « جَلِيَ يَجْلَى جَلًى » والمعنى واحدٌ(٣) . قال العجاجُ :

* مَعَ الجَلَا ولائحِ القَتِيرِ *

ومثلُ بيتِ الحسنِ وكلامِ النعمانِ قولُ عمرِو بن مَعْدِي كَرِبَ :

كأَنَّ مُحَرِّشًا في بيتِ سُعْدَى   يُعَلُّ بِعَيْبِهَا عِندي شَفِيعُ(٤)

وفي قصيدةِ الحَسَنِ هذه :

---

(١) في ج « مِن تَدَلُّهِي » .

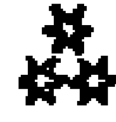
(٢) « أصلاد الجبين » أي : لاشعر في جبينه ، تشبيهاً بالحجر الصلد .

(٣) نقل المرصفي عن أبي عبيد قال : « الأنزع : الذى انحسر الشعر عن جانبي جبهته ، فاذا زاد قليلا فهو أجلح ، فاذا بلغ النصف ونحوه فهو أجلى ، ثم هو أجله » .

(٤) في ج و د « يعل » بفتح الياء وضم العين ، وزاد المرصفي أيضاً فيها كسر العين . وقال : « من العل والعلل — بفتحتين — وهو السقية الثانية ، والأولى تسمى النهل . يريد : يذكر عيبها له مرة بعد مرة » .

إنْ جئتُ لم تأتِ وإن لمْ أجئْ ... جئتَ فهـــذا منكَ لِي دابُ
كأنما أنتَ وإنْ كنتَ لا ... تَــكْذبُ : فى الميعادِ كَذَّابُ

وهذا كلامٌ طَريفٌ .



ومن حَسَنِ تشبيه المحْدَثِين قولُ بَشّارِ [بن بُرْدٍ][1] :

وكأنَّ تحتَ لسانِهـــا ... هاروتَ ينفِثُ فيه سحْرَا
وتَخَــالُ ما جمَعَتْ عليــه ... بنَانَهَا ذَهَبًا وعِطْرَا[2]

وهذا التشبيهُ الجامعُ .

ونظيرُه فى جمع شيئين لمعنيين ماذكرتُ لكَ من قولِ مُسْلِمِ بن الوليدِ :

* كأنَّ فى سَرْجِهِ بَدْرًا وَضِرْغَامَا *

ومن حَسَنِ التشبيه من قولِ المُحْدَثِين قولُ عباسِ بن الاحْنَفِ :

أحْرَمُ منكم بما أقولُ وَقَدْ ... نالَ به العاشقونَ مَنْ عَشِقُوا
صِرْتُ كأنِّى ذُبالةٌ نُصِبَتْ ... تُضِىءُ للناسِ وَهْىَ تَحْتَرِقُ[3]

فهذا حسنٌ فى هذا جِدًّا .

ومن حَسَنِ ما قالوا فى التشبيهِ قولُ إسمٰعيلَ بن القاسمِ أبى العَتاهيَة للرّشِيدِ :

---

(١) الزيادة من س و هـ .

(٢) فى ج و س و د « ما ضَمَّتْ » . وفى ج و د و هـ « ثِيابَهَا » .

(٣) فى ج « وُقِدَتْ » بدل « نُصِبَتْ » .

أَمِينَ اللهِ أَمْنُكَ خَيْرُ أَمْنٍ ... عليكَ من التُّقَى فيه لِبَاسُ

تُسَاسُ من السَّماء بِكلِّ فَضْلٍ ... وأنتَ به تَسُوسُ كما تُسَاسُ[1]

كأَنَّ الخَلْقَ رُكِّبَ فيه رُوحٌ ... له جَسَدٌ وأنت عليه رَاسُ

وقد أَخذَ هذا المعنى عليُّ بن جَبَلَةَ، فقال في مدحه حُمَيْدَ بنَ عبدِ الحَمِيدِ، وزادَ في الشَّرح والترتيب، فقال:

يَرْتُقُ ما يَفْتُقُ أعــداؤُهُ ... وَلَيْسَ يَأْسُــو فَتْقَهُ آسِي

فالناس جِسمٌ وإمامُ الهُدَى ... رأْسٌ وأنتَ العَيْنُ في الرَّاسِ

والعربُ تَخْتَصِرُ في التشبيه، وربَّمــا أومَأَتْ به إيماءً، قال أحــدُ الرُّجَّازِ:

بِتْنَا بِحَسَّانَ ومِعْزَاهُ تَئِطْ ... مازِلْتُ أَسْعَى بينهم وأَلْتَبِطْ[2]

حتى إذا كان الظَّلامُ يَخْتَلِطْ ... جَاؤُا بِمَذْقٍ هل رأيتَ الذئبَ قَطْ[3]

يقول في لَونِ الذئب. واللَّبَنُ إذا جُهِدَ وخُلِطَ بالمــاء ضَرَبَ إلى الغُبْرَةِ.

وأَنشدَ الأصمعيُّ:

وَتَشْرَبُهُ مَحْضًا وَتَسْقِي عِيالَهَــا ... سَجَاجًا كأَقْرَابِ الثَّعالبِ أَوْرَقَا

«السَّجَاجُ» الرقيقُ المَذْقُوقُ. و «القُرْبَانِ» الجَنْبَانِ، والواحدُ «قُرْبٌ»،

---

(١) في ع و س و د «بكُلِّ بِرٍّ».

(٢) «تئط» من الأطيط، وهو صوت الأمعاء من الجوع. و «ألتبط» أي أعدو وأثب، والالتباط: العدو والوثوب. يريد بذلك طلب الغذاء.

(٣) قال المرصفي: «صوابه: إذا كاد» يعني بدل «إذا كان». ولكن أين الدليل النقلي؟ أما المعنى على مافي الأصل فصحيح.

[والجَمِيعُ « أقرابٌ[(١)] »] من ذلك قول عمرَ بن الخطابِ رحمه الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد شاورَ في رجل جَنَى جِنايَةً ، وجاء قومُه يَشْفَعونَ له ، فشَفَع له قومٌ آخرون ، فقال له عمرُ : يارسولَ الله ، أرَى أن تُوجِعَ قُرْبَيْهِ ، فقال القومُ : يارسول الله ، إنَّك لن تَشْتَدَّ على أُمَّتِكَ بقولِ عمرَ . فنزل إليه جبريلُ صلى الله عليه وسلم فقال له ثلاثًا : يا محمدُ ، القولُ قولُ عُمرَ ، شُدَّ الإسلامَ بعمرَ . فخرجَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فضَرَبَ الرَّجلَ .
و « الأَوْرَقُ » لونٌ بين الخُضْرَةِ والسَّوادِ يقال « جَمَلٌ أَوْرَقُ بَيِّنُ الوُرْقَةِ » وهو أَلأَمُ أَلوانِ الإبلِ عندَ العربِ وأطيبُها لحمًا .

ومِن مَليحِ التشبيهِ [لِلْمُحْدَثِينَ[(٢)]] قولُ عبد الصَّمد بنِ المُعَذَّلِ في صفة العقربِ :

تُبْرِزُ كالقَرْنَيْنِ حين تُطْلِعُهْ ... تُزْحِلُهُ مَرًّا وَمَرًّا تَرْجِعُهْ[(٣)]
في مِثْلِ صَدْرِ السِّبْتِ خَلْقٌ تُقْطِعُهْ ... أَعْصَلُ خَطَّارٌ تَلوحُ شُنَعُهْ[(٤)]

---

(١) الزيادة من ج و س .
(٢) الزيادة من ج و س و د .
(٣) « تزحله » أي : تنحيه وتباعده .
(٤) قال المرصفي : « السبت بالكسر : الجلد المدبوغ . وخلق : مخلوق ، يريد ذنبها . وتقطعه : بناء المخاطب ، يقول : تراه قطيعاً . شبه دقة خلقتها من جهة الذنب بصدر جلد الحيوان من جهة الرقبة . أعصل : من العصل ، بالتحريك ، وهو الالتواء في الشيء . وخطار : كثير الحركة يميناً وشمالا . ثم إن بحاشية نسخة ف ما نصه : « الصواب * في مثل صدر السيف حلو مقطعه * لكنه وقع في الأمهات كما في داخل الكتاب ، وهو تصحيف . وقد أتى به صاحب كتاب التشبيهات على الصواب ، كما ذكرته أولاً » .

أَسْوَدُ كالسُّبْجَةِ فيه مِبْضَعُهْ لاتَصْنَعُ الرَّقْشَاءُ مالا يَصْنَعُهْ[١]

وفى هذه الأُرجوزةِ أيضًا :

بَاتَ بِهَا حَيْنُ حُبَيْشٍ يَتْبَعُهْ وَبَاتَ جَذْلَانَ وَثِيرًا مَضْجَعُهْ[٢]
ذَا سِنَةٍ آمِنَ مَا يُرَوِّعُهْ حَتَّى دَنَتْ منه لحَتْفٍ تُزْمِعُهْ
فاظَتْ تَجُمُّ سَمَّهَا وَتَجْمَعُهْ يابُؤْسَ لِلْمُودَعِهِ مايُودَعُهْ[٣]
فَشَرَعَتْ أُمَّ الحِمَامِ إِصْبَعَهْ أَنْحَتْ عليه كالشِّهابِ تَلْذَعُهْ[٤]
عَطَّكَ سِرْبَالَ حَرِيرٍ تَخْلَعُهْ فَكُلُّ خَلٍّ ظاهِرٍ تَفَجُّعُهْ[٥]
يَزْدادُ مِن نَفْثِ الحِمَامِ جَزَعُهْ واليأْسُ مِن تَيْسِيرِه تَوَقُّعُهْ

وكذلك قال يَزِيدُ بن ضَبَّةَ[٦] : [أو العَرْجَمُ[٧] . قال أبو الحسن : شَكٌّ

---

(١) « السبجة » بضم السين وسكون الباء وبالجيم ، هى بردة من صوف فيها سواد وبياض ، شبه لون ذنب العقرب بها . وقوله « مالا يصنعه » فى ج و د « مالاتصنعه » وكتبه الشيخ المرصفى «ما قد يصنعه» . وليس فى شىء من النسخ . ثم إن بحاشية ف مانصه : «السبجة بالجيم : ثوب أسود ، ، ووقع فى أكثر الأمهات بالحاء غير المعجمة ، على التصحيف » .

(٢) « الحين » الهلاك . و « حبيش » اسم اللديغ .

(٣) « فاظت » أى قاءت . و « تجم » بمعنى تجمع . وفى ج « لِلْمُودَعِ ما تُوَدِّعُهْ » .

(٤) « شرعت » أى دنت . و « أم الحمام » المنية . ومعناه : دنت إصبعه من أم الحمام .

(٥) فى ج و س و د « سربال حرير تقلعه * وكل خل » . وقوله « عطك » الخ قال المرصفى : « عطك : بالنصب على التشبيه . والعط : شق الثوب وغيره من غير أن يبين . . . يريد : لدغته فشقت إصبعه مثل شق سربال من حرير » .

(٦) هو يزيد بن ضبة الثقفى . وضبة أمه ، واسم أبيه مقسم . له ترجمة فى الأغانى (٦ : ١٤١ ـ ١٤٥ ساسى) .

(٧) « العرجم » فى كل الأصول بالجيم . وزعم المرصفى أنه غلط من الناسخ ، صوابه « العرم » بالميم ، وأنه شاعر أموىّ مذكور فى النقائض ! ولكن هل هذا كاف فى إثبات أن هذا الشاعر هو ذاك ؟ ولم تحصر المصادر التى بين أيدينا أسماء الشعراء .

أبو العباس فى أنه لأحدِهما ، أعنى هذا البيت[1]] :

ولكنّهم بانُوا ولم أدْرِ بغْتةً ... وأَفْظَعُ شىء حين يفجَؤُكَ البغْت

ومن أحسنِ التشبيه[2] ومَليحِهِ قولُ رجلٍ يهجُو رجُلا برَثاثةِ الحالِ :

يأتيكَ فى جُبّةٍ مُخرّقةٍ ... أطْوَلُ أعمارِ مِثْلِهَا يوْمُ

وطَيْلَسَانٍ كالآلِ يلْبَسُهُ ... على قَيصٍ كأنّهُ غَيْمُ

⁂

والتشبيهُ كثيرٌ . وهو بابٌ كأنه لا آخِرَ له . وإنما ذكرنا منه شيئًا لئلا يخلوَ هذا الكتابُ من شيء من المعانِى .

ونَختِمُ ما ذكرنا من أشعار المُحْدَثين ببيتين أو ثلاثةٍ من الشعرِ الجيِّدِ . ثم نأخذُ فى غير هذا الباب إن شاء الله . قال طُفَيْلٌ :

تَقْرِيبُهُ المَرَطَى والجَوْزُ مُعْتَدِلٌ ... كأنه سُبَدٌ بالماءِ مَغْسُولُ[3]

« السُّبَدُ » طائرٌ بعينه . وقد قالوا : الخِصَفَةُ التى تُوضعُ عندَ البئرِ ، وهو بالطائرِ أشبهُ[4] ، وإنما أراد العَرَقَ فى هذا الوقتِ ، وخيرُ الخيل مالم يُسْرِعْ عَرَقُهُ ولم يُبْطِئْ ، فإذا جاء فى وقته شَمِلَهُ .

---

(١) الزيادة من د .

(٢) فى ج و س و د و هـ « ومن حسن التشبيه » .

(٣) البيت فى وصف فرس . و « التقريب » ضرب من العدو ، يرفع يديه معاً ويضعهما معاً . و « المرطى » ضرب من العدو أيضاً ، وهو فوق التقريب . وقوله « والجوز » بالزاى ، كما فى ج و س و د . وهو وسط الظهر هنا ، وجوز كل شيء : وسطه . وفى باقى النسخ « والجون » بالنون ، وهو خطأ . وقوله « تقريبه » هكذا بضمير المذكر فى كل النسخ واللسان (٤ : ١٨٦) . وفى اللسان (٩ : ٢٧٨) « تقريبها » بضمير المؤنث .

(٤) هكذا يقول أبو العباس ، وهو من معانى « السبد » ولكن قال فى اللسان فى شرح البيت

قال الرَّاجزُ :

كأنَّه والطَّرْفُ منه سامِى مُشْتَمِلٌ جاءَ مِنَ الحَمَّامِ

وقال الأعشى :

يُعَادِي النُّحُوصَ ومِسْحَلَهَا وعِفْوَهُمَا قبلَ أنْ يَسْتَحِمّ[1]

« النُّحُوصُ » جِماعُها « نُحُصٌ » وهى التى لم تَحْمِلْ فى عامِها . و « المِسْحَلُ » العَيْرُ . و « العِفْوُ » الوَلَدُ ، وجمعُه « عِفَاءٌ » فاعلَمْ . وهو أسْمَى له إذا لم يكن لعامِهِ . و « يَسْتَحِمُّ » يَعْرَقُ .

وفى حديثِ أُمِّ[2] زَرْعٍ : « مَضْجَعُهُ كَمَسَلِّ الشَّطْبَةِ[3] ، وتَكْفِيهِ ذِراعُ الجَفْرَةِ[4] » . ومعناه : أنه خَمِيصُ البطنِ[5] . وهذا تَمَدَّحُ به العربُ وتَستحسنه . فأما قولُ مُتَمِّمِ بن نُوَيْرَةَ :

* فتًى غيْرَ مِبْطانِ العَشِيَّاتِ أَوْرَعا[6] *

فإنما أرَادَ أنه لا يَسْتعجِلُ بالعَشاء ، لانتظارِه الضيفَ . كما قال :

(٤ : ١٨٦) : « السبد : ثوب يسد به الحوض المركوّ ، لئلا يتكدر الماء ، يفرش فيه وتسقى الإبل عليه ، وإياه عنى طفيل » .

(١) فى ج و س و د وحاشية ا « يبارى » بدل « يعادى » .

(٢) هو حديث طويل فى البخارى (٩ : ٢٢٠ — ٢٤١ من فتح البارى) والجملة الشاهد هنا فى (ص ٢٣٤) بلفظ « كمسل شطبة ، ويشبعه ذراع الجفرة » .

(٣) « الشطبة » بسكون الطاء : السعفة التى تشطب من الجريد ، وقيل : السيف . تريد : أن مضجعه الذى ينام فيه فى الصغر كقدر مسلّ شطبة واحدة ، أو كالسيف سل من غمده .

(٤) « الجفرة » ما بلغ أربعة أشهر من ولد الشاء .

(٥) أى : ضامر البطن .

(٦) « المبطان » العظيم البطن من كثرة الأكل .

وضَيْفٍ إذا أَرْغَى طُرُوقاً بَعِيرَهُ   وعَانٍ نآهُ الوَفْدُ حتى تَـكَنَّما[1]

وقالوا فى قول الخَنْساء :

يُذَكِّرُنِى طُلوعُ الشمسِ صَخْراً   وأذْكُرُهُ لِـكلِّ غُروبِ شمسِ

قالوا : أرادتْ بطلوعِ الشمسِ وقتَ الغَارَةِ ، وبغروبِ الشمسِ وقتَ الأضيافِ .

وقال رجلٌ لابنٍ[2] له : واللهِ ما أنتَ بِعَظيم الرأسِ فتكونَ سَيِّدًا ، ولا بأَرْسَحَ[3] فتكونَ فارساً . وقال رجلٌ من بنى أَسَدٍ لرجلٍ من قَيْسٍ : واللهِ ما فُتِقْتَ فَتْقَ السَّادَةِ ، ولا مُطِلْتَ مَطْلَ الفُرْسانِ .

فهذه كلُّها نعوتٌ قـد عُرِفَتْ لقومٍ حتى كأنَّها سِماتٌ لهم [وكانوا يقولون[4]] : يَنْبَغِي للفارسِ أن يكونَ[5] مُهَفْهَفَ الخَصْرَيْنِ[6] . مُتَوَقِّدَ العينينِ ، حَمْشَ الذِّراعينِ[7] . وأنشد الأصمعىُّ .

* كأنَّما ساعِدَاهُ ساعِدَا ذِيبِ *

[و][8] قالوا : ومن نعتِ السَّيِّدِ أن يكونَ لَحِيماً ، ضَخْمَ الهـامةِ ،

---

(١) قال المرصفى : « أرغى بعيره : حمله على أن يرغو ليسمع رغاؤه فيضاف . وقد يفعل ذلك الـكريم ليميل إليه ابن السبيل . ومنه المثل : كفى برغائها مناديا . والطروق : الإتيان ليلاً . وتكنع الأسيرُ فى قدّه : تقبض واجتمع .

(٢) فى ج و س و د « لبعض أهله » .

(٣) الأرسح : قليل لحم الفخذين والأليتين .

(٤) الزيادة من ج و س و د و هـ .

(٥) فى هذه النسخ المذكورة « ينبغى أن يكون الفارس » .

(٦) مهفهف الخصرين : أى ضامرهما .

(٧) حمش الذراعين : أى دقيقهما .

(٨) الزيادة من ج و س و هـ .

جهيرَ الصَّوْتِ ، إذا خطا أَبْعَدَ ، وإذا تُؤمِّلَ مَلأَ العيْنَ . لأنَّ حقَّه أن يكونَ في صدرِ مجلسٍ ، أو ذِرْوَةِ مِنْبر ، أو منفرداً في مَوْكِبٍ .

وكانوا يقولون في نعتِ السيِّد : يملأُ العَيْنَ جمالاً ، والسَّمعَ مَقَالاً .

وقال أبو عليٍّ دِعْبل [بنُ عليّ[1]] في رجلٍ نَسَبهُ[2] إلى السُّودَدِ ، يقوله لمُعاذِ بن جَبَلِ بن سعيدٍ الْحِمْيَرِيِّ ، وهو من ولد حُمَيْدِ بنِ عبد الرحمنِ الفقيهِ[3] :

فإذا جالَسْتَهُ صَدَّرْتَهُ ... وتَنَحَّيْتَ له في الحاشِيهْ
وإذا سايَرْتَهُ قَدَّمْتَهُ ... وتأخَّرْتَ معَ المُسْتَأْنِيَهْ
وإذا ياسَرْتَهُ صادَفْتَهُ ... سَلِسَ الخُلْقِ سَلِيمَ النَّاحِيَهْ
وإذا عاسَرْتَهُ صادفتَه ... شَرِسَ الرَّأْيِ أبِيًّا داهِيَهْ
فاحْمَدِ اللهَ على صُحْبتِهِ ... واسْأَلِ الرَّحمنَ منه العافِيَهْ

وهذا المعنى قد أجمله جَريرٌ في قوله [الفائقِ الرائقِ[4]] :

بِشْرٌ أبو مَرْوانَ إنْ عاسَرْتَهُ ... عَسِرٌ وعندَ يَسَارِهِ مَيْسورُ[5]

(١) الزيادة من د .
(٢) في ج و س و د و هـ « ينسبه » .
(٣) حميد هذا بصري من فقهاء التابعين ، كان ابن سيرين يقول هو أفقه أهل البصرة . وهو غير « حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري » التابعي ، وغير « حميد بن عبد الرحمن بن حميد بن عبد الرحمن الرؤاسي » المتأخر المتوفى بعد سنة ١٩٠ وللثلاثة تراجم في التهذيب . وأما معاذ بن جبل الحميري فلم أجد ترجمة له . ومن أول قوله « يقوله » إلى هنا وضعه المرصفي بين قوسين أمارة أنه زيادة ، وليس ذلك صحيحاً ، بل هو من أصل الكتاب .
(٤) الزيادة من هـ .
(٥) بشر هو ابن مروان ، أخو عبد الملك بن مروان .

باب

تجتمعُ فيه طرائفُ من حَسَنِ الكلامِ ، وجيِّدِ الشعرِ ، وسائرِ الأمثالِ ، ومأثورِ الأخبارِ ، إن شاء اللهُ .

[قال أبو العباس (١)] : كان الحجَّاجُ بنُ يوسفَ يَستثقِلُ زيادَ بن عَمْرٍو العَتَكيَّ ، فلما أثنَتِ الوُفودُ على الحجاجِ عندَ الوليدِ بن عبدِ الملِكِ ، والحجاجُ حاضِرٌ ، قال زيادُ بن عَمْرٍو : يا أميرَ المؤمنين : إنَّ الحجاجَ سيفُكَ الذي لا ينبُو ، وسَهْمُكَ الذي لا يَطيشُ ، وخادِمُكَ الذي لا تأخذُه فيك لَوْمَةُ لائمٍ . فلم يكن أحَدٌ بعْدُ أخَفَّ على قلبِ الحجاجِ منه .

ولزيادٍ يقول ابنُ قيْسِ الرُّقيَّاتِ في معاتبتِه المُهَلَّبَ بنَ أبي صُفْرَةَ :

أبْلِغا جارِيَ المُهَلَّبِ عَنِّي ... كُلُّ جارٍ مُفارِقٌ لا مَحالَهْ
إنَّ جاراتِكَ اللَّواتِي بتَكْرِيـتَ لِتَنْبِيذِ رَحْلِهِنَّ مَقالَهْ (٢)
لو تَعَلَّقْنَ مِن زيادِ بن عمرٍو ... بِحبالٍ لَما ذَمَمْنَ حِبالَهْ
غَلَبَتْ أُمُّهُ أباهُ عليه ... فَهْوَ كالكابُلِيِّ أشْبَهَ خالَهْ (٣)
ولقد غالَني يَزيدُ وكانتْ ... في يَزيدٍ خِيانَةٌ ومَغالَهْ (٤)
عَتَكِيٌّ كأنَّهُ ضَوْءُ بَدْرٍ ... يَحْمَدُ الناسُ قَوْلَهُ وَفَعالَهْ (٥)

---

(١) الزيادة من ج و س و د و ه .

(٢) « تكريت » بلدة مشهورة بين بغداد والموصل .

(٣) « كابل » بضم الباء ، ثغر من ثغور طخارستان . كأنه يتهمه بأنه أشبه بالعجم . وفي بعض النسخ بعد الأبيات زيادة « قال أبو العباس : كانت أم يزيد من سبي كابل » .

(٤) « المغالة » الخيانة .

(٥) المعنى في الأبيات فيه شيء من الاضطراب . ولذلك رجح المرصفي أن صواب ترتيبها أن يكون =

[قال أبو العباس][1] : وقال أسماء بنُ خارجةَ الفزاريُّ : لا أُشاتِمُ رجلاً ، ولاَ أَرُدُّ سائلاً ، فإنما هو كريم أَسُدُّ خَلَّتَهُ ، أو لئيم أشتري عِرضي منه .

وقال سَهْلُ بن هرون[2] : يجبُ[3] على كلِّ ذي مَقالةٍ أن يَبْدَأَ بحمدِ اللهِ قبلَ استفتاحِها ، كما بُدِئَ بالنعمةِ قبل استحقاقِها[4] .

وكان يقولُ عند التعزيةِ : التَّهْنِئَةُ بآجِلِ الثوابِ أَوْلَى[5] من التعزيةِ على عاجلِ المصيبةِ .

وأراد رجلٌ الحجَّ فأتى شُعْبةَ بنَ الحجاجِ يُوَدِّعُهُ ، فقال له شعبةُ : أَمَا إنك إنْ لم تَرَ الحِلْمَ ذُلاًّ ، والسَّفهَ أَنَفاً — : سلِمَ لك حَجُّكَ .

= هذا البيت رابعاً والذى قبله خامساً ، وأن يكون السادس الأخير قوله « غلبت أمه » . وبذلك يظهر المعنى بينا صحيحاً .

(١) الزيادة من ج و س و د و هـ .

(٢) سهل بن هرون فارسيّ الأصل ، دخل البصرة ، ثم اتصل بالمأمون فولاه خزانة الحكمة ، وكان أديباً شاعراً كاتباً ، وكان شعوبياً يتعصب للعجم على العرب ، شديداً فى ذلك ، بخيلا مشهوراً بالبخل . له مصنفات منها (كتاب ثعلة وعفراء) يعارض به كليلة ودمنة . مات سنة ٢١٥

(٣) فى ج و س و هـ « وجب » وفى د « واجب » .

(٤) قريب من هذا المعنى وأبلغ منه وأعلى قول الشافعيّ فى الرسالة (رقم ٢) : « والحمدُ لله الذى لا يُؤَدَّى شُكْرُ نعمةٍ من نِعَمِهِ إلاَّ بِنِعْمَةٍ مِنْهُ تُوجِبُ عَلَى مُؤَدِّى مَاضِي نِعَمِهِ بِأَدَائِهَا نِعْمَةً حادثةً يجبُ عليه شكرُه بها » . وقوله أيضاً (رقم ٤٧) « فنسألُ اللهَ المبتدِئَ لنا بنعمهِ قبلَ استحقاقها ، المُديمَها علينا ، مع تقصيرِنا فى الإتيان على ما أَوجبَ به مِن شكرِه بها » الخ .

(٥) فى س « أوجبُ » .

وقالَ أُوَيْسٌ القَرَنِيُّ: إنَّ حقوقَ اللهِ لم تَتْرُكْ عند [عَبْدٍ[(١)]] مُسْلِمٍ دِرْهماً .

وقال دِعْبلُ بنُ عليٍّ الخُزَاعِيُّ يذُمُّ رجلاً :

رأيتُ أبا عِمْرَانَ يَبْذُلُ عِرْضَهُ ... وخُبْزُ أبي عمرانَ في أحْرَزِ الحِرْزِ

يَحِنُّ إلى جاراتِهِ بعــــد شِبْعِهِ ... وجاراتُهُ غَرْثَى تَحِنُّ إلى الخُبْزِ

وقال آخر[(٢)] :

قَوْمٌ إذا أكلوا أَخْفَوْا كلامَهُمُ ... وَاسْتَوْثَقوا من رِتاجِ البابِ والدارِ

لا يَقْبِسُ الجارُ منهم فَضْلَ نارِهِمُ ... ولا تَــكُفُّ يَدٌ عن حُرْمةِ الجار

[أظنُّ تمامَه :

حتى إذا اسْتَنْبَحَ الأَضْيافُ كَلْبَهُمُ ... قالوا لِأُمِّهِمُ بُولِي على النّارِ[(٣)]

قامتْ بأَحْمَرِها تَنْدَى مَشافِرُهُ ... كأنّه رِئَةٌ في كَفِّ جَزّارِ][(٤)]

وقال رجلٌ مِن طَيِّئٍ ، وكان رجلٌ منهم ، يقال له زيدٌ ، من وَلَدِ عُرْوَةَ بن زَيْدِ الخَيْلِ ، قَتَلَ رجلاً من بني أَسَدٍ يقال له زيدٌ ، ثم أُقِيدَ به بَعْدُ :

---

(١) الزيادة من ج و س و هـ .

(٢) أخطأ الشيخ المرصفي رحمه الله هنا خطأً غريباً ، فادّعى أن صاحب الحماسة نسب هذا الشعر لدعبل . والذي في الحماسة « قال بعض آل المهلب » . ثم جاء التبريزي في الشرح فقال : « قال دعبل : هو عبد الله بن عبد الرحمن ولقبه أبو الأنوار » . فنقل طابع الحماسة كلمة التبريزي في المتن ، ووضعها بين قوسين أمارة زيادتها . فظنها الشيخ من كلام أبي تمام ، ثم أخطأ قراءتها فظن أن الشعر منسوب لدعبل ، مع أن دعبلاً نسبه لأبي الأنوار . انظر الحماسة (٢ : ٢٠٦ طبعة محمود توفيق سنة ١٣٣٤) وشرح التبريزي (٤ : ٩٠ طبعة التجارية) .

(٣) نسب المرصفي هذا البيت للأخطل . وأن أوله في ديوانه « قوم إذا استنبح » ، وقال عن الذي بعده « لانعلم قائله » . ولعل هذا الشاعر أخذ البيت عن الأخطل فغيره ، أو أخذه عنه الأخطل ، فإني لم أجد ترجمة أبي الأنوار هذا ، ولا في أيّ عصر كان .

(٤) الزيادة من حاشية ج .

عَلاَ زَيْدُنا يومَ الحِمَى رأسَ زَيْدِكم ... بأبيضَ مَصْقُولِ الغِرَارِ يَمانِ[1]
فإنْ تقتُلوا زيدًا بزيدٍ فإنما ... أقادَكُمُ السُّلطانُ بعدَ زمانِ

[قال أبو الحسن : وأنشدَنا غيرُه :

عَلا زيدُنا يومَ النَّقَى رأسَ زيدِكُمْ ... بأبيضَ من ماءِ الحديدِ يَمانِ[2]]

قال : [وقد[3]] كلَّمَ شَمْعَلُ التَّغْلَبِيُّ عبدَ المَلِكِ كلامًا لم يَرْضَهُ ، فرمَاهُ عبدُ المَلِكِ بالجُرْزِ[4] فخَدَشَ وَهَشَمَ ، فقال شَمْعَلُ :

أَمِنْ جَذْبَةٍ بالرِّجْلِ مِنِّى تباشَرَتْ ... عُدَاتِى فلا عَيبٌ عليَّ ولا سُخْرُ
فإنَّ أميرَ المؤمنين وسيفَهُ ... لَكالدَّهرِ ، لا عارٌ بما فعلَ الدَّهرُ[5]

وقال الحجاجُ [بنُ يوسفَ[6]] : البُخْلُ على الطعام أقبحُ من البَرَصِ على الجسدِ .

وقال زِيادٌ : كَفَى بالبخيلِ عاراً أنَّ اسمَه لم يَقَعْ فى حَمْدٍ قطُّ ، وكفى بالجَوادِ مَجْداً أنَّ اسمه لم يقع فى ذمٍّ قطُّ

وقال آخرُ :

ألاَ تَرَيْنَ وقد قَطَّعْتِنِى عَذَلا ... ماذا من الفَضْلِ بينَ البُخْلِ والجُودِ

---

(١) فى ج و س و د و هـ و ف وحاشية ا « مشحوذ الغرار » .
(٢) الزيادة من حاشية هـ .
(٣) الزيادة من ج .
(٤) « الجرز » بضم الجيم مع سكون الراء وضمها : عمود من حديد . وفى ج و س و د « بجرز » .
(٥) فى ج و س و د و هـ و ف « وإن » بدل « فإن » . وفى س « وفعله » بدل « وسيفه » .
(٦) الزيادة من ج و س و د و هـ .

لا يَعْدَمُ السائلونَ الخيرَ أفعَلُهُ إمَّا نَوالاً وإمَّا حُسْنَ مَرْدُودِ

إلَّا يَكُنْ وَرَقٌ يوماً أَرَاحُ به لِلْخَابِطِـــينَ فإنى لَيِّنُ العُودِ (١)

قولُه « إلّا يَكُنْ وَرَقٌ » يريدُ المالَ ، وضَرَبه مَثَلاً . ويقال « أَتَى فلانٌ فلانا يَخْتَبِطُ ما عندَه » و« الاخْتِبَاطُ » ضربُ الشجرِ ليَسْقُطَ الورقُ ، فجعلَ « الخابِطَ » الطالِبَ ، و « الوَرَقَ » المالَ . كما قال زُهَيْرٌ :

وليس مَانِعَ ذِى قُرْبَى ولا رَحِمٍ يوماً ولا مُعْدِماً مِن خَابطٍ وَرَقَا(٢)

وَيُرْوَى : أنَّ ضيفاً نَزلَ بالحُطَيْئَةِ ، وهو يَرْعَى غنماً له ، وفى يده عصاً ، فقالَ [له(٣)] : الضيفُ : يارَاعِىَ الغَنَمِ [ما عندكَ(٤)] ؟ فأومأَ إليه الحطيئةُ بعصاهُ ، وقال : عَجْرَاءُ من سَلَمٍ ا(٥) فقال الرجلُ : إنّى ضَيْفٌ ، فقال الحطيئةُ: للضِّيفَانِ أَعْدَدْتُها ! !

وقال دِعْبِلٌ :

وابنُ عِمْرَانَ يَبْتَغِى عَرَبِيًّا لَيس يَرْضَى البَنَاتِ للأَكْفاءِ

إنْ بَدَتْ حاجةٌ له ذَكَرَ الضَّيْـــفَ وينْسَاه عندَ وقتِ الغَدَاءِ

وقال أيضاً :

أُضيافُ سالِمَ فى خَفْضٍ وفى دَعَةٍ وفى شَرَابٍ ولحمٍ غـــيرِ ممنوعِ

---

(١) « أراح » بفتح أوله ، فعل مضارع مسند للمتكلم . من قولهم « راح يراح » كخاف يخاف ، أى نشط للمعروف وأخذته له خفة .

(٢) فى ع و س و هـ « ذى قربى ولا نسب » . وفى د « وذى نسب » . وفى ع و س و هـ « ولا معدم » .

(٣) الزيادة من ع و س و د و هـ .

(٤) الزيادة من س .

(٥) « العجراء » العصا التى فيها عقد . و « السلم » شجر من العضاه .

وَضَيْفُ عَمْرٍو وَعَمْرٌو يَسْهَرَانِ مَعًا   عَمْرٌو لِبِطْنَتِهِ والضَّيْفُ للجُوعِ

وقال دِعْبِلٌ [أيضًا](١) .

ما يَرْحَلُ الضيفُ عَنِّى بعدَ تَكْرِمَةٍ   إلاّ بِرِفْدٍ وَتَشْيِيعٍ وَمَعْذِرَةِ

وقال أيضًا :

لم يُطِيقُوا أَن يَسْمَعُوا وَسَمِعْنَا   وصَبَرْنَا على رَحَى الْأَسْنَانِ(٢)

صوتُ مَضْغِ الضُّيوفِ أحسنُ عِندى   مِن غِناءِ القِيَانِ بِالعِيدَانِ

وقال القُرَشىُّ من بنى أُمَيَّةَ(٣)

إِذَا ما وُتِرنَا لم نَنَمْ عَنْ تِرَاتِنَا   ولم نَكُ أَوْغَالاً نُقِيمُ الْبَوَاكِيَا(٤)

ولَكِنَّنَا نُمْضِى الجِيادَ شَوَازِبًا   فَنَرْمِي بِها نحوَ التِّرَاتِ المَرامِيَا(٥)

وقال جَرِيرٌ :

إنَّ الذى حَرَمَ الخِلافةَ تَغْلِبًا   جَعَلَ النُّبُوَّةَ والخِلافةَ فِينَا

مُضَرٌ أَبِى وَأَبو الملوكِ وَهَلْ لَكم   يا خُزْرَ تَغْلِبَ مِن أَبٍ كأَبِينَا(٦)

هذا ابنُ عَمِّى فى دِمَشْقَ خَليفةٌ   لو شِئْتُ ساقَكُمُ إِلَىَّ قَطِينَا(٧)

(١) الزيادة من هـ .

(٢) فى ج و س و د و هـ « فصبرنا » .

(٣) فى ج و د و هـ «وقال آخر من بنى أمية» . وفى س «وقال رجل من بنى أمية» .

(٤) « الترات » جمع « ترة » وهى الثأر ، وقوله « وترنا » أى أصابنا مايوجب الثأر . و « الأوغال» جمع «وغل» بفتح الواو وسكون الغين المعجمة ، وهو النذل الضعيف .

(٥) « الشوازب » من الخيل : الضوامر .

(٦) فى ج و س و د و هـ « فهل لكم » . و « الخزر » ضيقو الجفون ، يصفهم بالعداوة ينظرون بمآخير العيون .

(٧) القطين : الخدم والمماليك .

إنّ الفرزدقَ إذْ تحنّفَ كارِهاً ... أضْحَى لِتَغْلِبَ والصَّلِيبِ خَدِينَا

ولقد جَزِعْتَ إلى النَصارَى بَعْدَما ... لَقِيَ الصليبُ مِنَ العذابِ مُهِينَا

هَلْ تَشْهَدُونَ من المَشاعِرِ مَشْعَراً ... أو تَسْمعونَ من الأذانِ أذِينَا(١)

قال أبو العباس : حدثنى عُمارةُ بنُ عَقيلِ بن بِلالِ بنِ جَرير . قال : لمَّا بلغَ الوليدَ قولُهُ (٢) :

هذا ابنُ عَمِّى فى دِمَشْقَ خَليفةٌ ... لو شئتُ ساقَكُمُ إلَىَّ قَطِينَا

قال الوَليدُ : أمَا وَاللهِ لو قال « لو شاء ساقكم » لفعلتُ ذاك به ، ولكنه قال « لو شئتُ » فجعلنى شُرْطِيًّا له .

وَيُرْوَى : أن بِلالاً قَعد يومًا ينظرُ بين الخصومِ ، ورجلٌ منهم ناحِيةً يَتَمثَّلُ قولَ الأخطَلِ على غيرِ معرفة :

وابنُ المَراغَةِ حابسٌ أعْيارَهُ ... مَرْمَى القَصِيَّةِ ما يَذُقْنَ بِلالاَ

فسمعه بلالٌ ، فلمَّا تقدَّمَ مع خَصْمِهِ قال له بلالٌ : أعِدْ [علىَّ](٣) إنْشادَكَ ، فَغَمزَه بعضُ الجلساء ، فقال الرجلُ : إنِّى واللهِ ماأدرى مَنْ قاله ، ولا فيمن قِيلَ ، فقال بلالٌ : أجَلْ ! هو أسْيَرُ من ذاك ، هَلُمَّا(٤) فَاخْتَصِمَا .

وقال جريرٌ :

---

(١) فى ج و س و د و ﻫ « من المشاهد » . وفى د « مشهداً » و « الأذين » الأذان ويطلق أيضاً على المؤذن .

(٢) فى ج و س و د و ﻫ « قول جرير » .

(٣) الزيادة من ج و س و د و ﻫ .

(٤) فى ج و د و ﻫ « هلم » .

مَرَرْتُ عَلَى الدِّيارِ فما رَأَيْنَا ... كَدَارٍ بين تَلْعَةَ والنَّظِيمِ (١)

عَرَفْتُ الْمُنْتَأَى وعرفتُ منها ... مَطَايَا القِدْرِ كالحِدَإِ الجُثُومِ (٢)

وقال آخَرُ :

لقد تبلَتْ فُؤَادَكَ إذْ تولَّتْ ... ولم تَخْشَ العُقوبةَ فى التَوَلِّى (٣)

عَرَفْتُ الدارَ يومَ وَقفتُ فيها ... بِرِيحِ المِسْكِ تَنْفَحُ فى المَحَلِّ

---

(١) « تلعة » اسم ماء . و « النظيم » أرض تمسك المـاء . وكلاهما فى جهة اليمامة .

(٢) « الجثوم » جمع « جاثمة » على غير قياس .

(٣) فى ج و س و د و هـ « يومَ وَلَّتْ » . وقوله « تبلت » أى : أسقمت فؤاده من الحبّ .

باب من أخبار الخوارج[1]

قال أبو العباس: ذَكر أهلُ العِلم من الصُّفْرِيَّة[2] أنَّ الخوارجَ لمَّا عَزَموا على البَيْعَةِ لعبدِ الله[3] بن وهبٍ الرَّاسِبيِّ مِن الأَزْدِ تَكَرَّهَ ذلك، فأَبَوْا مَنْ سِوَاهُ[4]، ولم يُرِيدُوا غيرَه. فلمَّا رأى ذلك منهم قال: ياقومِ! اسْتَبِيتُوا الرأيَ. أيْ دَعوهُ يَغِبُّ[5]. وكان يقول: نعوذُ بالله من الرأيِ الدَّبَرِيِّ.

قوله «اسْتَبِيتو الرأيَ» يقول: دَعُوا رَأيَكم تأْتِ[6] عليه ليلةٌ ثم تَعَقَّبُوه، يقال «بَيَّتَ فلانٌ كذا وكذا» إذا فَعَلَه ليلاً. وفى القرآن: ﴿إذْ يُبَيِّتُونَ مالا يَرْضَى مِنَ القَوْلِ﴾[7] أيْ أَدارُوا ذلك ليلاً[8] بينهم. وأنشدَ أبو عُبيدةَ:

---

(١) «الخوارج» طائفة خرجت على أئمة المسلمين، ونزعوا الطاعة من أعناقهم، وقاتلوا أهل الإسلام. زعماً أنهم أعرف بالحق منهم، وفعلوا إثماً كبيراً.

(٢) «الصفرية» بضم الصاد وسكون الفاء، نسبة إلى زعيم منهم يدعى «زياد بن الأصفر»، ويقال لهم «الزيادية» أيضاً. وهذا هو الذى نص عليه السمعانى فى الأنساب، والجوهرى فى الصحاح. وزعم بعضهم أنهم سموا بذلك لصفرة ألوانهم. وزعم غيره أن اسمهم «الصفرية» بكسر الصاد وسكون الفاء، وأنهم نسبوا على غير قياس إلى «عبد الله بن صفار» بفتح الصاد وتشديد الفاء. والأول هو الصحيح.

(٣) «عبد الله» بالتكبير. وفى نسخة الشيخ المرصفى «عبيد الله» بالتصغير، وهو خطأ ومخالف لكل النسخ، وللثابت فى التاريخ.

(٤) «من» موصولة. وفى ا «من» حرف جرّ. وهو جيد أيضاً، فإن الفعل «أبى» كما يتعدى بنفسه يتعدى بحرف «من» يقال «أبى فلان من شرب الماء» وتعديته بالحرف تكثر فى لسان العلماء من أهل الأندلس، كما رأيت ذلك كثيراً فى كتب ابن حزم وغيره من علمائهم.

(٥) «يغبّ» أى: يبيت.

(٦) فى ج و د و هـ «تأتى». وفى س «يأتى».

(٧) سورة النساء آية ١٠٨.

(٨) فى ج و س و هـ «بينهم ليلاً».

أَتَوْنِى فلم أَرْضَ ما بَيَّتُوا وكانوا أَتَوْنِى بأَمْرٍ نُكُرْ
لِأُنْكِحَ أَيِّمَهُمْ مُنْذِراً وهل يُنْكِحُ العَبْدَ حُرٌّ لِحُرّ

« والرأىُ الدَّبَرِىُّ » : الذى يَعْرِضُ مِن بعدِ[1] وُقُوعِ الشىء[2] ، كما قال جرير :

ولا يَعرِفونَ الشرَّ حتى يُصِيبَهم ولا يعرفونَ الأَمْرَ إلاَّ تَدَبُّرا

وكان عبدُ الله بنُ وَهْبٍ ذا رأىٍ وفهْمٍ[3] ، ولسانٍ وشجاعةٍ ، وإنما لَجَؤُوا إليْهِ وَخلَعُوا مَعْدانَ الإيادِىَّ لقول معدانَ :

سَلامٌ على مَنْ بايَعَ اللهَ شارِياً وليس على الحِزْبِ المُقيم سَلامُ[4]

فَبَرِئَتْ منه الصُّفْرِيَّةُ ، وقالوا : خالفتَ ، لِأَنَّكَ بَرِئْتَ من القَعَدِ[5] .

[قال أبو العباس][6] : والخوارجُ فى جميع أصنافِهَا تَبرأ من الكاذب ، ومِن ذِى المعصيةِ الظَّاهرةِ .

وَحُدِّثتُ : أَنَّ واصِلَ بن عَطاء أبا حُذَيْفَةَ أَقْبَلَ فى رُفْقةٍ ، فَأَحَسُّوا الخوارجَ ، فقال واصلٌ لأهلِ الرفقة : إِنَّ هذا ليس من شأنِكم ، فاعْتَزِلُوا وَدَعُونِى وإيَّاهم ، وكانوا قد أَشْرَفُوا على العَطَبِ ، فقالوا [له][7] : شأنَكَ ،

(١) فى ج و س و د و هـ « بعد » بحذف « من » .
(٢) « الدبرىّ » بفتح الباء ، منسوب إلى « الدبر » بسكونها ، وهو آخر الشىء ، وفتح الباء من تغييرات النسب ، كما فى اللسان .
(٣) بحاشية ا « يقال : فَهْمٌ وفَهَمٌ . ورجل فَهِمٌ من قوم فُهَمَاء » .
(٤) « شاريا » أى : بائعاً نفسه فى سبيل الله .
(٥) « القعد » : الذين لا يمضون إلى القتال ، الواحد « قعدىّ » . والمراد هنا فريق من الخوارج ، يرون التحكيم حقا غير أنهم قعدوا عن الخروج على الناس .
(٦) الزيادة من ج .
(٧) الزيادة من س .

فَخَرجَ إليهم ، فقالوا : ما أنتَ وأصحابُكَ ؟ قال : مُشْرِكونَ مُستَجِيرونَ ، لِيَسْمَعُوا كلامَ الله ، ويَعْرِفُوا(١) حُدُودَه ، فقالوا : قدأَجَرْنَاكم ! قال: فعلِّمُونا، فجعلُوا يعلمونه أحكامَهم ، وَجَعل يقول : قد قبلتُ أنا ومَن(٢) معى ، قالوا : فامْضُوا مُصَاحِبِينَ ، فانكم إخوانُنا ! قال : ليس ذلك لكم ، قال اللهُ تبارك وتعالى: ﴿وإنْ أَحَدٌ مِنَ المُشْرِكينَ اسْتَجارَكَ فأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ ثم أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾(٣) فأَبْلِغُونا مَأْمَنَنَا(٤) ، فنظر بعضُهم إلى بعضٍ ، ثم قالوا : ذاك لكم ، فساروا بأجمعهم(٥) حتى بَلَّغُوهم المَأْمَنَ .

وَذَكر أهلُ العلمِ مِن غيرِ وجهٍ : أنَّ عليًّا رضى الله تعالى عنه لما وَجَّهَ إليهم عبدَ الله بن عبَّاسٍ(٦) رحمة الله عليه ليُنَاظِرَهم ، قال لهم: ماالذى نَقِمْتُمْ(٧) على أميرِ المؤمنين ؟ قالوا : قد كان للمؤمنين أميراً ، فلمَّا حَكَّمَ فى دِينِ الله خَرجَ من الإيمَانِ ، فَلْيَتُبْ بعدَ إقرارِه بالكفر نَعُدْ لَهُ ! فقال ابنُ عباسٍ : لاينبغى(٨) لمؤمنٍ لم يَشُبْ إيمَانَهُ شَكٌّ أن يُقِرَّ على نفسه بالكُفْرِ. قالوا : إنه

---

(١) فى ج و س و د و هـ « ويفهموا » .

(٢) فى س « أنا وأصحابى » .

(٣) سورة التوبة آية ٦

(٤) فى ا « مَأْمَنَّا » بالإدغام ، وهو جائز .

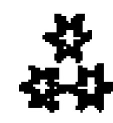
(٥) فى ج و د و هـ « بجمعهم » .

(٦) فى ج و د و س و هـ « عبد الله بن العباس » .

(٧) فى حاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : يقال : نَقَمْتُ على فلانٍ كذا وكذا ، ونَقِمْتُ . وقد قُرِئَ بهما جميعاً : ﴿وما نَقَمُوا منهم﴾ ﴿ومانَقِمُوا﴾ . وفلانٌ ناقمٌ على فلانٍ » .

(٨) فى ج و س و د و هـ « ما ينبغى » .

قد حَكَمَ ، قال : إن اللهَ عَزَّ وجلَّ قد أَمَرَنَا بالتحكيمِ فى قتلِ صَيدٍ ، فقال عزَّ وجلَّ : ﴿ يَحْكُمُ به ذَوَا عَدْلٍ منكم[١] ﴾ فكيفَ فى إمامةٍ قد أَشْكَلَتْ عَلَى المسلمين ؟ ! فقالوا : إنه قد حُكِمَ عليه فلم يَرْضَ . فقال : إنَّ الحكومةَ كالإمامةِ ، وَمتى فَسَقَ الإمامُ وَجَبَتْ معصيتُه ، وكذلك الحَكَمَان ، لَمَّا خالفا نُبِذَتْ أقاويلُهما[٢] . فقال بعضُهم لبعضٍ : لا تجعلوا احتجاجَ قريشٍ حُجَّةً عليكم ! فإنَّ هذا من القومِ الذين قال اللهُ عزَّ وجلَّ فيهم : ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾[٣] وقال عزَّ وجلّ : ﴿ وتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ﴾[٤] .



وَالشَّىْءُ يُذْكَرُ بالشىء ، وجاء فى الحديث . أن رجلاً أعرابيًّا أَتَى عمرَ بْنَ الخطاب رضى الله عنه فقال : إنى أَصَبْتُ ظَبْيًا وأنا مُحْرِمٌ ؟ فالتفتَ عمرُ إلى عبدِ الرحمن بن عَوْفٍ ، فقال : قل ، فقال عبدُ الرحمن : يُهْدِى شاةً[٥] ، فقال عمرُ : أَهْدِ شاةً ، فقال الأعرابىُّ : واللهِ ما دَرَى أميرُ المؤمنين مافيها حتى اسْتَفْتَى غيرَهُ ! فَخَفَقَهُ عمرُ رضوانُ الله عليه بالدِّرَّةِ ، وقال : أَتَقْتُلُ فى الحَرَمِ وتَغْمِصُ

(١) سورة المائدة آية ٩٥
(٢) فى ج « أقوالهما » .
(٣) سورة الزخرف آية ٥٨
(٤) سورة مريم آية ٩٧ وهنا فى حاشية ا « ابنُ شاذانَ : قال أبو عُمر : اللَّدَدُ : شدة الخصومة . والرجلُ أَلَدُّ ، والقومُ لُدٌّ . وكذا فسر فى القرآن » .
(٥) بحاشية ا « يقال : أَهديتُ إلى الكعبة . والهَدْىُ : ما أُهدِىَ إلى الكعبة . واحدتُها : هَدْيَةٌ » .

الفُتْيا[١] ؟ ! إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ قال : ﴿ يَحْكُمُ به ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُم[٢] ﴾ فأنا عمرُ بن الخطاب ، وهذا عبدُ الرحمن بن عوفٍ .

[قال أبو العباس[٣]]: وفى هذا الحديثِ ضُروبٌ من الفقه: منها ماذكروا أنَّ عبد الرحمن بن عوفٍ قال أوّلاً ، ليكون قولُ الإمام حُكْماً قاطعاً . ومنها أنه رأى أنَّ الشاةَ مثلُ الظبيةِ ، كما قال اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ فَجَزاءٌ مِثْلُ[٤] ما قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ ﴾[٥] . وأنه لم يسأله : أخَطَأً قتَلَهُ[٦] أم عَمْداً ؟ وجعل الأمرين[٧] واحداً . ومنها أنه لم يسأله : أقَتَلْتَ صيداً قبلَه وأنتَ مُحْرِمٌ ؟ لأن قومًا يقولون : إذا أصابَ ثانيةً لم يُحْكَمْ عليه ، ولكنَّا نقولُ [له[٨]] : اذهبْ فاتَّقِ اللهَ ، لقول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللهُ منه ﴾[٩] .

[قال أبو العباس[١٠]] : مِنْ طَرِيفِ أخبارِ الخوارجِ قولُ قَطَرِيِّ بن الفُجاءةِ المازنيِّ لأبى خالد القَنَانِيِّ ، وكانَ مِن قَعَدِ الخوارِجِ :

(١) بحاشية ا « ابنُ شاذان : يقال : غَمَصَ نِعْمَةَ اللهِ يَغْمِصُها غَمْصاً : إذا كفرها . وغَمَصْتُ الرجلَ : إذا طعنتَ فيه » .
(٢) سورة المائدة آية ٩٥
(٣) الزيادة من ج و س .
(٤) فى ج « فجَزَاءُ مِثْلِ » بالإضافة ، وهى قراءة عاصم وحمزة والكسائى . وأما تنوين « جزاء » ورفع « مثل » فهو قراءة باقى السبعة .
(٥) سورة المائدة آية ٩٥
(٦) فى ج و د و ه « قتله » .
(٧) فى ج و س و د و ه « الأمر » .
(٨) الزيادة من س و د و ه .
(٩) سورة المائدة آية ٩٥ وهنا بحاشية ا « ابن شاذان : معنى قولهم انتقم الله منه ، أى : عاقبه . والنقم معروفة ، الواحدة نقمة » .
(١٠) الزيادة من ج و س .

أبا خالدٍ يَانْفِرْ فلَسْتَ بِخَالِدٍ ... وَمَا جَعَلَ الرحمنُ عذراً لقاعدِ[1]
أَتَزْعُمُ أنَّ الخارجيَّ على الهُدَى ... وأنت مُقيمٌ بين لِصٍ وجاحِدِ

فكَتب إليه أبو خالدٍ :

لقد زادَ الحياةَ إلىَّ حُبَّا ... بناتِى ، إنهنَّ مِن الضِّعَافِ[2]
أُحاذِرُ أنْ يَرَيْنَ الفقْرَ بَعْدِى ... وأن يَشْرَبْنَ رَنْقاً بعدَ صَافِ[3]
وأنْ يَعْرَيْنَ إنْ كُسِىَ الجَوارِى ... فَتَنْبُو العَيْنُ عن كَرَمٍ عِجَافِ[4]
ولولا ذاكَ قد سَوَّمْتُ مُهْرِى ... وفى الرحمنِ للضُّعَفاءِ كافِ
[أبانَا مَنْ لنا إنْ غِبْتَ عنَّا ... وصارَ الحَىُّ بعدكَ فى اختلافِ[5]]

وهذا خلافُ ما قال عِمْرانُ بن حِطَّانَ ، أَحدُ بنى عَمرِو بن شَيْبانَ بن ذُهْلِ بن ثَعْلَبَةَ بن عُكابَةَ بنِ صَعْبِ بن علىِّ بن بَكْرِ بنِ وائلٍ ، وقد كان[6] رأْسَ القَعَدِ من الصُّفْرِيَّةِ وخَطيبَهم وشاعِرَهم ، قال لَمَّا قُتِلَ أبو بِلالٍ ، وهو مِرْداسُ بن أُدَيَّةَ ، وهى جدَّتُه ، وأبوه حُدَيْرٌ ، وهو أحدُ بنى رَبِيعةَ بنِ حَنْظَلَةَ بنِ مالكِ بنِ زيدِ مَنَاةَ بنِ تَميمٍ ، قال عِمرانُ بنُ حِطَّانَ :

(١) فى ج و س و هـ « أبا خالدٍ إنْفِرْ » . وفى د « أَنْفِرْ » . وهذه من قولهم « أنفره » : إذا نصره .
(٢) فى ا « بناتى » بهمزة مفتوحة ، ولم أعرف وجهه . وفى ج « أنهنَّ » .
(٣) بحاشية ا « ابنُ شاذانَ : الرَّنْقُ ، الكَدَرُ ، رَنِقَ يَرْنَقُ رَنَقاً ، وهو ماءٌ رَنِقٌ » .
(٤) « العجاف » جمع « عجفاء » وهو جمع شاذ . والعجفاء : المهزيلة التى ذهب سمنها .
(٥) الزيادة من ج و س و د .
(٦) فى ج و س و د و هـ « وكان » .

لقد زادَ الحـياةَ إلىَّ بُغْضاً … وحُبـّاً للخروجِ أبو بِلالِ
أُحاذِرُ أنْ أموتَ على فِرَاشِي … وأرْجُو الموتَ تحتَ ذُرَى العَوالِي
ولو أنِّي عَلِمْتُ بأنَّ حَتْـفِي … كَحَتْفِ أبي بِلالٍ لم أبالِ
فَمَنْ يكُ هَمُّهُ الدنيا فإنِّي … لَهَا واللهِ ربِّ البيتِ قالِي

وفيه يقول[1] :

ياعَيْنُ بَكِّي لِمِرْدَاسٍ ومَصْرَعِهِ … يارَبَّ مِرْدَاسٍ اجْعَلْنِي كَمِرداسِ
تركْتَنِي هائماً أبكي لِمرْزِئَتِي … في منزلٍ مُوحِشٍ من بعدِ إيناسِ
أنكرتُ بعدَكَ مَنْ قد كنتُ أعرِفُهُ … ماالناسُ بعدَكَ يامِرْداسُ بالناسِ[2]
إمّا شَرِبْتَ بكأسٍ دارَ أوَّلُها … على القُرونِ فذاقُوا جُرْعةَ الكاسِ
فكلُّ مَنْ لم يذُقْها شاربٌ عَجِلاً … منها بأنفاسِ وِرْدٍ بعدَ أنْفاسِ

☆

[قال أبو العباسِ[3]] : وكان من حديث عِمرانَ بن حِطَّانَ فيما حدثني العباسُ بن الفَرَجِ الرِّيَاشيُّ عن محمد بن سَلّامٍ : أنه لمّا أَطْرَدَهُ الحجاجُ كان ينتقلُ في القبائل ، فكان إذا نزل في حيٍّ انْتَسَبَ نَسَباً يَقْرُبُ منه ، ففي ذلك يقولُ :

نَزَلْنا في بَنِي سَعْدِ بن زيدٍ … وفي عَكٍّ وعامرِ عَوْبَثَانِ[4]

---

(١) في طبعات مصر زيادة « أيضاً » وليست في الأصول .
(٢) في بعض النسخ « ماقد كنت » وعليها طبعات مصر .
(٣) الزيادة من ج .
(٤) في ج و س و د و هـ و ف « عوثبان » بتقديم الثاء المثلثة على الباء الموحدة وفي س زيادة نصها : « عامرُ عَوْثَبَانَ قبيلةٌ من الأَزْدِ . والعَدَانُ من بني مُدْلِجٍ من وَلَدِ زاهرِ بن مُرادٍ . وقد قيل هو عوثبانُ بن زاهر بن مراد بن نحاير ، وهو مُرادٌ . ويقال عوبثانُ بتقديم الباء ، فَوْعَلانُ من عَبَثَ » .

وفى لَخْمٍ وفى أُدَدِ بْنِ عَمْرٍو ... وفى بَكْرٍ وحَىٍّ بنى العَدَانِ[1]

ثُمَّ خَرج حتى نَزل عند روح بن زِنباعٍ الجُذَامِىّ، وكان رَوْحٌ يَقْرِى الأضيافَ، وكان مسامراً لعبد الملك بن مروانَ أثيراً عنده[2]، فانْتَمَى له من الازْدِ. وفى غيرهذا الحديث: أنَّ عبدالملك ذكر رَوْحا فقال: مَنْ أُعْطِىَ مثلَ ما أُعْطِىَ أبو زُرعةَ؟ أُعْطِىَ فِقْهَ أهل الحجازِ، وَدَهاءَ أهلِ العراقِ، وطاعة أهل الشأمِ. رَجَعَ الحَدِيثُ: وكان رَوحُ بنُ زِنباعٍ لا يسمع شعراً نادراً ولا حديثاً غريباً عند عبد الملك فيسألُ عنه عِمْرانَ بن حِطّانَ إلاّ عَرَفه وزادَ فيه، فذكر ذلك لعبد الملك، فقال: إن لى جاراً من الأزدِ ما أسمعُ من أمير المؤمنين خبَرَاً ولا شعراً إلاّ عَرَفَهُ وزاد فيه، فقال: خَبِّرْنى ببعض أخبارِه، فَخَبَّرَهُ وأنشده، فقال: إن اللغةَ عَدْنانيةٌ، وإنّى لأَحْسِبُهُ عمرانَ بنَ حطانَ، حتى تذاكروا ليلةً قول عِمرانَ بن حطان يمدحُ ابن مُلْجَمٍ لعنه الله:

يا ضَرْبةً مِنْ تَقِىٍّ ما أرادَ بها ... إلاّ لِيَبْلُغَ مِنْ ذِى العرش رِضْوانا
إنّى لأذكُره حيناً فَأَحْسِبُهُ ... أَوْفَى البَرِيَّةِ عنــدَ اللهِ مِيزَانا

[قَلَبه الفقيهُ الطَبرِى[3] فقال:

(١) زعم الشيخ المرصفى أن صوابه «بنى الغدانى» نسبة إلى «غدانة» بضم الغين المعجمة، وهى قبيلة من سليم بن منصور، وقال: «فأما العدان، بالعين المهملة المفتوحة، فاسم موضع ليس من القبائل فى شىء». وهذا النفى البات ليس بشىء، فقد ثبت مما نقلنا عن نسخة س أن بنى العدان قبيلة من بنى مدلج.

(٢) أثيراً، أى مكرماً، آثره بالكرامة.

(٣) قال المرصفى: «هو أبو الطيب طاهر بن عبد الله بن طاهر بن عمر الشافعى». وأبو الطيب هذا شيخ أبى إسحق الشيرازى. ولد سنة ٣٤٨ ومات سنة ٤٥٠ فى ٢٠ ربيع الأول ببغداد.

يا ضربةً من شَقِيٍّ ما أرادَ بها … إلاَّ ليَهْدِمَ مِن ذِي العرش بُنْيانَا
إنِّي لأذكُره يوما فألْعَنُهُ … إيهًا وألْعَنُ عِمرانَ بنَ حِطَّانَا

قال محمدُ بن أحمد الطَّيِّبُ يَرُدُّ على عمران بن حطانَ :

يا ضربَةً من غدورٍ صارَ ضارِبُهَا … أشْقَى البَرِيَّةِ عندَ اللهِ إنسانَا
إذا تفَكَّرْتُ فيه ظَلْتُ ألْعَنُهُ … وألْعَنُ الكَلْبَ عمرانَ بنَ حطانَا[1]]

فلم يَدْرِ عبدُ الملك لِمَنْ هو ، فرجَع روحٌ إلى عمرانَ بن حطانَ ، فسأله عنه ، فقال عمرانُ : هذا يقولُه عمرانُ بن حطانَ يَمدح به عبدَ الرحمن بن مُلْجَمٍ قاتلَ عليّ بن أبي طالبٍ ، فرجَع روحٌ إلى عبد الملك فأخبره ، فقال له عبدُ الملك : ضَيْفُكَ عمرانُ بن حطانَ ، اذهَبْ فجئْني به ، فرجَع إليه ، فقال : إن أميرَ المؤمنين قد أحبَّ أن يراكَ ، قال [له[2]] عمرانُ : قد أردتُ أن أسألَك ذلك فاستحييتُ منكَ ، فامْضِ فإني بالأثَرِ ! فرجَع روحٌ إلى عبد الملك فأخبره[3] ، فقال [له[4]] عبدُ الملك : أمَا إنَّكَ سترجِعُ فلا تجدُه ! فرجع وقد ارتَحلَ عمرانُ[5] ، وخَلَّفَ رُقْعةً فيها :

يا رَوْحُ كم من أخِي مَثْوًى نزلتُ به … قد ظَنَّ ظَنَّكَ من لَخْمٍ وَغَسَّانِ
حتى إذا خِفْتُهُ فارَقْتُ منزلَهُ … مِن بَعْدِ ما قيلَ عمرانُ بنُ حِطَّانِ
قد كنتُ جارَكَ حَوْلاً ماتُرَوِّعُنِي … فيه رَوائعُ من إنْسٍ ومِنْ جانِ[6]

---

(١) الزيادة من حاشية د .
(٢) الزيادة من ج و س و د و هـ .
(٣) في ج و س و د و هـ : « فخبّره » .
(٤) الزيادة من ج و هـ .
(٥) في ج و س و د و هـ : « فرجع وعمران قد احتمل » .
(٦) في ا « ولا جان » .

حتى أردتَ بِىَ العُظْمَى فأدركنى ... ماأَدْرَكَ الناسَ من خوف ابنِ مَرْوَانِ[1]

فاعْذِرْ أخاك ابْنَ زِنْباعٍ فإنّ له ... فى النائباتِ خُطوبًا ذاتَ ألوانِ

يومًا يمانٍ إذا لاقيتُ ذا يَمَنٍ ... وإن لَقيتُ مَعَدِّيًا فَعَدْنانِى

لو كنتُ مستغفراً يومًا لطاغيةٍ ... كنتَ المُقَدَّمَ فى سِرِّى وإعْلانِى

لكنْ أبَتْ لِىَ آياتٌ مُطَهَّرةٌ ... عند الولاية فى طٰهَ وَعِمْرانِ

ثم ارتحل حتى نزل بزُفَرَ بن الحرثِ الكِلاَبِىِّ، أحدِ بنى عمرو بن كلابٍ، فانتسبَ له أَوْزَاعِيًّا، وكان عمرانُ يُطيلُ الصلاةَ، وكان غِلْمانٌ من بنى عامرٍ يضحكونَ منه، فأتاه رجلٌ يومًا ممّن رآه عند رَوْحِ بن زِنْباعٍ فسلّمَ عليه، فدعاه زُفَرُ فقال: منْ هذا! فقال: رجلٌ من الأزْدِ رأيتُه ضيفاً لرَوْحِ بن زنباعٍ، فقال له زُفَرُ: ياهذا! أَزْدِيًّا[2] مرةً وأُوْزاعِيًّا مرةً[3]؟! إن كنتَ خائفاً آمَنّاكَ[4]، وإن كنتَ فقيراً جَبَرْنَاكَ، فلما أَمْسَى هَرَبَ وخَلَّفَ فى منزله رُقْعةً فيها:

إنَّ التى أصبحتْ يَعْيَى بها زُفَرٌ ... أَعْيَتْ عَياءً على رَوْحِ بنِ زِنْباعِ

قال أبو العباس: أنشدنيه الرِّيَاشِىُّ * أعْيَا عَيَاهَا على رَوْحِ بن زِنْباعِ * وأنكره كما أنكرناه، لأنه قَصَرَ الممدودَ، وذلك فى الشعرِ جائز، ولا يجوز مَدُّ المقصورِ.

---

(١) فى ع: «فأوجَسَنِى ما يُوجِسُ الناسَ».

(٢) فى ه «أأزديا». وفى ع و د «ءآزديا».

(٣) فى س و د زيادة «أخرى».

(٤) فى س و د و ه «أَمَّنّاك».

ما زَالَ يَسألُنى حَوْلاً لِأُخْبِرَهُ ... والناسُ من بين مَخْدوعٍ وخَدَّاعِ
حتى إذا انقطعتْ عنى وَسائِلُهُ ... كَفَّ السؤالَ ولم يُولعْ بإهْلاعِى
فاكْفُفْ كما كَفَّ عَنِّى إننى رجلٌ ... إمَّا صَميمٌ وإما فَقْعةُ القاعِ
واكْفُفْ لسانَكَ عن لَوْمى ومَسْئَلتى ... ماذا تُريدُ إلى شَيْخٍ لِأَوْزاعِ
أما الصلاةُ فإنى غيرُ تارِكِها ... كلُّ امْرِئٍ للذى يُعْنَى به ساعِى(١)
أَكْرِمْ برَوْحِ بنِ زِنْباعٍ وأُسْرتِهِ ... قومٌ دَعَا أَوَّلِيهِمْ للعُلَى داعِى
جاوَرْتُهُمْ سَنَةً فيما أُسَرُّ به ... عِرْضى صحيحٌ ونَوْمى غيرُ تَهجاعِ
فاعْمَلْ فإنك مَنْعِيٌّ بواحدةٍ ... حَسْبُ اللبيبِ بهذا الشَّيْبِ من ناعِى

ثم ارتحل حتى أتى عُمانَ ، فوجدهم يُعَظِّمونَ أمرَ أبى بلال ويُظهرونه ، فأظهَرَ أمرَهُ فيهم ، فبلغ ذلك الحجَّاجَ ، فكتبَ إلى أهل عُمانَ(٢) ، فارْتحلَ عمرانُ هارباً(٣) ، حتى أتى قومًا من الأَزْدِ فلم يَزَلْ فيهم حتى ماتَ . وفى نزوله بهم يقولُ :

نَزَلْنا بحمدِ اللهِ فى خيرِ مَنْزِلٍ ... نُسَرُّ بما فيه من الأُنْسِ والخَفَرْ
نَزَلْنَا بقومٍ يَجْمَعُ اللهُ شَمْلَهُمْ ... وليس لهم عُودٌ سِوَى المَجْدِ يُعْتَصَرْ
مِن الأَزْدِ إنَّ الأَزْدَ أكرمُ مَعْشَرٍ ... يَمانِيَةٌ طابوا إذا نُسِبَ البَشَرْ(٤)
فأصبحتُ فيهم آمِنًا لا كَمَعْشَرٍ ... أَتَوْنِى فقالوا من رَبيعةَ أوْ مُضَرْ

(١) فى ج و س و د و هـ « فانى لست تاركها * كل امرئ فى الذى » الخ .
(٢) فى هـ « إلى عامل عمان » .
(٣) فى ج و س و د و هـ « فهرب عمران » .
(٤) فى هـ وحاشية ا « أكرمُ أُسرةٍ » .

أَمِ الحَيُّ قَحْطان ؟ فَتِلْكُمْ سَفاهةٌ ... كما قال لِي رَوْحٌ وصاحِبُهُ زُفَرْ
وَمَا مِنهما إِلَّا يُسَرُّ بِنُسْبَةٍ ... تُقَرِّبُنِي مِنْهُ وَإِنْ كَانَ ذَا نَفَرْ[1]
فَنَحْنُ بَنُو الإِسْلَامِ وَاللهُ وَاحِدٌ ... وأَوْلَى عبادِ اللهِ باللهِ مَنْ شَكَرْ[2]

قوله « يا رَوْحُ كم مِن أخِي مَثْوَى نَزَلْتُ به » قد مَرَّ تفسيرُه ، يقالُ « هذا أبو مَثْوَايَ » وللأنثى « هـذه أُمُّ مثوايَ » ومنزلُ الضِّيافةِ[3] وما أَشْبَهَهَا « المَثْوَى » وكذلك قال المفسرون في قول الله عزوجل : ﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ﴾[4] أيْ : إضافَتَه ، ويقالُ مِن هذا « ثَوَى يَثْوِي ثُوِيًّا » كقولك « مَضَى يَمْضِي مُضِيًّا » ، ويقال « ثواءً » و « مَضاءً » كما قال [الشَّمَّاخُ][5] :

طالَ الثَّوَاءُ على رَسْمٍ بِيَمْؤُودِ ... أَوْدَى وكلُّ جَديدٍ مَرَّةً مُودِي

وقوله « فيهِ رَوَائِعُ مِن إنسٍ ومِن جَانٍ » الواحدةُ « رائِعة » يقال « رَاعَنِي يرُوعنِي رَوْعًا » أي : أفْزَعَنِي . قال اللهُ تعالى ذِكْرُهُ : ﴿فلمَّا ذَهَبَ عنْ إبْرٰهِيمَ الرَّوْعُ﴾[6] . ويكونُ « الرائعُ » الجميلَ يقال : جَمَالٌ رائعٌ ، يكون ذلك في الرجل والفرس وغيرهما ، وأَحْسِبُ الأصلَ فيهما واحدًا : أنه يُفْرِطُ حتى يَروع ، كما قال اللهُ جل ثناؤُهُ : ﴿يَكادُ سَنَا بَرْقِه يَذْهَبُ بالأبْصارِ﴾[7] للإفراط في ضيائِه ، و « الرائعُ » مهموزٌ ، وكذلك كلُّ فعلٍ من الثلاثة مما

(١) ج و د و هـ « كما قال رَوحٌ لي » .
(٢) « بنسبة » ضبطت في كل الأصول المخطوطة بضم النون ، وهي القرابة ، كالنسبة بكسرها . وضبطها الشيخ المرصفي بالكسر فقط .
(٣) في ج و س و د « ومنزل الإضافة » .
(٤) سورة يوسف آية ٢١
(٥) الزيادة من هـ .
(٦) سورة هود آية ٧٤
(٧) سورة النور آية ٤٣

عينُه واو أو ياءٌ ، إذا كانت معتلةً ساكنةً ، تقولُ « قال يقول » و « باع يبيع » و « خافَ يخافُ » و «هاب يهاب» يَعتلُّ اسمُ الفاعِلِ فيُهمَزُ موضع العين ، نحو « قائل »و «بائع » و « خائفٍ» و « هائبٍ » . فإن صَحَّت العين فى الفعل صحّتْ فى اسم الفاعل ، نحو «عَوِرَ الرجلُ فهو عاوِرٌ» و «صَيِدَ فهو صايِدٌ» ، و «الصَّيَدُ» داءٌ يأخذُ فى الرأس والعينين والشُّؤون . وَإنما صحت فى « عَوِرَ» و «حَوِلَ»و « صَيِدَ » لأنه منقولٌ من « احْوَلَّ» و « اعْوَرَّ » . وقد أحكمنا تفسيرَ هذا فى الكتاب المُقْتَضَب .

وقوله :

« يومًا يَمانٍ إذا لاقيتُ ذا يَمَنٍ وإن لقيتُ مَعَدِّيًّا فعَدْنَانِى »

يُريد : أنا يومًا يمانٍ ، ولولا أنَّ الشعْر لايصلحُ بالنصب لكان النصبُ جائزًا ، على معنى : أتَنقَّلُ[1] يومًا كذا ويومًا كذا ، والرفع حسنٌ جميلٌ . وهذا الشعرُ يُنْشَدُ نصبًا .

أَفِى السِّلْمِ أعيارًا جَفاءً وغِلْظةً وفى الحرب أمثالَ النساءِ العوارِكِ[2]

« العوارِكُ » هُنَّ الحوائضُ . وكذلك قوله :

أَفى الولائم أولادًا لِواحدةٍ وفى المحافِلِ أولادًا لِعَلَّاتِ

قال . « العَلَّاتُ » سُمِّيتْ لأنَّ الواحدةَ « تُعَلُّ » بعدَ صاحبتِها ، وهو من «العَلَلِ» وهو الشُّربُ الثانى ، أى يختلفون ويتحوّلون فى هذه الحالاتِ . ومن

(١) فى ج و س « انتقل » .

(٢) الأعيار : جمع عير ، وهو الحمار .

كلام العرب : أتميميًّا مرةً وقيسيًّا أخرى ؟ وكذلك إن لم تستفهم وأخبرت قلتَ : تميميا مرةً عَلِمَ اللهُ وقيسيًّا أخرى . أى : تنتقِلُ . ومن ثَمَّ قال له زُفَرُ بنُ الحرثِ : أزديًّا مرةً وأَوْزاعيًّا أخرى ؟ والرفع على « أنتَ » جَيِّدٌ بالغٌ .

وقولهُ : «لو كنتُ مستغفرًا يومًا لطاغيةٍ » يكون على وجهين : لنفسٍ طاغيةٍ ، والآخرُ للمذكَّر ، وزاد الهاء للتوكيد والمبالغة ، كما يقالُ : رجل راويةٌ وعَلاَّمةٌ وَنَسَّابةٌ ، وكلاهما وَجْهٌ . ويقال : جاءت طاغيةُ الرُّومِ ، يرادُ الجماعةُ الطاغيةُ ، كما قال رسولُ الله صـــلى الله عليه وسلم : « تَقْتُلُكَ الفِئَةُ الباغِيَةُ »[1]

وقوله « عندَ الوِلاية » إذا فتحتَ فهو مصدرُ « الوَلِيِّ » وفى القرآنِ المجيدِ[2] : ﴿ ما لَكُمْ مِّن وَّلاَيَتِهِم مِّنْ شَيْءٍ ﴾[3] . والوِلايةُ مكسورةٌ نحو السياسة والرِياضة والإِيالةِ ، وهى الوِلايةُ ، وأصلُه من الإصلاحِ ، يقال « آلَهُ يَؤُولُهُ أَوْلاً » إذا أَصلَحه . قال عمرُ بن الخطابِ : قد أُلْنَا وَإِيلَ علينا . تَأْويلُ ذلك : قد ولِينا ووُلِيَ علينا . وهذه كلمةٌ جامعةٌ ، يقول : قد وَلِينا فَعلِمنا ما يُصْلِحُ الوالِيَ ، ووُلِيَ علينا فعلِمنا ما يُصْلِحُ الرَّعِيَّةَ .

---

(١) هذا معنى حديث متواتر معروف ، فى شأن عمار بن ياسر . وفى البخارى من حديث ابن عباس مرفوعاً : « ويح عمار تقتله الفئة الباغية ، يدعوهم إلى الله ويدعونه إلى النار » . انظر فتح البارى (٦ : ٢٣) .

(٢) فى س « العظيم » .

(٣) سورة الأنفال آية ٧٢

وقوله «حتى إذاما انْقضَتْ مِنّي وَسائلُه» [«الوسائلُ» واحدُها «وَسِيلَةٌ»[1]] وهي : الذَّرِيعةُ والسَّبَبُ . يقال : قد تَوَسَّلْتُ إلى فلانٍ ، قال رؤْبَةُ بنُ العَجَّاج :

والناسُ إنْ فَصَّلْتَهُمْ فَصائِلا كلٌّ إلينا يَبْتَغِي الوَسائِلا

وقوله : «ولم يُولَعْ بإهْلاَعِي» أي : بإفزاعي وترويعِي . والهَلَعُ من الجُبْنِ عند ملاقاةِ الأقرانِ ، يقال : نعوذ بالله من الهَلَعِ . ويقال : رجلٌ هَلُوعٌ إذَا كانَ لا يَصْبِرُ على خيرٍ ولا شَرٍّ ، حتى يفعلَ في كل واحدٍ منهما غيرَ الحَقِّ ، قال اللهُ وهو أصدقُ القائلين[2] : ﴿إنَّ الإنسانَ خُلِقَ هَلُوعاً . إذا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً . وَإذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً﴾[3] . وقال الشاعرُ :

وَلِي قَلْبٌ سقيمٌ ليس يَصْحُو ونَفْسٌ ما تُفِيقُ من الهُلاَعِ

وقوله . «إمَّا صَمِيمٌ وَإمَّا فَقْعَةُ القَاعِ» «الصَّمِيمُ» الخالصُ من كل شيء ، يقال : فلانٌ من صميم قومِه ، أي : من خالصهم . وقال جريرٌ لهشام بن عبد الملك :

وتَنزِلُ من أُمَيَّةَ حيثُ تَلْقَى شُؤُونُ الرأسِ مُجْتَمِعَ الصَّمِيمِ

وقوله «وإمَّا فَقْعَةُ القَاعِ» يقال لمن لا أصلَ له : هو فَقْعةٌ بِقَاعٍ ، وذلك لأن الفقعةَ لا عُرُوقَ لهـا ولا أغصانَ ، والفَقْعةُ الـكَمْأَةُ البيضاء ، ويقال : حَمَامٌ فَقِيـعٌ : لِبَيَاضِه . ومن ذا قولُ الشاعرِ :

---

(١) الزيادة من س . وأثبتت في طبعات مصر من غير إشارة إلى زيادتها ، وهو تصرف غير جيد .

(٢) في ج و س و د و هـ «جل وعز» .

(٣) سورة المعارج آيات ١٩ ـ ٢١

قومٌ إذا نُسِبُوا يَكونُ أبُوهُمُ ... عند المَنَاسِبِ فقْعةً فى قَرْقَرِ[1]

وقال بعضُ القُرشيين :

إذا ما كنتَ مُتَّخِذًا خليلاً ... فلا تَجْعَلْ خليلَكَ من تَميمِ

بَلَوْتُ صَميمَهُمْ والعبدَ منهم ... فما أدْنَى العَبيدَ من الصَّميمِ

وقوله « نُسَرُّ بمَا فيهِ منَ الأُنْسِ والخَفَرِ » فأصل « الخَفَرِ » شِدَّةُ الحياء يقال « امرأةٌ خَفِرَةٌ » إذا كانت مستترةً لاستحيائها . قال ابنُ نُمَيْرٍ الثَّقَفِيُّ :

تَضَوَّعَ مِسْكاً بَطنُ نَعْمانَ أنْ مَشَتْ ... به زينبٌ فى نِسْوَةٍ خَفِرَاتِ

وقوله « إنَّ الأَزْدَ أَكْرَمُ أُسْرَةٍ »[2] يقولُ : عصابةٍ وقبيلةٍ ، ويقالُ للرجلِ : من أيِّ أُسْرةٍ أنتَ ؟ وأصلُ هـــذا من الاجتماعِ ، يقال للقَتَبِ « مأسُورٌ » وقد مضى تفسيره .

ويُنْشَدُ « يَمَانِيَةٌ قَرْبُوا إذا نُسِبَ البَشَرْ »[3] يريدُ « قَرُبُوا » . وهذا جائزٌ فى كلِّ شَىْءٍ مضمومٍ أومكسورٍ إذا لم يكن من[4] حركاتِ الإعرابِ ، تقولُ فى الأسماءِ فى « فَخِذٍ » « فَخْذٌ » وفى « عَضُدٍ » « عَضْدٌ » . وتقولُ فى الأفعالِ « كَرْمَ عبدُ الله » أى كَرُمَ ، و « قد عَلْمَ اللهُ » أى عَلِمَ اللهُ .

قال الأَخْطَلُ :

---

(١) القرقر : الأرض المطمئنة اللينة ، أو الصحراء البارزة . والمناسب : قال المرصفى : « كان واحده منسب ، كمقعد ، يريد : عند التفاخر بالأنساب » .

(٢) هكذا ذكر بعض البيت هنا . وإنشاده هناك (ص ٩٠٠) « إن الأزد أكرم معشر » . وأما « أسرة » فانها نسخة فى هـ وحاشية ا .

(٣) يريد أن فى بعض الروايات « قربوا » بسكون الراء ، بدل « طابوا » .

(٤) فى ج و س و د « فى » بدل « من » .

فإنْ أَهْجُهُ يَضْجَرْ كما ضَجْرَ بازِلٌ　　من الإبْلِ دَبْرَتْ صَفْحَتَاهُ وكاهِلُهُ[1]

وقال آخرُ :

عَجِبْتُ لمولودٍ وليس له أَبٌ　　وذى وَلَدٍ لم يَلْدَهُ أَبَوانِ

وَلا يجوزُ فى « ضَرَبَ » ولا فى « جَمَلٍ » أن يُسكَّنَ ، لخفة الفتحة .

وقوله « أَتَوْنى فقالُوا مِن ربيعةَ أو مُضَرْ » يقول : أَمِنْ رَبيعةَ أم من مُضَرَ ؟ ويجوزُ فى الشعر حذفُ ألفِ الاستفهامِ[2] ، لأن « أم » التى جاءتْ بعدَها تدلُّ عليها . قال ابنُ أبى ربيعةَ :

لَعَمْرُكَ ما أَدْرِى وإنْ كُنتُ دَارِياً　　بِسَبْعٍ رَمَيْنَ الجَمْرَ أَمْ بِثَمَانِ

يريدُ : أَبِسَبْعٍ ؟ وقال التَّميمىُّ :

لَعَمْرُكَ ما أَدرِى وإنْ كُنتُ دارِياً　　شُعَيْثُ بن سَهْمٍ أم شُعَيْثُ بن مِنْقَرِ[3]

---

(١) البازل من الإبل : الذى يبزل نابه ، أى يشق فى السنة التاسعة ، وربما بزل فى الثامنة . والدبر بفتحتين : الجرح يكون فى ظهر الدابة . والصفحتان : الجانبان . وقوله « وكاهله » كذا هو فى جميع نسخ الكامل . ولكن الشيخ المرصفى كتبه فى طبعته مع شرحه « وغاربه » . وتبع فى ذلك الجوهرى فى مادة « ض ج ر » .

(٢) أكثر النحويين يقيدون جواز حذف الهمزة التى للاستفهام بالشعر . وأجازه الأخفش وغيره مطلقا ، وهو الصحيح ، وقد ورد فى الأحاديث الثابتة الصحيحة ، وخرجت عليه بعض الآيات الكريمة . قال ابن مالك فى شواهد التوضيح والتصحيح (ص ٥٨ ــ ٦٠) : « وقد كثر حذف الهمزة إذا كان معنى ما حذفت منه لا يستقيم إلا بتقديرها كقوله تعالى : ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ﴾ قال أبو الفتح وغيره : أراد : أو تلك » . وذكر له شواهد أخرى من الكتاب والسنة . وقد أكثر الشافعى من ذلك فى كتبه ، الرسالة وغيرها ، وهو عربى فصيح ، لغته حجة . انظر شواهد ذلك من الرسالة ، فى المواضع التى أشرنا إليها فى الفهرس السابع لها ، فى النوع السادس عشر .

(٣) فى ج و س و د « شعيب » .

الروايةُ على وجهين : أحدُهما « مِنِ[1] رَبِيعة أم مُضَرْ . أمِ الحيِّ قَحْطانِ[2] » يريدُ : أذا أم ذا ؟ والأصلحُ[3] فى الرواية « مِن ربيعةَ أو مضرْ . أم الحيِّ قحطانِ[2] » لأن ربيعةَ أخو مُضَرَ ، فأرادَ مِن أحد هذين أمِ الحيُّ قَحْطانَ ، لِأَنَّه إذا قال : أزيدٌ عندَك أم عمرٌو ؟ فالجوابُ : نَعَمْ ، أو : لا ، لأنَّ أحدَ هذين عندَك[4] ، ومعنى الأولِ : أيُّهما عندَك ؟ ويُرْوَى ـ وحدَّثَنيه المازنىُّ : أنَّ صَفِيَّةَ بنتَ عبد المُطَّلِب أتاها رجلٌ ، فقال لها : أينَ الزُّبَيْرُ ؟ قالت : ومَا تُرِيدُ إليه؟ قال : أُريد أنْ أُبَاطِشَهُ افقالت : ها هو ذاكَ ، فصار إلى الزبير فباطشه ، فغلبه الزبيرُ ، فمرَّ بها مَفْلُولاً[5] ، فقالت صفيةُ :

كيف رأيتَ زَبْرَا * أأَقِطًا أو تَمْرَا * أم قُرَشِيًّا صَقْرَا

لم تَشْكُكْ بينَ الأَقِطِ والتَّمر فتقولَ أيُّهما هو ؟ ولكنها أرادتْ : أرأيتَهُ طعاماً أم قرشيًّا صقرًا ؟ أى أأحدَ هذين رأيتَهُ أم صقرًا ؟ ولو قالت : أأقطًا أم تمرًا ـ : كَانَ[6] محالا على هذا الوجه .

وقوله : «وما مِنهما إلاَّ يُسَرُّ بِنُسْبةٍ» معناه : وما منهما واحدٌ ، فَحَذَفَ

---

(١) هكذا فى ج و س و هـ و د « من » بدون الهمزة ، وهو الذى فى البيت ، والذى يتزن به الشعر . وفى بعض النسخ « أمن » بالهمزة ، وعليها طبعات مصر ، وليست بجيدة .

(٢) « قحطان » ضبطناها بالخفض والتنوين كرواية البيت ، لأن الشاعر صرفها للضرورة . وضبطت فى كل النسخ بالمنع من الصرف ، وهو لا يوافق الوزن ، والمؤلف يحكى رواية البيت . وكذلك « مضر » ضبطت فى النسخ بفتح الراء . وهى فى البيت بسكونها .

(٣) فى ج و س و هـ « والأملح » .

(٤) فى س و د و هـ « لأن المعنى : أأحد هذين عندك » .

(٥) « مفلولا » بالفاء ، أى مهزوما . وفى س و هـ « مغلولا » بالغين ، وهو خطأ ، وبه طبعت بعض طبعات مصر .

(٦) فى ج و س و د و هـ « لكان » .

لعلم المخاطَب . قال الله جلّ اسْمُه : ﴿ وإن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ به قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾[١] . أي: وإنْ أحَدٌ . ومعنى « إنْ » معنى « ما » قال الشاعرُ:

وما الدّهرُ إلاّ تارَتَانِ فمنهما ... أموتُ وأخرى أبْتَغِي العيشَ أكْدَحُ

يريدُ : فمنهما تارةٌ ،

وقوله :

« فنَحْنُ بَنُو الإسلامِ واللهُ واحدٌ ... وأَوْلَى عبادِ اللهِ باللهِ مَنْ شَكَرْ »

يقولُ : انقطعت الوَلايةُ إلاّ وَلايةَ الإسلامِ ، لأن وَلايةَ الإسلامِ قد قاربتْ بين الغُرَباء . وقال الله عزّ وجلّ :﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[٢] . وقال عزّ وجلّ فباعَدَ به بينَ القَرابةِ : ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ، إنّه عَمِلَ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾[٣]

وقال نَهَارُ بن تَوْسِعةَ اليَشْكُرِيُّ :

دَعِيُّ القومِ يَنْصُرُ مُدَّعِيهِ ... لِيُلْحِقَهُ بذِي الحَسَبِ الصَّمِيمِ

أَبِي الاسلامُ لا أَبَ لِي سِوَاهُ ... إذا افتَخَروا بقيسٍ أو تَمِيمِ

⁂

ويقالُ فيما يُرْوَى من الأخبارِ : إنّ أولَ مَنْ حَكّمَ عُرْوَةُ بن أُدَيَّةَ ، وأُدَيَّةُ جَـدّةٌ له جاهليةٌ[٤] ، وهو عروةُ بن حُدَيرٍ ، أحدُ بنى ربيعةَ بن حنظلةَ .

---

(١) سورة النساء آية ١٥٩

(٢) سورة الحجرات آية ١٠

(٣) سورة هود آية ٤٦. وقوله « عمل غير صالح » ضبط فى الأصول بالقراءتين : قراءة يعقوب والكسائى «عمل» بكسر الميم فعل ماض ، و « غير » بالنصب مفعول . وقراء باقى العشرة « عمل » بفتح الميم مصدر منون ، و « غـير » بالرفع . وانظر النشر (٢ : ٢٧٨) والتيسير (ص ١٢٥) .

(٤) فى ع و هـ « فى الجاهلية » .

وقال قومٌ : بل أولُ مَنْ حَكَمَ رجلٌ يقال له سَعِيدٌ من بنى مُحارِب بنِ خَصَفةَ بن قَيْسِ بن عَيْلانَ بن مُضَرَ . ولم يختلفوا فى إجماعهم على عبد الله بن وَهْبٍ الراسِبِيِّ ، وأنه امتنع عليهم ، وأومأ إلى غيره ، فلم يَقْنَعُوا إلاَّ بِهِ ، فكان إمامَ القومِ ، وكان يُوصفُ بالرَّأىِ .

[قال أبو العباس][1] : فأما أولُ[2] سيفٍ سُلَّ من سيوف الخوارج فسيفُ عُرْوَةَ بنِ أُدَيَّةَ ، وذلك : أنه أقبلَ على الأَشْعَثِ[3] فقال: ماهذه الدَّنِيئَةُ[4] يا أشعثُ ؟ وما هذا التحكيمُ ؟ أَشَرْطٌ أَوْثَقُ من شَرْطِ الله عزَّ وجلَّ ؟ ! ثم شَهَرَ عليه السيفَ والأشعثُ مُوَلٍّ ، فضربَ به عَجُزَ البغلةِ ، فشَبَّتِ البغلةُ فنَفَرَتِ اليمانيةُ ، وكانوا جُلَّ أصحابِ علىٍّ صلواتُ الله عليه ، فلما رأى ذلك الأَحْنَفُ قَصَدَ هو وجاريةُ بن قُدامةَ ومسعودُ بن فَدَكِىٍّ بن أَعْبَدَ وشَبَثُ بنُ رِبْعِىٍّ الرِّيَاحِىُّ — : إلى الأشعثِ ، فسألوه الصَّفْحَ ، ففعلَ .

وكان عروةُ بن أُدَيَّةَ نجا مِن حربِ النَّهْرَوانِ ، فلم يَزَلْ باقياً مدةً من خلافة معاوية ، ثم أُتِىَ به زيادٌ ومعه مولًى له ، فسأله عن أبى بكرٍ وعمرَ ، فقال خيراً ، ثم سأله فقال : ما تقولُ فى أمير المؤمنين عثمانَ بنِ عفَّانَ وأبى تُرابٍ علىِّ بن أبى طالبٍ ؟ فتولَّى عثمانَ سِتَّ سنينَ من خلافتِه ، ثم شَهِد عليه بالكفرِ ! وفعلَ فى أمرِ علىٍّ مثلَ ذلك إلى أن حَكَّمَ ، ثم شَهِد عليه بالكفرِ ! ثم سأله عن

---

(١) الزيادة من ج .

(٢) فى ج « فأول » .

(٣) هو الأشعث بن قيس الكندى .

(٤) فى ج « الدَّنِيَّةُ » . وفى هـ « الدُّنَيَّةُ » .

معاويةَ ؟ فسبَّه سَبًّا قبيحاً ! ثم سأله عن نَفْسِه ؟ فقال : أَوَّلُكَ لِزِنْيَةٍ[١] وآخِرُكَ لِدِعْوَةٍ[٢] ، وأنتَ بعدُ عاصٍ لربك ! ثم أَمَرَ به فضُرِبَتْ عنقُه ، ثم دعا مولاه فقال : صِفْ لى أُمورَه ؟ فقال : أُأَطْنِبُ أم أَخْتَصِرُ ؟ فقال : بل اخْتَصِرْ ، فقال : ما أتيتُه بطعامٍ بنهارٍ قطُّ ، ولا فرشتُ له فِراشاً بليلٍ قطُّ .

وكان سببُ تسميتِهم الحَرُورِيَّةَ : أن عليًّا لمَّا ناظرهم بعد مناظرةِ ابن عباس رحمه الله إيَّاهم ، فكان مما[٣] قال لهم : ألاَ تعلمون أنَّ هؤلاء القومَ لمَّا رَفَعوا المصاحفَ قلتُ لكم أن هذه مَكيدةٌ ووَهْنٌ ، وأنهم لو قَصَدُوا إلى حُكْمِ المصاحفِ لم يأتونى ثم سألونِى التحكيمَ ، أفعَلِمْتُمْ أنه كان منكم أحدٌ أَكْرَهَ لذلك مِنِّى ؟ قالوا : اللهمَّ نَعَمْ . قال : فهل علمتُمْ أنكم استكرهتُمونِي على ذلك حتى أجبتُكم إليه ، فاشترطتُ أنَّ حُكْمَهُما نافذٌ ما حَكَمَا بحُكْمِ الله عزّ وجلّ ، فإنْ خالفاه[٤] فأنا وأنتم من ذلك بُرَآء ، أَوَأنتم[٥] تَعلمون أنَّ حكمَ اللهِ لا يَعْدُونِي ؟ قالوا : اللهم نعم — وفيهم فى ذلك الوقت ابنُ الكَوَّاء[٦] — وهذا مِن قَبْلِ أن تَذبحوا عبدَ الله بنَ خَبَّابٍ ؟ فإنما ذَبحوه بكَسْكَرَ فى الفُرْقةِ الثالثةِ — : فقالوا : حَكَّمْتَ فى دِينِ الله

---

(١) يشير إلى أنه غير معروف النسب .

(٢) يشير إلى أن معاوية ادعى أنه أخوه ، وأن أباه أبا سفيان ادعى أنه ابنه من سمية .

(٣) فى هـ « كان مما » . وفى ج و د « كان فيا » .

(٤) فى ج و س و د و هـ « فتى خالفاه » .

(٥) فى النسخ المذكورة « وأنتم » بدون الهمزة .

(٦) هو عبد الله بن الكواء . واسم الكواء : عمرو بن النعمان بن ظالم ، من بنى يشكر بن بكر بن وائل . وهنا فى حاشية ا ما نصه : « قال ابن دريد : رجل كواء : خبيث اللسان ، شتام للناس » . وانظر الجمهرة لابن دريد (١ : ١٨٧) .

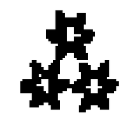
برأينا ، ونحن مُقِرّونَ بأنّا قد كفرنا ، ونحن تائبون ! فأَقْرِرْ بمثل ما أقررنا [به(١)] ، وتُبْ نَنْهَضْ معك إلى الشأم !! فقال : أَمَا تعلمونَ أن الله جلّ ثناؤه قد أَمَرَ بالتحكيم فى شِقاقٍ بين رجلٍ وامرأةٍ(٢) ، فقال تبارك وتعالى : ﴿ فابْعَثُوا حَكَماً مِن أَهْلِهِ وحَكَماً مِنْ أَهْلِهَا(٣) ﴾ وفى صيدٍ أُصِيبَ فى الحَرَمِ ، كأرنب يساوى رُبُعَ دينارٍ(٤) ، فقال عزّ وجلّ : ﴿ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ(٥) ﴾ فقالوا : إن عَمْراً لمّا أَبَى عليكَ أن تقولَ فى كتابك «هذا ما كتبه عبدُ اللهِ علىٌّ أميرُ المؤمنين » مَحَوْتَ اسمكَ من الخلافَة ، وكتبتَ «علىُّ بنُ أبى طالبٍ» فقال لهم رضى الله عنه : لِى برسول الله صلى الله عليه وسلم إِسْوَةٌ ، حيثُ أَبَى عليه سُهَيْلُ بن عَمْرٍو أن يكتبَ «هذا كتابٌ كتبه محمدٌ رسولُ الله وسهيلُ بن عمرٍو » فقال : لوأقررنا(٦) بأنك رسولُ الله ما خالفناك(٧) ، ولـكنِّى أُقدِّمك لفضلِك ، ثم قال : اكْتُبْ « محمدُ بن عبد الله » فقال لى : يا علىُّ ، امْحُ « رسولَ الله » فقلتُ : يارسول الله ، لا تَسْخُو نفسى بِمَحْوِ اسمِك من النبوّة ، فقال عليه السلام : قِفْنِى عليه(٨) ، فمحاهُ بيدِه صلى الله

---

(١) الزيادة من ج .
(٢) فى ج و س و د و ه « وامرأته » .
(٣) سورة النساء آية ٣٥
(٤) فى ج و س و د و ه « تساوى ربع درهم » .
(٥) سورة المائدة آية ٩٥
(٦) فى ج و س و د و ه « لو أقررتُ » .
(٧) فى هذه النسخ « ما خلفتك » .
(٨) فى هذه النسخ « فقفنى عليه » .

عليه وسلم ، ثم قال اكتُبْ « محمدُ بنُ عبد الله » ثم تَبسَّم إلىَّ فقال : ياعلىُّ ، أَمَا إنكَ سَتُسامُ مِثْلَها فتُعْطِي[1]. فرَجَعَ معه منهم ألفانِ من حَرُورَاء[2]، وقد كانوا تَجمَّعوا بها ، فقال لهم علىٌّ صلواتُ الله عليه :مَانُسَمِّيكُمْ ؟ ثم قال : أنتم الحَرُورِيَّةُ ، لاجتماعِكم بحَرُورَاء .

وَالنَّسَبُ إلى مثلِ « حَرُورَاء » « حَرُورَاوِىٌّ » فاعْلَمْ ، وكذلك كلُّ ما كَانَ فى آخره ألفُ التأنيثِ الممدودةِ ، ولكنه نُسِبَ إلى البلد بحذف الزوائد ، فقيل « الحَرُورِىُّ » .



وقال الصَّلَتَانُ العَبْدِىُّ فى كلمةٍ له :

أرَى أُمَّةً شَهَرَتْ سَيفَهَا وقد زِيدَ فى سَوْطِها الأصْبَحِي
بنَجْدِيَّةٍ وحَــــرُورِيَّةٍ وأَزْرَقَ يَدْعُو إلى أزْرَقِ
فَمِلَّتُنَا أَنَّنَا المسلمونَ على دِينِ صِــدِّيقِنا والنَّبِي

وفى هذا الشعرِ ممـا يُستحسَنُ قوله :

أشابَ الصغيرَ وأفْنى الكبيرَ مُرُورُ اللَّيالِى وكَرُّ العَشِى[3]
إذا لَيــلَةٌ هَرَّمَتْ يومَها أَتَى بعدَ ذلك يومٌ فَتِي
نَروحُ ونَغْدُو لِحَاجَاتِنَا وحاجةُ مَنْ عَاشَ لاتَنْقَضِي

---

(١) يشير إلى أمر الهدنة فى عمرة الحديبية . وانظر سيرة ابن هشام (ص ٧٤٠ — ٧٥١ طبعة أوربة) وتاريخ ابن كثير (٤ : ١٦٤ — ١٧٧) .

(٢) حروراء : قرية قريبة من الكوفة .

(٣) فى ج و س و د و ﻫ « مَرُّ الغَدَاةِ وكَرُّ العَشِى » .

تموتُ مع المَرْء حاجاتُه ... وتَبْـقَى له حاجة مَّا بَقِي

قوله « وقد زِيدَ في سوطها الأَصْبَحِي » ، فإنه تُسمَّى هذه السياطُ التي يُعَاقِبُ بها السلطانُ « الأَصْبَحِيَّةَ » وتُنْسَبُ إلى ذى أَصْبَحَ الحِمْيَرِيّ ، وكان مَلِكا من ملوك حِمْيَرَ ، وهو أوّلُ من اتخذها ، وهو جدُّ مالك بن أنس الفقيه رضى الله عنه .

« والنَّجْدِيَّةُ » تُنسَبُ إلى نَجْدةَ بن عُوَيْمِرٍ ، وهو عامرٌ الحنفيُّ ، وكان رأسا ذا مَقالةٍ منفردةٍ[1] من مَقالاتِ الخوارجِ ، وقد بَقِيَ من أهلها قومٌ كثيرٌ . وكان نَجْدةُ يصلِّى بمكةَ بحذاء عبد الله بن الزُّبَيْر في جَمْعِهِ في كل جُمُعَةٍ ، وعبدالله يَطْلُبُ الخِلافةَ ، فيُمْسِكانِ عن القِتالِ من أَجْلِ الحَرَمِ . قال الرّاعِي يخاطبُ عبدَ المَلِكِ :

إنّى حَلَفْتُ على يمينٍ بَرَّةٍ ... لا أَكْذِبُ اليومَ الخَلِيفةَ قِيلا
ما إنْ أَتَيْتُ أبا خُبَيْبٍ وافِدًا ... يومًا أُريد بِبَيْعَتِي تَبْدِيلا[2]
ولا أتيتُ نُجَيْدةَ بنَ عُوَيْمِرٍ ... أَبْغِي الهُدَى فيزيدَنى تَضْليلا
مِن نِعْمةِ الرحمن لا مِن حِيلتي ... إنّى أُعـدُّ له علىَّ فُضولاَ

وفى هذه القصيدة :

أَخَذُوا العَرِيفَ فَقَطَّعوا حَيْزُومَهُ ... بالاصْبَحِيَّةِ قائمًا مَغْلُولاَ[3]

---

(١) فى ج و س و د و ه « مفردة » .

(٢) « أبو خبيب » بالتصغير : كنية عبد الله بن الزبير .

(٣) العريف : القيم بأمور القبيلة أو الجماعة ، يعرف منه أحوالهم . فهو فعيل بمعنى فاعل ، وجمعه « عرفاء » . والحيزوم : الصدر .

قوله « وأَزْرَقَ يدعُو إلى أَزْرَقِ » يريدُ مَن كان من أصحاب نافع بن الأزرقِ الحنفيّ ، وكانَ نافعٌ شجاعًا مُقَدَّمًا فى فِقْهِ الخَوارج . وله ولعبد الله بن عباسٍ مسائلُ كثيرةٌ ، وسنذكرجملةً منها فى هذا الكتاب ، إن شاء الله .

وقوله « عَلَى دين صِدِّيقنا والنبى » فالعربُ تفعلُ هذا ، وهو فى الواو جائز ، أن تَبْدَأَ بالشىء ، وغيرُهُ المُقَدَّمُ[1] . قال الله عزّ اسمُه : ﴿هو الَّذِى خَلَقَكم فمنكم كافرٌ ومنكم مُؤمِنٌ[2]﴾ وقال : ﴿ يامَعْشَرَ الجِنِّ والإِنْسِ[3] ﴾ وقال : ﴿ واسْجُدِى وارْكَعِى مَعَ الرَّاكِعِينَ[4] ﴾ وقال حَسَّانُ بن ثابتٍ :

بهاليلُ منهم جعفرٌ وابنُ أُمِّهِ   علىٌّ ومنهم أحمدُ المُتَخَيَّرُ

يعنى : بنى هاشمٍ . ومن كلامِ العرب رَبيعةُ ومُضَرُ وَقيْسٌ وخِنْدِفُ وسُلَيْمٌ وعامرٌ . وأصحابُ نافِع بن الأزرقِ هم ذَوُو الحَدِّ والجِدِّ[5] ، وهم الذين أحاطوا بالبصرةِ حتى تَرَحَّلَ أكثرُ أهلها منها ، وكان الباقون على التَّرَحُّلِ[6] ، فقَلَّدَ المُهَلَّبُ حَرْبَهم ، فهزَمهم إلى الفراتِ ، ثم هزمهم إلى الأهْوَازِ ، ثم أخرجهم عنها إلى فارسَ ، ثم أخرجهم إلى كِرْمَانَ . وفى ذلك يقول شاعرٌ منهم فى هذه الحربِ التى صاحِبُها صاحِبُ الزَّنجِ بالبَصرَةِ[7] ، يَرْثِى البلدَ ، ويذكر

---

(١) فى ع و س و د و هـ « والمقدم غيره » .
(٢) سورة التغابن آية ٢ .
(٣) سورة الرحمن آية ٣٣ .
(٤) سورة آل عمران آية ٤٣ .
(٥) الحد بفتح الحاء المهملة : البأس والنفاذ فى النجدة . والجد بكسر الجيم : الاجتهاد والسرعة فى الأمر . قاله المرصفى .
(٦) فى ع و س و د « على الرِّحْلَةِ » .
(٧) قال المرصفى : « صاحب الزنج رجل ظهر أيام المهتدى بالله ، يزعم أنه على بن محمد ، من ولد على =

المَنْقَبةَ التى كانتْ لهم . [قال الأَخفشُ : أنشدنيه يَزيدُ المُهَلبيُّ لنفسه] :

سَقَى اللهُ مِصْرًا خَفَّ أهلوهُ من مصْرِ ... وماذا الذى يَبْقَى على عُقَبِ الدّهْرِ (١)

ولو كنتُ فيه إذْ أُبيحَ حَرِيمُهُ ... لَمُتُّ كَرِيمًا أو صَدَرْتُ على عُذْرِ

أُبِيحَ فلم أَمْلِكْ له غيرَ عَبْرَةٍ ... تُهيبُ بها أنْ حارَدَتْ لَوْعةُ الصّدْرِ (٢)

ونحن رَدَدْنا أهلَها إذْ تَرَحّلوا ... وقد نُظِمَتْ خَيْلُ الأَزارقِ بالجِسْرِ (٣)

ومَن يَخْشَ أَطْرافَ المَنايا فإنّنا ... لَبِسْنا لَهُنّ السّابِغاتِ من الصّبْرِ

فإنّ كَرِيهَ المَوْتِ عَذْبٌ مَذاقُهُ ... إذا ما مَزَجْناهُ بِطِيبٍ من الذّكْرِ

وما رُزِقَ الانسانُ مثلَ مَنِيّةٍ ... أراحتْ من الدنيا ولم تُخْزِ فى القبرِ

وفى هذا الشعر [يقول (٤)] :

لِيَشْكُرْ بنو العباسِ نُعْمَى تَجَدّدَتْ ... فقد وَعَدَ اللهُ المَزِيدَ على الشُّكْرِ

= بن الحسين بن على بن أبى طالب . وجمهور النسابين اتفقوا على أنه على بن محمد بن عبدالرحيم، من بنى عبد القيس . دعا الناس إلى طاعته ، واستمال عدداً كثيراً من الزنوج ، يستعين بهم على العيث والفساد ، فأمر زنوجه وجنوده أن يلحوا على أهلها ، فانتشروا فى سكك البصرة يقتلون كل من وجدوه ، ودخلوا المسجد الجامع فأحرقوه» . ثم ذكر أن ذلك كان سنة ٢٧٠

(١) « عقب الدهر » : نوبه .

(٢) فى س « فلم أملك سوابق عبرة » . و «العبرة» الدمعة . وقوله «تهيب بها» أى تدعوها. وقوله « حاردت » بتقديم الراء : مستعار من قولهم «حاردت الناقة» إذا قل لبنها أو انقطع . وبحاشية ا ما نصه : « ابن شاذان : يقال حاردت الناقة : إذا قل لبنها حرادا » .

(٣) بحاشية ا ما نصه : « المُهَلّبِىُّ : الجَسْرُ بفتح الجيم ، وتسمِّيه العامةُ جِسْراً . قال : وجمع الجَسْرِ جُسُورٌ » . والذى فى اللسان وغيره أنه بفتح الجيم وكسرها ، لغتان . ونقل المرصفى عن ياقوت : « أنهم إذا أطلقوا الجسر ولم يضيفوه إلى شىء فإنما يريدون به الجسر الذى كانت فيه الوقعة بين المسلمين والفرس قرب الحيرة على الفرات ، وكان أهل الحيرة يعبرونه إلى ضياعهم » .

(٤) الزيادة من س .

لقد جَنَّبَتْـكُمْ أُسْرةٌ حَسَدَتْـكُمُ   فَسَلَّتْ على الإسلامِ سيفًا من الكُفْرِ[1]
وقد نَغَّصَتْهُمْ جَوْلَةٌ بعدَ جَوْلَةٍ   يُبِيتون فيها المسلمينَ على ذُعْرِ[2]

وقال عبدُ الله بن قَيْسِ الرُّقَيَّاتِ :

ألا طَرَقَتْ مِن أهلِ بَيْبَةَ طارِقَهْ   على أنَّها مَعْشوقةُ الدَّلِّ عاشِقَهْ[3]
تَبِيتُ وأرضُ السُّوسِ بَيْنِي وَبَيْنها   وَسُولافُ رُسْتاقٌ حَمَتْهُ الأَزارِقَهْ[4]
إذا نحنُ شِـئْنا صادَفَتْنا عِصابةٌ   حَرورِيَّةٌ أَضْحَتْ مِنَ الدِّينِ مارِقَهْ

وكان مقدارُ مَنْ أصابَ عليٌّ صلوات الله عليه منهم بالنَّهْرَوانِ ألفين وثمانيَ مائةٍ ، في أصحِّ الأقاويلِ ، وكان عَدَدُهُمْ ستةَ آلاف ، وكان منهم بالكوفة زُهاءُ ألفين ممن يُسِرُّ أمْرَهُ ولم يَشْهَدِ الحربَ ، فخرج منهم رجلٌ بعدَ أنْ قال عليٌّ رضوان الله عليه : ارْجِعُوا وادْفَعُوا إلينا قاتِلَ عبد الله بن خَبَّابٍ ، فقالوا : كُلُّنا قَتَلَهُ وشَرِكَ في دَمِهِ ! ثم حَمَلَ منهم رجلٌ على صَفِّ عليٍّ ، وقد قال عليٌّ : لا تَبْدَؤُوهم بقتالٍ ، فَقَتَلَ من أصحاب عليٍّ ثلاثةً وهو يقولُ :

أَقْتُلُهُمْ ولا أَرَى عَلِـيَّا   ولو بَدَا أَوْجَرْتُهُ الخَطِّيَّا

فخرج إليه عليٌّ صلوات الله عليه فقتله ، فلما خالطه السيفُ قال : حَبَّذا

---

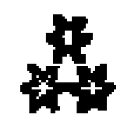
(١) في ج و س و د و ﻫ « لقد حَبَّبَتْكُمْ ».

(٢) في هذه النسخ « وقد بَغَّضَتْهُمْ » . وفي ج « على وِتْرِ » . وفي س و د و ﻫ « على وَتْرِ ».

(٣) في ج و س و د و ﻫ « من أهل بَثْنَةَ » .

(٤) « سولاف » قرية من أرض خوزستان . و « الرستاق » ويقال « الرزداق » بضم أوله وسكون ثانيه فيهما : اسم للسواد والقرى .

الرَّوْحةُ إلى الجنةِ ، فقال عبد الله بنُ وَهْبٍ : ماأدْرِى أَإِلَى الجنةِ أم إلى النار ؟ فقال رجلٌ من [بَنِى[1]] سعدٍ : إنَّما حَضَرْتُ اغتراراً بهذا ، وأُراه قد شَكَّ !! فانخَزَلَ بجماعةٍ من أصحابه ، ومال ألفٌ إلى ناحية أبى أيوبَ الأنصاريِّ ، وكان رحمه الله على مَيْمنةِ علىٍّ ، وجعل الناسُ يتسلَّلونَ ، وقد قال علىٌّ ، وقيلَ له : إنهم يريدونَ الجِسْرَ ؟ فقال : لن يبلغوا النُّطْفَةَ ، وجَعل الناسُ يقولون له فى ذلك ، حتى كادوا يَشُكُّونَ ، ثم قالوا : قد رَجَعُوا يا أميرَ المؤمنين ، فقال : واللهِ ما كَذَبْتُ ولا كُذِبْتُ ، ثم خرج إليهم فى أصحابه ، وقد قال لهم : إنه والله ما يُقْتَلُ منكم عَشَرَةٌ ، ولا يُفْلِتُ منهم عشرةٌ ، فقَتَلَ من أصحابه تسعةٌ ، وأَفْلَتَ منهم ثمانيةٌ .



قال أبو العباس : وقيل : أولُ مَنْ حَكَّمَ ولَفَظَ بالحكومة ولم يُشِدْ بها رجلٌ من بنى سَعْدِ بن زيدِ مَناةَ بن تميم بن مُرٍّ ، من بنى صَرِيمٍ[2] ، يقال له الحَجَّاجُ بنُ عبد الله ، ويُعْرَفُ بالبُرَكِ ، وهو الذى ضرَبَ معاوية على أَلْيَتِهِ ، فإنه لمَّا سَمِعَ بذكر الحَكَمَيْنِ قال : أيُحَكَّمُ فى دِينِ الله ؟ لا حُكْمَ إلاّ لِلّهِ ! فسمعه سامعٌ فقال : طَعَنَ واللهِ فأنْفَذَ[3] .

وأوّلُ مَنْ حَكَّمَ بين الصَّفَّينِ رجلٌ من بنى يَشْكُرَ بنِ بكرِ بنِ وائلٍ ،

---

(١) الزيادة من س .

(٢) فى هـ « ثم من بنى صريم » .

(٣) قال المرصفى : « مستعار من : طعنه برمحه فأنفذه . يريد : أصاب بقوله فلم يخطئ المرمى » .

فإنه كان فى أصحاب علىٍّ ، فحَمَل على رجلٍ منهم فقتله غِيلةً ، ثم مَرَقَ بين الصفَّين فحَكَّمَ ، وحَمَلَ على أصحاب معاوية ، فكَثَروهُ ، فرجَع إلى ناحية علىٍّ صلوات الله عليه ، فحَمَل على رجل منهم ، فخرج إليه رجلٌ من هَمْدَانَ فقتله ، فقال شاعرُ هَمْدانَ :

ما كان أغنَى اليَشْكُرِىَّ عن التى ... تَصَلَّى بها جَمْرًا من النار حامِيَا
غَداةَ يُنَادِى والرِماحُ تنوشُهُ ... خَلَعْتُ عَليًّا بادِيًا ومُعاوِيَا(١)

وجاء فى الحديث ، أن عليًّا رضى الله عنه تُلِىَ بحضرته : ﴿ قُلْ هل نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ، الذين ضَلَّ سَعْيُهُمْ فى الحياة الدُّنيا وهم يَحْسَبُونَ أنهم يُحْسِنونَ صُنْعًا(٢) ﴾ فقال علىٌّ : أهلُ حَرُوراء منهم .

ورُوِىَ عن علىّ صلوات الله عليه : أنه خَرج فى غَداةٍ يُوقِظُ الناسَ للصلاةِ فى المسجد ، فمرَّ بجماعةٍ تتحدثُ ، فَسَلَّمَ وسلَّموا عليه ، فقال وقَبَضَ على لحيته : ظننتُ أنَّ فيكم أشْقَاهَا ، الذى يَخْضِبُ هذه من هذه . وأَوْمأَ بيَدِهِ إلى هامَتِهِ ولِحْيَتِهِ .

ومن شعرِ علىّ بن أبى طالبٍ [أميرِ المؤمنين(٣)] الذى لا اختلافَ فيه أنه قاله ، وأنه كان يُرَدِّدُهُ : أنَّهُمْ لَمَّا سامُوهُ(٤) أن يُقِرَّ بالكفر ويتوبَ حتى يَسيرُوا معه إلى الشأمِ ، فقال : أَبَعْدَ صُحْبَة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتَفَقُّه فى الدِّين أرْجِعُ كافِراً ! ؟

---

(١) « تنوشه » أى : تناله .
(٢) سورة الكهف آية ١٠٣ ، ١٠٤ .
(٣) الزيادة من س و د .
(٤) فى د « سألوه » .

يأشاهِدَ اللهِ عليَّ فاشْهَدِ أنّى على دِينِ النبيِّ أحمدِ

* مَنْ شَكَّ فى اللهِ فإنِّى مُهْتَدِى *

ويُرْوَى : * أنّى تولَّيْتُ وَلِيَّ أحمدِ *

ويُروى : « أن رجلاً أسودَ شديدَ بياضِ الثيابِ وقفَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يَقْسِمُ غنائمَ خَيْبَر، ولم تكنِ إلاّ لِمَنْ شهد الحُدَيْبية فأقبلَ ذلك الأسودُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ،فقال : ماعَدَلْتَ مُنْذُ اليومِ ! فغضِبَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى رُوِّىَ الغضبُ فى وجهه. فقال عمرُ بن الخطاب : ألاَ أقتلُه يارسولَ الله ؟ فقال رسولُ الله : إنه سيكونُ لهذا ولأصحابِه نَبأٌ ».

وفى حديثٍ آخرَ: «أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال له : وَيْحَكَ ! فَمَنْ يَعْدِلُ إذا لم أعْدِلْ ؟ ثم قال لأبى بكرٍ : اقتُلْه ، فمضَى ثم رجَع ، فقال : يا رسول الله ! رأيتُه راكعًا ، ثم قال لعمرَ : اقتُلْهُ ، فمضَى ثم رجَع ، فقال : يا رسول الله ! رأيتُهُ ساجدًا ، ثم قال لعليٍّ : اقتُلْه ، فمضَى ثم رجَع ، فقال : يا رسول الله ! لم أرَهُ ، فقال رسولُ الله : لو قُتِلَ هذا ما اختلفَ اثنانِ فى دِينِ الله » .

قال أبو العباس : وحدثنى إبرٰهيمُ بن محمد التَّيْمِيُّ قاضِى البَصْرةِ(١) فى

(١) هو إبرهيم بن محمد بن عبدالله بن عبيد الله التيمى المعمرى ، يكنى أبا إسحق. روى عن يحيى القطان وعبد الرحمن بن مهدىّ وغيرهما ، وروى عنه أبو داود والنسأى . مدحه أحمد ووثقه النسأى والدارقطنى . ولى قضاء البصرة سنة ٢٣٩ ومات سنة ٢٥٠ وهو على القضاء .

إسْنادٍ ذكره : « أن علياً رضى الله عنه وَجّهَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذَهَبة من اليمنِ ، فقَسَمها أرْباعًا ، فأَعطى رُبُعًا للأَقْرَعِ بن حَابسٍ المُجاشِعِيّ ، ورُبُعًا لزَيْدِ الخَيْلِ الطائىّ ، ورُبُعًا لعُيَيْنَةَ بن حِصْنٍ الفزارِىّ ، ورُبُعًا لعَلْقَمَةَ بن عُلاَثَةَ الكِلاَبِىّ . فقام إليه رجلٌ مُضْطَرِبُ الخَلْقِ ، غَائرُ العينين ، نَاتِئُ الجبهةِ ، فقال [له[1]] : لقد رأيتُ قِسمةً ما أُرِيدَ بها وَجْهُ اللهِ ! ! فغضِبَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى تَوَرَّدَ خَدَّاهُ ، ثم قال : أَيَأْمَنُنِى اللهُ عزّ وجلّ على أهل الأرضِ ولا تَأمَنُونِى ؟ فقام إليه عمرُ فقال : أَلاَ أقتلُه يا رسول الله ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : إنه سيكونُ من ضِنْضِئِ[2] هذا قومٌ يَمْرُقونَ من الدّين كما يَمْرُقُ السَّهمُ من الرَّمِيَّةِ ، تَنْظُرُ فى النَّصْلِ فلا تَرَى شيئًا ، وتَنظرُ فى الرِّصَافِ فلا تَرَى شيئًا ، وتَتمارَى فى الفُوقِ[3] » .

قوله صلى الله عليه وسلم « مِنْ ضِنْضِئِ هذَا » أى : من جنس هذا :

يقال : فلانٌ مِن ضِنْضِئِ صِدْقٍ ، ومِن مَحْتِدِ صِدْقٍ[4] ، وفى مُرَكَّبِ صِدْقٍ . وقال جَرِيرٌ للحَكَمِ بن أيّوبَ بن الحَكَمِ بن أبى عَقيلٍ ، وهو ابنُ عمّ الحجاج ، وكان عامِلَهُ على البصرةِ :

---

(١) الزيادة من ج .

(٢) هنا بحاشية ا ما نصه : « المُهَلَّبِىُّ . قال الامَوِىُّ : الضِّنْضِئُ : الأصلُ » .

(٣) هذه الأحاديث التى ذكرها المؤلف ورد شئ من معناها فى كتب السنة . والحديث الأخير ورد معناه بقريب منه من حديث أبى سعيد الخدرى ، رواه أحمد والبخارى ومسلم وغيرهما . وانظر المنتقى للمجد بن تيمية (رقم ٤١٢٤ — ٤٢١٩) وشرحه نيل الأوطار للشوكانى (٧ : ٣٣٨ — ٣٥٣) .

(٤) فى ج و س و د و ه « وفى محتد صدق »

أَقْبَلْنَ مِن ثَهْلاَنَ أو وَادِي خِيَمْ ... على قِلاَصٍ مثلِ خِيطَانِ السَّلَمْ
إذا قَطَعْنَ عَلَمًا بَدَا عَلَمْ ... حتى أنَخْناها إلى باب الحَكَمْ
خَليفةِ الحَجَّاجِ غيرِ المتَّهَمْ ... فى ضِئْضِئِ المَجْدِ وبُحْبُوحِ الكَرَمْ

ويقال « مَرَقَ السهمُ من الرمِيَّة » إذا نَفَذَ منها ، وأكثر ما يكونُ ذلك أن لا يَعْلَقَ به من دَمِها شىء ، وأقطعُ ما يكونُ السيفُ إذا سَبَقَ الدمَ .
قال امرؤُ القيس بن عابسٍ الكِنْدِىُّ :

وقد أختَلِسُ الضَّرْبَـ ... ـةَ لا يَدْمَى لها نَصْلِى

فأمَّا ماوضَعه[1] الأصمعىُّ فى كتاب الاختيارِ فعلَى غَلَطٍ وُضِعَ . وذكر الأصمعىُّ أن الشِّعرَ لإسحق بن سُوَيْدٍ الفقيه[2] ، وهو لأعرابىٍّ لا يَعْرِفُ المقالاتِ التى يَميلُ إليها أهلُ الأهْواء ، أنشدَ الأصمعىُّ :

برِئتُ من الخَوارجِ لَستُ منهم ... مِنَ الغَزَّالِ منهم وابنِ بَابِ
ومِنْ قومٍ إذا ذَكَروا عَلِيًّا ... يَرُدُّونَ السَّلامَ على السَّحابِ
ولكنِّى أُحِبُّ بكلِّ قلبى ... وأعْلَمُ أنَّ ذاكَ من الصَّوابِ
رسولَ اللهِ والصِّدِّيقَ حُبًّا ... به أرجُو غَدًا حُسْنَ الثَّوابِ

فإنَّ قولَه « من الغَزَّال منهم » يعنى واصِلَ بن عَطاء ، وكان يُكْنَى أباحُذَيْفَةَ ، وكان معتزليًّا ، ولم يكن غَزَّالاً ، ولكنه كان يُلَقَّبُ بذلك ، لأنه كان يَلزَم

---

(١) فى ج و د « وصفه » .
(٢) هذا الذى نسبه المبرد للأصمعىّ نقله عنه الجاحظ فى البيان والتبيين (١ : ٣٥) قال : « قال أبو عثمان : فمن ذلك ما أخبرنا به الأصمعىّ قال : أنشدنى المعتمر بن سليمان لإسحق بن سويد العدوىّ » . فذكر الأبيات الآتية .

الغزَّالِينَ ، لِيعْرِفَ المُتَعَفِّفاتِ من النساء ، فيجعلَ صَدَقَتَهُ لهنَّ ، وكان طويلَ العُنُقِ . ويُرْوَى عن عَمرِو بن عُبَيْدٍ ، أنه نَظَرَ إليه من قَبْلِ أن يكلِّمَه ، فقال : لا يُفْلِحُ هذا ما دامتْ عليه هذه العُنُقُ !

وقال بَشَّارُ بن بُرْدٍ يهجُو وَاصلَ بن عَطاء :

ماذا مُنِيتُ بغَزَّالٍ له عُنُقٌ   كنِقْنِقِ الدَّوِّ إنْ وَلّى وَإنْ مَثَلاَ(١)

عُنْقَ الزَّرافةِ ما بَالِي وبالُكُمُ   تُكَفِّرُونَ رجالاً أَكفَروا رَجُلاَ(٢)

ويُرْوَى ، لا بَلْ كأنه لا يَشُكُّ فيه : إن بَشَّاراً(٣) كانَ يَتَعَصَّبُ للنَّارِ على الأرضِ ، ويُصَوِّبُ رأيَ إبليسَ ـ لعنه الله ـ في امتناعِه من السجودِ لِآدمَ عليه السلام ، ويُرْوَى له(٤) :

الأرضُ مُظلِمةٌ والنارُ مُشْرِقةٌ   والنارُ مَعْبُودةٌ مُذْ كانتِ النارُ

فهذا ما يَرويه المتكلمونَ .

وقَتَلَهُ [أميرُ المؤمنين(٥)] المَهْدِيُّ على الإلحادِ . وقد رَوَى قومٌ أن كُتُبَهُ فُتِّشَتْ فلم يُصَبْ فيها شيءٌ مما كان يُرْمَى به ، وأُصيبَ له كتابٌ

(١) « النقنق » بكسر النونين وبفتحهما : الظليم . و « الدو » بفتح الدال وتشديد الواو : الفلاة الواسعة . و « مثل » بفتح الثاء المثلثة وبضمها ، « يمثل » بضم الثاء : أي أقام .

(٢) في س « كفروا رجلا » . . وهنا في حاشية ا ما نصه : « الزرافة : الجماعة . وإنما سميت به هذه الزرافة لأنها تجمع أشياء من خلق البهائم » .

(٣) في ج « كأنه لا يُشَكُّ فيه أنَّ بشاراً » .

(٤) قال المرصفي في قوله « ويروى لا بل الخ » : « هذه عبارة سخيفة ! يريد : أن السبب في هجائه ليس ما ذكره بشار من نسبة الكفر إلى أصحابه ، إذ نسبوه إلى واصل ، وإنما السبب ما بلغه من إنكار واصل قوله بفضل النار ويصوب رأي إبليس . وكلمة : كأنه لا يشك فيه : معترضة » .

(٥) الزيادة من ج و س و د و هـ .

فيه : إنّي أردتُ هجاء آل سُلَيْمانَ بن عليٍّ ، فذكرتُ قرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمسكتُ منهم [إلاّ أنّي قلتُ :

دِينارُ آلِ سُلَيْمانٍ وَدِرْهَمُهُمْ ... كَبَابِلِيَّيْنِ حُفَّا بالعَفارِيتِ

لا يُرْجَيانِ ولا يُرْجَى نَوالُهما ... كما سَمِعْتَ بهارُوتٍ ومارُوتِ][1]

وحدثني المازِنيُّ قال : قال رجلٌ لبَشّارٍ : أتأكلُ اللَّحْمَ وهو مُبايِنٌ لديانَتِكَ ؟! يَذْهَبُ [به[2]] إلى أنه ثَنَوِيٌّ ! قال : فقال بَشّارٌ : ليسوا يَدْرُونَ أنَّ [هذا[2]] اللَّحمَ يَدْفَعُ عني شَرَّ هذه الظُّلْمَةِ .

وكان واصلُ بنُ عطاءٍ أحدَ الأعاجيبِ ، وذلك أنه كان ألْثَغَ قبيحَ اللُّثْغَةِ في الرّاء ، فكان يُخَلِّصُ كلامَه من الراء ، ولا يُفْطَنُ بذلك[3] ، لاقتدارِه وسهولةِ ألفاظِه . ففي ذلك يقولُ شاعرٌ من المعتزلة ، يمدحُه بإطالته الخُطَبَ واجتنابِه الراءَ ، على كثرة تردُّدِها في الكلام ، حتى كأنّها ليستْ فيه :

عَليمٌ بإبدالِ الحُروفِ وقامِعٌ ... لكلِّ خَطيبٍ يَغْلِبُ الحَقَّ باطِلُهْ

وقال آخرُ :

ويَجْعَلُ البُرَّ قَمْحاً في تَصَرُّفِهِ ... وخالَفَ الراءَ حتى احتالَ للشِّعَرِ[4]

ولم يُطِقْ مَطَراً والقولُ يُعْجِلُهُ ... فعاذَ بالغَيْثِ إشْفاقاً منَ المَطَرِ

---

(١) الزيادة من حاشية ا .

(٢) الزيادة من ج و س و د و هـ .

(٣) في ج و س و هـ « بذلك » .

(٤) في نسخة بحاشية ا « وجانَبَ الراءَ » .

ومما يُحْكَى[1] عنه قولُه ، وذَكَرَ بَشّاراً : أَمَا لهذا الأعمى المُكْتَنِي بأَبِي مُعاذٍ مَنْ يَقْتُلُه ؟ ! أَمَا واللهِ لولا أنَّ الغيلةَ خُلُقٌ من أخلاقِ الغَالِيةِ[2] لَبَعَثْتُ إليه مَنْ يَبْعَجُ بطنَه على مَضْجَعِهِ ، ثم لايكونُ إلاّ سَدُوسِيًّا أو عُقَيْلِيًّا .

فقال « هذا الأعمى » ولم يقل بَشَّاراً ، ولا ابنَ بُرْدٍ ، ولا الضَّريرَ . وقال « من أخلاقِ الغالية » ولم يقل المُغيريَّةِ ، ولا المَنْصوريةِ . وقال « لبعثتُ إليه » ولم يقل لأرسلتُ إليه . وقال « على مَضْجَعِه » ولم يقل على فِراشِهِ ، ولا مَرْقَدِهِ . وقال « يَبْعَجُ » ولم يقل يَبْقُرُ . وذكر « بنى عقيل » لأنَّ بشاراً كان يَتَوالَى إليهم . وذكر « بنى سَدُوسٍ » لأنه كان نازلاً فيهم .

واجْتِنابُ الحروفِ شديدٌ .

قال : ولمّا سقطت ثَنايا عبدِ المَلِكِ [بنِ مروانَ فى الطَّسْتِ[3]] قال : واللهِ لولا الخُطْبةُ والنساءُ ما حَفَلْتُ بها .

قال : وخطب الجُمَحِيُّ ، وكان مَنْزوعَ إحدَى الثَّنِيَّتَيْنِ ، وكان يَصْفِرُ إذا تكلَّمَ ، فأجاد[4] الخُطْبَةَ ، وكانت لِنكاحٍ ، فردَّ عليه زيدُ بن عليِّ بن الحسين كلامًا جيِّداً ، إلاّ أنه فَضَلَهُ بتمكُّنِ الحروفِ[5] وحُسْنِ مَخارجِ الكلامِ ،

---

(١) فى ج و س و د و ه « حُكِيَ » .

(٢) « الغيلة » القتل غدرا من حيث لا يشعر المقتول . و « الغالية » طائفة من الشيعة جاوزوا الحدّ فى حق أئمتهم .

(٣) الزيادة من ه .

(٤) فى ج و س و د و ه « وأجاد » .

(٥) فى هذه النسخ « بتمكين الحروف » .

فقال عبدُ الله بن معاويةَ بن عبد الله بن جعفرٍ يذكرُ ذلك :

صَحّتْ مَخارِجُها وتَمّ حُروفُها فَلَهُ بذاكَ مَزِيّةٌ لا تُنْكَرُ

« المزيّةُ » الفضيلةُ .

وأمّا قولُه « وابنُ بابٍ » فإنه⁽¹⁾ ، عَمرُو بن عُبَيْدِ بن بَابٍ ، وكان⁽²⁾ مَوْلَى بَنِي العَدَوِيّةِ ، مِن بنى مالك بن حَنْظَلَة . فهذان مُعْتَزِليّانِ ، وليسا مِن الخوارجِ ، ولكن قَصَدَ إسحقُ بن سُوَيدٍ إلى أهل البِدَعِ والأَهْواء ، ألاَ تَراه ذَكر الرافضةَ معهما ، فقال :

ومِن قَوْمٍ إذا ذَكَرُوا عَلِيّا أشارُوا بالسّلامِ على السّحابِ

ويُرْوَى : * يَرُدُّونَ السّلامَ على السّحابِ *

⁂

ثم نرجِع إلى ذِكر الخوارِج .

قال [أبو العباس⁽³⁾] : فلما قَتَلَ عليٌّ [بنُ أبي طالبٍ⁽⁴⁾] أهلَ النّهْرَوانِ ، وكان⁽⁵⁾ بالكوفةِ زُهاءِ ألفينِ من الخوارِجِ ، ممن لم يَخْرُجْ مع عبد الله بن وَهبٍ ، وقومٌ ممن استَأْمَنَ إلى أبي أيوبَ الأنصاريّ ، فتجمعوا وأَمّروا عليهم رجلاً من طَيِّئٍ ، فوَجّهَ إليهم عليٌّ صلوات الله عليه رجلاً ، وهم بالنُّخَيْلَةِ ،

(1) فى ج و س و د و هـ « فهو » بدل « فانه » .

(2) فيها أيضاً « وهو » بدل « وكان » .

(3) الزيادة من ج و س و د و هـ . وفيها « لما » بدل « فلما » .

(4) الزيادة من ج و س و هـ .

(5) فى ج و س و د و هـ « كان » بدون الواو ، وبها طبعت طبعات مصر .

فدعاهم ورَفَقَ بهم ، فَأَبَوْا ، فعاوَدَهُم فأَبَوْا ، فقَتَلُوا جميعاً . فخرجتْ طائفةٌ منهم نَحْوَ مكةَ ، فوَجَّهَ(١) معاويةُ مَنْ يُقيمُ للناسِ حَجَّهم ، فناوَشَهُ هؤلاءِ الخوارجُ ، فبَلَغَ ذلك معاويةَ فوجه بُسْرَ بن أَرْطاةَ ، أحدَ بنى عامرِ بن لُؤَىٍّ ، فَتَوافَقُوا وتَراضَوْا بعدَ الحربِ بأن يصلِّىَ بالناس رجلٌ من بنى شَيْبَةَ ، لئلا يفوتَ الناسَ الحجُّ ، فلمّا انقضى نَظَرَتِ الخَوارجُ فى أمرِها ، فقالوا : إن عليًّا ومعاويةَ قد أفسدَا أمرَ هذه الأمةِ ، فلو قتلناهما لعادَ الأَمرُ إلى حَقِّهِ ! وقال رجلٌ مِن أَشْجَعَ : واللهِ ما عَمرٌو(٢) دونهما ، وإنه لَأَصْلُ هذا الفسادِ . فقال عبدُ الرحمن بن مُلْجَمٍ [المرَادِىُّ لعنةُ الله عليه(٣)] : أنا أقتلُ عليًّا ، فقالوا : وكيفَ لكَ به ؟ قال : أَغْتالُهُ . فقال الحجّاجُ بنُ عبد الله الصَّرِيمىُّ ، وهو البُرَكُ : وأنا أقتلُ معاويةَ . وقال زاذَوَيْهِ مَوْلَى بنى العَنْبَرِ بن عَمرِو بن تميمٍ : وأنا أقتلُ عَمْراً . فَأَجْمَعَ رأيُهم على أن يكونَ قتلُهم فى ليلةٍ واحدةٍ ، فجعلوا تلك الليلةَ ليلةَ إحدى وعشرينَ مِن شهرِ رمضانَ ، فخرج كلُّ واحدٍ منهم إلى ناحيةٍ ، فأتى ابن مُلْجَمٍ الكوفةَ ، فَأَخْفَى نفسَه وتزوَّجَ امرأةً يقالُ لها قَطامِ بنتُ عَلْقمةَ من تَيْمِ الرِّبابِ ، وكانتْ تَرَى رأْيَ الخوارجِ ، والأحاديثُ تختلفُ ، وإنما يُؤْثَرُ صحيحُها ، ويُرْوَى فى بعضِ الأحاديثِ(٤) أنها قالتْ : لا أَقْنَعُ منكَ إلاَّ بِصَدَاقٍ أُسَمِّيه لكَ ، وهو ثلاثةُ آلافِ درهمٍ ،

---

(١) فى النسخ المذكورة « وقد وجه » .

(٢) يعنى عمرو بن العاص .

(٣) الزيادة من س .

(٤) فى ع و س و ه « فى بعض الحديث » .

وعبدٌ وأَمَةٌ ، وأن تَقتُلَ عليًّا ! فقال لهـا : لَكِ ما سألتِ ، فكيفَ[1] لى به ؟ قالت : تَرُومُ ذلك غِيلَةً ، فإنْ سَلِمْتَ أرحتَ الناسَ منْ شرٍّ ، وأقمتَ مع أهلِكَ ، وإنْ أُصِبْتَ سِرْتَ[2] إلى الجنةِ ونعيمٍ لا يزولُ ! فأَنْعَمَ لهـا[3] [بذلك[4]] . وفى ذلك يقولُ[5] :

ثلاثةُ آلافٍ وعبدٌ وقَيْنَةٌ وَضَرْبُ علىٍّ بالحُسامِ المُصَمِّمِ
فلا مَهْرَ أغْلَى من علىٍّ وإنْ غَلَا ولا فَتْكَ إلَّا دُونَ فَتْكِ ابْنِ مُلْجَمِ

[قال أبو العباس[6]] : وقد ذكروا أنَّ القاصدَ إلى معاويةَ يزيدُ بن مُلْجَمٍ ، والقاصدَ إلى عمرٍو آخرُ من بَنِى مُلْجَمٍ ، وأنَّ أباهم نهاهم ، فلمَّا عَصَوْهُ قال : استَعِدُّوا[7] للموتِ ، وأنَّ أُمَّهُمْ حَضَّتْهُمْ على ذلك . والخبرُ الصحيحُ ماذكرتُ لك أولَ مرَّةٍ .

فأَقامَ ابنُ مُلْجَمٍ ، فيقالُ : أنَّ امرأتَه قَطامِ لامَتْهُ ، وقالت : ألَا تَمْضِى لمـا قَصَدْتَ [له[8]]؟ لَشَدَّ ما أَحْبَبْتَ أهلكَ[9] ! قال : إنِّى قد وَعَدْتُ صاحِبَىَّ

(١) فى س و د و هـ « وكيف » .
(٢) فى ج و س و د و هـ « خرجتَ » .
(٣) « أنعم لهـا » أى : قال لهـا : نعم .
(٤) الزيادة من س .
(٥) قال المرصفى : « بل قائله ابن أبى مياس المرادىّ » .
(٦) الزيادة من ج .
(٧) فى س و د و هـ « فاستَعِدُّوا » .
(٨) الزيادة من ج و س و د هـ .
(٩) فى س و د « أَجَبْتَ » .

وقتاً بعينه . وكان هنالك رجلٌ من أَشْجَعَ ، يقال له شَبيبٌ ، فَوَاطأَهُ عبدُ الرَّحمٰن .

ويُرْوَى : أنَّ الأشْعَثَ نظرَ إلى عبد الرحمن متقلداً سيفاً فى بنى كِنْدَةَ ، فقال : ياعبدَ الرَّحمٰن ، أَرِنِى سيفك ، فأراهُ [إياه][1] ، فرَأى سيفاً حديداً ، فقال : ماتَقَلُّدُكَ [هذا][2] السيفَ وليس بأَوَانِ حَرْبٍ ؟ فقال : إنى أردتُ أن أَنْحَرَ بِهِ جَزُورَ القَرْيَةِ ! فَرَكِبَ الأشْعَثُ بغلتَه وأتَى عليًّا صلوات الله عليه فَخَبَّرَهُ ، وقال له : قد عرفتَ بَسَالة ابنِ مُلجمٍ وَفَتْكَه ، فقال علىٌّ : ماقتَلنى بَعْدُ !!

وَيُرْوَى : أنَّ عليًّا رضوان الله عليه كان يخطبُ مَرَّةً وَيَذْكُرُ أصحابَهُ ، وابنُ مُلجمٍ تِلْقَاءَ المِنْبَرِ ، فَسَمِعَ وهو يقولُ : والله لَأُرِيحَنَّهُمْ منكَ ! فلمَّا انصرفَ علىٌّ صلوات الله عليه إلى بيته أُتِىَ به مُلَبَّبًا ، فأَشْرَفَ عليهم ، فقال : ما تريدونَ ؟ نخبَّرُوهُ بمـا سمعوا ، فقال : ما قتلنى بَعْدُ! فَخَلَّوْا عنه .

ويُرْوَى : أن عليًّا كان يَتمثَّلُ إذا رآه ببيت عَمرِو بن مَعْدِى كَرِبَ فى قَيْسِ بن مَكْشُوحٍ المُرَادِىِّ ، والمكشوحُ هُبَيْرةُ ، وإنما سُمِّي بذلك لأنه ضُرِبَ على كَشْحِهِ :

أُرِيدُ حِبَاءَهُ وَيُرِيدُ قَتْلِى عَذِيرَكَ مِنْ خَلِيلِكَ من مُرَادِ[3]

---

(١) الزيادة من هـ .

(٢) الزيادة من ج و د و هـ .

(٣) فى د « أُريدُ حياتَهُ »

فيَنْتَفِي من ذلك ، حتى أُ كْثِرَ عليه ، فقال له المُرادِيُّ : إنْ قضِيَ شَيْءٌ كانَ ؛ فقيلَ لعليٍّ : كأنك قد عرفتَه وعرفتَ ما يُرِيدُ بِك ، أفلاَ تقتلُه ؟ فقال : كيف أقتُلُ قاتِلِي ؟ !

فلمّا كان ليلةَ[1] إحدَى وعشرِين من شهرِ رمضانَ ، خَرجَ ابنُ مُلْجَم وشَبيبٌ الأشْجَعِيُّ ، فاعْتوَرَا البابَ الذى يَدخلُ منه عليٌّ رضيالله عنه، وكان [عليٌّ يَخْرُجُ[2]] مُغَلِّساً ، ويُوقِظُ الناسَ للصلاةِ ، فخرج كما كان يفعلُ ، فضربه شَبيبٌ فأخطأه ، وأصابَ سيفُهُ البابَ ، وضربه ابنُ مُلْجَمٍ على صُلْعَتِهِ[3] ، فقال عليٌّ : فُزْتُ وَرَبِّ الكَعْبةِ ! شأنَكُمْ بالرَّجُلِ . فيُرْوَى عن بعضِ مَن كان بالمسجدِ[4] من الأنصار قال : سمعتُ كلمةَ عليٍّ ، ورأيتُ بريقَ السيفِ . فأمّا ابنُ مُلْجَمٍ فحَمَلَ على الناسِ بسيفِه فأفْرَجُوا له ، وتَلَقَّاهُ المُغيرةُ بن نَوْفَلِ بن الحرثِ بن عبد المطّلِبِ بقَطِيفَةٍ ، فرَمَى بها عليه، واحتَمَلَه فضَرب به الأرضَ ، وكان المغيرةُ أَيِّداً[5] ، فقعَدَ على صدرِه . وأمّا شَبيبٌ فانتزَع السيفَ منه رجلٌ مِن حَضرَمَوْتَ ، وصرَعَهُ وقعد على صدرِه . وكَثُرَ

(١) فى ج « فلما كانت ليلة » .

(٢) الزيادة من ج و س و د و هـ .

(٣) « الصَّلَعَةُ » و « الصُّلْعَةُ » موضع الصلع من الرأس ، فتح الصاد مع فتح اللام ، وضم الصاد مع سكون اللام . وأما فتح الصاد مع سكون اللام — كما فى طبعات مصر — فخطأ .

(٤) فى ج و س و د و هـ « فى المسجد » .

(٥) « الأيد » بفتح الهمزة وكسر الياء المشددة : القوىّ .

الناسُ ، فجعلوا يَصيحون : عليكم صاحبَ السيفِ،فخاف الحَضْرَمِىُّ أن يُكبُّوا عليه ولا يَسْمعُوا عُذْرَه ، فرَمَى بالسيفِ ، وانْسَلَّ شَبيبٌ بينَ الناسِ . فَدُخِلَ [بابنِ مُلْجَمٍ[١]] علَى علىٍّ رضوان الله عليه ، فأُومِرَ فيه ، فاختلفَ الناسُ فى جوابِه ، فقال علىٌّ : إنْ أَعِش فالأَمْرُ إلىَّ[٢] ، وإن أُصَبْ[٣] فالأمرُ لكم ، فإن آثَرْتُم[٤] أن تَقْتَصُّوا فضَرْبةً بضربةٍ ، وأنْ تَعفُوا أقْرَبُ للتَّقْوَى . وقال قومٌ : بل قال : وإنْ أُصِبْتُ فاضربوه ضربةً فى مقْتَلِه[٥] . فأقام علىٌّ يومين ، فسَمع ابنُ مُلْجَمٍ الرَّنَّةَ من الدارِ ، فقال له مَنْ حَضَره . أىْ عَدُوَّ اللهِ ! إنه لا بأسَ على أميرِ المؤمنين ، فقال : أَعَلَى مَنْ تَبْكِى أُمُّ كُلْثومٍ ؟ أعَلَىَّ ؟ أمَا واللهِ لقد اشتريتُ سيفى بألفِ درهمٍ ، وما زِلْتُ أعْرِضُهُ ، فما يَعيبُه أحدٌ إلاَّ أصْلَحْتُ ذلك العيبَ ، ولقد أُسقيتُه[٦] السُّمَّ حتى لَفَظَهُ ، ولقد ضربتُهُ ضربةً لو قُسِمَتْ على مَنْ بالمشرق لأَتَتْ عليهم . ومات علىٌّ صَلواتُ الله

---

(١) الزيادة من هـ .

(٢) فى ج و س و د و هـ « فالأمر لى » .

(٣) فى س و د « أُصِبْتُ » .

(٤) هنا بحاشية ا مانصه : « قال الشيخُ : أخبرنى ابنُ شاذانَ عن أبى عَمْرٍو عن ثعلبٍ قال : يقالُ : أثِرْتُ أن أفعل كذا ، أى عزمتُ ، بكسر الثاء . وأخبرنى ابنُ رَباحٍ عن ابن دُرَيْدٍ قال : يقالُ : آثَرْتُ فلانًا بكذا أو كذا ، أُوثِرُهُ إيثارًا : إذا فَضَّلْتُهُ ، فأنَا مُؤْثِرٌ ، وهو مُؤْثَرٌ » .

(٥) فى ج و س و د « وإن أُصَبْ فاقتلوه بضربةٍ فى مقتله » .

(٦) فى س و هـ « سقيته » .

ورضوانُه عليه ورحمتُه فى آخرِ اليوم الثالث ، فدعابه الحسنُ(١) رضى الله عنه ، فقال : إنّ لك عندى سِرًّا ! فقال الحسنُ رضوان الله عليه : أتَدْرونَ ما يريدُ ؟ يريدُ أن يَقْرُبَ من وجهى فيَعَض أُذُنى فيقطعَها ، فقال : أمَا والله لو أمْكَنْتَنِى منها لاقتلعتُها من أصلِها ! فقال الحسنُ : كلا والله ، لأَضْرِبَنَّكَ ضربةً تُؤَدِّيكَ إلى النارِ ، فقال : لو علمتُ أنّ هذا فى يدَيْكَ(٢) ما اتَّخذتُ إلهًا غيرَكَ ، فقال عبدُ الله بن جعفر : يا أبا محمدٍ ، ادْفَعْهُ إلىَّ أشْفِ نفسِى منه . فاختلفوا فى قتله ، فقال قومٌ : أُحْمِى له مِيلَيْنِ وكَحَلَهُ بهما ، فجعل يقول : إنك يا ابنَ أخِى لتَكْحَلُ عمَّكَ بمُلْمُولَيْنِ(٣) مَضَّاضَيْنِ(٤) ، وقال قومٌ : بل قَطَعَ يديه ورجليه ، وقال قومٌ : بل قطع رجليه ، وهو فى ذلك يذْكر الله عزَّ وجلَّ ، ثم عَمَدَ إلى لسانه ، فشَقَّ ذلك عليه ، فقيل له : لِمَ تجْزَعْ مِن قطع يديك ورجليك ونَرَاك قد جَزِعْتَ من قطع لسانِك ؟ فقال : نعم ، أحببتُ أن لَا يزالَ فمى بذِكرِ الله رَطْباً ، ثم قَتَله .

ويُرْوَى : أنَّ عليًّا رضىالله عنه أُتِىَ بابنِ مُلْجَمٍ وقيل له : إنَّا قد سمعنامن هذا كلامًا فلا(٥) نأمنُ قتلَه لك(٦) ؟ فقال : ما أَصنعُ به ؟ ثم قال علىٌّ رضوان الله عليه .

(١) فى ج و س و د و ﻫ « فدعا عبد الرحمن بالحسن » .

(٢) فى ج و س و د و ﻫ « فى يدك » .

(٣) « الملمول » بضم الميمين وبينهما لام ساكنة ، هو الميل الذى يكتحل به ، وهومن الأوزان النادرة ، وزن « مفعول » بضم الميم . وفى بعض نسخ الكامل بفتح الميم الأولى ، وهو خطأ .

(٤) أى : حارَّين .

(٥) فى ج و س و د و ﻫ « ولا » .

(٦) فى د « إياك » .

اشْدُدْ حَيَازِيمَكَ للموتِ فإنَّ الموتَ لا قِيكا[١]

ولا تَجْزَعْ من الموتِ إذا حَلَّ بِوادِيكا

والشعرُ إنما يَصِحُّ[٢] بأن تَحذفَ « اشْدُدْ » فتقولَ :

حَيازِيمَك للموتِ فإنَّ الموتَ لا قِيكا

ولكنَّ الفصحاء من العرب يَزِيدون ماعليه المعنى ، ولا يَعْتَدُّونَ به فى الوزنِ ، ويحذفون من الوزنِ ، عِلْمًا بأنَّ المخاطَبَ يعلم ما يَزِيدونه ، فهو إذا قال « حيازِيمَك للموتِ » فقد أَضمر « اشْدُدْ » فأَظهرَه ، ولم يَعْتَدَّ به . قال : وحدثنى أبو عثمانَ المازِنِيُّ قال : فصحاء العرب يُنشِدون كثيراً :

لَسَعْدُ بْنُ الضِّبَابِ إذا غَدَا أَحَبُّ إلينا مِنْكَ فَا فَرَسٍ حَمِرْ

وإنما الشِّعْرُ * لَعَمْرِى لَسَعْدُ بْنُ الضِّبَاب إذا غَدَا[٣] *

⁂

وأَما الحجَّاجُ بن عبد الله الصُّرَيْمِيُّ ، وهو البُرَكُ — : فإنه ضَرَبَ معاويةَ مُصَلِّيًا فأَصاب مَأْكَمَتَهُ[٤] ، وكان معاويةُ عظيمَ الأَوْراكِ ، فقطع منه عِرْقًا

---

(١) هنا بحاشية ا ما نصه: «المُهَلَّبِيُّ : الحَيْزُومُ : مااشتَمَلَ عليه الصدرُ ، وجمعُه حَيَازِيمُ . ويقال للرجل : اشدُدْ حيازيمك لهذا الأمرِ : وَطِّنْ نفسَك عليه» .

(٢) فى س « يصلح » .

(٣) قال المرصفى : « هو لامرئ القيس يعير من خاطبه بنتن فه » .

(٤) بفتح الكاف وكسرها . وبحاشية ا ما نصه : « قال المُهَلَّبِيُّ ، المأْكَمتَانِ : اللَّحْمَتَانِ اللتان على رؤوس الوَرِكَين ، الواحدةُ مأْكَمَةٌ . ويقال : رجل مُؤَكَّمٌ ، وامرأةٌ مُؤَكَّمةٌ ، عن الأصمعىّ » .

يقالُ [أنه[1]] عِرْقُ النِّكاح ، فلم يُولَدْ لمعاويةَ بعد ذلك ولدٌ ، فلما أُخِذَ قال : الأمَانُ والبِشَارةُ ، قُتِلَ عليٌّ فى هذه الصَّبيحة ، فاسْتُوْنِىَ[2] به حتى جاء الخبرُ ، فقَطع معاويةُ يَدَهُ ورجله ، فأقام بالبصرة ، فبلغ[3] زياداً أنه قد وُلِدَ له ، فقال : أيُولَدُ له وأميرُ المؤمنين لا يُولَد له ، فقتله . هذا أحدُ الخبرين .

ويُرْوَى : أن معاويةَ قطع يديه ورجليه ، وأمَرَ باتِّخاذِ المقصورةِ ، فقيل لابنِ عباسٍ بعد ذلك : ما تأويلُ المقصورةِ ؟ فقال : يخافون أن يَبْهَظَهُمُ[4] الناسُ .

وأمّا زَاذَوَيْهِ : فإنه أَرْصَد لِعَمرٍو ، واشتكى عَمرٌو بطنَه ، فلم يخرج للصلاة ، وخرج [إلى الصلاة[5]] خارجةُ[6] ، وهو رجلٌ من بنى سَهْمِ بن عَمْرِو بن هُصَيْصٍ ، رَهْطِ عَمرو بن العاصى ، فضربه زَاذَوَيْهِ فقتلَه ، فلما دُخِلَ[7] به على عَمرٍو فرآهم يخاطبونه بالإِمْرَةِ قال : أوَمَا قَتَلْتُ عَمْراً ؟ قيل :

---

(١) الزيادة من ج و د و هـ . وفى س « له » .

(٢) بحاشية ا ما نصه : « ابنُ شاذانَ : قوله استونى ، من الاناء ، وهو الانتظارُ والتأْخيرُ ، ممدودٌ » .

(٣) فى ج و س و د و هـ « ثم بلغ » .

(٤) بحاشية ا ما نصه : « ابنُ شاذان : يقال بَهَظَهُمْ الأمرُ يَبهَظُهُمْ بَهْظاً : إذا غَلبهم ، والأَمرُ باهظٌ ، والمفعول : مبهوظٌ » . وهى بالظاء المعجمة . وفى لغة قليلة بالضاد المعجمة بدل الظاء .

(٥) الزيادة من س .

(٦) هو خارجة بن حذافة بن غانم ، له صحبة ، شهد فتح مصر واختط بها ، وكان على شرطة مصر فى إمرة عمرو بن العاص .

(٧) فى س و د « فلما دخلوا به » .

لا ، إنما قتلتَ خارِجةَ ، فقال : أردتُ عمراً واللهُ أراد خارجةَ[١] .

*

وقال أبو زُبَيْدٍ الطائىُّ[٢] يَرْثِي عليَّ بن أبى طالبٍ صلواتُ الله عليه :

إنَّ الكرامَ علَى ما كان من خُلُقٍ ... رَهْطُ امْرِئٍ خارَهُ للدِّين مُخْتَارُ

طَبٌّ بَصِيرٌ بأَضْغَانِ الرجالِ ولم ... يُعْدَلْ بحَبْرِ رسولِ الله أَحْبارُ[٣]

وَقَطْرَةٌ قَطَرَتْ إذْ حانَ مَوْعِدُهَا ... وكلُّ شيءٍ له وقتٌ ومِقْدارُ

حتى تَنَصَّلَهَا فى مسجدٍ طُهُرٍ ... على إمامِ هُدًى إنْ مَعْشَرٌ جارُوا

حُمَّتْ لِيَدْخُلَ جَنَّاتٍ أبو حَسَنٍ ... وأُوجِبَتْ بعدَه للقاتلِ النارُ

قوله « خارَهُ » إنما هو[٤] : اختاره ، وهو « فَعَلَهُ » و « اختاره » « افْتَعَلَهُ » كما تقول : قَدَرَ عليه واقْتَدَرَ عليه .

وقوله « بَصِيرٌ بأَضْغَانِ الرِّجالِ » ، فهى أسرارُها ومُخَبَّآتُها . قال الله تعالى : ﴿فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا ويُخْرِجْ أَضْغَانَكُم[٥]﴾ . و «الحَبْرُ» العالِمُ . ويُرْوَى أن عليًّا رضوان الله عليه مَرَّ بيهوديٍّ يسأل مُسْلماً عن شىء من أمرِ الدِّين ، فقال له علىٌّ : اسألنى ودَعِ الرجلَ ، فقال له : يا أميرَ المؤمنين ! أنت حَبْرٌ ،

---

(١) فى ج و د و هـ « وأراد الله خارجة » .

(٢) اسمه حرملة بن المنذر .

(٣) « طب بصير » بالرفع فى كل النسخ على الاستئناف ، وضبطهما الشيخ المرصفى بالجرّ ، تبعا لامرئ ، وهو وإن كان صحيحا فى العربية ، إلا أنه مخالف لرواية الكتاب .

(٤) فى ج و س و د و هـ « إنما يعنى » .

(٥) سورة محمد آية ٣٧ وهكذا فسر المبرد الأضغان بالأسرار ، والذى فى كتب اللغة كلها أن الأضغان الأحقاد . إلا أن يريد المبرد هنا معنى مجازيا ، لأن الأضغان أسرار مخبأة فى القلوب

أى : عالمٌ ، قال علىٌّ : أنْ تَسْأَلَ عالِمًا أَجْدَى لك[1]

وقوله « حتَّى تَنَصَّاهَا » يريدُ : استخرَجَها .

وقوله « حُمَّتْ » معناه قُدِرَتْ .

قال الكُمَيْتُ :

والوَصِىُّ الذى أمالَ التَّجُوبِـ ـىُّ به عَرْشَ أُمَّةٍ لِانْهِدامِ

قَتَلُوا يومَ ذاكَ إذْ قَتَلوه حَكَمًا لا كَغَابِرِ الحُكَّامِ

الإمامَ الزَّكِىَّ والفارِسَ المُعْـ ـلَمَ تحتَ العَجاجِ غيرَ الكَهَامِ

راعيًا كان مُسْجِحًا ففقَدْنَا هُ وفَقْدُ المُسِيمِ هُلْكُ السَّوَامِ[2]

قوله « الوَصِىُّ » ، فهذا شىءٌ كانوا يقولونه ويُكثرون فيه . قال ابنُ قَيْسِ الرُّقَيَّاتِ :

نحنُ منَّا النبىُّ أحمدُ والصِّدِّ يقُ منَّا التَّقِىُّ والحُكَماءُ[3]

وعلىٌّ وجَعْفَرٌ ذُو الجناحَيْـ ـنِ هُناكَ الوَصِىُّ والشُّهداءُ

وقال كُثَيِّرٌ لَمَّا حَبَسَ عبدُ الله بن الزبير محمدَ بن الحَنَفِيَّةِ فى خمسةَ عشرَ رجلاً من أهله فى سِجْنِ عارِمٍ :

تُخَبِّرُ مَنْ لاقيتَ أَنكَ عائذٌ بَلِ العائذُ المحبوسُ فى سِجْنِ عارِمِ

وصِىُّ النبىِّ المصطفَى وابنُ عَمِّهِ وفَكَّاكُ أعناقٍ وقاضِى مَغارِمِ

---

(١) فى ج و س و د و هـ « أجدى عليك » .

(٢) بحاشية ا ما نصه : « المُهَلَّبِىُّ : أَسْجَحَ الرجلُ إسجاحًا فهو مُسْجِحٌ : سَهْلٌ » .

(٣) فى ج و د « النَّبِىءُ » .

أرادَ : ابنَ وَصِيِّ النبيِّ، والعربُ تُقيمُ المضافَ إليه فى هذا الباب مُقامَ المضافِ ، كما قال الآخَرُ :

صَبَّحْنَ مِنْ كاظِمَةَ الخُصَّ الخَرِبْ   يَحْمِلْنَ عَبَّاسَ بْنَ عبدِ المطَّلِبْ

يريدُ : ابنَ عباس رضى الله عنه ، وقال الفرزدقُ لسليمانَ بنِ عبد الملك :

وَرِثْتُمْ ثيابَ المَجدِ فهْىَ لَبوسُكُمْ   عن ابنَىْ مَنافٍ عبدِ شَمْسٍ وهاشمِ

يريد : ابنَىْ عبدِ منافٍ .

وقال أبو الأَسْوَدِ :

أُحِبُّ مُحَمَّدًا حبًّا شَـــديداً   وعَبَّاساً وحَمْزَةَ والوَصِيَّا

أُحِبُّهـــمُ لِحُبِّ اللهِ حتى   أَجِىءَ إذا بُعِثْتُ عَلَى هَوَيَّا

هَوًى أُعْطِيتُهُ منذ استْدارَتْ   رَحَى الإسْلام لم يَعْدِلْ سَوِيَّا

[« السَّوِيُّ » و « السَّوَاءُ » الذى قد سَوَّى اللهُ خَلْقَهُ ، لا زَمانةَ به ولا دَاء . وفى القرآن : ﴿ بَشَراً سَوِيًّا[1] ﴾ . وتقولُ : ساويتُ ذاكَ بهذا الأَمرِ ، أى : جعلتُه مِثْلاً له[2]] .

يقول الأَرْذلونَ بنو قشَيْرٍ   طوَالَ الدَّهرِ ما تَنْسَى عليًّا[3]

بنو عَمِّ النَّـــبِيِّ وأَقْرَبُوهُ   أَحَبُّ الناسِ كلِّهِـمُ إليَّا

فإن يَكُ حبُّهُمْ رُشْداً أُصِبْهُ   وليس بمُخْطِئٍ إنْ كَانَ غَيًّا

---

(١) سورة مريم آية ١٧

(٢) الزيادة من حاشية ا .

(٣) فى كل نسخ الـكتاب « يقول » ولـكن الشيخ المرصفى كتبها « تقول » بالفوقية ، وهو مخالف لـكل الأصول .

[ويروى « ولستُ[1] »] وكان بنو قُشَير عُثْمانيَّةً ، وكان أبو الأسودِ نازِلاً فيهم ، فكانوا يَرْمُونَه بالليلِ ، فإذا أصبح شكا ذلك ، فشكاهم مرةً ، فقالوا [له[2]] : مانحنُ نَرْمِيك ، ولكنَّ اللهَ يرميكَ ! فقال : كذبتم واللهِ ، لوكان اللهُ يَرميني لما أخْطأَني .

[قال : وكان نَقْشُ خاتَمِهِ :

يا غَالِي حَسْبُكَ مِن غالبِ ارْحَمْ عليَّ بن أبي طالبِ][3]

وقوله « غيرَ الكَهَامِ » فالكهامُ : الكَليلُ من الرجال والسيوفِ ، يقال سيفٌ كَهامٌ . وقوله :

« رَاعِيًا كان مُسْجِحًا فقدنا هُ وفَقْدُ المُسِيمِ هُلْكُ السَّوامِ »

فالمُسِيمُ : الذي يُسيمُ إبلَه أو غنمه ترْعَى ، وكذلك كلُّ شيءٍ من الماشيةِ ، فجَعَلَ الراعِيَ للناسِ كصاحب الماشِيةِ الذي يُسيمِها ويَسوسُها ويُصْلحها ، ومتى لم يَرْجِعْ أمرُ الناسِ إلى واحدٍ فلا نظامَ لهم ، ولا اجتماعَ لأُمورِهم .

قال ابنُ قيس الرُّقَيَّاتِ :

أيها المُشْتَهِي فَنَاءَ قُرَيْشٍ بيدِ اللهِ عُمْرُها والفَنَاءُ
إن تُوَدِّعْ من البلادِ قُرَيْشٌ لا يَكُنْ بَعْدَهم لحيٍّ بقَاءُ
لو تُقَفَّى ويُتْرَكُ الناسُ كانوا غَنَمَ الذِّئْبِ غابَ عنها الرِّعَاءُ[4]

---

(١) الزيادة من حاشية ا .
(٢) الزيادة من ج و س و د .
(٣) الزيادة من س و د و ه .
(٤) فى ج و س و د و ه « وَتَـتْرُكُ النَّاسَ » .

وقال الحِمْيَرِيُّ يعنى عليًّا رضوانُ الله عليه :

كان المُسيمَ ولم يكن إلا لِمَنْ ... لَزِمَ الطريقةَ واسْتقامَ مُسِيمَا

ولمَّا سمع علىٌّ صلواتُ الله عليه نداءهم « لا حُكْمَ إلاَّ لِلهِ » قال : كلمةٌ عادلة يُرادُ بها جَوْرٌ ، إنما يقولون لا إمَارة ، ولا بُدَّ مِن إمارةٍ ، بَرَّةٍ أو فاجرةٍ .

⁂

ورَوَوْا أن عليًّا عليه السلامُ لمَّا أُوصى إلى الحسن فى وَقْفِ أموالِهِ وأن يَجْعلَ فيها ثلاثةً مِن مَواليه وَقَفَ فيها عينَ أبى نَيْزَرَ[1] والبُغَيْبِغَةَ . وهذا[2] غلطٌ ، لأن وَقْفَهُ لهذين[3] الموضعين لِسَنَتَيْن من خِلافته .

[قال أبو العباس[4]] : حدثنا أبو مُحَلِّمٍ محمدُ بن هِشَامٍ[5] فى إسنادٍ ذَكره آخرُه أبو نَيْزَرَ ، وكان أبو نَيْزَرَ من أبناء بعضِ ملوكِ الأعاجِمِ ، قال : وصَحَّ عندى بعدُ أنه مِن وَلَدِ النَّجَاشىّ ، [يعنى أبا نَيْزَرَ[6]] ، فرَغِبَ فى الإسلامِ صغيراً ، فأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فأسلم ، وكان معه فى بيوته ، فلما

---

(١) هكذا ضبط فى أكثر أصول الكتاب بفتح النون وضبط فى ا بكسرها ، وهو الموافق لما فى الإصابة للحافظ ابن حجر (٧ : ١٩٥) . ولكنه ضبط فى الكتاب فى المواضع الآتية كلها بفتح النون .

(٢) فى ع و س و د « فهذا » .

(٣) فى ع و س « هذين » .

(٤) الزيادة من ع و س .

(٥) « محلم » بضم الميم وفتح الحاء المهملة وكسر اللام المشددة . وأبو محلم هذا كان عالما باللغة والعربية والشعر وأيام الناس ، وكان رافضياً . ولد سنة ١٤٨ ومات سنة ٢٤٥ وقيل سنة ٢٤٨ .

(٦) الزيادة من ع و س و د و هـ .

تُوُفِّىَ رسولُ اللهِ صار مع فاطمةَ وولدِها عليهم السلام ، قال أبو نَيْزَر[1] : جاءنى علىٌّ بن أبى طالب [أميرُ المؤمنين[2]] وأنا أقومُ بالضَّيْعَتَيْنِ : عَيْنِ أبى نَيْزَرَ والبُغَيْبِغَةِ ، فقال لى : هل عندكَ من طعامٍ ؟ فقلتُ : طعامٌ لا أرضاه لأمير المؤمنين ، قَرْعٌ من قَرْعِ الضَّيْعَةِ صنعتُه بإهالةٍ سَنِخَةٍ[3] ، فقال : عَلَىَّ به ، فقام إلى الرَّبيعِ ، وهو جَدْوَلٌ ، فغسل يده[4] ، ثم أصاب من ذلك شيئاً ، ثم رجع إلى الرَّبيع ، فغسل يديه بالرَّمل حتى أنقاهما ، ثم ضمّ يديه كلّ واحدة منهما إلى أُختها ، وشرِبَ بهما حُسًّا[5] من ماء الرَّبيع ، ثم قال : يا أبا نَيْزَرَ ! إن الأكُفَّ أنظفُ الآنيةِ ، ثم مسح نَدَى ذلك الماء على بطنِه ، وقال : مَنْ أدخله بطنُهُ النارَ فأبعده اللهُ ، ثم أخذ المِعْوَلَ وانحدَرَ فى العَيْنِ ، فجعل يَضربُ ، وأبطأ عليه الماء ، فخرجَ وقد تَفَضَّجَ جبينُهُ عَرَقًا ، فانتَكَفَ العَرَقَ عن جَبينِهِ[6] ، ثم أخذ المِعْوَلَ وعادَ إلى العين ، فأقبلَ يَضربُ فيها ، وجعل يُهَمْهِمُ

(١) أبو نيزر هذا ذكره الحافظ فى الإصابة . وقال : « ذكره الذهبي مستدركا ، وقال : يقال أنه من ولد النجاشى جاء وأسلم » . ثم نقل الحافظ قصته التى هنا من كتاب الكامل . ويظهر لى أنه غير معروف عند المحدثين ، وأنه من الناس الذين يذكرون فى الأخبار فقط ، ولو كان هذا ممن أسلم فى عهد النبي ماترك علماء الحديث ذكره أو الرواية عنه .

(٢) الزيادة من س و د .

(٣) الإهالة : ماأذيب من الشحم ، والسنخة : المتغيرة الريح .

(٤) فى س و د و ه « يديه » .

(٥) الحسا — بضم الحاء — جمع حسوة ، بضم الحاء وبفتحها ، وهى الشربة ملء الفم .

(٦) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ ، انفَضجَ الشيء : إذا عرض . . . لُنْشَدَخ وَتَفَضَّج بَدَنُ الناقةِ إذا تَخَدَّدَ لَحمُهَا . قال : قال ابنُ الأعرابىّ : النَّكفُ : القَطْعُ ، يقالُ : نَكَفَ اللهُ الغيثَ أى قطعه . المُهَلَّبِىّ : النَّكفُ . تنحيتُكَ الدُّموع عن خَدِّكَ بإصبعِكَ » . وفى اللسان : « تفضج عرقا : أى سال » . وكذلك « انفضج فلان بالعرق : إذا سال به » . وكله بالجيم فى آخره ، ويقال أيضاً بالخاء المعجمة .

فانثالَتْ كأنها عُنُقُ جَزُورٍ[١] ،فخرجَ مُشْرِعًا ، فقال أشْهِدُ اللهَ أنها صَدَقةٌ ، علىَّ بدواةٍ وصحيفةٍ ، قال : فَعَجَّلْتُ بهما إليه ، فكَتَب :بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما تَصَدَّقَ به عبدُ الله علىٌّ أميرُ المؤمنين ، تَصَدَّقَ بالضَّيْعتين المعروفتين بِعَيْنِ أبى نَيْزَرَ وَالْبُغَيْبِغَةِ ، على فقراء أهلِ المدينةِ وابنِ السَّبيلِ ، لِيَقِىَ اللهُ بهما وجهَه حَرَّ النارِ يومَ القيامةِ ، لاتُباعَا ولا تُوهبَا ، حتى يَرِثَهُما اللهُ وهُو خَيْرُ الوارثينَ ، إلاَّ أن يَحتاجَ إليهما الحسنُ أو الحسينُ فهما طِلْقٌ[٢] لهما ، وليس لأحدٍ غيرهما .قال محمدُ بن هشامٍ : فركبَ الحسينَ رضى الله عنه دَيْنٌ، فحَمَلَ إليه معاويةُ بعَيْنِ أبى نَيْزَرَ مائتى ألفِ دينارٍ ، فأَبَى أن يَبِيعَ ، وقال : إنَّمَا تَصَدَّق بها أبى لِيَقِىَ الله بها وجهه حَرَّ النار ، ولستُ بائِعَها بشىء .

وتَحدَّثَ الزُّبَيْرِيُّون : أنَّ معاويةَ كَتب إلى مروانَ بن الحَكَم ، وهو وَالِى المدينةِ : أمَّا بعدُ ، فإن أميرَ المؤمنين أُحَبَّ أن يَرُدَّ الأُلْفَةَ ، ويَسُلَّ السَّخيمةَ ، وَيَصِلَ الرَّحِمَ ، فإذا وَصلَ إليكَ[٣] كتابى [هذا[٤]] فاخْطُبْ إلى عبدِالله بن جعفر ابْنَتَه أُمَّ كُلْثُومٍ عَلَى يَزِيدَ بنِ أميرِ المؤمنين ، وارْغَبْ لَهُ

---

(١) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ . حدثنى أبو عمر عن ثعلبٍ عن ابن الأعرابىِّ قال : انثال الرملُ انثيالاً : تبع بعضُه بعضًا ، مثــلُ انهَالَ وانهَارَ وانهَامَ ، وانــكَالَ » .

(٢) طلق ــ بكسر الطاء وسكون اللام ــ أى : حلال .

(٣) فى ج و س و د و هـ « فإذا ورد عليك » .

(٤) الزيادة من س و هـ .

فى الصَّدَاقِ ، فوَجَّهَ مروانُ إلى عبد الله بن جعفر ، فقرأ عليه كتاب معاوية[١] ، وأعلمه بما[٢] فى رَدِّ الألفةِ من صَلاحِ ذاتِ البَيْن، واجتماع الدَّعْوة[٣]، فقال عبدُ الله : إنَّ خالها الحسينَ بيَنْبُعَ ، وليس ممن يُفْتَاتُ عليه بأمرٍ ، فأنْظِرْنِى إلى أن يَقْدَمَ ، وكانت أمُّها زينبَ بنتَ علىِّ بن أبى طالبٍ صلواتُ الله عليه ، فلما قَدِمَ الحسينُ ذَكر ذلك له عبدُ الله بنُ جعفرٍ ، فقام مِن عندِه فدخَل إلى الجارية ، فقال : يا بُنَيَّة ! إنّ ابنَ عمِّكِ القاسمَ بنَ محمدِ بن جعفرِ بن أبى طالبٍ أحقُّ بكِ ، ولعلكِ ترْغَبِين فى كَثْرَةِ الصَّدَاق وقد نَحَلْتُكِ البُغَيْبغَاتِ ، فلمَّا حضَرَ القومُ للإمْلاكِ[٤] تكلَّم مروانُ بن الحَكَمِ ، فذَكر معاويةَ وما قَصَده من صِلَةِ الرَّحِمِ وجَمْعِ الكلمةِ ، فتكلَّم الحسينُ فزوَّجها من القاسم [بن محمد[٥]]، فقال له مروانُ : أغَدْراً ياحُسَينُ ؟ ! فقال : أنتَ بَدَأْتَ ، خَطَبَ أبو محمدٍ الحسنُ بن علىٍّ عليه السلام عائشةَ بنتَ عثمانَ بن عَفَّانَ ، واجتمعنا لذلك ، فتكلمتَ أنتَ فزوَّجتَها من عبد الله بن الزُّبَيْرِ ، فقال مروانُ : ما كان ذلك،

(١) فى ج « كتاب أمير المؤمنين » .

(٢) فى ج و س و د و ه « ما » بدل « بما » .

(٣) بحاشية ا مانصه : « أخبرنى أبو يعقوبَ بنُ خُرَّزَاذَ قال : أخبرنى ابنُ رَبَاحٍ عن ابن دُرَيْدٍ فى كتاب الجمهرةِ قالَ : الدَّعْوَةُ ، مصدرُ دَعَا يَدْعُو دَعْوًا وَدُعَاء واستجابَ اللهُ دُعَاءهُ وَدَعْوَتَهُ ، وَالدَّعْوَةُ فى النَّسَبِ . قال: وَأخبرنى ابنُ شاذانَ عن أبى عُمَرَ عن ثَعْلَبٍ قال : الدِّعْوَةُ بكسرِ الدَّالِ فى النَّسَبِ ، وَالدَّعْوَةُ إلى الطعامِ وغيرِه بفتح الدالِ » . وما نقل عن الجمهرة انظره فيها (٢ : ٢٨٣) .

(٤) الإملاك عقد النكاح .

(٥) الزيادة من ج و س و د و ه .

فالتفتَ الحسين إلى محمد بن حاطبٍ فقال : أَنْشُدُكَ اللهَ ، أكان ذاك ؟ قال : اللهم نَعَمْ . فلم تَزَلْ هذه الضَّيْعَةُ فى يَدَىْ[1] بَنِي عبدِ الله بن جعفرٍ ، من ناحية أُمِّ كلثومٍ ، يتوارثونها ، حتى مَلَكَ أميرُ المؤمنين المأمونُ ، فَذُكِرَ ذلك له ، فقال : كَلاَّ ، هذا وَقْفُ عليٍّ بن أبى طالبٍ صلواتُ الله عليه ، فانتزَعها من أيديهم ، وعَوَّضهم عنها ، ورَدَّها إلى ما كانتْ عليهِ .

⁂

قال أبو العباس : رَجَعَ الحديثُ إلى ذكرِ الخوارِج وأمرِ عليِّ بن أبى طالب .

قال : [و[2]] يُرْوَى : أن عليًّا فى أوّل خُروج القومِ عليه دَعا صَعْصَعةَ بنَ صُوحانَ العبديَّ ، وقد كانَ وَجَّهَهُ إليهم ، وزيادَ بنَ النَّضْرِ الحارثيَّ[3] مع عبد الله بن العباس ، فقال لصعصعةَ : بأىِّ القومِ رأيتَهم أشدَّ إطافةً ؟ فقال : بيزيدَ بنِ قَيْسٍ الأَرْحَبِيِّ ، فركب عليٌّ إليهم إلى حَرُوراء ، فجعل يتخَلَّلُهُمْ ، حتى صار إلى مَضْرَبِ يزيدَ بن قيسٍ ، فصلى فيه ركعتين ، ثم خرجَ فاتَّكأ على قوسِه ، وأقبلَ على الناسِ ، ثم قال : هذا مَقامٌ مَنْ فَلَجَ فيه فَلَجَ يومَ القيامة ، أَنْشُدُكُمُ اللهَ[4] ، أَعَلِمْتُمْ أحداً منكم كان أَكْرَهَ للحكومةِ

---

(١) فى ج و د و هـ « فى أيدى » .

(٢) الزيادة من ج و س و هـ و د .

(٣) فى النسخ المذكورة : « وقد كان وجه اليهم زياد بن النضر الحارثى » .

(٤) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : يقال : نَشَدْتُكَ اللهَ فأنا أَنْشُدُكَ اللهَ ، أى ذكَّرتُك اللهَ وعَرَّفتُكَ » .

مِنِّى ؟ قالوا : اللهم لا ، قال : أفعلمتم أنكم أكرهتمونى حتى قبلتُها ؟ قالوا : اللهم نعَمْ ، قال : فَعَلامَ خالفتُمونى ونَابَذْتُمونى[1] ؟ قالوا : إنَّا أتينا ذَنْباً عظيماً ، فتُبْنَا إلى الله ، فتبْ إلى الله منه واستغفرْه نَعُدْ لَكَ ! فقال علىٌّ : إنِّي أستغفرُ اللهَ من كل ذَنْبٍ ، فرجعوا معه ، وهم ستةُ آلافٍ . فلما استقَرُّوا بالكوفة أشاعوا أنَّ عليًّا رجَع عن التحكيم ورآه ضلالاً ، وقالوا : إنما يَنْتَظِرُ أميرُ المؤمنين أن يَسْمَنَ الكُرَاعُ ويُجْبَى المالُ فيَنْهَضَ إلى الشَّأمِ ، فأَتَى الأشعثُ بن قَيْسٍ عليًّا عليه السلامُ فقال : يا أميرَ المؤمنين ! إنَّ الناسَ قد تحدَّثوا أنك رأيتَ الحكومةَ ضلالاً والإقامةَ عليها كُفْراً ! ! فخطَب علىٌّ الناسَ فقال : مَنْ زَعمَ أنِّى رَجعْتُ عن الحكومةِ فقد كَذَبَ ، ومن رآها ضلالاً فهو أضَلُّ ، فخرجتِ الخوارجُ من المسجد ، فحَكَّمَتْ ، فقيلَ لعليٍّ : إنهم خارجون عليك ، فقال : لاأُقاتِلُهم حتى يقاتلونِى ، وسيفعلون ، فوَجَّهَ إليهم عبدَ الله بنَ العباسِ ، فلما صار إليهم رَحَّبوا به وأكرَموه ، فرأى منهم جِباهاً قَرِحَةً[2] لطُولِ السُّجودِ ، وأيْدِيًا كَثَفِنَاتِ الإبل[3] ، [و][4] عليهم

(١) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شَاذَانَ : نَبذْتُ الشيءَ أَنْبِذُه نَبْذًا : أَلْقَيْتُهُ ، فهو نَبِيذٌ ومنبوذٌ ، وبه سُمِّيَ النَّبيذ ، لأنَّ التَّمْرَ كانَ يُلْقَى فى الجَرِّ وفى غيرِه » .

(٢) قرحة : أى فيها قروح أو مايشبهها .

(٣) ثفنات الإبل : مايصيب الأرض منها إذا بركت ، كالمرفقين والركبتين : والمراد أنهم كانوا يكثرون الصلاة وهم كما قال رسول الله فيهم : « يقرؤون القرآن لايجاوز حناجرهم » .

(٤) الزيادة من ج و س و د .

قُمصٌ مُرَحَّضةٌ[١] ، وهم مُشَمِّرونَ ، فقالوا : ما جاء بك يا أبا العباس ؟ فقال : جئتُكم مِن عندِ صِهْرِ رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمه ، وأعلَمِنا بربِّه وسُنَّةِ نبيه ، ومِن عندِ المهاجرين والأنصارِ ، قالوا : إنّا أتَينا عظيماً[٢] حين حَكَّمْنا الرجالَ فى دينِ الله ، فإنْ تابَ كما تُبْنا ونَهَضَ لمجاهدةِ عَدُوِّنا رجعنا ، فقال ابنُ عباسٍ : نَشَدْتُكُمُ اللهَ إلاَّ ما صَدَقْتُم أنفُسَكُمْ ! أمَا علمتُم أنَّ اللهَ أمَرَ بتحكيمِ الرجال فى أرْنَبٍ تُساوى رُبْعَ درهمٍ تُصادُ فى الحَرَمِ ، وفى شِقاقِ[٣] رجلٍ وامرأتِه ؟ فقالوا : اللهم نَعَمْ ، فقال : فأَنْشُدُكم اللهَ ، هل[٤] عَلِمْتُمْ أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أمْسَكَ عن القتال للهُدْنَةِ[٥] بينه وبين أهلِ الحُدَيْبِيَةِ ؟ قالوا : نَعَمْ ، ولكنَّ عليًّا محَا نفسَه مِن إمارة المسلمين ، قال ابنُ عباسٍ : ليس ذلك بِمُزِيلِها عنه ، وقد مَحَا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم اسمَه من النُّبُوَّةِ وقد أخَذَ عليٌّ عَلَى الحَكَمَيْنِ أن لا يَجُورَا ، وإنْ يَجُورَا فعليٌّ أولَى مِن معاويةَ وغيرِه ، قالوا : إنَّ معاويةَ

---

(١) بحاشيه ما نصه : « رَحَضْتُ الثَّوْبَ أرْحَضُهُ رَحْضاً : إذا غَسَلْتَهُ ، وثوب رَحِيضٌ ومرحُوضٌ وَالمِرْحَاضُ : خَشَبَةٌ يُضرَب بها الثَّوْبُ فَيُغْسَلُ » .

(٢) فى س « إنا أتينا ذنباً عظيما » :

(٣) بحاشية ا ما نصه : « قال ابنُ شاذان : الشِّقَاقُ : المُعَادَاةُ والمغالطة ، شاقَقْتُهُ مُشَاقَّةً وَشِقَاقًا » .

(٤) فى ع و س و ه « فهل » :

(٥) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذان : الهُدْنَةُ : السُّكونُ ، هَدَّنْتُ الرجلَ تهديناً وَهادَنْتُهُ مُهادَنَةً ، وَالاسْمُ الهُدْنَةُ » .

يَدَّعِي مثل دَعْوَى عليٍّ ، قال : فأَيُّهما رأَيْتُمُوه أَوْلَى فوَلُّوه ، قالوا : صدقتَ ، قال ابنُ عباسٍ : [و][1] متَى جَارَ الحَكَمانِ فلا طاعةَ لهما ولا قبولَ لقولهما ، قال : فاتَّبَعه منهم أَلفانِ وبَقِيَ أَربعةُ آلافٍ ، فصلى بهم صَلَوَاتِهِمُ ابنُ الكَوَّاء ، وقال[2] : مَتَى كانَتْ حَرْبٌ فرئيسُكم شَبَثُ بن رِبْعِيٍّ الرِّيَاحِيُّ ، فلم يَزَالُوا على ذلك يومين ، حتى أَجْمَعُوا على البَيْعَةِ لعبدِاللهِ بن وَهْبٍ الرَّاسِبِيِّ ، قال : وَمَضَى القومُ إلى النَّهْرِوَانِ ، وكانوا أَرادوا المُضِيَّ إلى المَدَاينِ[3] . [قال الأَخفشُ : كذا كان يقول المبرد « النَّهْرِوَانُ » بكسرِ النونِ والراء ، وإنما هو « النَّهْرَوَانُ »[4] بالفتح ، وأَنشدَ للطِّرِمَّاحِ :

* قَلَّ فى شَطِّ نَهْرَوَانَ اغْتِمَاضِي *][5]

---

(١) الزيادة من ج و س و د و هـ .

(٢) فى ج و د و هـ « وقالوا » .

(٣) انظر رواية أخرى لمناظرة ابن عباس مع الخوارج فيما مضى فى هذا الجزء (ص ٨٩٢ — ٨٩٣)

(٤) كذا قال الأخفش ، وهو المشهور ، وهو الذى اقتصر عليه صاحبا اللسان والصحاح : ولكن قال ياقوت فى البلدان : « وأكثر مايجرى على الألسنة بكسر النون » : وفى القاموس : « بفتح النون وتثليث الراء ، وبضمهما » : ففيها لغات مختلفة ، ومن حفظ حجة على من لم يحفظ .

(٥) الزيادة من حاشية ا وكان فى كلمة «اغتماضى» شىء من اللبس على مصحح النسخة الأوروبية فحذف الألف والتين من أولها ، ووضع بدلهما نقطاً ، وكانت الغين غير منجمة ، ثم اشتبهت عليه التاء والميم فى الرسم فظنهما قافا ، فكتب بعد النقط كلمة «قاضى» وبذلك طبعت فى نسخ مصر من غير بحث ، وأما الشيخ المرصفى رحمه الله فخرج من ذلك بالسكات ، فحذف الكلمة كلها ، وأشار إلى القصيدة التى منها البيت فيما مضى من شرحه ، فوجدناها فيه(٢ : ١٨٤ — ١٨٦) وهذا الشطر هو أولها .

*

قال أبو العباس : فمن طَرِيفِ أخبارهم : أنهم أصابوا مسلمًا ونصرانيًّا ، فقتلوا المسلمَ وأَوْصَوْا بالنصرانِي ، فقالوا : احفظوا ذِمّةَ نَبيِّكم !!

ولَقِيَهم عبدُ الله بن خَبَّابٍ وفى عُنُقِه مصحفٌ ، ومعه امرأتُه وهى حاملٌ ، فقالوا [له[1]] : إنّ هذا الذى فى عُنُقِكَ ليأمُرُنا أن نقتُلَك ! قال[2] : ما أحْيَا القرآنُ فأَحْيُوه ، وما أماتَه فأَمِيتُوه ، فوَثَبَ رجلٌ منهم على رُطَبَةٍ فوضَعها فى فِيه ، فصاحوا به فلَفَظَها تَوَرُّعًا ، وَعَرَض لرجلٍ منهم خنزيرٌ فضرَبه الرجلُ فقتلَه ، فقالوا : هذا فَسادٌ فى الأرضِ !! فقال عبدُالله بن خَبَّابٍ : ما علىَّ منكم بأسٌ ، إنِّى لَمُسْلِمٌ ، قالوا له : حَدِّثْنا عن أبيك ؟ قال : سمعتُ أبى يقولُ : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « تكون فتنةٌ يموتُ فيها قَلْبُ الرجلِ كما يَمُوتُ بدنُه ، يُمْسِى مؤمنًا ويُصْبِحُ كافراً ، فَكُنْ عبدَ الله المقتولَ ، ولاتكنِ القاتلَ » . قالوا : فما تقولُ فى أبى بكرٍ وعُمَرَ ؟ فأَثْنَى خيراً ، فقالوا : فما تقولُ[3] فى علىٍّ [أميرِ المؤمنين[4]] قبل التَّحْكيمِ ، وفى عثمانَ ستَّ سنينَ ؟ فأثْنَى خيراً ، قالوا : فما تقولُ فى الحُكومةِ والتَّحكيمِ ؟ قال : أقول : إنّ عليًّا أَعْلَمُ بكتاب الله منكم[5] ، وأشَدُّ تَوَقِّيًا على دِينِه ، وأنْفَذُ

(١) الزيادة من ج و د و هـ .
(٢) فى ج « ليأمرنا بقتلك ، فقال » .
(٣) فى ج « فقالوا له : ماتقول » .
(٤) الزيادة من س و د و هـ .
(٥) فى س و د و هـ « أعلم بالله منكم » .

بصيرةً[1] ، قالوا : إنك لستَ تتَّبِـعُ الهُدَى ، إنما تتَّبِـعُ الرجالَ على أسمائها !
ثم قرَّبوه إلى شاطئ النهرِ ، فذبحوه ، فامْذَقَرَّ[2] دَمُهُ ، أي : جَرَى مستطيلاً
على دِقَّةٍ[3] . وساموا رجلاً نصرانيًّا بنخلةٍ له ، فقال : هِيَ لـكم ، فقالوا : ما كُنَّا
لنأخذَها إلاَّ بثمنٍ ! قال : ما أعْجَبَ هذا ، أتقتلونَ مثلَ عبدِ الله بن خَبَّابٍ
ولا تقبَلُونَ منَّا جَنَى نخلةٍ[4] ؟

---

(١) في س و د و هـ « أبْعَدُ بَصيرَةً » .

(٢) في ج « فابْذَقَرَّ » بالباء بدل الميم .

(٣) بحاشية ا مانصه : «ابنُ شاذانَ:قالَ أبو عمرَ عن ثعلبٍ:المُبْذَقِرُّ والمُمْذَقِرُّ : المختلِطُ.
وقال : ثعلبٌ : في حديث عبد الله بن خَبَّابٍ : فما امْذَقَرَّ دَمُهُ ، بالميم ، أي :
فما اختلطَ بالماءِ » .

(٤) عبد الله بن خباب بن الأرت ، مدنيّ ، حليف بني زهرة ، كان من سادات المسلمين ، ولد في عهد النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وقيل : أول مولود ولد في الإسلام عبد الله بن الزبير وعبد الله بن خباب . أشار الحافظ في التهذيب والإصابة إلى قصة مقتله . وأما السياق الذي ساقه المبرد فلم أجده بنصه في كتب الحديث ، ولـكن روى أحمد في المسند (٥ : ١١٠) من طريق حميد بن هلال : «عن رجل من عبد القيس كان مع الخوارج ثم فارقهم ، قال : دخلوا قرية ، فخرج عبد الله بن خباب ذعرا يجرُّ رداءه ، فقالوا : لم تُرَعْ ، قال : والله لقد رعتموني ، قالوا : أنت عبد الله بن خباب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم ، قال : فهل سمعت من أبيك حديثاً يحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تحدثناه ؟ قال : نعم ، سمعته يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه ذكر فتنة ، القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشي ، والماشي فيها خير من الساعي ، قال : فإن أدركتَ ذاك فكن عبد الله المقتولَ — قال أيوب : ولا أعلمه إلا قال : ولا تكن عبد الله القاتلَ — قالوا : =

ومن طَريفِ أخبارِهم : أن غَيْلانَ بن خَرَشَةَ الضَّبِّيّ سَمَرَ ليلةً عند زيادٍ ومعه جماعةٌ ، فَذُكِرَ أمرُ الخَوارجِ ، فأَنْحَى[1] عليهم غيلانُ ، ثم انصرف بعد لَيْلٍ إلى منزلهِ ، فلقيه أبو بلال مِرْداسُ بن أُدَيَّةَ ، فقال له : يا غَيْلانُ ! قد بَلَغنى ما كان منك الليلةَ عندَ هذا الفاسقِ ، مِن ذكرِ هؤلاء القومِ الذين شَرَوْا أنفسَهم وابتاعوا آخِرتَهم بدنياهم ، ما يُؤَمِّنُكَ[2] أن يلقاكَ رجلٌ منهم ، أحْرَصُ والله على الموتِ منكَ على الحياة ، فيُنْفِذَ حِضْنَيْكَ[3] برُمْحِهِ ؟ فقال غَيْلانُ : لن يَبْلُغَكَ أنِّى ذكَرتُهم بعدَ [هذه[4]] اللَّيلةِ .

ومِرْداسٌ تَنْتَحِلُه جماعةٌ من أهلِ الأهواءِ ، لِقَشَفِهِ وبَصِيرتِه ، وصحةِ

= أأنت سمعت هذا من أبيك يحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم ، قال : فقدموه على ضفة النهر فضربوا عنقه ، فسال دمه كأنه شراك نعل ، ما ابذقر ، وبقروا أم ولده عما فى بطنها» . ثم رواه مرة ثانية وزاد «ماابذقر يعنى : لم يتفرق » .

وهذه الرواية ذكرها الحافظ الهيثمى فى مجمع الزوائد (٧ : ٣٠٢ — ٣٠٣) ونسبها لأحمد وأبى يعلى والطبرانى ، وزاد فى أولها شيئا عن الطبرانى ، ثم قال : « ولم أعرف الرجل الذى من عبد القيس ، وبقية رجاله رجال الصحيح » .

(١) رسمت فى النسخ المخطوطة « فأنحا » بالألف . على الرسم القديم .

(٢) فى ج و س و هـ « من يؤمنك » .

(٣) بحاشية ا ما نصه : « قال ابنُ شاذانَ : قال أبو عمرَ : الحِضْنَانِ : نَاحِيتا الإنسانِ ، والجميعُ أَحْضَانٌ ، ونَوَاحِى كلّ شىء أحضانُهُ . ويقال : حَضَنَتِ الدَّجاجَةُ البَيْضَ وغيرَها : إذا جعلتْها تحتَ حِضْنِها » .

(٤) الزيادة من س .

عبادتِه ، وظهورِ ديانتِه ، وبيانِه . تنتحلهُ المنزلةُ ، وتزعُم أنه خرج منكِراً لجَوْرِ السلطانِ ، داعياً إلى الحَقّ . وتحتجُّ له بقوله لزيادٍ حيثُ قال على المِنْبَر: واللهِ لآخُذَنَّ المحسِنَ منكم بالمسِيء ، والحاضِرَ منكم بالغائبِ ، والصَّحِيحَ بالسَّقيم ، [والمطيعَ بالعاصى[١]] ، فقام إليه مرداسٌ فقال : قد سمعنا ما قلتَ أيُّها الإنسانُ ، وما هكذا ذَكر اللهُ عزَّ وجلَّ عن نبيه إبراهيمَ عليه السلام ، إذْ يقولُ : ﴿ وإبْراهِيمَ الَّذِى وَفَّى ، ألاَّ تزرُ[٢] وازرةٌ وِزْرَ أُخرَى[٣] ، وأَنْ لَيْسَ للإنْسَانِ إلاَّ مَاسَعَى ، وأنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ، ثم يُجْزاهُ الجَزاءَ الأَوْفَى[٤] ﴾ وأنتَ تزعمُ أنك تأخــذُ المطيعَ بالعاصِي ، ثم خرجَ في عَقِبِ هذا اليومِ . والشِّيعُ تنتحلهُ ، وتزعمُ أنه كَتب إلى الحسين بن عليٍّ صلواتُ الله عليه: [أمَا[٥]] إنِّى لَسْتُ أرى رَأْىَ الخوارِج ، وما أنا إلاَّ عَلَى دِينِ أبيكَ .

وهــذا رأىٌ قد استهْوَى جماعةً من الأشْراف . يُرْوَى : أنَّ المُنْذِرَ بنَ الجَارُودِ كان يرَى رأْىَ الخوارجِ . وكان يزيدُ بن أبى مسلمٍ مولى الحَجَّاج بن يوسفَ يراهُ[٦] . وكان صالحُ بنُ عبد الرحمنِ صاحبُ دِيوانِ العِراق يراه . وكان عِدَّةٌ من الفقهاء يُنْسَبون إليه ، منهم عِكْرِمةُ مولى ابنِ عباسٍ . وكان

---

(١) الزيادة من ج و د و هـ .

(٢) « تزر » بالرفع ، لأن « أن » هي المخففة من الثقيلة . وضبطت فى طبعة أوربة بالنصب ، وهو خطأ من المصحح ، فإنه لاتوجد قراءة بذلك ، ولا فى القراءات الشاذة .

(٣) بحاشية ا ما نصه : « ابنُ شاذانَ ، الوِزْرُ الإثمُ » .

(٤) سورة النجم ، الآيات ٣٧ — ٤١

(٥) الزيادة من د .

(٦) بحاشية ا مانصه « قال الشيخ : لم يكن يزيد بن أبى مسلم مولى الحجاج ، وإنما كان أخاه من الرضاعة وكاتبه ، وقتل بإفريقية » .

يقالُ ذلك فى مالكِ بن أَنَسٍ ، [ولعلَّ هذا يكون باطِلا[1]] . ويَرْوِى الزُّبَيْرِيُّونَ : أنَّ مالكَ بن أنسٍ المَدِينِّى كان[2] يَذْكُر عثمانَ وعليًّا وطَلْحةَ والزُّبَيْرَ ، فيقولُ : واللهِ مااقْتتَلوا إلاَّ على الثَّرِيد الأَعْفَرِ[3] !

فأمّا أبو سَعيد الحسن البَصْرىُّ فإنه كان يُنكِرُ الحكومةَ ، ولا يَرَى

(١) الزيادة من ج و س و د و هـ .
(٢) فى ج و س و د و هـ « أن مالكا كان » .
(٣) قال المرصفى : الثريد الأعفر : الأبيض ليس بالشديد البياض ، يريد الثريد الممتلىء بالإدام » .
ثم إن هنا بحاشية ج مانصه : « وُجِدَ على نسخةٍ من هذا الكتاب فى هذا المحلِّ ماصُورتُه ، مالكُ بن أنسِ بن مِسْمَعٍ البَكْرِىُّ ثم البَصرىُّ أحدُ رؤساء أهل البَصرةِ ، وأعظمُ قادتها فى زمانِه ، لِشرفِ بيتِه ، وتقدُّمِه فى معرفةِ كلِّ فَنٍّ ، وشُهرةِ زُهْدِه ، وكثرةِ تهجُّدِه ، لكنَّه كان مُتهمًا برأى الخوارج ، ولم يُوقَفْ لأمره على حقيقةٍ ، اللهُ أعلمُ أىُّ ذلك كانَ . وقد ذكره المبرِّد فى الكامل ، وذكر أنه يرَى رأىَ الخوارج ، وذكر عنه مقالةً فى حقِّ علِيٍّ وعُثمانَ وطلحةَ والزُّبيرِ ، رضوانُ الله عليهم ، فأوهمَ أنه مالكُ بن أنسٍ الأَصبحىُّ صاحبُ المذهبِ . انتهى ماوُجِدَ » .
ووجد أيضاً بحاشية ف حاشية طويلة بهذا المعنى ، دافع فيها كاتبها عن الإمام مالك بن أنس ، ومدحه مدحا عظيما . وسمى فيها الشخص الآخر « مالك بن أنس بن مالك بن مسمع البكرى ثم البصرى » . وقد بحثت كثيرا عن ترجمة مالك البكرى هذا فلم أجده . بل وجدت أن الحافظ ابن الجوزى ذكر فى كتاب تلقيح فهوم أهل الأثر (ص ٣٣٢) فى باب المتفق والمفترق مانصه : « مالك بن أنس : اثنان ، أحدهما : مالك بن أنس بن مالك الأصبحى ، إمام أهل المدينة فى الفقه . والثانى : مالك بن أنس الكوفى ، يروى عن هانىء بن حزام ، وقيل حرام ، عن عمر بن الخطاب » . ولو كان لهما ثالث لذكره إن شاء الله . ثم إن قول أبى العباس « ويروى الزبيريون أن مالك بن أنس المدينى » الخ يعين أنه يريد الإمام مالك صاحب المذهب .

رأيهم ، وكان إذا جلسَ فتمكّن فى مجلسه ذَكَرَ عثمانَ فترحَّمَ عليه ثلاثاً ، ولعَنَ قتَلَتَه ثلاثاً ، ويقولُ : لو لم نَلْعنهم لَلُعِنَّا ، ثم يذكر عليًّا فيقولُ : لم يَزَلْ أميرُ المؤمنين عليٌّ رحمه الله يتَعرَّفُهُ النَّصْرُ(١) ، ويساعدُه الظَّفَرُ ، حتى حَكَّمَ ، فلِمَ تُحَكِّمُ(٢) والحَقُّ معك ؟ ألاَ تَمْضِى قُدُماً لا أبالَك وأنتَ علَى الحَقِّ ؟!

⁂

قال أبو العباس : وهذه كلمة فيها جَفاء ، والعربُ تستعملها عند الحَثّ على أخذِ الحقّ والإغراء ، وربما استعملتْها الجُفاةُ من الأعْرابِ عندَ المسألة والطَّلَب ، فيقولُ القائلُ للأميرِ والخليفةِ : انظر فى أمر رعيتك لا أبالَكَ !

وسَمِعَ سليمانُ بن عبد الملكِ رجلاً من الأعراب فى سَنَةٍ جَدِيبَةٍ(٣) يقولُ :

رَبَّ العِبادِ مَالَنا ومَالَكَا قد كنتَ تَسْقِينا فما بَدَا لَكَا

* أنْزِلْ علينا الغَيْثَ لا أبَالَكَا *

فأخرجه سليمانُ أحسنَ مَخْرَجٍ ، فقال : أشهدُ أنه لا أبَالَه(٤) ولا وَلَدَ ولا صاحبةَ ، وأشهدُ أن الخَلْقَ جميعاً عِبَادُه(٥) . وقال رجلٌ من بنى عامر بن صَعْصَعَةَ أبْعَدَ مِن هذه الكلمة لبعض قومِه :

---

(١) فى ج و س و د و ه « يتَعَرَّفُ النَّصْرَ » .

(٢) فى هذه النسخ « وَلِمَ تُحَكِّمَ » .

(٣) فى هذه النسخ « جدبة » .

(٤) فى س و د « لا أب له » .

(٥) بحاشية ا ما نصه : « قال الزمخشرىّ فى الأساس : هذه كلمة يراد بها الحثّ والحضّ ، ومن لم يدر معناها كفر من قال : ربَّ العباد . الأبيات » . وهذا الذى نقل عن الأساس ليس فيه بهذا النص ، ولكن فيه إشارة إليه .

أَبَنِي عُقَيْلٍ لا أَبَا لِأَبِيكُمُ أَيِّي وأَيُّ بَنِي كِلابٍ أَكْرَمُ

وقال رجلٌ من طَيِّئٍ ، أنشده أبو زيدٍ الأنصاريُّ :

يا قُرْطُ قُرْطَ حُيَيٍّ لا أَبالكُمُ يا قُرْطُ إنِّى عليكم خائفٌ حَذِرُ

أأَنْ رَوَى مِرْقَسٌ واصْطافَ أَعْنُزَهُ منَ التِّلاعِ التى قد جادَها المطرُ[1]

قُلتم له اُهْجُ تَمِيماً لا أَبالكم فى كَفِّ عبدِكمُ عن ذا كُمُ قِصَرُ

فإنَّ بيتَ تَميمٍ ذُو سَمِعْتَ به فيه تَنَمَّتْ وأَرْسَتْ عِزَّها مُضَرُ

قوله « ياقُرْطَ قُرْطَ حُيَيٍّ » نَصْبُهما معاً أكثرُ على ألسنةِ العربِ ، وتأويلُهما[2] : أنهم أَرادوا « يا قُرْطَ حُيَيٍّ » فأَقحموا « قرطًا » الثانىَ توكيداً ، وكذلك لجريرٍ :

يا تَيْمَ تَيْمَ عَدِيٍّ لا أَبالكُمُ لا يُلْقِيَنَّكُمُ فى سَوْءَةٍ عُمَرُ

ومثلُه لعُمَر بن لَجَإٍ :

يا زَيْدَ زَيْدَ اليَعْمَلاتِ الذُّبَّلِ تَطاوَلَ الليلُ عليكَ فانْزِلِ

فإن لم تُرِدِ التوكيدَ والتكريرَ لم يَجُزْ إلاّ رفعُ الأولِ « يا زَيْدُ زَيْدَ اليعملاتِ» و « يا تَيْمُ تَيْمَ عَدِيٍّ » كما تقولُ « يا زيدُ أخا عمرٍو » على النعت . ومثلُ الأول فى التوكيد « يا بُؤْسَ للحربِ » أراد : يا بؤسَ الحربِ ، فأَقْحَمَ اللامَ

---

(١) فى ج و س و د و هـ « مرقس » بدون ضبط . وفى القاموس : « مَرْقَسٌ كَمَقْعَدٍ ، لقبُ شاعرٍ طائىٍّ ، واسمه عبدُ الرحمن ، أحدُ بنى مَعْنِ بن عَقُودٍ » .

(٢) فى ج و د و هـ « وتأويله » .

توكيداً ؛ لأنها توجب الإضافة . وعلى هذا جاء « لاأباك » و « لا أبا لزيدٍ » ولولا الإضافةُ لم تثبت الألف فى الأبِ ؛ لأنك تقول : رأيتُ أباكَ ، فإذا أفردتَ قلتَ : هذا أبٌ صالحٌ . وإنما كانت « لا أباكَ » كما قال الشاعرُ :

أبِالمَوْتِ الذى لا بُدَّ أَنِّى ... مُلَاقٍ لا أَبَاكِ تُخَوِّفِينِى

وقال آخرُ :

وقد ماتَ شَمَّاخٌ وماتَ مُزَرِّدٌ ... وأىُّ كريمٍ لا أباكِ يُخَلَّدُ

وقوله : « أَأَنْ رَوَى مِرْقَشٌ » « مِرْقَشٌ » رجلٌ . و « رَوَى » استقى لأهله ، يقال : فلانٌ رَاوِيَةُ أَهْلِهِ : إذا كان يستقى لأهله ، والتى على البعيرِ والحمارِ مَزَادةٌ[1] ، فإذا[2] كَبُرَتْ وعَظُمَتْ وكانت من ثلاثة آدِمَةٍ فهى المُثَلَّثَةُ ، وأصغَرُ منها السَّطِيحةُ ، وأصغرُهنّ الطِّبْعُ .

وقوله « واصْطَافَ أَعْنُزُهُ » يريدُ : افْتَعَلَتْ ، من الصَّيْف ، أى : أصابت البقلَ فيه .

و « التَّلْعةُ » : ما ارتفَعَ من الأرضِ فى مُسْتَقَرِّ المَسِيلِ إذا تجافَى السَّيلُ عن مَتْنِهِ ، وجمعُه « تِلَاعٌ » .

وقوله : « ذُو سَمِعْتَ به » يريد : الذى ، وكذلك تفعلُ طَيِّئٌ ، تجعلُ « ذو » فى معنى « الذى » ، قال زَيْدُ الخَيْلِ لبنى فَزارَةَ وذَكَرَ عامرَ بنَ الطُّفَيْلِ فقال :

إِنِّى أَرَى فى عامرٍ ذُو تَرَوْنَ

(١) فى ج و س و د « للزادة » .
(٢) فى ج و س و د و هـ « فإن » .

وقالَ عارقٌ الطائىُّ :

فإنْ لمْ يُغَيِّرْ بعضُ ما قد فَعَلْتُمُ لَأَنْتَحِيَنْ للعَظْمِ ذُو أنا عارِقُهْ[1]

يريد : الذى .

ومن ظُرَفاءِ المُحْدَثين اليمانِيَةِ مَنْ يَعملُ هذا اعتمادًا لإيثارِ لغةِ قومِه ، قال الحسنُ بن هانئٍ الحَكَمِيُّ :

حُبُّ المُدَامَةِ ذُو سمعتَ به لم يُبْقِ فىَّ لغيرِها فَضْلَا

وقال حَبيبُ بن أَوْسٍ الطّائىُّ :

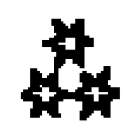
أنا ذُو عَرَفْتِ فإنْ عَرَتْكِ جَهالةٌ فأنا المقيمُ قِيامةَ العُذّالِ

وقال الحسنُ بنُ وهبٍ الحارثىُّ :

عَلِّلَانِى بذِكْرِها عَلِّلَانى واسْقِيانِى أَوْلَا فَمَنْ تَسْقِيانِ[2]

أنا ذُو لم يَزَلْ يَهُونُ على النَّدْ مَانِ إنْ عَزَّ جانبُ النَّدْمانِ

ويكونُ العزيزَ فى ساعةِ الرَّوْ عِ بِصَدْقِ الطِّعانِ يومَ الطِّعانِ



عاد الحديثُ إلى ذِكرِ الخوارجِ[3] :

قال أبو العباس : وكان فى جملة الخوارج لَدَدٌ واحتجاجٌ ، عَلَى كثرةِ خُطبائهم وشُعَرائهم ، ونَفاذِ بَصيرتِهم ، وتَوْطينِ أنفُسِهم على الموتِ ، فمنهم

(١) فى ج و هـ « تُغَيِّرْ بَعْضَ » .

(٢) فى ج « يَسْقِيانِ » .

(٣) فى د و هـ « ثم نرجع إلى ذكر الخوارج » .

الذى طعِنَ فأنفذَهُ الرُّمحُ فجعل يَسْعَى فيه إلى قاتله وهو يقول : ﴿وعَجِلْتُ إليكَ رَبِّ لِتَرْضَى[1]﴾ .

ويُرْوَى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لمّا وصفهم قال : « سِيماهم التَّحليقُ ، يقرؤونَ القرآن لا يُجاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ ، عَلامَتُهُمْ رجلٌ مُخْدَجُ اليدِ[2] » . وفى حديث عبدالله بن عمرٍو : « رجلٌ يقال له عمرٌو ذو الخُوَيْصِرَةِ ، أو الخُنَيْصِرَةِ » . ورُوِىَ[3] عن النبي صلى الله عليه وسلم : « أنه نَظَرَ إلى رجلٍ ساجدٍ ، إلى أنْ صَلَّى النبيُّ عليه السلام ، فقال : ألاَ رجلٌ يقتله ؟ فَحَسَرَ أبو بكرٍ عن ذراعِه وانْتَضَى السيفَ وصَمَدَ نحوَه ، ثم رجَع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أأقتلُ رجلاً يقولُ : لا إله إلاَّ اللهُ ؟ فقال النبيُّ عليه السلام : ألا رجلٌ يفعلُ ؟ ففعلَ عمرُ مثلَ ذلك ، فلما كان فى الثالثة قَصَدَ له علىٌّ بن أبى طالب عليه السلام فلم يرَه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو قُتِلَ لكان أولَ فِتْنَةٍ وآخِرَها » .

ويروى عن أبى مَرْيَمَ عن علىٍّ بن أبى طالب رضى الله عنه : أنه ذُكِرَ المُخْدَجُ عندَ النبي عليه السلام ، فقال أبو مريمَ : والله إنْ كان معنا لَفِى

---

(١) سورة طه آية ٨٤

(٢) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ ، قوله عليه السلام مُخْدَجُ اليد ، أى ناقِصُها . يقال : أَخْدَجَتِ الناقةُ وغيرُها : « إذا أَلْقَتْ ولدَها ناقِصَ الخَلْقِ ، فهى مُخْدِجٌ ، والولدُ مُخْدَجٌ » .

(٣) فى س و د و هـ « ويروى » .

المسجدِ وكان فقيراً ، وكان يَحْضُرُ طعامَ [أميرِ المؤمنين[١]] عليٍّ إذا وضَعه للمسلمين ، ولقد كسوتُه بُرْنُساً لِي ، فلمّا خَرج القومُ إلى حَروراء قلتُ : واللهِ لأنظرَنَّ إلى عسكرِهم ، فجعلتُ أتخلّلُهُمْ حتى صِرْتُ إلى ابن الكَوّاء وشَبَثِ بن رِبْعِيٍّ ، ورسلُ عليٍّ تُناشدُهم ، حتى وثَب رجلٌ من الخوارجِ على رسولٍ لعليٍّ[٢] ، فضَرب دابّتَه بالسيف ، فحَمل الرجلُ سَرْجَه وهو يقولُ : إنّا للهِ وإنا إليه راجعون ، ثم انصرفَ القومُ إلى الكوفة ، فجعلتُ أنظرُ إلى كثرتِهم كأنّما ينصرفون مِن عِيدٍ ، فرأيتُ المُخْدَجَ ، وكان مِنّي قريباً ، فقلتُ : أكنتَ مع القومِ ؟ فقال : أخذتُ سلاحِي أُريدُهم فإذا بجماعةٍ من الصبيانِ قد عَرَضُوا لى فأخذوا سِلاحِي وجعلوا يتلاعبونَ بِي ! فلما كان يومُ النّهرِ[٣] قال عليٌّ [أمير المؤمنين[٤]] : اطلبُوا المُخْدَجَ ، فطلبوه فلم يجدوه ، حتى ساءَ ذلك عليًّا ، وحتى قال رجلٌ : لا واللهِ يا أميرَ المؤمنينَ ما هو فيهم ، فقال عليٌّ : واللهِ ما كَذَبْتُ ولا كُذِبْتُ ، فجاء رجلٌ فقال : قد أصبناه يا أميرَ المؤمنينَ ، فخرَّ عليٌّ ساجداً ، وكان إذا أتاه ما يُسَرُّ به من الفتوحِ سَجَدَ ، وقال : لو أعلمُ شيئاً أفضلَ منه لفعلتُه ، ثم قال : سيماهُ أنّ يدَه كالثّدْيِ ، عليها شعراتٌ كشاربِ السِّنَّوْرِ ، ايتُونِي بيدِه المُخْدَجَةِ ، فأتَوْهُ بها ، فنصَبَها .

---

(١) الزيادة من س و د .

(٢) فى س و د « لأمير المؤمنين » .

(٣) فى س و د و هـ « يوم النهروان » .

(٤) الزيادة من س و د .

ويروى عن أبي الجلد : أنه نظر إلى نافع بن الأزرق الحنفيّ وإلى نظره وتوغّله وتعمّقه ، فقال : إني لأجد[1] لجهنم سبعة أبواب ، وإنّ أشدّها حرًّا للخوارج ، فاحذر أن تكون منهم .

قال : وكان نافع بن الأزرق ينتجع عبد الله بن العباس فيسأله ، فله عنه[2] مسائل من القرآن وغيره ، قد رجع إليه في تفسيرها، فقبله وانتحله ، ثم غلبت عليه الشقوة . ونحن ذاكرون منها صدراً إن شاء الله .

❁

حدّث أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي النسّابة عن أسامة بن زيد عن عكرمة قال : رأيت عبد الله بن العباس وعنده نافع بن الأزرق وهو يسأله ، ويطلب منه الاحتجاج باللغة ، فسأله عن قول الله جلّ ثناؤه ﴿ والليل وما وسق[3] ﴾ ؟ فقال ابن عباس : وما جمع ، فقال : أتعرف ذلك العرب ؟ قال[4] ابن عباس : أما سمعت قول الراجز :

إنّ لنا قلائصا حقائقا   مستوسقات لو يجدن سائقا ؟

هذا قول ابن عباس ، وهو الحقّ الذي لا يقدح فيه قادح . ويعرض القول فيحتاج المبتدئ إلى أن يزداد في التفسير .

---

(١) في ج و س و د و هـ « إني أجد » .

(٢) في ج و هـ « فله عليه » وفي س و د « وله عليه » .

(٣) سورة الانشقاق آية ١٧

(٤) في ج و د و هـ « فقال » .

قوله : « حقَائقًا » إنما بَنَى الحِقّةَ من الإبل ، وهى التى قد استَحَقّتْ أن يُحْمَلَ عليها ـ : عَلَى « فَعيلَةٍ » مثلَ « حَقِيقَةٍ » ولذلك جَمَعَها على « حَقائِقَ » .

ويقال : « اسْتَوْسَقَ » القومُ : إذا اجتمعوا .

ورَوَى أبو عُبيدةَ فى هذا الإسنادِ ، ورَوَى ذلك غيرُه ، وسمعناه من غير وجهٍ : أنه سأله عن قوله عزّ وجلّ : ﴿ قد جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا(١) ﴾ فقال ابْنُ عباسٍ : هو الجَدْوَلُ ، فسأله عن الشاهدِ ؟ فأنشدَه :

سَلْمًا تَرَى الدَّالِجَ منها أَزْوَرَا إذا يَعِجُّ فى السَّرِىِّ هَرْهَرَا(٢)

« السَّلْمُ » : الدَّلْوُ الذى له عُرْوَةٌ واحدةٌ ، وهو دَلْوُ السَّقَّائِينَ ، وهو الذى ذَكَره طَرَفَةُ فقال :

لَهَا مِرْفَقَانِ أَفْتَلانِ كأنّما أُمِرّا بسَلْمَىْ دَالِجٍ مُتَشَدِّدِ

و « الدَّالِجُ » الذى يمشى بالدَّلْو بين البِئْرِ والحَوْضِ ، وأصحابُ الحديث يُنْشِدُونَ : « تَرَى الدَّالِىَ منه أَزْوَرَا » وهذا خطأٌ لا وجهَ له .

ورَوَى أبو عُبيدةَ وغيرُه : أن نافعًا سألَ ابنَ عباسٍ عن قوله ﴿ عُتُلٍّ بعدَ ذلِكَ زَنِيمٍ(٣) ﴾ : ما الزنيمُ ؟ قال : هو الدَّعِىُّ المُلْزَقُ ، أَمَا سمعتَ قولَ حَسّانَ بن ثابتٍ :

زَنِيمٌ تَدَاعَاهُ الرجالُ زِيادةً كما زِيدَ فى عَرْضِ الأَدِيمِ الأكَارِعُ ؟

---

(١) سورة مريم آية ٢٤

(٢) فى ج و د و هـ «منه» بدل «منها» . و « الأزور » : المائل . وقوله « هرهر » من الهرهرة ، وهى حكاية صوت الماء الكثير عند جريه .

(٣) سورة نٓ والقلم آية ١٣

ويزعُمُ أهلُ اللغة أنَّ اشتقاقَ ذلك من الزَّنَمةِ التى بحَلْقِ الشاةِ ، كما يقولون لمن دَخَل فى قومٍ ليس منهم : زَعْنَفةٌ[2] [الأُمُّ « زِعْنِفةٌ » بالكسرِ[1]] وللجمع «زَعانِفُ » ، و «الزِّعْنَفَة » الجَناحُ من أجنحة السَّمك [قال أبو الحسن الأَخفشُ : كذا قال « زَعْنَفَة » والناسُ كلُّهم يقولون « زِعنفة » بكسر الزاى وهو الوجه] .

ويُرْوَى[3] عن غيرِ أبى عُبيدةَ : أنه سأله عن قوله جلَّ اسْمُه ﴿ والْتَفَّتِ السَّاقُ بالسَّاقِ[4] ﴾ ؟ قال : الشِّدَّةُ بالشدَّةِ ، فسأله عن الشاهدِ ؟ فأنشدَه :

أَخُو الحَرْبِ إنْ عَضَّتْ به الحربُ عَضَّهَا ... وإنْ شَمَّرتْ عن سَاقِهَا الحربُ شَمَّرَا

قال أبو العباس : وقرأتُ على عُمارةَ بن عَقيلِ بن بِلال بن جَريرٍ قصيدةَ جريرٍ ، التى يهجو فيها آلَ المُهَلَّبِ بن أبى صُفْرَةَ ، ويمدحُ هلالَ بن أَحْوَزَ المازنىَّ ، ويَذكر الوَقْعَةَ التى كانت لهم عليهم بالسِّنْدِ فى سُلْطانِ يزيدَ بن عبد المَلِكِ ، بسببِ خروجِ يزيدَ بن المهلَّب عليه :

أقولُ لها مِن ليلةٍ ليس طُولُها ... كطُولِ الليالى لَيْتَ صُبْحَكِ نَوَّرَا

أَخافُ على نفسِ ابنِ أَحْوَزَ إنَّه ... جَلاَ حُمَمًا فوقَ الوجوه فأَسْفَرَا

[قال الشيخُ أبو يعقوبَ : الذى رَوَيْتُ فى شعرِ جريرٍ :

---

(١) الزيادة من حاشية ا .

(٢) « الزعنفة » بكسر الزاى والنون وبفتحهما ، لغتان معروفتان ، كما ضبطها فى القاموس والمعيار .

(٣) فى ج و س و د و ﻫ « وروى » .

(٤) سورة القيامة آية ٢٩

حِذَاراً على نفسِ ابنِ أَحْوَزَ إنه   جَلاَ كلَّ وجهٍ من مَعَدٍّ فأَسْفَرَا(١)

وقوله « عَدِيّ(٢) » يعني عَدِيَّ بنَ أَرْطاةَ الفَزارِيَّ ، قتَله معاويةُ بن يزيدَ بن المهلَّب بواسطٍ ، وكان عامِلَ عمرَ بن عبد العزيز رحمه الله(٣)] :

جَعَلْتَ لِقَبْرٍ لِلْخِيَارِ ومَالِكٍ   وقبرِ عَـــدِيٍّ في المَقابرِ أَقْبُرَا(٤)

[ويُرْوَى « للخيارِ وواسطٍ » الخيارُ : موضعٌ بعُمانَ ، فيه قبرُ الخيارِ بن سَبْرةَ المُجاشِعِيِّ ، وواسطٌ : بها قبرُ عَدِيِّ بن أَرْطاةَ الفَزَارِيّ(٥)] .

وأَطفَأْتَ نِيرانَ المَزُونِ وأهلِها   وقد حاولوها فِتْنَةً أن تسعَّرَا

[« المَزونُ » عُمانُ ، بالفارسية(٦)] .

فلم تُبْقِ منهم رايـــةً يَعْرِفونَها   ولم تُبْقِ من آلِ المُهلَّبِ عَسْكَرَا(٧)

أَلاَرُبَّ سَامِي الطَّرْفِ من آلِ مازِنٍ   إذا شَمَّرَتْ عن ساقِها الحربُ شَمَّرَا

---

(١) هذه الرواية توافق رواية النقائض (٩٩٢) والأبيات من قصيدة طويلة فيها (ص ٩٩١ — ١٠٠٣) عدد أبياتها ١٠٦ وهذا البيت الثامن منها . وأما رواية الديوان فتخالف رواية المبرد ورواية أبي يعقوب (ص ٢٤٠ — ٢٥١) .

(٢) عديّ هذا سيأتي ذكره في البيت الآتي .

(٣) الزيادة من حاشية ا .

(٤) هكذا في نسخ الكامل « لقبر » باللام والذي في الديوان والنقائض « بقبر » بالباء .

(٥) الزيادة من حاشية ا . وقال الشيخ المرصفي: « هذه رواية منكرة ، كان الصواب إسقاطها، وذلك لأمرين : أحدهما : أن أرباب المعاجم لم يذكروا أن الخيار موضع البتة . ثانيهما : فساد التركيب على ماروى ، لأن ظاهره يدل على أن قبر عديّ ليس بواسط ، لعطفه بالواو ، وهو يزعم أنه بواسط ، على أنه كان اللازم أن يقول : جعلت لقبر بالخيار وواسط ، على مازعم ، وهذا كله غير صواب » .

(٦) الزيادة من حاشية ا .

(٧) في ج و س « فلم يَبْقَ منهم رايةٌ » .

فهذا نظيرُ ذلك . و « المَزُونُ » عُمانُ . قال الكُمَيْتُ :

فأمّا الأَزْدُ أَزْدُ أبى سَعيدٍ فأَكرهُ أن أُسَمِّيهَا المَزُونَا

وقال آخرُ يعنى الحربَ :

فإنْ شَمَّرتْ لكَ عن ساقِها فَوَيْهًا حُذَيْفَ ولا تَسْأَمِ[1]

[تقولُ : « وَيْهًا لزيدٍ » : إذا زَجرتَهُ عن الشيء فأَغْرَيْتَهُ به . و « وَاهًا له » : إذا تَعجَّبْتَ منه . و « حُذَيْفَ » يريدُ حُذيفةَ ، فرَخَّمَ[2]] .

ويُرْوَى[3] عن أبى عُبيدةَ من غيرِ وجهٍ : أن نافعَ بنَ الأزرقِ سألَ ابنَ عباسٍ فقال : أرأيتَ نبيَّ اللهِ سليمانَ صلى الله عليه ، مع ما خَوَّله اللهُ وأعطاه ، كيف عُنِيَ بالهُدْهُدِ على قِلّتِه وضُؤُولَتِهِ ؟ فقال له ابنُ عباسٍ : إنه احتاجَ إلى الماءِ ، والهدهدُ قَنَّاءٌ[4] ، الأَرضُ له كالزُّجاجةِ ، يَرَى باطِنَها من ظاهِرِها ، فسأل عنه لذلك . قال ابنُ الأزرقِ : قِفْ ياوَقّافُ ! كيف يُبْصِرُ

---

(١) قال المرصفى : هذا غلط ، وإنما الرواية :

* فَوَيْهًا رَبِيعَ ولا تَسْأَمُ *

برفع تسأم » . ثم ذكر أبياتا منها البيت بهذه الرواية ، ونسبها لقيس بن زهير بن جذيمة العبسى . ولعل رواية المبرد من أبيات غير ماروى المرصفى .

(٢) الزيادة من حاشية ا .

(٣) فى ج و س و د و هـ « وروى » .

(٤) بحاشية ا مانصه : « قال الخليلُ : يقال : رجل قَنّاءٌ ومُقَنٍّ : صاحبُ قناً . قال : والقَنَاةُ كَظِيمَةٌ تُحْفَرُ تحتَ الأَرضِ لِمَجْرَى ماءِ الأنباطِ » .

ماتحتَ الأرضِ والفخُّ يُغَطَّى له بمقدارِ إصْبَعٍ من ترابٍ فلا يُبصرُه حتى يقعَ فيه؟ فقال ابنُ عباسٍ : ويحْكَ يا ابنَ الأزرقِ ! أمَا علمتَ أنه إذا جاء القَدَرُ عَشِيَ(١) البصَرُ؟!

وممّا سألَه عنه ﴿الٓمٓ . ذٰلِكَ الكتابُ(٢)﴾ فقال ابنُ عباسٍ: تأويلُه : هذا القرآنُ . هكذا جاء ، ولا أحفظُ عليه شاهداً عن ابن عباسٍ ، وأنا أحْسِبُه أنه لم يَقبلْه إلاّ بشاهدٍ ، وتقديرُه عند النحويين إذا قال « ذلك الكتابُ » : أنهم قد كانوا وُعِدُوا كتاباً ، هكذا التفسيرُ ، كما قال جلّ ثناؤه : ﴿ فلمّا جاءهم ماعَرَفُوا كَفَرُوا به(٣)﴾ يعنى بذاك اليهودَ ، وقال : ﴿ يَعْرِفُونَه كما يَعْرِفونَ أبناءهم(٤)﴾ ، فمعناه : هذا الكتابُ الذى كنتم تَتَوَقَّعونه . وبيتُ خُفَافِ بن نَدَبَةَ(٥) على ذلك يَصِحُّ معناه . وكان مِن خبره : أنه غزَا مع معاوية بن عمرٍو أخى خَنْساء ، مُرَّةَ وفَزارةَ ، فصَمَدَ ابنَا حَرْملةَ دُرَيْدٌ وهاشمٌ المُرِّيّانِ صَمْدَ مُعاويةَ ، فاسْتَطْرَدَ له أحدُهما ، فحَمَلَ عليه معاويةُ ، فطعنَه ، وحملَ الآخَرُ على معاويةَ فطعنَه مُتَمَكِّناً ، وكان صَميمَ الخَيْلِ(٦) ، فلما تَنادَوْا قُتِلَ معاويةُ .

---

(١) فى ج « غَشِيَ » . وفى س « عَمِيَ » .

(٢) أول سورة البقرة

(٣) سورة البقرة آية ٨٩

(٤) سورة البقرة آية ١٤٦ وسورة الأنعام آية ٢٠

(٥) هكذا ضبط هنا فى أكثر النسخ بفتح النون والدال معاً . وفى ج و هـ بفتح النون وسكون الدال ، وفى د بضم النون وسكون الدال . وخفاف هذا صحابى ، وهو أحد أغربة العرب ، وهو ابن عم الخنساء الشاعرة . وانظر الشعراء لابن قتيبة (ص ١٩٦ — ١٩٧) وشرحنا على كتاب الرسالة للشافعىّ فى الفقرة (١٠٦) .

(٦) صميم الخيل ، أى عميد الفرسان الذى يعتمدون عليه .

قال خُفافُ بنُ نَدَبَةَ ،وهي أُمُّهُ ، وكانت حبشيةً ، وأبوه عُمَيْرٌ ، [وهو[١]] أحدُ بنى سُلَيْمِ بن منصورٍ : قَتَلَنِي اللهُ إنْ رِمتُ[٢] حتَّى أُثأَرَ به ، فحمل على مالكِ بن حمارٍ ، وهو سيدُ بنى شَمْخِ بن فَزَارَةَ ، فطعنه فقتَله ، فقال خُفافُ بنُ نَدَبَةَ :

إنْ تَكُ خَيْلِى قد أُصِيبَ صَمِيمُهَا   فَعَمْدًا على عَيْنِي تَيَمَّمْتُ مالِكا[٣]

وَقَفْتُ له عَلْوَى وقد خامَ صُحْبتِي   لِأَبْنِيَ مَجْدًا أو لِأَثْأَرَ هالِكا[٤]

أقولُ له والرُّمْحُ يَأْطِرُ مَتْنَهُ :   تَأَمَّلْ خُفَافًا إنني أنا ذٰلِكا[٥]

يريدُ : أنا ذلك الذى سمعتَ به . هذا تأويلُ هذا . وقوله « يَأْطِرُ مَتْنَه » أى يَثْنِي. يقال أَطَرْتُ القوسَ آطِرُها أَطْرًا، وهي مأطورةٌ . و«عَلْوَى» فَرَسُهُ .

ومما سأله[٦] عنه قولُه عزّ وجلّ : ﴿لهم أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ[٧]﴾ فقال

---

(١) الزيادة من ج و س و د و ﻫ .

(٢) أى : برحت . من قولهم « رام من مكانه » أى برح .

(٣) « إن تك خيلى » قال المرصفى : « بغير واو ، على الخرم ، كذا صوب إنشاده ابن برى » .

(٤) « خام » أى رجع ونكص .

(٥) بحاشية ا مانصه « فى الرواية : يأطر مَتْنُهُ ، بضم النون ، ومعنى يأطر متنه : يَثْنِي وَيَعْطِفُ . ابنُ شاذانَ يقال : أَطَرْتُ العُودَ آطِرُهُ أَطْرًا ، أى عطفته . وفى الحديث : حتى يَأْطِرُوهُ على الحقّ أَطْرًا . أى : حتى يَعْطِفُوه . قال : وقال الخليلُ : الأَطْرُ عَوْجُكَ الشيء تقبضُ على أحد طَرَفَيْهِ وَتَأْطِرُهُ فَيَنْأَطِرُ. أَطَرْتُ القوسَ أَطْرًا ، وَأَطَّرْتُهَا تأْطيرًا ، فهى مَأطورةٌ وَمُؤَطَّرَةٌ » .

(٦) فى س و د و ﻫ « سأل » .

(٧) سورة فصلت آية ٨ وسورة الانشقاق آية ٢٥

ابنُ عباسٍ : غيرُ مقطوعٍ ، فقال : هل تعرفُ ذلك العربُ ؟ فقال : قدعرَفه أخُو بنى يَشْكُرَ ، حيثُ يقولُ :

وتَرَى خَلْفَهُنَّ مِن سُرْعَةِ الرَّجْـ ـعِ مَنِينًا كأنّه أَهْبَاءُ[1]

قال أبو العباس : «مَنِينٌ » يعنى الغُبَارَ ، وذلك أنها تُقَطِّعُهُ قِطَعًا وراءها ، و « المَنِينُ » الضعيفُ المُؤْذِنُ بانقطاعٍ ، أنشدنى التَّوَّزِيُّ عن أبى زيدٍ :

يارِيَّهَا إنْ سَلِمَتْ يَمِينِى * وسَلِمَ الساقِى الذى يَلِينِى * ولم تَخُنِّى عُقَدُ المَنِينِ

تريد الحبلَ الضعيفَ ، فهذا هو المعروفُ ، ويقال « مَنِينٌ » و « مَمْنونٌ » كقَتِيلٍ ومقتولٍ ، وجَرِيحٍ ومَجْروحٍ ، وذَكر التَّوَّزِيُّ فى كتاب الأضدادِ أنَّ « المَنِينَ » يكونُ القوىَّ ، يجعلُه[2] « فَعيلاً » من « المُنَّةِ » ، والمعروفُ هو الأولُ .

وقال غيرُ ابنِ عباسٍ : ﴿لهم أجرٌ غيرُ مَمْنُونٍ﴾ لا يُمَنُّ عليهم فيُكَدَّرَ عندَهم .

*

ويُرْوَى من غيرِ وجهٍ : أنَّ ابنَ الأزرق أَتَى ابنَ عباسٍ [يومًا[3]] فجعلَ

---

(١) بحاشية ا مانصه : « فى رواية ابنِ شاذانَ :

فَتَرَى خَلْفَهَا من الرَّجْعِ وَالْوَقْـ ـعِ مَنِينًا كَأَنَّهُ اهباء

الرَّجع : رجعُ قوائمها . والمَنِينُ : الغُبَارُ الضعيف . الإهباء : مصدرٌ ، يقال أَهْبَى : أى أثارَ الترابَ . ويُروى أَهْبَاء ، بفتح الهمزة ، جمع هَبْوَةٍ ، وهى الغُبار . ويجوز أنْ قَصَرَ الممدودَ ثم جَمَعَهُ » .

(٢) فى ج و د و هـ « فجعله » .

(٣) الزيادة من ج و س و د و هـ .

يسائِلُه⁽¹⁾ حتى أَمَلَّه ، فجعلَ ابنُ عباس يُظْهِرُ الضَّجَرَ ، وطَلَعَ عمرُ بن عبد الله بن أبي رَبِيعَةَ على ابن عباسٍ ، وهو يومئذ غلامٌ ، فسلَّمَ وجلسَ ، فقال له ابنُ عباس : ألا تُنْشِدُنا شيئاً من شِعْرِكَ ؟ فأنشدَه⁽²⁾ :

أَمِنْ آلِ نُعْمٍ أنت غادٍ فَمُبْكِرُ ... غَـــداةَ غَدٍ أَمْ رائحٌ فَمُهَجِّرُ ؟

بحاجَةِ نَفْسٍ لم تَقُلْ في جَوابِها ... فَتُبْلِغَ عُـــذْراً والمقالةُ تُعْذِرُ

تَهِيمُ إلى نُعْمٍ فلا الشَّمْلُ جامعٌ ... ولا الحبلُ موصولٌ ولا القلبُ مُقْصِرُ

ولا قُرْبُ نُعْمٍ إنْ دَنَتْ لك نافعٌ ... ولا نَأْيُها يُسْـــلِي ولا أنتَ تَصْبِرُ

وأُخرَى أتَتْ من دُونِ نُعْمٍ ومِثْلُها ... نَهَى ذا النُّهَى لو يَرْعَوِي أو يُفَكِّرُ⁽³⁾

إذا زُرْتُ نُعْماً لم يَزَلْ ذُو قَرابَةٍ ... لها كُلَّما لاقيتُـــه يَتَنَمَّرُ

عَزِيزٌ عليـــه أن أُمُرَّ ببابِها ... مُسِرٌّ لِيَ الشَّحْناءَ والبُغْضَ مُظْهِرُ⁽⁴⁾

أَلِـكْنِي إليها بالسَّـــلامِ فإنه ... يُشَهَّرُ إلْمامِي بها ويُنَكَّرُ

بآيَةِ ما قالتْ غَـــداةَ لَقِيتُها ... بمَدْفَعِ أَكْنانٍ أهذا المُشَهَّرُ ؟

قِفِي فانْظُرِي يا أَسْمَ هلْ تَعرِفينَه ؟ ... أهذا المُغِيرِيُّ الذي كانَ يُذْكَرُ ؟⁽⁵⁾

---

(١) في النسخ المذكورة « يسئله » .

(٢) مضت أبيات من القصيدة ، فأثبتناها كلها ، بعد جمعها من المصادر الموثوق بها ، وبينا الأصل والزيادة هناك ، في الجزء الثاني (ص ٦١٣ — ٦١٨) .

(٣) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : ويُرْوَى : نُهَى ذِي النُّهَى . نُهَى هاهنا الغايةُ . أراد : غايةَ العاقلِ . والنُّهَى : العقلُ » .

(٤) بحاشية ا مانصه : « ويُرْوَى : للبُغْضِ مُظْهِرُ . المُهَلَّبِيُّ : الأجودُ : والبغضَ مظهرُ » .

(٥) « يا أسم » رسمت في ج و د « يأَسْمَ » .

أَهذا الذى أَطْرَيْتِ نعتاً فلم أَكُنْ وعَيْشِكِ أَنْسَاهُ إلى يوم أُقْبَرُ ؟!
فقالتْ : نَعَمْ ، لا شَكَّ غَيَّرَ لونَه سُرَى الليل يُحْيِي نَصَّهُ والتَّهَجُّرُ[1]
لَئِنْ كان إِيَّاه لقد حَالَ بَعْدَنا عن العَهْدِ والإِنسانُ قد يَتَغَيَّرُ
رَأَتْ رجلاً أَمَّا إذا الشمسُ عارَضَتْ فيَضْحَى وأَمَّا بالعَشِيِّ فيَخْصَرُ

حتى أتمها ، وهى ثمانون بيتاً ، فقال له ابنُ الأزرقِ : لله أنتَ يا ابنَ عباسٍ ! أَنَضْرِبُ إليك أكبادَ الإبلِ[2] ، نَسألُك عن الدِّين ، فتُعرِضُ ، ويأتيك غلامٌ من قريشٍ ، فيُنْشِدُكَ سَفَهاً فتسمعهُ ؟! فقال : تاللهِ ما سمعتُ سفهاً ، فقال ابنُ الأزرقِ : أَمَا أنشدكَ :

رأتْ رجُلاً أمَّا إذا الشمسُ عارضتْ فيَخْزَى وأمَّا بالعَشِيِّ فيَخْسَرُ ؟

فقال : ما هكذا قال ، إنما قال « فيَضْحَى وأمَّا بالعَشِيِّ فيَخْصَرُ » قال : أَوَ تَحْفَظُ الذى قال ؟ قال : واللهِ ما سمعتُها إلاَّ ساعتى هذه ، ولو شئتُ أَنْ أَرُدَّها لَرَدَدْتُها ! قال : فارْدُدْها ؟ فأنشدَهُ إياها [كلَّها[3]] .

ورَوَى الزُّبَيْرِيُّونَ : أن نافعاً قال له : ما رأيتُ أَرْوَى منك قَطُّ ، فقال له ابنُ عباسٍ : ما رأيتُ أَرْوَى من عُمَرَ ، ولا أَعْلَمَ من عليٍّ .

---

(١) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : يقول : يُصِيبُهُ الحَرُّ فى الهاجرةِ والقُرُّ فى الليلِ ، فيُغَيِّرُ لونَهُ والنَّصُّ : ضَرْبٌ من السَّيْرِ . المُهَلَّبِىُّ : نَصَصْتُ البعيرَ فى السَّيرِ أَنُصُّهُ نَصًّا : إذا رَفَعْتَهُ » .

(٢) فى ج « آباط الإبل » .

(٣) الزيادة من س و هـ .

وقوله « فيَضْحَى(١) » يقولُ : يَظْهَرُ للشمسِ . و « يَخْصَرُ » يقولُ : في البَرْدَيْنِ(٢) ، فاذا ذَكر العشيَّ فقد دلَّ على عَقِيب العشيِّ . قال الله تَبارك وتعالى : ﴿ وأنَّكَ لا تَظْمَأُ فيها ولا تَضْحَى(٣) ﴾ «والضِّحُّ» الشمسُ ، وليس مِنْ « ضَحِيتُ » يقالُ « جاء فلانٌ بالضِّحِّ والرِّيحِ » يُرادُ به الكثرةُ(٤) . قال عَلْقمةُ :

أَغَرُّ أَبْرَزَهُ للضِّحِّ رَاقِبُهُ ... مُقَلَّدٌ قُضُبَ الرَّيْحَانِ مَفْغُومُ

له « فَغْمةٌ » أي : رائحةٌ طيبةٌ(٥) ، يعني إبريقاً فيه شرابٌ . وفي الحديث : « أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لمَّا تَوَجَّهَ إلى تَبُوكَ جاء أبو خَيْثَمَةَ ، وكانت له امرأتانِ ، وقد أعَدَّتْ كلُّ واحدةٍ منهما من طَيِّبِ ثَمَرِ بستانِه ، ومَهَّدَتْ له في ظِلٍّ ، فقال : أظِلٌّ ممدودٌ ، وثَمَرةٌ طيبةٌ ، وماءٌ باردٌ ، وامرأةٌ حسناءُ ، ورسولُ الله في الضِّحِّ والرِّيحِ ! ؟ ما هذا بخيرٍ ، فركب ناقتَه ومَضَى في أثَرِهِ ، وقد قيلَ لرسول الله صلى الله عليه وسلم في نَفَرٍ تخلَّفوا ، أبو خَيْثَمَةَ أحدُهم ، فجعل لا يُذْكَرُ له أحدٌ منهم إلاَّ قال : دَعوهُ فانْ يُرِدِ اللهُ به خيراً

(١) رسمت في الأصول في هذا الموضع « فيضحا » .
(٢) بحاشية ا مانصه : « قال المُهَلَّبِيُّ: البَرْدَانِ ، الغَداةُ والعشِيُّ . قال: والأَبْرَدَانِ طَرَفَا النهارِ » .
(٣) سورة طه آية ١١٩
(٤) في ج و هـ « يراد بذلك الكثرة » .
(٥) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : فَغَمَتْنِي رائحةُ الطِّيبِ : أي : ملأتْ أنفي ، تَفغَمُني فَغْما » .

يُلحِقهُ بكم ، فقيلَ ذاتَ يوم : يا رسول الله ! نَرَى رجلاً يَرْفَعُهُ الآلُ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كُنْ أبا خيثمةَ ، فكان هو[1] » .

وإذا انبسطتِ الشمسُ فهو « الضُّحَى » مقصورٌ ، فإذا امتدَّ النهارُ وبينهما مقدارُ ساعةٍ أو نحوُ ذلك فذلك « الضَّحاء » ممدودٌ مفتوحُ الأولِ .

٭

وذكرتِ الرواةُ : أن الحَجّاجَ أُتِيَ بامرأةٍ من الخوارج ، وبحضرته يزيدُ بن أبي مسلمٍ مولاه ، وكان يَسْتَسِرُّ برأى الخوارج ، فكلَّمَ الحجاجُ المرأةَ فأعرضت عنه ، فقال لها يزيدُ بن أبي مسلمٍ : الأميرُ وَيْلَكِ يكلِّمُكِ ! فقالت : بل الويلُ واللهِ لك يا فاسقُ الرَّدِىُّ[2] . « والرَّدِىُّ » عندَ الخوارج : هو الذى يَعلمُ الحقَّ من قولهم ويكتُمه[3] .

---

(١) أبو خيثمة هو الأنصارى السالمى ، سماه الواقدى « عبد الله بن خيثمة » وذكر أنه شهد أحدا وبقى إلى خلافة يزيد بن معاوية . وقصته هذه أشار إليها كعب بن مالك فى حديثه الطويل فى ذكر توبته . فى صحيح مسلم (٢ : ٣٢٩ – ٣٣٣) وليس فيها التفصيل الذى هنا فى شأن أبى خيثمة . وذكرها بنحو مما هنا ابن هشام فى السيرة (ص ٨٩٧ – ٨٩٨ طبعة أوربة ، ٤ : ١٧٤ – ١٧٦ طبعة التجارية) وسماه « مالك بن قيس » . وانظر تاريخ ابن كثير (٥ : ٧ – ٨) .

(٢) فى ج و س و هـ . « أيُّها الفاسق الرَّدِىُّ »

(٣) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : الرَّدِىء مهموزٌ . يقال : رَدُؤَ الشىء : إذا صار رَدِيئا ، والاسمُ الرَّدَاءَةُ والرَّدِىُّ : من الرِّدَّةِ ، والردةُ : الرجوعُ عن الشىء ، ومنه : رَدَّ عن الإسلام ، والرِّدَّةُ : مصدرُ الارتدادِ . فى نسخةٍ : الرَّدِىء . وليس بمرويٍّ [فى] هذا الخبر » .

وذكروا أنّ عبدَ الملك بن مرْوانَ أُتِيَ برجلٍ منهم فبَحَثَهُ ، فرأى منه ما شاء فهماً وعلمـا ، ثم بحثَه ، فرأى ما شاء إِرْبًا ودَهْيًا[1] ، فرَغِبَ فيه واستدعاه[2] إلى الرجوع عن مذهبه ، فرآه مُسْتَبْصِراً مُحَقِّقاً ، فزاده فى الاستدعاء ، فقال له: لِتُغْنِكَ الأُولى عن الثانيةِ ، وقد قلتَ فسمعتُ ، فاسْمَعْ أَقُلْ ، قال له: قُلْ ، فجعل يَبْسُطُ له من قولِ الخوارج ويُزَيِّن له من مذهبِهم بلسانٍ طَلِقٍ وألفاظٍ بَيِّنةٍ ومَعانٍ قَريبةٍ ، فقال عبدُ الملك بعدَ ذلك على معرفته : لقد كاد يُوقِعُ فى خاطرى أن الجنة خُلِقَتْ لهم ، وأنّى[3] أَوْلَى بالجهادِ منهم ، ثم رَجَعْتُ إلى ماثَبَّتَ اللهُ علىّ من الحجةِ وقرّرَ فى قلبى من الحقّ ، فقلتُ له : للهِ الآخرة والدنيا ، وقد سَلَّطنى[4] اللهُ فى الدنيا ، ومَكَّنَ لَنا فيها ، وأراك لَسْتَ تجيب بالقَوْلِ[5] ، واللهِ لأَقْتلَنَّكَ إن لمْ تطِعْ ، فأنا فى ذلك إذْ دُخِلَ علىّ بابْنَى مروانَ — قال أبو العباس : كان مروان أخا يزيدَ لِأُمِّهِ ، أُمُّهُما عاتكةُ

---

(١) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : الدَّهْىُ : مصدرُ دَهِىَ يَدْهَى دَهْياً وَدَهاء : إذا صار داهيةً . ابنُ شاذانَ : قال أبو زيد : الإِرْبُ والإِرْبَةُ : الدَّهاء والفِطنةُ ، رجلٌ أَرِيبٌ ، بَيِّنُ الإِرْبِ والإِرْبَةِ . وقد أَرُبَ يَأْرُبُ أَرَابَةً ، وَالمُؤَارَبَةُ : المداهَاةُ والمخاتَلَةُ ، وفى الحديثِ : مُؤَارَبَةُ الأَرِيبِ جهلٌ وعَنَاء . لأَن الأَرِيبَ لايُخْدَعُ عن عَقْلِهِ » .

(٢) فى ج و س « فاستدعاه » .

(٣) فى ج و س و د و ﻫ « وأنَّا »

(٤) فى هذه النسخ « سلطنا » .

(٥) فى س و د و ﻫ « بالقبول » .

بنتُ يَزِيدَ بن معاويةَ ، وكان أبيًّا عَزِيزَ النَّفْس ، فَدُخِلَ به فى هذا الوقتِ على عبد الملِكِ ـ باكيًا لضربِ المؤدِّبِ إياهُ ، فشَقَّ ذلك على عبد الملك ، فأقبلَ عليه الخارِجِيُّ ، فقال له : دَعْهُ يَبْكِ(١) ؛ فإنه أرْحَبُ لِشِدْقِهِ ، وَأَصَحُّ لدماغِه ، وَأَذْهَبُ لصَوْتِهِ ، وَأَحْرَى أن لاَّ تأْبَى عليه عينُه إذا حضرتْه طاعةُ ربه(٢) فاستَدْعَى عَبْرَتَهَا ، فأعْجبَ ذلك من قوله عبدَ الملك ، فقال له متعجبا : أمَا يَشْغَلُكَ ما أنت فيه و بعَرَضِهِ عن هذا ؟ فقال : ماينبغى أن يَشْغَلَ المؤمنَ عن قولِ الحقِّ شىء ، فأمر عبد الملك بحبسه ، وصَفَحَ عن قتله ، وقال بعدُ يعتذِرُ إليه : لولا أن تُفْسِدَ بألفاظِك أكثرَ رعيتى ما حبستُك ، ثم قال عبدُ الملك : مَن شَكَّكنى وَوَهَّمَنِى حتى مالتْ بى عصْمةُ اللهِ فغيرُ بعيدٍ أن يَسْتَهْوِيَ مَنْ بَعْدِى . وكان عبدُ الملك من الرأيِ والعلمِ بموضعٍ .

وتَزْعُمُ الرواةُ : أنَّ رجلاً من أهل الكتاب وفَدَ على معاويةَ ، وكان موصوفًا بقراءة الكتُب ، فقال له معاويةُ : أتَجِدُ نعْتِى فى شىء من كُتبِ الله ؟! قال : إى واللهِ ، لو كنتَ فى أُمَّةٍ لوضعتُ يَدِى عليكَ من بينهم ! قال : فكيف تجدنى ؟ قال : أجِدُك أولَ مَنْ يُحَوِّلُ الخلافةَ مُلْكاً ، والخُشْنَةَ لِيناً ، ثم إن ربَّك مِن بعدها لَغفورٌ رحيمٌ ، قال معاوية : فَسُرِّيَ عنِّى ، ثم قال : لاتقْبَلْ هذا مِنِّى ، ولكن من نفسك ، فاختبرْ هذا الخبرَ(٣) ! قال : ثم يكونُ

---

(١) فى س و هـ « يبكى » .

(٢) فى ج و س و د و هـ « طاعة الله » .

(٣) فى ج « فاجْتَنِبْ هذا الخبرَ » وفى س و د و هـ « فاجْتَبِ هذا الخبرَ » =

ماذا ؟ قال : ثم يكونُ منك رجلٌ شرّابٌ للخمرِ ، سَفّاكٌ للدماء ، يَحْتَجِن الأموالَ[1] ، وَيَصْطَنِعُ الرجالَ ، وَيَجْنُبُ الخيولَ ، وَيُبِيحُ حُرْمَةَ الرسولِ! قال : ثم ماذا ؟ قال : ثم تكونُ فِتنةٌ تَتَشَعَّبُ بأقوامٍ حتى يُفْضِيَ الأمرُ بها إلى رجلٍ أَعْرِفُ نعتَهُ ، يَبيعُ الآخرةَ الدائمةَ بحظٍّ من الدنيا مَخْسُوسٍ ، فَيَجْتَمِعُ عليه ، مِن آلِكَ وليس منكَ، لايزالُ لِعَدُوِّهِ قاهِرًا ، وعلى مَنْ ناوَأَه[2] ظاهِرًا ، ويكون له قَرِينٌ مُبِينٌ[3] لَعِينٌ! قال : أفتعرفُه إن رأيتَه ؟ قال : شَدَّمَا ، فأَراه مَنْ بالشأمِ مِن بنى أُمَيَّةَ ، فقال : ما أراه هٰهنا ، فَوَجَّه به إلى المدينة مع ثقاتٍ من رُسُلِهِ ، فإذا عبدُ الملكِ[4] يَسْعَى مُؤْتزِرًا فى يده طائرٌ ، فقال للرُّسُلِ : هاهو ذَا ، ثم صاح به : إلَيَّ أبو مَنْ ؟ قال : أبو الوليد ، قال : ياأبا الوليد ! إنْ بَشَّرْتُكَ ببِشارةٍ تَسُرُّكَ ماتجعَلُ لِى ؟ قال : وما مقدارُها من السرورِ حتى نَعْلَمَ مقدارَها من الجُعْلِ ؟ قال : أنْ تَمْلِكَ الأرضَ ! قال : مالِى مِن مَالٍ ، ولكن أرَأيْتَكَ[5] إنْ تَكَلَّفْتُ لك جُعْلاً أأنالُ ذلك قبلَ

= وبحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : يقال : اجْتَبَيْتُ الخراجَ اجْتِباءً ، أى : جَمَعْتُ ، ومنه قيل : اجْتَبَيْتُ الرجلَ لنفسى » .

(١) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : احْتَجَنْتُ الشيءَ : إذا أخَذْتَهُ » .

(٢) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : تقولُ : نَاوَأْتُ الرجلَ مُنَاوَأَةً : إذا عاديتَه » .

(٣) فى ج و س و د « مُبِيرٌ » .

(٤) فى ج و س و د و هـ « فاذا بعبد الملك بن مروان » .

(٥) فى هذه النسخ « أرأيتَ » .

وقتِه ؟ قال : لا ، قال : فإن حَرَمْتُكَ أتؤخِّرُه[1] عن وقته ؟ قال : لا ، قال : فحَسْبُكَ ما سمعتَ !! فذكروا أنّ معاوية كان يُكْرِمُ عبدَ الملك ليجعلَها يدًا عندَه يجازيه بها فى مُخَلَّفيه[2] فى وقتِه[3] .

وكان عبدُ الملك من أكثر الناس علمًا ، وأبرَعِهم أدبًا[4] ، وأحسنِهم فى شَبيبَتِهِ ديانةً ، فقتَلَ عَمْرَو بن سَعيدٍ ، وتَسَمَّى بالخلافةِ ، فسُلِّمَ عليه بها أوّلَ تَسليمةٍ ، والمُصْحَفُ فى حِجْرِهِ ، فأطبقَه وقال : هذا فِراقُ بينى وَبينِكَ !!

قال أبو العباس : وحدثنى ابنُ عائِشَةَ عن حَمَّادِ بن سَلَمةَ فى إسنادٍ ذكره : أن عبدَ الملك كان له صَديقٌ ، وكان من أهل الكتاب ، يقال له يوسُفُ ، فأسْلم ، فقال له عبدُ الملك يومًا ، وهو فى عُنفُوَانِ نُسُكِهِ ، وقد مضتْ جيوشُ يزيدَ بن معاويةَ مع مسلمِ بن عُقْبَةَ المُرِّىِّ ، من مُرَّةِ غَطَفانَ ،

(١) فى س و د « أيُؤَخِّرُ ذلك » .

(٢) فى ع و س و د و هـ « مُخَلَّفَتِه » .

(٣) هذه القصة كذبها ظاهر ، ولا يوجد مسلم يعتقد أن كتب الأنبياء السابقين — إن وجدت — فيها وصف تفصيلى لأفراد من هذه الأمة المحمدية ، إنما بشر الأنبياء بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالأمة الإسلامية . ولعل بعض أهل الكتاب كانوا يخدعون بعض العامة من المسلمين بأقاويل يفترونها . أما معاوية فى إيمانه وعلمه ، وفى عقله ودهائه ، فلا يخدع بمثل هذه المفتريات السخيفة . ومثل هذا القصص وضعه الوضاعون لمقاصد سياسية ، ولا نحب أن نثير فتنة بتعيين الفرق التى وضعت مثل هذا .

(٤) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : تقولُ : بَرَعَ الرجلُ براعةً : إذا تَمَّ فى جَمالٍ أو علمٍ ، فهو بارِع ، والاسمُ البَرَاعةُ ، والمرأةُ بارعةٌ » .

يريدُ المدينَة ـ : ألا تَرَى خَيْلَ عَدُوِّ الله قاصدةً لِحرَمِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ؟! فقال له يوسفُ : جيشُكَ واللهِ إلى حَرَمِ رسول الله أعظمُ مِن جيشه ! فنَفَضَ عبدُ الملك ثوبَه ، ثم قال : مَعَاذَ اللهِ ! قال له يوسفُ : ماقلتُ شاكًّا ولا مُرْتابًا ، وإنى لَأَجِدُكَ بجميعَ أوصافِك ،قال له عبدُالملك : ثم ماذا ؟ قال : ثمّ يتَدَاوَلُها رَهْطُكَ . قال : إلى متى ؟ قال : إلى أن تخرج الراياتُ السُّودُ من خُراسانَ[1] .

قال : وَحُدِّثتُ عن ابن جُعْدُبَة ،قال : كنتُ عندَ أميرِ المؤمنين المنصور ، فى اليوم الذى أتاه فيه خروجُ محمدِ بنِ عبد الله بن حَسن بن حَسن ، قال . فغَمَّهُ ذلك ، حتى امتنع من الغَدَاء فى وقته ، وطال عليه فِكْرُهُ ، فقلتُ : ياأميرَ المؤمنين ! أُحَدِّثكَ حديثاً ؟ كُنْتُ مع مروانَ بن محمدٍ ، وقد قَصَدَه عبدُ الله بن عليٍّ ، [قال[2]] : فإنَّا لكذلك إذ نَظَرَ إلى الأعلامِ السُّودِ من بُعْدٍ ، فقال : ما هذه البُخْتُ المجَلَّلةُ ؟ قلتُ : هذه أعلامُ القومِ ، قال : فَمَنْ تحتَها ؟ قلتُ : عبدُ الله بن على بن عبد الله بن العباسِ ، قال : وأيُّهُمْ عبدُ الله ؟ فقلتُ[3] : الفَتَى المعْرُوقُ الطويلُ[4] ، الخفيفُ

---

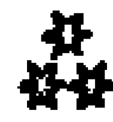
(١) وهذه أيضاً من القصص المكذوبة التى افتريت لنصر بنى العباس والطعن فى بنى أمية ، وكذبها واضح لايحتاج إلى برهان .

(٢) الزيادة من ع و هـ .

(٦) فى ع و س و د و هـ « قلت » .

(٤) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : رجل مَعْرُوقٌ وَمُعَرَّق : قليلُ اللَّحْمِ » .

العارِضَيْنِ ، الذى رأيتَه فى وَليمةِ كذا يأكلُ فيُجيدُ ، فسألتَنى عنه فنَسَبْتُهُ لكَ ، فقلتَ: إنَّ هذا الفتَى لتِلِقّامَةٌ[1] ، قال : قد عرفتُه ، واللهِ لوَدِدْتُ أنَّ علىَّ بن أبى طالبٍ مكانَه ، قال : فقال لى المنصورُ : آللهِ لسمعتَ هذا مِن مروانَ بن محمدٍ ؟ قلتُ : واللهِ لقد سمعتُهُ منه ، قال : ياغلامُ ! هاتِ الغَداء .



قال أبو العباس : وكان أهل النُّخَيْلَةِ جماعةً بعدَ أهلِ النَّهْرَوانِ[2] ، ممن فارقَ عبد الله بنَ وَهْبٍ ، وممن لَجَأَ إلى رايةِ أبى أيوبَ ، وممن كان أقامَ بالكوفة ، فقال : لا أُقاتلُ عليًّا ولا أُقاتلُ معه ، فتَواصَوْا فيما بينَهم وتعاضَدُوا ، وتأسَّفُوا على خِذْلانِهِمْ أصحابَهُمْ ، فقام منهم[3] قائمٌ يقالُ له المُسْتَوْرِدُ ، من بنى سعدِ بن زيدِ مَناةَ ، فحَمِدَ اللهَ وأثنى عليه وصلَّى على محمدٍ ، ثم قال . إنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أتانا بالعدلِ ، تَخْفِقُ راياتُهُ ، مُعْلِنًا مقالتَه ، مُبَلِّغًا عن ربِّهِ ، ناصحًا لأُمَّتِهِ ، حتى قبضَه اللهُ مُخَيَّرًا مُخْتارًا ، ثم قام الصِّدِّيقُ فصَدَقَ عن نبيِّه وقاتَلَ من ارتَدَّ عن دينِ ربِّهِ ، وَذَكَرَ أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ قَرَنَ الصلاةَ

(١) بحاشية ا مانصه : « قال ابنُ شاذانَ : حدثنى أبو عُمَرَ عن ثعلبٍ عن ابن الأعرابىّ قال : التِّلْقَامَةُ : الشديدُ الأكل » . يعنى بكسر التاء وسكون اللام، ويجوز أيضاً تشديد القاف مع كسر اللام . وضبط فى أصول الكتاب بالضبطين .

(٢) فى ع و س و د و ه « تجمَّعَتْ بعْدَ أهل النهروان » .

(٣) فى النسخ المذكورة « فقام بينهم » .

بالزكاةِ ، فرأى أن تعطيلَ إحداهما طَعْنٌ(١) على الأُخرى ، لا بل على جميع منازلِ الدين ، ثم قَبضه اللهُ إليه موفورًا ، ثم قام [بعدَه(٢)] الفاروقُ ، فَفَرَقَ بين الحقّ والباطلِ ، مُسَوِّيًا بينَ الناسِ فى إعطائه ، لامُؤْثِرًا لأقاربه ، ولا مُحَكِّمًا فى دينِ رَبِّه ، وها أنتم تعلمون ما حَدَثَ ، واللهُ يقولُ : ﴿وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ على القَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيماً(٣)﴾ فكلٌّ أجابَ وَبَايَعَ(٤) ، فوَجَّه إليهم علىُّ بن أبى طالبٍ عبدَ الله بنَ العباسِ داعيًا ، فأَبَوْا ، فسارَ إليهم ، فقال له عَفِيفُ بنُ قَيْسٍ : يا أميرَ المؤمنين ! لاتَخْرُجْ فى هذه الساعةِ ؛ فإنها ساعةُ نَحْسٍ لعدوِّك عليك ! فقال له علىٌّ : توكلتُ على الله وحدَه ، وَعَصَيْتُ رَأْىَ كلِّ مُتَكَهِّنٍ ، أنتَ تزعم أنك تعرفُ وقتَ الظَّفَرِ مِن وقتِ الخِذْلاَنِ ؟! ﴿إِنِّى تَوَكَّلتُ عَلَى اللهِ رَبِّى وَرَبِّكُمْ ، مَامِنْ دَابَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ، إِنَّ رَبِّى عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾(٥) ، ثم سار إليهم فطَحَنهم جميعًا ، لم يُفْلت منهم إلاَّ خَمْسَةٌ ، منهم الْمُسْتَوْرِدُ ، وابنُ جُوَيْنٍ الطائىُّ ، وَفَرْوَةُ بن شَرِيكٍ الأَشْجَعِىُّ ، وَهُمُ الذين ذَكَرَهُمُ الحسنُ البصرىُّ ، فقال : دعاهُمْ إلى دِينِ الله فجعلوا أصابِعَهم فى آذانِهم وَاسْتَغْشَوْا ثيابَهم وأصرُّوا واستكبرُوا استكبارًا ، فسار إليهم أبو حَسَنٍ فَطَحَنَهم طحْنًا .

---

(١) فى النسخ أيضاً « طعناً » . ويكون هذا شاهداً لنصب معمولى « أن » .

(٢) الزيادة من النسخ المذكورة .

(٣) سورة النساء آية ٩٥

(٤) فى ج « وَتَابَعَ » .

(٥) سورة هود آية ٥٦

وفيهم يقولُ عِمْرَانُ بن حِطَّانَ :

إنى أَدِينُ بما دانَ الشُّرَاةُ به ... يومَ النُّخَيْلَةِ عندَ الجَوْسَقِ الخَرِبِ

وقال الحِمْيَرِىُّ يعارضُ هذا المذهبَ :

إنى أَدِينُ بما دانَ الوصىُّ به ... يوم النُّخَيْلَةِ مِن قَتْلِ المُحِلِّينَا

وبالذى دانَ يومَ النَّهْرِ دِنْتُ به ... وشارَكَتْ كَفَّهُ كَفِّى بِصِفِّينَا

تلك الدِّماء مَعًا يارَبِّ فى عُنُقِى ... ومثلَها فاسْقِنى آمِينَ آمِينَا[1]

وكان أصحابُ النُّخَيْلَةِ قالوا لابْنِ عباسٍ : إذْ كَانَ[2] عَلِىٌّ عَلَى حَقٍّ لم يَشْكُكْ فيه وحَكَّمَ مُضْطَرًّا فما بَالُهُ حيثُ ظَفِرَ لم يَسْبِ ؟ فقال لهم ابنُ عباس : قد سمعتم الجوابَ فى التحكيم ، فأمّا قولُكم فى السِّباء أفكُنْتُمْ سابِينَ أُمَّكُمْ عائشةَ ؟! فوضعوا أصابعَهُمْ فى آذانهم ، وقالوا : أَمْسِكْ عنّا غَرْبَ لِسانِكَ ياابنَ عباسٍ ! فإنه طَلْقٌ ذَلْقٌ[3] ، غَوّاصٌ عَلَى موضعِ الحجةِ .

---

(١) بحاشية ا مانصه : « قال ابنُ شاذانَ : إذا دَعا الرجلُ قلتَ : أَمِينَ ربَّ العالمينَ ، بقصرِ الألفِ . وإن شئتَ طوَّلْتَ الألفَ فقلتَ : آمِينَ . ولا تُشَدِّدِ الميمَ من أَمِينَ وآمِينَ ، فإنه خطأٌ » .

(٢) فى ج و س و د و ه « إن كان » .

(٣) بحاشية ا مانصه : « ابن شاذانَ : قال أبو عمرَ : رجل طُلَقٌ ذُلَقٌ : إذا كان طَلِيقَ الوَجْهِ ذَلِقَ اللسانِ . قال : وذَلْقُ السيفِ : حَدُّهُ ، ويقال : لِسَانٌ ذَلِق طَلِق ، ولسانٌ ذَلِيقٌ طَلِيقٌ ، وَذَلَقٌ طُلَقٌ ، والحروفُ الذُّلْقُ : حروفُ طَرَفِ اللسانِ ، يقال : رجلٌ طُلُقٌ ذُلُقٌ ، وطُلَقٌ ذُلَقٌ : إذا كان طَلْقَ الوَجْهِ ذَلِقَ اللسانِ » .

ثمَّ خرجَ المُسْتَوْرِدُ بعدَ ذلكَ بمدةٍ على المُغيرةِ بن شُعْبَةَ ، وهو والِي الكوفةِ ، فوَجَّهَ إليه مَعْقِلَ بن قَيْسٍ الرِّيَاحِيَّ ، فدعاهُ المستوردُ إلى المبارزةِ ، وقال له : عَلامَ يُقتَلُ الناسُ بيني وبينَك ؟ فقال له مَعْقِلٌ : النَّصَفَ[1] سألتَ ، فأقسَمَ عليه أصحابُهُ ، فقال : ما كنتُ لِآبَى عليه ، فخرج إليه ، فاختلفا ضَرْبَتَيْنِ ، فخرَّ كلُّ واحدٍ منهما مَيِّتاً .

وكان المُسْتَوْرِدُ كثيرَ الصلاةِ شديدَ الاجتهادِ ، وله آدابٌ يُوصِي بها ، وهي محفوظةٌ عنه .

كان يقولُ : إذا أَفْضَيْتُ بِسِرِّي إلى صَديقٍ فأفشاه لم أَلُمْهُ ، لأني كنتُ أَوْلَى بحفظه .

وكان يقولُ : لا تُفْشِ إلى أحدٍ سِرًّا ، وإن كان مُخْلِصًا ، إلاَّ على جهةِ المشاورةِ .

وكان يقولُ : كُنْ أحْرَصَ على حِفظ سرِّ صاحبك منك على حَقْنِ دمِك .

وكان يقول : أوّلُ ما يَدُلُّ عليه عائِبُ الناس مَعْرِفَتُهُ بالعُيوبِ ، ولا يَعيبُ إلاَّ مَعيبٌ .

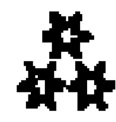
---

(١) بحاشية ١ مانصه : « المُهلَّبي : النِّصْفُ والنَّصَفَةُ والإنصافُ : واحدٌ ، والنِّصْفُ شَطْرُ الشيء . وأنْصَفْتُ الرجلَ إنصافاً : أعطيتُه الحقَّ ، وتَنَاصَفَ الحقَّ القومُ : إذا تعاطَوُا الحقَّ بينهم »

وكان يقول : المالُ غيرُ باقٍ عليك ، فاشْتَرِ من الحَمْدِ مَا يَبْقَى عليك .

وكان يقول : بَذْلُ المالِ في حَقِّهِ استدعاء للمَزِيدِ من الجَوَادِ .

وكان يُكْثِرُ أن يقولَ : لو مُلِّكْتُ الأرضَ بحذَافيرِها ثم دُعيت إلى أن أستَفِيدَ بها خَطِيئَةً ما فعلتُ .



قال : وخَرجَتِ الخوارجُ ، واتَّصَلَ خُرُوجُها ، وإنما نَذْكُرُ منهم مَن كان ذا خبرٍ طَرِيفٍ ، وَاتَّصَلَتْ به حِكَمٌ من كلامٍ وأشعارٍ .

فأوّلُ مَنْ خَرَجَ بعد قتلِ عليّ [بن أبى طالبٍ](١) عليه السلام حَوْثَرَةُ الاسَدِيُّ ، فإنه كان مُتَنَحِّيًا بِالبَنْدَنِيجَيْنِ ، فكتب إلى حابسٍ الطائىّ يسأله أن يَتَوَلَّى أمرَ الخوارجِ حتى يَسِيرَ إليه بجَمْعِهِ ، فيَتَعَاضَدَا على مجاهدةِ معاويةَ ، فأجابَهُ ، فرَجَعَا إلى موضعِ أصحابِ النُّخَيْلَةِ ، ومعاويةُ بالكوفة حيثُ دخلَها مع الحسن بن عليّ [بن أبى طالب(٢)] صلواتُ الله عليه ، بعدَ أنْ بايَعَهُ الحسنُ والحسينُ عليهما السلام ، وَقَيْسُ بن سَعْدِ بن عُبَادَة ، ثم خَرج الحسنُ يريدُ المدينةَ ، فوَجَّهَ إليه معاويةُ وقد تجَاوَزَ في طريقِه يسأله أن يكون المُتَوَلِّيَ لمحاربتِهم ، فقال الحسنُ : والله لقد كَفَفْتُ عنك لِحَقْنِ دماء المسلمينَ ، وما أحْسِبُ ذلك يَسَعُنِي ، أَفَأُقَاتِلُ عنك قومًا أنتَ واللهِ أَوْلَى

---

(١) الزيادة من ع .

(٢) الزيادة من ع و س و د و ه .

بالقتالِ منهم ؟! فلمَّا رَجَعَ الجوابُ إليه وَجَّهَ إليهم جيشاً أَكثرُهُمْ من أهل الكوفةِ[1] ، ثم قال لأبيه أَبِي حَوْثَرَةَ : اكْفِنِي[2] أَمْرَ ابنِك ، فصار إليه أبوه فدعاه إلى الرجوعِ ، فأَبَى فأَدَارَه ، فَصَمَّمَ ، فقال له : يابُنَيَّ ! أَجيئُك بابْنِكَ فلعلك تراه فتَحِنُّ إليه ؟ فقال : يا أَبتِ ! أنَا واللهِ إلى طَعْنَةٍ نافذةٍ أَتَقَلَّبُ فيها على كُعُوبِ الرُّمحِ أَشْوَقُ مِنِّي إلى ابنِي ! فرجَع إلى معاويةَ فَأَخْبَرَهُ [الخبرَ][3] ، فقال : يا أبا حَوْثَرَة ! عَتَا هذا جِدًّا[4] ، فلما نَظَرَ حَوْثَرَةُ إلى أهلِ الكوفة قال : يا أعداءَ اللهِ ! أنتم بالأمس تُقاتلون مُعاويةَ لِتَهُدُّوا سلطانَه ، واليومَ تقاتلون مع معاوية لِتَشُدُّوا سلطانَه !! فخرجَ إليه أبوه فدعاه إلى البِرَازِ ، فقال : يا أبتِ ! لك فى غيرِى مَنْدوحةٌ ، ولِى فى غيرِك عنك مَذْهَبٌ ، ثم حَمَلَ على القوم وهو يقولُ :

أَكُرُّ على هذِى الجموعِ حَوْثَرَهْ … فَعَنْ قليلٍ مَّا تَنَالُ المَغْفِرَهْ

---

(١) فى ج و س و د و ﻫ « أكثرُه أهلُ الكوفة »

(٢) فى النسخ المذكورة « تقدم فاكفنى » .

(٣) الزيادة من ج .

(٤) بحاشية ا مانصه : « قال أبو يعقوبَ : أخبرنى أبو عِمْرَانَ بن رَبَاحٍ عن أبى بكر بن دُرَيدٍ قال : يقالُ : عَتَا الرجلُ يَعْتُو عُتُوًّا فهو عاتٍ : إذا أقدمَ على الأمرِ . قال : وأخبرنى ابن سَيْفٍ عن ابن رُسْتُمٍ الطبرىّ عن ابن السِّكِّيتِ قال : يقالُ عتَا يَعْتُو عُتُوًّا : إذا استَكبرَ ، وكذلك يَعْتُو عُتِيًّا فهو عاتٍ ، قال : والملِكُ الجبَّار عاتٍ ، وَجَبابِرَةٌ عُتَاةٌ » .

فحملَ عليه رجلٌ من طيٍّ فقتله ، فرأى أثرَ السجودِ قد لوّحَ جبهتَه ، فندِمَ على قتله ، ثم انهزمَ القومُ جميعاً .

وأنا أحسبُ أنَّ قولَ القائل :

وَأَجْرَأُ مَنْ رَأَيتُ بظَهْرِ غَيْبٍ ... على عَيْبِ الرجالِ ذوُو العُيوبِ

إنما أخذه من كلام المستوردِ .

قال رجلٌ للمستوردِ : أُرِيدُ أن أرَى رجلا عَيّاباً ، قال : التَمِسْهُ بِفَضْلِ مَعايبَ فيه .

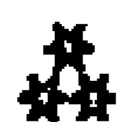
وقال العباسُ بن الأحنفِ يعاتبُ من اتهمه بإفشاء سِرِّهِ :

تَعَتَّبْتَ تَطْلُبُ ما أستَحِقُّ ... به الهجرَ منك ولا تَقْدِرُ

وماذا يَضُرُّكَ مِن شُهْرَتِي ... إذا كَانَ سِرُّكَ لا يُشْهَرُ(١)

أَمِنِّي تَخافُ انتشارَ الحديثِ ... وحَظِّيَ في سَتْرِهِ أَوْفَرُ(٢)

ولو لم تَكُنْ فِيَّ بُقْيا عليك ... نَظَرْتُ لِنَفْسِي كما تَنْظُرُ



وَيُرْوَى من حديث محمد بن كَعْبٍ القُرَظِيِّ قال : قال عَمَّارُ بن ياسِرٍ : « خَرَجْنَا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة ذاتِ العُشَيْرَةِ .

(١) في ج و س و د و هـ « وَمَاذَا يَضِيرُكَ » .

(٢) بحاشية ا مانصه : « روايةُ ابنِ شاذانَ : في سِتْرِهِ أَوْفَرُ ، بكسر السين . وفي رواية أبي الحُسينِ الْمُهَلَّبِيِّ : سَتْرِهِ ، بفتح السين » .

فلما قَفَلْنَا نزلنا مَنْزِلاً ، فخرجتُ أنا وعليٌّ بن أبي طالبٍ صلواتُ الله عليه نَنْظرُ إلى قومٍ يَعْتَمِلُونَ ، فنَعَسْنَا ، فَنِمْنَا ، فَسَفَتْ علينا الريحُ التُّرابَ ، فما نَبَّهَنَا إلاَّ كلامُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لعليٍّ : يا أبا تُرَابٍ ! لِمَا عليه من التراب ، أتَعْلَمُ مَنْ أشْقَى الناسِ ؟ فقال : خَبِّرْنِي يارسولَ الله ؟ فقال : أشْقَى الناسِ اثنانِ : أُحَمرُ ثَمُودَ الذي عقرَ الناقةَ ، وأشقاها الذي يَخْضِبُ هذه ، ووَضَعَ يدَه على لحيتِه ، مِنْ هذا ، ووضع يدَه على قَرْنِهِ[١] » .

وَيُرْوَى عن عِياضِ بن خَليفةَ الخُزَاعِيِّ قال : تَلَقَّانِي [أميرُ المؤمنينَ][٢] عليٌّ صلواتُ الله عليه في الغَلَسِ ، فقال لي : مَنْ أَنْتَ ؟ قلتُ : عياضُ بن خليفةَ الخزاعيُّ ، فقال : ظَنَنْتُك أشقاها الذي يَخْضِبُ هذه مِن هذا ، وَوَضَعَ يده على لحيتِهِ وعلى قَرْنِهِ .

---

(١) هذا مختصر من حديث رواه أحمد فى المسند (٤ : ٢٦٣) والنسائى فى خصائص علىّ (ص ٢٨ طبعة مصر) والحاكم فى المستدرك (٣ : ١٤٠ ــ ١٤١) كلهم من طريق محمد بن كعب القرظى عن محمد بن خثيم أبى يزيد عن عمار بن ياسر . وصححه الحاكم على شرط مسلم ، ووافقه الذهبى . ونقله الهيثمى فى مجمع الزوائد (٩ : ١٣٦) وقال : « رواه أحمد والطبرانى والبزار باختصار . ورجال الجميع موثقون ، إلا أن التابعى لم يسمع من عمار » . يريد الهيثمى بذلك قول البخارى : « هذا إسناد لانعرف سماع يزيد من محمد بن كعب ولا محمد بن كعب من ابن خثيم ، ولا ابن خثيم من عمار » . وذلك على قاعدة البخارى المعروفة . وأما مسلم وسائر علماء الحديث فإنهم يكتفون فى اتصال الإسناد بالمعاصرة ، كما هو معروف فى علم المصطلح . ولذلك رد الحافظ ابن حجر فى التهذيب (٩ : ١٤٨) على البخارى فقال : « قد ذكر البخارى أن محمد بن خثيم هذا ولد على عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، نقله عنه ابن منده ، وكذا ذكر البغوى ، فما المانع من سماعه من عمار . وعند ابن منده من طريق محمد بن سلمة عن ابن إسحق التصريح بسماع محمد بن كعب من ابن خثيم ، وسماع يزيد من محمد بن كعب ، فإن فى سياقه عن يزيد بن محمد بن خثيم عن محمد بن كعب قال : حدثنى أبو [يزيد] محمد بن خثيم » . فظهر بذلك صحة الحديث ، كما صححه الحاكم والذهبى .

(٢) الزيادة من ج و هـ .

وَيُرْوَى : أنه كان يقولُ كثيرًا ـ قال أبو العباسِ : أحسبُه عند الضَّجَرِ بأصحابه ـ : ما يَمْنَعُ أشقاها أن يَخْضِبَ هذه مِن هذا ؟

ويُرْوَى عن رجلٍ من ثَقِيفٍ أنه قال : خَرَجَ الناسُ يَعْلِفُونَ دوابَّهم بالمَدائِنِ ، وأرادَ عليٌّ [أميرِ المؤمنين][1] المَسيرَ إلى الشأم ، فَوَجَّهَ مَعْقِلَ بن قيس الرِّيَاحِيَّ لِيُزْجِيَهُمْ[2] إليه ، وكان ابنُ عَمٍّ لِي في آخِرِ مَنْ خَرَجَ ، فأتيتُ الحسنَ بن عليٍّ عليه السلام ذاتَ عَشِيَّةٍ ، فسألتُه أن يأخُذَ لي كتابَ أميرِ المؤمنين إلى مَعْقِلِ بن قَيْسٍ في التَّرْفِيهِ عن ابن عَمِّي ، فإنه في آخِرِ مَنْ خَرَجَ ، فقال : تَغْدُو علينا والكتابُ مختومٌ إن شاء الله تعالى ، فبِتُّ ليلتِي ، ثم أصبحتُ والناسُ يقولون : قُتِلَ أميرُ المؤمنين الليلةَ ، فأتيتُ الحسنَ ، وإذا به في دارِ عليٍّ عليه السلام ، فقال : لولا ما حَدَثَ لَقَضَيْنَا حاجَتَكَ ، ثم قال : حدثني أَبِي عليه السلام البارحةَ في هذا المسجد فقال : يا بُنَيَّ ! إنِّي صَلَّيْت ما رَزَقَ اللهُ ، ثم نِمتُ نَوْمةً ، فرأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فَشَكَوْتُ إليه ما أنا فيه من مخالفةِ أصحابِي وَقِلَّةِ رغبتِهم في الجهادِ ، فقال : ادْعُ اللهَ أن يُرِيحَكَ منهم ، فدعوتُ اللهَ ، قال الحسنُ : ثم خَرَج إلى الصلاة فكان ما قد علمتَ .

وَحُدِّثْتُ من غيرِ وَجْهٍ : أن عليًّا لَمَّا ضُرِبَ ثم دَخَل منزلَه اعترتْه غَشْيَةٌ ثم أفاقَ ، فدعا الحسنَ والحسينَ ، فقال : أُوصِيكُمَا بِتَقْوَى اللهِ والرغبةِ

---

(١) الزيادة من ج .

(٢) في ج و س و هـ « لِيُزْعِجَهُمْ » .

فى الآخرةِ، والزُّهْدِ فى الدنيا ، ولا تَاسَفَا على شىء فاتَكُمَا منها ، اعْمَلاَ الخيرَ ، وكونا للظالم خَصْمًا ، وللمظلوم عَوْنًا ، ثم دَعَا محمدًا فقال : أما سمعتَ ما أوصيتُ به أخَوَيْكَ ؟ قال : بَلَى ، قال : فإنى أوصيك به ، وعليكَ بِبِرِّ أخَوَيكَ وتوقيرِهما ومعرفةِ فَضْلِهما ، ولا تقطَعْ أمْرًا دُونَهُمَا ، ثم أقْبَلَ عليهما فقال : أوصيكما به خيرًا ، فإنه شَقِيقُكُمَا وابنُ أبيكما ، وأنتما تعلمَانِ أنَّ أبَاكُمَا كان يُحِبُّهُ ، فَأَحِبَّاهُ . فلمَّا قضَى علىٌّ كرم الله وجهَه قالتْ أُمُّ العُرْيَانِ :

وَكنَّا قَبْلَ مَهْلَكِهِ زمانًا ... نَرَى نَجْوَى رسولِ الله فِينَا

قَتَلْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المَطَايا ... وَأكْرَمَهُمْ وَمَنْ رَكِبَ السَّفِينَا

ألاَ أبْلِغْ مُعاويةَ بنَ حَرْبٍ ... فلا قَرَّتْ عُيونُ الشَّامتِينَا

وَيُرْوَى : أنَّ عبدَ الرحمن بن مُلْجَمٍ باتَ تلك الليلةَ عند الأشْعَثِ بن قَيْسِ بن مَعْدِى كَرِبَ ، وَأنَّ حُجْرَ بنَ عَدِىٍّ سمع الأشعثَ يقولُ له : فَضَحَكَ الصُّبْحُ ، فلمَّا قالوا: قُتِلَ أميرُ المؤمنين قال حُجْرُ بنُ عَدِىٍّ للأشعثِ : أنت قتلتَه يا أعْوَرُ ! وَيُرْوَى : أنَّ الذى سمع ذاكَ أخُو الأشْعَثِ ، عَفِيفُ بن قيسٍ ، وأنه قال لأخيه : عَنْ أمْرِكَ كانَ هذا يا أعورُ !

⁂

وأخبارُ الخوارجِ كثيرةٌ طويلةٌ ، وليس كتابُنا [هذا(١)] مفردًا لهم ، [و(٢)] لَكنَّا نَذكر من أمورهم ما فيه معنى وأدبٌ ، أو شعرٌ مُسْتَطْرَفٌ ، أو كلامٌ مِن خُطبةٍ معروفةٍ مختارةٍ .

---

(١) الزيادة من ج . وفى هـ « وليس هذا كتاباً » .

(٢) الزيادة من ج و س و د و هـ .

*

خَرَجَ قُرَيْبُ بن مُرَّةَ الأَزْدِيُّ وَزَحّافٌ الطائىُّ ، وكانا مجتهدَيْنِ بالبصرةِ فى أيام زِيادٍ ، واختلفَ الناسُ فِي أُمورهما ، أيُّهما كانَ الرئيسَ ، فاعترضَا الناسَ ، فَلَقِيَا شيخًا ناسكاً من بنى ضُبَيْعَةَ بن رَبيعةَ بن نِزَارٍ ، فقتلاه ، وكان يقالُ له رُؤْبَةُ الضُّبَعِيُّ ، وتَنَادَى الناسُ ، فخرج رجلٌ من بَنِي قُطَيْعَةَ من الأَزْدِ وفى يده السيفُ ، فناداه الناسُ من ظُهور البُيُوتِ : الحَرورِيَّةَ الحَرُورِيَّةَ(١) ! انجُ بنفسك ، فَنَادَوْهُ : لسنا حَرُورِيَّةً ، نَحْنُ الشُّرَطُ ، فوقف فقتلوهُ ، وَبَلَغَ أبا بِلاَلٍ خبرُهُما ، فقال : قُرَيْبٌ لاقَرَّبَهُ اللهُ من الخير ، وَزَحّافٌ لا عَفَا اللهُ عنه ، رَكِباها عَشْوَاءَ مُظْلِمَةً ، يريد اعتراضَهما الناسَ ، ثم جَعَلاَ لا يَمُرّانِ بقبيلةٍ إلا قتلا مَنْ وَجَدَا ، حتى مَرَّا ببنى عليٍّ بن سُودٍ من الأَزْدِ ، وكانوا رُماةً ، وكان فيهم مائةٌ يجيدُونَ الرَّمْىَ ، فَرَمَوْهُمْ رَمْياً شديداً ، فصاحوا : يا بنى عليٍّ ! البُقْيَا ، لا رِمَاءَ بَيْنَنَا ، فقال رجلٌ من بنى عليٍّ :

لاَشَيْءَ لِلْقَوْمِ سِوَى السِّهامِ ‏ ‏ ‏ مَشْحُوذَةً فى غَلَسِ الظَّلاَمِ (٢)

فَعَرَّدَ عنهم الخوارجُ(٣) ، وَخَافُوا الطَّلَبَ ، فاشْتَقُّوا مقْبَرَة بنى يَشْكُرَ ، حتى

---

(١) كلمة « الحرورية » ذكرت فى طبعات مصر مرة واحدة ، وهى ثابتة فى الأصول مرتين .

(٢) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : شَحَذْتُ السيفَ والسهمَ ، أَشْحَذهُ شَحْذاً : إذا جَلَوْتَهُ ، فهو مَشْحُوذٌ » .

(٣) بحاشية ا مانصه : « قال ابنُ شاذانَ : قال أبو عُمَرَ : تقولُ : عَرَّدَ الرجلُ =

نَفَذُوا إلى مُزَيْنَةَ ، ينتظرون مَن يَلْحَقُ بهم من مُضَرَ وغيرِها ، فجاءهُمْ ثمانون ، وخرجتْ إليهم بنو طَاحِيَةَ بن سُودٍ وقبائلُ مُزَيْنَةَ وغيرُها ، فاسْتَقْتَلَ الخوارجُ[١] فقُتلوا عن آخرِهِمْ ، ثم غَدَا الناسُ إلى زيادٍ فقال : ألاَ يَنْهَى كلُّ قومٍ سُفهاءَهُمْ ؟ يا معشرَ الأَزْدِ لولا أنكم أطفأتم هذه النارَ لقلتُ إنَّكمْ أرَّثْتُمُوها[٢] ، فكانت القبائلُ إذا أَحَسَّتْ بخَارجِيَّةٍ فيهم شَدَّتْهُمْ [وَثَاقًا[٣]] وأَتَتْ بهم زيادًا . فكان هذا أحَدَ ما يُذْكَرُ من صحة تدبيره .

وله أُخْرَى فى الخوارجِ : أَخْرَجُوا معهم امرأةً ، فظَفِرَ بها فقتلَها ، ثمَّ عَرَّاهَا . فلم تَخْرُجِ النساء بعدُ على زيادٍ ، وكنَّ إذا دُعِينَ إلى الخروج قُلْنَ : لولا التعريةُ لسارَعْنا .

وَلَمَّا قَتَلَ مصعبُ بنُ الزُّبَيْرِ بنتَ النُّعْمَانِ بنِ بَشِيرٍ الأنصارية امرأةَ المُخْتارِ ، وليس هذا من أخبارِ الخوارِجِ ـ : أنكره الخوارجُ غايةَ الإنكارِ ، وَرَأَوْهُ قد أَتَى[٤] بقتلِ النساء أمرًا عظيماً ، لأنَّهُ أَتَى ما نَهَى عنه رسولُ الله

= تَعْرِيداً : إذا عدَا فَزَعًا ، فهو مُعَرِّدٌ . وبها سُمِّيَتِ العَرَّادَةُ ، لأنها تُعَرِّدُ بالحَجَرِ ، أى : تَرمِى به المَرْمَى البَعِيدَ » .

(١) فى ج و س و د و هـ « فَاسْتُقْبِلَ الخَوَارِجُ » .

(٢) بحاشية ا ما نصه : « ابنُ شاذانَ : قال أبو زيدٍ : أَرَّثْتُ النارَ : أَوْقَدْتُهَا . ويقال : أَرَّثْتُ بَيْنَهُمْ ، أى : أَفْسَدتُ » .

(٣) الزيادة من ج و س و د و هـ .

(٤) فى ج « أنكره الخوارجُ عليه أَشَدَّ الإِنْكَارِ وَرَأَوْا أنه قد أَتَى » .

صلى الله عليه وسلم فى سائرِ نساء المشركين . ولِلْخَوَاصِّ منهنَّ أخبارٌ ، فقال عمرُ بن عبدِ الله بن أبي رَبيعةَ :

إنَّ مِنْ أعْظَمِ الـكبائرِ عندِى قتـــلَ حَسْنَاءَ غَادَةٍ عُطْبُولِ

قُتِلَتْ باطلاً على غَـــيرِ ذَنْبٍ إن لِلهِ دَرَّهَا مِنْ قَتِيلِ(١)

كُتِبَ القتلُ والقتالُ علينا وعلى الُمحْصَنَاتِ جَـــرُّ الذُّيُولِ(٢)

⁂

قال : وكانت(٣) الخوارجُ أيامَ ابنِ عَامِرٍ أخرجوا معهم امرأتين ، يقال لإحداهما كُحَيْلَةُ ، والأخرى قَطَامِ ، فجعل أصحابُ ابنِ عامرٍ يُعَيِّرُونَهُمْ

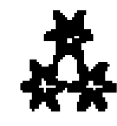
(١) بحاشية ا مانصه : « قال الشيخُ أبو يعقوبَ : حدثنى ابنُ شاذانَ عن أبى عمرَ [عن] ثَعْلَبٍ قال : يقالُ : امرأةٌ غَادةٌ ، وهى الرَّخْصَةُ . الُمهَلَّبِيُّ : جَارِيَةٌ عُطْبُولٌ تَامَّةُ الخَلْقِ . وقال الُمهَلَّبِيّ : قَوْلُهُمْ : لِلهِ دَرُّكَ ، معناهُ : لِلهِ صالحُ عَمَلِكَ ، لأنَّ الدَّرَّ أفضلُ مَا يُحْتَلَبُ . يقالُ : دَرَّ الضَّرْعُ يَدِرُّ دَرًّا وَدُرُورًا . وَالدَّرّ اللَّبَنُ بعينهِ » .

(٢) فى ج و س و د و هـ « وعلى الغاليات » وبحاشية ج « ويروى : على المحصنات» وبحاشية ا مانصه : «قال أبو الحسين الُمهَلَّبِيُّ : يقالُ : أَحْصَنَ الرجلُ فهو مُحْصَنٌ ، وَأَحْصَنَتِ المرأةُ فهى مُحْصَنَةٌ ، وَامْرَأَةٌ حَصَانٌ ، بفتح الحاء ، أى : عَفِيفَةٌ . قال : وهذا أحدُ ماجاء على أَفْعَلَ فهو مُفْعَلٌ ، قالوا : أَحْصَنَ فهو مُحْصَنٌ ، وَأَلْفَجَ فهو مُلْفَجٌ : إذا قَلَّ مالُه ، وَأَسْهَبَ مِن لَدْغِ الحيَّةِ فهو مُسْهَبٌ ، وهو ذهابُ العقلِ . قال : وليس فى كلامهم أَفْعَلَ فهو مُفْعَلٌ غيرُ هذه الثلاثةِ أَحْرُفٍ » .

(٣) فى ج و س و د و هـ « وكان » .

و يَصيحون بهم : يا أصحابَ كُحَيْلَةَ وقَطامِ ! يُعَرِّضون لهم بالفجورِ ، فتناديهم الخوارجُ بِالدَّفْعِ وَالرَّدْعِ ، ويقولُ قائلهم : لاَتَقْفُ ما ليس لك به علمٌ .

و يُرْوَى عن ابن عباسٍ فى هذه الآية : ﴿ وَالَّذِينَ لاَ يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإذا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا(١) ﴾ قال : أعيادَ المشركين . وقال ابنُ مسعودٍ : الزُّورُ : الغِناء(٢) فقيلَ لابن عباسٍ : أَوَ ما هذا فى الشهادةِ بالزُّور ؟ فقال : لا ، إنما آيةُ شهادةِ الزُّورِ : ﴿ وَلاَ تَقْفُ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ، إِنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤَادَ كلُّ أُولَئِكَ كَانَ عنه مَسْؤُولا ﴾(٣) .



عاد الحديثُ إلى أمْرِ الخوارجِ .

وكان(٤) من المجتهداتِ من الخوارج ، ولو قُلتَ : من المجتهدين ، وأنت

---

(١) سورة الفرقان آية ٧٢

(٢) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : الزُّورُ والزُّونُ : كلُّ شيءٍ يُتَّخَذُ رَبًّا وَيُعْبَدُ مِن دُونِ الله تعالى . وَزَوَّرْتُ الكلامَ تَزْوِيرًا : إِذَا قَوَّيْتَهُ . وبه سُمِّيَ الكلامُ الزُّورُ ، لأنه يُزَوَّرُ ، أى : يُسَوَّى ثم يُتَكَلَّمُ به ، وكذلك شهادةُ الزُّورِ ، لأنَّه يُقَوِّيها وَيُشَدِّدُها ، وزعموا أنه فارسيٌّ مُعَرَّبٌ ، لأن الزُّورَ بالفارسية : القُوَّةُ . وقال أبو عُبيدةَ : هو مأخوذٌ من الزَّوَرِ ، وهو القَوِيُّ الشديدُ » .
وانظر المعرب للجواليقى فى مادتى « الزور » و « الزون » طبعة دار الكتب المصرية بتحقيقنا ، وما كتبنا عليه هناك (ص ١٦٥ — ١٦٦) .

(٣) سورة الإسراء آية ٣٦

(٤) فى ج و د و هـ « وكانت » .

تَعْنِى امرأةً ـ : كان أفصحَ ، لأنك تريدُ رجالاً ونساءً هى إحداهم ، كما قال اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ[1]﴾ وقال جلَّ ثناؤه : ﴿إِلَّا عَجُوزاً فِى الْغَابِرِينَ[2]﴾ . منهم[3] البَلْجَاء[4] ، وهى امرأةٌ من بنى حَرامِ بن يَربوعِ بن حَنْظلةَ بن مالكِ بن زيدِ مَناةَ بن تَميمٍ ، من رهط سَجاحِ ، التى كانت تَنبّأتْ ، وسنذكُرُ خبرها فى موضعه إن شاء الله . وكان مِرْداسُ بن حُدَيْرٍ أبو بلال ، وهو أحدُ بنى رَبيعةَ بن حَنْظَلَةَ تُعْظِمهُ الخوارجُ ، وكان مجتهداً كثيرَ الصواب فى لفظه ، فلَقِيه غَيْلانُ بن خَرَشَةَ الضَّبِّىُّ ، فقال : يا أبا بلالٍ ! إنّى سمعتُ الأميرَ البارحةَ عُبَيْدَ الله بن زيادٍ يذكر البلجاء ، وأحْسِبُها ستؤخذُ ، فمضَى إليها أبو بلالٍ ، فقال لها : إنَّ الله قد وَسَّعَ على المؤمنين فى التَّقِيَّةِ . فاستَتِرِى ؛ فإنَّ هذا المُسْرِفَ

---

(١) سورة التحريم آية ١٢ وقوله « بكلمات » كتب فى ج « بكلمتِ » فإما أنها على رسم المصحف ، وإما أنها على قراءة الإفراد، وهى قراءة مجاهد والجحدرى ، كما فى القراءات الشاذة لابن خالويه (ص ١٥٩) . وقوله « وكتبه » فى ا « وكتابه » بالإفراد ، وهى قراءة أكثر القراء ، فان قراءتها « وكتبه » بالجمع قراءة أبى عمرو وحفص ويعقوب ، وقرأ باقى الأربعة عشر بالإفراد . كما فى إتحاف فضلاء البشر (ص٤١٩) .

(٢) سورة الشعراء آية ١٧١ ، وسورة الصافات آية ١٣٥

(٣) منهم يعنى : من المجتهدين من الخوارج .

(٤) بحاشية ا ما نصه : « ابنُ شاذانَ : قال أبو زيدٍ : الأبْلَجُ من الرجالِ : الذى ليس بمقرونِ الحاجِبَيْنِ ، والمرأةُ بَلْجَاء . وقال ابنُ الأعرابىّ : البَلَجُ : ابيضاضُ ما بين الحاجبين وَنقاؤُه . رجلٌ أبْلَجُ وامرأةٌ بَلْجَاء ، والاسمُ البُلْجَةُ » .

على نفسِه الجبارَ العنيدَ[١] قد ذَكرَكِ ، قالت : إنْ يأْخُذْنِي فهو أشْقَى[٢] بي ، فأمَّا أنا فما أُحِبُّ أن يُعْنَتَ إنْسَانٌ بسببي ، فوَجَّهَ إليها عبيدُ الله بن زيادٍ فأُتِيَ بها فقَطعَ يديها ورجليها ورَمَى بها في السُّوقِ ، فمَرَّ أبو بلالٍ والناسُ مجتمعون ، فقال : ما هذا ؟ فقالوا : البَلْجَاءُ ، فعَرَّجَ إليها[٣] فنظَرَ ، ثمَّ عَضَّ على لِحْيَتِهِ ، وقال لنفسه : لَهذه أطيبُ نفسًا عن بقيةِ الدنيا منكَ يامرداسُ .

ثمَّ إنَّ عُبيد الله تتبَّع الخوارجَ فحبسهم ، وحبس مِرْدَاساً ، فرَأَى صاحبُ السِّجن شِدَّةَ اجتهادِهِ وحلاوة منطِقِه . فقال له : إنِّي أرَى لك مذهبًا حسنًا ، وإنِّي لأُحِبُّ أن أُولِيَكَ معروفًا ، أفرَأيتَ إنْ ترَكتُكَ تَنْصَرِفُ ليلاً إلى بيتِكَ ، أتَدَّلِجُ[٤] إليَّ ؟ قال : نعم . فكان يفعلُ ذلك به ،

---

(١) بحاشية ا ما نصه : « ابنُ شاذانَ : يقال رَجلٌ عَنِيدٌ : إذا خالف الحقَّ ، وعانَدَ الرجلُ الرجلَ معانَدَةً وعِنادًا : إذا خالفه . والعَنَدُ : مَيْلُكَ عن الشيء ، عَنَدَ عُنُودًا ، وطَرِيقٌ عاندٌ : مائِلٌ ، ونَاقَةٌ عَنودٌ ، والجمعُ عُنُدٌ وعُنَّدٌ : إذا تَنَكَّبَتِ الطريقَ من نَشاطها . فَصَلُوا بين العَنِيدِ والْعَنُودِ » .

(٢) « أشقى » كتبت في الأصول « أشقا » على الرسم القديم . وفي ع و س و د « أشقا به » وفي هـ « أشقا له » .

(٣) بحاشية ا ما نصه : « ابنُ شاذانَ : تقول : عَرَّجْتُ على فلانٍ ، أي : عطفتُ عليه ، والمصدر التَّعْرِيجُ » .

(٤) بحاشية ا ما نصه : « ابنُ شاذانَ : قال أبو عُمَرَ : الدَّلَجُ : سَيْرُ الليل ، وله موضعانِ ، يقال : ادَّلَجَ القومُ : إذا ساروا من آخر الليل ، وأَدْلَجَ القومُ : إذا قطعوا الليلَ كلَّه سيرًا . وقال أبو يعقوبَ : وأخبرني ابنُ سَيْفٍ عن ابن رُسْتُمٍ الطبريِّ عن ابن السِّكِّيتِ =

ولَجّ عُبيدُ الله فى حبس الخوارج وقتلِهِمْ ، فكُلِّمَ فى بعض الخوارِج فلَجَّ وأَبَى ، وقال : أَقمَعُ النِّفاقَ قبل أن يَنْجُمَ[1] ، لَكَلامُ هؤلاء أَسْرَعُ إلى القلوبِ من النارِ إلى اليَرَاعِ[2] ، فلما كان ذاتَ يوم قتَلَ رجلٌ من الخوارج رجلاً من الشُّرَط ، فقال ابنُ زيادٍ : ما أَدْرِى ما أصنعُ بهؤلاء ، كُلَّما أمرتُ رجلاً بقتل رجلٍ منهم فتَكُوا بقاتِلِه ؟ ! لَأَقْتُلَنَّ مَنْ فى حَبْسِي منهم ، فأخرجَ السجّانُ مِرْداساً إلى منزله كما كان يفعلُ ، وَأَتَى مرداساً الخبرُ ، فلما كان السَّحَرُ تَهَيَّأَ للرجوع ، فقال له أهلُه : اتَّقِ اللهَ فى نفسك ، فإنك إن رَجَعْتَ قُتِلْتَ ، فقال : إنِّى ما كنتُ لِأَلْقَى الله غادِراً ! فرجَعَ إلى السجّانِ ، فقال : إنى قد علمتُ ما عزَمَ عليه صاحبُك ، فقال : أعلمتَ وَرَجَعْتَ ؟!

ويُرْوَى : أنَّ مرداساً مَرّ بأعرابىٍّ يَهْنَأُ بعيراً[3] له ، فهَرِجَ البعيرُ[4] ،

= قال : يقال : أَدْلَجتُ : إذا سِرْتَ الليلَ كلَّهُ ، والمصدرُ الإِدْلاَجُ وَالدُّلْجَةُ ، وَادَّلَجْتُ : إذا سِرْتَ من آخِرِ الليلِ ، وهى الدُّلْجَةُ وَالِادِّلاَجُ » .

(١) فى ج « أَقْمَعِ النِّفَاقَ » ومعنى « ينجم » يطلع ويظهر، من باب « قعد » وفى ج «ينجِم» بكسر الجيم ، وهو خطأ .

(٢) بحاشية ا ما نصه : « المُهَلَّبِيُّ : اليَرَاعُ : القَصَبُ ، الواحدةُ يَرَاعَةٌ » .

(٣) أى : يطليه بالهناء — بكسر الهاء وبالمدّ — وهو القطران . يقال «هَنَأَ البعيرَ يَهْنَؤُهُ وَيَهْنِئُهُ وَيَهْنُؤُهُ» بفتح النون وبكسرها وبضمها . قال الزجاج : « لم نَجِدْ فيما لامه همزةٌ فَعَلْتُ أَفْعُلُ إلاَّ هَنَأْتُ أَهْنُؤُ ، وَقَرَأْتُ أَقْرُؤُ » . كذا فى اللسان .

(٤) بحاشية ا ما نصه : « المُهَلَّبِيُّ : هَرِجَ الرجلُ يَهْرَجُ هَرَجًا : إذا أَخَذَهُ البُهْرُ من حَرٍّ أو مَشْيٍ » .

فسقط مرداسٌ مغشيًّا عليه ، فظنّ الأعرابىُّ أنه قد صُرِعَ ، فقرأ فى أُذُنِه ، فلمّا أفاق قال له الأعرابىُّ : قرأتُ فى أُذُنِكَ ، فقال له مِرْداسٌ : ليس بِي ما خِفْتَهُ علىّ ، ولكنّى رأيتُ بعيرَكَ هَرِجَ من القَطِرانِ ، فذكرتُ به قَطِرانَ جهنمَ ، فأصابنى ما رأيتَ ، فقال : لا جَرَمَ والله لا فارَقْتُكَ أبداً .

وكان مرداسٌ قد شَهِدَ صِفّينَ مع علىّ بن أبى طالبٍ صلوات الله عليه ، وأنكر التّحكيمَ ، وشهد النَّهْر ، ونَجَا فيمن نجا،فلمّاخرج من حبس ابنِ زيادٍ ورأى جدّ ابن زيادٍ فى طلب الشُّرَاة عَزَمَ على الخروج ، فقال لأصحابه : إنه والله مايَسَعُنا المُقامُ بينهؤلاء الظالمينَ ، تجرى علينا أحكامُهم،مُجانِبينَ للعدل ، مفارقين للفَصْلِ[1] ، والله إنّ الصبرَ على هذا لعظيمٌ،وإنّ تجريدالسيفِ وإخافَةَ السبيل لَعظيمٌ ، ولكنّا نَنْتَبِذُ عنهم[2] ، ولا نُجرِّدُ سيفاً ، ولا نقاتلُ إلاّ مَنْ قاتَلنا،فاجتمع إليه أصحابهزُهاءَ ثلاثينَ رجلاً ،منهمحُرَيْثُبن حَجْلٍ ،وكَهْمَس بن طَلْقٍ الصَّرِيمىُّ ، فأرادوا أن يُوَلُّوا أمرَهم حُرَيْثاً ، فأَبى فوَلَّوْا أمرَهم مِرْداساً ، فلمّا مضى بأصحابه لَقِيه عبدُ الله بن رَبَاحٍ[3] الأنصارىُّ ، وكان له

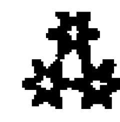
---

(١) بحاشية ا ما نصه : « قال الخليلُ : الفَصْلُ : القضاءُ بين الحقّ والباطلِ ، واسمُ ذلك القضاء الذى يَفْصِلُ بينهما فَيْصَلُ » .

(٢) بحاشية ا ما نصه : « ابنُ شاذانَ : يقال : فى أرضِ بنى فلانٍ نَبْذٌ من بنى فلانٍ أى : فِرَقٌ يسيرةٌ » .

(٣) « رباح بفتح الراء وتخفيف الباء الموحدة . وفى س و د و ه « رياح» بكسر الراء وبالياء التحتية المثناة ، وهو خطأ . وعبد الله بن رباح هذا مدنى تابعىّ ثقة ، سكن البصرة ، ومات فى حدود سنة ٩٠ وله ترجمة فى التهذيب .

صديقاً ، فقال له :[يأخِي(١)] أين تريد ؟ قال : أريد أن أَهْرُبَ بديني وأَدياذَ أصحابي من أحكامِ هؤلاء الجَوَرَةِ(٢) ، فقال له : أَعَلِمَ بكم أحدٌ ؟ قال :لا ، قال : فارجعْ ، قال : أوَ تخافُ عليَّ مكروهاً ؟ قال : نعم ، وأن يُؤْتَى بك ، قال : فلا تخَفْ ، فإني لا أُجرِّدُ سيفاً ، ولا أُخيفُ أحداً ، ولا أقاتلُ إلاَّ مَن قاتلني ، ثم مَضَى حتى نزلَ آسَكَ ، وهو ما بين رامَهُرْمُزَ وَأَرَّجَانَ ، فمرَّ به مالٌ يُحْمَلُ لابن زيادٍ ، وقد قاربَ أصحابُهُ الأربعينَ ، فَحطَّ ذلك المالَ فأخذَ منه عَطَاءهُ وأَعْطياتِ(٣) أصحابه ، وردَّ الباقِيَ على الرُّسُلِ ، وقالَ : قولوا لصاحبكم: إنما قبَضْنا أَعْطِياتِنا ، فقال بعضُ أصحابه : فعلامَ نَدعُ الباقِيَ ؟ فقال : إنهم يَقْسِمُونَ هذا الفيء كما يُقيمون الصلاةَ فلا نقاتلهم .



ولأبي بلالٍ أشعارٌ في الخروج اخترتُ منها قولَه :

أَبَعْدَ ابنِ وَهْبٍ ذي النَّزَاهةِ والتُّقَى ... وَمَن خاضَ في تلك الحروب المهالِكا

(١) الزيادة من ج و س و د و هـ .

(٢) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : الجوْرُ : ضدُّ القَصْدِ . جارَ عن الطريق : إذا مالَ ، وجارَ الحاكمُ : مال عن الحق . ويقولون : طَريقٌ جَوْرٌ : كما يقولون جائرٌ . وَرَجُلٌ جَوْرٌ ، أي : جائرٌ . وكذلك : رَجُلٌ زَوْرٌ ، في معنى زائرٍ ، وَنَوْمٌ ، في معنى نائمٍ ، ودومٌ ، في معنى دائمٍ ».

(٣) في ج س و د و هـ « وأعطية » .

أُحِبُّ بَقَاءً أو أُرَجِّي سَلامةً ... وقَد قَتَلُوا زيدَ بن حِصْنٍ ومالِكَا

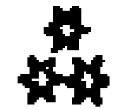
فيا رَبِّ سَلِّمْ نِيَّتِي وَ بَصِيرتى ... وَهَبْ لى التُّقى حتى أُلَاقِيَ أولٰئِكَا

قوله : « وقد قتَلُوا » ولم يذكر أحدًا ، فإنما فَعل ذلك لعلْمِ الناسِ أنه يَعْنِي مُخالفيه ، وإنما يحتاجُ الضميرُ إلى ذِكْرٍ قبلَه لِيُعْرَفَ ، فلو قال رجلٌ : ضربتُه ، لم يَجُزْ ، لأنه لم يذكر أحدًا قبل ذكره الهاءَ ، ولو رأيتَ قومًا يلتمسون الهلالَ فقال قومٌ[1] : هذا هو ، لم يَحْتَجْ إلى تَقْدِمَةِ الذكرِ ؛ لأن المطلوبَ معلومٌ ، وعلى هذا قال عَلْقَمَةُ بن عَبَدَةَ فى افتتاحِ قصيدته :

هل ما عَلِمْتَ وما اسْتُودِعْتَ مَكتومُ ... أم حَبْلُهَا إذْ نَأتْكَ اليومَ مَصرومُ

لأنه قد عُلِمَ أنه يريدُ حبيبةً له .

وقوله : « حتّى أُلَاقِى » ولم يُحَرِّكِ الياء فقد مضى شرحُه مستقصًى[2] .



ويُروى : أن رجلا من أصحاب ابن زيادٍ قال : خرجنا فى جيشٍ نُريدُ خُرَاسانَ ، فمررنا بِآسَكَ ، فإذا نحن بهم ستةٌ وثلاثين رجلاً ، فصاح بنا أبو بلال : أقاصدون لقتالنا أنتم ؟ وكنتُ أنا وأخِي قد دخلنا زَرْبًا ، فوقف أخِي ببابه فقال : السلام عليكم ، فقال مِرْدَاسٌ : وعليكم السلام ، فقال لأخى : أجئتم لقتالنا ؟ فقال له : لا ، إنما نريد خُراسانَ ، قال : فأَبْلِغُوا مَن لَقِيَكُمْ

(١) فى ج و س و د و ه « فقال قائل » .
(٢) فى الجزء الثانى (ص ٢٢٨) .

أنَّا لم نخرُجْ لِنُفسِدَ فى الأرض ، ولا لِنُرَوِّعَ أحدًا[1] ، ولـكنْ هَرَبًا من مِنَ الظُّلم ، ولسنا نقاتلُ إلاَّ مَن يقاتلُنا ، ولا نأخُذُ من الفَىْءِ إلاَّ أعْطِيَاتِنا ، ثم قال : أنُدِبَ إلينا أحدٌ ؟ قلنا : نعم ، أسْلَمُ بن زُرْعَةَ الكِلاَبِىُّ ، قال : فمتى تُرَوْنَهُ يَصِلُ إلينا ؟ قلنا : يومَ كذا وكذا ، فقال أبو بلالٍ : حسبنا اللهُ ونعم الوكيلُ .

وَجَهَّزَ عُبَيْدُ الله أسْلَمَ بنَ زُرْعَةَ فى أسرع وقتٍ ، ووجَّهه إليهم فى ألفين ، وقد تتامَّ أصحابُ مِرْدَاسٍ أربعين رجلاً ، فلما صار إليهم أسْلَمُ صاح به أبو بلالٍ : اتَّقِ اللهَ يا أسلم ؛ فإنَّا لانريدُ قتالاً ، ولا نَحْتَجِنُ فَيْئاً ، فما الذى تريدُ ؟ قال : أريد أن أرُدَّكُمْ إلى ابن زيادٍ ، قال مرداسٌ : إذًا يَقتُلَنا ، قال : وَإنْ قَتَلَكُمْ ! قال : تَشْرَكُهُ فى دمائنا ؟ قال : إنِّى أَدِينُ [اللهَ[2]] بأنه مُحِقٌّ وأنكم مبطلون ، فصاح به حُرَيْثُ بن حَجْلٍ : أهو مُحِقٌّ وهو يُطيعُ الفَجَرَةَ ، وهو أحدُهم ، ويَقتُلُ بِالظِّنَّةِ ، وَيَخُصُّ بالفَىْءِ ، وَيَجُورُ فى الحكمِ ؟! أما علمتَ أنه قتَلَ بابنِ سُعَادَ أربعةً بُرَآءَ ، وأنا أحَدُ قَتَلَتِهِ ، ولقد وَضَعْتُ فى بَطْنِهِ دراهمَ كانت معه ؟! ثم حملوا عليه حَمْلَةَ رجلٍ واحدٍ ، فانهزم هو وأصحابُه من غيرِ قتالٍ ! وكان مَعْبَدٌ ـ أحدُ الخوارج ـ

---

(١) بحاشية ا ما نصه : « ابنُ شاذانَ : يقالُ : رُعْتُ الرجُل أرُوعُهُ رَوْعًا ، وَرَوَّعْتُهُ ترويعاً : إذا فزَّعْتَهُ » .

(٢) الزيادة من د و س و هـ .

قد كاد يأخُذُهُ . فلما وَرَدَ على ابن زيادٍ غضب عليه غضباً شديداً ، وقال : وَيلكَ ! أتمضي في ألفين فتنهزمُ لحملةِ أربعين ؟! وكان أسْلَمُ يقولُ : لَأَنْ يَذُمَّني ابنُ زيادٍ حَيًّا أحبُّ إليّ من أن يَمْدَحَني مَيِّتاً !! وكان إذا خرج إلى السوق أو مَرَّ بصبيانٍ صاحوا به : أبو بلالٍ وراءكَ !! وربّما صاحوا به : يا مَعْبَدُ خُذْهُ !! حتى شَكاَ ذلك إلى ابن زيادٍ ، فأمر ابنُ زيادٍ الشُّرَطَ أن يَكُفُّوا الناسَ عنه ، ففي ذلك يقولُ عيسى بنُ فاتِكٍ ، من بني تَيْمِ اللاتِ بن ثَعْلَبَةَ[1] ، في كلمةٍ له :

فلمَّا أصبحوا صَلَّوْا وقاموا إلى الجُرْدِ العِتَاقِ مُسَوَّمِينا[2]
فلما اسْتَجْمَعُوا حَمَلُوا عليهم فَظَلَّ ذَوُو الجَعَائِلِ يُقْتَلُونَا
بَقِيَّةَ يومهم حتى أتاهم سوادُ اللَّيْلِ فيه يُرَاوِغُونا
يقولُ بَصِيرُهم لمَّا أتاهُمْ بأَنَّ القَوْمَ وَلَّوْا هارِبِينَا
أأَلْفَا مؤمنٍ فيما زَعَمْتُمْ وَيَهْزِمُهُمْ بِآسَكَ أربعونا
كذبتم ليس ذاكَ كما زَعمتم ولكنَّ الخوارِجَ مُؤْمنونا

(١) هـذا الشاعر سماه ياقوت في معجم البلدان في مادة « آسك » « عيسى بن فاتك الخطى » وقال المرزباني في معجم الشعراء (ص ٢٥٨) « عيسى بن عاتك الخطى ، عاتك أمه ، وهو عيسى بن حدير ، أحد بني وديعة بن مالك بن تيم اللات بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل ، أحد شعراء الخورج » .

(٢) بحاشية ا ما نصه : « ابنُ شاذانَ : يقال : سَامَ الرجلُ ماشيتَهُ يَسُومُهَا سَوْمًا وَسَوَّمَهَا : إذا رَعاهَا ، فالماشيةُ سَائِمَةٌ ، والرجُلُ مُسِيمٌ ، ولم يقولوا ، سَائِمٌ : خَرَج هذا عن القياسِ » .

هُمُ الفِئَةُ القليلةُ غَـيْرَ شَكٍّ على الفِئَةِ الـكثيرةِ يُنْصَرُونَا

ثم نَدَبَ لهم عبيدُ الله بن زيادٍ الناسَ ، فاختارَ عَبَّادَ بن أخْضَرَ ، وليس بابنِ أخضَرَ ، هو عَبَّادُ بنُ عَلْقَمَةَ المـازنىُّ ، وكانَ أخْضَرُ زوجَ أُمِّهِ ، فغَلَبَ عليه ، فوجَّهه فى أربعة آلافٍ ، فَنَهَدَ لهم ، ويزعم أهلُ العلمِ أنَّ القومَ قد كانوا تَنَحَّوْا عن دَرَا بجَرْدَ[١] من أرضِ فارسَ ، فصار إليهم عَبَّادٌ ، وكان التِقَاؤهُمْ فى يوم جمعةٍ ، فناداه أبو بلالٍ : اخرجْ إلىَّ يا عَبَّادُ ، فإنِّى أُريد أن أُحاوِرَكَ ! فَخَرَجَ إليه ، فقال : ما الذى تَبْغِي ؟ قال : أن آخُذَ بأقفائكم فأرُدَّكُمْ إلى الأميرِ عُبيدِ الله بن زيادٍ ! قال : أوغيرَ ذلك ؟ قال : وما هو ؟ قال : أن ترْجعَ ، فإنّا لا نُخيفُ سَبيلاً ، ولا نَذْعَرُ مسلمًا ، ولا نحاربُ إلاَّ مَنْ حَارَبَنَا ، ولا نَجْـبِي إلاَّ مَا حَمَيْنَا ، فقال له عَبَّادُ : الأمرُ ما قلتُ لك ، فقال له حُرَيْثُ بن حَجَلٍ : أتحاوِلُ أن تَرُدَّ فِئَةً من المسلمين إلى جَبّارٍ عَنِيدٍ ؟ قال لهم : أنتم أوْلَى بالضَّلالِ منه ، وما مِن ذاك بُدٌّ .

وَقَدِمَ القَعْقَاعُ بنُ عَطِيَّةَ الباهليُّ من خُراسانَ يريدُ الحَجَّ ، فلما رأى الجَمْعَيْنِ قال : ماهذا ؟ قالوا : الشُّرَاة ، فَحَمَلَ عليهم ، وَنَشِبَتِ الحربُ ، فأُخِذَ القعقاعُ أسيراً ، فَأُتِىَ به أبو بلالٍ ، فقال : ما أنتَ ؟ قال : لستُ من أعدائِكَ ، وإنما قدمتُ للحجِّ فَجَهِلْتُ وَغُرِرْتُ ! فَأَطْلَقَهُ ، فَرَجَعَ إلى عبَّادٍ فأصلح من شأنه ، ثم حَمَلَ عليهم ثانيةً ، وهو يقولُ :

---

(١) فى ج و هـ « درا بجَرْد » . وفى س و د « دراب جَرْد » . وانظر المعرب للجواليقى بتحقيقنا (ص ١٥٣ — ١٥٤ طبعة دار الـكتب) .

أُقَاتِلهُمْ وليس عليٌّ بَعْثٌ ... نَشَاطاً ليس هذا بالنَّشَاطِ
أَكُرُّ على الحَرُورِيِّينَ مُهْرِي ... لأَحْمِلَهُمْ على وَضَحِ الصِّرَاطِ

فَحَمَلَ عليه حُرَيْثُ بنُ حَجْلٍ السَّدُوسِيُّ وَكَهْمَسُ بن طَلْقٍ الصَّرِيمِيُّ، فأَسَرَاهُ فَقَتَلاَهُ، ولم يأتيا به أبا بلالٍ، فلم يزل القومُ يَجْتَلِدُونَ حتى جاء وقتُ الصلاةِ، صلاةِ يوم الجمعةِ، فناداهُمْ أبو بلالٍ: ياقومُ! هذا وقتُ الصلاةِ، فوادِعُونا حتى نُصَلِّيَ وَتُصَلُّوا، قالوا: لك ذاك، فرمىَ القومُ أجمعون أسلحتَهم وعَمَدُوا إلى الصلاةِ، فأسرع عبَّادٌ ومَن معه والحرورية مُبْطِئُونَ، فهم من بين راكعٍ وقائمٍ وساجدٍ في الصلاةِ وقاعدٍ، حتى مال عليهم عَبَّادٌ ومن معه فقتلوهُمْ جميعًا، وَأَتَى برأسِ أبي بلالٍ[1].

وَتَرْوِي الشُّرَاةُ: أن مِرْداساً أبا بلالٍ لَمَّا عقَدَ على أصحابه وعزَمَ على الخروج رفع يديه وقال: اللَّهم إن كان ما نحن فيه حقًّا فأرنا آية، [قال[2]]: فَرَجَفَ البيتُ. وقال آخرون: فارتفع السقفُ.

فَرَوَى أهلُ العلم: أن رجلاً من الخوارجِ ذَكَر ذلك لأبي العالية الرِّيَاحيِّ يُعَجِّبُهُ من الآية، وَيُرَغِّبه في مذهب القوم، فقال أبو العالية: كادَ الخسفُ يَنْزِلُ بهم ثم أدركتهم نَظْرَةُ[3] الله.

---

(١) وكانت هذه الوقعة غدراً فاجراً.

(٢) الزيادة من ج و س و هـ.

(٣) بحاشية ١٠ ما نصه: « قال الخليل: النَّظْرَةُ: عَيْنُ الجِنِّ تُصِيبُ الإنسانَ، =

فلما فَرَغ من أولئك الجماعةِ أَقْبَلَ بهم فَصُلِبَتْ رُؤُوسُهُمْ ، وفيهم دَاوُودُ بن شَبَثٍ ، وكان ناسكاً ، وفيهم حبيبةُ النَّصْرِيُّ من قَيْسٍ وكان مجتهداً .

فَيُرْوَى عن عِمْرانَ بن حِطَّانَ : أنه قال : قال لى حَبِيبَةُ : لما عزمتُ على الخروج فَكَّرْتُ فى بناتِى ، فقلتُ ذاتَ ليلةٍ : لَأُمْسِكَنَّ عن تَفَقُّدِهِنَّ[1] حتى أَنْظُرَ ، فلما كان فى جوفِ الليل استسقتْ بُنَيَّةٌ لى ، فقالت : يا أَبَةِ اسقِنِى ، فلم أُجِبها ، فأعادتْ ، فقامتْ أُخَيَّةٌ لها أَسَنُّ منها فَسَقَتْها ، فعلمتُ أنَّ اللهَ عزَّ وجَلَّ غيرُ مُضَيِّعِهِنَّ ، فَأَتْمَمتُ عزمى .

وكان فى القوم كَهْمَسٌ ، وكان من أَبَرِّ الناسِ بِأُمِّهِ ، فقال لها : يا أُمَّةِ[2] ! لولا مكانُكِ لخرجتُ ، فقالت : يا بُنَيَّ ! قد وهبتُكَ لله ، ففى ذلك يقولُ عيسى بنُ فَاتِكٍ الحَبَطِيُّ[3] :

أَلاَ فِى اللهِ لا فى النَّاسِ شالتْ ... بِدَاوُودٍ وَإِخْوَتِهِ الجُذُوعُ
مَضَوْا قَتْلاً وتمزيقاً وصَلْباً ... تَحُومُ عليهمُ طيرٌ وُقُوعُ
إذا ما الليلُ أظلمَ كابَدُوهُ ... فَيُسْفِرُ عنهمُ وهُمُ رُكُوعُ
أطارَ الخوفُ نومَهمُ فقاموا ... وأهلُ الأمنِ فى الدنيا هُجُوعُ

= يقال : نُظِرَ فلانٌ ، ويقال : بفلانٍ نَظْرَةٌ ، أى : سوءُ هيئةٍ » .

أقول : ضبطت « نظرة » فى الأصول بسكون الظاء وبكسرها ، والمعنى الذى نقل بحاشية ا عن الخليل لا يصلح فى هذا الموضع ، إنما النظرة هنا بكسر الظاء وهى التأخير فى الأمر والإمهال . ويجوز تسكين الظاء تخفيفا .

(١) فى ج و س و د و هـ « عن نفعهنّ » .

(٢) فى ج « يَأُمَّهْ » .

(٣) هـذا موافق لما فى بعض نسخ معجم الشعراء للمرزبانى . وفى ج و د و هـ : « الخَطِّىُّ » وهو موافق لما نقلنا عنه فى ترجمة عيسى بن فاتك ، فيما مضى (ص ٩٩٥)

وقال عِمْرانُ بن حِطّانَ[1] :

يا عيْنُ بَكّي لِمرْداسٍ وَمَصْرَعِهِ ... يارَبَّ مِرداسٍ اجْعَلْنِي كَمِرداسِ
تركتَنى هائماً أبكى لِمَرْزِئتى ... فى منزلٍ مُوحِشٍ من بعدِ إيناسِ
أنكرتُ بَعدكَ مَن قدكنتُ أعرفُه ... ما الناسُ بعدكَ يامِرْداسُ بالناسِ[2]
إمّا شَرِبْتَ بكأسٍ دارَ أوّلُها ... على القُرونِ فَذَاقُوا جُرْعةَ الكاسِ
فكلُّ مَنْ لم يَذُقها شاربٌ عَجِلاً ... منها بأنفاسِ ورْدٍ بَعْدَ أنفاسِ

*

[قال أبو العباسِ[3]] : ثم إنَّ عَبَّاد بن أخْضرَ المازِنِيَّ لَبِثَ دهراً فى المصرِ ، مَحمودًا موصوفاً بما كان منه ، فلم يَزَلْ على ذلك حتى ائْتَمَرَ به جماعةٌ من الخوارج أن يَفتِكُوا به ، فَذَمَرَ بعضُهم بعضاً على ذلك[4] ، فجلسوا له فى يومِ جمعةٍ ، وقد أقبل على بغلةٍ له ، وابنُهُ رَدِيفُه ، فقام إليه رجلٌ منهم ، فقال : أسألُك عن مسئلةٍ ؟ قال : قل ، قال : أرأيتَ رجلاً قَتَلَ رجلاً بغيرِ حقٍّ ، وللقاتلِ جاهٌ وقَدْرٌ وناحيةٌ من السلطانِ ، ألِوَلِيِّ ذلك المقتولِ أن يَفْتُكَ به إنْ قَدَرَ عليه ؟ قال : بل يَرْفَعُهُ إلى السلطانِ ، قال : إن السلطانَ لا يُعْدِى عليه لمكانه منه وعظيمِ جاهِهِ عندَه ، قال : أخافُ عليه إنْ فَتَكَ به

---

(١) مضت الأبيات فى (ص ٨٩٦) .
(٢) فى ج و د « ما قد كنت » .
(٣) الزيادة من س و د .
(٤) « ذمره » أى : لامه وحضه .

فَتَكَ به السلطانُ ، قال : دَعْ ما تخافُه من ناحية السلطان ، أتَلْحَقهُ تَبِعة فيما بينَه وبينَ الله ؟ قال : لا ، قال : فَحَكَّمَ هو وأصحابُه ، وخَبَطوه بأسيافهم ، ورَمَى عبَّادٌ ابنَهُ فَنَجَا ، وتنادَى الناسُ : قُتِلَ عبادٌ ، فاجتمَعَ الناسُ فأَخَذُوا أفواهَ الطُرُق ، وكان مَقْتَلُ عبَّادٍ في سكةِ بني مازنٍ عند مسجد بني كُلَيْبٍ ، فجاء مَعْبَدُ بن أخْضَرَ أخو عبَّادٍ ، وهو معبدُ بن عَلْقَمة ، وأخضرُ زوجُ أمِّهما ، في جماعةٍ من بني مازنٍ ، فصاحُوا بالناسِ : دَعُونا وثأرَنا ، فأَحْجَمَ الناسُ[1] وتَقَدَّمَ المازنيُّون ، فحاربوا الخوارجَ حتى قتلوهم جميعاً ، لم يُفْلِتْ منهم أحدٌ إلاَّ عَبِيدةُ بن هِلَالٍ ، فإنه خَرَقَ خُصًّا ونَفَذَ منه ، ففي ذلك يقول الفرزدق :

لقد أدْرَكَ الأَوْتارَ غيرَ ذَميمةٍ ... إذا ذُمَّ طُلَّابُ التِّراتِ الأَخاضِرُ

هُمُ جَرَّدُوا الأَسْيافَ يومَ ابنِ أَخْضَرٍ ... فنالوا التي ما فَوْقَها نالَ ثائرُ

أَقَادُوا به أُسْدًا لها في اقْتِحَامِها ... إذا بَرَزَتْ نحو الحروبِ بَصائِرُ

ثم ذَكر بني كُلَيْبٍ ؛ لأنه قُتِلَ بحضرةِ مسجدهم ولم ينصروه ، فقال في كلمته هذه :

كفعلِ كُلَيْبٍ إذ أخَلَّتْ بجارِها ... ونَصْرُ اللئيم مُعْتِمٌ وهو حاضِرُ[2]

---

(١) في ج و د « فأجحم » بتقديم الجيم على الحاء . وفي حاشية ا ما نصه : « قال أبو زيدٍ : أَحْجَمْتُ عن الأمرِ وَأَجْحَمْتُ ، أي : تأخَّرْتُ » .

(٢) بحاشية ا ما نصه : « الْهَلَبِيُّ : أَعْتَمَ الرجلُ في الشيء : إذا أبطأ فيه ، وكلُّ مَن أبطأ عن شيء فقد أَعْتَمَ وَعَتَمَ ، وَجِئْتَنَا مُعْتِماً وَعاتِماً ، وَالعَتَمَةُ رُجُوعُ الإبلِ من المَرْعَى بعد ما تُمْسِي ، وبه سُمِّيَتْ صلاةُ العَتَمَةِ » .

وما لِكُلَيْبٍ حين تُذْكَرُ أَوَّلُ ... ومالِكُلَيْب حين تُذْكَرُ آخِرُ

وقال معبدُ بن أَخْضَرَ :

سَأَحْمِي دِماءَ الأَخْضَرِيِّينَ إنه ... أَبَى النَّاسُ إلاَّ أن يقولوا ابنُ أَخْضَرا

وكان مقتلُ عبّادٍ وعبيدُ الله بنِ زيادٍ بالكوفة ، وخليفتُهُ على البصرة عُبيدُ الله بن أبى بَكْرَةَ ، فكتب إليه يأمره أن لاَّ يَدَعَ أحداً يُعْرَفُ بهذا الرأى إلاَّ حَبَسه وجَدَّ فى طلبه ، ممن تَغَيَّبَ منهم ، فجعل عُبيد الله بن أبى بَكْرَةَ يَتَتَبَّعُهُمْ فيأخذهم ، فإذا شُفِعَ إليه فى أحدٍ منهم كَفَلَه إلى أن يَقْدَمَ ابنُ زيادٍ ، حتى أُتِىَ بعُرْوَةَ بنِ أُدَيَّةَ فأطلقه ، وقال : أنا كَفيلُكَ ، فلما قَدِمَ عبيدُ الله بن زيادٍ أخذ مَنْ فى السجن[1] منهم فقتلَهم جميعاً ، وطلب الكُفلاءَ بمن كَفَلُوا به منهم ، فكلُّ مَنْ جاءه بصاحبِه أطلقَه وقَتَل الخارجيَّ ، ومن لم يأت بمن كَفَلَ به منهم قَتَلَهُ ، ثم قال لعُبَيْدِ الله بن أبى بَكْرَةَ : هاتِ عُرْوَةَ بنَ أُدَيَّةَ ، قال : لا أَقْدِرُ عليه ، قال : إذًا واللهِ أَقْتُلَكَ فإنك كفيلُه ! فلم يَزَلْ يَطْلُبُهُ حتى دُلَّ عليه فى سَرَبِ العَلاءِ بن سُوَيَّةَ[2] المِنْقَرِىِّ ، فكتب بذلك إلى عُبيد الله بن زيادٍ ، فقرأ عليه الكاتبُ : إنا أَصَبْنَاهُ فى شَرْبٍ ، فتَهَانَفَ به عُبيدُ الله بن زيادٍ[3] ، وكان

---

(١) فى ج و س و د و هـ « فى الحبس » .

(٢) « سوية » بضم السين وفتح الواو . وفى ج و د و هـ « سَوِيَّة » بفتح السين وكسر الواو ، وهو الذى ضبطه به المرصفى فى شرحه .

(٣) بحاشية ا ما نصه : « قال الخليلُ : الهِنَافُ : مُهَانَفَةُ الجوارى بالضَّحِكِ ، وهو فَوْقَ التَّبَسُّمِ ، وكذلك التَّهَانُفُ ، قال ، وهذا نعتٌ فى ضَحِكِ النساء ، =

كثيرَ المحاورةِ ، عاشقاً للكلام الجيِّدِ ، مستحسناً للصوابِ[1] منه ، لا يزال يبحثُ عن عُذَرِهِ ، فإذا سمع الكلمةَ الجَيِّدَةَ عرَّجَ عليها .

ويُرْوَى : أنه قال فى عقِبِ مقتل الحسين بن علىٍّ عليه السلامُ لزينبَ بنتِ علىٍّ رحمهما الله ، وكانت أَسَنَّ مَنْ حُمِــلَ إليه منهنَّ ، وقد كلَّمته فأفصحتْ وأبلغتْ ، وأخذتْ من الحجة حاجتَها ، فقال لها : إنْ تكونِى بلغتِ من الحجة حاجتَكِ فقد كان أبوكِ خطيباً شاعراً ، فقالت : ما للنساء والشعرِ[2] ؟! وكان مع هذا أَلْــكَنَ يَرْتَضِــخُ لغةً فارسيةً[3] ، وقال لرجلٍ مرَّةً ، واتَّهمَه برأيِ الخوارِج : أهَرُورِىٌّ مُنْذُ اليومِ ؟!

رجع الحديثُ :

فقال للكاتب : صحَّفْتَ واللهِ ولَوُمْتَ ، إنما هو « فى سَرَبِ العَلاَءِ بن سُوَيَّةَ[4] » وَلَوَدِدْتُ أنه كان ممن يشرب النبيذَ ، فلمَّا أُقِيمَ عُرْوَةُ بن

= لا يوصف به الرجالُ قال: والتَّرَاضُخُ: تَرَامِى القوم بالنُّشَّاب، بينهم ، وتقول: رَاضخَ فلانٌ شيئاً إذا أعطَى وهو كَرِيه ، وقد راضَخْنا منه شيئاً ، أى : أصَبْناه. ابنُ شاذانَ : تقولُ : سمعتُ رضْخًا من خَبَرٍ : وهو اليَسِيرُ منه ، وكذلك هو من العطيَّةِ القليلُ منها ، قال : ويقالُ : هو رَضْخٌ ، أى : قليلٌ من الخَبَرِ والعطيةِ » . وتفسير « الرضخ » مقدم عن موضعه ، وسيأتى بعد أسطر قوله « يرتضخ لغة فارسية » .

(١) فى ج و س و د و هـ « لصوابه » .

(٢) فى ج و س « والشعر » .

(٣) فى س و د « يَرْتَضِخُ لُكْنَةً فارسيةً » .

(٤) فى ج و د و هـ « سَوِيَّةَ » .

أُدَيَّةَ بين يديه حاوَرَه ، وقد اختلفَ الناسُ فى خبره[١] ، وأَصحُّه عندنا : أَنه قال له : [لقد[٢]] جَهَّزْتَ أَخاكَ عليَّ ، فقال : والله لقد كنتُ به ضَنِينًا ، وكان لى عِزًّا ، ولقد أردتُّ له ما أُرِيدُهُ[٣] لنفسى ، فعَزَم عَزْمًا فَمَضَى عليه ، وما أُحِبُّ لنفسى إلّا المُقامَ وتركَ الخروج ، قال له : أفأنتَ على رأيه ؟ قال : كلُّنا[٤] نعبدُ رَبًّا واحداً ! قال : أَمَا لأُمَثِّلَنَّ بك[٥] ! قال : اخترْ لنفسك من القصاصِ ما شئتَ ؟ فأمر به فقَطعوا يديه ورجليه ، ثم قال [له[٦]] : كيف تَرَى ؟ قال : أفسدتَ عليَّ دنيايَ وأفسدتُ عليكَ آخِرتَك ، ثم أمر به فقُتِل ثم صُلِبَ على باب داره ، ثم دَعَا مولاه فسأله عنه ، فأجابه جوابًا [قد[٦]] مضى ذِكْرُه[٧] .

---

(١) فى ج و س و د و هـ « وقد اختُلِفَ فى خبره » .

(٢) الزيادة من س و د .

(٣) فى ج و س و د و هـ «أريد».

(٤) فى ج و س و د و هـ « كنّا » .

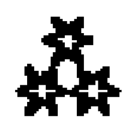
(٥) بحاشية ا ما نصه : « قال الخليلُ : المُثْلَةُ والمَثُلَةُ لغتانِ : أن يُمْثَلَ بِذِى رُوحٍ فيُعْبَثَ به فى عذابه ، ويقال أَنَّ حَلْقَ رأس المرأةِ مَثُلَةٌ . وكلُّ شيءٍ أنزلتَ به ما يُشَوِّهُهُ مُثْلَةٌ . قال الأصمعيُّ : يقال :مَثَلَ به يَمْثُلُ مُثُولاً ، من المَثُلَةِ : إذا شانَهُ ، والجميعُ المَثُلاتُ . ويقال أيضاً مَثَّلْتُ بالرجلِ : إذا نَكَّلْتَ به ، وكذلك القتيلُ إذا جَدَعْتَهُ . والمَثُلاتُ واحـــدُها مَثُلَةٌ ومُثْلَةٌ ، وهو التَّنْكِيلُ » .

(٦) الزيادة من ج و س و د و هـ .

(٧) فى (ص ٩٠٩ – ٩١٠) .

قوله « فتهانفَ » حقيقتُه : تَضاحَكَ به ضَحِكَ هُزْء ، وقال ابنُ أبى رَبيعةَ المخزومىُّ :

ولقـــد قالتْ لجاراتٍ لهـا ... وتَعَرَّتْ ذاتَ يومٍ تبْـتَرِدْ :[١]
أَكَمَا يَنْعَتُـــنِي تُبْصِرْنَنِي ... عَمْرَكُنَّ اللهَ أم لا يَقْتَصِدْ ؟
فتهانَفْنَ وقـــد قُلْنَ لها : ... حَسَنٌ فى كلِّ عينٍ مَنْ تَوَدّْ
حَسَدٌ حُمِّلْنَهُ مِن أجلها ... وقَديمًا كان فى الناسِ الحَسَدْ



وكان عُبيدُ الله لا يُلَبِّثُ الخوارجَ ، يَحْبِسهم تارةً ويَقْتُلهم تارةً ، وأكثرُ ذلك يَقْتُلُهم ، ولا يتغافلُ عن أحدٍ منهم . وسببُ ذلك أنه كان أطلقهم من حبس زيادٍ لمّا وُلّى[٢] بعدَه ، فخرجوا عليه .

فأما زيادٌ فكان يقتل المُعْلِنَ ويَسْتَصْلِحُ المُسِرَّ ، ولا يُجَرِّدُ السيفَ حتى تزولَ التُّهَمَةُ ، ووَجَّهَ يوما بجُبَيْنَةَ بنَ كُبَيْشٍ الأعْرَجِيَّ إلى رجلٍ من بنى سعدٍ يَرَى رأىَ الخوارجِ ، فجاءه بُجَيْنَةُ فأخذَه ، فقال : إنى أُريد أن أُحْدِثَ وضوءًا للصلاة ، فدَعْنى أدخلْ إلى منزلى[٣] ، قال : ومَنْ لى بخروجك ؟ قال : اللهُ عزوجل ، فتركه ، فدخل فأحدثَ وُضوءًا ، ثم خرج ، فأتى به بُجَيْنَةُ زِياداً ، فلما مَثَلَ بين يديه ذكر اللهَ زيادٌ ، ثم صلَّى على نبيه ، ثم ذكرَ أبا بكر

(١) فى بعض النسخ « يوم حرّ تبترد » .
(٢) فى ج و د « وَلِىَ » .
(٣) فى ج و س و د و هـ « فقال : دَعْنِى أدْخُلْ منزلى » .

وعمرَ وعثمانَ بخيرٍ ، ثم قال : قعدتُ عنّى فأنكرتُ ذلك ، فذكرَ الرجلُ ربَّه فحَمِدَهُ ووَحَّدَهُ [وأثْنَى عليه][١] ، ثم ذَكَرَ النبيَّ عليه السلام ، ثم ذَكَرَ أبا بكرٍ وعمرَ بخيرٍ ، ولم يذكر عثمانَ ، ثم أقبلَ على زيادٍ فقال : إنك قد قلتَ قولاً فَصَدِّقْهُ بفعلك[٢] ، وكان من قولِك : ومَنْ قَعَدَ عنّا لم نَهِجْهُ ، فقعدتُ ، فأمر له بصلةٍ وكِسْوةٍ وحُمْلانٍ ، فخرج الرجلُ من عند زيادٍ وتلقّاه الناسُ يسألونه ، فقال : ما كلُّكم أستطيعُ أن أُخبرَه ، ولكنّى دخلتُ على رجلٍ لا يملك ضَرًّا ولا نفعًا لنفسه ، ولا موتًا ولا حياةً ولا نشوراً ، فرَزَقَ اللهُ منه ما تَرَوْنَ .

وكان زيادٌ يبعثُ إلى الجماعة منهم فيقول : ما أَحسِبُ الذى يمنعكم من إتيانى إلاّ الرُّجْلةَ[٣] ، فيقولون : أَجَلْ ، فيحملُهم ، ويقول : اغشَوْنى الآنَ واسْمُرُوا عندى ، فبلغَ ذلك عمرَ بن عبد العزيز ، فقال : قاتَل اللهُ زِياداً ، جمعَ لهم كما تَجْمعُ الذَّرّةُ ، وحاطَهم كما تَحُوطُ[٤] الأُمُّ البَرّة ، وأصلَح العِراقَ ، بأهل العراقِ ، وتَرَكَ أهلَ الشأمِ فى شأمِهم[٥] ، وجَبَى العراقَ مائةَ ألفِ ألفٍ وثمانيةَ عشرَ ألفَ ألفٍ .

---

(١) الزيادة من ج و س .

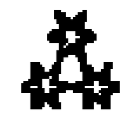
(٢) فى ج و س و د و هـ « فَصَدِّقْهُ فعلُكَ » .

(٣) بحاشية ا مانصه : « المُهلبيُّ : يقالُ : شَكَا فلانٌ الرُّجْلَةَ ، أى المَشْىَ . وقالوا : راجلٌ بَيِّنُ الرُّجْلَةِ » .

(٤) فى ا « كما تحوطهم » .

(٥) فى د و هـ « بشامهم » .

قال أبو العباس. وبلغَ زياداً عن رجل يُكْنَى أبا الخير، من أهل البأس والنَجْدةِ، أنه يَرَى رأى الخوارج، فدعاه فولاه جُنْدَىْ سابورَ وما يَليها، ورَزَقَه أربعةَ آلافِ درهمٍ فى كل شهرٍ، وجعل عُمالَتَهُ فى كل سنةٍ مائة ألفٍ، فكان أبو الخير يقول: ما رأيتُ شيأً خيراً من لزوم الطاعةِ والتقلُّبِ بين أظْهُرِ الجماعة!! فلم يزل والياً حتى أنكر منه زيادٌ شيأً، فتَنَمَّرَ لزيادٍ فحبسه[1]، فلم يخرج من حبسه حتى مات.



وقال الرُّهَيْنُ، وكان رجلا من مُرَادٍ، وكان لا يَرَى القعودَ عن الحرب وكان فى الدَّهاء والمعرفةِ والشعرِ والفقه ـ: بقولِ الخوارج، بمنزلةِ عِمْرَانَ بن حِطَّانَ، وكان عمرانُ بن حطانَ فى وقته شاعرَ قَعَدِ الصُّفْرِيَّةِ ورئيسَهم ومفتيَهُمْ.

وللرُّهَيْنِ المُرادىِّ ولعمرانَ بن حطانَ مسائلُ كثيرةٌ من أبوابِ العلم فى القرآن و [فى[2]] الآثارِ، وفى السِّيَرِ والسُّنَنِ، وفى الغَرِيب و [فى[2]] الشعرِ، نذكر طَريفَها إن شاء الله. قال المرادىُّ:

يا نفسِ قد طال فى الدنيا مُرَاوَغَتى لا تأْمَنَنَّ لِصَرْفِ الدَّهْرِ تَنْغيصاً[3]

(١) بحاشية ا مانصه: «ابنُ شاذَانَ: قال أبو عمرَ: يقال: تَنَمَّرَ الرجلُ تَنَمُّراً: إذا تَهَدَّدَكَ».

(٢) الزيادة من ج و س و هـ.

(٣) فى ج و هـ «تنقيصا».

إنّى لَبائعُ ما يَفنَى لباقيــةٍ   إن لم يَعُقْنِى رجاءُ العيشِ تَربيصَا

وأسألُ اللهَ بَيْعَ النفسِ مُحتَسِباً   حتى أُلاقِىَ فى الفِرْدَوْسِ حُرْقوصَا

[قال الأَخْفَشُ : حرقوصٌ : ذُو الثُّدَيَّةِ][١] .

وابنَ المَنيحِ ومِرْداساً وإخوتَهُ   إذْ فارقوا زَهْرَةَ الدنيا مَخامِيصَا[٢]

قال أبو العباس . وهذه كلمة له ، وله أشعارٌ كثيرةٌ فى مذاهبهم .

وكان زيادٌ وَلَّى شَيْبانَ بن عبدالله الأشعرىَّ صاحبَ مَقْبُرَةِ بنى شيبانَ باب عثمانَ[٣] وما يليه ، فَجَدَّ فى طلب الخوارج وأخافهم ، وكانوا [قد[٤]] كَثُرُوا ، فلم يَزَلْ كذلك حتى أتاه ليلةً وهو متكئٌ بباب داره رجلانِ من الخوارج ، فضرباه بأسيافهما فقتلاه ، وخرج بَنُونَ له للإغاثةِ فقُتِلُوا ، ثم قَتَلَهما الناسُ[٥] فأُتِىَ زيادٌ بعدَ ذلك برجلٍ من الخوارج ، فقال : اقتلوه مُتَّكِئاً كما قُتِلَ شيبانُ متكئاً ، فصاح الخارجىُّ : يا عَدْلاهُ !! يَهْزَأُ به !

فأمّا قولُ جريرٍ :

ومِنّا فَتَى الفِتْيانِ والبأسِ مَعْقِلٌ   ومنّا الذى لاَقَى بدِجْلَةَ مَعْقِلاَ

---

(١) الزيادة من حاشية ا و س و هـ .

(٢) « مخاميص » جمع « مخماص » وهم الضامرو البطون . يريد أنهم لم يملؤا بطونهم من الدنيا زهادة فيها . قاله المرصفى .

(٣) بحاشية ا مانصه : « قال الشيخُ : بابُ عُثمانَ : موضعٌ فيه البَزّازُونَ فى شاطئ المِرْبَدِ » .

(٤) الزيادة من ج و هـ .

(٥) فى ج « ثم قتلوهما الناس » وهى لغة جائزة معروفة ، ولكنها قليلة .

ــ : فانه أراد مَعْقِلَ بنَ قيسٍ الرِّيَاحِيَّ ، ورِياحُ ابنُ يربوعٍ[١] ، وجريرٌ من [بَنِي][٢] كُلَيْبِ بن يربوعٍ .

وقولُه « ومِنّا الذى لاَقَى بِدِجْلَةَ مَعْقِلاَ » يريدُ المسْتَوْرِدَ التَّيْمِيَّ ، وهو من [بنى][٣] تَيْمِ بن عبد مناةَ بن أُدٍّ ، وتَمِيمُ ابنُ مُرِّ بن أُدٍّ .

وأمّا قولُ ابنِ الرُّقَيَّاتِ :

والذى نَغَّصَ ابنَ دَوْمَةَ ماتُو حِي الشياطينُ والسيوف ظِماءُ
فأَباحَ العراقَ يَضْرِبُهم بالسَّـيفِ صَلْتاً وفى الضِّرابِ غِلاءُ[٤]

ــ : فانما يريدُ بابنِ دَوْمَةَ المختارَ بنَ أبى عُبيدٍ الثَّقَفِيَّ ، والذى نَغَّصَهُ مُصْعَب بن الزبير ، وكان المختارُ لا يُوقَفُ له على مذهبٍ ، كان خارجيًّا ، ثم صار زُبَيْرِيًّا ، ثم صار رافضيًّا فى ظاهِره ! !

وقوله « ما تُوحِي الشَّياطينُ » فان المختارَ كان يَدَّعى أنه يُلْهَمُ ضرباً من السَّجَاعة[٥] لأمورٍ تكونُ ، ثم يحتالُ فيوقعُها ، فيقولُ للناسِ : هذا من عند

---

(١) فى ا و ع و س و هـ « ورِياحُ بنُ يربوعٍ » .
(٢) الزيادة من ع و د و هـ .
(٣) الزيادة من ع .
(٤) بحاشية ا ما نصه : « ابنُ شاذانَ : حدثنى أبو عمرَ عن ثعلبٍ عن سَلَمَةَ عن الفرّاء قال : يقال : ضَرَبَهُ بالسيفِ صَلْتاً وصُلْتاً ، ورجلٌ صَلْتٌ ، أى ماض ، وسيفٌ إِصْلِيتٌ ، أى صارمٌ » .
وأما قوله « غلاء » فانه بكسر الغين المعجمة ، من قولهم « غلا فى الأمر غلوًّا » أى جاوز حده . فمنه « غالى به وغالاه مغالاة وغلاء » . وضبطه المرصفى بفتح الغين ، وهو مخالف للأصول ، وهو غير جيد أيضاً ، لأن « الغلاء » بالفتح ضد الرخص .
(٥) « السجاعة » بكسر السين المهملة : صناعة السجع .

اللهِ عزّ وجَلّ .

فمن ذلك قولُه ذات يومٍ : لتَنْزِلَنّ من السماء نارٌ دَهْماء ، فلَتُحْرِقَنّ دارَ أسماء ، فَذَكِرَ ذلك لأسماء بن خارجةَ ، فقال : أقد سَجَعَ بى أبو إسحقَ ؟ هو والله مُحْرِقٌ دارِى ! فتركه والدارَ وهربَ من الكوفة .

وقال فى بعض سَجعِهِ : أمَا والذى شَرَعَ الأديانَ ، وجَنَّبَ الأوثانَ ، وكَرَّهَ العِصْيانَ ، لأَقتلنّ أَزْدَعُمانَ ، وجُلّ قيسِ عَيْلانَ ، وتَمِيماً أولياءَ الشيطانِ ، حاشا النَّجيبَ ظَبْيانَ ! فكان ظبيانُ النجيبُ يقول : لم أَزَلْ فى عُمْرِ المختارِ أتقلّبُ آمِناً .

٭

ويُروى : أن المختارَ بن أبى عُبيدٍ حيث كان والياً لابن الزبير على الكوفة اتَّهمه ابنُ الزبير ، فولّى رجلاً من قريش الكوفةَ ، فلما أطَلّ قال لجماعةٍ من أهلها : أخرُجُوا إلى هذا المغرورِ فرُدُّوه ، فخرجوا إليه ، فقالوا : أين تُريد ؟ والله لئن دخلتَ الكوفةَ ليقتلنَّكَ المختارُ ، فرجع ، وكَتب المختارُ إلى ابن الزبير : إن صاحبَك جاءنا فلما قارَبَنا رجع ، فما أدْرِى ما الذى رَدَّهُ ! فغضب ابنُ الزبير على القُرشىّ وعَجَّزَه وردَّه إلى الكوفة ، فلما شارفها قال المختارُ : أُخرجوا إلى هذا المغرور فرُدُّوه ، فخرجوا إليه ، فقالوا : إنه والله قاتِلُك ، فرجع ، وكتب المختارُ إلى ابن الزبير بمثل[1] كتابه الأولِ ، فلامَ القرشىّ ، فلما كان فى الثالثةِ فَطِنَ ابنُ الزبير ، وعَلِمَ بذلك المختارُ ، وكان ابنُ الزبير قد

(١) فى س و د و ه « مثل » .

حَبَسَ محمدَ بن الحنفية مع خمسةَ عشرَ رجلاً من بنى هاشمٍ ، فقال : لَتُبايِعُنّ أولأَحْرِقَنّكم ، فأَبَوْا بيْعَتَه ، وكان السجنُ الذى حبسهم فيه يُدْعَى سِجْنَ عارمٍ ، ففى ذلك يقول كُثَيِّرٌ :

تُخَبِّرُ مَنْ لاقيتَ أنك عائذٌ ... بل العائذُ المظلومُ فى سجن عارمِ
ومَن يَلْقَ هذا الشيخَ بالخَيْفِ من مِنًى ... منَ الناس يَعْلَمْ أنه غيرُ ظالمِ
سَمِىُّ النبىِّ المصطفَى وابنُ عمه ... وفكّاكُ أغلالٍ وقاضِى مَغارمِ

وكان عبدُ الله بن الزبير يُدْعَى العائِذَ ، لأنه عاذ بالبيت ، ففى ذلك يقولُ ابنُ الرُّقيّاتِ يذْكرُ مُصْعَباً :

بَلَدٌ تأمَنُ الحمامةُ فيه ... حيثُ عاذَ الخليفةُ المظلومُ

وكان عبدُ الله يُدْعَى المُحِلَّ ، لإحلاله القتالَ فى الحَرَمِ ، وفى ذلك يقولُ رجلٌ فى رَمْلَةَ بنتِ الزبير :

ألاَ مَنْ لقلبٍ مُعَنًّى غَزِلْ ... بِذِكْرِ المُحِلّة أُخْتِ المُحِلّْ

وكان عبدُ الله بن الزبير يُظْهِرُ البغضَ لابن الحنفية إلى بُغْضِ أهله ، وكان يَحْسُدُه على أيْدِهِ[١] ، ويقال : أن عليًّا استطال دِرْعًا فقال : لِيُنْقَصْ منها كذا وكذا حَلْقةً ، فقبَض محمدُ بن الحنيفة بإحدى يديه على ذيلها، وبالأخرى على فَضْلِها ، ثم جَذَبها فقطعها من الموضع الذى حَدَّه أبوه ، فكان ابنُ الزبير إذا حُدِّثَ بهذا الحديث غضب واعتراه له أفْكَلٌ[٢] ، فلما رأى

---

(١) « الأيد » القوة .

(٢) « الأفكل » اسم للرعدة التى تعلو الانسان .

المختارُ أنّ ابنَ الزبير قد فَطِنَ لما أرادَ كَتب إليه : من المختار بن أبي عُبيدٍ الثّقفيّ خليفةِ الوصيّ محمد بن عليٍّ أمير المؤمنين إلى عبد الله بن أسماء[١] ، ثم ملأ الكتابَ بِسبِّه وسبِّ أبيه ، وكان قَبْلَ ذلك في وقتِ إظهاره طاعةَ ابنِ الزبير يَدُسُّ إلى الشيعة ، ويُعْلِمُهم[٢] مُوالاتَه إياهم ، ويُخْبِرُهم[٣] أنه على رأيهم وحَمْدِ مذاهبِهم ، وأنه سيُظهِر ذلك عمّا قليلٍ ، ثم وَجّهَ جماعةً تسيرُ الليلَ وتَكْمُنُ النهارَ ، حتى كَسروا سجنَ عارمٍ واستخرجوا منه بني هاشمٍ ، ثم ساروا بهم إلى مَأْمَنِهم .

وكان من عجائب المختار أنه كَتب إلى ابرٰهيمَ بن مالكٍ الأَشْتَرِ يسألُه الخروجَ إلى الطّلبِ بدم الحسين بن علي رضى الله عنهما ، فأَبَى عليه إبرٰهيمُ إلاّ أن يستأذنَ محمدَ بن عليّ بن أبي طالبٍ ، فكتب إليه يستأذنُه [في ذلك[٤]] ، فعَلِم محمدٌ أنّ المختارَ لا عَقْدَ له ، فكَتب محمدٌ إلى إبرٰهيمَ بن الأَشْتَرِ : إنه ما يَسُوءُني أن يأخذَ اللهُ بحقّنا على يَدَيْ مَنْ يَشَاءُ[٥] من خلقه ، فخرج معه إبرٰهيمُ بن الأشترِ ، فتَوَجَّه[٦] نحوَ عُبيد الله بن زيادٍ ، وخرج يُشَيِّعُهُ ماشياً ، فقال له إبرٰهيمُ : اركبْ يا أبا إسحقَ ! فقال : إني أُحِبُّ أن تَغْبَرَّ قَدَماىَ في نُصرة آلِ محمد صلى الله عليه وسلم ، فشيّعه فرسخين ، ودَفَعَ

(١) نسبه لأمه « أسماء بنت أبي بكر الصديق » سفهاً منه وعدواناً ، وإنما ينسب الرجل لأبيه .

(٢) فى ع « ويُعَلِّمُهُمْ » .

(٣) فى ع و س و د و هـ « ويخبر » .

(٤) الزيادة من ع و س و د و هـ .

(٥) فى ع و س و د و هـ « من شاء » .

(٦) فى النسخ المذكورة « فوَجَّهَهُ » .

إلى قومٍ من خاصّته حَماماً بِيضاً ضِخاماً ، وقال : إن رأيتم الأَمرَ لنا فدَعُوها ، وإن رأيتم الأَمرَ علينا فأرْسِلُوها ، وقال للناس : إن استقمتم فَبِنَصْرِ الله ،[١] وإن حِصْتُمْ حَيْصَةً[٢] فإنِّى أجِدُ فى محكَمِ الكتاب ، وفى اليقينِ والصواب ، أنّ اللهَ مُؤَيِّدُكم بملائكةٍ غِضَابٍ ، تَأْتِى فى صوَرِ الحَمَامِ[٣] دُونَ السحابِ ! فلما صار ابنُ الأَشترِ بخَازِرَ[٤] وبها عُبَيْدُ الله بن زيادٍ قال : مَنْ صاحبُ الجيشِ ؟ قيل له : ابنُ الأشترِ ، قال : أليس الغلامَ الذى كان يُطِيرُ[٥] الحمَامَ بالكوفة ؟ قالوا : بلى ، قال : ليس بشىء ، وعلى مَيْمنةِ ابن زيادٍ حُصَيْنُ بن نُمَيْرٍ السَّكُونِىُّ من كِنْدةَ[٦] ، ويقال السَّكُونىُّ والسُّكُونىُّ ، والسَّدُوسىُّ والسُّدُوسىُّ ، كذا كان أبو عبيدة يقول ، [قال أبو الحسن : السَّكُونىُّ أكثر[٧]] وعلى ميسرته عُمَيْرُ بن الحُبَاب فارسُ الاسلامِ ، فقال حُصَيْنُ

---

(١) فى ع و د و هـ « فَيَنْصُرُ اللهُ » .

(٢) « حصتم حيصة » بالحاء والصاد المهملتين . وفى حاشية ا مانصه « المُهَلَّبِىُّ : الحَيْصُ : الحَيْدُ عن الشىء ، حاصَ يَحِيصُ : إذا حادَ . ويقال : مالَكَ من هذا الأمرِ مَحِيصٌ ، أى مَحِيدٌ » .

وفى د « جِضْتُمْ جَيْضَةً » بالجيم والضاد المعجمة ، وهو صحيح أيضاً . يقال : جاضَ عنه يَجِيضُ ، أى حادَ وعَدَلَ .

(٣) فى ع و د و هـ « الحمائم » .

(٤) « خازر » بالخاء المعجمة وكسر الزاى وآخره راء ، وهو نهر بين إربل والموصل . وفى و هـ « بجازر » بالجيم مع كسر الزاى . وفى د بالخاء مع فتح الزاى .

(٥) فى ع « يُطَيِّرُ » .

(٦) كذا فى طبعة أوربة نقلا عن الأصول المخطوطة « حضين » بالضاد المعجمة . والمعروف أن كل « حصين » فهو بالصاد المهملة إلا « حضين بن المنذر » فبالمعجمة .

(٧) الزيادة من س .

بنُ نُمَيْرٍ لابن زيادٍ : إنَّ عميرَ بن الحبابِ غيرُ ناسٍ قَتْلَى المَرْجِ[١] ، وإنى لا أثِقُ لك به ، فقال ابنُ زيادٍ : أنتَ لى عدوٌّ ، قال حُصَيْنٌ : ستعلمُ ، قال ابنُ الحُبَابِ : فلما كان فى الليلة التى نُريد أن نُوَاقِـعَ ابنَ الأَشْتَرِ فى صبيحتها خرجتُ إليه، وكان لى صديقاً ، ومعى رجلٌ من قومى ، فصرتُ إلى عسكره ، فرأيته وعليه قميصٌ هَرَوِىٌّ ومُلاءَةٌ ، وهو مُتَّشِـحٌ السيفَ[٢] يَجُوسُ عسكرَه فيأمرُ فيه وينْهَى ، فالْتَزَمْتُه من ورائِه ، فواللهِ ما الْتَفَتَ إلىّ ، ولـكن قال : مَنْ هذا ؟ فقلتُ : عُمير بن الحُبَابِ ، فقال : مرحباً بأَبِى المُغَلِّسِ ، كُنْ بهذا الموضعِ حتى أعودَ إليك ، فقلت لصاحبى : أرأيتَ أَشْجعَ من هذا قط ؟! يحتضنه رجلٌ من عسكرِ عدوِّه ، ولا يدرى من هو ؟ فلا يلتفتُ إليه !! ثم عاد إلىّ وهو فى أربعة آلافٍ ، فقال : ما الخبرُ ؟ فقلت : القومُ كثيرٌ ، والرأىُ أن تُناجِزَهم ، فانه لا صبرَ بهذه العصابة القليلة على مُطاولةِ هذا الجمع الـكثيرِ ، فقال : نُصْبِحُ إن شاء الله ثم نحاكمهم إلى ظُبَاتِ السيوف[٣] وأطرافِ القَنَا ، فقلت : أنا مُنْخَزِلٌ عنكَ بثُلُثِ الناسِ غداً ، فلما الْتَقَوْا كانت على أصحاب إبرٰهيمَ فى أول النهار ، فأرسلَ أصحابُ المختارِ الطيرَ ، فتصايحَ الناسُ : الملائـكةُ !! فتراجعوا ، ونَـكَّسَ عميرُ بن الحُبَاب رايتَهُ ، ونَادَى : يا لَثَأْرَاتِ المَرْجِ ! وانخزَل بالمَيْسَرَةِ كلِّها ، وفيها قَيْسٌ فلم يَعْصُوهُ ، واقتتل الناسُ حتى اختلَط الظلامُ ، وأسرع القتلُ فى أصحاب

---

(١) فى ع و د « قتلَ المرج » .

(٢) فى ع و س و هـ « وهو متوَشِّحٌ السيفَ » .

(٣) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : حدثنى أبو عمرَ عن ثعلبٍ قال : ظُبَةُ =

عُبيد الله بن زيادٍ ، ثم انكشفوا ، ووُضِعَ السيفُ فيهم حتى أُفْنُوا ، فقال ابنُ الأَشْتَرِ : لقد ضربتُ رجلاً على شاطئ هذا النهرِ فرجَع إلىّ سيفى ومنه[1] رائحةُ المسك ! ورأيتُ إقْدَاماً وجُرْأةً ، فصرعتُه فذهبتْ يداه قِبَلَ المشرقِ ورجلاه قِبَلَ المغربِ ، فانظُرُوه ، فأَتَوْه بالنِّيران ، فاذا هو عُبيد الله بن زيادٍ .

وقد كان عند المختار كرسىٌّ قديمُ العهد ، فغَشَّاهُ بالدِّيباج ، وقال : هذا الكرسىُّ من ذخائرِ أميرِ المؤمنين علىِّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، فضعوه فى بَرَاكاءِ الحربِ ، وقاتِلوا عليه ، فانَّ مَحَـــلَّه فيكم مَحَلُّ السَّـكِينة فى بنى إسرائيلَ !! ويقال أنه اشترى ذلك الكرسىَّ بدرهمين من نجّارٍ[2] .

وقوله « فى بَرَاكاءِ القتال » يقال بَرَاكاءِ وبَرُوكاء ، وهو موضِعُ اصْطِدَامِ القومِ[3] ، قال الشاعرُ :

وليس بُمْنِقذٍ لك منه إلّا بَرَاكاءِ القتالِ أوِ الفِرَارُ[4]

= السّيفِ : حَدُّهُ ، ويقال طَرَفُه ، والجمع الظُّبَاتُ والظُّبُونَ فى الرفع ، والظُّبِينَ فى النصب والجرّ . ويقال لطَرَفِ سِنانِ الرُّمح ولطَرَفِ نَصْلِ السَّهْمِ : ظُبَتُهُ » .

(١) فى ح « وفيه » . وفى د « وفيه منه » .

(٢) فى ح و س و د و هـ « من نجار بدرهمين » .

(٣) بحاشية ا ما نصه : « ابنُ شاذانَ : اصْطِدَامٌ : افْتِعَالٌ ، من الصَّدْمِ ، من قولهم : صَدَمْتُ الشئَ بالشئِ أَصْدِمُهُ صَدْماً ، وكلُّ شئٍ ضربتَه بشئٍ فقد صَدَمْتَه به بعدَ أن يكونَ صُلْباً » .

(٤) بحاشية ا ما نصه: « قال ابنُ شاذانَ : روايةُ أبى عمرَ :

ولا أنْتَحِى من الغَمَرَاتِ إلاّ بَرَاكاءِ القتالِ ... ... =

هذا باب اللام

التي للاستغاثة والتي للإضافة

إذا استغثتَ بواحدٍ أو بجماعةٍ فاللامُ مفتوحةٌ ، تقول : يالَلرِّجالِ ، ويالَلقومِ ، ويالَزيدٍ ، إذا كنتَ تدعوهم .

وإنما فتحتَها لتفصِل بين المَدْعُوِّ والمَدْعُوِّ له ، ووجب أن تفتحَها لأن أصلَ اللامِ الخافضةِ إنما كان الفتحَ ، فكُسِرَتْ مع المُظْهَرِ ليُفصَلَ بينها وبين لامِ التوكيدِ ، تقول : إنّ هذا لَزَيْدٌ ، إذا أردتَ إنّ هذا زيدٌ ، وتقول : إنّ هذا لِزيدٍ ، إذا أردتَ أنه في مِلْكِه ، ولو فتحْتَ لألتبَستا[1] .

فان وقعتِ اللامُ على مضمَرٍ فتحتَها على أصلِها ، فقلتَ : إنّ هذا لَكَ ، وإن هذا لَأَنْتَ ، إذا أردتَ لامَ التوكيدِ ، لأنه ليس ههنا لَبْسٌ ، وذاك أنّ الأسماءَ المضمرةَ على غيرِ لفظِ المُظْهَرَةِ ، فلهذا أجْرَيْتَها على الأصلِ ، والاستغاثةُ تَرُدُّها إلى أصلها من أجلِ اللَّبْسِ

والمدعوُّ له في بابه ، فاللامُ معه مكسورةٌ ، تقولُ : يالَلرِّجَالِ لِلْماءِ ، ويالَلرِّجَالِ لِلْعَجَبِ ، ويالَزيدٍ لِلْخَطْبِ الجليلِ ، قال الشاعرُ :

= قال : وبَرَاكاءُ هو الثَّبَاتُ في الحربِ » .

وقوله في رواية أبي عمر : « ولا انتحى » كذا في الأصل المنقول منه ، وهو خطأ ، صوابه ما ذكره المرصفي في شرحه « ولا يُنْجِي » . ونسب المرصفي البيت لبشر بن أبي خازم .

(١) في ج و د و هـ « لَأَلْتَبَسَا » .

يالَلرجالِ لِيَوْمِ الْأَربعاءِ أَمَا ... يَنفَكُّ يُبْعِثُ لى بعدَ النُّهَى طرَبَا

وقال آخرُ :

تَكَنَّفَنى الوُشاةُ فَأَزْعجونى ... فيَا لَلناسِ لِلْواشِى الْمُطاعِ

وفى الحديث لَمَّا طَعَنَ العِلْجُ أو العبدُ[١] عمرَ بن الخطاب رضوان الله عليه صاح : يالَلهِ يالَلْمسلمينَ .

وتقولُ : يالِلْعَجَبِ ، إذا كنتَ تدعو إليه ، و « يا[٢] » لِغَيْرِ العَجَبِ ، كأنكَ قلتَ : يالَلناسِ لِلْعَجَبِ ، ويُنْشَدُ هذا البيتُ :

يالَعْنَةُ اللهِ والأقوامِ كلِّهِمِ ... والصالحينَ على سِمْعانَ من جارِ[٣]

فـ«يا» لِغيرِ اللعنةِ ، كأنه قال : يا قومِ لعنةُ اللهِ والأقوامِ كلِّهم .

وزَعَمَ سيبويهِ أنَّ هذه اللامَ التى للاستغاثةِ دليلٌ ، بمنزلةِ الألِفِ التى تُبَيَّنُ بالهاء فى الوقفِ إذا أردتَ أن تُسْمِعَ بعيداً ، فإنما هى للاستغاثةِ بمنزلةِ هذه اللامِ ، وذلك قولُكَ : يا قَوْماهْ ، على غيرِ النُّدْبَةِ ، ولكن للاستغاثةِ وَمَدِّ الصوتِ .

والقولُ كما قال ، محلُّهما عند العرب محلٌّ واحدٌ ، فإن وصلتَ حذفتَ الهاء ، لأنها زِيدَتْ فى الوقفِ لخفاءِ الألِفِ ، كما تُزادُ لبيانِ الحركةِ ، فإذا وصلتَ أغْنَى ما بعدَها عنها ، تقولُ : يا قَوْمَا تعالَوْا ، ويا زيدَا لا تفعلْ . ولا

---

(١) هو أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة .

(٢) فى ج و هـ « فيا » .

(٣) « سمعان » بكسر السين . وفى د و هـ بفتحها ، وكلاهما صحيح .

يجوزُ أن تقولَ يالَزَيْدٍ وهو مُقبِلٌ عليكَ ،وكذلك لايجوزُ أن تقول: يازَيْدَاهْ وهو معك ، إنما يقال ذلك للبعيدِ ، أو يُنَبَّهُ به النائمُ .

فإن قلتَ : يا لَزَيدٍ ولِعمرٍو ، كسرتَ اللامَ فى « عمرٍو » وهو مَدْعُوٌّ ، لأنك إنما فتحتَ اللامَ فى « زيدٍ » لتفصل بين المَدْعُوِّ والمَدْعُوِّ إليه ، فلما عطفتَ على « زيدٍ » استغنيتَ عن الفصل ، لأنك إذا عطفتَ عليهِ شيئاً صار فى مِثْلِ حالِه .

ونظيرُ ذلك الحكايةُ ، يقول الرجلُ : رأيتُ زيداً ، فتقولُ ، مَنْ زيداً ؟ [ويقولُ : مررتُ بزيدٍ ، فتقولُ : مَنْ زيدٍ ؟][1] وإنما حكيتَ قولَه لِيَعْلَمَ أنك إنما تستفهمُهُ عن الذى ذَكَرَ بعينِهِ ، ولاتسألُه عن زيدٍ غيرِه ، والموضعُ موضعُ رفعٍ ، لأنه ابتداءٌ وخبرٌ ، فإن قلتَ : ومَنْ زيدٌ ؟ أو فَمَنْ زيدٌ ؟ لم يكن إلّا رفعاً ، لأنك عطفتَ على كلامِهِ ، فاستغنيتَ عن الحكايةِ ، لأن العطفَ لايكونُ مستأنَفاً .

ونَظِيرُ هذا الذى ذكرتُ لكَ فى اللّامِ قولُ الشاعرِ :

يَبْكِيكَ نَاءٍ بَعِيدُ الدَّارِ مُغْتَرِبٌ ... يَالَلْكُهُولِ وَلِلشُّبَّانِ لِلْعَجَبِ

فقد أحْكَمْتُ لكَ كلَّ ما فى هذا البابِ .

ثم نعودُ إلى ذكر الخوارج

قال [أبو العباسِ][2] : وذُكِرَ لِعُبَيْدِ الله بن زِيادٍ رجلٌ من بنى سَدُوسٍ ،

(١) الزيادة من س و د و هـ .
(٢) الزيادة من س .

يقال له خالدُ بن عَبَّادٍ(١) ، أو ابن عُبادةَ ، وكان من نُسَّا كهم ، فوَجَّهَ إليه فأَخذَه ، فأتاه رجلٌ من آل ثَوْرٍ ، فكَذَّبَ عنه ، وقال : هو صِهْرِى وهو فى ضِمْنِي ، فخَلَّى عنه ، فلم يَزَل الرجلُ يتفقَّدُهُ حتى تغيَّبَ ، فأتى ابنَ زيادٍ فأَخبره ، فبَعَثَ إلى خالد بن عَبَّادٍ فأُخِذَ ، فقال عُبيد الله بن زيادٍ : أين كنتَ فى غَيْبَتِكَ هذه ؟ قال : كنتُ عند قومٍ يذكرونَ اللهَ ويذكرون أئمةَ الجَوْرِ فيَتَبَرَّؤُونَ منهم ! قال : دُلَّنى عليهم(٢) ، قال : إذَنْ يَسْعَدُوا وتَشْقَى ، ولم أكُنْ لِأُرَوِّعَهُمْ ! قال : فما تقولُ فى أبى بكرٍ وعمرَ ؟ قال : خيراً ، قال : فما تقولُ فى أميرِ المؤمنين عثمانَ ، أتتَوَلَّاه وأميرِ المؤمنين مُعاويةَ ؟ قال : إن كانا وَلِيَّيْنِ للهِ فلستُ أُعاديهما ، فأَراغَهُ مراتٍ فلم يرجع ، فعزَم على قتله ، فأمر بإخراجه إلى رَحَبةٍ(٣) تُعرفُ برَحَبَةِ الزَّيْنَبِيِّ(٤) ، فجعلَ الشُّرَطُ يَتَفادَوْنَ مِنْ قتله ، ويَرُوغُونَ عنه توقِّياً ، لأنه كان شاسِفاً(٥) عليه أثَرُ العِبادَةِ ، حتى أتى المُثَلَّمُ بنُ مَسْرُوحٍ الباهليُّ ، وكان من الشُّرَطِ ، فتقدَّم فقتَلَهُ ، فائتَمَرَ به

---

(١) فى ج و د و هـ « عُبَادٍ » .

(٢) فى ج و س و د و هـ « ادْلُلْنِي عليهم » .

(٣) بحاشية ا مانصه : «قال ابن دُريدٍ : الرحْبَةُ بتسكين الحاء وفتحها : الفَجْوَةُ الواسعةُ بين دُورٍ وغيرها » .

(٤) فى ج و د و هـ « الزَّبِيبِيّ » .

(٥) الشاسف : اليابس من الهزال .

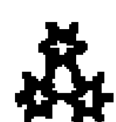
الخوارجُ ليقتُلوه(١) ، وكان [رجلاً](٢) مُغْرَمًا باللِّقاحِ(٣) ، يَتَتَبَّعُها(٤) فيشتريها من مَظَانِّها ، وهم فى تَفَقُّدِه ، فَدَسُّوا إليه رجلاً فى هيئةِ الفِتْيانِ ، عليه رَدْعُ زعفرانٍ(٥) ، فلقِيَه بالمِرْبَدِ وهو يسأل عن لِقْحةٍ(٦) صَفِيٍّ ، فقال له الفتى : إنْ كنتَ تَبْلُغُ(٧) فعندى مايُغْنيكَ عن غيره ، فامْضِ معى ، فمضَى المُثَلَّمُ على فرسِه والفتى أمامَهُ ، حتى أَتَى به بنى سَعْدٍ ، فدخل دارًا ، وقال له : ادخلْ على فرسِك ، فلمَّا دخل وتوغَّل فى الدار أغلقَ البابَ ، وثارتْ به الخوارجُ فاعْتَوَرَهُ حُرَيْثُ بن جَحْلٍ ، وكَهْمَسُ بن طَلْقٍ الصَّرِيمِيُّ فقتلاه ، وجَعلا دراهمَ كانت معه فى بطنِه ، ودفناه فى ناحية الدارِ ، وحَكَّا آثارَ الدَّمِ ، وخَلَّيا فرسَه فى الليل ، فأُصِيبَ من الغَدِ فى المِرْبَدِ ، وتَحَسَّسَ(٨) عنه الباهِلِيُّون فلم يَرَوْا له أثرًا ، فاتهموا به بنى سَدوسٍ ، فاسْتَعْدَوْا عليهم السلطانَ ، وجعلَ السَّدُوسِيُّونَ يَحلفون ، فتحامَلَ(٩) ابنُ زيادٍ مع الباهليينَ ، فأخذ من السدوسيين أربعَ دِياتٍ ،

(١) فى ج و س و د و هـ « أن يقتلوه » .
(٢) الزيادة من ج و د و هـ .
(٣) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : اللِّقْحَةُ : الناقَةُ التى لها لَبَنٌ ، والجمعُ لِقَاحٌ وَلِقَحٌ » .
(٤) فى س و د « يتَّبِعُها » .
(٥) الردع : اللطخ بالزعفران والطيب .
(٦) بحاشية ا مانصه : « المُهَلَّبِيُّ : قال الأصمعىُّ : الصَّفِيُّ من الإبل : الغَزِيرَةُ اللَّبَنِ » .
(٧) قال المرصفى : يريد إن كنت تبلغ بها ثمناً جيداً .
(٨) فى س و هـ « وتجسس » بالجيم .
(٩) فى س و د و هـ « وتحامَلَ » .

وقال : ما أَدْرِي ما أصنعُ بهؤلاء الخوارجِ ؟ كلّما أَمرتُ بقتل رجلٍ منهم اغْتالوا قاتِلَه فلم يُعْلَمْ بمكانِه ، حتى خرج مِرْدَاسٌ . فلما واقفهم ابنُ زُرْعَةَ الكِلاَبِيُّ صاح بهم حُرَيْثُ بنُ جَحْلٍ : أَهٰهُنا مِن باهِلَة أحدٌ ؟ قالوا : نعم ، قال : يا أعداءَ اللهِ ! أخذتُم بالمُثَلَّمِ[1] أربعَ دياتٍ وأنا قاتلُه[2] وجعلتُ دراهمَ كانتْ معه فى بطنِه ، وهو فى موضع كذا مدفونٌ ، فلما انهزمُوا صارُوا إلى الدارِ ، فأصابوا أَشْلاءه والدراهمَ ، ففى ذلك يقولُ أبو الأَسْوَدِ الدُّؤَلِيُّ :

آليتُ لا أَغْدُو إلى رَبِّ لِقْحةٍ أُساوِمُهُ حتى يَعُودَ المُثَلَّمُ

ثم خَرَجَتْ خوارجُ لا ذِكْرَ لهم ، كلُّهم قُتِلَ ، حتى انتهى الأمرُ إلى الأَزارِقَةِ .



ومن هاهنا افترقت الخوارجُ فصارت على أربعةِ أَضْرُبٍ :

الإِباضِيَّةُ ، وهم أصحابُ عبد الله بن إِباضٍ .

والصُّفْرِيَّةُ ، واختلفوا فى تسميتهم ، فقال قومٌ : سُمُّوا بابنِ صَفَّارٍ ، وقال آخَرُونَ - وأكثر المتكلمين عليه - : هم قومٌ نَهَكَتْهُمُ العِبادةُ فاصفرّتْ وجوهُهم .

ومنهم البَيْهَسِيَّةُ ، وهم أصحابُ أَبِي بَيْهَس[3] .

(١) فى ج و س و هـ « المثلم » .

(٢) فى ج و س و د و هـ « وأنا قتلتُهُ » .

(٣) اسمه « هَيْصَمُ بن جابرٍ » .

ومنهم الأزارقة ، وهم أصحابُ نافِع بن الأَزْرَقِ الحَنَفِيّ ، وكانوا قبلُ على رأيٍ واحدٍ ، لا يختلفون إلاَّ في الشيء الشاذِّ من الفروعِ ، كما قال صَخْرُ بن عُرْوَةَ : إنّي كرهتُ قتالَ عليّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه لسابِقَتِهِ وقَرابَتِهِ ، فأمّا الآنَ فلا يَسَعُني إلاَّ الخروجُ . وكان اعتزَلَ عبدَ الله بن وَهْبٍ يومَ النَّهرِ ، فضَلَّلَتْه الخوارجُ بامتناعِه من قتال عليٍّ .

⁂

فكان أولُ أمرِهم الذي نَسْتاقُه : أنَّ جماعةً من الخوارجِ ، منهم نَجْدَةُ بنُ عامرٍ الحنفيُّ ، عَزَمُوا على أن يقصدوا مكّةَ ، لمّا توَجّهَ مُسْلِمُ بن عُقْبةَ يريدُ المدينةَ لوقعة الحَرّةِ ، فقالوا : هذا ينصرفُ عن المدينة إلى مكّةَ ، ويجبُ علينا أن نَمْنَعَ حَرَمَ اللهِ منه ، ونمتحنَ ابن الزُّبيرِ ، فإن كان على رأينا بايَعْناه[1] ، فمَضَوْا لذلك .

فكان أولُ أمرهم : أنَّ أبا الوازِعِ الرّاسِبِيّ ، وكان من مجتهدي الخوارجِ كان يَذْمُرُ نَفْسَه[2] ويلومُها على القعودِ ، وكان شاعراً ، وكان يفعلُ ذلك بأصحابه ، فأتَى نافِعَ بنَ الأزْرَقِ وهو في جماعةٍ من أصحابه ، يَصِفُ لهم جَوْرَ السلطانِ ، وكان ذا لِسانٍ عَضْبٍ ، واحتجاجٍ وصَبْرٍ على المنازعة ، فأتاه أبو الوازِعِ ، فقال : يا نافعُ ! لقد أُعْطِيتَ لسانًا صارمًا ، وقلبًا كَليلاً ، فلَوَدِدْتُ أن صَرامةَ لِسانِك كانت لقلبِك ، وكَلالَ قلبِك

---

(١) في ج و د « تابَعْناه » .

كان لِلسانِك ، أَتَحُضُّ على الحقِّ وتَقعُدُ عنه ، وتُقَبِّحُ الباطلَ وتُقيمُ عليه ؟! فقال : إلى أن تَجمعَ[١] من أصحابِك من تَنكِي به عدوَّك[٢] ، فقال أبو الوازع :

لِسانُكَ لا تَنكِي به القومَ إنما تَنالُ بِكَفَّيْكَ النَّجاةَ من الكَرْبِ[٣]

فَجاهِدْ أُناساً حارَبوا اللهَ واصْطَبِرْ عسى اللهُ أن يُخْزِي غَوِيَّ بنى حَرْبِ

ثم قال : واللهِ لا أَلومُكَ ونفسى أَلومُ ، وَلَأَغْدُوَنَّ غَدْوةً لا أَنْثَنِي بعدَها أبداً ، ثم مضى فاشترى سيفاً ، وأتى صَيْقلاً كان يذمُّ الخوارج ويَدُلُّ على عوراتِهم ، فشاوره فى السيف فحمِدَه ، فقال : اشْحَذْهُ ، فَشَحَذَهُ ، حتى إذا رَضِيهُ حَكَّمَ وَخَبَطَ به الصَّيقلَ ، وحملَ على الناس فتهارَبُوا منه ، حتى أتى مَقْبُرَةَ بنى يَشْكُرَ ، فَدَفَعَ عليه رجلٌ حائطَ السُّتْرةِ فكرهتْ ذلك بنو يَشْكُرَ ، خوفاً أن تَجْعَلَ الخوارجُ قبره مُهاجَراً ، فلما رأى ذلك نافعُ [بنُ الأزرقِ[٤]] وأصحابُه جَدُّوا ، وخرج فى ذلك جماعةٌ ، فكان ممن خرج عيسى بنُ فَاتِكٍ الشاعرُ الخَطِّيُّ ، من تيمِ اللاتِ بن ثَعلبةَ ، ومَقْتَلُهُ بعدَ خروجِ الأَزارِقة .

---

(١) فى ج و د و هـ « يجْتَمِعَ » .

(٢) بحاشية ا ما نصه : « يقالُ : نَكَيْتُ فى العَدُوِّ أَنْكِى نِكَايَةً ، وَنَكَأْتُ الْقَرْحَةَ أَنْكَؤُهَا نَكْأً : إذا قَشَرْتَهَا . وقال الخَليلُ : تقول نَكَأْتُ فى العَدُوِّ نَكْأً بالهمزِ ، ولغةٌ أخرى : نَكَيْتُ فى العَدُوِّ نِكَايَةً ، وَنَكَأْتُ الجُرْحَ والقَرْحَةَ ، وأنا أَنْكَؤُهما نَكْأً : إذا قَشَرْتَهُمَا بعد ما كادا يَبْرَآنِ » .

(٣) فى ج و د و هـ « لا يُنْكَى به القومُ » .

(٤) الزيادة من ج و هـ .

فمضى نافعٌ وأصحابُه من الحَرُورِيَّة قبلَ الاختلافِ إلى مكة ، ليَمْنَعُوا الحَرَمَ مِن جيش مُسْلِمِ بن عُقْبَةَ ، فلما صاروا إلى ابن الزبير عرَّفوه أنفسهم ، فأظهر لهم أنه على رأيهم ، حتى أتاهم مسلم بن عُقْبَةَ وأهلُ الشأمِ ، فدافَعُوهم إلى أن يأتىَ رأىُ يزيدَ بنِ معاويةَ ، ولم يبايعوا ابنَ الزبيرِ ، ثم تناظروا فيما بينهم ، فقالوا : نَدْخُل إلى هذا الرجل فننظرُ ما عندَه ، فإن قدَّمَ أبا بكر وعمرَ ، وبَرِئَ مِن عثمانَ وعليٍّ ، وكَفَّرَ أباهُ وطلحةَ ـ : بايَعْنَاه ، وإن تكنِ الأُخرَى ظهرَ لنا ما عندَه ، فتَشَاغلنا بما يُجْدِي علينا ، فدخلوا على ابنِ الزبير ، وهو مُتَبَذِّلٌ ، وأصحابُه متفرقون عنه ، فقالوا : إنَّا جئناك لتُخْبِرنا رأيَك ، فإن كنتَ على الصوابِ بايعناك ، وإن كنتَ على غيره[1] دَعَوْنَاكَ إلى الحقِّ ، ما تقولُ فى الشَّيخين ؟ قال : خيراً ، قالوا : فما تقولُ فى عثمان ، الذى أحْمَى الحِمَى ، وآوى الطَّرِيدَ[2] ، وأظهر لأهلِ مصرَ شيئاً وكَتَبَ بخلافه ، وأوْطَأَ آلَ أبى مُعَيْطٍ رقابَ الناسِ وآثَرَهُمْ بِفَيْءِ المسلمين ؟ وفى الذى بعدَه[3]

---

(١) فى ج و س و د و هـ « على خلافه » .

(٢) بحاشية ا ما نصه : « قال الخليلُ : أَوَى الإنسانُ إلى منزله أُوِيًّا ، وآوَيْتُ فلاناً إيواءً . وتقولُ : أَوَيْتُ إلى منزلى ، وآوَانِى فلانٌ إلى منزله . والمَأْوَى : كلُّ شىءٍ تَأْوِى إليه ليلاً أو نهاراً . قال الكسائىُّ : يقالُ : آويتُ الرجلَ إيواءً وَأَوَيْتُهُ ، وَأَوَيْتُ إلى أهلى وَأَوَيْتُ أهلى ، وَأَوَيْتُ الحَىَّ أشَدَّ الإوِىِّ ، بكسر الألفِ » .

(٣) يعنون علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه .

الذى حكّم فى دِينِ اللهِ الرجالَ ، وأقام على ذلك غيرَ تائبٍ ولا نادمٍ ؟ وفى أبيكَ وصاحِبه(١) ، وقد بايعَا عليًّا وهو إمامٌ عادلٌ مَرْضِيٌّ ، لم يَظْهَرْ منه كفرٌ ، ثم نَكَثَا ، بعَرَضٍ من أعراضِ الدنيا ، وأخرجا عائشةَ تُقَاتِلُ ، وقد أَمَرها اللهُ وَصواحِبَها أن يَقِرْنَ(٢) فى بُيُوتِهِنَّ ، وكان لك فى ذلك ما يَدْعُوكَ إلى التوبة ، فإن أنت قلتَ كما تقولُ فلكَ الزُّلْفةُ عندَ اللهِ والنَّصْرُ على أيدينا ، ونسألُ اللهَ لك التوفيقَ ، وإن أَبَيْتَ إلاَّ نَصْرَ رأيك الأولِ ، وتصويبَ أبيك وصاحبِه ، والتحقيقَ بعثمانَ ، والتَوَلِّيَ فى السنينَ السِّتِّ التى أَحَلَّتْ دمَه ، ونَقَضَتْ عَهْدَه(٣) ، وأَفْسَدَتْ إمامَتَه ـ : خَذَلَكَ اللهُ وانْتَصَرَ منك بأَيدِينا !!

فقال ابنُ الزبير : إنَّ اللهَ أمر ـ وله العِزَّةُ والقُدْرَةُ ـ فى مخاطبةِ أَكْفَرِ الكافرين وأَعْتَى العُتَاةِ بأرْأفَ(٤) من هذا القول ، فقالَ لموسى ولأخيه(٥) ـ صلى الله عليهما ـ فى فرعونَ : ﴿ فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾(٦) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تُؤْذُوا الأَحياءَ بِسَبِّ

---

(١) يعنون الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله ، رضى الله عنهما .

(٢) فى ج « يَقَرْنَ » . و « قَرَّ » من بابى « فَرَّ » و « مَلَّ » وهذا إشارة منهم إلى قوله تعالى : ﴿ وَقَرْنَ فى بُيُوتِكُنَّ ﴾ سورة الأحزاب آية ٣٣ وهى قراءة نافع وعاصم وأبى جعفر « قرن » بفتح القاف ، وقرأها باقى الأربعة عشر بكسر القاف .

(٣) كلمة « عهده » فى موضعها بياض فى أكثر النسخ ، وهى ثابتة فى بعضها ، وعليها نسخة المرصفى ، وكتب مصحح بعض طبعات مصر بدلها « أحكامه » وما هنا أصح وأجود .

(٤) فى ج و س و هـ « بِأَرْأَفَ » .

(٥) فى ج و س و د « وأخيه » .

(٦) سورة طه آية ٤٤

الموتى »[١] فنهى عن سبِّ أبي جهلٍ من أجل عِكْرِمةَ ابنِه، وأبو جهلٍ عدوُّ الله وعدوُّ الرسولِ، والمقيمُ[٢] على الشِّركِ، والجادُّ في المحاربة، والمُتَبغِّضُ[٣] إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلَ الهجرةِ، والمحاربُ له بعدَها، وكفى بالشركِ ذنباً، وقد كان يُغْنيكم عن هذا القولِ الذى سَمَّيْتُم فيه طلحةَ وأبي أن

(١) في ج و هـ « بسب الأموات ». والحديث رواه أحمد والنسائى من حديث المغيرة بن شعبة بلفظ: « لاتَسُبُّوا الأمواتَ فتُؤْذُوا الأحياءَ » وروى ابن سعد في الطبقات (ج ٤ ق ١ ص١٦): « أنَّ رَجُلاً من المهاجرين لَقِيَ العباسَ بنَ عبدِ المطلب فقال: يا أبا الفضلِ! أرأيتَ عبدَ المطلب بنَ هاشمٍ والغَيْطَلَةَ كاهنةَ بنى سَهْمٍ جَمَعَهُما اللهُ جميعاً فى النّارِ؟! فصفح عنه، ثم لقيه الثانيةَ فقال له مثل ذلك، فصفح عنه، ثم لقيه الثالثةَ فقال له مثل ذلك، فرفع العباسُ يده فوَجَأ أنفَه فكسره، فانطلق الرجلُ كما هو إلى النبى صلى الله عليه وسلم، فلما رآه قال: ماهذا؟ قال: العباسُ، فأرسلَ إليه فجاءه، فقال: ما أردتَ إلى رجلٍ من المهاجرين؟ فقال: يارسولَ الله! واللهِ لقد علمتُ أنَّ عبدَ المطلب فى النارِ، ولكنه لقينى فقال ياأبا الفضل أرَأيْتَ عبدَ المطلب بن هاشم والغيطلةَ كاهنة بنى سهم جمعهما الله جميعًا فى النّار، فصفحتُ عنه مرارًا، ثم والله ما ملكتُ نفسى، وما إياه أرادَ، ولكنه أرادنى، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مابالُ أحَدِكم يُؤْذِى أخاه فى الأمر وإن كان حقًّا؟! ».

(٢) في ج و د و هـ « عَدُوُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعدوُّ الله، المقيمُ » الخ.

(٣) بحاشية ا ما نصه: « في نسخة: المُتَنَقِّصُ ».

تقولوا : أَتَـبَرَّا(١) من الظالمين ؟ فإن كانا منهم دخلا فى غُمارِ الناس(٢) ، وإن لَمْ يكونا منهم لم تحفظونى(٣) بِسَبِّ أبى وصاحبِه، وأنتم تعلمون أنّ الله جلّ وعزّ قال للمؤمن فى أبويه : ﴿وإنْ جاهَدَاكَ عَلَى أنْ تُشْرِكَ بِي ما لَيْسَ لَكَ به عِلْمٌ فلا تُطِعْهُمَا ، وصاحِبْهُمَا فى الدُّنيا مَعْرُوفًا﴾(٤) وقال جَلّ ثناؤُهُ : ﴿وقُولُوا للنَّاسِ حُسْنًا﴾(٥) وهذا الذى دَعَوْتم إليه أمرٌ له ما بعدَه ، وليس يُقْنِعُكُمْ إلاَّ التوقيفُ والتَّصْريحُ ، ولَعَمْرِى إن ذلك لَأَحْرَى بِقَطْعِ الْحُجَجِ ، وأوضحُ لِمِنْهاجِ الحقّ ، وأَوْلَى بأن يَعرِفَ كلٌّ صاحبَه من عدوِّه ، فرُوحُوا إلىَّ مِنْ عَشِيَّتِكم هذه أَكْشِفْ لكم ما أنا عليه إن شاء الله . فلما كان العَشِيُّ رَاحُوا إليه ، فخرج إليهم وقد لَبِسَ سِلاَحَهُ ، فلما رَأَى ذلك نَجْدَةُ قال : هذا خروجُ مُنابِذٍ لكم ، فجلس على رَفْعٍ(٦) من الأرضِ ، فحَمِدَ اللهَ وَأثنى عليه ، وصلَّى على نبيه [محمدٍ(٧)] صلى الله عليه وسلم ، ثم ذَكَرَ أبا بكرٍ وعمرَ أحسنَ ذِكْرٍ ، ثم ذَكَرَ عثمانَ فى السِّنِينَ الأوائلِ من خلافتِه ، ثم وَصَلَهُنَّ بالسِّنِينَ التى أَنْكَرُوا سِيرَتَه فيها ، فجعلها كالماضيةِ ، وخَبَّرَ أنه آوَى الحَكَمَ

(١) فى ج و س « تَبَرَّأْ » . وفى د « تَبَرَّأْنَا » .

(٢) « غمار الناس » بضم الغين وفتحها : جماعتهم .

(٣) أى : لم تغضبونى .

(٤) سورة لقمان آية ١٥

(٥) سورة البقرة آية ٨٣

(٦) فى ا « رُبْوَة » وعليها « صح » . و « الربوة » المكان المرتفع ، بضم الراء وهو الأكثر ، والفتح لغة بنى تميم ، والكسر لغة أخرى ، كما فى المعيار .

(٧) الزيادة من ج و س .

بنَ أَبِى العاصِ بإذنِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذَكرا الحِمى وما كان فيه من الصَّلاحِ ، وأنَّ القومَ استعْتَبُوهُ من أُمور ، وكان له أن يفعلها أوَّلاً مُصيباً ، ثم أَعتَبهُمْ بعدُ مُحسناً ، وأنَّ أهلَ مصرَ لمَّا أتوه بكتابٍ ذَكرُوا أنه منه بعدَ أنْ ضَمِنَ لهم العُتْبَى ، ثم كُتِبَ لهم ذلك الكتابُ بقتْلِهِمْ ، فَدَفَعُوا الكتابَ إليه ، فحلف أنه لم يَكتُبْهُ ولم يَأْمُرْ به ، وقد أُمِرَ بقبولِ اليمينِ ممَّن ليس له مثلُ سابقتِهِ ، معَ ما اجْتَمَعَ له من صِهْرِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ومكانِهِ من الإمامةِ ، وأن بَيْعَةَ الرِّضْوانِ تحتَ الشَّجرةِ إنما كانت بسببه ، وعثمانُ الرجلُ الذى لَزِمَتْه يمينٌ لو حلَفَ عليها لَحَلَفَ على حَقٍّ فافتداها بمائةِ ألفٍ ولم يَحْلِفْ ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ حَلَفَ بِاللهِ فَلْيَصْدُقْ ، وَمَنْ حُلِفَ لَهُ بِاللهِ فَلْيَرْضَ »[1] فعثمانُ أميرُ المؤمنين كَصاحِبَيْه ، وأنا ولِيُّ وَلِيِّه ، وعَدُوُّ عَدُوِّه ، وأَبِى وصاحِبُه صاحِبَا رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، ورسولُ الله يقولُ[2] عن الله تعالى يومَ أُحُدٍ لمَّا قُطِعَتْ إصْبَعُ طلحةَ : « سَبَقَتْه إلى الجنةِ »[3] وقال : « أَوْجَبَ طلحةُ »[4] . وكان الصِّدِّيقُ إذا ذَكَرَ يومَ أُحُدٍ قال : ذاكَ[5] يومٌ كلُّه أو جُلُّهُ لطلحةَ ، والزبيرُ حَوارِىُّ رسولِ الله وَصِفْوَتُه[6] ، وقد ذَكَرَ أنهما فى الجنةِ ،

---

(١) لم أجد هذا الحديث بهذا اللفظ .

(٢) فى ع و هـ « وهو يقول » .

(٣) الحديث لم أجده بهذا اللفظ أيضاً .

(٤) الحديث رواه الترمذى فى السنن فى كتاب المناقب (٢ : ٣٠٢ طبعة بولاق ، ٤ : ٣٣٢ من شرح المباركفورى) وقال الترمذى : « هذا حديث حسن صحيح غريب » .

(٥) فى ع و س و د و هـ « ذلك » .

(٦) فى جميع الأصول بكسر الصاد ، و « الصفوة » مثلثة الصاد .

وقال جلّ وعزّ : ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ المؤمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾[١] وما أَخْبَرَنَا بعدُ أنه سَخِطَ عليهم ، فإن يكنْ ماسَعَوْا فيه حقًّا فأَهْلُ ذلك هُمْ ، وإن يكنْ زَلَّةً[٢] فَفِي عَفْوِ اللهِ تَمْحِيصُها ، وفيما وَفَّقَهم له من السابقة مع نَبِيّهم صلى الله عليه ، ومهما ذَكَرْتُمُوهُما به فقد بَدَأْتُمْ بأُمِّكُمْ عائشةَ رضي الله عنها ، فإن أَبَى آبٍ أن تكونَ له أُمًّا نَبَذَ اسمَ الإيمانِ عنه[٣] ، قال اللهُ جلّ ذكرهُ وقولُهُ الحقّ : ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾[٤] فَنَظر بعضُهم إلى بعضٍ ثم انصرفوا عنه .

⁂

وكان سببُ وضعِ الحربِ [أوزارَها][٥] بينَ ابنِ الزبير وبينَ أهلِ الشأم ـ بعدَ أنْ كان[٦] حُصَيْنُ بن نُمَيْرٍ قد حَصَرَ ابنَ الزبير ـ أنه أتاهم موتُ يَزيدَ بن معاويةَ فتوادَعَ الناسُ ، و[قد][٧] كان أهلُ الشأم ضَجِرُوا من المُقامِ على ابن الزبير ، وحَنِقَتِ الخوارجُ[٨] في قتالهم ، ففي ذلك يقول رجلٌ من قُضاعَةَ :

---

(١) سورة الفتح آية ١٨

(٢) في ا « وإنْ تكنْ زَلَّةً » .

(٣) في س « نَفَى عنه اسمَ الإيمانِ » .

(٤) سورة الأحزاب آية ٦

(٥) الزيادة من هـ .

(٦) في ج و د و هـ « بعد إذ كان » .

(٧) الزيادة من ج و س و د و هـ .

(٨) في ج و س و د « وَخَفَّتِ الخوارج » . وبحاشية ا ما نصه : « الحَنَقُ : =

يا صاحبيَّ ارْتَحِلاَ ثم امْلُسَا   لا تَحْبِسَا لَدَى الحُضَيْنِ مَحْبَسا
إنَّ لَدَى الأرْكانِ ناساً بُؤَّسا

[قال الأخفشُ: حِفْظِي « بَأْساً أَبْؤُساً »][1] :

وبارقاتٍ يَخْتَلِسْنَ الأنْفُسَا   إذا الفتى حَكَّم يوماً كَلَّسَا

قوله : « ثم امْلُسَا » يريد : تَخَلَّصَا تَخَلُّصاً سهلاً . « وَكَلَّس » أي حَمَلَ وَجَدَّ .

ولما سَمَحَ ابنُ الزبير للخوارج في القولِ وأظهر أنه منهم قال [له][2] رجل يقال له قَيْسُ بن هَمَّامٍ[3] من رَهْط الفَرَزْدَقِ :

يَابْنَ الزبير أتَهْوَى عُصْبَةً قَتَلُوا   ظلماً أباك ولمَّا تُنْزَعِ الشِّكَكُ
ضَحَّوْا بعثمانَ يومَ النحرِ ضاحيةً   ما أعْظَمَ الحرمةَ العُظْمَى التي انْتَهَكُوا

فقال ابنُ الزبير : لو شايعنِي التُّرْكُ وَالدَّيْلَمُ على قتال أهل الشأم لشايَعْتُها.

« الشِّكَكُ » جمعُ « شِكَّةٍ » وهي السلاحُ ، قال الشاعرُ :

ومُدَجَّجاً يَسْعَى بِشِكَّتِهِ   مُحْمَرَّةً عيناهُ كالـكَلْبِ

= الحِقْدُ ، حَنِقَ يَحْنَقُ حَنَقاً ، فأَحْنَقْتُ الرجلَ إحْنَاقاً : إذا أحْقَدْتَه ، والرجلُ حَنِقٌ وَحَنِيقٌ » .

(١) الزيادة من ا .

(٢) الزيادة من ج .

(٣) في ج و س و د ، و هـ « فلان بن خام » .

❊

فتفرقتِ الخوارجُ عن ابن الزبير لما تَوَلَّى عثمانَ ، فصارت طائفةٌ إلى البصرة ، وطائفةٌ إلى اليمامةِ ، وكان رَجاءُ التَّميْمِيُّ[1] هو الذى كان جَمَعهم للمدافعة عن الحَرَم ، فكان فيمن صار إلى البصرة نافعُ بن الأزرق الحنفىُّ ؛ وبَنُو الماحُوزِ[2] السليطِيُّونَ ، ورَئيسُهم حَسَّانُ بن بَجْزَجٍ[3] ، فلماصاروا إلى البصرة نظروا فى أمورهم فأَمَّروا عليهم نافعاً .

ويُرْوى : أن أبا الجَلْدِ اليَشْكُرِىَّ قال لنافعٍ يومًا : يا نافعُ ! إنّ لجهنم سبعةَ أبوابٍ ، وإن أشدَّها حَرًّا لَلْبابُ الذى أُعِدَّ للخوارج ، فإن قَدَرْتَ أن لاَّ تكونَ منهم فافعلْ ، فأَجمع القومُ عَلَى الخروج ، فمضى بهم نافعٌ إلى الأَهْواز فى سنةأربع وستين ، فأقاموابها ، لايَهيجون أحداً ، ويُناظِرُهم الناسُ .

❊

وكان سببُ خروجهم إلى الأَهواز أنه لَمَّامات يزيدُ بايَعَ أهلُ البصرة عُبَيْدَ الله بنَ زيادٍ ، وكان فى السجن يومئذٍ أربعُ مائةِ رجلٍ من الخوارج ، وضَعُفَ أمرُ ابنِ زيادٍ ، فَكُلِّمَ فيهم ، فأطلقهم ، فأفسدوا البَيْعَةَ عليه ، وفَشَوْا فى الناس ، يَدْعُونَ إلى محاربة السلطانِ ، ويُظْهِرُون ماهم عليه ، حتى اضْطَرَبَ عَلَى عُبيد الله أمرُه ، فتحوّل عن دار الإمارة إلى الأَزْد ، ونَشَأَتِ الحربُ بسببه

---

(١) فى ج و د و هـ « رجاءُ النَّصْرِىُّ » .

(٢) قال المرصفى : « هم الزبير وعثمان وعلىّ وعبد الله وعبيد الله بنو بشير بن يزيد المعروف بالماحوز ، وهم من بنى الحرث بن سليط بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، وكلهم أمراء الأزارقة » .

(٣) فى ج « بَخْدَجٍ » وفى د « بَخْذَجٍ » وفى هـ « بَخْذَجٍ »

بين الازدِ وربيعةَ وبين بنى تميم ، فاعتزلهم الخوارجُ إلاَّ نفراً منهم من بنى تميم، معهم عَبْسُ بن طَلْقٍ الصَّريمىُّ أخو كَهْمسٍ ، فانهم أعانوا قومَهم، فكان عبسُ الطَّعانِ فى سعدٍ ، والرَّبابُ فى القَلْبِ بحِذاء الأزدِ ، وكان حارثةُ بن بَدْرٍ اليربوعىُّ فى حَنْظَلةَ بحذاء بَكْرِ بن وائلٍ ، وفى ذلك يقول حارثةُ بن بدرٍ للأحْنفِ ، وهو صَخْرُ بن قيسٍ :

سيَكفيكَ عبسٌ أخو كَهْمسٍ مُواقَفَةَ الازْدِ بالِمرْبَدِ

وتَكفيكَ عَمْرٌو على رِمْلِها لُكَيْزَ بن أفْصَى وما عَدَّدُوا

« لُكَيْزٌ » هو عبدُ القيْسِ .

وَتَكفيكَ بَكْراً إذا أقبلتْ بضربٍ يَشيبُ له الأمْرَد

فلما قُتل مسعودُ بن عَمْرٍو المَعْنِىُّ وتَكافَّ الناسُ أقام نافعُ بن الأزْرق بموضعِه بالأهوازِ ، ولم يَعُدْ إلى البصرة ، وطردوا عُمَّالَ السلطانِ عنها ، وجَبَوُا الْفَىْء .

ولم يزالوا على رأىٍ واحدٍ ، يتَوَلَّوْنَ أهلَ النهر ومِرْداساً ومن خرج معه ، حتى جاء مَوْلًى لبنى هاشم إلى نافعٍ ، فقال له : إن أطفالَ المشركين فى النارِ ، وإن مَن خالَفَنا مشركٌ ، فدماء هؤلاء الأطفالِ لنا حلالٌ ، قال له نافعٌ : كفرتَ وأذْلَلْتَ بنفسك[1] ، قال له : إنْ لم آتِكَ بهذا من كتاب الله فاقْتُلْنى ﴿ قالَ نُوحٌ رَبِّ لاتَذَرْ على الأَرضِ من الكافرين دَيَّاراً . إنَّك إنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبادَكَ ولا يَلِدُوا إلاَّ فاجِراً كَفَّاراً ﴾[2] فهذا أمرُ الكافرينَ وأمرُ

---

(١) فى س و هـ « وأحْلَلْتَ بنفسِكَ » .

(٢) سورة نوح آية ٢٦ و ٢٧ .

أطفالَهم ، فشهِدَ نافعٌ أنهم جميعاً في النار ، ورَأَى قتلهم ، وقال : الدارُ دارُ كُفرٍ إلّا مَنْ أظهر إيمانَهُ ، ولا يَحِلُّ أكل ذبائحهم[١] ، ولا تَناكُحهُمْ ، ولا تَوارُثُهُمْ ، ومتى جاء منهم جاءٍ فعلينا أن نَمْتَحِنَهُ ، وهم كَكُفَّارِ العرب ، لا نَقبلُ منهم إلّا الإسلامَ أو السيفَ ، والقَعَدُ بمنزلتِهم ، والتَّقِيَّةُ لا تَحِلُّ ، فإن الله تعالى يقول : ﴿ إذا فَرِيقٌ منهم يَخْشَوْنَ الناسَ كخشيةِ اللهِ أو أشَدَّ خَشْيَةً ﴾[٢] وقال عزّ وَجلَّ فيمن كان على خلافِهم : ﴿ يُجَاهِدُونَ في سبيلِ اللهِ ولا يَخافُونَ لَوْمةَ لائمٍ ﴾[٣]. فنَفَرَ جماعةٌ من الخوارج عنه ، منهم نَجْدَةُ بن عامرٍ ، واحتجّ عليه بقول الله عز وجلّ : ﴿ إلاَّ أن تَتَّقُوا منهم تُقَاةً ﴾[٤] وبقوله عز وجل : ﴿ وقال رجلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إيمانَهُ[٥] ﴾ فالقَعَدُ منّا ، والجهادُ إذا أمكنَ أفضلُ ، لقوله جلّ وعزّ : ﴿ وفَضَّلَ اللهُ المجَاهِدِينَ على القَاعِدِينَ أجْراً عظيماً ﴾[٦] . ثم مضى نَجْدَةُ بأصحابه إلى اليمامة وتفرّقوا في البُلدانِ .

فلما تَتَايَعَ[٧] نافعٌ في رأيه وخالفَ أصحابَهُ ، وكان أبو طالوتَ سالمُ

---

(١) في ج و س و د و هـ « ولا تَحِلُّ ذبائحُهُمْ » .

(٢) سورة النساء آية ٧٧

(٣) سورة المائدة آية ٥٤ وفي ج و س و د « يقاتلون » بدل « يجاهدون » وهو خطأ يخالف التلاوة .

(٤) سورة آل عمران آية ٢٨

(٥) سورة غافر آية ٢٨

(٦) سورة النساء آية ٩٥

(٧) « تتايع » بالياء المثناة التحتية . قال في اللسان : « التتايع في الشيء وعلى الشيء : التهافت فيه والمتابعة عليه : الإسراع إليه . يقال : تتايعوا في الشر : إذا تهافتوا وسارعوا إليه » . ثم نقل عن الأزهري قال : « ولم نسمع التتايع في الخير ، وإنما سمعناه في الشر ، والتتايع : =

بن مَطَرٍ بالخَضَارِمِ فى جماعةٍ قد بايعوه ، فلما انخزل نجْدة خلعوا أبا طالوتَ ، وصاروا إلى نجدةَ فبايعُوهُ ، ولَقِيَ نجدةُ وأصحابُهُ قومًا من الخوارج بالعَرِمَةِ ، « والعَرِمَةُ » كالسُّكْرِ[1] ، وجمعُها «عَرِمٌ» وفى القرآن المَجِيدِ : ﴿فأَرْسَلْنَا عليهم سَيْلَ العَرِمِ﴾[2] ، وقال النابغةُ الجَعْدِيُّ :

مِنْ سَبَأَ الحاضِرِينَ مَأْرِبَ إِذْ ... يَبْنُونَ مِن دُونِ سَيْلِهِ العَرِمَا

فقال لهم أصحابُ نَجْدَةَ : إن نافعًا قد كَفَرَ[3] القَعَدَ ورأى الاستعراضَ[4] ، وقَتْلَ الأطفالِ[5] ، فانصرفوا مع نجدةَ ، فلما صار باليمامة كَتَبَ إلى نافع :

بسم الله الرحمن الرحيم . أمّا بعدُ : فان عَهْدى بك وأنتَ لليتيم كالأبِ الرحيمِ ، وللضعيفِ كالأخِ البَرِّ ، لا تأخذُكَ فى اللهِ لومةُ لائمٍ ، ولا تَرَى

= التهافت فى الشرّ واللجاج ، ولا يكون التتابع إلا فى الشرّ » . وفى ج و س و د و ه « تتايع » بالباء الموحدة ، وعليها طبعات مصر .

(١) هنا بحاشية ا ما نصه : « السُّكْرُ : ما سَكَرْتَ به الماءَ فمنعْتَه عن جَرْيِهِ ، وأصلُه من قولهم : سَكَرَتِ الريحُ : إذا سَكَنَتْ . وقال الخليلُ : السُّكرُ سَدُّكَ بَثْقَ الماء ، والسِّكْرُ اسمٌ لذلك السِّدادِ الذى تجعلُه سَدًّا للبَثْقِ . قال ابنُ دُريدٍ : العَرِمَةُ : سَدٌّ يُعْتَرَضُ به الوادِى لِيَحْبِسَ الماءَ ، والجمعُ عَرِمٌ . وقال أبو حاتمٍ : العَرِمُ واحدٌ لاجمعَ له من لفظه » .

وهنا أيضاً بحاشية ه ما نصه : « قال أبو الحسن : غيرُه يقول العَرَمَةُ بالفتح ، والصوابُ العَرِمَةُ بالكسر » .

(٢) سورة سبأ آية ١٦

(٣) فى ج و س و د و ه « أَكْفَرَ » .

(٤) «الاستعراض» قال المرصفى : «يريد اعتراضه الناس يقتلهم ، لا يبالى أمسلما قتل أم كافراً» .

(٥) فى ا « وقَتَلَ الأطفالَ » .

مَعونة ظالم ، كذلك كنتَ أنتَ وأصحابُك ، أمَا تَذْكُرُ[1] قولَكَ : لولا أنِّى أعلم أنَّ للإمام العادلِ مثلَ أجرِ جميع رعيَّتِه ما توليتُ أمرَ رجلين من المسلمين ؟ فلما شَرَيْتَ نَفسَكَ فى طاعة ربك ابتغاءَ رضوانه ، وأصبتَ من الحَقِّ فَصَّهُ ، وركبتَ مُرَّهُ ، تَجَرَّدَ لك الشيطانُ ، ولم يكن أحَدٌ أثقلَ عليه وَطْأَةً منك وَمن أصحابك ، فاستمالَكَ واستهواكَ واستغواكَ وأغواكَ ، فغَوَيْتَ ، فأكفرتَ[2] الذين عَذَرهم اللهُ فى كتابه من قَعَدِ المسلمين وضَعَفَتِهِمْ ، فقال جل ثناؤُهُ ، وقولُهُ الحقُّ ووعْدُهُ الصِّدْقُ : ﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفاءِ ولا عَلَى المَرْضَىٰ ولا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ ما يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إذا نَصَحُوا لِلَّهِ ورَسُولِهِ ﴾[3] ثم سَمَّاهم أحسنَ الأسماء فقال : ﴿ ما عَلَى المُحْسِنِينَ من سَبِيلٍ ﴾[4] ثم استَحْلَلْتَ قتلَ الأطفالِ ، وقد نَهَى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتلهم ، وقال اللهُ عز ذكره : ﴿ ولا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾[5] وقال فى القَعَدِ خيراً ، وَفَضَّلَ اللهُ مَنْ جاهَدَ عليهم ، ولا يَدْفَعُ مَنْزِلَةُ أكثرِ النَّاس عملاً منزلَةَ مَنْ هودُونَه ، أوَمَا سمعتَ قولَه عز وجل : ﴿ لا يَسْتَوِى القَاعِدُونَ من المُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِى الضَّرَرِ ﴾[6] فجعلهم اللهُ من المؤمنين ، وفَضَّلَ عليهم المجاهدينَ بأعمالهم ، ورأيتَ ألَّا تُؤَدِّىَ الأمانةَ

(١) فى ج و س و د و ﻫ « أوَمَا تَذْكُرُ » .

(٢) فى ج و س و د و ﻫ « فكَفَّرْتَ » .

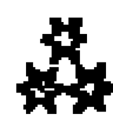
(٣) سورة التوبة آية ٩١

(٤) سورة التوبة آية ٩١

(٥) سورة الأنعام آية ١٦٤ وسورة الإسراء آية ١٥ وسورة فاطر آية ١٨ وسورة الزمر آية ٧

(٦) سورة النساء آية ٩٥ وقرأ نافع وابن عامر والكسائى « غيرَ » بنصب الراء ، وباقى السبعة برفعها .

إلى مَنْ خالفَك ، واللهُ يأمرُ أن تُؤدِّى الأَماناتُ إلى أهلها ، فاتَّقِ اللهَ وانظرْ لنفسك ، واتَّقِ يوماً ﴿لا يَجْزِى والدٌ عن وَلَدِه ولا مَوْلُودٌ هو جَازٍ عن وَالِدِهِ شَيْئاً﴾(١) فإن الله عزَّ ذِكرُه بالمِرْصَاد ، وحُكْمُهُ العَدْلُ ، وقوله الفصلُ ، والسلامُ .



فكَتَبَ إليْهِ نافعٌ :

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعدُ ، فقد أَتانى كتابُكَ تعِظُنِى فيه وتُذَكِّرُنى ، وتَنْصَحُ لى وتَزْجُرُنِى ، وتَصِفُ ما كنتُ عليه من الحقِّ ، وما كنتُ أُوثِرُه من الصواب ، وأنا أَسْأَلُ اللهَ جلَّ وعزَّ أن يجعلنى من الذين يستمعون القولَ فيتَّبِعُونَ أَحْسنَهُ ، وعِبْتَ علىَّ ما دِنْتُ بهِ من إِكفارِ القَعَدِ وقَتْلِ الأطفالِ واستحلال الأمانةِ ، فسأُفَسِّرُ لك لِمَ ذلك إن شاءالله : أمّا هؤلاءِ القَعَدُ فليسوا كَمَنْ ذَكَرْتَ ممن كان بعَهْدِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنهم كانوا بمكّة مَقْهُورِينَ محصورين ، لا يَجِدُون إلى الهرَبِ سبيلاً ، ولا إلى الاتِّصال بالمسلمين طريقاً ، وهؤلاء قد فَقِهُوا فى الدِّين ، وقَرَؤُا القرآنَ ، والطريقُ لهم نَهْجٌ واضحٌ ، وقد عرفتَ ما قال اللهُ عز وجل فيمن كان مِثْلهم ، إذ قالوا : ﴿كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فى الأَرْضِ﴾(٢) فقيلَ لهم :

---

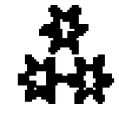
(١) سورة لقمان آية ٣٣ والتلاوة « واخشوا يوما لا يجزى »

(٢) سورة النساء آية ٩٧

﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ﴾[1] وقال : ﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ ﴾[2] وقال : ﴿ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ ﴾[3] فَخَبَّرَ بتعذيرهم ، وأنَّهم كَذَبُوا اللهَ ورسولَهُ ، وقال : ﴿ سَيُصِيبُ الذين كَفَرُوا منهم عذابٌ أليمٌ ﴾[4] فانْظُرْ إلى أسمائهم وسِمَاتِهِمْ ، وأمَّا أَمْرُ الأطفالِ فإنَّ نبيَّ اللهِ نوحاً عليه السلامُ كان أعلمَ باللهِ - يا نَجْدَةُ - مِنِّي ومنكَ ، فقال : ﴿ رَبِّ لا تَذَرْ على الأَرْضِ مِنَ الكَافِرِينَ دَيَّاراً ، إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عبادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً ﴾[5] فسَمَّاهم بالكُفْرِ وهم أطفالٌ ، وقبلَ أَنْ يُولَدُوا ، فكيفَ كانَ ذلك في قوم نوحٍ ولا نَكُونُ نَقُولُه في قومِنا ؟! واللهُ يقولُ : ﴿ أَكُفَّارُكُمْ خيرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ ، أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ في الزُّبُرِ ﴾[6] وهؤلاء كمُشْرِكِي العربِ ، لا تَقْبَلُ منهم جزيةً ،[7] وليس بيننا وبينهم إلاَّ السيفُ أو الاسلامُ . وأما استحلالُ أماناتِ مَنْ خالَفَنَا فإنَّ اللهَ عز وجل أَحَلَّ لنا أموالَهم ، كما أحلَّ لنا دِماءهم ، فدماؤُهم حلالٌ طِلْقٌ ،[8] وأموالُهم فَيْءٌ للمسلمين ، فاتَّقِ اللهَ

(١) سورة النساء آية ٩٧
(٢) سورة التوبة آية ٨١
(٣) سورة التوبة آية ٩٠
(٤) سورة التوبة آية ٩٠
(٥) سورة نوح آية ٢٦و٢٧
(٦) سورة القمر آية ٤٣
(٧) في س و د « لا تُقْبَلُ منهم جزيةٌ » .
(٨) « الطلق » بكسر الطاء وسكون اللام : الحلال . فهو توكيد ، يراد به أنه حلال طيب .

وراجِعْ نفسَك ، فإنه لا عُذرَ لك إلّا بالتوبة ، ولن يَسَعَكَ خِذْلانُنَا ، والقعودُ عنّا ، وتَرْكُ مَا نَهَجْنَاه لك⁽١⁾ من طريقتِنا ومَقالتِنا ، والسلامُ على مَنْ أقَرَّ بالحقِّ وعَمِلَ به .



وكَتَبَ نافعٌ إلى عبد الله بن الزُّبير يدعوه إلى أمره :

أمّا بعدُ ، فإنى أُحذِّرُكَ مِن اللهِ ﴿ يومَ تَجِدُ كلُّ نَفْسٍ مّا عَمِلَتْ مِن خَيْرٍ مُحْضَراً ، وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً ، وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ⁽٢⁾ ﴾ فاتّقِ اللهَ رَبَّكَ ، ولا تَتَوَلَّ الظالمين ، فإن الله يقولُ : ﴿ لاَ يَتَّخِذِ المؤمنونَ الكافرينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ المؤمنِينَ ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ⁽٣⁾ ﴾ وقد حَضَرْتَ عثمانَ يوم قُتِلَ ، فلعَمْرى لَئِنْ كان قُتِلَ مظلومًا لقد كَفَرَ قاتِلوه وخاذِلوه ، ولئن كان قاتِلوه مُهْتَدِينَ — وإنهم لَمُهْتَدُونَ — لقد كَفَرَ مَنْ يتولّاه وينصرُه ويَعْضُدُهُ ، ولقد علمتَ أن أباكَ وطلحةَ وعليًّا كانوا أشدَّ النّاسِ عليه ، وكانوا فى أمره مِنْ بَيْنِ قاتلٍ وخاذلٍ ، وأنت تتولّى أباكَ وطلحةَ وعثمانَ ، وكيف⁽٤⁾ وَلَايَةُ قاتلٍ مُتَعَمِّدٍ

---

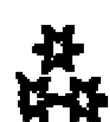
(١) هنا بحاشية ا ما نصه : « ابنُ شاذانَ : النَّهْجُ : الطريقُ الواضحُ ، والجمعُ نُهُوجٌ ، وهو المَنْهَجُ ، والجمعُ مَناهِجُ » .

(٢) سورة آل عمران آية ٣٠

(٣) سورة آل عمران آية ٢٨

(٤) فى ج و س و د و ﻫ « فكيف » .

ومقتولٍ فى دينٍ واحدٍ ؟! ولقد مَلَكَ علىٌّ بعده فنَفَى الشُّبُهاتِ ، وأقامَ الحدودَ ، وأجْرَى الأحكامَ مَجارِيَهَا ، وَأعْطَى الأمورَ حقائِقَها ، فيما عليه وله ، فبايعه أبوكَ وطلحةُ ، ثُمَّ خَلَعَاهُ ظالِمَيْنِ له ، وإنَّ القولَ فيك وفيهما لَكَمَا قال ابنُ عباس : إنْ يكنْ علىٌّ فى وقتِ معصيتِكم ومُحارَبَتِكم له كان مؤمناً أمَا لقد كفرتم بقتالِ المؤمنين[1] وأئمةِ العدلِ ، ولئن كان كافراً كما زعمتم وفى الحُكْمِ جائراً لقد بُؤْتُم بغضبٍ من الله لفِرَارِكم من الزَّحْفِ ، ولقد كنتَ له عدوًّا ، ولِسِيرته عائباً ، فكيف تَوَلَّيْتَهُ بعدَ موتِه ؟! فاتَّقِ اللهَ فإنه يقولُ : ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ[2] ﴾ .



وكتب نافعٌ إلى مَنْ بالبَصْرة من المُحَكِّمةِ :

بسم الله الرحمن الرحيم . أمّا بعدُ ، فإن الله اصطفَى لكُمُ الدينَ فلا تموتُنَّ إلاّ وأنتم مسلمونَ[3] ، واللهِ إنكم لتَعلمونَ أن الشريعةَ واحدةٌ ، والدينَ واحدٌ ، ففيم المُقَامُ بين أظهرِ الكفارِ ، تَرَوْنَ الظلم ليلاً ونهاراً ، وقد نَدَبكم الله إلى الجهادِ فقال : ﴿وقَاتِلُوا المشركينَ كافَّةً[4]﴾ ولم يجعل لكم فى التَّخَلُّفِ عذراً

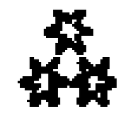
(١) ج و س و د و هـ « لقتال المؤمنين » .
(٢) سورة المائدة آية ٥١
(٣) فى سورة البقرة آية ١٣٢ « وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ » .
(٤) سورة التوبة آية ٢٦ وفى ج و د و هـ « قاتلوا » بدون ذكر واو العطف .

فى حالٍ من الحالِ(١) ، فقال : ﴿ انفِرُوا خِفَافًا وثِقَالاً(٢) ﴾ . وإنما عَذَرَ الضُّعَفاءَ والمَرْضَى والذينَ لا يَجِدون ما يُنفقونَ ومَنْ كانت إقامتُه لِعِلَّةٍ ، ثم فضَّل عليهم مع ذلك المجاهدين فقال : ﴿ لايَسْتَوِى القَاعِدُونَ مِنَ المؤمنينَ غَيْرُ(٣) أُولِى الضَّرَرِ والمجاهِدُونَ فِى سبيلِ اللهِ(٤) ﴾ . فلا تَغْتَرُّوا ولا تطمئِنُّوا إلى الدنيا ، فإنها غَرَّارةٌ مَكَّارةٌ ، لَذَّتُها نافِدَةٌ ، ونِعْمَتُها بائدةٌ ، حُفَّتْ بالشَّهواتِ اغترارًا ، وأظْهَرَتْ حَبْرَةً(٥) ، وأضمرتْ عَبْرَةً ، فليس آكلٌ منها أَكْلةً تَسُرُّه ، ولا شاربٌ شَرْبةً تُؤْنِقُهُ(٦) — : إلاّ دَنَا بها درجةً إلى أجلِه ، وتَباعَدَ بها مسافةً من أَمَلِهِ ، وإنما جعلَها اللهُ دارًا لمن تَزَوَّدَ منها إلى النعيم المقيم ، والعيش السليمِ ، فلن يَرْضَى بها حازمٌ دارًا(٧) ، ولا حليمٌ بها قرارًا ، فاتقوا الله ﴿ وَتَزَوَّدُوا فإنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى(٨) ﴾ والسلامُ على من اتَّبَعَ الهدَى .

فوَرَدَ كتابُه عليهم ، وفى القوم يومَئذٍ أبو بَيْهَسٍ هَيْصَمُ بن جابرٍ الضُّبَعِيُّ ، وعبدُ الله بن إباضٍ المُرِّىُّ ، من بنى مُرَّةَ بن عُبَيدٍ ، فأقبلَ أبو بَيْهَسٍ

(١) فى س « من الأحوال » .
(٢) سورة التوبة آية ٤١
(٣) قرأ نافع وابن عامر والكسائى « غير » بنصب الراء ، وباقى السبعة برفعها . وضبطت فى أصول الكتاب هنا بالإعرابين .
(٤) سورة النساء آية ٩٥ .
(٥) « حبرة » بفتح الحاء المهملة وسكون الباء الموحدة ، وهى النعمة وسعة العيش . وفى بعض النسخ المطبوعة بمصر « حيرة » بالتحتية ، وهو تصحيف .
(٦) « تؤنقه » أى تعجبه .
(٧) فى ج « أجار » .
(٨) سورة البقرة آية ١٩٧

على ابن إباضٍ فقال : إنَّ نافِعا غَلاَ فَكَفَرَ ، وإنك قصّرْتَ فكفرْتَ ! تَزْعُمُ أنَّ مَن خالفَنا ليس بمشركٍ ، وإنما هم كُفَّارُ النِّعَمِ ؛ لتمسّكِهم بالكتابِ ، وإقرارِهم بالرّسولِ ، وتزْعُمُ أنَّ مَنا كِحَهُمْ ومَوارِيثَهم[1] والإقامةَ فيهم حِلٌّ طِلْقٌ[2] ؟ وأنا أقولُ : إن أعداءنا كأعداءِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، تَحِلُّ لنا الإقامةُ فيهم ، كما فَعَل المسلمون فى إقامتهم بمكة ، وأحكامُ المشركين تجْرِى فيها[3] ، وأزْعُمُ أنَّ مَنا كِحَهم ومَوارِيثهم تجوزُ لأنهم منافقونَ يُظهِرونَ الإسلامَ ، وأنّ حكمَهم عندَ الله حكمُ المشركين !!



فصاروا فى هذا الوقتِ على ثلاثة أقاويلَ : قولِ نافعٍ فى البَرَاءةِ والاستعراضِ واستحلالِ الأمانةِ وقتلِ الأطفالِ . وقولِ أبى بَيْهَسٍ الذى ذكرناه . وقولِ عبد الله بن إباضٍ . وهو أقربُ الأقاويلِ إلى السُّنَّةِ من من أقاويل الضُّلَّالِ . والصُّفْرِيَّةُ والنَّجْدِيَّةُ فى ذلك الوقتِ يقولون بقولِ ابن إباضٍ . وقد قال ابنُ إباضٍ ماذكرنا من مقالتِه .

وأنا أقول[4] : أنَّ[5] عَدُوَّنا كعدوِّ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، ولكنِّى لا أُحرِّمُ منا كِحَتَهم ومَوَارِيثَهم ، لأن معهم التوحيدَ والإقرارَ

---

(١) فى س و ه « مُنا كحتَهم ومُوَارثتَهم » .

(٢) « طلق » بكسر الطاء وسكون اللام ، أى : حلال .

(٣) فى ج و ه « تجرى فيهم » .

(٤) الذى يقول هذا أبو العباس المبرد رحمه الله .

(٥) « إن » بكسر الهمزة فى ج و ا وبفتحها فى باقى النسخ ، والفتح أرجح أو أصح .

بالكتابِ والرسولِ عليه السلام ، فَأَرَى معهم دَعْوَةَ المسلمين تَجْمَعُهُمْ ، وَأَرَاهُمْ كُفَّارًا لِلنِّعَمِ . وَقَالَتِ الصُّفْرِيَّةُ أَلْيَنَ من هذا القول فى أَمْرِ القَعَدِ ، حتى صار عَامَّتُهُمْ قَعَدًا . وَاخْتَلَفُوا فيهم ، وقد ذكرنا ذلك . فقال قوم : سُمُّوا « صُفْرِيَّةً » لأنهم أصحابُ ابن صَفَّارٍ ، وقال قومٌ : إنما سُمُّوا بِصُفْرَةٍ عَلَتْهُمْ ، وتصديقُ ذلك قولُ ابنِ عاصمٍ اللَّيْثِيِّ ، وكان يَرَى رَأْيَ الخوارجِ ، فتركه وصار مُرْجِئًا :

فارقتُ نَجْدَةَ والذين تَزَرَّقُوا ... وَابْنَ الزُّبَيْرِ وَشِيعَةَ الكَذَّابِ[1]

وَالصُّفْرَ الْآذَانِ الذين تَخَيَّرُوا ... دِينًا بلا ثِقَةٍ ولا بكتابِ

خَفَّفَ الهمزةَ من « الآذَانِ » ولولا ذلك لانكسرَ الشِّعْرُ .

وَقَالَ أَبُو بَيْهَسٍ : الدارُ دارُ كُفْرٍ ، والاستعراضُ فيها جائزٌ ، وإن أُصِيبَ من الأطفال فلا حَرَجٌ . إلى هٰهنا انتهتِ المقالةُ .

⁂

وَتَفَرَّقَتِ الخوارجُ على الْأَضْرُبِ الأربعةِ التي ذكرنا ، وأقام نافعٌ بالأهوازِ يعترضُ الناسَ ويَقْتُلُ الأطفالَ ، فإذا أُجِيبَ إلى المقالةِ جَبَا الخراجَ ، وفَشَا عُمَّالُهُ فى السَّوادِ ، فارتاعَ لذلك أهلُ البصرة ، فاجتمعوا إلى الأحنفِ بن قَيْسٍ ، فشَكَوْا ذلك إليه ، وقالوا : ليس بيننا وبين العدوّ إلّا ليلتانِ ، وسيرتُهُمْ ما تَرَى ، فقال الأحنفُ : إنَّ فعلَهم فى مصرِكم - إن ظَفِرُوا به[2] -

(١) بحاشية ه « يعنى المختار » . وهو المختار بن أبى عبيد الثقفى .

(٢) فى ج و د و ه « إن ظفروا بكم » .

كَفِعْلِهِمْ فى سَوادِكم ، فجِدُّوا فى جهادِ عدوِّكم ، فاجتمع إليه عشرةُ آلافِ [رجل(١)] ، فأتى عبدَ الله بنَ الحرثِ بن نوفلِ بن الحرثِ بن عبد المطَّلب ، وهو بَبَّةُ(٢) ، فسأله أن يُؤمِّرَ عليهم ، فاختارلهم ابنَ عُبَيْسٍ(٣) بن كُرَيْزٍ ، وكان دَيِّنًا شجاعًا ، فأمَّره عليهم وشيَّعهُ ، فلما نفَذَ من جِسْرِ البصرةِ أقبلَ على الناس فقال : إنى ما خرجتُ لامْتِيَارٍ(٤) ، ذهبٍ ولا فضةٍ ، وإنى لأُحارِبُ قومًا إن ظفرتُ بهم فما وراءهم إلَّا سيوفُهم ورماحُهم ، فمن كان شأنُه الجهادَ فلينْهَضْ ، ومَنْ أحبَّ الحياةَ فليرجِعْ ، فرجع نفرٌ يسيرٌ ، ومضى الباقون معه(٥) . فلما صاروا بدُولابَ(٦) خرج إليهم نافعٌ . فاقتتلوا قتالًا شديدًا ، حتى

---

(١) الزيادة من س .

(٢) بحاشية ا ما نصه : « قال ابنُ شاذانَ : البَبَّةُ : كَثْرةُ اللحمِ وتراكُبُه . وبه لُقِّبَ عبد الله بن الحرثِ بن نوفلٍ بَبَّةَ ، لكثرة لحمه فى صغره ، وله تقول أمُّه هِنْدُ بنتُ أبى سفيانَ ، وهى تُنَقِّزُهُ :

لأُنْكِحَنَّ بَبَّهْ جاريةً كالقُبَّهْ
مُكْرَمَةً مُحَبَّهْ تَجُبُّ أهلَ الكَعْبَهْ

تَجُبُّهم : تَغلِبُهم ، أى : تَغلبُ نساءَ قريش بحُسْنها ، يقال : جَبَّتْ فلانةُ النساءَ تَجُبُّهُنَّ جَبًّا : إذا غلبتْهُنَّ » . ومعنى « تُنَقِّزُهُ » تُوَثِّبُهُ ، كأنها تُرَقِّصُهُ .

(٣) قال المرصفى إن اسمه « مسلم بن عبيس » .

(٤) « امتيار » بالراء ، من الميرة ، وهى جلب الطعام . وفى بعض طبعات مصر بنقط الراء ، وهو تصحيف .

(٥) فى س و د « ومضى الناس معه » .

(٦) ضبطت فى كل أصول الكامل بضم الدال . وضبطها ياقوت بالفتح ، وقال : « وأكثر المحدثين يروونه بالضم ، وقد روى بالفتح » . وقال السمعانى فى الأنساب : « والصحيح فتح الدال ولكن الناس يضمونها » . ودولاب هذه قرية بينها وبين الأهواز أربعة فراسخ .

تكسَّرت الرماحُ ، وعُقِرَتِ الخيلُ ، وَكَثُرَتِ الجِرَاحُ[١] ، والقتلُ[٢] ، وتضاربوا بالسيوف والعَمَدِ ، فقُتِلَ فى المَعْرَكَةِ ابْنُ عُبَيْسٍ ونافعُ بنالأزرق ، وكان ابْنُ عُبَيْسٍ [قد[٣]] تقَدَّمَ إلى أصحابه فقال : إنْ أُصِبْتُ فأميرُكُم الرَّبِيعُ بن عمرٍو الأَجْذَمُ الغُدَانىُّ ، فلما أُصِيبَ ابْنُ عُبَيْسٍ أَخَذَ الربيعُ الرايةَ ، وكان نافعٌ قد استخلفَ عُبَيْدَ الله بن بَشِيرِ بن المَاحُوزِ السَّلِيطِىَّ ، فكان الرئيسانِ من بنى يربوع : رئيسُ المسلمين من بنى غُدَانَةَ بن يربوعٍ ، ورئيسُ الخوارج من بنى سَلِيطِ بن يربوعٍ ، فاقتتلوا قتالاً شديدًا ، وادَّعى قتلَ نافعٍ سَلاَمَةُ الباهلىُّ ، وقال : لَمَّا قَتَلْتُهُ وكنتُ على بِرْذَوْنٍ وَرْدٍ[٤] إذا بِرَجُلٍ على فرسٍ وأنا واقفٌ فى خُمْسِ قَيْسٍ يُنَادِى : يا صاحبَ الوَرْدِ ! هَلُمَّ إلى المبارزة ، فوقفتُ فى خُمْسِ بنى تميمٍ فاذا به[٥] يَعْرِضُها علىَّ ، وجعلتُ أَتَنَقَّلُ[٦] من خُمْسٍ إلى خُمْسٍ ، وليس يُزَايِلُنى ، فَصِرْتُ إِلَى رَحْلِى ، ثُمَّ رَجَعْتُ فرآنى فدعانى إلى المبارزة ، فلما أَكْثَرَ خَرَجْتُ إِلَيْهِ فَاخْتَلَفْنَا ضَرْبَتَيْنِ ، فضربتُه فصرعته ، فَنَزَلْتُ لِسَلَبِهِ وَأَخْذِ رَأْسِهِ ، فَإِذَا امْرَأَةٌ قد رَأَتْنِى حين قتلتُ نَافِعًا ، فخرجتْ لِتَثْأَرَ بِهِ ، فلم يَزَلِ الرَّبِيعُ الأَجْذَمُ يقاتلهم نَيِّفًا وعشرين يَوْمًا[٧] ، حتى قالَ يَوْمًا : أنا مَقْتُولٌ لامَحَالَةَ ، قَالُوا :

(١) فى ع « الجراحات » .
(٢) فى س و هـ « والقتلى » .
(٣) الزيادة من ع و س و د و هـ .
(٤) الفرس الورد : ما كان بين الكميت والأشقر . قال ابن سيده : « الورد لون أحمر يضرب إلى صفرة حسنة فى كل شىء » .
(٥) د و هـ « فإذا هو » .
(٦) فى ع و س و د و هـ و ف « أنتقل » .
(٧) فى ع و ف « ليلة » .

وكيف ؟ قالَ : لِأَنى رأَيْتُ[١] البارحةَ كَأَنَّ يَدِى التى أُصِيبَتْ بِكابُلَ انحطَّتْ من السماء فَاسْتَشْلَتْنِي ، فلما كان الغَدُ قاتَلَ إلى الليل ، ثم غاداهُمْ فَقُتِلَ ، فتدافعَ أهلُ البصرة الرايَةَ حتى خافوا المَطَبَ ، إذ لم يكن لهم رئيسٌ ، ثم أجمعوا على الحَجّاج بن بابٍ الحِمْيَرِيّ ، فأباها ، فقيل له : ألَا تَرَى أن رؤساء العرب بالحَضْرة ، وقد اختاروك من بينهم ؟! فقال : مَشْؤُومَةٌ ، ما يأخذُها أحدٌ إلا قتِلَ ، ثم أخذها ، فلم يزل يقاتلُ الخوارجَ بدُولابَ[٢] ، والخوارجُ أعَدُّ بالآلاتِ والدُّروع والجَواشِنِ[٣] ، فالْتَقَى الحجاجُ بن بابٍ وعِمْرَانُ بن الحرثِ الرَّاسِبِيُّ ، وذلك بعد أن اقتتلوا زُهاء شهرٍ ، فاختلفا ضربتين ، فسقطا ميتين ، فقالت أمُّ عِمرانَ ترثيه :

اَللهُ أيَّدَ عِمْرَانًا وطَهَّرَهُ ... وكان عِمرانُ يدعُو اللهَ فى السَّحَرِ
يَدعوه سِرًّا وإعلانًا لِيَرْزُقَهُ ... شَهادةً بيدَىْ مِلْحادَةٍ غُــدَرِ[٤]
وَلَّى صَحابتُهُ عن حَرِّ مَلْحَمَةٍ ... وشَدَّ عمرانُ كالضِّرْغامةِ الهَصِرِ

قولُ الرَّبيع « اُسْتَشْلَتْنِي » أى[٥] : أخذَتْنى إليها واستنقذتْنى . يقال « اُسْتَشْلَاه واشْتَلاه » وفى الحديث « أنَّ السارقَ إذا قُطِعَ سبقتْهُ يدُه إلى

---

(١) فى ج و س و د و هـ و ف « إنى رأيت » .
(٢) الراجح فتح الدال ، كما قلنا فيما مضى (ص ١٠٤٢) .
(٣) أعدّ : أقوى عدة . والجواشن : جمع جوشن ، وهو الدرع .
(٤) بحاشية ا ما نصه : « ابنُ شاذانَ : أَلْحَدَ الرجلُ إلْحاداً : إذا مالَ ، فهو مُلْحِدٌ : إذا ما مَالَ عَنِ القَصْدِ » .
(٥) فى ج و س و د و هـ و ف « يريد » بدل « أى » .

النار ، فان تاب أستَشْلاَهَا[١] » . [و[٢]] قال رُؤْبَةُ :

* إنَّ سليمانَ اُشْتَلاَنَا ابنَ عَلِي[٣] * وقولُ الناسِ « أَشْلَيْتُ كَلْبِي » أى أغريتُهُ بالصيد ، خَطَأٌ ، إنما يقال « آسَدتُه » . و «أَشْلَيْتُهُ » دعوتُهُ .

وقولُهما « بيدَىْ مِلْحَادَةٍ » « مِفْعَالٌ » من الإلْحادِ ، كما تقول : رجل مِعطاءٌ يافتى ، ومِحْسانٌ ، ومِكْرامٌ ، وأُدْخِلَتِ الهاءَ للمبالغة ، كما تُدْخَلُ[٤] فى رَاوِيةٍ وعَلاَّمَةٍ ونَسَّابَةٍ .

« وغُدَرُ » « فُعَلٌ » من الغَدْرِ ، ولِفُعَلٍ بابٌ نذكره فى عقبِ هذه القصة ، إذا فرغنا من خبرِ هذه الوقعةِ .

و « الضِّرْغامةُ » من أسماء الأسدِ .

و « الهَصِرُ » الذى يَهْصِرُ كُلَّ شىءٍ ، أى يَثْنِيهِ ، قال أمرؤُ القيسِ :

فلمَّا تنازَعْنَا الحديثَ وأَسْمَحَتْ هَصَرْتُ بغُصْنٍ ذى شَمارِيخَ مَيَّالِ

*

ولذكرِنَا الصُّفْرِيَةَ والأَزارِقةَ والبَيْهَسِيَّةَ والإباضِيَّةَ تفسيرٌ ، لِمَ نُسِبَ إلى ابن الأزرقِ بالأزارقة ، وإلى أبى بَيْهَسٍ بالكُنْيةِ المضافِ إليها ، ونُسِبَ إلى صُفْرٍ[٥] ولم يُنْسَبْ إلى واحِدِهم ، ونُسِبَ إلى ابن إباضٍ فَجُعِلَ النسبُ

(١) قال فى اللسان : « أى استنقذها واستخرجها ، ومعنى سبقها أنه بالسرقة استوجب النار ، فكانت من جملة ما يدخل النار ، فإذا قطعت سبقته إليها ، لأنها قد فارقته ، فإذا تاب استنقذ بنيته حتى يده » .

(٢) الزيادة من ج و ف .

(٣) البيت فى اللسان (ج ١٩ ص ١٧٣) غير منسوب .

(٤) فى ج و ف « كما تقول » .

(٥) فى ج و د و ه و ف « إلى الصُّفْرِ » .

إلى أبيه ؟ وهذا نذكره بعد باب « فُعَلٍ » [إن شاء الله[١]] .

⁂

[قال أبو العباس[١]] : ومما قيلَ من الشعر فى يوم دُولابَ قولُ قَطَرِىٍّ :

لَعَمْرُكَ إنّى فى الحياةِ لَزَاهـــدٌ ... وفى العَيْشِ ما لم أَلْقَ أُمَّ حَكِيمِ
مِنَ الخَفِراتِ البِيضِ لم يُرَ مِثْلُها ... شِفاءٌ لِذِى بَثٍّ ولا لِسَقِـــيمِ
لَعَمْرُكَ إنى يومَ أَلْطِـــمُ وَجْهَهَا ... على نائِباتِ الدَّهرِ جِـــدُّ لَئِيمِ
ولو شَهِدَتْنِى يومَ دُولابَ أَبصرَتْ ... طِعانَ فَتًى فى الحربِ غيرَ ذَمِيمِ[٢]
غداةَ طَفَتْ عَلْماءِ بَكْرُ بنُ وَائِلٍ ... وعُجْنا صُـــدورَ الخيلِ نحوَ تَمِيمِ
وكانَ لِعَبْدِ القَيْسِ أولُ جَـــدِّها[٣] ... وأَحْلافِهَا مِن يَحْصَبٍ وسَلِيمِ[٤]
وظَلَّتْ شُيوخُ الأَزْدِ فى حَوْمَةِ الوَغَى ... تَعُومُ وظَلْنا فى الجِـــلادِ نَعُومُ[٥]
فلم أَرَ يومًا كانَ أكثرَ مُقْعَصًا ... يَمُجُّ دمًا مِن فَائِظٍ وكَلِيمِ[٦]
وضَارِبَةٍ خَـــدًّا كريمًا على فَتًى ... أَغرَّ نَجِيبِ الأُمَّهاتِ كَرِيمِ

---

(١) الزيادة فى الموضعين من س .

(٢) « دولاب » ضبطت أيضاً فى كل أصول الكامل بضم الدال ، ولكن البيت ذكره السمعانى فى الأنساب (فى الورقة ٢٣٣) من رواية الأصمعى شاهداً لفتح الدال ، وهو الصحيح ، كما بينا آنفا .

(٣) فى ج و د و ف « بعبد القيس » .

(٤) « يحصب » بتثليث الصاد ، كما ضبط فى الأصول . وهو يحصب بن مالك بن زيد بن الغوث ، من ولد الهميسع بن حمير بن سبأ . و « سليم » يريد به « سليم » بالتصغير ، وكبره للوزن . وهو ابن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر . قاله المرصفى .

(٥) بالرفع على الإقواء .

(٦) « مقعصاً » أى مطعونا . من قولهم « أقعصه برمحه » إذا طعنه فمات مكانه . و « الفائظ » من قولهم : فاظ الرجل ، أى مات ، وفاظت نفسه أيضاً .

أُصِيبَ بدُولابٍ ولم تَكُ مَوْطِنًا له أرضُ دُولَابٍ ودَيْرُ حَمِيمِ[١]

فلو شَهِدَتْنَا يومَ ذاكَ وخَيْلُنَا تُبِيحُ من الكُفَّارِ كلَّ حَرِيمِ

رأتْ فِتْيَةً باعُوا الإِلٰهَ نُفوسَهم بجَنَّاتِ عَدْنٍ عندَه ونَعِيمِ

قوله « ولو شَهِدَتْنَا يومَ دُولَابَ » فلم يَنْصَرِفْ[٢] « دُولابُ » فإنما ذاكَ لأنه أرادَ البَلْدَةَ ، و « دُولابُ » أعجميٌّ مُعْرَبٌ . وكلُّ ما كان من الأسماءِ[٣] الأعجميةِ نكرةً بغيرِ الألِف واللَّامِ[٤] فإذا دَخلَتْه الألفُ واللامُ فقد صار مُعَرَّبًا ، وصار على قياسِ الأسماء العربية ، لا يمنعُه من الصرفِ إلّا ما يمنعُ العربيَّ ، فدولابُ « فُوعالٌ » مثلُ طُومارٍ وسُولافٍ . وكلُّ شيء لا يَخُصُّ واحداً من الجنس من غيرِه فهو نكرةٌ ، نحوُ رجلٍ ، لأن هذا الاسم يَلْحَقُ كلَّ ما كان على بِنْيَتِهِ ، وكذلك حَمَلٌ[٥] وجَبَلٌ وما أشبه ذلك . فإن وقع الاسمُ فى كلام العجمِ معرفةً فلا سبيلَ إلى إدخالِ الألف واللام عليه ، لأنه معرفةٌ ، فلا معنى لتعريفٍ آخرَ فيه ، فذلك غيرُ منصرفٍ[٦] ، نحو « فِرْعَوْنَ » [و « هامانَ[٧] »] «وقارُونَ» وكذلك «إسْحٰقُ» و « وإبْرٰهيمُ » « ويَعْقُوبُ » .

---

(١) « ديرحيم » موضع بالأهواز .

(٢) فى ج و س و د و ه و ف « فَلَمْ يَصْرِفْ » .

(٣) فى طبعات مصر « أسماء » بدون حرف التعريف ، وهو خطأ ومخالف لأصول الكتاب .

(٤) فى ج و د و ه « بغير ألف ولام » .

(٥) بالحاء المهملة . وفى ج و د و ه و ف « جمل » بالجيم .

(٦) فى ف « غير مصروف » .

(٧) الزيادة من س و ف .

وقوله « غَدَاةَ طَفَتْ عَلْمَاء بَكْرُ بنُ وائلٍ » وهو يريدُ : عَلَى الماء ، فإن العربَ إذا الْتَقَتْ فى مثل هذا الموضع لامَانِ استجازُوا حذفَ إحداهما استثقالاً للتضعيف ، لأن ما بَقِيَ دليلٌ على ما حُذِفَ ، يقولون « عَلْمَاء بَنُو فلانٍ » كما قال الفرزدقُ :

وما سُبِقَ القَيْسِيُّ مِنْ ضُعْفِ حِيلَةٍ ... ولكِنْ طَفَتْ عَلْماء قُلْفَةُ خَالِدِ[1]

وكذلك كلُّ اسمٍ من أسماء القبائل تظهرُ فيه لامُ المعرفةِ فإنهم يُجيزون معه حذفَ النونِ التى فى قولك « بَنُو » لِقُرْبِ مَخْرَجِ النون من اللّامِ ، وذلك قولُك فلانٌ من « بَلْحٰرِثِ » و « بَلْعَنْبَرِ » و « بَلْهُجَيْمِ »

وقال آخرُ من الخوارج :

يَرَى مَنْ جاء يَنْظُرُ مِن دُجَيْلٍ ... شُيوخَ الأَزْدِ طافِيةً لِحَاهَا[2]

وقال رجلٌ منهم :

شَمِتَ ابنُ بَدْرٍ والحوادثُ جَمَّةٌ ... والحائرُونَ بِنافِعِ بن الأَزْرَقِ[3]

والموتُ حَتْمٌ لا مَحالةَ واقِعٌ ... مَنْ لا يُصَبِّحْهُ نَهاراً يَطْرُقِ

فَلَئِنْ أميرَ المؤمنينَ أَصابَهُ ... رَيْبُ المَنونِ فَمَن يُصِبْهُ يَغْلَقِ[4]

نَصَبَ بعدَ « إنْ » لأنَّ حرفَ[5] الجزاء للفعلِ ، فإنما أرادَ : فلَئِنْ أصابَ

---

(١) « القلفة » بضم القاف وسكون اللام ، وبفتحهما معاً : هى جلدة الذكر التى تقطع عند الختان .

(٢) « دجيل » بالتصغير : نهر بالأهواز .

(٣) « والحائرون » بالحاء المهملة . وفى ج و ف ونسخة بحاشية ا « والجائرون » بالجيم ، يعنى الظالمين .

(٤) « يغلق » من قولهم « غلق الرهن » : إذا بقى فى يد المرتهن لا يقدر راهنه على تخليصه ، يريد أنه لا يجد من يخلصه .

(٥) فى ج و د « حروف » .

أميرَ المؤمنين ، فلما حذَف هذا الفعلَ وأضمرَ ذَكَرَ « أصابه » ليَدُلَّ عليه ، ومثلُه قولُ النَّمِرِ بن تَوْلَب(١) :

لا تجزَعِي إنْ مُنفِسًا أهلكتُه　　وإذا هلَكْتُ فعندَ ذلكِ فاجزَعِي

وقال ذو الرُّمَّة :

إذا ابنَ أبِي مُوسَى بِلالاً بَلَغْتِهِ　　فقامَ بفأسٍ بين وِصْلَيْكِ جَازِرُ(٢)

لأنَّ « إذا » لا يليها إلّا الفعلُ ، وهى به أوْلَى(٣) .

هذا باب « فُعَلٍ »

اِعلم أن كلَّ اسمٍ على مثالِ « فُعَلٍ » فهو مصروفٌ فى المعرفة والنكرةِ ، إذا كان اسمًا أصليًّا أو نعتًا ، فالأسماءُ نحوُ : صُرَدٍ ونُغَرٍ وجُعَلٍ ، وكذلك إن كان جَمعًا ، نحو : ظُلَمٍ وغُرَفٍ . وإن سَمَّيتَ بشىءٍ من هذا رجلاً انصرفَ فى المعرفة والنكرةِ . وأما النَّعتُ فنحوُ رجلٍ حُطَمٍ(٤) ، كما قال :

* قد لَفَّهَا اللَّيلُ بسَوَّاقٍ حُطَمْ *

---

(١) هكذا ضبط فى أصول الكامل بفتح النون وكسر الميم ، وكذلك فى أكثر الكتب المعتنى بتصحيحها ، أو فيها كلها . وعليه مشى صاحب القاموس ، وحكى أنه يقال فيه أيضاً بسكون الميم مع فتح النون وكسرها . ولكن ضبطه ابن دريد فى الاشتقاق (ص ١١٣) بفتح النون وسكون الميم ، وقال : « قال أبو حاتم : يقال النمر بن تولب بفتح النون وتسكين الميم ، ولا يقال النمِر » . وعندى أن هذا أدق وأوثق .

(٢) « الوصل » بكسر الواو وبضمها واحد « الأوصال » وهى المفاصل .

(٣) فى ج و س و د و هـ و ف « لأن إذا أن يَلِيَهَا الفعلُ أَوْلَى » .

(٤) بحاشية ا ما نصه : « ابنُ شاذَانَ : رجلٌ حُطَمٌ ، فُعَلٌ من الحَطْمِ ، حَطَمْتُ الشىءَ أحْطِمُهُ حَطْمًا : إذا كَسَرْتَه ، وسُمِّيَتْ جَهَنَّمُ حُطَمَةً ، وهى فُعَلَةٌ من الكَسْرِ » .

وكذلك مالٌ لُبَدٌ(١) ، وهو الكثيرُ ، من قوله جلّ جلالُه : ﴿ أَهْلَكْتُ مَالاً لُبَدًا(٢) ﴾ .

فإن كان الاسمُ على « فُعَلَ » مَعْدُولاً عن « فَاعِلٍ » لم ينصرفْ إذا كان اسمَ رجلٍ فى المعرفة ، وينصرفُ(٣) فى النكرةِ ، وذلك نحوُ : عُمَرَ وقُثَمَ ، لأنه معدولٌ عن عامرٍ ، وهو الاسمُ الجارِى على الفعل ، فهذا ممّا معرفتُه قبل نَكِرَته ، فإذا أُرِيدَ به مَذهبُ المعرفة جاز أن تَبْنيَه فى النداء من كل فعلٍ [فُعَلَ(٤)] ، لأن المنادَى مُشَارٌ إليه ، وذلك قولُك : يا فُسَقُ ، ويا خُبَثُ ، تريدُ : يا فاسقُ ويا خبيثُ .

وإنما قالت « بِيَدَىْ مِلْحَادَةٍ غُدَرٍ » فى غير النداء للضرورةِ ، فنقلَتْهُ معرفةً من النداء ، ثم جعلَتْه نكرةً لخروجه عن الإشارةِ ، فنعتَتْ به « مِلْحَادَةً » كما قال الحُطَيْئَةُ :

أُجَوِّلُ ما أُجَوِّلُ ثم آوِى ... إلى بيتٍ قَعِيدَتُه لَكَاعِ(٥)

وهذا لايقعُ إلّا فى النداء ، ولكنْ للشاعرِ نقلُه نكرةً ونقلُه معرفةً ، على حدِّ ما كان له فى النداء . فيُلْحَقُ قولُها « غُدَرٌ » بقوله رجلٌ حُطَمٌ ، ومالٌ لُبَدٌ ، وما أشبهه(٦) . و « فَعَالِ » فى المؤنّثِ بمنزلة « فُعَلَ » فى المذكّرِ ،

(١) بحاشية ا ما نصه : « ابنُ شاذَانَ : يقال أسَدٌ ذو لِبَدٍ : إذا تكاثفَ وَبَرُه على مَنْكِبَيْهِ ، ولُبَدُ اسمُ آخِرِ نُسُورِ لُقمانَ بن عادٍ » .

(٢) سورة البلد آية ٦

(٣) فى ج و س و ف « وانصرف » .

(٤) الزيادة من ج و د و ه و ف .

(٥) فى س و ف « أُطَوِّفُ ما أُطَوِّفُ » وهو الرواية المشهورة

(٦) فى ج و س و د و ه و ف « وما أشبه ذلك » .

ولو سميتَ رجلاً « حُطَماً » لصَرَفْتَهُ[١] ، من قولِك : هذا سائِقٌ حُطَمٌ ، لأنه قد وقع نكرةً غيرَ معدولٍ ، فهو فى النعوت بمنزلة « صُرَدٍ » فى الأسماء .

هذا باب النَّسَبِ إلى المُضَافِ

اِعلمْ أنك إذا نَسَبْتَ إلى عَلَمٍ مضافٍ[٢] فالوجهُ أن تَنْسُبَ إلى الاسم الأول ، وذلك قولُك فى عَبْدِ الْقَيْسِ « عَبْدِيٌّ » وكذلك فى عبد الله بن دَارِمٍ . فإن كان الاسمُ الثانى أشْهرَ من الأول جاز النَّسَبُ إليه ، لئلا يقَعَ فى النَّسب التباسٌ من اسمٍ باسمٍ ، وذلك قولُك فى النَّسبِ إلى عَبْدِ مَنافٍ « مَنافِيٌّ » وإلى أبى بَكْرِ بن كلابٍ « بَكْرِيٌّ » . وقد يجوزُ ، وهو قليلٌ ، أن تَبْنِيَ له من الاسمين اسماً على مثال الأربعة لِيَنْتَظِمَ النَّسَبُ ، وذلك قولُك فى النسب إلى عبدِ الدار بن قُصَيٍّ « عَبْدَرِيٌّ » وفى النسب إلى عبد القَيْس « عَبْقَسِيٌّ » .

فإن كان المضافُ غير عَلَمٍ فالنَّسبُ إلى الثانى على كل حالٍ ، وذلك قولُك فى النسب إلى ابن الزُّبير « زُبَيْرِيٌّ » لأن ابنَ الزبير إنما صارَ معرفةً بالزُّبير ، وكذلك النَّسبُ إلى ابنِ رَأْلانَ « رَأْلانِيٌّ » . فلذلك قالوا فى النَّسبِ إلى ابن الأَزْرَقِ « أَزْرَقِيٌّ » وإلى أبى بَيْهَسٍ « بَيْهَسِيٌّ » .

فأما قولُهم « صُفْرِيٌّ » فإنما أرادوا الصُّفْرَ الألوانِ ، فنَسَبُوا إلى الجماعةِ ، وحَقُّ الجماعةِ إذا نُسِبَ إليها أن يقَعَ النسبُ إلى واحدِها ، كقولك « مُهَلَّبِيٌّ » و « مِسْمَعِيٌّ » ولكن جعلوا « صُفْراً » اسماً للجماعة ، ثم نسبوا إليه ، ولم

(١) فى النسخ المذكورة « ولو سمينا رجلا حطما لصرفناه » .

(٢) فى ع و د و هـ « إلى مضاف علم » .

يقولوا « أَصْفَرِيٌّ » فيُنْسَبُ إلى واحدِها ، وإنما كان ذلك لأنهم جعلوا[1] الصُّفْرَ اسماً للجماعةِ ، كما تُسَمَّى القَبيلةُ بالاسمِ الواحدِ ، ألاَ تَرَى أن النسب إلى الأنصارِ « أنْصَارِيٌّ » لأنه كان عَلَماً للقبيلةِ ، وكذلك « مَدَائِنِيٌّ[2] » .

وتقولُ في النسبِ إلى الأَبْناء من بنى سَعْدٍ[3] «أبْناويٌّ[4]» لأنه اسمٌ للجماعة .

فأما قولُهم « الأَزَارِقَةُ » فهذا بابٌ من النَّسَبِ آخرُ ، وهو أن يُسَمَّي كلُّ واحدٍ منهم باسمِ الأبِ ، إذا كانوا[5] إليه يُنْسَبُونَ ، ونظيرُه « المَهَالِبَةُ » و « المَسَامِعَةُ » و «المَنَاذِرَةُ» . ويقولون : جاءنى النُّمَيْرُونَ والأشعَرُونَ ، جَعَلَ كلَّ واحدٍ منهم نُمَيْرًا وأشْعَرَ ، فهذا يتَّصِلُ في القبائل ، على ماذكرتُ لك .

وقد تُنْسَبُ الجماعةُ إلى الواحدِ على رأيٍ أو دِينٍ ، فيكونُ له مثلُ نَسَبِ الوِلادَةِ ، كما قالوا[6] « أَزْرَقِيٌّ » لمن كان على رأيِ ابنِ الأَزْرَقِ ، كما

---

(١) في ج و س و د و هـ و ف « لأنه جعل » .

(٢) نقل المرصفي عن سيبويه قال : « وسألت الخليل عن قولهم مدائني ، فقال : صار البناء عندهم اسما لبلد ، ومن ثم قالت بنوسعد في الأبناء أبناوى ، كأنهم جعلوه اسم الحى ، والحى كالبلد، وهو واحد يقع على الجميع » .

(٣) نقل المرصفي عن ياقوت في المقتضب : « أن سعد بن زيد مناة بن تميم ولد كعبا وعمراً والحرث وعُوافة وجُشم وعبشمس ومالكا وعوفا ، ويقال لهم جميعاً الأبناء غير كعب وعمرو» .

(٤) في اللسان : « ويقال لأولاد فارس الأبناء وهم الذين أرسلهم كسرى مع سيف بن ذى يزن لما جاء يستنجدهم على الحبشة ، فنصروه وملكوا اليمن وتديروها وتزوجوا في العرب ، فقيل لأولادهم الأبناء ، وغلب عليهم هذا الاسم لأن أمهاتهم من غير جنس آبائهم » . وحكى في اللسان خلافا في النسب إلى هؤلاء الأبناء ، فبعضهم يقول «أبناوى» أيضاً ، وبعضهم يقول « بنوى » يردونه إلى الواحد .

(٥) في ا « إذ كانوا » وما هنا صواب أيضاً ، فقد تكون « إذا » متجردة للظرفية المحضة غير متضمنة معنى الشرط . وقد جاءت كذلك في كلام الشافعي ، وهو حجة . انظر الرسالة بشرحنا في الفقرة رقم ١١١٥

(٦) في ج و س و د و هـ و ف « كما قلت » .

تقول تَميمىٌّ وقيسىٌّ لمن وَلَده تَميمٌ وقَيسٌ ، ومن قرأ ﴿ سَلامٌ عَلَى إِلْيَاسِينَ ﴾(١) فإنما يريدُ إلياسَ عليه السلامُ ومَنْ كان على دِينِه ، كما قال :

* قَدْنِىَ من نَصْرِ الخُبَيْبَيْنَ قَدِ *

يريدُ أَبَا خُبَيْبٍ ومن معه .

وقد يجتمعُ الرجل مع الرجل فى التثنية إذا كان مَجازُهما واحداً فى أكثر الأمر على لفظ أحدِهما ، فمن ذلك قولُهم « العُمَرانِ » لأبى بكرٍ وعُمَرَ رضى الله عنهما ، ومن ذلك قولهم « الخُبَيْبانِ » لعبد الله ومُصْعَبٍ ، وقد مضى تفسيرُه .

عادَ القولُ فى الخوارِج

قال : والأزارقةُ لاتُكَفِّرُ أحداً من أهل مَقالتِها فى دار الهِجْرَةِ إلّا القاتِلَ رجلاً مسلماً ، فإنهم يقولون : المسلمُ حجةُ الله ، والقاتِلُ قَصَدَ لِقَطْعِ الحجةِ .

ويُرْوَى أن نافعاً مَرَّ بمالكِ بنِ مِسْمَعٍ فى الحرب التى كانت بين الأَزْد وربيعةَ وبنى تَميمٍ ، ونافعٌ مُتَقَلِّدٌ سيفاً ، فقام إليه مالكٌ فضربَ بيدِه إلى حِمالة سيفِه وقال : ألاَ تنصرُنا فى حربنا هذه ؟! فقال : لايَحِلُّ لِى ، قال : فما بالُ مُؤْمِنِى بنى تميمٍ ينصرون كُفّارَهم(٢) فى هذه الحرب ؟! فأمسكَ عنه ،

---

(١) سورة الصافات آية ١٣٠ وقد قرئ بوجهين : « آل ياسين » بمد الهمزة المفتوحة وكسر اللام ، فأضافوا « آل » إلى « ياسين » وهى قراءة نافع وأبى عامر ويعقوب . وقرأ باقى الأربعة عشر « إلياسين » جمع « إلياس » باعتبار أصحابه ، كما وجهه المبرد وغيره . وانظر كتاب القراءات الأربعة عشر (ص ٣٧٠ — ٣٧١) وإعراب القرآن للعكبرى (٢ : ١١١) .

(٢) فى ج و د و هـ و ف « كفاركم » .

وخَرج بعدَذلك بأيامٍ إلى الأهْوازِ، فلمّا قُتِلَ مَنْ قُتِلَ مِمَّنْ بخَازَرَ[(١)] من الخوارِجِ فى أيامِ ابن المَاحُوز كَرِهَ بَبّةُ القتالَ ، وأقام حارِثةُ بن بَدْرٍ الغُدَانِىُّ بإزاء الخوارِجِ ، يناوِشُهم على غيرِ وِلايةٍ ، وكان يقولُ : ماعُذْرُنا عندَ إخواننا من أهل البصرة إنْ وَصَل إليهم الخوارجُ[(٢)] ونحن دونَهم ؟ فكتب أهلُ البصرة إلى ابن الزُّبير يُخْبِرونه بقُعُودِ بَبّةَ ، ويسألُونَه أن يُوَلِّىَ والياً ، فكتبَ إلى أنَسِ بن مالكٍ أن يُصلِّىَ بالناسِ ، فصلَّى بهم أربعين يومًا ، وكَتَب إلى عُمَرَ بن عُبَيْدِ الله بن مَعْمَرٍ فولاَّه البصرةَ ، فلقيَه الكتابُ وهو يريد الحجَّ ، وهو فى بعضِ الطريقِ ، فرجَعَ فأقام بالبصرة ، ووَلَّى أخاه عثمانَ محاربةَ الأزارقةِ ، فخرج إليهم فى اثنى عشرَ ألفاً ، ولقيه حارثةُ فيمن كان معه ، وعبيدُ الله بن المَاحُوزِ فى الخَوارِجِ بِسُوق الأهْوازِ، فلمَّا عَبَرُوا إليهم دُجَيْلاً نهضَ إليهم الخوارجُ ، وذلك قُبَيْلَ الظُّهْرِ[(٣)] ، فقال عثمانُ بن عُبيد الله لحارثةَ بن بَدْرٍ : أمَا الخوارجُ إلاَّ ماأرى ؟ فقال له حارثةُ [بنُ بدرٍ[(٤)]] : حَسْبُكَ بهؤلاء ، فقال : لاجَرَمَ واللهِ لا أتَغَدَّى حتى أُناجِزَهُمْ ! فقال له حارثةُ [بنُ بدرٍ[(٤)]] : إنَّ هؤلاء لايُقاتَلُونَ بالتَّعَسُّفِ ، فأَبْقِ على نفسِك وجُنْدِكَ ، فقال : أَبَيْتُمْ [يا[(٤)]] أهلَ العراقِ إلاَّ جُبْنًا ! وأنتَ ياحارِثةُ ! ماعِلْمُكَ بالحربِ ؟ أنتَ واللهِ بغيرِ هذا أعْلَمُ ! يُعَرِّضُ له بالشرابِ ! فغضب حارثةُ

(١) « خازر» بالخاء المعجمة وبعد الألف زاء ثم راء ، وهو نهر بين اربل والموصل. وقد ضبطت الزاء فى أصول الكتاب بالكسر والفتح معاً . واقتصر صاحب القاموس على الكسر ، وكذلك ياقوت فى البلدان ثم قال : « وقد حكى عن الأزهرى أنه رواه بفتح الزاى ، ولم أجده أنا كذلك بخطه » .

(٢) فى ج و س و د و هـ و ف « إن وصل الخوارج إليهم » .

(٣) فى ج و ف « قبل الظهر » .

(٤) الزيادة من ج و س و د و هـ و ف .

فاعتزلَ ، وحاربَهم[١] عثمانُ يومَه إلى أنْ غابتِ الشمسُ ، فأَجْلَتِ الحرب عنه قتيلاً، وانهزَم الناسُ ، وأخذَ حارثةُ الرايةَ ، وصاحَ بالناسِ : أناحارثةُ بن بدرٍ ، فثاب إليه قومُهُ ، فعبَرَ بهم دُجَيْلاً ، وبَلَغَ فَلُّ عثمانَ البصرةَ ، وخاف الناسُ الخوارجَ خوفاً شديداً ، وعَزَلَ ابن الزُّبيرِ عُمَرَ بنَ عبيد الله ، ووَلَّى الحرثَ بنَ عبدِ الله بن أبى رَبيعةَ ، المعروفَ بالقُبَاعِ[٢] ، أحدَ بنى مَخْزومٍ ، وهو أخو عُمَرَ بن عبد الله بن أبى ربيعةَ المخزومىِّ الشاعرِ ، فقَدِمَ البصرةَ ، فكَتبَ إليه حارثةُ بن بدرٍ يسألُه الولايةَ والمَدَدَ ، فأراد أن يُوَلِّيَهُ[٣] ، فقال له رجلٌ من بَكْرِ بن وائلٍ : إن حارثةَ ليسَ بِذاك[٤] ، إنما هو صاحبُ شَرابٍ[٥] ؛ وفيه يقولُ رجلٌ من قومه :

أَلَمْ تَرَ أنَّ حارثةَ بن بَدْرٍ ... يُصَلِّى وهو أكْفَرُ من حِمَارِ

أَلم تَرَ أنَّ لِلفتيانِ حظًّا ... وحَظُّك فى البَغَايا والقِمَارِ[٦]

فكتب إليه القُبَاعُ : تُكْفَى[٧] حَرْبَهم إن شاء الله . فأقامَ حارثةُ يدافِعُهُم ، فقال

(١) فى ج و د « خاربهم » .

(٢) هنا بحاشية ا ما نصه « المُهَلَّبِىُّ : القُبَاعُ : مكيالٌ واسع ، وبه لُقِّبَ الحرثُ بن عبد الله القُبَاعَ ، وكان ابنُ الزُّبير ولاَّهُ البصرةَ ، فنَظَرَ إلى مِكْيَالِهم الذى يقالُ له القَنْقَلُ فقال : إنه لَقُبَاعٌ ، فلُقِّبَ القُبَاعَ » .

(٣) فى ج و س و د و هـ و ف « فأراد توليته » .

(٤) فى ج و د و هـ و ف « لذلك » وفى س « كذلك » . وفى طبعات مصر « بذاك » وهو مخالف لجميع النسخ .

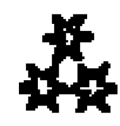
(٥) فى س و د و هـ و ف « إنما هو رجلٌ شَرَّابٌ » .

(٦) فى هـ وحاشيته ا « والعُقَارِ » . وزعم المرصفى أن هذا هو الصواب ! ولكن الروايتان ثابتتان كما ترى . والعقار من أسماء الخمر .

(٧) فى ج و د و ف « تكفينى » .

شاعرٌ من بنى تميم يذكر عثمانَ بن عُبيد الله بن معْمَرٍ ومُسْلِمَ بن عُبَيْسٍ وحارثةَ بن بدرٍ :

مَضَى ابنُ عُبَيْسٍ صابرًا غيرَ عاجزٍ ... وأعقَبَنا هذا الحجازىُّ عثمانُ
فأرْعَدَ مِنْ قَبْلِ اللقاء ابنُ معْمَرٍ ... وأبْرَقَ والبَرْقُ اليمانِىُّ خوّانُ
فَضَحْتَ قُرَيْشًا غَثَّها وسَمينَها ... وقِيلَ بنو تَيْمِ بنُ مُرّةَ عُزْلانُ
فلولا ابنُ بدرٍ للعِرَاقَيْنِ لم يَقُمْ ... بما قام فيه للعِرَاقَيْنِ إنْسانُ
إذا قيل مَنْ حَامِى الحقيقةِ أوْمأَتْ ... إليه معَدٌّ بالأنُوفِ وقَحْطانُ .



قوله « فَأَرْعَدَ » زعمَ الأصمعىُّ أنه خَطأٌ ، وأن الكُمَيْتَ أخطأ فى قوله :

أَرْعِدْ وَأَبْرِقْ يايَزِيدُ فما وَعِيدُكَ لِى بضائرْ[1]

وزعم أن هذا البيتَ الذى يُرْوَى لمُهَلْهِلٍ مصنوعٌ مُحْدَثٌ ، وهو قولُه :

أَنْبَضُوا مَعْجِسَ القِسِىِّ وأبْرَقْنا كما تُرْعِدُ الفُحولُ الفُحولا[2]

وأنه لا يُقالُ إلاّ « رَعَدَ وبَرَقَ » إذا أَوْعَدَ وَتَهَدَّدَ ! وهو « يَرْعُدُ ويَبْرُقُ » وكذا يُقالُ « رعدَتِ السماءُ وبَرَقَتْ » و « أرْعَدْنا نحن وأبْرَقْنا » إذا دَخَلْنا فى الرَّعْدِ والبَرْقِ ، قال الشاعرُ :

* فَقُلْ لأَبِى قابوسَ ماشِئْتَ فارْعُدِ *

---

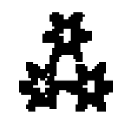
(١) فى ج و س و ف « أبرق وأرعد » .

(٢) فى ج و د و هـ و ف « كما توعد » من الوعيد . وقوله « أنبضوا » قال المرصفى : « كذا رواه أبو العباس ، وهو بعيد عن الصواب ، وذلك أن الإنباض جذب الوتر ليرنّ ، ومعجس القوس مقبضها أو موضع السهم منها ، وكلاهما لا يكون فيه إنباض . والرواية انتضوا ، يريد : أخذوا معاجس القسىّ فى أيديهم ، والانتضاء أخذ الشىء واستخراجه ! ! » . وكل ماقاله خطأ . أما الرواية فانه لم يذكر مصدرها ولا موضعها . وأما الانتضاء فانه استخراج =

ورَوَى غيرُ الأصمعيّ « أرْعَدَ وأَبْرَقَ » على ضُعْفٍ[١] .

وقوله « والبَرْقُ اليَمَانِيُّ خوَّانُ » يريدُ : والبرقُ اليمانىُّ يخونُ . وأجودُ النَّسَبِ إلى اليَمَنِ « يَمَنِيٌّ » ويجوزُ « يَمَانٍ » بتخفيف الياء ، وهو حَسَنٌ ، وهو فى أكثرِ الكلامِ[٢] ، تكونُ الألِفُ عِوَضاً من إحدى الياءين، ويجوزُ « يَمَانِيٌّ » فاعلم ، تكونُ الألِفُ زائدةً وتُشدَّدُ الياء ، قال العبّاسُ بن عبد المُطَّلِبِ :

ضَرَبْنَاهُمُ ضَرْبَ الاحَامِسِ غُدْوَةً ... بكلِّ يَمَانِيٍّ إذا هُزَّ صَمَّمَا[٣]



ثم إنّ حارثةَ لمّا تفرّق الناسُ عنه أقام بنهر تِيرَى ، فعَبَرَتْ إليه الخوارجُ ، فهربَ وأصحابَه يَرْكُضُ ، حتى أتى دُجَيْلاً ، فجلس فى سفينة ، واتّبعه جماعةٌ من أصحابه ، فكانوا معه ، وأتاه رجلٌ من بنى تميمٍ وعليه سلاحُه ، والخوارجُ وراءه

= الشيء ، يقال : « انتضى فى يده أسهما » ، أى أخذ واستخرجها من كنانته » كما هو نص اللسان ، فالقوس لاينتضى ، وإنما ينتضى السيف والسهم . وموضع السهم من القوس هو الوتر، وهو الذى ينبض ويجذب ليرن، وهو الذى يجذب ومعه السهم ثم يترك فينطلق السهم إلى غرضه . ويظهر لى أن المرصفى رحمه الله لم ير قوساً قط .

(١) بل هو صحيح ثابت قوىّ ، وانظر اللسان .

(٢) فى س « وأكثر الكلام » . وفى ج و د و هـ و ف «وهو أكثر فى الكلام».

(٣) فى د « الأحاميس » . والأحمس : الشديد الصلب فى الدين والقتال . والحمس من قريش وغيرهم ، سموا حمساً لأنهم تحمسوا فى دينهم ، أى تشددوا ، وكانوا سكان الحرم ، وكانوا لايخرجون أيام الموسم إلى عرفات إنما يقفون بالمزدلفة ، ويقولون : نحن أهل الله ولا نخرج من الحرم. وقد أبطل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو سيد قريش، فوقف فى عرفات، وانظر فتح البارى (ج ٣ ص ٤١١ – ٤١٣ طبعة بولاق) .

وقد توَسَّطَ حارثةُ ، فصاحَ به : ياحارثَ[١] ! ليس مثلى ضُيِّعَ ، فقال للملاّح : قَرِّبْ . فقَرَّبَ إلى جُرُفٍ ، ولا فُرْضَةَ هناك[٢] ، فَطَفَرَ[٣] بسلاحه فى السفينة ، فساخَتْ بالقوم جميعاً . وأقام ابنُ المَاحُوزِ يَجْبِى كُوَرَ الأهوازِ ثلاثةَ أشهرٍ ، ثم وَجَّهَ الزُّبَيْرَ بن علىٍّ نحوَ البصرة ، فضجَّ الناسُ إلى الأحْنفِ ، فأتَى القُبَاعَ فقال : أصلَحَ اللهُ الأميرَ ، إن هذا العدوَّ قد غَلَبنا على سَوادِنا وفَيْئنا ، فلم يَبْقَ إلّا أن يَحْصُرَنا فى بلدنا حتى نموتَ هَزْلاً ، قال : فسَمُّوا رَجلاً ، فقال الأحنفُ : الرأىُ لا يُخيل[٤] ، ما أرى لها إلا المُهلَّبَ بن أبى صُفْرةَ ، فقال: أوَ هذا رأىُ جميعِ أهلِ البصرة ؟ اجتمِعوا إلىَّ فى غَدٍ ، وجاء الزبيرُ حتى نزل الفُراتَ ، وعقَدَ الجِسْرَ ليَعْبُرَ إلى ناحيةِ البصرةِ، فخرج أكثرُ أهلِ البصرةِ إليه ، وقد اجتمَع للخوارج أهلُ الأهوازِ و كُوَرِها ، رغبةً ورَهْبَةً ، فأتاه البصريون فى السُّفُنِ وعلى الدوابِّ ورَجّالةً ، فاسْوَدَّتْ بهم الأرضُ ، فقال الزبيرُ لمّا رآهم : أبَى قومُنا إلّا كُفْراً ، فقطعوا[٥] الجسرَ وأقام الخوارجُ بالفراتِ بإزائهم ، واجتمعَ الناسُ عند القُبَاعِ ، وخافوا الخوارجَ خوفاً شديداً ، وكانوا

(١) فى ا « يا حارثُ » . وفى ج و س و د و ف « يا حارثةُ » .

(٢) الفرضة : ثلمة فى النهر يستقى منها .

(٣) طفر : وثب فى ارتفاع .

(٤) المرصفى : « من أخال الشىء : اشتبه وأشكل . يقول : الرأى الذى يُهتدى به هو الواضح لالبس فيه » . وبحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : كل شىء اشتبه عليك فهو مُخِيلٌ ، وقد أخالَ يُخيلُ . قال الشاعرُ :

الْحَقُّ أَبْلَجُ لايُخِيلُ سبيلُه والصدقُ يعرفُه ذَوُو الألبابِ » .

(٥) فى ج و ف « نقطع » .

ثلاثَ فِرَقٍ ، فَسَمَّى قومٌ المهلّبَ ، وسَمَّى قومٌ مالكَ بنَ مِسْمَعٍ ، وسَمَّى قومٌ زِيادَ بن عَمرِو بن الأشرفِ العَتَكِيّ ، فصرفهم ، ثم اختَبَرَ ما عندَ مالِك [بنِ مسمعٍ](١) وزيادٍ ، فوجدَهما مُتثاقِلَيْنِ عن ذاكَ(٢) ، وعاد إليه مَنْ أشار بهما وقالوا : قد رَجَعْنا عن رأينا ، ما نَرَى لها إلّا المُهلّبَ ، فوَجّهَ الحرثُ إليه فأتاه ، فقال له : يا أبا سعيدٍ ! قد تَرَى ما رَهِقَنا(٣) من هذا العدوّ ، وقد اجتمع أهلُ مِصْرِكَ عليك ، وقال الأحنفُ : يا أبا سعيد ! إنّا والله ما آثرناكَ بها ولكنّا لم نَرَ مَنْ يقومُ [لها](٤) مَقامَك ، فقال له الحرثُ - وأومأَ إلى الأحنفِ - : إن هذا الشيخَ لم يُسَمِّكَ إلّا إيثاراً للدِّين ، وكلُّ مَنْ في مِصْرِكَ مادٌّ عينَهُ إليك ، راجٍ أن يَكشفَ اللهُ عز وجل هذه الغُمّةَ بك ، فقال المهلّبُ : لا حولَ ولا قوةَ إلّا بالله ، إنّي عندَ نفسي لَدُونَ(٥) ما وَصَفْتُم ، ولستُ آبياً ما دعَوْتُم(٦) إليه على شُروطٍ أشترطُها(٧) ، قال الأحنفُ : قُلْ ، قال : عَلَى أنْ أنتخبَ مَنْ أحببتُ ، قال : ذاكَ(٨) لكَ ، قال : وَلِيَ إمْرَةُ كُلِّ بلد أَغْلِبُ عليه ، قال : وذاكَ

---

(١) الزيادة من د و هـ .

(٢) في د و هـ و ف « عن ذلك » .

(٣) بحاشية ا ما نصه : «رَهِقَنا ، أي غَشِيَنا ، يقال : رَهِقْتُ الرجلَ ، إذا غَشِيتَهُ بمكروهٍ ، رَهَقاً » .

(٤) الزيادة من ج .

(٥) في ج « دون » .

(٦) في ج و د و هـ و ف « مما دعوتم » .

(٧) في ج و د « أشرطها » .

(٨) في س و د و هـ و ف « ذلك » .

لَكَ ، قال : وَلِى فَىْءُ كُلِّ بلدٍ أظْفَرُ به[١] ، قال الأحنفُ : ليس ذاكَ[٢] لكَ ولا لنَا ، إنما هو فَىْءُ المسلمين[٣] ، فإن سلبتَهم إياه كنتَ عليهم كعدوِّهم ، ولكن لك أن تُعطىَ أصحابَك من فَىْءِ كُلِّ بلدٍ تَغْلِبُ عليه ماشئتَ ، وتُنْفِقَ [منه ما شئتَ][٤] على محاربةِ عدوِّك ، فما فَضَل عنكم كان للمسلمين ، فقال المهلبُ : فَمَنْ لى بذلك ؟ قال الأحنفُ : نحن وأميرُك وجماعةُ أهلِ مصرِك ، قال : قد قَبِلْتُ ، فكتبوا بذلك كتاباً ووُضِعَ على يَدَىِ الصَّلْتِ بن حُرَيْثِ بن جابرٍ الحنفىِّ ، وانتخبَ المُهَلَّبُ من جميع الأخماسِ ، فبلغت نُخْبَتُهُ أثنى عَشَر ألفاً ، ونَظَروا ما فى بيت المال ، فلم يكن إلّا مِائَتَىْ ألفِ درهم ، فعَجَزَت ، فبعثَ المهلبُ إلى التُّجّارِ [فقال][٥] : إنّ تجارتَكم مُذْ حَوْلٍ قد كَسَدَت[٦] عليكم بانقطاعِ موادِّ الأهوازِ وفارسَ عنكم ، فَهَلُمَّ فبايعونى واخْرُجُوا معى أُوَفِّكُمْ إن شاء الله حقوقَكم ، فَتاجَرُوه ، فأخذ من المال ما يُصْلِحُ به عسكرَه ، واتخذ لأصحابه الخَفاتِينَ والرّاناتِ المَحْشُوَّةَ بالصُّوف ، ثم نَهَضَ وأكثرُ أصحابه رَجَّالةٌ ، حتى إذا صار بحذاء القوم أمر بسفُنٍ فأُحْضِرت

---

(١) بحاشية ا : « قال ابنُ شاذانَ : الفَىْءُ : غنائم المشركين ، والفعلُ منه أفاءَ اللهُ علينا فَيْئَهُمْ إفاءةً » . ورسمت الكلمة فى بعض الأصول « فىٌّ » بتسهيل الهمزة ، وهو جائز .

(٢) فى ج و س و د و هـ و ف « ذلك » .

(٣) فى ج و د و ف « فىٌّ للمسلمين » .

(٤) الزيادة من ج و ف .

(٥) الزياده من ج و س و د و هـ و ف .

(٦) فى النسخ الخمسة المذكورة « قد فسدت » » .

وأُصْلِحتْ ، فما ارتفعَ النهارُ حتى فُرِغَ منها ، ثم أمَرَ الناسَ بالعُبور إلى الفُراتِ ، وأمَّر عليهم ابنَهُ المُغيرةَ ، فخرج الناسُ ، فلما قاربوا الشاطئَ خاضتْ إليهم الخوارجُ ، فحاربهم المغيرةُ ونَضَحَهم بالسهام حتى تَنَحَّوْا ، فصار هو وأصحابُه على الشاطئ ، فحاربُوهم فكشَفُوهم وشَغَلُوهم ، حتى عقدَ المهلبُ الجسْرَ ، وعَبَرَ والخوارجُ منهزمون ، فنَهَى الناسَ عن اتِّباعهم . ففي ذلك يقول شاعرٌ من الأَزْدِ :

إنَّ العِراقَ وأهلَهُ لم يَخْبُروا ... مثلَ المُهَلَّبِ فى الحروب فَسَلَّمُوا[١]
أَمْضَى وَأَيْمَنَ فى اللِّقَاء نَقِيبَـــةً ... وَأَقَلَّ تهليـــلاً إذا ما أَحْجَمُوا

« التهليلُ » التكذيبُ والانهزام .

وأَبْلَى مع المغيرة يومئذٍ عَطِيَّةُ بن عَمْرو[٢] العَنْبَرىُّ ، وكان من فُرْسان بنى تميمٍ وشجعانهم[٣] ، فقال عطيةُ :

يُدْعَى رجالٌ للعطاء وإنمــا ... يُدْعَى عَطِيَّةُ للطِّعانِ الأَجْرَدِ

وقال الشاعرُ :

وما فارسٌ إلّا عطيـــةُ فوقَه ... إذا الحربُ أَبْدَتْ عن نَواجِذِها الفَمَا[٤]

(١) فى ج « لَن يخبرُوا » .

(٢) « عمرو » بفتح العين ، كما فى الأصول كلها . وفى طبعات مصر « عمر » وهو خطأ .

(٣) فى ج « وشُجَعائهم » .

(٤) بحاشية ا مانصه : « قال يعقوبُ بن السِّكِّيتِ : الحربُ أُنثَى ، وتصغيرُها حُرَيْبٌ بغير هاء ، لأنهم إنما قالوا حربٌ من المُحارَبَةِ ، ثم صُيِّرَتِ اسماً للوَقْعةِ ، فكانت مذكَّرًا سُمِّيَ به مؤنَّثٌ ، فَصُغِّرَ على أصله ، ولو صَغَّرْتَه بالهاء قلتَ حُرَيْبَةَ وتَوَهَّمتَ أنه لم يكن اسماً إلّا لِمَا سُمِّيَ به كنتَ مُصِيباً » .

به هَزَمَ اللهُ الازَارِقَ بعدَ ما أباحُوا من المِصْرَيْنِ حِلاًّ ومَحْرَمَا

⁂

فأقام المهلَّبُ أربعين يومًا يَجْبِي الخراجَ بِكُوَرِ دِجْلَة ، والخوارجُ بنهر تِيرَى ، والزبيرُ بن عليٍّ منفردٌ بعسكره عن عسكر ابنِ المَاحُوزِ ، فقضَى المهلَّب التُّجَارَ وأعْطَى أصحابَه ، فأسرع إليه الناسُ رغبةً فى مجاهدة الخوارج ، ولما فى الغنائم وللتجارات ، فكان فيمن أتاه محمدُ بن واسعٍ الأَزديُّ وعبدُالله بن رِيَاحٍ ومُعاويةُ بن قُرَّةَ المزَنِيُّ ، وكان يقولُ ـ يعنى معاويةَ ـ : لو جاء الدَّيْلَمُ مِن هٰهنا والحَرُورِيَّة مِن هٰهنا لحاربتُ الحرورية ، وأبو عِمْرَانَ الجَوْنِيُّ ، وكان يقول: كانَ كَعْبٌ يَقُولُ : قتيلُ الحرورية يَفْضُلُ قتيلَ غيرهم بعشرة أَنْوارٍ[١] ، ثم نَهَضَ المهلبُ إليهم إلى نهر تِيرَى ، فتَنَحَّوْا عنه إلى الأهواز ، وأقام المهلبُ يَجْبِي ما حَوالَيْهِ من الكُوَرِ ، وقد دَسَّ الجَواسِيسَ إلى عسكر الخوارِج ، فأَتَوْه بأخبارهم ومَنْ فى عسكرِهم ، فإذا حُشْوَةٌ[٢] ما بين قَصَّارٍ[٣] وصَبَّاغٍ وداعِرٍ[٤] وحَدَّادٍ ، فخَطَبَ المهلبُ الناسَ ، فذَكَرَ مَنْ هُناكَ ، وقال[٥]

---

(١) يعنى أن من قتله الحرورية ضوعف ثوابه بمضاعفة أنواره يوم القيامة .

(٢) « حشوة » بكسر الحاء وضمها . وبحاشية ا مانصه : « قال المُسَلِّيُّ : حِشْوةُ الناس : رُذَالُهم . يقال . فلان من حشوةِ الناسِ ، ومن حشوة بنى فلان » .

(٣) فى س و د و هـ و ف « قصَّاب » . والقصار : الذى يدق الثياب . والقصاب : الذى يبيع اللحم .

(٤) بحاشية ا مانصه « ابنُ شاذانَ : الدَّعَرُ الفسادُ ، دَعِرَ العُودُ يَدْعَرُ دَعَراً : إذا نَخِرَ . وبه سُمِّيَ الدُّعَّارُ من الناس ، ورجل دَاعِرٌ » .

(٥) فى ج و س و د و هـ و ف « ثم قال » .

للناس : أمِثْلُ هؤلاء يَغلبونَكم على فَيْئِكم ؟ ! فلم يَزَلْ مقيمًا حتى فَهِمَهُمْ وأَحْكَمَ أَمْرَهُ وقَوَّى أصحابَه ، وكثرتِ الفُرْسانُ فى عسكره ، وتَتامَّ إليه زُهاءُ عشرينَ ألفًا ، ثم مَضَى يَؤُمُّ سُوقَ الأهوازِ ، فاسْتَخْلَفَ أخاه المُبارَكَ بنَ أبى صُفْرَةَ على نهر تِيرَى ، وفى مُقَدِّمَتِهِ المغيرةُ بن المهلَّب ، حتى قارَبَهُمُ المغيرةُ ، فنَاوَشُوه ، فانكشفَ عنه بعضُ أصحابه ، وثبتَ المغيرةُ بَقِيَّةَ يومِهِ وليلتِه ، يُوقِدُ النيرانَ ، ثم غاداهم القتالَ ، فإذا القومُ قد أوقدوا النِّيرانَ فى ثِقْلَةِ(١) متاعِهم ، وارْتَحَلُوا عن سوق الأهواز ، فدخلها المغيرةُ ، وقد جاءت أوائلُ [الخَيْلِ](٢) خيلِ المهلَّب ، فأقام بِسُوق الأهواز ، وكتب بذلك إلى الحرث بن عبد الله بن أبى رَبيعة كتابًا يقول فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعدُ : فإنا منذُ خرجنا نَؤُمُّ هذا العدوَّ فى نِعَمٍ من اللهِ متصلةٍ علينا ، ونِقْمةٍ من الله متتابعةٍ عليهم ، نُقْدِمُ ويُحْجِمون(٣) ، ونَحُلُّ ويَرْتحلونَ ، إلى أن حَلَلْنا سُوقَ(٤) الأهوازِ ، والحمدُ لله ربِّ العالمين ، الذى من عنده النصرُ ، وهو العزيزُ الحكيمُ .

---

(١) بحاشية ا مانصه : « المُهَلَّبِيُّ : الثِّقْلَةُ والثَّقْلَةُ والثَّقَلُ [والثِّقَلُ] : أثقالُ القوم ومَتاعُهم وما حَمَلُوه على دوابِّهم ، والجمعُ أَثْقالٌ » .

(٢) الزيادة من ج و د و هـ .

(٣) فى ج « ويجحمون » بتقديم الجيم على الحاء ، وهو صحيح أيضا . وبحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : قال أبو زيد والأصمعىُّ : أَحْجَمَ الرجلُ عن الأمرِ إحْجَامًا ، وأَجْحَمَ إجْحَامًا : إذا تأخَّرَ عنه ، بمعنًى واحدٍ » .

(٤) فى ج و د و هـ و ف « بسوق » .

فكتب إليه الحرثُ : هَنيئاً لك أخا الأَزْدِ الشَّرفُ فى الدنيا ، والذُّخرُ فى الآخرةِ ، إن شاء الله .

فقال المهلبُ لأصحابه : ما أجْفَى أهلَ الحجاز ! أَمَا تَرَوْنَهُ يعْرِفُ[١] اسمى واسمَ أبى وكنيتى ؟!

وكان المهلَّبُ : يبُثُّ الأحراسَ فى الأمْنِ ، كما يَبُثُّهم[٢] فى الخوفِ ، ويُذْكِى العُيونَ فى الأمصار[٣] ، كما يُذْكيها فى الصَّحَارِى ، ويأمرُ أصحابَه بالتَّحَرُّزِ ، ويُخوِّفهم البيَاتَ ، وإن بَعُدَ منهم العدوُّ ، ويقولُ : احْذَرُوا أن تُكادُوا كما تَكِيدون، ولا تقولوا هَزَمْنا وغَلَبْنا ، فإنَّ القومَ خائفون وجِلُونَ، والضرورةُ تَفْتَحُ بابَ الحِيلةِ ، ثم قامَ فيهم خطيباً فقال :

يأيُّها الناس ! إنكم قد عَرفتُم مذهبَ هؤلاء الخوارِج ، وأنهم إنْ قَدَرُوا عليكم فَتَنوكُمْ فى دينِكم ، وسَفَكوا[٤] دماءَكم ، فقاتِلُوهم على ما قاتَلَ عليه أولَهم علىُّ بن أبى طالبٍ صلوات الله عليه، فقد لَقِيَهُمْ قبلَكم الصَّابرُ المحتسبُ مُسْلِمُ بن عُبَيْسٍ ، والعَجِلُ المُفَرِّطُ عثمانُ بنُ عُبيدِ الله ، والمَعْصِىُّ المخالَفُ حارثةُ

---

(١) فى ج و س و د و هـ و ف « عَرَفَ » .

(٢) فى ج و د « يُبَيِّتُ » « يُبَيِّتهُمْ » .

(٣) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : يقال : بَثَّ الخيلَ يَبُثُّها بَثّاً : إذا فرَّقها . وكلُّ شىء فرَّقته فقد بَثَثْتَهُ . ويقال : أَذْكَيْتُ الحربَ والنارَ وغيرَهما : إذا أوقَدْتَهُمَا » .

(٤) فى س و د و هـ « أو سفكوا » .

بن بَدْرٍ ، فقتِلوا جميعاً وَقتَلُوا ، فالْقَوْهُمْ بجِدٍّ وَحَدٍّ ، فإنما هُمْ مَهَنَتُكُمْ وعبيدُكم ، وعارٌ عليكم ونقصٌ فى أحسابِكم وأديانِكم أن يغلبَكم هؤلاء على فَيْئِكُم ، وَيَطَؤُوا حَرِيمَكُم .

ثُمَّ سار يُرِيدُهُمْ ، وَهُمْ بِمَنَاذِرَ الصُّغْرَى ، فَوَجَّهَ عبيدُ الله بن بَشِيرِ بن المَاحُوزِ رئيسُ الخوارجِ رجلاً يقال له واقِدٌ ، مَوْلَى لآلِ أبى صُفْرَةَ من سَبْيِ الجاهلية ، فى خمسين رجلاً ، فيهم صالِحُ بن مِخْراقٍ ، إلى نهر تِيرَى ، وبها المُعارِكُ بن أبى صُفْرَةَ ، فقتلوه وصلبوه ، فنَمَى الخبرُ إلى المهلَّب ، فَوَجَّهَ ابْنَهُ المغيرةَ ، فدخل نهرَ تِيرَى وقد خرج وَاقِدٌ منها ، فاستنزلَه ودَفَنَه ، وَسَكَّنَ الناسَ ، وَاسْتَخْلَفَ بها ، ورجع إلى أبيه وقد حَلَّ بِسُولافَ ، والخوارجُ بها ، فَوَاقعهُمْ ، وَجَعَلَ على بنى تميمٍ الحَرِيشَ بن هِلالٍ ، فخرج رجلٌ من أصحاب المُهَلَّبِ ، يقال له عبدُ الرحمن الإِسْكافُ ، فَجَعَلَ يَحُضُّ الناسَ وهو على فرسٍ له صفراء ، فَجَعَلَ يأتى الميمنةَ والمَيْسَرَةَ والقَلْبَ ، فَيَحُضُّ الناسَ وَيُهَوِّنُ أمرَ الخوارِجِ ، ويَخْتالُ بين الصَّفَّين ، فقال رجلٌ من الخوارج لأصحابه : يامعشر المهاجرين ! هل لكم فى فَتْكةٍ فيها أَرْيَحِيَّةٌ ؟ فحملَ جماعةٌ منهم على الإِسكافِ ، فقاتَلهم وحدَه فارساً ، ثم كَبَا به فرسُهُ(١) ، فقاتلهم راجلاً ، قائماً وبارِكاً ، ثم كَثُرَتْ بِهِ الجِرَاحاتُ ، فَذَبَّبَ بسيفه(٢) ،

---

(١) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : يقالُ : كَبَا الرجُلُ والفرسُ وغيرُهما : إذا عَثَرَ . ومن كلامهم : لكلِّ صارمٍ نَبْوَةٌ ، ولكلِّ جوادٍ كَبْوَةٌ » .

(٢) بحاشية ا مانصه : « الأصمعىُّ : يقال . ذَبَّبَ يُذَبِّبُ تَذْبِيباً فهو مُذَبِّبٌ : إذا=

وَجَعَلَ يَحْثُو التراب في وجوههم ، والمهلَّبُ غيرُ حاضرٍ ، ثم قُتِلَ رحمه الله ، وَحَضَرَ المهلَّب فَأُخْبِرَ[١] ، فقال للحَرِيشِ وَعَطِيَّةَ العَنْبَرِيِّ : أَأَسْلَمْتُمَا سيدَ أهلِ العسكرِ ، لم تُعيناه ولم تَسْتَنْقِذَاهُ ، حسدًا له ، لأنه رجل من الموالي ؟! وَوَبَّخَهُمَا ، وَحَمَلَ رجلٌ من الخوارج على رجلٍ من أصحابه فقتَله ، فحمل عليه المهلَّبُ فطعنه وقتَله ، ومالَ الخوارجُ بأجمعهم على العسكرِ ، فانهزمَ الناسُ ، وقتَلوا سبعين رجلاً ، وثبَتَ المهلَّبُ ، وَأَبْلَى المغيرةُ يومئذٍ وعُرِفَ مكانُهُ . ويقال : حاصَ المهلبُ يومئذٍ حَيْصَةً[٢] . وتقولُ الأزدُ : بل كان يَرُدُّ المُنْهَزِمَةَ ويَحْمِي أدبارَهم ، فقال رجلٌ من بَنِي مِنْقَرِ بن عُبَيْدِ بن الحرثِ بن كَعْبِ بن سَعْدِ بن زيد مَنَاةَ بن تميمٍ :

بِسُولافٍ أَضَعْتَ دِماءَ قَوْمِي   وطِرْتَ على مُوَاشِكَةٍ دَرُورِ

قولُه « مُوَاشِكَةٍ » يريدُ سريعةً . ويقال : نحنُ على وشْكِ رَحيلٍ . ويقال : ذَمِيلٌ مُوَاشِكٌ[٣] ، إذا كان سريعاً . قال ذُو الرُّمَّةِ :

إذا مَا رَمَيْنَا رَمْيَةً في مَفَازَةٍ   عَرَاقِيبَهَا بِالشَّيْظَمِيِّ المُوَاشِكِ[٤]

= أَسْرَعَ في السَّيْرِ . وذُبَابُ السَّيفِ : حَدُّهُ » . وتفسير الأصمعى ليس هذا موضعه ، إنما الذبُّ الدفع والمنع . و « ذَبَّبَ » : أَكْثَرَ الذَّبَّ .

(١) في ج و س و د و ه و ف « وَأُعْلِمَ » .

(٢) في د « جاض » « جيضة » . وبحاشية ا مانصه : « المُهَلَّبِيُّ : الحَيْصُ : الحَيْدُ . حاصَ يَحِيصُ حَيْصًا : حادَ . و لذلك جَاضَ بالجيم والضاد : مِثْلُه » .

(٣) « الذميل » ضرب من سير الابل .

(٤) بحاشية ا مانصه : « المُهَلَّبِيُّ : الشَّيْظَمِيُّ : حَادٍ طويلٌ . والمُوَاشِكُ : المستعجِلُ وهو مُفَاعِلٌ من الوَشْكِ » .

و « دَرُورٌ » فَعُولٌ مِنْ دَرَّ الشَّيْءُ : إِذَا تَتَابَعَ .

وقال رجلٌ من بنى تميمٍ آخَرُ :

تَبِعْنَا الْأَعْوَرَ الْكَذَّابَ طَوْعًا   يُزَجِّى كُلُّ أَرْبَعَةٍ حِمَارَا
فيانَدَمِى على تَرْكِى عَطَائِى   مُعَايَنَةً وَأَطْلُبُهُ ضِمَارَا[1]
إِذَا الرَّحْمٰنُ يَسَّرَ لِى قُفُولًا   فَحَرَّقَ فى قُرَى سُولَافَ نَارَا

قوله : « الأعورَ الكذَّابَ » يعنى المُهَلَّبَ ، ويقال عارتْ عينُه بسهمٍ كان أصابها . وقال « الكذَّابَ » لأنَّ[2] المهلَّبَ كان فقيهاً ، وكان يعلمُ ماجاء عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم من قوله : « كلُّ كَذِبٍ يُكْتَبُ كَذِباً إلَّا ثلاثةً : الكذِبُ فى الصُّلحِ بين الرجلين[3] ، وكذبُ الرجلِ لامرأته يَعِدُها ، وكذِبُ الرجلِ فى الحربِ يَتَوَعَّدُ وَيتَهَدَّدُ[4] » ، وجاء عنه صلى الله عليه وسلم :

---

(١) بحاشية ا مانصه : « قال المُهَلَّبِىُّ : الضِّمَارُ : خِلافُ العِيَانِ . ابنُ شاذانَ : الضِّمَارُ : النَّسِيئَةُ ، ومنه حديثُ عُمَرَ بن عبد العزيز : فإنه كان مالاً ضِمَاراً . أى غائباً عن أهله . وكلُّ غائبٍ ضِمَارٌ . والضِّمَارُ : مالا يُدْرَى أيكونُ أم لا . ومنه قولُهم : أضْمَرْتُ الشىء : أخْفَيْتُه » .

(٢) فى ج « بأن » .

(٣) فى ج و ف « بين المسلمينَ » وفى د « بين الرجلين المُسْلِمَيْنِ » .

(٤) أقرب لفظ وجدته لهذا اللفظ رواية أحمد فى المسند (ج ٦ ص ٤٥٤) « عن أسماء بنت يزيد أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يقول : يأيها الذين آمنوا مايحملكم على أن تتايعوا فى الكذب كما يتتايع الفراش فى النار ؟ كل الكذب يكتب على ابن آدم إلا ثلاث خصال : رجل كذب على امرأته ليرضيها ، أو رجل كذب فى خديعة حرب ، أو رجل كذب بين امرأين مسلمين ليصلح بينهما » . ثم رواه أيضاً بنحوه (ص ٤٥٩ و ٤٦٠ ــ ٤٦١) ورواه الترمذى فى السنن وحسنه (ج ١ ص ٣٥٢ طبعة بولاق و ج ٣ ص ١٢٧ من شرح المباركفورى) . وفى معناه حديث آخر بنحوه عن أم كلثوم بنت =

« إنما أنتَ رجلٌ ، فَخَذِّلْ عَنَّا ، فإنمــا الحربُ خَدْعَةٌ[1] ». وقال عليه السلام في حرب الخَنْدق لسعد بن عُبَادَةَ وسعد بن مُعاذٍ ، وهما سَيِّدَا الحَيَّيْنِ الخَزْرجِ والأَوْسِ : « إيتِيَا بَنِي قُرَيْظَةَ ، فان كانوا على العهد فأَعْلِمَا بذلك ، و إن كانوا قد نَقَضُوا ما بيننا فَالْحَنَا لى لَحْنًا أَعْرِفُه ، ولا تَفُتَّا فى أَعْضَادِ المسلمين[2] ، فرجَعَا بغَدْرِ القومِ فقالا : يارسول الله عَضَلٌ والقَارَةُ ، قال : فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين : أَبْشِرُوا فإن الأَمْرَ ماتُحِبُّونَ » . [قال الأخفشُ: سألتُ المُبَرِّدَ عن قولهما « عَضَلٌ والقَارَةُ » فقال : هذانِ حَيَّانِ كانا فى نهاية العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرادا أنهم فى الانحراف عنه والغدرِ به كهاتين القبيلتين] .

قال أبو العباس : فكانَ المهلَّبُ ربمــا صَنَعَ الحديثَ لِيَشُدَّ به من أمرِ المسلمين ويُضَعِّفَ من أمرِ الخوارجِ[3] ، فكان حَيٌّ من الأَزْدِ يقال لهم

= عقبة ، رواه الترمذى فى الباب ، ورواه أيضاً أحمد مطولا ومختصرا (ج ٦ ص ٤٠٣) ونسبه المباركفورى (٣ : ١٢٨) للبخارى ومسلم وأبى داود والنسائى .

(١) بفتح الخاء وسكون الدال ، كما ضبط فى الأصول ، وفى بعض طبعات مصر بفتح الدال مع فتح الخاء ، وهو خطأ . قال فى النهاية : « يروى بفتح الخاء وضمها مع سكون الدال ، وبضمها مع فتح الدال . فالأول معناه أن الحرب ينقضى أمرها بخدعة واحدة من الخداع ، أى أن المقاتل إذا خدع مرة واحدة لم تكن لهــا إقالة ، وهى أفصح الروايات وأصحها . ومعنى الثانى هو الاسم من الخداع . ومعنى الثالث أن الحرب تخدع الرجال وتمنيهم ولا تفى لهم ، كما يقال فلان رجل لعبة وضحكة ، أى كثير اللعب والضحك » . والحديث ذكره ابن هشام فى السيرة فى غزوة الخندق أنه قاله لنعيم بن مسعود الأشجعى ولفظ « الحرب خــدعة » فى الصحيحين وغيرهما . وانظر فتح البارى (ج ٦ ص ١١٠) .

(٢) فى حاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : قال أبو عُمَرَ : يقال كَلَّمَ فلانٌ فلاناً بشىء فَفَتَّ فى ساعِدِه ، أى أَضْعَفَهُ وَأَوْهَنَهُ » .

(٣) المهلب بن أبى صفرة تابعىٌّ ثقة ، وليس يصح أن ينسب إليه الكذب على رسول الله =

النَّدَبُ[١] إذا رَأَوُا المهلَّبَ رائحاً إليهم قالوا : قد راحَ المهلبُ ليكذِبَ ! وفيه يقولُ رجلٌ منهم :

أنتَ الفتَى كلُّ الفتَى ... لو كُنْتَ تَصْدُقُ ماتَقُولُ

⁂

فبات المهلَّبُ فى ألفَيْنِ ، فلما أصبح رجَع بعضُ المنهزمةِ فصارَ فى أربعة آلافٍ،فخطب أصحابَه فقال: واللهِ ما بكم من قِلَّةٍ، وما ذَهَبَ عنكم إلَّا أهلُ الجُبْنِ والضَّعْفِ والطَّمَعِ والطَّبَعِ[٢] ، فإنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فقد مَسَّ القومَ قَرْحٌ مثلُه[٣] فسيرُوا إلى عدوِّكم على بركةِ الله . فقام إليه الحَرِيشُ بنُ هلالٍ فقال : أَنْشُدُكَ اللهَ[٤] ـ أيها الأَميرُ ـ أن تقاتلهم إلَّا أنْ يُقاتلُوك ، فإن بالقوم جِراحًا وقد أثخَنْتَهُمْ هذه الجَوْلَةُ ، فقَبِلَ منه ، ومَضَى المهلَّبُ فى عشَرةٍ ، فأشْرَفَ

= صلى الله عليه وسلم . قال ابن عبد البر فى الاستيعاب : «هو ثقة ليس به بأس ، وأما من عابه بالكذب فلا وجه له ، لأن صاحب الحرب يحتاج إلى المعاريض والحيل ، فمن لم يعرفها عدها كذبا» . وهو ظاهر فى أن معاريضه إنما كانت فى الحرب ، وأنه لم يكن ليفترى على رسول الله مالم يقل .

(١) بحاشية ا مانصه : « قال ابن دُرَيدٍ : النَّدَبُ قَبِيلةٌ من العرب » .

(٢) « الطبع » بفتح الباء ، أصله الصدأ يكثر على السيف ونحوه ، ثم استعير للأوزار والآثام .

(٣) إشارة إلى الآية ١٤٠ من سورة آل عمران . وبحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : القَرْحُ: الجراحُ، وهو القُرْحُ أيضاً . ورجل قَرِيحٌ وَمَقْرُوحٌ ، من قوم قَرَاحَى وَقَرْحَى » .

(٤) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : يقال نَشَدْتُكَ اللهَ فأنا أَنْشُدُكَ اللهَ ، أى ذَكَّرْتُكَ اللهَ » .

على عسكر الخوارج ، فلم يرَ منهم أحدًا يتحرّكُ ، فقال له الحَرِيشُ : ارْتَحِلْ عن هذا الموضعِ [١] ، فارتَحَلَ ، فعَبَرَ دُجَيْلاً ، وصار إلى عاقُولٍ [٢] لا يُؤْتَى إلّا مِن وجهٍ واحدٍ ، فأقام به ، واستراحَ الناسُ ثلاثًا ، وقال ابنُ قَيْسِ الرُّقَيَّاتِ :

ألاَ طرَقَتْ من آلِ بِيبَةَ طارِقَهْ ... على أنها مَعشُوقَةُ الدَّلِّ عاشِقَهْ [٣]
تَبِيتُ وأرضُ السُّوسِ بَيْنِي وبينَها ... وسُولافُ رُسْتَاقٌ حَمَتْهُ الأزارِقَهْ
إذا نحن شِئْنَا صادَفَتْنَا عِصابَةٌ ... حَرُورِيَّةٌ أَضْحَتْ منَ الدِّينِ مارِقَهْ
أجازَتْ إلينا العَسْكَرَيْنِ كِلَيْهِمَا ... فباتَتْ لنا دُونَ اللِّحَافِ مُعانِقَهْ

---

(١) فى ع و س و د و هـ و ف ونسخة بحاشية ا « المنزل » .

(٢) بحاشية ا مانصه : « المُهَلَّبِيُّ : يقال وَقَعْنَا فى أرضٍ عاقُول : لاَيُهْتَدَى لها . قال ابنُ شاذانَ : قال الخليلُ بن أحمد : العاقولُ من النهر والوادى : ما اعْوَجَّ منه ، ومن الأمورِ : ما التَبَسَ» .

(٣) « بيبة » بكسر الباء الأولى ، كما ضبطت فى كل الأصول ، وبحاشية ا ما نصه : « ابنُ شاذانَ : اشتقاقُ بِيبَةَ من البِيبِ ، والبِيبُ مَسِيلُ الماء من مُفرَّغ الدَّلْوِ إلى الحوض » . وضبطه المرصفى بفتح الباء الأولى ، وقال : « هو بيبة بن سفيان بن مجاشع » . وكذلك ضبط بالقلم فى اللسان والقاموس . وفى الاشتقاق لابن دريد (ص ١٤٧) مانصه : « الحُرث بن بَيْبَةَ . وَالبَيْبَةُ المَثْعَبُ الذى ينصبّ منه الماء إذا أُفرغ من الدلو فى الحوض . وهو البَيْبُ والبَيْبَةُ » وضبطت كلها فى الاشتقاق بالقلم بفتح الباء الأولى . وكذلك ضبط « البيب » بالقلم بفتحها فى الجمهرة (ج ٣ ص ١٩٨) وأما القاموس واللسان فانهما ضبطا « البيب » و « البيبة » بكسرها ، وضبطا اسم الرجل ، بالفتح . والظاهر عندى أن مافى أصول الكامل أصح ، وأنه فى اسم الرجل بالكسر أيضا . وقد مضت الأبيات الثلاثة الأولى فى (ص ٩١٦) وضبط فيها بفتح الباء . وفى حاشية طبعة أوربة أن بعض النسخ بكسرها .

وقد ذكرنا « الضِّمَارُ » ومعناه الغائبُ ، وأصلُهُ من قولك « أَضْمَرْتُ الشيءَ » أى أخفيتُهُ عنك ، ويقال : مالٌ عَيْنٌ، للحاضِر، ومالٌ ضِمارٌ، للغائب، قال الأَعْشى :

ومَن لَّاتَضيعُ له ذِمَّةٌ فَيَجْعَلَها بعد عَيْنٍ ضِمَارَا

وقال أيضاً :

تَرَانَا إذا أَضْمَرَتْكَ البِلا دُ نُجْفَى وتُقْطَعُ مِنَّا الرَّحِمْ[١]

والفعلُ من هـذا « أَضْمَرَ يُضْمِرُ » والمفعولُ به « مُضْمَرٌ » والفاعل « مُضْمِرٌ » و « الضِمَارُ » اسمٌ للفعل فى معنى الإِضمار . وأسماءُ الأفعالِ تَشْرَكُ[٢] المصادِرَ فى معانيها ، تقول : أعطيتُه عَطاء ، فَيَشْرَكُ العَطاءُ الإِعْطاءَ فى معناه ، ويُسَمَّى به المفعولُ : وتقول : كلَّمتُه تكليماً وكِلَّامًا ، فى معناه ، والمصدرُ يُنْعَتُ به الفاعلُ فى قولك : رجلٌ عدلٌ ، ورجلٌ كرَمٌ، ورجلٌ نَوْمٌ، ويومٌ غَمٌّ وَغَيْمٌ ، وينعتُ به المفعولُ فى قولك : رجلٌ رِضًى، وهذادرهمٌ ضَرْبُ الأميرِ ، وجاءَنِى الخَلْقُ ، تَعنِى[٣] المخلوقين .

وقال رجلٌ من الخوارج فى ذلك اليوم :

وكَأَيِّنْ تَرَكْنَا يومَ سُولَافَ منهمُ أُسارَى وقَتْلَى فى الجحيم مَصِيرُها

قوله « وكَأَيِّنْ » معناه : كَمْ ، وأصلُه كافُ التشبيه دخلتْ على « أَيٍّ »

---

(١) فى ج و هـ و ف « أرَانَا » . وفى ف بيت آخر :

أَتَانَا فلا رِمْتَ مِن عِندِنَا فَإِنَّا بِخَيْرٍ إذا لم تَرِمْ

(٢) فى ج و ف « تشارك » .

(٣) فى س و هـ و ف « يعنى » .

فصارتا بمنزلةِ كم ، ونظيرُ ذلك : له كذا وكذا درهماً ، إنما هى « ذا » دخلتْ عليها الكافُ ، والمعنى : له كهذا العددِ من الدراهم . فإذا قال : له كذا كذا درهماً ، فهو كناية عن أحَدَ عَشَرَ درهماً إلى تسعةَ عَشَرَ ، لأنه ضَمّ المذَدَيْن ، فإذا قال : كذا وكذا ، فهو كنايةٌ عن أحدٍ وعشرين [درهما][1] إلى ماجازَ فيه العطفُ بعدَه . ولكن كَثُرَتْ « كأيّ » فَخُفِّفَتْ ، والتثقيلُ الأصلُ ، قال الله تعالى : ﴿ وَكَأَيّ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ[2] ﴾ ﴿ وَكَأَيّ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ[3] مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ[4] ﴾ وقد قُرِئَ بِالتَّخْفِيفِ[5] ، كما قال الشاعرُ :

وَكَاءٍ رَدَدْنَا عنكمُ مِن مُدَجَّجٍ ... يَجِيءُ أَمامَ الأَلْفِ يَرْدِي مُقَنَّعا[6]

وقال آخرُ :

وكَاءٍ تَرَى يومَ الغُمَيْصَاءِ مِن فَتًى ... أُصيبَ ولم يُجْرَحْ وقد كان جارِحَا

قال أبو العباس : وهذا أكثرُ على ألسنتهم ، لطلب التخفيف ، وذلك الأصلُ ، وبعضُ العرب يَقْلِبُ فيقول : « كَيْءٍ[7] يافتى » فيؤخّرُ الهمزةَ لكثرة الاستعمال ، قال الشاعرُ :

---

(١) الزيادة من ج و س و د و هـ .

(٢) سورة الحج آية ٤٨

(٣) فى ا و د « قُتِلَ » وهى قراءة نافع وابن كثير وأبى عمرو ويعقوب ، ووافقهم ابن محيصن واليزيدى . وقرأ باقى الأربعة عشر « قاتل » كما فى الاتحاف (ص ١٨٠) .

(٤) سورة آل عمران آية ١٤٦

(٥) أى بألف ممدودة بعد الكاف وبعدها همزة مكسورة منونة ، وهى قراءة ابن كثير وأبى جعفر .

(٦) « يردى » : يعدو . وأصل ذلك فى الخيل ، يقال رَدَى الفرسُ كَرَمَى رَدْياً ورَدَيَاناً : إذا عدا فرجم الأرض بحوافره . والمقنع : المغطى بالسلاح . قاله المرصفى .

(٧) رسمت فى ج و س « كَيْئِنْ » .

وَكَـنِيْءٍ فى بنى دُودَانَ منهمُ غداةَ الرَّوْعِ معروفًا كَمِيُّ

[قال أبو العباسِ][١] : فأقام المهلبُ فى ذلك العاقُولِ[٢] ثلاثةَ أيامٍ ، ثم ارتحلَ والخوارجُ بِسِلَّىٰ وَسِلَّبْرَى[٣] [قال الأخفش « سَلَّىٰ » و « سَلَّبْرَىٰ » بفتح السين فيهما ، موضعانِ بِالأهوازِ ، « وسِلَّىٰ » بكسر السين موضعٌ بالبادية ، وهكذا يُنْشَدُ هذا البيتُ :

كَأَنَّ غَدِيرَهم بجُنوبِ سِلَّىٰ نَعامٌ قاقَ فى بَـلَدٍ قِفَارِ]

فنزلَ قريبًا منهم ، فقال ابنُ المَاحُوزِ لأصحابه : ماتنتظرون بعدُوِّكم وقد هزَمتموهم بالأمسِ وكَسَرْتم حَدَّهم ؟ فقال له وافِدٌ مَوْلَى أبى صُفْرَةَ : يا أميرَ المؤمنين ! إنما تفرَّقَ عنهم أهلُ الضَّعفِ وَالجُبْنِ ، وَبَقِىَ أهلُ النَّجْدةِ والقُوَّةِ ، فإن أصبتَهم[٤] لم يكن ظَفَرًا هنيئًا ، لأنى أراهم لايُصابُونَ[٥] حتى يُصِيبوا ، فإنْ غَلَبُوا ذَهَبَ الدِّينُ ، فقالَ أصحابُه: نافَقَ وافِدٌ ! فقال ابنُ المَاحُوزِ: لا تَعْجَلُوا على أخيكم ، فإنه إنما قال هذا نَظَرًا لكم . ثم تَوَجَّهَ الزبيرُ[٦]

(١) الزيادة من ج و س و د و هـ و ف .
(٢) فى ف « فى دير العاقول » .
(٣) فى هـ « بِسَلَّىٰ وَسَلَّبْرَى » بفتح السينين وبالباء الموحدة فى الثانية بدل الياء التحتية . وفى ج « بِسَلَّى وَسِلَّبْرَى » بفتح السين فى الأولى ، وبكسر السين وكسر اللام المشددة وبالباء الموحدة فى الثانية ، وكذلك فى معجم البلدان إلا أنه بكسر السين فى الأولى أيضا .
(٤) فى ج و ف « أَصَبْتُمْ » .
(٥) فى ج و ف « لا أراهم يصابون » .
(٦) فى ج و س و د و هـ و ف « ثمَّ وَجَّهَ الزُّبيرَ » .

بن عليّ إلى عسكر المهلّب لِيَنْظُرَ ما حالهم ، فأتاهم في مِائَتَيْنِ ، فَحَزَرَهمْ ورجَع ، وَأَمَرَ المهلّبُ أصحابَه بالتَّحارُسِ ، حتى إذا أصبح ركِبَ إليهم على تَعْبِيَةٍ صحيحةٍ ، فالْتَقَوْا بِسِلَّى وَسِلَّبْرَى[١] فتَصَافُّوا ، فخرج من الخوارج مائةُ فارسٍ ، فركَزوا رِماحَهم بين الصَّفَّيْنِ واتَّكَئُوا عليها ، وأخرج إليهم المهلّبُ عِدادَهم ، ففعلوا مثلَ مافعلوا ، لايَرِيمُونَ إلاَّ لِصلاةٍ[٢] حتى أمْسَوْا ، فرجَع كلُّ قومٍ إلى مُعَسْكَرِهِمْ ، ففعلوا هذا ثلاثةَ أيامٍ .

ثم إن الخوارجَ تطاردُوا لهم في اليوم الثالثِ ، فَحَمَلَ عليهم هؤلاء الفرسانُ يجولونَ ساعةً ، ثم إن رجلاً من الخوارج حَمَلَ على رجلٍ فطعنَهُ ، فحَمَل عليه المهلّبُ فطعنه ، فَحَمَلَ الخوارجُ بأجمعهم ، كما صَنَعُوا يوم سُولافَ ، فضَعْضَعوا الناسَ ، وفُقِدَ المهلّبُ ، وثبتَ المغيرةُ في جمعٍ أكثرُهم أهلُ عُمَانَ ، ثم نَجَمَ[٣] المهلبُ في مائةِ فارسٍ ، وقد انغمَسَتْ كَفَّاهُ في الدمِ ، وعلى رأسه قَلَنْسُوَةٌ مُرَبَّعَةٌ فوقَ المِغْفَرِ[٤] مَحْشُوَّةٌ قَزًّا ، وقد تَمَزَّقَتْ ، وإنّ حَشْوَها ليَتَطَايرُ ، وهو يَلْهَثُ ، وذلك في وقتِ الظُّهْرِ ، فلم يَزَلْ

---

(١) في ع و د و هـ « بِسَلَّى » . وفي ع « وَسَلَّبْرَى » .

(٢) في ا « إلا بصلاة » وبحاشيتها ما نصه : « ابنُ شاذانَ : يقال رَامَ يَرِيمُ رَيْمًا ، وما رِمْتُ عن المكان ، أي مابَرِحْتُ » .

(٣) « نجم » أي ظهر .

(٤) بحاشية ا ما نصه : « ابنُ شاذانَ : المِغْفَرُ : الكبةُ من الزَّرَدِ . وقال المُهَلَّبِيُّ : المِغْفَرُ : الوِقَايَةُ لِلرَّأْسِ ، وهي حَلَقٌ يَتَقَنَّعُ بها المُتَسَلِّحُ ، وكذلك الغِفَارَةُ . وَمِغْفَرُ البَيْضَةِ : ما فوقها من حَلَقِ الحَدِيدِ » .

يحاربهم إلى الليل ، حتى كَثُرَ القتلُ فى الفريقين . فلما كان الغَدُ غادَاهم ، وقد كَانَ وَجَّهَ بالأمسِ رجلاً من طاحيةَ بن سُودِ بن مالك بن فهْم بن الأزْدِ[1] ، يَرُدُّ المنهزمينَ ، فمرَّ به عامرُ بن مسْمَعٍ فردَّه ، فقال : إن الأميرَ أذِنَ لى ، فبعَثَ إلى المهلَّبِ فأعلمَه ، فقال : دَعْهُ ، فلا حاجةَ لى فى مثلِه من أهلِ الجُبْنِ والضَّعْفِ . وقد تفرَّقَ أكثرُ الناسِ ، فغادَاهم المهلَّبُ فى ثلاثةِ آلاف ، وقال لأصحابه : ما بكُمْ مِن قِلةٍ ، أيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ[2] أن يَرْمِىَ برمحه ثم يَتقَدَّمَ فيأخُذَه ؟ ففعلَ ذلك رجلٌ من كِنْدَةَ يقال له عَيَّاشٌ وقال المهلَّبُ لأصحابه : أَعِدُّوا مَخالِىَ فيها حجارةٌ وارْمُوا بها فى وقتِ الغَفْلَةِ ، فإنها تَصُدُّ[3] الفارسَ وتَصْرَعُ الراجلَ ، ففعَلوا ، ثم أمر منادياً يُنادى فى أصحابه ، يأمُرُهُمْ بالجِدِّ والصَّبْرِ ، وَيُطْمِعُهُمْ فى العَدُوِّ ، ففعَلَ ، حتى مَرَّ ببَنِى العَدَوِيَّةِ ، من بنى مالك بن حَنْظَلَةَ ، فضَرَبُوهُ ، فدعا المهلَّبُ بسيِّدهم ، وهو معاويةُ بن عَمْرٍو ، فجَعَلَ يَرْكُلُه[4] برِجْلِه ، وهـذا معروفٌ فى الأَزْدِ ، فقال

(١) فى بعض النسخ « من الأزد » .

(٢) فى ج « أيُعْجِزُ أحَدَكم » .

(٣) فى هـ و ف « تَصُكُّ » .

(٤) بحاشية ا ما نصه : «المُهَلَّبِيُّ : الرَّكْلُ : ضَرْبُكَ الفَرَسَ بِرِجْلِكَ لِيَعْدُوَ ، ويقال لذلك الموضعِ الذى تُصيبُهُ رِجْلُ الفارس المَرْكَلُ . ابنُ شاذانَ : الرَّكْلُ : الرَّفْسُ بِالرِّجْلِ ، وَرَكَلَهُ يَرْكُلُهُ رَكْلاً ، وَالرَّكْلَةُ الرَّفْسَةُ . قال : وقال الخليلُ : الرَّكلُ : الضربُ برجل واحدةٍ » .

[له](١) أصْلَحَ اللهُ الأميرَ ، أعْفِنِي(٢) مِنْ أُمِّ كَيْسَانَ ، والرُّكْبَةُ(٣) تُسَمِّيها الأَزْدُ « أُمَّ كَيْسَانَ » . ثم حَمَلَ المهلَّبُ وحَمَلُوا ، فاقتتلوا قِتالاً شديدًا ، فَجُهِدَ الخوارجُ ، فنادَى مُنَادِيهم : أَلاَ إنَّ المهلَّبَ قد قُتِلَ ، فركِبَ المهلَّبُ بِرْذَوْنًا قصيرًا أَشْهَبَ ، وَأقبلَ يَرْكُضُ بين الصَّفَّيْنِ ، وإنَّ إحْدَى يديه لَفِي القَباءِ وما يَشْعُرُ بها ، وهو يَصِيحُ : أنا المهلَّبُ ، فسَكَنَ الناسُ بعدَ أن كانوا قد ارتاعُوا وظَنُّوا أنَّ أميرَهم قد قُتِلَ ، وكَلَّ الناسُ مع العَصْرِ ، فصاحَ المهلَّبُ بابنِه المُغيرةِ : تقدَّمْ ، ففَعَلَ ، وصاحَ بِذَكْوَانَ مَوْلاَهُ : قَدِّمْ رَايَتَكَ ، ففَعَلَ ، فقال له رجلٌ من وَلَدِهِ : إنك تُغَرِّرُ بنفسِك ، فَذَمَرَهُ(٤) ، ثم صاحَ(٥) : يابنى تَميم ! أآمُرُكُمْ فتَعْصُونَنى ؟! فتقدَّمَ وتقدَّمَ الناسُ ،

(١) الزيادة من ج و س و د و ف .

(٢) فى ج و ف « عن » بدل « من » .

(٣) بحاشية ا مانصه : « قال ابنُ شاذَانَ : هكذا قال المبرِّدُ الرُّكْبَةُ ، والصوابُ الرَّكْلَةُ ، وهي الرَّفْسَةُ » . وقد أصاب المبرد وأخطأ ابن شاذان ، ففى اللسان : « ورَكَبَ الرجلَ يركُبُه رَكْبًا ، مثالُ كتَب يكتُب كَتْبًا : ضَرَبَ رُكْبَتَهُ ، وقيل : هو إذا ضَرَبَهُ بِرُكْبَتِهِ ... وفى حديث ابن سيرينَ : أَمَا تَعْرِفُ الأزدَ ورُكَبَهَا ، اتَّقِ الأَزْدَ لايأخُذُوكَ فيَرْكُبُوك . أى يضربوك بِرُكَبِهم . وكان هذا معروفا فى الأزد . وفى الحديث : أن المهلَّبَ بن أبى صُفْرَةَ دعا بمعاويةَ بن أبى عمرو فجعلَ يَرْكُبُهُ بِرِجْلِهِ ، فقال : أصلح اللهُ الأميرَ ، أَعْفِنِي من أم كَيْسَانَ ، وهى كُنيةُ الرُّكْبَةِ بلغةِ الأزدِ » .

(٤) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذَانَ : ذَمَرْتُ الرَّجُلَ أذْمُرُهُ ذَمْرًا : إذا حضَضْتَهُ وتَذَامَرَ القومُ : إذا حَضَّضَ بعضُهم بعضاً » .

(٥) فى ج و د و هـ و ف « وصاح » .

واجْتَلَدُوا أشدَّ جِلادٍ ، حتى إذا كان مع المَسَاء[١] قتِلَ ابنُ المَاحُوز ، وانصرفَ الخوارجُ ، ولم يَشْعُرِ المهلَّبُ بقتلِهِ ، فقال لأصحابه :ابْغونِى رجلاً جَلْدًا يَطُوفُ فى القَتْلَى ، فأشاروا عليه برجلٍ من جَرْمٍ ، وقالوا : إنَّا لم نَرَ رجلاً قطُّ أشَدَّ منه ، فطَوَّفَ ومعه النِّيرانُ ، فَجَعَلَ إذا مَرَّ بجريحٍ من الخوارجِ قال : كافرٌ وربِّ الكعبةِ ، فأَجْهَزَ عليه ، وإذا مَرَّ بجريحٍ من المسلمين أمَرَ بِسَقْيِهِ وَحَمْلِهِ .

وأقام المهلَّبُ فى عسكره يأمرُهم بالاحتراسِ ، حتى إذا كان نصفُ الليلِ[٢] وَجَّهَ رجلاً من الْيَحْمَدِ [قال الأخْفَشُ : الْيَحْمَدُ من الأزدِ ، والخَلِلُ مِنْ بَطْنٍ منهم يقال لهمُ الفَرَاهِيدُ ، والفُرْهُودُ فى الأصلِ الحَمَلُ ، فإن نَسَبْتَ إلى الحَيِّ قلتَ « فَرَاهِيدِىٌّ » ، وإن نسبتَ إلى الحُمْلاَنِ قلتَ « فُرْهُودِىٌّ » لاغيرُ] فى عَشَرةٍ فصاروا إلى عسكرِ الخوارجِ ، فإذا[٣] القومُ قد تَحَمَّلُوا إلى أَرَّجَانَ ، فرجَع إلى المهلَّبِ فأعْلَمَهُ ، فقال : أنا لَهُمُ السَّاعةَ أشدُّ خوفًا ، فاحْذَرُوا البيَاتَ .

⁂

قال أبو العباس : ويُرْوَى عن شُعْبَةَ بن الحَجَّاج أنَّ المهلَّبَ قال لأصحابه يومًا : إن هؤلاء الخوارجَ قد يَئِسُوا من ناحيتِكم إلاّ من جهة البيَاتِ ، فإن كان ذلك فاجْعَلُوا شعارَكُمْ حم لايُنْصَرُونَ ، فإن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كان يأمُرُ بها[٤] . ويُرْوَى : أنه كان شعارَ أصحابِ علىِّ بن أبى طالبٍ صلواتُ الله عليه.

(١) فى ج « عند المساء » .

(٢) فى ج و س و د و هـ و ف « فى نصف الليل » .

(٣) فى ج و س و د و هـ و ف « وإذا »

(٤) ورد ذلك فى حديث رواه أبوداود والترمذى والحاكم وغيرهم من طريق المهلب بن أبى صفرة =

فلمّا أصبحَ المهلّب غدَا عَلَى القَتْلَى ، فأصاب[١] ابنَ المَاحُوزِ فيهم ، ففى ذلك يقول رجلٌ من الخوارج :

بِسِلَّىٰ وَسِلَّبْرَىٰ مَصارِعُ فِتْيَةٍ كِرَامٍ وَجَرْحَى لم تُوَسَّدْ خُدُودُها

وقال آخرُ :

بِسِلَّىٰ وَسِلَّبْرَىٰ مصارِعُ فتيةٍ كِرامٍ وَعقْرَىٰ من كُمَيْتٍ ومن وَرْدِ[٢]

وقال رجلٌ من موالى المهلَّبِ : لقد صرعتُ يومئذٍ بحَجَرٍ واحدٍ ثلاثةً ، رميتُ به رجلاً فأصبتُ أَصْلَ أُذُنِهِ فَصَرَعْتُهُ ، ثم أخذتُ الحجرَ فضربتُ به آخرَ على هامَتِهِ فصرعتُه ، ثم صرعتُ به ثالثاً .

وقال رجلٌ من الخوارج :

أَتانَا بأَحْجارٍ ليقتلَنا بها وهل تُقْتَلُ الأَبْطالُ وَيْحَكَ بالحَجَرْ

وقال رجلٌ من أصحاب المهلَّبِ فى يومِ سِلَّىٰ وَسِلَّبْرَىٰ[٣] وَقَتْلِ ابنِ المَاحُوزِ :

وَيومَ سِلَّىٰ وَسِلَّبْرَى أحاط بهم مِنَّا صَواعِقُ ما تُبْقِي وَلا تذَرُ[٤]

= عن بعض الصحابة ، وفى حديث رواه النسائى والحاكم عن البراء بن عازب ، وفى أحاديث أخر ، انظرها فى الدر المنثور للسيوطى (ج ٥ ص ٣٤٥) .

(١) فى ج و س و د و هـ و ف « فأصابوا » .

(٢) فى ج و س و د و هـ « بِسَلَّىٰ وسِلَّبْرَى » .

(٣) فى ج و د « سَلَّىٰ وَسِلَّبْرَى » .

(٤) فى ج « ماتبقى وما تذر » . وفى ف « لاتبقى ولا تذر » . وبحاشية ا ما نصه : « قال ابنُ شاذَانَ : الصَّعْقُ أن يَسمعَ الإنسانُ الهَدَّةَ الشديدةَ فَيَصْعَقُ لذلك =

حتى تَرَكْنا عُبَيْدَ اللهِ مُنْجَدِلًا   كما تَجَدَّلَ جِــذْعٌ مَالَ مُنْقَعِرُ

قال أبو العباسِ: تقولُ العربُ «صاعقةٌ وَصَوَاعِقُ» وهو مذهبُ أهل الحجازِ، وبه نزلَ القرآنُ، وبنو تَميمٍ يقولون «صَاقِعةٌ وَصَوَاقِعُ».

و«المُنْقَعِرُ» المُنْقَلِـعُ من أصلِه. قال الله أصدقُ القائلينَ: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ[١]﴾.

ويُرْوَى: أن رجلاً من الخوارج يومَ سَلَّى حَمَلَ على رجلٍ من أصحاب المهلَّبِ فطَعَنَه، فلما خالطَه الرمحُ صاح: ياأُمَّتَاهْ! فصاح به المهلَّبُ: لا كَثَّرَ اللهُ بِمثلك المسلمينَ، فضَحِكَ الخارجيُّ وقال:

أُمُّكَ خيرٌ لَكَ مِنِّي صَاحِبَا   تسقيكَ مَحْضاً وتَعُلُّ رائبَا

وكان المغيرةُ بنُ المهلَّبِ إذا نَظَرَ إلى الرماحِ قد تشَاجَرَتْ في وجهه نَـكَسَ[٢] على قَرَبُوسِ سَرْجِــه[٣] وحَمَلَ مِن تَحتِها فبرَاهَا بسيفِه وأثَّرَ في أصحابها، حتى تخرَّمَتِ المَيْمَنَةُ من أجْلِهِ. وكان أشدَّ ما تكونُ الحربُ أشدَّ ما يكونُ تبَسُّماً، فكان المهلبُ يقولُ: ما شهِدَ مَعِي حرباً قطُّ إلاَّ رأيتُ البُشْرَى في وَجْهِه.

= وَيَذْهَبُ عقلهُ، والصاعقةُ من هذا اشتقاقُها، لِشِدَّةِ هَدَّتِها، وإنما قَلَبُوا فقالوا صاقعةٌ».

(١) سورة القمر آية ٢٠

(٢) بحاشية ا ما نصه: «نَكَسْتُ الشيءَ أَنْكُسُهُ نَكْساً: إذا قَلَبْتَهُ على رأسِهِ».

(٣) في ج و س و د و ه و ف «على قربوس السرج».

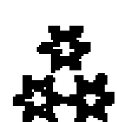
وقال رجلٌ من الخوارجِ في هذا اليومِ :

فإنْ تكُ قتْلَى يومَ سِلَّى تتابعَتْ ... فكم غادرَتْ أسيافُنا من قُماقِمِ(١)

غَداةَ نَكُرُّ المَشْرَفِيّةَ فِيهمُ ... بِسُولَافَ يومَ المأْزِقِ المُتلاحِمِ

« المأْزِقُ » هو يومُ تضايُقِ الحربِ . و « المُتلاحِمُ » نعتٌ له . وَ« المَشْرَفِيَّةُ » السُّيُوفُ ، نُسِبَتْ إلى المَشارِفِ مِنْ أرضِ الشَّأْمِ . وهو الموضعُ الملقَّبُ مُوتَةَ(٢) الذى قُتِلَ به جعفرُ بن أبي طالب وأصحابُه .

[قال الأخفشُ : كان المبرِّدُ لا يَهْمِزُ « مُوتَةَ » . ولم أَسْمَعْها من علمائِنا إلاّ بالهمزِ] .



قال أبو العباس : فكتب المهلب إلى الحرثِ بن عبد الله بن أبي ربيعة القُباعِ :

بسم الله الرحمن الرحيم . أمّا بعدُ : فإنا لَقِينا الأزارقةَ المارقةَ ، بحَدٍّ وَجِدٍّ ، فكانتْ في الناس جَوْلَةٌ ، ثم ثابَ أهلُ الحِفاظِ والصبرِ ، بِنِيّاتٍ صادقةٍ ، وأبدانٍ شدادٍ ، وسيوفٍ حِدادٍ ، فأعقبَ اللهُ خيرَ عاقبةٍ ، وجاوزَ بالنعمةِ مِقدارَ الأمَلِ ، فصاروا دَرِيَّةً(٣) رِماحِنا ، وضَرائبَ سيوفِنا ،

(١) بحاشية ا مانصه : « المهلّبيُّ : رجلٌ قُماقِمٌ وقُمْقامٌ ، وهو السيِّدُ ، واشتقاقُه من قولهم بَحْرٌ قَمْقامٌ ، للكثيرِ الماء » .

(٢) في ج و س و د و هـ و ف « بموتة » .

(٣) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : الدَّرِيئةُ مهموزٌ : الحَلْقَةُ التي يُتعلَّمُ فيها الرَّمْيُ والطَّعْنُ . والدَّرِيَّةُ بغيرِ همزٍ : التي يَستترُ بها الصائدُ » .

وقَتَلَ اللهُ أميرَهُمْ ابنَ المَاحُوزِ ، وأرجو أن يكونَ آخرُ هذه النعمة كأوّلِها ، والسلام .

فكتَبَ إليه القُبَاعُ :

قد قرأتُ كتابَك يا أخا الأزْدِ ، فرأيتُك قد وَهَبَ اللهُ لك شرفَ الدنيا وعِزَّها ، وذَخَرَ لك ثوابَ الآخرةِ إن شاء اللهُ وأجْرَها ، ورأيتُك أوثقَ حُصونِ المسلمين ، وهادَّ أركانِ المشركين ، وأخَا السياسةِ وذَا الرِّياسةِ ، فاسْتَدِمِ الله بشكره ، يُتْمِمْ عليك نِعَمَهُ ، والسلام .

وكَتب إليه أهلُ البصرة يُهنّؤُنَهُ ، ولم يكتب إليه الأحنفُ ، ولكن قال : اقرَؤا عليه السلام ، وقولوا له : أنَا لكَ على ما فارقتُك عليه . فلم يَزَلْ يقرأ الكتبَ ويَلْتَمِسُ فى أضْعافِها كتابَ الأحنف ، فلمَّا لم يَرَهُ قال لأصحابه : أمَا كتَبَ إلينا ؟ فقال له الرسول : حمّلنى إليك رسالةً ، وأبلغَهُ ، فقال : هذه أحبُّ إلىَّ من هذه الكتبِ .

⁂

واجتمعت الخوارجُ بأرَّجَانَ ، فبايَعوا الزُّبيرَ بن علىٍّ ، وهو من بنى سَليطِ بن يَرْبُوعٍ ، مِن رَهْطِ ابنِ المَاحُوزِ ، فرأى فيهم انكسارًا شديدًا وضَعْفًا بَيِّنًا ، فقال لهم : اجْتَمِعُوا ، فَحَمِدَ اللهَ وأثنى عليه وصلَّى على محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم أقْبَلَ عليهم فقال : إنَّ البلاءَ للمؤمنين تَمْحيصٌ[1] وأجرٌ ،

(١) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : التَّمْحِيصُ : التطهيرُ من الذُّنوبِ . قال الله عزَّ وَجَلَّ : ولِيُمَحِّصَ اللهُ الذين آمَنُوا » .

وهو على الكافرين عُقوبةٌ وخِزْىٌ ، وَإِنْ يُصَبْ منكم أميرُ المؤمنين فما صار إليه خيرٌ مما خَلَّفَ ، وقد أصبتُم منهم[(١)] مُسْلِمَ بن عُبَيْسٍ ، ورَبيعاً الأَجْذَمَ ، والحجَّاج بنَ بابٍ ، وحارِثَةَ بنَ بدرٍ ، وأَشْجَيْتُمُ المهلَّبَ ، وقتلتم أخاهُ المُعارِكَ ، واللهُ يقولُ لإخوانكم من المؤمنين : ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فقدْ مَسَّ القومَ قَرْحٌ مِثْلُهُ ، وتلكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾[(٢)] فيَوْمُ سِلَّىٰ كان لكم بلاءً وتمحيصاً ، ويومُ سُولافَ كان لهم[(٣)] عُقوبةً ونكالاً ، فلا تُغْلَبُنَّ على الشُكرِ فى حِينِهِ ، والصَّبْرِ فى وقتِهِ ، وثِقُوا بأنكم المستَخْلَفون فى الأرضِ ، والعاقبةُ للمتقين .

ثم تَحَمَّلَ لمحاربةِ المهلَّبِ ، فنفحَهُمُ المهلَّبُ نَفْحَةً ، فرجعوا ، فأَكْمَنَ للمهلَّبِ فى غَمْضٍ من غُمُوضِ الأرضِ[(٤)] ، يَقْرُبُ[(٥)] من عسكره ، مائةَ فارسٍ ليَغْتَالُوه ، فسار المهلَّبُ يومًا يطوفُ بعسكره ويتفقَّدُ سَوَادَه ، فوقَفَ على جبلٍ فقال : إن من التَّدْبيرِ لهذه المارقةِ أن تكونَ قد أَكْمَنَتْ فى سَفْحِ هذا الجبلِ كَميناً ، فبعثَ عَشَرَةَ فوارس ، فاطَّلَعُوا على المئةِ ، فلما عَلِمُوا أنهم قد عَلِمُوا بهم قَطَعوا القَنْطَرَةَ ونَجَوْا ، وكَسَفَتِ الشمسُ ، فصاحوا بهم :

---

(١) فى ج و س و هـ و ف « فيهم » .

(٢) سورة آل عمران آية ١٤٠

(٣) فى ج و ف « كان عليهم » .

(٤) بحاشية ا ما نصه : « المهلَّبِيُّ : الغَمْضُ : المطمَئِنُّ من الأرض ، والجمع أغماضٌ وغموضٌ » .

(٥) فى ج و س و د و هـ و ف « بِقُرْبِ » .

يا أعداء الله ! لو قامتِ القيامةُ لَجَدَدْنَا في جهادكم . ثم يَئِسَ الزُّبير من ناحية المهلَّب ، فضَرَبَ إلى ناحية أَصْبَهَانَ ، ثم كَرَّ راجعًا إلى أَرَّجَانَ . وقد جمع جموعًا ، وكان المهلَّبُ يقولُ : كأنِّي بالزُّبير وقد جمع جموعًا ، فلا تَرْهَبُوهُمْ فتَخْبُثَ قلوبُكم ، ولا تُغْفِلُوا الاحتراسَ فيَطْمَعُوا فيكم . فجاؤوه من أَرَّجَانَ فألْفَوْهُ مُسْتَعِدًّا آخذًا بأفواه الطُّرقِ ، فحاربوه ، فظَهَرَ عليهم ظهورًا بَيِّنًا .

ففي ذلك يقول رجلٌ من بني تَميمٍ ، أَحْسِبُهُ من بني رِياحِ بنِ يَرْبُوع :

سَقَى اللهُ المهلَّبَ كلَّ غَيْثٍ من الوَسْمِيِّ يَنْتَحِرُ انتحارَا
فما وَهَنَ المهلَّبُ يومَ جاءتْ عَوابسُ خَيْلهم تبغي الغِوارَا

وقال المهلَّبُ يومَئذٍ : ماوقعتُ في أمرٍ ضَيِّقٍ من الحرب إلَّا رأيتُ أمامي رجالاً من بني الهُجَيْمِ بنِ عَمْرِو بنِ تميمٍ يُجالِدُونَ ، وكأنَّ لحاهُمْ أذنابُ العقَاعِقِ . وكانوا صَبَرُوا معه في غيرِ مَوْطِنٍ .

وقال رجلٌ من بني تميمٍ ، من بني عَبْشَمْسِ بنِ سَعْدٍ :

ألَا يا مَنْ لِصَبٍّ مُسْتَجِنٍّ قَريحِ القلبِ قد صَحِبَ المَزُونَا[1]
لَهَانَ على المهلَّبِ مالَقِينا إذا ما راحَ مَسرورًا بَطِينَا
يَجُرُّ السَّابِرِيَّ ونحنُ شُعْثٌ كأنَّ جلودَنا كُسِيَتْ طَحِينَا[2]

« المَزُونُ » عُمانُ ، وهو اسم من أسمائها ، قال الكُمَيْتُ :

فأمَّا الأَزْدُ أَزْدُ أبي سعيدٍ فأَكرَهُ أن أُسَمِّيَها المَزُونَا

(١) « مستحن » بالحاء المهملة ، من قولهم استحنه الشوق الى وطنه : استطربه ، قاله المرصفي .
(٢) « السابريّ » من الثياب : ماكان رقيقاً .

وقال جريرٌ :

وأُطْفأْتَ نيرانَ المَزُونِ وأهلِها ... وقد حاولوها فتنة أن تُسَعَّرَا

وَحمل يومئذٍ الحَرِيشُ بن هِلالٍ على قيسِ الإكَافِ ، وكان قيسٌ من أَنْجَدِ فُرْسانِ الخوارج ، فطعنه فَدَقَّ صلْبَهُ ، وقال :

قَيْسُ الإكافِ غَداةَ الرَّوْعِ يَعْلَمُنِي ... ثَبْتَ المَقَام إذا لا قيتُ أَقرانِي

☼

وقد كان فَلُّ المهلَّبِ يومَ سَِلَّى وَسِلَّبْرَى[١] صاروا إلى البصرةِ ، فذكروا أنَّ المهلَّبَ أُصِيبَ ، فهَمَّ أهلُ البصرة بالنُّقلةِ إلى البادية ، حتى وَرَدَ كتابُه بظَفَرِه ، فأقام الناسُ ، وتَراجَع من كان ذَهب منهم ، فعند ذلك يقولُ الأَحنفُ بن قيسٍ : البصرةُ بصرةُ المهلَّبِ . وَقَدِمَ رجلٌ من كِنْدَةَ يقال له فلانُ بنُ أَرْقَمَ ، فنَعَى ابنَ عمٍّ له ، وقال : رأيتُ رجلاً من الخوارجِ وقد مَكَّنَ رمحَه من صُلْبه ، فقَدِمَ المَنْعِيُّ ، فقيلَ له ذلك ، فقال : صَدَقَ ابنُ أرقم لما أَحْسَسْتُ برمحه بين كَتِفَيَّ صحتُ [به][٢] البَقِيَّةَ ! فرَفَعَه عنِّي ، وتَلاَ : ﴿ بَقِيَّةُ اللهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ[٣] ﴾ .

ووَجَّه المهلَّبُ بِعَقِبِ هذه الوَقْعةِ رجلاً من الأَزْد برأس عُبَيْدِ الله بن بَشِيرِ بن المَاحُوز إلى الحَرْثِ بن عبد الله بن أبي ربيعة القُباعِ ، فلما صار بِكُرْبُجِ دِينارٍ[٤] لَقِيَهُ حَبِيبٌ وعبدُ الملك وعليٌّ بنو بَشِيرِ بن الماحوزِ

(١) في ج و س و د و هـ و ف « وسلبرى » بالموحدة .

(٢) الزيادة من ج و س و د و هـ و ف .

(٣) سورة هود آية ٨٦

(٤) « كربج دينار » ضبط في الأصول بضم الباء وفتحها . وهو موضع قريب من الأهواز .

فقالوا له : ما الخبرُ ؟ ولا يَعرِفُهم ، فقال : قَتَلَ اللهُ المارقَ ابنَ الماحُوز ، وهذا رأسُه مَعِي ! فوَثَبُوا عليه فقتلوه وصَلَبوه ودفَنُوا الرأسَ ، فلما وَلِيَ الحجّاجُ دخل عليه عليُّ بن بَشِير ، وكان وَسِيماً جَسِيماً ، فقال : مَن هذا ؟ فَخُبِّرَ فقَتَله ، ووهبَ ابنَه الأَزْهَرَ وابنَتَهُ لأهل الأَزْدِيِّ المقتولِ ، وكانت زينب بنتُ بَشِير لهم مُواصِلَةً ، فوهبوهما لها .

فلم يَزَلِ المهلَّب يقاتِلُ الخوارجَ في ولايةِ الحرْثِ القُبَاعِ ، حتى عُزِلَ الحرِثُ ووُلِّيَ[١] مُصْعَبُ بن الزُّبير ، فكَتب إليه أَنْ أَقْدَمْ عليَّ واستخلِفِ ابنَك المغيرةَ ، ففَعل ، فجمعَ الناسَ فقال لهم : إنى قد استخلفتُ عليكم المغيرةَ ، وهو أبو صغيرِكم رِقّةً ورحمة ، وابنُ كبيرِكم طاعةً وبِرًّا وتبجيلاً ، وأخو مِثْلِه مُواساةً ومُناصحةً ، فَلْتَحْسُنْ له طاعتُكُمْ ، ولْيَلِنْ له جانبُكم ، فوالله ما أردتُ صوابًا قطُّ إلّا سَبقني إليه . ثم مَضَى إلى مُصْعَبٍ ، وكتب مصعبٌ إلى المغيرة بولايته ، وكَتَبَ إليه : إنك لم تَكُنْ كأبيك ، فإنك كافٍ لِمَا وَلَّيْتُكَ ، فشَمِّرْ واتَّزِرْ وجِدَّ واجْتَهِدْ .

⁂

ثم شَخَصَ المُصْعَبُ إلى المَذَارِ[٢] ، فقتَلَ أَحْمَرَ بنَ شُمَيْطٍ ، ثم أتى الكوفةَ فقتَلَ المختارَ بن أبى عُبَيْدٍ . وقال للمهلَّبِ : أَشِرْ عليَّ برجلٍ أَجْعَله بيني وبين عبد المَلِكِ ؟ فقال [له][٣] : أَذْكُرُ لك واحدًا من ثلاثةٍ : محمدَ بن

---

(١) فى ع و د و هـ « وَوَلِيَ » .

(٢) « المذار » بفتح الميم وتخفيف الذال المعجمة : بلد فى ميسان بين واسط والبصرة ، وهى قصبة ميسان ، بينها وبين البصرة أربعة أيام .

(٣) الزيادة من ع و د و هـ و ف .

عُمَيْرِ بن عُطَارِدٍ الدارِمِيّ ، أو زِيَادَ بن عمرو بن الاشْرَف العَتَكِيّ ، أو دَاوُدَ بن قَحْذَمٍ ، فقال : أَوَ تَكْفِينِي ؟ قال : أكْفِيكَ إن شاء اللهُ ، فولاّه المَوْصلَ ، فشَخَصَ المهلَّب إليها .

وصار مُصْعَبٌ إلى البصرة ، فسأَل مَنْ يَسْتَكْفِي أمرَ الخوارج ويَفِدُ إلى أخيه ، فشاوَرَ الناسَ ، فقال قومٌ : وَلِّ عُبيدَ الله بن أبى بكْرَةَ ، وقال قومٌ : وَلِّ عُمَرَ بن عُبيد الله بن مَعْمر ، وقال قومٌ : ليس لهم إلاَّ المهلَّبُ فارْدُدْهُ إليهم .

وبَلَغتِ المَشُورةُ الخوارجَ ، فأداروا الأَمْرَ بينهم ، فقال قطَرِىُّ بن الفُجَاءةِ المازنىُّ : إنْ جاءكم عُبيدُالله بن أبى بَكْرَةَ أتاكم سَيِّدٌ سَمْحٌ جوادٌ كريمٌ مُصيعٌ لعسكره[1] ، وإن جاءكم عُمر بن عُبيدالله [بن مَعْمَرٍ][2] أتاكم شجاعٌ بَطَلٌ فارسٌ جادٌّ ، يقاتلُ لِدِينِهِ ومُلْكِهِ ، وبطبيعةٍ لم أَرَمثلَها لأحدٍ ، فقد شَهِدتُهُ فى وقائعَ فما نُودِىَ فى القوم لحربٍ إلّا كان أولَ فارسٍ يَطْلُعُ حتى يَشُدَّ على قِرْنِهِ فيَضْرِبَه ، وإن رُدَّ المهلَّبُ فهو مَنْ قد عرفتموه : إنْ أخذتم بطَرف ثوبٍ أخَذَ بطرفه الآخَرِ ، يَمُدُّه إذا أرسلتموه ، ويُرْسِله إذا مددتُموهُ ، لا يَبْدَؤُكم إلّا أن تبْدَؤُوه ، إلّا أن يَرَى فُرْصَةً فينتهزَها ، فهو الليث المُبِرُّ[3] ، والثعلبُ الرَّوَّاغُ ، والبلاءُ المقيمُ .

---

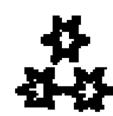
(١) « مصيع » بالصاد المهملة ، أى يرهبهم فيطيعونه ، من قولهم « صاعه يصوعه ويصيعه » واوى ويائى ، بمعنى خوّفه . وفى نسخة المرصفى بالضاد المعجمة ، وهو خطأ ، وإن وافق نسختى ج و د .

(٢) الزيادة من ج و د .

(٣) « المبرّ » أى الغالب . من قولهم أَبَرَّ عليهم : إذا غلبهم .

فَوَلّى عليهم عُمرَ بن عُبَيْدِ الله ، وولّاه فارسَ ، والخوارجُ بأَرَّجَانَ ؛ وعليهم الزُّبيرُ بن عليّ السَّليطيُّ ، فَشَخَصَ إليهم فقاتلهم ؛ وألحّ عليهم حتى أَخرجهم عنها ، فألحقهم بأَصْبَهَان ، فلمّا بلغ المهلّبَ أن مصعباً وَلّى عُمرَ بن عُبيد الله قال : رماهُمْ بفارس العربِ وفتاها .

فَجَمَعُوا له وأعدُّوا واستمدُّوا ، ثم أَتَوْا سابُورَ ، فسارَ إليهم حتى نزلَ منهم على أربعةِ فراسِخ ، فقال له مالكُ بن حَسَّانَ الأَزْديُّ : إن المهلّبَ كان يُذْكِي العيونَ ، ويخافُ البياتَ ، وَيَرْتَقِبُ الغفلةَ ، وهو على أَبْعَدَ مِن هذه المسافةِ منهم ، فقال له عمر : اسكتْ خَلَعَ اللهُ قلبَكَ ! أَتُراكَ تموتُ قبلَ أَجَلِكَ؟! فأقامَ هناك ، فلما كان ذاتَ ليلةٍ بَيَّتَهُ الخوارجُ ، فخرج إليهم فحاربهم حتى أصبحَ ، فلم يَظْفَرُوا منه بشيء ، فأقبلَ على مالِك بن حَسّانَ فقال : كيف رأيتَ ؟ قال : قد سَلَّمَ الله عزّ وجلّ ، ولم يكونوا يَطمعون مِنَ المهلَّبِ بمثلها ، فقال : أَمَا إنكم لو ناصحتمونِي مُناصحتَكم المُهَلَّبَ لَرَجَوْتُ أن أَنْفِيَ هذا العدوَّ ، ولكنكم تقولون : قُرَشِيٌّ حجازيٌّ بَعيدُ الدارِ ، خيرُهُ لغيرِنا ، فتقاتلون معي تَمْذِيراً(١) .



ثم زَحَفَ إلى الخوارجِ من غدِ ذلك اليوم ، فقاتلهم قتالا شديداً ، حتى أَلجأهُمْ إلى قنطرةٍ ، فتكاثفَ الناسُ عليها حتى سقطت ، فأقام حتى أصلحها ، ثم عَبَرُوا ، وتقدّم ابنُه عبيدُ الله بن عمَرَ ، وأمُّه من بني سَهْمِ بن عمرو

---

(١) قال المرصفي : « من قولهم قام فلان قيام تمذير فيما استكفيته : إذا لم يبالغ في القيام به ، بل قصرّ فيه » .

بن هُصَيْصِ بن كَعْبٍ ، فقاتلهم حتى قُتِلَ . فقال قَطَرِيٌّ : لا تقاتلوا عمرَ اليومَ فإنه مَوْتُور . ولم يَعلم عمر بقتل ابنه . حتى أفْضَى إلى القوم ، وكان مع ابنه النعمانُ بن عَبَّادٍ . فصاح به : يانعمانُ ! أين ابنى ؟ فقال : احْتَسِبْهُ [أيُّها الأميرُ][1] فقد استُشْهِدَ رحمه الله صابرًا مُقبلاً غيرَ مُدْبِر . فقال : إنَّا لله وَإنَّا إليه راجعون . ثم حمل على الناس حَمْلَةً لم يُرَ مثلها . وحَمل أصحابُه بحَملتهِ ، فقتلوا فى وجْهِهم ذلك تسعين رجلاً من الخوارج ، وحَمل على قطَرِيٍّ فضربه على جبينه ففَلَقَهُ . وانهزمت الخوارجُ ، وانتهبَها . فلما استقرُّوا قال لهم قَطَرِيٌّ : أمَا أشرتُ عليكم بالانصراف ؟ فجعلوه وُجُوههم حتى خرجوا من فارسَ .

وتلقَّاهم فى ذلك الوقتِ الفِزْرُ بن مِهْزَمٍ[2] العَبْدِيُّ . فسألوه عن خبره ؟ وأرادُوا قتلَه ! فأقبل على قَطَرِيٍّ فقال : إنى مؤمنٌ مهاجرٌ ، فسأله عن أقاويلهم ؟ فأجاب إليها ، فخلَّوْا عنه ، ففى ذلك يقول فى كلمةٍ له :

وشَدُّوا وِثَاقِى ثم أَلْجَوْا خُصُومَتِى ... إلى قَطَرِيٍّ ذى الجَبينِ المُفَلَّقِ[3]

وحاجَجتُهُمْ فى دِينهم وحَجَجْتُهُمْ ... وما دِينهم غيرُ الهوَى والتخلُّقِ

ثم إنهم تراجَعُوا وتكانَفُوا . [قال الأخفشُ : « تكانفوا » أعانَ بعضُهم بعضاً واجتمعوا وصار بعضُهم فى كَنَفِ بعضٍ] وعادُوا إلى ناحيةِ أرَّجَانَ ، فسار إليهم عمر ، وكَتَب إلى مُصْعَبٍ : أما بعدُ . فإنى قد لَقِيتُ الأزارقةَ ،

---

(١) الزيادة من ج و س و هـ و ف .

(٢) فى ج و د و هـ « مِهْزَّمٍ » .

(٣) « ألجوا » قال المرصفى : « حذفَ همزة ألجأ وأسنده إلى الضمير » .

فرزقَ اللهُ عُبَيْدَ الله بن عُمر الشهادةَ ، ووَهَبَ له السعادةَ ، ورزقَنا عليهم الظَّفَرَ ، فتفرَّقُوا شِذَرَ مِذَرَ[١] ، وبلَغَنِي عنهم عَوْدةٌ ، فيَمَّمْتُهم ، وبالله أستعينُ وعليه أتوكلُ .

فسار إليهم ومعه عطيةُ بن عَمرٍو ومُجَّاعةُ بن سَعيدٍ ، فالتَقَوْا ، فألحَّ عليهم حتى أخرجهم ، وانفردَ [عمر][٢] من أصحابه ، فعَمَدَ له أربعةَ عشَرَ رجلاً منهم ، مِن مَذْكورِيهم وشُجْعانهم ، وفى يده عَمودٌ ، فجعل لا يضربُ رجلاً منهم ضربةً إلا صَرَعَهُ . فرَكَضَ إليه قَطَرِيٌّ على فرس طِمِرٍّ[٣] ، وعُمر على مُهْرٍ ، فاستعلاه قَطَرِيٌّ بقوة فرسه حتى كاد يَصْرَعُهُ ، فبَصُرَ به مُجَّاعةُ فأسرع إليه ، فصاحت الخوارجُ بقطريّ : ياأبا نَعامة ! إنّ عدوَّ الله قد رَهِقَك ، فانحطَّ قطريٌّ عن قَرَبوسِهِ[٤] ، فطعنه مُجَّاعةُ ، وعلى قطريّ درعان فهتَكهما ، وأسرعَ السِّنانُ فى رأس قطريّ ، فكَشَطَ عنه جِلدةً ونجَا .

وارتحلَ القومُ إلى أَصْفَهَانَ[٥] فأقاموا [بها][٦] بُرْهَةً ، ثم رجَعوا إلى الأهواز ، وقد ارتحل عمر بن عُبيد الله إلى إِصْطَخْرَ ، فأمر مُجَّاعةَ فجَبَى

(١) بحاشية ا ما نصه : « ابنُ شاذَانَ : يقال تَفَرَّقَ القومُ شِذَرَ مِذَرَ : كلمةٌ تقال عند التفرق » . والكلمتان فى كل الأصول بكسر الشين والميم ، ويجوز فتحهما أيضاً .

(٢) الزيادة من ف .

(٣) فى ج و س و د و ه و ف « طِمِرَّةٍ » . والطمرّ : الطويل القوائم الخفيف ، أو هو المستفزّ للوثب والعدو ، والأنثى طمرة .

(٤) فى ج « عن قربوس فرسه » . وفى س و ف « عن قربوس سرجه » .

(٥) فى ج و س و د و ف « أصبهان » .

(٦) الزيادة من ج و ف .

الخراجَ أسبوعًا ، فقال [له] : (١) كم جَبَيْتَ ؟ قال : تِسْعَمِائَةِ ألفٍ ، فقال : هى لك ، فقال يزيدُ بن الحَكَم الثقفىُّ لمُجَّاعَةَ :

ودَعاكَ دَعْوةَ مُرْهَقٍ فأجبتَه ... عُمَرٌ وقد نَسِيَ الحياةَ وضَاعَا

فرَدَدتَّ عاديةَ الكَتيبةِ عن فتًى ... قد كاد يُتْرَكُ لَحْمُهُ أوْزاعَا

وعُزِلَ مُصْعَبُ بن الزبير ووُلِّى(٢) حمزةُ بن عبد الله بن الزبير ، فوَجَّهَ المهلَّبَ إليهم ، فحاربهم فأخرجهم عن الأهواز ، ثم رُدَّ مصعبٌ والمهلبُ بالبصرة ، والخوارجُ بأطرافِ إصْبَهَانَ ، والوالى عليها عَتَّابُ بن ورقاءَ الرِّيَاحِيُّ ، فأقام الخوارجُ هناك شيئًا يجْبُونَ القُرَى ، ثم أقبلوا إلى الأهواز من ناحية فارسَ ، فكَتب مُصْعَبٌ إلى عُمر بن عبيد الله : ما أنصفتَنا ، أقمتَ بفارسَ تجبي الخراجَ ومثلُ هذا العدوِّ يحاربُك ، والله لو قاتلتَ ثم هربتَ لكان أعْذَرَ لك . وخرج مصعبٌ من البصرة يريدهم ، وأقبلَ عمر بن عبيد الله يريدهم ، فتنحَّي الخراجُ إلى السُّوسِ ، ثم أتَوُا المدائنَ ، فقتلوا أحْمَرَ طَيِّىءٍ ، وكان شجاعًا ، وكان من فُرْسانِ عُبيد الله بن الحُرِّ ، ففى ذلك يقولُ الشاعرُ :

تركتم فتَى الفِتْيَانِ أحْمَرَ طَيِّىءٍ ... بِسَاباطَ لم يَعْطِفْ عليه خَليلُ

ثم خرجوا عامدين إلى الكوفة ، فلما خالطوا سوادَها ، وواليها الحرْثُ بن عبد الله القُبَاعُ ، فتثاقلَ عن الخروج ، وكان جَبانًا ، فذَمَرَهُ(٣) إبرهيمُ بن الأَشْتَرِ ، ولامَهُ الناسُ ، فخَرج متحامِلاً حتى أتى النُّخَيْلَةَ ،

---

(١) الزيادة من ج و د و هـ و ف .

(٢) فى ج و د « ووَلِيَ » .

(٣) الذمر : اللوم والحض .

فني ذلك يقولُ الشاعرُ :

إن القُباعَ سار سَيْرًا نُكْرَا يسيرُ يومًا ويُقيمُ شهرَا

وجعل يَعِدُ الناسَ بالخروج ولا يخرجُ ، والخوارجُ يَعِيثُون[١] ، حتى أخذوا امرأةً فقتلوا أباها بين يديها ، وكانت جميلةً ، ثم أرادوا قتلَها ، فقالتْ : أتقتلون مَنْ يُنَشَّأُ فى الحِلْيَةِ وهو فى الخِصَامِ غيرُ مُبِين ؟! فقال قائلٌ منهم : دَعُوها ، فقالوا : قد فَتَنَتْكَ ، ثم قَدَّمُوها فقَتَلُوها ، ثم قرَّبوا أُخرى ، وَهُمْ بحِذَاءِ القُباعِ ، والجِسْرُ معقودٌ بينهما ، فقَطَعه القُبَاعُ ، وهو فى ستة آلافٍ ، والمرأةُ تستغيثُ به و[هى][٢] تقولُ : عَلامَ تقتلوننى ؟ فوالله مافسَقْتُ ولا كفَرْتُ ولا ارْتَدَدتُ ! والناسُ يَتَفلَّتُونَ إلى الخوارج ، والقُبَاع يمنعهم ، فلما خاف أن يَعْصُوه أمرَ عند ذلك بقطع الجِسْرِ ، فأقام بين دَباها ودَبِيرَى[٣] خمسةَ أيامٍ ، والخوارجُ بقُرْبه ، وهو يقول للناس فى كل يومٍ : إذا لقيتم العدوَّ غدًا فأَثْبِتُوا أقدامَكم واصبِرُوا ، فإن أَوَّلَ الحرب التَّرامى ، ثم إشْراعُ الرِّماح ، ثم السَّلَّة[٤] ، فَثَكِلَتْ رجلاً أُمُّهُ فَرَّ من الزَّحْف . فقال بعضُهم لما أكثر عليهم : أمَّا الصِّفَةُ فقد سمعناها ، فمتى يَقَعُ الفعلُ ؟! وقال الراجزُ :

إن القُبَاعَ سار سَيْرًا مَلْسَا بين دَبَاها ودَبِيرَى خمسَا[٥]

---

(١) فى ع و س و د و هـ « يَفْشُونَ » .

(٢) الزيادة من ع و د و هـ و ف .

(٣) « دباها ودبيرى » بفتح الدال فيهما ، قريتان من قرى بغداد ، قاله المرصفى .

(٤) « السلة » بفتح السين واللام المشددة : استلال السيوف .

(٥) بحاشية ا ما نصه : « المُهَلَّبِيُّ : قال أبو زيد : المَلْسُ : السَّيرُ الشديدُ . وقال غيرُه : هو السريع السهلُ . وقال ابنُ الأعرابىِّ : يقال مَلَسَ هاربًا : إذا وَلَّى =

فأخذ الخوارجُ حاجتهم ، وكان شأنُ القُبَاعِ التَّحَصُّنَ منهم ، ثم انصرفوا ورجَع إلى الكوفة ، وصاروا من فورهم إلى أَصْبَهانَ ، فبعثَ عَتَّابُ بن وَرْقَاءَ إلى الزُّبير بن عليٍّ : أنا ابنُ عمك، ولستُ أراكَ تَقْصِدُ فى انصرافك من كل حربٍ غيرى . فبعث إليه الزُّبير : إنَّ أَدْنَى الفاسقينَ وأبعدَهم من الحقِّ[1] سَواءٌ .

وإنما سُمِّيَ الحْرِثُ بنُ عبد الله [بن أبي ربيعةَ][2] القُبَاعَ لأنه وَلِيَ البصرةَ فغيَّرَ على الناسِ مَكاييلَهم ، فنَظَر إلى مكيالٍ صغيرٍ فى مَرْآةِ العَيْنِ وقد أحاط بدقيقٍ استكثَره ، فقال : إن مكيالكم هذا لَقُباعٌ . و«القُبَاعُ» الذى يُخْفِى أو يَخْفَى ما فيه ، يقال : انْقَبَعَ الرجلُ : إذا استتَرَ ، ويقال للقُنْفُذِ القُبَعُ ، وذلك أنه يَخْنِسُ رأسَه .

[قال أبو العباس][3] : وأقام الخوارجُ يغادُونَ عَتَّابَ بن وَرْقاءَ القتالَ ويُرَاوِحُونَه ، حتى طال عليهم المُقامُ ، ولم يَظْفَروا منه بكبيرٍ ، فلما كَثُرَ ذلك عليهم انصرفُوا ، لا يمُرُّون بقريةٍ بين أَصْفَهانَ[4] والأَهْوازِ إلَّا استباحوها وقتَلوا من فيها .

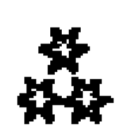
= مُشْرِعاً . وقال ابنُ شاذانَ : المَلْسُ مصدرُ مَلَسَ الشيء يَمْلُسُ مَلْسًا : إذا انْخَنَسَ . ومنه قولهم ناقةٌ مَلْسَى : سَرِيعةٌ » .

(١) فى ج و س و د و هـ و ف « فى الحق » .

(٢) الزيادة من ج و س و د و هـ و ف .

(٣) الزيادة من س و ف .

(٤) فى ج و د و هـ ونسخة بحاشية ا « أصبهان » .



وشاوَرَ المُصْعَبُ الناس [فيهم][1] ، فأَجْمَعَ[2] رأيُهم على المهلَّب ، فبلغ الخوارجَ مَشُورتُه[3] ، فقال لهم قَطَرِيٌّ : إنْ جاءكم عَتَّابُ بن وَرْقاء فهو فاتِكٌ يَطْلُعُ فى أوّلِ المِقْنَب[4] ولا يَظْفَرُ بكبيرٍ ، وإن جاءكم عُمر بن عُبيدالله ففارِسٌ يُقْدِمُ ، فإمّا له وإمّا عليه ، وإن جاءكم المهلَّب فرجلٌ لايُنَاجِزُكم حتى تُناجِزوه ، ويأخذُ منكم ولا يعطيكم ، فهو البَلاءُ اللّازِم ، والمكروهُ الدائم .

وعَزَم المصعَب على توجيه المهلّب ، وأن يَشْخَص هو لحربِ عبدِ الملك فلما أَحَسَّ به الزُّبير بن عليٍّ خرج إلى الرَّىِّ ، وبها يزيدُ بن الحٰرث بن رُوَيْمٍ ، فحارَبه ثم حَصَره ، فلما طال عليه الحصارُ خرج إليه ، فكان الظَّفَرُ للخوارج ، فقُتِلَ يزيدُ بن رُوَيْمٍ ، ونادَى يومئذٍ ابنَه حَوْشَباً ففرَّ عنه وعن أُمّه لَطِيفةَ ، وكان عليُّ بن أبى طالب عليه السلام دخلَ على الحٰرث بن رُوَيْمٍ يعود ابنَه يزيدَ ، فقال له : عندى جاريةٌ لطيفةُ الخِدمةِ أبعثُ بها إليك . فسماها يزيدُ لَطِيفةَ ، فقُتِلَتْ معه يومئذٍ ، ففى ذلك يقول الشاعرُ :

مَوَاقِفُنا فى كلِّ يومِ كَرِيهةٍ   أَسَرُّ وأَشْفَى من مَواقِفِ حَوْشَبِ

---

(١) الزيادة من ج و س و د و ه و ف .

(٢) فى ج و د و ه و ف « فاجتمع » .

(٣) فى ج و س و د و ه و ف «مُشاورتُه» : وبحاشية ا ما نصه : «ابنُ شاذانَ : المَشُورةُ مَفْعُلَةٌ ، واشْتُقَّ من الإشارة ، ويقال أَشَرْتُ عليه بكذا إشارةً » .

(٤) « المقنب » بوزن « منبر » : جماعة الخيل .

دعاه يزيدُ والرِّماحُ شَوَارِعٌ فلم يَسْتَجِبْ بَل رَاغ رَوْاغَ ثَعْلَبِ
ولو كان شَهْمَ النَّفْسِ أوذا حَفيظةٍ
رأى ماراَى فى الموتِ عيسى بن مُصْعَبِ[1]

وقد مَرَّ خبرُ عيسى بن مُصْعَبٍ مُسْتَقْصًى[2] . وقال آخرُ :

نَجَّي حَليلَتَهُ وأسْلَمَ شَيْخَهُ نَصْبَ الأَسِنَّةِ حَوْشَبُ بن يَزِيدِ

وقال ابنُ حوشبٍ لبلال بن أبي بُرْدَةَ يُعَيِّرُه بأُمِّه ، وبلالٌ مَشدودٌ عندَ يوسف بن عمر : ياابنَ حَوْراء ! فقال بلالٌ ، وكان جَلْدًا : إن الأَمَةَ تُسَمَّى حَوْراءَ وَجَيْداءَ ولَطِيفةَ !! وزَعَم الكَلْبِيُّ أن بلالاً كان جَلْدًا حيث ابْتُلِيَ[3] . قال الكلبيُّ : ويُعْجِبنى أن أرَى الاسيرَ جَلْدًا . قال : وقال خالدُ بن صَفْوانَ له بحضرةِ يوسفَ [بن عمرَ][4] : الحمد لله الذى أزال سُلطانَكَ ، وهَدَّ رُكْنَك ، وغَيَّرَ حَالَك ، فوالله لقد كنتَ شديد الحِجابِ ، مُسْتَخِفًّا بالشريفِ ، مُظْهِرًا للعَصَبِيَّةِ ! فقال له بلالٌ : إنما طالَ لسانُك ياخالدُ لثلاثٍ معك هُنَّ عليَّ : الأمرُ عليك مُقْبِلٌ وهو عنى مُدْبِرٌ ، وأنت مُطْلَقٌ وأنا مأسورٌ ، وأنت فى طينَتِكَ وأنا فى هذا البلد غريبٌ . وإنما جرَى إلى هذا لأنه يُقال أَنَّ أصلَ آلِ الأَهْتَمِ من الحِيرَةِ ، وأنهم أُشابةٌ[5] دخلتْ فى بنى مِنْقَرٍ من الرُّوم .

---

(١) بحاشية ا ما نصه : « ابنُ شاذانَ : يقال رجلٌ شَهْمٌ بَيِّنُ الشَّهَامَةِ والشُّهُومَةِ . إذا كان حادًّا ذكيًّا » .

(٢) مضى فى الجزء الثانى ص ٤٧٦ — ٤٧٧

(٣) فى ج و د و ف « حين ابتُلِيَ » .

(٤) الزيادة من ج .

(٥) « الأشابة » بضم الهمزة : الأخلاط من الناس ليس أصلهم واحداً ، كالأوباش والأوشاب ، قاله المرصفى .

⁂

ثم انحطَّ الزُّبير بن عليّ على أصفهانَ[(١)] فحصرَ بها عتَّابَ بن ورْقاءَ الرِّياحيَّ سبعةَ أشهرٍ، وعتَّابٌ يُحاربُه في بعضهنّ، فلما طال به الحِصارُ قال لأصحابه: ماتنتظرون؟ واللهِ ماتُؤْتَوْنَ من قِلَّةٍ، وإنكم لفُرْسانُ عشائرِكم، ولقد حاربتموهم مرارًا فانتصفتم منهم، وما بَقِيَ مع هذا الحصارِ إلاّ أن تَفْنَى ذخائرُكم، فيموتَ أحدُكم فيَدْفِنَه أخوه، ثم يموتَ أخوه فلا يجدُ مَن يدفنُه، فقاتِلوا القوم وبكم قوةٌ، مِن قبلِ أن يَضْعُفَ أحدُكم عن أن يَمْشِيَ إلى قِرْنِهِ!! فلما أصبحَ الغدَ، صلّى بهم الصبحَ، ثم خرج [بهم][(٢)] إلى الخوارج وهم غارُّونَ، وقد نَصَبَ لِوَاءً لجاريةٍ له يقال لها ياسمينُ، فقال: مَن أرادَ البقاء فلْيَلْحَقْ بلواء ياسمينَ! ومَن أرادَ الجهادَ فليَخْرُجْ معي. فخرج في ألفين وسَبْعِمِائةِ فارسٍ، فلم يَشْعُرْ بهم الخوارجُ حتى غَشُوهُمْ، فقاتَلوهم بجِدٍّ لم يَرَ الخوارجُ منهم مثلَه، فعقَرُوا منهم خلقًا [كثيرًا][(٣)]، وقتَلوا الزُّبير بن عليٍّ، وانهزمت الخوارجُ، فلم يَتْبعهُمْ عَتَّابٌ، ففي ذلك يقولُ الشاعر:

وَيَوْمٍ بِجَيٍّ تَلافَيْتَه ... ولولاكَ لاَصْطُلِمَ العَسْكَرُ[(٤)]

قال أبو العباس: نُفَسِّرُ قولَه «ولولاكَ» في آخر هذا الخبر[(٥)] إن شاء الله.

---

(١) في ج و د و ه و ف «أصبهان».
(٢) الزيادة من ج و د و ه و ف.
(٣) الزيادة من ف.
(٤) بحاشية ا ما نصه: «ابنُ شاذانَ: أصلُ الصَّلْمِ قَطْعُ الأذنِ، يقالُ صَلَمَ أُذُنَه واصْطَلَمَهَا يَصْطَلِمُهَا صَلْمًا».
(٥) في ج و س و د و ه و ف «هذا الباب».

وقال رجلٌ من بنى ضَبَّةَ فى تلك الوقعةِ :

خَرَجْتُ من المدينةِ مُسْتَمِيتاً ولم أَكُ فى كَتِيبَةِ يا سِميناَ
أَلَيْسَ من الفضائلِ أنَّ قَوْمِى غَدَوْا مُسْتَلْئِمِينَ مُجاهِدِيناَ

وتزعمُ الرُّواةُ أنهم فى أيام حِصارِهم كانوا يَتَوَاقفُونَ ، ويَحْمِلُ بعضُهم على بعضٍ ، وربما كانت مُوافقةٌ بغيرِ حربٍ(١) ، وربما اشتدَّت الحربُ بينهم ، وكان رجلٌ من أصحاب عَتَّابٍ يقال له شُرَيحٌ ، ويُكْنَى أبا هُرَيْرَةَ ، إذا تَحاجَزَ القومُ مع المَسَاء نادَى بالخوارج وبالزُّبير بن علىٍّ :

يا ابنَ أبِى المَاحُوزِ والأَشْرَارِ كيف تَرَوْنَ يا كِلاَبَ النّارِ
شَدَّ أبِى هُرَيرةَ الهَرَّارِ يَهِرُّكُمْ بالليلِ والنهارِ(٢)
ألم تَرَوْا جَيًّا عَلَى المِضمارِ تُمْسِى من الرحمن فى جُوَارِ(٣)

فغاظَهُم(٤) ذلك منه ، فَكَمَنَ له عُبَيْدَةُ بن هلالٍ فضربه ، واحتَمَلَهُ أصحابُه ، فظَنَّتِ الخوارجُ أنه قد قُتِلَ ، فكانوا إذا تَوَاقَفُوا نادَوْهُمْ : ما فعلَ الهَرَّارُ ؟ فيقولون : مابه مِنْ بَأْسٍ ، حتى أَبَلَّ من عِلَّتِهِ ، فخرج إليهم فصاح :

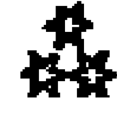
(١) فى ج و س و د و هـ و ف « لغير حرب » .

(٢) بحاشية ا ما نصه : « ابنُ شاذانَ : هَرَّ الكلبُ والذِّئبُ يَهِرُّ هَرِيراً : إذا كَشَرَ ، وهَرَّ الرجلُ الشىءَ : إذا كَرِهَهُ » .

(٣) بحاشية ا ما نصه : « ابنُ شاذانَ : المِضْمارُ : الغايةُ ، يقالُ جَرَى فى مضْمارِه ، والمِضْمارُ أيضاً : الموضعُ الذى يُضَمَّرُ فيه الفرَسُ » .

(٤) فى ج « فتغَاظَهُمْ » .

يا أعداء الله ! أتَرَوْنَ بِى بأساً ؟ فصَاحُوا به : قد كُنَّا نُرَى أنك لَحِقْتَ بامِّك الهَاوِيَةِ ، فى النار الحامية .



قال أبو العباسِ : نُفَسِّرُ أشياء من العربية تحتاجُ إلى الشرح . من ذلك قوله « وَلَوْلَاكَ » ، ومنه قولهُ « أَلمْ تَرَوْا جَيًّا » ومنه قولهُ « يَهُزُّكُمْ بالليل والنهارِ » .

أمَّا قوله « لَوْلَاكَ » فإن سيبويهِ يَزْعَمُ أنَّ « لَوْلَا » تَخْفِضُ المُضْمَرَ ويَرْتَفِعُ بعدَها الظّاهرُ بالابتداء ، فيقالُ : إذا قلتَ « لولاكَ » فما الدليلُ على أن الكافَ مخفوضةٌ دونَ أن تكونَ منصوبةً ، وضميرُ النَّصب كضميرِ الخفضِ ؟ فتقولُ : إنك تقولُ لنفسك « لولاىَ » ولو كانت منصوبةً لكانت النونُ قبل الياء ، كقولك «رمانى وأعطانى» قال يَزِيدُ بن الحَكَمِ الثّقَفِيُّ[1] :

وكَم مَوْطِنٍ لولاىَ طِحْتَ كما هَوَى ... بأَجْرامهِ من قُلّةِ النِّيقِ مُنْهَوِى[2]

« النِّيقُ » أعلَى الجَبَلِ ، و« جِرْم » الإنسان : خَلْقُهُ .

فيقالُ له : الضميرُ فى موضع ظاهرِه ، فكيف يكونُ مختلفاً ؟ وإن كان

---

(١) البيت من قصيدة بليغة يعاتب بها أخاه عبد ربه بن الحكم ، وقد جمتها وحققت مصادرها عند تعليق على كتاب لباب الآداب للأمير أسامة بن منقذ (ص ٣٩٦ — ٣٩٩) وأزيد هنا مصدرين آخرين ، هما خزانة الأدب (ج ٣ — ١١٨ بولاق) وسمط اللآلى (ج ١ ص ٢٣٧ — ٢٤١) .

(٢) بحاشية ا ما نصه : «ابنُ شاذانَ . قال الخليلُ : الطَّائحُ : الهالكُ المُشْرِفُ على الهلاكِ ، وكلُّ شيء ذَهَبَ فقد طَاحَ يَطِيحُ طَيْحًا وطَوْحًا ، لُغتانِ » .

هذا جائزًا فَلِمَ لا يكونُ فى الفعل وما أشبهه نحو « إنَّ » وما كانَ معها فى البابِ ؟

وزَعَم الأَخْفَشُ سَعيدٌ أنَّ الضميرَ مرفوعٌ ، ولـكنْ وافقَ ضميرَ الخفضِ ، كما يَستَوِى الخفضُ والنصبُ . فيقالُ : فهل هذا فى غيرِ هذا الموضع ؟ !

قال أبو العباس : والذى أقوله أنَّ هذا خطأٌ لا يَصْلُح ، إلّا أن تقولَ « لولا أنتَ » كما قال الله عزّ وجلَّ : ﴿لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾(١) ومن خالفَنا [فهو لا بُدَّ](٢) يزعمُ أنَّ الذى قلناه أَجْوَدُ . ويَدَّعِي الوجهَ الآخَرَ فيُجيزُه على بُعْدِهِ(٣) .

وأمّا « جَىٌّ » فالأَجْوَدُ فيها أن تقولَ :

* أَلم تَرَوْا جَيَّ علَى المِضْمَارِ *

فلا تُنَوِّنَ ، لأنها مدينَةٌ ، والاسمُ أعجميٌّ ، والمؤنَّثُ إذا سمى باسمٍ أعجميٍّ على ثلاثةِ أحرفٍ لم يَنْصَرِف إذا كَانَ مؤنثاً وإن كان أوسطه ساكناً نحوُ جُورَ وحِمْصَ [ومَاهَ](٤) وما كان مثلَ ذلك ، ولو كان اسماً لمذكَّرٍ لانصَرَفَ ، فإن صَرَفْتَه جعلتَه اسماً لبلدٍ ، وإن لم تصرفه جعلتَه اسماً لبلدةٍ أو لمدينةٍ ، أَلَا تَرَى أنك تصرفُ نُوحًا ولوطًا ، وهما أعجميَّانِ؟ وكذلك لو كَانَ على ثلاثةِ أحرف

---

(١) سورة سبأ آية ٣١

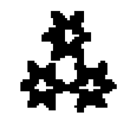
(٢) الزيادة من ع و د و ف .

(٣) فى ع و د و ف « على بُعْدٍ » .

(٤) الزيادة من ع و س و د و ف .

كلُّها متحركٌ، لأنك تَصْرِف «قَدَمًا» لو سمَّيْتَ به[١] رجلاً، فالأعجمىُّ بمنزلة المؤنَّث ، لأن امتناعَهما واحدٌ .

وأمَّا قولُه « يَهُرُّكُمْ » فإن كلَّ ما[٢] كان من المضاعَفِ على ثلاثة أحرفٍ وكان[٣] متعدِّياً فإن المضارِعَ منه على « يَفْعُلُ » نحو شَدَّهُ يَشُدُّه ، وزَرَّه يَزُرُّه ، ورَدَّه يَرُدُّه ، وحَلَّه يَحُلُّه . وجاء منه حرفانِ على « يَفْعِلُ » و « يَفْعُلُ » فيهما جيدٌ ، هرَّه يَهِرُّه : إذَا كَرِهه ، ويَهُرُّه أجْوَدُ ، وعَلَّهُ بالحِنَّاء يَعِلُّهُ : وَيَعُلُّهُ أجْوَدُ . ومَن قال حَبَبْتُهُ قال يَحِبُّهُ لا غيرُ ، وقرأ أبو رَجاء العُطارِدِىُّ ﴿ فاتَّبِعُونِى يَحِبَّكُمُ اللهُ ﴾[٤] وذلك أنَّ بنى تميمٍ تَدَّغِمُ[٥] فى موضعِ الجزمِ وتُحَرِّكُ أواخرَه لالتقاء الساكنَيْنِ .



رجع الحديث

[قال أبو العباس][٦] : ثم إن الخوارجَ أدَارُوا أمرَهم بينهم ، فأرادُوا توليةَ عُبَيْدَةَ بنَ هلالٍ ، فقال : أَدُلُّكُمْ على منْ هو خيرٌ لكم مِنِّى ، مَنْ يُطاعِنُ

(١) فى ج و ف « بها » .
(٢) رسمت فى جميع أصول الكتاب « كلما » .
(٣) فى س و د و هـ و ف « فكان » .
(٤) سورة آل عمران آية ٣١ والقراء الأربعة عشر قرؤوها «يُحْبِبْكُم» . وقراءة أبى رجاء شاذة ، وروى عنه أيضاً أنه قرأها « يَحْبِبْكُم » بفك الإدغام . وانظر القراءات الشاذة لابن خالويه (ص ٢٠) .
(٥) فى ج و د « تُدْغِمُ » .
(٦) الزيادة من س و هـ و ف .

فى قُبلٍ ، ويَحْمِي فى دُبُرٍ ، عليكم قَطَرِىَّ بن الفُجاءَةِ المازنىّ . فبايَعُوه ، فوقَفَ بهم ، فقالوا : يا أميرَ المؤمنينَ ! امْضِ بنا إلى فارسَ ، فقال : إن بفارسَ عُمَرَ بن عُبيد الله بنِ مَعْمَرٍ ، ولكنْ نَصِيرُ إلى الأهوازِ ، فإن خرجَ مُصْعَبُ بن الزبير من البصرة دخلناها . فأَتَوُا الأهوازَ ، ثم تَرَفَّعُوا عنها إلى إِيذَجَ[1] ، وكان مُصْعَبُ[2] قد عَزم على الخروج إلى باجُمَيْرَا[3] ، فقال لأصحابه : إنَّ قَطَرِيًّا قد أطَلَّ علينا ، وإنْ خرجنا عن البصرة دخلها ، فبَعَثَ إلى المهلَّب فقال : اكْفِنَا هذا العدوَّ ، فخرج إليهم المهلَّبُ ، فلما أحَسَّ به قطرىٌّ تيمَّمَ[4] نحو كَرْمانَ ، فأقام المهلَّبُ بالأهوازِ ، ثم كَرَّ قَطَرِىٌّ عليه وقد استعدَّ ، فكان الخوارجُ فى جميع حالاتِهم[5] أحسنَ عُدَّةً ممن يقاتلهم ، بكثرة السِّلاحِ ، وكثرة الدوابِّ ، وحَصانَةِ الجُنَنِ ، فحارَبَهم المهلَّبُ فنفاهم إلى رامَ هُرْمُزَ .

وكان الحرثُ بن عَمِيرةَ الهَمْدانىُّ قد صارَ إلى المهلَّبِ مُراغِمًا لِعَتَّابِ بن وَرْقاء يقالُ أنه لم يُرْضِهِ عن قتلِه الزبيرَ بن علىّ ، وكان الحرثُ بن عميرةَ هو الذى تَوَلَّى قتلَه وحاصَ إليه أصحابُه ، ففى ذلك يقولُ أعْشَى هَمْدانَ :

إنَّ المَكارمَ أكمِلَتْ أسبابُها ... لابنِ اللُّيوثِ الغُرِّ من قَحْطانِ

---

(١) « إيذج » بلد بين خوزستان وأصبهان .

(٢) فى ج و س و د و هـ « المصعب » .

(٣) « باجميرا » موضع دون تكريت . وفى ج و د « باجميراء » .

(٤) فى ج و س و د و هـ و ف « يَمَّمَ » .

(٥) فى ج و د « أحوالهم » .

لِلفارسِ الحامى الحَقيقةِ مُعْلِمًا ... زادِ الرِّفَاقِ إلى قُرَى نَجْرانِ

الحْرِثِ بن عَمِيرةَ الليثِ الذى ... يَحْمِى العِراقَ إلى قُرَى كَرْمانِ

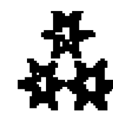
وَدَّ الأزارقُ لو يُصابُ بطَعْنةٍ ... ويَموتَ من فُرْسانهم مائتانِ

[وَيُرْوَى زَادِ الرِّفاقِ وفارِسِ الفُرْسانِ] وتأويلُه : أن الرُّفْقَةَ إذا صَحِبَها أَغناها عن التزوُّدِ كما قال جريرٌ وأرادَ ابنٌ له سَفرًا ، وفى ذلك السَّفرِ يحيى بن أبى حفصةَ ، فقال لأبيه : زَوِّدْنِى ، فقال جريرٌ :

أَزَادًا سِوَى يَحْيَى تُرِيدُ وصاحبًا ... أَلا إنَّ يحيى نِعْمَ زَادُ المسافرِ

فما تُنْكِرُ الكَوْماءُ ضَرْبةَ سيفِهِ ... إذا أرْمَلُوا أوخَفَّ مافى الغَرائرِ(١)

وقوله «ويَموتَ من فرسانِهم» يكونُ على وجهين : مرفوعًا ومنصوبًا ، فالرفعُ على العطفِ ، ويدخلُ فى التَّمنِّى ، والنصبُ على الشَّرْطِ والخروجِ من العطفِ ، وفى مصحفِ ابنِ مسعودٍ ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُوا﴾ والقِراءةُ ﴿فَيُدْهِنُونَ﴾(٢) على العطفِ ، وفى الكلامِ : ودَّ لو تأتيه فتُحَدِّثُهُ ، وإنْ شئتَ نَصبْتَ الثانِىَ(٣) .



[قال أبو العباس](٤) : وخرج مصعبُ بن الزبير إلى باجُمَيْراء ، ثم أَتَى الخوارجَ خبرُ مَقْتَلِهِ بمَسْكِنَ ، ولم يأتِ المهلَّبَ وأصحابَه ، فتَواقفوا يومًا

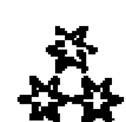
(١) « أرملوا » أى نفد زادهم .

(٢) سورة ن والقلم آية ٩

(٣) فى ج و ف « نصبتَ التاء » .

(٤) الزيادة من س وف .

على الخندق ، فناداهم الخوارجُ : ماتقولون فى المُصْعَب ؟ قالوا : إمامُ هُدًى ، قالوا : فما تقولون فى عبد الملِك ؟ قالوا : ضالٌّ مُضِلٌّ . فلما كان بعد يومين أتَى المهلَّبَ قَتْلُ مُصْعَبٍ ، وأن أهلَ الشأم اجتمعوا على عبد الملِكِ ، وورَدَ عليه كتابُ عبد الملك بولايته ، فلما تَواقَفوا ناداهم الخوارجُ : ماتقولون فى مصعبٍ ؟ قالوا : لانخبركم ! قالوا : فما تقولون فى عبد الملك ؟ قالوا : إمامُ هُدًى ! قالوا : يا أعداء الله ! بالأمسِ ضالٌّ مُضِلٌّ واليومَ إمامُ هُدًى ؟! ياعَبيدَ الدنيا ! عليكم لعنةُ الله !!



ووَلِى خالدُ بن عبد الله بن أَسِيدٍ ، فقَدِمَ فدخل البصرةَ ، فأراد عزلَ المهلَّبِ ، فأُشيرَ عليه بأن لّا يفعلَ ، وقيل له : إنما أمِنَ أهلُ هذا المصرِ بأنَّ المهلبَ بالأهوازِ وعُمرَ بن عُبيد الله بفارِسَ ، فقد تَنَحَّى عمرُ ، وإن نَحَّيْتَ المهلبَ لم تأمنْ على البصرة [الأزارقةَ](١) ، فأَبَى إلّا عَزْلَهُ ، فقَدِمَ المهلَّبُ البصرةَ ، وخرج خالدٌ إلى الأهوازِ ، فأَشْخَصَه ، فلمّا صار بِكُرْبُجِ دينارٍ لقيَه قَطَرِىٌّ فمنعه حَطَّ أثقالِه ، وحاربه ثلاثين يومًا ، ثم أقام قطرىٌّ بإزائه ، وخَنْدَقَ على نفسِه ، فقال المهلَّبُ : إنَّ قطريًّا ليس بأحقَّ بالخندق منك ، فعَبَرَ دُجَيْلاً إلى شِقِّ نهر تِيرَى ، واتّبعه قطرىٌّ ، فصار إلى مدينةِ نَهْرِ تِيرَى فبَنَى سُورَها وخندقَ عليها ، فقال المهلَّبُ لخالد : خَنْدِقْ على نَفْسِك ، فإنى لا آمَنُ عليك البَيَاتَ ، فقال : ياأبا سعيدٍ ! الأمْرُ أَعْجَلُ من ذلك ، فقال

(١) الزيادة من ج و س و د و هـ و ف .

المهلبُ لبعض ولده : إنى أرَى أمرًا ضائعًا ، ثم قال لزياد بن عَمرو : خَنْدِقْ علينا ، فخندقَ المهلَّبُ وأَمَرَ بسُفُنِهِ ففُرِّغَتْ ، وأبَى خالدٌ أن يُفَرِّغَ سُفُنَهُ ، فقال المهلَّبُ لفَيْروز حُصَيْن : صِرْ معنا ، فقال : يا أبا سعيدٍ ! الحَزْمُ ماتقولُ ، غيرَ أنى أكرهُ أن أُفارقَ أصحابى ، قال : فكُنْ بقُرْبِنا ، قال : أمَّا هذه فنعَم .

وقد كان عبدُ الملك كتب إلى بِشْرِ بن مروانَ يأمرُه أن يُمِدَّ خالدًا بجيشٍ كثيفٍ ، أميرُه عبد الرحمن بن محمد بن الأشعَثِ ، ففعل ، فقَدِمَ عليه عبدُ الرحمن ، فأقام قَطَرِىٌّ يُغَادِيهم القتالَ ويُراوِحُهم أربعين يومًا ، فقال المهلَّبُ لِمَوْلًى لأبى عُيَيْنَةَ : انتبِذْ إلى ذلك النَّاوُوسِ[1] فبِتْ عليه فى كل ليلةٍ، فمتى أحْسَسْتَ خَبَرًا من الخوارج أو حركةً أو صَهيلَ خيلٍ فاعْجَلْ إلينا ، فجاء ليلةً فقال : قد تحرَّكَ القومُ ، فجلس المهلَّبُ بباب الخندق ، وأعَدَّ قطرىٌّ سفنًا فيها حطبٌ فأشعلها نارًا وأرسلَها على سُفُنِ خالدٍ ، وخَرج فى أدْبارِها حتى خالطَهُمْ ، فجعل لا يَمُرُّ برجلٍ إلَّا قتلَه ، ولا بدابَّةٍ إلا عقَرَها ، ولا بفُسطاطٍ إلَّا هتَكَهُ ، فأمر المهلَّبُ يزيدَ [ابنَه][2] فخرج فى مائة فارسٍ فقاتَلَ وأبْلَى يومئذٍ ، وخرج عبدُ الرحمن بن محمد بن الأشعث فأبْلَى بلاءً حسنًا ، وخرج فَيرُوزُ حُصَيْنٍ فى مَوالِيه ، فلم يَزَلْ يَرميهم بالنُّشَّابِ هو ومَنْ معه ، فأثَّرَ أثرًا جميلاً ، فصُرِع يزيد بن المهلَّب يومئذٍ ، وصُرِع عبدُالرحمن ، فحامَى عنهما أصحابُهما حتى ركبا ، وسَقَطَ فَيْرُوزُ حُصَيْنٍ فى الخندقِ ، فأخذ

(١) « الناووس » مقابر النصارى . ومعنى « انتبذ إليه » اذهب إليه منفرداً .

(٢) الزيادة من س و ف .

بيده رجلٌ من الازدِ فاستنقذه ، فوهبَ له فيْروزُ حُصَيْنٍ عشرةَ آلاف درهمٍ ، وأصبح عسكرُ خالدٍ كأنه حَرَّةٌ سوداء ، فجعلَ لا يرَى إلّا قتيلاً أو صَريعًا ، فقال للمهلَّب : ياأبا سعيدٍ ! كِدْنا نفْتَضِحُ ، فقال خَندِقْ على نفسِك ، فإن لّاتفعَلْ عادوا إليك ، فقال : اكْفِنِي أمرَ الخندقِ ، فَجَمعَ له الأَخْماسَ ، فلم يبقَ شريفٌ إلّا عَمِلَ فيه ، فصاح بهم الخوارجُ : واللهِ لولا هذا الساحرُ المَزُونِيُّ لـكان اللهُ قد دَمَّرَ عليكم. وكانت الخوارجُ تُسَمِّي المهلَّبَ الساحرَ ، لأنهم كانوا يُدَبِّرُونَ الأَمرَ فيجدونَه قد سَبَقَ إلى نقض تدبيرهم .

فقال أعْشَى هَمْدَانَ لابنِ الأشعثِ فى كلمةٍ طويلةٍ :

ويَوْم أهْوَازِكَ لاتنْسَهُ ليس الثَّنَا والذِّكْرُ بالدَّاثِرِ

وقد ذَكرنا فى قصر المدودِ ، من أن مَدَّ المقصورِ لايجوزُ ما يغنى عن إعادته .

⁂

ونَذْكُرُ فَيْرُوزَ حُصَيْنٍ لِمَا مَرَّ مِن ذكره :

وكان فيروزُ حُصَيْنٍ رجلاً جَيِّدَ البيتِ فى العجم ، كريمَ المحتِدِ ، مشهورَ الآباء ، فلما أسلم والَى حُصَيْنًا ، وهو حُصينُ بن عبد الله العَنْبَرِيُّ ، من بنى العَنْبَرِ بن تَمِيم بن مُرٍّ ، ثم مِن وَلَدِ طَرِيفِ بن تَميم ، وكان فيروزُ حُصينٍ شجاعًا جَوادًا ، نَبيلَ الصُّورة ، جهيرَ الصوتِ . وتَرْوِى الرُّواةُ أن رجلاً من العرب كانت أُمُّه فَتاةً ، فقاوَلَ بَنِى عمٍّ له ، فسَبُّوه بالعَجَمِيَّةِ ، ومَرَّ فيروزُ حُصينٍ ، فقال : هذا خَالِى ، فَمَنْ منكم له خالٌ مثلُه ؟ وظَنَّ [الفتَى][1] أن فَيروزَ

(١) الزيادة من ع و د و ف .

لم يسمعها ، وسَمِعَها فيروزُ ، فلما صار إلى منزله بعثَ إلى الفتى ، فاشترى له منزلاً وجاريةً ، ووهبَ له عشَرةَ آلافِ دِرْهم .

ومن مآثره المعروفةِ أن الحجاج [بن يوسف] لما واقَفَ ابنَ الأَشْعَثِ بِرُسْتَقَابَاذَ نَادَى منادِي الحجاج : مَنْ أَتَى برأسِ فيروزَ فله عشَرةُ آلافِ درهمٍ ، ففَصَلَ[١] فيروزُ من الصَّفِّ ، فصاحَ بالناس : مَنْ عرفنِي فقد اكتَفَى ومَنْ لم يعرفْنى فأنا فيروزُ حُصينٍ ، وقد عرفتم مالِي ووفائِي ، مَن أَتَى برأس الحجاج فله مائةُ ألفٍ ، فقال الحجاج : واللهِ[٢] لقد تركَني أُكْثِرُ التَّلَفُّتَ وإنِّي لبَيْنَ خاصَّتِي . فأُتِيَ به الحجاجُ فقال له : أأنت[٣] الجاعلُ فى رأسِ أميرِك مائةَ ألفِ [درهمٍ][٤] ؟ قال : قد فعلتُ ، فقال : واللهِ لأَمْهَدَنَّكَ[٥] ثم لأَحمِلَنَّكَ ، أينَ المالُ ؟ قال : عندى ، فهل إلى الحياة من سبيلٍ ؟ قال : لا ، قال : فأخرِجْنى إلى الناسِ حتى أجمعَ لك المالَ فلعلَّ قلبَك يَرِقُّ علَيَّ ! ففعلَ الحجاجُ ، فخرج فيروزُ فأَحَلَّ الناسَ من ودائِعه ، وأَعْتَقَ رقيقَه ، وتَصَدَّقَ بمالِه ، ثم رُدَّ إلى الحجاج فقال : شأنَكَ الآنَ فاصْنَعْ ما شئتَ ، فَشُدَّ

---

(١) فى ج و س و ه و ف « فَنَصَلَ » والمعنى فى الروايتين واحد ، أى خرج من الصف .

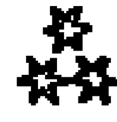
(٢) فى ج و س و د و ه و ف « فواللهِ » .

(٣) فى ج « ءآأنْتَ » .

(٤) الزيادة من ج و س و د و ه و ف .

(٥) قال المرصفى : « من مهدت الفراش مهداً : بسطته ووطأته » ، يريد : لأجعلنك طريحاً كالفراش الممهود ، وفى ج و د و ه « لأُمَهِّدَنَّكَ » .

فى القَصبِ الفارسىِّ ، ثم سُلَّ حتى شُرِّحَ ، ثم نُضِحَ بالخلِّ والمِلْح ، فما تَأَوَّهَ حتى ماتَ .



[قال أبو العباس][1]: ومضَى قَطَرِىٌّ إلى كِرْمَانَ[2]، فانصرف خالدٌ إلى البصرة ، فأقام قطريٌّ بِكرْمانَ أشهرًا ، ثم عَمَدَ لفارسَ ، وخرج خالدٌ إلى الأَهْواز ، ونَدَب للناس رجلاً ، فجَعلوا يطلبون المهلبَ ، فقال خالد : ذَهَب المهلَّبُ بحظ هذا المصرِ ، إنِّى قد وَلَّيْتُ أخى قِتال الأزارقة ، فوَلَّى أخاه عبدَ العزيز ، واستخلفَ المهلَّبَ على الأهواز فى ثلثمائة ، ومضَى عبدُ العزيز فى ثلاثين ألفاً ، والخوارجُ بِدَرَابَ جَرْدَ ، فجَعل عبدُ العزيز يقولُ فى طريقه يَزْعُمُ أهلُ البصرة أن هذا الأمرَ لا يَتِمُّ إلا بالمهلَّبِ ، فسيعلمون !

قال صَعْبُ بن زيدٍ : فلما خرج عبدُ العزيز عن الأهوازِ جاءنى كُرْدُوسٌ حاجبُ المهلبِ فقال : أَجِبِ الأمير ، فَجئتُ إلى المهلَّب وهو فى سطحٍ وعليه ثيابٌ هَرَوِيّةٌ ، فقال : ياصَعْبُ ! أنَا ضائع ، كأنِّى أنظُر إلى هزيمةِ عبد العزيز ، وأخشى أن توافيَنِى الأزارقةُ ولا جُنْدَ معى ، فابعثْ رجلاً مِن قِبَلِك يأتينى بخبرهم سابقاً به إلىَّ ، فوجَّهتُ رجلاً يقال له عمرانُ بن فلان ، فقلتُ : اصحَبْ عسكرَ عبد العزيز واكتبْ إلىَّ بخبرِ يومٍ يوم ، فجعلتُ أُورِدُه على المهلَّبِ .

---

(١) الزيادة من س و ف .

(٢) نون « كرمان » لم تظهر فى طبعة أوربة ، وموضعها واضح ، وفتحتها ثابتة ، فظن مصحح بعض طبعات مصر أن البلد اسمها « كرما » بدون النون ، وهكذا أثبتها فى طبعته !!

فلما قاربَهم عبدُ العزيز وقَفَ وقْفَةً ، فقال له الناسُ : هذا يومٌ صالحٌ ، فينبغي أن تَتْرُكَ(١) ـ أيُّها الأميرُ ـ حتى نَطمئنَّ ثم نأخذَ أُهْبَتَنَا ، فقال : كَلاَّ ، إلاَّ الأَمرُ قريبٌ ، فنَزَلَ الناسُ على غيرِ أمره ، فلم يُسْتَتَمَّ النُّزُولُ(٢) حتى وردَ عليهم سعدُ الطَّلائعِ في خمسمائة فارسٍ ، كأنهم خَيْطٌ ممدودٌ ، فناهضَهم عبدُ العزيز ، فواقَفوه ساعةً ، ثم انهزموا عنه مكيدةً ، فاتَّبعهم ، فقال له الناسُ : لاتَتَّبِعْهُم فإنّا على غيرِ تَعْبِيَةٍ ، فأَبَى ، فلم يَزَلْ في آثارِهم حتى اقتحموا عَقَبَةً ، فاقتَحمها وراءهُم ، والناسُ يَنْهَوْنَهُ ويأبَى ، وكان قد جَعل على بني تميمٍ عَبْسَ بن طَلْقٍ الصَّرِيمِيَّ ، الملقَّبَ عَبْسَ الطِّعَانِ ، وعلى بَكْرِ بن وائلٍ مُقَاتِلَ بن مِسْمَعٍ القَيْسِيَّ ، وعلى شُرْطَتِهِ رجلاً من بني ضُبَيْعَةَ بن رَبيعةَ بن نِزَارٍ ، فنَزلوا عن العَقبة ونزلَ خَلْفَهم ، وكان لهم في بَطْنِ العقبة كَمِينٌ ، فلما صاروا وراءهُم خرج عليهم الكَمِينُ . وعَطَفَ [عليهم](٣) سعدُ الطَّلائعِ ، فتَرَجَّلَ عَبْسُ بن طَلْقٍ فقُتِلَ ، وقُتِلَ مُقَاتِلُ بن مِسْمَعٍ ، وقُتِلَ الضُّبَيْعِيُّ(٤) صاحبُ الشرْطةِ ، وانحاز عبدُ العزيز ، واتَّبعهم الخوارجُ على فرسخين يقتلونَهم كيفَ شاؤا ، وكان عبدُ العزيز قد خرج

---

(١) هكذا ضبطت في طبعة أوربة بتاء الخطاب والبناء للفاعل ، وغيرها المرصفي إلى النون والبناء للمجهول « نُتْرَكَ » وهو وإن كان صحيح المعنى إلا أنه لايوافق أصول الكتاب . وفي ج و س و هـ « تَنْزِلَ » وفي ف « تَنْزِلَ فيه » وفي د « نَنْزِلَ » .

(٢) في ج « فلم يَسْتَتِمَّ النزولَ » .

(٣) الزيادة من ج .

(٤) في ج و س و د و هـ و ف « الضُّبَعِيُّ » .

معه بأمّ حَفْص ابْنَتِ[١] المُنْذِرِ بن الجارُودِ امرأته ، فَسَبَوُا النساء يومئذٍ ، وأَخَذُوا أَسْرَى لاتُحْصَى ، فقذفوهم فى غارٍ بعدَ أن شَدُّوهم وَثاقاً ، ثم سَدُّوا عليهم بابَه حتى ماتُوا فيه .

وقال رجلٌ حَضَرَ ذلك اليومَ : رأيتُ عبدَ العزيز وإن ثلاثين رجلاً ليضربونه بأسيافهم وما تُحيكُ فى جَسَدِهِ[٢] .

يقال ماأحاكَ فيه السيفُ ، وما يُحيكُ فيه ، وما حَاكَ ذا الأمرُ فى صَدْرِى ، وماحَكَى فى صدرى ، وما احْتَكى فى صدرى ، ويقال حاك الرجلُ فى مِشْيَتِهِ يَحيكُ : إذا تبخْتَرَ .

ونُودِىَ على السَّبْىِ يومئذ ، فَغُولِىَ بأم حفصٍ ، فبَلَغَ بها رجلٌ سبعين ألفاً ، وذلك الرجلُ من مَجُوسَ كانوا أسلموا ولَحِقُوا بالخوارج ، ففَرَضَ لكلِّ واحدٍ منهم خمسمائة ، فكاد يأخذُها ، فشَقَّ ذلك على قَطرىٍّ وقال : ماينبغى لرجُلٍ مسلمٍ أن يكونَ عندَه سبعون ألفاً ، إنَّ هذه فِتْنَةٌ[٣] ، فوَثَبَ إليها أبو الحَديدِ العَبْدِىُّ فقتلها ، فأُتِىَ به قَطَرِىٌّ فقال [له][٤] : ياأبا الحديد ! مَهْيَمْ ؟ فقال : ياأميرَ المؤمنين ! رأيتُ المؤمنين قد تَزَايَدُوا فى هذه المشركة ، فخشِيتُ عليهم الفتنةَ !! فقال قَطَرِىٌّ : قد أصبتَ وأحسنتَ ! فقال رجلٌ من الخوارج :

(١) فى س و د و هـ و ف « ابنة » وفى ج « بنت » .
(٢) فى ج و د و هـ و ف « فى جُنَّتِهِ » وفى س « فى جَنْبِهِ » .
(٣) فى ج و س و د و هـ و ف « لَفِتْنَةٌ » .
(٤) الزيادة من د و هـ و ف .

كفانا فتنةً عَظُمَتْ وجَلَّتْ ... بحمدِ الله سيفُ أبى الحَديدِ

أهابَ المسلمونَ بها وقالوا ... على فَرْطِ الهَوَى: هل مِن مَزِيدِ

فزادَ أبو الحديدِ بنَصْلِ سيفٍ ... رَقيقِ الحــدِّ فِعلَ فَتًى رَشيدِ

قوله «أهابَ» يريدُ: أعْلَنَ، يقال أهَبْتُ به: إذا دَعَوتَهُ، مِثْلُ صَوَّتَ، قال الشاعرُ:

أهاب بأحزانِ الفؤاد مُهِيبُ ... وماتَتْ نفوسٌ للهوَى وقُلوبُ

وقوله «مَهْيَمْ» حرفُ استفهامٍ[1]، معناه: ما الخبرُ وما الأمرُ، فهو دالٌّ على ذلك محذوفُ الخبرِ، وفى الحديث: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى بعبد الرحمن بن عَوْفٍ رَدْعَ خَلُوقٍ[2] فقال: مَهْيَمْ؟ فقال: تزوجتُ يارسولَ الله، فقال: أوْلِمْ ولو بشاةٍ، وكان تَزَوَّجَ على نَواةٍ» وأصحابُ الحديث يَرْوُونَه[3] «على نَوَاةٍ من ذَهبٍ قيمتُها خمسة دراهِمَ[4]». وهذا خطأٌ وغلطٌ، العربُ تقول «نَواةٌ» فتَعنِي بها خمسةَ دراهمَ، كما تقول

---

(١) قال المرصفى: «يريد كلة استفهام». وهى مبتدأ محذوف الخبر. وعن أبى عبيد: «هى كلة يمانية».

(٢) «الخلوق» بفتح الخاء: طيب معروف مركب، يتخذ من الزعفران وغيره من أنواع الطيب، وتغلب عليه الحمرة والصفرة، قاله فى النهاية. و «الردع» التلطيخ بالطيب، وقيل هو أثره.

(٣) فى ج و س و د و هـ و ف «يقولون».

(٤) الحديث رواه أحمد فى المسند من حديث أنس (رقم ١٢٧١٣، ١٣٠٠٨، ١٣١٥٥، ١٣٨٩٩، ج ٣ ص ١٦٥، ١٩٠، ٢٠٤ — ٢٠٥، ٢٧١) ورواه أيضا البخارى ومسلم وغيرهم. وانظر فتح البارى (ج ٩ ص ١٩٩ — ٢٠٥) وفى كل الروايات أو أكثرها «نواة من ذهب».

« النَّشُّ » لعشرين درهماً ، و « الأُوقِيَّةُ » لأربعين درهما ، فإنما هو اسمٌ لهذا المعنى(١) .

وكان العَلاءُ بن مُطَرِّفٍ السَّعْدِيُّ ابنَ عَمِّ عمْرِو القَنَا ، وكان يحبُّ أن يلقاه فى تلك الحروب مبارزةً ، فلَحِقَه عمرُو القَنَا وهو منهزم ، فضحك عمرٌو وقال متمثلاً :

تَمَنَّانِى لِيَلْقَانِى لَقِيطٌ أَعامِ لَكَ ابنَ صَعْصَعَةَ بنِ سَعْدِ

ثم صاح به : انجُ أبا المُصَدَّى ! وكان عمرُو القَنَا يُكْنَى أيضاً أبا المُصَدَّى .

وهذا البيتُ الذى تمثَّلَ به عمرٌو لِيزيدَ بن عَمرِو بن الصَّعِقِ الكِلابِىِّ ، بقوله يعنى لَقِيط بن زُرَارةَ ، وكان يَطلُبُه .

وقوله « أَعَامِ لَكَ » يريدُ : ياعَامِرُ ، فرَخَّمَ ، وإنما يريدُ الحَىَّ تعجباً ، أى لَكَمْ أَعْجَبُ من تَمَنِّيه للقائى ، فدَعَا بنى عامِرِ بن صعصعةَ ، وهم بنو صعصعةَ بن معاوية بن بكرِ بنِ هَوَازِنَ ، ويقال أنَّ عامِرَ بن صعصعة هو ابن سعدِ بن زيدِ مَنَاةَ بن تميمٍ ، لا ابنُ معاويةَ ، وأنهم نافلةٌ فى قَيْسٍ ، ولذلك تَمَنَّعَتْ(٢) بنو سعدٍ من محاربتهم مع بنى تميمٍ يوم جَبَلَةَ ، ولذلك أنذرهم كَرِبُ بن صَفْوانَ .

(١) قلد المبرد فى هذا أبا عبيد . ففى اللسان : قال أبو عبيد : قوله على نواة يعنى خمسة دراهم . قال : وقد كان بعض الناس يحمل معنى هذا أنه أراد قدر نواة من ذهب كانت قيمتها خمسة دراهم ، ولم يكن ثم ذهب ، إنما هى خمسة دراهم تسمى نواة ، كما تسمى الأربعون أوقية ، والعشرون نشا » . ورد عليه الأزهرىّ قال : « ولفظ حديث عبد الرحمن يدل على أنه تزوج امرأة على ذهب قيمته خمسة دراهم ، ألا تراه قال على نواة من ذهب ، رواه جماعة عن حميد عن أنس . قال : ولا أدرى لم أنكره أبو عبيد ؟! » .

(٢) فى ج و س و د و هـ و ف « امْتَنَعَتْ » .

وهذا البيتُ وضَعه سيبويه فى باب النداء الذى معناه معنى التعجُّبِ ، وشَبيهٌ به قولُ الصَّلَتانِ العَبْدِيِّ :

فياشاعِرًا لا شاعرَ اليومَ مِثْلُه ... جَرِيرٌ ولكن فى كُلَيْبٍ تَوَاضُعُ

على معنَى قوله : فللهِ دَرُّهُ شاعِرًا .

وكان العَلاءُ بن مُطَرِّفٍ قد حمَلَ معه امرأتين له ، إحداهما من بنى ضَبَّةَ يقال لها أمُّ جميلٍ ، والأخرى بنتُ عمه ، وهى فلانةُ بنتُ عَقِيلٍ ، فطلّق الضَّبيةَ وتخلَّصَ بهما [جميعاً][1] يومئذٍ ، وحَمَل الضَّبيةَ أوَّلاً ، ففى ذلك يقولُ :

أَلَسْتُ كَرِيمًا إذْ أقولُ لِفِتْيَتِى ... قِفُوا فاحملوها قبلَ بنتِ عَقِيلِ

ولولم يكن عُودِى نُضَارًا لأصْبَحَتْ ... تَخِرُّ على المَتْنَيْنِ أمُّ جميلِ[2]

❋

قال الصَّعْبُ بن يزيدَ : بعثنى المهلَّبُ لآتِيَهُ بالخبر ، فصِرْتُ[3] إلى قنطرةِ أَرْبُكَ[4] على فرسٍ اشتريتُه بثلاثةِ آلافِ درهمٍ ، فلم أُحْسِسْ خبرًا ، فَسِرْتُ مُهَجِّرًا إلى أن أَمْسَيْتُ ، فلمّا أظْلَمْنا سمعتُ كلامَ رجلٍ عَرَفْتُه من الجَهاضِمِ[5] ،

---

(١) الزيادة من ج و د و هـ .

(٢) فى ج و س و د و ف « تجرُّ » .

(٣) فى ج و س و د و هـ و ف « فضَرَبْتُ » .

(٤) « أربك » قرية بخوزستان .

(٥) بحاشية ا ما نصه : « قال الفرّاء : الجَهْضَمُ : الضَّخْمُ الهامَةِ المُسْتَدِيرُ الوجهِ . وقال الخليلُ : تقولُ العربُ تجهْضَمَ الفحلُ على أقرانِه : إذا علاها بكَلْكَلِه ، وبعيرٌ جَهْضَمُ الجنْبَيْنِ ، أى رَحْبٌ » .

فقلتُ : ماوراءكَ ؟ فقال : الشرُّ ، قلتُ : فأين عبدُ العزيز ؟ قال : أَمَامَكَ ، فلما كان مِن آخرِ الليلِ إذا أنا بزُهاء خمسين فارساً معهم لواء : فقلتُ ، [لِوَاءُ][(١)] مَن هذا ؟ فقالوا : هذا لواء عبدِ العزيزِ ، فتقدّمتُ إليه ، فسلَّمتُ وقلتُ : أصلحَ اللهُ الأميرَ ، لايَكْبُرَنَّ عليكَ ما كَانَ ، فإنك كنتَ فى شَرِّ جُنْدٍ وأَخْبَثِه ، قال لى : أَوَ كنتَ مَعَنَا ؟ قلتُ : لا ، ولكنْ كأنّى شاهدٌ أمْرَكَ ، قال : كأنّك كنتَ معنا ، قلتُ : أرسلنى المهلَّبُ لآتيَه بخبرِكَ ، ثم تركتُه وأقبلتُ إلى المهلَّب ، فقال لى : ماوراءكَ ؟ قلتُ : مايَسُرُّكَ ، قد هُزِمَ [عبدُ العزيز][(٢)] وفُلَّ جيشُه ! فقال : وَيْحَكَ ! وما يَسُرُّنِى من هزيمةِ رجلٍ من قريشٍ وفَلِّ جيشٍ من المسلمين ؟! قلتُ : قد كان ذاكَ ، ساءكَ أو سَرَّكَ ، فوجّه رجلاً إلى خالدٍ يُخْبِره ، قال الرجلُ : فلما أخبرتُ خالدًا قال : كذبتَ ولَؤُمْتَ ، ودَخَل رجلٌ من قريشٍ فكذَّبنى ، وقال لى خالدٌ : واللهِ لَهَمَمْتُ أن أضربَ عنقَكَ ، قلتُ : أصلحَ اللهُ الأميرَ ، إنْ كنتُ كاذبًا فاقتلنى ، وإن كنتُ صادقًا فأَعْطِنِى مُطْرَفَ هذا المُتَكَلِّفِ ! فقال خالدٌ : لَبِئْسَ مَاأَخْطَرْتَ به دَمَكَ !! فما بَرِحْتُ حتى دخل بعضُ الفَلِّ .

وقَدِمَ عبدُ العزيزِ سوقَ الأهوازِ ، فأكرمَه المهلّبُ وكساه ، وقَدِم معه على خالدٍ ، واستخلفَ ابنَه حبيباً ، وقال له : تَحَسَّسْ عن الأخبار ، فإنْ أحسستَ بخبرِ الأزارقة قريبًا منك فانصرِفْ إلى البصرة ، فلم يَزَلْ حبيبٌ مقيماً والأزارقةُ تدنُو منه ، حتى بَلَغُوا قنطرة أَرْبُكَ ، فانصرفَ إلى البصرة

---

(١) الزيادة من ج و س و د و هـ و ف .

(٢) الزيادة من س و ف .

على نهر تِيرَى ، فلما دخلها أُعْلِمَ خَالدٌ ، فغَضِبَ عليه ، واستتر حبيبٌ فى بنى هلالِ بن عامر بن صعصعة ، فتزوَّج هناكَ فى استتارهِ الهِلاليَةَ أُمَّ عبَّادِ بن حبيب .

وقال الشاعرُ لخالدٍ يُفَيِّلُ رأيَه ، أى يُخَطِّئُه :

بعَثْتَ غلامًا مِّن قريشٍ فَرُوقَةً ... وتَتْرُكُ ذَا الرأيِ الأَصيلِ المُهَلَّبَا

أَبَى الذمَّ واختارَ الوَفاءَ وأُحْكِمَتْ ... قُواهُ وقد ساسَ الأمورَ وجَرَّبَا

وقال الحٰرثُ بن خالدٍ المخزوميُّ :

فَرَّ عبدُ العزيزِ لمَّا رَأَى الأَبْـ ... طالَ بالسَّفْحِ نَازَلُوا قَطَرِيَّا

ويُرْوَى :

فَرَّ عبدُ العزيزِ إِذْ رَاءَ عِيسَى ... وابنَ دَاوُدَ نازَلَا قَطَرِيَّا[1]

عاهدَ اللهَ إِنْ نَجَا مِلْمَنَايَا ... لَيَعُودَنَّ بعدَها حُرْمِيَّا[2]

يَسْكُنُ الخَلَّ والصِّفَاحَ فَمَرَّا ... نَ وسَلْعًا وتارةً نَجْدِيَّا

حيثُ لا يَشْهَدُ القتالَ ولا يَسْـ ... مَعُ يومًا لِكَرِّ خَيْلٍ دَوِيَّا

قولُه « إِذْ رَاءَ عيسى » الأصلُ « رَأَى » ولكنه قلبَ فقدَّم الألِفَ وأخَّرَ الهمزةَ ، كما قال كُثَيِّرٌ :

وكلُّ خليلٍ رَاءَنِي فهو قائلٌ ... مِّنْ أَجْلِكِ هذا هامَةُ اليومِ أو غَدِ

---

(١) فى ج و س و د و هـ و ف « عَبْسًا » بدل « عيسى » .

(٢) فى ج و د « حَرَمِيًّا » .

والقلبُ كثير فى كلام العربِ ، وسنذكر منه شيئاً فى موضعه إن شاء اللهُ .

وقولُه « مِلْمَنَايَا » يريدُ مِنَ المنايا ، ولكنّه حَذَفَ النونَ لقُربِ مخرجها من اللّام ، فكانتا كالحرفين يلتقيان على لفظٍ فيُحذفُ أحدُهما ، ومن كلام العرب أن يَحذفوا النونَ إذا لَقِيَتْ لامَ المعرفةِ ظاهرةً ، فيقولون فى بنى الحارِثِ وبنى العَنْبَرِ وما أشبه ذلك « بَلْحارِثِ » و « بَلْعَنْبَرِ » و « بَلْهُجَيمِ » كما يقولون « عَلْمَاءِ بَنُو فلانٍ » فيحذفونَ إحدَى اللّامَيْنِ[1] .

وقولُه « لَيَعُودَنَّ بَعدَها حِرْمِيًّا » العربُ تَنْسُبُ إلى الحَرَمِ فيقولون[2] « حِرْمِيٌّ » و « حُرْمِيٌّ » على قولهم حُرْمَةُ البيتِ وحِرْمَةُ البيتِ ، وقال النابغة الذبيانيُّ :

من قولِ حُرْمِيَّةٍ قالتْ وقد رَحَلُوا ... هل فى مُخِفِّيكُمُ مَن يَشْتَرِى أَدَمَا

و « الخَلُّ » ههنا موضعٌ ، وأصلُه الطريقُ فى الرَّمْلِ .

⁂

وكَتَبَ خالدٌ إلى عبد الملك بعُذْرِ عبد العزيز ، وقال المهلّب : ما تُرَى عبدَ الملك صانعاً بِى ، قال : يَعزِلُكَ ، قال : أَتُرَاهُ قاطعاً رَحِمِى ؟ قال : نعم ، أَتَتْهُ هزيمةُ أُمَيَّةَ أخيكَ من البَحْرَيْنِ ، وتأتيه هَزيمةُ أخيك عبدِ العزيز من فارسَ .

---

(١) انظر أيضا مامضى فى هذا الجزء ص ١٠٤٨

(٢) فى ج و س و د و ه و ف « فتقول » .

قال أبو العباس : فكَتَب عبدُ الملك إلى خالدٍ :

أما بعدُ ، فإني كنتُ حَدَدْتُ لك حَدًّا في أمرِ المهلَّب ، فلما ملكتَ أمرَك نبذتَ طاعتي واستبددتَ برأيك ، فولَّيتَ المُهلَّبَ الجباية ، ووليتَ أخاك حَرْبَ الازارقة ، فقَبَحَ اللهُ[١] هذا رأيًا ، أتبعثُ غلامًا غِرًّا لم يُجَرِّبِ الحروبَ [للحرب][٢] ، وتتركُ سيدًا شجاعا مُدَبِّرًا حازمًا قد مارَسَ الحروبَ تَشغَلُهُ بالجِباية ؟! أمَا [واللهِ][٣] لو كافأْتُك على قدرِ ذنبك لأَتاكَ من نكيري مالا بَقِيَّةَ لك معه ، ولكنْ تذكَّرتُ رَحِمَك فَلَفَتَتْنِي عنك[٤] ، وقد جعلتُ عقوبتَك عَزْلَكَ .

ووَلَّى بِشْرَ بن مَرْوانَ وهو بالكوفة وكَتب إليه :

أما بعدُ ، فإنك أخو أميرِ المؤمنين ، يجمعك وإيَّاه مَرْوانُ بن الحكَم ، وإن خالدًا لا مُجْتَمَعَ له مع أمير المؤمنين دون امَيَّةَ ، فانظرِ المهلَّبَ [بنَ أبي صُفْرَةَ][٥] ، فوَلِّه حربَ الأزارقة ، فإنه سيِّد بَطَلٌ مُجَرَّبٌ ، فأَمْدِدْهُ[٦] من من أهل الكوفة بثمانية آلافِ رجلٍ .

---

(١) بحاشية ا مانصه : « قال ابن دُرَيْدٍ : قَبَّحَ اللهُ الرجلَ تَقْبيحًا ، وَقَبَحَهُ قَبْحًا ، مفتوحٌ ، في معنى الدعاء عليه ، ورجلٌ قَبيحٌ وَقُبَاحٌ » .

(٢) الزيادة من س و د و هـ و ف .

(٣) الزيادة من س و ف .

(٤) في ج و د و هـ و ف «فَكَفَّتْنِي عنكَ» . وبحاشية ا ما نصه : « المُهَلَّبيُّ : لَفَتُّ الشيءَ أَلْفِتُهُ لَفْتًا : إذَا لَوَيْتَه . ولَفَتُّ ردائي على عُنُقِي : إذا عَطَفْتَه » .

(٥) الزيادة من ج و س و د و هـ و ف .

(٦) بحاشية ا مانصه : « يقال أَمَدَّ الأميرُ الجيشَ بجيشٍ . والمَدَدُ ماأَمْدَدت به قومًا في الحربِ أو غيرِها من الطعامِ والأعوانِ » .

فَشَقَّ عليه ما أَمَره [به](١) فى المهلَّب . وقال : واللهِ لأقتُلَنَّه(٢) ، فقال له موسى بن نُصَيْرٍ : [أيُّهَا الأميرُ](٣) ! إنَّ للمهلَّبِ حِفاظاً وَبلاءً ووفاءً .

وخَرجَ بشرُ بن مروانَ يريد البصرةَ ، فكتب موسى وعِكْرِمةُ إلى المهلَّب أنْ يتلقَّاه لِقاءً لا يَعْرِفُه به ، فتلقَّاه المهلَّبُ على بغلٍ ، فسلَّم عليه فى غُمَارِ الناسِ ، فلما جَلَسَ بِشْرٌ مَجْلِسَهُ قال : ما فعل أميرُكم المهلّبُ ؟ قالوا : قد تلقَّاكَ أيُّها الأميرُ وهو شاكٍ(٤) .

فهَمَّ بِشْرٌ أن يُوَلِّى حَربَ الأزارقة عُمرَ بن عُبيد الله ، فقال له أسماء بن خارجةَ : إنما وَلّاكَ أميرُ المؤمنينَ لِترَى رأيَك ، فقال له عِكْرِمَةُ بن رِبْعِيّ : اكْتُبْ إلى أميرِ المؤمنين وأَعْلِمْهُ عِلّةَ المهلّبِ ، فكتب إليه يُعْلِمُهُ عِلّةَ المهلَّبِ وأنَّ بالبصرة من يُغْنِي غَنَاءَهُ ، ووَجَّهَ بالكتاب مع وَفْدٍ أَوْفَدَهُمْ إليه ، رئيسُهم عبدُ الله بن حَكيمٍ المُجَاشِعِيُّ ، فلمّا قرأ الكتابَ خَلاَ بعبد الله بن حَكيمٍ فقال : إنَّ لك دِينًا ورأيًا وحَزْمًا ، فَمَنْ لِقتالِ هؤلاء الأزارقةِ ؟

(١) الزيادة من ج و س و هـ و ف .

(٢) فى ج و س و د و هـ « لا قَبِلْتُه » .

(٣) الزيادة من ج و س و د و هـ و ف .

(٤) بحاشية ا مانصه : «قال أبو يعقوب: حدثنى ابنُ شاذانَ عن أبى عُمَرَ عن ثعلبٍ قال : الشَّكِيُّ الذى يَشْتَكِى وجَعًا أو غيرَه ، والشَّكِيُّ المَشْكُوُّ أيضًا ، شكَوْتُه فهو شَكِيٌّ ومَشْكُوٌّ . قال : وقال الخَليلُ : الشَّكْوَى الاشْتِكَاء ، تقولُ اشتَكَى يَشْتَكِى اشتِكاءً ، يُسْتَعْمَلُ ذلك فى المَوْجِدَةِ والمَرَضِ ، تقولُ هو شَاكٍ ومريضٌ قد اشتَكَى وتَشَكَّى » .

قال : المهلَّبُ ، قال : إنه عَلِيلٌ ، قال : ليستْ عِلّتُه بمانِعَتِه[١] . قال عبدُ الملك : أرادَ بِشْرٌ أن يفعلَ مافعلَ خالدٌ .

فكَتَبَ [إليه][٢] يَعْزِمُ عليه أن يُوَلِّيَ المهلّبَ ، فوجَّهَ إليه ، قال المهلَّبُ : أنا عَلِيلٌ ولا يُمكِنُنِي الاختلافُ ، فأمَرَ بشرٌ بحمل الدواوين إليه ، فجعل يَنْتَخِبُ ، فاعترض بشرٌ عليه ، فاقتَطَعَ أكثرَ نُخْبَتِه ، ثم عَزَمَ [عليه][٣] أن لا يُقيمَ بعدَ ثالثةٍ ، وقد أخَذَتِ الخوارجُ الأَهْوازَ وخَلّفوها وراءَ ظهورهم وصاروا بالفُراتِ ، فخرج إليهم المهلَّبُ حتى صار إلى شَهارْطاقَ ، فأتاه شيخٌ من بنى تميمٍ فقال : أصلحَ اللهُ الأميرَ ، إنَّ سِنِّي ما تَرَى ، فهَبْنِي لعيالِى ، قال : على أن تقولَ للأَميرِ إذا خَطَبَ فحَثَّكُمْ على الجهادِ كيفَ تحُثُّنا على الجهادِ وأنتَ تحبسُ أشرافَنا وأهلَ النَّجْدةِ منَّا ؟ ففعلَ الشيخُ ذلك ، فقال له بشرٌ : [و][٣] ما أنتَ وذاكَ ؟ قال : لاشيء ، وأعطَى المهلَّبُ رجلاً ألفَ درهمٍ على أن يأتِيَ بشرًا فيقولَ له : أيُّها الأميرُ أعِنِ المهلّبَ بالشُّرْطَةِ والمُقَاتِلةِ ، ففعلَ الرجلُ ذلك ، فقال له بشرٌ : ماأنتَ وذاكَ ؟ قال نَصيحةٌ [حَضَرَتْنِي][٣] للأَميرِ والمسلمينَ ولا أعُودُ إلى مثلها ، فأمَدَّهُ بالشُّرْطةِ والمُقَاتِلة .

وكتب بشرٌ إلى خليفتِه بالكوفة أن يَعْقِدَ لعبد الرحمن بن مِخْنَفٍ على ثمانيةِ آلافٍ ، من كُلِّ رُبْعٍ ألفين ، وَيُوَجِّهَ به مَدَدًا إلى المهلَّب ، فلما أتاه الكتابُ بعثَ إلى عبد الرحمن بن مِخْنَفٍ الأَزْدِيِّ فعَقَدَ له ، واختارَ له من

(١) فى ج و س و د و هـ و ف « بِمَانِعَةٍ » .
(٢) الزيادة من ج و هـ .
(٣) الزيادة من ج و س و د و هـ و ف .

كُلُّ رُبْعٍ ألفين ، فكان على رُبْعِ أهلِ المدينة بِشرُ بن جَرِيرٍ البَجَلِيُّ ، وعلى رُبْعِ تميمٍ وهَمْدانَ عبدُالرحمن بن سَعيد بن قيس الهَمْدانيّ ، وعلى رُبْعِ كِنْدةَ ورَبِيعةَ محمدُ بن إسحٰق بن الأشعَثِ الكِنْديُّ ، وعلى مَذْحِجٍ وأَسَدٍ زَحْرُ بن قيسٍ المَذْحِجِيُّ ، فقدِموا على بشرٍ ، فَخَلا بعبد الرحمن بن مِخْنَفٍ ، فقال له : قد عرفتَ رأيي فيك وثقتي بك ، فكُنْ عند ظَنِّي ، انْظُرْ هذا المزُونِيَّ فخالِفه في أمرِه ، وأفسِدْ عليه رأيَه ، فخرج عبدُ الرحمن بن مِخْنَفٍ وهو يقولُ : ما أعْجَبَ ماطَمِعَ منِّي فيه هذا الغلامُ ! يأمرُني أن أُصَغِّرَ شيخا من مشايخ أهلِي وسيدًا من ساداتهم !؟ فلَحِقَ بالمهلبِ .

⁂

فلمَّا أحَسَّ الازارقةُ بِدُنُوِّه منهم انكشفوا عن الفُراتِ ، فاتَّبعهم المهلَّبُ إلى سوق الأهوازِ ، فنفاهم عنها ، ثم تَبِعهم[1] إلى رَامَ هُرْمُزَ فهزَمَهم منها ، فدخلوا فارسَ ، وأبْلَى يزيدُ ابنُه في وقائعه هذه بلاءً حسنًا[2] ، تَقَدَّم فيه وهو ابنُ إحدى وعشرين سنةً ، فلما صارَ القومُ بفارسَ وَجَّهَ إليهم ابنَهُ المُغيرةَ ، فقال له عبدُ الرحمن بن صُبْحٍ : أيها الأمير ! [إنه][3] ليس برأيٍ [لك][4] قتلُ هذه الأكْلُبِ ، وَلَئِنْ - واللهِ - قتَلْتَهم لَتَقْعُدَنَّ في بيتِك ، ولكنْ طَاوِلْهُمْ وكُلْ بهم ، فقال : ليس هذا من الوَفاء .

---

(١) في ج و د و هـ و ف « اتَّبَعهم » .

(٢) في ج و س و د و هـ و ف « بلاءً شديدًا » .

(٣) الزيادة من ج و هـ

(٤) الزيادة من ف .

فلم يَلْبَثْ[١] بِرَامَ هُرْمُزَ إلّا شهرًا حتى أتاه[٢] موتُ بشرٍ ، فاضطرب الجندُ على ابنِ مِخْنَفٍ ، فوَجَّهَ إلى محمد بن إسحٰقَ بن الأَشْعَثِ وابنِ زَحْرٍ واستحلفهما أن لّا يَبْرَحَا ، لخلفا له ، ولم يَفِيَا ، فجعل الجندُ من أهل الكوفة يتسلّلون حتى اجتمعوا بسوق الأَهْوازِ ، وأراد أهلُ البصرة الانسلالَ من المهلّب ، فخطبهم فقال : إنكم لستم كأهل الكوفة ، إنما تَذُبُّونَ عن مصركم وأموالِكم وحُرَمِكُمْ ، فأقام منهم قومٌ وتَسَلَّلَ منهم ناسٌ كثيرٌ .

وكان خالدُ بن عبد الله خليفةَ بشرِ بن مروانَ ، فوَجَّهَ مَوْلًى له بكتاب منه إلى مَنْ بالأهواز ، يَحْلِفُ فيه بالله مجتهدًا ، لَئِنْ لم يَرْجِعُوا إلى مراكزهم وانصرفوا عُصاةً لا يَظْفَرُ بأحدٍ منهم إلّا قتله ، فجاء مولاه فجعل يقرأُ الكتابَ عليهم ولا يَرَى في وجوههم قَبُولَه ، فقال : إنّى لَأَرَى وُجوهًا ما القبولُ من شأنِها ! فقال له ابنُ زَحْرٍ : أيُّها العبدُ ! اقرأْ مافى الكتاب وانصَرِفْ إلى صاحبِك ، فإنك لا تدرى مافى أنفسنا ، وجعلوا يَسْتَعْجِلُونه فى قراءته[٣] ، ثم قَصَدُوا قَصْدًا الكوفة ، فنزلوا النُّخَيلةَ ، وكتبوا إلى خليفة بشرٍ يَسْئَلُونَه أن يأذنَ لهم فى الدخول ، فأَبَى ، فدخلوها بغيرِ إذنٍ .

فلم يَزَلِ المهلّبُ ومَن معه من قُوّادِهِ وابنُ مِخْنَفٍ فى عَدَدٍ قليلٍ ، فلم يَنْشَبُوا أنْ وَلِىَ الحجّاجُ العِراقَ ، فدَخَل الكوفةَ قَبْلَ البصرةِ ، وذلك

---

(١) بحاشية ا مانصه : « يقال لَبِثَ بالمكانِ يَلْبَثُ لَبْثًا ولُبْثًا فهو لابِثٌ ، وَأَلْبَثْتُهُ إلْبَاثًا ، وَلِى لَبْثَةٌ على هذا الأمر ، أى تَوَقُّفٌ » .

(٢) فى ج و س و د و ه و ف « أتاهم » .

(٣) فى ج و س و د و ه و ف « يَسْتَحِثُّونَهُ بقراءته » .

فى سنة خمسٍ وسبعين ، فخطبَهم وتهدّدَهُمْ ، وقد ذكرنا الخطبة مُتَقدِّمًا[1] ، ثم نَزَلَ فقال لوُجوهِ أهلها : ما كانتِ الوُلاةُ تفعلُ بالعُصاةِ ؟ فقالوا : كانت تَضْرِبُ وتَحْبِسُ ، فقال الحجّاجُ : ولكنْ ليس لهم عندى إلّا السيفُ ، إن المسلمين لو لم يَغْزُوا المشركين لغزاهُم المشركون ، ولو ساغتِ المعصيةُ لأهلها ماقُوتِلَ عدوٌّ ولا جُبِى فَىْءٌ ولا عَزَّ دِينٌ .

ثم جَلَسَ لتوجيه الناسِ ، فقال : قد أجَّلْتُكُمْ ثلاثًا ، وأُقسم بالله لا يَتَخَلَّفُ أحدٌ من أصحاب ابن مِخْنَفٍ بعدَها ولا مِن أهل الثُّغورِ إلّا قتَلْتُهُ ، ثم قال لصاحب حَرَسِهِ وصاحبِ شُرَطِهِ : إذا مَضَتْ ثلاثةُ أيامٍ فاتخِذَا سيوفَكما عِصِيًّا ، فجاءهُ عُمَيْرُ بن ضابِئٍ البُرْجُمِيُّ بابنه ، فقال : أصلح اللهُ الأميرَ ، إنّ هذا أنفعُ لكم مِنّى ، هو أشدُّ بنى تميمٍ أيْدًا ، وأجمعُهم سلاحًا ، وأربطُهم جَأْشًا ، وأنا شيخٌ كبيرٌ عليلٌ ، واستَشْهَدَ جُلَساءَهُ ، فقال [له][2] الحجاجُ : إنّ عُذْرَكَ لَوَاضِحٌ ، وإنّ ضَعْفَكَ لَبَيِّنٌ ، ولكنّى أكرهُ أن يَجْتَرِئَ بك الناسُ علىّ ، وبعدُ فأنتَ ابنُ ضابِئٍ صاحبُ عثمانَ ، ثم أمَرَ به فقُتِلَ ، فاحتملَ الناسُ ، وإنّ أحدَهُم لَيَتْبَعُ بزادِهِ وسلاحِه ، ففى ذلك يقول ابنُ الزَّبِيرِ الأَسَدِىُّ :

أقولُ لعبد الله يومَ لقيتُهُ ... أرَى الأَمرَ أمْسَى مُنْصِبًا مُتَشَعِّبَا

تَخَيَّرْ فإمَّا أنْ تَزورَ ابنَ ضابِئٍ ... عُمَيْرًا وَإمَّا أن تَزورَ المهلَّبَا

(١) مضت الخطبة فى الجزء الأول ص ٣٣٣ وما بعدها .

(٢) الزيادة من ع و س و د و هـ و ف

هما خُطَّتا خَسْفٍ نَجاؤكَ منهما ... رُكوبُكَ حَوْلِيًّا مِّنَ الثَّلْجِ أَشْهَبَا
فَمَا إن أرَى الحجاجَ يَغْمِدُ سيفَه ... يَدَ الدهرِ حتى يتركَ الطِّفْلَ أَشْيَبَا
فأضْحَى ولو كانتْ خُراسانُ دونَه ... رآها مَكانَ السُّوقِ أو هِيَ أَقْرَبَا

وهَرَبَ سَوَّارُ بن المُضَرَّبِ السَّعْدِيُّ من الحجاجِ وقال :

أَقَاتِلِيَ الحجاجُ إن لَّم أَزُرْ له ... دَرابَ وأَتْرُكْ عندَ هندٍ فؤاديا

وقد مرت هذه الأبيات[1] .

⁂

وخرج الناسُ عن الكوفة ، وأتى الحجاجُ البصرةَ ، فكان عليهم أشدَّ إلحاحًا ، وقد كان أتاهُم خبرُه بالكوفة ، فتحمَّلَ الناسُ قبلَ قدومه ، فأتاه رجلٌ من بني يَشْكُرَ ، وكان شيخًا كبيرًا أعورَ ، وكان يَجعلُ على عينه العوراء صوفةً ، فكان يُلقَّبُ ذا الكُرْسُفَةِ ، فقال : أصلحَ اللهُ الأميرَ إنَّ بي فَتْقًا ، وقد عَذَرَنِي بِشْرٌ ، وقد رَدَدتُ العطاء ، فقال : إنك عندي لَصَادِقٌ ، ثم أَمَرَ به فَضُرِبَتْ عُنُقُه[2] ، ففي ذلك يقول كَعْبٌ الأَشْقَرِيُّ أو الفَرَزدقُ :

لقد ضَرَبَ الحَجَّاجُ بالمصرِ ضربةً ... تَقَرْقَرَ منها بطنُ كلِّ عَرِيفِ

ويُروى عن ابن مَيْرَةَ قال : إنَّا لَنَتَغَدَّى معه يومًا إذ جاء[3] رجلٌ من

---

(١) في الجزء الثاني ص ٤٤٥

(٢) بحاشية ا ما نصه : « قال ابنُ السِّكِّيتِ : العُنُقُ مُؤنَّثٌ في قول أهل الحجازِ ، وتصغيرُها عُنَيْقَةٌ . وأَسَدٌ تُذَكِّرُهُ ، وإذا حقَّرُوهُ قالوا : هذا عُنَيْقٌ طويلٌ » .

(٣) في ج و د و هـ و ف « جاءه » .

[بَنِى][(١)] سُلَيْمٍ برجلٍ يقودُهُ ، فقال : أصلح اللهُ الأميرَ ، إنّ هذا عاصٍ ، فقال : له الرجلُ : أَنْشُدُكَ اللهَ أيُّها الأميرُ فى دَمِى ، فواللهِ ما قبَضْتُ دِيوانًا قَطُّ ، ولا شهدتُ عسكرًا ، وإنّى لَحَائِكٌ أُخِذْتُ من تحتِ الحَفِّ[(٢)] ، فقال : اضربوا عنقَه ، فلمّا أحسّ بالسيفِ سَجَدَ ، فلَحِقَه السيفُ وهو ساجدٌ ، فأمسكنا عن الطعامِ[(٣)] ، فأقبل علينا الحجاجُ فقال : مالِى أراكم صَفِرَتْ أيديكم واصْفَرَّتْ وجوهُكم وحَدَّ نظرُكم مِن قتلِ رجلٍ واحدٍ ؟! إنّ العاصِىَ يجمعُ خِلالًا : يُخِلُّ بِمَرْكَزِهِ[(٤)] ، ويَعْصِى أميرَه ، ويَغُرُّ المسلمينَ [من نفسِه][(٥)] وهو أجيرٌ لهم ، وإنما يأخذُ الأُجرةَ لِمَا يعملُ ، والوالِى مُخَيَّرٌ فيه ، إن شاء قَتَلَ وإن شاء عفَا .

ثم كتَب الحجاجُ إلى المهلّبِ : أمّا بعدُ ، فإنّ بِشْرًا رحمه الله استَكْرَهَ نَفْسَه عليك ، وأراكَ غَناءَهُ عنكَ[(٦)] ، وأنا أُرِيكَ حاجتِى إليك ، فأَرِنِى الجِدَّ فى قتالِ عدوِّك ، ومَنْ خِفْتَهُ على المعصيةِ مِمَّن قِبَلَكَ فاقتُلْه ، فإنّى قاتلٌ مَنْ

(١) الزيادة من ج و د و هـ و ف .

(٢) « الحفّ » بفتح الحاء وتشديد الفاء : المنسج .

(٣) فى ج و س و د و هـ و ف « عن الأكل » .

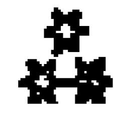
(٤) فى بعض طبعات مصر « بمركزكم » وهو خطأ ومخالف لكل الأصول .

(٥) الزيادة من د و هـ و ف .

(٦) بحاشية ا ما نصه : « يقال ما يُغْنِى عنك غَنَاءً ، أى ما يُجْزِئُ عنك ، والغناء مثلُ الجدَاءِ ، والغَنَاءُ الإجْزَاءُ ، وتقول رجلٌ مُغْنٍ ، أى مُجْزِئٌ ، والفعلُ غَنِىَ عنه فهو غَانٍ » .

قِبَلِي ومَنْ كان عندى مِن وَلِيٍّ مَنْ هَرَبَ عنك فأعلمنى مكانَه ، فإنى أرَى أن آخُذَ الوَلِيَّ بالوَلِيِّ ، وَالسَّمِيَّ بِالسَّمِيِّ .

فكَتَبَ إليه المهلَّبُ : ليس قِبَلِى إلاَّ مُطيعٌ ، وإنَّ الناسَ إذا خافوا العقوبَةَ كَبَّرُوا الذّنبَ ، وإذَا أَمِنُوا العقُوبَةَ صَغَّروا الذنبَ ، وإذا يَئِسُوا من العفو أكْفَرَهُم ذلك ، فهَبْ لِى هؤلاء الذين سَمَّيْتَهم عصاةً ، فإنما هم فرسانٌ أبطالٌ[1] ، أَرجو أن يَقتُلَ اللهُ بهم العدوَّ ونادِمٌ على ذَنْبِه .



فلما رأى المهلَّبُ كثرةَ الناس عليه قال : اليومَ قُوتِلَ هذا العدوُّ . ولَمَّا رأى ذلك قَطَرِيٌّ قال : انهضوا بِنَا نُرِيدُ السَّرَدَانَ[2] فنَتَحَصَّنُ فيها ، فقال عُبَيْدةُ بن هِلالٍ : أو نَأْتِيَ سَابُورَ ، وخرج المهلَّبُ فى آثارهم ، فأَتَى أَرَّجَانَ ، وخاف أن يكونوا قد تحصَّنُوا بالسَّرَدَانِ[2] ، وليست بمدينةٍ ، ولكنْ جِبالٌ مُحْدِقَةٌ مَنِيعَةٌ ، فلم يُصِبْ بها أحدًا ، فخرج نحوَهم فعَسْكَرَ بكازَرُونَ ، واستَعَدُّوا لقتالِه ، وخَنْدَقَ على نفسِه ، ثم وَجَّهَ إلى عبد الرحمن بن مِخْنَفٍ : خَنْدِقْ على نفسِك ، فوجَّهَ إليه : خنادِقُنا سُيوفُنا ، فوجَّه إليه المهلَّبُ : إنى لا آمَنُ عليك البَيَاتَ ، فقال ابنُه جعفرٌ : ذاك أَهوَنُ علينا من ضَرْطَةِ جَمَلٍ !

---

(١) فى س و د و هـ « فانهم فريقان : أبطال » الخ ولعله أجود .

(٢) كذا فى بعض الأصول بفتح الراء وزيادة ألف بعد الدال . وفى ج وس و د و هـ و ف « السَّرْدَنَ » و « بالسَّرْدَنِ » بسكون الراء وبدون ألف ، وهو الصواب ، كما ضبطه البكرى وياقوت . قال البكرى : « وهو موضع ببلاد فارس بازاء كازرون » .

فاقبلَ المهلَّبُ على ابنه المغيرةِ فقال : لم يُصيبوا الرأىَ ولم يأخذوا بالوَثيقةِ ، فلما أصبحَ القومُ غادَوْه الحربَ ، فبَعَثَ إلى ابن مِخْنَفٍ يستمدُّه ، فأمَدَّه بجماعةٍ ، وجعل عليهمُ ابنَه جعفرًا ، فجاؤا وعليهم أَقْبِيَةٌ بِيضٌ جُدَدٌ ، فقاتَلوا يومئذٍ حتى عُرِفَ مكانُهم ، وحاربهمُ المهلَّبُ ، وأبْلَى بنوه يومئذٍ كبَلاءِ الكوفيِّينِ أو أَشَدَّ ، ثم نَظَرَ إلى رئيسٍ منهم يقال له صالحُ بن مِخْراقٍ ، وهو يَنْتَخِبُ قومًا من جِلَّةِ العسكرِ ، حتى بلغوا أَرْبَعمِائةٍ ، فقال لابنه المُغيرةِ : ما يُعِدُّ هؤلاءِ إلّا لِلبيَاتِ ، وانكشف الخوارجُ والأَمرُ للمهلَّبِ عليهم ، وقد كَثُرَ فيهم القتلُ والجِراحُ .

⁂

وقد كانَ الحجاجُ فى كل يومٍ يتفقَّدُ العُصاةَ ويُوَجِّهُ الرجالَ ، فكان يَحْبِسهم نهارًا ، ويَفتَحُ الحَبْسَ ليلاً ، فَيَنْسَلُّ الناسُ إلى ناحيةِ المهلَّبِ ، وكأَنَّ الحجاجَ لايَعلم ، فإذا رأى إسراعَهُمْ تَمَثَّلَ :

إنَّ لهــا لَسَائِقًا عَشَنْزَرَا … إذا وَنَيْنَ وَنْيَةً تَغَشْمَرَا

«العَشَنْزَرُ» الصُّلْبُ[١] ، و«التَّغَشْمُرُ»[٢] رُكوبُ الرَّأسِ ، و«المُتَغَشْمِرُ» الجادُّ على ما خَيَّلَتْ .

وكَتَبَ إلى المهلَّبِ مِن قَبْلِ الوَقْعةِ : أما بعدُ ، فإنه بلغنى أنك أقبلتَ على جِبايةِ الخَراجِ ، وتركتَ قتالَ العدوِّ ، وإنِّى وَلَّيْتُكَ وأنا أَرَى مكانَ

---

(١) بحاشية ا مانصه : « المُهَلَّبِيُّ : العَشَنْزَرُ السَّرِيعُ » . وكلا التفسيرين صحيح .
(٢) فى ج و د و ﻫ و ف « الغَشْمَرَةُ » .

عبدِ الله بن حَكيمٍ المُجاشِعِيّ وعَبّادِ بن حُصَيْنٍ الحَبَطِيّ ، واخترتَك وأنتَ من أهلِ عُمانَ ، ثُم رجلٌ من الأَزْدِ ، فالْقَهُمْ يومَ كذا في مكانِ كذا ، وإلّا أشْرَعْتُ إليكَ صَدْرَ الرُّمح !!

فشاوَرَ بَنِيهِ فقالوا : إنه أميرٌ ، فلا تَغْلُظْ عليه في الجواب .

فكَتَبَ إليه المهلَّبُ : ورَدَ عليَّ كتابُك تزعم أنّي أقبلتُ على جباية الخراج وتركتُ قتالَ العدوّ ، ومَنْ عَجَزَ عن جباية الخراج فهو عن قتال العدوّ أعْجزُ ، وزعمتَ أنك وَلّيتَني وأنت تَرَى مكانَ عبد الله بن حكيمٍ المُجَاشِعِيّ وعَبّادِ بن حُصَيْن الحَبَطِيّ ، ولو وَلّيتَهما لكانا مُسْتَحِقَّيْنِ لذلك في فَضْلِهما وغَنائِهما وبطشهما ، واخترتني وأنا رجلٌ من الأَزْدِ ، ولَعَمْري إنّ شَرًّا من الأَزْدِ لَقَبِيلَةٌ تُنازِعُها ثلاثُ قبائلَ ، لم تَسْتَقِرّ في واحدةٍ منهنّ ، وزعمتَ أنّي إن لم ألقهم في يومِ كذا في مكانِ كذا أشرعتَ إليّ صدرَ الرمح ، فلو فعلتَ لَقَلَبْتُ إليك ظَهْرَ المِجنّ ، والسلامُ .

ثم كانت الوقعةُ . فلما انصرف الخوارجُ قال المهلَّب لابنه المُغيرةِ : إني أخافُ البيَاتَ على بني تميمٍ ، فانْهَضْ إليهم فَكُنْ فيهم ، فأتاهُم المغيرةُ ، فقال له الحَرِيشُ بنُ هلالٍ : ياأبا حاتمٍ ! أيَخافُ الأميرُ أن يُؤتَى من ناحيتنا ؟ قُلْ له فَلْيَبِتْ آمِنًا ، فإنّا كافُوهُ ما قِبَلَنا إن شاء الله . فلما انتصفَ الليلُ ، وقد رَجَعَ المغيرةُ إلى أبيه ، سَرَى صالِحُ بن مِخْراقٍ في القوم الذين أعَدَّهُم إلى ناحية بني تميمٍ ، ومعه عَبيدةُ بنِ هلالٍ ، وهو يقولُ :

إنى لَمُذْكٍ لِلشُّرَاةِ نارَهَا   ومانعٌ ممَّن أتاها دارَهَا

* وغاسلٌ بالطَّعْنِ عنها عارَهَا *

فوجدَ بنى تميمٍ أيقاظاً مُتَحَارِسِينَ ، فخرج إليهم الحَرِيشُ بن هلالٍ وهو يقولُ :

لقد وَجَدتُمْ وُقُرًا أَنْجادَا   لا كُشُفًا مِيلاً ولا أَوْغَادَا

هَيْهاتَ لا تُلْفُونَنَا رُقَّادَا   لا بَلْ إذا صِيحَ بنا آسَادَا[١]

ثم حَمَلَ على القوم فرجَعوا عنه ، فاتبعهم وصاح بهم : إلى أينَ يا كِلاَبَ النار ؟ فقالوا : إنما أُعِدَّتِ النارُ لك ولأصحابك ، فقال الحَرِيشُ : كلُّ مملوكٍ لى حُرٌّ إن لم تَدْخُلُوا النارَ إنْ دخلَها مجوسىٌّ فيما بين سَفَوَانَ[٢] وخُراسانَ .

قوله : « وَجَدتُّم وُقُرًا » جمعُ وقُورٍ . و « النَّجْدُ » ضدُّ البَليدِ ، وهو المتيقِّظُ الذى لا كَسَلَ عندَه ولا فُتورَ . و « الامْيلُ » فيه قولانِ : قالوا :

---

(١) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شَاذَانَ : يقال رجلٌ نَجْدٌ ونَجِيدٌ بَيِّنُ النَّجْدَةِ : إذا كان جَلْدًا . قال : وحدثنى أبو عُمَرَ الزاهدُ عن ثَعْلَبٍ قال : الوَغْدُ الضَّعيفُ من الرجالِ ، والجماعةُ أَوْغادٌ ، وقد وَغُدَ الرجلُ وَغادةً . قال ثعلبٌ : وحدثنى الأَثْرَمُ عن أبى عُبيدةَ قال : قال أَفَارُ بن لَقِيطٍ : كنتُ وَغْدًا يومَ الكُلَابِ ، أى ضعيفاً . قال أبو عُبيدةَ : قلتُ لأُمِّ الهيثم : ما الوَغْدُ ؟ » . وهكذا هو بالأصل ذكر السؤال ولم يذكر الجواب .

(٢) « سفوان » بفتح الفاء : ماء قريب من البصرة .

الذى لا يَسْتَقِرُّ على الدابة ، وقالوا : هو الذى لا سَيْفَ معه . و « الأَكْشَفُ » الذى لا تُرْسَ معه . و « الأَجَمُّ » الذى لا رُمْحَ معه . و « الحاسِرُ » الذى لا دِرْعَ عليه . و « الأَعْزَلُ » الذى لا يَتَقَوَّمُ على ظَهرِ الدابّةِ . و « الوَغْدُ » الضعيفُ .

ثم قال بعضُهم لبعضٍ : نأتِى عسكرَ ابنِ مِخْنَفٍ فإنه لا خَنْدَقَ عليهم ، وقد تَعِبَ فرسانُهم اليومَ مع المهلَّب ، وقد زَعموا أَنَّا أَهْوَنُ عليهم من ضَرْطةِ جَملٍ ، فأَتَوْهُم ، فلم يَشْعُرِ ابنُ مِخْنَفٍ وأصحابُه بهم إلاَّ وقد خالَطُوهم فى عسكرِهم ، وكان ابنُ مِخْنَفٍ شريفاً ، يقولُ رجلٌ من غامدٍ لرجلٍ يعاتبُه ويَضْرِبُ بابنِ مِخْنَفٍ المَثَلَ :

تَرُوحُ وتَغْدُو كلَّ يومٍ مُعَظَّمًا كأنك فينا مِخْنَفٌ وابنُ مِخْنَفِ

فَتَرَجَّلَ عبدُ الرحمن بنُ مِخْنَفٍ فجالدَهم فقُتِلَ ، وقُتِلَ معه سبعون من القُرَّاء ، فيهم نَفَرٌ من أصحاب علىِّ بن أبى طالبٍ صلوات الله عليه ، ونفرٌ من أصحابِ ابن مسعودٍ ، وبَلَغَ الخبرُ المهلَّبَ ، وجعفرُ بن عبد الرحمن بن مِخْنَفٍ عندَ المهلَّبِ ، فجاءَهم مُغِيثًا ، فقاتَلَهم حتى ارْتُثَّ(١) وصُرِعَ ، ووَجَّهَ المهلَّبُ إليهم ابنَه حبيبًا فكَشَفَهم ، ثم جاء المهلَّبُ حتى صَلَّى على ابنِ مِخْنَفٍ وأصحابه رحمهم الله ، وصارَ جُنْدُه فى جُنْدِ المهلَّبِ ، فضمَّهم إلى ابنه حبيبٍ ، فعَيَّرَهم البصريون ، فقال رجلٌ لجعفرِ بن عبد الرحمن :

---

(١) بحاشية ا ما نصه : « ابنُ شاذانَ : حدثنى أبو عُمَرَ عن ثعلبٍ عن ابن الأعرابىِّ قال : يقالُ أُرْتُثَّ الرجلُ ارْتِثاثًا : إذا حُمِلَ من المَعْرَكةِ وبه رَمَقٌ . قال ابنُ شاذانَ : قال النَّضْرُ بن شُمَيْلٍ : ارْتُثَّ صُرِعَ » .

تركتَ أصحابَنا تَدْمَى نُحورُهُمُ وجئتَ تَسْعَى إلينا خَضْفَةَ الجَمَلِ (١)

قوله « خَضْفَةَ الجَمَلِ » يريدُ ضَرْطَةَ (٢) الجملِ ، يقال خَضَفَ البعيرُ ،
وأنشدنى الرِّيَاشِيُّ لأعرابيٍّ يذمُّ رجلاً اتَّخذ وليمةً :

إنَّا وَجَدْنَا خَلَفاً بِئْسَ الخَلَفْ أَغْلَقَ عَنَّا بابَهُ ثم حَلَفْ
لا يُدْخِلُ البوابُ إلّا مَنْ عَرَفْ عَبْدٌ إذا ماناءَ بِالحِمْلِ خَضَفْ (٣)

يقال « نَاءَ بِحِمْلِهِ » إذا حَمَلَهُ فى ثِقَلٍ وتَكَلُّفٍ ، وفى القرآن :
﴿ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِى الْقُوَّةِ ﴾ (٤) والمعنى أنَّ العُصْبَةَ تَنُوءُ
بالمفاتيح ، وقد مَضَى تفسيرُ هذا [وتقولُ العربُ « حَبَجَ الرجلُ وحَبَقَ
وخَضَفَ ورَدَمَ » كلُّ ذلك إذا ضَرَطَ] (٥) .

فلامَهُم المهلَّبُ ، وقال : بِئْسَمَا قُلتم ، واللهِ مافَرُّوا ولا جَبُنوا ، ولكنهم
خالَفُوا أميرَهم ، أفلاتذكرون فِرارَكم يومَ دُولابَ ، وفرارَكم بدارِسَ عن عثمان ،
وفرارَكم عنى ؟!

*

ووَجَّهَ الحجاجُ البَراءَ بن قَبيصةَ إلى المهلَّبِ يَسْتَحِثُّهُ فى مُناجزةِ القوم ،

---

(١) فى د و ف « تَدْمَى كُلُومُهُمُ » .

(٢) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : حدثنى أبو عُمَرَ عن ثعلب قال : يقال خَضَفَ
الحمارُ وغيرُه يَخْضِفُ خَضْفاً وخُضَافاً : إذا ضَرَطَ ، ويقال للمرأة : ياخَضَافِ » .
قوله « ضرط » ضبط فى الأصل بفتح الراء ، وهو لغة فيه من باب « ضرب » والأكثر أنه
من باب « فرح » .

(٣) فى ج و س و د و هـ و ف « عبدا » .

(٤) سورة القصص آية ٧٦

(٥) الزيادة من ج و ش وحاشية ف .

وكتب إليه : إنك لَتُحِبُّ بقاءهم لتأكلَ بهم . فقال المهلَّبُ لأصحابه : حَرِّكوهم ، فخرج فرسانٌ من أصحابِه إليهم ، فخرج إليهم من الخوارج جَمْعٌ ، فاقتتلوا إلى الليل ، فقال لهم الخوارجُ : ويْلَكُمْ أَمَا تَمَلُّونَ ؟ فقالوا : لا ، حتى تَمَلُّوا ، قالوا : فمن أنتم ؟ قالوا : تَمِيمٌ ، قالت الخوارجُ : ونحن بنو تَمِيم ، فلما أمْسَوْا افترقوا ، فلما كان الغَدُ خرج عشرةٌ من أصحاب المهلَّبِ وخرج إليهم عشرة من الخوارج ، فاحتَفَر كلُّ واحدٍ منهم حَفِيرَةً وأثبتَ قدَمَه فيها ، فكلما قُتِلَ رجلٌ جاء رجلٌ من أصحابه فاجْتَرَّهُ ووقَفَ[1] مكانَه ، حتى أعْتَمُوا ، فقال لهم الخوارجُ : ارجِعُوا ، فقالوا : بل ارجِعوا أنتم ، فقالوا : ويلكم ! مَنْ أنتم ؟ فقالوا : تَمِيم ، قالوا : ونحن تَمِيم ، فرجَع البَرَاءُ بن قَبِيصةَ إلى الحجاج ، فقال له : مَهْ ؟ قال : رأيتُ قومًا لا يُعِينُ عليهم إلَّا اللهُ .

وكَتَب إليه المهلَّبُ : إنى منتظرٌ بهم إحدَى ثلاثٍ : موتٌ ذَرِيعٌ ، أو جوعٌ مُضِرٌّ ، أو اختلافٌ مِن أهوائهم .

وكان المهلَّبُ لا يَتَّكِلُ فى الحراسة على أحدٍ ، كان يتولَّى ذلك بنفسه ، ويستعين بولده وبمن يَحُلُّ مَحَلَّهُمْ فى الثقةِ عندَه .

وقال أبو حَرْملةَ العَبْديُّ يهجو المهلَّبَ :

عَدِمْتُكَ يا مُهَلَّبُ مِن أميرٍ ... أَمَا تَنْدَى يمينُك للفقيرِ
بِدُولابٍ أضعتَ دماءَ قومٍ ... وطِرْتَ على مُواشِكَةٍ دَرُورِ[2]

---

(١) فى ج و س و د و هـ و ف « وقام » .

(٢) فى ج و س و د و هـ و ف « دماء قومى » . وبحاشية ا ما نصه . « ابنُ =

فقال المهلَّبُ : ويحكَ ! واللهِ إنى لَأَقِيكُمْ بنفسى و وَلَدِى ، قال : جعلنى اللهُ فداءَ الأميرِ ، فَذَاكَ الذى نَـكْرَهُ منك ، ما كلُّنا يُحِبُّ الموتَ ، قال : ويحكَ ! وهل عنه مَحِيصٌ ؟ قال : لا ، ولـكنَّا نَـكْرَهُ التَّعجيلَ ، وأنت تَقْدِمُ عليه إقْدَامًا ، قال المهلَّبُ : أَمَا سمعتَ قولَ [هُبَيرَةَ][(١)] الـكَلْحَبةِ اليَرْبُوعِيِّ :

فقلتُ لِـكَأسٍ أَلْجِمِيها فإنمـا نَزَلْنا الـكَثِيبَ مِن زَرودَ لِنَفْزَعَا ؟

قال : بلى واللهِ قد سمعتُه ، ولـكنْ قولى أحَبُّ إلىَّ منه ، [وهو][(٢)] :

فلمَّا وقفْتُمْ غُدْوةً وعَدُوُّكُمْ إلى مُهْجتى وَلَّيْتُ أعداءَكم ظَهْرِى

وطِرْتُ ولم أَحْفِلْ مَقالَةَ عاجزٍ يُسافِى المَنايَا بالرُّدَيْنيَّةِ السُّمْرِ

فقال [له][(٣)] المهلَّبُ : بئس حَشْوُ الـكَتِيبَةِ واللهِ أنتَ ! فإن شئتَ أَذِنْتُ لكَ فانصرفتَ إلى أهلك ؟ فقال : بل أُقِيمُ معك أيُّها الأميرُ ، فوهبَ له المهلَّبُ وأعطاه ، فقال يمدحُه :

يَرَى حَتْماً عليـــه أبو سَعيدٍ جِلادَ القومِ فى أُولَى النَّفِيرِ

= شاذَانَ : يقال فرسٌ دَرُورٌ ودَرِيرٌ ، أى سريعٌ . قال امرؤُ القيس :

دَرِيرٌ كَخُذْرُوفِ الوَلِيدِ أَمَرَّهُ تَتَابُعُ كَفَّيْهِ بِخَيْطٍ مُوَصَّلِ » .

(١) الزيادة من ج و س و د و هـ و ف . وهو اسمه ، والـكلحبة لقبه ، وهو من بنى عرين بن يربوع . والبيت من أبيات له فى المفضليات للضبى (ج ١ ص ٤ — ٥ طبعة التقدم سنة ١٣٢٤ و ص ٢٠ من شرح الأنبارى) وذكرها المرصفى فى شرح الـكامل (ج ١ ص ١٨) .

(٢) الزيادة من ج و س و د و هـ و ف .

(٣) الزيادة من ج و س و هـ و ف .

إذا نادَى الشُّراةُ أبا سَعيدٍ مَشَى فى رَفْلٍ مُحْكَمَةِ القَتِيرِ

« الرَّفْلُ » الذَّيْلُ(١) .

⁂

وقال المهلَّبُ(٢) ما يَسُرُّنِى أنَّ فى عسكرِى ألفَ شجاعٍ بدلَ بَيْهَسِ بن صُهَيْبٍ ، فيقال له : أيها الأميرُ ! بيهسٌ ليس بشجاعٍ ، فيقول : أجَلْ ، ولكنه سَديدُ الرأيِ(٣) مُحْكَمُ العقلِ ، وذو الرأيِ حَذِرٌ سَؤُولٌ ، فأنا آمَنُ أن يُغْتَفَلَ ، فلو كانَ مكانَه ألفُ شجاعٍ قلتُ إنهم يَنْشامونَ(٤) حتى يُحْتاجَ إليهم(٥) .

ومَطَرَتِ السماء ليلةً مطرًا شديدًا وهم بسابورَ ، و بين المهلَّبِ و بين الشُّراةِ عَقَبةٌ ، فقال المهلَّبُ : من يكفينا هذه العقبةَ الليلةَ ؟ فلم يَقُمْ أحدٌ ، فلبس المهلبُ سِلاحَه وقام إلى العقبة واتَّبعه ابنُه المغيرةُ . فقال رجلٌ من أصحابه يقال له عبدُالله : دعانا الأميرُ إلى ضبط العقبة ، والحَظُّ فى ذلك لنا ، فلم نُطِعْهُ ، فلبس سلاحَه واتَّبعه جماعةٌ من أهل العسكرِ فصاروا إليه ، فإذا المهلب

---

(١) « الرفل » ضبط فى كل الأصول بفتح الراء ، وهو جرّ الذيل . وأما الذيل نفسه فهو الرفل بكسر الراء .

(٢) فى ج و س و د و هـ و ف « وكان المهلب يقول » .

(٣) بحاشية ا ما نصه : « يقال رأيٌ سَديدٌ وأمرٌ سَديدٌ وأَسَدُّ ، أى قاصدٌ ، وكذلك رجلٌ سَديدٌ ، من السَّدَادِ وهو قَصْدُ الطريقةِ » .

(٤) بحاشية ا ما نصه : « قال الشيخ أبو يعقوبَ : يَنْشَامُونَ أى يَنْغَابُونَ ، يَنْفَعِلونَ ، مِنْ شَامَهُ يَشِيمُهُ إذا غابَهُ » .

(٥) فى ج و س و د و هـ و ف « حين يحتاج إليهم » ولعلها أجود .

والمغيرةُ لاثالثَ لهما ، فقالوا : انصرفْ أيها الأميرُ فنحن نكفيك إن شاء الله ، فلما أصبحوا إذا بالشُّراةِ على العقبة ، فخرج إليهم غلام من أهل عُمانَ على فرسٍ ، فجعل يَحْمِلُ وفرسُهُ يَزْلَقُ ، وتلقّاه مُدْرِكُ بن المهلَّبِ فى جماعةٍ معه حتى رَدَّهم .

فلما كان يومُ النَّحْرِ والمهلبُ على المنبر يخطبُ الناسَ إذَا الشُّراة قد تألَّبُوا ، فقال المهلَّبُ : سبحانَ اللهِ ! أَفِى مثلِ هذا اليوم ؟ يامُغيرةُ اكْفِنِيهِمْ . فَخرج إليهم المغيرةُ بن المهلّبِ وأمامَه سَعْدُ بن نَجْدٍ القُرْدُوسِيُّ ، وكان سعدٌ شجاعًا متقدِّمًا فى شجاعتِه ، وكان المهلّبُ[1] إذا ظَنَّ برجلٍ أنّ نفسَه قد أعجبَتْه قال له : لو كنتَ سعدَ بن نَجْدٍ القُرْدُوسِيَّ ما عَدَا [وقُرْدُوسٌ من الأَزْدِ] فَخرجَ أَمامَ المغيرةِ ، وتبع المغيرةَ جماعةٌ من فرسانِ المهلّبِ ، فالْتَقَوْا ، وأمامَ الخوارجِ غلامٌ جامعُ السلاحِ ، مَدِيدُ القامةِ ، كريهُ الوجهِ ، شديدُ الحَمْلةِ ، صحيحُ الفُروسيَّةِ ، فأقبلَ يَحْمِلُ على الناس وهو يقولُ :

نحنُ صَبَحْناكُمْ غَداةَ النَّحْرِ   بالخيلِ أمثالِ الوَشِيجِ تَجْرِى[2]

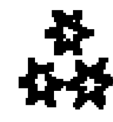
---

(١) فى ج و د و ه و ف « وكان الحجاج » .

(٢) بحاشية ا مانصه : « المهلّبىُّ : الوَشِيجُ القَنَا ، وسُمِّىَ وَشِيجًا لتداخُلِ بعضِهِ فى بعضٍ واشتباكِه . ويقال وشَجَتِ العُرُوقُ وشِيجًا إذا تداخل بعضُها فى بعضٍ »

وبحاشية بعض النسخ مانصه : « الوشيجُ الرماحُ ، شبَّه الخيلَ الضُّمَّرَ بها . وقال غيره : الوشيجُ أصلُ القَنَاةِ ، والخَطِّىُّ فروعها ، ويُنْسَبُ الخَطِّىُّ إلى قرية باليمن تُعْرَفُ بالخَطِّ ، تَنْبُتُ بها الرماحُ » .

فخرج إليه سعدُ بن نجدٍ القُرْدُوسيُّ من الأزدِ ، ثم تجا وَلَا ساعةً ، فطعنه سعدٌ فقتَلَه ، والْتَقى الناسُ ، فصُرِعَ يومئذٍ المغيرةُ ، فحامَى عليه سعدُ بن نجدٍ وذُبْيانُ السَّخْتِيانِيُّ⁽¹⁾ وجماعةٌ من الفُرْسانِ حتى رَكِب ، وانكشفَ الناسُ عند سَقْطةِ المُغيرةِ ، حتى صاروا إلى أبيه المهلَّب ، فقالوا : قُتِلَ المغيرةُ ، ثم أتاه ذُبْيانُ السَّخْتِيانِيُّ ، فأخبره بسلامتِه ، فأعْتَقَ كلَّ مملوكٍ كان بحضرتِه .



ووجَّهَ الحجاجُ الجَرَّاحَ بن عبد الله إلى المهلبِ يَسْتَبْطِئُه فى مُناجزة القومِ ، وكتبَ إليه : أما بعدُ ، فإنك جَبَيْتَ الخراج بالعِلَلِ ، وتحصَّنْتَ بالخَنادق ، وطاوَلْتَ القومَ ، وأنت أعزُّ ناصرًا ، وأكثرُ عددًا ، وما أظنُّ بك مع هذا معصيةً ولا جُبْنًا ، ولكنك اتخذْتَ أُكُلًا⁽²⁾ ، وكان بقاؤُهم أيسرَ عليك من قتالِهم ، فناجِزْهُمْ وإلّا أنكرتَنى ، والسلامُ .

فقال المهلّبُ للجرّاحِ : يا أبا عُقْبةَ ! والله ماتركتُ حِيلةً إلّا احتلْتُها ، ولا مكيدةً إلّا أعملْتُها ، وما العَجَبُ من إبطاء النصرِ وتَراخِى الظَّفَرِ ، ولكنَّ العجبَ أن يكونَ الرأيُ لمن يَملكُه دونَ من يُبْصِرُهُ !! ثم ناهضَهم

(١) فى ج و د و هـ « السَّخْتَيَانِى » .

(٢) بحاشية ا ما نصه : « ابنُ شاذانَ : قال أبو عُمَرَ : الأُكُلُ الرِّزْقُ ، يقال إنه لعظيمُ الأُكْلِ فى الدنيا ، أى عظيمُ الرِّزْقِ ، ومنه قيل للميِّتِ انْقَطَعَ أُكُلُه »

ثلاثةَ أيامٍ ، يُغَادِيهم القتالَ ، ولا يزالون كذلك إلى المصرِ ، وينصرفُ أصحابُه وبهم قَرْحٌ ، وبالخوارج قَرْحٌ وقَتْلٌ ، فقال له [الجَرَّاحُ][1] : قد أَعْذَرْتَ .

فكَتَبَ المهلّبُ إلى الحجاج : أتانى كتابُك تَسْتَبْطِئُنِى فى لقاء القوم ، على أنك لا تَظُنُّ بى معصيةً ولا جُبْنًا ، وقد عاتبتنى معاتبةَ الجبان ، وأوعدتنى وَعِيدَ العاصى ، فَاسْئَلِ[2] الجَرَّاحَ ، والسلامُ .

فقال الحجّاجُ للجرّاح : كيف رأيتَ أخاك ؟ قال واللهِ ما رأيتُ أيها الأميرُ مثلَه قَطُّ ولا ظننتُ أن أحدًا يَبْقَى على مثلِ ما هو عليه ، ولقد شهدتُ أصحابَه أيامًا ثلاثةً يَغْدُون إلى الحربِ ثم ينصرفون عنها وهُم بها يَتَطاعَنون بالرماحِ ويَتَجالدون بالسُّيوف ويتخابطون بالعَمَدِ ، ثم يَرُوحُونَ كأن لم يصنعوا شيئًا ، رَوَاحَ قومٍ تلك عادتُهم وتجارتُهم . فقال [له][3] الحجاج : لَشَدَّ ما مَدَحْتَهُ أبا عُقْبَةَ ! قال : الحقُّ أَوْلَى .

وكانت رُكُبُ الناسِ قديمًا من الخَشَبِ ، فكان الرجلُ يُضْرَبُ رِكابُهُ فينقطعُ ، فإذا أراد الضَّربَ أو الطَّعْن لم يكن له مُعْتَمَدٌ ، فأمر المهلّبُ فضُرِبَتِ الرُّكُبُ من الحديد ، وهو أولُ من أَمر بطبعها ، ففى ذلك يقول عِمْرانُ بن عِصامٍ العَنَزِيُّ :

ضَربوا الدراهمَ فى إمارَتِهمْ ... وضَربتَ للحَدَثانِ والحَرْبِ

(١) الزيادة من ج و س و د و هـ و ف .
(٢) رسمت فى ج « فَسْئَلِ » وفى د و ف « فَسَلِ » .
(٣) الزيادة من ج و ف .

حَلَقاً تُرَى منها مَرَافِقُهم كمَنَاكِبِ الجَمَّالةِ الجُرْبِ[1]

⁂

وكَتب الحجاجُ إلى عَتَّابِ بن وَرْقاءَ الرِّياحيِّ ، من بني رِيَاحِ بن يربوعِ بن حَنْظَلَة ، وهو وَالِي أَصْبَهَانَ[2] : يأمُرُه بالمسير إلى المهلَّب وأن يَضُمَّ إليه جُنْدَ عبدِ الرحمن بن مِخْنَفٍ ، فكلُّ بلدٍ تَدْخُلانِه من فتوح أهل البصرة فالمهلَّبُ أميرُ الجماعة فيه ، وأنتَ على أهل الكوفة ، فإذا دخلتم بلدًا فَتْحُهُ لأهل الكوفة فأنتَ أميرُ الجماعة [فيه][3] ، والمهلَّب على أهل البصرة .

فَقَدِمَ عَتَّابٌ في إحدى جُمادَيَيْنِ من سنة سِتٍّ وسبعين على المهلَّب ، وهو بسابورَ ، وهي من فُتوح أهل البصرة فكان المهلَّبُ أميرَ الناسِ ،

---

(١) « الجمالة » في كل نسخ الكتاب بفتح الجيم وتشديد الميم ، ويظهر أن الشيخ المرصفي لم يتجه له توجيهها ، فضبطها بكسر الجيم وتخفيف الميم ، وفسرها بالطائفة من الجمال ، وادعى أن البيت دخله الوقص وهو حذف الجزء الثاني المتحرك . ولكن في إحدى النسخ الثابتة في جزء التعليقات من طبعة أوروبة (ص ١٩٩) زيادة فيها بعض بياض في الأصل ونصها : « قال أبو العباس : يقال جَمَّالَة لأصحاب الجمال ، كما يقال بَغَّالَةٌ لأصحاب البغال ... أن يكون عَنَى أن هذه الرُّكَب الحديد تُؤَثِّرُ ... كتأثير الكَدِّ في مناكب الحمالين ، وقد ... يَصُكُّ الراجلَ بركابه الحديدِ فيُوهِنُ مرفقَه حتى يَصِيرَ كمنكبِ الجمل الأجرب ، كما قالَ :

إذا شئتَ لاقيتَني مُسْلِمًا تزَاحِمُ كالجمل الأجربِ

قال : والجملُ الأجربُ يُتَوَقَّى لجربه ، كما يُتَوَقَّى هذا في الحَرْبِ » . فقد ظهرت صحة الكلمة وتوجيهها والحمد لله .

(٢) بحاشية ا ما نصه : « قال أبو يعقوبَ : هي إِصْبَهَانُ بكسر الهمزة ، إِصْبَهْ هو العسكر بالفارسية ، وإصبهانُ العَسَاكِرُ » . أقول : وقد ثبت عنهم فتح الهمزة وكسرها ، كما ضبطت بذلك مرارا في أصول الكامل ، هنا وفيما مضى ، وكذلك نص عليه ياقوت وغيره .

(٣) الزيادة من د و ش و ف .

وعتابٌ على أصحاب ابنِ مِخْنَفٍ ، والخوارجُ فى أيديهم كَرْمانُ(١) ، وهم بإزاء المهلَّب بفارسَ يحاربونه من جميع النَّواحى .

فوجَّهَ الحجاجُ إلى المهلَّبِ رجلين يَسْتحِثَّانِهِ مُناجَزَةَ القوم ، أحدُهما يقال له زيادُ بن عبد الرحمن ، من بنى عامر بن صَعْصَعة ، والآخرُ من آل أبى عَقِيلٍ جدِّ الحجاجِ ، فضَمَّ زيادًا إلى ابنِهِ حَبيبٍ ، وضَمَّ الثَّقَفِىَّ إلى يزيدَ ابنِهِ ، وقال لهما : خُذَا يزيدَ وحبيبًا بالمناجَزةِ ، فغَادَوُا الخوارجَ فاقتَتَلُوا أشدَّ قتالٍ ، فقُتِلَ زيادُ بن عبد الرحمن ، وفُقِدَ الثَّقَفِىُّ ، ثم باكَروهم فى اليوم الثانى وقد وُجِدَ الثقفىُّ ، فدَعَا به المهلَّبُ ودَعَا بالغَدَاء ، فجعل النَّبْلُ يقع قريبًا منهم ، والثقفىُّ يَعْجَبُ من أمر المهلَّبِ ، فقال الصَّلَتَانُ العبدىُّ :

أَلا يا اصْبحانى قَبْلَ عَوْقِ العَوائِقِ ... وقبلَ اخْتراطِ القوم مثلَ العَقائِقِ
غداةَ حَبيبٌ فى الحـــديد يَقُودُنا ... نَخوضُ المَنايا فى ظِلال الخَوافقِ
حَرُونٌ إذا ما الحربُ طار شَرارُها ... وهاجَ عَجاجُ الحرب فوق البَوارقِ
فَمن مُبْلِغُ الحجاجِ أن أَمينَه ... زيادًا أَطاحتْـــهُ رِماحُ الأَزارقِ

قوله « وقَبْلَ اخْتراطِ القوم مثلَ العقائق » يعنى السُّيوفَ و « العقائِقُ » جمع عَقِيقةٍ ، يقال سيف كأنه عَقِيقَةُ بَرْقٍ ، أى كأنه لَمْعَةُ برقٍ ،

---

(١) هنا بحاشية ا مانصه : « قال الشيخ أبو يعقوبَ : هى كِرمانُ بكسر الكاف لاغيرُ ، ومعناها دِيدَانٌ جمعُ دُودٍ ، كِرْمْ دُودٌ وكِرْمان دِيدَانٌ » . أقول : وفتحها جائز أيضا كما ضبط مرارا فى الكتاب ، وانظر المعرب للجواليقى بتحقيقنا طبعة دار الكتب المصرية ص ٢٩٢

ويقال انعقّ البرقُ إذا تبَسَّمَ ، وللعقيقةِ مواضعُ ، يقال فلانٌ بعَقِيقَةِ الصَّبِيِّ ، أي بالشَّعَرِ الذي وُلِدَ به لم يَحْلِقْه ، ويقال عَقَقْتُ الشيءَ أي قطعتُه ، ومِنْ ذا فلان يَعُقُّ أَبَوَيْهِ ، وكذا عَقَقْتُ عن الصبي ، إذا ذبحتَ عنه ، وقال أعرابيٌّ :

أَلَم تَعلَمِي يادارَ بَلْجَاءَ أَنَّنِي ... إذا أَجْدَبَتْ أو كان خِصْبًا جَنابُها

أَحَبُّ بلادِ الله ما بين مُشْرِفٍ ... إليَّ وسَلْمَي أن يَصُوبَ سَحابُها[1]

بلادٌ بها عَقَّ الشبابُ تَمِيمتي ... وأولُ أرضٍ مَسَّ جِلْدِي تُرابُها

فلم يَزَلْ عَتَّابُ بن وَرْقاءَ مع المهلَّب ثمانيةَ أشهرٍ ، حتى ظَهَرَ شَبِيبٌ ، فكَتَب الحجاج إلى عتّاب يأمره بالمصير[2] إليه ليوجِّهه إلى شبيب ، وكَتَبَ إلى المهلّب [يأمره][3] بأَن يَرْزُقَ الجُنْدَ ، فرَزَق المهلَّبُ أهلَ البصرة ، وأَبَى أن يرزقَ أهلَ الكوفة ، فقال له عتَّابٌ : ما أنا ببارحٍ حتى ترزق أهلَ الكوفة ، فأَبَى ، فجَرَتْ بينهما غِلْظَةٌ ، فقال عتَّابٌ : قد كان يبلُغنى أنك شجاعٌ فرأيتُك جَبانًا ، وكان يبلُغنى أنك جوادٌ فرأيتك بخيلاً ، فقال له المهلَّبُ : يا ابن اللَّخْنَاء ! فقال له عتَّابٌ : لكنَّك مُعَمٌّ مُخْوَلٌ[4] !! فغضبتْ بَكْرُ بن وائلٍ للمهلَّبِ لِلحِلْفِ ، وَوثَبَ ابنُ نُعَيْمِ بن هُبَيْرَةَ بن أبي مَصْقَلَةَ

(١) « مشرف » رمل بالدهناء . وفى ج و س و د و هـ « مَشْرِقٍ » .

(٢) فى ج و س و ف « بالمسير » .

(٣) الزيادة من ج و س و د و هـ و ف .

(٤) بحاشية ا ما نصه : « ابنُ شَاذانَ : حدثنى أبو عُمَرَ عن ثعلبٍ عن ابن الأعرابيّ قال : يقال رجل مُعَمٌّ مُخْوَلٌ ومُعِمٌّ مُخْوِلٌ : إذا كان كريمَ الأعمام والأخوال » .

على عتّابٍ فشتَمه ، وقد كان المهلّب كارهاً للحِلْفِ ، فلما رأى نُصْرَةَ بكر بن وائل له سَرَّهُ الحِلْف واغتَبَطَ به ، ولم يزل يُؤَكِّدُه ، فغضبت تميمُ البصرةِ لعتَّاب ، وغضبت أَزْدُ الكوفةِ للمهلّبِ .

[قال أبو العباس : تحالفَ الأزْدُ وربيعةُ بعدَ الإسلام ، وادَّعَوْا أنَّ ذلك كان قديمًا في الجاهلية ، لقول النبي عليه السلام : « لا حِلْفَ في الإسلام ، وكلُّ حِلْفٍ في الجاهلية فان يَزِيدَه الإسلامُ إلّا شِدَّةً » . والحِلْفُ العَهْد والصحبةُ ، والحليفُ الصاحبُ . وإنما نَهَي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عنِ الحِلْفِ في الإسلام لِئَلاَّ يُعِينَ مسلمٌ على مسلمٍ ، فأمَّا مامَضَى فقد ثبتَ به حُرْمةٌ لايزيدُها الإسلامُ إلّا شِدَّةً][1] .

فلما رأى ذلك المغيرةُ بن المهلّب مَشَى بين أبيه وبين عتّابٍ ، فقال لعتَّابٍ : ياأبا ورْقاءَ ! إنّ الأمير يَصِيرُ لك إلى كُلِّ ما تُحِبُّ ، وسأل أباه أن يَرْزُقَ أهلَ الكوفة ، فأجابه ، فَصَلَحَ الأمْرُ ، فكانت تميمٌ قاطبةً وعتّابُ بن ورقاءَ يَحْمَدُونَ المُغيرةَ بنَ المهلّب ، وقال عتّابٌ : إني لأعرفُ فضلَه على أبيه ، وقال رجلٌ من الأزد من بني إيادَ بن سُودٍ :

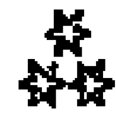
أَلا أَبْلِغْ بَنِي وَرْقَاءَ عنّا ... فلولا أنّنا كُنّا غِضَابَا[2]

على الشيخ المهلّبِ إذْ جفانا ... لَلَاقَتْ خيلُكم مِنّا ضِرابَا

---

(١) الزيادة من بعض النسخ الثابتة فى جزء التعليقات (ص ٢٠٠) .

(٢) فى ج و س و د و ﻫ و ق « ألا أبلغ أبا ورقاء » .



وكان المهلّبُ يقولُ لبنيه : لاتبْدَؤُهم بقتالٍ حتى يَبْدَؤُكم فيَبْغُوا عليكم ، فإنهم إذا بَغَوْا نُصِرتم عليهم .

فَشَخَصَ عَتّابُ بن وَرْقاءَ إلى الحجاج فى سنة سبعٍ وسبعين ، فوجّهه إلى شَبيبٍ ، فقتله شَبيبٌ ، وأقام المهلّبُ على حربهم ، فلما انقضَى من مُقامِهِ ثمانيةَ عشَرَ شهرًا اختلفوا .

وكان سببُ اختلافهم أنَّ رجلاً حدَّادًا من الأزارقة كان يَعْمَلُ نِصالًا مسمومةً ، فيُرْمَى بها أصحابُ المهلّبِ ، فرُفِعَ ذلك إلى المهلّبِ فقال : أنا أكْفِيكُمُوه إن شاء الله ، فوَجَّهَ رجلاً من أصحابه بكتابٍ وألف درهمٍ إلى عسكرِ قَطَرِيّ فقال : ألْقِ هذَا الكِتابَ فى عسكرِ قَطَرِيّ واحْذَرْ على نفسِك ، وكان الحدَّادُ يقال له أَبزَى ، فمضَى الرسولُ ، وكان فى الكتاب : أما بعدُ ، فإنَّ نِصالَكَ قد وَصَلَتْ إلىّ ، وقد وجّهتُ إليك بألفِ درهمٍ ، فاقبِضْها وزِدْنا من هذه النِّصالِ . فوَقعَ الكتابُ والدّراهمُ إلى قطريٍّ ، فدَعَا بأَبزَى ، فقال : ماهذا الكتابُ ؟ قال : لاأدرى ، قال : فهذه الدراهمُ ؟ قال : ما أعْلَمُ عِلْمها ، فأَمر به فَقُتِلَ ، فجاءه عبدُ رَبِّهِ الصغيرُ مَوْلَى بنى قيسِ بن ثَعْلَبَةَ فقال له : أقَتَلْتَ رجلاً على غير ثقةٍ ولا تَبيُّنٍ ؟! فقال له : ماحالُ هذه الدراهمِ ؟ قال : يجوز أن يكون أمرُها كَذِبًا ويجوزُ أن يكون حقًّا ، فقال له قطريٌّ : قتْلُ رجلٍ فى صلاح الناس غيرُ مُنْكَرٍ ، وللإمام أن يَحكم بما رآه صلاحًا ، وليس

للرعية أن تعترض عليه ، فتنكّر له عبدُ رَبِّهِ فى جماعةٍ [معه][1] ، ولم يفارقوه .

فبلغ ذلك المهلَّبَ فَدَسَّ إليه رجلاً نصرانيًا ، فقال له : إذا رأيتَ قَطَرِيًا فاسْجُد له ، فإذا نهاكَ فقل: إنما سجدتُ لك ، ففعلَ النصرانىُّ ، فقال له قطرىٌّ: إنما السجودُ لله ، فقال : ماسجدتُ إلّا لك ، فقال له رجلٌ من الخوارج : قد عَبَدَكَ من دُونِ الله ، وتَلاَ : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ[2] ، أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾[3] فقال قطرىٌّ : إنّ هؤلاء النصارى قد عَبدُوا عيسى ابنَ مريمَ فما ضَرَّ ذلك عيسى شيئًا ، فقام رجل من الخوارج إلى النصرانىّ فقتله ، فأنكر ذلك عليه وقال : أقتلتَ ذِمِّيًا ؟! فاختلفتِ الكلمةُ فبلَغَ ذلك المهلَّبَ ، فَوَجَّهَ إليهم رجلاً يسألهم عن شىء تَقَدَّمَ به إليه ، فأتاهم الرجلُ فقال : أرأيتم رجلين خرَجَا مُهَاجِرَين إليكم ، فماتَ أحدُهما فى الطريق وبلَغَكُمُ الآخرُ فامتحنتموه فلم يُجِزِ المحنةَ ، ماتقولون فيهما ؟ فقال بعضُهم : أمّا الميِّتُ فمؤمنٌ من أهل الجنة ، وأمّا الآخرُ الذى لم يُجِزِ المحنةَ فكافرٌ حتى يُجِيزَها ، وقال قومٌ آخرون : بل هما كافران حتى يُجِيزَا المحنةَ ، فكَثُر الاختلافُ .

---

(١) الزيادة من ج و ﻫ و ف .

(٢) بحاشية ا ما نصه : « قال ابنُ شاذانَ : قال أبو عُبيدةَ : كلُّ شىء أَلْقَيْتَهُ فى النار فهو حَصَبٌ لها . ويقال حَصَبْتُ النارَ أَحْصِبُهَا حَصْبًا إذا أَلْقَيْتَ فِيهَا حَطَبًا » .

(٣) سورة الأنبياء آية ٩٨

*

فخرج قطرىٌّ إلى حدود إصْطَخْرَ ، فأقام شهرًا والقومُ فى اختلافهم ، ثم أقبلَ ، فقال لهم صالح بن مِخْراقٍ : ياقوم ! إنكم قد أقررتم أعْيُنَ عدوِّكم وأطمعتموهم فيكم ، لِما ظهرَ من اختلافكم ، فعودوا إلى سلامة القلوب واجتماعِ الكلمة .

وخرج عَمْرُو القَنَا فنادَى : يا أيها المُحِلُّونَ ! هل لكم فى الطِّرَادِ فقد طال العهد به ؟ ثم قال :

ألم تَرَ أنَّا مُذْ ثلاثون ليلةً قَرِيبٌ وأعداءُ الكتابِ على خَفْضِ

فتهايَجَ القومُ وأسرعَ بعضُهم إلى بعض ، فأبْلَى يومئذ المغيرةُ بن المهلبِ ، وصار فى وسَطِ الأزارقة ، فجعلتِ الرِّماحُ تَحُطُّهُ وتَرْفَعُه ، واعْتَوَرَتْ رأسَه السُّيوفُ ، وعليه ساعدُ حديدٍ ، فوضع يَدَه على رأسِه ، فجَعَلت السيوفُ لا تَعملُ فيه شيئًا ، واستنقذه فُرْسانٌ من الأزدِ بعدَ أنْ صُرِعَ ، وكان الذى صَرَعَهُ عَبيدةُ بن هِلالٍ ، وهو يقولُ :

أنا ابنُ خَيْرِ قومِهِ هلالِ شيخٍ على دِينِ أبى بِلالِ

* وذاكَ دِينِى آخرَ اللَّيالِى *

فقال رجلٌ للمغيرة : كُنَّا نَعْجَبُ كيف تُصْرَعُ ، والآنَ نَعجبُ كيف تَنْجُو ! !

وقال المهلَّبُ لِبَنِيهِ : إنّ سَرْحَكم لَغَارٌّ ، ولستُ آمَنُهم عليه ، أفوَكَّلْتم به أحدًا ؟ قالوا : لا ، فلم يَسْتَتِمَّ الكلام حتى أتاه آتٍ فقال : إنّ صالح بنَ مِخْراقٍ

قد أغارَ على السَّرْحِ ، فشَقَّ ذلك على المهلَّبِ ، وقال : كلٌّ أمرٍ لاأَلِيهِ بنفسى فهو ضائعٌ ، وتَذَمَّرَ عليهم ، فقال له بِشْرُ بن المغيرة : أَرِحْ نفسَك ، فإن كنتَ إنما تريدُ مِثْلَك فوالله لايَعْدِلُ أحدُنا شِسْعَ نَعْلِكَ ، فقال : خُذُوا عليهم الطَّريقَ ، فثار بِشْرُ بن المغيرة ومُدْرِكٌ والمُفَضَّلُ ابنا المهلَّبِ ، فسَبَقَ بشرٌ إلى الطريق ، فإذا رجلٌ أسودُ من الأزارقة يَشُلُّ السَّرْحَ[1] ، أى يَطْرُدُهُ ، وهو يقولُ :

نحنُ قَمَعْناكُمْ بِشَلِّ السَّرْحِ وقد نَكَأْنَا القَرْحَ بعدَ القَرْحِ[2]

« الشَّلُّ » الطَّرْدُ . ويقال « نَكَأْتُ القَرْحَةَ » مهموزٌ ، و « نَكَيْتُ العَدُوَّ » غيرُ مهموزٍ مِنَ النِّكايَةِ ، و « نَكَأْتُ القرحةَ نَكْأً » قال ابن هَرْمةَ :

ولا أَرَاها تَزالُ ظالمةً تُحْدِثُ لى قَرْحَةً وتَنْكَؤُهَا

---

(١) بحاشية ا ما نصه : « المُهَلَّبِيُّ : السَّرْحُ المالُ الذى يُسَامُ فى المَرْعَى من الأَنعامِ ، يقال سَرَحَ القومُ إبِلَهُمْ سَرْحًا ، وسَرَحَتِ الإبلُ سَرْحًا ، والمَسْرَحُ مَرْعَى السَّرْحِ ، ولا يُسَمَّى من المالِ سَرْحًا إلّا مايُغْدَا بِهِ ويُرَاحُ ، والجمْعُ السُّرُوحُ ، والسَّارِحُ يكونُ اسمًا للرّاعى الذى يَسْرَحُ الإبلَ ، ويكونُ السَّارِحُ اسمًا للقومِ الذين لهم السَّرْحُ » .

(٢) بحاشية ا ما نصه : « قال ابنُ شاذانَ : قال الخليلُ : تقولُ قَمَعْتُ فلانًا فانْقَمَعَ ، أى ذَلَّلْتُهُ فَذَلَّ واخْتَبَأَ فَرَقًا . وقال مُؤَرِّجٌ : قَمَعْتُ الرجلَ أَقْمَعُهُ قَمْعًا إذا ضربتَ رأسَهُ » .

ولَحِقَهُ المفضلُ ومُدْرِكٌ ، فصاحَا برجل من طَيِّئٍ : اكْفِنَا الأَسْوَدَ ، فاعْتَوَرَهُ[١] الطَّائِيُّ وبِشْرُ بن المغيرة فقتلاه ، وأسرَا رجلاً من الأزارقة ، فقال له المهلَّبُ : مِمَّنِ الرجلُ ؟ قال : رجلٌ من هَمْدَانَ ، قال : إنك لَشَيْنُ هَمْدانَ ، وخَلَّى سبيلَه .

[قال][٢] : وكان عَيَّاشٌ الكِنْدِيُّ شُجاعًا بَئِيسًا[٣] . فأبْلَى يومئذٍ ، ثم مات على فراشه بعدَ ذلك . فقال المهلَّبُ : لا وَأَلَتْ نفسُ الجَبَانِ بعد عَيَّاشٍ[٤] .

وقال المهلَّبُ : ما رأيتُ كهؤلاء كلَّما يُنْقَصُ منهم يَزِيدُ فيهم .

***

وَوَجَّهَ الحجاجُ إلى المهلَّب رجلين ، أحدُهما من كَلْب ، والآخَرُ من سُلَيم ، يَسْتَحِثَّانه بالقتالِ ، فقال المهلَّبُ متمثِّلاً :

وَمُسْتَعْجِبٍ مِمَّا يَرَى من أَنَاتِنَا ... ولو زَبَنَتْهُ الحربُ لم يَتَرَمْرَمِ

الشِّعْرُ لأَوْسِ بن حَجَرٍ .

وقوله « زَبَنَتْهُ » يقول : دَفَعَتْهُ . و « لم يَتَرَمْرَمِ » أى لم يَتَحَرَّكْ ، يقال : قيلَ له كذا وكذا فما تَرَمْرَمَ .

---

(١) بحاشية ا ما نصه : « ابنُ شاذانَ : يقالُ تعاوَرَ القومُ فلانًا واعْتَوَرُوهُ ضربًا ، أى كُلَّمَا كَفَّ واحدٌ ضَرَبَهُ آخرُ . والتَّعَاوُرُ التَّدَاوُلُ » .

(٢) الزيادة من ف .

(٣) بحاشية ا ما نصه : « قال ابنُ شاذانَ : بَؤُسَ الرجلُ يَبْؤُسُ بَأْسًا فهو بَئِيسٌ ، إذا كان شديدَ البأس » .

(٤) أى لا نجتْ ، ومنه المآل والمَوْئِلُ ، أى المَلْجَأُ والمَنْجَا .

وقال لِيزيدَ: حَرِّكْهُمْ، فحرَّكهم فتهايجوا، وذلك فى قريةٍ من قرى إصْطَخْرَ، فحمَلَ رجلٌ من الخوارج على رجلٍ من أصحاب المهلَّبِ فطعَنه، فشكَّ فخِذَهُ بالسَّرْجِ، فقال المهلَّبُ للسُّلَمِيِّ والكَلْبِيِّ: كيف تُقاتل قومًا هذا طَعْنُهم؟

وحَمَلَ يزيدُ عليهم وقد جاءَ الرُّقَادُ، وهو من فرسانِ المهلَّبِ وهو أحدُ بنى مالكِ بن رَبيعةَ، على فرسٍ له أَدْهَمَ، وبه نَيِّفٌ وعشرون جِراحةً، وقد وَضَعَ عليها القُطْنَ، فلما حَمَلَ يَزِيدُ ولَّى الجمعُ وحَمَاهم فارسانِ، فقال يزيدُ لِقيْسٍ الخُشَنِيِّ مَوْلَى العَتيكِ: مَنْ لِهٰذَيْنِ؟ قال: أنا، فحَمَلَ عليهما، فعَطَفَ عليه أحدُهما، فطعنه قيسٌ الخُشَنِيُّ فصرَعَه، وحملَ عليه الآخرُ فعانَقَه، فسَقَطا جميعًا إلى الأرضِ، فصاحَ قَيْسٌ الخُشَنِيُّ، اقتُلُونا جميعًا، فحمَلَتْ خيلُ هؤلاء وخيلُ هؤلاء، فحجزوا بينهما، فإذا مُعَانِقُه امرأةٌ! فقام قيسٌ مُسْتَحْيِيًا، فقال له يزيدُ: أمَّا أنت فبارَزْتَها على أنها رجلٌ، فقال: أرأيتَ لو قُتِلْتُ أمَا كان يُقالُ قَتَلَتْهُ امرأةٌ؟!

وأَبْلَى يومئذٍ ابنُ المُنْجِبِ السَّدُوسِيُّ، فقال له غلامٌ له يقال لَه خِلاجٌ: واللهِ لَوَدِدْنَا أنَّا فَضَضْنَا عَسْكَرَهم حتى أصيرَ إلى مُسْتَقَرِّهِمْ فأَسْتَلِبَ مما هناك جاريتين، فقال لَه مولاه: وكيف تَمَنَّيْتَ اثنتين؟ قال: لأُعْطِيَكَ إحداهما وآخذَ الأُخرى! فقال ابنُ المُنْجِبِ:

أَخِلاَجُ إنَّك لن تُعانِقَ طَفْلَةً ... شَرِقًا بها الجَادِيُّ كالتِّمْثَالِ
حتى تُلاقِىَ فى الكَتيبةِ مُعْلِمًا ... عَمْرَو القَنَا وعَبيدةَ بنَ هلالِ

وتَرَى المُقْعَطَرَ فى الكَتيبة مُقْدِمًا   فى عُصْبةٍ قَسَطوا مع الضُّلَّالِ
أو أن يُعَلِّمَكَ المهلَّبُ غَزْوةً   وتَرَى جبالًا قد دَنَتْ لجبالِ

⁂

قوله « طَفْلَةٌ » يقول ناعمة ، وإذا كسرتَ الطاء فقلت « طِفلة » فهي الصغيرة . و « الجادِيُّ » الزعفرانُ . و « الكَتِيبَةُ » الجيشُ ، وإنما سُمِّيَ الجيشُ كتيبةً لانضمام أهلِه بعضِهم إلى بعض ، وبهذا سُمِّيَ الكتابُ ، ومنه قولهم كَتَبْتُ البغلةَ والناقةَ إذا خَرَزْتَ ذلك الموضعَ منها[1] وكَتَبْتُ القِرْبَةَ . و « المُعْلِمُ » الذى قد شَهَرَ نَفْسَه بعَلَامةٍ ، إمَّا بعمامةٍ صَبيغٍ ، وإمَّا بِمُشَهَّرةٍ ، وإمَّا بغير ذلك . وكان حمزةُ بن عبد المُطَّلِب رضوانُ الله عليه مُعْلِمًا يومَ بدر بريشةِ نَعامةٍ فى صدره ، وكان أبو دُجَانَةَ ، وهو سِمَاكُ بن خَرَشَةَ الأنصارىُّ ، يومَ أُحُدٍ لَمَّا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَنْ يَأْخُذُ سيفى هذا بحَقِّهِ ؟ قالوا : وما حَقُّهُ يارسول الله ؟ قال : أنْ يُضرَبَ به فى العدوِّ حتى يَنْحَنِيَ ، فقال أبو دُجَانَةَ : أنا ، فَدَفَعَه إليه ، فَلَبِسَ مُشَهَّرَةً فأَعْلَمَ بها ، وكان قومُه يَعْلَمُونَ لِما بَلَوْا منه أنه إذا لَبِسَ تلك المُشَهَّرَةَ لم يُبْقِ فى نفسِهِ غايةً ، ففعل ، وخَرَجَ يمشى بين الصَّفَّيْنِ ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إنها لَمِشْيةٌ يُبْغِضُها اللهُ عزّ وجلّ إلّا فى مثل هذا الموضع » . ويُرْوَى « أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم سَمِعَ عليًّا صلواتُ الله عليه يقولُ لفاطمةَ ورَمَى إليها

(١) أى يجمع بين شفريها بسير لئلا ينزو الفحل عليها . فهذا تفسير لقولهم « كتبت البغلة والناقة » . وأما قوله بعد « وكتبت القربة » فانه لم يذكر تفسيره لظهوره . وهذا هو الثابت فى جميع أصول الكتاب ، ولكن طبعات مصر قدمت قوله « وكتبت القربة » قبل قوله « إذا خرزت » الخ وهو مخالف لكل النسخ المخطوطة .

بسيفِه فقال : هاكِ حَمِيدًا فاغْسِلِي عنه الدَّمَ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لَئِنْ كنتَ صدقتَ القتالَ اليومَ لقد صَدَقَهُ معك سِمَاكُ بنُ خَرَشَةَ وسَهلُ بن حُنَيْفٍ[1] والحٰرِثُ بن الصِّمَّةِ» وفى بعض الحديث «وقَيْسُ بنُ الرَّبِيعِ » وكلُّ هؤلاء من الأنصارِ .

⁂

عاد الحديث إلى ذكر الخوارج

وعَمْرُو القَنَا من بنى سعدِ بن زيد مَنَاةَ بن تميمٍ ، وعَبِيدةُ بن هلالٍ من بنى يَشْكُرَ بن بكرِ بن وائلٍ ، والذى طَعَنَ صاحبَ المهلَّبِ فى فخذه فشكَّها مع السَّرْجِ من بنى تميمٍ ، قال : ولا أدرِى أعَمْرٌو هو أم غيرُه ، والمُقَعْطَرُ من عَبْدِ القَيْسِ .

وقوله « قَسَطُوا » أى جارُوا ، يقال قَسَطَ يَقْسِطُ فهو قاسِطٌ ، إذا جار ، قال اللهُ جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾[2] . ويقال أقْسَطَ يُقْسِطُ فهو مُقْسِطٌ ، إذا عَدَلَ ، قال اللهُ تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾[3] .

---

(١) هنا فى ﻫ زيادة نصها : «وهو الذى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يومَ بايَعَهُ : أُبَايِعُكَ يارسول الله على أن لَّا أَخِرَّ إلَّا قائمًا . قوله على أن لاأَخِرَّ إلَّا قائمًا يعنى أن لا أموتَ إلاَّ مُسْلِمًا ، ومنه قولُ الله عزَّ وجلَّ : فلما خَرَّ تَبَيَّنَتِ الجِنُّ »

(٢) سورة الجن آية ١٥

(٣) سورة المائدة آية ٤٢ وسورة الحجرات آية ٩ وسورة الممتحنة آية ٨

وكان بَدْرُ بن الهُذَيلِ شجاعًا ، وكَانَ لَحَّانَةً ، فكان إذا أَحَسَّ بالخوارج نادَىٰ : ياخَيْلِ[١] اللهِ ارْكَبِي ! وله يقولُ القائلُ :

وإذا طَلَبْتَ إلى المهلَّبِ حاجةً … عَرَضَتْ تَوَابِــعُ دُونَه وعَبِيدُ

العبدُ كُرْدُوسٌ وعَبْدٌ مِثْلُه … وعِلَاجُ بَابِ الأَحْمَرَيْنِ شَدِيدُ

« كُرْدُوسٌ » رَجُلٌ من الأَزْدِ ، وكان حاجِبَ المهلَّبِ . وقولُه « وعِلَاجُ بابِ الأَحمرين شديدُ » العربُ تُسَمِّي العَجَمَ الحمراءَ ، وقد مَرَّ تفسير ذا . وقوله « تَوَابِــعُ » أرادَ به الرجالَ ، فجاز في الشِّعْرِ ، وإنما رَدَّهُ إلى أصله للضرورة ، وما كان من النعوت على « فَاعِلٍ » فجمعه « فاعلون » لئلا يلتبسَ بجمع « فاعلةٍ » التي هي نعتٌ ، وقد قلنا في هذا ولِمَ قالوا « فَوارِسُ » و « هَالِكٌ في الهوَالِكِ » .

وكَانَ بِشْرُ بن المغيرة أَبلَى يومئذٍ بلاءً حسنًا عُرِفَ مكانُهُ فيه ، وكانت بينَه وبينَ بَنِي المهلَّبِ جَفْوةٌ ، فقال لهم : يابنِي عَمِّ[٢] ! إنِّي قد قصَّرتُ عن شَكَاةِ العَاتِبِ[٣] ، وجاوَزْتُ شَكَاةَ المُسْتَعْتِبِ ، حتى كأَنِّي لا مَوْصُولٌ ولا محْرُومٌ ، فاجعلوا لي فُرْجَةً أَعِشْ بها ، وهَبُونِي امْرَأً رَجَوْتُم نَصْرَهُ أو خِفْتم لسانَه . فرَجَعوا له ووَصَلُوه ، وكلَّموا فيه المهلَّبَ فوصلَه .

---

(١) بكسر اللام ، كما ضبط في الأصول ، وهذا هو الشاهد على لحنه ، فإن الصواب فتحها .

(٢) في ج و س و د و هـ و ف « يابني عمي » .

(٣) هنا بحاشية ا ما نصه : « المُهَلَّبِيُّ : الشَّكَاةُ والشِّكَايَةُ وَاحِدٌ ، قال أبو ذُؤَيْبٍ

* وتِلْكَ شَكَاةٌ ظَاهِرٌ عنك عارُها *

يقالُ شَكَوْتُه أَشْكُوهُ شَكْوًا وشِكَايَةً وشَكَاةً » .

ووَلَّى الحجاجُ كَرْدَمًا فارسَ ، فوجَّهه الحجاجُ إليها والحربُ قائمةٌ ، فقال رجلٌ من أصحاب المهلَّبِ .

ولو رَآها كَرْدَمٌ لَكَرْدَمَا كَرْدَمَةَ العَيْرِ أَحَسَّ الضَّيْغَمَا

« الضَّيْغَمُ » الأسدُ . و « الكَرْدَمَةُ » النُّفُورُ .

❋

فكَتَبَ المهلبُ إلى الحجاج يسألُه أن يتجافَى له عن إِصْطَخْرَ ودَرَابَجَرْدَ لأَرْزَاقِ الجُنْدِ ، ففعل ، و [قد][1] كان قَطَرِيٌّ هَدَمَ مدينةَ إصْطَخْرَ ، لأنَّ أهلَها كانوا يكاتبون المهلَّبَ بأخباره ، وأراد مثلَ ذلك بمدينة فَسَا ، فاشتراها منه آزَاذْ مَرْدُ بنُ الهِرْبِذِ بمائةِ ألفِ درهمٍ فلم يهدمها ، فواقعه المهلَّبُ فهزمه ، ونفاه إلى كِرمانَ واتَّبَعَه ابنُه المغيرة ، وقد كان دفع إليه سيفًا وَجَّهَ به الحجاجُ إلى المهلَّب ، وأقسم عليه أن يتقلّده ، فدفعه إلى المغيرة بعد ما تقلّد به ، فرجع به المغيرةُ إليه وقد دمَّاه ، فسُرَّ المهلَّبُ بذلك وقال : مايَسُرُّنى أن أكونَ كنتُ [قد][2] دفَعْتُه إلى غيرِك من وَلَدِى ، اكْفِنِى جِبايةَ خراجِ هاتين الكُورَتَيْنِ ، وضَمَّ إليه الرُّقَادَ ، فجَعلا يَجْبِيَانِ ولا يُعْطِيانِ الجُنْدَ شيئًا ، ففى ذلك يقول رجلٌ منهم ، وأَحْسِبُه من بنى تميمٍ ، فى كلمةٍ له :

ولو عَلِمَ ابنُ يوسفَ ما نُلاقِى من الآفاتِ والكُرَبِ الشِّدَادِ
لفاضتْ عينُهُ جَزَعًا علينا وأَصْلَحَ ما استطاعَ من الفسادِ
أَلَا قُلْ للأميرِ جُزِيتَ خيرًا أَرِحْنَا من مُغيرةَ والرُّقَادِ

---

(١) الزيادة من ج و س و د و هـ و ف .
(٢) الزيادة من س و ف .

فما رَزَقَا الجُنودَ بها قَفِيزًا وقد ساسَتْ مَطامِيرُ الحَصَادِ

يقال « سَاسَ الطعامُ وأَسَاسَ » إذا وقع فيه السُّوس ، و « دَادَ وأَدَادَ » من الدُّودِ ، ورَوَى أبو زيدٍ « دِيدَ فهو مَدودٌ » فى هذا المعنى .

فحاربهم المهلَّبُ بالسِّيرَجَانِ حتى نفاهم عنها إلى جِيرَفْتَ ، واتَّبعهم فنزل قريبًا منهم ، واختلفت كلمتهم .

وكان سببُ ذلك أن عَبيدةَ بن هلالٍ اليَشْكُرِىَّ اتُّهِمَ بامرأة رجلٍ حدَّادٍ[1] رأوه مرارًا يدخل منزلَه بغير إذنٍ ، فأَتَوْا قَطَرِيًّا فذكروا ذلك له ، فقال لهم : إن عَبيدةَ من الدِّينِ بحيثُ علمتم ، ومن الجهاد بحيثُ رأيتم ، فقالوا : إنَّا لا نُقَارُّه[2] على الفاحشة ، فقال : انصرِفوا ، ثم بَعَثَ إلى عَبيدةَ فأخبره وقال : إنا لا نُقارُّ على الفاحشة ، فقال : بَهَتونى يا أمير المؤمنين ! فما تَرَى ؟ قال : إنى جامِعٌ بينَك وبينَهم ، فلا تَخْضَعْ خُضوعَ المُذْنِبِ ، ولا تَتَطاوَلْ تَطاوُلَ البَرِىءِ ، فجَمَعَ بينهم فتكلَّموا ، فقام عَبيدةُ فقال : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ ، لَا تَحْسِبُوهُ[3]

(١) فى ج و س و د و هـ و ف « نجار » .

(٢) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : يقال فلان قارٌّ أى ساكنٌ ، وما يتقارُّ فى مكانه . وفى الحديث : قَارُّوا الصلاةَ ، ومعناه السكون » .

(٣) « تحسبوه » ضبطت فى أصول الكتاب بكسر السين ، وقراءة ابن عامر وعاصم وحمزة وأبى جعفر بفتحها ، وقرأ باقى الأربعة عشر بالكسر . وانظر إتحاف فضلاء البشر (ص ٣٢٣) . وفى اللسان « وحَسِبَ الشئَ كائناً يَحْسِبُه ويَحْسَبُه ، والكسر أجود اللغتين ، حِسْباناً ومَحْسَبَةً ومَحْسِبَةً : ظَنَّهُ ، ومحْسِبَةٌ مصدر نادرٌ » .

شَرًّا لَكُمْ ، بل هو خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ الآياتِ(١) فبَكَوْا وقاموا إليه فاعْتَنَقُوه ، وقالوا : اسْتَغْفِرْ لَنَا ، ففَعَلَ ، فقال لهم عبدُ رَبِّهِ الصغيرُ مولَى بنى قيس بن ثَعْلَبَةَ : واللهِ لقد خَدَعكم ! فبايَعَ عبدَ ربِّه منهم ناسٌ كثيرٌ لم يُظْهِروا ولم يَجِدُوا على عَبيدةَ فى إقامة الحدِّ ثَبَتًا .

⁂

وكان قَطَرِيٌّ قد استعملَ رجلًا من الدَّهاَقِينِ فظهرتْ له أموالٌ كثيرةٌ ، فأَتَوْا قَطَرِيًّا فقالوا : إنَّ عمر بن الخطاب لم يكن يُقارُّ عُمَّالَهُ على مثل هذا ، فقال قَطَرِيٌّ : إنى استعملتُه وله ضِيَاعٌ وتجاراتٌ ، فأَوْغَرَ ذلك صدورَهم ، وبَلَغَ ذلك المهلَّبَ ، فقال : إن اختلافَهم أشدُّ عليهم مِنِّى .

وقالوا لقطرىٍّ : أَلَا تَخْرُجُ بنا إلى عدوِّنا ؟ فقال: لا ، ثم خرج ، فقالوا : قد كَذَبَ وارْتَدَّ ! فاتَّبعوه يومًا فأَحَسَّ بالشَّرِّ ، فدخل دارًا مع جماعةٍ من أصحابه ، فصاحوا به : ياداَبَّةُ اخرُج إلينا !! فخرج إليهم ، فقال : رَجَعْتم بَعْدِى كفَّارًا ؟! فقالوا : أَوَ لَسْتَ دابةً ؟ قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا ﴾(٢) ولكنك قد كفرتَ بقولك أنَّا قد رَجَعْنا كفارًا ، فتُبْ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ ، فشاور عَبيدةَ ، فقال : إن تُبْتَ لم يَقْبَلوا منك ، ولكن قُلْ : إنما استفهمتُ فقلتُ أَرجعتم بعدى كفارًا ، فقال ذلك لهم ، فقبلوه منه ، فرجَع إلى منزله ، وعزَمَ أن يبايِعَ المُقَعْطَرَ العَبْدِيَّ ، فكرهه القومُ وأَبَوْهُ فقال له صالح بن مِخْراقٍ عنه وعن القوم : ابغِ لنا

(١) سورة النور الآيات ١١ فما بعدها .
(٢) سورة هود آية ٦

غيرَ المُقَعْطَرِ ، فقال [لهم](١) قطريٌّ : أرَى طولَ العهد قد غَيَّرَكُمْ ، وأنتم بصَدَدِ عَدُوِّكُمْ ، فاتقُوا اللهَ وأقبِلُوا على شأنِكم ، واستعِدُّوا للقاءِ القوم ، فقال له صالح بن مِخْرَاقٍ : إنّ النّاسَ قبلَنَا [قد](١) سَامُوا عثمانَ بنَ عفّانَ أن يَعْزِلَ عنهم سعيدَ بنَ العاصي ففَعَلَ ، ويجب على الإمام أن يُعْفِيَ الرعيةَ مما كَرِهَتْ ، فأَبَى قطريٌّ أن يعزلَه ، فقال له القومُ : إنّا خلعناكَ وولَّينا عَبْدَ رَبِّهِ الصغيرَ ، فانفصل إلى عبد ربه أكثرُ من الشّطر ، وجُلُّهُمْ الموالى والعَجَمُ ، وكان هناكَ منهم ثمانيةُ آلافٍ ، وهم القُرّاء ، ثم ندم صالِحُ بنُ مِخْرَاقٍ فقال لقطريٍّ : هذه نَفْحَةٌ من نفحات الشيطان ، فأَعْفِنَا من المُقَعْطَرِ وسِرْ بنا إلى عدوِّكَ ، فأَبَى قطريٌّ إلّا المُقَعْطَرَ ، فحَمَلَ فَتًى من العرب على صالِح بن مخراقٍ فطعنه فأنفذه وأجَرَّهُ الرمحَ فقَتَلَه .

ومعنى « أجَرَّهُ الرمحَ » طعنه وتركَ الرمحَ فيه ، قال عَنْتَرَةُ :

وآخَرَ منهم أجْرَرْتُ رمحى ... وفى البَجْلِيِّ مِعْبَلَةٌ وَقِيعُ(٢)

فنَشِبَتِ الحربُ بينهم ، فتهايجُوا ، ثم انحاز كلُّ قومٍ إلى صاحبهم ، فلما كان الغدُ اجتمعوا فاقتتلوا قتالًا شديدًا ، فأَجْلت الحربُ عن ألفِ قتيلٍ ، فلما كان الغدُ باكروهم القتالَ ، فلم ينتصف النهارُ حتى أخرجت العجمُ

---

(١) الزيادة من ج و س و د و هـ و ف .

(٢) بحاشية ا مانصه : « ابنُ شاذانَ : بَجْلَةُ بطنٌ من العرب ، وهم حلفاء لبنى سُلَيمٍ . عنده ‹‹ وفِى البَجْلِى ››، بإسكان الجيم . قال : وبَجِيلَةُ حىٌّ من اليَمَن ، وبنو بَجَالَةَ بَطْن من بنى ضَبَّةَ . قال الأخفشُ . . . . » . ثم ضاع باقى الكلام لتمزيق الورق فى هذا الموضع .

العربَ من المدينة ، وأقام عبدُ ربه بها ، وصار قَطَرِيٌّ خارجًا من مدينة جيرُفْتَ بإزائهم ، فقال له عَبيدَة : يا أميرَ المؤمنين ! إنْ أقمتَ لم آمَنْ هذه العبيدَ عليك إلّا أن تُخَنْدِقَ ، فَخَنْدَقَ على باب المدينة ، وجعل يُناوشهم .

وارتحلَ المهلَّبُ فكان منهم على ليلةٍ ، ورسولُ الحجاج معه يستحثُّه ، فقال له : أصلحَ اللهُ الأميرَ ، عاجِلْهُمْ قبلَ أن يصطلحوا ، فقال المهلَّبُ : إنهم لن يصطلحوا ، ولكن دَعْهُمْ ، فإنهم سيصيرون إلى حالٍ لا يفلحون معها ، ثم دَسَّ رجلًا من أصحابه فقال : إيتِ عَسْكَرَ قَطَرِيٍّ فقلْ : إني لم أزَلْ أرى قطريًّا يُصيبُ الرَّأيَ حتى نزلَ منزِلَه هذا ، فبانَ خَطَؤُه ، أتقيمُ بين المهلَّبِ وعَبْدِ رَبِّه ، يغاديه هذا القتالَ ويُراوِحُهُ هذا ؟! فَنَمى الكلامُ إلى قَطَرِيٍّ ، فقال : صَدَقَ ، تَنَحَّوْا بناعن هذا الموضع ، فإن اتّبعَنا المهلبُ قاتلناه ، وإنْ أقام على عبد ربه رأيتم فيه ماتحبون ، فقال له الصَّلْتُ بن مُرَّةَ : ياأمير المؤمنين ! إنْ كنتَ [إنما][1] تريدُ اللهَ فأَقْدِمْ على القوم ، وإن كنت [إنما][1] تريد الدنيا فأعْلِمْ أصحابَك حتى يَسْتأمِنوا ، وأنشأ الصَّلْت يقولُ :

قُل لِلْمُحِلِّينَ قد قَرَّتْ عُيونُكُمُ ... بفُرْقةِ القومِ والبَغْضاء والهَرَبِ

كنا أُناسًا على دِينٍ فَغَيَّرَنَا ... طولُ الجِدالِ وخَلْطُ الجِدِّ باللَّعِبِ[2]

ما كانَ أغْنَى رجالًا ضَلَّ سَعْيُهُمُ ... عن الجدالِ وأغناهُم عن الخُطَبِ

إنِّي لأَهْوَنُكُمْ في الأرضِ مُضْطَرَبًا

مالِي سِوَى فَرَسِي والرُّمْحِ مِن نَشَبِ

---

(١) الزيادة من ج و س و هـ و ف .

(٢) في ج و س و د « فَفَرَّقَنَا » بدل « فغيرنا » .

ثم قال : أصبحَ المهلَّبُ يرجو مِنَّا ما كنَّا نطمعُ فيه منه ، فارتحل قطريٌّ ، وبلغ ذلك المهلَّبَ ، فقال لِهُرَيْمِ بنِ عَدِيِّ بن أبى طَحْمَةَ المُجَاشِعِيِّ : إنى لا آمَنُ أن يكونَ قطريٌّ كادَنا بتركِ موضعه ، فاذهبْ فتَعَرَّفِ الخبر ، فمضى هُرَيْمٌ فى اثنى عشر فارسًا ، فلم يرَ فى العسكر إلّا عبدًا وعِلْجًا ، فسألهما عن قطريٍّ وأصحابه ؟ فقالا : مَضَوْا يرتادون غيرَ هذا المنزلِ ، فرجَع هُرَيْمٌ إلى المهلَّبِ فأخبره ، فارتحلَ المهلَّبُ حتى نزلَ خَنْدَقَ قطريٍّ ، فجعل يقاتلهم أحيانًا بالغداةِ ، وأحيانًا بالعشيِّ ، ففى ذلك يقولُ رجلٌ من سَدُوسَ ، يقالُ له المُعَنِّقُ ، وكان فارسًا :

ليتَ الحرائرَ بالعراقِ شَهِدْنَنا ... ورأيْنَنَا بالسَّفْحِ ذى الأجْبالِ
فنَكونَ أهلَ الجُزْءِ من فُرْسانِنا ... والضَّارِبِينَ جماجِمَ الأَبْطالِ

*

ووجه المهلَّبُ يزيدَ إلى الحجاج يُخْبِرُهُ أنه قد نَزَلَ منزلَ قطريٍّ ، وأنه مقيمٌ على عبدِ رَبِّهِ ، ويسألُه أن يُوَجِّهَ فى إِثْرِ قَطَرِيٍّ رجلًا جَلْدًا فى جيشٍ ، فسَرَّ ذلك الحجاجَ سرورًا أظهَرَهُ ، ثم كتب إلى المهلَّبِ يستحثُّه مع عُبَيْدِ بنِ مَوْهَبٍ ، وفى الكتابِ :

أمَّا بعدُ ، فإنكَ تَتَراخَى عن الحرب حتى تأتيَك رُسُلِى ، فتَرْجِعَ بعُذْرِكَ ، وذلك أنك تُمسِكُ حتى تَبْرَأَ الجِراحُ ، وتُنْسَى القتلَى ، ويَجِمَّ النَّاسُ ، ثم تَلقاهم فتَحْتَمِلُ منهم مثلَ ما يَحْتَمِلُونَ منك ، مِن وَحْشَةِ القتلِ ، وألَمِ

الجراحِ ، ولو كنتَ تلقاهم[١] بذلك الجِدِّ لكان الداءُ قد حُسِمَ ، والقَرْنُ قد قُصِمَ[٢] ، ولعَمْرِي ما أنتَ والقومُ سَواءٌ ؛ لأنَّ مِن ورائك رجالًا وأمامَك أموالًا ، وليس للقوم إلّا ما معهم ، ولا يُدْرَكُ الوَجيفُ بالدَّبِيبِ[٣] ، ولا الظَّفَرُ بالتَّعْذِيرِ .

فقال المهلّبُ لأصحابه : إنّ اللهَ عزّ وجلّ قد أراحكُمْ من أقرانٍ أربعةٍ : قطرىّ بنِ الفُجاءةِ ، وصالحِ بنِ مِخراقٍ ، وعَبيدةَ بنِ هِلالٍ ، وسعْدِ الطَّلائعِ ، وإنما بينَ أيديكم عبدُ ربِّهِ ، فى خُشارٍ من خُشارِ الشيطانِ[٤] ، تقتلونَهم إن شاء الله .

فكانوا يتغادَوْنَ القتالَ ويَتَراوَحُون ، فتصيبُهم الجراحُ ، ثم يتحاجزُون كأنما انصرفوا من مجلس كانوا يتحدّثون فيه ، فيضحكُ بعضُهم إلى بعضٍ ،

---

(١) فى ع و س و د و هـ و ف « تقاتلهم » .

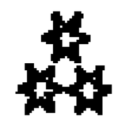
(٢) بحاشية ا ما نصه : « ابنُ شاذانَ : قَصَمْتُ الشئَ أقصِمُهُ قَصْمًا : إذا كَسَرْتَه . جَمَّ الشئُ يجِمُّ جَمامًا بفتح الجيم : إذا كَثُرَ ، وجَمَّ الفرَسُ جَمامًا : إذا تَرَكَ الضِّرابَ » .

(٣) بحاشية ا ما نصه : « ابنُ شاذانَ : الوَجيفُ : ضربٌ من سَيْرِ الإبلِ ، وَجَفَ البَعيرُ يَجِفُ وَجْفًا وَوَجيفًا ، وربما استُعْمِلَ فى الخَيلِ » .

(٤) بحاشية ا ما نصه : « ابنُ شاذانَ : قال الأُمَوىُّ : الخُشارُ : الرَّدِىءُ من كلّ شىء ، وقال أبو زيدٍ : الخُشارةُ : ما بَقِىَ على المائدةِ وغيرِها ممّا لا خيرَ فيه . يقالُ : خَشَرْتُ أخشِرُ خَشْرًا : إذا نَقَّيْتَ الردىءَ منه » .

فقال عُبَيْدُ بنُ مَوْهَب للمهلَّبِ : قد بانَ عُذْرُكَ ، وأنا مُخبِرٌ الأميرَ ، فكتب المهلّبُ إليه :

أمَّا بعدُ ، فإنى لم أُعطِ رسلَك على قول الحقّ أجرًا ، ولم أَحتجْ منهم مع المشاهدة إلى تَلْقِينٍ ، ذكرتَ أنّى أُجِمُّ القومَ ، ولا بدَّ من راحةٍ يستريحُ فيها الغالبُ ، ويحتالُ فيها المغلوب ، وذكرتَ أنّ فى ذلك الجِمامِ ما يُنْسى القَتْلَى ، وتبرأُ منه الجراحُ ، وهيهاتَ أن يُنْسَى ما بيننا وبينهم ، تأبَى ذلك قَتْلَى لم تُجَنَّ ، وقُروحٌ لم تَتَقَرَّفْ[١] ، ونحنُ والقومُ على حالةٍ ، وهُم يَرْقُبونَ منَّا حالاتٍ ، إن طَمِعُوا حارَبُوا ، وإن مَلُّوا وَقَفُوا ، وإن يَئِسُوا انصَرَفُوا ، وعلينا أن نُقاتِلَهم إذا قاتلوا ، ونتَحرَّزَ إذا وَقَفُوا ، ونَطْلُبَ إذا هَرَبُوا ، فإن تَرَكْتَنِى والرأىَ كان القَرْنُ مَقْصُومًا ، والداءُ بإذنِ اللهِ مَحْسُومًا ، وإن أعجلتَنى لم أُطِعْكَ ولم أَعْصِ ، وجعلتُ وَجْهِى إلى بَابِكَ ، وأنا أعوذ باللهِ من سخَطِ اللهِ ، ومَقْتِ الناسِ .



ولما اشتدَّ الحِصارُ على عبدِ رَبِّه قال لأصحابه : لا تفتقروا إلى مَن ذهب عنكم من الرجال ، فإن المسلمَ لا يفتقر مع الإسلام إلى غيره ، والمسلمُ إذا صَحَّ توحيدُه عَزَّ بربه ، وقد أراحَكمُ اللهُ من غِلْظَةِ قَطَرِىٍّ ، وعجلَةِ صالِحِ بنِ مِخْراقٍ

(١) بحاشية ا ما نصه : « المهلبىُّ : كلُّ شىء استتر عنك فقد جُنَّ عنك ، وبه سميَتِ الجنُّ ، وسمّىَ القبرُ جَنَنًا من هذا ، والطِّفْلُ ما دام فى بطن أمه جَنِينٌ ، ويقال : قَرَفْتُ القَرْحَةَ وغيرَها أقرِفها قَرْفًا : إذا نَكأْتَها حتى تَدْمَى » .

ونَخْوتِهِ ، واختلاطِ عَبيدةَ بنِ هِلالٍ ، ووَكَلَـكُمْ إلى بَصائِرِكم[١] ، فالقَوْا عَدُوَّكم بصبرٍ ونيةٍ ، وانتقلوا عن منزلِكم هذا ، مَنْ قُتِلَ منكم قُتِلَ شهيدًا ، ومَنْ سلِمَ من القتلِ فهو المحرومُ .

وقَدِمَ فى هذا الوقتِ على المهلَّبِ عُبَيْدُ بنُ أبى رَبيعةَ بنِ أبى الصَّلْتِ الثَّقَفِىُّ ، يَسْتَحِثُّه بالقتال ، ومعه أَمِينَانِ ، فقال له : خالفتَ وصيةَ الأمير ، وآثرتَ المدافعةَ والمطاولةَ ، فقال له المهلَّبُ : ما تركتُ جُهْدًا ، فلما كان العَشِىُّ خرج الأَزارِقةُ وقد حملوا حُرَمَهُمْ وأموالَهم وخِفَّ مَتَاعِهم لِيَنتقلوا ، فقال المهلَّبُ لأصحابه : الزموا مَصَافَّكُمْ ، وأَشْرِعُوا رماحَكم[٢] ، ودَعوهم والذَّهَابَ ، فقال له عُبَيْدٌ : هذا لعَمْرِى أَيسَرُ عليك ، فقال للناس : رُدُّوهم عن وجْهَتِهم[٣] ، وقال لِبَنِيهِ : تَفَرَّقُوا فى الناس ، وقال لعُبَيْدِ بن أبى ربيعة : كُنْ مع يزيدَ فَخُذْهُ بالمحاربة أشدَّ الأَخْذِ ، وقال لأحدِ الأمينَيْنِ : كن مع

---

(١) بحاشية ا ما نصه : « ابنُ شاذانَ : يقالُ : وَكَلْتُ فلانًا إلى كذا وكذا أَكِلُهُ وَكْلاً ووُكُولاً ، وتقول: كِلْنِى إلى كذا وكذا ، أى: دَعْنِى أَقُمْ به ، ومنه اشتقاقُ الوكيلِ . ويقالُ فلانٌ حَسَنُ البَصيرَةِ : إذا كان مُسْتَبْصِرًا فى دِينِهِ » .

(٢) بحاشية ا ما نصه : « المُهَلَّبِىُّ : يقالُ أَشْرَعَ القَوْمُ الرماحَ : إذا صَوَّبُوها للطَّعْنِ . قال : ابنُ شاذانَ : قال الخليلُ : يقالُ أَشْرَعْنَا الرماحَ نحوَهُم إِشْرَاعًا فهى مُشْرَعةٌ ، وشَرَعَتِ الرماحُ أنفُسُها فهُنَّ شَوَارِعُ ، ولغةٌ أخرى : شرعْنَاها فهى مَشْرُوعَةٌ . وحكى النَّضرُ بن شُمَيْل : أَشْرَعَتِ الرماحُ فهى مُشْرِعَةٌ » .

(٣) فى س و د و ه و ف « عن وجههم » .

المغيرةِ ولا تُرَخِّصْ له في التَّنور ، فاقتتلوا قتالًا شديدًا ، حتى عُقِرَتِ الدوابُّ ، وصُرِعَ الفُرسانُ ، وقُتِلَتِ الرجالُ . فجعلتِ الخوارجُ تقاتِلُ على القَدَحِ يؤخذ منها والسَّوطِ والعِلْقِ الخسيسِ أشدَّ قتالٍ ، وسَقَطَ رمحٌ لرجلٍ من مرادٍ من الخوارجِ ، فقاتَلوا عليه حتى كَثُرَ الجراحُ والقتلُ ، وذلك مع المَغْرِبِ ، والمُرَادِيُّ يقولُ :

اللَّيْلُ لَيْلٌ فيه وَيْلٌ وَيْلُ ... وسالَ بالقومِ الشُّرَاةِ السَّيْلُ

* إن جاز للأعداء فينا قَوْلُ *

فلما عظم الخَطْبُ فيه بعثَ المهلَّبُ إلى المغيرة : خَلِّ عن الرمح[1] عليهم لَعَنَهُمُ اللهُ[2] ، فَخَلَّوْا لهم عنه .

ثم مَضَتِ الخوارجُ حتى نزلوا على أربعةِ فراسخَ من جِيرُفْتَ ، ودخلها المهلَّبُ ، وأمر بجَمعِ ما كان لهم فيها من المَتَاعِ ، وما خَلَّفُوه من رقيقٍ[3] ، وخَتَمَ عليه هو والثَّقَفِيُّ والأمِينَانِ ، ثم اتَّبَعهم ، فإذاهُم قد نَزَلُوا على عينٍ لا يَشْرَبُ منها إلّا قَوِيٌّ ، يأتِي الرجلُ بالدَّلْوِ قد شَدَّها في طَرَفِ رمحه فيستقِي بها ، وهناك قريةٌ فيها أهلُها ، فغاداهُم القتالَ ، وضمَّ الثقفيَّ إلى يزيدَ ، وأحدَ الأمِينَيْنِ إلى المغيرةِ ، واقتتلَ القومُ إلى نصف النهار ، فقال المهلَّبُ لأبي عَلْقمةَ

---

(١) في ج و س و ف « خَلِّ لهم عن الرمح » .

(٢) كذا في بعض الأصول ، وفيه شيء من الإغراب ، أو الشذوذ . وفي ج و س و د و هـ و ف « عليهم لعنة الله » .

(٣) في ج و س و د و هـ و ف « من دقيق » . وهي أجود أو أصح ، لقوله بعد : « وختم عليه » .

العَبْدِيُّ ـ وكان شجاعًا عاتيًا : أَمْدِدْ بِخَيْلِ اليَحْمَدِ[١] ، وقُلْ لهم : فلْيُعِيرُونا جَمَاجِمَهُمْ ساعةً ، فقال له : إنّ جَمَاجِمَهُمْ ليست بفَخَّارٍ فتُمَارَ[٢] وليستْ أعناقُهم كَرَادِيَ[٣] فتَنْبُتَ [قال أبو الحسن الأَخْفَشُ : تقول العربُ لأَعْذَاقِ النَّخْلِ[٤] : كَرَادٍ[٥] ، وهو فارِسِيٌّ أُعْرِبَ][٦] وقال لَحبيبِ بن أَوْسٍ : كُرَّ على القومِ ، فلم يفعلْ ، وقال :

يقولُ لِيَ الأميرُ بغيرِ علمٍ ... تَقَدَّمْ حين جَدَّ به المِرَاسُ

فمالِي إنْ أطعتُكَ من حياةٍ ... ومالِي غيْرَ هذا الرأسِ راسُ

نَصَبَ « غيرَ » لأنه استثناءٌ مُقَدَّمٌ ، وقد مَضَى تفسيرُه[٧] .

وقال لمَعْنِ بن المغيرة بن أبي صُفْرةَ : احْمِلْ ، فقال : لا ، إلّا أن تُزَوِّجَني أُمَّ مالكٍ بنتَ[٨] المهلَّبِ ، فمَلَ ، فحَمَلَ على القوم فكَشَفَهم ، وطَعَنَ فيهم ، وقال :

---

(١) في د « أَمْدُدْ بخيل اليَحْمَدِ » . وبحاشية ا ما نصه : « في أُخْرَى : أُمْرُرْ بخيل اليَحْمَدِ » .

(٢) في ج و ف « فتعار ساعةً » .

(٣) في ج و س و د و هـ و ف « كَرَادِنَ » وبحاشية ا ما نصه : « قال ابنُ شاذانَ : الكَرْدُ العُنُقُ ، وهو فارسيٌّ مُعَرَّبٌ ، وكان أصلُهُ الكَرْدَنَ » .

(٤) في ج و س و د و هـ و ف «لأعناق النخل» .

(٥) فيها أيضا « كَرَادِنَ » .

(٦) انظر المعرب للجواليقي بتحقيقنا طبعة دار الكتب المصرية (ص ٢٧٩) وقد أشرنا إلى هذه القصة هناك .

(٧) في ص ٤٣١ ـ ٤٣٣ من الجزء الثاني .

(٨) في ا « بنت المغيرة » وعليها علامة التصحيح .

لَيتَ مَنْ يَشْتَرِى الغَدَاةَ بِمالٍ ... هُلْكَهُ اليومَ عندَنا فَيرَانَا

نَصِلُ الكَرَّ عندَ ذاكَ بِطَعْنٍ ... إنَّ لِلْمَوْتِ عندَنا أَلْوَانَا[1]

ثم جَالَ الناسُ جَوْلَةً عند حَمْلَةٍ حَمَلَهَا عليهم الخوارجُ ، فالتفتَ عند ذلك المهلَّبُ إلى المغيرة فقال : ما فَعَلَ الأَمينُ الذى كان معك ؟ قال : قُتِلَ ، وكان الثَّقَفِىُّ قد هَرَبَ ، وقال ليزيدَ : ما فعلَ عُبَيْدُ بن أبى ربيعةَ ؟ قال : لم أَرَهُ منذُ كانت الجولةُ . فقال الأَمينُ الآخرُ للمغيرةِ : أنت قتلتَ صاحبى ، فلما كان العَشِىُّ رجَعَ الثقفىُّ ، فقال رجلٌ من بنى عامرِ بن صَعْصَعَةَ :

ما زلتَ يا ثَقَفِىُّ تَخْطُبُ بيننَا ... وتَغُمُّنا بوصــيَّةِ الحَجَّاجِ

حتى إذا ما الموتُ أقبلَ زَاخِرًا ... وسَمَا لنا صِرْفًا بغير مِزَاجِ

وَلَّيْتَ يا ثَقَفِىُّ غيرَ مُناظِرٍ ... تَنْسَابُ بين أَحِــزَّةٍ وفِجَاجِ

لبستْ مقارعةُ الكماةِ لَدَى الوَغَى ... شُرْبَ المُدَامَــةِ فى إناءِ زُجاجِ

قوله « بَيْنَ أَحِزَّةٍ » هو جمع حَزِيزٍ ، وهو مَتْنٌ يَنْقَادُ من الأَرض ويَغْلُظُ ، و « الفِجَاجُ » : الطُّرُقُ ، واحدُها فَجٌّ .

وقال المهلَّبُ للأمين الآخَرِ : ينبغى أن تَتَوَجَّهَ مع ابنِى حَبيبٍ فى ألفِ رجلٍ حتى تُبَيِّتُوا عسكرَهم ، فقال : ما تُرِيدُ أَيُّها الاميرُ إلاَّ أن تَقْتُلَنى كما قَتَلتَ صاحِبى[2] ! قال : ذاكَ إليكَ ، وضحك المهلَّبُ ، ولم تَكُنْ للقوم

---

(١) فى ف زيادة نصها : « المعنى : لَيْتَ مَن يَشْتَرِى النكاحَ بمال ، أى: بمهر يرَانا بأى شىء نَشْتَرِيه » .

(٢) فى ج و س و د و هـ و ف « كما فَعَلْتَ بصاحِبى » .

خَنادِقُ ، فكان كلٌّ حَذِرًا من صاحبِه ، غير أن الطعامَ والعُدّةَ مع المهلّبِ ، وهم فى زهاء ثلاثين ألفًا ، فلما أصبح أشْرَفَ على وادٍ فإذا هو برجل معه رمحٌ مكسورٌ وقد خَضَبَه بالدِّماء ، وهو يُنْشِدُ :

جَزَانِى دَوَائِى ذُو الخِمارِ وصَنْعتِى ... إذا باتَ أَطْوَاءَ بَنِىَّ الاصاغِرُ

أُخادِعُهم عنــهُ لِيُغْبَقَ دُونَهم ... وَأَعْلَمُ غيرَ الظّنِّ أَنِّى مُغاوِرُ

كَأَنِّى وأبدانَ السِّلاحِ عَشِيَّةً ... يَمُرُّ بنا فى بطنِ فَيْحَانَ طائرُ

فدعاه المهلَّبُ فقال : أَتَمِيمِىٌّ أنت ؟ قال : نعم ، قال : أَحَنْظَلِىٌّ ؟ قال : نعم ، قال : أَيَرْبُوعِىٌّ ؟ قال : نعم ، قال : أَثَعْلَبِىٌّ ؟ قال : نعم ، قال : أَمِنْ آلِ نُوَيْرَةَ ؟ قال : نعم ، أنا مِنْ وَلَدِ مالك بن نُوَيْرَةَ ، وسبحانَ اللهِ أيُّها الأميرُ ! أيكونُ مِثْلِى فى عسكرك لا تعرفه ؟ ! قال : عَرَفْتُك بالشِّعْرِ ! !

قوله : « ذُو الخِمارِ » يعنى فرسًا ، وكان ذو الخمارِ فَرَسَ مالك بن نُويرةَ ، قال جريرٌ يهجو الفَرَزْدَقَ :

بِيَرْبوعٍ فَخَرْتُ وآلِ سَــعْدٍ ... فلا مَجْدِى بَلَغْتَ ولا افتخارى

بِيَربوعٍ فَوارسُ كلَّ يومٍ ... يُوارِى شَمْسَــهُ رَهَجُ الغُبارِ

عُتَيْبَةُ ، والأُحَيْمِرُ ، وابنُ عَمْرٍو ... وعَتَّابٌ ، وفارسُ ذى الخِمارِ[1]

---

(١) بحاشية ا مانصه : « المُهَلَّبِىُّ : الرَّهَجُ: الغُبَارُ ، بفتح الهاء وتسكينها . وَعُتَيْبَةُ بنُ الحارِثِ بن شِهابٍ اليَرْبُوعِىُّ ، والأُحَيْمِرُ بنُ أبى مُلَيْلٍ اليَرْبُوعِىُّ ، وابنُ قَيْسٍ (كذا فى الأصل) مَعْقِلُ بن قَيْسٍ اليَرْبُوعِىُّ . وعَتَّابٌ ابنُ هَرَمِىٍّ اليَرْبُوعِىُّ . وفارسُ ذى الخِمار مالكُ بن نُوَيْرَةَ اليَرْبُوعِىُّ » .

قوله : « أَطْوَاءٌ » يقال: رجلٌ طَوِىّ البَطنِ ، أى مُنْطوٍ ، يُخْبِرُ أنه كان يُؤْثِرُ فَرَسَه على وَلَده ، فيُشْبِعُهُ وهم جياعٌ ، وذلك قوله :

* أُخَادِعُهُمْ عنه لِيَغْبَقَ دُونَهُمْ *

و « الغَبُوقُ » : شُرْبُ آخرِ النهارِ ، وهذا شىءٌ تفتخِرُ[1] به العربُ ، قال الأَسْعَرُ الجُعْفِىُّ :

لَـكِنْ قَعِيدَةُ بيتِنا مَجْفُوَّةٌ   بَادٍ جَنَاجِنُ صَدْرِها ولَهَـا غِنَى[2]

تُقْفِى بِعِيشَــةِ أهلِها وَثَّابَةً   أوجُرْشُعًا نَهْدَالمَرَاكِلِ والشَّوَى[3]

☼

قال : فَمَكَثُوا أيامًا على غيرِ خَنادقَ ، يتحارسون ودوابُّهم مُسْرَجةٌ ، فلم يزالوا على ذلك حتى ضَعُفَ الفريقانِ ، فلما كانت الليلةُ التى قُتِلَ

---

(١) فى ج و س و د و هـ و ف « تَفْخَرُ » .

(٢) بحاشية ا ما نصه : « المهلّبىُّ : الجَنَاجِنُ: عِظَامُ الصَّدْرِ التى تَبْدُو من الإنسانِ إذا هُزِلَ ، واحدُها جِنْجِنٌ وجَنْجَنٌ » .

(٣) بحاشية ا ما نصه : « روايةُ ابنِ شاذانَ :

* تُقْفِى بِعِيشَةِ أَهْلِهَا وَثَّابةٌ *   أو جُرْشُعٌ

قال: والجُرْشُعُ: المُنْتَفِـخُ الجَنْبَيْنِ » . وبحاشيتها أيضا على الشطر الثانى ما نصه : « ويُرْوَى :

* عَبْـــلَ المَحَارِمِ *

والمَرَاكِلُ والمَعَدُّ: مَوْضِـعُ رِجْـــلِ الفارسِ من الفَرَسِ » وفى ف ما نصه : « الجَنَاجِنُ : أطرافُ ضُلوعِ الصَّدْرِ ، واحدُها جنجن . وَلَهَـا غِنًى ، أى : مُسْتَغْنِيَةٌ . هى جُرْشُعٌ مُمْتَلِئُ الجَنْبَيْنِ . والمَرْكَلُ والمَعَدُّ : مَوْضِـعُ رجلِ الفارس من الفَرَسِ » .

فى صَبِيحَتِها(١) عبدُ رَبِّهِ جَمَعَ أصحابَه وقال : يا معشرَ المهاجرين ! إنَّ قَطَرِيًّا وَعَبِيدَةَ هَرَبَا طَلَبَ البقاء ، ولا سبيلَ إليه ، فالْقَوْا عدوَّكم ، فإن غلبوكم على الحياةِ فلا يَغْلِبُنَّكم على الموتِ ، فَتَلَقَّوُا الرماحَ بنُحورِكم ، والسيوفَ بوجوهكم ، وهَبُوا أنفسَكم لله فى الدنيا يَهَبْهَا لكم فى الآخرة .

فلما أصبحوا غَادَوُا المهلَّبَ فقاتلوه قتالاً شديدًا ، نُسِىَ به ما كان قبلَه ، فقال رجل من الأَزْدِ من أصحاب المهلَّبِ : مَنْ يُبايعنى على الموتِ ؟ فبايعه أربعونَ رجلاً من الأَزدِ وغيرِهم ، فصُرِعَ بعضُهم ، وقُتِلَ بعضٌ ، وجُرِحَ بعضٌ . وقال عبدُ الله بن رِزَامٍ الحارثِىُّ لأصحابِ المهلَّبِ : احْمِلُوا ، فقال المهلَّبُ : أعرابىٌّ مجنونٌ ! وكان من أهل نَجْرانَ ، فَحَمَلَ وحدَه ، فاخترقَ القومَ حتى نَجَمَ من ناحيةٍ أخرى ، ثم رجع ، ثم كَرَّ ثانيةً ، ففَعَلَ فَعْلَتَهُ الأُولَى ، وتَهايجَ الناسُ ، فَتَرَجَّلَت الخوارجُ وَعَقَرُوا دوابَّهم ، فناداهم عَمْرُو القَنَا ، ولم يَتَرَجَّلْ هو وأصحابُه من العرب ، وكانوا زُهَاءَ أَرْبَعِمِائَةٍ : مُوتُوا على ظهور دوابِّكم ، ولا تَعْقِرُوها ، فقالوا : إنَّا إذا كُنَّا على الدوابِّ ذَكَرْنَا الفِرَارَ .

فاقتتلوا ، ونادى المهلَّبُ بأصحابه : الأَرضَ الأَرضَ ، وقال لبنيه : تَفَرَّقُوا فى النَّاسِ لِيَرَوْا وجوهَكم ، ونادى الخوارجُ : أَلاَ إنَّ العِيالَ لمن غَلَبَ ، فَصَبَرَ بَنُو المهلَّبِ ، وَصَبَرَ يزيدُ بين يَدَىْ أبيه ، وقاتل قتالاً شديدًا أَبلَى فيه ، فقال له أبوه : يا بُنَىَّ إنى أَرَى مَوْطِنًا لا يَنْجُو فيه إلاَّ مَنْ صَبَرَ ، وَمَا مَرَّ بِى يومٌ مثلُ هذا مُنْذُ مارَسْتُ الحروبَ .

---

(١) فى ج و س و د و هـ و ف « صُبْحَتِها » .

وكَسَرَتِ الخوارجُ أجفانَ سيوفِها ، وتَجاولوا ، فأَجْلَتْ جَوْلَتُهم عن عبد رَبِّه مقتولاً ، فهَرَبَ عَمْرُو القَنَا وأصحابُه ، واستأمنَ قومٌ ، وأجْلَتِ الحربُ عن أربعةِ آلاف قتيلٍ ، وَجَرْحَى كثيرٍ من الخوارج ، فأَمَرَ المهلَّبُ بأن يُدْفَعَ كلُّ جريحٍ إلى عشيرته ، وظَفِرَ بعسكرهم فحَوَى ما فيه ، ثم انصرفَ إلى جِيرُفْتَ ، فقال : الحمد لله الذى رَدَّنا إلى الخَفْضِ والدَّعَةِ ، فما كان عيشُنا بعيشٍ ، ثم نَظَرَ إلى قومٍ فى عسكره لم يعرفْهُم ، فقال : ما أشدَّ عادةَ السِّلاحِ ! ناوِلُونى دِرْعِى ، فلبسها ، ثم قال : خُذُوا هؤلاء ، فلما صيرَ بهم إليه قال : ما أنتم ؟ قالوا : نحن قومٌ جئنا لِنَطْلُبَ غِرَّتَكَ لِنَفْتُكَ بك ، فأمر بهم فقُتِلوا .

*

[قال أبو العباس][1] : ووَجَّهَ المهلَّبُ كَعْبَ بن مَعْدَانَ الاشْقَرِىَّ ، ومُرَّةَ بن تَلِيدٍ الأَزْدِىَّ من أَزْدِ شَنوءةَ ، فوَفَدَا على الحجاج ، فلما طَلَعَا عليه تقدَّم كَعْبٌ فأنشده :

يا حَفْصَ إنِّى عَدَانِى عنكمُ السَّفرُ [وقد سَهِرْتَ فَأَرْدَى نَوْمِىَ السَّهَرُ][2]

فقال له الحجاجُ : أشاعرٌ أم خطيبٌ ؟ قال : كلاهما ، ثم أنشده القصيدة[3] ، ثم أقبل عليه فقال له : أخبرنى عن بَنِى المهلبِ ؟ قال : المغيرةُ فارسُهم وسَيِّدُهم ، وكَفَى بيزيدَ فارساً شجاعًا ، وجوادُهم وسَخِيُّهم قَبيصةُ ، ولا يَسْتَحْيِى الشجاعُ أن يَفِرَّ مِنْ مُدْرِكٍ ، وعبدُ الملكِ سَمٌّ نَاقِعٌ ، وحبيبٌ

(١) الزيادة من ف .
(٢) الزيادة من س و ف .
(٣) وهى قصيدة طويلة جيدة ٨٣ بيتا ، اقرأها فى تاريخ الطبرى (ج ٧ ص ٢٧٠ — ٢٧٣) من طبعة المطبعة الحسينية .

موتٌ زُعافٌ ، ومحمدٌ ليثُ غابٍ ، وكفاكَ بالمفضَّلِ نجْدةً ، قال : فكيف خَلَّفْتَ جماعةَ الناسِ ؟ قال : خلَّفْتُهم بخيرٍ ، قد أدركوا ما أمَّلُوا ، وأَمِنُوا ماخافوا ، قال : فكيف كان بَنُو المهلَّبِ فيكم(١) ؟ قال : كانوا حُماةَ السَّرْحِ نهاراً ، فإذا أَلْيَلُوا ففرسانُ البيَاتِ ، قال : فأيُّهم كان أَنْجَدَ ؟ قال : كانوا كالحَلْقةِ المفرَغةِ ، لايُدْرَى أين طرَفُها(٢) ، قال : فكيف كنتم أنتم وعدوُّكم ؟ قال : كُنَّا إذا أخذنا عفوْنَا ، وإذا أخَذُوا يَئِسْنَا منهم ، وإذا اجتهدوا واجتهدنا طَمِعْنا فيهم(٣) ، فقال الحجاجُ : إنَّ العاقبة للمتَّقين ، كيف أَفلتَكُمْ قَطَرِيٌّ ؟ قال : كِدْناه ببعض ما كادَنَا به ، فَصِرْنا منه إلى الذى(٤) نُحِبُّ ، قال : فهَلاَّ اتَّبعتموه ؟ قال : كان الحَدُّ عندنا آثَرَ من الفَلِّ ، قال : فكيف كان لكم المهلبُ وكنتم له ؟ قال : كان لنا منه شَفَقَةُ الوالدِ ، وله منَّا برُّ الولَدِ ، قال : فكيف اغتِبَاطُ الناسِ ؟ قال : فشَا فيهمُ الأَمْنُ ، وشَمِلَهُمُ النَّفَلُ . قال : أَكُنْتَ أعددتَ لى هذا الجوابَ ؟ قال : لايعلمُ الغيبَ إلاَّ اللهُ . قال : فقال : هكذا تكونُ واللهِ الرجالُ . المهلَّبُ كان أعلَمَ بكَ حيثُ وَجَّهكَ .

وكان كِتَابُ المهلبِ إلى الحجاج :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الكافى بالإسلام فَقْدَ ما سِوَاهُ ، الذى

---

(١) فى ج و س و د و هـ و ف « فيهم » .
(٢) فى د و هـ « طرفاها » .
(٣) فى ج و س و د و ف « بَلَغْنا فيهم ءآمَالَنا بإدْراكِ الفُرْصَةِ منهم » وفى س و ف « فيهم » بدل « منهم » .
(٤) فى ج و س و د و هـ و ف « التى » .

حكم بأن لّا يَنقَطِـعَ(١) المَزِيدُ منه حتى يَنْقَطِـعَ الشُّـكرُ من عبادِه . أمَّا بعد ؛ فقد كان من أمرنا ماقد بَلَغَكَ ، وكنا نحن وعدوُّنا على حالين مختلفَين ، يَسُرُّنا منهم أكثرُ ممـا يَسُوءُنَا ، ويَسُوءُهُم مِنَّا أكثرُ ممـا يَسُرُّهُم ؛ على اشتداد شوكتهم ، فقد كان عَلَنَ أمرُهُم حتى ارتاعتْ له الفَتاةُ ، ونُوِّمَ به الرَّضِيعُ ، فانتهزْتُ منهم الفُرْصَةَ فى وقتِ إمكانها ، وأدنيتُ السَّوَادَ من السَّوادِ ، حتى تعارَفَتِ الوجوهُ ، فلم نزل كذلك حتى بَلَغَ الـكتابُ أَجَلَهُ ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾(٢) .

فكتب إليه الحجاج :

أمَّا بعدُ ؛ فإن الله عزَّ وجلَّ قد فَعَلَ بالمسلمين خيرًا ، وأراحهم من حَدِّ الجهادِ ، وكنتَ أعلمَ بمـا قِبَلَكَ ، والحمد لله رب العالمين ، فإذا ورَدَ عليك كتابى هذا فاقسم فى المجاهدين فَيْئَهُمْ ، ونَفِّلِ الناسَ على قَدْرِ بلائِهِمْ ، وفَضِّلْ مَنْ رَأيتَ تفضيلَه ، وإن كانتْ بَقِيَتْ من القوم بَقِيَّةٌ فَخَلِّفْ خيلاً تقومُ بإزائِهِم ، واستَعْمِلْ على كِرْمانَ مَنْ رأيتَ ، ووَلِّ الخيلَ شهمًا من وَلَدِكَ ، ولا تُرَخِّصْ لأحدٍ فى اللَّحاقِ بمنزله دونَ أنْ تَقْدَم بهم علىَّ ، وعَجِّل القُدوم ، إن شاء اللهُ .

فَوَلَّى المهلب ابنه يزيدَ كِرْمَانَ . وقال له : يابُنَىَّ ! إنكَ اليومَ لستَ كما كنتَ ، إنمـا لكَ من مالِ كِرْمَانَ ما فَضَلَ عن الحجَّاج ، ولن تُحْتَمَلَ

---

(١) فى ج و س و د و ه و ف « الذى وَصَلَ المزيدَ بالشكرِ ، والنِّعْمَةَ بالحمْدِ ، وَقَضَى ألاَّ ينقطعَ » الخ .

(٢) سورة الأنعام آية ٤٥

إلّا على ما احْتُمِلَ عليه أبوك ، فَأَحْسِنْ إلى مَنْ معك ، وإنْ أنكرتَ من إنسانٍ شيئاً فوَجِّهْهُ إليّ وتَفَضَّلْ على قَوْمِك [إن شاء اللهُ](١) .

وَقَدِمَ المهلَّبُ على الحجاج فأجلسه إلى جانبه ، وأظهر إكرامَه وبِرَّهُ ، وقال : يا أهلَ العراقِ ! أنتم عبيدُ المهلب ، ثم قال : أنت واللهِ كما قال لَقِيطٌ الإيادِيُّ :

وقَـلِّدوا أمرَكم لله دَرُّكُمُ رَحْبَ الذِّراعِ بأَمْرِ الحَرْبِ مُضْطَلِعَا
لا يَطْعَمُ النومَ إلاَّ رَيْثَ يبعثُهُ هَمٌّ يكادُ حَشاهُ يَقْصِمُ الضِّلَعَا
لا مُتْرَفاً إنْ رَخاءُ العيشِ ساعَدَهُ ولا إذا عَضَّ مكروهٌ به خَشَعَا
ما زال يَحْلُبُ هذا الدهرَ أَشْطُرَهُ يكونُ مُتَّبِعاً طَوْرًا وَمُتَّبَعَا
حتى استمرَّتْ على شَزْرٍ مَرِيرَتُهُ مُسْتَحْكِمَ الرأيِ لاقَحْمًا ولاضَرَعَا

فقام إليه رجل ، فقال : أصلحَ اللهُ الأمير ، واللهِ لَـكَأَنِّي أسمعُ الساعةَ قَطَرِيًّا وهو يقولُ : المهلَّبُ كما قال لَقِيطٌ الإيادِيّ ، ثم أنشد هذا الشعرَ ، فَسُرَّ الحجاجُ حتى امتلأ سرورًا . قوله « نَفِّل » أي اقْسِمْ بينهم ، وَالنَّفَلُ : المطيةُ التي تَفْضُلُ ، كذا كان الأصلُ ، وإنما تفضَّلَ اللهُ عز وجل بالغنائم على عبادِه ، قال لَبِيدٌ :

إنَّ تَقْوَى ربِّنا خَيْرُ نَفَلْ [وبإذْنِ اللهِ رَيْثٌ وَعَجَلْ]

وقال جل جلاله : ﴿ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ ﴾ ويقال: نَفَّلْتُكَ كذا وكذا أي : أعطيتُك ، ثم صار النَّفَلُ لازمًا واجبًا . وقول الإيادىّ « رَحْبَ الذراع » فالرَّحْبُ : الواسع ، وإنما هذا مَثَلٌ ، يريد : واسعَ الصدرِ ، متباعِدَ

---

(١) الزيادة من س و د و هـ و ف .

ما بينَ المَنْكِبَيْنِ والذراعين ، وليس المعنى على تباعُدِ الخَلْقِ ، ولكنْ على سهولة الأمرِ عليه ، قال الشاعرُ :

رَحيبُ الذراعِ بالتى لا تَشينُهُ ... وإن قيلَتِ العَوْراءُ ضاقَ بها ذَرْعَا

وكذلك قوله جل وعز : ﴿ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرِجًا ﴾(١) وقوله « مضطَلِعاً » إنما هو « مُفْتَعِلٌ » من الضَّلِيعِ ، وهو الشديد ، يريدُ أنه قوىٌّ على أمرِ الحرب ، مستقلٌّ بها . وقوله : « يكون متَّبِعاً طورًا ومتَّبَعًا » أى قد اتَّبَعَ الناسَ فعَلِمَ ما يَصْلُحُ به أمرُ الناس ، واتُّبِعَ فعَلِمَ ما يُصْلِحُ الرئيسَ ، كما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : قد أُلْنَا وَإِيلَ علينا ، أى قد أَصْلَحْنا أُمُورَ الناس ، وأُصْلِحَتْ أُمُورُنا . وقوله : « عَلَى شَزْرٍ مَرِيرتُه » فهذا مَثَلٌ ، يقال شَزَرْتُ الحبلَ : إذا كَرَّرْتَ فَتْلَه بعدَ استحكامِه راجعاً عليه ، والمَرِيرةُ : الحبلُ . و « الضَّرَعُ » : الصَّغِيرُ الضعيفُ . و « القَحْمُ » : آخرُ سِنِّ الشيخ ، قال العَجَّاجُ :

رأينَ قَحْمًا شَابَ واقْلَحَمّا ... طالَ عليه الدهرُ فاسْلَهَمَّا

وَالمُقْلَحِمُّ مثلُ القَحْمِ ، وهو الجافُّ ، ويقال للصبىِّ مُقْلَحِمٌّ : إذا كان سَيِّءَ الغِذاء ، أو ابنَ هَرِمَيْنِ ، ويقال رجلٌ إِنْقَحْلٌ وامرأةٌ إِنْقَحْلَةٌ : إذا أَسَنَّ حتى ييْبَسَ ، والمُسْلَهِمُّ الضامرُ ، قال الشاعر :

☆ لمَّا رَأَتْنِى خَلَقًا إِنْقَحْلا ☆

ويقال فى معنى : قَحْمٍ قَحْرٌ ، ويقال بعيرٌ قُحَارِيَةٌ ، فى هذا المعنى .

---

(١) سورة الأنعام آية ١٢٥ و « حرجا » ضبطت فى الأصول بكسر الراء وهى قراءة نافع وأبى بكر وأبى جعفر وابن محيصن والحسن . وقرأ باقى الأربعة عشر « حرجا » بفتح الراء ، وهما بمعنى .

وقوله « لا يَطْعَمُ النَّوْمَ إلاَّ رَيْثَ يبعثُهُ هَمٌّ » فَرَيْثٌ وَعَوْضٌ مما يضافُ إلى الأفعال ، وتأويلُه أنه لا يَطْعَمُ النومَ إلاَّ يسيرًا حتى يَبْعَثَه الهمُّ ، فمعناه مقدارُ ذلك ، ومما يضافُ إلى الأفعال أسماءُ الزمانِ ، كقوله عز ذكره : ﴿ هذا يومُ يَنفَعُ الصادقينَ صِدْقُهُمْ ﴾ فأسماءُ الزمان كلُّها تضافُ إلى الفعل ، نحو قولك : آتيكَ يومَ يخرجُ زيدٌ ، وجئتُك يومَ قامَ عبدُ الله ، وما كانَ منها في معنى الماضي جاز أن يضافَ إلى الابتداء والخبر ، فتقولُ : جئتكَ يومَ زيدٌ أميرٌ ، ولا يجوز ذلك في المستقبل ، وذلك لأن الماضيَ في معنى إذْ ، وأنت تقول : جئتك إذْ زيدٌ أميرٌ ، والمستقبلُ في معنى إذَا ، فلا يجوز أن تقول : أجيئُك إذا زيدٌ أمير ، فلذلك لا يجوزُ أجيئك يومَ زيدٌ أميرٌ . فأما الأفعال في إذَا وإذْ فهي بمنزلةٍ واحدةٍ ، تقول : جئتك إذْ قام زيد ، وأجيئك إذَا قام زيد ، فهذا واضحٌ بيِّنٌ . ومما يضافُ إلى الفعل « ذُو » في قولك افْعَلْ ذاكَ بذِي تَسْلَمُ ، وافْعَلاَهُ بذِي تَسْلَمَانِ ، معناه : بالذى يُسَلِّمُكُمَا ، ومن ذلك آيةٌ في قوله :

بآيةِ تُقْدِمُونَ الخيلَ شُعْثًا كأنَّ على سَنابكِها مُدَامَا

والنحوُ يتَّصِلُ وَيَكْثُرُ ، وإنما تركنا الاستقصاء لأنه موضعُ اختصارٍ (١) * فقال المهلَّبُ : إنّا واللهِ ما كنَّا أشدَّ على عدونا ولا أحدٌ ، ولكنْ دمَغَ الحقُّ الباطلَ ، وقهرَتِ الجماعةُ الفتنةَ ، والعاقبةُ للتقوى ، وكان ما كَرِهناهُ من المطاولة خيرًا مما أحببناهُ من العَجَلة . فقال له الحجاج :

---

(١) في نسخة زيادة « وقد أتينا على جميع هذا في الكتاب المقتضب » .

صدقتَ ، اذْكُرْ لِىَ القومَ الذين أَبْلَوْا وصِفْ لى بَلاءَهُمْ . فأَمَرَ الناسَ فكتبوا ذلك للحجاج ، فقال لهم المهلَّبُ : ما ذَخَرَ اللهُ لكم خيرٌ لكم من عاجلِ الدنيا إن شاء الله . ثم ذَكَرَهم للحجاج على مَرَاتِبهم فى البلاء وتَفاضُلِهِمْ فى الغَنَاء ، وقَدَّمَ بَنيهِ المُغيرَةَ ويَزيدَ ومُدْرِكاً وحَبِيبًا وقَبِيصَةَ والمُفَضَّلَ وعبدَ الملك ومحمدًا ، وقال : إنه واللهِ لو تَقَدَّمَهُمْ أحدٌ فى البلاء لَقَدَّمْتُهُ عليهم ، ولولا أنْ أَظلِمَهم لأخَّرْتُهم . قال الحجاجُ : صدقتَ ، وما أنتَ بأعلمَ بهم مِنِّى وإنْ حضرتَ وغِبْتُ ، إنهم لَسُيوفٌ من سُيوفِ الله . ثم ذَكَرَ مَعْنَ بنَ المُغيرة بنِ أبى صُفْرَةَ والرُّقَادَ وأَشباهَهُما ، فقال الحجاجُ : أينَ الرُّقَادُ ؟ فدخَلَ رجلٌ طويلٌ أَجْنَأُ[1] ، فقال المهلَّبُ : هذا فارسُ العربِ ، فقال الرُّقَادُ : أيها الأمير ! إنى كنتُ أُقاتل مع غير المهلَّب فكنتُ كبعض الناسِ ، فلما صِرْتُ مع مَنْ يُلْزِمُنى الصَّبرَ ويجعلُنى إسْوَةَ نفسِه وولدِه ويجازينى على البَلاءِ ، صرتُ أنا وأصحابى فُرْساناً ؛ فأَمر الحجاجُ بتفضيلِ قومٍ على قومٍ على قَدْرِ بلائِهم ، وزادَ وَلَدَا المهلَّبِ ألفينِ ، وفعل بالرُّقَادِ وجماعةٍ شبيهاً بذلكَ .

قال يزيد بن حَبْنَاء منَ الأَزارِقَةِ :

دَعِى اللَّوْمَ إنَّ العَيْشَ ليس بِدائِمِ ... ولا تَعْجَلى باللَّومِ يا أُمَّ عاصِمِ !
فإِنْ عَجِلَتْ منكِ الملامة فاسْمَعِى ... مقالَةَ مَعْنِيٍّ بحقِّكِ عالِمِ
ولا تَعْذُلِينَا فى الهَدِيَّةِ إنما ... تكونُ الهدايا مِن فُضولِ المَغانِمِ

(١) الأجنأ : الذى فى كاهله انحناء على صدره وليس بالأحدب .

فليس بِمُهْدٍ مَنْ يكون نَهَارُهُ جِلادًا ويُمْسِي ليلُهُ غيرَ نائِمِ
يريدُ ثوابَ اللهِ يومًا بطعنةٍ غَمُوسٍ كَشِدْقِ العَنْبَرِيِّ بنِ سالِمِ
أبيتُ وسِرْبالِي دِلاصٌ حَصينةٌ ومِغْفَرُها والسيفُ فوقَ الحَيازِمِ(١)
حلفتُ بربِّ الواقفين عشيَّةً لَدَى عرفاتٍ حَلْفَةً غيرَ آثِمِ
لقد كان فى القوم الذين لقيتُهمْ بِسَابُورَ شُغْلٌ عن بُزُوزِ اللَّطَائِمِ
تَوَقَّدُ فى أيديهِمُ زاعِبيَّةٌ ومُرْهَفَةٌ تَفْرِى شُؤُونَ الجَماجِمِ

قوله «مَنْ يكونُ نهارُه جلادًا ويُمْسِي ليلُه غيرَ نائِمِ» يريد: يُمسى هو فى ليله ويكونُ هو فى نهاره، ولكنه جعلَ الفعلَ للَّيلِ والنهارِ على السَّعة، وفى القرآن ﴿بل مَكْرُ الليلِ والنهارِ﴾ والمعنى: بل مكرُكُم فى الليل والنهار، وقال رجل من أهل البَحْرَيْنِ من اللُّصوصِ:

أمَّا النهارُ ففى قَيْدٍ وسِلْسِلَةٍ والليلُ فى جوفِ مَنْحوتٍ من السَّاجِ

وقال آخر:

لقد لُمْتِنا يا أُمَّ غَيْلاَنَ فى السُّرىٰ ونِمْتِ وما ليلُ المَطِيِّ بنائِمِ

ولو قال: «مَنْ يكونُ نَهارَه جلادًا ويُمْسِي ليلَهُ غيرَ نائم» لكان جيداً، وذاك أنه أرادَ: من يكون نهارَه يُجَالِدُ جِلادًا، كما تقول: إنما أنت سَيْرًا، وإنما أنتَ ضَرْبًا، تريد: تَسيرُ سَيْرًا، وتضرب ضربًا، فأُضْمِرَ لعلم المخاطَب أنه لا يكونُ هو سيرًا، ولو رَفَعَه على أن يَجْعَلَ الجِلادَ فى موضع

(١) بحاشية ا ما نصه: «ابن شاذان: الدِّلِصُ من كل شىء البرَّاق الأملس، ومنه سميت الدرع دِلاصًا».

المُجَالِدِ ، على قوله : أنت سَيْرٌ : أى أنت سائِرٌ ، كما قالت الخنساء :

* فإنما هِيَ إقْبالٌ وإدْبارُ *

وفى القرآن ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا ﴾ أى غائراً ، وقد مضى تفسير هذا بأكثر من هذا الشرح . ولو قال « وتُمْسِي ليلُهُ غيرُ نائمٍ » لجازَ ، يُصَيِّرُ اسمَه فى « تُمْسِي » ويجعل « ليلُه » ابتداء ، و « غيرُ نائمٍ » خبرُهُ على السعة التى ذكرنا . وقوله « غَمُوسٍ » يريدُ واسعةً مُحيطةً . و « العَنْبَرِيُّ بن سالمٍ » رجلٌ منهم ، كان يقال له الأَشدَقُ . و « اللَّطائِمُ » واحدتُها « لَطِيمةٌ » وهى الإبلُ التى تَحْمِلُ البَزَّ والعِطْرَ . وقوله : « تَوَقَّدُ فى أيديهِمِ زَاعِبيَّةٌ » يعنى الرِّماحَ ، والتَّوَقُّدُ للأَسِنَّةِ ، والزَّاعبية منسوبةٌ إلى زاعِبٍ ، وهو رجل من الخَزْرَجِ كان يعملُ الرماحَ ، و « تَفْرِى » : تَقُدُّ ، يقال : فَرَى : إذا قَطَعَ ، وأَفْرَى : إذا أَصْلَحَ .

وقال حَبِيبُ بن عَوْفٍ من قُوَّادِ المهلَّبِ :

أَبَا سَعيدٍ جَزَاكَ اللهُ صالحةً فقد كَفَيْتَ ولم تَعْنُفْ على أَحَدِ !
دَاوَيْتَ بالحِلْمِ أهلَ الجهلِ فانْقَمَعُوا وكنتَ كالوالدِ الحَانِى علِى الوَلَدِ

وقال عَبيدةُ بن هلالٍ فى هَرَبِهم مع قَطَرِيٍّ :

ما زالتِ الأَقدارُ حتى قَذَفْنَنِي بقُومِسَ بينَ الفَرُّخَانِ وصُولِ

ويُرْوَى أَنَّ قاضِيَ قَطَرِيٍّ وهو رجلٌ من بنى عبدِ القيسِ سمعَ قولَ عَبيدةَ بنِ هلالٍ :

عَلاَ فوقَ عَرْشٍ فوقَ سبعٍ ودُونَهُ سَماءٌ تَرَى الأَرْوَاحَ مِنْ دُونِها تَجْرِى

فقال له العبديُّ : كَفَرْتَ إلاَّ أن تأْتِيَ بمَخْرَجٍ ، قال : نعم ، رُوحُ المؤمنِ تَعْرُجُ إلى السماء ، قال : صدقتَ . وقال يذكُر رجلاً منهم :

يَهْوِى وترفعُه الرِّماحُ كأنَّه   شِلْوٌ تَنَشَّبَ فى مَخالِبِ ضَارِ[1]
فَثَوَى صَرِيعًا والرماحُ تَنُوشُه   إنَّ الشُّرَاةَ قَصِيرةُ الأَعْمَارِ .

« تَنُوشُهُ » : تأخذُه وتتناوَلُه ، قال الله عز وجل : ﴿ وأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ أى التناوُلُ . ومثلُ بيتِه هذا قولُ حَبيبٍ الطائىِّ :

فِيمَ الشَّمَاتَةُ إعْلانًا بأُسْدِ وَغًى   أَفْنَاهُمُ الصَّبْرُ إذْ أَبْقَاكُمُ الجَزَعُ

وقال أيضاً فى شبيهٍ بهذا المعنى :

إنْ يَنْتَحِلْ حَدَثَانُ الموتِ أنفسَكُمْ   ويَسْلَمِ الناسُ بَيْنَ الحوْضِ والعَطَنِ
فالماءُ ليس عَجِيبًا أنَّ أعْذَبَهُ   يَفْنَى وَيَمْتَدُّ عُمْرُ الآجِنِ الأَسِنِ

وقال أيضاً :

عليكَ سلامُ اللهِ وَقْفًا فإنَّنِى   رأيتُ الكريمَ الحُرَّ ليسَ له عُمْرُ

وقال القاسمُ بن عيسى :

أُحِبُّكِ يا جَنَانُ فأَنْتِ مِنِّى   مكانَ الرُّوحِ من بَدَنِ الجبانِ
ولَوْ أَنِّى أقولُ : مكانَ رُوحِى   لَخِفْتُ عليكِ بادِرَةَ الزمانِ[2]

---

(١) بحاشية ا ما نصه : « ابن شاذان : الشِلْوُ شِلْوُ الإنسانِ وغيره ، وهو جسده بعد بِلاهُ ، والجمعُ أشلاء » .

(٢) بحاشية ا ما نصه : « ابن شاذان : بادرة الرجل ما بدر منه من قول أو فعل فعجِل به » .

لإقدامِى إِذَا ما الحربُ جاشَتْ وهابَ حُماتُها حَرَّ الطِّعانِ

وقال معاويةُ بن أبى سُفيانَ فى خلافِ هذا المعنى :

أكانَ الجَبانُ يُرَى أنَّهُ يُدافِعُ عنه الفِرارُ الأجَلْ؟
فقد تُدْرِكُ الحادِثاتُ الجَبانَ ويَسْلَمُ منها الشُّجاعُ البَطَلْ

رجع الحديثُ : وقال رجلٌ من عبد القيس من أصحاب المهلَّبِ :

سائِلْ بِنا عَمْرَو القَنا وجُنُودَهُ وأَبا نَعامَةَ سيِّدَ الكُفَّارِ

أبو نَعامةَ : قطرىٌّ . وقال المُغيرة بن حَبْناءَ الحنظَلِىُّ من أصحاب المهلَّبِ :

إِنِّى امْرُؤٌ كَفَّنِي رَبِّى وأكْرَمَنِي عَنِ الأُمورِ التى فى رَعْيِها وَخَمُ
وإنما أنَا إنسانٌ أعِيشُ كما عاشَتْ رجالٌ وعاشتْ قبلَها أُمَمُ
ماعاقنى عن قُفولِ الجُنْدِ إذْ قَفَلُوا عَنِّى بما صَنَعُوا عَجزٌ ولا بَكَمُ
ولو أرَدْتُ قُفُولاً ما تَجَهَّمَنِي إذْنُ الأميرِ ولا الكُتّابُ إذْ رَقَمُوا
إنَّ المُهَلَّبَ إنْ أشْتَقْ لرؤيتِه أوْ أمْتَدِحْهُ فإنَّ الناسَ قد عَلِمُوا
أنَّ الأريبَ الذى تُرْجَى نوافِلُهُ والمُسْتعانَ الذى تُجْلَى به الظُّلَمُ
القائلُ الفاعلُ الميمونُ طائِرُهُ أبو سَعيدٍ إذا ما عُدَّت النِّعَمُ
أزْمانَ أزْمانَ إذْ عَضَّ الحديدُ بهم وإذْ تَمَنَّى رجالٌ أنهم هُزِمُوا

قال أبو العباس : وهذا الكتابُ لم نَبْتَدِئْه لِتتَّصِلَ فيه أخبارُ الخوارج ، ولكن رُبَّما اتَّصَلَ شىءٌ بشىءٍ ، والحديثُ ذو شُجونٍ ، ويَقْتَرِحُ المُقْتَرِحُ ما يَفْسَخُ به عزمَ صاحبِ الكتابِ ، ويصدُّه عن سَنَنِهِ ، ويزيلُه عن طريقه ، ونحن راجعونَ إن شاء الله إلى ما ابتدأْنا له هذا الكتابَ ، فإن مَرَّ

من أخبارِ الخوارجِ شيء مَرَّ كما يَمُرُّ غيرُه ، ولو نَسَقْناه على ما جَرَى من ذكرهم لكان الذى يَلِى هذا خبرُ نَجْدَةَ وأبى فُدَيْكٍ وعُمارةَ الرجلِ الطويلِ وشَبيبٍ ، ولكان يكونُ الكتابُ للخوارجِ مُخْلَصًا .

باب في اختصار الخُطبِ والتَّحميدِ والمَواعظِ

كان الحسنُ يقولُ : الحمد لله الذى كلَّفَنا ما لو كلَّفَنا غيرَه لَصِرْنا فيه إلى معصيته ، وآجَرَنا على ما لا بُدَّ لنا منه . يقول : كلَّفَنا الصبرَ ، ولو كلَّفنا الجَزَعَ لم يمكنّا أن نُقِيمَ عليه ، وآجَرَنا على الصبرِ ، ولا بدَّ لنا من الرجوع إليه * وكان عليّ بن أبى طالب صلوات الله عليه يقول عندَ التعزية : عليكم بالصبرِ ، فإنَّ بهِ يَأْخُذُ الحازمُ ، وإليه يعود الجازِعُ * وقال للأَشْعَثِ بن قَيْسٍ : إنْ صبَرْتَ جَرَى عليكَ القَدَرُ وأنتَ مأجورٌ ، وإنْ جَزِعْتَ جَرَى عليك القَدَرُ وأنت مَوْزورٌ * وقال الخُرَيْمِيُّ :

ولو شئتُ أن أبْكِي دَمًا لبكيتُهُ   عليه ، ولكِنْ ساحةُ الصَّبرِ أوْسَعُ

وفى هذا الشعر وإن لم يكن من هذا الباب :

وأعْدَدْتُهُ ذُخْرًا لكلِّ مُلِمَّةٍ   وسَهْمُ المَنايا بالذَّخائرِ مُولَعُ

وخَطب أبو طالب بنُ عبد المطَّلِبِ لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى تزوجه خَديجةَ بنتَ خُوَيْلِدٍ رحمة الله عليها ، فقال : الحمدُ لله الذى جعَلَنا من ذرية إبرٰهيمَ وزَرْعِ إسمعيلَ ، وجعلَ لنا بلدًا حرامًا وبيتًا محجوجًا ، وجعلَنا الحُكّامَ على الناس ، ثم إن محمدَ بن عبد الله ابنَ أخى مَنْ لا يُوازَنُ به فتًى

من قريش إلاّ رَجَحَ عليه بِرًّا وفضلاً وكرمًا وعقلاً ومَجْدًا ونُبْلاً ، وإن كانَ في المالِ قُلٌّ[1] فإنما المالُ ظِلٌّ زائلٌ وعاريةٌ مسترجَعةٌ ، وله في خديجةَ بنتِ خُوَيْلِدٍ رغبةٌ ، ولها فيه مثلُ ذلك ، وما أحببتم من الصَّداقِ فَعَلَيَّ .

وهذه الخطبةُ من أقصَدِ خُطَبِ الجاهلية .

ومن جميلِ محاوراتِ العربِ ما رُوِيَ لنا عن يحيى بن محمد بن عُرْوَةَ عن أبيه عن جده قال : أَقْحَمَتِ السَّنَةُ علينا النابغةَ الجَعْدِيَّ ، فلم يَشْعُرْ به ابنُ الزُّبَيْرِ حينَ صلَّى الفجر حتى مَثَلَ بين يديه يقولُ :

حَكَيْتَ لنا الصِّدِّيقَ حين وَلِيتَنَا … وعثمانَ والفاروقَ فارْتاحَ مُعْدِمُ
وسَوَّيْتَ بين الناسِ في العَدْلِ فاسْتَوَوْا … فعادَ صَباحًا حالِكُ الليــلِ مُظْلِمُ
أتاكَ أبو لَيْلَى يَشُقُّ به الدُّجَى … دُجَى الليلِ جَوَّابُ الفَلاةِ عَثَمْثَمُ
لِتَرْفَعَ منه جانبًا ذَعْذَعَتْ به … صُرُوفُ الليالى والزمانُ المُصَمِّمُ

فقال له ابنُ الزبير : هَوِّنْ عليكَ أبا لَيْلَى ! فأيْسَرُ وسائلك عندنا الشِّعْرُ ، أمّا صِفْوَةُ أموالِنا فلِبَنِي أَسَدٍ ، وأمّا عِفوتُها فلآلِ الصِّدِّيق ، ولك في بيت المالِ حَقَّانِ : حقٌّ لصحبتكَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، وحقٌّ بحقك في المسلمين ، ثم أمر له بسبعِ قلائِصَ وراحلةٍ رَحِيلٍ ، ثم أمر بأن تُوقَرَ له حَبًّا وتمرًا ، فجعل أبو ليلى يأخذُ التمر فيَسْتَجْمِعُ به الحَبَّ فيأكله ، فقال له ابنُ الزبير : لَشَدَّ ما بلغَ منك الجَهْدُ يا أبا ليلى ؟! فقال النابغة : أَمَا عَلَى ذاكَ

---

(١) بحاشية ا ما نصه : « المهلبي : القُلّ القليل ، ومن كلامهم : له القُلّ والذُلّ ، أي القِلة والذِلة » .

لسمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول . ما استُرْحِمَتْ قريشٌ فَرَحِمَتْ ، وسُئِلَتْ فأعطتْ ، وحَدَّثَتْ فصَدَقَتْ ، ووَعَدَتْ فأَنجزَتْ ، فأنا والنبيُّون على الحوض فُرَّاطٌ لِقَادِمِينَ * قوله : « أَقْحَمَتِ السَّنَةُ » يكونُ على وجهين : يقال : « اقتحَمَ » إذا دخل قاصداً ، وأكثرُ ما يقال من غير أن يُدْخَلَ ، ويكون من « القُحْمَةِ » وهى السَّنَةُ الشديدة ، وهو أشبه الوجهين ، والآخرُ حَسَنٌ . و « السَّنَةُ » الجَدْبُ ، يقال : أصابتهم سَنَةٌ أى جَدْبٌ ، ومن ذا قوله جل وعز : ﴿ ولقد أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بالسِّنِينَ ﴾ أى بالجَدْبِ . وقوله : « صِفْوَةٌ » فهى فى معنى الصَّفْوِ ، وأكثرُ ما يُستعملُ الكَسْرُ ، والبابُ فى المصادر للحالِ الدائمةِ : الكَسْرُ ، كقولك : حَسَنُ الجِلْسَةِ والرِّكْبَةِ والمِشْيَةِ والنِّيمَةِ ، كأنها خِلْقَةٌ . و « العِفْوَةُ » إنما هو ما عَفا ، أى ما فضَلَ ، و ﴿ خُذِ العَفْوَ ﴾ قالوا : الفضل ، وكذلك قولُه جل اسمه : ﴿ ويسألونَكَ ماذا يُنْفِقُونَ قُلِ العَفْوَ ﴾ . وقولُه : « عَثَمْثَمٌ » يريدُ : المُوَثَّقَ الخَلْقِ الشديدَ . و « ذَعْذَعَتْ » أى أذهبتْ مالَهُ وفَرَّقَتْ حالَه . وقوله : « راحلةٍ رَحِيلٍ » أى قويةٍ على الرِّحْلَةِ مُعَوَّدَةٍ لها ، ويقالُ : فَحلٌ فَحِيلٌ ، أى مُسْتَحكِمٌ فى الفِحْلَةِ ، وفى الحديث : أنَّ ابن عمر قال لرجلٍ : اشْتَرِ لِي كبشاً لأُضَحِّيَ به أَمْلَحَ واجْعَلْه أَقْرَنَ فَحِيلاً . وقوله : « فأَنا والنبيون على الحَوْضِ فُرَّاطٌ لِقَادِمِينَ » « الفارط » الذى يتقدم القومَ فيُصْلِحُ لهم الدِّلاءَ والأَرْشيةَ وما أشبه ذلك من أمرِهم حتى يَرِدُوا ، ومن ذلك قولُ المسلمين فى الصلاة على الطفل : « اللهم اجْعَلْهُ لنا سَلَفًا وفَرَطًا » وجاء فى الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم :

« أنا فَرَطُكم على الحوضِ » . وكان يقال : يكفيكَ من قريش أنها أقربُ الناسِ من رسول الله صلى الله عليه وسلم نَسَبًا ، ومن بيتِ الله بيتًا . ويقال : أنَّ دارَ أَسَدِ بن عبد العُزَّى كان يقال لها : رَضِيعُ الكَعْبَةِ . وذلك أنها كانت تَفِيء عليها الكعبةُ صباحًا وتَفِيء على الكعبة عَشِيًّا ، وإن كانَ الرجلُ من وَلَدِ أَسَدٍ لَيَطُوفُ بالبيت فينقطعُ شِسْعُ نعلِهِ فيَرْمِى بنعله فى منزله فتُصْلَحُ له ، فإذا عاد فى الطواف رُمِىَ بها إليه . وفى ذلك يقولُ القائلُ :

لِهاشِمٍ وزُهَيْرٍ فَضْلُ مَكْرُمَةٍ ... بحيثُ حَلَّتْ نُجومُ الكَبْشِ والاَسَدِ
مُجاوِرُ البيتِ ذى الأركانِ بيتُهما ... ما دُونَهُمْ فى جِوارِ البيتِ من أَحَدِ

وقال آخرُ :

سَمِينُ قُرَيْشٍ مانِعٌ منكَ لَحْمَهُ ... وغَثُّ قريشٍ حيثُ كانَ سَمِينُ

وقال آخرُ :

وإذا ما أَصَبْتَهُ من قريشٍ ... هاشِمِيًّا أَصَبْتَ قَصْدَ الطريقِ

وقال حَرْبُ بنُ أُمَيَّةَ لأبى مَطَرٍ الحَضْرَمِىِّ يدعوه إلى حِلْفِهِ ونزول مكة :

أَبَا مَطَرٍ هَلُمَّ إلى صَلاحٍ ... فَتَكْنُفَكَ النَّدامَى من قُرَيْشِ[1]
وتَأْمَنَ وَسْطَهُمْ وتَعِيشَ فيهم ... أَبَا مَطَرٍ هُدِيتَ لِخَيْرِ عَيْشِ
وتَسْكُنَ بلدةً عَزَّتْ قديمًا ... وتَأْمَنَ أن يَزُورَكَ رَبُّ جَيْشِ

(١) فى بعض النسخ « فيكفيك الندامى » . وفى رواية ابن شاذان « فتكفيك الندامى » . وهى توافق رواية اللسان ٣ : ٣٤٩ . وفى طبعات مصر : « فتَكْنُفَ كالندامى » ! وهو خطأ عجيب مخالف للأصول المخطوطة .

« صَلاحِ » اسمٌ من أسماء مكةَ (١) . وكانت مكةُ بلدًا لقاحًا ، واللقاحُ : الذى ليس فى سلطانِ مَلِكٍ ، وكانت لا تُغْزَى تعظيماً لها ، حتى كان أمرُ الفِجَارِ ، وإنما سُمِّىَ الفِجارَ لفُجُورهم إذ قاتلوا فى الحَرَمِ ، وكانت قريشٌ تُعِزُّ الحليفَ وتُكْرِمُ المَوْلَى وتكادُ تُلْحِقُهُ بالصَّمِيمِ ، وكانت العربُ تفعلُ ذلك ، ولقريش فيه تَقَدُّمٌ .

ودخل سُدَيْفٌ مَوْلَى أبى العباسِ السَّفَّاحِ على أبى العباس أميرِ المؤمنينَ ، وعنده سليمانُ بن هِشَامِ بن عبد الملك ، وقد أدناه وأعطاه يَدَهُ فقبَّلها ، فلمَّا رأى ذلك سُدَيْفٌ أقبلَ على أبى العباس وقال :

لا يَغُرَّنْكَ ما تَرَى من أُناسٍ ... إنَّ تحتَ الضُّلُوعِ داءً دَوِيًّا
فَضَعِ السَّيفَ وارْفَعِ السَّوطَ حتى ... لا تَرَى فَوْقَ ظهرها أُمَوِيًّا

فأقبلَ عليه سليمانُ فقال : قتلتنى أيها الشيخُ قَتَلَكَ اللهُ ، وقام أبو العباس فدخلَ ، فإذا المنديلُ قد أُلْقِىَ فى عُنُقِ سليمانَ ثم جُرَّ فقُتِلَ .

ودخل شِبْلُ بن عبد الله مولى بنى هاشمٍ على عبد الله بن علىٍّ وقد أَجْلَسَ ثمانين رجلاً من بنى أُمية على سُمُطِ الطعامِ ، فَمَثَلَ بين يديه فقال :

أَصْبَحَ المُلْكُ ثابتَ الآساسِ ... بالبَهاليلِ من بنى العَبَّاسِ
طلبوا وِتْرَ هاشمٍ فشَفَوْهَا ... بعد مَيْلٍ من الزمان ويأسِ

---

(١) بحاشية ا ما نصه : « فى الأصل صلاحٍ بالتنوين . قال المهلبى : صلاحِ بغير تنوين وهو اسم لمكة ، وروى صلاحُ بالضم . ابن شاذان : هى صلاحِ فى وزن حَذَامِ وقَطامِ ، اسم من أسماء مكة » . وفى اللسان : أنها بالصرف وبالمنع من الصرف .

لاَ تُقِيلَنَّ عبدَ شَمسٍ عِثارًا   واقْطَعَنْ كلَّ رَقْلَةٍ وأَوَاسِي

ذُلّها أَظهرَ التّوَدُّدَ منها   وبها منكُمُ كَحَزِّ المَوَاسِي

ولقـــد غاظَنِي وغاظَ سَوَائِي   قُرْبُهُمْ من نمارقٍ وكَرَاسِي

أَنْزِلُوهَا بحيثُ أَنْزَلَهَا اللـــهُ بدارِ الهَـوَانِ والإِتْعَاسِ

واذْكُرُوا مَصْرَعَ الحُسَيْنِ وزيدٍ   وقَتيـلاً بجانبِ المِهْرَاسِ

والقَتيلَ الذى بحَرَّانَ أَضْحَى   ثاوِيًا بيْنَ غُرْبَةٍ وتَنَاسِي

نِعْمَ شِبْلُ الهِرَاشِ مولاكَ شِبْلٌ   لو نَجا من حَبائِلِ الإِفْلَاسِ

فأَمَرَ بهم عبدُ الله فشُدِخُوا بالعَمَدِ ، وبُسِطَتْ عليهم البُسُطُ ، وجَلَسَ عليها ، ودعا بالطعام ، وإنه لَيَسْمَعُ أَنِينَ بعضهم ، حتى ماتوا جميعاً ، وقال لِشِبْلٍ : لولا أنكَ خَلَطْتَ كلامَكَ بالمسأَلةِ لأَغْنَمْتُكَ جميعَ أموالِهِمْ ، ولَعَقَدْتُ لك على جميعِ موالى بنى هاشمٍ * قوله : « الآساسِ » واحدها « أُسٌّ » ، وتقديرها « فُعْلٌ وأَفْعالٌ » وقد يقال للواحد : « أَسَاسٌ » وجمعه « أُسُسٌ » . و « البُهْلُولُ » الضَّحَّاكُ . وقوله : « بَعْدَ مَيْلٍ منَ الزمانِ ويأسٍ » يقال : فيكَ مَيْلٌ علينا ، وفى الحائط مَيْلٌ ، وكذلك كلُّ مُنْتَصِبٍ(١) . وقوله : « واقْطَعَنْ كلَّ رَقْلَةٍ » الرَّقْلَةُ : النخلةُ الطويلةُ ، ويقال إذا وُصِفَ الرجلُ

---

(١) قال المرصفى : « فرق بين الميل بالسكون مصدر مال فهو مائل ، وبين المَيَل بالتحريك مصدر مَيِل كطرب فهو أميل ، فالأول فيما حدث وتجدد ، مثل ظل الشمس وجور الظالم ، والثانى فيما ثبت خلقة أو صناعة ، مثل سنام البعير وعنق الظليم والحائط وكل منتصب » .

بالطُّولِ : كأنه رَقْلَةٌ . و « الأَوَاسِيُّ » ياؤُه مشدَّدَةٌ فى الأصل ، وتخفيفها يجوزُ ، ولو لم يَجُزْ فى الكلام لجاز فى الشعر ؛ لأن القافيةَ تقتَطِعُه ، وكلُّ مُثقَّلٍ فتخفيفُه فى القوافى جائزٌ ، كقوله :

أَصَحَوْتَ اليومَ أَمْ شاقَتْكَ هِرْ [ومنَ الحبِّ جُنونٌ مُسْتَعِرْ]

وواحدُها « آسِيَّةٌ » وهى أصلُ البناء بمنزلة الأساسِ . وقوله : « وغَاظَ سَوَائِى » تقول : ما عندى رجلٌ سِوى زيد ، فتَقْصُرُ إذا كسرتَ أولَه ، فإذا فتحتَ أولَه على هذا المعنى مددتَ ، قال الأعشى :

تَجانَفُ عن جَوِّ اليمامة ناقتِي وما قَصَدَتْ من أهلِها لِسَوَائِكا

و « السَّواء » ممدود فى كل موضعٍ وإن اختلفت معانيه ؛ فهذا واحدٌ منه ، و «السَّواء» الوَسَط ، منه قوله عز وجل : ﴿فَرَآهُ فى سَوَاءِ الجَحِيمِ﴾ وقال حَسَّانُ :

يا وَيْحَ أَنْصَارِ النَّبِيِّ ورَهْطِهِ بعدَ المُغَيَّبِ فى سَوَاءِ المَلْحَدِ

و « السَّواء » : العدلُ والاستواء ، ومنه قوله عز وجل : ﴿إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وبَيْنَكُمْ﴾ ومن ذلك : عمرو وزيدٌ سَواء ، و « السَّوَاء » : التَّمامُ ، يقال : هذا درهمٌ سَوَاءٌ ، وأصلُه من الأول ، وقوله عز وجل : ﴿فِى أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ﴾ معناه تمامًا ، ومن قرأ ﴿سواءٍ﴾ فإنما وَضَعَه فى موضع مُستوياتٍ . و « النَّمارِقُ » واحدتُها نُمْرُقَةٌ : وهى الوسائد ، قال الفرزدقُ :

وإنَّا لتَجْرِى الكأسُ بين شُرُوبِنا وبينَ أَبِى قابُوسَ فوقَ النَّمارِقِ[1]

---

(١) « شروب » جمع شارب ، كشاهد وشهود . وأبو قابوس هو النعمان بن المنذر ملك العرب .

وقال نُصَيْبٌ :

إذا مَا بِساطُ اللَّهْوِ مُدَّ وقُرِّبَتْ   لِلَذَّاتِهِ أَنْمَاطُهُ ونَمَارِقُهْ

وقوله : « مَصْرَعَ الْحُسَيْنِ وزَيْدٍ » يعنى زيدَ بن علىّ بن الحسين ، كان خَرَجَ على هشام بن عبد الملك ، وقَتَلَه يوسفُ بن عُمَرَ الثَّقَفِىُّ وصَلَبَهُ بالكُناسةِ عُرْيانًا هو وجماعةً من أصحابه . ويَرْوِى الزُّبَيْرِيُّونَ أنه كان بين يوسفَ بنِ عُمَرَ وبين رجلٍ إِحْنَةٌ ، فكان يطلب عليه عِلَّةً ، فلما ظَفِرَ بزيد بنِ علىّ وأصحابه أَحَسُّوا بالصَّلْبِ فأَصْلَحُوا مِنْ أَبدانِهم واستَحَدُّوا[1] ، فصُلِبوا عُراةً ، وأخذ يوسفُ عَدُوَّه ذلك فَنَحَلَهُ أنه كان من أصحاب زيدٍ فقتلَه وصَلبه ، ولم يَكُنِ استَعَدَّ ؛ لأنه كان عندَ نفسه آمِنًا ، وكان بالكوفة رجلٌ معتوهٌ عَقْدُه التَّشَيُّعُ ، فكان يجىء فيقفُ على زيدٍ وأصحابِه فيقولُ : صلى الله عليك يا ابنَ رسولِ الله ، فقد جاهدتَ فى الله حقَّ جهادِه ، وأنكرتَ الجَوْرَ ودَافعتَ الظالمينَ ، ثم يُقْبِلُ عليهم رجلاً رجلاً فيقولُ : وأنتَ يا فلانُ : فجزاكَ الله خيرًا ، فقد جاهدتَ فى الله حق جهادِه ، وأنكرتَ الجَوْرَ ونصرتَ ابنَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، حتى يَقِفَ على عَدُوِّ يوسفَ فيقولُ : فأما أنت يا فلانُ فَوفورُ عانَتِكَ يَدُلُّ على أنكَ برىءٌ مما قُرِفْتَ[2] به ! * وقال حَبِيبُ بنُ جَدَرَةَ ، ويقال : جُدْرَةَ ، وهى السلعةُ ، الهِلاَلِىُّ . [قال الأَخْفَشُ : الصحيحُ عندنا « ابنُ خِدْرَةَ » بالخاءِ وكسرها ، وقال المبرِّدُ : لم أسمعه إِلاَّ « جَدَرَةَ » ويقال : « جُدْرةُ »] وهو من الخوارج ، يعنى زيدَ بنَ علىّ :

---

(١) بحاشية ا : « قال المهلبى : الاستحداد : حلق الشىء بالشىء ».

(٢) قرفه بالشىء : اتهمه به .

يَابَا حُسَيْنٍ لو شُرَاةُ عِصَابَةٍ   صَبَحُوكَ كانَ لِوِرْدِهِمْ إِصْدَارُ
يَابَا حُسَيْنٍ والجديدُ إلى بِلًى   أولادُ دَرْزَةَ أسلموكَ وطَارُوا

تقول العربُ للسَّفِلَةِ والسُّقَّاطِ: « أولادُ دَرْزَةَ » وتقول لمن تَسُبُّهُ: « ابنُ فَرْتَنَا »، و « أولادُ فَرْتَنَا ». وتقول لِلُّصوصِ: « بنو غَبْرَاء »، وفي هذا بابٌ. ويُروى أنَّ شاعرًا لبنى أُمَيَّةَ قال معارضًا للشِّيَعِ في تسميتهم زيداً المهديَّ، والشاعرُ هو الأَعْوَرُ الكَلْبِيُّ:

صَلَبْنا لكم زيداً على جِذعِ نخلةٍ   ولم نَرَ مَهْدِيًّا على الجِذعِ يُصْلَبُ

ونُظِرَ بعد زُمَيْنٍ إلى رأسِ زيدٍ مُلْقًى في دارِ يوسفَ وديكٌ يَنْقُرُه، فقال قائلٌ من الشِّيعةِ:

اطْرُدُوا الديكَ عن ذُؤَابَةِ زيدٍ   طالَ ما كانَ لا تطَاهُ الدَّجَاجُ

وقولُه: « وقتيلاً بجانبِ المِهْرَاسِ » يعنى حمزةَ بنَ عبد المطَّلب، والمِهْرَاسُ ماءٌ بأُحُدٍ، ويُروى في الحديث « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عَطِشَ يومَ أُحُدٍ فجاءه عليٌّ في دَرَقةٍ بماءٍ من المِهْرَاسِ، فعافه فغَسَلَ به الدمَ عن وجهه » وقال ابنُ الزِّبَعْرَى في يوم أُحُدٍ:

ليتَ أشياخِي ببدْرٍ شَهِدُوا   جَزَعَ الخزْرَجِ من وَقْعِ الأَسَلْ
فاسأَلِ المِهْرَاسَ مَنْ ساكِنُهُ   بعدَ أَبْدَانٍ وهَامٍ كالحَجَلْ

وإنما نَسَبَ شِبْلٌ قتلَ حمزةَ إلى بنى أمية؛ لأن أبا سفيانَ بنَ حَرْبٍ كان قائدَ الناسِ يومَ أُحُدٍ. و « القتيل الذى بِحَرَّانَ » هو إبراهيمُ بن محمد بن عليّ، وهو الذى يقال له الإمامُ، وكان يُقال: ضَحَّى بنو حَرْبٍ بالدِّينِ يوم

كَرْبَلاَء ، وَضَحَّى بنو مروانَ بالمُرُوءةِ يوم العَقْرِ ؛ فيومُ كَرْبلاَء يومُ الحسين بن على بن أبى طالبٍ وأصحابِهِ . ويومُ العَقْرِ يومُ قُتِلَ يزيدُ بن المهلب وأصحابُهُ * وإنما ذكرنا هذا لِتَقَدُّمِ قريشٍ فى إكرامِ مواليها . ولّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم جيشَ مُوتَةَ زيداً مولاه ، وقال : إن قُتِلَ فأميرُكم جعفرٌ ، وأمَّرَ رسولُ الله أُسامةَ بنَ زيدٍ ، فبلغه أن قومًا قد طعَنُوا فى إمارته ، وكان أمَّرَهُ على جيشٍ فيه جِلَّةُ المهاجرينَ والأنصار ، فقال عليه السلامُ : « إنْ طَعَنْتُم فى إمارَته لقَدْ طَعَنْتُمْ فى إمارةِ أبيه قبلَه ، ولقد كان لها أهلاً ، وإنَّ أُسامةَ لها لأَهْلٌ » . وقالت عائشةُ : لو كان زيدٌ حيًّا ما استخلَفَ رسولُ الله غيرَهُ . وقال عبد الله بنُ عمر لأبيه : لِمَ فَضَّلْتَ أسامةَ علىَّ وأنا وهو سِيَّانِ ؟ فقال : كان أبوه أَحَبَّ إلى رسول الله من أبيكَ ، وكان أحبَّ إلى رسول الله منكَ . وأَوْصَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعضَ أزواجه لِتُميطَ عن أُسامةَ أَذًى من مُخَاطٍ أو لُعابٍ ، فكأنها تَكَرَّهَتْهُ ، فتَوَلَّى منه ذلك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بيده . وقال له يومًا ، ولم يَكُنْ أُسامةُ من أجملِ الناسِ : « لو كنتَ جاريةً لنَحَلْنَاكَ وحَلَّيْنَاكَ حتى يَرْغَبَ الرجالُ فيكَ » . وفى بعض الحديث أنه قال: «أسامةُ مِنْ أَحَبِّ الناسِ إلىَّ» . وكان صلى الله عليه وسلم أَدَّى إلى بنى قُرَيْظَةَ مكاتبةَ سَلْمانَ ، فكان سلمانُ مَوْلَى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال علىُّ بن أبى طالب عليه السلام : سلمانُ مِنَّا أهلَ البيتِ . ويُرْوَى أنَّ المهدىَّ نُظِرَ إليه ويَدُ عُمارةَ بنِ حمزةَ فى يده ، فقال له رجلٌ : مَنْ هذا يا أميرَ المؤمنين ؟ فقال : أخى وابنُ عمِّى

عمارةُ بن حمزةَ ، فلما وَلَّى الرجلُ ذَكَرَ ذلك المهدىُّ كالمازحِ لعُمارةَ ، فقال له عمارةُ : انتظرتُ أن تقولَ ومولاىَ فأَنْفُضَ واللهِ يدَكَ من يدِى ، فتبسمَ أميرُ المؤمنين المهدىُّ . ولم يَكُنِ الإكرامُ للموالى فى جُفاة العربِ زَعَمَ الأثيثُ أنه كانتْ بين جعفرِ بن سليمانَ وبينَ مِسْمَعِ بنِ كِرْدِينَ منازعةٌ ، وبين يَدَىْ مِسْمَعٍ مَوْلًى له ، له بَهاءٌ ورُواءٌ وَلَسَنٌ(١) ، فوَجَّهَ جعفرٌ إلى مِسْمَعٍ مَوْلًى له ليُنَازِعَه ، ومجلسُ مِسْمَعٍ حافلٌ ، فقال : إنْ أنصفَنِى وَاللهِ جعفرٌ أنْصَفْتُه ، وإن حَضَرَ حضرتُ معَه ، وإنْ عَنَدَ عنِ الحق عَنَدْتُ عنه ، وإنْ وَجَّهَ إلىَّ مولًى مثلَ هذا ، وأَوْمَأَ إلى مولَى جعفرٍ ، فقال : مَوْلًى مثلَ هذا عاضًّا لما يَكْرَهُ ، وَجَّهْتُ إليه ، وأَوْمَأَ إلى مولاه ، فَعَجِبَ أهلُ المجلس من وضعه مولاه ذلك الذى تَبْهَى بمثله العربُ ! ! وقد قيلَ : الرجلُ لأبيه ، والمولَى من مَوالِيه . وفى بعض الأحاديث أنَّ المُعْتَقَ من فَضْلِ طِينَةِ المُعْتِقِ . ويُرْوَى أنَّ سَلْمَانَ أَخَذَ من بين يَدَىْ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم تمرةً من تمرِ الصدقة فوضعها فى فيه ، فانتزعها منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « يا أبا عبد الله ! إنما يَحِلُّ لك من هذا ما يَحِلُّ لنَا » . ويُرْوَى أن رجلاً من موالى بنى مازنٍ يُقال له عبدُالله بن سليمانَ ، وكان من جِلَّةِ الرجالِ ، نازَعَ عَمْرَو بن هدَّابٍ المازنىَّ ، وهو فى ذلك الوقتِ سَيِّدُ بنى تميمٍ قاطبةً(٢) ،

---

(١) بحاشية : « يقال : بَهِىَ يَبْهَى بَهاءً ، وبَهُوَ يَبْهُو ، والبَهِىُّ : السَّنِىُّ ، والبهاء : ماعلا العينَ حسنُه . الرُّواء : حسنُ المَنْظَرِ فى البهاء والجمال ، يقال امرأة لها رُواء » .

(٢) بحاشية ا : « ابن شاذانَ : يقال جاء القوم قاطبة ، أى بأجمعهم » .

فَظَهَرَ عليه المولَىٰ حتى أُذِنَ له في هدم دارِه ، فَأَدْخَلَ الفَعَلَةَ دارَ عَمْرٍو ، فلما قَلَعَ من سَطْحِه سَافًا(١) كَفَّ عنه ، ثم قال : يا عَمْرُو ! قد أَرَيْتُكَ القُدْرَةَ وساريكَ العفوَ * وقد كان في قريشٍ مَنْ فيه جَفْوَةٌ ونَبْوَةٌ . كان نَافِعُ بن جُبَيْرٍ ، أحدُ بنى نَوْفَلِ بن عبد مَنَافٍ ، إذا مُرَّ عليه بالجَنَازةِ سأل عنها ، فإن قيل قرشيٌّ قال واقوماهُ ! وإن قيلَ عربيٌّ قال : وامَادَّتاهُ ! وإن قيل مَوْلًى أو عَجَمِيٌّ(٢) قال : اللهم هُمْ عبادُكَ تأْخُذُ منهم من شِئْتَ وتَدَعُ مَنْ شِئْتَ !! ويُرْوَى أنَّ ناسكاً من بنى الهُجَيْم بن عَمْرِو بن تميم كان يقولُ في قَصَصِهِ : اللهم اغْفِرْ للعربِ خاصّةً وللموالِى عامةً ، فأَمَّا العَجَمُ فهم عَبِيدُكَ والأَمْرُ إليكَ !! وزَعَمَ الأصمعىُّ قال : سمعتُ أعرابيًّا يقول لآخر : أَتُرَىٰ هذه العَجَم تَنْكِحُ نساءَنَا في الجنة ؟ قال : أُرَىٰ ذلك واللهِ بالأعمالِ الصالحةِ ، قال : تُوطَأُ واللهِ رقابُنا قبلَ ذلك !! وهذا بابٌ لم نكن ابتدأنا ذكرَه ، ولكنَّ الحديثَ يَجُرُّ بعضُه بعضاً ، ويُحْمَلُ بعضُه على لفظ بعضٍ .

*

ثم نعودُ إلى ما ابتدأناه إن شاء الله ، وهو ما نختارُه من مختصراتِ

---

(١) الساف في البناء : كل صف من اللبن ، يقال : سافٌ من البناء وسافان وثلاثة آسف ، وألفه واو في الأصل .

(٢) بحاشية ا : « يقال : رجل أعجمى وعجمى ، فمن قال أعجمى نسبه إلى الأعجم ، ومن قال عجمى نسبه إلى العَجَم . وقالوا العَجَم والعَرَب والعُجْم والعُرْب والأعاجم والأعارب ، وقال الخليل : العَجَم الذين ليسوا من العرب ، ورجل عجمى ليس بعربى ، وأما الذى لا يفصح فهو أعجم والمرأة عجماء وقوم عُجْم لا يفصحون ، ويقولون : هؤلاء العُرب والعُجم ، والعَرب والعَجم أحسن اللغتين » .

الخُطَبِ وجميلِ المواعظِ ، والزُّهدِ فى الدنيا ، المتصلِ بذلك ، وبالله التوفيقُ.

بسم الله الرحمن الرحيم

قد ذكرنا فى صدر كتابنا هذا أنَّا نذكرُ فيه خُطَباً ومواعظَ . فممَّا نَذْكُره من ذلك أمرُ التعازِى والمَرَاثِى ؛ فإنَّهُ بابٌ جامعٌ ، وقد قيل أنه لم يُقَلْ فى شىء قَطُّ كما قيل فى هذا الباب ؛ لأن الناسَ لا ينفَكُّونَ من المَصايبِ ، ومن لم يَثْكَلْ أخاه ثَكِلَهُ أخوه ، ومن لم يَعْدَمْ نفيسًا كان هو المعدومَ دونَ النفيسِ ، وحَقُّ الإنسانِ الصبرُ على النوائب ، واستشعارُ ما صدَّرناه ، إذ كانت الدنيا دارَ فِراقٍ ودار بَوارٍ ، لا دار استواء . وعلى فِراقِ المألوفِ حُرْقَةٌ لا تُدْفَعُ ، ولَوْعَةٌ لا تُرَدُّ ، وإنما يَتَفاضَلُ الناسُ بصحة الفكر ، وحسنِ العَزاء ، والرغبةِ فى الآخرةِ ، وجميلِ الذِّكْرِ ، فقد قال أبو خِراشٍ الهُذَلِىُّ ، وهو أحدُ حُكَماء العربِ ، يَذْكُرُ أخاه عُرْوَةَ بن مُرَّةَ :

تقولُ أَرَاهُ بعدَ عُرْوَةَ لاهِيًا ... وذلكِ رُزْءٌ لو عَلِمْتِ جَلِيلُ[1]

فلا تَحْسَبِى أنِّى تناسَيْتُ عهدَه ... ولكنَّ صَبْرِى يا أُمَيْمَ جَمِيلُ

وقال عَمْرُو بن مَعْدِى كَرِبَ :

كم من أخٍ لى حازمٍ ... بوَّأْتُهُ بِيَدَىَّ لَحْدَا[2]

---

(١) بحاشية ا : « رواية المهابى أراه بفتح الهمزة ، ورواية ابن شاذانَ أُراه بضمها . ابن شاذان : لاهياً لاعباً » .

(٢) بحاشية ا : « قال ابن شاذان : قال أبو عمر : الرواية بِتَدِىَّ لحدًا . وقال : تَدِىٌّ اسم موضع » . وهذه فائدة نفيسة ، فان هذا المكان لم يذكر فى معجم البلدان ولا صفة ...

أعْرَضْتُ عن تَذْكارِهِ وخُلِقْتُ يومَ خُلِقْتُ جَلْدَا

وكان يقال : من حدَّثَ نفسَه بالبقاء ، ولم يُوَطِّنْها على المصايب فعاجزُ الرَّأيِ . وعَزَّى رجلٌ رجلاً عن ابنه فقال : أكانَ يغيبُ عنك ؟ قال : كانت غَيْبَتُه أكْثرَ من حضوره ، قال : فأنْزِلْهُ غائبًا عنك ، فإنه إن لم يَقْدَمْ عليك قَدِمْتَ عليه . وقال إبرٰهيمُ بنُ المَهْدِيِّ يذكر ابْنَهُ :

وإنِّى وإنْ قُدِّمْتَ قَبْلِى لَعَالِمٌ بأَنِّى وإنْ أبطأْتُ منكَ قَرِيبُ

وإنَّ صَباحًا نَلْتَقِى فى مَسَائِهِ صباحٌ إلى قَلْبِى الغَدَاةَ حَبِيبُ

وكفَى باليأسِ مُعَزِّيًا وبانقطاعِ الطَّمَعِ زاجرًا ، كما قال الشاعرُ :

أَيَا عَمْرُو لم أَصْبِرْ ولِى فيكَ حِيلةٌ ولكنْ دَعانِى اليأسُ منكَ إلى الصَّبْرِ

تَصَبَّرْتُ مغلوبًا وإنِّى لَمُوجَعٌ كما صَبَرَ العطشانُ فى البَلَدِ القفْرِ

وقال بعضُ المُحْدَثين [قال الأخفشُ : هو حَبيبٌ الطائىُّ] . وليس بناقِصِهِ حَظَّهُ من الصوابِ أنه مُحْدَثٌ ، يقولُه لرجلٍ رثاه :

عَجِبْتُ لِصَبْرِى بعدَه وهْوَ مَيِّتٌ وقد كنتُ أَبْكيهِ دَمًا وهو غائبُ

على أنها الأيامُ قد صِرْنَ كلُّها عجائبَ حتى ليسَ فيها عجائبُ

وحُدِّثْتُ : أنَّ عُمَرَ بن عبد العزيز لمَّا مات ابنُه عبدُ الملك خطَبَ الناسَ فقال : الحمدُ لله الذى جَعَلَ الموتَ حَتْمًا وَاجبًا على عباده ، فسوَّى فيه بين ضعيفِهم وقويِّهم ، ورَفيعِهم ودَنِيِّهم[1] ، فقال تبارك وتعالى : ﴿ كلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الموْتِ ﴾ . فَلْيَعْلَمْ ذَوُو النُّهَى منهم أنهم صائرون إلى قبورهم ، مُفْرَدون

(١) بحاشية ا : « دَنَأَ الرجلُ يَدْنَأُ دناءةً ، ودَنُؤَ يَدْنُؤُ فهو دنىء : لا خيرَ فيه » .

بأعمالهم ، واعلموا أنّ لله مسألةً فاحصةً . قال الله تبارك وتعالى : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ . وله يقولُ القائلُ :

تَعَزَّ أَمِيرَ المؤمنينَ فإنَّهُ   لِمَا قَدْ تَرَى يُغْذَى الصَّغيرُ ويُولَدُ
هَلِ ابْنُكَ إلاَّ مِنْ سُلالةِ آدمٍ   لِكُلٍّ على حَوْضِ المَنِيَّةِ مَوْرِدُ(١)

وقال رجلٌ من قريش يرثى ابنَه [قال أبو الحسن : هو العُتْبِيُّ] :

بأَبِي وأُمِّي مَنْ عَبَأْتُ حَنُوطَهُ   بِيَدِي ووَدَّعَنِي بِمَاءِ شَبَابِهِ(٢)
كيفَ السُّلُوُّ وكيفَ صَبْرِي بعدَه؟   وإذَا دُعِيتُ فإنما أُكْنَى بِهِ

وقال ابنٌ لعمرَ بن عبد العزيز يرثى عاصِمَ بن عُمَرَ :

فإنْ يَكُ حُزْنٌ أوْ تَجَرُّعُ غُصَّةٍ   أَمَارَا نَجِيعاً مِنْ دَمِ الجَوْفِ مُنْقَعَا(٣)
تَجَرَّعْتُهُ في عاصِمٍ واحْتَسَبْتُهُ   لَأَعْظَمُ منه ما احْتَسَى وتَجَرَّعَا

وقال أبو سعيدٍ إسحقُ بن خلفٍ يرثى ابنةَ أختِه ، وكان تَبَنَّاها ، وكان حَدِباً عليها كَلِفاً بها :

---

(١) بحاشية ا : « ابن شاذان : السلالة ما انسَلَّ من الشيء » .

(٢) بحاشية ا : « المهلبي : عَبَأْتُ الطيبَ عَبْأً : إذا صنعتَه وخلطتَه . وعبأْتُ المتاعَ عَبْأً : إذا هيأتَه ، وعبّأْتُه تعبئةً . قال الخليل : الحنوط بفتح الحاء طِيب يخلط للميت خاصة ، قال : وفي الحديث أن ثموداً لما استيقنوا بالعذابِ تكفنوا بالأنطاع وتحنّطوا بالصَّبِرِ » .

(٣) بحاشية ا : « ابن شاذان : مار يمور موراً : إذا جاء وذهب ، ومار الترابُ على الأرض : إذا جاء وذهب ، ومار التراب على الأرض : إذا نسفَتْه الريحُ وأمالتْه وأجالتْه » .

أمْسَتْ أُمَيْمَةُ معمورًا بها الرَّجَمُ ... لَقًى صَعيد عليها التُّرْبُ مُرْتَكِمُ(١)
يا شِقّةَ النَّفْسِ إنَّ النَّفسَ والِهةٌ ... حَرَّى عليكِ ودمعُ العينِ مُنْسَجِمُ(٢)
قد كنتُ أخْشَى عليها أنْ تُقَدِّمَني ... إلى الحِمَامِ فيَبْدِي وجْهَهَا العَدَمُ
فالآنَ نِمْتُ فلا هَمٌّ يُؤَرِّقُني ... يَهْدَا الغَيورُ إذا ما أُودِتِ الحُرَمُ
لِلمَوْتِ عندي أيادٍ لستُ أُنْكِرُهَا ... أحْيَا سرورًا وبي ممّا أتَى ألَمُ

وهذه المرثية ليستْ ممّا تَقَعُ مع الجزَع القَرَاحِ والحزن المُفْرَدِ، ولكنه بابٌ للمَراثي يجْمَعُ أفْرَاطَ الجزَعِ، وحُسْنَ الاقتصادِ، والميلَ إلى التشكي، والركونَ إلى التَّعَزِّي، وقَوْلَ مَنْ كان له واعظٌ من نفسه، أو مُذَكِّرٌ من ربه، ومَنْ غلبتْ عليه الجساوةُ(٣)، وكان طبعُه إلى القَساوة، فقد اختلطَ كُلٌّ بكلٍّ. وقال رجل من المحْدَثِينَ يرثي أخاه(٤):

تَجِلُّ رَزِيّاتٌ وتَعْرُو مَصايبٌ ... ولا مِثْلَ ما أنْحَتْ علينا يَدُ الدَّهْرِ
لقد عَرَكَتْنَا للزمانِ مُلِمَّةٌ ... أذَمَّتْ بمحمود الجَلادَةِ والصَّبْرِ(٥)

(١) الرجم — بالتحريك — القبر. اللَّقَى: الشيء الملقى لهوانه.

(٢) الشقة، بكسر السين: نصف الشيء إذا شق. وبحاشية ا: « ابن شاذان: ولهت المرأة تَوْلَهُ فهي واله والجمع وُلَّهٌ: إذا استخفها الحزن، ورجل وله ووراله وولهان، ونساء ولهات، الواحدة ولهة ووالهة ».

(٣) بحاشية ا: « ابن شاذان: جسا الشيء يجسو جُسُوًّا وجساوةً: إذا غلظ ».

(٤) في بعض النسخ « أباه » وهو الصحيح.

(٥) بحاشية ا: « ابن شاذان: يقال عراه يعروه عرواً: إذا حل به. قال: وقوله عركتنا أصل العرك عرك الأديم وغيره وهو الدلك، وتعارك القوم في الحرب تعاركا ومعاركة وعراكا. قال: ويقال أنحى عليه ينحى إذا أقبل عليه ضرباً، وكل من جد في أمر فقد انتحي فيه ينتحي كالفرس ينتحي في عدوه ».

فهذا يَحْسُن من قائله أنّ الرُّزْء كان جليلاً بإجماعٍ ، فللقائل أن يتَفَسَّح فى القول فيه ، وهذا يقولُه عبد العزيز بنُ عبد الرحيم بن جعفر بن سليمانَ بن علىٍّ بن عبد اللهِ بن عباس ، وكان عبدُ الرحيم من جِلّةِ أهله لَسَنًا(١) ونعمةً وسِنًّا وولَايةً ، ومات معزولاً عن اليمن فى حبس الخليفةِ ، وأمُّ جعفر بن سليمانَ أمُّ حسنٍ بنتُ جعفر بن حسن بن حسن بن علىّ بن أبى طالب صلوات الله عليهم ، فلذلك يقولُ عبد العزيز فى هذه القصيدة :

بموتِك يا عبدَ الرحيم بنَ جعفرٍ ... تَفاحَشَ صَدْعُ الدِّين عن الأَمِ الكَسْرِ
فيابْنَ النَّبىِّ المصطفى وابنَ بنتِهِ ... ويابْنَ عَلِىٍّ والفواطِمِ والحَبْرِ
ويابْنَ اختيارِ اللهِ من آلِ آدمٍ ... أبًا فأبًا طُهْرًا يُؤَدِّى إلى طُهْرِ
ويابْنَ سليمانَ الذى كان مَلْجَأً ... لِمَنْ ضاقتِ الدنيا به من بَنِى فِهْرِ
ومَنْ مَلأَ الدنيا سَماحًا ونائلاً ... وروَّى حَجِيجًا بالمُلَمَّعَةِ القَفْرِ(٢)
لَعَزَّ عِلينا قد نالَنا من رَزِيئةٍ ... بموتكَ محبوسًا عَلَى صاحب القَبْرِ
فإن تُضْحِ فى حبس الخليفة ثاوِيًا ... أبِيًّا لِما يُعْطِى الذَّلِيلُ على القَسْرِ
لَكَمْ من عدوٍّ للخليفة قد هَوَى ... بكفِّكَ أو أَعْطَى المَقادَةَ عن صُغْرِ
فوَا حَزَنَا لو فى الوَغَى كان موتُهُ ... بَكَيْنَا عليه بالرُّدَيْنِيَّةِ السُّمْرِ
وكنَّا وَقَيْناه القَنَا بنُحُورِنَا ... وفاتَ كذا فى غَيْرِ هَيْجٍ ولا نَفْرِ(٣)

---

(٤) بحاشية ا : « المهلبى : رجل لَسِنٌ بيِّن اللَّسَن : إذا كان حديد اللسان » .

(٥) بحاشية ا : « ابن شاذان : يقال أرض مُلَمَّعة ومُلْمِعة ولَمَّاعة : يلمع فيها السراب » .

(٦) بحاشية ا : « ابن شاذان : الهَيْج والهِياج اسمان للحرب . والنفْر مصدر نفَر ينفُر وينفِر نفْراً ونفوراً ، والنفير القوم النافرون للحرب أو غيرها » .

وحُدِّثتُ أنَّ عمرَ بن الخطاب لمّا وَلَّى كَعبَ بن سُورٍ الأَزْدِيَّ قضاء البصرةِ أقام عاملاً له عليها إلى أن اسْتُشْهِدَ ، على أنه كان قد عزَله ثم رده ، فلما قام عثمانُ بن عفّانَ أَقرَّه ، فلما كان يومُ الجَمَلِ خرج مع إخوة له ، قالوا ثلاثةٌ ، وقالوا أربعةٌ ، وفي عنقه مُصْحَفٌ ، فقُتِلوا جميعاً ، فجاءت أُمُّهم حتى وقفتْ عليهم فقالت :

يا عَيْنُ جُودِي بدمعٍ سَرِبْ ... على فِتْيَةٍ من خِيار العَرَبْ
وما لهمُ غيْرَ حَيْنِ النُّفو ... سِ أَيُّ أَمِيرَيْ قريش غَلَبْ ؟

هـذه الرواية « سَرِب » وقالوا معناه : جارٍ في طريقه ، من قولهـم : « انْسَرَبَ في حاجته » وبيت ذي الرُّمَّةِ يُخْتارُ فيه الفتحُ * كأنَّه من كُلَى مَفْرِيَّةٍ سَرَبُ * لأنه اسمٌ ، والأولُ المكسورُ نعتٌ ، ويقبح وضعُ النعتِ في موضع المنعوتِ غيرِ المخصوص [قال أبو الحسن : حقُّ النعتِ أن يأتيَ بعدَ المنعوت ، ولا يقعَ في موقعه حتى يَدُلَّ عليه فيكونَ خاصًّا له دون غيره ، تقول : جاءني إنسانٌ طويلٌ ، فإن قلتَ جاءني طويلٌ لم يَجُزْ ؛ لأن طويلاً أعمُّ من قولكَ إنسانٌ ، فلا يدل عليه ، فإن قلت : جاءني إنسانٌ متكلمٌ ثم قلت بَعْدُ : جاءني متكلمٌ جازَ ؛ لأنك تَدُلُّ به على الإنسان ، فهذا شرحُ قوله المخصوص] . وقولها : « غيْرَ حَيْنِ النُّفوسِ » نَصْبٌ على الاستثناء الخارج من أول الكلام ، وقد ذكرناه مشروحاً * والمراثي كثيرةٌ كما وصفنا ، وإنما نكتُب منها المختارَ والنادرَ والمُتَمَثَّلَ به السائرَ . فمن مَليح ما قيلَ قولُ رجلٍ يرثي أباه [قال أبو الحسن : يقال أنه ابنٌ لأبي العَتاهِيَةِ] :

قَلْبِ يا قَلْبِ أَوْجَعَكْ   مَا تَعَدَّى فَضَعْضَعَكْ[١]
يا أَبِي ضَمَّكَ الثَّرَى   وطَوَى المَوْتُ أَجْمَعَكْ
ليتني يومَ مُتَّ صِرْ   تُ إِلَى تُرْبَةٍ مَعَكْ
رَحِمَ اللهُ مَصْرَعَكْ   بَرَّدَ اللهُ مَضْجَعَكْ

وقال إبراهيم بنُ المهديّ يرثى ابنَه، وكان مات بالبصرة :

نَأَى آخِرَ الأيامِ عنكَ حَبيبُ   فلِلْعَيْنِ سَحٌّ دائمٌ وغُرُوبُ[٢]
دَعَتْهُ نَوًى لاَ يُرْتَجَى أَوْبَةٌ لَها   فقَلْبُكَ مسلوبٌ وأنتَ كَئِيبُ
يَؤُوبُ إلى أَوْطَانِهِ كلُّ غائبٍ   وأَحْمَدُ فى الغُيَّابِ ليسَ يَؤُوبُ
تَبدَّلَ دارًا غيرَ دَارِي وجِيرَةً   سِوَايَ، وأحداثُ الزمانِ تَنوبُ
أَقامَ بها مستوطِنًا غيرَ أَنَّه   على طُولِ أَيَّامِ المُقامِ غَرِيبُ
كأَنْ لم يكُنْ كالغُصْنِ فى مَيْعَةِ الضُّحَى   سَقاهُ النَّدَى فاهتَزَّ وهْو رَطِيبُ[٣]
كأَنْ لَمْ يَكُنْ كالدُّرِّ يَلمَعُ نُورُهُ   بِأَصْدَافِهِ لمّا تَشِنْهُ ثُقُوبُ
كأَنْ لم يكن زَيْنَ الفِناءِ ومَعْقِلَ النِّـ   ـسَاءِ إِذَا يومٌ يكونُ عَصِيبُ[٤]
ورَيْحَانَ صَدْرِي كانَ حينَ أَشَمُّهُ   ومُؤْنِسَ قَصْرِي كانَ حينَ أَغِيبُ
وكانتْ يَدِي مَلأَى به ثم أصبحتْ   بحمدِ إلٰهي وهْيَ منه سَلِيبُ
قليلاً من الأَيَّامِ لم يَرْوَ ناظِرِى   بها منه حتى أَعْلَقَتْهُ شَعُوبُ[٥]

(١) بحاشية ا : « ابن شاذان : قوله ضعضعك أى أضعفك، تضعضع الرجل إذا ضعف وخف جسمه » .

(٢) بحاشية ا : « ابن شاذان : السح الصبُّ . وغَرْب الدمع سيله، والجميع غروب »

(٣) بحاشية ا : « المهلبي : ميعة كل شيء أوله، وميعة الشباب حدته وأوله » .

(٤) بحاشية ا : « المهلبي : يوم عصيب شديد فى الشر خاصة، ويوم عصبصب مثله » .

(٥) بحاشية ا : « شعوب من أسماء المنية، لا يدخله الألف واللام » .

كَظِلِّ سَحَابٍ لم يُقِمْ غيرَ ساعةٍ   إلى أن أطاحَتْهُ فطاحَ جَنُوبُ
أو الشمسِ لمَّا مِنْ غَمامٍ تحَسَّرَتْ   مَساءً وقد وَلَتْ وحان غُرُوبُ
سأَبكيكَ ما أبقَتْ دموعيَ والبُكى   بعينَىَّ ماءٌ يا بُنَيَّ يُجِيبُ
وما غارَ نجمٌ أوْ تغَنَّتْ حمامةٌ   أو اخضَرَّ فى فَرْعِ الأَراكِ قضِيبُ
حياتِيَ ما دامتْ حياتِي فإنْ أمُتْ   ثَوَيْتُ وفى قلبى عليكَ نُدُوبُ[1]
وأضمِرُ إنْ أنفَدْتُ دَمْعِيَ لَوْعةً   عليكَ لها تحتَ الضُّلوعِ وَجِيبُ
دَعوتُ أطِبّاءَ العراقِ فلم يُصِبْ   دَوَاءَكَ منهم فى البلادِ طَبِيبُ
ولَمْ يَمْلِكِ الآسُونَ دفعاً لِمُهْجَةٍ   عليها لِأَشْرَاكِ المَنُونِ رَقيبُ
قَصَمْتَ جَناحِي بعدَ ماهدَّ مَنْكِبِي   أَخُوكَ، فرأْسِي قد علاه مَشِيبُ
فأَصْبَحْتُ فى الهُلاّكِ إلاّ حُشاشةً   تُذَابُ بنارِ الحُزْنِ فَهْيَ تَذُوبُ
تَوَلَّيْتُمَا فى حِقْبَةٍ فتَرَكْتُمَا   صَدًى يَتَوَلَّى تارَةً ويَثُوبُ
فلا مَيْتَ إلاّ دونَ رُزْئِكَ رُزْؤُه   ولو فُتِّتَتْ حُزْناً عليه قلوبُ
وإنِّى وإنْ قُدِّمْتَ قَبْلِي لَعالِمٌ   بأنِّى وإنْ أبطَأْتُ منكَ قَرِيبُ
وإنَّ صَبَاحاً نلتقى فى مَسائِهِ   صباحٌ إلى قلبِي الغَداةَ حَبيب

وقال أبو عبد الرحمن العُتْبي وتَتَابَعَ له بنُونَ :

كَلَّ لسانِى عن وصفِ ما أَجِدُ   وذُقْتُ ثُكْلاً ما ذاقَه أحَدُ
وأُوطِنَتْ حُرْقَةً حَشايَ فقد   ذاب عليها الفُؤَادُ والكَبِدُ

---

(١) بحاشية ا : « ابن شاذان : النَّدَب الأثر فى الجلد ، نَدِب ينْدَب نَدَباً والجمع ندوب وأنداب . قال : ويقال وجَب قلب الرجل وجيبا إذا خفَق من فزع » .

ما عالَجَ الْحُزْنَ والحرارةَ فى الـــأحشاء من لم يَمُتْ له وَلَدُ
فُجِعْتُ باثنين ليس بينهما إلاّ لَيالٍ ليستْ لها عَدَد
فَكُلُّ حُزْنٍ يَبْلَى عَلَى قِدَمِ الـــدّهرِ وحزنى يُجِدُّه الأَبَدُ

وذكر بعضُ الرواة أن عُبَيْدَ الله بن العباس بن عبد المطلب ، وكان عاملاً لعلىّ بن أبى طالب على اليمن ، فَشَخَصَ إلى علىّ واستخلفَ على اليمن عمرَو بن أَرَاكَةَ الثَّقفِىَّ ، فَوَجَّهَ مُعاويةُ إلى اليمن ونواحيها بُسْرَ بن أَرْطَاةَ أحدَ بنى عامر بن لُؤَىٍّ ، فقَتَلَ عمرو بن أَرَاكَةَ ، فَجَزِعَ عليه عبدُ الله أخوه جَزَعاً شديداً ، فقال أبوه :

لَعَمْرِى لَئِنْ أَتْبَعتَ عينيكَ ما مَضَى ... به الدهرُ أو ساقَ الحِمامُ إلى القبرِ
لَتَسْتَنْفِدَنْ مَاءَ الشُّؤُونِ بِأَسْرِهِ ... ولو كنتَ تَمْرِيهِنّ من ثَبَجِ البحرِ
لعمرى لقد أَرْدَى ابنُ أرطاةَ فارساً ... بصَنْعَاءَ كالليث الهِزَبْرِ أبى أَجْرِ
وقلتُ لعبد الله إذْ حَنَّ باكياً ... تعزَّ ، ومَاءُ العين مُنْهَمِرٌ يَجْرِى
تَبَيَّنْ فإنْ كان البُكا رَدَّ هالِكاً ... على أهله فاشْدُدْ بكاكَ على عَمْرِو
ولا تَبْكِ مَيْتاً بعد مَيْتٍ أَجَنَّهُ ... علىٌّ وعباسٌ وآلُ أَبِى بَكْرِ(١)

قوله : « من ثَبَجِ البحرِ » فثَبَجُ كلّ شىءٍ وَسَطُهُ ، ويروى فى الحديث : كنتُ إذا فاتحتُ الزُّهْرِىَّ فَتَحْتُ منه ثَبَجَ البحرِ . وقوله : « تَمْرِيهِنّ » هو مَثَلٌ ، يقال : « مَرَيتُ الناقةَ » إذا مسحتَ ضَرْعَها لتَدُرّ ، فإنّما هو استخراج اللبن ، ويقال : « مَرَيتُ برجلى الأَرضَ » إذا مسحتَها ، والأصل

---

(١) بحاشية ا : « أجنّه ، يعنى النبى عليه السلام » .

ذلك ، فإنما أراد : ولو كنتَ تستخرجُ الدموعَ من ثَبَجِ البحر . وكان بُسْرُ بن أَرْطَاةَ فى تلك الحروب أُرْشِدَ عَلَى ابنينِ لعُبيد الله بن العباس بن عبد المطلب ، وهما طفلانِ ، وأمُّهما من بنى الحٰرث بن كعب ، فوارَتْهما ، فيقال أنه أخذهما من تحتِ ذَيْلِها فقتلهما ، ففى ذلك تقول الحارِثيَّةُ :

أَلاَ مَنْ بَيَّنَ الأَخَوَيْـــنِ أُمُّهما هِيَ الثَّكْلَىٰ
تُسَائِلُ مَنْ رَأَى ابْنَيْهَا وتَسْتَبْغِي فَمَا تُبْغَىٰ

وفى ذلك تقول أيضاً :

يا مَنْ أَحَسَّ بُنَيَّيَّ اللَّذَيْنِ هما كالدُّرَّتَيْنِ تَشَظَّىٰ عنهما الصَّدَفُ(١)
يا من أحَسَّ بُنَيَّيَّ اللَّذَيْنِ هما سمعِي وطَرْفِي فطَرْفِي اليومَ مُخْتَطَفُ(٢)
يا من أحَسَّ بُنَيَّيَّ اللذَيْنِ هما مُخُّ العِظامِ فمُخِّي اليومَ مُزْدَهَفُ(٣)
نُبِّئْتُ بُسْرًا ، وما صَدَّقْتُ مَا زَعَموا مِن قولِهم ومِنَ الإِفْكِ الذى اقْتَرَفُوا
أَنْحَىٰ على وَدَجَيْ طِفْلَيَّ مُرْهَفَةً مَشْحوذةً ، وعظيمُ الإفكِ يُقْتَرَفُ
مَنْ دَلَّ وَالِهَةً حَرَّىٰ مُفَجَّعَةً على صَبِيَّيْنِ غابا إِذْ مَضَى السَّلَفُ

(١) بحاشية ا : « ابن شاذان : يقال شَظِيَ الشئْ عن موضعه وتَشَظَّى إذا زال ، والشظا عُظَيم لاصق بعظم الذراع ، فإذا زال عن موضعه قيل شظى يشْظَى » .

(٢) بحاشية ا : « ابن شاذان : يقال حسَّ يَحُسُّ حسًّا وأحسَّ ، من قولهم : حَسَسْت الشئْ وأحسسته ، والمصدر الحسّ والحَسِيس » .

(٣) بحاشية ا : « ابن شاذان : حدثنى أبو عمر عن ثعلب قال : الزهَف الحزن ، زَهِفَ يزهف زهفاً ، وأزهف إزهافاً ، وكذاك ازدهفتَ ازدهافاً » .

ويُروى أن معاويةَ لمّا أتاه موتُ عُتْبةَ تمثّلَ :

إذا سار مَنْ خَلْفَ امْرِيءٍ وأَمامَهُ وأُوحِشَ من أصحابه فهو سائرُ

فلما أتاه موتُ زيادٍ تمثّلَ :

وأُفْرِدْتُ سَهْمًا فى الكِنانة واحدًا سيُرْمى به أو يَكْسِرُ السَّهْمَ كاسِرُ

وماتت امرأةٌ للفرزدقِ بِجُمْعٍ ، ومعنى « جُمْعٍ » وَلَدُها فى بطنها [وإن شئتَ قلتَ « جِمْعٌ » يا فتى] فقال :

وجَفْنِ سِلاحٍ قد رُزِيتُ فلم أَنُحْ عليه ولم أَبْعَثْ عليه البَواكيا

وفى جوفِهِ من دارمٍ ذو حَفيظةٍ لَوَ أنَّ المَنايا أَنْسأَتْهُ لياليا

وهذا من البَغْيِ فى الحُكْمِ والتقدُّمِ . وقال رجلٌ من المُحْدَثينَ فى ابنينِ لعبد الله بن طاهر أُصيبَا فى يومٍ واحدٍ وهما طفلانِ ، شَبيهًا بهذا ، ولكنه اعتذر فَحَسُنَ قولُهُ وصحّ معناه باعتذاره ، وهو الطائىُّ :

لَهْفِى على تلك الشواهدِ فيهما لو أُمْهِلَتْ حتى تكونَ شمائلَا

إن الهلالَ إذا رأيتَ نُمُوَّهُ أيقنتَ أَنْ سيكونُ بَدْرًا كاملاَ

وقال الفرزدقُ يرثى حَدْراءَ الشَّيْبانيّةَ :

يقولُ ابنُ صَفْوانٍ بكيتَ ولم تكُنْ على امرأةٍ عَيْنِى إِخالُ لِتَدْمَعَا

يقولون زُرْ حَدْراءَ ، والتربُ دُونَهَا وكيفَ بشيءٍ عَهْدُهُ قد تَقَطَّعَا

ولَسْتُ وإنْ عَزَّتْ عَلَىَّ بزائرٍ ترابًا على مَرْمُوسةٍ قد تَضَعْضَعَا

وأَهْوَنُ مَفْقودٍ إذا الموتُ نالَهُ على المَرْءِ من أصحابه مَنْ تَقَنَّعَا

وما ماتَ عندَ ابنِ المَراغةِ مثلها ولاَ تَبِعَتْهُ ظاعِنًا يومَ وَدَّعَا

وقال جَرِيرٌ يرثى امرأته :

لولا الحياء لهاجَنِي استعْبارُ ولزُرْتُ قبرَكِ والحبيبُ يُزارُ
نِعْمَ الخليلُ وكنتِ عِلْقَ مَضِنَّةٍ ولَدَىَّ منكِ سَكينةٌ ووَقارُ
لن يُلْبِثَ القُرَناءَ أنْ يَتفرَّقوا ليــلٌ يَكُرُّ عليهمُ ونهارُ
صلّى الملائكةُ الذين تُخُيِّرُوا والصالحونَ عليكِ والأَبْرارُ
أَفأُمَّ حَزْرَةَ يا فرزدقُ عِبْتُمُ غَضِبَ المَليكُ عليكمُ الجبّارُ

وقال رجلٌ من خُزاعة ، ويُنْحَلُهُ كُثَيِّرٌ ، يرثِى عمرَ بن عبد العزيز بن مَرْوان [قال أبو الحسنِ : الذى صَحَّ عندنا أن هذا الشعرَ لقُطْرُبٍ النحوىّ :

أمَّا القُبُورُ فإنهنَّ أوانِسٌ بجوارِ قبركَ والدِّيارُ قُبورُ]
جَلّتْ رَزِيّتُهُ فعَمّ مُصابُهُ فالناسُ فيه كلُّهمْ مأجورُ
[رَدَّتْ صَنائعُهُ إليه حياتَهُ فكأنَّه من نَشْرها مَنْشُورُ]
والناسُ مَأْتَمُهُمْ عليه واحدٌ فى كلّ دارٍ رَنَّةٌ وزَفيرُ
يُثْنِى عليك لسانُ مَنْ لم تُولِهِ خيرًا لأنك بالثَّناء جَديرُ

ومثلُه قولُ عُمارةَ يمدح خالد بن يزيدَ بن مَزْيَدٍ :

أَرَى الناسَ طُرًّا حامدينَ لخالدٍ وما كلُّهم أفضَتْ إليه صَنائعُهْ
ولن يَتْرُكَ الأقوامُ أن يَمدحوا الفَتَى إذا كَرُمَتْ أخــلاقُه وطَبائعُهْ
فَتًى أَمْعَنَتْ ضَرّاؤُهُ فى عدوِّهِ وخَصَّتْ وعَمّتْ فى الصديق منافِعُهْ

ومن قوله : « والناسُ مَأْتَمُهم عليه واحدٌ » أخذَ الطائىُّ فى مَرْثِيَتِهِ :

لَئنْ أَبْغضَ الدهرُ الخَؤُونُ لِفَقْدِهِ لَعَهْدِى به حَيًّا يُحَبُّ به الدَّهرُ

لئن عَظُمَتْ فيه مُصيبةُ طَيِّءٍ　　لَمَا عُرِّيَتْ منها تَميمٌ ولا بَكْرُ

وقال القرشيُّ :

قد كنتُ أبكي على مَنْ فات من سَلَفي　　وأهْلُ وُدِّي جميعٌ غيرُ أشْتاتِ

فاليومَ إذْ فرَّقَتْ بيني وبينَهمُ　　نَوًى بكيتُ على أهل المُرُوآتِ

وما بقاءُ امرئٍ كانت مَدامعهُ　　مقسومةً بين أحياءٍ وأمواتِ

ويُروى أنَّ عليَّ بن أبي طالبٍ رضوانُ الله عليه تمثَّل عند قبرِ فاطمةَ عليها السلام :

[لِكُلِّ اجتماعٍ من خليلَيْنِ فُرْقَةٌ　　وإنَّ الذي دُونَ الفِراقِ قَليلُ]

وإنَّ افتقادِي واحدًا بعدَ واحدٍ　　دليلٌ على أن لّا يدومَ خليلُ

وقال عَقيلُ بن عُلَّفَةَ المُرِّيُّ من غَطفَانَ :

لَعَمْرِي لقد جاءتْ قَوافلُ خَبَّرَتْ　　بأمرٍ من الدنيا عليَّ ثقيلِ

وقالوا ألاَ تَبْكِي لِمَصْرَعِ هالِكٍ　　أصابَ سبيلَ الله خيرَ سَبيلِ

كأنَّ المَنايا تبتَغِي في خِيارِنا　　لَهَا تِرَةً أو تهتدِي بدليل

لِتأْتِ المَنايا حيثُ شاءتْ فإنها　　مُحَلَّلَةٌ بعدَ الفَتَى ابنِ عَقِيلِ

فَتًى كان مولاه يَحُلُّ بِنَجْوَةٍ　　فَحَلَّ المَوَالِي بعدَه بمَسِيلِ

وتمثَّلتْ عائشةُ عندَ قبر عبد الرحمن بن أبي بكرٍ بقول مُتَمِّمِ بن نُوَيْرَةَ :

وكُنَّا كَنَدْمَانَيْ جَذِيمَةَ حِقْبَةً　　من الدهرِ حتى قيلَ لن يَتَصَدَّعَا

وعِشْنا بخيرٍ في الحياةِ وقبْلَنا　　أصابَ المنايا رَهْطَ كِسْرَى وتُبَّعَا

فلمَّا تفرَّقنا كأنِّي ومالكا　　لطُولِ اجتماعٍ لم نَبِتْ ليلةً مَعَا

ومات صَدِيقٌ لسليمانَ بن عبد الملك ، يقال له شَراحِيلُ ، فتمثّل عندَ قبره :

وهَوَّنَ وجْدِي عن شَرَاحيلَ أَنّنِي إذا شئتُ لاقيتُ امْرًا ماتَ صاحِبُهْ

وقال أعرابيٌّ :

أَلاَ لَهْفَ الأَرَامِلِ واليَتَامَى ولَهْفَ الباكِياتِ على قُصَيٍّ

لَعَمْرُكَ مَا خَشِيتُ على قُصَيٍّ مَتَالِفَ بين حَجْرٍ والسُّلَيِّ

ولكِنِّي خَشِيتُ على قُصَيٍّ جَرِيرَةَ رُمْحِهِ فى كل حَيِّ

فَتَى الفِتْيانِ مُحْلَوْلٍ مُمِرٌّ وأَمَّارٌ بإرْشادٍ وغَيٍّ

فهذا الشعرُ من أجْفَى أشعار العربِ ، يُنْبِئ صاحبُه أنَّ تقديرَه فى المَرْثِيِّ أن تكونَ منيَّتُه قتلاً ، ويتأسَّفُ من موته حَتْفَ أنفِه ، ويقول فى مدحه : « وأَمَّارٌ بإرْشادٍ وغَيٍّ » * وشبيهٌ بهذا قولُ لَبِيدٍ فى أخيه أَرْبَدَ ، لمّا أصابته الصاعقةُ وأصابتْ عامرًا الغُدَّةُ بدعوةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان عامرُ بن الطُّفَيْلِ صار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أَرْبَدُ ، فقال لِأَرْبَدَ : أنا أَشْغَلُهُ لكَ واضْرِبْهُ أنت بالسيفِ من ورائِه ، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام على أن يجعل له أَعِنَّةَ الخيلِ ، فقال عامرٌ : ومَنْ يمنعُها اليومَ منِّى ، ولكنْ إن شئتَ فَلَكَ المَدَرُ ولِيَ الوَبَرُ ، أوْ لِيَ المَدَرُ ولكَ الْوَبَرُ ، فأعرض عنه رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فقال : فاجعلْ لِي هذا الأمرَ بعدكَ ، فأعلمه النبيُّ أنَّ ذلك ليس بكائنٍ ، قال : فأَبْشِرْ بخيلٍ أَوَّلُها عندكَ وآخرُها عندِي ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : يَأْبَى اللهُ ذلكَ وابنا قَيْلَةَ ، يعني الأَوْسَ والخَزْرَجَ . ويُرْوَى

أنَّ سعدَ بن عُبَادَةَ قال : يا رسول الله ، عَلامَ يَسْحَبُ هذا الأعرابيُّ لسانَه عليكَ ؟! دَعْنِي أَقْتُلْهُ . ويُرْوَى أن عامرًا قال للنبي عليه السلام : لَأَغْزُوَنَّكَ على أَلْفِ أَشْقَرَ وأَلفِ شَقْراء ، فلما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهمَّ اكْفِنِيهِمَا . وتَرْوِى قَيْسٌ أنه قال : اللهمَّ إن لم تَهْدِ عامرًا فَاكْفِنِيهِ . وقال عامرٌ لأَرْبَدَ : قد شغلته عنك مرارًا فَأَلَّا ضربتَهُ ؟ قال : أَرْبَدُ : أردتُ ذلك مرتين فاعترضَ لى فى إحداهما حائطٌ من حديدٍ ، ثم رأيتكَ الثانيةَ بيني وبينَه ، أفأقتُلُك ؟ فلم يَصِلْ واحدٌ منهما إلى منزله ، أمَّا عامرٌ فغُدَّ فى ديارِ بنى سَلُولِ بن صَعْصَعَةَ ، فجعلَ يقول : أَغُدَّةً كغُدَّةِ البعيرِ وموتًا فى بيتِ سَلُولِيَّةٍ ؟! وأمَّا أَرْبَدُ فارتفعتْ له سحابةٌ فَرَمَتْهُ بصاعقةٍ فأحرقَتْه ، وكان أَخا لبيدٍ لأُمه ، فقال يرثيه :

أَخْشَىٰ على أَرْبَدَ الحُتُوفَ ولا أَرْهَبُ نَوْءَ السِّمَاكِ والأَسَدِ
ما إنْ تُعَرِّى المَنُونُ من أحدٍ لا والدٍ مُشْفِقٍ ولا وَلَدِ
فَجَّعَنِي الرَّعْدُ والصواعقُ بالـ ـفارسِ يومَ الكريهةِ النَّجُدِ
يا عَيْنِ هَلَّا بَكَيْتِ أَرْبَدَ إذْ قُمْنَا وقامَ العَدُوُّ فى كَبَدِ[1]

وقال أيضًا :

ذهبَ الذين يُعاشُ فى أَكْنافِهِمْ وبَقِيتُ فى خَلْفٍ كَجِلْدِ الأَجْرَبِ
يتحدَّثون مَخانَةً ومَلاذةً ويُعابُ قائلُهم وإن لم يَشْغَبِ

---

(١) بحاشية ا : « ابن شاذان : يقال رجل نَجْد ونَجُد ونَجِد بيِّن النجدة : إذا كان جلداً قويا . قال : والكَبَد الشدة والمشقة » .

يا أَرْبَدَ الخيرِ الكريمَ جُدُودُهُ ... غادَرْتَني أَمْشِي بقَرْنٍ أَعْضَبِ
إِنَّ الرَّزِيئَةَ لا رَزِيئَةَ مثلُها ... فِقْدانُ كلِّ أَخٍ كَضَوْءِ الكَوْكَبِ

قوله : « في خَلْفٍ » يقال : هو « خَلَفُ فلانٍ » لمن يَخْلُفُهُ من رهطه ، وهؤلاء « خَلْفُ فلانٍ » إذا قاموا مَقامَه من غير أهلِه ، وقلما يستعمل « خَلْفٌ » إلاَّ في الشرِّ ، وأصلُه ما ذكرنا . و « المَخَانَةُ » مصدرٌ من الخيانة . و « المَلُوذُ » الذي لا يَصْدُقُ في مودَّتِه ، يقال : رجل مَلوذٌ ومَلْذانٌ ، و« مَلاذَةٌ » مصدرُه . و « الأَعْضَبُ » المقطوع ، وفي الحديث : « لا يُضَحَّى بعَضْبَاءِ » . ويُروى أن رجلاً قال لِمَعْنِ بن زائدة في مرضِه : لولا ما مَنَّ اللهُ به من بقائِك لَكُنَّا كما قال لَبيدٌ :

ذَهَبَ الذين يُعاشُ في أكنافِهِم ... وبقيتُ في خَلْفٍ كَجِلْدِ الأَجْرَبِ(١)

فقال له مَعْنٌ : إنما تَذْكُرُ أَنِّي سُدْتُ حين ذهبَ الناسُ ! هلاَّ قلتَ كما قال نَهارُ بن تَوْسِعةَ :

قَلَّدَتْهُ عُرَى الأُمورِ نِزَارٌ ... قبلَ أن تَهْلِكَ السَّرَاةُ البُحورُ

ثم نَرجِع إلى ذكر المراثي : وقال أعرابيٌّ :

لَعَمْرِي لقد نادَى بأرفعِ صوتِهِ ... نَعِيُّ حُيَيٍّ أن سيِّدَكم هَوَى
أَجَلْ صادقاً والقائلُ الفاعلُ الذي ... إذا قال قولاً أَنْبَطَ الماءَ في الثَّرَى

---

(١) بحاشية ا : « ابن شاذان : قال إنما يقال فلان خَلَفٌ صالح وفلان خَلْفُ سَوْء ، وهم خِلافُ صدقٍ وأخلافُ صدقٍ » .

فتًى قُبُلٌ لم تُعْنِسِ السِّنُّ وَجْهَهُ سِوَى وَضَحٍ فى الرأسِ كالبَرْقِ فى الدُّجَى
أشارتْ له الحربُ العَوَانُ فجاءها يُقَعْقِعُ بالأَقْرابِ أوَّلَ مَنْ أَتَى[(١)]
ولم يَجْنِهَا لكنْ جَنَاها وَلِيُّهُ فآسَى وآدَاهُ فكان كَمَنْ جَنَى

ويُروى: أنَّ عائشةَ رضى الله عنها نظرتْ إلى الخنساء وعليها صِدَارٌ[(٢)] من شَعَرٍ، فقالت: يا خنساء! أتَلْبَسِينَ الصِّدارَ وقد نَهَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عنه؟ فقالت: لم أعلمْ بِنَهْيِهِ، ولكنْ لهذا الصِّدارِ سبَبٌ، فقالت: وما هو؟ قالت لها: كان زوجى رجلاً مِتْلافًا فأخْفَقَ، فأرادَ أن يسافرَ، فقلتُ له: أقِمْ وأنا آتِى أخى صَخْرًا فأسأله، فأتيته فشاطَرَنى مالَهُ، فأتلفه زوجى، فَعُدْتُ له فعادَ لى بمثل ذلك، فأتلفه زوجى، فعدتُ له، فلما كان فى الثالثة أو الرابعة قالت له امرأةٌ [له][(٣)]: إن هذا المال مُتْلَفٌ، فامنَحْها شِرارَها، فقال صخرٌ:

واللهِ لا أَمْنَحُها شِرارَها ولو هَلَكتُ خَرَّقَتْ خِمارَها
واتَّخَذَتْ من شَعَرٍ صِدارَها

فلما هلكَ اتخذتُ هذا الصِّدارَ. وكان صخرٌ أخا الخنساء لأبيها فقط.

(١) بحاشية ا: «ابن شاذان: القعقعة اضطراب السلاح بعضه ببعض: والقُرْبُ الكشح، وهو الخصر، وجمعه أقراب. ويقال: هذا وليّ الأمر دون فلان، وهو الأَوْلى، ويقال آساه وواساه وآداه إيداء، أى أعانه».

(٢) بحاشية ا: «المهلبي: الصدار ثوب رأسه كالمقنعة وأسفله يغشى الصدر والمنكبين تلبسه المرأة، وأنشد:

* وتدمع حتى اخضلّ منها صِدارها *».

(٣) الزيادة من ثلاث نسخ.

ويُروى عن بعض نساء بنى سُلَيْمٍ أنها نظرتْ إليها فى صِدارٍ وهى تُصنع طِيبًا لابنتها لتَنقُلَها إلى زوجها ، فقاوَلَتْها فى شئ كرِهَتْه الخنساء ، فقالت لها : اسكتِى ، فوالله لقد كنتُ أبسطَ منكِ عَرْفًا[1] ، وأطيبَ منكِ وَرْسًا ، وأحسنَ منك عُرْسًا ، وأرقَّ منكِ نَعْلاً ، وأكرمَ منك بَعْلاً .

وكان بَشَّارٌ يقول : لم تَقُلِ امرأةٌ شعرًا قطُّ إلا تَبيَّنَ الضعفُ فيه ، فقيلَ له : أوَ كذلكَ الخنساء ؟ فقال : تلك كان لها أربعُ خصًى ! !

وقال القُرَشِيُّ وتَتابَعَ لَهُ بَنونَ :

أسُكَّانَ بَطْنِ الأرضِ لو يُقْبَلُ الفِدَا ... فُدِيتُمْ وأعْطَيْنَا بكم ساكِنِى الظَّهْرِ
فيا ليتَ مَنْ فيها عليها ولَيتَ مَنْ ... عليها ثَوَى فيها مقيمًا إلى الحَشْرِ
فماتُوا كأنْ لم يَعْرِفِ الموتُ غيرَهم ... فَثُكْلٌ على ثُكْلٍ وقبرٌ على قَبْرِ
لقد شَمِتَ الأعداءُ بِى وتَغَيَّرَتْ ... عُيونٌ أراها بعد موتِ أبى عَمْرِو
تَجَرَّى علىَّ الدَّهرُ لمَّا فَقَدْتُهُ ... ولو كان حَيًّا لاجْتَرَأْتُ على الدَّهْرِ
وقاسَمَنِى دهرِى بَنِىَّ مُشاطِرًا ... فلمَّا تَوَفَّى شَطْرَهُ مالَ فى شَطْرِى[2]

وحدثنى العباسُ بنُ الفَرَجِ الرِّيَاشِىُّ قال : قَدِمَ رجلٌ من البادية ، فلما صارَ بِجَبَلِ سَنَامٍ مات له بنونَ ، فدفَنَهم هناك وقال :

دَفَنْتُ الدافِنِينَ الضَّيْمَ عَنِّى ... بِرابِيَةٍ مُجاوِرَةٍ سَنَامَا
أقولُ إذا ذَكَرتُ العَهْدَ منهمْ ... بنفسِى تلكَ أصْداءً وهامَا

---

(١) بحاشية ا : « ابن شاذان : يقال شَمِمْتُ منه عَرفًا طيِّبًا ، أى أريجًا » .

(٢) بحاشية ا : « ابن شاذان : الشطر النصف من كل شئ » .

فلم أرَ مثلَهم ماتوا جميعًا ... ولم أرَ مثلَ هذا العامِ عامَا

قال أبو الحسن الأخفشُ: وفيها عن غيرِ أبي العباسِ:

فليتَ حِمامَهُمْ إذْ فارقوني ... تلقَّانا فكانَ لنا حِمامَا

قال أبو العباس: ويُروى أنَّ رجلاً كان له بنونَ سبعةٌ، يَرْوِي ذلك أبو الحسن المَدائِنيُّ، قال أبو العباس: فاختُلِفَ عليَّ فيهم، فقال قوم: كانوا تحتَ حائطٍ، وقال قومٌ آخرون: بل حُلِبَ لهم في عُلْبةٍ فمَجَّ فيها أفْعَى فبُعِثَ بها إليهم فشربوها فماتوا جميعاً، والرجلُ يقالُ له الحٰرِثُ بن عبد الله الباهِليُّ، وهلكتْ لجارٍ له شاةٌ فجعلَ يُعْلِنُ بالبكاء عليها! فقال قائلٌ:

يا أيُّها الباكِي على شاتِهِ ... يَبْكِي جِهارًا غيرَ إسْرارِ

إنَّ الرَّزِيئاتِ وأمثالَهَا ... مَا لَقِيَ الحٰرِثُ في الدَّارِ

دَعَا بَنِي مَعْنٍ وإخوانَهُمْ ... فكلُّهم يَغْدُو بِعِفْفارِ

⁂

قال أبو العباس: والمصائبُ ما عَظُمَ منها وما صَغُرَ تقع على ضربين: فالحزْمُ التَّسَلِّي عمَّا لا يُغْنِي الغَمُّ فيه، والاحتيالُ لدفعِ ما يُدْفَعُ بالحيلةِ. ومِنْ أحْسَنِ القولِ في هذا المعنَى في الإسلام، قولُ عليِّ بن الحسين بن عليِّ بن أبي طالبٍ عليهم السلام، حينَ مات ابنُه فلم يُرَ منه جَزَعٌ، فسُئِلَ عن ذلك، فقال: أمْرٌ كُنَّا نتوَقَّعُه، فلما وَقَعَ لم نُنْكِرْهُ. وفي هذا زيادةٌ تُنْتَظَرُ، وفضْلُ تسليمٍ لقضاءِ الله عز وجل. والعربُ تقولُ: الحَذَرُ أشَدُّ من الوَقِيعة. وقال رجلٌ من الحكماء: إنما الجَزَعُ والإشْفاقُ قبلَ وقوعِ

الأمر ، فإذا وقع فالرِّضَا والتسليمُ . ومن هذا قولُ عمرَ بن عبد العزيز رحمه الله : إذا استأثر اللهُ بشيءٍ فالْهَ عنه . يقال : « لَهِيتُ عن الأمرِ أَلْهَى » إذا أضربتَ عنه[1] ، و « لَهَوْتُ أَلْهُو » من اللَّعِبِ . ومن أَقْدَمِ ما قيلَ فى هذا المعنى قولُ أَوْسِ بن حَجَرٍ الأُسَيْدِيُّ ، من بنى أُسَيِّدٍ[2] بن عَمْرو بن تَمِيم ، يَرْثِى فَضَالَةَ بنَ كَلَدَةَ أحدَ بنى أَسَدِ بن خُزَيْمَة :

أَيَّتُهَا النفسُ أَجْمِلِى جَزَعَا ... إِنَّ الذى تَحْذَرِينَ قد وَقَعَا
إِنَّ الذى جَمَّعَ السَّمَاحَةَ والـ ... ـنَّجْدَةَ والحَزْمَ والقُوَى جُمَعَا
[أَوْدَى فمَا تَنْفَعُ الإِسَاءَةُ مِن ... شَىْءٍ لِمَنْ قد تَحَاوَلَ البِدَعَا]
الأَلْمَعِىُّ الذى يَظُنُّ لَكَ الـ ... ـظَّنَّ كأَنْ قد رَأَى وقد سَمِعَا
المُخْلِفُ المُتْلِفُ المُرَزَّأُ لَمْ ... يُمْتَعْ بِضَعْفٍ ولم يَمُتْ طَبِعَا
والحافظُ الناسَ فى تَحُوطَ إذَا ... لم يُرْسِلوا خَلْفَ عائذٍ رُبَعَا
وعَزَّتِ الشَّمْأَلُ الرِّيَاحَ وقد ... أَمْسَى كَمِيعُ الفَتَاةِ مُلْتَفِعَا
وشُبِّهَ الهَيْدَبُ العَبَامُ مِنَ الـ ... أَقْوَامِ سَقْبًا مُلَبَّسًا فَرَعَا
وكانتِ الكاعبُ المُنَعَّمَةُ الـ ... حَسْنَاءُ فى زَادِ أَهْلِها سَبُعَا
لِيَبْكِكَ الشَّرْبُ والمُدَامَةُ والـ ... فِتْيَانُ طُرًّا وطامعٌ طَمِعَا
وذاتُ هِدْمٍ عارٍ نَوَاشِرُهَا ... تُصْمِتُ بالماءِ تَوْلَبًا جَدِعَا

(١) بحاشية ا : « يقال أضرب فلان عن الشيء : إذا كف عنه » .

(٢) بحاشية ا : « النسبُ إلى أُسَيِّدِ أُسَيْدِىّ بالتخفيف لا غير » . وفى الاشتقاق لابن دريد ص ١٢٧ : « كرهوا كثرة الكسرات » .

وفيها زيادةٌ لكنّا اختزنا . قولُه : « الألمعيُّ » الحديدُ اللسانِ والقلبِ ، وقد أبانَه بقوله : « الذى يَظُنُّ لك الظَّنَّ كأنْ قَدْ رَأى وَقد سَمِعَا » . وقوله : « المخلِفُ المتلِفُ » أراد أنه يُتْلِفُ مالَه كرَمًا ويُخْلِفهُ نَجْدةً ، كما قال :

ناقتُهُ تُرْقِلُ فى النِّقَالِ   مُتْلِفُ مَالٍ ومُفِيدُ مالِ(١)

وقال آخر :

* فأَتْلَفَ ذاكَ مِتْلَافٌ كَسُوبُ *

و « المُرَزَّأُ » الذى تنالُه الرَّزيئاتُ فى ماله لما يُعْطِى ويُسْئَل . و « الإمتاعُ » الإقامة ، فيقول : لم يُقِمْ وهو ضعيفٌ . و « الطَّبَعُ » أسوأُ الطَّمَعِ ، وأصلُه أنَّ القلبَ يعتادُ الخَلَّةَ الدنيئةَ فتركبُه كالحائلِ بينَه وبينَ الفهم ، لِقُبْحِ ما يَظهر منه ، وهذا مثلٌ ، وأصلُه فى السيفِ وما أشبهه . يقال : « طَبِعَ السيفُ » إذا ركبه صدأٌ يَسْتُرُ حديدَهُ و ﴿ طَبَعَ اللَّهُ على قُلُوبِهِمْ ﴾ مِنْ ذَا . و « مَحُوطٌ » و « قَحُوطٌ » اسمانِ للسَّنَةِ الجَدْبَةِ ، كما يقال حَجْرَةٌ وكَحْلٌ . وقوله : « لم يُرْسِلُوا خَلْفَ عائذٍ رُبَعًا » فالعائذُ الحديثةُ النِّتاجُ ، و « الرُّبَع » الذى يُنتَجُ فى الربيعِ ، ومن شأنِهم فى سَنَةِ الجدبِ أن يَنْحَرُوا الفِصَالَ ، لِئلاَّ تَرْضَعَ فتَضُرَّ بالأُمَّهاتِ . وقوله : « وعَزَّتِ الشَّمْأَلُ الرِّيَاحَ » يقولُ غَلَبَتْها ، وتلك علامةُ الجَدْبِ وذَهابِ الأمطارِ ، ومن ذلك قولُهم : « مَنْ عَزَّ بَزَّ »

(١) بحاشية ا : « ابن شاذان : يقال أرقلت الناقة إرقالاً ، وهو ضرب من المشى ، وناقة مُرقِل من إبل مَراقيلَ . ابن شاذان : النقَل الحجارة ، وناقلتِ الناقة نقالاً إذا جرت كأنها تتقى ذلك ، لا يكون إلاّ فى أرض ذات حجارة » .

أى مَنْ غَلَبَ اسْتَلَبَ ، وفى القرآن : ﴿ وَعَزَّنى فى الخطابِ ﴾ أى غَلَبَنِى فى المخاطبة . وقوله : « وقد أَمْسَىٰ كَمِيعُ الفَتَاةِ » فالكَمِيعُ الضَّجِيعُ ، وهو الكِمْعُ ، قال الراجزُ :

* ومَشْحُوذُ الغِرَارِ يَبِيتُ كِمْعِي *

يعنى السيفَ ، أى يَبِيتُ مُضاجِعى . « مُلْتَفِعًا » يقال : تَلَفَّعَ فى مُطْرَفِهِ وفى كسائه » إذا تَلَفَّفَ وتَزَمَّلَ فيه ، فيقول : من شِدَّةِ الضُّرِّ يَلتفعُ به دون ضَجيعه . و « الكاعِبُ » التى كَعَبَ ثَدْيُهَا ، يقول : تصيرُ كالسَّبُعِ فى زادِ أهلها بعد أن كانت تعافُ طَيِّبَ الطعامِ . وقوله « وذاتُ هِدْمٍ » . يعنى امرأةً ضعيفةً ، و « الهِدْمُ » الكساءُ الخَلَقُ الرَّثُّ . وقوله : « عارٍ نَوَاشِرُها » . « النواشِرُ » عروقُ الساعد . و « التَّوْلَبُ » الصغيرُ . و « الجَدَعُ » السَّيِّءُ الغِذَاء ، وهو الجَحِنُ والقَتِينُ * وقال أعرابىٌّ :

خَلِيلَىَّ عُوجَا بَارَكَ اللهُ فيكما على قبرِ أَهْبَانٍ سَقَتْهُ الرَّوَاعِدُ
فَذَاكَ الفَتَىٰ كلُّ الفَتَىٰ كان بينَهَ وبَيْنَ المُزَجَّىٰ نَفْنَفٌ مُتَبَاعِدُ
إذا نازعَ القومَ الأحاديثَ لم يكنْ عَيِيًّا ولا عِبْأً على مَنْ يُقَاعِدُ

وقالت لَيْلَى الأَخْيَلِيَّةُ :

دَعَا قابضًا والمُرْهَفَاتُ يَنُشْنَهُ فَقُبِّحْتَ مَدْعُوًّا ولَبَّيْكَ دَاعِيَا
فَلَيْتَ عُبَيْدَ اللهِ كانَ مكانَه صَرِيعًا ولم أَسمعْ لِتَوْبَةَ نَاعِيَا

وكان سببُ هذا الشعر أنَّ تَوْبَةَ بنَ حُمَيِّرٍ العُقَيْلِىَّ ثم الخَفَاجِىَّ غزا

فَغَنِمَ ، ثم انصرفَ فَعَرَّسَ فى طريقه فأَمِنَ فقَال(١) ، فَنَدَّتْ فرسُه ، فأحاط به عدوُّه ، ومعه عبيدُ الله أخوه وقابِضٌ مولاه ، فدعاهما ، فَذَبَّبَ عُبيدُ الله شيأً وانهزَما وقُتِلَ توبةُ ، ففى ذلك تقولُ ليلَى الأَخيليّةُ :

أَعَيْنِى أَلاَ فَابْكِى على ابْنِ حُمَيِّرٍ ... بدمعٍ كَفَيْضِ الجَدْوَلِ المُتَفَجِّرِ
لِتَبْكِ عليه من خَفاجةَ نِسْوَةٌ ... بماء شُؤُونِ العَبْرَةِ المُتَحَدِّرِ
سَمِعْنَ بِهَيْجَا أَزْحَفَتْ فَذَكَرْنَهُ ... وقد يَبْعَثُ الأَحزانَ طولُ التَّذَكُّرِ
كأَنَّ فَتَى الفِتْيَانِ تَوْبَةَ لم يُنِخْ ... بِنَجْدٍ ولم يَطْلُعْ مع المُتَغَوِّرِ
ولم يَرِدِ المَاءَ السِّدَامَ إِذَا بَدَا ... سَنَا الصُّبحِ فى أعقابِ أَخْضَرَ مُدْبِرِ
ولم يَقْدَعِ الخصمَ الأَلَدَّ ويَمْلَإِ الْـ ... ـجِفَانَ سَدِيفًا يومَ نَكْباءَ صَرْصَرِ(٢)
أَلاَ رُبَّ مكروبٍ أَجبْتَ وخائفٍ ... أَجَرْتَ ومعروفٍ لديكَ ومُنْكَرِ
فَيا تَوْبَ لِلْمَوْلَى ويَا تَوْبَ لِلنَّدَى ... ويَا تَوْبَ لِلْمُسْتَنْبِحِ المُتَنَوِّرِ

قولها : « لِتَبْكِ عليه من خفاجةَ نسوةٌ » تعنى خفاجةَ بن عُقَيْلِ بن كَعبِ بن ربيعةَ بن عامرِ بن صَعْصعةَ . و « الهيجاء » تُمَدُّ وتُقصر ، وقد مَرَّ هذا . وقولها : « بِنَجْدٍ ولم يَطْلُعْ مع المُتَغَوِّرِ » فالنَّجْدُ كلُّ ما أَشْرَفَ

(١) بحاشية ا : « ابن شاذان : يقال قال الرجل يَقيل قَيْلاً ومَقيلاً من القيلولة والقائلة، وهو نوم نصف النهار ، والقَيْلُ شرب نصف النهار ، تَقيّل الرجلُ وقال إذا شرب فى وقت المقيل ، قال الراجز * إن قال قيلوا لم أكن فى القُيَّلِ * ويروى : إن قِيل قيلوا » .

(٢) بحاشية ا : « ابن شاذان : حدثنى أبو عمر عن ثعلب : يقال ريح صرصر ، أي باردة » .

من الأرضِ ، والغَوْرُ كلُّ ما انخفضَ . ويقال : « ماءٌ سِدَامٌ ومياهٌ سُدُمٌ » وهى القديمة المنْدَفِنَةُ(١) ، قال الشاعرُ :

وعِلْبِي بأسْدَامِ المياهِ فلم تَزَلْ ... قَلائِصُ تُخْدَى فى طَرِيقٍ طَلائِحِ

و « سَنَا الصُّبحِ » ضَوْءه ، وهو مقصورٌ ، فإذا أردتَ الحَسَبَ مددتَ . و « الأَخْضَرُ » الذى ذَكَرَتِ الليلُ ، والعربُ تُسَمِّى الأسودَ أخضرَ . وقولها « ولم يَقْدَعِ الخَصْمَ الأَلَدّ(٢) » فالألدُّ الشديدُ الخصامِ . و « السَّدِيفُ » شِقَقُ السَّنَامِ . و « النَّكْباء » الريحُ بين الرِّيحَيْنِ الشديدةُ الهُبوبِ . و « الصَّرْصَرُ » الشديدةُ الصوتِ . و « المُسْتَنْبِحُ » الذى يَسْرِى فلا يَعْرِفُ مَقْصِدًا ، فيَنْبِحُ لتُجيبَه الكِلابُ فيَقْصِدَها . و « المُتَنَوِّرُ » الذى يلتمسُ ما يَلوحُ له من النارِ فيقصدُه . قال الأَخْطَلُ يُعَيِّرُ جَريرًا :

قومٌ إذا اسْتَنْبَحَ الأَضْيافُ كَلْبَهُمُ ... قالوا لِأُمِّهِمُ : بُولِى على النّارِ

فيقال أن جريرًا توجَّع من هذا البيتِ ، وقال : جَمَعَ بهذه الكلمة ضروبًا من الهجاء والشتم ، منها البخلُ الفاحشُ ، ومنها عقوقُ الأمّ فى ابتذالها دونَ غيرِها ، ومنها تقذيرُ الفِنَاء ، ومنها السَّوْءَة التى ذكرَها من الوالدة . وقال آخرُ :

وإنّى لأَطْوِى البَطْنَ من دُونِ مِلْئِهِ ... لِمُخْتَبِطٍ فى آخرِ الليلِ نابِحِ

---

(١) فى بعض النسخ وعليها طبعات مصر « المندفقة » بالقاف بدل النون ، وهو خطأ ، وانظر شرحنا على المفضليات فى البيت ٢٦ من القصيدة ٦٧ .

(٢) بحاشية ا : « ابن شاذان : قدعتُ الإنسانَ وغيره أقدعه قَدْعًا : إذا كففته عما يريد ، وقدعتُ الفرسَ باللجام » .

وإنَّ امتلاءَ البطنِ في حَسَبِ الفتَى   قليلُ الغَناءِ وهو في الجسمِ صالحُ[(١)]

وقالت لَيْلَى الأخيليَّةُ :

نَظَرْتُ ورُكْنٌ من بُوَانَةَ دونَنا   وأركانُ حُسْمَى أيَّ نَظْرَةِ ناظِرِ[(٢)]

إلى الخيلِ أجْلَى شَأْوُها عن عَقيرةٍ   لعاقرِها فيها عَقِــيرَةُ عاقرِ

كأنَّ فتَى الفِتْيانِ تَوْبَةَ لم يُنِخْ   قَلائصَ يَفْحَصْنَ الحصَى بالكَرَاكِرِ

ولم يَبْنِ أبْرادًا رِقاقًا لفِتْيَةٍ   كِرامٍ ويَرْحَلْ قَبْلَ فَيْءِ الهَوَاجِرِ

فتًى لا تَخَطَّاهُ الرِّفاقُ ولا يَرَى   لِقِدْرٍ عِيالًا دونَ جارٍ مُجاوِرِ

وكنتَ إذا مَوْلاكَ خافَ ظُلامَةً   دعاكَ ولم يَقْنَعْ سِواكَ بناصِرِ

قولها : « أيَّ نَظْرَةِ ناظِرِ » يصلح فيه الرفعُ والنصبُ ، على قوله : نظرتُ أيَّ نظرةٍ وأيَّةَ نظرة وأيَّتَما نظرةٍ وأيَّما نظرةٍ ، كما تقول : مررتُ برجلٍ أيِّما رجلٍ ، وتأويلُه مررتُ برجلٍ كاملٍ ، فأيُّما في موضع كاملٍ ، وتقول : مررتُ بزيدٍ أيَّما رجلٍ ، على الحال ، ومن قال : « أيُّ نظرةِ ناظرٍ » فعلى القطعِ والابتداء ، والمَخْرَجُ مَخْرَجُ استفهامٍ ، وتقديرُه : أيُّ نظرةٍ هي ؟ كما تقول : سبحانَ اللهِ أيُّ رجلٍ زيدٌ ؟ وهذا البيتُ يُنْشَدُ على وجهين :

فأَوْمَأْتُ إيماءً خَفِيًّا لِحَبْتَرٍ   ولِلهِ عَيْنَا حَبْتَرٍ أيَّما فَتَى

و « أيُّما » إنْ شئتَ على ما فسرنا . وقولها : « إلى الخيلِ أجْلَى شَأْوُها

---

(١) بحاشية ا : « ابن شاذان : قال أبو عمر : الغَناء الإجزاء ، يقال ما يغني عنك غَنَاءً : ما يجزئُ عنك ، ورجلٌ مُغْنٍ : مجزئٌ ، والفعل غَنِيَ فهو غانٍ » .

(٢) « حسمى » ضبطت في الأصول بكسر الحاء وضمها معاً ، والذي في معجم البلدان والقاموس الكسر فقط . و « بوانة » و « حسمى » موضعان .

عن عَقِيرَةٍ » شَاوُها طَلَقُها . وقولُها : « لِعَاقِرِها فيها عَقِيرَةُ عَاقِرِ » أى قد أصابوا عقيرةً نَفِيسةً ، كقول القائل : نِعْمَ غَنِيمةُ الْمُغْتَنِمِ ، وكقولهم : عَقِيرةٌ وكما تَكُونُ ، وهذا نظيرُ قولِهِ :

ولمَّا أصابوا نَفْسَ عمرِو بن عامرٍ أصابوا به وِتْرًا يُنِيمُ ذَوِى الوِتْرِ

يقال : « ثأرٌ مُنِيمٌ » إذا أصابه الْمُثْئِرُ هَدَأَ واستقرَّ ، لأنه أصاب كُفُؤًا ، وهذا خلافُ قولِ الآخَرِ :

قومٌ إذا جَرَّ جَانِي قومِهِمْ أَمِنُوا لِلُؤْمِ أحسابِهِمْ أنْ يُقْتَلُوا قَوَدَا

وخلافُ قولِ الْحرِثِ بن عُبَادٍ :

لا بُجَيْرٌ أغْنَى قتيلاً ولا رَهْـــطُ كُلَيْبٍ تَزاجَرُوا عن ضَلَالِ

ولكنْ كما قال دُرَيْدُ بنُ الصِّمَّةِ :

قَتَلْتُ بعبدِ الله خيرَ لِدَاتِهِ ذُؤَابًا فلم أَفْخَرْ بذاكَ وأَجْزَعا

وكما قال عُبيدُ الله بن زياد بن ظَبْيَانَ التَّيْمِيُّ ، من بنى تَيْمِ اللّاتِ بنِ ثَعْلبةَ ، حيث قَتَلَ مُصْعَبَ بنَ الزُّبَيْرِ بأخيه النَّابِى بنِ زِيَادٍ :

إنَّ عُبَيْدَ اللهِ ما دامَ سَالِمًا لَسَارٍ عَلَى رَغْمِ العدوِّ وغَادِى

ونحن قَتَلْنَا ابنَ الزُّبير ورأسَهُ حَزَزْنَا برأسِ النابِئِ بنِ زيادِ

كَسَرَ الياءَ على الأصلِ ، كما قال ابنُ قَيْسِ الرُّقَيَّاتِ :

لا باركَ اللهُ فى الغَوانِى هَلْ يُصْبِحْنَ إلاَّ لَهُنَّ مُطَّلَبُ

ومَنْ أخَذَه من « نَبَأْتُ على القوم » أى طلعتُ عليهم ، فلا عِلَّةَ فيه ولا ضرورةَ [قال الأخفشُ : المعروفُ فيه الهمزُ ، والمبرّدُ لم يَهْمِزْهُ ،

فإنما أُخذه من « نَبا يَنْبُو » فصارَ مثلَ رامٍ وقاضٍ وما أشبههما] . وقال أبو الأَسَدِ مَوْلَى خالد بن عبد الله القَسْرِيّ ، لمّا قتلوا الوَليدَ بنَ يزيدَ بنِ عبدِ الملك بخالدِ بن عبد الله :

فإنْ تَقتُلوا منّا كَرِيمًا فإنّنا قَتلْنا أميرَ المؤمنينَ بخالدِ

وإن تَشغَلونا عن نَدَانَا فإننا شَغَلْنا وليدًا عن غِناءِ الوَلائِدِ

تَرَكْنا أميرَ المؤمنينَ بخالدٍ مُكِبًّا على خَيْشُومِهِ غيرَ ساجدِ

وقال الخُزاعِيُّ بعدُ(١) :

قَتلْنا بالفَتَى القَسْرِيِّ منهمْ وَليدَهُمُ أميرَ المؤمنينا

[ومَرْوانًا قَتلْنا عن يزيدٍ كذاكَ قضاؤُنا في المعتدينا

وبابْنِ السِّمْطِ منّا قد قتلْنا محمدًا بنَ هرونَ الأَمينا]

فمن يكُ قَتْلُهُ سُوقًا فإنّا جَعلْنا مَقْتَلَ الخُلفاءِ دِينا

وقولها : « ويَرْحَلُ قَبْلَ فَيْءِ الهَوَاجِرِ » تريد أنه متيقِّظٌ ظَعّانٌ .

و « المَوْلَى » فى قولها : « إذا مولاكَ خاف ظُلامَةً » يحتمل ضروبًا ، فالمولَى ابنُ العمّ ، وقولُه عز وجل: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي﴾ يريدُ بنى العم . قال الفَضْلُ بن العباس :

مَهْلاً بَنِى عَمِّنا مهلاً مَوالِينَا لا تَنْبُشُوا بيننَا ما كان مَدْفُونا

ويكونُ المولَى المُعْتَقُ ، ويكون المَوْلَى من قوله جَلَّ ثناؤُه ﴿وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ ويكون المَوْلَى الذى هو أحقُّ وأَوْلَى ، منه قوله

---

(١) قال المرصفى : « هو دعبل بن على الشاعر العباسى » .

﴿ مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلاكُمْ ﴾ أى أَوْلَى بكم ، والمَوْلَى المالكُ . وقولها : « ولم يَبْنِ أَبْرَادًا » تريدُ الخِيامَ .

قال أبو العباس : وكانت الخنساء ولَيْلَى بائنتَيْنِ فى أشعارِهما ، متقدِّمتَيْنِ لأكثرِ الفحول ، ورُبَّ امرأةٍ تتقدم فى صناعةٍ ، وقلَّما يكونُ ذلك ، والجملةُ ما قال الله عز وجل ﴿ أَوَمَنْ يَنْشَأُ فِى الْحِلْيَةِ وهو فِى الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ[1] ﴾ وقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : « إنَّ المرأةَ خُلِقَتْ من ضِلَعٍ عَوْجاء ، وإنَّك إنْ تُرِدْ إقامَتَها تَكْسِرْها ، فدَارِها تَعِشْ بها » . فمن نَدَرَ[2] من النساء فى بابٍ من الأبواب : أمُّ أيوبَ الأنصاريةُ ، وأمُّ الدَّرْداء ، ورابعةُ القَيْسِيَّةُ ، ومُعاذَةُ العَدَوِيَّةُ ، فإنَّ هؤلاء النسوةَ تَقَدَّمْنَ فى الفضل والصلاحِ ، على تَقَدُّمِ بعضِهنَّ بعضاً . حدثنى الجاحظُ عن إبراهيم بن السِّنْدِيِّ قال : كانت تصيرُ إلىَّ هاشِمِيَّةٌ جاريةٌ حَمْدونَةَ فى حاجاتِ صاحبتِها ، فأَجْمَعُ نفسى لها وأطرُد الخواطرَ عن فكرى وأُحْضِرُ ذِهْنِى جُهْدِى ، خوفاً من أن تُورِدَ علىَّ ما لا أفهمُه ، لبُعْدِ غَوْرِها واقتدارِها على أن تُجْرِىَ على لسانِها ما فى قلبِها . وكذلك ما يُؤْثَرُ عن خالِصَةَ وعُتْبَةَ جارِيَتَىْ رَيْطَةَ بنتِ أبى العباس .

---

(١) سورة الزخرف آية ١٨ و « يَنْشَأُ » بفتح الياء مضارع « نَشَأَ » ثلاثى لازم مبنى للفاعل ، وهى قراءة أكثر القراء الأربعة عشر ، وقرأ حفص وحمزة والكسائى وخلف « يُنَشَّأُ » بضم الياء وفتح النون وتشديد الشين ، مضارع « نَشَّأَ » بالتضعيف مبنيا للمفعول . وأثبتناه على قراءة الأكثر موافقة لأصول الكامل .

(٢) بحاشية ا : « ابن شاذان : كل شىء زال عن مكانه فقد نَدَر يندُر نَدْرًا فهو نادر ، وبه يسمى نوادر الكلام ؛ لأنه كلام ندر وظهر من بين الكلام » .

فأمّا النساءُ الأشرافُ فإنَّ القولَ فيهنّ كثيرٌ مُتَّسِعٌ. فمما نَدَرَ من شعر الخنساء قولُها ترثى صخراً :

يا صخْرُ وَرَّادَ ماءٍ قد تَناذَرَهُ   أهلُ المياهِ وما فى وِرْدِهِ عارُ
مَشْىَ السَّبَنْتَى إلى هَيْجاء مُعْضِلَةٍ   له سلاحانِ : أنيابٌ وأظفارُ(١)
وما عَجُولٌ على بَوٍّ تَحِنُّ له   لها حَنينانِ : إعْلانٌ وإِسْرارُ
تَرْتَعُ ماغَفَلَتْ حتَّى إذَا ادَّكَرَتْ   فإنما هى إقْبالٌ وإدْبارُ
يومًا بأَوْجَعَ مِنِّى يومَ فارَقَنِى   صَخْرٌ، ولِلْعيش إحْلاءٌ وإمْرارُ
وإنَّ صخراً لَوالِينا وسيِّدُنا   وإنَّ صخراً إذَا نَشْتُوا لَنَحّارُ
وإنَّ صخراً لَتَأْتَمُّ الهُداةُ به   كأنه عَلَمٌ فى رأسه نارُ
لم تَرَهُ جارةٌ يَمْشِى بساحَتِها   لِرِيبةٍ حين يُخْلِى بيتَهُ الجارُ

قولها : « يا صَخْرُ وَرَّادَ ماءٍ قد تَناذَرَه * أهلُ المياهِ وما فى وِرْدِهِ عارُ » تعنى الموتَ ، أى لإقْدامِهِ على الحرب . و « السَّبَنْتَى » و « السَّبَنْدَى » واحدٌ ، وهو الجرىء الصَّدْرِ ، وأصلُه فى النَّمِرِ . و « العَجُولُ » التى فارقَها ولدُها . و « البَوُّ » قد مضى تفسيره . وكذلك « فإنما هِىَ إقبالٌ وإدْبارُ » وقد شرَحْنا كيف مَذْهَبُه فى النحو . وقولها « إلى هيجاءِ مُعْضِلَةٍ » تعنى الحربَ . وقولها : « كأَنَّهُ عَلَمٌ فى رأسه نارُ » فالعَلَمُ الجبلُ ، قال الله جل وعز ﴿ وله الجوارِ المُنْشَآتُ فى البَحْرِ كالأَعْلامِ ﴾ وقال جريرٌ :

* إذا قَطَعْنَ عَلَماً بَدَا عَلَمْ *

---

(١) بحاشية ا : « الهيجاء الحرب ، بالمدّ والقصر » .

ومن حَسَنِ شعرِها قولُها :

أَعَيْنَىَّ جُودَا ولا تَجْمُدَا ... أَلاَ تَبْكِيَانِ لِصَخْرِ النَّدَى

أَلاَ تَبْكِيَانِ الجرِىءَ الجمِيلَ ... أَلاَ تَبْكِيَانِ الفَتَى السَّيِّدَا

طويلَ النِّجَادِ رَفِيعَ العِمَا ... دِ سادَ عَشِيرَتَهُ أَمْرَدَا

إذَا القومُ مَدُّوا بأيدِيهِمُ ... إلى المَجْدِ مَدَّ إليه يَدَا

فنالَ الذى فوقَ أيدِيهِمُ ... منَ المجدِ ثم مَضَى مُصْعِدَا

يُكَلِّفُهُ القومُ ما عالَهُمْ ... وإن كانَ أصغرَهم مَوْلِدَا

تَرَى الحمدَ يَهْوِى إلى بيتِهِ ... يَرَى أفضلَ الكَسْبِ أن يُحْمَدَا

قولها : « طويلُ النِّجاد » . « النِّجادُ » حمائلُ السَّيْفِ ، تريدُ بطولِ نجادِهِ طولَ قامتِهِ ، وهذا مما يُمْدَحُ به الشريفُ ، قال جريرٌ :

فإنى لأَرْضَى عبدَ شَمْسٍ وما قضَتْ ... وأَرْضَى الطِّوَالَ البِيضَ من آلِ هاشِمِ

وقال مَرْوَانُ المَهْدِىُّ :

قَصُرَتْ حمائِلُهُ عليه فقَلَّصَتْ ... ولقد تأنَّقَ قَيْنُهَا فأَطَالَهَا

وقال رجلٌ من طَيِّءٍ :

جَدِيرٌ أن يُقِلَّ السيفَ حتى ... يَنُوسَ إذا تَعَطَّى فى النِّجادِ(١)

وقال الحَكَمِىُّ أبو نُواسٍ :

سَبِطُ البَنَانِ إذا احْتَبَى بنِجَادِهِ ... غَمَرَ الجماجِمَ والسِّمَاطُ قِيامُ

---

(١) بحاشية ١ : « ابن شاذان : النَّوْس الحركة ، نَاسَ يَنُوسُ نَوْسًا ».

وقال عَنْترةُ :

بَطَلٍ كأَنَّ ثيابَه في سَرْحةٍ يُحْذَى نِعالَ السِّبْتِ ليس بتَوْأَمِ [1]

وقولُها : « رَفِيعَ العِمَادِ » إنما تريدُ ذاك ، يقال : رجل « مُعَمَّدٌ » أى طويل ، ومنه قوله عز وجل : ﴿ إِرَمَ ذاتِ العِمادِ ﴾ أى الطِّوَالِ . وقولها : « ما عَالَهُمْ » أى نَابَهُمْ ونَزَلَ بهم [2] ، تقول العربُ : « ما عالَكَ فهو عَائِلِي » أى ما نَابَكَ فهو نائِبِي ، ومِنْ ذا قولُ كُثَيِّرٍ :

يا عَيْنِ بَكِّي لِلَّذِي عالَنِي منكِ بدمعٍ مُسْبِلٍ هامِلِ

ومِن جَيِّدِ قولِها :

أَبَعْدَ ابنَ عَمْرٍو مِنَ آلِ الشَّرِيـــدِ حَلَّتْ به الأَرضُ أثقالَهَا
لعَمْرُ أَبيـــهِ لَنِعْمَ الفَتَى إذا النفسُ أَعجَبها ما لَهَا
فإنْ تَكُ مُرَّةُ أَوْدَتْ به فقد كانَ يُكْثِرُ تَقْتَالَهَا
فَخَرَّ الشَّوامِخُ من فَقْدِه وزُلْزِلَتِ الأرضُ زِلْزالَهَا
هَمَمْتُ بِنَفْسِيَ كلَّ الهُمومِ فَأَوْلَى لِنَفْسِيَ أَوْلَى لَهَا
لأَحْمِـــلَ نفسِي على آلةٍ فإمَّا عليها وإمَّا لَهَا

قولها : « حَلَّتْ به الأرضُ أثقالها » حلّتْ من الحَلْيِ ، تقولُ :

---

(١) بحاشية ا : « ويروى بطلٌ بالرفع . والسرحة شجرة . وفى ههنا بمعنى على ، فكان المعنى : كأن ثيابه على سرحة من طوله . والسِّبْت الجلود المدبوغة » .

(٢) بحاشية ا : « ابن شاذان : قال أبو عمر : العَوْلُ الثِّقَلُ ، يقال عالَنِي الامرُ يعولنى عَوْلا أى أثقلنى » .

زينتْ به الأرضُ المَوْتَىٰ، وقال المفسرون فى قول الله عز وجل ﴿وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ قالوا المَوْتَىٰ . وقولها « لَنِعْمَ الفَتَىٰ إذَا النفسُ أعجَبها مالَها » تقول : يَجودُ بما هُوَ لَه فى الوقتِ الذى يُؤْثِرُهُ أهلُهُ على الحمدِ . و « الشوامِخُ » الجبالُ ، والشامخُ العالِى ، ويقال المتكبِّرِ شمَخَ بأنفه . وقولها « على آلةٍ » أى على حالةٍ وعلى خُطَّةٍ هى الفَيْصَلُ ، فإمَّا ظَفِرْتُ وإمَّا هلَكْتُ . وقولها : « فأَوْلَىٰ لنفسِيَ أولَىٰ لها » يقولُ الرجلُ إذا حاول شيأً فأَفلَتَهُ من بعدِ ما كادَ يصيبُه : « أَوْلَىٰ له » وإذا أَفلَتَ من عظيمةٍ قال « أَوْلَىٰ لِى » ، ويُروىٰ عن ابن الحَنَفِيَّة أنه كان يقول إذا مات ميِّتٌ فى جُوارِهِ أو فى داره : أَوْلَىٰ لِى كِدْتُ واللهِ أكونُ السَّوادَ الْمُخْتَرَمَ ، وقد مضَى هذا مُفسَّرًا ، وأُنْشِدَ لرجلٍ يقتَنِصُ ، فإذا أَفلَتَهُ الصيدُ قال: أَوْلَىٰ لكَ ، فكَثُر ذلك منه فقال :

فلو كان «أَوْلَىٰ» يُطْعِمُ القومَ صِدْتُهُمْ ... ولكنَّ «أَوْلَىٰ» يَتْرُكُ القومَ جُوَّعَا

وقالت الخَنْسَاء ترثى أخاها معاويةَ بنَ عَمْرٍو ، وكان معاويةُ أخاها لأبيها وأُمِّها ، وكان صَخْرٌ أخاها لأبيها ، وكان أحبَّهما إليها ، وكان صخرٌ يستحقُّ ذلك منها بأمورٍ : منها أنه كان موصوفًا بالحلم ، ومشهوراً بالجود ، ومعروفاً بالتقدُّمِ فى الشجاعة ، ومَحْظوظًا فى العَشيرةِ :

أَرِيقِى من دُموعِكِ واستَفِيقِى ... وصَبْرًا إنْ أَطَقْتِ ، ولن تُطِيقِى

وقُولِى : إنَّ خَيْرَ بَنِى سُلَيْمٍ ... وفارِسَها بصَحْراءِ العَقِيقِ

ألاَ هَلْ تَرْجِعَنَّ لَنَا اللَّيَالِي وأيامٌ لنا بِلِوَى الشَّقِيقِ
وإذْ نحنُ الفَوارسُ كلَّ يومٍ إذا حَضَروا وفتيانُ الحُقُوقِ
وإذْ فِينَا معاويةُ بن عمرو على أَدْمَاء كالجَمَلِ الفَنِيقِ
فَبَكِّيهِ فقد أُوْدَى حَمِيدًا أَمِينَ الرَّأْى محمودَ الصَّدِيقِ
فلا واللهِ لا تَسْلَاكَ نفسِي لِفَاحشةٍ أَتيتَ ولا عُقوقِ
ولٰكنِّى رأيتُ الصبرَ خيرًا من النَّعْلَيْنِ والرأسِ الحَليقِ

قولها « أرِيقِي من دموعكِ واستفيقي » معناه : أَنَّ الدَّمْعَةَ تُذْهِبُ اللَّوْعَةَ ، ويُروى عن سليمانَ بن عبد الملك أنه قال عند موت ابنه أيوبَ لعمرَ بن عبد العزيز ورَجاء بنِ حَيْوَةَ : إنى لَأَجِدُ فى كَبِدِى جَمْرَةً لا تطفئُها إلّا عَبْرَةٌ ، فقال عمرُ : اذْكُرِ اللهَ يا أمير المؤمنين وعليك الصبرَ ، فنظر إلى رجاء بن حَيْوَةَ كالمستريح إلى مَشُورَتِهِ ، فقال له رجاء : أَفِضْهَا يا أميرَ المؤمنين فما بذاكَ من بأسٍ ، فقد دَمَعَتْ عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنه إبراهيمَ ، وقال : « العينُ تَدْمَعُ ، والقلبُ يُوجَعُ ، ولا نقولُ مَا يُسْخِطُ الربَّ ، وإنّا بكَ يا إبراهيمُ لَمَحْزُونُونَ » . فأرسلَ سليمانُ عينَه فبكَى حتى قضَى أَرَبًا ، ثم أَقْبَلَ عليهما فقال : لو لم أُنْزِفْ هذه العَبْرَةَ لَانْصَدَعَتْ كَبِدِى ، ثم لم يَبْكِ بعدَها ، ولٰكنّه تمثّلَ عند قبره لمّا دَفَنَه وحثَا على قبره الترابَ ، وقال : يا غلامُ دابّتى ، ثم وَقَفَ متلفتًا إلى قبره فقال :

وَقَفْتُ على قبرٍ مُقيمٍ بِقَفْرَةٍ مَتاعٌ قليلٌ من حَبيبٍ مُفارِقِ

رجعنا إلى تفسير قولها ، وقولها : « وصَبْرًا إن أَطَقْتِ ولن تُطِيقِي »

كقول القائل إن قدرتَ على هذا فافعلْ ، ثم أبانَتْ عن نفسِها فقالت : « ولن تُطيقِ » . وقولها : « فلا واللهِ لا تَسْلاكَ نفسِي » تريد : لا تَسْلُو عنك ، كقوله عز وجل : ﴿ وإذا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ أى : كَالُوا لهم ، أو وَزَنُوا لهم . وقولها : « لفاحشةٍ أتيتَ ولا عُقُوقِ » . معناه : لا أَجِدُ فيكَ ما تسلُو نفسِي عنكَ له ، ثم اعتذرَتْ من إقصارها بفضلِ الصَّبْرِ فقالت :

« ولٰكِنِّى رأيتُ الصَّبْرَ خيراً　　من النعلينِ والرأسِ الحَلِيقِ »

تأويلُ « النعلينِ » : أنَّ المرأة كانت إذا أُصيبتْ بحَمِيمٍ جعلتْ فى يديها نعلينِ تُصَفِّقُ بهما وجهَهَا وصدرَها . قال عبدُ منافِ بنِ رِبْعٍ الهُـذَلِيُّ :

ماذَا يُغِيرُ ابْنَتَىْ رِبْعٍ عَوِيلُهُمَا　　لا تَرْقُدَانِ ولا بُؤْسَىٰ لِمَنْ رَقَدَا

كِلتاهما أُبْطِنَتْ أحشاؤُها قَصَبًا　　من بَطْنِ حَلْيَةَ لا رَطْبًا ولا نَقِدَا

إذا تَأَوَّبَ نَوْحٌ قامتَا مَعَهُ　　ضَرْبًا أَلِيمًا بِسِبْتٍ يَلْعَجُ الجِـلِدَا

قوله : « ماذَا يُغِـيرُ ابْنَتَىْ رِبْـعٍ عَوِيلُهُمَا » يعنى أُخْتَيْهِ ، يقولُ : ماذا يَرُدُّ عليهما العويلُ والسهرُ . وقولُه : « كِلْتَاهُمَا أُبْطِنَتْ أحشاؤُها قَصَباً » أراد لترديدِ النائحةِ صوتًا كأنه زَمِيرٌ ، وإنما يَعْنِى بالقَصَبِ المَزَامِيرَ ، كما قال الراعِى :

زَجِلُ الحُدَاءِ كأنَّ فى حَيْزُومِهِ　　قَصَبًا ومُقْنَعَةَ الحَنِينِ عَجُولاَ

[قال الأخفشُ : « الزَّجَلُ » اختلاطُ الصوتِ الذى لصوتِه تطريبٌ ، و « الحَيْزُومُ » الصَّدرُ ، و « قَصَبًا » يعنى زِمَارًا ، شَبَّهَ صوتَ الحادى بالمِزْمارِ ،

و « مُقْنَعَة » أرادَ وصوتَ مُقْنَعةٍ ، يعنى ناقةً ، ثم حذَف الصوتَ وأقام « مُقْنَعَة » مَقامَه | وقال عَنْتَرةُ :

بَرَكَتْ على ماء الرِّدَاعِ كأنَّما بَرَكَتْ على قَصَبٍ أَجَشَّ مُهَضَّمِ

قال الأصمعىُّ : هو نَرْمَنَاىْ . وقوله « لا رَطْبًا ولا نَقِدَا » يقول : ليس برطْبٍ لا يَبِينُ فيه الصوتُ ، ولا بِمُؤْتَكِلٍ ، يقال « نَقِدَت السِّنُّ » إذا مَسَّها ائتكالٌ ، وكذلك القَرْنُ ، قال الشاعرُ :

* يألَمَ قَرْنًا أَرُومُهُ نَقِدُ *

وقوله « بِسِبْتٍ » يعنى النعلَ المُنْجَرِدَةَ . و « يَلْعَجُ » يُؤَثِّرُ . واحتاج إلى تحريك « الجِلِدِ » فأَتْبَعَ آخرَه أولَه ، وكذلك يجوزُ فى الضرورةِ فى كل شىء ساكنٍ . وأمّا قولُ الفرزدقِ :

خَلَعْنَ حُلِيَّهُنَّ فهُنَّ عُطْلٌ وبِعْنَ به المُقَابَلَةَ التُّوَامَا

يعنى اشترَيْنَ النعالَ ، فليس هذا من هذا الباب ، إنما سُبِينَ فاشترَيْنَ نعالاً للخدمة ، وكذلك قولُه :

أُخِذْنَ حَرِيراتٍ وأَبْدَيْنَ مِجْلَدًا ودَارَ عليهِنَّ المُنَقَّشَةُ الصُّفْرُ

يعنى القِدَاحَ ، يقول : سُبِينَ فاقْتُسِمْنَ بالقِدَاحِ .

وإنما قالتِ الخنساءُ هذا الشعرَ فى معاويةَ أخيها قبلَ أن يُصابَ صَخْرٌ أخوها ، فلمّا أُصِيبَ صخرٌ نسِيت به مَنْ كان قبلَه . وكان معاويةُ فارسًا شجاعًا ، فأغار فى جَمْعٍ من بنى سُلَيْمٍ على غَطَفَانَ ، وكان صَمِيمَ خيلِهم ، فنَذِرَ به القومُ فاحْتَرَبوا ، فلم يَزَلْ يَطْعُنُ فيهم ويضربُ ، فلما رأَوا ذلك تهيَّأ

له ابنا حَرْملةَ : دريدٌ، وهاشمٌ، فاستطرد له أحدُهما، فحمل عليه معاويةُ فطعنَه، وخرجَ عليه الآخرُ وهو لا يَشْعُرُ فقتَلَه ، فتنادَى القومُ : قُتِلَ معاويةُ ، فقال خُفافُ بنُ نَدْبةَ : قَتَلَنِي اللهُ إن رِمْتُ حتى أُثأَرَ به ، فحَمَلَ على مالكِ بن حِمار ، وهو سيدُ بني شَمْخِ بن فَزارةَ فقتَلَه ، وقال :

فإنْ تكُ خَيْلِي قد أُصِيبَ صَمِيمُها — فَعَمْدًا على عَيْنِي تيمَّمْتُ مَالِكَا

وَقَفْتُ له عَلْوَىٰ وقد خَامَ صُحْبَتِي — لِأَبْنِيَ مَجْدًا أو لِأَثْأَرَ هالِكَا (١)

أقولُ له والرُّمْحُ يَأْطِرُ مَتْنَهُ — تَأَمَّلْ خُفَافًا إنَّنِي أنا ذٰلِكَا (٢)

فلمَّا دخلتِ الأشهرُ الحُرُمُ وَرَدَ عليهم صَخْرٌ ، فقال : أيُّكم قاتلُ أخِي ؟ فقال أحدُ ابْنَيْ حَرْمَلَةَ للآخرِ : خَبِّرْهُ ، فقال : اسْتَطْرَدْتُ له فطعَنَنِي هذه الطعنةَ وحَمَلَ عليه أخِي فقتَلَه ، فأيُّنا قَتَلْتَ فهو ثأرُكَ ، أمَا إنا لم نَسْلُبْ أخاكَ ، قال : فما فعلتْ فرسُهُ الشَّمَّاءُ ؟ قال : ها هِيَ تلكَ فَخُذْهَا ، فانصرفَ بها ، فقيلَ لصخرٍ : ألاَ تَهْجُوهُمْ ؟! فقال : ما بيني وبينَهم أقْذَعُ من الهِجاء، ولو لم أُمْسِكْ عن سَبِّهم إلاَّ صيانةً لِلِسانِي عن الخَنا لفعلتُ ، ثم خاف أن يُظَنَّ به عِيٌّ فقال :

(١) « علوى » اسم فرسه . « خام صحبتي » نكبوا وجبنوا ، يعني أصحابه .

(٢) بحاشية ا : « ابن شاذان : قال أبو زيد : أطَرْتُ القوسَ آطِرُها أطْراً إذا حَنَيْتها ، وأطرتُ السهم أطراً إذا لَفَفْتَ على مجمع الفُوق عَقَبَةً واسمها الأُطْرَة ، وأطرتُ العُودَ إذا عطفتَه . قال الخليل : تقول أطرتُ الشيء آطره أطراً إذا عطفتَه ، والأطر تعويجك الشيء تقبض على أحد طرفيه ، ثم تأطِرُه فينأطر ، قال العجاج * يضرب بالسيف اذا الرمحُ انأطَرْ * قال أبو يعقوب : رأيتُ في الرواية يأطِرُ متنُه، بضم النون من المتن مصحح عليه من أبي الحسن المهلّبي » .

وعاذلةٍ هَبَّتْ بليلٍ تَلُومُنِي ... ألا لا تَلُومِينى كَفَى اللَّوْمَ ما بِيَا
تقولُ ألاَ تَهْجُو فوارسَ هاشمٍ ... ومَالِيَ إِذْ أَهْجوهُمُ ثم مَالِيَا
أَبَىَ الشَّتْمَ أَنِّى قد أصابوا كَرِيمَتِي ... وأَنْ ليس إِهْداءُ الخَنَا من شِمالِيَا
إذا ما امْرُؤٌ أَهْدَى لِمَيْتٍ تَحِيَّةً ... فَحَيَّاكَ ربُّ العرشِ عَنِّى مُعاوِيَا
وهَوَّنَ وَجْدِى أَنَّنِي لم أَقُلْ له ... كَذَبْتَ ولم أَبْخَلْ عليه بِمالِيَا

قال أبو عُبيدةَ : فلما أصاب دُرَيْدًا زاد فيها :

وذِى إِخْوَةٍ قَطَّعْتُ أرحامَ بَيْنِهِمْ ... كما تَرَكُونِى وَاجِدًا لا أَخَالِيَا[1]

[قال أبو الحسن الأخفشُ : وزادنى الأحْوَلُ بعد قوله « معاويا » :

لَنِعْمَ الفَتَى أَدْنَى ابنُ صِرْمَةَ بَزَّهُ ... إذاراحَ فَحْلُ الشَّوْلِ أَجْدَبَ عَارِيَا]

قال أبو العباس : فلمَّا انقضتِ الأشهرُ الحُرُمُ جَمَعَ لهم ليُغيرَ عليهم ، فنظرتْ غَطفَانُ إلى خيلِه بمَوْضِعِها ، فقال بعضُهم لبعضٍ : هذا صخرُ بنُ الشَّرِيدِ على فرسه السُّمَّى ، فقيلَ : كَلاَّ السُّمَّى غَرَّاءُ ، وكان قد حَمَّمَ غُرَّتَها ، فأصابَ فيهم ، وقَتَلَ دُرَيْدَ بنَ حَرْمَلَةَ ، وأما هاشمٌ ، فإِنَّ قَيْسَ بنَ الأَسْوَارِ الجُشَمِىَّ ، من جُشَمَ بن بكرِ بن هَوازِنَ بن منصورٍ ، والخنساءُ من بنى سُلَيْم بن منصورٍ ، لَقِيَهُمْ منصرفِينَ كلٌّ واحدٍ منهم من وجهه ، فرآهُ وقد انفردَ لحاجتِه ، فقال : لا أَطْلُبُ بمعاويةَ بعدَ اليومِ ، فأرسل عليه سهمًا فَفَلَقَ قُحْقُحَهُ[2] ، فقالتِ الخنساءُ :

(١) « واجداً » بالجيم من الوجد ، وهو الحزن ، وفى بعض النسخ « واحداً » بالحاء مهملة .
(٢) بحاشية ا : ابن شاذان : القُحْقُحُ عظم العُصْعُص الذى يسمى عَجْبَ الذنَب . قال المهلّبي : القُحْقُح العظم النائيُ من الظهر بين الأَلْيَتَيْن » .

فِدًى للفارسِ الُجشَمِيِّ نفسِى ... وأَفْدِيهِ بِمَنْ لِى من حَمِيمِ
فَذَاكَ الحىُّ حَىُّ بنى سُلَيْمٍ ... بظاعِنِهِمْ وبالأَنَسِ المقيمِ
كَمَا مِنْ هاشمٍ أَقْرَرْتَ عَيْنِى ... وكانتْ لا تَنَام ولا تُنِيمُ[(١)]

فأمَّا صخرٌ فسنذكر مَقْتَلَهُ مع انقضاء ما نذكُر من مراثى الخنساء إياه ، قالت الخنساء :

أَلاَ يا صخرُ إنْ أبكيْتَ عينِى ... لقد أَضْحَكْتَنِى دهرًا طويلاَ
بكيْتُكَ فى نِساءٍ مُعْوِلاتٍ ... وكنتُ أَحَقَّ مَنْ أَبْدَى العَوِيلاَ
دَفَعْتُ بك الجليلَ وأنت حَىٌّ ... فمن ذَا يدفعُ الخطْبَ الجليلاَ
إذا قَبُحَ البكاءُ على قتيلٍ ... رأيتُ بكاءَكَ الحسنَ الجميلاَ

وقالت أيضاً :

تَعَرَّقَنِى الدهرُ نَهْسًا وحَزًّا ... وأوجعنى الدهرُ قَرْعًا وغَمْزَا[(٢)]
وأَفْنَى رجالِى فبادوا مَعًا ... فأَصبحَ قلبِى بهمْ مُسْتَفَزًّا
كَأَنْ لم يكونوا حِمًى يُتَّقَى ... إذِ الناسُ إذْ ذاكَ مَنْ عَزَّ بَزَّا
وكانوا سَراةَ بنى مالكٍ ... وزَيْنَ العشيرةِ مَجْدًا وعِزًّا
وهمْ فى القديمِ سَراةُ الأديـ ... ـمِ والكائنونَ مِنَ الخوْفِ حِرْزَا

---

(١) « تنيم » ضبطت فى الأصول بالرفع وبخفض الميم ، ففيه الإقواء على الأول ، والثانى على اتّباع القافية .

(٢) بحاشية ا : « ابن شاذان : النهس أخذُك الشىء بمقدَّم فيك ، نهسَتْه الحيّةُ تنهَسه نهساً . والحزّ القطع فى اللحم غير بائنٍ » .

وهمْ مَنَعوا جارَهُمْ والنِّسا ءُ يُحْفِزُ أحْشَاءها الخوفُ حَفزَا[١]
غَـداةَ لَقُوهُمْ بَمَلْمُومَةٍ رَدَاحٍ تُغادِرُ للأرض رِكْزَا[٢]
وخَيْلٍ تَـكَدَّسَ بالدارِعيـــنَ تحتَ العَجاجةِ يَجْمِزْنَ جَمْزَا[٣]
بِبِيضِ الصِّفاحِ وسُمْرِ الرِّماحِ فبالبِيضِ ضَرْبًا وبالسُّمْرِ وَخْزَا[٤]
جَزَزْنَا نَوَاصِيَ فُرْسانِهِمْ وكانوا يَظُنُّونَ ألَّا تُجَزَّا
ومَنْ ظَنَّ مِمن يُلاقِي الحروبَ بأن لا يُصابَ فقد ظَنَّ عَجْزَا
نَعِفُّ ونَعْرِفُ حق القِرَىٰ ونَتَّخِذُ الحمدَ ذُخْرًا وكَنْزَا
[ونَلْبَسُ طَوْرًا ثيابَ الوَغَىٰ وطورًا بياضًا وعَصْبًا وخَزًّا][٥]

وكان سببُ قتلِ صخرِ بن عمرِو بن الشَّرِيدِ : أنه جَمَعَ جمعًا وأغار على بنى أسَدِ بن خُزَيْمَةَ ، فَنَذِرُوا به ، فالتَقَوْا فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فارْفَضَّ أصحابُ صخرٍ عنه ، وطعنَه أبو ثورٍ طعنةً فى جنبه استَقَلَّ بها ، فلمّا صار إلى أهله تَماثَلَ منها ، فنَتأ من الجُرْحِ كمثل اليَدِ ، فأضناه ذلك حَوْلاً ، فسمع سائلاً يسألُ امرأتَه وهو يقول : كيف صَخْرٌ اليومَ ؟ فقالت : لا مَيِّتٌ فيُنْعَىٰ ، ولا صحيحٌ فيُرْجَىٰ ، فعَلِمَ أنها قد بَرِمَتْ به ، ورَأَىٰ تَحَرُّقَ أمِّه عليه فقال :

(١) بحاشية ا : « المهلبي : أصل الحفز حثُّك الشيء من خلفه وغيرَ سوقٍ ، والرجل يحتفز فى جلوسه : يريد القيام والبطش بشيء » .
(٢) بحاشية ا : « المهلبي : كتيبة رَدَاح كثيرة الفرسان . وملمومة وململمة : مجتمعة » .
(٣) بحاشية ا : « ابن شاذان : الجمز ضرب من سير الإبل أشدّ من العَنَق » .
(٤) بحاشية ا : « الوخز الطعن ، وخزه وخزاً : إذا طعنه بالرمح . والرِّكْز : الحسُّ والصوت » .
(٥) البيت زيادة من بعض النسخ .

أرَى أمَّ صخرٍ ما تجفُّ دُموعُها ... ومَلَّتْ سُلَيْمَى مَضْجَعِى ومكانِى

وما كنتُ أخْشَى أن أكون جنازةً ... عليكِ ومَنْ يَغْتَرُّ بالحدَثانِ

أَهُمُّ بأمرِ الحَزْمِ لو أستطيعهُ ... وقد حِيلَ بين العَيْرِ والنَّزَوانِ

لَعَمْرِى لقد أنبهْتِ مَنْ كان نائماً ... وأسمعتِ مَنْ كانتْ له أُذُنانِ

فأىُّ امْرِىءٍ ساوَى بأُمٍّ حَليلةً ... فلا عاشَ إلاَّ فى شَقًى وهَوانِ

ثم عَزم على قطع ذلك الموضع ، فلمّا قطعَه يَئِسَ من نفسه ، فبكاها فقال :

أيَا جارَتَا إنَّ الخطوبَ قَرِيبُ ... منَ الناس ، كلّ المُخْطِئِينَ تُصيبُ

أيَا جارَتَا إنّا غَرِيبانِ هٰهنا ... وكلُّ غَريبٍ للغَريبِ نَسيبُ

كأنِّى وقد أدْنَوْا إلىَّ شِفارَهُمْ ... من الأُدْمِ مَصْقُولُ السَّرَاةِ نَكِيبُ

⁂

قال أبو العباس : ومن حُلْوِ المَرَاثِى وحَسَنِ التَّأْبِينِ شِعْرُ ابنِ مُناذِرٍ ، فإنه كان رجلاً عالماً مُقدَّمًا شاعرًا مُفْلِقًا ، وخطيباً مِصْقَعاً ، وفى دهرٍ قريبٍ ، فله فى شعره شِدَّةُ كلام العرب بروايته وأدبه ، وحَلاوةُ كلام المُحْدَثِينَ بعَصْرِه ومشاهدتِه ، ولا يزالُ قد رَمَى فى شعره بالمَثَلِ السائر ، والمعنى اللطيف ، واللفظِ الفخْمِ الجليلِ ، والقولِ المُتَّسِقِ النَّبيلِ . وقصيدتُهُ لها امتدادٌ وطولٌ ، وإنما نُمْلِى منها ما اخترنا مِنْ نحوِ ما وصفنا . قال يرثى عبدَ المجيد بنَ عبدِ الوهاب الثّقفِىّ ، وكان به صَبًّا ، واعْتُبِطَ عبدُ المجيد لعشرينَ سنةً من غير ما عِلّةٍ ، وكان من أجملِ الفِتْيان وآدَبِهِمْ وأظرفِهم ، فذلك حيثُ يقولُ ابنُ مُناذِرٍ :

حين تمّتْ آدابُه وتَرَدَّى ... برداءٍ من الشَّباب جديدِ
وسَقاهُ ماءُ الشَّبيبةِ فاهتَزَّ ... اهتزازَ الغُصْنِ النَّدِي الأُمْلودِ
وسَمَتْ نَحْوَهُ العيونُ وما كا ... نَ عليه لزائدٍ من مَزيدِ
وكأنِّى أدعوهُ وهو قريبٌ ... حين أدعوهُ من مكانٍ بعيدِ
فلَئِنْ صار لا يُجيبُ لقد كا ... نَ سميعاً هَشاً إذا هُوَ نُودِى
يا فتًى كان للمُقاماتِ زَيْناً ... لا أراهُ فى المَحْفِلِ المشهودِ
لَهْفَ نفسِى أمَا أراكَ، وما عنـ ... ـدكَ لِى إن دَعَوْتُ من مردودِ
كان عبدُ المجيد سَمَّ الأعادِى ... مِلْءَ عَيْنِ الصديقِ رَغْمَ الحسودِ
عادَ عبدُ المجيدِ رُزْءاً وقد كا ... نَ رَجاءً لرَيْبِ دَهْرٍ كَنُودِ(١)
خُنْتُكَ الوُدَّ لم أمُتْ كَمَدًا بعـ ... ـدَكَ إنِّى عليكَ حقٌّ جليدِ
لو فَدَى الحيُّ ميِّتاً لَفَدَتْ نفـ ... ـسَكَ نفسى بطارِفِى وتَلِيدِى
ولئن كنتُ لم أمُتْ من جَوَى الحزْ ... نِ عليه لأَبْلُغَنْ مَجْهُودِى
لأُقِيمَنَّ مَأْتَماً كنجومِ اللَّيـ ... ـلِ زُهْرًا يَلْطِمْنَ حُرَّ الخدودِ
مُوجَعاتٍ يَبْكِينَ لِلْكَبِدِ الحَرَّى ... عليه وللفُؤادِ العَمِيدِ
ولِعَيْنٍ مَطْروفةٍ أبدًا قا ... لَ لها الدَّهْرُ: لا تَقَرِّى وجُودِى(٢)

(١) بحاشية ا: «ابن شاذان: الكنود من قولهم: كند فلان نعمة الله، أى: كفرها، وفلان كنود لنعمة الله عنده، ومنه اسم كِنْدة أبى قبيلة من العرب».

(٢) بحاشية ا: «ابن شاذان. يقال قَرِرْتُ بهذا الشىء عيناً فأنا أقَرُّ به، والاسم القُرة، ويقال: قرت عينى به قُرَّةً. ويقال: قَرَرْتُ فى منزلى فأنا أقِرُّ فيه قراراً وقروراً. ابن شاذان: يقال: طَرَفْتُ عينَه إذا ضربتَها بيدك أو بشىء حتى تدمع، والاسم الطَّرْفة».

كُلَّمَا عَزَّكِ البكاءُ فأَنْفَدْ تِ لعبد المجيد سَجْلاً فَعُودِى
لِفَتًى يَحْسُنُ البكاءُ عليه وفَتًى كان لامتداحِ القَصِيدِ

وأولُ هذا الشعرِ :

كلُّ حَيٍّ لاقِي الحِمَامِ فَمُودِى ما لِحَيٍّ مُؤَمَّلٍ من خُلودِ
لا تَهابُ المَنونُ شيأً ولا تُرْ عِى على والدٍ ولا مَوْلودِ
يَقْدَحُ الدهرُ فى شَمَارِيخِ رَضْوَى ويَحُطُّ الصُّخورَ من هَبُّودِ[(١)]
ولقد تَتْرُكُ الحوادثُ والأ يّامُ وَهْيًا فى الصخرةِ الصَّيْخُودِ[(٢)]

وفى هذا الشعرِ مما استحسنتُه :

أينَ رَبُّ الحِصْنِ الحَصِينِ بِسُورَا ءَ ورَبُّ القَصْرِ المنيفِ المَشِيدِ
شادَ أركانَهُ وبَوَّبَهُ بَا بَىْ حـديدٍ وحَفَّهُ بِجُنُودِ
كان يُجْبَى إليه ما بين صَنْعا ءَ فمِصْرٍ إلى قُرَى يَبْرُودِ
وتَرَى خَلْفَه زَرافاتِ خيـلٍ جافلاتٍ تَعْدُو بمثلِ الاسودِ
فرَمَى شَخْصَهُ فأَقْصَدَهُ الدَّهْـرُ بسهمٍ من المنايا سَديدِ
ثم لم يُنْجِهِ من الموتِ حِصْنٌ دونَه خَنْدقٌ وبَابَا حَديدِ
ومُلوكٌ من قبلِه عَمَرُوا الأَر ضَ أُعينوا بالنَّصْرِ والتأييدِ

---

(١) بحاشية ا : « ابن شاذان : هَبُّودُ جبل ، ويروى من عَبُّودٍ، وهو جبل أيضاً » .

(٢) بحاشية ا : « قال ابن شاذان : حدثنى أبو عمر عن ثعلب عن عمرو بن أبى عمرو الشيبانى عن أبيه أبى عمرو قال : يقال: يوم صَيْخُودٌ وصَيْخَدٌ وصَيْهَدٌ وصَيْهَدَانٌ : إذا كان شديد الحرّ . المهلبي : صخرة صيخود - صماءُ صلبة » .

فلَوَ أنّ الأيامَ أخْلَدْنَ حيًّا لِعَلاءٍ أخْلَدْنَ عبدَ المجيدِ
ما دَرَىٰ نَعْشُه ولا حامِلوهُ ما على النعشِ من عَفافٍ وجُودِ
وَيْحَ أيْدٍ حَثَتْ عليه وأيْدٍ دَفَنَتْه، ما غَيَّبَتْ في الصَّعيدِ
إنَّ عبدَ المجيد يومَ توَلَّىٰ هدَّ رُكْنًا ما كان بالمَهْدودِ
[وأرَانا كالزّرعِ يَحْصُدُه الدّهـــرُ فَمِنْ بين قائمٍ وحَصيدِ
وكأنّا للموتِ رَكْبٌ مُخِبُّو نَ سِراعًا لِمَنْهَلٍ مَوْرُودِ]
هَدَّ رُكْنِي عبدُ المجيدِ وقد كُنْـــتُ بِرُكْنٍ أنُوءُ منه شَديدِ
[فَبِعبدِ المَجيدِ تأْمُورِ نَفْسِي عَثَرَتْ بي بَعْدَ انتعاشٍ جُدودِي
وبعبد المجيدِ شَلَّتْ يدِي اليُمْـــنَىٰ وشَلَّتْ به يمِينُ الجودِ]

وفي هذا الشعر:

فَبِرَغْمِي كنتَ المُقَدَّمَ قَبْلِي وبِكُرْهِي دُلِّيتَ في المَلْحودِ
كنتَ لي عِصْمةً وكنتَ سَماءً بك تَحْيا أرضِي ويَخْضَرُّ عُودِي

قال أبو العباس: وكانت العربُ تُقَدِّمُ مراثِيَ وتُفَضِّلُها، وتَرَىٰ قائلَها بها فوقَ كلِّ مُؤَبِّنٍ، وكأنهم يرَوْنَ ما بعدَها من المراثي منها أُخِذَتْ، وفي كَنَفِها تَصْلُحُ. فمنها قصيدةُ أعْشَىٰ باهِلَةَ، ويُكْنَىٰ أبا قُحافَةَ، التي يَرْثِي بها المُنْتَشِرَ بن وَهْبٍ الباهِلِيَّ، وكان أحدَ رِجْلِيِّي العربِ(١) [قال الأخفشُ: هو منسوبٌ إلى الرَّجْلِ] وهم السُّعاةُ السابقون في سعيهم، وكان من خَبَرِهِ

---

(١) بحاشية ا: « قال المهلبي: الرجليّ الشديد العدو والقويّ عليه، وهم الذين يغزون رَجّالة، والجمع رجليّون ».

أنه أَسَرَ صَلاءةَ بن العَنْبَرِ الحارِثىَّ، فقال: أَفْدِ نَفْسَك، فأَبَى، فقال: لأُقَطِّعَنَّكَ أُنْمَلَةً أُنْمَلَةً⁽¹⁾، وعُضْوًا عُضْوًا ما لم تَفْتَدِ نفسَك؛ فجعلَ يفعلُ ذلك به حتى قتله، ثم حَجَّ من بعدِ ذلك المُنْتَشِرُ ذَا الخَلَصةِ، وهو بيتٌ كانت خَثْعَمُ تَحُجُّه، زعم أبو عبيدةَ أنه بالعَبَلاتِ، وأنه مسجدُ جامِعِها، فَدَلَّتْ عليه بنو نُفَيْلِ بن عمرِو بن كلابٍ الحارِثِيِّينَ؛ فقبضوا عليه، فقالوا: لنفعلنَّ بك كما فعلتَ بصَلاءةَ، ففعلوا ذلك به، فالتقى راكبٌ أعشَى باهلَة، فقال له أعشَى باهلةَ: هل من جائِبَةِ خَبَرٍ[2]؟ قال: نعم، أَسَرَتْ بنو الحرثِ المنتَشِرَ، وكانت بنو الحرْثِ تُسمِّى المنتشرَ مُجَدِّعًا، فلمّا صار فى أيديهم قالوا لَنُقَطِّعَنَّكَ كما فعلتَ بصلاءةَ، فقال أعشَى باهلةَ يرثى المنتشرَ:

إِنِّى أَتَتْنِى لِسَانٌ لا أُسَرُّ بها ... مِنْ عَلُ لا عَجَبٌ منها ولا سَخَرُ
فَبِتُّ مُرْتَفِقًا لِلنَّجْمِ أَرْقُبُهُ ... حَيْرَانَ ذَا حَذَرٍ لو ينفعُ الحَذَرُ
فجاشَتِ النفسُ لمّا جاء جَمْعُهُمُ ... وراكبٌ جاء مِنْ تَثْلِيثَ مُعْتَمِرُ
يأتى على الناس لا يَلْوِى على أحدٍ ... حتى التَقَيْنَا وكانتْ دُونَنا مُضَرُ
يَنْعَى امْرأً لا تُغِبُّ الحىَّ جَفْنَتُهُ ... إذَا الكواكبُ أخطَا نَوْءَها المَطَرُ
مَنْ ليس فى خيرِه شَرٌّ يُكَدِّرُهُ ... على الصَّدِيقِ ولا فى صَفْوِهِ كَدَرُ

---

(١) بحاشية ا: «قال الأصمعى: يقال: أُنْمُلَةٌ وأَنْمَلَةٌ، والجميع الأنامل، وهى منتهى المفاصل الأوائل من كل إصبع من اليدين والرجلين».

(٢) بحاشية ا: «قال ابن شاذان: قال أبو عمر: الجوائب والجائبات من الأخبار، الواحدة جائبة، تقول: عندك جائبة، أى ما يأتى من الأخبار، قال أبو زبيد: وقد ثابتْ إليكم جوائبُ الأخبارِ».

طَاوِى المَصِيرِ على العَزّاء مُنْصَلِتٌ ... بالقوم ليــــلةَ لا ماءٌ ولا شَجَرُ
لاتُنْــكِرُ البازِلُ الــكَوْماءُ ضَرْبَتَهُ ... بالمَشْرَفِىِّ إذَا ما اجْـلَوَّذَ السَّفَرُ(١)
وتَفْزَعُ الشَّوْلُ منه حينَ تُبْصِرُهُ ... حتى تَقَطَّعَ فى أعناقِها الجِرَرُ
لا يُصْعِبُ الأَمرَ إلاَّ رَيْثَ يَرْكَبُه ... وكلّ أمرٍ سِوَى الفحشاء يأْتَمِرُ
تَــكْفِيهِ فِلْذَةُ كَبْدٍ إنْ أَلَمَّ بها ... من الشِّواء ويكفِى شُرْبَهُ الغُمَرُ(٢)
لا يَتَأَرَّى لِمَا فى القِدْرِ يَرْقُبُهُ ... ولا تَرَاهُ أَمَامَ القومِ يَقْتَفِرُ
لا يَغْمِزُ السَّاقَ مِنْ أَيْنٍ ولا وَصَبٍ ... ولا يَعَضُّ على شُرْسُوفِهِ الصَّفَرُ
مُهَفْهَفٌ أَهْضَمُ الــكَشْحَيْنِ مُنْخَرِقٌ ... عنه القَمِيصُ ، لِسَيْرِ الليلِ مُحْتَقِرُ
عِشْنَا بذلك دَهْرًا ثم فَارَقَنَا ... كذلك الرُّمْحُ ذُو النَّصْلَيْنِ يَنْــكَسِرُ
[فإنْ جَزِعْنا فقد هَدَّتْ مُصِيبتُنا ... وإنْ صَبَرْنَا فإنَّا مَعْشَرٌ صُبُرُ
إنِّى أَشُدُّ حَزِيمِى ثم يُدرِكُنِي ... منكَ البَلاءُ ومن آلائِكَ الذِّكَرُ]
لا يَأْمَنُ الناسُ مُمْسَاهُ ومُصْبَحَهُ ... مِنْ كلِّ أَوْبٍ وإنْ لمْ يَأْتِ يُنْتَظَرُ
إمَّا يُصِبْكَ عَدُوٌّ فى مُنَاوَأَةٍ ... يومًا فقد كنتَ تَسْتَعْلِي وتَنْتَصِرُ(٣)

---

(١) بحاشية ا : « عند ابن شاذان : لا تأمن البازلُ . وعنده : إذا ما اخْرَوَّطَ السَّفَرُ ، أى امتدّ . وقال ابن شاذان : يقال اجْلَوَّذَ الليل واخرَوَّطَ السفر » .

(٢) بحاشية ا : « عند ابن شاذان : تَكفيه حَزَّةُ لحم . وعنده : ويُرْوِى شُرْبَه الغُمَرُ » .

(٣) بحاشية ا : « ابن شاذان : وإن يصبك عدوٌّ فى مناوأة . يقال ناوأتُ الرجل مناوأةً إذا عاديتَه » .

لو لم تَخُنْهُ نُفَيْلٌ وهْيَ خائِنَةٌ … أَلَمَّ بالقوْمِ وِرْدٌ منه أوْ صَدَرُ

ورَّادُ حَرْبٍ شِهابٌ يُسْتَضاءُ به … كما يُضِيءُ سَوادَ الطَّخْيَةِ القَمَرُ

إمَّا سلكتَ سبيلاً كنتَ سالِكَها … فاذهبْ فلا يُبْعِدَنْكَ اللهُ مُنْتَشِرُ

مَنْ ليس فيه إذا قاوَلْتَهُ رَهَقٌ … وليس فيه إذا عاسَرْتَهُ عَسَرُ(١)

قوله : « إنِّى أتَتْنِي لسانٌ » يقال : هو اللسانُ وهى اللسانُ ، فمن ذَكَّرَ جَمَعَهُ « أَلْسِنَةٌ » ، ونظيره « حِمارٌ وأَحْمِرَةٌ » ، و« فراشٌ وأَفْرِشَةٌ » ، « وإزارٌ وآزِرَةٌ » ، ومن أنَّثَ قال « لسانٌ وأَلْسُنٌ » كما تقولُ « ذِراعٌ وأَذْرُعٌ » و « كُراعٌ وأَكْرُعٌ » لا تُبالِي أَمَضْمُومَ الأوَّلِ كان أو مفتوحًا أو مكسورًا إذا كان مؤنثاً ، ألاَ تَرَى أنك تقول « شِمالٌ وأَشْمُلٌ » قال أبو النَّجْمِ :

* يَأْتِي لها مِنْ أَيْمُنٍ وأَشْمُلِ *

وقال آخرُ ، أنشدنيه المازنِيُّ :

فَظَلَّتْ تَكُوسُ على أَكْرُعٍ … ثلاثٍ وكانَ لها أَرْبَعُ(٢)

وأرادَ باللسان هٰهنا : الرسالةَ . وقوله : « مِنْ عَلُ » يقولُ : مِنْ فَوْقُ ، فإذا كان معرفةً مفرداً بُنِيَ على الضَّمِّ ، كقبلُ وبعدُ ، وإذا جعلتَه نكرةً نوَّنْتَه وصرفتَه ، كما قال جريرٌ :

إنِّى انْصَبَبْتُ من السماءِ عليكمُ … حتى اختطفتُكَ يا فَرَزْدَقُ مِنْ عَلِ

---

(١) بحاشية ا : « فى رواية ابن شاذان : إذا ياسَرْتَه عَسَرُ » .

(٢) بحاشية ا : « ابن شاذان : يقال كاسَ البعيرُ يكُوسُ كَوْساً : إذا قطعتَ إحدى قوائمه فحبا على ثلاثٍ » .

والقوافي مجرورةٌ ، وإن شئتَ رددتَ ما ذهبَ منه ، وهي ألفٌ منقلبةٌ من واوٍ ، لأنَّ بناءه « فَعَلٌ » من « عَلاَ » يا فتى ، قال الراجزُ :

وهي تَنوشُ الحوْضَ نَوْشًا مِنْ عَلاَ　　نَوْشًا بِهِ تَقْطَعُ أَجْوازَ الفَلاَ

وقوله : « فَبِتُّ مُرْتَفِقًا » وهو المتّكئُ على مِرْفَقِهِ ، وإنما أرادَ السَّهرَ ، كما قال أبو ذُؤَيْبٍ :

إنّي أَرِقْتُ فَبِتُّ الليلَ مُرْتَفِقًا　　كأَنَّ عَيْنِيَ فيها الصَّابُ مَذْبُوحُ

وقوله : « جاشَتِ النَّفْسُ » يقولُ : خَبُثَتْ ، يكونُ ذلك من تذكُّرِها للتَّهَوُّعِ ومن جَزَعِها منه ، ويُرْوَى عن معاويةَ أنه قال : اجعَلُوا الشِّعْرَ أكثرَ همِّكُمْ وأكثرَ آدابِكم ؛ فإن فيه مآثِرَ أسْلافكم ومواضعَ إرشادكم ، فلقد رأيتُني يوم الهَرِيرِ ، وقد عَزَمْتُ على الفِرارِ ، فما يَرُدُّنِي إلاَّ قولُ ابنِ الإِطنابةِ الأنصاريِّ :

أَبَتْ لي عِفَّتِي وأَبَى بَلاَئِي　　وأَخْذِي الحمدَ بالثَّمَنِ الرَّبِيحِ

وإجْشامِي على المكروه نَفْسِي　　وضَرْبِي هامةَ البَطَلِ المُشِيحِ (١)

وقَوْلِي كُلَّمَا جَشَأَتْ وجاشَتْ　　مكانَكِ تُحْمَدِي أو تَسْتَرِيحِي (٢)

---

(١) بحاشيه ا : « ابن شاذان : أشاح الرجلُ إشاحةً فهو مُشِيحٌ : حاذَرَ من الأمر ، وأشاح : جَدَّ ، وهو من الأضداد ، وشايَحَ فهو مُشايِحٌ ، وشاح فهو شائحٌ وشِيحٌ » .

(٢) بحاشية ا : « ابن شاذان : قوله جشأتْ وجاشت : نهضتْ نفسُه إليه ، ومنه اشتقاق تَجَشَّأْتُ ، والاسم الجُشَأَة ، وهو تنفس المعدة عند الأكل ، ويقال جشأت الغنمُ ، وهو صوت يخرج من الحلق ، قال امرؤ القيس : إذا جَشَأَتْ سمعتَ لها » .

يقال : « جَشَأَتْ » مهموزٌ ، و « جاشَتْ » غيرُ مهموز . و « تَثْلِيثُ » موضعٌ بعينِه . وقوله : « لا يَلْوِى على أحدٍ » يقال: استقام فلانٌ فما لَوَىٰ على أحدٍ ، ويقال: أَلْوَىٰ بالشيء إذا ذهبَ به . وقوله : « إذَا الكواكبُ أَخْطَا نَوْءهَا المطرُ » ، فالنَّوْء عندهم طلوعُ نجمٍ وسقوطُ آخرَ ، وليس كلُّ الكواكبِ لها نوء ، وإنما كانوا يتقوّلون هذا في أشياء بعينها ، ويُرْوىٰ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « إذا ذُكِرَتِ النجومُ فأَمْسِكُوا » يعني أَمْرَ الأَنْوَاء ، لم يختلفْ في ذلك المفسرون ، وعنه عليه السلام في غِبِّ سَماءٍ : « أتدرون ما قال ربُّكم تبارك وتعالى ؟ قال : أَصْبَحَ عبادِي مؤمنًا بي وكافراً بالكواكب ، وكافراً بِي ومؤمناً بالكواكبِ . فأما المؤمنُ بي الكافرُ بالكواكب فهو الذي يقول مُطِرْنَا بِنَوْءِ الرَّحْمَةِ ، والمؤمنُ بالكواكب الكافرُ بي الذي يقول مُطِرْنا بنَوْءِ كذا » . و : « النَّوْء » مهموزٌ ، وهو منَ قولك « ناء بِحِمْلِهِ » أي اسْتَقَلَّ به في ثِقَلٍ[1] ، فالنوء مهموزٌ ، وهو في الحقيقة الطالعُ من الكواكبِ لا الغَائِرُ ، وكان الأصمعيُّ لا يُفَسِّرُ من الشِّعْرِ ما فيه ذِكْرُ الأَنْوَاء ، بل كان لا يسمعُ ما كان فيه هجاءٌ أو كان فيه ذِكْرُ النجومِ ، ولا يفسرُ ما وافق تفسيرُه بعضَ ما في القرآن إلاَّ ساهِيًا ، فيما يذكر أصحابه عنه ، ويُرْوىٰ أنه سُئل عن غير شيء

(١) بحاشية ا : « قال الخليل : الثِقَل مصدر الشيء الثقيل ، تقول : ثَقُل الشيء يثقل ثِقْلاً فهو ثقيل ، والثِقَل رجحان الثقيل » .

من ذلك فأباه وزَجَرَ السائلَ . وقوله « طَاوِى المَصِيرِ » يقال لواحد المُصْرَانِ «مَصِيرٌ» ، وتقديره «قَضِيبٌ وقُضْبانٌ » ، و « كَثِيبٌ وكُثْبانٌ » ، و «العَزَّاءُ» الأمرُ الشديد ، يقال : فلانٌ صابرٌ على العَزَّاء ، وكذلك اللأْوَاء ، وكذلك الجُلَّى مقصورٌ ؛ فأما العزَّاء ، واللَّأْوَاء فممدودانِ . وقوله « مُنْصَلِتٌ » يقال سيفٌ مُنْصَلِتٌ وصَلْتٌ : إذا جُرِّدَ من غِمْدِهِ . وقوله « ليلةَ لا ماءٌ ولا شَجَرُ » يريد : القَفْرَ ، ووقتَ الصُّعوبة . وقوله « لا تُنْكِرُ البازِلُ الكَوْماءُ ضَرْبَتَه بالمشرفىّ » يقول : قد عوَّدَ الإبلَ أن ينحرها ، ومِنْ شأنِهم أن يُعَرْقِبُوها قبل النَّحرِ ، والمَشْرَفِيُّ : السيفُ ، وهو منسوبٌ إلى المشارِفِ . وقوله « اجْلَوَّذَ » امْتَدَّ ، وأنشدنى الرِّيادِىُّ لرجلٍ من أهل الحجاز ، أَحْسِبُهُ ابنَ أبى رَبيعةَ :

ألاَ حَبَّذَا حبذَا حبذَا   حَبيبٌ تَحَمَّلْتُ منه الأَذَى
ويا حبـذَا بَرْدُ أَنْيابِه   إذا أظلمَ الليلُ واجْـلَوَّذَا

وقوله : « حتى تَقَطَّعَ فى أعناقِها الجِرَرُ » يقول : حتى اعتادتْ أن ينحرَها ، فهى تَفْزَعُ منه حتى تَقَطَّعَ جِرَّتُها ، ومثلُ هذا قولُ الخَنَّوْتِ :

سأَبكى خليلِى عَنْتَرًا بعد هَجْعَةٍ   وسَيْفِى مِرْداسًا قَتيلَ قَنَانِ
قَتيلانِ لا تبكى اللِّقاحُ عليهما   إذا شَبِعَتْ من قَرْمَلٍ وأُفانِ(١)

يقول : كانا يَنْحَرانِ الإبلَ ، فهى لا تجزعُ لفقدهما ، وقَرْمَلٌ وأُفَانٌ :

(١) بحاشية ف : « القرمل والأفانى : الأجود إذا أدخلت الألف واللام أن تلحق الياء الأفانى » .

ضربانِ من النَّبْتِ(١) . وشبيهٌ بهذا قولُه حيث يقولُ :

فلو كان سَيْفِي باليمينِ تَباشَرَتْ ضِبابُ المَلَا من جمعِهم بقَتيلِ

يقول : هؤلاء قومٌ كانوا يحترشون الضِّبابَ ، فكلّما قُتِلَ منهم واحدٌ سُرَّتْ بذلك الضِّبابُ واستبشرتْ . وقوله « لا يَتأَرَّى لِمَا فى القِدْرِ يَرْقُبُه » يقول : لا يَتَحَبَّسُ له ، ومن ذا سُمِّىَ الآرِىُّ ؛ لأنه يَحْبِسُ الدابة . وقوله « ولا تَرَاه أمامَ القومِ يَقْتَفِرُ » يقول : لا يسبقهم إلى شىء من الزادِ . وقوله « ولا يَعَضُّ على شُرْسُوفِهِ الصَّفَرُ » الشَّراسِيفُ : أطرافُ الضلوعِ ، والصَّفَرُ هٰهنا : حَيَّةُ البطنِ ، وله مواضع . وقوله « مُهَفْهَفٌ » يعنى ضامِرًا ، وأَهْضَمُ الكَشْحَيْنِ توكيدٌ له . وقوله : « إمَّا يُصِبْكَ عَدُوٌّ فى مُباوَأَةٍ » يقول : فى وِتْرٍ ، يقال باءَ فلان بكذا ، كما قال مُهَلْهِلٌ : بُؤْ بِشِسْعِ كُلَيْبٍ : أى هو ثارٌ بالشِّسْعِ . و « الطَّخْيَةُ ، والطُّخْيَةُ ، والطِّخْيَةُ » ثلاثُ لغاتٍ : شِدَّةُ الظُّلمةِ ، وكان الذى أصابَهُ هِنْدَ بن أسماء الحارثىَّ ، ففى ذلك يقولُ :

أَصَبْتَ فى حَرَمٍ مِنَّا أَخَا ثِقَةٍ هندَ بنَ أسماءَ لا يَهْنِئْ لكَ الظَّفَرُ

يقال « هَنَأَهُ ذلك وهَنَأَ له » كما تقولُ « هَنِيأً لك » قال الأَخْطَلُ :

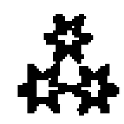
---

(١) بحاشية ا : « قال أبو زياد الكلابى : الأُفانى من العُشْب ، وهى غبراء لها زهرة حمراء ، وهى طيبة ، الواحد أفانيَةٌ . وقال أبو عمرو : الأُفانى من أحرار البقل ، ولها زهرة صغيرة حمراء ، وقال لى بعض الأعراب : الأفانية بقلة ثم تصير كالشجرة خضراء غبراء . وقال الأصمعى : يشبه فرخ القطاةِ المشوّك ، وقال : من الأفانى أحمر وأصفر . قال أبو زياد الكلابى : القَرْمَل والواحدة قرملة ، وهى شجرة من الحَمْضِ تنبت فى السباخ على ساق واحدة ، لا ورق لها » .

إلى إمامٍ تُغَادِينا فَواضِلُهُ أظْفَرَهُ اللهُ فَلْيَهْنِئْ له الظَّفَرُ

وقوله « وليسَ فيه إذا عاسَرْتَهُ عَسَرُ » مَدْحٌ شريفٌ ، مثلُ قولهم « إذا عَزَّ أخوكَ فَهُنْ » وإنما هذا فيمنْ لا يَخافُ استِذْلالَه ، بأنْ يَخْرُجَ صاحِبُه عند مُساهَلَتِه إلى باب الذُّلِّ ، فأما مَنْ كان كذلك فمُعاسَرَتُهُ أحْمَدُ ، ومُدَافعتُهُ أمْدَحُ ، كما قال جريرٌ :

بِشْرٌ أبو مَرْوانَ إنْ عاسَرْتَهُ عَسِرٌ ، وعندَ يَسَارِه مَيْسُورُ



قال أبو العباس : ومن أشعارِ العربِ المشهورةِ المُتَخَيَّرَةِ في المراثى قصيدةُ مُتَمِّمِ بن نُوَيْرَةَ في أخيه مالكٍ ، وسنذكُرُ منها أبياتاً نختارُها ، من ذلك قولُه(١) :

أقولُ وقد طارَ السَّنَا في رَبابِه وغَيْثٌ يَسُحُّ الماءَ حتى تَرَيَّعا (٢)

سَقَى اللهُ أرضاً حلَّها قبرُ مالكٍ ذِهابَ الغَوادِى المُدْجِناتِ فأَمْرَعَا

وآثَرَ سيلَ الوادِيَيْنِ بِدِيمَةٍ تُرَشِّحُ وَسْمِيًّا من النَّبْتِ خِرْوَعَا

تَحِيَّتَهُ مِنِّى وإن كان نائياً وأضْحَى تُراباً فَوْقَهُ الأرضُ بَلْقَعا

فما وَجْدُ أظْآرٍ ثلاثٍ رَوَائِمٍ رَأَيْنَ مَجَرًّا مِنْ حُوارٍ ومَصْرَعَا

يُذَكِّرْنَ ذَا البَثِّ الحزينَ بِبَثِّهِ إذا حَنَّتِ الأُولَى سَجَعْنَ لها مَعَا

---

(١) هو من قصيدة فى المفضليات بشرحنا مع الأستاذ عبد السلام هرون برقم ٦٧ .

(٢) بحاشية ا : « عند ابن شاذان : وجونٍ يسحُّ الماء . وقال : الجون ههنا سحاب أسود » .

بأَوْجَعَ منِّى يومَ فارقتُ مالكاً ونادَىٰ به الناعِى الرفيعُ فأَسْمَعَا

وفيها :

وكنَّا كَنَدْمَانَىْ جَذِيمَةَ حِقْبَةً من الدَّهرِ حتى قيلَ لن يتصدَّعَا
فلما تفرَّقْنا كأَنِّى ومالكاً لطولِ اجتماعٍ لم نَبِتْ ليلةً مَعَا
وعِشْنا بخيرٍ فى الحياةِ وقبْلَنا أصابَ المَنايا رَهْطَ كِسْرَى وتُبَّعَا
فإِنْ تكنِ الأيامُ فرَّقْنَ بيننا فقد بانَ محموداً أخِى يوم وَدَّعَا
تقول ابنةُ العَمْرِىِّ: مالَكَ بعدَما أراكَ حَديثًا ناعمَ البال أفْرَعَا
فقلتُ لها: طولُ الأسَىٰ إذْ سأَلْتِنِى ولَوْعةُ حُزْنٍ تتركُ الوجهَ أسْفَعَا
وفَقْدُ بَنِى أمٍّ تفانَوْا فلم أكُنْ خِلافَهُمُ أنْ أسْتَكِينَ وأضْرَعَا
ولستُ إذا ما الدَّهْرُ أحدَثَ نَكْبَةً ورُزْءًا بزَوَّارِ القَرائِبِ أخْضَعَا
ولا فَرِحٍ إنْ كنتُ يومًا بغِبْطةٍ ولا جَزِعٍ إنْ نابَ دَهْرٌ فأَوْجَعَا
ولكنَّنِى أَمْضِى على ذاكَ مُقْدِمًا إذا بعضُ مَنْ لاقَى الخُطوبَ تكَعْكَعَا
فعَمْرَكِ ألَّا تُسْمِعينِى مَلامةً ولا تَنْكَئِى قَرْحَ الفؤادِ فيَيجَعَا
وقَصْرَكِ إنِّى قد شهدتُ فلم أجِدْ بكَفِّىَ عنه للمنيَّةِ مَدْفَعَا
فلو أنَّ ما ألْقَىٰ أصاب مُتالِعًا أوِ الرُّكْنَ من سَلْمَىٰ إذاً لتَضَعْضَعَا

وفى هذه القصيدة :

لقد كفَّنَ المِنْهالُ تحتَ ردائِهِ فَتًى غيرَ مِبْطانِ العَشِيَّاتِ أرْوَعَا
ولا بَرَمٍ تُهْدِى النساءُ لعِرْسِهِ إذَا القَشْعُ من بَرْدِ الشِّتاءِ تَقَعْقَعَا
لَبِيبًا أعانَ اللُّبَّ منه سَماحةٌ خَصيبًا إذا ما رائدُ الجَدْبِ أوْضَعَا

تَرَاهُ كنَصْلِ السيف يَهْتَزُّ للنَّدَى ... إذا لم تجدْ عندَ امْرِئِ السَّوْءِ مَطْمَعَا
إذا ابْتَدَرَ القومُ القِدَاحَ وأُوقِدَتْ ... لهمْ نارُ أَيْسَارٍ كَفَى مَنْ تَضَجَّعَا
بَمَثْنَى الأَيادِي ثم لم تُلْفِ مالكاً ... على الفَرْثِ يَحْمِي اللحمَ أن يُتَمَزَّعَا

قوله « وقد طارَ السَّنا فى ربَابِهِ » . « السَّنَا » الضوء ، وهو مقصور ، قال الله جل وعز : ﴿ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بالأَبْصَارِ ﴾ ، و « السَّنَاء » من الحسب ممدودٌ ، و « الرَّبَابُ » سحابٌ دُونَ السحابِ كالمتعلِّقِ بما فوقَه ، قال المازنىُّ :

كَأَنَّ الرَّبَابَ دُوَيْنَ السحابِ ... نَعامٌ تَعَلَّقُ بالأَرْجُلِ

وقوله « يَسُحُّ » معناه يَصُبُّ ، فإذا قلتَ « يَسْحُو » ، أو « يَسْحَى » فمعناه يَقْشِرُ ، ومن ذا سُمِّيتْ « سِحَاءَةُ » القِرْطاسِ و « سِحَابَتُهُ » ، ومنه قيل للحديدةِ التى يُقْشَرُ بها وجهُ الأرض « مِسحاةٌ » قال عَنْترةُ :

سَحًّا وسَاحِيَةً فكلُّ قَرارةٍ ... يَجْرِى عليها الماءُ لم يَتَصَرَّمِ

وقوله « تَرَيَّعَ » أى كَثُرَ حتى جاء وذهبَ ، يقال رَاعَ يَرِيعُ إذا رجعَ ، ومنه سُمِّيَ رَيْعُ الطعام ؛ لأنه يرجع بفَضْلٍ ، قال مُزَرِّدٌ :

خَلَطْتُ بِصَاعَيْ عَجْوةٍ صاعَ حنطةٍ ... إلى صاعِ سَمْنٍ فوقَه يَتَرَيَّعُ

و « الذِّهابُ » الأمطارُ الليِّنة (١) . و « المُدْجِنَاتُ » من السحاب

---

(١) بحاشية ١ : « قال أبو زيد : الذِّهاب اسم للمطر كله ، ضعيفه وشديده . وقال الخليل : الذِّهْبَة المَطْرَةُ الجَوْدُ ، والجميع الذِّهاب ، والذِهبة المرة الواحدة من الذهاب . وقال ابن الأعرابى : الذهاب الأمطار » .

السُّودُ ، وهو مأخوذٌ من الدَّجْنِ والدُّجُنَّةِ ، ومعناه إلْبَاسُ الغيم وظلمتُه ، قال طَرَفةُ :

وتَقْصيرُ يوم الدَّجْنِ والدَّجْنُ مُعْجِبٌ   ببَهْكَنَةٍ تحتَ الطِّرَافِ المُمَدَّدِ

ويقال « أمْرَعَ الوادِى » إذَا أَخْصَبَ ، من ذلك قولُ مولاةِ بنِ الأَجْيَدِ عن أَوْفَى بنِ دَلْهَمٍ ، قال أبو العباس : حدثنى به ابنُ المهدىِّ أحمدُ بن محمدٍ النحوىُّ ، يُحَدِّثُ به عن الأصمعىّ عن أبيه ، عن مولاة بنِ الأَجْيَدِ عن أَوْفَى قال : فى النساء أربعٌ ، فمنهنّ الصَّدَعُ ، تُفَرِّقُ ولا تَجْمَعُ ، ومنهنّ مَنْ لها شَيْئُها أَجْمَعُ ، ومنهنّ غَيْثٌ وقعَ فى بلدٍ فأَمْرَعَ ، ومنهنّ التَّبَعُ ، تَرَى ولا تَسْمَعُ ، قال : فذكرتُ ذلك لرجلٍ فقال : ومنهنّ القَرْثَعُ ، قلتُ : وما هى ؟ قال التى تَكْحُلُ عيناً وتَدَعُ الأُخرىٰ ، وتَلبسُ ثوبَها مقلوباً . [قال الأخفشُ : حدثنى بذلك أبو العَيْناء عن الأصمعىّ ، وذَكَرَ نحوَ ذلك] . وقوله « وآثَرَ سَيْلَ الوادِيَيْنِ بديمَةٍ » زعَم الأصمعىُّ وغيرُه من أهل العلم أن الدِّيمَةَ المطرُ الدائمُ أيامًا برِفْقٍ . وقوله « تُرَشِّحُ وَسْمِيًّا » أى تُهَيِّئُه لذلك ، يقال فلانٌ يُرَشَّحُ للخلافة ، و « الوَسْمِيُّ » أوّلُ مطرٍ يَسِمُ الأرضَ ، و « الوَلِيُّ » كلُّ مَطْرَةٍ بعدَ مطرةٍ ، فالثانية وَلِيٌّ للأخرىٰ ؛ لأنها تَليها . و « الخِرْوَعُ » كلُّ عُودٍ ضعيفٍ . وقوله « فَمَا وَجْدُ أظْـآرٍ ثلاثٍ روائمٍ » . « أظْـآرٌ » جمعُ ظِئْرٍ ، وهىَ النُّوقُ تَعْطِفُ على الحُوَارِ فتَأْلَفُه » ، و « رَوَائِمُ » واحدتُها رَؤُومٌ ، ومعنى تَرْأَمُهُ تَشَمُّهُ ، والحُوارُ وَلَدُ

الناقةِ، ويقال له حيثُ يَسْقطُ من أُمِّهِ « سَلِيلٌ » قبلَ أن تقعَ عليه الأَسماء ، فإن كان ذَكَرًا فهو « سَقْبٌ » ، وإن كانت أُنثى فهى « حَائِلٌ » وهو فى ذلك كلِّه « حُوَارٌ » سَنَةً . وقوله « نَدْمَانَىْ جَذِيمَةَ » يعنى جَذيمةَ الأَبْرَشَ الأَزْدِىَّ ، وكان مَلِكاً ، وهو الذى قتلَتْه الزَّبَّاءِ ، وهو أولُ من أَوْقَدَ بالشَّمْعِ (١) ونَصَبَ المَجَانِيقَ للحربِ ، وله قِصَصٌ تطُولُ ، وقد شرحنا ذلك فى كتاب الاختيار ، ونديماه يقالُ لهما مالكٌ ، وعَقيلٌ ، ففى ذلك يقولُ أبو خِرَاشٍ الهُذَلِىُّ :

أَلَمْ تَعلَمِى أَنْ قد تَفَرَّقَ قبلَنا ... خليلاَ صَفَاءٍ : مالِكٌ وعَقِيلُ

والمَثَلُ يُضْرَبُ بهما لِطُولِ ما نَادَمَاه ، كما يُضْرَبُ باجتماع الفَرْقَدَيْنِ ، قال عَمْرُو بن مَعْدِى كَرِبَ :

وكلُّ أَخٍ مُفارِقُهُ أَخوه ... لَعَمْرُ أبيكَ إِلاَّ الفَرْقَدَانِ

قال هذا من قبلِ أن يُسْلِمَ . وقال إسمٰعيلُ بن القاسِمِ :

ولم أَرَ ما يَدُومُ له اجتماعٌ ... سَيَفْتَرِقُ اجتماعُ الفَرْقَدَيْنِ

وقوله « أَرَاكَ حديثًا ناعِمَ البالِ أَفْرَعَا » « الأَفْرَعُ » التامُّ شَعَرِ الرأسِ ، وقيل لعمرَ بن الخطاب رضى الله عنه : الفُرْعانُ خيرٌ، أَمِ الصُّلْعانُ ؟ فقال : بلِ الفُرْعانُ ، وكان أبو بكرٍ أَفْرَعَ ، وكان عمرُ أَصْلَعَ ، فوَقَع

---

(١) بحاشية ا : « قال الخليل : الشَّمَعُ مُومُ العَسَل ، والقطعة شَمَعَة . وقال ابن دريد : الشَّمَع الذى يُسمَّى المُومَ بالفارسية . وقال ابن قتيبة : يقال: شَمْع وشَمَع . وحُكِى عن الفراء ، قال : الشَّمَع بتحريك الميم ، والمولدون يقولون : شَمْع » .

فى نفسِه أنه يُسْئَل عنه وعن أبى بكرٍ . و « الأَسْفَعُ » الأسودُ ، يقال « سَفَعَتْهُ النارُ » أىْ غَيَّرَتْ وجهَه إلى السَّوادِ . وقوله « فَعَمْرَكِ » يُقْسِمُ عليها ، ويقال « عَمْرَكَ اللهَ » أىْ أُذَكِّرُكَ اللهَ[١] قال :

عَمَّرْتُكِ اللهَ إلاَّ ما ذَكَرْتِ لَنا ... هل كنتِ جارتَنا أيَّامَ ذِى سَلَمِ

وقوله « غيرَ مِبْطَانِ العَشِيَّاتِ » . يقول : كان لا يأكلُ فى آخرِ نهارِه انتظارًا للضيفِ ، ويروى أن عمر بن الخطاب سأله فقال : أكذبتَ فى شىءٍ مما قلتَه فى أخيكَ ؟ فقال : نعم ، فى قولى « غيرَ مِبْطَانٍ » ، وكان ذَا بَطْنٍ ، ويقال فى غيرِ هذا الحديثِ : إنَّ مِنْ سِيماَ الرئيسِ السيِّدِ أن يكونَ عظيمَ البطنِ ضَخْمَ الرأسِ فيه طَرَشٌ ! وقال رجلٌ لفتًى : واللهِ ما أنتَ بعظيمِ الرأسِ فتكونَ سيِّدًا ، ولا بأَرْسَحَ فتكونَ فارساً . وقال رجلٌ لرجلٍ : واللهِ ما فُتِقْتَ فَتْقَ السَّادَةِ ، ولا مُطِلْتَ مَطْلَ الفُرْسَانِ . و « الأَرْوَعُ » ذو الرَّوْعَةِ والهيْئَةِ . و « البَرَمُ » الذى لا يَنْزِلُ مع الناسِ ولا يأخذُ فى المَيْسِرِ ، ولا يَنْزِعُ إلاَّ نَكِدًا ، قال النابغةُ :

هلاَّ سألْتِ بنى ذُبْيانَ ما حَسَبِى ... إذَا الدُّخَانُ تَغَشَّى الأَشْمَطَ البَرَمَا

وقوله « إذا القَشْعُ » وهو الجِلْدُ اليابسُ ، ويقال لِكُنَاسَةِ الحَمَّام « القِشْعُ » قال أبو هريرة : وكُذِّبْتُ حتى رُمِيتُ بالقِشْعِ .

---

(١) بحاشية ا : « قال المهلبى : عَمْرَكَ اللهَ ، أى سألتُ اللهُ تعميرَكَ ، وهو معنى قول العامة : بالذى يُعَمِّرُكَ . وقال ابن الأعرابى : عمرَكَ اللهُ بالرفع . والنصبُ الوجهُ ، وعليه رواه أهل العربية . وقال آخرون : عَمْرَ اللهِ » .

وحدثنى العباسُ بن الفَرَج الرِّياشِيّ عن محمد بن عبد الله الأنصاريّ القاضى فى إسنادٍ ذَكَرَه ، قال : صلَّى مُتَمِّمٌ مع أبى بكرٍ الصديقِ الفَجْرَ فى عَقِبِ قتلِ أخيه ، وكان أخوه خَرَجَ مع خالدٍ مَرْجِعَهُ من اليَمَامَةِ ، يُظْهِرُ الإسلامَ ، فظَنَّ به خالدٌ غيرَ ذلك ، فأمر ضِرارَ بن الأَزْوَرِ الأَسَدِيَّ فقتَلَه ، وكان مالكٌ من أَرْدَافِ الملوكِ ، ومن مُتَقَدِّمِي فُرْسانِ بنى يَرْبوعٍ ، قال : فلمَّا صلَّى أبو بكرٍ قامَ مُتَمِّمٌ بحِذَائِه ، واتَّكأَ على سِيَةِ قَوْسِهِ ، ثم قال :

نِعْمَ القَتِيلُ إذَا الرِّيَاحُ تَنَاوَحَتْ خَلْفَ البُيُوتِ قَتَلْتَ يابْنَ الأَزْوَرِ
ولَنِعْمَ حَشْوُ الدِّرْعِ كنتَ وحاسِرًا ولَنِعْمَ مَأْوَى الطَّارِقِ المُتَنَوِّرِ
أَدَعَوْتَهُ باللهِ ثم غَرَرْتَهُ لَوْ هُوْ دَعَاكَ بذِمَّةٍ لم يَغْدِرِ

وأومأَ إلى أبى بكرٍ ، فقال : واللهِ ما دَعَوْتُه ولا غَرَرْتُه ، ثم أَتَمَّ شِعْرَه ، فقال :

لا يُمْسِكُ الفحشاءَ تحتَ ثيابِه حُلْوٌ شَمائِلُهُ عَفيفُ المِئْزَرِ

ثم بكَى وانْحَطَّ على سِيَةِ قوسِه ، وكان أعورَ دَمِيماً ، فما زال يَبْكى حتى دَمَعَتْ عينُه العَوْرَاءُ ، فقام إليه عمر بن الخطاب فقال : لَوَدِدْتُ أنِّى رَثَيْتُ أخِي زيدًا بمثلِ ما رَثَيْتَ به مالكاً أخاكَ ، فقال له : يا أَبا حَفْصٍ ! واللهِ لو علمتُ أنَّ أخِي صارَ بحيثُ صارَ أخوكَ ما رَثَيْتُهُ ، فقال عمر : ما عزَّانى أحدٌ بمثلِ تعزيتِكَ . وكان زيدُ بنُ الخطابِ قُتِلَ شهيدًا يومَ اليمامةِ ، وكان عمرُ يقول : إنِّى لأَهَشُّ للصَّبَا ؛ لأنها تأْتِينا من ناحيةِ زيد . ويُروَى عن عمرَ أنه قال : لو كنتُ أقولُ الشِّعرَ كما تقولُ لَرَثَيْتُ أَخِي

كما رثيتَ أخاكَ . ويُروى أنَّ مُتَمِّمًا رثَى زيدًا فلم يجِدْ ، فقال له عمر : لم تَرْثِ زيدًا كما رثيتَ أخاكَ مالكاً ! فقال : لأنه واللهِ يُحرِّكُني لمالكٍ ما لا يُحرِّكُني لزيدٍ . ومن طَرِيفِ شعرِهِ :

لَعَمْرِي وما دَهْرِي بتأْبينِ هَالكٍ ولا جَزَعٍ والموتُ يَذْهَبُ بالفَتَى
لَئِنْ مَالكٌ خَلَّى علىَّ مكانَهُ لفِي أُسْوةٍ إنْ كُنْتِ باغيةَ الأُسَا
كُهولٌ ومُرْدٌ من بني عمٍّ مالكٍ وأَيْفاعُ صِدْقٍ قد تَمَلَّيْتُهُمْ رِضَا
سُقُوا بالمُقَارِ الصِّرْفِ حتى تَتَابَعُوا كَدَأْبِ ثَمُودٍ إذْ رَغَا سَقْبُهم ضُحَى
إذَا القَوْمُ قالوا : مَنْ فَتًى لِمُلِمَّةٍ فَمَا كُلُّهُمْ يُدْعَى ، ولكِنَّهُ الفَتَى

ومثلُ هذا الشعرِ قولُ النَّهْشَلِيِّ :

لو كانَ فى الألفِ مِنَّا واحدٌ فَدَعَوْا مَنْ فارسٌ ؟ خالَهُمْ إيَّاهُ يَعْنُونَا !

وأوَّلُ هذا المعنَى لِطَرَفَةَ :

إذَا القومُ قالوا : مَنْ فَتًى ؟ خِلْتُ أَنَّنِي عُنِيتُ فلم أَكْسَلْ ولم أَتَبَلَّدِ

وقال متممٌ أيضاً فى كلمةٍ له يرثى بها مالكاً :

جَميلُ المُحَيَّا ضاحكٌ عند ضَيْفِهِ أغَرُّ جَمِيعُ الرَّأْيِ مُشْتَرَكُ الرَّحْلِ
وَقُورٌ إذَا القومُ الكِرامُ تَقَاوَلُوا فَحُلَّتْ حُبَاهُم واسْتُطِيرُوا من الجَهْلِ
وكنتَ إلى نفسِي أشدَّ حلاوةً من الماءِ بالمَاذِيِّ من عَسَلِ النَّحْلِ
وكلُّ فَتًى فى الناسِ بعدَ ابنِ أُمِّهِ كساقِطَةٍ إحْدَى يَدَيْهِ من الخَبْلِ
وبَعْضُ الرجالِ نَخْلَةٌ لا جَنَى لها ولا ظِلٌّ ، إلاَّ أنْ تُعَدَّ من النَّخْلِ

وقال له عمرُ بن الخطاب : إنك لجَزْلٌ فأينَ كان أَخُوكَ منك ؟ فقال :

كان واللهِ أخِي في الليلةِ المُظْلمةِ ذاتِ الازيزِ والصُّرّادِ ، يركبُ الجملَ الثَّفَالَ ، ويجنُبُ الفرسَ الجَرُورَ ، وفى يدِهِ الرُّمْح الثَّقيلُ ، وعليه الشَّمْلةُ الفَلوتُ ، وهو بَيْنَ المَزَادَتَيْنِ حتى يُصْبِحَ ، فَيُصْبِحَ أهلَه مُتَبَسِّماً !

« الجملُ الثَّفَالُ » البَطِىء الذى لا يكاد يَنبَعِثُ . و « الفرسُ الجَرُورُ » الذى لا يكادُ يَنْقادُ مع مَنْ يجنُبُه ، إنما يَجُرُّ الحبْلَ . و « الشَّمْلَةُ الفَلُوتُ » التى لا تكادُ تَثْبُتُ على لَابِسِها . وذُكِرَ لنا أنَّ مالكاً كان من أَرْدَافِ الملوكِ ، وفى تَصْدَاقِ ذلك يقولُ جريرٌ يفْخَرُ ببنى يَرْبُوعٍ :

منهم عُتَيْبَةُ والمُحِلُّ وقَعْنَبٌ والحَنْتَفَانِ ومنهمُ الرِّدْفَانِ

فأَحَدُ الرِّدْفَيْنِ مالكُ بن نُوَيْرَةَ اليربوعىُّ ، والرِّدْفُ الآخر من بنى رِياحِ بن يَرْبوعٍ . وللرِّدَافَةِ موضعانِ : أحدهما أن يُرْدِفَهُ المَلِكُ على دابَّته فى صَيْدٍ أو تَرَيُّفٍ أو ما أَشبه ذلك من مواضعِ الأُنْسِ ، والوجه الآخرُ أَنْبَلُ : وهو أن يَخْلُفَ المَلِكَ إذا قامَ عن مجلسِ الحُكْمِ فينظرَ بَيْنَ الناسِ بعْدَهُ .

باب

قال أبو العباس : لمَّا احْتُضِرَ إبرٰهيمُ النَّخَعِىُّ رحمه الله جَزِعَ جَزَعًا شديدًا ، فقيل له فى ذلك ، فقال : وأىُّ خَطَرٍ أعظمُ من هذا ؟ إنَّما أتوَقَّعُ رسولاً يَرِدُ علىَّ من ربِّى ، إما بالجنةِ وإما بالنارِ . ولما احتُضِرَ ابنُ سيرينَ جعلَ يقولُ : نفسِى واللهِ أعَزُّ الأَنْفُسِ علىَّ . ولما احتُضِرَ حُجْرُ بنُ عدِىٍّ لِيُقْتَلَ سأَلَ أن يُمْهَلَ حتى يصلِّىَ ركعتين ، وظهرَ منه جزعٌ شديدٌ ، فقال له

قائلٌ : أَتَجْزَعُ ؟ ! فقال : وكيف لا أَجْزَعُ ! ! سيفٌ مشهورٌ ، وكفنٌ منشورٌ ، وقبرٌ محفورٌ ، ولستُ أَدرى أَيُؤَدِّينِي إلى جنةٍ ، أم إلى نارٍ .

[قال أبو الحسن : ما يقومُ بقتلِ حُجْرِ بنِ عديٍّ شيء ، وإنى لأَعْجَبُ من قوله هذا : « ولستُ أدرِى أيُدْنِينِي إلى جنةٍ أو إلى نارٍ » وهو شهيدُ الشهداء ! رحمه الله] . وقد ذكرنا موتَ عمْرِو بنَ العاصِي وكلامَه عند الموت .

⁂

ومِمن ظهرَتْ منه عند الموت قَسْوةٌ : حَلْحَلةُ الفَزَارِيُّ ، وسعيدُ بن أَبَانَ بنِ عُيَيْنَةَ بنِ حِصْنٍ الفَزَارِيُّ ، فإن عبدَ الملك لمَّا أَحضرَهما ليُقِيدَ منهما قال لحلحلةَ : صبْرًا حَلْحَلَ ! فقال إِي واللهِ

أَصْبَرُ مِنْ ذِي ضَاغِطٍ عَرَكْرَكِ ... أَلْقَى بَوَانِي زَوْرِهِ لِلْمَبْرَكِ

ثم قال لابنِ الأسودِ الكَلْبِيِّ : أَجِدِ الضَّرْبَةَ ، فإنى واللهِ ضربتُ أباكَ ضربةً أَسْلَحَتْهُ فعددتُ النُّجومَ فى سَلْحَتِهِ ! ثم قال عبدُ الملك لسَعيدِ بن أبانَ : صبرًا سعيدُ ! فقال : إِي واللهِ

أَصْبَرُ مِن عَوْدٍ بِجَنْبَيْهِ الْجُلَبْ ... قد أَثَّرَ البِطَانُ فيه والحَقَبْ(١)

ومنهم وكيعُ بنُ أَبِي سُودٍ ، أحدُ بنى غُدَانَةَ بْنِ يَرْبُوعٍ ، فإنه لما يُئِسَ منه خرجَ الطبيبُ من عنده ، فقال له محمدٌ ابنُه : ما تقولُ ؟ قال : لا يُصَلِّي الظُّهْرَ ، وكان محمدٌ ناسكاً فدخلَ إلى أبيه ، فقال له أبوه وكيع : ما قال

(١) بحاشية ا : « ابن شاذان : الجُلْبَةُ قِشْرَةٌ تَرْكَبُ الجُرْحَ عند البرء ، والجميع جُلَبٌ » .

لك المَعْلُوجُ ؟ قال : وَعَدَ أنك تبْرَأُ ، قال : أسألُك بحقِّي عليكَ ؟ قال : ذَكَرَ أنكَ لا تصلِّي الظهرَ ، قال : وَيْلِي على ابنِ الخبيثةِ ! واللهِ لو كانتْ في شِدْقِي لَلُكْتُها إلى العصْرِ !! ويُرْوَى أنَّ إبراهيمَ النَّخَعِيَّ قال في الحديثِ الذي ذكرناه : واللهِ لَوَدِدْتُ أنها تَلَجْلَجُ في حَلْقِي إلى يومِ القيامة ! وفي وَكيعِ بن أبي سُودٍ يقولُ الفرَزْدَقُ :

لقد رُزِئَتْ بأسًا وحَزْمًا وسُودَدًا تَمِيمُ بن مُرٍّ يومَ ماتَ وَكِيعُ
وما كان وقَّافًا وَكِيعٌ إذا دَنَتْ سحائبُ مَوْتٍ وَبْلُهُنَّ نَجِيعُ
إذَا الْتقَتِ الأبطالُ أبْصرْتَ لَوْنَهُ مُضِيأً وأعناقُ الكُماةِ خُضُوعُ
فصبرًا تَمِيمٌ إنما الموتُ مَنْهَلٌ يَصِيرُ إليه صابرٌ وجَزُوعُ

وقال أيضاً :

لِتَبْكِ وَكِيعاً خَيْلُ ليلٍ مُغِيرةٌ تَسَاقَىٰ المَنَايَا بالرُّدَيْنِيَّةِ السُّمْرِ
لَقُوا مِثْلَهُم فاستَهْزَمُوهم بدَعْوَةٍ دَعَوْها وكيعاً والجِيادُ بهم تَجْرِي

ومن الجفاةِ عندَ الموتِ هُدْبَةُ بن خَشْرَمٍ العُذْرِيُّ ، وكان قَتَلَ زِيادَةَ بنَ زيدٍ العُذْرِيَّ ، فلما حُمِلَ إلى معاويةَ ، تقدَّم معه عبدُ الرحمنِ أخو زيادةَ بنِ زيدٍ ، فادَّعَىٰ عليه ، فقال له معاويةُ : ما تقولُ ؟ قال : أتحبُّ أن يكونَ الجوابُ شعرًا أم نثرًا ؟ قال : بل شعرًا فإنه أمْتَعُ ، فقال هُدْبَةُ :

فلمَّا رأيتُ أنمَا هِيَ ضَرْبَةٌ منَ السيفِ أو إغضاءِ عَيْنٍ على وِتْرِ

عَمَدْتُ لِأَمْرٍ لا يُعَيَّرُ والدِى خَزَايَتَهُ ولا يُسَبُّ به قبرِى[1]
رُمِينا فَرَامَيْنَا فصادَفَ سَهْمُنا مَنِيَّةَ نَفْسٍ فى كتابٍ وفى قَدْرِ
وأنت أميرُ المؤمنين فما لَنَا وراءكَ من مَعْدًى ولا عنكَ من قَصْرِ
فإن تكُ فى أَمْوالِنا لا نَضِقْ بها ذِراعًا ، وإن صَبْرٌ فنَصْبِرُ للصَّبْرِ

فقال له معاويةُ : أَراكَ قد أَقْرَرْتَ يا هدبةُ ! قال : هو ذاكَ ، فقال عبدُ الرحمن : أَقِدْنِى ، فَكَرِهَ ذاكَ معاويةُ وضَنَّ بهُدْبَةَ عنِ القَتْلِ ، وكان ابنُ زيادةَ صغيرًا ، فقال له معاويةُ : أَوَمَا عليكَ أَنْ تَشْفِيَ صَدْرَكَ وتَحْرِمَ غيرَكَ ! ثم وَجَّهَ به إلى المدينة فقال : يُحْبَسُ إلى أن يبلُغَ ابنُ زِيادَةَ ، فبلَغَ ، وكان والِى المدينةِ سعيدَ بنَ العاصِى ، فمَّا وُقِفَ عليه من قسوتِه قولُه :

ولمَّا دخلتُ السجنَ يا أُمَّ مالكٍ ذَكرتُكِ والأطرافُ فى حَلَقٍ سُمْرِ
وعندَ سَعيدٍ غيرَ أَنْ لم أَبُحْ به ذَكرتُكِ إنَّ الأمرَ يُذْكَرُ بالأَمْرِ

فسُئِلَ عن هذا القول ؟ فقال : لمَّا رأيتُ ثَغْرَ سعيدٍ ، وكان سعيدٌ حسنَ الثغرِ جدًّا ، ذَكَرْتُ به ثَغْرَها ! ويقال أنه عُرِضَ على ابنِ زيادةَ عَشْرُ دِياتٍ فأَبَىَ إلاَّ القَوَدَ ، وكان ممن عَرَضَ الدياتِ عليه ممن ذُكِرَ لنا : الحسينُ بن علىّ ، وعبدُ اللهِ بنُ جعفرٍ ، عليهما السلام ، وسعيدُ بن العاصِى ، ومَرْوَانُ بن الحَكَمِ ، وسائرُ القوم من قريشٍ والأنصارِ ، فلما خُرِجَ به

(١) بحاشية ا : « قال ثعلب : عَمَدْتُ الشىءَ أَعْمِدُ إذا قصدتُ إليه . الخَزَايَةُ الاستحياء ، وقال الخليل : الخزاية شدة الاستحياء . يقول : لا يأنف منه ولا يخزَى . وقال ابن دريد : خَزِىَ الرجل يخْزَى خَزاية إذا استحيا فهو خزيانُ » .

لِيُقادَ بِالحَرَّةِ جَعَلَ يُنشِدُ الأشعارَ ، فقالتْ له حُبَّى المَدِينيَّةُ : ما رأيتَ أقسَى قلباً منك ، أتُنشِدُ الأشعارَ وأنتَ يُمضَى بك لتُقتَلَ ، وهذه خَلْفَكَ كأنها ظَبْيٌ عَطْشانُ تُوَلْوِلُ ؟! تَعْنِي امرأتَه ، فوقَفَ ووقفَ الناسُ معه ، فأقبلَ على حُبَّى فقال :

ما وَجَدَتْ وَجْدِى بها أُمُّ واحدٍ ولا وَجْدَ حُبَّى بابنِ أُمٍّ كِلابِ
رأتْه طويلَ الساعدَيْن شَمَرْدَلاً كما انعَتَتْ من قُوَّةٍ وشَبابِ(١)

فأغلقتْ حُبَّى البابَ فى وجهه وسَبَّتْهُ ، وعَرَضَ له عبدُ الرحمن بن حَسَّانٍ ، فقال : أنْشِدْنى ، فقال له : أَعَلَى هذه الحال ؟! قال : نعم ، فأنشدَه :

ولَسْتُ بِمِفْرَاحٍ إِذَا الدهرُ سَرَّنِى ولا جازعٍ من صَرْفِهِ المُتَقَلِّبِ
ولا أَتَبَغَّى الشَّرَّ والشَّرُّ تارِكِى ولكنْ متى أُحْمَلْ على الشَّرِّ أَرْكَبِ
وحَرَّبَنِى مولاىَ حتى غَشِيتُهُ متى ما يُحَرِّبْكِ ابنُ عَمِّكِ تَحْرَبِ

فلما قُدِّمَ نَظَرَ إلى امرأتِه ، فدخلتْه غَيْرةٌ ، وقد كان جُدِعَ فى حَرْبِهِمْ ، فقال :

فإنْ يَكُ أَنفِى بانَ منه جَمالُه فما حَسَبِى فى الصالحِينَ بِأَجْدَعَا
فلا تَنْكِحِى إنْ فَرَّقَ الدهرُ بيننا أَغَمَّ القَفَا والوجهِ ليس بأَنْزَعَا

---

(١) بحاشية ا : « قال ابن شاذان : حدثنى أبو عمر عن ثعلب عن ابن الأعرابى قال : الشمردل الحسنُ الخَلْقِ ، ويقال : السريع ».

فقالت : قِفُوا عنه ساعةً ، ثم مَضَتْ ورَجَعَتْ وقد اصْطَلَمَتْ أنفَها !
فقالت : أهذَا فِعْلُ مَنْ له فى الرجالِ حاجةٌ ؟ ! فقال : الآنَ طابَ الموتُ ،
ثم أقبل على أبَوَيْهِ فقال :

أَبْلِيَانِى اليــومَ صَبْرًا منكما إنَّ حُزْنًا منكما اليومَ لَشَرّْ
ما أظنُّ الموتَ إلاَّ هَيِّنًا إنَّ بعدَ الموتِ دارَ المُسْتَقَرّْ

ثم قال :

أَذَا العَرْشِ إنِّى عائذٌ بكَ مؤمِنٌ مُقِرٌّ بزَلاَّتِى إليكَ فَقِــيرُ
وإنِّى وإنْ قالوا أميرٌ مُسَلَّطٌ وحُجَّابُ أبوابٍ لَهُنَّ صَرِيرُ
لَأَعْلَمُ أنَّ الأمْرَ أمْرُكَ إن تَدِنْ فرَبٌّ وإنْ تَغْفِرْ فأنتَ غَفُورُ

ثم قال لابنِ زِيادَةَ : أثبِتْ قَدَمَيْكَ ، وأجِدِ الضربةَ ، فإنى أيتَمْتُكَ
صغيرًا ، وأرْمَلْتُ أمَّكَ شابّةً ! ! ويزعُم بعضُ أصحاب الأخبار أنه قال :
ما أجْزَعُ من الموتِ ، وآيةُ ذلك أنِّى أضْرِبُ برجلِي اليُسْرَى بعدَ القتل
ثلاثًا . وهو باطلٌ موضوعٌ ، ولـكنْ سَأَلَ فَكَّ قيودِه ، فَفُـكَّتْ ،
فذلك حيث يقولُ :

فإنْ تَقْتُلونِى فى الحَدِيدِ فإنَّنِى قَتَلْتُ أخاكم مُطْلَقًا لم يُقَيَّدِ

قال أبو العباس : ووَقَفَ جَبَّارُ بنُ سَلْمَى على قبرِ عامرِ بن الطُّفَيْل ،
ولم يكن حَضَرَهُ ، فقال : أنْعِمْ صباحًا أبَا علىٍّ ! فواللهِ لقد كنتَ سريعًا
إلى المَوْلَى بوَعْدِكَ . بَطِيئًا عنه بإيعادِكَ ، ولقد كنتَ أهْدَى من النَّجْمِ ،

وأجْرَىٰ من السَّيْلِ . ثم التفت إليهم فقال : كان ينبغى أن تجْعَلُوا قبر أَبِي عليٍّ مِيلاً فى مِيلٍ . وذَكَرَ الجِرْمازِيُّ : أن الأَحْنَفَ بن قَيْسٍ لما مات ، وكان موتُه بالكوفة ، مَشَىٰ المُصْعَبُ بن الزُّبير فى جنازته بغير رِداءٍ ، وقال : اليومَ ماتَ سيدُ العربِ ، فلمَّا دُفِنَ قامتِ امرأةٌ على قبره ، أَحْسِبُها من بني مِنْقَرٍ ، فقالت : لله دَرُّكَ من مُجَنٍّ فى جَنَنٍ[1] ، ومُدْرَجٍ فى كَفَنٍ ، فنسألُ الذى فَجَعَنا بموتِكَ ، وابتلانَا بفقدِكَ ، أن يجْعَلَ سبيلَ الخيرِ سبيلَكَ ، ودَليلَ الخيرِ دليلَكَ ، وأن يُوَسِّعَ لك فى قبركَ ، ويغفرَ لك يومَ حَشْرِكَ ، فوالله لقد كنتَ فى المحافِلِ شريفاً ، وعلى الأرامِلِ عَطُوفاً ، ولقد كنتَ فى الحيِّ مُسَوَّدًا ، وإلى الخليفةِ مُوَفَّدًا ، ولقد كانوا لقولِكَ مستمعينَ ، ولرأيك مُتَّبِعِينَ ، قال : فقال الناسُ : ما سمعنا كلامَ امرأةٍ أبلغ ولا أصْدَقَ معنًى منها . ووقفَ رجلٌ على قبرِ النجاشيِّ فَتَرَحَّمَ وقال : لولا أنَّ القولَ لا يُحيطُ بما فيكَ ، والوصفَ يَقْصُرُ دونَك ، لأَطْنَبْتُ ، بل لَأَسْهَبْتُ ، ثم عَقَرَ ناقتَه على قبره ، وقال :

عقرْتُ على قبرِ النَّجَاشِيِّ نَاقَتِي ... بأَبْيَضَ عَضْبٍ أَخْلَصَتْهُ صَيَاقِلُهْ

على قَبْرِ مَنْ لو أنَّنِي مُتُّ قَبْلَه ... لهانَتْ عليه عندَ قبْرِي رَوَاحِلُهْ

---

(١) بحاشية ا : « ابن شاذان : يقال : جَنَّ الشيءَ وأجنَّه إذا ستره ، وبه سُمِّى الجنين ؛ لأن البطن جَنَّهُ ، وبه سُمِّى القبرُ الجَنَنَ ، وبه سمى القلب الجنَانَ . وبه سُمِّى جِنُّ الأرض » .

ورَوَى ابنُ دَأْبٍ أنَّ حَسَّانَ بنَ ثابتٍ الأنصاريّ اجتازَ بقبرِ رَبِيعةَ بنِ مُكَدَّمٍ فأنشدَ :

لا يَبْعَدَنَّ رَبِيعةُ بن مُكَدَّمٍ ... وسَقَى الغَوادِي قَبْرَهُ بِذَنُوبِ

نَفَرَتْ قَلُوصِي من حِجارة حَرَّةٍ ... نُصِبَتْ على طَلْقِ اليَدَيْنِ وَهُوبِ

لا تَنْفِرِي يا نَاقَ منه فإنه ... شِرِّيبُ خَمْرٍ مِسْعَرٌ لِحُروبِ(١)

لولاَ السِّفَارُ وطولُ قَفْرٍ مَهْمَهٍ ... لتركْتُها تَحبُو على العُرْقُوبِ(٢)

نِعْمَ الفَتَى أَدَّى نُبَيْشَةَ رَحْلَهُ ... يومَ الكَدِيدِ نُبَيْشَةُ بنُ حَبِيبِ

و « رَبِيعةُ بن مُكَدَّمٍ » رجلٌ من بنى كِنَانَةَ ، وكانَ قتَله أُهْبَانُ بن قَادِيةَ الخُزَاعِيّ ، وقَيْسٌ تقول قتَله نُبَيْشَةُ بن حَبِيب السُّلَمِيُّ ، وكان أُهبانُ أخَا نُبَيْشَةَ لأُمّه ، وكان أتاه زائرًا ، وأغارَ رَبيعةُ بن مُكَدَّم على بنى سُلَيم ، فخرج أُهبانُ مع أخيه ، فحَمَلَ عليه فقتَله ، وحَمَلَ أخو رَبيعة على أُهبانَ ففاتَه ، فلأَنَّهُ فى بنى سُلَيْمٍ . قال حسانُ :

* نَفَرَتْ قَلُوصِي من حِجَارَةِ حَرَّةٍ *

لأنَّ الحرةَ هناكَ لبنى سُلَيْمٍ ، وفى تَصْداقِ ما تَدَّعِيهِ خُزاعةُ يقولُ أُهبانُ :

ولقد طَعنتُ رَبيعةَ بنَ مُكَدَّمٍ ... يومَ الكَدِيدِ فَخَرَّ غيرَ مُوَسَّدِ

---

(١) بحاشية ا : « ابن شاذان : يقال رجل مسعر حرب من قوم مساعير إذا كان يسْعَرُها ويَشُبُّهَا » .

(٢) بحاشية ا : « ابن شاذان : المهمه القفر من الأرض ، والجمع المهامه » .

فى عارِض شَرِقٍ بَنَاتُ فُؤادِهِ   منه بأَحْمَرَ كالنَّقِيعِ المجْسَدِ
ولقد وَهَبْت سِلاحَهُ وجَوادَهُ   لأَخِى نُبَيْشَةَ قبلَ لَوْمِ الُحسَّدِ

وقال أخُو ربيعةَ يجيبُه :

قات ابن غادِيَةَ المَنِيَّة بعدَ ما   رَفَّعْتُ أسفلَ ذيْلِهِ بالمِطْرَدِ
قُلْ لِابْنِ غَادِيَةَ المُتَاحِ لقتْلِنَا   ما كان يَقْتُلُنا الوَحِيدُ المُفْرَدُ

يريدُ أنَّ أُهْبَانَ مُفْرَدٌ من قومه فى أخوالِه ، وقال أيضاً :

فإنْ تَذْهَبْ سُلَيْمُ بوِتْرِ قَوْمِى   فَأَسْلَمُ مِنْ مَنَازِلِنَا قَرِيبُ

وقالت لَيْلَى الأَخْيَلِيَّةُ :

آلَيْتُ أَبْكِى بعدَ تَوْبةَ هالـكاً   وأَحْفِلُ مَنْ دارتْ عليه الدَّوَائِرُ
لَعَمْرُكَ ما بِالموتِ عارٌ عَلَى الفَتَى   إذا لم تُصِبْهُ فى الحياةِ المَعَايِرُ
فلا يُبْعِدَنْكَ اللهُ يا تَوْبَ إنما   لِقاءِ المَنَايَا دَارِعًا مثلُ حَاسِرُ

ويُرْوَى :

فلا يُبْعِدَنْكَ اللهُ ياتَوْبَ هالـكاً   أَخا الحرب إنْ دارتْ عليه الدَّوَائِرُ
فـكلُّ جَدِيدٍ أو شَبابٍ إلى بِلًى   وكلُّ امْرِئٍ يومًا إلى الله صائِرُ

وذَكَرَ المدائِنِيُّ أنَّ رجلاً عَزَّى رجلاً أَفْرَطَ عليه الجَزَعُ على ابنه فقال : يا هذا سُرِرْتَ به وهو حُزْنٌ وفِتْنَةٌ ، وجَزِعْتَ عليه وهو صَلاَةٌ ورحمةٌ ، فَسُرِّىَ عنه . ويُرْوَى أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال : « تعزَّوْا عَنْ مَصَائِبِكم بِى » . وقال رجلٌ لابنِ عمرَ : أَعْظَمَ اللهُ أَجْرَكَ ، فقال : نَسْأَلُ اللهَ العافِيةَ ! معناه : أنه لما قال له : « أعظمَ اللهُ أَجرَكَ » .

إنما دَعَا بأن يَكْثُرَ ما يُؤْجَرُ عليه ، ودلَّ على أنه من باب المصائب تعزِيَتُهُ إيَّاه !

وهذا باب طريفٌ من أشعارِ المُحْدَثِينَ

قال مُطيعُ بنُ إياسٍ اللَّيْثِيُّ يَرْثِى يحيىٰ بنَ زيادٍ الحارثىَّ ، وكان صديقَهُ ، وكانا مَرْمِيَّيْنِ جميعاً بالخروج عن المِلَّةِ :

يا أهْلُ بَكُّوا لِقَلْبِيَ القَرِحِ ... ولِلدُّموعِ الهَوامِلِ السُّفُحِ

رَاحُوا بيَحْيَىٰ إلى مُغَيَّبَةٍ ... فى القبرِ بينَ التُّرابِ والصُّفُحِ[1]

رَاحُوا بيحيىٰ ولو تُطاوِعُنِى الـ ... أَقدارُ لم يَبْتَكِرْ ولم يَرُحِ

يا خيرَ مَنْ يَحْسُنُ البُكاءُ له ... اليومَ ومَنْ كانَ أمْسِ للمِدَحِ

وفى يحيىٰ يقولُ مطيعٌ لنَبْوةٍ كانتْ بينهما :

كنتُ ويَحْيَىٰ كيَدَىْ واحِدٍ ... نَرْمِى جميعاً ونُرَامِى مَعَا

إنْ سَرَّهُ الدَّهْرُ فقد سَرَّنِى ... أو حادِثٌ نابَ فقد أفْظَعَا

أو نامَ نامتْ أعْيُنٌ أرْبَعٌ ... مِنَّا ، وإن هَبَّ فلَنْ أهْجَعَا

حتى إذا ما الشَّيْبُ فى عارِضِى ... لاحَ وفى مَفْرِقِهِ أسْرَعَا

سَعَىٰ وُشَاةٌ طُبُنٌ بيننا ... فكادَ حَبْلُ الوَصْلِ أن يُقْطَعَا[2]

---

(١) بحاشية ا : « الصُّفُح جمع صفيحة ، وهى القطعة العريضة من الصخر ، والجمع أيضاً صفائح ، وكانوا يجعلون ذلك فى القبور واللحود مكانَ اللبن » .

(٢) بحاشية ا : « قال أبو زيد : يقال طبِنتُ له وطَبَنْتُ له : من الفطنة ، ورجلٌ طَبِنٌ بيِّن الطَّبَانَةِ والطَّبَانِيَةِ . وقال غيره : يقال رجل طَبِنٌ وطابِنٌ ، وذلك إذا لَزِقَ بالرجل وعرف كل أمره » .

فلم أَلُمْ يَحْيَىٰ على حادثٍ ... ولم أَقُلْ خَانَ ولا ضَيَّعَا

وقال أبو عبد الرحمن العُتْبِيُّ يَرْثِي عليَّ بن سَهْلِ بن الصَّبَّاحِ ، وكان له صَديقاً :

يا خَيْرَ إِخْوَانِهِ وأعطَفَهُمْ ... عليهمُ راضياً وغَضْبانَا

أَمْسَيْتَ حُزْناً وصار قُرْبُكَ لِي ... بُعْدًا وصارَ اللِّقاءِ هِجْرانَا

إنَّا إلى اللهِ راجعون لقد ... أصْبَحَ حزنى عليكَ أَلْوَانَا

حُزْنُ اشتياقٍ وحزنُ مَرْزِئَةٍ ... إذا انقَضَىٰ عادَ كالذى كَانَا

قوله : « يا خَيْرَ إخوانِهِ » محالٌ وباطلٌ ، وذلك أنه لا يضافُ « أَفْعَلُ » إلى شيءٍ إلاّ وهو جزءٌ منه . وقال أيضاً :

دَعَوْتُكَ يا أُخَيَّ فلم تُجِبْنِي ... فرَدَّتْ دَعْوَتِي حُزْناً عَلَيَّا

بموتكَ ماتَتِ اللَّذَّاتُ مِنِّي ... وكانتْ حَيَّةً إذْ كنتَ حَيَّا

فيا أَسَفَىٰ عليكَ وطولَ شَوْقِي ... إليكَ لَوَ أنَّ ذاكَ يَرُدُّ شَيَّا

وحدثنى رجلٌ من أصحابنا قال : شهدتُ رجلاً فى طريق مكَّةَ معتكفاً على قبرٍ ، وهو يُرَدِّدُ شيئاً ، ودموعُهُ تَكِفُ من لحيته ، فدَنَوْتُ إليه لأسمع ما يقولُ ، فجعلتِ العَبْرَةُ تَحُولُ بينَه وبينَ الإبانةِ ، فقلتُ له : يا هذا ! فرفعَ رأسَه إليَّ ، وكأنما هَبَّ من رَقْدَةٍ ، فقال : ما تشاء ؟ فقلت : أَعلَى ابنِك تبكى ؟ قال : لا ، قلتُ . فعلَى أبيك ؟ قال : لا ، ولا علَى نَسيبٍ ولا صَديقٍ ، ولكنْ علَى مَنْ هو أَخَصُّ منهما ، قلتُ : أَوَ يكونُ أحدٌ أَخَصَّ ممن ذكرتَ ؟ قال : نعم ، مَنْ أُخْبِرُكَ عنه ، إنَّ هذا المَدْفونَ كان

عدوًّا لِي من كل بابٍ يَسْعَىٰ عليّ في نفسِي وفي مالِي وفي ولدِي ، فخرجَ إلى الصَّيْدِ أَيْأَسَ ما كنتُ من عَطَبِهِ ، وأَكْمَلَ ما كان من صحتِهِ ، فرمَىٰ ظَبْيًا فأَقْصَدَهُ ، فذَهَبَ ليأخذَه ، فإذا هو قد أنفَذَه حتى نجمَ سهمُهُ من صَفْحةِ الظَّبْيِ ، فَعَثَرَ فتَلَقَّىٰ بفُؤادِهِ ظُبَةَ السَّهْمِ ، فلَحِقَهُ أولياؤُه فانتزَعُوا السهمَ وهو والظَّبْيُ مَيِّتَانِ ، فَنُعِيَ إليّ خبرُه ، فأسرعتُ إلى قبره مُغْتَبِطًا بفقدِه ، فإني لَضَاحِكُ السِّنِّ إذْ وقعتْ عيني على صخرةٍ ، فرأيتُ عليها كتابًا ، فهلُمَّ فاقرَأْهُ ، وأوْمَأَ إلى الصخرة ، فإذا عليها :

وما نَحْنُ إلاَّ مِثْلُهُمْ غيرَ أَنَّنا ... أَقمْنَا قليلاً بعدَهم وتقَدَّمُوا

قلتُ : أَشْهدُ أنك تبكِي على مَنْ بُكاؤُكَ عليه أحقُّ من النَّسِيبِ .

ومما استطرفْنَا من شعر المُحْدَثِينَ قولُ يعقوبَ بنِ الرَّبِيعِ في جاريةٍ طالَبَها سبعَ سنينَ ، يبْذُلُ فيها جاهَه ومالَه وإخوانَه حتى مَلَكها ، فأقامت عنده ستةَ أشهرٍ ثم ماتَتْ ، فقال فيها أشعارًا كثيرةً ، اخترنا منها بعضَها ، من ذلك قولُه :

لِلّهِ آنِسَةٌ فُجِعْتُ بها ... ما كان أبْعَدَها من الدَّنَسِ

أَتَتِ البشارةُ والنَّعِيُّ مَعًا ... يا قُرْبَ مَأْتَمِها من العُرُسِ

يا مُلْكُ نالَ الدَّهْرُ فُرْصَتَهُ ... فرَمَىٰ فؤادًا غيرَ مُحْتَرِسِ

كم من دُموعٍ لا تَجِفُّ ومِن ... نَفَسٍ عليكِ طويلةِ النَّفَسِ

أَبْكيكِ ما ناحتْ مُطَوَّقَةٌ ... تحتَ الظَّلامِ تنوحُ في الغَلَسِ

يا مُلْكُ فِيَّ وفيكِ مُعْتَبَرٌ ... ومواعِظٌ يُوحِشْنَ ذا الأُنُسِ

ما بعدَ فُرْقةِ بيْنِنا أبدًا فى لَذَّةٍ دَرَكٌ لِمُلْتَمِسِ

وأَخَذَ ما فى صدرِ هذا الكلامِ من قولِ القائلِ :

رُبَّ مَغْروسٍ يُعاشُ به فَقَدَتْهُ كفُّ مُغْتَرِسِهْ

وكذاكَ الدَّهْرُ مأْتَمُهُ أَقْرَبُ الأشياءِ من عُرُسِهْ

وقريبٌ من هـذا قولُ امرأةٍ شريفةٍ تَرْثِى زوجَها ، ولم يكن دَخَلَ بها[1] :

أَبْكيكَ لا لِلنَّعيمِ والأُنُسِ بل للمَعالِى والرُّمْحِ والفَرَسِ

أَبْـكِى على فارسٍ فُجِعْتُ به أَرْمَلَنِى قبلَ ليلةِ العُرُسِ

يا فارسًا بالعَراءِ مُطَّرَحًا خانَتْهُ قُوَّادُهُ مع الحَرَسِ

مَنْ لليتامَى إذا هُمُ سَغِبُوا وكلِّ عانٍ وكُلِّ مُحْتَبَسِ

أَمَّنْ لِبِرٍّ أَمَّنْ لفائدةٍ أَمَّنْ لِذِكْرِ الإلٰهِ والغَلَسِ[2]

ومما أستطرِفُه من شعرِ يعقوبَ قولُه :

ليتَ شِعْرِى بأىِّ ذنبٍ لِمُلْكٍ كان هَجْرِى لِقَبْرِها واجْتِنابى

أَلِذَنْبٍ حَقَدْتُهُ كانَ منها أَمْ لِعِلْمِى بشُغْلِها عن عِتابى

أَمْ لِأَنِّى لِسُخْطِها ورِضاها حين واريتُ وَجْهَها فى الترابِ

ما وَفَى فى العبادِ حَىٌّ لِمَيْتٍ بعد يَأْسٍ منه له فى الإيابِ

---

(١) بحاشية ا : « قال ابن شاذان : هذا الشعر لِلُبانَةَ بنت موسى الهادى فى محمد الأمين ، وهى بنت عمه ، وكانت تحت الأمين ، وقُتِلَ ولم يدخل بها ، فقالت ترْثيه » .

(٢) فى بعض النسخ : « فى الفلس » وعليها طبعات مصر .

وفى هذا الشعر :

إنما حسرتى إذا ما تذكر ... ت عنائى بها وطول طلابى

لم أزل فى الطلاب سبع سنين ... أتأتى لذاك من كل باب

فاجتمعنا على اتفاق وقدر ... وغنينا عن فرقة باصطحاب

أشهرا ستة صحبتك فيها ... كن كالحلم أو كلمع السراب

وأتانى النعى منك مع البشـ ... ـرى فيا قرب أوبة من ذهاب

ومن مليح شعره قوله يرثيها :

حتى إذا فتر اللسان وأصبحت ... للموت قد ذبلت ذبول النرجس

وتسهلت منها محاسن وجهها ... وعلا الأنين تحثه بتنفس

رجع اليقين مطامعى يأسا كما ... رجع اليقين مطامع المتلمس

ومن مليح شعره أيضا قوله :

فجعت بملك وقد أينعت ... وتمت فأعظم بها من مصيبه

فأصبحت مغتربا بعدها ... وأمست بحلوان ملك غريبه

أرانى غريبا وإن أصبحت ... منازل أهلى منى قريبه

خلفت على أختها بعدها ... فصادفتها ذات عقل أديبه

فأقبلت أبكى وتبكى معى ... بكاء كئيب بحزن كئيبه

وقلت لها مرحبا مرحبا ... بوجه الحبيبة أخت الحبيبه

سأصفيك ودى حفاظا لها ... فذاك الوفاء بظهر المغيبه

أراك كملك وإن لم تكن ... لملك من الناس عندى ضريبه

ومما اخترنا من مَرْثِيَةِ يزيدَ المُهَلَّبِيِّ لِلْمُتَوَكِّلِ على اللهِ قوله :

لا حُزْنَ إلاَّ أَراهُ دُونَ ما أَجِدُ ... وهَلْ كَمَنْ فَقَدَتْ عيناىَ مُفْتَقَدُ
لا يَبْعَدَنْ هالِكٌ كانتْ مَنِيَّتُهُ ... كما هَوَىٰ عن غِطاءِ الزُّبْيَةِ الأَسَدُ
لا يَدْفَعُ الناسُ ضَيْماً بعدَ لَيْلَتِهِمْ ... إذْ لا تَمُدُّ إلى الجانِى عليكَ يَدُ
لَوْ أَنَّ سيفِى وعَقْلِى حاضِرانِ له ... أَبْلَيْتُهُ الجُهْدَ إذْ لم يُبْلِهِ أَحَدُ
جاءتْ مَنِيَّتُهُ والعَيْنُ هاجِعةٌ ... هَلاَّ أَتَتْهُ المَنايَا والقَنَا قِصَدُ
هــلا أَتَتْهُ أَعادِيهِ مُجاهِرَةً ... والحربُ تُسْعَرُ والأَبْطالُ تَجْتَلِدُ
فَخَرَّ فوقَ سريرِ المُلْكِ مُنْجَدِلاً ... لم يَحْمِهِ مُلْكُهُ لمّا انْقَضَىٰ الأَمَدُ
قد كان أنصارُه يَحْمُونَ حَوْزَتَهُ ... ولِلرَّدَىٰ دونَ أَرْصادِ الفَتَىٰ رَصَدُ(١)
وأصبحَ الناسُ فَوْضَىٰ يَعْجَبُونَ له ... لَيْثاً صَرِيعاً تَنَزَّىٰ حَوْلَهُ النَّقَدُ(٢)
عَلَتْكَ أسيافُ مَنْ لا دُونَه أَحَدٌ ... وليسَ فوقَكَ إلاَّ الواحدُ الصَّمَدُ
جاؤُا عَظِيماً لِدُنْيا يَسْعَدُون بها ... فقد شَقُوا بالذى جاؤُا وما سَعِدُوا
ضَجَّتْ نِساؤُكَ بعدَ العِزِّ حينَ رَأَتْ ... خَدّاً كَرِيماً عليه قارِتٌ جَسِدُ(٣)

---

(١) بحاشية ا : « المهلبى : الرصَد القوم الراصدون ، كما قالوا طَلَبٌ للقوم الطالبين ، وجَلَبٌ للقوم الجالبين » .

(٢) بحاشية ا : « ابن شاذان : النَّقَد من الشاء الصغارُ الأجرام » .

(٣) بحاشية ا : « قَرَتَ الدمُ يَقْرُتُ قُروتاً ، قال أبو عمر : قَرَتَ الدمُ يقرِتُ ويقرُت وقَرِتَ يَقْرَت قَرْتاً وقُروتاً والدمُ قارِتٌ ، وقَرِتَ الجلدُ إذا ضُرب فاخضرَّ أو اسودَّ ، وقَرِتَ الرجلُ إذا تغيَّر وجهُه من حزن أو غيظ . ابن شاذان : يقال دم جَسِدٌ وجاسِدٌ إذا جفَّ » .

أَضْحَىٰ شهيدُ بني العباسِ موعظةً ... لِـكلِّ ذى عِزَّةٍ فى رأسِهِ صَيَدُ(١)

خَليفةٌ لم يَنَلْ ما نالَهُ أحدٌ ... ولم يُضَعْ مثلَه رُوحٌ ولا جَسَدُ

كم فى أَدِيمِكَ مِنْ فَوْهاء هادِرَةٍ ... من الجَوائِفِ يَغْلِى فوقَها الزَّبَدُ(٢)

إذا بُكِيتَ فإنَّ الدمعَ مُنْهَمِلٌ ... وإنْ رُثِيتَ فإن القولَ مُطَّرِدُ

قد كنتُ أُسْرِفُ فى مالى وتُخْلِفُ لى ... فَعلَّمَتْنِى اللَّيالى كيفَ أَقْتَصِدُ

لَمَّا اعْتَقَدْتُمْ أُناسًا لا حُلُومَ لهمْ ... ضِعْتُمْ وضَيَّعْتُمُ مَنْ كان يعتَقِدُ

ولو جَعَلْتُمْ على الأَحْرَارِ نِعْمَتَـكُمْ ... حَمَتْـكُمُ السادةُ المذكورةُ الحُشُدُ

قومٌ هُمُ الجِذْمُ والأَنسابُ تجمعُهُم ... والمَجْدُ والدِّينُ والأَرْحامُ والبَلَدُ

إذا قريشٌ أَرَادُوا شَدَّ مُلْـكِهِمُ ... بغيرِ قَحْطانَ لم يَبْرَحْ به أَوَدُ

قد وُتِرَ الناسُ طُرًّا ثُمَّ قد صَمَتُوا ... حتى كأَنَّ الذى نِيلُوا به رَشَدُ

مِنَ الأُلَىٰ وَهَبُوا للمَجْدِ أنفسَهم ... فما يُبالونَ ما نالُوا إذا حُمِدُوا

[قال أبو الحسن : قولُه « قارِتٌ » يقال « قَرَتَ الدمُ يَقْرُتُ قُرُوتًا ، ودَمٌ قارِتٌ » قد يَبِسَ بين الجِلْدِ واللحمِ ، ومِسْكٌ « قارِتٌ » وهو أَخَفُّهُ وأَجْوَدُهُ ، قال :

* يُعَلُّ بقَرَّاتٍ من المِسْكِ قاتِنِ *

---

(١) بحاشية ا : « ابن شاذان : الصَّيَدُ داء يصيب الإبلَ تلتوى منه أعناقُها ، فلذلك سُمِّىَ المتكبر أصْيَدَ ، إذا لَوَىٰ عنقَه » .

(٢) بحاشية ا : « قال ابن شاذان : ويقال طعنة جائفة والجمع جوائِفُ إذا بلغت الجوفَ ، وهذه الياء أصلها واو ، وطعنة فوهاء أى واسعة » .

و « قَرَّاتٌ » « فَعَّالٌ » و « قاتِنٌ » مسكٌ قاتِنٌ قد قَتَنَ قُتونًا ، أى يابسٌ لا نُدوَّةَ فيه] .

باب ذِكر الأَذْواءِ من اليَمَنِ فى الإسلامِ

فأمَّا فى الجاهلية فيَكْثُرُونَ ، نحو « ذِى يَزَنٍ » و « ذِى كَلاعٍ » و « ذى نُوَاسٍ » و « ذى رُعَيْنٍ » و « ذى أَصْبَحَ » و « ذى المَنارِ » و « ذى القَرْنَيْنِ » . فأمَّا فى الإسلام فمنهم خُزَيْمَةَ بن ثابتٍ ذو الشهادتين ، سَمَّاهُ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وهو أنصاريٌّ . ومنهم قَتادةُ بن النُّعمانِ الأنصاريُّ ذو العَيْنِ ، كانت عَيْنُه أُصيبتْ فردَّها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فكانت أحسنَ عينيه ، وكانت تَعْتَلُّ عينُه الصحيحةُ فلا تَعْتَلُّ المردودةُ معها . ومنهم أبو الهَيْثَمِ بنُ التَّيِّهانِ الأنصاريُّ ذو السَّيفينِ ، كان يَتَقَلَّدُ سيفينِ فى الحربِ . ومنهم حُبَابُ بن المُنْذِرِ بن الجَمُوحِ ذو الرأْيِ ، وهو صاحب المَشُورةِ يومَ بدرٍ ، أخذ برأيه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وكانتْ له آراءٌ فى الجاهلية مشهورةٌ . ومنهم سَعْدُ بنُ صُفَيْحٍ ذو الشِّمَالِ . ومنهم ذو المُشَهَّرَةِ ، وهو أبو دُجَانَةَ سِمَاكُ بنُ خَرَشَةَ ، وكانت له مُشَهَّرَة إذا لبسها وخرجَ يختالُ بين الصَّفَّيْنِ لم يُبْقِ ولم يَذَرْ . وكلُّ هؤلاءِ من الأنصار . ومن اليمن من غيرِهم عبدُ الله بن الطُّفَيْلِ الأَزْدِيُّ ثم الدَّوْسِيُّ ذو النُّورِ ، أعطاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم نورًا فى جبينِه لِيَدْعُوَ به قومَه ، فقال : يا رسول الله هذه مُثْلَةٌ(١) ، فجعله رسولُ الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) بحاشية ا : « ابن شاذان : يقال مَثُلَةٌ ومُثْلَةٌ ، وهو التنكيل ، والجمع مَثُلاتٌ » .

فى سَوْطِه ، فلما وَرَدَ على قومه بالسَّرَاةِ جَعَلُوا يقولون : إنَّ الجبلَ لَيَلْتَهِبُ ، وكان أبو هريرةَ ممن اهتَدَىٰ بتلك العلامة . ومنهم ، ثُمَّ من خُزاعةَ ، ذو اليَدَيْن ، سماه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ذا اليدين ، وكان قبلُ يُدْعَىٰ ذا الشِّمالين ، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم صلَّىٰ بهم الظُّهْرَ فسلَّم فى الركعةِ الثانية ، فقال ذُو اليدين : يا رسولَ الله أَقَصُرَتِ الصلاةُ أم نَسِيتَ ؟ فقال : ما كان ذاكَ ، فقال : بَلَىٰ يا رسول الله ، فالْتَفَتَ إلى أصحابه فقال : ما يقولُ ذو اليدين ؟ فقالوا : صَدَقَ يا رسولَ الله ، فنهض فَأَتَمَّ ، ثم قال : إنِّى لَأَنْسَىٰ أو أُنَسَّىٰ لِأَسْتَنَّ(١) .

وهذه تسميةُ من كانَ بينَه وبين الملائكةِ سَبَبٌ من اليمانيةِ

منهم سعدُ بن مُعاذٍ الأنصارىُّ ، وهبط لموته سبعون ألفَ مَلَكٍ لم يهبطوا إلى الأرض قبلَها ، وقَبَضَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من رجليه فى المشى لئلاَّ يَطَأَ على جَنَاحِ مَلَكٍ ، واهْتَزَّ لموته عَرْشُ الله جل وعز ، وفى ذلك يقولُ حسانُ :

وما اهْتَزَّ عَرْشُ الله مِنْ مَوْتِ هالكٍ سَمِعْنَا به إلاَّ لِسَعْدٍ أبى عَمْرِو

وكَبَّرَ عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم تِسْعًا كما كَبَّرَ على حمزةَ بن عبد المطَّلب ، وشُمَّ من تُرابِ قبرِه رائحةُ المِسْكِ . ومنهم حسانُ

(١) بحاشية ا : « ابن شاذان : يقال استَنَّ يَسْتَنُّ ، أى يذهب فى أىّ سَنَنٍ شاء لا يمنعه أحد ولا يَرُدُّه عن وجهه ، والسَّنَنُ المذهب ، وفى المثل : استَنَّتِ الفِصَالُ حتى القَرْعَىٰ » .

بن ثابتٍ الأنصاريُّ، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: « اهْجُهُمْ ورُوحُ القُدُسِ معك». وقال فى حديثٍ آخر: « إن الله مُؤَيِّدٌ حسّانًا بروح القُدُسِ ما نافَحَ عن نبيه » . وقالت عائشةُ : كان يوضَع لحسانَ مِنْبَرٌ فى مُؤَخَّرِ المسجد فيُنافِحُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومنهم حَنْظَلةُ بن أبى عامرٍ الأنصاريُّ ، غَسَلَتْه الملائكةُ ، وذاك أنه خرج يوم أُحُدٍ فأُصِيبَ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « صاحِبُكم هذا قد غَسَلَتْهُ الملائكةُ » فسُئِلَ عن ذلك ، فقالت امرأتُه : كان معى على ما يكونُ الرجلُ مع امرأتِه ، فأَعْجَلَتْهُ حَطْمَةٌ[1] بلَغَتْه فى المسلمين ، فخرج فأُصيب ، ففى ذلك يقولُ الأَحْوَصُ بن محمد بن عاصم بن ثابتِ بن أبى الأَقْلَحِ[2] حَمِيُّ الدَّبْرِ[3] ، وكان خالَ أبيه :

غَسَلَتْ خالِىَ الملائكةُ الأبـــرارُ مَيْتاً أَكْرِمْ به من صريعِ
وأنا ابنُ الذى حَمَتْ ظهرَه الدَّبْـــرُ قَتِيلِ اللِّحْيَانِ يومَ الرَّجِيعِ

(١) بحاشية ا : « ابن شاذان : الحطْمةُ الكَسْرَة ، حَطَمْتُ الشىء أحطِمه حطماً إذا كسرتَه ، وكل منكسِرٍ حُطامٌ » .

(٢) بحاشية ا : « ابن شاذان : القَلَح صفرة الأسنان من ترك السواك ، قَلِحَ الرجلُ يقلَح قَلَحًا ، والرجل أقلح والمرأة قلحاء ، وقوم قُلْحٌ وقُلْحانٌ ، وقال النبى عليه السلام : ما لكم تدخلون علىَّ قُلْحاً . فأما القَلْخُ بالخاء معجمةً فيقال منه قَلَخَ البعيرُ يَقْلَخُ قَلْخاً إذا هَدَرَ فردَّد هديرَه فى غَلْصَمته ، والغَلْصَمَةُ العُجْرَةُ التى على ملتقى اللَّهاة إذا ازدرد الآكل اللقمة فزلَّتْ عن الحلق دخلت فى فم الغلصمة » .

(٣) بحاشية ا : « ابن شاذان : الدَّبْر النحل ، الواحدة دَبْرَةٌ » .

ومنهم حارثةُ بن النُّعمانِ ، رأى جبريلَ صلى الله عليه وسلم مرّتين ، وأقرأه جبريلُ السلامَ . ومنهم، ثمّ من خُزاعةَ، عِمْرانُ بن حُصَيْنٍ ، كانت تصافحه الملائكةُ وتَعودُهُ ، ثم افتَقَدَها ، فأَتَى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إن رجالاً كانوا يأتونني لم أرَ أَحْسَنَ منهم وُجوهاً ولا اطيبَ أرواحاً ثم قد انقطعوا عني ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أصابك جُرْحٌ فكنتَ تَكتُمه ؟ فقال : أَجَلْ ، قال : ثم أظهرتَهُ ؟ قال : قد كان ذلك ، قال : أَمَا لو أقَمْتَ على كِتْمانِهِ لزارتْكَ الملائكةُ إلى أن تموتَ .

ومنهم جَرِيرُ بن عبد الله البَجَلِيُّ ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «يَطْلُعُ عليكم من هذا الفَجِّ خَيْرُ ذي يَمَنٍ ، عليه مَسْحةُ مَلَكٍ » . ومنهم دِحْيَةُ بن خَليفةَ الكَلْبِيُّ، كان جبريلُ صلى الله عليه وسلم يَهْبِطُ في صورته، فمن ذلك يومُ بني قُرَيْظَةَ لمّا انصرفَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من الخَنْدَقِ وهَبَطَ عليه جبريل عليه السلام فقال : يا محمد أقد وَضَعْتُمْ سِلاحَكم ؟ ما وَضَعَتِ الملائكةُ أسلحتَها بعدُ ، إنّ الله يأمرُكَ أن تَسيرَ إلى بني قُرَيْظَةَ وها أنا ذا سائرٌ إليهم فمُزَلْزِلٌ بهم ، فأَمَرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الناسَ ألاّ يُصَلُّوا العصرَ إلاّ في بني قُريظةَ ، فجعل يَمُرُّ بالناس فيقول : أَمَرَّ بكم أَحَدٌ ؟ فيقولون مَرَّ بنا دِحْيةُ بن خليفةَ على بغلةٍ عليها قَطيفةُ خَزٍّ نحوَ بني قُريظةَ ، فيقول : ذاكَ جَبْرَئيلُ ، ثم مَرَّ دِحْيةُ[1] بعدَ ذلك ، وكان لا يزال عليه السلام في غير

---

(١) بحاشية ا : « يقال دَحَا اللهُ الأرضَ وطَحاها ، أي بَسَطَها ، ويقال دَحَا يدْحا دَحْوًا ، والدَّحْوُ البَسْطُ ، والمدحاة خشبة يَدْحاها الصبيُّ فتَمُرُّ على وجه الأرض لا تأتي على شيء إلا اجْتَحَفَتْهُ » .

هذا اليوم ينزلُ فى صورتِه ، كما ظَهَرَ إبليسُ فى صورة الشيخ النَّجْدِىِّ .

وهذا بابٌ قد تقدَّم ذِكْرُنا إيّاه ووَعَدْنا استقصاءه

اِعْلَمْ أنَّ كلَّ شىء من الحيوانِ كان ممَّا يُخْبِرُ الناسُ عنه كما يُخبِرون عن أنفسهم وممَّا يَقْتَنُونَه ويتَّخذونه فبِهِمْ حاجةٌ إلى الفَصْلِ بين معرفتِه ونكرتِه ومُذَكَّرِه ومُؤَنَّثه . تقول : « جاءنى رجلٌ » إذا لم تَدْرِ مَنْ هو بعينه ، أو دَرَيْتَ فلم تُرِدْ أن تُبَيِّنَ ، ثم تُعَرِّفُهُ لصاحبك إذا أردتَ ذلك إمَّا بألفٍ ولامٍ ، وإمَّا باسمٍ معروفٍ أو إضافةٍ أوغير ذلك . وكذلك يَفْصِلُ الناسُ بين الخيلِ بأسماء أو نعوتٍ يَعْرِفُون بها بعضَها من بعضٍ ، وكذلك الشَّاء والكِلابُ والإبلُ ، ولولا تَمْييزُ بعضِها من بعضٍ لم يَسْتَقِم الإخبارُ عنها والاختصاصُ بما أُريدَ منها . فإذا كان الشىء ليس مما يتَّخذونه لم يحتاجوا إلى التمييز بين بعضِه و بعضٍ ، يقولُ الرجلُ : « رأيتُ الأسدَ » فليس يَعْنِى أسَدًا بعينه ، ولكن يريدُ الواحدَ من الجنس الذى قد عَرَفْتَ ، وكذلك الذئبُ والعقربُ والحيةُ وما أشبه ذلك ، ألا تَرَى أنَّ ابنَ عِرْسٍ وسامَّ أبْرَصَ وأُمَّ حُبَيْنٍ وأبا الحرثِ وأبا الحُصَيْنِ معارفُ لا عَلَى أن تُمَيِّزَ بعضها من بعضٍ ولكن تعريفَ الجنسِ ؟! وقولك : « ابنُ مَخاضٍ » و« ابنُ لَبونٍ » و « ابنُ ماء » [1] نَكِراتٌ ، لأنَّ هذا مما يتَّخِذُه الناسُ ، و« ابنُ ماء » إنما هو مضاف إلى الماء الذى يُعرفُ . فإذا أردتَ التعريف من هذا لهذه النكِراتِ أدخلتَ فيما أُضيفتْ إليه الألفَ واللامَ ، أو لَقَّبْتَها

---

(١) بحاشية ١ : « ابن شاذان : ابن ماء طائرُ الماء ».

ألقاباً تُعرفُ بها ، كزيدٍ وعمرٍو . واعلمْ أنَّ كلَّ جَمْعٍ مؤنثٌ ؛ لأنك تُرِيدُ معنى جماعةٍ ، ولا تُذَكَّرُ من ذلك إلّا ما كان فِعْلُه يَجْرِى بالواو والنون فى الجمع ، وذلك كلُّ ما يَعْقِلُ ، تقولُ : « مسلمٌ ومسلمون » كما تقول : « قومٌ يُسْلِمونَ » وتقولُ للجِمَال : « هِيَ تَسِيرُ وهُنَّ يَسِرْنَ » كما تقول للمؤنَّث ، لأن أفعالَهَا على ذلك ، وكذلك المَوَاتُ ، قال الله عز وجل فى الأصنام: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كثيراً من الناس ﴾ ، والواحدُ مذكَّر ، وقال المفسرون فى قوله : ﴿ إِنْ يَدْعُونَ من دُونه إِلَّا إِناثاً ﴾ قالوا : المَوَاتُ ، فكلُّ ما خَرَجَ عمَّا يَعقِلُ نجْمَعُه بالتأنيث وفِعْلُهُ عليه ، لا يكونُ إِلَّا ذلك ، إِلَّا ما كان من باب المنقوصِ نحو « سِنِينَ وعِزِينَ » وليس هذا موضعَه . وجملتُه أنه لا يكونُ إِلَّا مؤنَّثاً ، فلهذا كان يَقَعُ على بعضِ هذا الضربِ الاسمُ المؤنَّثُ ، فيَجْمَعُ الذَّكَرَ والأُنْثَى ، فمن ذلك قولهم : « عَقْرَبٌ » فهو اسمٌ مؤنَّث ، إِلَّا أنك إن عَرَّفتَ الذَّكَرَ قلتَ : « هـذا عقربٌ » ، وكذلك الحيةُ تقولُ للأنثى « هذه حيةٌ » ، وللذَّكرِ « هذا حَيَّةٌ » قال جرير :

إن الحَفَافِيثَ منكم يا بَنِي لَجَأٍ ... يُطْرِقْنَ حيثُ يَصُولُ الحيةُ الذَّكَرُ

[قال الأخفش : « الحفافيثُ » ضربٌ من الحيَّاتِ يكونُ صغيرَ الجِرْمِ يَنْتَفِـخُ ويَعْظُمُ ويَنْفُخُ نفخاً شديداً لا غائلةَ له] وتقول « هـذا بَطَّةٌ » للذكر ، و « هذه بَطَّةٌ » للأنثى ، و « هذا دَجاجةٌ » ، و « هذه دَجاجةٌ » قال جريرٌ :

لمَّا تذَكَّرْتُ بالدَّيْرَيْن أرَّقني ... صوتُ الدَّجاجِ وقَرْعٌ بالنَّواقيسِ

يريد زُقاء الدُّيوكِ ، فالاسم الذى يجمعها « دَجاجة » للذكر والأنثى ، ثم يُخَصُّ الذَّكر بأن يقالَ « ديكٌ » وكذلك تقول « هذا بقرةٌ » لهما جميعاً ، و « هذا حُبَارَى » ، ثم يُخَصُّ الذَّكر فتقول « ثَوْرٌ » وتقولُ للذَّكر من الحُبارى « خَرَبٌ » ، فعلى هذا يَجرِى هذا البابُ ، وكلُّ ما لم نذكره فهذا سبيلُه .

⁂

وقد كُنَّا أرْجَأْنا أشياء ذكرنا أنَّا سَنَذْكُرها فى آخرِ هذا الكتاب ، منها خُطَبٌ ومواعظُ ورسائلُ ، ونحن ذاكرونَ ما تَهَيَّأَ من ذلك إن شاء اللهُ .

قال الأصمعىُّ فيما بلغنى : خَطَبَنا أعرابىٌّ بالبادية ؛ فحَمِدَ اللهَ واستغفرَه ووَحَّدَهُ وصلَّى على نبيه ، فبَلَغَ فى إيجازٍ ، ثم قال : أيُّها الناسُ ! إنَّ الدنيا دارُ بَلاغٍ ، والآخرةَ دارُ قَرَارٍ ، فخُذُوا من مَفَرِّكم لِمَقَرِّكم ، ولا تَهْتِكُوا أستارَكم عندَ مَنْ لا تَخْفَى عليه أسرارُكم ، فى الدنيا كُنْتُمْ ، ولغيرِها خُلِقْتُمْ ، أقولُ قولى هذا وأستغفرُ اللهَ لى ولكم ، والمُصَلَّى عليه رسولُ اللهِ ، والمَدْعُوُّ له الخليفةُ ، والأميرُ جعفرُ بن سُلَيْمَنَ * وحُدِّثْتُ فى بعض الأسانيدِ أنَّ عمرَ بن عبد العزيز قال فى خطبة له : أيُّها الناسُ ! إنما الدنيا أَمَلٌ مُخْتَرَمٌ ، وأجَلٌ مُنْتَقَصٌ ، وبَلاغٌ إلى دارٍ غيرِها ، وسَيْرٌ إلى الموتِ ليس فيه تَعْرِيجٌ ، فرَحِمَ اللهُ امْرَأً فكَّرَ فى أمرِه ، ونَصَحَ لنفسِه ، وراقَبَ ربَّه ، واستقالَ ذَنْبَه ، ونَوَّرَ قَلْبَه . أيها الناسُ ! قد علمتم أنَّ أباكم قد أُخْرِجَ من الجنة بذنب

واحدٍ ، وأنَّ ربَّكم وَعَدَ على التوبة ، فَلْيَكُنْ أحدُكم من ذنبه على وَجَلٍ ، ومن ربه على أَمَلٍ * ويُرْوَى أنْ رجلاً معروفاً ، ذَهَبَ اسمُه عَنِّى ، قال : أتيتُ ابنَ عُمَرَ فقلتُ : أتَجِبُ الجنةُ لعاملٍ بكل الخيراتِ وهو مُشْرِكٌ ؟ فقال : لا ، فقلتُ له : أتَجِبُ النارُ لعاملٍ بالشَّرِّ كلِّه وهو مُوَحِّدٌ ؟ قال : عَشِّ ولا تَغْتَرَّ . قال : وأتيتُ ابنَ عباسٍ فسألتُه فأجابنى بمثلِ جوابه سَواءً ، وقال : عَشِّ ولا تَغْتَرَّ(١) . قال : وحدثنى بهذا الحديثِ القاضِى [يعنى إسمعيل بن إسحق] * وذكر العُتْبِىُّ ، أحْسِبُه عن أبيه عن هشامِ بن صالحٍ عن سَعْدِ القَصْرِ قال : خَطَبَ الناسَ بالمَوْسِمِ عُتْبَةُ فى سنة إحدى وأربعين ، وعَهْدُ الناسِ حديثٌ بالفتنة ، فاستفتحَ ثم قال : أيها الناسُ ! إنَّا قد وَلِينا هذا الموضعَ الذى يُضاعِفُ اللهُ فيه للمحسنِ الأجْرَ وعلى المُسِىءِ الوِزْرَ ، فلا تَمُدُّوا الأعْناقَ إلى غيرنا ، فإنها تَنْقَطِعُ دونَنا ، ورُبَّ مُتَمَنٍّ حَتْفُهُ فى أُمْنِيَّتِهِ ، اقْبَلُوا العافيةَ ما قَبِلْناها منكم وفيكم ، وإياكم و « لَوْ » فقد أتْعَبَتْ مَنْ كان قبلكم ، ولن تُرِيحَ مَنْ بعدَكم ، فأَسْئَلُ اللهَ أن يُعِينَ كُلاًّ على كلٍّ ، فنَعَقَ به أعرابىٌّ من مُؤَخَّرِ المسجدِ فقال : أيُّها الخليفةُ ! فقال: لَسْتُ به ولم تُبْعِدْ ، قال: فيَا أخَاهُ ! قال: قد أسمعتَ فقلْ ، فقال: واللهِ لأَنْ تُحْسِنُوا وقد أَسَأْنَا خيرٌ لكم من أن تُسِيئُوا وقد أحْسَنَّا ، فإن كانَ

(١) فى بعض النسخ : « وهذا مَثَلٌ من أمثال العرب ، إذا مَرَرْتَ بمرعًى تقول : عَشِّ ولا تغترَّ ، أى لا تتركه وتجُوزُ إلى آخر تظن أن به مرعًى فلا تجدُ فيه شيئاً » .

الإحسانُ لكم فما أحقَّكم باستتمامه ، وإن كان لنا فما أحقَّكم بمكافأتنا ، رجلٌ من بنى عامرٍ يَمُتُّ إليكم بالعُمومة ، ويَختَصُّ إليكم بالخُؤُولَة ، وقد وَطِئَهُ زمانٌ وكثرةُ عيالٍ ، وفيه أجرٌ ، وعنده شُكرٌ ، فقال عُتْبَةُ : أَستَعِيذُ بالله منكَ ، وأستعينُه عليك ، قد أمرتُ لك بغِنَاكَ ، فليتَ إسراعنَا إليك يقومُ بإبطائنَا عنكَ * وذكر العُتْبِىُّ أنَّ عُتْبَةَ خطَبَ الناسَ بمصر عن مَوْجِدَةٍ فقال : يا حامِلِي ألأَمِ آنُفٍ رُكِّبَتْ بين أعيُنٍ ، إنى إنما قَلَّمْتُ أظفارى عنكم لِيَلِينَ مَسِّى لكم ، وسألتُكم صَلاَحَكم إذْ كان فسادُكم باقيًا عليكم ، فأمَّا إذْ أبيتم إلاَّ الطَّعْنَ على السلطان والتَّنَقُّصَ للسَّلَفِ ، فوالله لأُقَطِّعَنَّ بطونَ السِّيَاطِ على ظهوركم ، فإن حَسَمَتْ أدواءَكم[1] ، وإلاّ فإن السيفَ مِن ورائكم ، فكم من حكمةٍ مِنَّا لم تعِها قلوبُكم ، ومِن موعظةٍ منَّا صَمَّتْ عنها آذانُكم ، ولستُ أبخَلُ عليكم بالعقوبة إذْ جُدْتُم بالمعصية ، ولا أُويِسُكُمْ من مراجعةِ الحُسنَى إن صِرتُم إلى التى هى أبَرُّ وأتْقَى . ثم نزل * وذكر العُتْبِىُّ أو غيرُه أن دَاوُدَ بن علىّ بن عبد الله بن العباس خطَبَ الناسَ فى أول موسمٍ مَلَكَهُ بنو العباس بمكةٍ ، فقال : شُكرًا شُكرًا ، إنَّا والله ما خَرجنا لِنَحْفِرَ فيكم نَهَرًا ، ولا لِنَبْنِيَ فيكم قَصْرًا ، أظَنَّ عدوُّ الله أنْ لن نَقْدِرَ عليه إن رُوخِيَ له من خِطامِهِ ، حتى عَثَرَ فى فَضْلِ زِمامِهِ ؟ فالآنَ حيثُ

---

(١) بحاشية ١ : « قال ابن شاذان : أخبرنى أبو عمر عن ثعلب عن ابن الأعرابى قال : الحَسْمُ استئصالك الشىء قطعاً ، ثم كثر ذلك حتى قالوا حسمتُ الداء إذا كويته واستأصلته » .

أخذ القوسَ بارِيها ، وعادت النَّبْلُ إلى النَّزَعَةِ ، ورجَعَ المُلْكُ فى نِصَابِه فى أهل بيت النبوة والرحمةِ ، والله لقد كنّا نتوجَّعُ لكم ونحن فى فُرُشِنا ، أَمِنَ الأَسْوَدُ والأحمرُ ، لكم ذِمَّةُ الله ، لكم ذمةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لكم ذمةُ العباسِ ، لا وَرَبِّ هذه البَنِيَّةِ ، وأومأَ بيده إلى الكعبةِ ، لا نَهيجُ منكم أحدًا * قال : وخطَب الناسَ معاويةُ بن أبى سفيان ، فحمِدَ اللهَ وصلّى على نبيه ثم قال : أيها الناسُ ! إنِّى مِنْ زَرْعٍ قد استَحْصَدَ ، ولن يأتِيَكم بَعْدِى إلاَّ مَنْ أنا خيرٌ منه ، كما لم يكن قبلى إلاَّ مَنْ هو خيرٌ مِنِّى * وفى غير هذا الخبر أنه قال لبناتِه عند وفاتِه : قَلِّبْنَنِى ، فَفَعَلْنَ ، فقال : إنكنَّ لتُقَلِّبْنَهُ حُوَّلاً قُلَّبًا إنْ وُقِىَ كَبَّةَ النارِ ، ثم قال متمثلاً :

لاَ يَبْعَدَنَّ رَبِيعةُ بن مُكَدَّمٍ وسَقَى الغَوَادِى قَبْرَه بِذَنُوبِ

وقال لابنةِ قَرَظَةَ[1] : ابكِينِى ، فقالت :

أَلاَ أَبْكِيهِ أَلاَ أَبْكِيهِ أَلاَ كلُّ الفَتَى فِيهِ

فلما مات دخل الناسُ على يزيدَ يُعَزُّونَه بأبيه ويُهَنِّئُونَه بالخلافة ، فجعلوا يقولون ، حتى دخل رجلٌ من ثَقيفٍ فقال : السلامُ عليك أميرَ المؤمنين ورحمتُ الله وبركاتُه ، إنك قد فُجِعْتَ بخيرِ الآباء ، وأُعْطِيتَ جميعَ الأشياء ، فاصبرْ على الرَّزِيَّة ، واحْمَدِ الله على حُسْنِ العطيَّةِ ، فلا أُعْطِىَ أحدٌ كما أُعْطِيتَ ، ولا رُزِئَ كما رُزِيتَ ، فقام ابنُ هَمَّامٍ السَّلُولِىُّ فأنشده شعرًا كأنما فاوَضَهُ الثَّقَفِىُّ فقال :

---

(١) هى إحدى زوجاته ، واسمها فاختة بنت قرظة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف. قاله المرصفى.

اِصْبِرْ يَزِيدُ فقد فارقتَ ذا ثِقَةٍ ... واشْكُرْ بَلاءَ الذى بالمُلْكِ أصْفَاكَا
أصبحتَ تملكُ هذا الخلقَ كلَّهُمُ ... فأنتَ تَرْعاهُمُ واللهُ يَرْعَاكَا
ما إنْ رُزِئْ أحدٌ فى الناس نَعْلَمُهُ ... كما رُزِئْتَ ولا عُقْبَى كعُقْبَاكَا
وفى معاويةَ الباقِى لنا خَلَفٌ ... إذا نُعِيتَ ولا نَسْمَعْ بمَنْعَاكَا

« الحُوَّلُ » معناه ذو الحيلة . و « القُلَّبُ » الذى يُقَلِّبُ الأُمُورَ ظهرًا لبطنٍ . وقوله : « إنْ وُقِىَ كَبَّةَ النارِ » فكَبَّةُ النار مُعْظَمُها ، وكذلك كَبَّةُ الحرب ، ويقال : لقيتُه فى كَبَّةِ القوم ، ويُرْوَى عن بعض الفرسانِ أنه طَعَنَ رجلاً فى حربٍ فقال : طعنتُه فى الكَبَّةِ فوضعتُ رمحى فى اللَّبَّةِ وأخرجتُه من السَّبَّةِ ، و « السَّبَّةُ » الدُّبُرُ * ويروَى أن خالدَ بن صَفْوانَ دخل على يَزِيدَ بن المُهَلَّبِ وهو يَتَغَدَّى ، فقال : ادْنُ فكُلْ يا أبا صفوانَ ، فقال : أصلح اللهُ الأميرَ، لقد أكلتُ أكلةً لستُ ناسِيَها ، قال : وما أكلتَ ؟ قال : أتيتُ ضَيْعَتى لِإِبَّانِ الغِرَاسِ وأَوَانِ العِمارة ، فَجُلْتُ فيها جَوْلَةً ، حتى إذا صَخَدَتِ الشمسُ وأزْمَعْتُ بالرُّكودِ ، مِلْتُ إلى غُرْفَةٍ لى هَفَّافةٍ ، فى حَديقةٍ قد فُتِحَتْ أبوابُها ، ونُضِحَ بالماءِ جوانبُها ، وفُرِشَتْ أرضُها بألوانِ الرَّيَاحِينِ ، من بين ضَيْمَرَانٍ نافِحٍ ، وسُمْسُقٍ فائحٍ ، وأُقْحُوانٍ زاهرٍ ، ووَرْدٍ ناضرٍ ؛ ثم أُتيت بخُبْزِ أُرْزٍ كأنه قِطَعُ العَقيقِ ، وسَمَكٍ بُنَانِىٍّ بيضِ البُطُونِ ، زُرْقِ العُيونِ ، سُودِ المُتُونِ ، عِرَاضِ السُّرَرِ ، غِلاظِ القَصَرِ ، ودُقَّةٍ وخُلُولٍ ، ومُرْىٍ وبُقُولٍ ، ثم أُتيتُ برُطَبٍ أصفرَ ، صافٍ غيرِ أكْدَرَ ، لم تَبْتَذِلْهُ الأيدِى ، ولم يَهْشِمْهُ كَيْلُ المَكَايِيلِ ، فأكلتُ هذا ثم هذا ،

فقال يزيدُ : يا ابنَ صَفْوَانَ ! لَأَلْفُ جَرِيبٍ من كلامِكَ مَزْرُوعٍ ، خيرٌ من ألفِ جَرِيبٍ مَذْرُوعٍ .

***

[وتحدَّثَ العتبيُّ قال : حدثنى أبى عن خالد عن أبيه قال : وجدتُ فى كُتُبِ سفيان بن عمرو بن عُتْبَةَ كتاباً إلى عمرٍو وعبدِ الله ابْنَىْ عتبة ، وكانا قَدِمَا على زيادٍ فى خمسةٍ من أولاد أبى سفيانَ ، فإذا الكتابُ : سلامٌ ، أما بعد فالزَمَا ما أتيتما عليه ، فقد بلغنى عنكما فَضْلٌ ، واعلما أن لكل شىءٍ زينَةً ، وزينةُ الشرفِ العفافُ ، وقد كُفِيتُما ما قَبْلَكُمَا فأَثِّلَ لكما ، ووَلِيتُما أمرَ أنفُسِكُما فقوما بما لديكما ولا تَقْعُدا به ، فإنه مَن لم يَصِلْ شرفَ أبيه كان اللسانُ إليه أَسْرَعَ ، واتَّزِرَا بالعفاف ، وتَرَدَّيَا بالحِلم ، وانفِيَا عنكما الألسُنَ ، ولا تَسْتَعْظِمَا عظيماً فإنكما أعظمُ منه ، وعَوِّلاَ على عَمِّكما فإنه أبوكما ، واستزيدانى بالطاعة أَزِدْكُمَا ، فإنَّ أحبَّكما إلىَّ من اتَّبَعَ أمرى وحفظ نفسَه . وكتب عمرو بن يزيد فى سنة أربع وخمسين * العُتْبِىُّ قال : حدثنى أبى عن أبى خالد عن أبيه قال : قال سفيان بن عُتبة : لمَّا بلغتُ خمسَ عشرةَ سنةً قال أبى : قد انقطعتْ عنك شرائعُ الصِّبَا ، فاخْتَلِطْ بالخير تَكُنْ من أهله ، ولا تُزَايِلْهُ فتَبِينَ منه كله ، ولا يغُرَّنَّك مَن اغترَّ فيك فمدحَك بخلافِ ما تَعْرِفُ من نفسِك ، فإنه ليس أحدٌ يقول فى أحدٍ من الخير ما لا يَعلَم إذا رَضِيَ ، إلاَّ قال فيه من الشرِّ مثلَ ذلك إذا سَخِطَ ، فاستأْنِسِ الوَحْدَةَ من جلساءِ السُّوءِ ، ولا تَنْقُلْ حُسْنَ ظَنِّى بك إلى غيره . قال سفيانُ : فوالله مازال

كلامُ أبى لى قِبْلَةً أنتقلُ معها ولا أنتقلُ عنها * العتبىُّ قال : حدثنى أبو أحمد المرادىُّ عن رجل من بنى ليثٍ قال : كتب معاوية إلى عتبة فى عقوبةِ أقوامٍ يأمره أن لا يراجعه فى ذلك ، فكتب إليه عتبة : بالله على أداء حقِّكَ أستعينُ ، وعليه فى جميع أمورى أتوكَّلُ ، أنا مُقْتَدٍ بكتابك ، ومُنْتَهٍ إلى أمرِكَ ، ومُتَّخِذُهُ إمامًا ما أَمَّ الحزْمَ ، فإذا خالفه فعندها لم يَغِبْ أميرُ المؤمنين عمَّا شَهِدْتُ ، ولم يَرْجِعْ إليه ضررُ ما فعلتُ ، وقد عَلِمَ مِن قبلُ أن نارى ذَكِيَّةُ الشَّعَلِ لمن عاداكَ ، وجنابى أَحْلَى من العَسَل لمن والاكَ ، فَثِقْ بذلك مِنِّى لهم وعليهم ، واسْتَكْفِ اللّهَ لك الذى كفانى بك * العتبىُّ قال : حدثنى أبى عن هشام بن صالح عن أبيه عن سعدِ القَصْرِ ، وهو مولى عتبة بن أبى سفيان ، قال : ولَّانى عتبة أموالَه بالحجاز ، فلما ودَّعته قال : يا سعد ! تَعَهَّدْ صغيرَ مالى يَكبُرْ ، ولا تَجْفُ كبيرَه فيَصغُرَ ، فإنه ليس يمنعنى كبيرُ ما عندى عن إصلاح قليل مالى ، ولا يمنعنى قليلُ ما فى يدى عن الصبر على كبير ما ينُوبُنِى ، قال سعد : فقدمتُ المدينة فحدثتُ بهذا الحديث رجالات قريش ففرَّقوا بها الكُتُبَ إلى الوكلاء * العتبىُّ قال : حدثنى أبى عن أبى خالد عن أبيه قال : لمّا استعمل يزيدُ بن معاويةَ سَلْمَ بن زياد وأراد التسليم عليه قال له يزيدُ : إن أباكَ كَفَى أخاه عظيماً ، وقد استكفَيْتُكَ صغيرًا فلا تتَّكِلَنَّ على عُذْرٍ منِّى ، فقد اتكلتُ على كفاية منك ، وإياكَ منِّى أن أقول أتانى منك ، فلا تُرِحْ نفسَك ، وادْأَبْ فى أدنَىٰ حَظِّك تبلُغْ أقصاه ، واذكرْ فى يومكَ أحاديثَ غدكَ * العتبىّ قال : خطب داود بن على

بن العباس قال : غدرًا غدرًا يأَهْلَ الـكفر والتبديل ! أَلَمْ يَزَعْـكُمْ الفتح المبينُ عن القول فى أمير المؤمنين ! الآنَ يا منابتَ الدِّمَنِ إذْ أصبح كثيرُ الـكفر فيكم نطِيحًا ، ونابُه مفلولاً ، مَشَيْتُمُ الضَّرَاءَ ودببتم الخَمَرَ ، أَمَا ورُوحَىْ محمد والعباسِ لَئِنْ عدتم لِسَخَطاتِ القول لأَحْصِدَنَّـكُمْ بِظُبَةِ الهِنْدِىِّ ، وما ذلك على الله بعزيزٍ][1] .

☆

ونحن ذاكرونَ الرسائلَ بين أميرِ المؤمنينَ المنصورِ ، وبين محمد بن عبد الله بن حسن العَلَوِىِّ ، كما وَعَدْنا فى أول الـكتابِ ، ونختصرُ مايجوز ذكره منه ، ونُمْسِكُ عن الباقى ، فقد قيلَ : الراويةُ أحدُ الشَّاتِمَيْنِ * قال : لمَّا خرجَ محمدُ بن عبد الله على المنصور كَتَبَ إليه المنصورُ : بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين ، إلى محمد بن عبد الله ، أمَّا بعدُ ، فإنما جَزاءُ الذينَ يُحَارِبُونَ اللهَ ورسولَه ويَسْعَوْنَ فى الأَرضِ فسادًا أن يُقَتَّلُوا أو يُصَلَّبُوا أو تُقَطَّعَ أيديهِمْ وَأَرْجُلُهم مِنْ خِلَافٍ أو يُنْفَوْا من الأرضِ ذلكَ لهم خزْىٌ فى الدُّنيا ولهم فى الآخرةِ عذابٌ عظيمٌ إلاّ الذين تابُوا من قَبْلِ أن تَقْدِرُوا عليهم فاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غفورٌ رحيمٌ ، ولكَ عَهْدُ الله وذِمَّتُهُ وميثاقُهُ وحقُّ نبيِّه محمدٍ صلى الله عليه وسلم إنْ تُبْتَ من قَبْلِ أَنْ أَقدِرَ عليك أن أُؤَمِّنَكَ على نفسِكَ ووَلَدِكَ وإخوتِكَ ومَن بايَعكَ وتابَعكَ وجميعَ شِيعَتِكَ ، وأن أُعطيَك ألفَ ألفِ درهمٍ ، وأُنْزِلَكَ من البلادِ حيثُ شئتَ ،

(١) هذه القطعة كلها زيادة من أحد الأصول العتيقة من الـكتاب ، وهو أصل مكتوب فى النصف من جمادى الآخرة سنة ٤٨٨ بخط يحيى بن المبارك الصحاوى . وهذه الزيادة لم تذكر فى النسخ المطبوعة بمصر .

وأقضيَ لكَ ما شئتَ من الحاجاتِ ، وأن أُطلقَ مَنْ فى سجنى من أهلِ بيتكَ وشيعتِك وأنصارِكَ ، ثم لا أتتبَّعَ أحدًا منكم بمكروهٍ ، فإن شئتَ أن تتوثّقَ لنفسِك ، فوَجِّهْ إلىَّ مَنْ يأخذُ لكَ من الميثاق والعهدِ والأمانِ ما أحببتَ ، والسلامُ . فكتب إليه محمدُ [بن عبد الله بن حَسَنٍ](١) : بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله محمدٍ المهدىِّ أميرِ المؤمنين إلى عبد الله بن محمد ، أما بعدُ ، طسم تلك آياتُ الكتابِ المبينِ . نَتْلُوا عليكَ من نبأِ موسىٰ وفرعونَ بالحقِّ لقوم يؤمنونَ . إنّ فرعونَ عَلاَ فى الأرضِ وجعَلَ أهلَها شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طائفةً منهم يُذَبِّحُ أبناءهم ويَسْتَحْيِي نساءهم إنه كان من المُفْسِدينَ . ونُرِيدُ أنْ نَمُنَّ على الذين اسْتُضْعِفُوا فى الأرضِ ونَجعلَهم أئمّةً ونجعلَهم الوارثينَ . ونُمَكِّنَ لهم فى الأرضِ ونُرِىَ فرعونَ وهامانَ وجنودَهما منهم ما كانوا يَحْذَرُونَ . وأنا أَعْرِضُ عليك من الأمانِ مثلَ الذى أعطيتَنى ، وقد تَعْلَمُ أنّ الحقَّ حقُّنا ، وأنكم إنّما طلبتموه بنا ، ونَهَضْتُمْ فيه بشيعتنا ، وخَبَطْتُمُوه بفضلنا ، وأنّ أبانا عليًّا عليه السلام كان الوصىَّ والإمامَ ، فكيفَ ورِثْتُمُوهُ دُونَنَا ونحن أحْياء ، وقد علمتَ أنه ليس أحدٌ من بنى هاشم يَمُتُّ بمثل فَضْلِنَا ، ولا يَفْخَرُ بمثل قَدِيمِنَا وحديثنا ونَسَبِنَا وسَبَبِنَا ، وأنّا بَنُو أُمِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمةَ بنتَ عمرو فى الجاهلية دونَكم ، وبنو ابنتِه فاطمةَ فى الإسلام مِنْ بينكم ، فأنا أَوْسَطُ بنى هاشمٍ نَسَبًا ، وخيرُهم أُمًّا وأبًا ، لم تَلِدْنِي العَجَمُ ، ولم تُعْرِقْ فِىَّ أُمّهاتُ الأولادِ ، وأنّ الله تبارك وتعالى لم يزَلْ يَختارُ

(١) الزيادة من س .

لَنا ، فَوَلَدَنِي من النبيين أفضلهم محمدٌ صلى الله عليه وسلم ، ومن أصحابه أقدمُهم إسلامًا ، وأوسعُهم علمًا ، وأكثرُهم جهادًا ، علىُّ بن أبى طالبٍ ، ومن نسائه أفضلُهنَّ خديجةُ بنتُ خُوَيْلِدٍ ، أولُ مَن آمن بالله وصلَّى القبلةَ ، ومن بناتِه أفضلُهنَّ وسيدةُ نساء أهلِ الجنة ، ومن المولودينَ فى الإسلام الحسنُ والحسينُ سيِّدَا شبابِ أهلِ الجنة ، ثم قد علمتَ أنّ هاشماً وَلَدَ علياً مرَّتَيْنِ ، وأنّ عبد المطلب وَلَدَ الحسنَ مرتين ، وأنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ولدنِي مرتين ، من قِبَلِ جَدَّيَّ الحسنِ والحسينِ ، فما زال اللهُ يختار لى حتى اختارَ لى فى النار ، فَوَلَدَنِي أرْفَعُ الناسِ درجةً فى الجنة وأهونُ أهلِ النار عذابًا ، فأنا ابنُ خيرِ الأخيارِ وابنُ خيرِ الأشرارِ ، وابنُ خيرِ أهلِ الجنة وابنُ خيرِ أهل النارِ ، ولك عهدُ الله إنْ دَخَلْتَ فى بَيْعَتِي أن أُؤَمِّنَكَ على نفسِك وولدِك وكلِّ ما أصبتَهُ ، إلاَّ حَدًّا من حدودِ الله ، أو حقًّا لمسلم أو مُعاهَدٍ ، فقد علمتَ ما يلزَمُكَ فى ذلك ، فأنا أَوْفَى بالعهد منكَ ، وأحْرَى لِقَبُولِ الأمانِ ، فأمَّا أَمَانُكَ الذى عرضتَ علىَّ فأىُّ الأماناتِ هو ؟ أأمانُ ابنِ هُبَيْرَةَ ، أم أمانُ عَمِّكَ عبدِ الله بن علىّ ، أم أمانُ أبى مُسْلِمٍ ؟! والسلامُ .

فكَتب إليه المنصور : بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله عبد الله أميرِ المؤمنين إلى محمد بن عبد الله ، أما بعدُ ، فقد أتانى كتابُك ، وبلغنى كلامُك ، فإذا جُلُّ فَخْرِكَ بالنساء ، لِتُضِلَّ به الجفاةَ والغَوْغاءَ ، ولم يجعلِ اللهُ النساءَ كالعُمومةِ ، ولا الآباءَ كالعَصَبَةِ والأولياء ، ولقد جَعَلَ العَمَّ أبًا ، وبدأَ به على الوالدِ الأدْنَى ، فقال جل ثناؤُه عن نبيه عليه السلام : واتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبائِى

إبرٰهيمَ وإسمٰعِيلَ وإسْحٰقَ ويعقُوبَ ، ولقد علمتَ أنّ الله تبارك وتعالى بعثَ محمداً صلى الله عليه وسلم وعُمومتُهُ أربعةٌ ، فأجابه اثنانِ أحدُهما أبى ، وكَفرَ اثنانِ أحدُهما أبوكَ ، فأمّا ما ذكرتَ من النساء وقَراباتِهنّ فلو أُعطِينَ على قُرْبِ الأنساب وحقِّ الأحساب ، لكان الخيرُ كلُّه لآمِنَةَ بنتِ وَهْبٍ ، ولكنّ اللهَ يختارُ لدينه مَنْ يشاءُ مِن خَلْقِهِ ، فأمّا ما ذكرتَ من فاطمةَ أمّ أبي طالبٍ ، فإن اللهَ لم يَهْدِ أحدًا من ولدها للإسلامِ ، ولو فَعلَ لكانَ عبدُ الله بن عبد المطّلِبِ أوْلاَهُمْ بكلّ خيرٍ في الآخرةِ والأُولى ، وأسعدَهم بدخول الجنة غداً ، ولكنّ الله أَبَى ذلك فقال : إنّكَ لا تَهْدِي مَنْ أحببتَ ولكنّ الله يَهْدِي من يشاء ، فأمّا ما ذكرتَ من فاطمةَ بنتِ أَسَدٍ أمّ عليّ بن أبي طالب وفاطمةَ أم الحسنِ ، وأنّ هاشماً وَلَدَ عليًّا مرتين ، وأنّ عبدَ المطلب وَلَدَ الحسنَ مرتين ، فخيرُ الأوّلين والآخِرينَ محمدٌ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لم يَلِدْهُ هاشمٌ إلاّ مَرّةً واحدةً ، ولم يَلِدْهُ عبدُ المطلب إلاّ مرةً واحدةً ، وأما ما ذكرتَ من أنك ابنُ رسولِ الله ، فإن الله عزّ وجل أَبَىٰ ذلك فقال : ما كانَ محمدٌ أبَا أحَدٍ من رِجَالِكُم ولكن رسول الله وخاتَمَ النبيينَ ، ولكنكم بنُو ابْنَتِهِ ، وإنها لَقَرَابةٌ قريبةٌ ، غيرَ أنها امرأةٌ لا تَحوزُ الميراثَ ، ولا يجوزُ أن تَؤُمّ ، فكيفَ تُورَثُ الإمامةُ من قِبَلِها ؟ ولقد طَلَبَ بها أبوكَ بكل وجهٍ ، فأخرجَها تُخاصِمُ ، ومَرّضَها سِرًّا ، ودَفنَها ليلاً ، فأَبَىٰ الناسُ إلاّ تقديمَ الشّيخينِ ، ولقد حضَرَ أبوكَ وفاةَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فأَمَرَ بالصلاة غيرَهُ ، ثم أَخِذَ الناسُ رجلاً رجلاً ، فلم

يأخذوا أباكَ فيهم ، ثم كان فى أصحابِ الشورى فكلٌّ دفعه عنها . بايع عبدُ الرحمن عثمانَ وقبلها عثمانُ ، وحارب أباكَ طلحةُ والزُّبيرُ ، ودعا سعدًا إلى بيعتِه فأغلق بابه دونَه ، ثم بايعَ معاويةَ بعدَه ، وأفضى أمرُ جدِّك إلى أبيكَ الحسنِ ، فسلَّمه إلى معاويةَ بخِرَقٍ ودراهمَ ، وأسلمَ فى يديه شيعتَهُ ، وخرج إلى المدينة ، فدفعَ الأمرَ إلى غيرِ أهلِه ، وأخذ مالاً من غيرِ حِلِّه ؛ فإن كان لكم فيها شىءٌ فقد بعتموه ، فأما قولُك أنَّ اللهَ اختار لكَ فى الكفر فجعل أباكَ أهونَ أهلِ النار عذابًا ، فليس فى الشرِّ خيارٌ ، ولا مِنْ عذابِ اللهِ هيِّنٌ ، ولا ينبغى لمسلمٍ يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ أن يفخرَ بالنارِ ، وسَتَرِدُ فتَعْلَمُ ، وسيعلمُ الذينَ ظلموا أىَّ مُنقلَبٍ ينقلبُونَ ، وأما قولُكَ أنكَ لم تَلِدْكَ العجمُ ولم تُعرِقْ فيك أمهاتُ الأولادِ وأنك أوسطُ بنى هاشمٍ نسبًا وخيرُهم أمًّا وأبًا ، فقد رأيتك فَخَرْتَ على بنى هاشمٍ طرًّا ، وقدَّمْتَ نفسَكَ على مَنْ هو خيرٌ منكَ أولاً وآخِرًا ، وأصلاً وفصلاً ، فَخَرْتَ على إبراهيمَ بن رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وعلى والدِ وَلَدِه ، فانظرْ ويحكَ أين تكونُ من اللهِ غدًا ، وما وُلِدَ فيكم مولودٌ بعد وفاةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضلُ من علىِّ بن الحسين ، وهو لأمِّ وَلَدٍ ، ولقد كان خيرًا من جَدِّكَ حسنِ بنِ حسنٍ ، ثم ابنُهُ محمدُ بن علىٍّ خيرٌ من أبيكَ ، وجدتُه أمُّ ولدٍ ، ثم ابنُهُ جعفرٌ ، وهو خيرٌ منكَ ، ولقد علمتَ أن جدَّكَ عليًّا حَكَّمَ حَكَمَيْنِ وأعطاهما عهدَه وميثاقَهُ على الرِّضا بما حَكَما به ، فاجتمعَا على خَلْعِهِ ، ثم خرجَ عمُّكَ الحسينُ بن علىٍّ على ابنِ مرجانةَ ، فكانَ الناسُ

الذين معه عليه حتى قتلوه ، ثم أتوا بكم على الأقتاب بغير أوطية ، كالسبي المجلوب ، إلى الشأم ، ثم خرج منكم غير واحد فقتلتكم بنو أمية ، وحرقوكم بالنار ، وصلبوكم على جذوع النخل ، حتى خرجنا عليهم ، فأدركنا بثأركم إذ لم تدركوه ، ورفعنا أقداركم ، وأورثناكم أرضهم وديارهم ، بعد أن كانوا يلعنون أباك في أدبار الصلاة المكتوبة كما تلعن الكفرة ، فعنفناهم وكفرناهم ، وبينا فضله ، وأشدنا بذكره ، فاتخذت ذلك علينا حجة ، وظننت أنا لما ذكرنا من فضل علي أنا قدمناه على حمزة والعباس وجعفر ، كل أولئك مضوا سالمين مسلماً منهم ، وابتلي أبوك بالدماء ، ولقد علمت أن مآثرنا في الجاهلية سقاية الحجيج الأعظم ، وولاية زمزم ، وكانت للعباس دون إخوته ، فنازعنا فيها أبوك إلى عمر ، فقضى لنا عمر عليه ، وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس من عمومته أحد حياً إلا العباس ، فكان وارثه دون بني عبد المطلب ، وطلب الخلافة غير واحد من بني هاشم ، فلم ينلها إلا ولده ، فاجتمع للعباس أنه أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء ، وبنوه القادة الخلفاء ، فقد ذهب بفضل القديم والحديث ، ولولا أن العباس أخرج إلى بدر كرهاً لمات عماك طالب وعقيل جوعاً أو يلحسا جفان عتبة وشيبة ، فأذهب عنهما العار والشنار ، ولقد جاء الإسلام والعباس يمون أبا طالب للأزمة التي أصابتهم ، ثم فدى عقيلاً يوم بدر ، فقد مناكم في الكفر ، وفديناكم من الأسر ، وورثنا دونكم خاتم الأنبياء ، وحزنا شرف الآباء ، وأدركنا من ثأركم ما عجزتم

عنه ، ووضعنا كم بحيثُ لم تضَعُوا أنفسَكم ، والسلامُ .

[قال أبو العباس : وقد كان المشركونَ أخرجوا عَقِيلاً وطالِباً ابنَىْ أبى طالبٍ كَرْهًا حينَ أُخْرِجَ العباسُ للمحاربةِ مع المشركين ، فأمّا طالبٌ فأظهرَ الكراهِيَةَ للخروج لمحاربة ابن عمه عليه السلامُ ، ففى ذلك يقول :

يَا رَبِّ إِمَّا يَغْزُوَنَّ طالبْ   فى مِقْنَبٍ من هذه المقَانِبْ
فَلْيَكُنِ المغلوبَ غيرَ الغالبْ   ولْيَكُنِ المسلوبَ غيرَ السالبْ

قال : ففُقِدَ طالبٌ وأُسِرَ العباسُ وعَقِيلٌ ، فقال النبىُّ عليه السلامُ للعباسِ : افْدِ نفسَك وابنَ أخيكَ ، فقال : إنِّى أُخْرِجْتُ كُرْهًا ، فقال النبىُّ صلى الله عليه وسلم : أمّا ظاهرُ أمرِكَ فأنتَ علينا ، فقال : ما عندى فِدَاءٌ ، فقال النبى عليه السلام : ما فعلتِ الأربعةُ آلافِ درهم التى دَفَعْتَها عند خروجكَ إلى أهلك ؟ فقال : أَشْهَدُ أنك رسولُ الله][1]

⁂

قال أبو العباس : وقد ذكرنا رسالةَ هشامٍ إلى خالد بن عبد الله ، وأنّا سنذكُرها بتمامها فى غير هذا الموضع الذى ابتدأنا ذِكْرَها أوّلاً فيه ، وكان سببُ هذه الرسالةِ إفراطَ خالدٍ فى الدالّةِ على هشامٍ ، وأنه أخذ ابنَ حسّانَ النَّبَطِىَّ فضربَه بالسِّياط ، وكان يقال له سُهَيْلٌ ، قال : فبعثَ بقميصه إلى أبيه وفيه آثارُ الدم ، فأدخله أبوه إلى هشامٍ ، مع ما قد أَوْغَرَ صدرَ هشامٍ عليه من إفراط الدالّة ، واحتجانِ الأموال ، وكُفْرِ ما أَسْداهُ

---

(١) هذه الزيادة من نسخة ﻫ ولم تثبت فى النسخ المطبوعة بمصر .

إليه من توليته إياه العِراقَ ، فكتبَ هشامٌ إلى خالدٍ : بسم الله الرحمن الرحيم ، أمَّا بعدُ : فقد بلغ أميرَ المؤمنين عنك أمرٌ لم يَحْتَمِلْهُ لكَ ، إلاَّ لِمَا أَحَبَّ من رَبِّ الصَّنيعةِ قِبَلَكَ ، واستِمامِ معروفِهِ عندَكَ ، وكان أميرُ المؤمنين أحقَّ مَنِ اسْتَصْلَحَ ما فَسَدَ عليه منك ، فإن تَعُدْ لمثلِ مقالَتِك وما بلغَ أميرَ المؤمنين عنكَ رأىَ فى معاجلتك بالعقوبة رَأْيَه ، إنَّ النعمةَ إذا طالتْ بالعبد مُمْتَدَّةً أَبْطَرَتْهُ ، فأساءَ حَمْلَ الكرامة ، واسْتَقَلَّ العافيةَ ، ونَسَبَ ما فى يديه إلى حيلتِهِ وحَسَبِهِ وبيتِهِ ورَهْطِهِ وعَشيرتِهِ ، فإذا نزلَتْ به الغِيَرُ ، وانكَشَطَتْ عنه عَمايَةُ الغَيِّ والسلطانِ ، ذَلَّ مُنْقادًا ، ونَدِمَ حَسيرًا ، وتَمَكَّنَ منه عدوُّه قادرًا عليه قاهرًا له ، ولو أرادَ أميرُ المؤمنين إفسادَكَ لَجَمَعَ بينَكَ وبين من شَهِدَ فَلَتاتِ خَطَلِكَ ، وعظيمَ زَلَلِكَ ، حيثُ تقولُ لجلسائكَ : «والله مازادتنى ولايةُ العراق شَرَفًا ، ولا ولاَّنِى أميرُ المؤمنين شيأً لم يكن مَنْ قَبْلِى ممن هو دُونى يَلِى مثلَه » ! ولَعَمْرى لو ابْتُلِيتَ ببعضِ مَقاوِمِ الحجَّاج فى أهلِ العراقِ ، فى تلك المَضايِق التى لَقِيَ ، لعلمتَ أنك رجلٌ من بَجِيلةَ ، فقد خَرج عليك أربعون رجلاً فغلبوكَ على بيتِ مالِكَ وخَزائِنِكَ ، حتى قلتَ : « أطعمونى ماء » !! دَهَشًا وبَعَلاً[1] وجُبْنًا ، فما استطعتَهم إلا بأمانٍ ، ثم أَخْفَرْتَ ذِمَّتَكَ منهم رَزِينٌ وأصحابُهُ ، ولَعَمْرى أَنْ لو حاول أميرُ المؤمنين مكافأتَكَ بخَطَلِكَ فى مجلسك ، وجحودِكَ فضلَه إليكَ ، وتصغيرِ ما أنعم به عليكَ ، فَحَلَّ العُقْدةَ ، ونَقَضَ الصَّنيعةَ ، ورَدَّكَ إلى منزلةٍ أنت أهلُها ،

---

(١) البعل بفتح العين : الفرق والدهش عند الروع .

كنتَ لذلك مستحِقًّا ، فهذا جَدُّكَ يزيدُ بن أَسَدٍ قد حَشَدَ مع معاويةَ في يومَ صِفِّينَ ، وعَرَّضَ له دينَه ودمَه ، فما اصطنَعَ إلاّ عندَه ، ولا ولاّهُ ما اصطنعَ إليك أميرُ المؤمنين ووَلاّكَ ، وقِبَلَهُ من أهل اليمنِ وبيوتاتِهم مَنْ قَبيلُهُ أَكْرَمُ مِنْ قبيلتك ، من كِنْدةَ وغسّانَ وآلِ ذى يَزَنٍ وذى كَلاعٍ وذى رُعَيْنٍ ، فى نُظَرَائِهِمْ من بُيوتاتِ قومِهم ، كلُّهم أَكْرمُ أوَّليَّةً ، وأشرفُ أسلافًا ، من آل عبد الله بن يزيدَ ، ثم آثركَ أميرُ المؤمنين بولاية العراق ، بلا بيتٍ رَفيعٍ ، ولا شرفٍ قديمٍ ، وهذه البيوتاتُ تعلُوكَ وتَغْمُرُكَ وتُسْكِتُكَ ، وتتقدَّمُكَ فى المحافلِ والمَجامِعِ عندَ بَدْأةِ الأمورِ وأبوابِ الخلفاء ، ولولا ما أَحَبَّ أميرُ المؤمنين مِنْ رَدِّ غَرْبِكَ ، لعاجَلَكَ بالتى كنتَ أهلَها ، وإنها منكَ لقَريبٌ مأخذُها ، سريعٌ مكروهُها ، فيها إن أَبْقَى اللهُ أميرَ المؤمنين زوالُ نِعَمِهِ عنكَ ، وحلولُ نقَمِهِ بكَ ، فيما ضَيَّعْتَ وارتكبتَ بالعراقِ ، منَ استعمالك بالمجوسِ والنصارَى ، وتَوْلِيَتِهم رقابَ المسلمينَ وجِبْوةِ خراجِهم ، وتَسَلُّطِهِمْ عليهم ، نَزَعَ بك إلى ذلك عِرْقُ سَوْء فيهم من التى قامتْ عنك ، فبئس الجنينُ أنتَ يا عُدَىَّ نفسِهِ ! وإن اللهَ عز وجل لمَّا رأى إحسانَ أميرِ المؤمنين إليك ، وسوءَ قيامكَ بشكره ، قَلَبَ قَلْبَه فأسخطه عليك ، حتى قَبُحَتْ أمورُكَ عنده ، وآيَسَهُ من شكركَ ما ظَهر من كفركَ النعمةَ عندكَ ، فأصبحتَ تنتظرُ سُقوطَ النعمة ، وزوالَ الكرامة ، وحلولَ الخِزْيِ ، فتأهَّبْ لنوازلِ عقوبةِ الله بك ، فإن الله عليكَ

أَوْجَدُ ، ولِمَا عَمِلْتَ أَكْرَهُ ، فقد أصبحتَ وذُنوبُك عند أمير المؤمنين أعظمُ من أن يُبَكِّتَكَ ، إلاَّ راتبًا بينَ يديه وعندَه من يُقرِّرُكَ بها ذنبًا ذنبًا ، ويُبَكِّتُكَ بما أتيتَ أمرًا أمرًا ، فقد نَسِيتَه وأحصاه الله عليكَ ، ولقد كان لأمير المؤمنين زاجرٌ عنك فيما عرَفَكَ به من التَّسَرُّعِ إلى حماقتِك فى غيرِ واحدةٍ ، منها القُرَشِيُّ الذى تناولتَه بالحجاز ظالمًا ، فضربَك اللهُ بالسَّوْطِ الذى ضربتَه به مُفْتَضِحًا على رُؤوسِ رعيتِكَ ، ولعلَّ أميرَ المؤمنين يعودُ لكَ بمثل ذلك ، فإنْ يَفْعَلْ فأَهلُهُ أنتَ ، وإنْ يَصْفَحْ فأَهلُه هُو ، ومن ذلك ذِكْرُكَ زَمْزَمَ ، وهى سُقْيَا اللهِ وكرامتُه لعبدِ المطلب وهذا الحىِّ من قريشٍ تُسَمِّيها « أُمَّ جَعَارٍ » فلا سَقَاكَ اللهُ من حوضِ رسولِه ، وجَعَلَ شَرَّكُمَا لِخَيْرِكُمَا الفِداء ، ووالله أنْ لو لم يَسْتَدْلِلْ أميرُ المؤمنين على ضَعْفِ نَحائِزِكَ وسُوء تدبيرِكَ إلاَّ بِفَسَالَةِ دَخائِلِك وبطانتك وعُمَّالك ، والغالبةُ عليك جارِيَتُكَ الرَّائِقَةُ ، بائعة الفُهُودِ ومُسْتَعْمِلةُ الرجالِ ، مع ما أَتْلَفْتَ من مالِ اللهِ فى المُبارَكِ ، فإنك ادَّعَيْتَ أنك أنفقتَ عليه اثنى عَشَرَ أَلفَ أَلفِ درهمٍ ، والله لو كنتَ من ولد عبد الملك بن مروانَ ما احْتَمَلَ لَكَ أميرُ المؤمنين ما أفسدتَ من مال الله ، وضَيَّعْتَ من أُمور المسلمين ، وسَلَّطْتَ من وُلاة السَّوْء على جميعِ أهل كُوَرِ عَمَلِك ، تَجْمَعُ إليك الدَّهاقينُ هَدايا النَّيْرُوزِ والمِهْرَجانِ ، حابسًا لِأَكْثَرِه ، رافعًا لِأَقَلِّه ، مع مَخابِثِ مَساوِيكَ التى قد أَخَّرَ أميرُ المؤمنين تقْرِيرَكَ بها ، ومُناصَبَتِك أميرَ المؤمنينَ فى مولاهُ حَسَّانٍ ووكيلِه فى ضِيَاعِه وأَحْوازِهِ فى العراق ، وإقدامِكَ على ابنِه بما أَقْدَمْتَ به ،

وسيكونُ لِأَميرِ المؤمنين فى ذلك نَبأٌ إنْ لم يَعفُ عنك ، ولكنَّه يَظُنُّ أنَّ اللهَ طالِبُكَ بأُمورٍ أتيتَها ، غيرَ تاركٍ لِتَكْشيفِكَ عنها ، وحَمْلِكَ الأَموالَ ناقصةً عن وظائفِها التى جباها عُمَرُ بنُ هُبَيْرَةَ ، وتوجيهِكَ أخاكَ أسَدًا إلى خُراسانَ ، مُظْهِرًا العَصَبِيَّةَ بها ، مُتَحامِلاً على هذا الحىِّ من مُضَرَ ، قد أَتَتْ أميرَ المؤمنين بتصغيرِه بهمْ واحتقارِه لهم ورُكوبِه إيّاهم الثِّقاتُ ، ناسِيًا لحديثِ زَرْنَبٍ وقِصَصِ الهَجَرِيِّينَ كيفَ كانتْ فى أَسَد بن كُرْزٍ ، فإذا خلوتَ أو توسّطتَ مَلأً فاعْرِفْ نفسَك ، وخَفْ رَوَاجِعَ البَغْيِ عليك ، وعاجِلاتِ النِّقَمِ فيكَ ، واعلم أنَّ ما بعدَ كتابِ أميرِ المؤمنين هذا أشدُّ عليك ، وأفْسَدُ لك ، وقِبَلَ أميرِ المؤمنين خَلَفٌ منك كثيرٌ : فى أَحْسابِهم وبُيوتاتِهم وأَدْيانِهم ، وفيهم عِوَضٌ منك ، واللهُ من وراء ذلك . وكَتَبَ عبدُ الله بن سالم سَنَةَ تِسْعَ عَشْرَةَ ومِائَةٍ .

[قال أبو العباس : قوله « القُرَشِيُّ الذى تناولتَه بالحجاز ظالمًا فضَربكَ اللهُ بالسوط الذى ضربتَه مفتضِحًا على رؤوس رعيّتك » فهذا رجلٌ من بنى عبد الدار بن قُصَىّ ، من ولد شَيْبَةَ ، وكان خبرُ الشَّيْبِيِّ أن خالدًا كان عاملاً لسليمانَ بن عبد الملك على مكة ، فوفَد هذا الشيبىُّ على سليمانَ ، فسأله عن خالد ، فقال : يا أَميرَ المؤمنين ! مَرْجِعِى إليه وهو علىَّ عاملٌ ، فقال : لا سلطانَ له عليك ، فذكَرَه بِشَرٍّ ، فكتب إلى خالدٍ إنه لا سبيل لك على فلان ولا على أحدٍ من أسبابه ، فأخذ خالدٌ ابْنًا له ومَوْلًى فضربهما بالسياط ضربًا مُبرِّحًا ، فوجّها بقميصَيْهِما إلى الشيبىِّ وفيهما الدماء ، فدفعهما إلى سليمانَ ،

فأمر سليمانُ رجلاً من كَلْبٍ أن يَسِيرَ إلى خالدٍ فيقطعَ يَدَه ، فقال له يزيدُ بن المُهَلَّبِ ، وكان غالباً عليه : يأَميرَ المؤمنين ! أُشِيرُ برأيٍ ؟ قال : قُلْ ، قال : إن كان ضَرَبَهُمَا بعد قراءةِ الكتاب قَطعتَ يده ، وإن كان ضَرَبَهما قبلَ أن يقرأه أُقِيدَ ، فأمر سليمان بذلك ، فشَهِدَ عند الكلبيّ رجلانِ أحدُهما داودُ بن عليّ بن عبد الله بن عباسٍ أنه ضَرَبَهما قبلَ أن يقرأَ الكتابَ ، فني ذلك يقولُ الفَرَزْدَقُ :

فَلَوْلاَ يَزيدُ بن المهلَّبِ حَلَّقَتْ ... بِكَفِّكَ فَتْخَاءُ الجَناحَيْنِ طائرُ

يعنى بقوله « فتخاء الجناحين » العُقابَ ، والفَتَخُ لِينٌ فى جناحها واسترخاء من أجله تَكْسِرُ إذا حَلَّقَتْ . فضُرِبَ خالدٌ كما ضَرَبَهما ، وأمَرَ سليمانُ أن يُشَهَّرَ ويُلْبَسَ مِدْرَعَةً ويمشى إلى الشأم . قال : فيقال إن الفرزدقَ مَرَّ به وهو يُضْرَبُ وهو ضامٌّ يديه ، فصاح به : انْشُرْ جَنَاحَيْكَ يابنَ النصرانية ! فبهذا السببِ نال خالدٌ من الفرزدق المكروهَ حيثُ ولِيَ العراقَ ، حتى تَخَلَّصَهُ أسدُ بن عبد الله وشَفَعَ فيه مرارًا ، وفى ضربِ خالدٍ يقول الفرزدقُ :

لَعَمْرِى لقد صُبَّتْ على ظَهْرِ خالدٍ ... شَآبِيبُ ما اسْتَهْلَلْنَ مِنْ سَبَلِ المَطَرِ

لَعمرى لقد سَارَ ابنُ شَيْبَةَ سَيْرَةً ... أَرَتْكَ نُجُومَ الليلِ مُظْهِرَةً تَجْرِى

فما أَفْلَحَتْ رُومِيَّةٌ أنتَ نَسْلُهَا ... غَذَتْكَ بِأَلْبَانِ الخَنازِيرِ والخَمْرِ

« الشُؤْبُوبُ » الدُّفعةُ من المطَر ، وجمعها « شآبيب » و « سَبَل المطرِ » ما نزل منه . وقوله « سارَ ابنُ شَيبةَ سَيْرَةً » مثلَ خَرَجَ خَرْجَةً ، يعنى حينَ وَقَعَ بخالدٍ عند سليمانَ بن عبد الملك . وقوله « ومُنَاصَبَتُكَ

أميرَ المؤمنين فى مولاه حسانَ ووكيلِه فى ضِياعِه وأحْوازه بالعراق وإقدامِك على ابنِه بما أقدمتَ عليه فى أمرِ خالدٍ واحتجانَه الأموالَ وذكره هشامًا بالتقصير » وقوله : « وما ولاّنى إلاّ ما كان يتولاّه مَنْ هو دُونى » شَكَا ذلك هشامٌ إلى رجل من أصحابه ، غاب اسمُه عن أبى العباس ، وكان ذَا أَدَبٍ وذَا عَقْلٍ وفَهْمٍ ، فَدَعَا به يومًا وهو يَسيرُ ، فذكَر ذلك له ، فقال له الرجل : يأَميرَ المؤمنين ! ما أَعْلَمُ أحداً يَصْدُقُكَ عنه إلاّ حسانٌ ، فإنه نَبَطِىُّ الخوْفِ نَبَطِىُّ الرجاء ، فَامْلأْ قَلْبَه خوفًا وَوَجْهَهُ أَلِيَّةً ، فتَقَدَّمَ هشامٌ إلى الرَّجُل بما يَذْعَرُ به حسَّانٌ ، قال ذلك الرجلُ : فانصرفتُ عن مُسَايَرة هشامٍ إلى حسانٍ وهو يرانى ، ثم دعوتُ حسانٌ فقلتُ له وقد أظهرتُ حُزْناً : وَيْحَك يا حسانُ ! اعْهَدْ إلىَّ فى أهلكَ وولدكَ ، فكاد يَخِفُّ على سَرْجه ، قال : وما ذاكَ جعلنى اللهُ فِداكَ ؟ قلتُ : أَمَا رأيتَ تَرْدَادَ الكلام بينى وبينَ أمير المؤمنين ؟ قال : قد رأيتُ ، قلتُ : فما أَخَالُكَ ناجيًا مما كُنَّا فيه ولا مُفْلِتًا من الموتِ ، قال : جعَلنى اللهُ فِدَاكَ وما عسيْتُ أن أقولَ فى الأهل والولد ؟ إذا ذَهبتُ فعليهم العَفَاء ! قلتُ : ويحك يا حسَّانُ ، إنى ما أرجو لك النجاةَ إلا بواحدةٍ ، إن سألكَ أميرُ المؤمنين فاصْدُقْهُ وما أراكَ إلاَّ بعيداً ، ثم فارقتُه وقد كادتْ نفسُه تَزْهَقُ ، فلم يَنْشَبْ أنْ دعاه هشامٌ ، فترَجَّل وجعل يَسْعَى ، فقال له : اركبْ لا أُمَّ لك ! فزَجرَه ، ثم أسَرَّ إليه ما أَحبَّ ، وتقدم إليه أن يُحْصِىَ على خالدٍ أنفاسَه فضلاً عن غيرها ، وكتب إلى خالدٍ يخبره أنه قد وَجَّهَ حسَّانَ لعِمارة ضِياعِه ، فاستهان به خالدٌ وأقصاهُ وثَقُلَ عليه مكانُه ،

فأقام عنده أَشْهُرًا ، ثم كتب إليه هشامٌ يأمرُه أن يَستخلفَ ابنَه ويَشْخَصَ إليه ، قال حسانُ : فدخلتُ إليه وعندَه رجلٌ من قريشٍ يشكو خالدًا ، فقال له هشامٌ : أما سمعتَ قول القائل « اسجُدْ للقِرْدِ فى زمانه » ! ثم خرَج القرشىُّ وسألنى عن خالدٍ ، فقلت : إنه لا فَضْلَ فيه يا أميرَ المؤمنين ، إنه دمن النقرس ، فقال هشامٌ : لَوَدَّ أميرُ المؤمنين أنَّ خالدًا بِقُرْبِه حتى يَتَوَلَّى علاجَه بيده ، قال حسانُ : فعلمتُ أن الشكوى لا تنفعُ ، قال : فأثنَيْتُ ! قال : فأقام ابنى معه فأنكرَ منه شيئًا فضرَبَه بالسياط ضربًا مُبَرِّحًا ، فوجَّه إلىَّ بقميصه ، فاحْتَلْتُ له حتى دُخِلَ به على هشامٍ ، فوقَرَ ذاك فى قلبه ، وجعلتُ لأحدِ الخدَمِ مالاً عظيماً على أن يَضربَ أحدَ صبيان هشامٍ على أول ذَنْبٍ بحيثُ يَسْمَعُ هشامٌ ويقولُ له فى عَقِبِ ذلك الضربِ : واللهِ أَنْ لو كنتَ ابنَ خالدِ بن عبد الله القَسْرِىِّ الذى يَسْتَغِلُّ فى كل سنةٍ بِضْعَةَ عشَرَ ألف ألف درهمٍ ما عَدَا ، ففعل الخادم ، فعلمتُ أنِّى قد أَوْقَعْتُ فى قلبه ما يَكْرَهُ ، فعند ذلك كتَبَ هشام الكتابَ الذى ذكرناه ، فلما ورد على خالد هذا الكتابُ تَسَامَعَ به عُمَّالُه ، فكُلُّهم استأذن فى أن يَصِيرَ إليه فيُجْدِثَ به عَهْدًا ، فاجتمعوا عنده ، فكان مُتَكَلِّمُهُمْ بلالُ بن أبى بُرْدَةَ ، فقال : أصلحَ اللهُ الأميرَ ، إنَّ مِنْ أَيادِيكَ عندنا وفَضْلِكَ علينا ما لا نَسْتَكْثِرُ معه كثيراً فى صلاح أمرِكَ ، وإنك تَعْلَمُ مُنافَسَةَ هذا الحىّ من قريشٍ فى المال ، وهذا الرجلُ خاصةً ، وهو أَعْذَرُ منك ، يقول وَلَّيْتُكَ فاتَّخَذْتَ الضِّيَاعَ لنفسكَ ، فاكتب إليه فاعْرِضْ عليه هذه الضِّيَاعَ أن يأخُذَ منها

ما أَحَبَّ ، فإنه لا يَفْعَلُ ، وإن فَعَلَ استَدْرَكْتَ بحُسْنِ رأيه أكثَرَ منها ، فقال خالد : إذًا واللهِ لا أفعَلُ ولا أُعطِي على هذا شيئًا أبدًا ، واللهِ لَهُوَ أحْوَجُ إليَّ مِنِّي إليه ! فقال له بِلالٌ : أيَقْدِرُ أن يُرْسِلَ فيأخذَها منك ؟ قال : نعم ، قال : فواللهِ لأَنْ تَدْفَعَهَا إليه فيأخُذَها أو بعضَها أو يَصْفَحَ عن الجميع أحْظَى وأحْسَنُ بك ، قال : إنِّي واللهِ لا أفعَلُ ، قال بلالٌ : فإنِّي أقولُ عن نفسي وعن أصحابي فإنَّا نُعْطِيكَ مِمَّا كَسَبْنَاهُ بك ما يَفِي بأكثَرَ من هذه الضِّيَاعِ فتوجه به إليه مالاً وتعرِضُ عليه حالاً فإنك تعتاضُهُ وإنا سَنَكْسِبُ إنْ بَقِينا ! ! قال : إذًا واللهِ لا أفعلُ ، وألَحُّوا عليه ، فقال خالدٌ : أنْظُرُ ، وارْجِعُوا أنتم إلى أعمالكم ، فرجَعَ القومُ وبعضُهم يقولُ لبعضٍ : استَعِدُّوا للعَزْلِ ! !] (١)

[وهذا بابٌ من مُتَنَخَّلِ طَرِيفِ الشِّعرِ وذِكْرِ آياتٍ من القُرآنِ رُبَّما غَلِطَ في مَجازِها النحويُّونَ . قال أبو العباس] (٢) :

هذا الكتابُ قد وَفَّيْنَاهُ جميعَ حقوقِهِ ، وَوَفَيْنا بجميعِ شُرُوطِهِ ، إلاَّ ما أذْهَلَ عنه النسيانُ ، فإنه قَلَّ ما يُخْلَى من ذلك ، ونحنُ خاتِمُوهُ

---

(١) هذه الزيادة من إحدى نسخ الكتاب « الكامل » والظاهر لنا أنها مما سمع أحد تلاميذ المبرد منه حين القراءة تفسيرا لبعض ما فيه ، فأثبتها في صلب الكتاب ، ويؤيد ذلك قوله فيها « شكا ذلك هشام إلى رجل من أصحابه غاب اسمه عن أبي العباس » فالذى يقول هذا تلميذ أبي العباس ، فيما نرجح ، وهذه النسخة المزاد عنها أثبت في آخرها ما نصه : « هذا آخر كتاب الكامل والحمد لله كثيراً وصلى الله على محمد وآله الطيبين الأخيار وسلم تسليما . فرغ من نسخه في النصف من جمادى الأخرى سنة ثمان وثمانين وأربعمائة بخط يحيى بن المبارك الصحاوى . حسبنا الله ونعم الوكيل » .

(٢) هذه الزيادة من ب و س و د و ف .

بأَشعارٍ طَريفةٍ ، وآخِرُ ذلكِ الذى نَختِمُ به آياتٌ من كتابِ الله عز وجل ، بالتوقيفِ على معانِيها إن شاء اللهُ .

قال الشاعرُ :

أُذْكُرْ مَجالِسَ من بنى أَسَدٍ بَعُدُوا وحَنَّ إليهمُ القَلْبُ
الشَّرْقُ منزلُنا ، ومنزلُهُمْ غرْبٌ ، وأَنَّى الشَّرْقُ والغرْبُ
مِنْ كلِّ أَبيَضَ جُلُّ زينتِهِ مِسْكٌ أَحَمُّ وصارِمٌ عَضْبُ

وقال آخرُ :

حياةُ أَبِى العَوَّامِ زَيْنٌ لقومِه لِكلِّ امْرِئٍ قاسَ الأُمورَ وجَرَّبَا
ونَعتِبُ أَحيانًا عليه ولو مَضَى لَكُنَّا على الباقى من الناس أَعْتَبَا

وقال مُسْلِمٌ :

حَيَاتُكَ يا أَبْنَ سَعْدَانَ بنِ يَحْيَى حياةٌ لِلمَكارِمِ والمَعالِى
جَلَبْتُ لك الثناءَ فجاء عَفْوًا ونَفْسُ الشُّكْرِ مُطْلَقَةُ العِقالِ
وتَرْجِعُنى إليكَ ، وإن نَأَتْ بِى دِيَارِى عنكَ ، تَجْرِبةُ الرِّجالِ

وقيلَ فى المثلِ : المبالغةُ فى النصيحة تَقَعُ بكَ علَى عظيمِ الظِّنَّة .

وأنشدنى العباسُ بن الفَرَجِ الرِّياشِيُّ :

وكم سُقْتُ فى آثارِكم مِن نصيحةٍ وقد يَسْتَفِيدُ الظِّنَّةَ المُتَنَصِّحُ

وأنشدنى الرِّياشِيُّ :

إذَا الأَمْرُ أَغْنَى عنكَ حِنْوَيْهِ فاجْتَنِبْ مَعَرَّةَ أمرٍ أنتَ عنه بِمَعْزِلِ

وقال العَتَّابِيُّ :

لا تَرْجُ رَجْعَةَ مُذْنِبٍ   خَلَطَ احتجاجًا باعْتذارْ

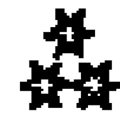
وقال أيضاً :

وَفَيْتُ كلَّ خليلٍ وَدَّنِي ثَمَنًا   إلاَّ المُؤَمَّلَ دَوْلاَتِي وأَيَّامِي

وقيلَ للعَتَّابِي : ما أَقْرَبُ البلاغةِ ؟ قال : أَلاَّ يُؤْتَى السامعُ من سُوء إفهامِ القائلِ ، ولا يُؤْتَى القائلُ من سُوء فهمِ السامع . وقال ابنُ يَسيرٍ :

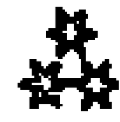
اِقْدِرْ لِرِجْلِكَ قبلَ الخَطْوِ منزلَهَا   فمن عَلاَ زَلَقًا عن غِرَّةٍ زَلِقَا

وكان يقالُ : اصْمُتْ لِتَفْهَمَ ، واذْكُرْ لِتَعْلَمَ ، وقُلْ لَتَذْلُقَ .



وَنَذْكُرُ آياتٍ من القرآن ربما غَلِطَ فى مجازِها النحويُّون . قال الله عز وجلَّ : ﴿ إنَّما ذلِكُمُ الشَّيطانُ يُخَوِّفُ أولياءه ﴾ مجازُ الآية أنَّ المفعولَ الأوّل محذوفٌ ، ومعناه : يُخَوِّفُكم مِنْ أوليائِه . وفى القرآن : ﴿ فَمَنْ شَهِدَ منكمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ والشَّهْرُ لا يَغِيبُ عنه أحدٌ ، ومجازُ الآية : فمن كان منكم شاهدًا بَلَدَه فى الشهر فَلْيَصُمْه ، والتقديرُ « فمن شهد منكم » أى : فمن كان شاهدًا فى شهر رمضانَ فَلْيَصُمْهُ ، نَصْبَ الظُّروفِ لا نَصْبَ المفعولِ به . وفى القرآن فى مخاطبة فرعونَ : ﴿ فاليومَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيةً ﴾ فليس معنى « نُنَجِّيكَ » نُخَلِّصُكَ ، ولكن نُلْقِيكَ على نَجْوةٍ من الأرضِ « بِبَدَنِكَ » بِدِرْعِكَ ، يَدُلُّ على ذلك

« لتكونَ لمن خَلْفَكَ آيةً » وفى القرآن : ﴿ يخْرِجُونَ الرَّسُولَ وإيَّاكم ، أنْ تُؤْمِنُوا بالله ربِّكم ﴾ فالوقفُ « يخرجون الرسولَ وإيَّاكم » أىْ ويُخرِجُونَكم لأَن تُؤْمِنُوا بالله رَبِّكُمْ .



هذا آخِرُ الكتابِ الكاملِ ، والشُّكْرُ لله والحمدُ لَهُ ، وصلى الله على رسول الله ، ونستغفرُ اللهَ مما قُلْناه من عَمْدٍ وقَصْدٍ وزَلَلٍ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير الخلق أجمعين .

تم تحقيق « الكتاب الكامل » وقد كنت أود أن أزيده إتقاناً وتحبيراً ، لولا أن الفرصة لم تسعف ، ولأنى لم أتعهد الكتاب من أوله ، وكان فى عزمى أن أضع له فهارس متقنة مفصلة ، أدق مما وضع لطبعة أوروبة ، ولكن حالت دون ذلك الظروف القاسية ، بسبب هذه الحرب التى ثارت بين أمم أوربة واكتوينا بنارها ، ووقفت كثيراً من الأعمال النافعة ، بما قطعت السبل وضيقت من وسائل النقل . وأسأل الله أن يهيئ لى فرصة أخرى أخرج فيها الكتاب على ما أحب ، وعلى ما يحق له ، وأسأله الهداية والتوفيق والعصمة والسداد .

كتب

أحمد محمد شاكر

عفا الله عنه.

عن العباسية بمصر ضحوة الجمعة { ٣ جمادى الأولى سنة ١٣٦٢ / ٧ مايو سنة ١٩٤٣ }

بحمد الله وحسن توفيقه قد تم طبع كتاب الكامل للإمام أبي العباس المبرد في يوم الاثنين المبارك ١٦ رجب من سنة ١٣٦٢ هـ الموافق ١٩ يولية من سنة ١٩٤٣ م ؟

ملاحظ المطبعة | مدير المطبعة
محمد أمين عمران | رستم مصطفى الحلبي